

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية

بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

تقديم

عبد الوهاب بن منصور

الجزء الأول

الطبعة المكيّة - الرباط

1404 - 1984

مجلة « الوثائق » ، كما عرب كتاب
جان لاکوتور عن « محمد الخامس :
عرش وثلاث جمهوريات » (تحت
الطبع) .

هذا المؤلف

● من أعمال المصنف هذا الكتاب
الطويل عن الحماية القنصلية
والاستيطان الأجنبي بالمغرب في
القرن التاسع عشر .

● وسيكون هذا الجزء الأول منه
متبوعاً بثان (وهو تحت الطبع)
وبثالث (انتهى رqn صفحاته)
وبرابع (هو في طور الاعداد
والتنقيح) .

● وبأسلوب شيق ، وبلغة سليمة
وفي تصنيف تماسكت حلقاته ،
يعرض المؤلف لهذا الموضوع بروح
مغربية أصيلة وبرؤية مستجدة ،
مستظهراً بالحجج الوافية المستقاة
من التراث المنسي ، ومستعيناً بما
صنفه مؤلفون مغاربة واجانب .

● ومزية هذا الكتاب انه يرسم
معلمة تاريخية ، قوامها الوثيقة
المغربية ، للانحلال الاجتماعي
والمد الاستعماري اللذين أصابا
بلادنا في نهاية القرن الماضي .



المؤلف

● ولد بمدينة سلا سنة 1930
● تابع دراسته الثانوية بالرباط
بمدارس محمد الخامس وثانوية
مولاي يوسف ، والعليا بمعهد
الدراسات العليا المغربية (دبلوم
اللغة العربية) ثم التحق بالمدرسة
الوطنية للإدارة العمومية (1957 -
1960) ، وبعد ذلك انتسب الى شعبة
العلوم السياسية بكلية العلوم
القانونية والاقتصادية والاجتماعية
بالرباط .

● انخرط في الأسلاك الإدارية
سنة 1954 ، وهو احد متصرفي وزارة
الداخلية ، وتقلد أعباء السلطة
باقليمي تازة ووجدة (1961 - 1970) ،
وصار منذ اواخر 1978 باحثا متفرغا
بمديرية الوثائق الملكية بالرباط .

● له اسهامات فكرية : عجم
حجج المغرب لدى محكمة العدل
بلاهاي في قضية الصحراء ، وحقق
وعرب بعض المستندات المنشورة في

الاستيطان والحماية بالمغرب

1280 - 1311

1865 - 1894

تقديم

عبد الوهاب بن منصور

الجزء الأول

المطبعة الملكية - الرباط

1984 - 1404

**جميع المحافظ الوارد ذكرها
هنا ملك لمديرية الوثائق الملكية
بالرباط**

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ

سورة الرعد - الآية 11

ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال
في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ... فلا يكاد
يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة ، وذلك أن أحوال العالم
والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج
مستقر .

عبد الرحمان ابن خلدون
في مقدمته

تقديم

عبد الوهاب ابن منصور

مؤرخ المملكة

عضو اكاديمية المملكة المغربية

يشعر قارئو كُتُب التاريخ المغربي بالفرق الكبير والبون الشاسع بين ما ألف منها باللغة العربية وبين ما ألفه الأجانب منها بلغاتهم ، ولا يقتصر الفرق على الاسلوب الانشائي الذي كتبت به تلك المؤلفات ، بل يشمل ايضاً المنهاجية التي عولجت بها محتوياتها .

فالأسلوب الذي كتبت به كتب التاريخ المغربي باللغة العربية اسلوب عتيق يمت الى اساليب العصر الوسيط بأكثر من سبب ، يُعَتَنى فيه كثيراً بالجانب اللغوي والأدبي عناية كبيرة ، وتشينه في غالب الأحيان استطرادات قد تطول وقد تقصر من غير ان تكون لها علاقة بالموضوع ، اما المنهاجية العلمية فتكاد تنعدم بالمرّة لعدم التقيد بوحدة الموضوع ، فتجد شؤون السياسة ممزوجة بشؤون الأدب ، وامور الاقتصاد مخلوطة بقضايا الاجتماع ، وتتخلل كل ذلك مسائل من اللغة او الفقه والتفسير والحديث ، حتى ليتساءل قارئ تلك الكتب – وقد اضناه التعب وارهقه الملل – اهو يقرأ كتاباً تاريخياً في موضوع معين ام هو امام « كشكول » حوى جميع اصناف المعارف والمعلومات ، و « مستظرف » فيه من كل فن طرف ، ونظرة عجلى او متأنية يلقيها المرء على كتب مثل « المسند الصحيح الحسن » و « المنتقى المقصور » و « الدر المنتخب المستحسن » و « الحل البهية » كافية لتبديد شك المتشكك في صحة ما اقول .

اما الكتب المؤلفة من طرف الأجانب فهي على علاقتها ومغامزها تختلف عن سابقتها كل الاختلاف ، تكتب بأسلوب سلس مفهوم لا يخلو أحياناً من أناقة ، وتراعى فيها وحدة الموضوع ، وتلتزم فيها الدقة والتحري فيما يخص الأسماء والأرقام اعتماداً على ما بين أيدي كاتبها من وثائق ومستندات ، أو ما رأوه رأي العين أو سمعوه من شهود العيان .

وحتى لا يكونَ هذا الحكم عاماً ومنطبقاً على كل الأزمنة نستثني مما ذكر الكتب والرسائل والأطروحات التي كتبها في السنين المتأخرة ويكتبها الآن عدد من رجالنا وشبابنا الذين تلقوا تعليمهم العالي في الجامعات العصرية أو تأثروا بالمنهاجية الحديثة في الكتابة وإن لم يلجوا ابواب الكليات والمعاهد العليا ، فهؤلاء يكتبون بأسلوب مطابق لروح العصر مقبول من القراء ، يجتهدون فيه في التوفيق بين سلاسة الأسلوب ووحدة الموضوع ، ويسعون في طرق جميع الأوجه والجوانب المتعلقة بالموضوع الذي يتناولونه دون ما خروج عنه ولا استطراد الى غيره ، ويعتمدون مثل الأجانب على مختلف المستندات القومية والأجنبية التي تثبت حكماً أو تنفي رأياً .

وكتاب «الحماية والاستيطان الأجنبي بالمغرب في القرن التاسع عشر» الذي ألفه الأستاذ مصطفى أبو شعراء هو من هذه الكتب الحديثة التي لا تتعب مطالعاً ولا تمل مراجعاً ، فقد كتبه بأسلوب عصري سهل على قارئه وتناول فيه موضوعاً خطيراً من مواضيع تاريخ المغرب كتب عنه الأجانب كثيراً ولم يكتب عنه المغاربة الا نبذاً هي على يسرها متداجمة مع العديد من مواضيعه الأخرى .

وإذا ذكر الانسان مشكل الحماية والاستيطان الأجنبيين انطبعت في ذهنه صورة الباب الواسع الذي دلفت منه كل الشرور الى المغرب ، فبعد ما ظهر هذا المشكل في بداية الأمر صغيراً ضئيلاً لا يلفت نظراً ولا يشكل خطراً تطور تطوراً سريعاً مدهشاً بعد هزيمة المغرب في معركة وادي يسلي امام الجيش الفرنسي سنة 1844 وهزيمته في حرب تطوان امام الجيش الاسباني سنة 1860 حتى انقلب الى « نظام » مؤسس على اتفاقيات ، ومقرر حسب

نصوص معاهدات ، ثم نما حجم هذا « النظام » وعظم امره بانفتاح ابواب المغرب على مصاريحها امام التجارة الخارجية ومجيء ألوف من رعايا الدول الأوروبية والأمريكية اليه للاستقرار بموانئه والارتباط بعلائق - أكثرها مريب - مع جماعة من رعاياه القاطنين بالمدن والقرى الداخلية ، حتى أصبح يكون دولة داخل دولة ، وصارت قضاياها تستأثر بجل اهتمامات الحكومة المغربية وتعوقها عن العمل لتنمية الوطن وترقية الشعب ، وفقر فاه حتى أفرغ بيت المال بمطالبه ودعاويه ، واكل لحم المغاربة واستفّ منهم اللحم وتعرق العظم ، وتفاجر وتفاحش فعلمهم ما لم يكونوا يعلمون من فسوق أوربا وفجورها ونقل الى اجسامهم القوية ما لم تكن تعهده من الاوبئة والأمراض ، ثم انتهى بالبلد واهله الى نهاية محتومة : الحَجْرُ الأجنبي والوصاية الدولية التي قيدت سيادتهم ورهنت حريتهم بعد ألف ومئتي سنة من السيادة التامة والحرية الكاملة .

انه اذن موضوع جدير بالعناية خليق بالاهتمام ، حري بأن يجعل طلاب الكليات والمعاهد العليا من جوانبه الكثيرة وقضاياها المتعددة مواضيع لأطروحاتهم ورسائلهم التي يختمون بها دراساتهم العالية ، وحري بالأساتذة ان يلفتوا اليه انظار الطلاب ويحببوا اليهم الكتابة فيه والبحث في المكتبات الخصوصية والعمومية بالداخل والخارج عن المراجع والمستندات المتعلقة به ، لما سيكشفه البحث عنه والكتابة فيه من مجاهيل ويطبع في الأذهان من صور الحيل والمكائد التي تذرع بها الأجانب لايقاع المغرب في فخاخ الاحتلال وحبال الاستعمار .

واذا اشترت الى الوثائق والمستندات وكررت الإشارة اليها فلأني اعرف تمام المعرفة ان الكتابة في موضوع الحماية والاستيطان لا يمكن ان تكون وافية بالغرض كشافة لمجاهيله سابرة لأغواره الا بالرجوع اليها وقراءتها قراءة المتيقظ الناقد ، ومقارنة ما عند هذه الدولة بما عند الدولة الاخرى منها ، ثم مقارنة ما عند الدول جميعاً بما هو موجود منها بالمغرب ، اذ بالاطلاع على ذلك كله يمكن للكتابة ان تصيب كبد الحقيقة او تصيب ما يقرب من كبدها ، ولا تترك القاريء ضالاً في متاهات الفروض والاحتمالات ،

ومن حسن الحظ ان مؤلف هذا الكتاب استطاع ان يطلع على العديد مما هو محفوظ من الوثائق بمديرية الوثائق الملكية والخزانة الحسنية والمكتبة العامة بالرباط ومكتبتي آل الصبيحي وآل ابن سعيد بسلا ، كما تمكن بحكم ثقافته المزدوجة المتينة ان يستفيد من الكتب التي صدرت في اوربا وامريكا منذ منتصف القرن الماضي وطرقت موضوع الاستيطان والحماية خاصة وباب التدخل الاجنبي في المغرب على العموم واعتمد مؤلفوها على ما هو محفوظ ببلدانهم من وثائق ومستندات ، وما نشره وزراءهم وسفراءهم من تقارير ومذكرات .

واذا عدنا الى كتاب الأستاذ مصطفى بوشعراء لنلقي نظرة فاحصة عليه فاننا نجده قد قتل موضوعه المعنون به بحثاً واستوفاه تفصيلاً ، لقد تناوله من جميع جوانبه قريباها والبعيد ، بدءاً من التعريف بالمغرب وسكانه لا من الناحية اللغوية والجغرافية البحتة ، ولكن من حيث المفهوم السياسي للكلمة كما تفيده نصوص المعاهدات ايضاً ، وتدرجاً الى عناصر السكان وحياتهم الاجتماعية وما يرتزقون به من صنوف الحرف وانواع المهن ، غير ناس ولا غافل عن ادواتهم الحضارية ومصطلحاتهم في التعامل ، حتى يفضي به المسار الى بداية الاختلاط بالأجانب اما برحيل المغاربة الى بلدانهم واما بمجيء الأجانب الى المغرب واختلاطهم بأهله ، الشيء الذي عقد العلائق وازمها واريكها حتى ادى الأمر الى تدخل الدول الأجنبية في شؤون المغرب بدعوى حماية رعاياها والدفاع عن مصالح تجارتها ، وافضى بها الى ان تفرض على المغرب ما تريد وتملي عليه ما تشاء بحكم ضعفه وقوتها وتخلفه وتقدمها ، وافتراق كلمة المسلمين واجتماع كلمتها هي على الكيد للمسلمين وتربص دوائر السوء بهم والسعي الجاد الحثيث لاستعباد رقابهم وامتلاك اوطانهم واستغلال خيراتهم وثرواتهم التي لا تعد ولا تحصى ، سواء كانوا يسكنون في المشرق أو يسكنون في المغرب .

والشيء الجديد في هذا الكتاب هو هذه الاحصاءات عن السكان والأرض والغلال والتجارات ، تلك التي كانت الكتب العربية خالية منها والتي امتلأت

بها الكتب التي ألفها الأوربيون في القرن الماضي وفي هذا القرن العشرين مثل كتاب الدكتور جان لوي ميج J. L. Miège الذي عنوانه « المغرب واوروبا في القرن التاسع عشر » ، ومع ان الارقام الواردة في الكتب الاوربية غير مقطوع بصحتها لما يشوبها احيانا من اغراض ويتخللها من اهواء فانها خليقة ان يستأنس بها ويركن الى حد ما اليها ، اما الأرقام التي ضمنها الأستاذ بوشعراء كتابه فهي اقرب الى الصواب قطعاً لأنه استند فيها الى المستندات التي اعتمد عليها الأوربيون تلك التي لم تكن تتجاوز تقارير السفراء والقناصل، وتعداها الى المستندات المغربية التي لم يكن للأجانب بها اتصال ولا لهم عليها اطلاع .

وكتابة الأستاذ مصطفى بوشعراء في هذا الكتاب تتأرجح بين العتاقة والحدثة ، فهو بحكم ثقافته العصرية متأثر بمنهاج الأوربيين في البحث وطريقتهم في الدرس ، ولكنه بحكم البيئة التي فتح عينيه عليها والتربية التي تلقاها في البيت والكتاب وسط مدينة متحضرة كسلا رجل اصيل ويمثل كأكثرية الجيل المخضرم من اهل سلا الأصالة المغربية القحة ، انه لا يجهل شيئاً من اعراف المغاربة وعاداتهم وطبائعهم وتقلباتهم في معاشهم وان شئت فقل في حلهم وترحالهم ، كما لا يعزب عنه شيء من اللغة التي كانوا يتخاطبون بها قبل ان يبتلوا بداء الاستعمار وما كانوا يجرون بها من حكم ويضربون من امثال ويروون من قصص وحكايات ، ولهذا لا ينبغي للقاريء ان يفزع او يألّم اذا اصطدم ببعض الكلمات « البالية » التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات الكتاب ، كما لا ينبغي له ان يفزع او يألّم من بعض الكلمات او المصطلحات « المستوردة » التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاته ايضاً كتقديم الضمير على المضمّر ، فان الذي دفع الى استعمال النوع الأول الثقافة الأصلية المكيّنة ، كما ان الذي ساق الى النوع الثاني الثقافة العصرية الحديثة ، والأستاذ بوشعراء رجل مخضرم ادرك ما عاش عليه آباؤنا من قديم ، وعاش ويعيش فيما يشهده العالم من تطور مدهش وتطلع عليه شمس كل يوم من مستظرف حديث ، فلا عجب ان كان في كتابته ما يدل على الشكّلين ويشير الى الطورين .

اني اهنيء الأستاذ مصطفى بوشعراء على كتابه القيم الذي سيستفيد منه - بكل تأكيد - اساتذتنا وطلابنا وباحثونا والمولعون بالمطالعة منا ، والذي جاء ليسد فراغاً كبيراً في خزانتنا التاريخية ، وأمل ان تصدر اجزاؤه الباقية المليئة بالمعلومات العامرة بالفوائد حتى تعظم الاستفادة منه ، ويمكن للناقد ان يصدر بشأنه حكماً وافياً .

الرباط - الجمعة } 18 محرم 1405 هـ
14 اكتوبر 1984 م }

عبد الوهاب ابن منصور

فهرس مواد الجزء الأول (الكتاب الأول)

المواضيع	الصفحة
باسم الله	I
تمهيد	3
* * *	
الباب الأول : المغرب ، ربوعه وأهله	I85 – II
<u>الفصل الاول : الأيالة المغربية</u>	27 – I2
– المطلب الأول : المفهوم الخارجي	I2
– » الثاني : المفهوم الداخلي	I3
– » الثالث : ظاهرة « السيية »	2I
– : الرابع : اتساع أطراف المغرب ونظام الخلفاء السلطانيين .	25
<u>الفصل الثاني : الربوع والسكان</u>	56 – 29
– المطلب الأول : الربوع المغربية (الحدود 29 – التنظيم الإداري المحلي 32 – التقسيم الترابي 34)	29
– المطلب الثاني : أهل المغرب (تصنيف ايطنوغرافي 38	38
– تصنيف انطريولوجي اجتماعي : الاحتباء والانتعال 39	
– تصنيف ديموغرافي 50) .	
<u>الفصل الثالث : المغتربون</u>	I44 – 57
(التمثيل القنصلي المغربي 58 المغاربة بالخارج 60) .	
– المطلب الأول : المهاجرون الى الاقطار النصرانية (الولايات المتحدة 63 – انجلترا 64 – فرنسا 73 – المانيا وايطاليا 76 – اسبانيا 78 – جبل طارق 79 – البرازيل 84 – دول امريكية اخرى 85) .	63
– المطلب الثاني : المهاجرون الى البلدان الاسلامية (السينغال ومالي 85 – الجزائر 90 – تونس 93 – مصر 94	85

— السودان I25 — الشام والحجاز I26 — الأردن وفلسطين I28
تركيا I30 — المشرق I35 — ملحق I4I)

الفصل الرابع : المستوطنون

I45 — I56

— المطلب الأول : طريقة الاستيطان وحوافزه I46
— المطلب الثاني : أعداد المستوطنين وتقسيمهم ببدأ ببدأ . I48

الفصل الخامس : الجوائح والقواصم

I57 — I85

— المطلب الأول : الأوبئة والمجاعات I58
— المطلب الثاني : الوقاية والأسعافات (التطبيب الأجنبي I65
ومجلس العافية I67 — التطبيب المغربي I74 — أ . الأطباء
المغاربة I76 — ب . أساليب العلاج I82) .

* * *

الباب الثاني : المعطيات والمبادلات الاقتصادية

I87 — 357

الفصل الأول : المواصلات والتجهيز

I89 — I99

(المواصلات البحرية I89 — تجهيز الموانئ والطرق البرية I92
— التلغراف I95 — البريد I96 — المسافات I97) .

الفصل الثاني : المفاهيم القياسية

20I — 2II

— المطلب الأول : الوحدات المقننة 202
— المطلب الثاني : الوحدات الاجتزافية 207
الفصل الثالث : التغيرات النقدية والمالية والجمركية 2I3 — 228

— المطلب الأول : التطور النقدي 2I3
— المطلب الثاني : التطور الجبائي 220
— المطلب الثالث : التشريع الجمركي 223

الفصل الرابع : النظام الحرفي

229 — 273

— المطلب الأول : نظام الحناطي (تصريف الانتاج 230
— آداب المهن وادواتها 23I — قواعد الحناطي 233

- الولاء السياسي والديني 237 - تصنيف الحناطسي 237	
- التأثير الأجنبي 240 - النشاط الاقتصادي جغرافيا 240	
- تمركز البضائع والخدمات 242 (
- المطلب الثاني : دليل الأنساب المهنية	243
- المطلب الثالث : خطة الحسبة (اختصاصات	263
المحتسب 263 - صور من أعمال المحتسب المغربي 266	
- أجرته وتنوع نشاطه 267 - حزمه وغفلته 269 - صلابته	
وصراحته 270 (
الفصل الخامس : الصناعة والمعادن	275 - 285
- المطلب الأول : الصناعة الوطنية	275
- المطلب الثاني : الصناعة الأجنبية	279
- المطلب الثالث : القطاع المعدني	282
الفصل السادس : التجارة المغربية	287 - 327
- المطلب الأول : التجارة المحظورة (النخاسة 288	288
- بيع السلاح 294 - التهريب وبيع الخمر 295 - باقي التجارة	
المحظورة 296 (
- المطلب الثاني : التجارة المباحة (المواد المصدرة 299	298
- الصوف 300 - الجلود 301 - المواد المستوردة : السكر	
والشاي 302 (
- المطلب الثالث : حجم المبادلات التجارية	304
- المطلب الرابع : الانعكاسات الاجتماعية والسياسية	306
(أ . على المغاربة 306 - إثراء المغاربة في الخارج 311	
- بعض الماركات التجارية في النسيج 318 - ب . على	
الاجانب 322 - الآثار الاجتماعية : مثال السكر والشاي 325 (
الفصل السابع : الفلاحة وامتلاك العقار	329 - 354
- المطلب الأول : (الهياكل العقارية : اراضي الجموع	328
والكثيش والدولة والأوقاف والخواص 330 - مدى الاملاك	

العقارية وصيانتها 334 - الاستغلال وطرائقه 335 - الانتاج الزراعي 339 - الاراضي المهملة والمستصلحة - الزراعات البورية - الزراعات المسقية - المغروسات 339 - 344 (
- المطلب الثاني : السوائم (دور المواشي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية 345 - اعداد الانعام 346)	345
- المطلب الثالث : الخلطة وتملك العقار	348

* * *

الباب الثالث : جوانب من العلاقات الخارجية 355 - 423

الفصل الأول : أزمات وسفارات 359 - 390

- المطلب الأول : الأزمات	359
- المطلب الثاني : السفارات المغربية (الى المانيا - وانجلترا واسبانيا وايطاليا وبلجيكا والبرتغال وتركيا وفرنسا)	363
- المطلب الثالث : سفارة الطريس الى الفاتيكان	383

الفصل الثاني : النواب السلطانيون (تراجم 391 - 405

- المطلب الأول : مَحْمَد الخطيب	391
- المطلب الثاني : مَحْمَد برْكَاش	392
- المطلب الثالث : محمد الطريس	399

الفصل الثالث : دار النيابة 407 - 423

- المطلب الأول : تراجم الموظفين	407
- المطلب الثاني : اشغال دار النيابة	418
- المطلب الثالث : انواع المحامين	420

* * *

- استدراكات	425
-------------	-----

- فهرس المواد باللغة الفرنسية	427
-------------------------------	-----

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أزجي شكري الجزيل وامتناني العميق الى جميع الذين مدوا لي يد المساعدة لانجاز هذا البحث التاريخي عن الحماية القنصلية والاستيطان الأجنبي بالمغرب من سنة 1863 الى وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894 م ، واعني بالأخص الأساتذة والدكاترة السادة :

- عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة الذي اذن لي بتصفح المستندات والمخطوطات بمديرية الوثائق الملكية .

- ومحمد حجي العميد السابق لكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، ومدير المعهد المولوي .

- ومحمد زنيير الأستاذ بنفس الكلية .

- ومحمد المنوني المحاضر بنفس الكلية .

فكلهم تصفحوا او طالعوا هذا الكتاب واستحسنوا هذا الموضوع المستجد وشجعوني على مواصلة العمل فيه وقدموا لي ملاحظاتهم القيمة الوجيهة التي سعت جهد الطاقة للعمل بها .

- والحاج عبد الله الصبيحي الذي جعل رهن اشارتي ما بخزانته العلمية من كتب ومخطوطات .

وجميع البحاثة والمؤلفين المغاربة والأجانب الذين طرّقوا جوانب من هذا التصنيف بلغة عربية او عجمية ، وكافة الزملاء والمساعدين بمديرية الوثائق الملكية بالرباط .

فلولا هم جميعاً لما تيسر لي اعداد هذا المصنف الذي راجعت من أجله مئات المصادر وآلاف المخطوطات مستشهداً بنحو 600 وثيقة غميسة يترجم جلها وجهة نظر المخزن الرسمية .

المؤلف

تمهيد

هذا تأليف عن تاريخ المغرب في فترة من العصر العلوي الثالث الذي يطابق القرن الثالث عشر الهجري او القرن التاسع عشر الميلادي سعت فيه الى الكشف عن خبايا الاستيطان الاجنبي وما تبع ذلك من الحماية القنصلية. وهو بمثابة شذرات ولمحات وأقباس من التراث الوطني تميط اللثام عما اندثر منه وتبرز مظاهر جليلة من الحضارة المغربية الاسلامية وتوضح مكان قيمة من أصالتنا .

وقد أودعت هذا الكتاب كل ما التقطته من الفرائد ودونت فيه جميع ما وقفت عليه من الشوارد ، فما من حكم أثبت به الا وله في التاريخ جذر مكين ، أو فائدة أثبتتها الا ولها من الواقع سند متين . وسلكت طوال هذا التصنيف المنهجية الحديثة في بحث المراجع المطبوعة وتعقب المستندات المخطوطة .

I - المنهجية المتبعة :

لما كنت حريصاً على نشدان الحقيقة التاريخية صغت الوقائع تارة صياغة التأكيد متى رايت ان الكلام عنها لا يستدعي نقضاً لقيامه على اساس ثابت أو رويتها تارة اخرى بعبارات الاحتمال او بأدواته (ربما ، لعل ، قد التقليلية) متى ظهر ان الأمر محتاج الى تعمق واستبطان وأن العناصر الضرورية مفقودة الحلقات . وقد ربأت بنفسي وقلمي - الذي ليس منزهاً عن السبق والفلتات - ان اقع في موطن الزلل ، وبذلت أقصى الجهد في وصل المنفصل ورد الفروع الى الأصول وتعليل المتناقض وتدعيم المتلاشي وقياس الأشباه بالنظائر دون إطناب ممل ولا ايجاز مخل . واستهجنتم الكلام

المجاني وأضربت عن الأحكام الجزافية فلم أحفل الا قليلا بالمقولات المنطلقة من فيض الشعور المصطبغة بفيض الحماسة ، ولكنني عنيت كل العناية بالدراسات المنهجية العقلانية المستندة الى النصوص والمراجع حتى ولو كانت مخطئة في رأيي بعض الشيء تاركاً العهدة على صاحبها . وأجمت عقلي بلجام الحقيقة التاريخية المجردة . ولكنني استفدت مما كتبه - عفواً - قدامى المؤلفين عن تقديس الأشخاص و « كراماتهم » وعن شمهروش والشياطين والمشعوذين ، وما إخال الذين يعلمون ذلك منكرين علي منه شيئاً .

ولكي لا اقطع حبل التفكير على المطالع والمراجع اتيت في اسفل كل صفحة بما يناسبها من هوامش وتعليق حتى تتصل سلسلة الرواية والسند اتصالاً وثيقاً ، سداً لثغرات - وما أكثرها ! - في تاريخ المغرب .

والحق أنني حدث قليلاً - بعيداً او قريباً - عن هذه الفترة من القرن الماضي ، فلم أتقيد بها تقيداً مطلقاً . وإشفاقاً مني على ان تضيع شوارد ما حصلت عليها - علم الله ! - إلا بجهد وعناء ، أثبتها لارتباطها بأغراض الكتاب .

على أنني أوليت اهتماماً خاصاً في هاته المونوغرافية - المستخلصة مما عندي من جذاذات مرتبة زمانياً ومكانياً وموضوعياً - لما يسمى أدبيات التراجم والتاريخ الذي نعلم انه من صنع البشر : فمتى وقفنا على ما فعله الانسان عرفنا الاتجاه الذي سلكه .

تلك هي منهجيتي وهذه هي سبيلي : تمحور حول النص ثم اعتماد على التحليل والتركيب ، حتى يكون للدراسة طابع مركز موضوعي سليم وتنتفي منها عوامل الزلق . وكان بودي أن آتي بخرائط وصور ورسوم بيانية لا تخفى على احد جدواها لكنني عجزت عن تحقيق ذلك في تصنيف فردي أنجزته بشق الأنفس .

ولئن كنت لا أقصد الى الشمول الذي هو من خصائص الموسوعات فقد دأبت على الاستقراء والاستقصاء في بطون الكتب العربية والعجمية ، الوطنية والأجنبية ما استطعت الى ذلك سبيلاً تنقيباً عن الوقائع والأحداث ،

ولم أكتف في ذلك بما هو مطبوع بل طلبته أيضاً في رفوف مديرية الوثائق الملكية فراجعت عشرات الملفات والآلاف من الوثائق الغميسة ما بين أصلي ومنسوخ ومصور ، واستشهدت بما في الجميع من إفادات انطريولوجية تعرف بطبائع الانسان وعاداته ؛ أو سوسيولوجية وبسيكولوجية تتناول احوال الحياة الاجتماعية ووضعيات الأفراد والجماعات ونظرة الكل الى شؤون الحياة ؛ أو اقتصادية تبين الطرائق التي اتخذها الانسان لكسب الرزق فأحسن اختيارها أو اساء انتهازها ؛ أو ادارية وسياسية تصف مسلك اولي الحل والعقد في رتق ما انفتق أو توحيد الأحداث ؛ أو دبلوماسية توضح الى اي مدى بلغت المفاوضة أو المجابهة بين سلطة داخلية ودول خارجية لتغيير مجرى الوقائع أو البحث عن الوئام والتعايش وصون الكرامة الوطنية ، واقتطفت منها كل ما له صلة أكيدة بالتاريخ والحضارة صيانة للمقومات والمعتقدات ، مستعيناً في هذا الأسلوب بقواعد انطولوجية تقدم المتن وتأخذ منه وجه الشاهد وتركن الى شيء من التمحيص والتقليب لمعرفة مميزات الوثيقة القديمة . فما هو إذن اسلوبها ؟

2 - الترسل المخزني وخصائصه

إذا كانت الطباعة قد يسرت للكتاب سبيل الانتشار والذيع فالمخطوطات لا تزال قيد السجن بالخزائن والمكتبات الخاصة . وقليلة هي الربائذ التي طبعت فقرئت فعلمت فاستفيد منها ، ولاسيما تلك الرسائل المخزنية التي تبودلت بين السلطة المركزية والادارات المحلية أو بين المخزن والهيئة الدبلوماسية .

ولئن كان من اصعب ما في المكاتيب المخزنية هو حسن استيعابها ، فقد وجب منذ الساعة العمل على تحريرها من الأصفاد ، علماً بأن اسلوب الترسل القديم بعيد عما هو معهود الآن وبأن له خصائص متنوعة : فقد ألف القدماء طرق مواضيع متعددة في رسالة واحدة ، كما تعودوا ان يأتوا احياناً في صدر الرسائل - متى كانت جواباً - بملخص للمكاتيب الواردة عليهم . وتلك مزية تاريخية حفظت التراث بحكاية رسالة الرد - حكاية كادت تكون حرفية -

نص الكتاب الوارد للتنفيذ أو للأعلام . فهذه الطريقة على علاتها مفيدة
أيما إفادة .

ومن مميزات الرسالة العربية عامة والمخزنية خاصة خلوها من حروف
الهاء الأجنبية كالياء الفارسية المشددة P والفاء الألمانية البسطية V
والمركبة W وحروف الأمانة الفرنسية المضمومة U والمكسورة E
ومشتقاتها . وليس ذلك بعيب في العربية بقدر ما ليس نقصاً في بعض اللغات
الأوربية عند ما افتقد منها حرفا الحلق (الحاء والعين) وحرف اللثة (القاف)
وحرف الشجر (الضاد) .

واعتباراً لذلك اعتاد التراجمة من يهود وغيرهم إملاء رسائل
المفوضيات والقنصليات على « طلبة » مغاربة مسلمين يجهلون اللغات الأجنبية
على قدر ما لا يفقه الأولون اللغة العربية . يهملون حيث يتعين الأعجام ويعجمون
حيث يتأكد الإهمال ، لا يمدون الأصوات ويقتصرون على شكل الحروف
بالحركات . فالطلبة يلتقطون الكلام من لسان الثغ بأذن تكاد تكون صماء .
ومن ثمة ينطق التراجمة بالأعلام والكلمات كما يعرفون ، ليكتبها الكتاب كما
يسمعون ، وهكذا يسلم التحريف الى تحريف آخر وتضيع الحقيقة ويفسد الأسلوب
ويحدث الغموض .

ولذلك عمدت الى تعريب ما هو معجم وكتبت بالأحرف اللاتينية الأسماء
الأجنبية دفعا لسوء الفهم ورفعاً للغموض والالتباس .

ومن خصائص الترسل المخزني ايضاً ان المكاتيب الصادرة من
المخزن والواردة عليه تبدأ بالحمدلة والتصلية إن بعثت الى سلطة مغربية أو
بالحمدلة فقط إن كانت في حالة تبييض أو موجهة الى الأجانب وبالبسمة
والحوقة اذا كانت الى رؤساء الدول .

وبعد ذلك يأتي ذكر المخاطب مع تمجيده وتعظيمه إن كان الباعث أقل
رتبة من الأول ، اما السلطان فكان يخاطب الوزراء والولاة بالخدم والوصيف
والطالب ويعبر لهم عن رضاه ، ثم يدخل في صلب الموضوع ، ويختمه بالتاريخ
والسلام .

ومن تلك الخصائص كذلك ورود تعابير فيها أصبحت في هذا الوقت بالية واصطلاحات صارت اليوم مغلقة ، هذا اضافة الى تضمين الرسالة المخزنية للمحسنات البديعية والأبيات الشعرية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال الحكمية والقواعد الفقهية .

ومن مميزات الترسل في الأخير ان الكتب مدبجة كلها بخطوط مغربية ، باستثناء مكاتيب النادر من التراجمة المشاركة في المفوضيات والقنصليات المعروفين بالخط الرقعي والنسخي .

هذه ، وتنم اشكال الخط العربي بعض الشيء عن هيئة صاحبها ونفسيته وتتخالف في هندستها وجمالها وتنقيط حروفها (القاف له نقطة واحدة من أعلى بالمغرب ، وله نقطتان من الأعلى بالمشرق ، والسين والشين لا تظهر قرونهما جليلة ، ولكنها واضحة في الكتابة المغربية وهلم جرا) .

وتنقسم الخطوط المغربية الأندلسية الى ثلاثة اقسام اساسية قد تتشابه فيما بينها ومنها :

- الخط المبسوط : وهو ما يرى في مصاحف المغرب .

- وخط الزمام (أو الخط المسند) : وهو خاص بالعدول والموثقين والفقهاء .

- والخط المجوهر : وهو الأجمل اطلاقاً ونشاهده في جدران المساجد الى جانب الخط الكوفي ، وتكتب به الرسائل السلطانية لروعته وبهجته وغالباً ما يكون حسن التسطير والتشجير والتعريق وقد يتفق له ان يكون مرونقاً مجدولاً مدموجاً .

ومن هنا انتقل الى الكلام عن مضمون هذا التأليف ، فما هو ؟

3 – موضوع التأليف

أنوي في هذا التصنيف برمته طرق شؤون شتى لها علاقة بالاستيطان والحماية في الفترة المقصودة ، وقد جزأتها أبواباً وفصولاً ، وجعلتها من حيث المادة التاريخية أربعة أجزاء ، ومن حيث الموضوع ثلاثة كتب ، أولها هذا الكتاب التمهيدي الذي هو الجزء الأول ، وهو مدخل لادراك الوقائع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفيه ثلاث أبواب :

الباب الأول : المغرب وأهله ، وفيه كلام عن الأيالة المغربية (الفصل الأول) وربوعها وسكانها (ف 2) والمغاربة في الخارج (ف 3) والأجانب في المغرب (ف 4) والجوائح والقواصم ، أي المجاعات والأوبئة التي أصابت المغرب في القرن التاسع عشر (ف 5) .

الباب الثاني : المعطيات والمبادلات الاقتصادية ، ويحتوي على لمح عن المواصلات والتجهيز (ف I) والمفاهيم في الوزن والكيل والمعايرة (ف 2) والتغيرات النقدية والمالية والجمركية (ف 3) والنظام الحرفي بما فيه من أنساب مهنية ووظائف الأمين والمحتسب (ف 4) والصناعة والمعادن (ف 5) والتجارة المغربية (ف 6) والفلاحة والتملك العقاري (ف 7) .

الباب الثالث : جوانب من العلاقات الخارجية ، وللحديث صلة بالسفارات والأزمات (ف I) وبدار النيابة السلطانية (ف 2) وبالموظفين بها (ف 3) .

هذا كل ما أنوي معالجته في هذا الجزء ، ويبقى علي بعد ذلك أن أتناول بالتفصيل – إن شاء الله – مونوغرافيات محلية لمختلف الثغور والعواصم مثل طنجة وتطوان ، وأصيلة ، والعرائش ، والقصر الكبير ، وسلا ، والرباط ، والدار البيضاء وأزمور ، والجديدة ، وآسفي ، والصويرة ، ومراكش ، وفاس ومكناس ، بمعدل باب عن كل مدينة أو مجموعة من

الحواضر ، وذلك في كتابين : واحد عن الحماية والاستيطان معاً ، وآخر عن الاستيطان وحده .

وسأثبت في الفصول الأولى منها أسماء السلطات المحلية ، وسأجلب بعض العناصر الديموغرافية والعمرانية ، ثم أقدم في الفصول التي بعدها ثبوتاً لأعضاء السلك القنصلي للدول التي أبرمت معاهدة مدريد ، وفي الأخير سنتعقب أسماء المستوطنين الأجانب والمحميين والسماصرة ، مع الاتيان بما كتبه الوثائق عن النوازل النوعية لكبار المحتمين والمستوطنين .

على انني سأتولى ، بعون الله ، تحرير أبواب أساسية أخرى : واحد عن الهداية والتنصير ، وثان عن الرحالة والمؤلفين ، وثالث عن المغامرين والجواسيس ، ورابع عن العلوج والبعثات العسكرية الأجنبية ، وغير ذلك مما له علاقة بالموضوع . وسأتي بالمصادر في نهاية هذا التأليف .

* * *

وختاماً أعوذ بالله من الآراء المسبقة ، واستلهمه تعالى العون على اتمام هذا العمل الذي يدل في مجمله على ما بذله المغرب في عهد الأسرة العلوية من جهد لصيانة الوحدة الترابية ودرء أخطار النفوذ الأجنبي ، في هاته الحقبة الحاسمة من تاريخ البلاد التي لقيت من ضروب الأهوال والكروب وانواع المسخ والاستلاب ما سنرى نتفاً منه بارزة في هذا الكتاب ، الذي ليس الا دلوأ بين الدلاء التي تزجي المعارف - متنها وسندها - الى كل من له ولوع بالتاريخ الوطني .

الكتاب الأول :

مدخل

الى الأحداث السياسية والديبلوماسية والاجتماعية
والاقتصادية في مغرب القرن التاسع عشر

الباب الأول

المغرب ربوعه واهله



موضوع هذا الباب الحديث عن المغرب في القرن التاسع عشر من حيث حدود الدولة والتقسيم الاجتماعي والاداري ومن حيث السكان المغاربة وأعدادهم وانتشارهم الجغرافي في العالم وتدفق أفواج من الأجانب على المغرب ووصف بعض مظاهر المجاعات والطواعين .

ولذلك جزأت الكلام في ذلك على خمسة فصول ، هي :

- I - الأيالة المغربية
- 2 - الربوع والسكان
- 3 - المغتربون او المغاربة في الخارج
- 4 - المستوطنون او الأجانب في المغرب
- 5 - الجوائح والقواصم وهي الأمراض والمساغب

1 : الايالة المغربية

استهل الكلام بمناقشة التعاريف :

- 1 - ما هو المصطلح الذي كان الأجانب يطلقونه على الدولة المغربية وعلى المغاربة في القرن التاسع عشر وقبله ؟
 - 2 - وما هي اللفظة التي كانت الدولة تعبر بها عن نفسها والمغاربة عن أنفسهم داخل البلاد وخارجها في ذلك العهد ؟
 - 3 - وما هو موقف الدولة والرعية من « السبيبة » وما مدلولها ؟
 - 4 - وما معنى تعدد ذكر الممالك في معاهدات المغرب مع الخارج ؟
- تلك مباحث دقيقة في السؤال والجواب ، لذلك لا مندوحة لنا في دراستها عن الرجوع الى ما قبل القرن التاسع عشر بقليل او بكثير .

* * *

1 - المفهوم الخارجي :

علينا أن نقسم الأجانب الى اوروبيين ومشاركة .

أ . اولى كتب التاريخ العربية في المشرق تتحدث عن المغرب وافريقية .

أما افريقية فهي تونس في كلام المؤلفين ، بقي علينا ان نعرف ما هو المغرب جغرافياً ؟ هو في نظرهم البلاد الواقعة غرب افريقية في معناها التونسي . وقد تطرق مؤرخون آخرون الى شمال افريقيا الغربي الحالي فقسموه الى مغرب أدنى ومغرب أوسط ومغرب أقصى او الى دول مختلفة كالأدارسة والمرابطيين

حتى العلويين في المغرب ثم الى أغلبية وحفصيين وعبد الواديين وحماديين في
المغربين الآخرين .

وكان لفظ « الدولة » يدل على البقعة الجغرافية وعلى سكانها معا ،
وظل مفهوم « المغاربة » يشمل سكان المغرب في شمال افريقيا . كما ان
المشاركة كانوا يعطون للفظ « المغرب » معنى جغرافياً (وجوده بافريقيا)
وفلكياً (اليه تغرب الشمس) ولغوياً منطقياً (المغرب من حيث أنه عكس
المشرق ، مثل الليل خلاف النهار والطول مقابل للعرض) .

حتى اذا بسط العثمانيون نفوذهم على الجزائر وتونس وتبعهم
الفرنسيون بعد ذلك ، وجب التمييز بين التوانسة (أهل تونس) واهل الواسطة
(الجزائريين) والمغاربة (سكان المغرب الأقصى) . ثم استعملت في النهاية
كلمة « مراكش » في المشرق العربي للدلالة على بلادنا وحدها يوم ولدت في
الخارج فكرة القوميات الضيقة .

ب . لمعرفة الاسم الذي كان الأوروبيون يطلقونه على المغرب الأقصى ،
وجب الركون الى عدة مصادر . وافضلها في نظري الأوفاق والمعاهدات
الثنائية والدولية التي هي في الواقع التزامات قانونية وديبلوماسية تفترض
شروطاً وفصولاً واصطلاحات وتعابير لتحديد الألفاظ ومعناها وما ينبغي لها
من دقة وتخصيص لما نعهد من حرية ومساواة بين الأطراف في التعاقد لحمل
التبعات ونشوء الحقوق والمطالبة بها عند اللزوم .

تراسل محمد الثالث مع بعض ملوك اوربا وابرم اوفاقاً مع عدد كبير
من الدول وردت فيها اسماء الدولة المغربية ورعاياها كما يلي :

ب I - بريطانيا العظمى (28 يوليوز 1760) سمي العامل في الفصل
الأول منها « سلطان مراكش وفاس » والمغاربة في الفصل الرابع « جميع رعايا
سلطان فاس ومراكش مسلمين كانوا ام يهودا » (I) .

١ . جاك كايي : « الأوفاق الدولية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله : 1757 -
1790 » ص 158 .

ب 2 — السويد (16 ماي 1763) في الفصل الأول « إيالة سلطان مراكش » وفي الفصل الثالث « كل مسلم » ومعناها مغربي مسلم وفي الفصل 27 « الضباط المغاربة » و « رعية مغربي ... » (2) ثم « اذا كانت الجناية من مسلم ... » والمقصود بالمسلم هو المغربي في النص الفرنسي (3) .

ب 3 — جمهورية البندقية (15 يونيو 1765) في الفصل الأول « سلطان مراكش » (4) .

ب 4 — فرنسا (10 اكتوبر 1765) في الديباجة والنسخة الفرنسية « امبراطور مراكش وملك فاس وسوس » (5) . اما النص العربي ففيه « سلطان مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافيلالت وغيرها ... » . وفي فصول مختلفة ترد عبارة « الأيالة المولوية » وفي الفصول 5 و 11 و 15 و 20 « إيالة سيدنا » و « اهل سواحله » وفي الفصلين 16 و 17 « مراسي سيدنا » (6) .

ب 5 — اسبانيا (28 ماي 1767) نجد في الاستهلال « امبراطور مراكش سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ملك فاس ومكناس والغرب وتافيلالت ودرعة » (7) .

ب 6 — فرنسا (نفس التاريخ) في الديباجة امبراطور او سلطان « مراكش وفاس وسوس وتافيلالت وغيرها » وفي الفصل 12 لفظة مور : maure المشتقة من موريطانيا القديمة التي يراد بها المسلم في النص العربي بالمقابلة مع المتن الفرنسي (8) .

2 . المصدر السابق ص 168 و 169

3 . « الوثائق » 4 ص 126 ثم 128

4 . جاك كايي « الأوفاق ... » ص 176

5 . المصدر السابق ص 182

6 . « الوثائق » : 1 ص 433 وما بعدها .

7 . جاك كايي « الأوفاق ... » ص 184

8 . المصدر السابق ص 188 و ص 191 و « الوثائق » 4 ص 132 و « الوثائق »

1 ص 433 « والاتحاف » : 3 ص 271 .

ب 7 — الدانمارك (25 يوليوز 1767) في صدر المعاهدة « سلطان
مراكش وفاس وتافيلالت وسوس وغير ذلك من الأقاليم المغربية » (النص العربي)
او « ملك وامبراطور ممالك فاس ومراكش وتافيلالت وجميع الغرب ومقاطعاته »
(في النص الفرنسي) . وكلمة مور الواردة في الشرط الرابع عشر تقابلها
كلمة مسلم (9) .

ب 8 — البرتغال (27 نونبر 1773) لفظة مسلم مترجمة بماروكان اي
مغربي (10) .

ب 9 — هولاندا (29 يونيو 1777) لتجديد معاهدة 21 نونبر 1752
المبرمة في عهد مولاي اسماعيل نقرأ في الفصل الأول « امبراطور مراكش
وملك فاس وتافيلالت والغرب بافريقيا » (11) .

ب 10 — مملكة الصقليتين (18 اكتوبر 1782) ورد في الديباجة «
امبراطور مراكش وسلا وفاس وتافيلالت ودرعة وسوس » (12) .

ب 11 — النمسا (17 ابريل 1783) نقرأ في الديباجة « محمد بن عبد الله
سلطان مملكة مراكش وفاس وسوس ودرعة وتافيلالت وسلطان المغرب » (13)
وسنعود الى هاته النقطة وشيكا للتعقيب عليها .

ب 12 — الولايات المتحدة الأمريكية (23 — 28 يونيو 1786) نجد
في الفصل السادس ان مور معناها مسلم وليس لها معنى المغربي (14) .

9 . جاك كايي : « الاوفاق » ص 195 و « الوثائق » 4 ص 133 و 135 وابن زيدان :
« الاتحاف » 3 ص 383 و 387 .

10 . « الوثائق » 4 ص 138

11 . جاك كايي : « الأوفاق » ص 208

12 . المصدر السابق ص 242

13 . المصدر السابق ص 246

14 . المصدر السابق ص 261

ب 13 - رسالة من نفس السلطان (اوائل محرم 1181/ماي 1767) الى ملك اسبانيا كارلوس الثالث تسميه « امير المسلمين سلطان مراكش وفاس ومكناس ودرعة وسوس وتافيلالت وغير ذلك من الأقاليم المغربية » (15) .

وبعد وفاة محمد الثالث عقدت معاهدات اخرى مع بعض هاته الدول
أذكر منها :

ب 14 - اسبانيا (1 مارس 1799) في مستهلها « مولاي سليمان ملك المغرب وفاس ومكناس وسوس الخ » (16) .

ب 15 - بريطانيا العظمى (اواخر محرم 1216/يوليوز 1801) جاء في مقدمتها ان مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله هو « سلطان البلاد الغربية مراكش وغيرها من بلاد المسلمين » (17) .

ب 16 - فرنسا (10 شتنبر 1822/2 شعبان 1260) في الديباجة « سلطان مراكش وسوس وفاس » وفي الفصول 1 - 2 - 3 - 4 - 6 : « سلطان المغرب » (18) .

ب 17 - رسالة الى لوي فليب من مولاي عبد الرحمان « امير المومنين بالمغرب الأقصى » (19) مؤرخة في 19 قعدة 1255/24 يناير 1840 .

ب 18 - فرنسا (10 شتنبر 1844) نقرأ في مستهل النص العربي ان مولاي عبد الرحمان بن هشام هو « سلطان مراكش وسوس وفاس » وفي ديباجة النسخة الفرنسية « امبراطور المغرب وملك فاس وسوس » وفي الشرط

15 . صورتها بملف المغرب لدى محكمة لاهاي الدولية (الوثيقة 33 «أ»)

16 . رشيد الأزرق : « النزاع » ص 391

17 . مخطوط بمديرية الوثائق الملكية

18 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 162 وما بعدها

19 . نفس المصدر ص 161

الخامس « ... الحدود التي بين المغرب وإيالة الجزائر » (20) . ثم ان التعدد الوارد في الديباجة أتى في اتفاقية أخرى بين البلدين في 18 مارس 1845 (21) .

ب 19 — كما نجد في رسالة سلطانية الى الملك لوي فليب (17 شوال 1845/19 اكتوبر 1845) ان المولى عبد الرحمان هو « أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى » (22) .

ب 20 — بريطانيا العظمى (9 دجنبر 1856) في الفصل الثاني « إيالة جانب سلطان مراكش وفاس » ثم اختصر هذا التعبير في النص العربي الى سلطان مراكش فقط . ومثل ذلك في النص الانجليزي (23) .

ب 21 — اسبانيا (24 غشت 1859) في الديباجة « مولاي عبد الرحمان ملك المغرب » (22) .

ب 22 — اسبانيا (26 ابريل 1860) في الفصل الثاني « سلطان مراكش » بالعربية و « ملك مراكش » (أو المغرب) بالاسبانية (25) .

ب 23 — وفي اتفاقية 20 نونبر 1861 وردت في الفصل الثاني عبارة « إيالة المغرب » في النص العربي و « إيالة ملك المغرب » في النص الاسباني (26) .

ب 24 — اتفاقية راس سبارتيل (31 ماي 1865) في ديباجتها « سلطان مراكش وفاس » وهي اتفاقية دولية .

20 . « الوثائق » ج 1 ص 468 و 471

21 . « الوثائق » : 1 ص 475 و 480

22 . « الوثائق » : 2 ص 88 وابن زيدان « الاتحاد » ج 5 ص 176

23 . « الاتحاد » ج 5 ص 187 « والوثائق » : 4 ص 139 و 145

24 . رشيد الازرق « النزاع » ص 396

25 . « الوثائق » : 4 ص 151 و 157

26 . « الوثائق » : 4 ص 161 و 174

ب 25 — رسالة ملكة اسبانيا الى السلطان محمد الرابع (18 غشت 1865) تسميه سلطان مراكش وفاس وسوس ومكناسة بينما تعدد أسماء الأمصار الاسبانية (27) . وسأعود اليها ايضاً .

ب 26 — معاهدة مدريد (3 يوليوز 1880) تنص على المغرب ودولته وتضع اولى قواعد الجنسية المغربية (الفصل 15) وهي ايضاً دولية .

هذا استقراء لأهم المصادر القانونية والديبلوماسية عبر فترات طويلة من تاريخ المغرب . وهو ما لا يفيد تعدداً ولا انخراماً في وحدة صف الأمة ، بل يجوز ان نقول ان كثرة الأسماء دليل على اتساع رقعة الأيالة وعلى مكانتها بين الدول .

* * *

1 - 2 - المفهوم الداخلي

الجواب عن السؤال الثاني هو معرفة اسم المغرب من وجهة نظر المخزن الرسمي والرجل الشعبي والمؤلف الأجنبي او المغربي .

أ — من الوجهة الرسمية لا شك انه كان بالاسم او بالأسماء التي بسطت اعلاه في الأوفاق والرسائل الرسمية ، وليس عندي الآن مزيد تعقيب .

* * *

ب — ومن الوجهة الشعبية كان المغربي لا يعنيه كيف يسمى في الخارج ، فهو مسلم او يهودي وكفى ، عليه طاعة السلطان واولي الأمر وعار عليه ان يرتد عن دينه .

المغربي المسلم له شعور بأنه داخل في زمرة المسلمين خارج عن طائفة الكفار ينتمي الى امة اسلامية ويتحدث عن المسلمين في بلاده وخارجها

لا يريد هضمًا لحقوقهم ولا لحوق غزو اجنبي نصراني بهم . ولا ضير عليه بعد ذلك ان سماه الأجانب بما يحلو لهم من اسماء القومية او الوطنية التي كانت فكرة حديثة بأروبا نفسها كما هو معلوم .

واليهودي المغربي ظل وفياً لدينه وتقاليده كالمسلم .

ومع ذلك كان عامة الناس يفرقون بين المغربي والتونسي والجزائري والشامي والحجازي والمصري والعراقي ولا يجعلونهم في سلة واحدة كما يقال ، ويسمونهم عامة المسلمين او المشارقة ، اما النصراني او الرومي فكانوا يسمعون عن الفرانصيصي والنجليزي والصبليوني ويتعاملون معهم ، ولكنهم كانوا يأبون لأنفسهم ان يوصفوا بالمجوسي والكريكي ، ولا يلفظون مثل هاته الكلمات الا في مجال الغضب او الاحتجاج وقت الاهانة ، او ينعتون الآخرين بهاته الألفاظ عند ما يتصرفون معهم تصرفاً مخلاً بالمروءة والأخلاق ، هذا في الخارج . اما في الداخل فكانوا يعرفون الفاسي والتطوانني والمراكشي من سكان المدن ، والسوسي والدكالي والصحراوي والشاوي من السبكان البدويين . كانوا مسقطيين (يحنون الى مساقط رؤوسهم) اكثر من وطنيين .

والى هذا وذاك كانوا لا يرضون باحتلال ولو كان من العثمانيين . لقد قاوموا البرتغال (وادي المخازن) وفرنسا (يسلي) واسبانيا (تطوان) ، وتأسفوا على سقوط الجزائر في القبضة الفرنسية وتمنوا ان يردها الله دار إسلام . كافحوا من اجل الاسلام في عهد القوة والبأس بقيادة السلاطين ، او في فترات الضعف والانتحلال على يد اهل الربط والامارات السياسية (بودميعة والعياشي والدلائيون) والدينية (الصوفيون والطريقون) . هو تضامن اسلامي وطني ضد النصارى ، وهو تآزر اسلامي مغربي فيما بينهم ضد الأتراك المسلمين ، وبعبارة اوضح هو شعور بالقومية او بالوطنية قبل بروزها وذيوع نظريتها الحديثة . انهم مسلمون ولا زيادة ، ورعايا السلطان لا يهتم كيف ينعتهم الأجانب ، وكثير منهم كان لا يريد ان يذهب الى الخارج الا لأداء فريضة الحج ويدعو الله ان يمن عليه بـ « رزق العتبة » اي ان يجعل سكناه اقرب ما تكون الى مكان عمله .

ت - بقي علينا ان نعرف رأي المؤلفين . جرمان عياش في بحثه عن « الشعور الوطني في مغرب القرن التاسع عشر » ساق اقوال اندري لبلان André Le Blanc في اطروحته سنة 1906 عن « السياسة الأوروبية بالمغرب في العصر الحاضر » مفادها ان « المجتمع المغربي ما هو الا خليط مضطرب من القبائل ... تنعدم لديها فكرة الوطنية بقدر ما تنعدم الطاعة لرئيس مشترك ... » لكن لبلان ختم مشيراً الى ان « الديانة الاسلامية هي الرابطة الاجتماعية لأهل البلد » (28) .

اما عبد الله العروي فروى في كتابه عن اصول الوطنية المغربية ونقلًا عن مؤلفين اجانب عاشوا بالمغرب في القرن التاسع عشر ان الأنجليزي آرثور بروك A. Brooke قال ان المغاربة كانوا يسمون فيما بينهم مسلمين كما ذكر ان الضابط المستعرب جول إيركمان J. Erekman الفرنسي الذي عاش بالمغرب في اواخر القرن الماضي قال سنة 1885 : « لا يظهر ان المغاربة يشكون في انتمائهم الى ايالة مغربية ، وليس لهم اسم يطلقونه على امتهم » (29)

لكن مؤلفاً آخر في بداية القرن العشرين هو جوزيف كنال J. Canal سفه رأيهما قائلاً : « يعتقد كثير من الجغرافيين ان المغاربة لا يطلقون اسما على بلادهم . وهذا خطأ » وهو ما وافقه عليه العروي (30) .

وبينما كان ابو القاسم الزياني الوزير والسفير في عهد محمد الثالث ومولاي سليمان يميز بين المغارب : الأدنى والأوسط والأقصى تمييزاً واضحاً في كلامه اذا باكنسوس يتمنى - بعد استيلاء فرنسا على الجزائر - استرداد مجموع المملكة المغربية ، مشيراً الى بيعة اهل تلمسان للسلطان . وتحدث السفير الكردودي عن « اهل مغربنا » ، وخصص احمد الناصري السلاوي كتابه

28 . جرمان عياش في ملحق « العلم » 12 يبرابر 1982

29 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 57 نقلاً عن كتاب بروك عن المغرب واسبانيا ج 2 ص 19 وعن كتاب إيركمان « المغرب الحديث » ص 11 .

30 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 59

للمغرب الأقصى الحالي وحده (31) . وعبارة « اهل المغرب » و « أقطار المغرب » وردت أكثر من مرة في كتاب اكنسوس المتوفى سنة 1877 (32) ، واستعمل التمارتي قاضي تارودانت في القرن الحادي عشر الهجري عبارة « مغربنا » (33) ولا شك ان غير هؤلاء كثيرون (34) .

* * *

I - 3 - ظاهرة « السبية »

واخيراً نصل الى السؤال الثالث وهو موقف الدولة والرعية من « السبية » والفوضى لتحديد مداها ومعرفة مدلولها الاجتماعي على وجهه تقريبي ومبسط في نظري .

رأينا في المبحث الأول وعلى ضوء المعاهدات ان السلطان « امير للمؤمنين والمسلمين بالمغرب الأقصى » ، الأيالة السعيدة المولوية ، وإيالة سيدنا ، سلطان المغرب ومراكش (او مراكشة) وملك فاس ومكناس (او مكناسة) وسلا وسوس ودرعة وقافيلالت والغرب وغيرها من المقاطعات والأقاليم المغربية . فهل نستشف من هذا ان هاته المملكة كانت ممزقة الصف تعيش في الفوضى لا ادارة بها ولا جيش ولا نظام ؟ كلا ، لم يقل بذلك احد ولم يجادل فيه حتى ليوطي لأن جميع اركان الدولة كانت متوفرة فيها :

أ - حيز جغرافي محدود بالطبيعة وبالواقع وبالقانون الدولي .

ب - يعيش فيه سكان آمنون يعتنقون ديانة سماوية كانت هي الجامع المشترك .

31 . المصدر السابق ص 59 ايضاً

32 . محمد اكنسوس « الجيش ... » ج 2 ص 62 و 67 و 76 مثلاً

33 . محمد المختار السوسي : « ايليغ ... » ص 147

34 . ثمة بحث عن « الأمة وفكرة القومية المغربية » بقلم جاك كاني J. CAGNE نشره في ص 5 و 7 من مجلة « جمعية تاريخ المغرب » العدد الاول 1958 وهو دراسة جد مقتضبة في هذا المعنى حسب بعض المؤرخين والمؤلفين .

دينيا وشرعيا ، والجيش عسكريا ، والسفراء دبلوماسياً ، وتناهم سلطة المخزن شرعاً ووضعاً ، هذا ان قصرنا انفسنا على الاستظهار بالمقومات الأساسية وحدها .

« كلمة السلطان » (أي تأثيره) كانت نافذة على الرعايا حتى في احلك الأوقات (واقعة مولاي سليمان مع قبيلة زيان و « حركات » الحسن الأول) .

كان المغاربة يساهمون في الخدمة العسكرية اثناء « الحركة » التي كانت تركيزاً للنفوذ السياسي والديني وردعاً للعصاة في البوادي والحوضر .

غير ان الحملات القاديبية لا تنطلق ابدأ عند ما يكون مرد الأمر الى دوافع محلية لا تعني في حد ذاتها شق عصا الطاعة . وتأخذ دليلاً على هذا تمرد اهل الرباط سنة 1844 بتحريض الزبيدي على الحاج محمد السويسي لمبا سئموا ملكيته ومرضوا في طاعته (35) . ولنا مثالان اخران : في سنة 1872 نبذ اهل مراكش طاعة ابن داود لما سامهم به من خسف وانتهاك للحرمان . وشاء الله ان يكون زعيم هاته الحركة احد الصناع . وفي سنة 1873 تدمر الدباغون من سياسة الحاج محمد بنيس ومن المكوس لأنها غير شرعية ولأن بنيس كان امين الأمناء (36) اليه يؤول دخل الضرائب التي لم يأمر بها الاسلام ، يعتقدون انه الموحى بها واخيراً لأن الأحوال الاقتصادية لم تكن في صالح هاته الطبقة من الحرفيين .

كان المسلمون يؤدون الزكاة ، فاذا امتنعوا عنها كان السلطان بجيشه ومخزنه يقابح المتخلفين والعصاة معاً ، لأن الدولة في حاجة اليها ، ولأن غض الطرف عن ذلك دليل على انفصام السلطة ، ولأن الزكاة ركن من اركان الدين وهي كما قال السلطان الحسن الأول « من حقوق الله وجاحدها لم يدخل رتبة

35 : احمد الناصري « الاستقصا » : 9 ص 54 - 55

36 : « الوثائق » ج 3 من ص 280 الى 378 وقد افرد عبد الوهاب ابن منصور فصلاً لمعطة ابن المدني بنيس واتى بمستندات لبعض جوانبها السياسية .

الاسلام وشعار المسلمين » (37) . وبعد ' ألم يقاتل عنها ابو بكر الصديق ويقتل المرتدين ؟ صحيح ان « الحركة » كانت مصحوبة بزجر وندمير وعسف وانتساف لكننا نتحدث عن القرن التاسع عشر وعن فتن بعيدة المدى ومؤامرات مهلكة ثم بوجه خاص عن أمر إلهي .

وكانت بركة السلطان مترجاة من الجميع والدعوات له بالنصر والتأييد دائمة عقب الصلوات وفوق المنابر لأنها من كمال الايمان حتى في بلاد السبية فضلا عن بلاد المخزن (38) .

اما عبارة مثل هم كالطيور لا تنالهم الأحكام او جملة « هؤلاء العرب لاقرار لهم وإنما يذهبون بخيמתهم حيث شاءوا فلا تنالهم احكام » (39) فذلك تعبير عن واقع سياسي واجتماعي عاش فيه اهل الجبال والصحاري عند ما ترك لهم الحبل على الغارب . ومثل هاته الألفاظ تكرر غير ما مرة لتحذير الأجانب من المغامرة بأرواحهم وممتلكاتهم بداخل البلاد حيث كانت السبيبة وحيث كان قطاع الطريق وكذلك لمنع الغرباء من الاطلاع على العورات وزرع الفتن .

وقد نستنتج من تلك الكلمات ايضاً ان اهل الجبال والصحاري لم يحل بينهم وبين تقاليدهم وحريتهم لأن فيهم أصلاء وكرماء مثلما ابقى الفاتحون المسلمون في البلاد المختلفة لسكانها - طوعاً او على مضض حسب اقتضاء الظروف - أعرافهم بل واختياراتهم الدينية وحققهم في ممارسة الشعائر . فكيف بمن أسلم ودخل في دين الله ؟ وذلك ما قد نسميه اليوم - تجاوزاً - اللامركزية الفعلية اي التي فرضتها الظروف .

37 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 404

38 . جون ووطربوري : « امير المؤمنين ... » ص 47 مع شيء من التصرف ، وفي الكتاب ايضاحات اخرى .

39 . رسالة السلطان محمد الثالث الى ملك اسبانيا كارلوس الثالث مقدمة الذكر (محرم 1181 / 1763) .

كاد البرابرة ان يساهموا وحدهم في فتح الأندلس مع طارق ابن زياد .
وقد تمسكوا بالاسلام ولما خُمسوا واعتبرت بلادهم فيئا للعرب التجأ بعضهم
لمذهب الخوارج ولم يرتد .

ومع ان المغرب كان معرضاً للهزات فلم أقف على ما يفيد ان اتحاداً
قبلياً سائباً استنجد جهاراً بدولة اجنبية فطلب منها سلاحاً للتحرر من نفوذ
السلطان لأن في ذلك اتهاماً بالكفر والردة ولأن السلطان لم تنقطع بينه وبين
رعيته شعرة معاوية : اذا أمسكوا أرسل واذا أرسلوا أمسك على مقتضى
الأحوال . وكثير من النزاعات كان لأسباب قبلية داخلية ينتظر فاعلوها تزكية
سلطانية .

في بلاد المخزن والسيبة كانت تقع الثورات . ومن أخطرها ما كان
يأتي في اعقاب واقعة حربية في القرن التاسع عشر كفتنة الحاج عبد القادر
الجزائري سنة 1847 ، وزعير وعامر بأحواز الرباط سنة 1848 ، وابراهيم
يسمور سنة 1854 ، والجيلالي الروثي بالغرب والرحامنة بمراكش سنة 1861 ،
والهبري سنة 1874 ، واية ومالو سنة 1888 (40) . وسأنفرد في الباب الرابع
من هذا الكتاب باخبار فتنة عبد السلام الحمام الأنجري في اواخر العهد
الحسني .

وكانت لهاته القلاقل اسباب شتى : سياسية او عصبية (ولاية
الأجنبي على قبيلة ليس منتماً سلالياً اليها او خلاف داخلي بين زعماء البطون
والعشائر) او تظلمية (طغيان الولاة) او اقتصادية (حرفيو مراكش وفاس
كما حدث في « عيطة » ابن المدني بنيس) او دينية : فقد كان بعض رؤساء
الزوايا يَحْطِطُونَ في حبل السلطان وحبل الأجانب وحبل القبائل جميعاً .

كان منهم من يخوضون بالربوع السائبة لتأجيج نثار الاضطرابات
والمساومة مع المخزن متى شعروا ان تدبيراً سلطانياً اتخذ لغير مصلحتهم او

40 . احمد الناصري في « الاستقصا » ج 9 ص 56 و 59 و 67 و 108 و 110 و 142
اتي في كتابه ببيانات مقتضبة لا تستوفي الموضوع نقلاً عن مصادر رسمية .

لحرمانهم من حقوق اكتسبوها . وعلى العكس كانوا عوناً للسلطان في اطفاء نيران الفتن مقابل تحريرهم من الوظائف والأنعام عليهم بجزء من مال الدولة وبظواهر التوقير والاحترام .

* * *

وزبدة القول مما تقدم ان العاهل لم يؤمن قط بمقولة « السبية » وبسلامتها وان الشعب المغربي في المناطق الدانية والنائية لم يصدق انها كانت تمهيداً لتأسيس دولة انفصالية ، وانما كانت حالة من الواقع السياسي شيد عليها « الاختصاصيون » في الشؤون المغربية اطروحاتهم الاستعمارية المغرضة المسمومة ورددوا تلك « الاسطوانة » تخديراً للعقول ومغالطة للرأي العام الدولي . ولن يلبث اثر ذلك ان يظهر جلياً قُبَيْل انتصاب الحماية الأجنبية (كفتنة أبي حمارة) وبعدها (قضية الظهير البربري مثلاً) .

I - 4 - اتساع أطراف المغرب ونظام الخلفاء السلطانيين

آخر ما أتناوله في هذه العجالة مناقشة اولية لفكرة التعددية في ذكر الربوع والأمصار . ليس التعدد فريداً في التاريخ . ففي البرتغال كان الملك يدعى ملك البرتغال والغرب وهذا الاقليم ما هو الا جزء من هاته البلاد وذلك مذكور في النص الفرنسي من معاهدة مدريد مثلاً .

وانجلترا كانت ولا تزال تسمى المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا وهاته الأخيرة قريبة من الجزر البريطانية .

والملكة إيسابيلا الثانية ذكرت 36 مدينة وولاية كانت تحت حكم اسبانيا في القرن التاسع عشر كما تقدم ، اكثرها بداخل الجزيرة الايبيرية .

اما النمسا فكانت امبراطورية مترامية الأطراف خليطاً من الشعوب والأجناس في القرن الثامن عشر ، وكان عاهلها جوزيف الثاني يغدق على نفسه ألقاباً طويلة منها انه ملك روما وجرمانيا والقدس وهنغاريا وبوهيميا ودالماسيا

وكرواسيا وسلوڤينيا الخ (41) في معاهدته مع المغرب في 17 ابريل 1783 . ومثل هذا التعدد ذكره السلطان محمد الثالث لمسايرة العصر او للمناظرة ، ولكنه لم يكن يعني مملكة فيديرالية او دولة منحلة وانما كانت الأيالة وحدوية مركزية بخلاف النمسا التي تفككت وحدتها ثم تألفت من امبراطورية حتى انحلت في القرن العشرين للتنافر الاجتماعي والتوازن السياسي .

طبعاً لم يكن بالمغرب مملكة بفاس واخرى بمراكش وثالثة بسوس ورابعة بتافيلالت وهلم جرا ، بل كان بها إيالة واحدة عاصمتها هي حيث شاء السلطان او حيث حل ركابه او حيث بلغت حركته ومحلقه ونزل عن صهوة جواده (الحسن الأول) . ومنذ القرن التاسع عشر اخذت وطأة ذكر الأمصار تخف ليحل محلها لقب سلطان المغرب وحده (معاهدة مدريد 1880) . وما مات رحمه الله حتى كانت الأمة موحدة والبلاد هادئة نسبياً منهكة اقتصادياً وحتى طرد الاسبان والانجليز من الصحراء .

فعلى ما ذا يدل هذا التعدد ايضاً ؟ الجواب الملحق بما سبق هو انه كانت للسلطان العلوي — مثل سلاطين الأسر الملكية المغربية البائدة — خلفاء في مراكش وفاس وتافيلالت (سجلماسة) وسوس ودرعة (تزنيت) والدار البيضاء والرباط (منتصف القرن التاسع عشر) وتطوان (بعد انتصاب الحماية الاسبانية) . وقد اقتضت التقاليد الموروثة ان يكونوا جميعاً من اعضاء الأسرة الملكية ، وكان لهم من السلطان تفويض ضيق او عريض لا نعرف مداه ، وكان يشمل الشؤون العسكرية والسياسية والمدنية ، وكان للخليفة الحق في حمل بعض شارات السلطنة من طابع وديوان مصغر يتألف من وزير وحاجب وكتاب ومخازنية ، وكان ذلك تعبيراً عن واقع مغربي ودولي ايضاً وعن تقسيم المغرب الى 7 عمالات كما سيأتي .

غير ان الصلاحيات لم تكن مطلقة بالطبع احترازاً من التناقض في حمل المسؤولية من جهة ودرءاً للانتقاض الذي كان يرومه احياناً بعض هؤلاء الأمراء عند وفاة السلطان من جهة اخرى حسبما هو معروف في التاريخ ،

وقد يكون في هاته العمالات المغربية جواب عن التعددية .

★ ★ ★

هل كانت لهذه الأيالة حدود مع الخارج ؟ وما معنى الحدود التاريخية ؟
وكيف كانت البلاد تصنف إدارياً وإيطنوغرافياً وانطروپولوجياً ؟ ومن هم سكان
المغرب ؟

هذا موضوع الفصل الموالي .

2 : الربع والسكان

حدود المغرب الطبيعية في الشمال والغرب ، اصطناعية في الجنوب والشرق ، لمكانه في ملتقى طرق حساس ، بين بحرين يصلان بين قارات ويمزجان بين حضارات ، تفاعلت جميعا فوق اديمه ، فصاغت الأجناس التي منها تفتقت خاصيات أهله ، تفاعلا وصياغة لم يعف أثرهما في شخصية الشعب المغربي المسلم .

الحديث التالي سيكون عن ربوع المغرب ثم عن سكانه .

I - الربع المغربية

وضعت لها خرائط وألفت تصانيف عن الحدود والتقسيم الإداري والاجتماعي .

I.I - الحدود

لما سئل الحسن الأول عن حدود إيالاته فقال ان « حدها حيث الكرسي المستقل ، وهو مصر من ناحية ، والسودان من ناحية ، ومغنية من ناحية » (1) ، كان يقصد بمصر الصحراء الممتدة جنوب الجزائر وتونس وطرابلس

I . رسالة السلطان الى الطريس في 4 رمضان 1303/6 يونيو 1886 مكتبة تطوان
مح 179/4 . وقد قدمت هاته الوثيقة الى محكمة العدل بلاهاي تحت رقم 9 وصورتها في
كتاب « السيادة ... » ، لمحمد ابن عزوز حكيم ص 135

وبالسودان مالي والنيجير والسينغال (2) ، كما كان يرد بذلك على سؤال ممثل إسبانيا وغيرها من الدول التي بدأت تحتل أقاليم المملكة المغربية قبل انصرام الثلثين الآخرين من القرن التاسع عشر .

ولا ينبغي ان يفهم من ذلك انه كانت للسلطان منازع توسعية بالرغم من ظاهر كلامه ، فقد كان يتحدث عن الحدود التاريخية في عهد المغرب السابقة إبان مجاورة العثمانيين على الشرق .

كان السلطان يشترط بيعه الرعية بيعه شرعية لا غبار عليها ، وسنرى ذلك من خلال رسائل مخزنية .

من ذلك رسالة رسمية الى قائد هشتوكة الحسين الدليمي تتعلق بطائفتين من اهل الصحراء الجنوبية احدهما تسمى أمكوس والأخرى مديون كانتا تريدان سنة 1890 الانضمام الى قيادة هذا العامل والانضواء تحت لوائه وبالتالي الانتماء الى إيالة المغرب الأقصى الحالي بدعوى انهم « فوضى ليسوا الى نظر أحد » . وكان جواب السلطان ان امر قواد الناحية بالقحري في الأمر (3) .

وأفصح من ذلك وأوضح الكتابان الوزيران الى أعيان تمبوكتو وعلى رأسهم يحيى ابن الكاهية والى البشير بن محمد بن عبد الرحمان التلموذي الجزولي ، اللذين اخبرا السلطان سنة 1894 باستيلاء الجيوش الفرنسية على هاته المدينة وبمحاولة اهلها الاستغاثة به . فقد جاء فيهما ان السلطان حاول قبل ذلك « الكلام مع الفرنسيين في شأن كفه عنكم ، ورفع يده على التغلب عليكم ، الواقع بلا قاعدة ، فاقتضت السيرة الاصطلاحية التوقف على الحجة

2 . لفهم هذا التحديد يستحسن مراجعة الخريطة المفعولة في ص 63 من كتاب عبد الله العروي « الأصول ... » وهي خريطة مقلوبة الاتجاه : الغرب في الأعلى والشرق في الأسفل والشمال (الجوف) في اليمين والجنوب (القبلة) في اليسار وهو خلاف الاصطلاح الحالي .

3 . الرسالة محفوظة بالسجل 639 بالمصدرة العظمى ومؤرخة في 14 ربيع الثاني 1308 / 27 نونبر 1890 .

بكونكم تحت إيالتنا السنية ، ومن جملة مملكتنا المرعية ... وعليه فان كانت لديكم مكاتبات من أسلافنا الكرام ، المقدسين في دار السلام ، او ظهائر شريفة قديمة او اثارة يقينية ، فوجهوا إلينا ما تحصل به الحجة في ذلك لذُحاجته به ويسلم انكم تحت إيالتنا السعيدة ولا يكون تقصير ولا غفلة بحول الله عنكم » (4)

وهناك رسالة اخرى غير الكتب السابقة ، وهي موجهة من المخزن الى المرابط عروة بن احمد بن الحسين الذي هو من ذرية احمد أكاد دفين مركز أروان الواقع على بعد 320 كلمتراً من شمال مدينة تمبوكتو . فمنها يفهم ان سكان تلك النواحي ارادوا بيعه السلطان الحسن الأول والانضمام الى المغرب سنة 1894 بعد أن استولت الجيوش الفرنسية على تلك النواحي ، فأجيبوا فيها بأن عليهم ان يكتبوا بيعتهم « التي التجأت إليها ، وانطوت عقيدتكم عليها ، وتكون متوفرة الشروط الشرعية من اتفاقكم فيها على التزام السمع والطاعة في المنشط والمكره كما جاء في الحديث الشريف على قاعدة البيعة الشرعية ... ووجهوا كتابها مشهوداً بأشكال عدولكم وفقهائكم وقضاتكم صحبة من توجهونه من وفودكم لأعتابنا الشريفة ... » (5)

ولئن كان السلطان يشترط البيعة الشرعية اشتراطاً من جهة فلم يكن يخفى عليه ان العصر عصر مد استعماري خانق من جهة اخرى وانه مع ذلك كان يريد المحافظة على ما سلم من طمع الطامعين واضعاً في حسبانه قدرة المغرب وحالة اهله آنذاك ، مستنكفاً من كل مغامرة بمصير البلاد .

ومما لا شك فيه ان هذه الاستنجات جاءت على إثر رحلتي الحسن الأول الى سوس سنة 1882 و 1886 (6) فكانت لها اصداء بعيدة في تلك الأصقاع .

4 . اخذت نص الرسالتين من سجل الصدارة عدد 694 بتاريخ منتصف رمضان 1311/22 مارس 1894 . صورة هاته الرسالة الى البشير في كتاب محمد ابن عزوز : « السيادة ... » ص 160 الذي ذكر ان سنتها هي 1310 وذلك غلط يتضح من الوثيقة نفسها .

5 . نص الرسالة محفوظ بسجل الصدارة عدد 694 بتاريخ 20 رمضان 1311/27 مارس 1894 .

6 . أحمد الناصري في « الاستقصا » ج 9 ص 175 و 180 تحدث عنهما .

وقد أصبحت نية الدول الأوروبية مبيتة في اواخر القرن التاسع عشر على اقتطاع أجزاء من تراب المغرب بالشرق والجنوب الغربي والاستيلاء على اطراف من افريقيا . فقد غزا الفرنسيون ورغلة سنة 1872 والقليلة سنة 1873 والعين الصفراء سنة 1881 وتونس في نفس السنة وجنين بورزق سنة 1885 وقاموا بعمليات عسكرية ضد سكان قوات وثورارة وتيديكلت سنة 1890 واستولوا على تمبوكتو سنة 1894 . و نشأت بمليية سنة 1893 احداث لتصد بها اسبانيا المغرب عن المطالبة بحقه (7) .

هذا عن الحدود مع الخارج فكيف كانت في الداخل ؟ ذلك ما يجرنا الى الحديث عن التقسيم الترابي والتنظيم الاداري .

I - 2 - التنظيم الاداري المحلي

كان النظام الاداري المغربي عتيقاً يستند الى إيالات قروية وحضرية . فالباشا او العامل يشرف على شؤون المدينة والقائد يتولى شؤون البادية . وكان الولاة يختارون من ذوي الجاه او النباهة او الغنى او كل ذلك جميعاً ، ليصبحوا عمالا على اخوانهم او بلديهم .

غالباً ما يكون عامل الحاضرة من سراة القوم او التجار او الأمناء او الضباط ، وكثيراً ما يكون قائد القبيلة من الشجعان او الأشراف او الأعيان او الأغنياء او من ذلك كله .

ويظل الوالي عاملاً ما بقي على ولائه للعرش وعلى التزامه بجانب العدل والنزاهة ، فاذا زاغ عن ذلك فالغالب ان السلطان كان يوزع إيالته على الولاة المجاورين ولا يترك له الا فخذة او فخذتين بل كان يعزله مباشرة او يسجنه وينكبه ويستصفي أمواله ان كان من العصاة او من الظلمة الذين تسلطوا على ابشار الناس واشعارهم .

7 . محمد المعزوزي « الجزائر ومراحل اقتطاع التراب المغربي المتعاقبة ،

التقسيم كان قبلياً سلالياً ، فيولّى العامل على إخوانه ، كان لأهل الصحراء عمالهم ، وللبربر قوادهم ، وللأعراب ولاتهم ، وللحضرين باشاواتهم . وكان للخلفاء السلطانيين أحياناً على بعض المتولين من الحضريين نوع من الاشراف صممت عن مداه كتب التاريخ الرسمي .

وتنبغي الإشارة هنا الى ظاهرتين : توسيع رقعة الأيالات تارة وتضييقها تارة اخرى ثم إسناد العمالات الحضرية الى بعض الأمناء .

ففي العهد الحسني جزئت قبيلة دكالة الى 18 قيادة لم تكن قبل الا خمسا . الشياظمة كان لها قائد واحد فصار يحكمهما اربعة . اما عبدة فبعد ان كان يتولى امرها ثلاثة قواد صارت ذات ستة (8) وما لبثت القيادة في اواخر القرن أن أسندت الى قائد واحد (9) .

أما تكليف الأمناء بتسيير الشؤون المالية والادارية معاً فكان مجرد تدبير استثنائي مؤقت . لأن السلطان كان يسعى في الواقع الى فصل المنصبين ما وسعه ذلك . وفي هذا المعنى كان الحاج العربي الطريس امينا وعاملا في الصويرة اواسط القرن ، ومحمد بن العربي برادة والحاج عبد المجيد بن علال التازي عاملين وامينين بالمجديدة في اواخره .

وفوق هذا وذاك كان الولاة القرويون والحضرليون يؤازرون امنساء المستفاد والمرسى والخرص في جمع متحصل الزكاة والأعشار والمكوس ويسهرون على تنفيذ الكلف والهدايا في الأعياد وتجنيد السكان للحركسات التأديبية ويصاحبون العاهل فيها . وكان منهم من يضمن من ماله الخاص أداء الرعايا لتلك الحقوق وقد يحمله المخزن تبعة ذلك مما ادى ببعضهم الى الأثراء وأكل الأموال والتعسف وغمط الحقوق .

8 . جان لوي مبيج « الحسن الأول » في سلسلة « الأفارقة » المجلد الثالث ص 242 .

9 . اعطى أوجين أويان في « مغرب اليوم » ص 26 و 31 مثالا عن الطاهر بن البشير المويسي الذي عزل عن القيادة ولم يعد الا شيخا تحت امرة عيسى بن عمر العبدني .

هاته نبذة عن التنظيم الاداري المحلي واختصاصات الولاية . فما هو التوزيع الترابي الجغرافي للآيالة المغربية ؟

I - 3 - التقسيم الترابي

كتب المؤرخين المغاربة لم تشر الى هاته النقطة بشيء يشفي الغليل مما يدل على انها لم تكن تحظى بعناية خاصة . وكل ما عندي هنا هو تجزئة المغرب الى اقاليم ومناطق بأقلام اجنبية والتذكير بما كان يسمى النواحي التاريخية .

I - 3 - I - العملات السبع

روي المؤرخ الفرنسي الكونط ده كاستر de Castries ان المغرب كان مقسماً قبل الحماية ومنذ العهد السعودي الى 7 عمالات هي :

I - الشرق

2 - الغرب مع حاضرة مكناس

3 - الشمال ومركزه فاس

4 - الجبل من وجدة الى تلالوة وحاحة مروراً بتازة

5 - الحوز وحاضرتة مراكش ويدخل فيه أسفي والصويرة

6 - قامسنا بأسواقها البدوية ومراكزها الحضرية مثل أنفا وأزمور والجديدة وأبي الجعد وشرقي تادلة .

7 - الجنوب بأدنائه واقصاه وتدخل فيه الصحراء التي كان خليفة السلطان يشرف عليها من سوس (10) .

10 . عبد العزيز بنعبد الله : « الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية - معلمة الصحراء » الملحق 1 ص 154 (نقلا عن ده كاستر ج 1 - ق 2 - فرنسا ص 410) .

ويبدو لي ان هذا التقسيم يطابق اصقاع الخلافات السلطانية ويتحدث عن بداية القرن التاسع عشر حيث انتهى المؤلف في كتاباته .

I - 3 - 2 - المناطق المغربية

لم يذهب أوجين فومي E. Fumey أحد تراجمة المفوضية الفرنسية في اواخر القرن الماضي مذهب سلفه عند ما ذكر ان المغرب كان منظماً إدارياً داخل I2 منطقة هي :

- I - الشرق : وهو وجدة ونواحي وهران سابقاً .
- 2 - الريف : وهو ما بين الحدود الجزائرية والبحر الأبيض المتوسط ويدين بلاد غمارة وجباله والشرق .
- 3 - جباله : من البحر الأبيض المتوسط الى شرق طنجة غرباً وممر تازة شرقاً .
- 4 - الغرب الأيسر : ما بين المحيط وجباله وسبو ، ابتداء من نهر ورغة ويدخل في ذلك مدينة طنجة والقصر والعرائش وأصيلة .
- 5 - الغرب الأيمن : فاس ومكناس والمهدية وسلا وزرهون وقبائل زمور وبني حسن .
- 6 - الظهرا : كل البلاد المسقية بملوية السفلى مع روافدها حتى جبال فجيج .
- 7 - الصحراء : فجيج وتافيلالت وكل المناطق الواقعة جنوب هاته الناحية .

8 - البرابرة : قبائل آية ومالو وآية يدراسن وآية يافلما .

9 - الحوز : المنطقة الممتدة من الرباط الى وادي تنسيقت وتشمل مدن الرباط والدار البيضاء وأزمور والجديدة وآسفي ومراكش وقبائل الشاهية ودكالة وعبدية والرحامنة والشيظمة ...

10 – الدير : المناطق الواقعة شمال الأطلس الكبير من وادي العبيد الى الصويرة .

11 – سوس : من رأس غير الى مصب نهر درعة .

12 – درعة : أعلى وادي درعة (11)

I – 3 – 3 – النواحي التاريخية

وما دمت أتحدث عن التقسيم الإداري حسب العرف الأجنبي فلا بأس من الالمام بما كان يراه المخزن من تحديد المغرب آنذاك بنواحيه التاريخية وهو ما قاله عبد الله العروي من أن عددها كان 15 وهي :

1 – الصحراء الغربية

2 – الصحراء الشرقية

3 – الظهراء (اي ما بين وجدة وفجيج ونهر ملوية)

4 – سوس (الأطلس الصغير ووادي سوس ووادي نون)

5 – الأطلس الكبير الغربي (او جبال درن كما كانت تدعى قديماً)

6 – الأطلس الكبير الأوسط (وضمنه الأطلس المتوسط او بلاد فازان

حسب تعبير الجغرافيين المغاربة) .

7 – حاحة والدير (وهو جنوب الحوز)

8 – الحوز (مراکش ونواحيها)

9 – تادلة

11 . أوجين فومي : « المختار من الرسائل المغربية » ج 1 ص 161

- 10 - أزغار (ناحية سيدي قاسم)
11 - بلاد زناقة (من فاس الى وجدة)
12 - الريف
13 - الشاوية ودكالة وعبدة (اي من الرباط الى شمال الصويرة)
14 - الغرب (وهو مثلث رؤوسه بالعرائش وسلا وفاس)
15 - جباله وهي ناحية على شكل مثلث من تطوان فطنجة فأصيلة
فالقصر الكبير فوزان (12)
وشتان ما بين منطق وطني ومنطق استعماري ، لا يعطي للمغرب
حتى ما تبقى له في منتصف القرن العشرين ، في حين يرى في ذلك بعض زعماء
المغرب في القرن العشرين ان ما استرجع بعد الاستقلال سنة 1955 لا يمثل
الخمس من المغرب التاريخي (13)
ولم يسع انصار الاستعمار الا وضع « خرائط » زيادة على « تقسيمات
ادارية » لا تزيد على تكريس نظريات السيطرة والاستحواذ . ولئن كانت التخوم
في الشرق مضبوطة بمعاهدة مغنية (14) على طول يناهز 150 كلمترا من الشمال
اي وادي كيس الى ثنية الساسي ثم منها في بعض التآرجح الى واحة فجيج ،
فان غير ذلك لم يتحدد بمعاهدة ثنائية او دولية صحيحة في الشرق والجنوب .
اما حدود سبتة ومليلية وما اليهما فكان رسمها اقرب الى الواقع الاستعماري
والصليبي من، الى المنطق القانوني والقرائن الجغرافية .

* * *

12 . عبد الله العروي « الأصول ... » ص 22
13 . المصدر السابق ص 11 و 60 (نقلا عن « الحركات الاستقلالية بالمغرب
العربي » لعلال الفاسي) .
14 . نص المعاهدة منشورة بمجلة « الوثائق » ج 1 ص 475

2 - أهل المغرب

بعد تقسيم الأيالة المغربية الى عمالات ومناطق وفواح ، آن لنا ان نعرف من هم سكان المغرب الأصليون وذلك لتصنيفهم تصانيف مختلفة : من الوجهة الاطنوغرافية (السلالية) والوجهة الانطروپولوجية الاجتماعية مع الاقتصار على العوائد في الاحتباء والاحتذاء ، ومن الوجهة الديموغرافية لابرار ديناميكية السكان بدوا وحضرا ، وكل ذلك - طبعا - في كثير من الاقتضاب .

2 - I تصنيف إيطنوغرافي

امتزج العرب الواردون من الجزيرة بالبربر القادمين قبلهم منها - وحملوا اليهم الاسلام وبه صاروا امة على يد ادريس الأول . ثم تعاقبت على المغرب الأسر المرابطية والموحدية والمرينية التي اسلمت زمام امرها الى السعديين والعلويين ، تشييدا لصرح الحضارة المغربية .

وزاد في سماكة هذا البنيان نزوح قبائل عربية بعد ذلك مثل بني هلال وبني سليم والمعل الى المغرب وإقامتهم ثم ترحيلهم الى مناطق مختلفة منه منذ عهد الموحدين (I5) ثم التجاء الأندلسيين من مسلمين ويهود الى الأقطار المغربية هربا من الاضطهاد وخوفا على العقيدة من الفتنة . وما كادت تمر بضعة عقود حتى ساكن العرب البربر فتبربروا وساكن البربر العرب فاستعربوا واسلمت بعض الأسر اليهودية وحسن إسلامها وورث سكان بعض المدن الحضارة الأندلسية المغربية في المأكل والمشرب والملبس والمسمع والمنطق . وجاءت بعد ذلك طوعا او كرها أفواج من زنوج افريقيا وحراطينها تحمل معها ما جبلت عليه ربوع ما وراء الصحراء من حرارة في العمل او كسل في الطباع .

15 . ينظر عن نزوحهم كتاب عبد الوهاب ابن منصور : « قبائل المغرب » ،

ج 1 ص 417 و 424 و 428 .

2 - 2 - تصنيف انطربولوجي اجتماعي

ليس من شأن هذا الكتاب التطرق الى كافة ابواب الانطربولوجيا وذكر جميع طبائع البشر واحوال معيشته وفنونه وادواته ومستنبطاته واعتقاداته . ولكني سأحاول من الوجهة الانطربولوجية الاجتماعية ابراز ما كان للانسان المغربي في القرن الماضي - الذي هو ظل نفسه في العهد الذي قبله وصورة ذاته في العصر الحالي - من خاصية في احتبائه (اي لباسه واعتمامه) وفي انتعاله او حفائه .

وقد تطور اللباس المغربي بين القرنين 16 و 19 تطورا ملحوظا فوصف الرحالة كآبريال شارم G. Charmes اللباس الفاسي ولا سيما حنطوز النساء وصفاً دقيقاً (16) .

وقبل بسط الحديث عن آداب الاحتباء للرأس والجسد والانتعال للمقدمين لا بأس من معرفة ما دعيّ الميادين الثلاثة .

2 - 2 - الميادين الثلاثة

نظر علماء الاجتماع الى المغاربة فقسّموا بذلك المغرب الى ثلاثة ميادين هي :

I - ميدان السلهام والحاكك اللذين كانا غالباً يتخذان من صوف بيضاء في السهول الاطلنطيقية او سوداء في ناحية الصويرة مثلا .

2 - ميدان الخنيف وهو برنوس قصير يصنع من وبر المعز يرتديه سكان الجبال ومناطق الصحراء الشرقية .

3 - ميدان الخنت وهو من القطن الأزرق ابتداء من الصحراء الجنوبية .

16 . نقله عنه روجي له طورنو في كتابه « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 »

ص 192 و 194 .

وذلك هو ما لاحظته الراهب شارل ده فوكو عند ما زار المغرب سنة 1883 وجاب خلاله وساح في أطراف المدن الداخلية والمناطق الصحراوية (17).

كان لباس السلاطين والوزراء وأعضاء المخزن هو « الكسا » المجعول فوقه السلهم . وكانت الطبقات الشعبية ترتدي البرنوس أو « الجلابة » . وفلاحو السهول الغربية كانوا يلتحفون بالحائك ، كما كان « الجابادور » المطروز المتألف في الغالب من صدرية حمراء وسروال أزرق هو الزي العسكري ، (بل كان أحيانا بغير تلك الألوان) زيادة على طربوش أحمر وشاشية حمراء . أما الضباط فكان لهم قميص واسع الأكمام وقفطان وفرجية وبرنس خفيف .

وفي المدن كان في المنظر دليل المخبّر بحيث يختلف لباس الناس كلما تباعدت أوضاعهم الاجتماعية . أما البوادي فلم يكن لأزيائها شكل موحد . وكان يقال ان المرء يستطيع معرفة البدوي والدرأوي والبربري من خلال هندام كل واحد منهم (18) .

هذا بعض ما يتدثر به الجسد والأطراف . أما الرأس والقدمان فلم يكن مغاربة القرن التاسع عشر يغطون رؤوسهم بشكل منسجم : كانت العمامة والرزة سائدتين في الحواضر في حين كانت رؤوس البدويين عارية وحليقة دائما . لأن الشعور المستطيلة المسدولة أو « الوفرة » لم تكن معتادة إلا في الصحاري . ولم يكن الطربوش — الذي اتخذ للجيش في البداية — سارياً لدى بعض الطبقات الحضرية الا في نهاية القرن .

وعلى العكس من ذلك كان للمغاربة حذاؤهم الخاص الذي هو « البلغة » في البوادي والحواضر معا .

وقد روى ده فوكو ان هذا الاحتذاء لا يتغير الا بالنعال التي يتخذها خاصة الفقراء في الصحراء والنواحي الجبلية .

17 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 31 وما بعدها .

18 . المصدر السابق (نقلا عن بودجيت ميكين في كتابه « المغاربة ») وعبد المزيذ بنعبد الله : « مظاهر الحضارة المغربية » القسم الثاني ص 43

على ان التمايز بين مغاربة الشمال (الحائك والبلغة والراس المحلوق) ومغاربة الجنوب (الخنت والنعال والوفرة) ليس له مدلول مهم في حد ذاته ... لكن الأهم من هذا كله هو ان المغاربة النازحين عن اوطانهم كانوا متشبثين بأزيائهم ومعروفين ببلاغيهم في الجزائر وتونس وطرابلس (I9) .

هذا ما قاله بتصريف بعض المؤلفين ، بينما تطرق ابن زيدان الى اللباس الرسمي المخزني .

أما العمامة التي هي « تاج العرب » حسبما كان يقال فقد وضعت عنها بعض التأليف . وآخرها ما كتبه عنها وعن القلنسوة احد الباحثين التونسيين : ابو بكر عبد الكافي (20) وذلك في مقالين عامين عن العرب وتونس والأندلس لم استطع ان اقتبس منهما الا جزءاً طفيفاً لتباعد ما اثبته فيهما زماناً ومكاناً . فلزمتني الاستعانة بالذاكرة والمطالعات الشخصية فيما سأطرقه في بقية هذا المبحث لتزداد آداب اللباس بياناً ووضوحاً حتى ولو كان في ذلك شذوذ مني عن وحدة الزمن التي التزمتها .

وسأبدأ بغطاء الجسد فالرأس فالقدمين .

19 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 51 - 71

20 . ابو بكر عبد الكافي خصص في مجلة « الفكر » التونسية مقالين بعنوان « القلنسوة وتقاليد لبسها عند العرب » (ابريل 1980 - ص 75 وما بعدها) و « العمامة وتقاليد لبسها عند العرب » (يوليو 1980 ص 38 وما بعدها) . وتوجد ايضاً في كتاب « المجتمع المغربي كما عرفت من خلال خمسين سنة 1350 - 1400 » ص 309 لمحمد بن احمد شماعو ، اشارات الى الأزياء وتعريف بالحنطوز والسبئية والتكليس والتغبييرة وطقطيقية السروال والزلاكية وكل ذلك خاص بالنساء في بداية هذا القرن الذي هو امتداد للذي قبله من بعض الوجوه .

واخيرا تناول عبد الرحمان ابن زيدان في « الاتحاف » ج 2 ص 531 وما بعدها آداب اللباس والاعتماد المخزني للوزراء والكتاب والأمناء والقواد والحاجب والمخازنية واصحاب الأروى والمحفة والحمارة وغيرهم من خدام القصر السلطاني .

ومن الذين تحدثوا عن الفنون والعادات ولا سيما في اللباس اوديت دو بويكودو Odette du Puigaudeau في مجلة « اسبيريس تمودا » ابتداء من المجلد الثامن (1967) . والبحث يتناول ذلك في الصحراء الجنوبية .

2 - 2 - 2 : الاحتباء والانتعال

أ - الجسد

المُروط المغربية انواع : الكساء والحايك والعمامة ، ولهذا فهي كلها من النوع المحيط . « الكسا » نوع مخصوص من اللباس العريض وهو أشبه ما يكون بالشملة ، وكان - كما تقدم - من ازياء المخزن والعدول والفقهاء وخطباء المساجد . ولم يكن فوقه جلباب بل سلهام . وكان مجرد ارتدائه دليلاً على حالة لابسده ووظيفته الاجتماعية ، وظل معمولاً به حتى في نهاية النصف الأول من القرن العشرين .

اما المخططات فكثيرة الأنواع منها الفوقي اي الدثار والتحتي اي الشعار ، ومنها الداخلي ومنها الخارجي ، ومنها ما كان للذكور ومنها ما كان للاناث وللصبيان وللأطفال وللخادومات وللرقيق وللتجار وللصناع وللفلّاحين . وقد صور بعض المؤلفين لباس اهل فاس واهل توات وزرزاية تصويراً مطابقاً (21) .

الجلابة او الجلباب هي ذلك « القميص الطويل بدون حزام » (22) القرطاجني الذي اتخذه المغاربة الأولون لباساً وطنياً واستمر موجوداً حتى الآن .

« جلابة بونداف » من صوف غليظة يلبسها الفلاحون واشباههم (23) . « خَيْدُوس » جلابة جبلية من الصوف الغليظة السوداء ومثلها « الخنيف » كما تقدم ولكن لونه يتغير . أما ظهره فيلَوْن وَيُزَوَّقُ بالأحمر . وهو خاص بنواحي الأطلس .

الجلابة هي على كل حال فضفاضة وقبها مثلها واسع ، يجعل لوقاية الراس من الحر والقر كما سيأتي . على أن قب الجلابة الذي هو أوسع من

21 . روجي له طورنو : « الحياة ... » من ص 192 الى 195

22 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 11

23 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 251

قُب القلنسوة قد يتخذها الشعبيون سَفْطاً أو ظرفاً لبعض المشتريات الخفيفة كحبوب الشاي أو بعض الفواكه ، مثلما قد يجعلون الطاقية وحاشية الطربوش الداخلية « جيّبا » أو وعاء يحفظون فيه بعض الأوراق النقدية وغيرها .

ومما تشتمل عليه الجلابة انها ذات كمين قصيرين ايسر وايمن . ولا يلبس فوقها الا السلهاّم لانها كساء فوقى وخارجى وغير منزلى ، ولا ينكس لبس الجلابة (اي اظهار باطنها واخفاء ظاهرها) الا في صلاة الاستسقاء . وحتى الثلث الأول من القرن العشرين كانت فتحة طوقها عريضة لكي يستطيع المتدينون مثلاً استشارة منجاناتهم من « الشون » لمعرفة وقت الصلاة .

ومن اللباس التحتي انواع مختلفة للنساء وللأطفال وللرجال :

- « التشامير » وهو السربال الطويل المحاذي لجسم الذكور وله فتحة جانبية تقع فوق الترقوة اليسرى في الغالب . وله ايضاً أنشطة تدعى « سرّيفة » من القيطان .

- السروال وهو للنساء وللرجال معا . ومنه سروال قنّدرية الفضفاض للرجال .

- القفطان ويكون نسيجه أغلظ وربما أثمن من الفرجية او المنصورية ، وهو مفتوح حتى القصّ للرجال وحتى الأسفل للنساء .

- الفرّجية (نسبة للقائد فرجي مملوك السلطان احمد المنصور السعدي) وهي لباس المخازنية والعوام .

- المنصورية (نسبة للسلطان احمد المنصور السعدي) وهي للشخصيات والخواص ، وهي والفرّجية معاً من نسيج خفيف .

- الدراعية والجُبّة والكندورة كلها دون أكمام . وكلها ايضاً - اضافة إلى الفوقية بالأكمام - ألبسة داخلية تجعل - مفردة فوق الفرجية والتشامير والسروال - للراحة والنوم .

- القشابة وكانت فضفاضة ، اتساعها كان كناية عن رحابة الصدر ومن ذلك اشتقت لفظة التقشاب (التي تعني التندر والتفكه من شخص ليس سريع الغضب أو لين العريكة) .

- كسوة المحصور لباس مزدوج يتألف من صدرية أو بدعية قصيرة بكمين ، وسروال طويل ويزدان به في الأعياد والمناسبات . اما شد الوسط والتمنطق فكان اما بالكُرْزِيَّة الصوفية او القطنية للكبار وللخواص واما بالسمطة الجلدية للآخرين . والجلابة والبرنوس والكسا والسلهام البسة فوقية تغطي الجميع . ولربما جعلت جلابة فوق جلابة أو كما يقال « وَنُدِيَّة فوق وَنُدِيَّة » .

هذه أزياء الذكور . وأما الاناث فكان للحضرية الحرة الحائك محل الجلابة و « الدفينة » مكان الفرجية والتحتية بدل القشامير و « المضمة » عوض الكرزية . وكان لها مجدول تشمر به لجمع أطرافها . وقد تستر وجهها ببرقع او نقاب او لثام تحت الحائك .

وكانت النساء في تطوان - وغير تطوان - يصنعن لثمنهن من قماش أبيض يتراوح طوله بين 60ر1م و 50ر1م وعرضه 50ر0م ويطرزن طرفيه بأنواع من طرز الأبرة وبألوان من الحرير الهندي الجميل (24) . وكانت « الجبليات » يغطين رؤوسهن بقبعات من دوم .

الحائك كان يرتدى في الحواضر على طريقة خاصة تستر به المرأة كافة جسمها ان كانت بالشارع ولا تدع الافتحة مثلثة او مستديرة امام عينها للنظر تدعى « العوينة » . والحائك كما تقدم من المروط بخلاف الجلابة التي هي من المخيطات .

ولئن كانت المرأة في المدن محتجبة ، فالمملوكة والقروية ليستا سافرتين تماما . كان لهما الأزار الذي هو ايضا من المروط التي بها « عَزْفَة » (وهي خياطة جانبية من جهة الطول كيلا تنسل اللحم من السدى) ولكنها

24 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 320 (1)

كانت تخفي ملامحها ورأسها بمنديل . وعند لقاء الأجنبي كانت تشيح عنه وجهها أو تستره بذيل أو بطرف من رداثها . وكان ذلك مجرد دثار من حياء . (25) وكان طول الازار 8 امتار للنساء ولا سيما في ناحية فجيج (26) .

الحضرية أشد أناقة في زيها من القروية التي كانت ظهيراً لزوجها في شؤون الحياة .

اللباس المهني كاد يتلخص في الفريول (تحريف - فيما اعتقد - لاسم التاجر الفرنسي فريوه Ferrien) . وهو من نوع « البلوزة » وقد يجعل فوقه جلباب . والفريول ملون يلبس للوقاية من الأوساخ والأقذار الحرفية كالصباغة والدباغة .

اليهود المغاربة كان لهم لباس خاص شبيه بلباس المسلمين .

وقد ظل الزي المغربي على حاله ولم يبدأ في التغير إلا بالتدريج ولا سيما عند ما بدأت البضائع والمنسوجات الأجنبية تغزو الأسواق بأثمان زهيدة . وشوهدت في آخر القرن 19 - حسب ميج كما سيرد في مكان آخر - أعداد كثيرة من البدويين يرتدون قمصانا من صوف وقطن صنعت بالخارج .

* * *

ب - الرأس

كان تارة عاريا وتارة مكسوا . وكان « قب » الجلابة أو البرنس سترا - قبل كل شيء - لمن لا ستر له من الرجال ، وكانت انواع أخرى للنساء ، كالشال والحناكة والمنديل والسبينة ، دثارا لهن ، يضافن إليها في الغالب عصابة تستر الجبهة وتحيط بالذثار كله أو بعضه . وفي فجيج كانت للنساء أيضا عمامة تدعى الشمبير وهي من اصل فاسي .

25 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 138

26 . مارك بونفوس : « منخلة فجيج » ص 62 .

اما الرجال في هاته الواحة فكان لهم الغنور وهو عبارة عن 5 أو 6 من الشواشي المدمج بعضها في بعض تلتف حولها خيوط طولها يتراوح بين 10 و 30 مترا وتزن نحو 3 كيلوات (27) . على ان الغطاء المعهود في غير هاته النواحي كان للرجال اما العمامة واما الطربوش واما الطاقية او الشاشية على انفراد غالباً او اجتماع نادراً .

« الرزة » اي العمامة كانت مفضلة وشريفة لأنها سنة و « حاجز بين المسلمين والمشركين » حسب الحديث النبوي . ولذلك كان الفقهاء واعضاء المخزن لا يلبسون بها بديلاً . كانت بيضاء في الحاضرة والبادية وقد يجعلها اهل الصحراء والبوادي ملونة ويتخذون لها عذبة او عذبتين مسدلتين خلف الكتفين .

العمامة شقة نسيج قد تلات مباشرة فوق الرأس بعد طيها على قدر معين او تبرم مثل الحبل . ومن العادة لفها فوق القلنسوة او الشاشية او الطاقية . وكل دور من العمامة يدعى الكور . ويحكي ابو بكر عبد الكافي ان الحلاق التونسي كان يتعاون مع غلامه في برم « الكشطة » او طيها .

والحقيقة ان الحلاق التونسي لم ينفرد بذلك ، فقد كان الحلاق المغربي ايضاً متخصصاً في « ضربها » . ومع ذلك لم يكن الأمر وقفاً على الحلاق وحده ، بل كان بعض الناس يحسنون قولبتها اي برمها بمعونة اهلهم على قالب معين وخصوصاً يوم الجمعة بعد الاغتسال والوضوء وقبل التعطر ببخور العود القماري وارتداء الثياب النظيفة لحضور الصلاة على احسن هيئة وافضل بزة متأطين اللبدة الصوفية او السجادة الدومية .

أبعاد العمامة مختلفة لكن طولها الكامل لم يكن يعدو 5 امتار وعرضها 40 سنتمترا في تونس ومثل ذلك في المغرب على الراجح .

الطربوش طرابيش : الفاسي والطاسة والمخزني والمشقوق .

27 . مارك بونفوس : « منخلة فجيج » نفس الصفحة المشار اليها سابقا .

الطربوش الفاسي أشبه ما يكون بالتركي الأسطواني القديم وكان يتخذ من صوف أحمر داكن أو قان . وكانت له في مؤخرته « شوشة » أي شرابة هي عبارة عن ضمة تتألف من ذنب تتدلى منه خيوط . وربما كان في تأخير الطربوش عن الجبهة أو تحريفه جانبياً دلالة ما ، عند ما كان بعض المتأنيقين المعتصرنين « يعذّرون » طربوشهم إظهاراً للاظرف أو لأبراز ارتباطهم بدنيا العلم والأدب .

طربوش الطاسة (وسمي بها للمماثلة بينهما في الشكل) كان دون شرابة ولكن له ذيل ، وهو أشبه ما يكون بالترنسي المقعر المستدير الخالي من الذيل والشرابة معا ، ولو أن الطربوش التونسي كان منه نوع له شرابة طويلة . لون الطاسة أحمر مثل الفاسي وكان - لخفته - اعتمام الصغار من الصناع والتجار وبعض الطبقات الشعبية .

الطربوش أو الشاشية المخزنية كان للجيش والأعوان وهو هرمي مستطيل وليس بالأسطواني كالفاسي . لونه أحمر قان أو داكن وله شرابة وذيل . وهو مثيل القلنسوة الشامية وما يزال إلى الآن من أزياء المخازنية بالقصور الملكية .

ولم أقف على ما يدل على وجود الطربوش المشقوق الشبيه بالعراقي الحالي بالمغرب وثبوت الاعتماد به، هنا في القرن الماضي .

التحلل من الرسميات كان بالطاقيّة داخل البيوت وحتى خارجها لرشاقتها وخفتها وبساطتها . الطاقيّة محبوبة عند أهل مراكش والحوز وسوس ومفضلة أيضا عند غيرهم من صناع وتجار وعوام يؤثرونها على غيرها من الاعتمادات . وهي تارة صوفية وتارة قطنية وهي مقعرة كالشاشية ونظيرة العرقية الشرقية التي تنشف الشعر من العرق ، وشاشية اليهود المغاربة وطاقيّة الاخفاء الخرافية في « ألف ليلة وليلة » . وكان أهل الجنوب يضيفون إليها تحريف الشكارة (الحقيبة الجلدية لحفظ النقود و « الكواغط ») من جانب ، و « والكميّة » (خنجر صغير بمجدول) من جانب آخر .

على ان الشاشية هي — قطعاً — غير الطاقية لأنها ليست مقعرة وغير القلنسوة المخروطة الشرقية التي لا يظهر انها كانت موجودة في المغرب في القرن التاسع عشر ، ولكنها كانت مستعملة في الأندلس والمشرق .

* * *

ت — القدمان :

والآن نقفز من قمة الراس الى اخمص القدمين لنرى شيوع حذاء مغربي أثيل أصيل على نطاق واسع : البكّغة للرجال والريّحية (او المشاية) للانتعال العادي النسوي . على ان الشربيل كان أجود من الريحية لأنه مطروز وهو بذلك ذو ثمن غال .

البلغة كانت في الأغلب صفراء للمسلمين وسوداء لليهود ، وكانت هي الغالبة ، كما لمحت الى ذلك ، لا يستبدل بها المغاربة في الخارج غيرها وكانوا يستوردونها ، بينما كانت النعال كما تقدم سائدة في الصحاري والجبال .

كانت للبلغة في اقصى الجنوب قطعة جلد مخططة تجعل وراء العقبين لتثبيت الرجلين في الحذاء .

الصندل أو النعل اتخذ في الجنوب كذلك من جلد البقر . وكان مربوطاً بخيوط من المصران (28) .

وثمة نعال داخلية من جلد خفيف او من خشب : الخف كان حذاء الخاصة يقوم مقام الطرابيق فيما مضى او مكان الجوارب الآن . ويجوز الدخول به للمساجد والأضرحة وصدر البيوت لأن البلغة كانت تحته تحفظه من الأوساخ والأقذار . ولذلك كانت الصلاة صحيحة به . اما للوضوء وللطهارة فكانت « القباقب » مفضلة لأنها سهلة التنظيف .

* * *

هذا بعض ما تيسر لي من القول عن آداب اللباس والاعتماد والانتعال باصطلاحات سكان الحواضر الساحلية والداخلية وبعض المناطق القروية والصحراوية حسبما أتذكره وأدركه بصواب أو خطأ . ولا بأس من إضافة أن الصراويين كانوا متلثمين ، وإن المرأة - عروساً كانت أو نصفاً - كانت تحلي معصميتها وأذنيها وجبينها وأصابعها وخصرها وقدميها بالجواهر والذهب والفضة وترتدي اثواب الحرير النفيسة . وكانت للنساء « تقشيطات » ممتازة للمناسبات لمن لهن سبيل إلى ذلك .

وقد حرص الرجال على تطويق اللحية (ولا يطيلها منهم في الغالب إلا المعمرون والاطرقيون ذوو السباحات الغليظة الخرزات أو رقيقتها) وعلى قص الشارب كما جاء في الحديث المشهور . واطن أن أهل المغرب الشرقي كانوا يطيلون « العصافير » اقتداءً بأتراك الجزائر ويبرمون شواربهم إلى أعلى بينما كانت للأطفال « قطاية » أي ذؤابة من شعر ، وسط السراس الحليق ترسل وتمشط كظفيرة النساء والبناات . ولا ينبغي أن ننسى أنه كان لبعض الشخصيات والأشراف - ولا سيما من العلويين - « نواظير » أي عارضان من شعر الراس يُبرمان فوق الصدغين تمييزاً لهم عن غيرهم .

وأود أن أذيل بالكلام على أن تغيير اللباس كان علامة على الردة (29) سيما وإن النبي صلى الله عليه وسلم جعل العمامة حاجزاً وجنة من الكفر كما أوصى بالعفو عن اللحية وقص الشارب .

كانت السراويل الفضفاضة عاتقة عن الحركة وخصوصاً من تلزمهم حركتهم النشاط والخفة . ولذلك نصح جون هي المخزن - على وجه التلميح - بتضييق لباس الجنود والفرسان (30) .

29 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 31 (نقلاً عن « اختصار الابتسام » لمحمد بن الحسن الحجوي) .

30 . المصدر الأول السابق ص 30

ومع ذلك كانت عادات المغاربة في احتبائهم وشكل ازيائهم ولونها ونوعها ومادة صنعها ولهجتهم واصطلاحاتهم وادوات عملهم ناطقة بليغة للتعبير عن الدور الذي يضطلعون به واستكناه البوتقة التي صيغوا فيها والتنبؤ بالمحيط الذي يعيشون فيه وجواز معرفة مسقط الراس والمحتد والأرومة وحتى الدرجة التي وصلت اليها العقول من تطور او جمود .

* * *

2 - 3 : تصنيف ديموغرافي

يدور الكلام هنا عن سكان المغرب عامة ثم عن سكان الحواضر .

2 - 3 - 1 : أعداد سكان البلاد

ليس بين ايدينا عناصر احصاء المغاربة من مسلمين ويهود في القرن التاسع عشر . ولم اقف على اهرام اعمارهم ولا على تفصيل ذكورهم واناثهم ولا على تمييز صغارهم من كبارهم او على معرفة النشيطين منهم القادرين على العمل ، لأن فهم هاته المعطيات الديموغرافية لم يرد الا بأخرّة : تخصص في دراسته مهرة العلوم الاجتماعية والاقتصادية .

وكل ما عندنا تقديرات مضطربة ومتباعدة ، تجعل الركون اليها لأول وهلة امراً صعباً ، ان بينما يقدّره جيمس كُري جاكسون J. Grey Jackson بـ 14.800.000 نسمة في بداية القرن اذا بمعاصره قنصل السويد والنرويج يعقوب كُرابرغ آف هيمسو : Jacob Graberg af Hemso يجعلهم 8.500.000 اما ادولف ده كارامان A. de Caraman فلا يعدو بهم عن 5 أو 6 ملايين (31) وكل هؤلاء كانوا بالمغرب في بداية القرن . غير أن هناك من المؤلفين الأجانب مثل مولييراس ودد لامارتنيير من وصلوا بسكان المغرب

31 . جاك كايي : « مهمة القبطان بوريل بالمغرب سنة 1808 » ، ص 106 (x)

في نهاية القرن الى 25 مليوناً (32) او الرحالة الأنجليزي الدكتور ليرد الذي قدرهم سنة 1872 بين 4 و 15 مليوناً بحسب الروايات المتضاربة (33) .

ويجوز على كل حال ان تكون ارقام كارامان اقرب الى التصديق في النصف الأول من القرن التاسع عشر لأن جون دروموند هي الذي عرف المغرب اكثر من غيره كان يعتبر سكان البلاد حوالي 1880 يتراوحون بين 7 و 8 ملايين منهم مئات الآلاف من اليهود المغاربة اي ما بين 200 ألف (34) و 500 ألف .

ولئن كان اعتمادي ارقام بضعة الملايين اعتماداً ثابتاً فما ذلك الا لأن هاته الأعداد كادت ان تكون صحيحة كنظرية نقبلها مضطرين لانعدام سواها ، مع التذكير - كما قلت سابقاً - بانه لم يقع احصاء علمي سديد بموافقة المخزن على اجرائه او على التفويض في ذلك لنصارى اجانب ، كان من مشاغلهم كشف العوارث والاطلاع على الخبايا ، ومن اجل ذلك كان يحصرهم بالثغور ولا يسمح لهم بالتغلغل الى داخل البلاد الا باذن خاص .

هاته هي حصيلة سكان البلاد . وما دمت لا أنوي الآن الحديث عن اهل المغرب عبر جميع العصور ، فلا اقل من تناول الكلام عنهم في بعض فترات القرن التاسع عشر سواء على الصعيد العام او على صعيد الحواضر فقط .

وفي هذا الصدد ، سأسرد اعداد سكان المدن من مسلمين ويهود مغاربة متخذاً في ذلك مثلاً وسطاً هو منتصف القرن ، مع الاشارة الى أنني سأورد سكان جميع المدن عند الحديث عنها على حدة ، خلال فترات متعاقبة من القرن المذكور .

32 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 40 (46)

33 . عبد المجيد بنجلون : « جولة ... 1872 » ص 119

34 . « المراسلات ... » الانجليزية ص 4 - 8 . جلسة يبرابر 1879

2 - 3 - 2 سكان الحواضر

يرى بعض المؤلفين ان السكان المغاربة بالمدن الشاطئية كان عددهم سنة 1856 م يبلغ 87.000 نسمة ، منهم 22.000 من اليهود هكذا (35) :

المدينة :	المسلمون :	اليهود :	الجميع :
تطوان	14.000	8.000	22.000
طنجة	9.750	250	10.000
الرباط	18.000	7.000	25.000
الدار البيضاء	1.900	100	2.000
الجديدة	2.850	150	3.000
أسفي	7.500	2.500	10.000
الصويرة	11.000	4.000	15.000
المجموع	65.000	22.000	87.000

اما المدن الداخلية كفاس ومكناس ومراكش فتتضارب الروايات في تحديد عدد القاطنين بها . ولا بأس ان اذكر بعض الأرقام عنها حتى ولو كانت مشوشة متنافرة :

فاس : 88.000 نسمة سنة 1859 او 100.000 سنة 1866

مكناس : 50.000 في آخر القرن الماضي

مراكش : 30.000 نسمة سنة 1877 او 100.000 سنة 1862 (36) .

35 . مبيج « المغرب واوروبا » ج 3 ص 273

36 . نفس المصدر ج 3 ص 24 (4) .

وسنرى ان هناك من يجعل لمراكش 300.000 نسمة ويشق على الباحث تصديق ذلك دون تمحيص . وهاته الأعداد قليلة بالنسبة لأهل البوادي والصحراء والجبال . وينبغي ان يضاف الى السكان الأصليين أولئك العلوج الذين كانت تتراوح أعدادهم بين 250 شخصا في رواية و 4.000 حسب مصادر اسبانية غير مضبوطة كانوا يعيشون بالبلاد في منتصف القرن التاسع عشر في رواية اخرى . وبعد هذا التاريخ تضخمت الهجرة فارتفع عدد المستوطنين الأجانب إلى عشرة آلاف شخص في آخر القرن .

* * *

وسيأتي في الفصل القادم حديث عن المغاربة في الخارج ، وفي الفصل الذي بعده كلام عن الأجانب الطارئین على المغرب ، وسنرى من خلال ذلك أعدادهم ونشاطهم المهني والسياسي وطرفا من اسمائهم .

وهكذا اطلقت على المهاجرين المغاربة اسم « المغتربين » وهم الذين عاشوا في المهجر عدة سنوات ، واستثنيت منهم السفراء الذين زاروا البلدان الأجنبية لمدة محدودة والذين سيأتي الكلام عنهم في مكان آخر .

كما سميت الأجانب الوافدين على بلادنا « المستوطنين » لأن منهم من ولد بالمغرب وفيه نشأ وفيه ترعرع وفيه مات وفيه خلف ذرية لعبت دوراً مهماً في حياة البلاد .

3: المغتربون

مواد هذا البحث :

- تمهيد

- التمثيل القنصلي بالخارج

- المغاربة في الاقطار النصرانية والاسلامية

- خاتمة

1 - تمهيد

من الشاق العسير الوقوف على أسماء جميع المغاربة الذين عاشوا بالخارج فترة وفيرة أو يسيرة . فليس ثمة احصاء تام لهم في شتى البلدان الأجنبية . والجالية الوحيدة التي استطعت معرفة بعض افرادها كانت هي التي عاشت بالقاهرة سنة 1888 كما سيرد ، وبلغ عددها نحو 200 شخص ، ضمن احصاء جزئي وعفوي فقط لم نكن لنطلع عليه لولا تلك الفلقة النادرة من فلتات التاريخ .

ومع ذلك التقطت من بطون الكتب وسطور الوثائق عدداً لا بأس به من المواطنين المستقرين بالأقطار الخارجية . وإن حاول الآن ان أجمع في هذا التأليف ما تفرق في غيره ، لم أجد بداً من ان احيد قليلاً - تأخيراً أو تقديماً - عن الاطار التاريخي الذي التزمته .

ويشق على الباحث في هذا المضمار ان يدلي بمزيد من الايضاح عن مهن هؤلاء المغتربين بالخارج وان يستوعب استيعاباً كاملاً النشاط الذي كانوا يمارسونه . وكل ما تيسر جمعه لا يغني في هذا الباب الا يسيراً ، مثلما هو مدون عرضاً في هذا الفصل او في غيره من هذا الكتاب او مما قد يقع العثور عليه استقبالا . وعلى كل حال فالأمر عسير ان حاولنا استخلاصه من التراث المغربي العتيق او من تقارير القناصل ومراسلاتهم الموجود طرف منها بالخارج على ما هو مرجح . ومن المشكوك فيه ان يكون ذلك لا يزال محفوظاً ببلدنا حتى الآن لدى الأسر التي كانت تتعاطى التجارة مع الخارج او بالمهجر ، ما عدا القليل (كآل فرج بالرباط او آل التازي وغيرهم) لنستطيع معرفة حجم المبادلات وادراك الاطار القانوني الذي كانت تسير عليه المعاملات بين المغاربة والأجانب في أراضي الغرب . وحتى لو فرضنا وجود مراسلات وحسابات ودفاتر وعقود للتدليل على الرصيد العملي وعلى الموازنة بين الوطنيين والأجانب ، فان تحليل كل ذلك ودراسة ما فيه من عناصر ايجابية من اصعب الأمور لترجمة الواقع وابرار الحقيقة الاجتماعية والاقتصادية في القرن الماضي .

2 - التمثيل القنصلي بالخارج

آن التمثيل المغربي بالخارج كان محدوداً نطاقه . إذ عين مولاي سليمان ومن بعده من السلاطين قناصل او وكلاء في المدن الواقعة في طريق الحجاز في كل من جبل طارق وتونس ومالطة والقاهرة والأسكندرية للاهتمام بالجاليات المغربية وبالتجارة الوطنية معا .

أما بالبلدان الغربية فقد كانت بايطاليا قنصلية مغربية لدى بسلام طورينو مع الاقامة بجنوة ولكن سرعان ما طمست معالم هاته الوكالة (1) . ولئن لم يرد اسم الوكيل في بعض المصادر فان نسبه هو مودنة الذي كان قنصلا بجنوة عند ما كان ابن عليل قنصلا بجبل طارق (2) . وهكذا كان للمغرب قنصليتان بأروبا : واحدة بجنوة ما لبث ان افل نجمها ، واخرى بجبل طارق استمرت في نشاطها نحو القرن من الزمان ، للصداقة التي كانت تربط المغرب ببريطانيا التي كانت بالرغم من ذلك قد اعترضت في صدر القرن التاسع عشر على تعيين قنصل بلندن (3) .

ومثلها في ذلك فرنسا التي مانعت في توطين وكيل مغربي بمرسيليا سنة 1828 كان هو هارون اسرائيل الذي كان تاجراً هناك . ثم تجددت المحاولة سنة 1838 لكي يُصبح اليهودي المغربي كوهين صولال - الذي استوطن هاته المدينة قبل تلك السنة - قنصلاً ثمة . وكانت له بذلك رغبة ليتحلل من أداء الديون التي عليه قبيل الناس . وظلت فرنسا على رفضها الشديد آنذاك وبعده سنة 1856 عندما طلب يهودي من حلب من اسرة الاطراس Alatras نيل هذا التعيين لنفسه (4) .

-
- 1 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 29
 - 2 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 125
 - 3 . روجرز : « تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى 1900 » ص 184
 - 4 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 89 و 95 (4)

وفي سنة 1865 كان من اغراض سفارة بنسعيد والشرثي الى باريس الحصول من فرنسا على تأييدها لتعيين سفير مقيم بالعاصمة الفرنسية حسبما سيأتي خبر ذلك في موطنه .

ومما لا ريب فيه ان المانيا واسبانيا وغيرهما من الدول لم تكن لتقبل عرض المغرب — ان كان فعلا قد قدم طلباً بذلك — لأن التجارة معها لم تكن نشيطة ولأن المخزن كان يتجنب تمثيله فيها ولاسيما اذا كان على يد العنصر اليهودي .

* * *

هذا عن اروبا ، اما بالبلدان الاسلامية فلم يكن لهذا التمثيل من وجود رسمي ما عدا بالقطرين المصري والتونسي ، في حين كان للسلطان ممثلون شخصيون باسطنبول .

وقد بذلت الدولة العثمانية مساعي لربط الاتصال بنصب مفوضية بطنجة ، لكنها لم تكن ذات جدوى كما سيأتي .

ويغلب على الظن انه كان للسلطين المغاربة وكلاء او عملاء لدى ولاية طرابلس في القرن الثامن عشر . ومثل ذلك بالجزائر في العهد العثماني . لكن الاحتلال الفرنسي كان حائلا دون استمرار ذلك . اذ كان لداي الجزائر وكيل بتطوان سنة 1817 هو عبد الكريم ابن الطالب ، ولا شك ان بعض التجار المغاربة بالجزائر كانوا يقومون بنفس المهمة قبل الوجود الفرنسي او بصفة شخصية او رسمية .

وعند حلول مواسم الحج كان السلطان يعين أمير الركب لمساعدة الحاج . اما اعمال البر فكان يوفد لها أمناء او يكلف بها اشخاصاً رسميين مثل ما فعله سنة 1274/1858 عند ما عين مولاي عبد الرحمان وكيله بمصر الحاج محمد الرزيني لشراء عقار وتحبيسه على مؤذني الحرمين .

وعلى الرغم من وجود احباس بالقدس فلم اعثر على من كان مكلفاً بها ، ويُفْتَرَضُ أن بعض المغاربة كانوا يتولون ذلك . اما بالبلدان الأخرى من عربية و افريقية حيث كانت تقيم جاليات مغربية فلم اقف على اسماء وكلاء سلطانيين .

* * *

3 - المغاربة في الخارج

فعلى هذا اذن عاش طائفة من المغاربة خارج بلدهم امدأ طويلا للتجارة ، او لها وللإستيطان ايضاً ، او لطلب العلم ، او قضوا شهوراً معدودة لأداء فريضة الحج او للمجاورة والعمرة .

ولن اتحدث الا عرضاً عن الفقهاء والطلبة وعن افواج الحجيج ، لأن تناول الكلام عن هذين النوعين من المهاجرين ليس من اختصاص هذا التأليف ولا من مقاصده ، فقد تكفل باحصاء اعضاء البعثات الطلابية الى الخارج قليل من المؤلفين المحدثين والقدامى مثل عبد الرحمان ابن زيدان ومحمد المنوني ، وفصلوا بعض القول عنهم حسبما لديهم من وثائق ومراجع .

أما الحجاج فلا علاقة لهم بمسائل الحماية ولو أن النواب كانوا يتدخلون لفرض الحجر الصحي بالصويرة وطنجة عليهم عند رجوعهم من الديار الحجازية ، ولو أن من أسباب تعيين قناصل المغرب بجبل طارق والشمال الافريقي كان ايضاً العناية بشؤون الحجاج الذين كانت اعدادهم في اواخر القرن تتراوح فيما بين 1000 و 2000 في المعدل (5) ، إثر انخفاض اثمان النقل البحري بعد ان كانوا لا يتجاوزون 100 حاج سنة 1826 و 250 سنة 1842 بينما غرق سنة 1838 منهم 73 حاجاً (6) دون ان يعلم العدد الكامل للحجاج في هاته السنة الأخيرة .

5 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 212

6 . مبيج : « المغرب واروبا » : 2 ص 155 (2)

كان اول الناس نزوحا الى الخارج عنصر اليهود الذين ربطوا اتصالات وثيقة مع بلدان اوروبا فمثلوهم تارة بوصفهم قناصل ، ومع تجارهم فكانوا تارة اخرى وكلاء لهم قبل منتصف القرن التاسع عشر في عدد من الثغور المغربية . ولما ظهر لهم ان في تلك التجارة ربحاً وفيراً بالخارج هاجروا — في الغالب بايعاز من المنظمات اليهودية العالمية — الى الأقطار الغربية فاستوطنوها وكانوا في ذلك يرمون الى الاثراء والى اجتناب ضغط الحكام المغاربة عليهم والأمان على انفسهم وأموالهم بالتجنس والاحتماء .

ولم يقتصر الأمر على اليهود المغاربة فسرعان ما تفتن لذلك مغاربة مسلمون من فاسيين وتطوانيين ورباطيين فنزحوا منازل مختلفة .

وكان بعض التجار لا يعودون الى مساقط رؤوسهم الا متى أثروا وكان منهم من يقضي بين 20 و 25 سنة بالمهجر ، على ان كثيراً ممن عادوا بين 1885 و 1890 احتلوا مناصب مخزنية مختلفة (7) .

وهكذا لم تخل مدينة تجارية مهمة في القارات الثلاث من تجار مغاربة اغنياء نشيطين استطاعوا بمواهبهم ان يبرزوا الأروبيين (8) . ومن تلك المدن منتشيسطر وليقربول وهامبورغ وجبل طارق والجزائر وليفورنو وتونس والقاهرة وبירות وديكار وتمبوكتو (9) .

وحوالي 1860 سافر نحو 3 آلاف مغربي الى الخارج ، منهم 400 او 500 الى اوروبا والباقي الى المشرق (10) بعد ان كان المخزن يمنع النزوح الى الخارج . اذ في بداية القرن التاسع عشر كان السلطان مولاي

7 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 214

8 . عبد الله العروي « الأصول ... » ص 105 (نقلا عن « تقويم المؤيد » 1900/1324) .

9 . المصدر السابق ص 107

10 . عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ج 1 ص 82 (نقلا عن كتاب « وصف المغرب وتاريخه » الذي ألفه الراهب ليون كودار L. Godard في جزأين سنة 1860) .

سليمان يحول بين المغاربة وسفرهم الى الأقطار الأجنبية . الا انه تساهل مع اليهود . « واما المسلمون فممنوعهم من التجارة بأرض العدو لئلا يؤدي ذلك الى تعشير ما بأيديهم او المشاجرة مع الأجناس » (II) .

ولكن خلفه مولاي عبد الرحمان لم ينهج نفس السياسة فسرح السفر لذوي المروءة منهم ، وهذا ما قاله في رسالته سنة 1824 الى محمد أشعاش عن ركوب البحر : « وقد كان في عهد سيدنا الكبير لا يركبه الا فلان ممن له دنيا ودين ، فصار اليوم مكلّعة . فليكن عملك على تسريح اهل المروءة والدين والمال دون غيرهم » (I2) .

وكان لموسري التجار المغاربة بالجزائر وجبل طارق قليل من الاحترام لدى الأوساط الشعبية بالرغم من تسميتهم تجار السلطان . فالصوفي محمد الحراق التطواني المتوفى سنة 1854 التفت الى رجل يتجر في جبل طارق منذ عشر سنين ولا يأتي لتطوان الا قليلا فقال : يا فلان ، هل ضاقت عليك الأرض فلم تجد متجراً الا في بلد الكفر وسهل عليك معاشرتهم تاركاً الجماعات والجماعات والغنى بيد الله ؟ (I3) ولا شك انه كان يخشى عليه — بمعاشرة النصارى — الارتداد عن دينه كما سيرد بانجلترا . وهذا حكم قاس عنيف متطرف .

فكلامي اذن سينحصر فقط في الذين استوطنوا البلدان الأجنبية — للتجارة والمكوث الطويل منذ أوائل القرن التاسع عشر تقريبا . وسيكون علي ان اميز بين من ذهبوا للبلدان الغربية النصرانية وبين من رحلوا الى الأقطار الشرقية والافريقية الاسلامية .

* * *

11 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 8 ص 169 وعبد الله العروي : « الأصول ... » ص 320 و « تاريخ المغرب » لجماعة من المؤلفين ص 285

12 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 91

13 . المصدر الأخير ج 6 ص 394 وكذلك عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 321 (نقلا عن ص 413 من مخطوط « اختصار الابتسام » لمحمد بن الحسن الحجوي) .

3 . 1 : المهاجرون الى الأقطار المسيحية :

نزع المغاربة في أعداد قليلة طبعاً الى الولايات المتحدة وانجلترا
والمانيا واسبانيا وفرنسا وإيطاليا وجبل طارق والبرازيل والأرجنتين
والشيلي والبيرو وبنزويلا كما سيذكر فيما بعد .

ولئن كنت سأقصر بحثي على المسلمين فقط بحيث لا أتطرق للحديث
عن اليهود الا نادراً ، فما ذلك الا لأنني لم استطع التمييز بين يهود المغرب ويهود
غيره . وغالب كلامي ان سيكون خاصاً بالمسلمين من تاجر ومفتربين .

* * *

أ - الولايات المتحدة الأمريكية :

1 - الحسن السوسي : هاته التسمية ناقصة فلا تكفي لمعرفة هذا
التاجر الذي كان يقيم بأمريكا التي لعلها الولايات المتحدة ، من غير ان تذكر
الوثائق الناحية التي كان مستقراً بها . فقد ورد عنه أنه لما عاد الى المغرب
حظي بمقابلة السلطان الحسن الأول الذي « أكرمه بفرس عتيق بسرجه مذهباً
وسرح له وسقه لأمريكا دون كراء يلزمه » (14) وذلك قبل 1892 .

2 - الحاج عبد الله بن القهامي البقالي : كان مقيماً حوالي 1892 أيضاً
بالولايات المتحدة دون توضيح المدينة التي كان يقطن بها . وكان له وكيل
بالجديدة في شخص أخيه الحاج محمد . وقد ورد عنهما ان « القائد عمر
الشتوكي قد استولى على ماله » أي ما كان يملكه الحاج محمد « من البلاد
والسواني ببلاد شتوكة . وكان الحاج عبد الله يوجه للقبيلة اوراق المخالطة
على يد أخيه الحاج محمد بقصد اشترائها وصار يخوض بقبيلة شتوكة

14 . رسالة غريط الى الطريس في 8 رجب 1309/7 يبرابر 1892 - محفظة
الطريس 22 .

ويستدعي الناس للحماية والمخالطة » (I5) . ولما كان الحاج محمد يريد مغادرة المغرب للالتحاق بشقيقه منحه الكولونيل ماثيوز من ذلك (I6) .

3 — ليون غزيريل : كان يقيم بمدينة نيويورك للتجارة سنة 1888 . وكان له سماسرة بالمغرب وخاصة بالقصر الكبير كما سنرى ذلك في محله .

4 — إلياس ابن الطويل : وكان مستوطنا باحدى مدن الولايات المتحدة قبل ان يعود سنة 1889 الى المغرب (I7) ويقيم بمدينة العرائش بوصفه نائبا قنصليا كما سيرد خبر ذلك .

* * *

ب — إنجلترا :

لا مرأى في أن التجارة بإنجلترا كانت تستهوي أفئدة عدد من المغاربة على اختلاف مشاربهم وديانتهم . ففي سنة 1886 تضخم أفراد الجالية الفاسية بمنشيسطر بعد ان كان أعضاؤها قليلين سنة 1860 . وفي سنة 1892 وصل عدد المسلمين بهاته المدينة الى 40 شخصا ارتد منهم اربعة عن الديانة الاسلامية واعتنقوا البروتستانتية (I8) .

ولم يكن المغاربة يذهبون لإنجلترا للتجارة فقط بل توجه ايضا حوالي 1876 ستة من الصناع للمشاركة في معرض للصناعة التقليدية حسبما يبدو من توصية صدرت في شأنهم لكي ينفذ « لعيال المعلمين الستة » الذين توجهوا للوندريز من النجار والفخار والحداد ومن معهم ، نصف ما قبضوه من الصلة والزرع عند سفرهم إعانة لهم » (I9) .

I5 . من رسالة موجهة الى باشدور المركان في 23 ربيع الثاني 1310/13 نونبر 1892 — محفظة المغرب امريكا .

I6 . رسالة الى فليكس ماثيوز في 26 جمادى الأولى 1310/16 دجنبر 1892 — نفس المحفظة .

I7 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 577

I8 . مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406 (3)

I9 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الأتحاف » ج 4 ص 373

وحوالي 1874 كان بمدينة مانشستر وحدها حوالي 12 شركة مغربية لشراء المنسوجات القطنية (20) .

وبعد ان يثروا في بلاد تجارتها تعتمد على التوسط في بيع الانتاج الأجنبي والانتاج البريطاني معاً يعودون الى المغرب . وكثيرون هم الذين يرجعون مثل ذلك الشيخ الرباطي « الذي قضى بانجلترا 16 سنة ويتحدث الانجليزية بطلاقة » المذكور في كتاب الرحالة إدموند هولت (21) .

ومن التجار والشركات التي كانت ترتبط بمعاملات وتبادل ، اذكر وليام غراهام : W. Graham الذي استمرت داره على علاقة مع المغرب طيلة 50 سنة . أما شوستر : Shuster وغلأسفورد : Glasford وشركة طوطل وبرودهارست ولي LEE, Tootal, Broadhurst وشركة بيتي التجيلد : Betty Altgeld فقد كانت لهم مبادلات (22) اما مباشرة واما عن طريق متاجر جبل طارق واما بواسطة تجار مستقرين بأغلب الثغور والمدن المغربية .

ولم يكن بانجلترا فاسيون فقط ، بل كان بها ايضا حوالي سنة 1840 من اهل سوس « 30 مشعوذاً باثروا ألعابهم في مدينة لندن وتزوج احدهم بفتاة انجليزية اولدها ابنا اسماء عليا » (23) حسبما ذكره الرحالة الانجليزي الدكتور أرثور ليرد A. Leared الذي لما وصل الى مرسى الصويرة خاطبه بحري بلغة انجليزية جيدة ، فكان ذلك سبباً في استفساره عن حياته فعلم انه ولد بانجلترا ثم عاد الى المغرب قبل ذلك التاريخ .

ويبدو ان عليا المذكور هو المدعو علي ورصاص الذي كان بحريا يعمل في السفينة الانجليزية « مكناس » التي أخرج منها بمرسى الصويرة سنة

20 . جان لوي مياج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406 وأوجين أوبان « مغرب اليوم » ص 298

21 . سلسلة « جولات في مغرب أمس : 1911 » لعبد المجيد بنجلون الذي تطرق الى تعريب الرحلة ببعض التصرف ص 52 .

22 . جان لوي مياج « المغرب واروبا » ج 2 ص 510

23 . سلسلة « جولات في مغرب أمس : 1872 » ص 45 لعبد المجيد بنجلون الذي لخص رحلة الدكتور أرثور ليرد الى المغرب .

1889 أسلحة « بلدية اخذت منه كطربنضوا » (24) . ثم لا يستبعد ان يكون عليّ هو المدعو علي أدولفوس قاسم الذي كان احد الرعايا المغاربة المولودين بانجلترا وكان بَحَاراً وكان عمره سنة 1871 يبلغ 24 سنة . وقد ورد اسمه بعد اسم امرأة تدعى ميري أن بن قاسم Mary Ann المولودة بانجلترا وعمرها 60 سنة (25) . ولا شك انها امه . وهكذا فان الشخصين علي ورصاص وعلي أدولفوس قاسم ما هما الا شخص واحد على الراجح الأغلب .

أما باقي المستوطنين والتجار بانجلترا فهم :

I - الحاج الطالب بن الحاج حمادي الأزرق الذي كان تاجرا قبل 1886 بمدينة منشيسطر ولمدة طويلة . وكان اخوه الحاج محمد شريكاً له بفاس . ولما عاد الحاج الطالب الى المغرب صار وكيلا عن الشركة الانجليزية كودينغتون (؟) Coddington (26) ثم وكيلا للتاجر (أو للتاجرين) طوماس ث . و'رثس' Thomas Th. Worth (27) .

2 - محمد بناني : كان يقيم بمنشيسطر ايضا حوالي 1891 ، ولكن كانت له كذلك محلات تجارية بمصر . على انه كان له نائب بفاس هو اخوه الذي كان يتوصل بالسلع من شقيقه محمد ليبيعه بالمغرب ويصدر لمصر أيضا بضائع مغربية مثل الأحذية التقليدية (البلاغي) . وقد ورد عنه اتخاذه الجنسية البريطانية (28) . كما ان عائلة بناني كانت تقيم بهاته المدينة مدة تزيد عن 40 سنة (29) أي منذ 1867 .

24 . رسالة الأمين أحمد التازي وعبد السلام غرسية الى السلطان في 28 جمادى الثانية 1306/28 يراير 1889 - محفظة الصويرة 4 .

25 . ميج « المغرب واروبا » ج 5 ص 160 .

26 . رسالة كربي كرين الى الطريس في 11 نونبر 1886/14 صفر 1304 - محفظة المغرب بريطانيا .

27 . رسالة كربي كرين الى الطريس في 30 شتنبر 1887 - نفس المحفظة .

28 . رسالة هربيرت وايط الى الطريس في 12 ماي 1891/3 شوال 1308 نفس المحفظة .

29 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80 (نقلا عن « تقويم المؤيد » 1906/1324) .

3 – الحاج الطالب الحلو : كان مقيماً مدة تزيد – قبل 1871 – على العشرين سنة . وقد اكتسب الجنسية البريطانية (30) ولم يعرف نوع نشاطه الذي قد يكون هو التجارة .

4 – الحاج أحمد جسوس : استوطن الحاج أحمد هذا مدينة منتشيسطر واتخذ الجنسية البريطانية . وكان يتجر بها ، ومن جملة تجارته استيراد الجلود التي ثقفها امناء المكس بفاس على اخيه وشريكه الحاج أبي بكر سنة 1886 حتى يؤدي عنها الواجب في ذلك (31) .

لكن ذكرت مصادر اخرى ان اسرة جسوس دون تحديد كانت تعيش حوالي 1907 بلندن (32) وأن آل جسوس كانوا موزعين بين هاتين المدينتين وجبل طارق وغيرها ايضا .

5 – الحاج المهدي ميكو : كان مقيماً ايضا بمنتشيسطر حوالي 1887 . وكان من جملة شركائه في التجارة عبد الواحد الحلوي والحاج عبد الكريم بنيس الذي كان أميناً للمكس بطنجة . وفي تلك السنة قدم ميكو الى المغرب لاستخلاص أمواله بمراكش والدار البيضاء والجديدة وفاس . وعن زيارته صدرت توصيات عليه لدى السلطات (33) .

ويبدو أن احد التجار البريطانيين كان شريكاً له وهو وليام فري (؟) W. Furrey الذي قدم سنة 1888 ليتابع شخصياً أو لفائدة الحاج المهدي نفس التجار (34) مما يدل على ان رحلة الحاج المهدي الأولى لملاحقة زبنائه امام القضاء لم تثمر شيئاً .

30 . رسالة بوشتي ابن البغدادي الى الطريس في 22 رجب 1308/3 مارس 1891 – محفظة الطريس 20 .

31 . رسالة جون هي الى الطريس في 20 ماي 1886/12 شعبان 1303 – محفظة المغرب بريطانيا .

32 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80

33 . رسالة كربى كرين الى الطريس في 3 اكتوبر 1887/14 محرم 1305 – محفظة المغرب بريطانيا .

34 . رسالة كربى كرين الى الطريس في 7 نونبر 1888 – نفس المحفظة .

6 — اسرة بنيس : لم يعرف من اسرة بنيس من كان تاجرا بمدينة ليثربول في نهاية القرن التاسع عشر او بداية القرن العشرين ، لكن هذا التاجر كان موجوداً بتلك المدينة في ذلك الوقت (35) .

7 — عزوز ابن كيران : كان يعيش للتجارة بمنشيسطر سنة 1863 وكان يستثمر قسطاً من امواله بالمغرب كما كان من الذين بقوا هناك حتى سنة 1893 او بعدها (36) .

8 — الحاج الطالب ابن جلون الفاسي : الذي اكتسب من تجارته بانجلترا منذ 1865 ارباحاً طائلة اقتنى ببعضها ملكية بأحواز الدار البيضاء سنة 1870 (37) وكان قبل 1883 متجنساً بالجنسية الانجليزية (38) وهو غير سميته الحاج الطالب ابن جلول (بلام ثالثة) المتوفى سنة 1846 والذي سيأتي خبره بجبل طارق .

9 — أبو عمرو الأحرش السلاوي : اتجر بلندن قبل 1886 . ولعله كان من مصدري الصوف المغربي بعد عودته للمغرب . وقد وقع له إفلاس فيه فاعتقل في تلك السنة على يد عامل مدينة سلا (39) . وكان مديناً للتاجر : لِقِلْدَل والتاجر: رَغْ . على أنه كان له شركاء آخرون في التجارة أحدهما شقيقه الحاج محمد الأحرش والآخر كان هو أبو مُسَلِّك (40) . ولعل التاجر الأول هو : لي طوطل Lee/Tootal والثاني هو : راج ROGG او RUGG

35 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80

36 . جان لوي ميبج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 32 و ج 4 ص 406

37 . المصدر الأخير

38 . رسالة بركاش الى السلطان في 12 قعدة 1300/14 شتنبر 1883 — محفظة المغرب بريطانيا .

39 . رسالة الحاج محمد بنسعيد الى السلطان في 24 ربيع الثاني 1303/30 يناير 1886 — محفظة الحاج محمد بنسعيد .

40 . رسالة جون هي الى الطريس في 26 جمادى الأولى 1303/2 مارس 1886 — محفظة المغرب بريطانيا .

IO - **بنعاشر العوفير الرباطي** : كان تاجرا بمنتشيسطر قبل سنة 1887 وكانت عليه ديون من قبل لتلدل ورغ سابقى الذكر مع الأحرش . وبعد رجوعه الى المغرب التمس نيل الحماية البرتغالية حسبما سيرد ذكره مع البرتغال بالجديدة .

II - **الحاج عبد الكريم بريشة** : كان يتجر بالمغرب ومنتشيسطر وبلدان المشرق العربي حسبما هو مذكور في ترجمته مع موظفي النيابة السلطانية بطنجة ومع السفراء .

I2 - **محمّد بن عبد الرحمان برغاش** : قضى وزير الخارجية شبابه بجبل طارق وبلندن مشغلا بالتجارة (41) حسبما ذكر في ترجمته .

I8 - **هارون أفرياط** : وقد استقر بمدينة منتشيسطر (42) مبكرا ولعل من أقاربه يعيش ويوسف أفرياط واردي الذكر اللذين كانا بلندن في اواخر القرن .

I4 - **محمد بنعزوز الفاسي** : كان تاجرا بلندن وكانت قد ترتبت عليه ديون من قبل تجار إنجليزيين سنة 1880 (43) . ولعله هو ابن عبد الرحمان بن محمد ابن عزوز الذي كان يتجر بلندن قبل 1903 فتوسل أبوه عبد الرحمان الى الله لكي يسهل رجوعه الى المغرب فعاد فعلا في هذه السنة الأخيرة (44) .

ويذكرني هذا الابتهاال الى الله بتضرع مقارب له . فقد كان لبعض أصحاب محمد بن عمر الدباغ الادريسي « أب يتاجر في بلاد الروم . وكان خائفاً عليه ان يموت هناك » . ففاتح ابن' التاجر في ذلك محمد بن عمر الدباغ فطمأنه - حسب رواية صاحب « الأعلام » - قائلا : « عليّ بالحرام لا يموت

41 . هنري ده لامارتينيير « ذكريات عن المغرب » ص 29

42 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 510 (9)

43 . عبد الرحمان ابن زيدان : الاتحاف » ج 2 ص 379 - 380

44 . العباس بن ابراهيم : الأعلام ... » ج 8 ص 151

والدك الا في بلاد الاسلام ! قال : فكان كذلك » (45) . ولعل في الرواية خلطاً مع ان المسألة واحدة .

I5 — موسى المسيح : وهو من يهود المغرب وكان تاجراً بالرباط والدار البيضاء قبل 1865 وهي السنة التي هاجر فيها الى لندن للتجارة وقضى هناك ثلاث سنوات . ولما عاد الى المغرب سنة 1868 اختار المقام بالصويرة (46) .

I6 — مَفَاهِيم أَفَلالو : كان تاجراً للسلطان ، ولكنه كان متتأجلاً ومن اصل صويري . وكان سنتي 1878 و 1879 كاتباً للجنة إسعاف ضحايا المجاعة والأوبئة ومراسلاً لعدة صحف بطنجة وانجلترا . وبعد وفاته سار ابنه على منواله (47) .

I7 — عبد الرحمان بناني سميرس : كان محمياً فرنسياً ومن كبار الرحالة . وكان له مركزان تجاريان بمنتشيسطر في نهاية القرن الماضي (48) .

I8 — عبد الوهاب القازي : محمي إنجليزي ، فتح مركزاً تجارياً بمنتشيسطر (49) ولست أدري متى كان ذلك وسيأتي الكلام عنه وعن سابقه وعن غيرهما في مكان آخر .

I9 — الحاج محمد الأزرق : هو من الذين اتجروا بمقاطعة لانكشير ، اي ليفرپول ومنتشيسطر بين 1887 و 1893 . وقد أسس أيضاً داراً تجارية

45 . العباس بن ابراهيم : « الأعلام » ج 6 ص 321

46 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 574 (13) ولائحة سماسرة تجار انجلترا سنة 1879 .

47 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 56

48 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال : فاس في القرن التاسع عشر » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » ع 8 سنة 1980 ص 123

49 . نفس المصدر والصفحة

بالقاهرة وتجول بأروبا وكان محميا انجليزيا (50) . وقد تقدم في بداية هذا الفصل انه كان تاجرا بفاس وشريكا لشقيقه الحاج الطالب .

20 - **المكي بنعبد الله** : فتح مركزا تجاريا بلندن سنة 1890 (51) .
وكان قبل ذلك شريكا لتاجر بجبل طارق يدعى بوطالب وقد صدرت عليه الوصاية قبل سنة 1880 لدى السلطات المغربية (52) .

21 - **الحاج عبد السلام بن الحاج محمد التازي الرباطي الملقب موخا** : كان امين الأمناء سنة 1890 وكان « اول امره يتعاطى التجارة بأروبا ثم ببلده ... وجاب كثيرا أقطار اروبا وتوفي في 26 صفر 1325 هـ (53) أي 10 أبريل 1907 . وهكذا كان تاجرا ببريطانيا وبالأخص بمنشيسطر ، وفي سنة 1887 أسس فرعاً تجارياً بجبل طارق . اما نشاطه فكان ببريطانيا يدور حول القطن (54) .

22 - **الشيخ التازي** : من كبار تجار فاس . استوطن مدينة منشيسطر للتجارة في المنسوجات القطنية . ولما عاد الى المغرب عين امينا بمرسى أسفي ثم صار امين الشكارة بفاس . وعند وفاة الحاج عبد السلام التازي سنة 1907 حل محله في منصب امين الأمناء (55) .

23 - **الحاج المدني التازي** : غادر المغرب حوالي 1870 للاستقرار بالجزائر أولاً ثم بمدينة منشيسطر ثانياً . وقد رجع الى المغرب بعد الأثراء (56) .

50 . نفس المصدر ص 122 وجان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406

51 . ادريس بنعلي : « مثال ... » ص 123

52 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 311

53 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 363 و 370

54 . عبد الهادي التازي : « رسائل مخزنية » ج 1 ص 53 و 62 - والدكتور

فيسجيربير : « على عتبة المغرب الحديث » ص 67

55 . اوجين اربان « مغرب اليوم » ص 217

56 . نفس المصدر ص 338

24 - ابن يعقوب بَرِينْطِي هو من مدينة طنجة حيث كان أبوه قاطنا بها حوالي 1842 . أما الابن ، الذي لم اقف على اسمه التام ، فقد رحل الى لندن للتجارة هناك وهرباً من المتابعات القضائية ، لأنه كان متهما بأكل اموال الناس تحايلاً ونصباً (57) .

25 - مايير بن مَقْنِين . من مدينة الصويرة حيث كان يتولى الوكالة القنصلية عن فرنسا . وكان رجل اعمال بمرسيليا حيث قضت عليه محكمة تجارية بأداء دين قِبَل تجار من هاته المدينة قدره 25 ألف قرش سنة 1823 . وزيادة على ذلك ، كلفه مولاي عبد الرحمان بمهام رسمية لدى بعض الدول الأوروبية ولاسيما انجلترا . وقد عيَّنه أمينا بمرسى الجديدة . وفي سنة 1823 أمضى ميير بضمانة القنصل سورود Sourdeau العقدة المعروفة بكنطرده أوثرار Ouvrard لتموين الجيش الفرنسي المرابط باسبانيا . وكان حاضرا في التوقيع عامل طنجة محمد وميمون الكرواني . وتعلق الاتفاق المبرم بتصدير 4000 راس من الثيران و 300 ألف قنطار من الشعير ولو ان ذلك لم يُنفَّذ في الحين ولم يوسق الا 731 ثورا و 893 قنطارا بسبب المجاعة التي تلت هاته المدة .

وقد استقر ابن مقنين سنة 1828 بلندن (58) .

26 - الحزان يوسف المليح الصويري كان من كبار الأغنياء وتوفي بلندن سنة 1886 . ولما كان بالصويرة اسندت اليه النيابة القنصلية عن الأمبراطورية النمساوية الهنغارية (59) . ومما لا شك فيه انه كان تاجرا بالبلاد الانجليزية .

57 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 400 .

58 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 156 و 159 حيث صورة العقد ، ومييج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 9 و ج 2 ص 40 (1) .

59 . المصدر الأخير ج 2 ص 441 (3) .

27 — موشي لاريدو في سنة 1891 رحل الى لندن للتجارة هناك (60) ولعله من يهود طنجة .

28 — أحمد بن محمد بن عبد الله

29 — ومحمد بن المفضل الكوهن اللذان كانا سنة 1902/1320 تاجرين بمدينة منشيسطر (61) .

30 و 31 — يعيش ويوسف أفرياط . قطنا بمدينة لندن سنة 1893 (62) .

32 — الاخوة لبيبي أو الليوي يولي ، المولود بعضهم بانجلترا ، وكانوا سنة 1871 من الرعايا البريطانيين المقيمين بالصويرة واتخذوا لهم سماسرة في قائمتي سنة 1884 و 1889 الأنجليزيتين . واغلب الظن انهم مغاربة .

هؤلاء هم بعض المستوطنين ببلاد الأنجليز . وستأتي اسماء اخرى في غير هذا المكان .

* * *

ت — فرنسا

مرسيليا كانت تقريبا هي المدينة الفرنسية الوحيدة التي كان يؤمها التجار المغاربة من يهود ومسلمين ، لأنها كانت باب فرنسا الجنوبي واحد المراسي الكبرى بالبحر الأبيض المتوسط .

لم يلاحظ السفير المغربي ادريس ابن ادريس أثراً لمواطنين هناك سنة 1860 ولكنه وجد تجارا مسلمين (63) هم في الغالب من الشرق وافريقيا

60 . رسالة وايط الى الطريس في 5 يونيو 1891 — محفظة المغرب بريطانيا .

61 . رسالة محمد بن محمد مزور الى امين الأمناء محمد التازي في 20 جمادى الاولى 1320/25 غشت 1902 — محفظة المغرب انجلترا .

62 . رسالة ريدجوي الى الطريس في 5 يوليوز 1893 — بنفس المحفظة .

63 . مبارك زكي : « من ادب الرحلات ... » في العدد 31 من مجلة « البحث العلمي » اكتوبر 1980 ص 82 .

الشمالية . لكن كان ثمة مغاربة مسلمون بعد ذلك الوقت او قبله مثل مَحْمَد الخطيب ومصطفى الدكالي .

اما الباقون فكان منهم :

I - ابن زكري : لم يرد ايضاح اسمه ، لكن كان أخوه هو الحاج الخياط ابن زكري التاجر بفاس . كان ابن زكري يعيش بمرسيليا للتجارة وفيها توفي سنة 1882 (64) .

2 - الحاج علي بن الحاج : من أرومة تطوانية . وكان أميناً للداخل (65) قبل مغادرته المغرب . ولكنه بعد الرجوع اليه صار أميناً وعاملاً في نفس الوقت لمدينة الصويرة حوالي 1896 وبها توفي بعد سنتين (66) . وبين هاتين المدينتين قضى أزيد من 25 سنة بأروبا تاجرا أي منذ حوالي 1870 فاستقر بمدينة مرسيليا كما اتجر بجبل طارق وجنوة (67) .

3 - الحاج عبد الكريم بنجلون : كان تاجرا بمرسيليا قبل 1840 . وكان يوجه سلعه الى جبل طارق مرورا بمرسى برشلونة . ولما حجزتها السلطات الاسبانية آنذاك قدم المغرب احتجاجاً على ذلك (68) . وسيأتي أنه كان سفيراً الى انجلترا سنة 1860 .

4 - الحاج محمد الحلو الفاسي المتوفى في نهاية القرن التاسع عشر . وكان شريكا لدار تجارية فرنسية بمدينة مرسيليا التي استوطنها مدة معينة . وهو شقيق الحاج المهدي الحلو أمين الشكارة في العهد العريزي . وبهاته المدينة عاش افراد آخرون من آل الحلو بقصد التجارة (69) .

64 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 405

65 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 515

66 . محمد بن سعيد الصديقي « ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة » ص 133

67 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406

68 . المصدر السابق : 2 ص 141 (2) .

69 . محمد المنوني « مظاهر ... » ص 80 وأوجين أوبان « مغرب اليوم »

ص 214 .

5 — آل مزور : كان تاجر من هاته الأسرة يعيش بمدينة مرسيليا سنة 1872 ، ومنها كان يوجه السلع لأخيه محمد مزور بفاس ولعمر مزور بالدار البيضاء (70) . ولم يرد بيان عن اسم هذا التاجر .

6 — محمد بن العياشي بناني : كان تاجرا بمرسيليا سنة 1863 . وكان يستثمر جزءا من أمواله بالمغرب (71) ويصدر بضائع من فرنسا سنة 1871 ومنها الكبريت (72) ولا تعرف علاقته بمحمد بناني الذي نزح الى مرسيليا للتجارة سنة 1847 . فهل كان سميّه ؟

7 — الحاج محمد القباج : وقد حضر عددا من الحفلات والمهرجانات كالمعارض . وكان في وقت ما ، تاجرا هناك ، ولذلك كان يسمى الفرنسي اوي تمييزاً له عن غيره . ولكنه عاد الى المغرب وعاش بفاس آخر القرن .

8 و 9 — ولدا المعطي : وهما اليهوديان إيلي ورفائيل . وكانا يتجران في المجوهرات وكانت لهما علائق بالسلطات المخزنية (73) .

10 — محمد بن عبد القادر بنيس : كان محميا فرنسيا وسافر الى الخارج وكانت له تجارة نشيطة مع مدينة ليون (74) .

11 — محمد بن أحمد بنيس : كانت له دار للمنسوجات بليون (75) .

12 — المفضل بنجلون : كان أمينا بمختلف المراسي لكنه كان تاجرا بمدينة مرسيليا مدة سبع سنوات قبل انتصاب الحماية الفرنسية بأعوام كثيرة (76) .

* * *

70 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406

71 . المصدر السابق ج 3 ص 32

72 . رسالة امناء العرائش الى محمد بن المدني بنيس في جمادى الاولى 1288 / منتصف سنة 1871 — محفظة العرائش 1 .

73 . محفظة الحاج عبد الكريم بريشة .

74 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 124

75 . المصدر السابق

76 . 1 . برولتي : « الكتاب الذهبي ... » ص 6

ث - المانيا :

I - محمد عيوش : كانت له دار تجارية بهامبورغ سنة 1907 . وفي سنة 1914 فتح داراً أخرى بمدينة روما الإيطالية (77) .

2 - أسرة القباچ : كان أحد أعضاء هاته الأسرة يعيش بمدينة هامبورغ في نهاية القرن التاسع عشر (78) بقصد التجارة على ما يظهر . ولم أقف على أسماء أخرى .

* * *

ج - ايطاليا :

I - عبد السلام بن محمد بن الفقيه الشريف السلوي : أذن له السلطان مولاي عبد الرحمان « بالسفر بقصد التجارة في مركبنا السعيد » (79) بشرط أن يحافظ على الصلوات الخمس وألا يحمل الخمر والخنزير . ولم يرد أنه ذهب للتجارة بجنوة . لكن قد يكون المركب الذي هو « اصيلة » قد سافر الى ايطاليا وغيرها سنة 1825 .

2 - الحاج بناصر مرسيل : سمح السلطان له بالتجارة في المركب « ميمونة » وبالمرور بجنوة وجزيرة ماديرا المستعمرة البرتغالية بالمحيط الأطلسي (80) وذلك سنة 1829 .

3 - أسرة بوهلال : لم يرد ذكر اسم هذا الرجل من أسرة بوهلال . فهل كان التاجر هو عبد المجيد أم الحاج أحمد أم غيرهما ؟ وعلى كل حال

77 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 124

78 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80

79 . ظهير السلطان الى عبد السلام في 14 ربيع الأول 1241/27 أكتوبر 1825 في كتاب « الاتحاف » 5 ص 152 .

80 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 152 - 153

كان بوهلال تاجرا بجنوة بايطاليا (81) كما كان تاجرا هو أو غيره بجبل طارق للاستيراد وبالصويرة للتصدير (82) .

4 - **الحاج علي بن الحاج** : التطواني وقد سبق ذكره تاجرا بفرنسا .

5 - **الحاج ادريس بنونة** : كان تاجرا بجنوة وكان يقدم خدمات للمخزن حوالي 1892 وخاصة عندما طلب منه الأمناء توجيهه 25 ألف « فرنك » طلياني ففعل (83) .

6 - **تاجر آخر** : كان بايطاليا وهو من أصل فاسي لم يرد ذكر اسمه . وكان يملك كلاً أو بعضاً من السفينة التي أوصلت ابن طوير الجنة الى الحجاز في الثلث الأول من القرن التاسع عشر .

أما المدينة التي كان يقطن بها هذا الفاسي فالغالب أنها كانت ليقورنو التي كان يعيش بها كذلك جماعة من أهل فاس (84) لم يرد لأسمائهم أيضاً ذكر في كتاب الرحلة .

7 - **الحاج محمد بن سعيد** : كان تاجرا قبل توليه باشوية سلا حسبما سيأتي في غير هذا المكان .

* * *

81 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80 .

82 . مبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 32 .

83 . رسالة أميني مرسي أسفي محمد بن الطاهر التازي والحاج محمد حصار الى الطريس في 8 ربيع الأول 1310/30 شتنبر 1892 ثم رسالة الحاج ادريس بنونة الى الطريس في 21 ربيع الأول 1310/12 اكتوبر 1892 - محفظة الطريس 22 .

84 . عبد القادر زمامة : « رحلة من القرن 13 هـ / 19 م : رحلة المنى والمنا ، لجامعها ومنشئها الطالب احمد المصطفى ابن طوير الجنة » في مجلة « البحث العلمي » عدد 28 (يوليو / دجنبر 1978) ص 299 .

وقد تفتن زمامة الى اغفال الرحالة ذكر اسماء المغاربة الذين لقيهم خلال رحلته ولكنه لم يتنبه الى تحقيق اسم الحاضرة التي دعيت مرة اولى « قرن » ومرة ثانية « غرنة » ومرة ثالثة « فرن » . ولذلك رجحت ان اسمها هو ليفورنو ، لاسيما وابن طوير الجنة يصفها بأنها « مدينة عظيمة من مدن النصارى على شمال البحر في جانب العدو التي فيها الأندلس على نصف المسافة بين العرائش والأسكندرية » .

ج - اسبانيا :

1 - عمر بن ادريس برادة : أقام طويلا بمدينة اشبيلية وهاجر ابنه سالفادور الى البرازيل (85) .

2 - محمد برادة : هو حسب رسالة محمد الطريس الى الوزير محمد ابن العربي بن المختار « قديم الاستيطان باشبيلية حتى صار رعية صبنيولية وله دعاو ، طلب شد عضده على ما له من الحقوق في رسوم ديونية وارثية وأبى أن يطلب ذلك من عامل فاس الا من جنابكم ، محتجا بما لا فائدة من الاطناب فيه » (86) . ومعنى الرسوم الديونية انه كان تاجرا قبل ذلك التاريخ أي حوالي ما قبل 1875 ومحميا اسبانيا آنذاك (87) فجاء لاستخلاص ديونه .

3 - ولا شك أنه كان هناك تجار آخرون مثل التاجر التطواني الذي كان يقيم بمدينة قادس وتوفي سنة 1828 (88) .

4 - والغالب أن هذا الأخير كان تاجرا للسلطان في بيع حبوب الأعشار والزكوات . فلما مات عين مولاي عبد الرحمان بعده الحاج أحمد أحرسان سنة 1830 ليقوم بهاته المدينة ويقوم بنفس الغرض . وقال السلطان لمحمد أشعاش : « وقد شرح الله صدرنا لوسقها على يدنا بقصد البيع ببر النصارى لنستجلب الناض . فقد بلغنا ارتفاع ثمن الأقوات عندهم . وكلفنا بهذا الأمر خديمتنا الحاج احمد أحرسان لصرامته ونفوذه وعلمه بأحوال البيع والشراء ومعرفة اللسان ... » . وكانت له علاقة باسحاق اسرائيل الصويري التاجر بمرسيليا وبأنطونيو ده ماطوس A. de Matlos من مدينة لشبونة (89) .

* * *

85 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 304 (9)

86 . رسالة الطريس الى ابن المختار في 4 رمضان 1301/28 يونيو 1884

87 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 310

88 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 187

89 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 43 و 44 ومحمد داود :

« تاريخ تطوان » ج 8 ص 208

خ - جبل طارق خاصة ، وبلدان أوروبية مختلفة :

قرب هاته المستعمرة الانجليزية من المغرب حدا ببعض المغتربين من مسلمين ويهود الى ربط معاملات اقتصادية هناك مع تجار هاته المدينة بل دفع ببعضهم الى الاستقرار بها نهائيا .

وعلى كل حال يبدو أن أكبر جالية مغربية بأوربا عددا هي المستقرة بجبل طارق ، وكان في ضمنها محمد برقاش الذي ذكرت أنه كان تاجرا بانجلترا أيضا ومحمد الخطيب الذي أقام بجبل طارق 17 عاما وأكثر من التنقل عبر أقطار أوربا ، وهما نائبان سلطانيان اتجرا بالصخرة قبل تعيينهما . وأضيف اليهما شخصا مغربيا وأحد الأغنياء المترفين وهو محمد مصطفى الدكالي الرباطي الذي كان تاجرا بها أيضا وبمرسيليا وباريس ولندن ومنشيسطر وساح في العديد من الأقطار الأوروبية . وكان صديقا لمحمد الخطيب وله حظوة عند السلطان مولاي عبد الرحمان . وكان يتكلم الانجليزية والاسبانية بطلاقة (90) . ولا أنسى ذكر العربي الحقي (او اللحكي أو الحقيقي) ، ولا عمر بَجَّة ولا أخاه أحمد الذي سيكون أول قنصل بجبل طارق ولا أسرة بريطل وخصوصا الهاشمي والمكي ولا آل الرزيني وآل القباچ وخصوصا محمد النسب وآل جسوس وآل قرقوز ويعقوب برينطي ومَسَّان اسرائيل التطواني والشريقي وابن عليل وآل بيرجل .

تعاطوا التجارة حتى ربح من ربح وخسر من خسر ، بل ومنهم من سجن كالمكي بريطل الذي كان سنة 1871 شبه محبوس بمدينة مراكش (91) ، ولعل ذلك بسبب افلاس أو دعاوى عليه ، مثلما وقع لغيره المذكورين خارج هذا المكان .

90 . عبد اللطيف الخطيب : « شارل ياجرشמיד وعلاقات المغرب بفرنسا واسبانيا » في مجلة « تطوان » عدد 7 (1962) ص 49 و 52

91 . عبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة » ج 2 ص 126

وهناك تجار آخرون عاشوا بالخارج وجابوا مختلف الأصقاع ، دون تحديد ، للتجارة والغنى والتكسب . وقد فضلت جمعهم هنا في ختام الكلام عنهم في بلدان الغرب المسيحي ومنهم :

— محمد التازي الرباطي المدعو مؤخا صنو الحاج عبد السلام المذكور آنفا بانجلترا . وقد كان غنيا شهما أريحا قضى بالمهجر عشرين سنة فاكسب أموالا وفيرة . ولما عاد الى المغرب عينه السلطان أمينا للأمناء وبقي في منصبه حتى توفي سنة 1890 وحينذاك سمي أخوه عبد السلام سالف الإشارة مكانه (92) .

— الحاج محمد بن المدني بنيس أمين الأمناء .

— عبد الخالق فرج محتسب الرباط حسبما سيأتي .

— محمد بن المعطي التازي الذي قام بأسفار متعددة الى الأقطار الخارجية .

— والحسن الكتاني الذي تأرجع بين الحماية الانجليزية والحماية الفرنسية وساح في الخارج مرات عديدة .

— والمكي بنشقرون الذي جاب أوروبا والسنغال والشرق الأوسط ونصب أبناء عمومته بمدينة جنوة ومدينة ليون .

— وعبد السلام المراكشي الذي تطوف بالخارج أكثر من مرة (93) .

— والحاج الطالب بن جلول التلمساني الأصل الذي كان قائما على ساق في الشيطنة والوسوسة يدس الدسائس لايقاد نار الفتنة بين الوداية (94) والسلطان مولاي عبد الرحمان . ومع ذلك كان سنة 1825 أميرا للحج أو للركب النبوي (95) .

92 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 107

93 . ادريس بنعلي في « مثال الانتقال ... » ذكر هذا التاجر والثلاثة الذين قبله في ص 122 و 125 و 126

94 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 25

95 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 156 (2)

على أنه كان أحد تجار المغرب المشهورين ومن خلصاء نفس السلطان
يستثمر له أمواله (96) .

والى ذلك أضيف ما قاله عنه أكنسوس من أنه « كان ركنا من أركان
الدولة ، وكانت له أموال لا تحصى وتجارات منتشرة فى آفاق الدنيا برا وبحرا
فى السودان » ولعله يقصد به السنغال « ومصر والشام وبلاد أجناس النصارى .
فى كل بلد واقليم له شركاء وعمال ، وتوفى بداء السكتة شرمية ونهب عبيده
أمواله . وكان يملك نصف أملاك فاس من رباوع وعقار . وجل ذلك حسازه
السلطان » ويعنى به مولاي عبد الرحمان « فى مقابلة ما فى ذمته من متاع
المخزن لأنه كان يخوض فى مال السلطان طولا وعرضا » (97) . وكانت وفاته
حوالى 1263 هـ - 1846 م (98) .

— والمهدي بن الطيب بنشقرون المولود بفاس سنة 1862 . وقد قام
برحلات الى أقطار أوربية وحل بمدن عديدة كباريس ومنشيسطير ، وأقام
باسبانيا وإيطاليا (99) ولربما كان عضوا فى السفارات التى وجهها السلطان
الحسن الأول الى هاته البلدان . ولعله شقيق المكي المذكور سالفا .

— وجعفر الصقلي المولود بفاس والذي زار أقطارا أوربية وبلاد
السودان (100) . وستررد فى فصل التجارة أسماء تجار آخرين من نفس
الأسرة الصقلية .

— والحسين بن محمد بن ثابت المولود بفاس سنة 1876 . وقد بدأ
حياته تاجرا بأروبا ، حيث أقام سنوات طويلة (101) .

96 . المصدر السابق ص 161 ومحمد اكنسوس : « الجيش ... » ج 2 ص 31

97 . المصدر السابق ونفس الصفحة

98 . لا ينبغي خلطه مع سميح الحاج الطالب بنجلون (بنون ثانية) المذكور
مع انجلترا سابقا ولو ان صاحب « الاستقصا » كتب المسن منهما بنونين .

99 . 1 . برولتي : « الكتاب الذهبى ... » ص 109

100 . نفس المصدر ص 86

101 . كذلك ص 64

— والمهدي بن المكي بَلُوط المولود بمكناس سنة 1879 والذي سافر الى الخارج لأجل التجارة (102) .

وقد تفتن هؤلاء جميعا الى أنهم بدلا من أن يكونوا سماسرة ووكلاء لغيرهم صاروا يتولون تدبير شؤونهم تصديرا وتوريدا (103) .

ومهما يكن فلا سبيل لبسط أنواع التجارة ، فقد ذكرت أمثلة منها في مقامها . على أنه لابد من ايراد أسماء الوكلاء المغاربة بجبل طارق :

I — **أحمد بن عمر بَجَّة التطواني** : كان قبل 1817 وكيلا للمغرب (104) حتى توفي سنة 1821 . وكان من أكبر الأغنياء ، بيد أنه ، اذ لم يترك وارثا ولا وصية ، رامت الدولة أن تجعل — طبق قواعد الشرع الاسلامي — أملاكه جزءا من بيت المال ، وذلك ما لم ترده الحكومة البريطانية ، فظلت القضية معلقة الحل أكثر من 35 سنة الى أن ستويت نهائيا سنة 1856 باتفاق عقد بين البلدين (105) .

2 — **يهودا ابن عليل** : لما توفي بجة عين ابن عليل مكانه قنصلا . وكان هو أيضا من أكبر الأغنياء ، له اتصالات قوية بالمصالح الفرنسية والانجليزية والاطالية ، وأصله من يهود الرباط (106) . ولكن ما لبث السلطان مولاي عبد الرحمان أن غضب عليه فعزله ووقعت له صدمة نفسية حتى توفي سنة 1838 في حين كان سبريك Sprague قنصل أمريكا بجبل طارق يتلهف شوقا لنيل هذا التعيين لنفسه بعد عزل ابن عليل ، وهو شيء لم يقبله السلطان المذكور (107) .

102 . أيضا ص 65

103 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 101 و 247 .

104 . المصدر السابق ج 2 ص 29

105 . روجرز : « تاريخ ... » ص 265

106 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى القائد العربي السعيد في

21 حجة 1250/15 ابريل 1835 .

107 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 322

3 - **الحاج حدو جسوس** : بعد عزل ابن عليل بمدة معينة عين السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1841 « التاجر الحاج حدو جسوس قنصوا بجبل طارق للأخذ بأيدي تجار المسلمين وغيرهم من اياتنا » (108) .

4 - **الحاج محمد الرزيني** : كان قنصلا للمغرب سنة 1856 ، ومن كبار التجار أهل الامتيازات . وكان خوفه من ضياعها سببا في تعثر المفاوضات بين جون هي ومحمد الخطيب عدة سنوات (109) لعقد معاهدة تجارية

5 - **الحاج سعيد بن احمد جسوس** : كان بعد 1857 قنصلا (110) . وظل كذلك الى ان توفي بجبل طارق سنة 1890 في ليلة واحدة هو واحمد زوزو . وكان من اصحابه التاجر والأمين الحاج الطاهر ابن المليح (III) بناني ، والتاجر العربي ابن كيران . ولعل الحاج سعيد هذا ولد الحاج حدو القنصل السابق لأن حدو ترخيم احمد على الطريقة البربرية .

6 - **الحاج محمد بنونة** : وهو الذي عين بعد وفاة الحاج سعيد على راس القنصلية سنة 1890 (112) .

ويغلب على الظن ان مغاربة آخرين كانوا مقيمين بأروبا في اعداد قليلة ولاسيما بروسيا القيصرية . غير اني لم اعثر على اي شيء عنهم في هذه الفترة ، مثلما لم يرد توضيح عن المغتربين بجزيرة مالطة مع وجود وكيل سلطاني هناك في بعض الاوقات .

* * *

108 . رسالة السلطان الى بوسلهام بن علي في 13 محرم 1257/22 ماي 1241
محفظة بوسلهام بن علي : 1 ، ومحمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 340

109 . روجرز : « تاريخ ... » ص 218

110 . تقييد مختصر لما صيره الأمين الحاج عبد الحفيظ برادة بطنجة في عام
1866/1283 - محفظة طنجة 1 ، وابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 378

111 . رسالة الطريس الى السلطان في 19 شوال 1307/8 يونيو 1890 -
محفظة الطريس : 18 .

112 . رسالة طوماس هاينس الى الحاج محمد بنونة في 15 يونيو 1892
- محفظة الطريس 22 ورسالة اخرى بمحفظة المغرب بريطانيا في 15 يناير 1892 .

د - البرازيل

لم اقف على اسماء جميع المغاربة المستوطنين بالبرازيل خلال هاته الفترة التي أُوْرخ لها ، ولو اني اعلم ان بعض اليهود كانوا قد رحلوا في ذلك العهد او بعده بقليل الى تلك البلاد الأمريكية للتجارة والاقامة او الاحتماء والتجنس ، وان فاسيا هو سالفادور بن عمر برادة هاجر الى البرازيل كما تقدم ذكر ذلك .

ومن الذين عثرت عليهم في لوائح المحميين البرازيليين :

1 - إسحاق الصراف : الذي رحل من الصويرة الى مدينة من مدن البرازيل لم تتيسر معرفتها . وقد ورد اسمه في لائحة المحميين سنة 1900 .

2 - إسحاق بنجيو : من مدينة طنجة ، كان تاجراً بالبرازيل ومحمياً او متجنساً حوالي 1868 ومات هناك وبقي اولاده بطنجة حسب لائحة 1880 الخاصة بالمحميين .

3 - إلياس الباز : وكان يدعى البرازيلي في لوائح المحميين سنة 1900 . ولست ادري هل يعني « البرازيلي » انه كان يعيش بالبرازيل ام انه كان يدعى كذلك للتمييز بينه وبين سَمِيٍّ آخر ، ام ان سبب ذلك كونه من المحميين البرازيليين . وعلى كل حال فقد كان متأصلاً من مدينة الصويرة .

4 - مناحم أفاللو : ويطلق عليه البرازيلي ايضاً في لائحة المحميين سنة 1900 . ولعل سبب تسميته هكذا التمييز بينه وبين سَمِيهِ المحمي الأنجليزي المذكور سابقاً . وكلا الرجلين من مدينة الصويرة .

5 - حاييم بنشالوم : وقد اقام بولاية پارا مدة طويلة وعاد سنة 1857 الى الدار البيضاء (II3) .

* * *

ذ - دول امريكية اخرى

استقر بعض التجار من يهود المغرب بمدينة بوينوس آيريس بالأرجنتين . وكان لهم بضعة مخازن مبنوثة في أهم مراكز البلاد . وكانوا في الغالب يعودون الى المغرب بعد قضاء 7 او 8 سنوات .

وكانت جماعة اخرى من اليهود المغاربة مقيمة للتجارة بالبيرو والشيلى ، وثنيزويلا ، لكني لم اقف على اسمائهم .

* * *

3 . 2 : المهاجرون الى البلدان الاسلامية .

مكثت بالبلدان الاسلامية طوائف مختلفة من اليهود المغاربة في اقلهم ومن المسلمين في اكثرهم ، فاستوطنوا السينغال والجزائر وتونس ومصر والسودان والحجاز والأردن وفلسطين والشام وتركيا . وكان في بعض هاته الأقطار وكلاء للعناية بالحجاج والمنقطعين . وكان ايضا منهم من زاولوا نشاطا تجاريا ملحوظا ومن كانوا لاجئين سياسيين في اقلهم وخصوصا ممن كانوا يسبحون في الفلك التركي الألماني .

* * *

أ - السينغال ومالي :

استوطن المغاربة السودان منذ عهد بعيد قبل الفتوحات السعدية . ويستفاد من اوصاف المؤرخين السودانيين ان تنبكتوا كانت موطناً لكثير من الأجناس ايام المنصور السعدي حيث كان يقطن بهاته المدينة كثير من اهل فاس ومراكش وتوات ودرعة . وازدهرت الزراعة على يد الأندلسيين وادخلوا القمح وبعض انواع الخضر والكروم والتين وقصب السكر قرب هاته المدينة المالية (II4) .

II4 . محمد الغربي « الحكم المغربي في السودان الغربي : نشاته واثاره »
اطروحة مرقونة ص 492 و 516

ومن الأسر الكبيرة بتنبكتو ودجيني وردت أسماء حسو وابن مبارك وابن رحون وابن القائد والاجناسي وابن سعدون والزعري والفرجي والشتوكي وأونظام وبويوقف والكحيل وهم من مراکش والعليج وابن حسون وابن علي وابن سعيد وابن الشيخ والقصري والحيوني والجرواسي وابن جلون وابن منصور والمنبهي والغرناطي والرامي والعمراني وهم من فاس وعشر أسر من شراكة وسبع من درعة (II5) . وفيما بين 1865 و 1868 كان عدد التجار التواتيين المستقرين بتنبكتو يقدر بنحو 600 شخص . أما الفاسيون فكانوا بين 20 و 25 تاجرا (II6) .

ومما يذكر ان الحاج سعيد الرسموكي من سوس كان يتعاطى التجارة بالسودان ، ولما عاد الى وطنه سنة 1766 بقي اولاده هناك يشتغلون بالتجارة الكبيرة بين المغرب والسودان (II7) .

وثمة تقرير عن التجارة مع تنبكتو يفيد انه انشئت اول شركة مغربية من تجار فاسيين لتشجيع المبادلات بين القطرين سنة 1670 منذ حملة مولاي الزشيد وانه أحدث معمل بهاته المدينة التي انتقل اليها شخص اسمه علي للاستقرار بها فراراً من السلطان العلوي ، وعاد الى المغرب بعد وفاة العاهل . وكان قبل ذلك تزوج هناك بسودانيات (II8) .

وقد أجرى شارل مونطي إحصاءاً مدققاً لسكان ضواحي مدينة دييني (او دجيني) فوجد ان عددهم يقارب 83 الفا منهم الفان من المغاربة ، وان العرب القادمين من تافيلالت امتازوا عن غيرهم من السكان بالسعة في الرزق والثقافة

II5 . المصدر الأخير ص 516

II6 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 149 (1)

II7 . محمد الغربي : « الحكم ... » ص 75 (نقلا عن محمد المختار السوسي : « المعسول » ج 19 ص 242) .

II8 . عبد الهادي التازي : « تقرير الكولونيل ماثيوز عن التجارة مع تنبكتو في مجلة « البحث العلمي » العدد 31 ص 104 .

والعادات الحضرية (119) . واصبح المغاربة في القرن التاسع عشر حسب أوسكار لنز الرحال الألماني يؤلفون احسن عناصر السكان واهمهم (120) .

وفي سنة 1890 بلغ عدد التجار المغاربة بالسينغال نحو مئة شخص . وكان مجمل نشاطهم بيع انتاج الصناعة التقليدية المغربية كالمنسوجات والعطور ، ولربما كان منه ايضا تصدير الرقيق . ولم اقف الا على اسماء قليلة لهؤلاء المغتربين .

على ان اشارات وردت عن التاجرين الشقيقتين الفاسيين المتوفين قبل سنة 1880 هناك . ولعل اول فاسي استوطن السينغال في القرن الماضي قد وفد عليه حوالي سنة 1874 ، حسب المصادر الأوروبية (121) .

وكان للفاسيين ازيد من 30 مركزا بالسينغال بمدينة دكار وطسوال الخط الحديدي الذاهب الى أندر . وقد اضطروا الى التماس الجنسية الفرنسية لمباشرة تجارتهم (122) .

واضيف الى ذلك عن الهجرة محاولات ماون Mahon قنصل فرنسا بالصويرة الذي كان يريد استخدام 500 او 600 مغربي بالسينغال سنة 1881 ومساعي الترجمان أنجيلي Angeli سنة 1886 لتوظيف عمال مغاربة في اشغال مد خطوط السكة الحديدية بالسينغال الأعلام بين دكار ومدينة أندر ، حسبما سيرد في اماكن اخرى من هذا التأليف ، وانتقال ازيد من الف عامل مغربي قبل 1886 لهذا الغرض (123) .

119 . محمد الغربي « الحكم ... » ص 498 (نقلا عن شارل مونطي في كتابه المرسوم « من سان لوي الى طرابلس عبر بحيرة التشاد » ص 85 و 88 و 208)

120 . محمد الغربي : « الحكم ... » ص 516 (نقلا عن أوسكار لنز في رحلته ج 2 ص 152 ، في الترجمة الفرنسية سنة 1886)

121 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 371 و « تاريخ المغرب » ص 311 .

122 . المصدر الأخير نفس الصفحة

123 . عبد العزيز بنعبد الله : « الموسوعة ... معلمة الصحراء » ملحق 1 ص 200

اما التجار الذين وقفت على اسمائهم فهم :

1 و 2 ادريس بنجلون وابنه الهادي : بدأ الأب نشاطه بالسينغال سنة 1890 وسافر الى السودان والشرق الأوسط ثم سار ابنه الهادي على نهجه (I24)

3 - أحمد بوزكري : وهو فاسي استقر بأندر (سان لوي) حوالي 1874 ، وكان مراسلا لأبيه الذي بقي تاجرا بالمغرب (I25) . ولعله هو المذكور أنفا من كونه تاجرا بفرنسا او اول مستوطن فاسي للتجارة بالسينغال حوالي 1874 كما سلف..

4 - الحاج عبد القادر بنجلون : كان تاجرا بمدينة أندر قبل ان يولد ابنه عبد العزيز سنة 1888 بهاته المدينة (I26) .

5 - عبد القادر بن محمد العراقي : وقد ذهب الى السينغال في بداية القرن العشرين وظل هناك نحو من اثنتي عشرة سنة (I27) .

6 - الحاج ابراهيم السوسي وكان من اهم تجار مدينة فاس . استوطن أندر واكتسب الجنسية الفرنسية . وقد عاد الى المغرب في نهاية القرن التاسع عشر (I28) .

7 - مولاي علي بن عمر الكثيري : المولود بفاس سنة 1857 والذي رحل الى انجلترا وايطاليا واسبانيا وفرنسا وآسيا واستوطن السينغال مدة 6 سنوات ابتداءً من سنة 1880 وطلب نيل الجنسية الفرنسية سنة 1883 . وكان مراسلا لمحمد بنكيران بطنجة (I29) .

I24 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 127

I25 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 369

I26 . برولتي : « الكتاب الذهبي ... » ص 2

I27 . نفس المصدر ص 3

I28 . أوجين أويان : « مغرب اليوم » ص 130

I29 . المصدر السابق ص 133 ومبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 369

وكان مولاي علي هذا يبيع الكتب والمصنوعات الجلدية والمنسوجات (I30) .

على انه عاد الى المغرب قبل نهاية القرن التاسع عشر . وفي منزله نظمت مناظرة بين المستعرب الفرنسي موليراس وعالمين فاسيين في ابريل 1900 حول الدين والعلم والحياة . وهذان العالمان هما ابو بكر بناني ومولاي احمد البلغيثي (I31) .

8 — هارون بن حسّان : استوطن سنة 1883 جزيرة كوري امام دكار (I32) .

9 — الحاج ابراهيم بن الحاج علي : سكن بمدينة أندر سنة 1887 وكان شريكا للحاج محمد القباج والحاج المدني الحبابي التاجرين بفاس . وقد نال الجنسية الفرنسية (I33) من اجل تجارته .

10 — أحمد القرّبي : أو (القوري) من اصل مراكشي . كان تاجرا حتى توفي سنة 1899 بمدينة نيورو (I34) بمالي الحالية .

11 — الحاج العربي برادة : كان يتجر بالسينغال دون توضيح ، يعمل لنفسه ولشقيقه ولغيره من المغاربة وكذلك لعامل الجديدة ابنه محمد بن العربي برادة حتى توفي سنة 1895 هناك (I35) .

12 — مردوخي أبي سرور : المولود حوالي 1830 بقرية أقتا ، وكان قد حج الى فلسطين ، ثم عاد الى مسقط رأسه حوالي 1855 ، وصار فيما بعد محمياً فرنسياً وعونا لبومبي قنصل فرنسا بالصويرة ، وهو أول يهودي مغربي استقراراً بتنبتكتو (I35 مكرر) .

I30 . « تاريخ المغرب » لجماعة من المؤلفين ص 311

I31 . عبد الهادي التازي : « جامع القرين » ج 3 ص 737 — 740

I32 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 369

I33 . المصدر السابق

I34 . المصدر السابق ايضا

I35 . نفس المصدر وكذلك ج 3 ص 271 (2)

I35 مكرر . نفس المصدر ج 3 ص 94 (4)

وكان قد رافق شارل ده فوكو في تجواله بالمغرب سنة 1883 .

ومن غير التجار كان هنالك :

I3 و I3 - أحمد القباچ المدعو «بابا» الذي ذهب هو وشقيقه الحاج الطاهر الى تنبكتو في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بقصد اخذ الطريقة المختارية القادرية . والاخوان من مدينة أزموور (I36) .

I5 - أحمد بن محمد بن محمد الكامل الضير الدرعي المولود سنة 1838/1255 . وهو رحالة « استقر بأرض غبّ بين سانيكّان وتبوكتو » . وقد استوطن الصحراء مدة 10 سنوات ثم تيندوف من 1299 الى 1309 . وكانت له صلة بالحاج عمر الفوتي وبالطريقة التجانية وجمع اموالا كثيرة . كما انه زار المشرق وما ترك بلدة من المعمور الا دخلها براً وبحرا وكتب عدة رحلات وكان يقيم في كل بلدة . وقد مكث سنة في دمشق ، وتوفي سنة 1897/1315 ودفن بمراكش (I37) ولم يرد بيان عن رحلاته .

* * *

ب - الجزائر

هي اقرب قطر اسلامي الى المغرب كانت له معه اتصالات تجارية وثيقة سواء في العهد التركي أو قبله أو بعد الاحتلال الفرنسي .

ولم تنقطع تماما هاته الاتصالات عبر العصور ولا حركات الهجرة القوية بين منطقة وهران والريف ولا بين قاس وتلمسان طردا وعكسا حسبما هو مذكور في كتب التاريخ .

136 . ادوار ميشو - بيلير : « ناحية دكالة » الجزء الأول ص 123 في مجلة « ليزارشيف ماروكين » المجلد العاشر من سلسلة « مدن المغرب وقبائله »

137 . العباس ابن ابراهيم في كتابه « الاعلام ... » ج 2 ص 429 - 433 جعل ارض غب بين السينغال ومالي فافترضت لأول وهلة انها غامبيا الواقعة بينهما ، غير اني بعد تمحيص وروية راجعت افتراضي الأول فرجحت ان غب ما هي الا (أ) (أ) (أ) اي الغابون ، علما بأن الاقدمين اعتادوا في كتاباتهم شكل الكلمات بالحركات فحذفوا الألف الممدودة بين الغين والباء للاستعاضة بحركات التنوين عن حروفه . وحيث ان الكامل كان جوابا ورحالة وصل حتى الى الهند ، فلا يستبعد ان يكون قد استقر بالكابون على الرغم من جهل المؤلف بالجغرافية او على الاقل من سبق قلمه . لأن هاتس البلاد بعيدة عن جنوب السينغال وتنبوكتو بعشرات المئات من الكيلومترات .

وهكذا بعد الحرب الاسبانية المغربية هاجر سنة 1860 ما بين 1200 و 1500 من يهود تطوان الى الجزائر . وفي سنة 1868 رحل حوالي 880 من يهود نفس المدينة الى هذا القطر التماسا للجنسية الفرنسية (138) .

وسنرى ان اعداداً وفيرة من المغاربة تدفقت إبان المساغب والأوبئة على الجزائر لعلها بلغت ما بين 1878 و 1882 نحو 64 ألفاً (139) . كما ان اهل الشيخ احمد وموسى كانوا منتشرين بالجزائر منذ عهد قديم (140) . وللأسف لم اقف الا على اسماء قليلة لهؤلاء المهاجرين الذين كان منهم عمال موسميون وكان منهم تجار مقيمون اقامة مستديمة . وذلك لا يمنع من إيراد هوية من عثرت عليهم من هؤلاء التجار والمستوطنين الكثيرين الذين كانوا يعدون بعشرات الآلاف والذين كانوا لا يعتبرون انفسهم غرباء عن اوطانهم ، للتشابه المكين بين المغاربة والجزائريين في اللغة والدين والعادات والجغرافية ، والتجاور في الفلاحة وتربية المواشي في اراض ظلت مشتركة للرعي بين اولاد العمومة والخؤولة واهل المصاهرة والقرباة .

وقد ذكرت كتب التاريخ ان مدنا جزائرية في غرب البلاد كانت موطناً لعدد من التجار والعمال المغاربة . ومنها تلمسان التي كانت تأوي عدداً من تجار فاس حتى قيل ان تلك المدينة بنت فاس (141) . ومنها ايضاً وهران التي مات بها تاجران مغربيان من مدينتي فاس وتطوان لما احتلت فرنسا الجزائر حسب صاحب « اللسان المعرب » . وقد تقدم ان عمالا من الريف والمغرب الشرقي كانوا يقصدون هاته البلاد بالآلاف للأعمال في اشغال الفلاحة والحصاد .

وكان من المستوطنين الدائمين :

I — محمد بن محمد السليمانى المدعو ابن الأعرج . كان يزاول التجارة بمدينة تلمسان التي كان يقيم بها عدد لا يستهان به من التجار

138 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 578 (2)

139 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 55

140 . محمد المختار السوسي : « ايليغ ... » ص 25

141 . عبد الكريم غلاب : « المجتمع التقليدي ... » في مجلة « المناهل » ع 12 ص 92

من مدينة فاس (I42) . ولئن كان من اصل جزائري فقد ولد هو بمدينة فاس سنة 1858 او 1864 وبها مات سنة 1926 . وله تأليف في التاريخ . والجدير بالذكر ان السليمانى هذا كان شاعرا ومن دعاة الاصلاح . وكان الى ذلك يياشر خطة العدالة وعاش على الكفاف . وقد قام برحلة الى المشرق (I43) .

2 — **مَحْمَد السليمانى « ابن الأعرج »** : هو والد السابق وكان ايضا تاجرا بتلك المدينة (I44) .

3 — **محمد مكوار** : وقد ولد بفاس ولكنه كان يعيش بتلمسان للتجارة بها وبجبل طارق ايضا . وكان من معيني عبد القادر بن محيي الدين وزار مدنا ايطالية مثل جنوة وليقورنو (I45) .

4 و 5 و 6 **محمد الهوارى والحسين بنونة والحاج العباس التجموعتى** : وكان هؤلاء الثلاثة تجارا بوهران ومن اصل فاسي ، غير ان ازمة 1878 ادت بهم الى الافلاس (I46) .

7 — **الحاج عبد الكريم بن الحاج احمد الرزيني** كان تاجرا سنة 1830 بوهران (I47) .

8 — **الحاج محمد بن احمد الرقيوق الخمسي الشفشاوني المولود** سنة 1853/1270 . وقد قضى عدة سنوات بوهران ولكنه دخل مصر والحجاز وتوفي بشفشاون عن 90 سنة من عمره . وكان من العلماء (I48) .

* * *

142 . محمد السليمانى : « اللسان المعرب عن تهافت الاجنبي حول المغرب » مقدمة الكتاب ص « ب » .

143 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 257 وخير الدين الزركلى : « الاعلام ... » ج 7 ص 23 وابراهيم السولامى : « الشعر الوطني ... » ص 240

144 . محمد السليمانى « اللسان ... » ص ب

145 . جان لوي ميبج « المغرب واروبا » ج 2 ص 161

146 . المصدر السابق ج 3 ص 73

147 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 42

148 . جريدة « الأنباء » ع 23/24 مارس 1980 .

ت - تونس

علاقة المغاربة مع هذا القطر جد عتيقة ، واهمها ما كان في المجال الثقافي . وكان بتونس وكلاء للسلطان كما كان بها علماء وتجار نزلوا بها ومنهم من هو دفين ارضها .

ومن الذين عثرت على اسمائهم قبل القرن التاسع عشر او اثنائه :

I - **عبد الله الهاروشي** : وهو عبد الله بن محمد الخياط . وكان من فقهاء المالكية وأصله من فاس ثم انتقل الى تونس حيث توفي سنة 1175 هـ - 1761 م . وله تأليف منها : « كنوز الأسرار ... » و « الفتح المبين » (149)

2 - **عبد القادر بن عبد الرحمان السلوي الأندلسي** ثم الفاسي . كان من الفقهاء وقد لخص كتاب « مطالع السعود وفتح الودود على تفسير الامام أبي السعود » الذي ألفه محمد بن عبد الله زيتونة التونسي . وكان هذا العمل التلخيصي في عهد علي باشا بن محمد ابن علي تركي من الأسرة الحسينية المتوفى في القرن الثامن عشر . ولما عاد عبد القادر الى المغرب استخدمه السلطان محمد بن عبد الله حوالي 1180 (1766) في قصره (150) .

3 - **محمد الفاسي** : المكنى ابا عبد الله . وهو من افراد البيت الفاسي « الشهير بحاضرة فاس بالعلم والفضل . ساقته المقادير الى تونس قبل طاعون عام 1199 وسنه بين الثلاثين والعشرين ، كان عالماً محصلاً ، وتوفي سنة 1232 / 1817 « بتونس (151) .

149 . خير الدين الزركلي : « الأعلام ... » ج 4 ص 274

150 . محمد المنوني : « ملامح الحركة الأدبية في العصر العلوي الثاني » في مجلة « دعوة الحق » عدد مارس 1973 ص 85 - 86 .

151 . محمد بن محمد مخلوف : « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » ص 380 وعبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 808 وعبد الكريم التواتي : « اهمية علاقات الدولة العلوية بتونس في بناء وحدة المغرب العربي » في مجلة « دعوة الحق » ع 4 س 10 (يبرابر - مارس 1967) ص 162 .

4 - **حسنونة القصري الرباطي أصلا .** كان تاجراً بتونس في عهد الباشا علي باي وكان يدرس ويرفض اخذ اجرة عن هذا التدريس (I52) .

هذا ولم أقف الا على أسماء ثلاثة من الوكلاء الذين كانوا بتونس وهم :

I - **الحاج محمد الحريشي الفاسي** الذي كان وكيل المغاربة في الثلث الأول من القرن التاسع عشر . « وقد أصابه ضيم هناك وخشي أن تلحقه مذلة وهوان » من باشاها حسب رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى نائب قنصل فرنسا بطنجة سنة 1837 . « وما اختار الفرار والايواء الا لقونص جنسكم هناك ... » وقد رأينا تكليفك بذلك أولى ... ليسعسي قونصو جنسكم الذي بتونس في استخلاصه ويوجهه هو وعياله وماله ... » (I53) .

2 - **الحاج محمد الشرقي** المتوفى سنة 1866 بعد أن كان وكيلا بتونس (I54) آخر حياته .

3 - **عمر السنوسي** وكان وكيلا للمغرب في نهاية القرن التاسع عشر (I55) حوالي 1893 .

* * *

ث - مصر

قيام نهضة مبكرة في هذا القطر ووجوده في طريق الحجاج والمعتمرين كانا من العوامل التي شدت الأنظار الى بلاد الكنانة .

ومن المستحسن تناول الموضوع استجلاءً لجوانب من تلك الروابط الثقافية والدينية والشعبية والسياسية والاقتصادية ، مع استعراض ما أمكن

152 . المصدر الأخير ص 162 .

153 . رسالة السلطان الى نائب قنصل فرنسا في 24 رمضان 1252/2 يناير 1837 (صورتها عند أوجين فومي في كتابه « المختار من الرسائل المغربية » اللوحة

15 ص 135) وجان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 29 .

154 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 54

155 . محفظة الطريس 25 .

الوقوف عليه من أسماء المغاربة المتمصّرين وغير المتمصرين والوكلاء السلطانيين مع تذييل الكلام بوثيقة احصائية هي عريضة الحاج عبد الواحد ابن محمد التازي .

ث ١ - العلاقات بين البلدين

روابط المغرب السياسية بمصر لم تكن نشيطة بالرغم من تبادل المراسلات بين السلطان والخديوي ، ولكن كانت مكثفة روحيا وثقافيا اذ كان العلماء والطلبة المغاربة يستوطنون مصر عند ارادتهم الاغتراف من حياض العلوم الدينية المشهورة آنذاك ، كما كان الحجاج يتوقفون بها برا أو بحرا عند ذهابهم أو أيابهم .

وفي هذا المعنى يحسن التذكير بأن بعض المصريين كانوا يتولون نقل الحجاج بحرا ، ولاسيما سنة 1865 عند ما منع مركب اسماعيل باشا من انزالهم بمرسى طنجة لتفشي وباء الكوليرا ، وظلوا يتقاذفون بالبحر ، ولم يرد أحد ردهم لبلادهم (156) .

وكان يعيش بمصر تجار مغاربة اتخذ منهم السلاطين العلويون وكلاء للبرور بالحجاج وبالمنقطعين . وفي أواخر القرن التاسع عشر كان عدد المغاربة المقيمين ثمة يتراوح بين 1200 و 1500 نسمة (157) .

أما قبل ذلك بعهد بعيد فقد استوطنت بالبلاد المصرية جاليات من البلدان المغربية ولاسيما من المغرب الأقصى « بل لوحظ فرار تجار من أغنياء فاس الى الخارج وخصوصا الى الشرق الأوسط . ان البيانات التي أعطاها أندري ريمون عن الصناع والتجار في القرن الثامن عشر ولاسيما بالقاهرة في القرن السابع عشر بليغة بما فيه الكفاية في هذا المعنى . لأنه أبان أن أهل

156 . « الوثائق » ج 4 ص 331 - 335

157 . عبد العزيز بن عبد الله : « معطيات ... » ج 1 ص 93 (1)

المغارب أو المغربيين (I58) كانوا حتى نهاية القرنين المذكورين يملكون 7ر8 ٪ من مجموع ثروة القاهرة الاجمالية ، وأضاف أنهم كانوا أغنى من غيرهم ، فكان للمغاربة I5ر20 ٪ مقابل I2رI0 ٪ لأغنياء الأتراك في القرن الثامن عشر .

« وتدل الايضاحات التي استقيت من كنانيش المحكمة (محكمة القاهرة ؟) على أن المراكشيين كانوا أوفر عددا داخل أهل المغارب . فمن مجموع 99 من هؤلاء ، كان ثمة 53 مراكشيا يكاد يكون أصل 48 منهم من مدينة فاس بينما كان 3 من مراكش . ولهذا كان كثيرا ما يطلق على أهل المغارب وصف الفاسيين » (I59) .

كانوا تجارا ومستوطنين عاشوا حلو مصر ومرها واختلطوا بأهلها . وأعظم تعاون بين الشعبين ظهرت بواده في أواخر القرن الثامن عشر لما غزا نابوليون البلاد المصرية في حملته الشهيرة : « ولذلك تأثر المغاربة أيضا تأثر ، وقصد كثير من المجاهدين الديار المصرية للمشاركة في قتال أصحاب تلك الحروب الصليبية » (I60) وكان من المتطوعين شخص يدعى ابن الأحرش الذي انضم الى الجيش المصري (I6I) .

أما المجاهد الذي اشتهر هناك فكان هو محمد بن احمد بن المختار السباعي المعروف بالجيلالي . وسنتحدث قليلا عنه ، على الرغم من وقوع الأحداث في نهاية القرن الثامن عشر .

I58 . اقصد بهذا التعبير هنا مغاربة الشمال الافريقي ، تعريبا للفظـة Maghrébins الواردة في دراسة بنعلي في حين اطلق اطلاقا استثنائيا لفظة « المراكشيين » على اهل المغرب الاقصى ، رفعا لكل التباس .

I59 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » عدد 8 ص 107 (I6) سنة 1980 ، (نقلا عن اطروحة 1 . ريمون : A. Raymond « الصناع والتجار في القرن التاسع عشر » ص 471 ، المناقشة بباريس سنة 1972) .

I60 . محمد الفاسي : « مشاركة المغرب في الجهاد المصري للحملة الفرنسية » في مجلة « دعوة الحق » العدد المثنى 4 - 5 ص 157 السنة 16 (مارس 1974)

I61 . عبد العزيز بنعبد الله : « الموسوعة ... » ج 1 ص 37

ويعجب المرء لمدى اهمال المؤرخين والاختباريين المغاربة للدور الفعال الذي قام به السباعي في اذكاء الحماس الشعبي والغيرة الاسلامية والغالب أنهم لم يكونوا يعرفون الكثير عن ذلك لبعد الشقة وصعوبة الاتصال .

العباس ابن ابراهيم المشهور باتجاهاته الصوفية لم يذكر الا نورا يسيرا عن هذا الرجل الفدائي ، فوصفه بأنه كان « فقيها صادقا في جميع أحواله ، مخلصا لله تعالى في أقواله وأفعاله . . . وصوفيا زاهدا ومرابطا مجاهدا . . . ولا يبعد ان يكون هو المجدد على رأس هاته المئة . . . وكان حافظا ناظما شاعرا ... ينقم عن السلطان مولاي سليمان توليته العمال الظالمين .

» ومات رحمه الله في توجهه للغزو ببلد الصعيد . فالتقى مع النصاري ، وتقاتل معهم اشد القتال ، ثم اعتل ومرض فمات بقرب مرضه ودفن هناك بقرية يقال لها أحكاز » .

ولم يزد المراكشي شيئا في هذا الباب ، ولم يذكر لنا تاريخ ولادة السباعي ولا مكانها ، ولم يُفِض في ذكر هاته الواقعة ولو أنه أسهب كثيرا في غير هاته النقطة التي لم تكن تأخذ منه كل مأخذ كما هي عادته في تأليفه . أما المشاركة فقد أشادوا بذكره ، ولو أنهم حرفوا اسمه ونسبه قليلا فسموه محمد الجيلاني الهاشمي المغربي .

ويستفاد من وثيقة مخطوطة بقلم معاصر لتلك الحرب هو لطف الله ابن أحمد حَجَّاف أحد فقهاء اليمن ومؤرخيها في القرن التاسع عشر ، أن هذا المناضل المغربي كان مقيما بالمدينة المنورة والطائف ومكة ، وكان « يقوم في البلدة الحرام بوظيفة الدعاء الى اقامة شعار سنام الاسلام . ولما ورد عليه الاعلام ، بما صنعه الكفار اللثام ، من أجل الهجوم على ساحات مصر تصدر بالحرم الشريف فالتفت عليه خلائق ، واستمعوا الى ارشاده الى أنهج الطرائق . وفعل دعاؤه في القلوب ما فعل وتسامع الناس بأخباره فوردوا

اليه ، وبذلوا نفوسهم وأموالهم بين يديه ، وكانت النساء تأتي فتستمع الى ما يمليه من أحاديث الحض على الجهاد فيلقين الى الحلقة فتخاتهن (خواتمهن) وعقودهن وملبوسهن ويقلن : « ذلك الذي علينا » . فاجتمعت عنده أموال واسعة ، ووردت عليه المتطوعة من البلاد الشاسعة ، فسار بهم لمناجزة أعداء الله الفرنسة . . .

« كان محمد الجيلاني قد دعا العباد بالحرمين الى الجهاد . فممن أعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي ، فانه تصدق في سبيل الله بخمسة بندق صفار مغربية ومائتي حربة من حراب الشام ومائتي سيف وأربع مائة كيس من البرز وألفي نعل ينتعلها فقراء المجاهدين .

« ومنهم الشيخ عبد الرحمان العسيري بمهمات ، جهز بها ثلاث سواعي (سفن صغيرة) يركبها المجاهدون وملأها لهم ميرة .

« ومنهم الشيخ أحمد (ال)فاسي ، جهز داوين في سبيل الله .

« ومنهم الشريف غالب بن مساعد ، جهز خمس سواعي في سبيل الله (شاحنة) .

« ومن أهل يَنْبُع محمد أبو العسل ، جهز داوا من داواته وثلاث سواع أخرى من أهل ينبع .

« فسير السيد محمد الجيلاني جماعة متطوعة من جدة وتلك الداوات فكانوا نحو من أربعة آلاف مقاتل . ثم سار ناحيا نحو المدينة المنورة فمر بأهل رابغ والخليص ... فدعاهم فأجابوه وبذلوا أموالا واسعة ، وسار الى بدر فأنالوه وخرج منهم جماعة متطوعة . وكان له وكلاء يجمعون الأموال معه . ثم نزل بالصفرا (جهة من جهات المدينة المنورة) . . . ودعا الى الجهاد فجاؤوه بأموال واسعة . . . وسار الى المدينة فتسلم من أهلها أموالا جزيلة وخرج منهم 300 متطوع فنزل بالجميع الى ينبع .

« وجاء الخبر بأن المتطوعة من ديار مكة قد مرت مراكبهم ، فحمد الله وسار بمن معه ... »

ثم يسرد حجاف أنباء المعارك التي دارت بين متطوعة الحجاز وبين الفرنسيين في صعيد مصر ... وكيف أنهم — برغم استبسالهم — لم يكن لهم قبّل ازاء الفرنسيين المتفوقين عسكريا . وهكذا « انقسم ... عقد نظام المتطوعة وذهب الناس أرسالا لا أمير لهم ، منهم الذاهب الى مصر والذاهب الى الشام والعائد الى الحرمين » ولاسيما بعد أن استشهد الجيلاني وتفرقت قواته (I62) .

ومما لا شك فيه أن أصداء الغزو الفرنسي بلغت المسامع بالمغرب ولاسيما على لسان الحجاج مثلا حتى ألف شاعر من كبار رجال الملحون بفاس قصيدة « الماصرية » في هذا الموضوع ، ويكاد يجمع كبار الأشياخ أن قائلها كان هو محمد بن علي العمراني الشريف المكنى ولد أرزين الفيلالي المولود سنة 1145 — 1742 . وقد ضاعت هاته القصيدة (I63) .

ولئن كان المتطوعون المغاربة قد ساهموا في الدفاع عن أرض مصر والوطن الاسلامي من الهجوم الاستعماري والصليبي قبل القرن التاسع عشر ، فقد قامت محاولة مصرية بعد ذلك لأعانة المغرب من الوجهة العسكرية والاقتصادية لم يكتب لها النجاح ، وذلك لما أرسلت الحكومة المصرية أحد مدربي الجيش الى المغرب . فلما وصل في بداية عهد مولاي الحسن صدر الأمر بالاستغناء عنه . ولعل ذلك كان بايعاز من المستشارين الأجانب (I64) .

ولئن أبعد الحراب المصري عن المغرب فقد وجه السلطان محمد الرابع بعثات تعليمية الى مصر في عهد سعيد باشا وجلب اختصاصيين لمباشرة

162 . احمد عبد الرحيم مصطفى : « عندما هب العرب لصد الفرنسيين عن مصر » في مجلة « العربي » العدد 250 ص 38 وص 39 (شتنبر 1979) . مخطوط لطف الله ابن احمد حجاف يحمل عنوان « درر الحور العين » بسيرة الامام المنصور علي واعلام دولته الميامين » . وقد اكتشفه سيد مصطفى سالم ونشر مقتطفات منه بالقاهرة سنة 1975 بعنوان « نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر » ونقلها عنه احمد عبد الرحيم مصطفى في مقاله المعنون اعلاه .

وقد تحدث عنه كذلك العباس ابن براهيم في « الاعلام ... » ج 6 ص 147 — 155

163 . محمد الفاسي : « مشاركة ... » ص 57 وكذلك عباس الجراري « القصيدة » ص 622 .

164 . عبد الوهاب ابن منصور : « الوثائق » ج 3 ص 411

تصفية السكر في مصنع أكدال بمراكش (I65) ثم وفد الطباع المصري محمد ابراهيم القيانى لانشاء مطبعة بتارودانت سنة 1865 لفائدة قاضي المدينة محمد الطيب التلمي (I66) .

* * *

ث - 2 : المغاربة في مصر :

وفضلا عن ذلك كان بعض التجار المغاربة يصدرون أنواع الانتاج المغربي الى البلاد المصرية التي عاش فيها أيضا مغاربة كانوا اما وكلاء واما طلبة ، أو تجاراً ، أو زوارا عابرين ، أو مستوطنين دائمين .

ومن هؤلاء أذكر :

I - الحاج عبد الكريم بريشة وقد سبقت الإشارة اليه .

2 - عبد السلام بناني : ولد بفرنسا . أمه فرنسية هي بوفيه Bouvier وأبوه مولود بفاس سنة 1824 ، ولكنه استقر بمدينة مرسيليا سنة 1863 . ولعله هو محمد ابن العياشي بناني المذكور سابقا بفرنسا من كونه استوطن هاته المدينة الفرنسية في نفس التاريخ .

أما عبد السلام فقد انخرط في الجيش البريطاني برتبة ضابط حسب بعض الروايات من 1884 الى 1888 . وكان يتحدث الفرنسية والانجليزية ويراسل جريدة « ريفي دو ماروك » الفرنسية بطنجة وجريدة : « له ماروك فرانسى » عند ما كان مستخدما بقنصلية فرنسا بالعرائش سنة 1904 .

وكانت له علائق وطيدة مع الوزير محمد المفضل غريط (I67) .

I65 . ابن زيدان : « اتحاف ... » ج 3 ص 556 وعبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 32 ومحمد المنوني « مظاهر ... » بمجلة « تطوان » العدد الثاني ص 44 .

I66 . المصدر الأخير ص 201 و « الوثائق » : 2 ص 417 .

I67 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 272 و ج 1 ص 72 .

3 - **عبد القادر بن عبد الكريم الوردیغی** : وهو من قبيلة بني خيران ولكنه كان قبل ذلك يقطن بمدينة شفشاون حيث كان أبوه قاضيا . وقد درس العلم بفاس ومنها رحل الى مصر حيث سكن باحدى مدنها مدة طويلة حتى توفي في الغربية سنة 1895/1313 . وقد جاور الأزهر ، وهو من النحويين والفقهاء المالكيين . وله تأليف في الفقه والتصوف . وكان أحد الطلاب الذين وجههم السلطان محمد الرابع الى مصر سنة 1866 للتخصص في الطباعة (168) .

4 - **حسين بن علي قويدر** : كان شاعرا واديبا وله تأليف ترجم بعضها الى اللغة الايطالية . ومولده ووفاته كانا في القاهرة (1262/1204 هـ - 1846/1787 م) . ولكنه كان يحترف التجارة كأبيه ، وأصله من المغرب (159) الذي لعله الأقصى .

5 - **محمد الأبيض** : هو محمد بن محمد بن قدور المراكشي الاسكندراني الدار المكنى الأبيض . كان أحد الفقهاء بالاسكندرية لقيه أحمد ابن حسون وذكره في رحلته التي ألفها عام 1207 - 1790 وتوفي قبل 1853 (170)

6 - **عبد السلام بن محمد العلمي** : هو طبيب من أهل فاس ومن الموفدين الى مصر لتعلم الطب ، قرأه على أطباء فرنسيين واسبانيين ، وحضر تشريح 1600 جثة من موتى الحرب أثناء ثورة أحمد عرابي سنة 1882 وشاهد العمليات الجراحية بمستشفى مصر . ولما عاد الى المغرب اختص به السلطان مولاي الحسن ، فجعله طبيا لنفسه ولعياله . كما أنه فتح دكانا لعلاج المرضى بفاس . وكان يجلب لمصر كتباً غريبة المنحى في العلوم العقلية والطبيعية والجغرافية لم تكن معروفة . وله من التأليف « ضياء النبراس في حل مفردات

168 . محمد بن الحسن الحجوي : « الفكر السامي ... » ج 4 ص 140 ومحمد مخلوف : « شجرة ... » ص 431 وعبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 4 ص 348 وعبد العزيز بن عبد الله : « مصر والمغرب الأقصى عبر التاريخ » العدد 229 من « دعوة الحق » ماي 1983 ص 19 وخير الدين الزركلي : الاعلام ... » ج 4 ص 165 .

169 . المصدر الأخير ج 2 ص 224 .

170 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 6 ص 290 .

الأنطاكي بلغة فاس ، و « البدر المنير في علاج البواسير » ، وتوفي سنة 1906/1323 (171) .

7 - **أحمد شهبون** : كان مثل سابقه من أعضاء البعثة التعليمية الى مصر خلال 1859/1276 ، أي أثناء فترة حكم الخديوي محمد سعيد المتوفى سنة 1280 هـ . وقد وضع تأليفا سماه « كتاب الجغرافية المغربية » وأتم تخطيطه بفاس سنة 1898/1315 . وهو من العلماء الجغرافيين المغاربة ، ولله خرائط (172) .

8 - **الحبيب البلغيثي الحسني** : وهو عم القاضي أحمد بن المامون البلغيثي . قضى 40 سنة في القاهرة مصر للمتاجرة . وكانت وفاته بفاس سنة 1323 - 1905 . وقد ساهم في طبع أجزاء « الاستقصا » ، لأخبار دول المغرب الأقصى ، (173) ، وكان تاجرا . ومن ذلك أنه وجه سنة 1888 من الأسكندرية زرابي الى المخزن على ما يظهر ، فطالب بثمانها الحاج محمد الزكاري نائب الطريس (174) .

وقد يكون الحبيب من جملة التجار المغاربة بالقاهرة الذين كانوا يطبعون الكتب الضرورية لطلبة القرويين ويرسلونها الى المغرب (175) مع الحجاج أو غيرهم .

9 و 10 - **حسن المراكشي وابنه عبد الكريم** : وهما معا من مدينة مراكش . وكان الأب تاجرا بالقاهرة ، أما ابنه عبد الكريم فقد ولد بمدينة أسبوط . وكان حسن هذا تاجرا مكث هنالك للتجارة وكان لا يزال حيا في تاريخ كتابة العباس ابن ابراهيم لمؤلفه « الاعلام » (176) .

171 . نفس المصدر ج 8 ص 491 .

172 . عبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة » ج 2 ص 161 - 162 .

173 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 248 وعبد الله العروي : « الأصول ... » ص 214 .

174 . رسالته الى الزكاري في 13 رجب 1305/26 مارس 1888 - محفظة الطريس 12 .

175 . عبد الله العروي « الأصول ... » ص 204 .

176 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 8 ص 181 .

II — أحمد بن الحاج الرخاوي الرباطي : الذي كان يشتغل باحدى مطابع القاهرة أكثر من عشرة سنوات ، ولما عاد الى المغرب حوالي 1914 وظف في مناصب مخزنية . وهو من الأدباء وله تأليف عن مدينة الصويرة (177) هو « الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة » .

I2 — الحاج أبو بكر برادة : وقد رحل الى مصر قبل سنة 1847 فاستوطن مدينة الاسكندرية (178) . ولعله كان تاجرا بهاته المدينة .

I3 — الحاج علي بن أحمد زنيبر : ولد بمدينة سلا حيث تلقى دراسته الأولى ، ثم تعاطى التجارة بها وانتقل بعد ذلك الى مدينة فاس لنفس الغرض . ولما توسع نطاق حركته ، أخذ يتعامل مع البلاد المصرية ويرسل اليها البضائع التقليدية كالبلغة ، الى أن كانت سنة 1298 — 1881 ، فرحل الى هناك وأخذ يستورد الانتاج المغربي ويصدر الى بلاده سلعا شرقية ، كالتوابل والبخور والعود القماري والحرير (179) .

ويقال ان الحاج علي أفلس في تجارته بفاس بأموال الناس ، فاضطر الى مغادرة المغرب . لكن هذا القول بالافلاس محتاج الى تحقيق ، ولو صح فانه قد لا ينطبق — على ما يظهر — إلا على فترة معينة من حياته . فقد تحسنت حالته المادية في الغرب بعد ذلك ، لما أدى من ماله الخاص أو من الأموال العمومية أجرة رجوع حجاج مغاربة فقراء منقطعين . ويستفاد من موجب أنه في أوائل جمادى الأولى 1311 (منتصف نونبر 1893) توسط المترجم بين طائفة من الحجاج المغاربة وبين الحاج علي الميلادي وكيل بابورات فرانسيسكو الباش بالأسكندرية ، لكي ينقل الى طنجة نحو 500 حاج ، مقابل 700 لوز ذهبي . فوق الاتفاق بين الأطراف ، ثم دفع الحاج علي زنيبر « من ماله الخاص » 150 ريالاً لحمل 75 من الفقراء . وبعد ذهاب زنيبر أخذ الميلادي يماطل الركاب ، وانتهى به الحال الى الزامهم الغاء وكالة زنيبر عنهم وقدم لهم ورقة

177 . عبد الله الجراري : « من اعلام ... » ج 2 ص 9

178 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 32 (5) .

179 . محفظة التراجم بمديرية الوثائق الملكية .

بيضاء للتوقيع عليها ففعلوا . غير انهم بعد ذلك ندموا واحتجوا بأن « الورقة المأخوذة علينا أخذت منا جبرا وكرها لا برضانا . وعليه فلا يعول عليها مطلقا » (180) .

ومهما يكن فقد قضى الوكيل زنيبر نحو من 23 سنة بالديار المصرية . ولما عاد الى وطنه حوالي سنة 1904 استقر بطنجة ، وسكن لوقت ما بأحد أبراج المدينة . وفي سنة 1906 انتقل الى فاس ثم أكثر من التردد على هاتين المدينتين وعلى تطوان وسلا حتى توفي سنة 1332 - 1915 . وبمسقط رأسه دفن (181) .

كان المترجم من الدعاة الاولين لحفظ استقلال المغرب . وكان على اتصال بزعماء مصر ورجالات فكرها . وفي سنة 1903 استقبل بمدينة بور سعيد الشيخ محمد الكتاني مبعوث السلطان عبد العزيز الى الشرق . وقد وصفه بأنه « ممثل سفير المغرب الحاج محمد الحلو الفاسي » . وذكر أنه كان يعيش هناك جماعة من المغاربة أشهرهم علي زنيبر «الأستاذ الشاعر وصاحب القصائد الوطنية المتنوعة وذو الفكر النير والوطنية الصادقة » (182) .

ورجع الحاج علي الى المغرب وأخذ يبذل نشاطا سياسيا دائبا ويتصل بالدوائر المخزنية العليا بفاس وطنجة . وعن مؤتمر الجزيرة الخضراء وضع تأليفا صغيرا عنوانه « حفظ الاستقلال ، ولفظ سيطرة الاحتلال » ضمنه اقتراحا يشتمل على 31 نقطة لاصلاح الأحوال السياسية . كما احتوى التصنيف على

180 . الموجب المذكور منتسخ عن اصله ، وعليه خطاب قاضي طنجة في 17 شعبان 1322/27 اكتوبر 1904 . وتاريخ الموجب الأصلي هو اوائل رجب 1311/ اوائل يناير 1894 . الأشهاد تلقي عن 61 حاجا منهم 15 من الرباط و 11 من فاس و 7 من سلا . اصل النسخة المخاطب عليها من لدن قاضي طنجة موجود بمكتبة الصبيحي بسلا .

181 . محفظة التراجم ثم محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 249

182 . المصدر الأخير وكذلك محمد الباقر الكتاني : « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد » ص 94 .

منظومة رائية متوسطة القيمة عنوانها « مصباح الفلاح لمراجعة الاصلاح » .
وهذا مطلعها :

عزيزي ومن البحث يسري بما أسري
ويجتاز في الاصلاح قيد ذوي أسر
الى ان قال :

وقل ما ترى فالحق مرمى ذوي الهدى
وراية أهل الحي في الطي والنشر
ولا تخش الا الله في كل ما ترى
فان ابتهاج العبد ترضية الحر (183)

وعلى الرغم من هاته القصيدة يعتقد البعض أن نصيبه من العلم كان
ضئيلا لا يرقى به الى قرض الشعر ، وأن صاحبنا هذا كان غريب الأطوار شاذ
التفكير . إذ يؤثر عنه أنه رفض العودة من مهجره ، ما لم تُمَد بالمغرب السكة
الحديدية .

رسائل الحاج علي لا تكاد تقرأ لرداءة كتابته بخط الزمام (لا بخط
الرقعة لأنه لم يتمصر بالرغم من طول عيشه بالمهجر) . ثم انها لا تفهم الا
اذا عرفت الظروف التي كانت محيطة به .

كان منتسبا للطائفة الدرقاوية المتشددة . ولذلك كان معجبا بشيخها
حسب مقولة زنيبر المشهورة في الأوساط السلاوية .

فقد ذكر أنه لا يرتاح في الدنيا الا الى ثلاثة أشخاص . أولهم مولاي
العربي الدرقاوي الذي اختار لفقرائه - حسب الحاج علي - وِرْدًا قصيرا
سهلا (بخلاف غيره الذين وضعوا أورادا طويلة حتى لا يكاد يتمها المريد) ،
وثانيهم الانجليزي في سياسته (؟) . وثالثهم صياد السمك في صبره ومكابدته

183 . التأليف مخطوط بمكتبة الصبيحي تحت رقم 557 مع مجموعة من الرسائل
التي كان يتبادلها مع باشا سلا الحاج الطيب الصبيحي .

حتى يظفر بصيده (السمك المقصود هنا هو الشفشف المدعو عندنا « القُرب » ، تلك اللفظة المشتقة أو المشتق منها كلمة كوربيناً corvina الاسبانية أي أومبرين ombrine الفرنسية) .

* * *

وختاما لا يستطيع أحد أن يغمط الحاج علي الدور الطلائعي الذي اضطلع به خلال حياته المضطربة والنشطة معا داخل المغرب وخارجه . ويكاد شذوذه يدل على قوة شخصيته وعلو كعبه . وقد سار أحفاده الصبيحيون على منهجه في النصف الأول من القرن العشرين .

* * *

I4 - أحمد الغربي : كان تاجرا مقيما بالاسكندرية حوالي 1830 . ولما زار ابن طوير الجنة هاته المدينة خلال رحلته الى الحجاز استضافه الغربي وأكرم مثواه (184) .

I5 - محمد بن علي بن محمد العدلوني الدمناتي المولود سنة 1230 - 1813 والمتوفى سنة 1889 . رحل الى مصر في طلب العلوم الشرعية وأقام هناك ثمانية أعوام (185) .

I6 - حسن بن محمد بن محمود العطار المغربي الأصل الذي تولى مشيخة الأزهر سنة 1246 - 1830 وقبلها (186) .

* * *

هذا عن التجار والعلماء ، أما الصناع فكانوا بلا ريب عديدين ومنهم بعض عمال الطباعة حسبما تقدم . ولم أقف الا على اسم صانعين وهما :

184 . عبد القادر زمامة : « رحلة من القرن 13 هـ ... » في مجلة « البحث العلمي » العدد 28 ص 301 .

185 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام » ج 7 ص 66 .

186 . عبد العزيز بن عبد الله : « مصر ... » في « دعوة الحق » العدد 229 ص 28

17 - **الحاج محمد بن الهاشمي بنسعيد** : وهو من مدينة سلا . وقد عاش في أواخر القرن الماضي بمدينة الاسكندرية حيث تعلم النجارة وخرط الأعواد ، ونقل عن صناع هاته المدينة طرائق تزيين البيوت الأجنبية . ولما عاد الى المغرب ، أنشأ معملا بحى بوقرون بالرباط . وكان يسافر الى جبل طارق وطنجة في شؤون مهنته ، يأخذ « التوصيات » من الأسر الأجنبية لصنع ما هو مطلوب منه بطريقة التصوير و « الكاطلوغ » .

وقد توفي في العشرة الثانية من القرن العشرين ، وتعلم له أزيد من أربعين صانعا . ومنهم من أهل سلا : الحسن الطرابلسي والعربي حصار والعربي التازي ومحمد الرحماني وأبو عمرو شقرون وأبو عمرو الحارثي ومحمد بنسعيد . وقد اشتهروا بالنجارة الرقيقة (187) .

18 - **عبد الكريم الزريع الفاسي** : قامت على أكتافه نهضة متواضعة في صناعة الخزف بمصر في القرن الثاني عشر الهجري ، وقد صنع ألواح القشاني لتغطية جدران العماثر . وتوجد الآن نماذج من ذلك في دار الآثار العربية بمصر . وكان من المصورين على الألواح المذكورة ورسم على قطعة منها اسمه وتاريخ 1171 هجرية (188) فهو اذن من رجال القرن الثامن عشر .

* * *

ث - 3 الوكلاء :

أما التمثيل القنصلي فقد تولاه الأشخاص الآتية أسماؤهم :

19 - **مولاي محمد بن المهدي** وكان من امراء الأسرة العلوية (189) .

ولم أقف على تاريخ تعيينه ، ولكنه على كل حال قبل الذي بعده .

20 - **الحاج محمد بن الطيب برادة** المتوفى قبل غشت 1845 . وكان

وكيلا أيضا (190) بعد السابق مباشرة حسبما يلوح .

187 . الافادة من عند الحاج احمد معينو السلاوي .

188 . عبد العزيز بنعبد الله : « علماؤنا ... » في « دعوة الحق » دجنبر 1960

ص 31 ومحمد المنوني : « مشاهد ... » في نفس المجلة ، يوليوز 1972 ص 115

21 - **الحاج محمد بن الحاج احمد الرزيني** : التطواني وكان سنة 1848 يتولى الوكالة قبل أن يصبح قنصلا بجبل طارق . وفي سنة 1858 كلفه السلطان بشراء عقار وتحبيسه على مؤذني مكة والمدينة (191) .

22 - **الحاج محمد افروخ التطواني** كان سنة 1866 وكيلا (192) وأحد تجار المغرب بمصر دون تحديد المدينة التي قد تكون هي القاهرة .

23 - **الحاج محمد الحبابي** وتولى ذلك سنة 1286 - 1870 أيضا (193) .

24 - **الحاج عبد الغني بن الطيب التازي** : المتوفى بمصر سنة 1294 - 1878 . وكان قنصلا في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان والحسن الأول (194) .

25 - **الحاج عبد الواحد بن محمد التازي** : وهو من فرقة المزعلك التي كان طرف منها يقيم بمصر (195) ، كما أنه ابن أخي السابق الذي قبله (196) . وقد ظل قنصلا للمغرب سنوات طويلة ، عينه السلطان هناك وكيلا بعد وفاة عمه الحاج عبد الغني (197) . ويبدو أنه كان إما سيئ التصرف ، وإما أنه كان له منافسون في الدوائر المخزنية العليا . ولذلك عثرت على عريضة يشهد موقعوها أن الحاج عبد الواحد وكيل المغاربة مستقيم السيرة ، وهي بامضاء مغاربة جلهم فاسيون ، ولأغلبيتهم العظمى طوابع صغيرة ومستديرة

189 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 46

190 . رسالة محمد بن ادريس الى بوسلهام بن علي في 7 شعبان 1261/ 11 غشت 1845 محفظة بوسلهام 4 .

191 . رسالة العربي بن المختار الى قنصل فرنسا في 28 جمادى الأولى 1264/ 2 ماي 1848 (صورتها عند أوجيرن فومي في « المختار ... » ص 47 اللوحة 21) واحمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 74 وابن زيدان « الأتحاف » ج 5 ص 127 .

192 . عبد الوهاب ابن منصور : « الوثائق » : 2 ص 420 (3)

193 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 46

194 . المصدر السابق

195 . عبد الهادي التازي : « رسائل مخزنية » ج 1 ص 22 و 23

196 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 46

197 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 293

(1ر5 سنتمتر × 1ر5 سنتمتر) تحمل اسم صاحبها بشكله ودعائه (198) .
وسياتي كلام خاص عنها .

26 - **الحاج محمد بن قاسم الحلو** : وهو الذي خلف الحاج عبد
الواحد التازي عند وفاته حوالي 1311 - 1893 (199) .

27 - **الحاج محمد بن العباس بنشقرون** : وهو من أصل فاسي .
وقيل أنه كان وكيلًا سنة 1898 ، وكان يخفظ تركات المغاربة القاطنين
بعاصمة الكنانة (200) . ولكن يبدو أنه لم يكن الا نائبا عن الوكيل وأنه كان
لا يزال سنة 1903 في منصبه النيابي . ولي عودة الى مسألة حفظ التركات .

* * *

ث - 4 عريضة الوكيل التازي :

الفقرات الموالية هي آخر ما اتحدث به عن المغتربين في مصر .
وتتعلق بعريضة قدمها 185 مغربيا يزكون بها سيرة القنصل الحاج عبد الواحد
التازي . وهي مؤرخة في 10 جمادى الأولى 1305 - 23 يبرابر 1888 .

وأسوق فيما يلي للفائدة التاريخية سوفا كاملا نص التزكية أولاً ، ثم
أسماء مؤيدي الوكيل . وقد وضعت لدراستها - بعد ذلك - أرقاما تبتيديء
من اليمين الى اليسار ومن الأعلى الى الأسفل ، وأثبتت الأسماء حسبما كتبت
بخطئها أو بصوابها ، مشيرا الى من له طابع والى ما جعل داخل الختم ، من اسم
متمغرب أو متمصر ، والى التاريخ الهجري المكتوب فيه بالأرقام الهندية . وبعد
ذلك أو أثناءه أعقب على مجموع الوثيقة حسبما علمته .

198 . صورتها بمحفظة الطريس 12 ، واصلها بمكتبة تطوان يحمل رقذ مـح
ومقياسها هو 60 س × 27 س .

199 . رسالة الطريس الى احمد بن موسى في 4 محرم 1311/18 يوليوز 1893 -
محفظة الطريس 25 و ص 46 من كتاب « مظاهر ... » لمحمد المنوني

200 . عبد العزيز بنعبد الله « معطيات ... » ج 1 ص 93 (1) وكذلك :
« الموسوعة ... » ج 2 ص 20 ثم محمد المنوني في مقاله : « مظاهر ... » بمجلة
« تطوان » العدد الثاني 1957 ص 46 .

ث - 4 - I النص (وهو بخط الرقعة)

« الحمد لله ،

« يشهد الواضعون أسماءهم وأختامهم فيه أدناه (أنهم) يعرفون الحاج عبد الواحد التازي خادم سيدنا أيده الله بمصر معرفة تامة كافية اسما ونسبا ، بها ومعها يشهدون بأن خادم سيدنا في غاية الاستقامة في شؤون ما هو مكلف به من الحضرة العالية بالله ، ولا رأينا منه ما يخل من تعديات ولا أكل ترككات ولا ضياع حقوق أحد . وأحواله مستقيمة منذ تولى خدمة سيدنا المؤيد بالله ، وأنا قابلين توليته علينا برضانا جميعا حيث لم يصدر منه مخالفة فيما هو مأمور به من اتباع الشرع في جميع ما يقف عليه من أمور التركات .

« وكذا شهدنا بذلك لمندوب حضر عندنا لسوق الفحامين من طرف الحكومة المصرية يسألنا واحدا بعد واحد من المغاربة تجار وفقراء بما شهدنا أعلاه . وكذا نشهد بما ذكرنا لدى حاكم مصر وغيره . ومن يشهد فيه بخلاف ذلك فهو زور محض وحسد فيه يريد له بذلك الضرر وإيقاد نار الفتن ، وذلك ينتج منه الإذابة .

« وعلى موجب ما رقم وسطر وضعنا أسماءنا وأختامنا أدناه . والله خير الشاهدين .

« في 10 جمادى الثانية 1305 » .

* * *

ث - 2 - أسماء المؤيدين (201)

- 1 - يشهد بها رشد أبو النصر العلوي بمصر حرسها الله - بد
- 2 - سيدي طهر أجان - بد (أي الطاهر أجانا)
- 3 - كاتبه محمد عبد الواحد الطوبي - ق
- 4 - السيد محمد بن عبد الكبير الحكيم - (ويستفاد من الطابع ان اسم جده هو عمر)
- 5 - الحاج محمد بن محمد التازي - ز
- 6 - محمد يزور وفقه الله بمنه - ز (I291)
- 7 - الحاج محمد بن الطاهر بن جلون - ز
- 8 - محمد بن عبد الواحد الأزرق - ز
- 9 - محمد بن عبد الخالق بن شقرون - ز
- 10 - الحاج التهامي الرايس - ز
- 11 - السيد محمد الجنوني وفقه الله - ز (المغربي : I302)
- 12 - أحمد محمد برادة - ق
- 13 - الحاج عبد الرحمان ابن ابو زيان - ق
- 14 - الحاج محمد بن عبد السلام بنونة - ز
- 15 - محمد بن أحمد الحلوا لطف الله به - ق (I302 ؟)
- 16 - الحاج محمد الحريشي - ق - (I302)
- 17 - الحاج الخياط محمد برادة - ق - (حاج خياط بن محمد برادة)
- 18 - مولاي الحاج المفضل البقالي - ق (ملي مفضل بقل : I295)
- 19 - يشهد بدليك كاتبه الحاج ادريس التازي - ز
- 20 - الحاج أحمد المراكشي - ز - (I292)

201 . رغبة في الاختصار ساجعل رموزا بالحروف للدلالة على انواع الخطوط المكتوبة بها شروح الأختام والتوقيعات الواردة في هذا النص : ج = مجوهر ، بس = مبسوط ، ز = زمام ، بد = بدوي او بدائي ، ق = رقعي . وما جعل بين هلالين يفيد ما هو مفهوم من بعض ما نقش داخل الطابع زيادة في التوضيح ، او ما قد يستخلص من الكتابة المحرفة .

- 21 - محمد احمد برادة - ق
- 22 - يشهد بذلك كاتبه محمد ابن يحيى - ق
- 23 - الحاج الحسين ابن يحيا - ز
- 24 - كاتبه الفقيه بن حـ احمد بن شقرون لطف الله به - ز
- 25 - كاتبه محمد بن عبد النبي مزور - ز
- 26 - الحاج ابو بكر التازي - ز (I292)
- 27 - شهد بذلك كاتبه محمد بن محمد العدلاني - بد
- 28 - الحاج قاسم برقوق - ق
- 29 - الحاج محمد بن محمد عديل - ق ، ولم اتبين التاريخ داخل الطابع
- 30 - شهد بذلك كاتبه ابراهيم الطويي - ق
- 31 - الحاج عبد القادر بن محمد بن جلون - ق
- 32 - الحاج أحمد بن حمد - بد (ابن حميدة : I300 ؟)
- 33 - شهد بذلك كاتبيه اج العربي بنونة - بد
- 34 - الحاج عبد السلام بن محمد الحبابي - ق . ولم أتبين التاريخ في الطابع
- 35 - الحاج عبد السلام محمد التطاوني - ق (I292)
- 36 - الحاج العربي السقاط - ق - (I298 ؟)
- 37 - محمد بن غانم - ق
- 38 - محمد حرازم التازي - بد
- 39 - عبد القادر الابار - ز
- 40 - السيد اطهر البقالي - بد (طاهر محمد البقلي)
- 41 - سيدي أحمد البقالي - بد (أحمد طاهر البقالي : I303)
- 42 - الحاج محمد الشاوي - ز (I299)
- 43 - محمد عبد السلام بناني - ق (محمد بن عبد السلام : I302)
- 44 - الحاج أبو بكر ابن ابراهيم - ق ، وبداخل الطابع رقما I2 ولم يظهر ما بعدهما من العشرات والآحاد

- 45 - الحاج محمد الريفي - ق (1302 I 9)
46 - الحاج عبد السلام العرائشي - ق ، والتاريخ غير واضح
47 - الحاج فضول المكناسي - ق (1298)
48 - الحاج محمد ابن ابراهيم - ق (محمد ابراهيم 1300)
49 - الحاج عبد الرحمان الغرابلي - ق
50 - الحاج سعود البناني - ق (202)
51 - الحاج عبد القادر بن احمد الشرقي - بد (عبد القادر احمد
المغربي 1287)
52 - الحاج الطيب ابن العيساوي برادة - ق (الطيب بن عيسى
برادة)
53 - الحاج البشير التازي - ق (ابن محمد)
54 - الشريف السيد محمد السليمان - ق (السيد محمد الشريف
السليمان)
55 - السيد محمد بن مولاي أحمد بن الكبير العلوي - ق (1298)
56 - الحاج التهامي ابن جلون - ق
57 - الحاج محمد بن سلكة - ق
58 - (داخل الطابع : « محمد بناني » ، وليس في الوثيقة كتابة)
59 - الحاج عبد الرحمن العسال - ق (والتاريخ غير واضح ، ولعل
نسبه هو الغسال)
60 - الحاج بلال علي برادة - ز (بلال ... 1298)
61 - السيد المداني الحداد - ز - التاريخ غير بين بالطابع
62 - قصم بن أحمد الشرقي - بد (قاسم أحمد) . أما التاريخ فهو
... 12 دون وضوح العشرات والآحاد
63 - الحاج عبد الوهاب بن محمد التازي - ق

202 . البناني هذا مغربي وهناك غيره بالحجاز . لكن خير الدين الزركلي
(« الأعلام ... » ج 4 ص 73) ذهب الى ان البناني نسبة الى بنانة التي هي من قرى منستير
بافريقية (تونس) وذلك في معرض الكلام عن عبد الرحمان بن جاد الله البناني المغربي
المتوفى بمصر سنة 1198/1784 والذي هو فقيه مغربي جاور الأزهر .

- 64 - خليل مَحمَد الأودي - ق (خليل مَحمَد الودي)
65 - الحاج مَحمَد العساوي الغسال - ز (I302)
66 - عبد ربّه السيد مَحمَد ابن ادريس الويلاني لطف الله به - ز
67 - الحاج مَحمَد بن عبد الله المكناسي - ق (الحاج مَحمَد عبد
الله I302)
68 - مَحمَد الجيلاني بن عبد الله المكناسي - ق (مَحمَد جلاللي :
I302)
69 - الشريف بن ابو عبد الله - ق (الشريف ابو عبد الله)
70 - أحمد اليحياوي - ق (المغربي)
71 - الحاج عبد القادر الغريسي - ز
72 - الحاج علال برادة - بد
73 - السيد مَحمَد المنجرة - ز
74 - الحاج مَحمَد بن مَحمَد بن جلون - ز
75 - ج العباس برادة - ز (بن مَحمَد)
76 - مَحمود بن عبد الرحمان - بد (مَحمَد عبد الرحمن)
77 - الحاج أحمد الأزرق - بد (I292)
78 - الحاج سعيد السوسي - بد (الحاج سعيد حسن المغربي)
79 - ملاي برهم بن الطالب - بد (السيد ابراهيم ابن الطالب)
80 - سيد مَحمَد بن العباس لقدميري - بد
81 - الحاج مَحمَد الزموري - ز
82 - ادريس بن سليمان الزرهوني - بد
83 - سيد مَحمَد بن دريس ابوزبع - بد (ابو زوبع)
84 - امحمد علي الدسولي - بد (مَحمَد علي : I305)
85 - مَحمَد حسين السلاوي - ز (حمزة حسين I299) . وهنا خلاف
بين المطبوع والمكتوب .
86 - الحاج مَحمَد بن أحمد بن جلون - ز
87 - الحاج الجلاللي الشرقاوي - ز (جلاللي شرقاوي)
88 - الحاج صالح ادراوي - بد (صالح مَحمَد)

- 89 – الحاج محمد بن العباس الكوهن – ز (محمد عباس 1305)
90 – سيد قضم بن محمد الشرقاوي – بد (قاسم بن محمد : 1305)
91 – محمد بن محمد الشرقاوي – ز (محمد بن محمد 1301)
92 – عبد الرحمن أحمد التدلاوي – ز (الحاج عبد الرحمان بن أحمد المغربي)
93 – الحاج الزموري بن العربي الدكالي – ز
94 – الحاج محمد بن أحمد المراكشي – ز (محمد بن أحمد : 1301)
95 – الحاج العربي بن كيران – ز (1292)
96 – الحاج عمر امحمد الشاواني – ز (1301)
97 – السيد عبد السلام المكاوي – ز (1300)
98 – الحاج صالح بن محمد الزمراني – ز
99 – عبد الرحمان زرناط – بد . ولم أميز النسب الذي قد يكون أرناط أو أرنيط
100 – السيد أبو بكر بن الطيب المنجرة – ق
101 – الحاج عبد السلام ابن محمد التازي – ق (1300 ؟)
102 – الحاج أحمد برقوق – ز
103 – الحاج أحمد بن كيران – ق (1301)
104 – عبد العزيز التازي – ز . التاريخ غير واضح في الطابع
105 – الحاج محمد الجامعي – ز
106 – الحاج عمر الريفي – ز (عمر بن عبد الله)
107 – حسن قاسم الطنجاوي – ق (حسن قاسم)
108 – الحاج موسى الزموري – ز (1290)
109 – الحاج قاسم العطار – ق (1292)
110 – الحاج علي بن عبد الكريم المجدولي – ز
111 – كاتبه الحاج محمد بن سليمان – ز (احمد بن سليمان)
وهناك كما نرى معارضة بين المکتوب والمطبوع ، ولعل اسمه محمد (بالفتح)
112 – الحاج محمد المكودي – ز

- 113 – الحاج أبوبكر المرخاوي ق – (الحاج أبوبكر المرخاوي) .
خط الرقعة هنا غير واضح ، ويحتمل أن يكون النسب هو
المرغادي أو المرتادي أو الحرشاوي أيضا .
- 114 – السيد علي أبوبكر المنجرة – ز (علي أبوبكر : 1304) .
- 115 – الحاج أحمد الندلسي – ق
- 116 – الحاج العربي اليازعي – ق (1301)
- 117 – الحاج محمد بن الحسن بن بوزيان – ق
- 118 – السيد عبد الرحمان بن الفضيل العلوي – ق
- 119 – الحاج عيسى بن محمد الكنسوسي – ق (1299)
- 120 – كاتبه السيد أحمد الشريف الوزاني – بد
- 121 – السيد أحمد بن محمد البقالي – ق (أحمد محمد البقالي 1305)
- 122 – محمد محمد المراكشي – ق
- 123 – كاتبه عبد الحي محمد لزرق ، لطف الله به – ق
- 124 – عبد السلام عبد الخالق كمان – ق (محمود محمد) . فهناك
خلاف بين المکتوب والمطبوع على ما يبدو .
- 125 – الحاج علال فنجيرو – ز (علال العمراني : 1301)
- 126 – أحمد بن علال بنونة – ق (1305)
- 127 – الحاج علال بن محمد بنونة – ق (1305)
- 128 – كاتبه عبد المالك بقصوا ، لطف الله به ، – بد ، ولعل
كلمة « بقصوا » هي ابن قصو .
- 129 – حسن أحمد البقالي – ز (حسن أحمد : 1304)
- 130 – أحمد ابن ادريس ابن موسى – ز (1292)
- 131 – محمد عبد الخلق – بد (محمد بن عبد الخالق)
- 132 – أشهد بما سطر أعلاه عبد ربه الفقيه الحاج محمد الزموري
لطف الله به آمين – بد .
- 133 – محمد بن محمد السفريوي – ز (محمد بن محمد : 1300)
- 134 – الحاج قاسم التراب – ز (الحاج قاسم بن علي : 1300)

- 135 - الحاج عبد الواحد الغرناطي - ز (عبد الواحد الفالساني :
(1301)
- 136 - الحاج حسان محمد السوسي - بد (الحاج حسن محمد : 1300)
- 137 - عمر الدراوي - ز (1299)
- 138 - عبد القادر بن سعيد - ز
- 139 - يشهد بين يدي الله شيخ محمد سنقيط أن الحاج عبد الواحد
أنه رجل صالح - بد
- 140 - عبد السلام بن ادريس بنونة - ز
- 141 - محمد بن علال بنونة - ز
- 142 - الحاج ادريس عيوش - ز (1305)
- 143 - محمد عبد السلام الفلالي - ق (طالب محمد عبد السلام 1300)
- 144 - الحاج محمد بن ادريس البناني - ز
- 145 - محمد بن ادريس بنونة - ز (محمد بنونة المغربي 1305)
- 146 - الحاج احمد بن محمد بنونة - ز
- 147 - الحاج عبد السلام الطنجاي - ز (1305)
- 148 - السيد عثمان الزبادي - ز ، وقد يكون النسب هو الزيادي
- 149 - الحاج عبد القادر بن محمد بناني - ز (عبد العلي بن محمد
بناني) والخلاف هنا واضح .
- 150 - الحاج محمد الأزرق - ز (1305)
- 151 - ادريس بن عبد الوهاب التازي - ز (1305)
- 152 - الحاج الجيلالي الرباطي - ز (جيلالي سكيرج : 1300)
- 153 - احمد ابو النصر ابن جلون - ق (احمد ابو النصر 1303)
- 154 - محمد القندوسي - ق
- 155 - كاتبه محمد بن محمد بناني - ق (البناني : 1305)
- 156 - الحاج عبد المجيد ابن محمد الصفيروي - ق (1300)
- 157 - الحاج محمد الرزيني - ق
- 158 - وهبة عزوز البردعي - ق (1285)

- 159 — الحاج محمد بن قاسم الكوهن — ق
160 — محمد عبد النبي عمور — ق
161 — السيد المهدي ابن الحسن — ق (السيد مهدي حسن)
162 — السيد محمد بن المعلم محمد السفريوي — ز (محمد بن عبد السلام الصفريوي 1292)
163 — امحمد برادة — ز
164 — الحاج محمد بن علي السحراوي — ز
165 — عبد الغني الحبابي — ز
166 — عبد النبي محمد عمور — ز
167 — الحاج عبد السلام بناني — ز
168 — احسين عمر المراكشي — ز (1300)
169 — الحاج أحمد الشاوي — ق
170 — الحاج محمد أحمد الابار — ق
171 — محمد العياشي الحريشي — ق
172 — احمد بن ادريس الصبان — ز
173 — محمد الاودي — ق
174 — محمد المدني برادة — ق
175 — عبد الرحمن برادة — ق
176 — سيدي محمد بن المداني السبتي — بد
177 — الحاج احمد بن سمعون المكناسي — بد
178 — الحاج جمع الوزان — (1300 : جمعة شادي) أو شاووني
179 — عبد الرحمان بن أحمد لعرائس — بد (1305) . ولم يتضح ما نقش داخل الختم . ولعل النسب هو العرائشي أو هراش
180 — الحاج احمد السوسي — بد (حاج حمد حسن : 1302)
181 — الحاج محمد بن مبرك البعمراني — بد (الواثق بالله تعالى محمد حاج مبارك) . وطابعه أوسع من الطوابع الأخرى : 3 سنتمترات 2 × ، بدلا من سنتمتر واحد ونصف في مثله .
182 — الحاج عبد الرحمان بن محمد السوسي — بد

183 — السيد محمد ابو هلل المكناسي — بد ، وصوابه أبو هلال .

184 — الحاج عبد المالك التاواتي — بد (..... بن علي)

185 — الحاج جلال اليازغي — بد ، وصوابه الجيلالي اليازغي

* * *

لهاته الوثيقة الخريدة الفريدة أكثر من معنى . وقبل تمحيصها في الفقرات الموالية في قليل أو كثير من الاصابة أو الخطأ ، بودي أن أذكر أن من جملة النقص فيها أنها لا تفيدنا بشيء عن نشاط المتمصرين المهني الذين كان منهم «تجار» (وهي كلمة قد تعني في العرف العامي : الأغنياء) وكان منهم «فقراء» ولعلمهم صناع .

الحديث هنا سيسلمنا الى النظر في مَحْتِدِ المغتربين المتمصرين ، من حيث مخارج الحروف عندهم واصطلاحاتهم المحلية في التعبير ، بادئا بالفاسيين وخاتما بغيرهم ، والي بحث الشكاية والعريضة ، والي التأمل في اتخاذ الاختتام الشخصية .

* * *

ث - 4 - 3 — المغتربون من اهل فاس

سنرى أن 82 من مجموع 185 يمتون — أو يمت أجدادهم في الواقع — الى فاس بصلة وثيقة ، وأن نسبة المؤيدين — بمناصرة مُنصفة أو بتواطؤ أثير — تبلغ نحو 45 في المئة منهم ، بينما الباقيون ينتمون الى سائر المدن والنواحي المغربية .

لكن من أين لنا بأن نميز الفاسي من غيره ؟ هل سنركن إلى شجرة الأنساب ؟ لا يصح ذلك ، ما دام الفاسي رحّالا جَوَّابا يُصْهِرُ الى عديد من الأسر ويرتبط بغيره بوشائج مختلفة ، فلم يعد اليوم موجودا في العالم جنس صاف ولا دم صرف كما هو معلوم .

ثم هل ثمة معايير أخرى كسحنة الجسد ولوث اللسان ولثغته من الوجهة البيثوية الوراثية ؟ الواقع أن معايب يأياة الرء وتأفیف القاف ولون الوجه والأطراف ليست بالضرورة وقفاً على الفاسي وحده ، فله في ذلك شركاء .

أما لسان السوسي القديم فيذكر المؤنث ويؤنث المذكر ويبتلع الهمزة متى نطق بلغة الضاد ، مثلما يعجز لسان الرباطي القديم تقريبا عن الجهر بالشين والجيم ، مستعيضا عنهما بالشين المهملة والزاي الآسلي ، مثله مثل المكناسي الذي يرقق - إضافة إلى ذلك - الإمالة المضمومة .

وهل الطنجي و « الجبلي » هو من يمد المكسور أو المفتوح قبل سكون ، عندما يتحدث عن بلاده « المغرب » أو عن رقم « العشرين » ، أو هو من يسمى الأطفال « لعوآول » ؟

وهل الصخراوي الشرقي هل كل من ينون اللام ؟

وهل المراكشي هو من يفخم الرء ويتداول في قاموسه ألفاظا مثل « دروك » ويذهل لسانه عن الغين في النكتة المعروفة : « اللي بيتي بيتو » ؟
الواقع أن الاستدلال بطريقة النطق واستعمال اللهجات والاصطلاحات البلدية لا يشفي الغليل ولا يكفي بالتالي لتحديد الأصل ، ما دام الآفاقيون يكتسبون عوائد البلديين بالمرَبَى .

ويبقى علينا أن نقول على سبيل المداعبة البريئة إن المراكشي الأصل هو « ولد البهجة » ، وأن الفاسي « الأح » هو المتأصل من « ءاع فاس » ، وأنه « ولد مدينة مولاي ادريس » ، وأنه « عبّا » بركته . لكننا نؤكد من باب الجد أنه ينتمي لبيوتات اشتهرت منذ عصور قديمة بالتدين والعلم والنخوة والاستراة . ولئن كانت هاته الصفات الوراثية في انحراف اللسان قد آلت إلى زوال في العهد الحاضر لما تقدم ذكره ، فإن المصاهرات والزواج بملك اليمين من الأماء ، وتطورات البيئة ، ونزوح الفاسي عن مسقط رأسه ، قد قلبت الأوضاع دون العصف بالروح العصبية الفاسية الكامنة الدفينة في النفس .

والحاصل أن الفاسي ذكي ونشيط ونسيج وَحْدِه ، يتمتع بحاسة سادسة : إذ كثيرا ما يَجْنَح إلى الفَيْش والمفاخرة ، وإلى تصدّر الأحداث والاعتصام بالسلطة السياسية ، وإلى الأخذ بزمام المبادرات ، فينصب نفسه وذويه في مراكز القوة الاقتصادية. هو — كغيره — يسعى دوماً وراء الربح ، كضالّة ينشدها متى كانت وأينما وجدت وفي أي بلد من بلدان المعمور ، بخلاف السوسي الحريص أيضا على الكسب والمغامرة ، التواق — طوعا أو كرها — إلى الهجرة ، لكنه في باقي الصفات لا يكاد على ما أظن يجاري الفاسي في حبه لطيبات الحياة الدنيا وبهجتها .

إذن لم يبق لي — للاستظهار بالأرومة — إلا اللجوء الى طائفة من أسماء البيوتات الشهيرة في شتى المدن كمراكش وفاس ، حتى ولو قد انقطعت أسبابهم — بل علاقات أسلافهم — بالسكن الطويل ، والعيش المستديم بالمدينة منذ عهود وأحقاب .

وفي هذا المعنى سأُصنف المغاربة بمصر في القرن الماضي انطلاقا من أسماء أُسُر ذائعة الصيت في فاس وغيرها ، ولا داعي الى تكرارها ، مقتصرًا على الأرقام في العريضة .

وأبدأ بأهل فاس وعددهم 82 من أصلاء ومنحاشين :

— 8 من آل بنونة (14 — 33 — 126 — 127 — 140 — 141 — 145 — 146) .

— من أسرة بناني والبناني (43 — 50 — 58 — 144 — 149 — 155 — 167)

— 10 من أهل برادة (12 — 17 — 21 — 52 — 60 — 72 — 75 — 163 —

174 — 175) .

— 9 من التوازة (5 — 19 — 26 — 38 — 53 — 63 — 101 — 104 — 151) .

— 6 من عشيرة بنجلون (7 — 31 — 56 — 74 — 86 — 153)

— 42 من الفاسيين وأشباههم (8 — 9 — 15 — 16 — 24 — 25 — 29 — 34 — 36 — 49 — 51 — 62 — 73 — 77 — 82 — 84 — 85 — 89 — 95 — 100 — 103 — 105 — 109 — 114 — 116 — 123 — 133 — 142 — 145 — 146 — 150 — 154 — 156 — 158 — 159 — 160 — 162 — 165 — 166 — 171 — 176 — 185) وذلك حسبما أعتقد .

ث — 4 . 4 . باقي المغتربين :

- 7 من مكناس (2 — 47 — 67 — 68 — 134 — 177 — 183)
- 9 من سوس (32 — 78 — 82 — 119 — 136 — 138 — 180 — 181 — 182)
- 3 من طنجة (59 — 107 — 147)
- 2 من سلا (3 — 30)
- 4 من تطوان (35 — 39 — 157 — 170)
- 5 من مراكش (20 — 94 — 122 — 168 — 172)
- 2 من الرباط (125 — 152)
- 11 من الشمال (18 — 40 — 41 — 45 — 46 — 96 — 106 — 120 — 121 — 129 — 178)
- 10 من الصحراء (1 — 55 — 71 — 88 — 118 — 137 — 143 — 165 — 184 — 139 ، الذي هو من شنقيط) .

— 9 من الوسط (81 — 87 — 90 — 91 — 92 — 93 — 98 — 108 — 169)

أما البقية فليس من سبيل الى معرفة مساقط رؤوسهم سوى التخمين .
ولعل عدد المتمصرين حسب التسمي المهجري يبلغ 37 شخصا
(محمد أحمد مثلا في مصر بدلا من محمد بن أحمد بالمغرب) . وأرقامهم هي :

3 — 12 — 21 — 35 — 41 — 48 — 51 — 60 — 62 — 64 — 67 — 68 — 76 — 78 —
84 — 85 — 87 — 88 — 89 — 95 — 107 — 114 — 121 — 122 — 123 — 124 — 129 —
131 — 136 — 143 — 152 — 161 — 168 — 170 — 178 — 180 — 181 —

ث : 4 - 5 - أصل الشكاية

ومن أسفٍ ألا نعثر على أسماء المغاربة الآخرين بمصر ، النزلاء
الحقيقيين في كل من الأسكندرية والقاهرة وبور سعيد ، والمحتملين بطنطا
ودمنهور والصعيد ، ممن كانوا يعادون الوكيل أو يحسدونه ، حسب تعبير
العريضة ، أو ممن كانوا قد التزموا الحياد ، أو ممن كانوا لا يعلمون عن
الخلاف والنزاع شيئاً قليلاً أو كثيراً . فقد سلف القول إن عددهم يقارب 1500
شخص في أواخر القرن التاسع عشر . وإذا أضفنا أسماء المؤيدين الى أسماء
المناهضين وأهالي الجميع وذويهم فقد نصل الى الرقم المذكور .

ثم علام انطوت الشكوى ؟ وهل هاته التزكية كانت حقا قائمة على
أساس صالح ؟ ذلك ممكن ، لكن يقال « لا نار بدون دخان » : فتبرئة الحاج
عبد الواحد من أكل تركات المنقطعين وعابري السبيل سنة 1888 ، ثم التأكيد
المتكرر بعد عشر سنوات أن « الحاج عبد السلام بنشقرون كان يحفظ تركات
المغاربة بالقاهرة سنة 1898 » ، برهان على وجود التهمة بها في وقت ما ،
وعلى أن هذا السطو على الأموال كان سكة جارية لا في مصر فقط بل حتى
في غيرها ، ولذلك قد لا تكون هناك عبرة بشهادة البسطاء أو المغفلين الذين
ربما انضموا بآخرة إلى صفوف المؤيدين رَغَبًا أو رَهَبًا أو عصبية (82 من
أهل فاس) . العريضة كانت على ما يظهر مدحا بما يشبه الذم . وفوق ذلك
الله أعلم ما إذا كان الغير طامعاً في هذا المنصب القنصلي . وحينئذ قد تكون هاته
التبرئة (كما قد لا تكون) شهادة بحسن سلوك القنصل فعلا .

ث : 4 - 6 - ظاهرة الطوابع

نلاحظ أن أغلبية المُشايعين يملكون أختاما ، ما عدا 12 فقط هم ذوو الأرقام : 1 - 3 - 19 - 22 - 27 - 30 - 33 - 50 - 66 - 110 - 123 - 132 ، ويستوي في ذلك الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، من طلبة وأُميين ، فهل كانت الطوابع سترا لمركب نقص ، أم إظهاراً لمركب عظمة ، أم « موضة » عصرية للتشبه بالكبراء والذوات ؟

وهل كان الطابع يخفي الأمية ويغني عن التوقيع ؟

لا جواب هنا ، وإن كان الراجع أن الاختام كانت عند خصوم الوكيل التازي وعند شيعته على السواء ، فانتشار الطباعة في مصر قبل المغرب كان من عوامل التحلي بها .

ومهما يكن من أمر ، فيمكن أن نقول إن اتخاذهم للطوابع كان مكتسباً صبغة الفيش والمباهاة أولاً ، وأن ذلك كان ابتداءً جديداً ثانياً ، لم يألّفه التجار المغاربة بداخل المغرب على ما يظهر ، ولو أن بعض الولاة المدنيين والقرويين عندنا صاروا ، في هذا الوقت وحتى قبله ، يبعثون الى المخزن بمكاتيبهم ممهورة ومحلاة بدعوات الاستلطاف الالهي ، والاستثمان الرباني ، مع العلم أن المستعرب شارل فيرو وزير فرنسا بطنجة ، وأوگوست بومي قنصلها بالصويرة كانت لهما طوابع بلسان عربي ، تستلطف وتستأمن هي كذلك .

ومن جهة أخيرة كان داخل بعض الطوابع تاريخ هجري بأرقام هندية كما تقدم ، ونتساءل هل كانت هاته الاختام تعني تاريخ التمصر ، أم دالة على رخصة الإقامة ، أم أنها كانت مفروضة عليهم فرضاً ، نتيجة مضايقات محتملة عليهم ؟

كتب التاريخ ووثائقه قد تكون عندها أجوبة صحيحة على ما قد يكتنف العريضة من غموض وتساؤل .

* * *

ج - السودان

وأعني به السودان المصري سابقا أو السودان الشرقي ، حيث كان يعيش منذ قرون قرب النيل الأزرق جنوبي الخرطوم ، طائفة من المغاربة . وهم قبائل متعددة لا تختلف عن السودانيين في العادات وما تنتجه الأرض من فلاحه وتربية سوائم وتجارة ، إلا أنها تحتفظ في قلب السودان بطابعها المغربي كبياض البشرة ونعومة الشعر وخواص اللهجة المغربية الفصيحة التي هي لهجة الأعراب في موريطانيا وباقي الصحراء (203)

* * *

ح - الشام (سوريا ولبنان)

استوطن المغاربة سوريا الحالية ، والذين اشتهروا منهم هم آل البيهاني ، نسبة لقرية بيبان المصرية التي انتقل إليها من المغرب أحد اسلافهم الأولين ، فولد له فيها يوسف بن عبد الرحمان آتي الذكر حالا :

I - **يوسف المغربي** أبوه هو عبد الرحمان بن عبد الوهاب المغربي البيهاني المراكشي السبتي الحسني .

ولد بقرية بيبان المصرية ، ولما شب رحل الى تونس لطلب العلم في جامع الزيتونة . وعندما أتم دراسته اختار المقام بدمشق . وكان محدثا ومن فقهاء الشافعية ، وله رحلات الى مختلف الأقطار . وكانت وفاته سنة 1862/1279 بمدينة دمشق (204) .

2 - **بدر الدين الحسني** هو ابن يوسف سالف الذكر . ولد بدمشق أيضا سنة 1851/1267 ، وتوفي سنة 1935/1354 . كان صَوَّاما وزرعا ، بعيدا عن الدنيا ، ارتفعت مكانته عند أهل دمشق ، حيث اشتد بغى الأتراك في الحرب العامة الأولى ، وعرضوا عليه البيعة بالخلافة فزجرهم وزاد في انزوائه . ولما

203 . عبد العزيز بنعبد الله : « معلمة الصحراء » ملحق 1 ص 200 .

204 . خير الدين الزركلي : « اعلام ... » ج 9 ص 313 و ج 8 ص 33

قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي ، كان الشيخ يطوف بالمدن السورية . حاثا على الجهاد ، بحيث كان أباً روحياً للثورة (205) .

وإلى ذلك كله ، كان محدثاً وحجة في العلوم الدينية والدنيوية ، وله تأليف . انقطع للتدريس ، وكان يقرأ البخاري يوم الجمعة في المسجد الأموي بدمشق ، وله حجرة في دار الحديث ، وعينت له الدولة راتباً شهرياً قدره 1200 قرش صاغ (206) .

3 - **تاج الدين الحسني** هو محمد بن بدر الدين سابق الإشارة . ولد بدمشق سنة 1307/1890 وتوفي بها سنة 1362/1943 . وكان سنة 1941 أول رئيس للجمهورية السورية تعييناً ، في عهد الاحتلال الفرنسي (207) .

أما بلبنان ، فقد عاش ثمة مغاربة آخرون كان بعضهم يحترف التجارة . غير أن المراجع لم تفدنا بأسمائهم .

* * *

خ - الحجاز

الحج فريضة والعمرة سنة والمجاورة توبة ، هذا ما كان يطمح إليه كافة المسلمين . ولست بصدد إحصاء جميع من حلوا بالحجاز عبر العصور ، ولكنني سأذكر طائفة ممن جاوروا بعد الحج والعمرة طبعاً . وقليل منهم من تعاطى التجارة كالحاج عبد الكريم بريشة التطواني حسبما هو وارد في ترجمته . أما الذين تمنوا أن يختم الله أنفاسهم هناك ، أو كانوا يتعاطون للتدريس فكان منهم :

1 - **محمد الدقاق الدغمي** وهو من أهل سلا . وقد طالت مجاورته للمسجد الحرام أكثر من عشر سنين . وكانت له وجاهة وحرمة عند الناس ،

205 . المصدر الأخير .

206 . المصدر الأخير أيضاً ، وكذلك عبد العزيز بن عبد الله : « الموسوعة ... » ج 2 ص 154 (نقلاً عن عبد الرزاق البيطار : « حلية البشر ، في تاريخ القرن الثالث عشر » ج 1 ص 375) .

207 . خير الدين الزركلي : « اعلام ... » ج 7 ص 305 .

وتعظيم عند ملوك تلك الآفاق وخصوصا العثمانيين . وقد توفي سنة 1741
بالمدينة المنورة (208) .

2 - **ادريس بن الطيب ابن اليماني** بوعشرين الوزير الصدر في عهد
سيدي محمد ومولاي الحسن . وقد ولد بمكناس عام 1260 ، ولما توفي أبوه
الوزير الصدر عام 1286 ، عين مكانه ، ولكنه استقال ورحل الى المشرق
وأقام طويلا بالمدينة المنورة (209) ، حتى توفي عام 1305/1888 .

3 - **محمد الحبيب بن عبد القادر الفلالي** : كان مدرسا في مدرسة
تازروالت بسوس ثم استوطن المدينة المنورة ، حيث كان بها في مفتتح عام
1243/1827 . وله تأليف في اللغة (210) .

4 - **محمد البناني** : هو محمد بن محمد بن محمد العربي بن عبد السلام
البناني النفزي المكي ، مفتي المالكية ، أصله من فاس ، سكن مكة ، وفي عام
1245/1829 توفي بهاته المدينة (211) .

5 - **مسعود الدباغ** هو مسعود بن الطيب بن الحسن الدباغ الادريسي .
كان يسكن بمراكش ثم هاجر الى المدينة المنورة ، وقبل ذلك كان بمكة في
حدود 1270/1853 ، وتوفي بها سنة 1311/1894 .

وخلف أولاداً بالحجاز منهم محمد الطاهر وصالح ، ومن أبناء أخيه ،
كان محمد البحري يسكن بمكة ، وآخر يسكن بجدة (212) .

208 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 6 ص 61

209 . عبد الوهاب بن منصور : « الوثائق » ج 3 ص 99(1)

210 . محمد المنوني : « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي » ، في مجلة
دعوة الحق يناير 1968 ص 55 (نقلا عن محمد المختار السوسي : « المعسول »
ج 8 ص 206) .

211 . خير الدين الزركلي : « اعلام ... » ج 7 ص 299 . والبناني مغربي اذن
خلاف ما تقدم .

212 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 7 ص 267

6 - **أبو القاسم بن مسعود الدباغ** : وهو عالم صوفي من فاس ، استقر بالمدينة المنورة ، ولكنه توفي سنة 1940 بمراكش (213) . ولست أدري هل له علاقة بمسعود سالف الذكر المتأصل من مدينة مراكش .

7 - **عبد الله القباج** ولد بمكة ودخل الى المغرب سنة 1898 ، بعد أن تمكن من آصرة الشعر بالحجاز ، وتوفي بمدينة سلا سنة 1945 . وكان من شعراء المناسبات (214) .

8 - **الحاج عبد المالك الأمrani** : المولود بمكناس سنة 1886 . وقد استقر أولا للتجارة بالمدينة المنورة في بداية القرن العشرين ، وبعد انتهاء الحرب العظمى ، انتقل الى سوريا لنفس الغرض (215) .

* * *

د - الأردن

أحمد بن مسعود بن الطيب الدباغ . كان يقيم بالأردن ، وقد تقدم ذكر أبيه بالحجاز (216) .

* * *

ذ - فلسطين

أحمد الهواري الذي زار القدس سنة 1934/1353 وجد أن المغاربة كان عددهم 54 ، بهاته المدينة في ذلك الوقت (217) . وذكر أنهم كانت لهم بالقدس أوقاف وحي خاص أتت معاول الهدم الصهيوني على 138 بناية منه سنة 1967 .

213 . عبد الوهاب بن منصور : « اعلام المغرب العربي » ج 2 ص 174

214 . ابراهيم السولامي : « الشعر الوطني ... » ص 256

215 . أ . برولتي : « الكتاب الذهبي ... » ص 130

216 . العباس ابن ابراهيم « الاعلام ... » ج 7 ص 268

217 . محمد ابراهيم الكتاني : « القدس الشريف ... » في « دعوة الحق »

غشت 1981 ص 7

وكان من المغاربة الفاسي والسباعي والدكالي والمراكشي والفيلاي والدرابي والسرغيني والتازي والمديوني والحلفاوي (218) .

وبمدينة عكا كان يقيم الشيخ البشير التازي « وهو من التوازة الذين عرفوا بميلهم للتجارة والسعي في طلب الرزق هنا وهناك » (219) . كما كانت هاته البلاد تهوي اليها أفئدة اليهود المغاربة ، فبعد حرب تطوان وما تبعها من قلاقل ، غادرت عشرات الأسر اليهودية هاته المدينة الى فلسطين ، ومنها ابن الوليد وخلفون ومامان ولاريديو وبنشيمول وجشويل واللاوي والكوهن وبناييم وبنزاكين ، واستقر أغلبهم بمدينة حيفا .

وكان صغار اليهود يتلقون دراسة بفلسطين أو خارج فلسطين ، وبعد ذلك يهاجرون الى دول أمريكا الجنوبية مثل البرازيل والبيرو وفنزويلا والأرجنتين والشيلي ، ولا يعود بعضهم الى المغرب إلا متى استكمل ثروته ، بينما يظل الآخرون بالبلاد الأمريكية (220) .

على أنه قبل ذلك سنة 1846 « أكثر أهل اليسار من اليهود السفر بأولادهم لبيت المقدس بنية أن لا يرجعوا ، وفي ذلك ضرر على الاسلام من جهتين : من جهة تضعيف الجزية ومن جهة أن يكونوا عيوناً يدلون على عورات المسلمين » حسب رسالة مولاي عبد الرحمان الى بوسلهام ، التي ختمها بقوله : « فبوصول كتابنا هذا اليك ، امنعهم من الركوب من ثغري العرائش وطنجة منعا كلياً ، حسماً لمادة دائهم » (221) .

* * *

218 . عبد الهادي التازي : « المغاربة والقدس » في المجلة الاخيرة ص 134 .

219 . عبد الهادي التازي : « رسائل مخزنية » ج 1 ص 23

220 . اسحاق عبو : « المسلمون الاندلسيون واليهود الاسبانيون » ص 404 .

221 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى بوسلهام بن علي في 23 جمادى الاولى 1262/17 ماي 1846 - محفظة بوسلهام : 5

ر - تركيا

محاولات الباب العالي لربط الاتصال مع الدولة العلوية كانت محط مراقبة دقيقة من لدن الممثلين الدبلوماسيين الأجانب ، وخصوصاً الفرنسيين الذين احتلوا أطرافاً من الأمبراطورية العثمانية في بداية القرن التاسع عشر وأواخره . ولعل حكومة باريس كانت تخشى ، نوعاً ما ، عودتهم الى الجزائر أو إلى تونس ، وترقب ببالغ الحيطة التحركات الدبلوماسية التركية ، من خلال المبادرات الألمانية تحت تأثير الوزير الألماني بطنجة تيستا : Ch. TESTA

وهكذا كان شارل فيرو وزير فرنسا بطنجة يحذر الحسن الأول من الأخطار التي تتعرض لها إيالته من المطامح العثمانية (222) . وحتى السلطان نفسه كان يتوجس خيفة من الدسائس التي كان يدبرها السفير تيستا ، سواء بطنجة أو بالاستانة حيث كان يتصل ببعض المغاربة المستوطنين هناك ، أو بالأصح باللاجئين المعارضين ، وكان ذلك يقع تحت ستار حركة الإصلاح الاسلامي التي تزعمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، أو الحركة الطرقية بقيادة آل السنوسي بليبيا .

وإذا أضفنا الى ذلك أنه كان يوجد لدى تجار تطوان تياراً لدعم الوحدة الاسلامية سنة 1888 ، تحت دوافع سياسية (223) وأن أعيان الرباط حملوا - على ما قيل - رسالة لأحد علمائهم ، وهو ابراهيم بن محمد التادلي الذي كان قبل ذلك نزل ضيفاً مكرماً على السلطان عبد الحميد وكتب له كتاباً توجيهاً ، والذي كان من دعاة تقوية العلائق الاسلامية والروابط الدينية (224) ، جازلنا أن نعتقد أن الحسن الأول كان يريد تأخير الحديث في هذا الموضوع .

222 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 4 ، ص 176

223 . المصدر السابق ج 4 ص 175 وهنري دهلامارتينير : « ذكريات ... » ص 138

224 . عبد الوهاب بن منصور : « اعلام المغرب العربي » ج 1 ص 172 - 173
وعبد الصمد بلكبير : « اربعة دروس عن الحركة السلفية » في مجلة « الثقافة الجديدة » ،
العدد 22 السنة 1981 ص 107 .

وأشير الى قدوم موفد سنة 1873 « سمي نفسه الحسن بيه وذكر أنه ورد سفيرا من السلطان عبد العزيز ، سلطان اصطنبول ، ومعه مكاتب لسيدنا نصره الله أمر بدفعها له بفاس . . . ومعه ترجمان وكرجي فقط . . . » (225)

ولو بحثنا الواقع لوجدنا أن الحكومة العثمانية لم يكن لها بالمغرب مصالح تجارية ، ولم يكن يسكن به أيضا رعايا أتراك ، سوى قليل من اليهود الذين كان بعضهم من أصل مشرقي غير تركي وكانوا يقطنون بالصويرة وآسفي ، بعد أن وردوا إليهما لاجئين على ما يبدو .

وكيفما كان الحال ، فكانت تركيا تخول اللاجئين حق الإقامة ببلادها ، مع العلم أن بعضهم من البيت العلوي ، كان يتشوف الى السلطة أكثر مما يطمح الى توحيد صف المسلمين إزاء التوسع الأروبي والتغلغل النصراني . ولذلك « كان يخشى أن يكون في فتح تمثيل تركي بطنجة ، وتمثيل مغربي بالأستانة ، ذريعة لخلق مزيد من الاضطرابات بمساعدة ألمانيا » (226) ، حسبما سيأتي في ملحق قادم .

وتكتمل اللوحة إذا علمنا أن جماعة من أسرة الحاج عبد القادر الجزائري كانت تدعو الى الوحدة الاسلامية وأن زعيمها كان هو الحاج علي بوطالب الحشمي المتقلب الأطوار ، فنال الجنسية التركية ، وأنه كان مرشحا لتمثيل الدولة العثمانية بطنجة ، لكن دون جدوى . كما كان ثمة مرشح آخر هو ابراهيم السنوسي نزيل الأسكندرية الذي هو

225 . رسالة الحاج محمد بنسعيد الى الحاج محمد بنيس في 10 رمضان 1290 / فاتح نونبر 1873 في « الوثائق » ج 3 ص 311 .

226 . رسالة الملحق العسكري الفرنسي دد بروي الى وزير فرنسا بطنجة في 10 ابريل 1887 في كتاب مبيج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 183 . وسنقف على تعريبها في آخر هذا الفصل .

أحد الطنجيين أو الفاسيين ، ونُعت بأنه علامة مشهور . وفعلاً سلم السنوسي للحاجب أحمد بن موسى سنة 1877 طلباً في الموضوع (227) .

وحتى الوفادات ، التي كان يوجهها السلطان سراً لأغراض خاصة إلى تركيا ، كانت تقلق بال أعضاء البعثات الدبلوماسية الأجنبية ، فيراقبون الحاج العربي بريشة رقابة تامة ليعرفوا ما عنده ، ولو أن الغاية من ذلك كانت اقتناء بعض الاماء للقصر الملكي (228) .

وهكذا لم تربط علاقة دبلوماسية بين المغرب وتركيا ، وإنما كلف مولاي الحسن بعض الأشخاص بتمثيله بصفة غير رسمية . ومن هؤلاء إبراهيم السملالي الذي كان ممثلاً شخصياً سنة 1881 ، غير أنه كان يعمل بالتعاون مع سفير فرنسا باسطنبول (229) . ومنهم أيضاً الحاج محمد الوزاني الذي كان عيناً له بتركيا ، فأنعم عليه السلطان المغربي سنة 1893 بـ 300 ريال ، دفعت له من وفر طنجة (230) . ولم تتعد الاتصالات على ما أعلم هذا الطور من الاستخبار والاتصال البعيد في نطاق إسلامي غامض .

أما الذين كانوا يعيشون بتركيا زيادة على السملالي والوزاني المذكورين آنفا فكانوا هم :

I - أحمد بن السلطان مولاي عبد الرحمان الذي كان خليفة سلطانيا

بالرباط أول الأمر ، ثم وجه لنواحي وجدة وقام بدور في حرب تطوان ، ولم يلبث بعد ذلك أن هاجر إلى اسطنبول بعد عزله (231) .

227 . مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 177 (8) ، وعبد الله الجارري « من اعلام الفكر ... » ج 2 ص 265 وعبد الله العروي : « الاصول ... » ص 208 ومحمد المنوني : « مظاهر ... » في مجلة « تطوان » العدد الثاني ص 47

228 . هنري ده لامارتينير : « ذكريات ... » ص 139

229 . مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 178 (10)

230 . رسالة السلطان الى الطريس في 17 حجة 1310/2 يوليوز 1893 محفوظة الطريس 24 .

231 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 240

وقد نجا بنفسه بعد حرب تطوان ، وصاهر أحد ملوك بني عثمان ، ولم يزل بتلك الديار إلى أن ختمت أنفاسه بدمشق (232) .

2 - **عبد الرحمان التلموذي الجزولي** : الذي كان تاجرا بتمبوكتو ثم بمراكش ، وأخيرا استوطن الأستانة ، وصار ضمن المعارضين للسلطان الحسن الأول . وقد تصاهر مع المدني ظافر الطرابلسي مستشار السلطان عبد الحميد (233) .

3 - **الحاج المهدي بن محمد احدادو** : وهو من أعيان تطوان المستقرين قديما بأسفي . وقد توجه الى تركيا للتجارة وخصوصا بمدينة إزمير حيث كان له نشاط مهني بتلك المدينة بعد رحيله عن المغرب ، وترك أولاده بأسفي . وقد توفي سنة 1865 بتركيا (234) . ولعل له ضلعا في قيام حزب موال لتركيا لدى أهل تطوان ، مثلما كانت لأعيان الرباط يد في مناصرة العثمانيين حسبما مر بنا .

4 - **عمر السنوسي** : كان حتى سنة 1903 لا يزال مقيما بمدينة إسطنبول . وقد كلف بأداء أغراض خاصة للسلطان لمح إليها في رسالتين ، أولاهما تبدأ : « . . . وغير خاف على علم الحضرة العلية أننا ، منذ مدة مديدة ، وأشهر عديدة ، مقيمون بالقسطنطينية ، مركز المملكة العثمانية ، لأشغال مهمة خصوصية ، يعرض بعضها ، إجمالا على المسامع الشريفة . . . الأمين الأرضي الحاج محمد بن عبد السلام المقرري ، الذي حضر في هذه الأيام هنا . . . » (235) . وثانيتها تتم : « . . . بقصد قضاء ما كلف به من الأغراض الشريفة . . . فأما الأغراض الشريفة النهارية فقد تم والحمد لله قضاؤها على

232 . نفس المصدر ص 415

233 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 176 (5)

234 . محمد الكانوني : « أسفي . . . » ص 126 و « جواهر الكمال في تراجم الرجال » ص 23 .

235 . رسالة عمر السنوسي الى السلطان عبد العزيز في 14 جمادى الاولى 1321/8 غشت 1903 - محفظة المغرب تركيا .

أفضل المراد . . . وأما الأغراض الليلية فمع بذل العناية التامة من الأمين المذكور في شأنها قبل أن يصل لهننا . . . لا زال لم يتيسر أمرها لغاية الآن . . . » (236) .

5 - محمد محمود التركي الشنقيطي المتوفى سنة 1904/1322 . كان شاعراً فصيحاً ، ينحو منحى الجاهليين في ألفاظه وأخيلته . وأقام بتركيا ، كما دخل مصر والحجاز ، ورحل مرة الى اسبانيا للبحث عن المخطوطات والآثار العربية الاسلامية ، بتكليف من السلطان عبد الحميد العثماني الذي اوفده مرة أخرى إلى مدينة ستوكهولم سنة 1889 ، لحضور مؤتمر المستشرقين الذي انعقد ببلاد السويد .

وظهرت شاعريته لما أنشد قصيدة في مدح الملك أوسكار الثاني رئيس المؤتمر . وعن رحلته هاته إلى السويد ، ألف كتاباً عنوانه : « الحماسة السنية ، الكاملة المزينة ، في الرحلة العلمية الشنقيطية التركية » . وقد طبع هذا التصنيف بالقاهرة عام 1902/1319 .

ولم ينس قط جنسيته المغربية ، ولو كان يعيش بالبلاد التركية ، وذلك لما قال في ميميته التي بلغت 230 بيتاً :

« أنا المغربي ، المشرقي حمية

أذب على القطرين بالسيف والسهم » (237)

وهناك مغاربة آخرون مثل مولاي أحمد الوزاني وعمر الوزاني (أو الورزازي) ، ممن كانوا يخدمون السياسة الألمانية التركية (238) أو السياسة

236 . رسالة عمر السنوسي الى عبد الكريم بنسليمان في 24 جمادى الاولى 1321/18 غشت 1903 - نفس المحفظة .

237 . محمد الفاسي : « تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الاقصى » ، في مجلة « دعوة الحق » ، عدد يوليوز 1960 ، ص 40 ، وكذلك عثمان بن خضراء : « دور الصحراء المغربية في ازدهار العلوم والآداب » ، نفس المجلة ، عدد دجنبر 1977 ، ص 53 وما بعدها (نقلا عن « الوسيط » ، في تراجم ادباء شنقيط » لاحمد الامين الشنقيطي)

238 . جان لري ميج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 178 و 179 (4) .

التركية الاسلامية . وقد ثبت في مختلف المصادر أن آل عثمان كانوا يكرمون العلماء والفقهاء المغاربة ، من شنقيط الى تطوان ، مروراً بمراكش والرباط وسلا وفاس . وكانوا يعتنون بالأدباء أيضاً منذ ما قبل القرن التاسع عشر ، كما هو وارد في شتى المصنفات .

* * *

ز - المشرق

وأقصد به بلدانا مختلفة أو غير معينة بالشرق الاسلامي ، استوطنها المغاربة بصفة متقطعة ، مما لم يسمح بالحاقهم ببلد خاص . وكان منهم :

1 - **الحاج عبد القادر بن الحاج علال ابن الحاج محمد القليعي** : كان مهندساً له معرفة بالعلوم الرياضية . رحل من مسقط رأسه آسفي الى الشرق ، في منتصف القرن التاسع عشر ، فلم يعثر له على أثر بعد ذلك (239) . ولم يرد إيضاح آخر عنه .

2 - **ابراهيم التادلي الرباطي** : أقام بمصر والحجاز وفلسطين ولبنان وسوريا وتركيا والعراق وبعض دول أوروبا . وكان له بعض إلمام باللغات الأوروبية الحية كالانجليزية والفرنسية والاسبانية التي تعلمها بجبل طارق ، وباللغات الآسيوية كالفارسية والتركية والهندية التي تلقاها عن أهل بغداد (240) .

وبالشرق التقى برجال العلم ، وهو القائل لمحمد عبده : « ليس العلم بكثرة التأليف ، وإنما بالمدارسة والمثاقفة » أي المجالسة والمذاكرة ، وكان ذلك بلبنان سنة 1886 .

239 . محمد بن احمد الكانوني « آسفي ... » ص 130

240 . محمد المنوني « مظاهر ... » ص 251 - 252

وقد تقدم الحديث عن نشاطه . وتوفي سنة 1894/1311 عن الثامنة والستين من عمره (241) .

3 - **سعيد بن عبد الله الخليلي المحمدي الدكالي** : وقد ولد بالجديدة ورحل للمشرق ومكث في رحلته نحو 20 سنة قرأ فيها العلم . وكان « من نبهاء دهره » دخل الجزائر واستوطن الزاب ودخل مصر وغيرها من الديار المشرقية .

وعن مشاهداته ، ألف بمصر سنة 1887/1304 كتابا تحت عنوان « وردة الناشق وروضة العاشق » وقدمه للسلطان الحسن الأول وتوفي بآسفي في العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري (242) .

4 - **مولاي مسلمة بن السلطان محمد بن عبد الله** الذي بعد أن طالب بالملك ولم يفلح ، طارده السلطان مولاي سليمان ، فسافر إلى الجزائر ومنها إلى المشرق ، وأقام بمصر مدة ، ثم توجه إلى مكة فنزل عند سلطانها وتصاهر معه ثم عاد من مكة إلى مصر وتقابل مع نابوليون . ولكن ساءت حاله في هذه المدة فرجع إلى تونس وتصاهر مع الشيخ القصري وطلب من باشا تونس حمودة الشفاعة لدى أخيه مولاي سليمان ، الذي قبِل الوساطة ، بشرط أن يرجع إلى سجلماسة ، فلم يرض بذلك وعاد إلى المشرق مرة أخرى . ولم يزل يتردد كذلك حتى وافته منيته في جمادى الثانية 1250 ، بعد أن اعتراه شبه اختلال (243) .

5 - **أحمد الميسوري** : هو أحمد بن إدريس الإدريسي الحسني . أصله من ميسور ارتحل من فاس سنة 1213 إلى الأقطار المصرية ، ومكث 14 سنة بمكة ثم رجع لمصر وقضى بالصعيد 5 سنوات ، ثم أقام 12 سنة

241 . مصطفى الغربي « دعوة الحق » ، دجنبر 1967 ص 97 وما بعدها .

242 . محمد المنوني : « مظاهر يقظة المغرب الحديث » بمجلة « تطوان » العدد السادس 1961 ص 76

243 . أحمد الناصري : « الاستقصا » ج 8 ص 92 ، وابن زيدان : « الاتحاف » ج 4 ص 347 - 355 وخير الدين الزركلي : « الأعلام » ج 8 ص 122 .

بمكة ، ثم ذهب الى اليمن حيث استوطنه 9 سنوات ، الى أن توفي في صبيا شمال موخا سنة 1253 . وكان من العلماء (244) ، كما كانت لذريته إمارة في عسير (245) .

6 - **عبد الله السوسي** : كان أديبا شاعرا . أقام بتونس وفاق أقرانه ثم توجه الى المشرق وخاصة الحجاز واستفاد من علمائه . ثم عاد الى افريقية حيث نقله الأمير علي الى تونس (246) .

7 - **الحاج الطيب بن احمد عواد** المولود بسلا سنة 1860 والمدفون بها سنة 1918 . اشترى سلعا مغربية بأموال الحاج علي عواد ، وسافر الى بلدان المشرق بقصد التجارة ودخل الجزائر وتونس وطرابلس وإزمير وإسطنبول واليونان ، وربح من تجارته أموالا كثيرة ، بعد أن كان فقيرا .

ولما عاد الى المغرب تولى خطة العدالة بمرسى العرائش والعدوتين والدار البيضاء . وكان الى جانب ذلك فقيها وشاعرا ، حلاه البعض بأديب سلا ، لما كان له من قصائد (247) .

8 - **عبد السلام بن الغالي الشرعي** وهو من أهل فاس . سافر الى تونس في أوائل العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر الهجري ، فحصلت له حظوة وكان يقرئ بها . ثم سافر الى الأسكندرية عام 1877/1294 ، وذهب بعد ذلك الى الحج وعاد الى مراكش عام 1881/1298 . وفي عام 1917/1334 ادركته منيته بالمدينة الأخيرة . وكان قاضيا بآسفي وبمراكش (248) .

244 . محمد مخلوف « شجرة النور ... » ص 396 الجزء الأول

245 . عبد الهادي التازي : « جامع القرين » ج 3 ص 809

246 . عبد العزيز بنعبد الله : « الرحلات ... » في « دعوة الحق » ماي 1978 ص 28 (نقلا عن « عنوان الأريب ، عمن نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب » للشيخ محمد النيفر ج 2 ص 20) .

247 . بلقاسم عشاش « تاريخ عائلات سلا » (مخطوط) وابن زيدان « الأتحاف » ج 5 ص 431 و ص 437 وعبد الله الجراري : « من اعلام العدوتين » ج 2 ص 313
248 . العباس ابن ابراهيم : « الأعلام » ج 8 ص 504

9 - أحمد المصطفى بن طوير الجنة الحميري التشييتي الواداني الشنقيطي ، المولود بوادان سنة 1787/1202 والمتوفى عام 1849/1265 . كان من العلماء السلفيين ، ولكن كانت له زاوية بمراكش . وقد حل بهاته المدينة عام 1828/1245 ، والتقى بالسلطان مولاي عبد الرحمان وبايه . ثم أركبه العاهل الى الحجاز بحراً ، عبر العرائش . ودامت رحلته خمس سنوات من سنة 1829 الى سنة 1834 . ومر في سفره بجبل طارق وليفرونو وتونس والجزائر وطرابلس ومصر . ولما عاد الى المغرب ، نزل بميناء طنجة .

وله تأليفان أولهما « فيض المنان ، في الرد على مبتدعة هذا الزمان » . وقد قدمه الى السلطان مولاي عبد الرحمان . أما التأليف الثاني فعنوانه « رحلة المنى والمنة » . وهو كتاب قيم ، ترجمه مؤخراً الى اللغة الانجليزية هـ. ت. نوريس H. T. NORRIS (249) .

10 - الحاج ادريس الحنش وهو ادريس بن علي بن الغالي السناني . أديب وشاعر في الفصيح وفي الملحون . كان يحترف الخرازة ، ورحل الى مصر والشام والحجاز (250) . وهو من رجال القرن الماضي إذ توفي سنة 1902/1319 .

11 - الحاج قدور الواني المكناسي الذي « جال البلاد شرقاً وغرباً وسودانا وبراً وبحراً » . وكان « إخبارياً صادقاً في كل ما يحدث به » (251) . وهو ممن عاشوا في العهد السليمانى .

249 . محمد المنصور كلخة « رحلة احمد بن طوير الجنة » في مجلة « المناهل » العدد 17 ص 392 وما بعدها .

250 . عبد العزيز بنعبد الله : « مصر ... » في « دعوة الحق » العدد 229 ص 19 وعباس الجراري : « القصيدة » ص 657

251 . العباس بن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 10 ص 257 (نقلا عن محمد اكنسوس في : « الجيش ... ») والصواب هو الواقى . وقد تفضل الأستاذ محمد المنونى بتصويب هذا النسب فذكر ان هاته الأسرة كانت موجودة بمكناس .

وثمة آخرون ممن سكنوا بالأقطار المشرقية ، فورد ذكرهم ضمن من جاؤوا بالحرمين الشريفين في القرن التاسع عشر وقبله . ولعل في هذا القدر من المغتربين بعض الكفاية ، ولو اني خرجت احيانا عن نطاق القرن التاسع عشر ، وبالتالي عن شرطي (252) .

4 : خاتمة

ومما تقدم يبدو في بعض الجلاء أن مغاربة كانوا يعيشون في المهجر ممن وقفت على أسمائهم أو ممن لم أعثر على خبر لهم . وكانوا يقطنون - على قلتهم - بأطراف القارات الأربع : استقروا في أغلبهم للتجارة وحدها ، وفي أقلهم للتجارة وللسياسة معاً ، بل منهم من انسلخ عن جنسيته ومرق من دينه ، ورام عدد منهم الدخول في الحماية الأجنبية ، حفظاً لمصالحهم .

ولئن كان المخزن يحسن وفادة الأجانب من تجار وقناصل ، ولا يفرض عليهم قيوداً فوق طاقتهم ، ويخاف عليهم أن يصابوا بأذى وهم ضيوفه أو عيون لأعدائه ، فما ذلك إلا لأن آداب اللياقة كانت تقتضي منه المعاملة بالحسنى . وأكثر ما كان الأجانب ممنوعين منه هو المخاطرة بأنفسهم داخل البلاد حتى لا يتعرضوا لمكروه في أرواحهم أو لنهب في متاعهم ، من لدن جماعات لا تنالها الأحكام . ولذلك ألزم التجار بالمكوث في الموانئ المفتوحة ، في حين كان المخزن يسعفهم بتعيين سماسرة للتجار ومستخدمين للقنصليات .

252 . واذ اعترف بهذا ، اشهد أيضاً بالتقصير في ترتيب المهاجرين ترتيباً معجمياً وزمانياً . والعذر في ذلك ما اقتضته طبيعة البحث والاستقراء من جهة أولى ، وما لقيته من عناء في التنقيح المستمر في هذا الفصل الذي شرعت في تحريره منذ منتصف سنة 1979 من جهة أخرى .

وما فتئت الحاجة مسيسة الى استجلاء احوال المغتربين واستقصائهم ، لا في هذا العصر وحده ولكن فيما قبله وبعده .

هذا ونشرت « المجلة التاريخية » التونسية في اعدادها المتأخرة ابحاثاً عن المغاربة في الخارج ، كما ألف عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم كتاب « المغاربة في مصر في العهد العثماني : 1517 - 1798 » . وللعباس بن ابراهيم اشارات مختلفة في مؤلفه « الأعلام ... » . اما المخطوطات فأذكر ان عبد الكبير بن هاشم الكتاني ألف « زهر الاس في بيوتات فاس » ، متحدثاً عن التجار الفاسيين بالمهجر .

وإزاء هاته السياسة ، سياسة التفتح على الخارج وإفادة خزانة الدولة من الحركة التجارية والدخل المالي ، يبدو طابع التعسف في الحماية جليا واضحا : لم يكن للتجار المغاربة في الخارج سبيل الى جعل سماسرة لتجارتهم ، وخصوصا بأقطار الحكومات الأوروبية الغربية . وهذا في الحقيقة يبين إلى أي حد بلغ الحيف منتهاه ، وإلى أي مدى انهارت قوة « الرجل المريض » في الغرب حسب التعبير الاستعماري ، مقابل « الرجل المريض » في الشرق (الدولة العثمانية) . ولهذا لم يتمتع التجار المغاربة في مهجرهم بالضمانات الممنوحة للأجانب في المغرب (253) .

وقليلة هي الدول التي سمحت للتجار المغاربة في المهجر باتخاذ الشركاء . وأكد أميل الى اعتقاد أن القسمة — بين التجار الأجانب في بلادهم والتجار المغاربة في الخارج — كانت ضيزى . والدولة التي كان فيها للمغاربة شركاء هي إنجلترا على ما يظهر . ومع ذلك كانت عناصر المماثلة في التعامل مفقودة . حقيقة أن المغرب لم يكن مصدرا ومنافسا للانتاج الصناعي الأوروبي ، وأن ما يحتاج اليه اقتصاد أوروبا هو المواد الخام أو بعض المواد الفلاحية والمعدنية ، وأن الانتاج الصناعي الاستهلاكي المغربي لم يكن ضخما ولا مزاحما لغيره . ونتساءل : ماذا سيكون الأمر لو كان المغرب بلدا صناعيا ؟

هذا في البلدان المرتبطة مع المغرب بمعاهدة مدريد وبمعاهدات ثنائية خاصة . أما في غيرها من بلدان افريقيا وآسيا فلم يكن لتجارها بالمغرب وجود وليس لها به قناصل ولا تمثيل دبلوماسي . فلم تكن بأحسن حالا من المغرب ، لتفقم أوضاعها الداخلية من جراء الأطماع التوسعية ومقتضيات الثورة الصناعية الأوروبية في منتصف القرن التاسع عشر من جهة ، وما كان يتسم به الفكر من جهل بالأمور وغفلة وتواكل من جهة أخرى .

* * *

253 . جان لوي مبيج : « المغرب وأوروبا » ج 2 ص 32 .

ملحق

ونذيل بهاته الرسالة التي بعث بها رئيس البعثة العسكرية الفرنسية الكومندان فيكتور ده بروي ، الى شارل فيرو وزير فرنسا المقيم بطنجة ، حول مساعي دولته ، للحيلولة دون إقامة مفوضية تركية بالمغرب سنة 1887 ، وهي تعبر عن رأي حكومة صاحبها .

وقد عربتها فيما يلي نقلا عن كتاب جان لوي مياج « وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن التاسع عشر » . وهي الوثيقة رقم 42 التي توجد بالصفحات 183 الى 185 ، والتي هي من الوثائق العامة للحماية 7 A.G.P.C وها هو نصها الكامل بعد التعريب :

دسائس ألمانيا بالمغرب

مراكش ، في 10 أبريل 1887

من رئيس فصيحة المشاة ده بروي ، رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب .

إلى السيد وزير فرنسا بطنجة

سيدي الوزير ،

أتشرف بأعلامكم بوصول رسالتكم السرية المؤرخة في 17 مارس الأخير التي سلمها إليّ السيد الدكتور ليناريس عند وصوله يوم 27 من نفس الشهر .

ومنذ غداة ذلك اليوم ، توجهت إلى السيد الفضّول (I) لأنسلم إليه الظرف العربي الذي كان يحتوي على رسالتكم ولأُطلعته على فحواها . وعند ما

1 . أي محمد المفضل غريط الملقب فضول ، وزير الخارجية ، وما سياّتي بين هلالين هو من زيادة المعرب .

قمت بتبليغ ذلك إليه طبق تعاليمكم ، ألححت بالخصوص على العواقب السيئة التي قد تنجم للحكومة المغربية عن وجود نائب معتمد للباب (العالي) بطنجة ، ولا سيما أن الحكومة العثمانية ليس لها بالمغرب أية رعية ، ولا أية مصلحة تجارية ، ولا يرتبط المخزن بها بأية علاقة سياسية .

وحيث أن أهمته أن هاته المحاولة التي تبذل برعاية الحكومة الألمانية وبدعمها السافر ، لا تجوز أن تكون إلا نتيجة دسائس من بعض اللاجئين المغاربة بالأستانة ، الذين هم أيضا أعداء الحكومة الشريفة ، وأن من الخطر أن يسمح المخزن بأن يتسرب الى البلاد عنصر التشويش الذي ستستغله ألمانيا ، بدون شك ، لمصلحة شخصية .

على أنني إذ ركنت الى الاعتبار المبينة اعلاه ، اي الى ان الباب (العالي) ليست له بالمغرب أية رعية ولا أية مصلحة ، سياسية كانت أم تجارية ، كان من الهيئ على السلطان أن يرد بالنفي على الطلب المقدم إليه ، وأن يتمادى ، بهذا النحو ، على قراراته السابقة التي ترفض اقامة علاقات جديدة مع القسطنطينية .

كما لم يفتني أن أفهمه أن هاته المساعي كانت صادرة بالأخص من السيد (شارل) تيستا الذي عزل مؤخرًا ، وأن النائب عنه ثون سالديرن Von Saldern اقتصر فقط على أن يبلغ وثائق تركها له سلفه ، دون أن يعيرها غاية الاهتمام .

فأصغى السيد الفَضُول بكثير من العناية الى جميع الايضاحات التي أدليت له بها في هذا الموضوع ، ووعدني بأن يرفعها في نفس المعنى الى علم ص ج ش ، وشفعت ذلك برجائي أن يُطلعني استقبالا على الجواب الذي سيرد به السلطان على ألمانيا ، دون أن يخامرني شك في أنه سيكون مطابقا لقراراته التي اتخذها سابقا ، ولرغباتنا وللنصائح التي تفضل بأن التمسها منا في هذا الموضوع الشائك .

بل وظننت أن من واجبي أن أطلب منه موافاتي بنسخة مطابقة للجواب الذي سيرسل لأبعث به إليكم ، ولكنني لم ألح عليه إلحاحاً شديداً ، مخافة أن أحرض مخاطبي على الحذر ، فقدمت له هذا الملتمس على أنه مجرد طلب جد طبيعي ، لأن ذلك كان هو أشد الأساليب إقناعاً للحكومة الشريفة ، لكي نرى أنها تتبع النصائح المسداة إليها بطلب صريح منها . ولم يجد السيد الفضول أدنى صعوبة لكي يعدني بهاته الوثيقة ، وليؤكد لي أن هاته المسألة ستدرس وسينتهي أمرها قريباً وبدون تأخير .

ورجعت بعد بضعة أيام الى السيد الفضول ، سائلاً الجواب الذي وعدني به . فقال لي حينئذ إنه أنهى هاته المسألة الى علم ص ج ش ، طبق المعنى الذي أوضحت له ، لكن جلالته كان يريد أن يفكر جيداً قبل إجابته الحكومة الألمانية . وحيث أنني علمت في هاته الأثناء أن مكاتيب قد وجهت الى السي الطريس برقاص خاص ، ظننت أن السلطان بعث برسالة الى هذا الموظف لكي يجس نبض نائب ألمانيا بطنجة ، فيعرف بهاته الطريقة صدى رفض هذا الطلب المقدم ، قبل أن يجيب عنه نهائياً .

فاضطرت إذن الى التربص ، ورأيت من الأفضل أن لا أزيد في الوقت الحاضر إلحافاً في هاته القضية التي صورتها له على أنها تعني الحكومة المغربية وحدها .

غير أنني يوم 5 أبريل ، وبما أنني كنت على وشك توجيهه بريد عن طريق الشاطئ ، عدت كرة أخرى الى الكلام . فرجا مني السيد الفضول - على حسب عادته - أن أتريث بضعة أيام . وأخيراً وفي نهار أمس ، ذهبت إليه وأفهمته بأنني لا أملك أن أؤخر توجيهه بريدي أكثر مما فعلت ، وبأنني ألتمس جواباً لأبلغه إليكم . وأضفت من جهة أخرى أنه اذا كانت لديه موانع لتسليمي نسخة من الجواب الى الحكومة الألمانية ، حسب وعده السابق ، فيكفيه أن يؤكد لي أن الرد مطابق لنصائحكم ولرغباتنا .

فأجابني بالاثبات ، وأعلمني أن هذا الجواب سيسلمه السي الطريس
بنفسه إلى نائب ألمانيا بطنجة . ووعدني فوق ذلك بأن يمكنني صباح الغد
من النسخة المطلوبة .

وفعلا أوصل اليّ ظرفين مختومين ، واحد منهما مرفوع اليكم ، وعند ما
سلموهما إليّ ، أبلغني أنها « الرسالة المطلوبة » أمس ، فقدرت أن إحداهما
تحتوي على الوثيقة المرجوة .

وأتشرف بأن أبعث بهما إليكم ، طي هذا الظرف . ويبقى الآن أن
نتأكد — وهذا ليس من اختصاصي — من أن الجواب الذي وجّه إلى الحكومة
الألمانية وإلى الباب (العالي) مطابق للنسخة طيه ، ومن أن لا يكون مشتملا
بالخصوص على تلك العبارات الغامضة التي كثيرا ما يستعملها المخزن
— للأسف — في الأحوال المخرجة .

وأتمنى في هاته المرة أن لا يكون الأمر كذلك ، واننا سنحصل على
النتيجة التي كنا نتوخاها .

وتفضلوا ، سيدي الوزير ، بقبول

ده بروي

de BREUILLE

4 : المستوطنون



أبرم المغرب جملة من المعاهدات مع العديد من الدول الأجنبية ، في مختلف العهود ، ولا سيما في القرن الثامن عشر . ومن هاته الأوفاق ما كان يتعلق باستيطان الأجانب من قناصل ووكلاء وتجار ، وذلك بالثغور الأطلانطيقية ، دون المدن الداخلية . وكان الاستيطان سهلاً ، كما كان المغرب مهيب الجانب مخطوب الود .

ومن الحكومات المتعاقدة ، السويد (16 ماي 1763) ، وفرنسا (28 ماي 1767) ، والدانمارك (25 يوليوز 1767) ، والبرتغال (27 نونبر 1773) . وذلك في القرن الثامن عشر . أما في القرن الذي بعده ، فنجد بريطانيا العظمى (9 دجنبر 1856) وإسبانيا (20 نونبر 1861) ، بقطع النظر عن غيرهما (I) ولا سيما معاهدة مدريد الدولية المبرمة سنة 1880 ، حين تغيرت الأحوال الداخلية والخارجية .

وفي هذا الفصل سنتعرض في البداية لطريقة الاستيطان ثم نسوق أرقام الوافدين على المغرب من مختلف الجنسيات ، متتبعين تطور الهجرة الأجنبية الى بلادنا تطوراً محسوساً .

٢ . نشرت نصوص هاته المعاهدات في مراجع مختلفة ، كما صدرت مقتطفات منها في « الوثائق » ، المجموعة الرابعة في ص 125 و 129 و 133 و 137 و 139 و 151 على التتابع .

١ : طريقة الاستيطان وحوافزه

توفد الدول الأجنبية قناصلها وسفراءها ومعهم موظفون . وما يكادون يطلّون ارض المغرب حتى يوجهوا رسائل الأشواق الى اقاربهم وذويهم واصدقائهم للتنويه بهذه « الأيالة السعيدة » والاشادة بما حباها الله من جمال في الطبيعة وخيرات زراعية وثروات معدنية وشمس دافئة ، ويصفون ذلك وصفا تؤكد اخبار الرحالة من علماء وجواسيس ، ومقالات الصحافيين الخاطئة او المصيبة .

واذا تذكرنا ان القرن التاسع عشر بأروبا كان عصر توسع استعماري وثورة صناعية جاءت بعد ازدهار فكري وحضاري ، جاز لنا ان نتصور اسلوب الهجرة الى حيث الثراء ، والى حيث السيطرة لا على المغرب وحده ، بل على جميع اطراف المعمور .

وهكذا لا يعدم الراغب في الهجرة من تاجر ورجل اعمال مَن يده ببعض المال لترويج بضائعه ، لِقَاء ربح معلوم . فيكون ذلك مُغرياً من أجنبي عاش في بلاده تحت وطأة القهر او الحرب . حتى اذا وصل الى المغرب او الى طنجة خاصة ، لمزيد من الاستخبار والاطلاع على الأحوال ، يجد من يضيفه ويقدم له المساعدة او بعض الدعم المعنوي . وقد يكون المهاجر من اصحاب الأموال فيرحل بنفسه ليقوم بالمغرب زمنا ، لتوظيفها والاشراف شخصياً على شؤونه . ثم ها هو قد استقر بالمغرب في مدينة ما ، فيطلب اتخاذ مواطن مغربي شريكا له ، أو سمسارا لتجارته المستوردة او المصدرة ، وذلك شيء لا يبخل به عليه القنصل ، الذي يحيل الأمر على السفير الذي يعرض القضية على وزارة الخارجية المغربية بطنجة . ولا يبقى بعد ذلك إلا سؤال العامل عن السمسار والمحمي ، واستفهام الأمين عن التاجر المستوطن .

يُبحث القائد عن المحمي ، فيكون جوابه تارة القبول ، وتارة الرفض لأنه « متبوع للمخزن » ، او « تقعد على مال له بال » ، او لأنه شيخ او جندي .

اما أمين المرسى فيستفسر عن التاجر وهل له تجارة في « الداخل او الخارج » (الاستيراد والتصدير) . كما يستفهم النقيب ان كان المعني من ذرية الأشراف .

فاذا اجاز الأمين والنقيب والقائد ، زكى المخزن تسمية السمسار الذي يظل اسمه مسجلا ، في لائحة رسمية سنوية ، طيلة اعوام مديدة .

وهكذا لا يستطيع المخزن رفضا لأمر واقع ، ولا يقدر المغرب على خرق معاهدة ثنائية او دولية صادق عليها طوعا او كرها ، ولا مواجهة وتهديداً بالأسطول ، ولا إكثاراً من الشنثان .

ومن الجائز ان تكون موافقة القائد والأمين تعطى في مقابل أجر معلوم او مجهول ، وان تكون شهادة التاجر او القنصل بحمايته لمواطن مغربي بضاعة تباع دون خجل بالأسواق وتحت الخيام . لكن في تعميم هذا الحكم على الجميع مسخا للحقيقة وظلما للشاهدين الذين كان منهم الأتقياء النظفاء على قلتهم النسبية ، حسبما سيرد في باب آخر من هذا التأليف . والتجار الأجانب ايضا كان منهم النزهاء ، مثل پيير فيريوه P. Ferrieu ، التاجر الفرنسي بالدار البيضاء الذي أثّر عنه انه كان سنة 1866 « ضد الذين يقولون للمغربي : « اشهد لي ، امام عدلين ، بملكيّتي لأغنامك وابقارك وخيولك الخ ... وسنكون شريكين في ربح رأس المال هذا . وتحت مظهر امتلاكي انا - الذي سكيون في الواقع امتلاكك انت - ستكون محميا » (2) لي ، اي سمساري .

ومتى اتسع الرزق ، اتخذ المستوطن الأجنبي خطاء ايضا في الفلاحة ، اضافة الى التجارة المحللة ، وحتى المحرمة من نخاسة وحماية وتزوير وربا . هذا ، مع العلم ان بعض التجار كانوا يدعون النهب الحقيقي او الوهمي فيطالبون بتعويضات مشتتة يجعلونها ، هم او وكلاؤهم ، رأسمالا لهم ، كما قال السلطان الحسن الأول عن عزوز الكتاني ، حسبما سيرد خبر ذلك بفاس ، إن شاء الله .

2 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 555 (2)

هذه في نظري هي الطريقة التي يستوطن بها التاجر الأروبي المغرب وغير المغرب ، سنوات او عقودا طويلة للتجارة ، بين ربح وخسارة ، او للالتجاء اليه ، بين أمن وخوف . ومن غير شك ان هاته الوسيلة مُجَنَّةٌ بشيء من الخيال ، لأن الأمر في الواقع اشد تعقداً من هاته الصورة المبسطة .

فكم كان عدد الوافدين ؟

2 : أعداد المستوطنين

قفز عددهم في ظرف 70 سنة من 200 او 250 نسمة الى 9 000 او 10 آلاف شخص ، اي ان نسبتهم تضاعفت خمسين مرة في ثلثي قرن . وها هو تفصيل ذلك :

200	أو	250	نسمة سنة	1832
700	نسمة	»	1858	
1360	»	»	1864	
1650	»	»	1872	
3000	»	»	1880/1877	
6000	»	»	1890	
9000 أو 10 آلاف	»	1894		

ومن الأسبانيين كان يتألف ، في اواخر القرن التاسع عشر 90٪ من المهاجرين (اي 8100) . وكان 20٪ من سكان طنجة اسبانيين ، ومن المدّعين والفقراء . كان كثير منهم يعيش خاصة بالصويرة والدار البيضاء وطنجة . وكان الاسبانيون والطارقون معربدين ومشاكسين واصحاب حانات وممن افلسوا في تجارتهم . وكان جميع الأروبيين يحترفون مهنا مختلفة ، ونشأت عن ذلك نزاعات بين فقرائهم وبعض المغاربة . على ان المُمْلِيقين منهم كانوا يسكنون بـ« النوايل » او في ارض خالية ، ويختلطون بالمغاربة ، ثم لا يجدون في ذلك حَرَجاً (3) . بل كان منهم من يسكن بالكهوف والمغاور بأحواز طنجة والصويرة

3 . المصدر السابق ج 5 ص 272 و ج 4 ص 289 و ج 3 ص 481 ، و « تاريخ المغرب » ص 293 .

والدار البيضاء ، كمجرد حراس للبساتين او مهربين ينتهزون الغفلة — كما سنرى في الوثائق المخزنية بهاء المدن — لادخال البضائع او اخراجها ، تملصاً من الأداء ، او تحريضاً على الفتنة .

ولئن كنت قد أوردت أرقام الهجرة ، فانما أتيت بها استئناساً . على ان هناك من المؤلفين المتأخرين عن القرن التاسع عشر من رد هاته الأعداد الى نصفها فقط . اي 5000 اوروبي ، ثلاثة ارباعهم بطنجة . وكان الربع الباقي مقسماً على مدن ومراس مختلفة ، بنحو العشرات او المئات ، وكان بالمقر الكبير ومراكش وفاس نحو 30 اروبيا يرتدون في الغالب اللباس البلدي لئلا يلفتوا اليهم الأنظار .

« وكان المغاربة يصنفون الأروبيين ثلاثة اصناف :

« الباشدور الذي كان يعيش في البذخ بطنجة ، وكان يحق له الاستنجااد بفركاطة ذات مدافع عديدة ، لتأييد مطالب رعايا بلاده .

« والقنص في المدن الأخرى ، وهو رئيس نصارى «قبيلته» ، وموزع بطائق الحماية .

« والتاجر بالجملة ، مُستورداً او مصدراً ، الحامي المحتمل من ظلم القواد . وكانوا كلهم متمتعين بسلطات ، يتمنى المسلم لو حولها لصالحه » (4) ، حسب تعبير الدكتور فُسجير بير ، الذي وصل الى المغرب في نهاية القرن الماضي .

وبديهي انه لا يمكن الاطمئنان الى وجود 5000 فقط من المستوطنين وان ضعفهم وهو 10 000 تواترت عليه الروايات ، ويبدو ان مؤلف « على عتبة المغرب الحديث » يتحدث فقط عن القرن العشرين ، ويُستغرب جداً ان يكون عدد المقيمين قد تقهقر الى النصف .

4 . الدكتور فيسجيربير : « على عتبة المغرب الحديث » ص 24 و 26

وأيا كان الأمر ، فلم يكن هناك احصاء شامل للوافدين على المنرب ، ولا يصح الاعتماد على المسجلين منهم لدى القنصليات إلا جزئيا . و خلاصة الكلام ان ذلك كان تقديرات لا تبعد عن الحقيقة بعدا كبيرا .

ولننر الآن تفصيل هؤلاء المهاجرين بحسب الجنسيات ، قبل سنة 1885 وبعدها .

3 : تفصيلهم : بلدا بلدا

ينتمي هؤلاء الى عدد من الدول مثل اسبانيا وانجلترا وفرنسا وايطاليا والبرتغال والمانيا . اما باقي الدول فلم يكن لمواطنيها وجود يذكر . وقد اضطررت الى التمييز بين من هاجروا قبل سنة 1885 ، وبين من نزحوا بزمر ضخمة بعد هذا التاريخ الذي يأتي عقب معاهدة مدريد سنة 1880 .

* * *

3 . 1 : قبل 1885

3 . 1 . 1 : اسبانيا

بدأ الأوروبيون يهاجرون الى ارض المغرب للاستيطان به . وكان اول الأفواج الوافدة يتكون سنة 1868 من الاسبانيين ، بعد الاضطرابات التي حدثت بقادس وبجنوب اسبانيا ، تلك الأحداث التي حفزتهم الى الرحيل الى جبل طارق اولاً ، ومنه يؤمون طنجة ، بحيث وصل منهم الى هذه المدينة في اكتوبر 1869 وحده حوالي 300 لاجيء . ثم تعاظمت الهجرة الى المغرب بعد 1872 ، بحيث اصبحت نسبة الأوروبيين بطنجة 60% في تلك السنة ، و 40% في الدار البيضاء سنة 1873 و 52% سنة 1885 . وكذلك الأمر بالعرائش والجديدة (5) .

5 . هبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 258

3 . 1 . 2 : انجلترا

كان لها ثاني جالية اوروبية بالمغرب ، واصلها في الغالب من جبل طارق ومالطة في بداية الأمر ، واغلبهم استوطن الصويرة ، حيث اسرة راطو Ratto ، او الدار البيضاء حيث بدل لاينا Juan Lapenâ اسمه باسم جون لاين John Lapeen . اما الانجليزيون أصالة ، فكان منهم خاصة من يسكن بطنجة ، او ينسبُ بعثات التنصير البروتستانتية ابتداءً من سنة 1885 .

ينحدر هؤلاء الانجليزيون الطارقيون من اسر اسبانية او ايطالية ، سرعان ما تمنح لهم الجنسية الانجليزية منحاً (6) . وجلهم من اليهود ، جاءوا الى المغرب لانشاء مستوطنات ، بايعاز من الجمعيات الصهيونية العالمية ، في بعض الأحوال .

والى جانب هؤلاء الطارقين ، وفد على المغرب رعايا عثمانيون من يهود ومسلمين قدموا من اوروبا الوسطى كيوغوسلافيا الحالية ورومانيا واليونان وبلدان الشام ومصر وطرابلس . ومن المسلمين المهاجرين : محمد بن عبد الرحمان البغدادي الذي قدم من بغداد سنة 1886 الى مراكش ومعه ابنه الصغير عبد العزيز (3 سنوات) . وفي سنة 1891 قدم عبد الله بن مصطفى من بغداد الى مراكش والجديدة ، وصالح عبد الله من الأستانة الى طنجة ، وعبد الرحمان ابن محمد من مدينة جدة ، وكلهم رعايا عثمانيون (7) . ومن غير شك ان آخرين جاءوا قبلهم او بعدهم ، لم نعرف عنهم شيئاً .

6 . ميج « المغرب واروبا » 3 ص 475

7 . من وثائق وزارة الخارجية البريطانية : ف. و/ ب. و 3/635 و 3/653 F.O. - Public Record Office . وأدين بالفضل في تقديمها لي ، هي ووثيقة اخرى لسماسة التجار الانجليزيين بالصويرة ، الى صديقي المستعربين : دانييل شروتر Daniel Schroeter من جامعة مانتشيستر بانجلترا ، وتاد بارك Tad Park الأستاذ بجامعة فسكونسين بالولايات المتحدة ، الذي قدم لي وثائق اخرى عن التجار بعدد من المدن المغربية في مطلع القرن العشرين . وسأستعين استقبالا بهاته الوثائق .

3 . I . 3 : فرنسا

ورد بعض المسلمين واليهود والفرنسيين من الجزائر ومن تونس ، وكذلك من مدينتي مرسيلية وليون .

وكانت الجالية الفرنسية أقل عدداً من الجالية الأنجليزية سنة 1866 ، وخصوصاً بطنجة ، فلم يكن بالدار البيضاء سنة 1872 الا 31 تاجراً ثم تقهقر عددهم الى 27 شخصاً سنة 1885 ، بما فيهم اعضاء البعثة العسكرية . اما بطنجة فلم يتجاوز عددهم 77 من البالغين سنة 1886 ، وبالصويرة وأسفي لم يكن يعيش بهما إلا أسر تشتمل على 30 شخصاً ، منهم اثنان بأسفي سنسنة 1883 ، وكان مجموع الفرنسيين بالمغرب لا يتعدى 166 شخصاً سنة 1886 . وقد اختلط بعضهم باسبانيين بأنكحة او بمعاملات ، بل ان منهم من حمل الجنسية الأنجليزية في حين تفرنس بعض اليهود المغاربة ، زيادة على الجزائريين ، بحيث كان ثلاثة ارباع 92 فرنسا بالجنوب مغاربة متجنسين (8) سنة 1879 .

3 . I . 4 : إيطاليا

بين 1873 و 1883 ، كان عدد الايطاليين قليلاً لا يتعدى 10 أسر ، منهم اربع بطنجة ، وست بغيرها كالجديدة والصويرة . وقد اندمجوا في السواد الاسباني ، وكان منهم يهود ومسلمون مغاربة متجنسون ارتبطوا بعلاقات تجارية مع مدينتي ليثورنو وجنوة (9) .

3 . I . 5 : البرتغال

كانوا أقل عدداً من الايطاليين ، وهم كالاسبانيين كانوا من أفقر الناس واشدهم إملاقاً ، فمنهم من استقر بالرباط مثل أسرة داكراسا ، او بأسفي ، او استوطن العرائش او طنجة ، ولم يتعد عددهم خلال هاته الفترة نحو المئة في مجموع المغرب (10) .

8 . مبيج : « المغرب وأروبا » 3 ص 476 - 477

9 . المصدر السابق ص 477

10 . المصدر السابق ص 478

3 . 1 . 6 : ألمانيا

لم يكن عدد الألمان المقيمين بالمغرب سنة 1878 إلا 18 شخصا ، بما فيهم النساء والأطفال . ومن الذين وصلوا مبكرين فرانز نيومان (1876) وكارل وهنريك فيكه (1877) بالدار البيضاء ، وهيسنير (1876) ويواخمسون (1878) بطنجة . ولكن عددهم اخذ يرتفع بعد مؤتمر مدريد وقبيل عقد المعاهدة التجارية مع المغرب سنة 1890 (II) .

* * *

3 . 2 : بعد 1885

تعاظم عدد الأوربيين المهاجرين : 8000 اسباني و 1000 انجليزي و 500 فرنسي ونحو 100 ايطالي و 100 برتغالي و 200 من باقي الدول .

اذ بعد التغلب على الأزمة الاقتصادية وعلى مصاعب المجاعة واططار الأوبئة ، عاد الاستيطان الأوربي يتقوى ابتداء من سنة 1885 ، وتزايد العدد خاصة بين 1888 و 1892 ، وأعان على ذلك إنشاء خطوط بحرية رخيصة الثمن للنقل بين المغرب والخارج .

3 . 2 . 1 : اسبانيا

كان عددهم 3700 سنة 1887 منهم 3000 بطنجة وحدها ، ثم بلغ 6000 سنة 1891 أي حوالي 600 في السنة من المهاجرين المحصين دون الوافدين خفية . وكانت الحكومة الاسبانية تشجع هجرتهم لسوء الأحوال الداخلية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، حتى بلغ عددهم سنة 1897 ، 8000 نسمة (12) . وكان جلهم مقيماً بطنجة ، وأقلهم بالدار البيضاء وتطوان .

وسيرد في الوثائق المغربية طرف من اخبارهم ونشاطهم . وكان تكاثر عددهم دالاً على نية مبيتة لاقامة مستوطنات بطنجة وتطوان والدار البيضاء الجديدة ، على غرار ما هو عليه الحال بسبتة ومليلية .

11 . المصدر السابق ص 479

12 . المصدر السابق : 4 من ص 286 الى 293 حيث هناك تفاصيل مدققة .

3 . 2 . 2 : انجلترا

كان عدد الانجليزيين والمنجلزين قويا سنة 1892 : 600 بطنجة و 12 بالصويرة و 93 بالجديدة و 38 بالدار البيضاء ، في حين لم يكن بباقي المدن الشاطئية الأخرى الا عدد قليل كالرباط : 7 أشخاص ، وأسفي : 27 ، والعرائش : 8 . وكانوا في مجملهم من الطبقات الغنية او المتوسطة . اما المسافرين السائحون الذين وقفت البواخر بهم بمرسى طنجة عبر السنوات بين 1887 و 1894 ، فكانوا كما يلي :

1887	سنة	6901
1888	سنة	10530
1889	سنة	11001
1890	سنة	14000
1891	سنة	17403
1892	سنة	14820
1893	سنة	15407
1894	سنة	14873

وأغلب هؤلاء السياح من المتقاعدين ، او من هواة الصيد والرياضة ، جاءوا على متن المراكب المفتوحة خطوطها بين طنجة وباقي اجزاء العالم .

هذا ولم تكن للمستوطنين الانجليز مشاكل عويصة مع السلطات في حجم المعضلات التي كان يطرحها توافد الاسبانيين القادمين للعمل او للاستزاق (13) .

3 . 2 . 3 : فرنسا

كان عدد الفرنسيين ضئيلا لا يمثل الا 7٪ من مجموع الأوروبيين . ولذلك كانت اهميتهم ضعيفة ، واكثرهم كان بالدار البيضاء وطنجة . وفي سنة

1895 لم يكن بالصويرة الا 37 شخصا . وبغيرها من المراسي ، لم يتعد العشرة كالرباط والجديدة والعرائش وآسفي (14) .

3 . 2 . 4 : باقي الدول

باستثناء اسبانيا وانجلترا وفرنسا ، لم تكن للدول الأخرى سنة 1894 الا جاليات ضحلة : اسرة ايطالية قديمة ، واخرى برتغالية بكل من العرائش والرباط والجديدة ، واسرتان سويديتان بطنجة ، واربع اسر امريكية بطنجة والدار البيضاء ، وبلجيكي واحد في مجموع المغرب (العرائش). اما المانيا فقد بدأ عدد رعاياها يتكاثر نسبيا من 17 سنة 1879 ، الى 80 سنة 1895 ، ثم الى 147 سنة 1901 (15) .

* * *

لو أمعنا النظر جيدا في دراسة هاته العشرة آلاف من المهاجرين في اواخر القرن التاسع عشر لكان علينا ان نستثني نحو 9000 من الاسبانيين والبرتغاليين والطارقيين والآفاقيين المملقين ، الذين لم يزدوا على ان يُضيقوا سبل المعيشة على المغاربة ، ويُضيفوا للسلطة مشاكل الى مشاكلها الاعتيادية .

والآلف الباقي ينبغي ان نستخلص منه فقط القسط النشيط ، ولا ندخل في الحساب العجزة والأطفال والنساء .

وفي هذا المعنى ، لن نجد مثلا بين ايدينا الا نحو 100 او 200 من التجار والصناع والفلاحين الاجانب الذين كانوا يتداولون بينهم استغلال ثروات المغرب ، ويُجهزون ، قصداً او عفواً ، على البقية الباقية من جاه البلاد ، بتواطؤ - احيانا - مع جماعة من الفاسدين والمارقين .

وستأتي في الأبواب القادمة اسماء المستوطنين ، مع ذكر نبذة عن نشاطهم ، وإشارة الى شيء من ثرواتهم .

14 . المصدر السابق : 4 ص 296

15 . المصدر السابق : 4 ص 298

وسنرى في الفصول الآتية كيف ان الحالة في اواخر القرن التاسع عشر قد ضاقت المغاربة بها ذرعاً .

ولعل احمد الناصري لم يبالغ لما وصفها في كتابه : « باينت احوال هذا الجيل الذي نحن فيه ، احوال الجيل الذي قبله غاية التباين ، وانعكست عوائد الناس فيه غاية الانعكاس ، وانقلبت اطوار اهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع متصرفاتهم لا في سككهم ولا في اسعارهم ولا في سائر نفقاتهم ...

» والسبب الأعظم في ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من اهل الأرياس للناس وكثرة مخالطتهم وانتشارهم في الآفاق الاسلامية ، (16)

* * *

بعد الحديث عن المغرب وحالة اهله من مغتربين ومن مستوطنين ، ان لنا الدخول الى فصل نهائي في هذا الباب ، يتعلق بالفواجع والكوارث . واليه انتقل تَوّاً ، لنشاهد ما اصطلح على بلادنا من بلايا اثناء القرن التاسع عشر ، من خلال المصادر العربية والعجمية معاً ، تمثلت في استغلال تردي الأحوال ، لبسط الحماية الفردية ولمحاولة تنصير السكان .

§ : الجوائح والقواصم

—•••••—

ما أكثر ما نكب المغرب في القرن الماضي ، فرزى أهله في مالهم ومتاعهم ! وما أعظم ما أصيب في تجارته واقتصاده ، بتسلط الطغيان الأجنبي على سيادته !

وأريد في هذا الفصل أن أتحدث عن البلايا والخطوب التي نزلت ببلادنا : مجاعات وطواعين ومصائب ، كانت أحيانا تتلاحق وتتصل فتهلك الانسان والحيوان والأرض جميعا ، خصوصا بعد منتصف القرن ، حيث كانت الأمراض متفشية في أجزاء متعددة من العالم .

ولئن كان الجفاف والجراد اللذان حلا بهاته الديار بلايا فوق طاقة البشر ، فان الأوبئة المدمرة كانت في الغالب تنطلق من إنسان خارج المغرب إلى إنسان داخله أو تصدر أحيانا عن الأحوال المحيطة به .

كان الدخول الى البلاد والخروج منها للتجارة أو لغير التجارة سببا في إصابة السكان بهاته الأوبئة من كوليرا وحمى وجذري وتيفوس وتيفوئيد ، ومطية الى الذين وصلتهم عدواها المهلكة . وربما كان اغتراب الأجانب وعودة الحجاج هما السببان المتصلان - العفويان طبعاً - في نقل جراثيم هذه الأمراض المبيدة ، بالرغم من وجود محجرين صحيين بطنجة والصويرة آنذاك . وقد لعبت الهجرة دوراً - إن لم يكن حاسماً ، فقد كان - مباشراً - لأن المغاربة كانوا لا يغتربون بكثرة كاثرة ، بخلاف ذيوخ الأجانب خارج بلادهم ، وهاته إحدى انعكاسات الاستيطان .

وهذا ما يدعوني الى معالجة هاته المحن من زاويتين :

الأولى : الأوبئة والمجاعات

الثانية : الاسعافات والوقاية

* * *

أولاً : الأوبئة والمجاعات :

لحقت كافة سكان المغرب بواديه وحواضره ، مواطنيه ومستوطنيه خطوب وبلايا خلال القرن التاسع عشر ، تحدثت عنها المصنفات المغربية في شيء من الاقتضاب والكتب الأجنبية ببعض الاسهاب . ومن ذلك جميعه أقتطف ما أرى فيه فائدة تاريخية .

في بداية القرن المذكور ظهرت طواعين مختلفة وعم الجوع وغزا الجراد المغرب من 1810 الى 1816 ، طيلة ست سنوات (1) .

وفي سنة 1819/1236 كان الغلاء الكبير والجوع المفرط ، وكان أكثره بقبائل الحوز من بني مسكين وعبدية ودكالة وغيرهم ، فأهرعت هاته القبائل الى بلاد الغرب والفحص ، واكلت الجيف والميتة والنبات . وصار يعرف عند أهل البادية بعام الخبيزي وعام يرّني ، وكان الرجل يأكل ولا يشبع ، وإذا أمعن في الأكل وتضلع شبعاً لم تمض إلا هنيئة حتى تضطرم أحشاؤه جوعاً . وبلغ المد بسلا ثمانية عشر مثقالاً ، فجعله العامة تاريخاً يقولون كان ذلك عام ثمانية عشر مثقالاً (2) .

أما في تادلة فقد أهلك وباء سنة 1818 ربع سكانها . وفي طنجة مات 2000 شخص بالطاعون ، زيادة على 566 بالعرائش و 1560 بالرباط و 7000

1 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 22 (4)

2 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 61

بفاس وآلاف بتطوان . وأعقب ذلك جفاف سنة 1822 . غير أن مسغبة سنة 1825 كانت كبيرة الى حد أن ذكرت بعام يَرْنِي ، وحطمت قبائل المغرب وأجبرتها على طاعة المخزن (3) .

ولئن امتازت سنة 1824 بمجاعة (4) قاسية ، فان المؤرخين لم يتحدثوا عن حلول الكوارث بالمغرب إلا بعد ذلك ، أي سنة 1850 .

فمن الحالة بوسط المغرب سنة 1850 ، وقع جذب ومسغبة عظيمة للناس ، فاهلكوا بالجوع وارتحلوا من بلادهم الى وادي درعة . ووصل الشعير في سوق دمنات الى سبعة مثاقيل للخروبة ، والقمح كان بعشرة مثاقيل . ومات عدد كثير من الناس في جميع البلاد ، بل وقع الغلاء في عامين قبله (5) .

ومن 1854 الى 1857 حل وباء الكوليرا وأهلك سكان شمال المغرب . وكان مصدره — على ما قيل — الحجاج المسلمون لدى عودتهم . ومات بملاح فاس وحده من اليهود 5000 شخص (6) .

ووصف الناصري الكوليرا التي أناخت بكلكتها سنة 1854 فقال بأنها « إسهال مفرط يعتري الشخص ، ويصعبه وجع في البطن والساقين ، ويعقبه تشنّج وبرودة واسوداد لون . فاذا تمادى بالشخص حتى جاوز أربعاً وعشرين ساعة ، فالغالب هو السلامة ، وإلا فهو الحتف . . . ومات به في سلا في منتصف قعدة 1271 (أوائل غشت 1855) مائة وعشرون نفساً . . . » (7) .

3 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 204 (نقلا عن كتاب الدكتور رينو : « وباء 1818 ») وجان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 22

4 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 122

5 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 204

6 . اسحاق عبو : « المسلمون الاندلسيون واليهود الاسبانيون » ص 323

7 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 69

أما صاحب « إيقاظ السريرة » فذكر عن بلایا تلك السنة بنواحي الصويرة من أنه « مات من المسلمين كثير ، ومن الاسرائيليين أكثر ، وعم ذلك المغرب كله . . . » ، ومن أن « بركانا انفجر ببلاد حاحة ببني زلطن » ومن أن « جبلين التقيا ببني محمود من بلاد حاحة ، بسبب خسف بمن فيه من المداشر ومات خلق كثير (8) في السنة الموالية .

ولا شك أن الكوليرا قبل 1860 كانت فتاكة مهلكة ، ولكنها لم تصب أقاليم الشمال ولم تتجاوز نهر أم الربيع (9) في الجنوب .

وبعد ذلك بسنوات قليلة ، لحق حجاج المغرب طاعون الكوليرا سنة 1865 ، إذ مات منهم ألف من مجموع 1800 كانوا على متن سفينة مصرية (10)

وفي سنة 1283/1856 « كان بالمغرب جراد سد الأفق ، وذلك في ربيع الأول الموافق لشهر مارس العجمي (II) فأكل النجم والشجر ، ثم أعقبه فرخه المعروف بثامرد ، فأكل كل خضراء على وجه الأرض ، واستلب الأعواد من أوراقها ، وقشرها من لحائها ، وفاض في الأمصار ، حتى دخل على الناس في بيوتهم » (12) ، بعد أن كانت صابة 1865 استثنائية غزيرة الإنتاج (13) .

وفي السنة الموالية 1284/1867 « كان الغلاء المفرط بالمغرب الذي لم يتقدم مثله بلغ فيه الربيع وهو ربع ثمن المد بسلا ورباط الفتح ستين أوقية ، وباع الناس أثاثهم وحليهم بالبخس ، وكان الأمر شديدا على الفقراء ...

8 . محمد بن سعيد الصديقي « إيقاظ السريرة ، لتاريخ الصويرة » ص 76 و 78

9 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 147 (3)

10 . « الوثائق » ج 2 ص 445

11 . مطابقة الشهرين فاسدة عند المؤلف إذ ربيع الأول 1283 يعادل يوليو - غشت 1866 أما مارس 1867 فهو ذو القعدة 1283 .

12 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 119 .

13 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 72

« وفي سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، كان الوباء بالمغرب بالقيء والأسهال المفرطين على نحو ما وصفناه في السنين الماضية » (I4) .

وعندنا عن سنة 1865 وما بعدها إشارات طفيفة الى مبلغ الضحايا والرزايا ، أورد مياج عنها ما مجمله : ابتلي المغرب من سنة 1865 الى سنة 1879 ، وبكيفية كادت أن تكون مسترسلة ومتقاربة ، بأوبئة الجذري والكوليرا والتفؤيد التي تضاف إليها المسغبة ، مما أهلك سكانه وقلص حجم المبادلات الخارجية ودهور التجارة الداخلية وأسفر القحط عن موت عشرات الآلاف من المغاربة والأجانب جوعاً .

وفي سنة 1868 فقدت الدار البيضاء — التي كان عدد سكانها يتراوح بين 2.000 و 3.000 ولا يتجاوز قطعاً 4.000 — خلال خمسين يوماً ربع سكانها ، كان هناك في البداية ميتان أو ثلاثة كل يوم ، ثم ارتفع العدد الى 12 و 15 حتى صار 42 هالكا في اليوم الواحد . وكان السكان يعجلون بدفن الموتى ، مع أن بعضهم كان لا يزال بقيد الحياة منهم اثنان آبا من قبرهما . ولئن مات أحدهما لسوء العلاج فقد كان الآخر لا يزال حياً يرزق .

وبالجديدة كان الهلع شديداً الى حد التجاء نصف الأوروبيين الى مراكب البحر للسكن بها بعيداً عن الوباء .

وبالرباط مات ثلاثة من الأوروبيين منهم فرنسي واحد .

وحلت الكوليرا بمراكش ذات 300.000 نسمة (هكذا)

وابتليت فاس بالكوليرا والتيفوس ، وفاض نهر فاس فانهارت 50 داراً و 30 دكاناً (I5) حسب مقالة صحفية في غشت 1868 .

14 . أحمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 119 و 120

15 . عن مقال بجريدة « سيمافور مرسيليا » في كتاب مياج « المغرب واروبا » ج 5 من ص 109 الى 116 .

وحصد الموت ما بين 250 و 300 شخص في اليوم سنة 1868 بفاس ، ومات في يوم واحد 33 من أعيان المدينة الـ 136 . ومن الجيش هلك في يوم واحد 345 جنديا ، ومات قنصلا انجلترا بالعرائش والرباط . ومع تقهقر الأوبئة لم تخف وطأة الوفيات بالمسغبة . فكانت كل يوم تبنى المئات بالمدن الشاطئية والشمالية وبمراكش . أما بطنجة ، فلم يكن الموت مستفحلا : 10 في كل أسبوع (16) . وفي نفس السنة 1868/1284 « اشتد الحال بتطوان من كثرة الغلاء ووقع الهيف في الناس ومات عدد كثير من البرد والجوع ، وخصوصا من أهل الريف الذين فروا من بلادهم من غلاء الأسعار وعدم نزول الأمطار » (17) ، ومن القبائل المنكوبة دكالة التي رزئت في 30 بالمئة من أغنامها في نفس الوقت (18) .

ولم تمر إلا أعوام قليلة حتى جاءت سنتا 1878 و 1879 بطامتهما الكبرى ، فكانت الخسائر جسيمة . فقد ذكر لوكليير ، نقلا عن غيره ، أن الكوليرا والتيفوس - اللذين استفحلا بالمغرب - أسفرا آنذاك عن هلاك ثلاثة ملايين من المغاربة (19) . وعن سنة 1878/1295 قال المؤرخ الناصري :

« في هاته السنة ، تعددت المصائب والكروب ، وتلونت النواثب والخطوب . . . » مثل « انحباس المطر . . . وأجيجت الناس وهلكت الدواب والأنعام ، وعقب ذلك الجوع ثم الوباء على ثلاثة أصناف : كان أولاً بالاسنهال والقيء في أوساط الناس بادية وحاضرة ، ثم كان بالموت بالجوع في أهل البادية خاصة ، هلك منهم الجرم الغفير . . . وبعد ذلك حدث الوباء بالحمى في أعيان الناس وأماثلهم ، فهلك منهم عدد كثير . . . وفي هاته المسغبة مد النصرى أيديهم إلى الرقيق فاشتروه . وكانوا يعاملون ضعفاء المسلمين بالصدقات والارفاقات ، ثم تجاوزوا ذلك إلى شراء الرقيق منهم .

16 . مبيج : « المغرب وارويا » ج 3 ص 392 والناصرى : « الاستقصا » ج 9 ص 105

17 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 107

18 . مبيج : « المغرب وارويا » ج 5 ص 132

19 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب والأطباء بالمغرب » ص 80

« ثم دخلت سنة 1296 فكان في أوائلها موت الناس بالحمى » (20) .

وعندنا توضيحات غير ما ذكره الناصري من أنه « في يوليوز 1878 ظهرت الكوليرا بفاس ومكناس وآسفي والصويرة ، حيث هلك في هاته المدينة الأخيرة وحدها ، في ظرف أربعة أشهر ، أزيد من 2.000 شخص (21) . ثم انتشرت أمراض أخرى كالجدري والحمى فعظمت أعداد الموتى سنة 1878 بالجديدة وبالدار البيضاء التي هلك فيها بين 17 شتنبر و 16 أكتوبر 987 شخصا » (22) .

ومات في هاته السنة الحاجب موسى بن أحمد البخاري (23) . ومن الذين ماتوا بالصويرة في هاتين السنتين ، 16 شخصية من علماء تلك المدينة وفقهائها (24) وآخرون ذكرهم المؤرخ الناصري في كتابه .

ويرى الكولونيل ماثيوز ممثل الولايات المتحدة ، وستيفانو سكواصو ممثل إيطاليا ، أن ربع سكان المغرب قد هلكوا سنة 1879 . وذكر قنصل اسبانيا بالعرائش أن ثلث أهالي منطقة الغرب ماتوا بطاعوني 1878 و 1879 . أما جون دروموند هي فيعتقد أن ثلث قبائل حاحة وسوس ماتوا جوعا .

ومن حيث الماشية ، روت المصادر أن نصف رؤوسها قضى بالمسغبة ، بل قيل إن بعض الأقاليم نكبت بهلاك ثلاثة أرباع أنعامها بسبب الجفاف سنة 1879 والجراد في السنة التي قبلها . وتقدم أن لوكليروى موت 3 ملايين من المغاربة بالكوليرا والتيفوس في سنة 1878 (25) ، وهي أرقام لا شك في أنها صحيحة ، لأنها أقرب ما تكون من رواية ممثلي إيطاليا وأمريكا حسبما مر بنا أعلاه .

20 . « الاستقصا » : 9 ص 164 - 165

21 . جان لوي ميج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 392

22 . نفس المرجع أيضا .

23 . « الوثائق » : 3 ص 482 و « الاستقصا » : 9 ص 165

24 . محمد بن سعيد الصديقي : « ايقاظ السريرة ... » ص 110

25 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب والأطباء بالمغرب » ، ص 80 (الرواية هي للدكتور رينو نقلا عن لوكليرو) .

وكان الخطب عظيما بوباء سنة 1879 ، فكان يموت بمراكش كل يوم 300 شخص وفقدت دمنات ربع سكانها على الأقل (26) .

وحاصله أن أخطر الأزمات وأطولها هي التي بدأت سنة 1867 ثم سنة 1878 ، آخرها دامت 5 سنوات . وكان الخصائص الغذائي أثناءها شديدا . وقد صور عواقبها القبطان إركمان رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بفاس بقوله : « من الجائز أن يكون الرخاء ساد إقليما والمجاعة عمت إقليما آخر ، ومن ثمة نتج رحيل هائل للسكان ونقصان في العمران »

وقد استخلص العروي من ذلك كله هاته النتيجة :

« وبذلك بدأ تحطيم الهياكل التقليدية ، واستمر طيلة خمسين سنة حتى بسطت الحماية الفرنسية على المغرب . ويبدو أنه خلال أزمة 1878 - 1882 ، رخل الى الجزائر حوالي 54.000 شخص . وقدمت الاسعافات لنحو 12 حتى 15 ٪ من سكان المدن . وتبرعت اللجنة الصحية باكتتابات لكي يعود القرويون الى مناطق جبال الريف ، التي كانت ترسل كل سنة الفائض من سكانها الى نواحي وهران ، قدره موليراس بعشرين ألفا من العمال كل سنة » (27) .

وفي مسغبة 1882 هلك بالرباط ، وحده في دجنبر 250 شخصا ، وبمراكش ومكناس مات 300 شخص في اليوم (28) .

أما سنة 1888 فقد فتك الجذري بـ 6.000 شخص بمراكش (29) ، وتلاحقت الفواجع أيضا سنة 1894 وما بعدها بأسراب الجراد التي اتت على الحقول والمزارع ، حسبما جاء في صحف البعثات التنصيرية .

* * *

26 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 205

27 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 55

28 . جان لوي مينيچ : « المغرب واروبا » ج 3 ص 397

29 . المصدر السابق ج 4 ص 393

هذه هي الرزايا التي وقفت عليها من خلال هاته المصنفات . فقد كانت — كما رأينا — دورية تأتي بين الحين والحين ، وكانت تعقبها فترات من الرخاء والعافية أطول من أوقات الحرج والشدة ، ازدهرت فيها التجارة نوعا ما ، واستقامت الأحوال السياسية بالداخل أمدا طويلا . لكن تواتر هاته الكروب كان يحمل السلطة على التفكير في إسعاف المنكوبين بالبلايا والحتوف وإغاثة الملهوفين .

فكيف كان ينظم الاسعاف ومن هم المسعفون من سلطة وأطباء وقناصل ؟

* * *

ثانياً : الوقاية والاسعافات

الأرقام التي قدمتها لا تعطي إلا فكرة مقتضبة عن مبلغ الرزايا والبلايا التي انتابت المغرب في القرن الماضي ما بين الفترة الطويلة أو البرهة القصيرة ، والتي كانت ذات انعكاسات وخيمة على الطبقات الدنيا والوسطى ، مثل الفلاحين وصغار التجار والصناع الذين أفقرُوا بالغلاء وهلكوا بالموت الزنؤام ، ومرقت طائفة بالاحتفاء والخلطة مع الأجانب ، وبالجملـة « أُجِـيحت الناس » كما قال الناصري عن بعض السنين ، ولكن ذلك لم يكن متصلا طوال القرن لحسن الحظ .

ومثل هاته الأحوال لم تكن لتخفى على المخزن ولا على الولاة المحليين والقناصل . وليس تحت يدنا الآن ما نعلم به شيئا كثيرا عن مواقف السلاطين ، سوى أنهم كانوا — عند حلول المجاعات — يأمرُون بفتح مخازن الحبوب لتباع للناس أو لتوزع مجانا على المنكوبين الملهوفين .

كان المخزن يقاوم الجراد بوسائل تقليدية ، فيدعو السكان الى جمع بيضه ليشتريه منهم بثلاث ريات للقنطار ثم يقذف في البحر . وكان الفلاحون يحفرون حول حقولهم خنادق لصد هجوم الجنادب ، وكان آخرون يحيطون هاته الخنادق بصفائح من القصدير يتخذونها حاجزا وقائيا من هذه الغارات (30) .

30 . عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 64

أما العلاجات والوقاية والاسعافات فكانت بلا ريب فوق طاقة الحكومة لانعدام الأطباء المغاربة . كان الناس يعمدون الى اتخاذ الرقى والتمائم ، أو الى التداوي بالأعشاب وأنواع العلاج التقليدي ، عند حدوث الطواعين كما سيأتي .

أما لدى احتباس المطر ، فكانت صلوات الاستسقاء تقام في كل مكان ، يهرع أثناءها المؤمنون الى الله ، حاسرين حافين تائبين ضارعين إليه أن يخفف ما نزل . وكان من العلماء — مثل محمد بن جعفر الكتاني — من يؤمن بأن هاته الدواهي ما جاءت إلا لأن المسلمين قد تنكبوا عن الطريق المستقيم وضلوا عن السنة المحمدية (31) ، بينما كان جون هي يرى في هاته الكوارث عدلا إلهيا ، حسب رسالة منه الى السلطان في 25 ابريل 1880 .

وفيما عدا هذا وذاك ، لا نعرف عن المساعدات المنظمة إلا نتفا قليلة ، وخصوصا عما كان يقع على يد بعض الأطباء الأروبيين ممن أبلوا البلاء الحسن في علاج الأجانب والمواطنين على السواء في الثلث الأخير من القرن . وأما أسماء الأدوية وأنواعها ومصدرها فذلك ما لم أقف له على أثر .

وإذن لم يكن للسلطان مناص عن الأمر بفتح أمراس الحبوب وبيعها بأبخس الأثمان للمصابين بالجراد والمسغبة (32) . وكانت المطامير — التي هي علامة الثروة — تمكث فيها القموح المدخرة آمادا طويلة ، تتراوح بين 10 و 15 سنة ، حتى تفسد أحيانا ، ويظل الناس يقتاتون بالبقولة (33) مثلما رأينا قبل ذلك عام الخبيزة أي سنة 1819 عند ما أُصيبوا بمثل هاته القواصم المهلكة .

31 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 331 (نقلا عن « نصيحة أهل الإسلام » لمحمد بن جعفر الكتاني ص 92)

32 . جان ميج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 392 واحمد الناصري : « الاستقصاء » ج 9 ص 165 .

33 . ميج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 220 (11)

ويجدر بنا الإشارة الى شيء من الجهود التي بذلها الأجانب هيئات وأفراداً والى إلمامات أخرى عن الأطباء والعشابين المغاربة .

2 - I : التطبيب الأجنبي ومجلس العافية

نظمت الوقاية والعلاج الطبي بالشغور وجردت حملات الاسعاف على يد «مجلس العافية لصيانة البرية» الذي كان يعبى أطباء القنصليات والبعثات ، أو يستحث الدكاترة الأحرار القليلين ، لمقاومة هاته الجوائح الشديدة . ولم يستطع الجميع إلا حد الداء مؤقتا ، دون اللجوء الى الوقاية بالتلقيح والتطهير ، لا لأن الأدوية الناجعة لم تكن موجودة فقط ، ولا لأن هاته الطوائع كانت مستشرية ببلدان أخرى من العالم أيضا ، ولكن كذلك لأن المخزن والسكان كانوا يرون في المجلس الصحي وخصوصا ، في منتصف القرن ، هيئة فضولية تتدخل فيما لا يعنيها ، لا سيما عند ما كانت تقترح على الحكومة عزل الأصحاء عن المرضى ، أو حصر أهل المدن الداخلية والبادي بعيداً عن الشغل والمرسى.

وذلك أن هذا المجلس الذي كان يسمى السنييدة أيضاً Sanidad استغل التفويض الذي ناله من المخزن لينصب نفسه هيئة بلدية . وكان تحت إشرافه المحجر الصحي بطنجة وكذلك محجر الصويرة الذي كان من مهماته مراقبة الوافدين على المغرب ولا سيما الحجاج . فقبل سنة 1866 ، كان العائدون من الديار المقدسة يخضعون للكرنطينة ، التي كانت تدوم اسابيع وأياماً ، بجزيرة مالطة أو بمدينة ماعون الاسبانية . غير أنه بعد انعقاد المؤتمر الصحي بالبندقية سنة 1892 ، صار هؤلاء المسافرين ملزمين بعد أداء الفريضة بالتطهير وبالتعقيم ببلدة طور سيناء .

* * *

وبعد هذا العرض الوجيز ، سنرى الحالة بالمغرب في القرن التاسع

عشر :

الحق أن أطباءاً من مختلف الجنسيات هلكوا أثناء العلاج ، متأثرين بالعدوى بدورهم على الرغم من قلة أعدادهم ولتفانيهم المحمود في أداء رسالتهم الانسانية .

ولا بأس - بهاته المناسبة - من سوق أسماء الأطباء الذين عثرت عليهم خلال النصف الثاني من القرن بشتى المدن ، ومن الإشارة الى نشاط بعضهم .

كان بالصويرة الطبيب الفرنسي أوليف Olive والدكتور الانجليزي ريتشاردسون طومبسون Richardson Thompson المتوفى بالكوليرا هو نفسه ، كما هلك ابنه قبله سنة 1878 ، مثلما مات الطبيب الفرنسي لوران تيفنان Laurent Thévenin بنفس الداء سنة 1879 ، بعد أن بذل جهودا جبارة في معالجة المرضى به ، سواء سنة 1868 أو 1878 . وكان الأخير من أطباء السلطان وأعضاء المخزن . وكان بالصويرة أيضا طبيب عسكري إسباني اسمه غيبارا Guevara عين بها سنة 1889 . وفي سنة 1883 كان الطبيب الفرنسي تيري - ميهك Thery-Mieg يعالج المرضى بهاته المدينة .

وبمدينة الرباط كان يسكن بضعة أطباء مثل الفرنسي غيان Guien الذي استوطنها لمدة سنتين اثنتين ابتداءً من 1856 ، والدكتور الاسباني مانويل طوماس رودريكيث M.T. Rodriguez الذي كان قاطنا ابتداءً من سنة 1861 بهاته المدينة وأيضاً بسلا والدار البيضاء ومراكش ، وكثير التنقل بين هاته المدن الأخيرة لأغراض صحية وسياسية لفائدة قنصلية إسبانيا حتى مات بالدار البيضاء سنة 1877 .

وفي سنة 1863 استوطن الرباط طبيب إنجليزي على الراجح ، وهو ثيودور لوكاس غوديت Th. Lucas Godet وأقام بالمدينة عامين اثنين (34) . وأضيف إليه طبيباً ثانياً : ل روبيرت كير L.R. Kerr وهو منصرف بروتستانتى إنجليزي حل بالمدينة سنة 1883 وكان يعالج المرضى . كما أقام بها من 1880 الى 1883 الضابط الفرنسي الدكتور ف. ليناريس F. Linarés الذي كان

يريد سنة 1882 تميم التلقيح في بعض الأوساط عند ذبوع البذري تلك السنة .
وفعلا استطاع أن يلحق عدة أطفال من أسرة محمد برقاش (35) .

ولم يسلم هذا الوزير من لوم الناقدبن ، فانهالت عليه من المخبزن رسالة
تقرب حول هؤلاء النواب الذين « جعلوا الكرنطينة بقرب طنجة لمن يرِد
من فاس ومكناس ، توقيا من الوباء الذي ظهر في تلك النواحي ، ومساعدتك
لهم في ذلك وتعجبنا من قبولك منهم ذلك الكلام وسماعه ، فضلا عن
العمل به ، مع أنه مخالف لشريعتنا المطهرة ، فان المَعْتَمَد في ديننا أن لا
عَدُو ولا طيرة . . . » (36) .

وكان بالرباط أيضا سنة 1889 طبيب إيطالي لم تذكر الوثائق المغربية
اسمه واكتفت بالقول بأنه من مواليد تونس (37) .

أما البببب فكان بها سنة 1859 الطبيب الايطالي ل كراسينو
L. Garrassino (38) . وفي نهاية القرن ، كان بها طبيبان : واحد إسباني وآخر
سويسري (39) . ولم يرد لاسمهما ذكر . وهناك أيضا الطبيب الفرنسي
جوزيف آلار الذي حل بالمببب سنة 1878 ولكنه رحل الى آسفي فاستوطنها
من سنة 1879 الى سنة 1890 ، وكان تاجر حماية أكثر منه طبيبا .

وبالشر الطنجي عاش أطباء من شتى الجنسيات مثل سطرأوس Strauss
الذي كان يباشر علاج المرضى ، ثم خلفه الدكتور رولانجي Rolinger الفرنسي
الذي أشرف على المستشفى وبذل جهودا حسنة في مكافحة كوليرا 1855 ،
حتى مات هو بدوره بهذا الوباء في السنة الموالية .

35 . المصدر السابق ج 4 ص 393

36 . رسالة السلطان الى برقاش في 12 رمضان 1295/9 شتنبر 1878 (صورتها
عند محمد نهليل في « رسائل شريفة » اللوحة 39)

37 . رسالة محمد السويبي الى السلطان في 9 جمادى الاولى 1306/11 يناير
1889 محفظة المغرب ايطاليا .

38 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 147

39 . أوجين أوبان : « مغرب اليوم » ص 77

وبعدهما كان حكماء آخرون ، نذكر منهم الدكتور كاسطيكس Castex الذي داوى السكان من الكوليرا ، وبلغ عدد المعالجين عنده في ظرف 6 سنوات أزيد من 12 ألف مريض . ويحكى عن هذا الطبيب أنه عجز عن إرجاع رحم امرأة - انقلب - إلى مكانه ، فاستعان بأحد المتطبين المغاربة الذي علق المرأة من رجلها وجعل رأسها إلى أسفل ، فعاد الرحم إلى محله (40) . وكان بالمدينة آخرون مثل الطبيب الاسباني خواكين كورطيس J. Cortés الذي كان ملحقاً صحياً سنة 1891 . وأضيف إلى هؤلاء : الدكتور وود Wood الأمريكي ، الذي كان له خلطاء بهاته المدينة وبالدار البيضاء كذلك (41) ، ولم يعرف هل كان يزاوّل الطب فعلاً ، والطبيب العسكري الاسباني فليبي أوبيلو إي كناليس Felipe Ovilo y Canalis الذي كلفه السلطان ، سنة 1891 ، بتدريب ممرضين عسكريين وبالعلاج المحلة التي كانت تقمع تمرد عبد السلام الحمام الأنجري ، وكان يجمع بين الطب والتجسس والصحافة (42) ، والطبيب سينارو Severo Cenarro الذي كان ملحقاً طبيباً بالمستشفى الاسباني سنة 1883 ورئيساً للجنة الصحية حتى توفي سنة 1898 (43) . ثم هناك طبيبان إنجليزيان أحدهما يدعى مغيرس Migers (4) ، ورد إلى المدينة سنة 1871 « والناس يصفونه بالمهارة في علم الطب ، وهو طبيب مختص واسمه مغيرس ، وهو من جبل طارق » (44) . والآخر يدعى ميكولا (ولعل صوابه نيكولا) ، لكن نسبه لم يرد في الوثائق) . وكان سنة 1887 يحترف العلاج (45) .

-
- 40 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب والأطباء بالمغرب » ص 92
41 . لوائح المخالطين والمحميين الأمريكيين وهي غفل ، ونقدها بسنة 1892
42 . جان لوي ميج : « المغرب وأروبا » ج 4 ص 219 (4)
43 . المصدر السابق ص 354 (3)
44 . رسالة بركاش إلى الوزير محمد بنيس في 28 حجة 1287/21 مارس 1871
- محفظة المغرب بريطانيا .
45 . رسالة للطريس في 26 ربيع الاول 1305/12 دجنبر 1887 - محفظة
الطريس 11 .

وبتطوان استقر سنة 1858 الطبيب النمساوي الهنغاري ماكسيميليان شميدل M. Schneidl الى أن عين قنصلا لبلاده سنة 1868 ، حسبما سيأتي خبر ذلك مع القناصل بطنجة .

وبنفس المدينة سكن طبيب فرنسي اسمه مورير Maurer ، وكان في منتصف القرن التاسع عشر يزاول الطب والصيدلة معاً (46) .

وبالعرائش والقصر أقام طبيبان إسبانيان ، أولهما خوسي خيمينيث Jose Gimenez الذي مات سنة 1893 مقتولا بالقصر (47) ، والآخر كان بالعرائش سنة 1889 ، لكن غفلت عن اسمه الرسائل المخزنية (48) ، ولعله كيتا . وهناك طبيب ثالث كان سنة 1881 بالقصر يدعى رودريكيث كراكوف R. Krakof (49) وهو روسي ، وقد تردد اسم الحكيم الموسكوي في الوثائق المغربية ولا سيما بفاس .

وبمراكش حل الطبيب الألماني كراكي KRAKE الذي لما خرج منها ووصل الى قصبة أولاد سعيد بالشاوية نهبت أمتعته (50) . وقد يكون مجرد سائح أو مستكشف غير طبيب .

الدار البيضاء أوت عدداً من الأطباء الأجانب : الفرنسي كيول GUIOL الذي وصل اليها سنة 1868 لمكافحة عدوى الكوليرا وعلاج الجالية الفرنسية ، ولعله هو ذلك الطبيب الشاب المتخرج من كلية باريس (51) ، والاسباني

46 . جان لوي ميج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 471 (1)

47 . رسالة الباشا احمد بن التهامي الى الطريس في 21 ج 2/1311/30 دجنبر 1893 .

48 . رسالة الطريس الى السلطان في 1 شعبان 1306/2 ابريل 1889 ، محفظة الطريس 15 .

49 . ميج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 353 (10)

50 . رسالة غريوط الى الطريس في 15 محرم 1306/21 شتنبر 1888

51 . عن جميع الأطباء السابقين ينظر كتاب «المغرب واروبا» ج 1 ص 93 و ج 2 ص 147 و ص 391 (8) و ص 409 و ج 5 ص 110 و 114

خوردان Jordan الذي عين سنة 1889 ملحقا صحيا عسكريا (52) . وفي سنة 1873 قدم فريزار Frezard ومكث بالمدينة ثلاث سنوات ، وفي سنة 1881 حل مونكادا Moncada وگامير Gamir وإيسبري Esbry وبعدهم استوطن المدينة بيتي Betti وبينيتيث Benitez وطوطي Totier ودوبير Dobbert الذي قضى بها 25 سنة حتى أصبح عميدا للسلك الطبي (53) . وإليهم يضاف الدكتور هاري نوط H. Nott المنصر الانجليزي .

أما فاس فكان بها أطباء أجانب ، مثل الاسباني خاكوبو كيتا J. GUITTA الذي كان أول أمره بالقصر الكبير سنة 1887 ، ثم رحل الى فاس وسكن بملاح المدينة (54) ، وكذلك الطبيب الاسباني روميرو روبليدو R. Robledo الذي كان قاطنا بفاس ، وقيل إنه كان من أطباء السلطان مولاي الحسن . كما أنه كان حوالي سنة 1896 مكلفا بالمحجر الصحي بالصويرة (55) ، وله عن مراقبة عودة الحجاج من البقاع المقدسة بعض التقارير .

ومن المعالجين بفاس الدكتور فندل Vendel (؟) الألماني الذي كان سنة 1885 ساكنا بهاته المدينة (56) . الا أن الراجح أنه إنما كان بيطريا .

52 . « المغرب واروبا » ج 4 ص 220 (11)

53 . مبيج وهوج : « الأروبيون بالدار البيضاء » ص 92 (4)

54 . مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 220 (11)

55 . احمد معنينو في ترجمة عبد الكريم بريشة في « دعوة الحق » عدد ابريل 1971 حرف اسمه الى رابيل Rapela

اما محمد امين البزاز فقد اورد فقرات من تقاريره ، في بحثه المنشور سنة 1982 بعنوان : « الحوليات الفاضحة للحج المغربي الى مكة في القرن التاسع عشر » في مجلة « اسبيريس تمودا » المجلد الحادي والاربعين ص 325 وما بعدها .

ويستفاد من هاته الدارسة ان عدد الحجاج كان من سنة 1853 الى 1858 يتراوح بين 2500 و 3000 وان نحو من عشرة آلاف توجهوا الى الحج حوالي 1893 (ص 321 و 330 من الدراسة المذكورة) . فليضف هذا الى ما ذكر في الصفحتين 60 و 160 اعلاه . ولهذا البحث القيم علاقة بأحوال الحجيج ويطرّف تسفيرهم وحملهم وبالمعاملات المهنية التي كانوا يتعرضون لها في المراكب والمهاجر الصحية الأجنبية والمغربية ، نقلا عن بعض الرحلات الحجازية الوطنية .

56 . رسالة السلطان الى الطريس في 15 ربيع الاول 1303/22 دجنبر 1885 ، محفظة الطريس 6 .

ومنهم المنصر الانجليزي تشر تشر D.T. CHURCHER ، وسيأتي ذكره ، والطبيب مكماش (ولعل صوابه سامويل ماك ماث S. Mac Math) الانجليزي الذي يظهر أنه كان سائحا . وسيرد الكلام عنه بفاس في قضية الفيل .

وأختم بذكر الدكتور كريف GRIEVE المنصر الانجليزي بالدار البيضاء الذي كان يتخذ العلاج مطية لصد المسلمين عن دينهم (57) حسبما سيأتي خبر ذلك في محله ، كما اذيل بأن أطباء مثل : س ه روبرتز S.H. Roberts وطيري Terry والمنصرة بريس Breeze (وكلهم من هيئة نورث افريكا ميسيون) عالجوا السكان ابتداءً من سنة 1887 بهاته المدينة .

ويستفاد من المصادر المختلفة أن عدد الاستشارات الطبية التي جرت في شتى المحطات البروتيسانتية بلغت 2300 في طنجة وحدها سنة 1886 ، كما بلغت بها وبغيرها كالرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس 17.000 سنة 1890 و 30 ألفاً سنة 1892 ثم تضاعفت بعد ذلك حتى وصلت الى 70 ألفاً في مجموع المحطات . على أنه منذ إنشاء هاته الأخيرة الى سنة 1900 قدرت الاستشارات الطبية في كل منها كما يلي : 50 ألفاً بتطوان و 70 ألفاً بفاس و 80 ألفاً بمراكش و 60 ألفاً بطنجة و 50 ألفاً بالرباط (58) .

ولا يخفى أن الممسحين بذلوا جهوداً في مواساة المصابين (59) ، بالرغم من تخلف العقول وتواكلها ونفورها من العلاج على يد كل طبيب أجنبي ، ومن التداوي بغير ما اصطلح عليه الأقدمون ، كما تقدم في تأنيب برثاش ولومه على التلقيح ، لأنه لا مفر من قضاء الله وحكمه .

57 . « المغرب واروبا » ج 4 ص 320 (5)

58 . جان لوي ميج : « البعثات البروتستانتية بالمغرب : 1875 - 1905 » في مجلة « تمودا » المجلد 42 ص 173 و 176 .

59 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 210

وعن هاته الفواجح والقواصم (60) ألفت كتب أجنبية مختلفة (61) .
وقد ذكرت آنفا أن من الأطباء من قدم نفسه لخدمة سكان المغرب من وطنيين
وأجانب على السواء حتى مات فداءً للواجب . ولكن عليّ أن أبرز أن القناصل
والتجار والأطباء كانوا يرومون في بعض الأحيان استغلال هاته النكبات لمصلحتهم
ولخدمة أطماع بلدانهم الظاهرة والباطنة . فما كانوا يقصدون بذلك وجه الله
خالصا ، وإنما كانوا - أحيانا - يرمون الى هدف سياسي : ولا سيما عند ما
كانت بعض السفارات والقنصليات توزع حساءات يومية وتفرق صلات وصدقات
إحسانية على الجائعين والمنكوبين ، حسب جان لوي ميج الذي ذكر أيضا
أن ماثيوز كان سنة 1879 يوزع 500 كيلو من الخبز بطنجة كل يوم (62) .

وقد أسلفت أن المخزن كان يَشْمُزُّ من مبادرات مجلس العافية ،
ولكن لم تكن له سياسة في ميدان الوقاية . ولم يؤسس السلطان الحسن الأول
- الذي كانت له مشاغل صحية - مدرسة للمتطبين بطنجة إلا في أواخر عهده .

* * *

ومن هنا نخلص الى جوانب من العلاج التقليدي .

2 - 2 : التطبيب المغربي

لم يحفظ لنا التاريخ إلا اليسير من أسماء الأطباء والمتطبين المغاربة
المسلمين الذين كانوا يتعاطون علاج الأمراض المزمنة والحادة ومداواة الأوبئة

60 . هذا هو ما يدعى « القيشان » الذي اظنه تحريف القسم (يضم وفتح)
اي من يحطم كل ما يلقاه ، او القسم (بفتحيتين) ، ومعناه بيض الجراد ، او القسم (يضم
القاف) وهو ما يبقى على المائدة مما لا خير فيه . ولا شك ان « جاءهم القيشان » او
« ضربتهم الجايحة » او « قاسهم بوكليب » الذي هو الكوليرا في الاصطلاح المغربي ، امثال
مأخوذة من هذا المعنى .

61 . من الذين المفوا عن هاته الكوارث حسب جان لوي ميج الجزء الأول من
« المغرب واروبا » الدكتور فيرنان ليناريس عن كوليرا 1878 ، وبومبي : BEAUMIER
عن كوليرا المغرب والصحراء والسينغال سنة 1868 ، ورنان RENAND عن طاعون
1818 ، وشارل بوا Ch. BOIS عن سنوات الرخاء والمجاعة والأمطار ، وبريفول
PREFOL عن مجاعة 1895 ، وسيكور - دوبيرون SEGUR - DUPEYRON عن
الأوبئة التي لحقت المغرب من سنة 1700 الى 1839 .

62 . « المغرب واروبا » ج 3 ص 391 (8) وص 392 وص 469 .

مثل التي سبق ذكرها . وكاد العشابون والعطارون يقومون مقام الصيدليين في العهد الحاضر . وكان أشخاص آخرون يحترفون العلاج النفساني بما يقدمونه لمرضاهم من رقى وتعاويد .

وقد ظل الأطباء والمعالجون التقليديون المغاربة يتداولون كتب الطب العربية ، المشرقية منها والأندلسية ، ويشرحونها ويعلقون عليها ويجترونها اجترارا لا يبغيون بها بدyla ويعتبرون ما عداها باطلا .

والجدير بالاشارة أن طلب العلم كان يرمي في المقدمة الى اكتساب العلوم الدينية والأدبية قبل غيرها . وكان الطب والتاريخ يأتيان في المؤخرة . ومن العلماء من كانوا مشاركين في العلوم . ولم يُعرف تخصص في الدواء والوقاية الا لطائفة جد قليلة ، منهم من خلط العلاج الجسماني بالعلاج الروحاني .

وهكذا دونت مبادئ في علم الطب ووصفت طرائق شتى لعلاج المرضى لا تزال محفوظة بالمكتبات والخزائن .

وهناك طبعا ما لم يدون في كتاب أو مخطوط وإنما حفظ في الصدور ، متسلسلا أبّا عن جد ، لأن المعتقد أن جماعة من المتطبيين كانوا أميين لا يقدرّون على كتابة ، ولا طاقة لهم بتأليف ، ومنهم العشابون والعطارون وأشباههم ممن كانت لهم — أو ظنوا أن لهم — مسكة من التجربة أو الممارسة .

ومهما يكن من أمر ، فيحسن الالمام بزمرة من المصنفين ومصنفاتهم ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي ، لأن التطبيب ظل — كما سنرى — خاضعا في تفاصيله وأصوله للأطباء الأقدمين ، فلم يكده يدخله تطوّر ولا تطوير .

وقبل الحديث عن الحكماء ومؤلفاتهم وشيء من ترجمتهم ، لا بأس من الاشارة الى أن كتابين وضعهما مصنفان غير مغربيين كانا يسترعيان الانتباه ، وهما كتاب الرحمة وكتاب التذكرة .

« كتاب الرحمة ، في الطب والحكمة » هو من تأليف المهدي بن علي ابن ابراهيم الصنّبري المتوفى عام 1412/815 باليمن .

« وتذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجائب » صنفه داود بن عمر الأنطاكي الضرير المتوفى عام 1596/1005 .

وكان الاقبال عليهما شديدا ، بحيث انتسغا عدة مرات . وبالمغرب II نسخة من الأول و 23 نسخة من الثاني في العصر الحاضر على الأقل (63) .

هذان الكتابان وغيرهما مما « هو خليط من التنجيم والطلاسم والرقى وما شابه ذلك » (64) اقتبس منهما بدون شك المؤلفون والأطباء المغاربة في أوصافهم وتصانيفهم التي سنعرض لبعضها في الفقرات الموالية ، وبعدها إلى أساليب العلاج ، ولا سيما منذ القرن السابع عشر .

* * *

أ. — الأطباء والمؤلفون

1 — علي بن ابراهيم المراكشي الأندلسي : كان طبيا ، وله تأليف ومنظومة وضعها للوليد ابن زيدان السعدي المتوفى عام 1536/1045 . وهو والد الطبيب آتيي الذكر . وله أرجوزة في خصائص الفواكه الصيفية وأخرى في وصف تركيب معجون يعرف باسم « الأيارج » (65) .

2 — عبد المالك بن القائد علي بن ابراهيم وشقيقه :

3 — ابراهيم بن علي بن ابراهيم الذي كان طبيا للسلطان مولاي اسماعيل . وكان له في البداية حانوت بمكناس لمداواة الناس ، ولكنه انتقل

63 . محمد العربي الخطابي : « فهارس الخزائن الملكية . المجلد الثاني : الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات » ص 110 و 57

64 . المصدر السابق ص 110

65 . المصدر السابق أيضا ص 206 و جليلة فرحات : « قائمة المخطوطات العربية ... » في « مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية » ، العدد السابع ص 242 ، وكذلك العباس ابن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 2 ص 222

بعد ذلك الى تونس وسمى بالأندلسي وتعاطى لنفس الغرض ، حسبما أخبر به تلميذه ابن شقرون (66) .

4 - **وأحمد بن عبد الحميد المريرد المراكشي** ، وكان ماهرا في علم الطب ، وتوفي عام 1639/1048 (67) .

5 - **وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي** المتوفى عام 1626/1036 . ولعل له « تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة » إذا كان هو الذي اشتهر بلقب العارف (68) .

6 - **وابو القاسم أحمد بن محمد بن عيسى الفشتالي الملقب الغول** ، والمتوفى عام 1650/1059 . وهو صاحب أرجوزة تحتوي على 740 بيتا (69) ، وله منظومة ذات 1410 من الأبيات عنوانها « حافظ المزاج ولاقط الامشاج بالعلاج » ، زيادة على رسالة في الطواعين (70) .

7 **محمد أدراق الطبيب الماهر المتوفى في 7 قعدة 1679/1090** بمدينة فاس (71) .

8 - **أحمد بن محمد الدراق السوسي** . كان طبيبا ذا ذوق سليم اتخذهُ السلطان محمد الثالث حكيما لنفسه (72) .

66 . المصدر السابق ج 1 ص 188 وعبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 324

67 . العباس ابن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 2 ص 316

68 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 80 وعبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 795 .

69 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 209 وعبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 795 .

70 . عبد الوهاب ابن منصور : « أعلام المغرب العربي » ج 2 ص 152 وحليمة فرحات : « قائمة المخطوطات ... » ص 249

71 . محمد بن الطيب القادري : « نشر المثنائي ... » ج 2 ص 253

72 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 8 ص 43 والعباس بن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 5 ص 304 وما بعدها

9 - محمد بن سعيد المرغيثي السوسني المولود عام 1007 / 1598 بمدينة مراكش والمتوفى بها أيضا عام 1089 / 1678 . كانت له مشاركة في الطب الذي أخذه عن أحمد الغول . وتصدر للعلاج مدة ثم تركه (73) . ولم يخلف تأليفا فيه ، وإنما في غيره من العلوم ، لأنه كان من المشاركين .

10 - وأحمد بن إبراهيم العطار الأندلسي المتوفى عام 1105 / 1693 . وكان عارفا بالطب ، خبيراً برَجَز ابن سينا (74) .

11 - محمد بن علي البقيلي . وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري . ألف « مجموع المنافع في علم الطب النافع » (75) . هذا عن القرن السابع عشر . أما في الذي بعده فقد ظهر مؤلفون وأطباء آخرون أذكر منهم :

12 - محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي المتوفى عام 1120 / 1708 (76)

13 - وأحمد بن محمد العباسي السملالي الجزولي الذي كان عارفا بالطب . وتوفي عام 1152 / 1739 (77) .

14 - وأحمد بن صالح الدرعي الكتاوي المتوفى عام 1147 / 1734 . وله تأليفان أحدهما « الهدية المقبولة » ، في حلل الطب مشمولة « والآخر » الدرر المجمولة ، على الهدية المقبولة « (78) .

15 - وعبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدراق المكناسي المتوفى بفاس في صفر 1159 / 1746 . وكان طبيباً للسلطان مولاي اسماعيل ولابنه مولاي

73 . المصدر الأخير ج 2 ص 326

74 . عبد العزيز بن عبد الله : « الطب ... » ص 84

75 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 138

76 . عبد العزيز بن عبد الله : « الطب ... » ص 84

77 . نفس المصدر وكذلك العباس بن إبراهيم : « الأعلام ... » ج 2 ص 377

78 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 100

عبد الله . وهو طبيب ابن طبيب حفيد طبيب . ولا شك أن له صلة بعبد الرحمان بن محمد الدراق الذي كانت له حانوت أعشاب وعطور بمكناس . له تأليف كثيرة أغنت الدراسات الطبية بالمغرب ، ولا سيما أرجوزته في مرض « النَوَّار » (79) ، وأرجوزة أخرى في 173 بيتا . وله قصيدتان في النعناع (80) .

وكما اشتهر بالمهارة في الطب عرف أيضا بالشعبذة . فكان له حانوت بفاس يأتيه الناس هناك . وله تأليف عنوانه « هز السمَّهري ، فيمن نفى عيب الجذري » (81) .

16 - **وعبد المجيد الزبادي الفاسي المتوفى عام 1749/1163 (82) .**

17 - **وعبد الله بن أحمد الكضاضي التنزاسي المتوفى بعد 1757/1181 .** له « نبذة من الفوائد الطبية » وله أيضا « عنوان الشفا ، مع صدق الطب والوفا » وهو مختصر كتاب « الهدية المقبولة » لأحمد بن صالح الدرعي (83) . ولعله هو المسمى السكتاني الووكدمتي نزيل مراكش ودفينها ، والذي « تبرك به الناس حيا وميتا » . وقد تلقى تعليمه عن أحمد بن ابراهيم العطار ، وكان من تلامذته أحمد بن محمد العباسي سالف الذكر (84) .

18 - **وعبد القادر بن العربي المنبهي المدغري المعروف بابن شقرون**

المكناسي المتوفى بعد 1728/1140 . درس بفاس وأخذ الطب عن أحمد أدراق ورحل الى المشرق ودخل الحجاز والأسكندرية ومصر والتقى بالطبيب أحمد الزيداني . وكان شاعرا وطيبا وصيدليا جميعا ، واشتهر بمنظومته الشقرونية التي هي أرجوزة في الأغذية والأشربة والأدوية . وله تأليف عنوانه « النفعة

79 . عبد الهادي التازي : «جامع القرويين» ج 3 ص 802 وابن زيدان «الاتحاف،

ج 4 ص 480 .

80 . حليلة فرحات « قائمة المخطوطات ... » ص 243 و 262

81 . العباس بن ابراهيم « الأعلام ... » ج 8 ص 541

82 . عبد العزيز بن عبد الله « الطب ... » ص 84

83 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ج 8 ص 311

84 . العباس بن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 8 ص 311

المسكية ، في العشبة الهندية « (85) ، وأرجوزة في معجون « الأيارج » تحتوي على 32 بيتا (86) .

19 — **عبد الله بن عزوز القرشي السوسي المراكشي** المشهور بسيدي بلة ابن عزوز ، وهو المتوفى عام 1789/1204 بمراكش . وكان خرازا .

وله تأليف عنوانه « ذهب الكسوف ونفي الظلمة » ، في علم الطب والطبائع والحكمة « (87) .

أما القرن التاسع عشر فكان به أطباء ومؤلفون منهم :

20 — **محمد بن إبراهيم النظيفي السوسي الحسني** الذي كان حيا سنة 1849/1266 ، وتوفي في العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر الهجري . وله « مشارق الأنوار في رياض الأزهار » ، وهو شرح وتتميم لمنظومة « الهدية المقبولة » لأحمد بن صالح الدرعي (88) .

21 — **ومحمد بن الهادي غريط** وهو « من أهل المشاركة في العلوم ... ماهر في علم الطب وخواص النبات ... وانتقاه مولاي عبد الرحمان بن هشام لنفسه وحرمه ، وجعله الطبيب الخاص به » . وله رجز في التصوف والمواعظ عنوانه « رياض الأُنس والفكر والقلب » . وكان تلميذا لعبد القادر العلمي صاحب الأزجال . وتوفي عام 1854/1271 بمدينة مراكش (89) .

85 . ابن زيدان « الاتحاد » ج 5 ص 323 و 324 ومحمد العربي الخطابي « فهارس ... » ص 163 و 207

86 . حليلة فرحات : « قائمة المخطوطات ... » ص 242

87 . العباس بن إبراهيم « الأعلام ... » ج 8 ص 317 ، ومحمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 106 ، وحليمة فرحات : « قائمة ... » ص 238 . وقد ترجمه الدكتور لكثير حسبما جاء في كتابه « تاريخ الطب العربي » الجزء الثاني ص 307

ولا تعرف علاقة سيدي بلة هذا مع ابن عزوز المراكشي الرحمانى المترجم في « الأعلام » ج 3 ص 74 والمتزامن مع الشيخ الحضيكي الجزولي صاحب « المناقب » المترجم أيضا في « الأعلام » ج 6 ص 81 والذي كان يرد على ضلالة الرحمانى المذكور .

88 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 150 و « الأعلام » ج 6 ص 330

89 . عبد الرحمان بن زيدان : « الاتحاد » 4 ص 264 و 5 ص 337

22 - وأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج السِّلَمي المرداس الفاسي المولود سنة 1819/1235 ، والمتوفى بفاس سنة 1898/1316 . وكان نموذجا للطب العربي ، وله تأليف قدمه للسلطان الحسن الأول بعنوان « الدرر الطبية ، المهداة للحضرة الحسنية » . كما كان مشاركا في العلوم الأخرى (90) .

23 - ومحمد بن ابراهيم الروداني المتوفى بعد 1878/1295 . ألف « كنز المحتاج في علم الطب والعلاج » (91) .

24 - الحاج محمد بن الحاج محمد الكحاك الفاسي . كان سنة 1831/1248 يتعاطى للطب ، وله شهادة سلمها لأحد مرضاه في تلك السنة (92) .

25 - والعربي بن عبد القادر المشرفي المعسكري الغريسي المتوفى عام 1895/1313 ، عن نحو 90 سنة . لم يكن طبيا ، ولكن له تأليف عنوانه « أقوال المُطاعين ، في الطعن والطواعين » عرض فيه لذكر أنواع الأوبئة التي اجتاحت بعض جهات المغرب ، ولا سيما وباء عام 1854/1271 (93) .

26 - عبد السلام بن محمد العلمي الذي كان طبيا تلقى تعليمه بمصر ، حسبما تقدم الكلام عنه مع المغتربين . وله تأليفان في الطب .

27 - محمد المكي الحكيم المدعو المكاوي أيضا لأنه أتى من مكة ، وتوفي بمراكش في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري . وكان يداوي أهل القصر السلطاني وأعضاء المخزن مثل الوزير الحاج ادريس بن ادريس العمراوي (94) .

90 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 98 وعبد العزيز بنعبد الله : « الطب ... » ص 84 والعباس بن ابراهيم : « الأعلام » ج 2 ص 435

91 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 129

92 . محمد المنوني : « معديات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق عبر سبع سنوات » في « دعوة الحق » نونبر 1975 ص 118

93 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 40 وكذلك العباس ابن ابراهيم . « الأعلام ... » ص 27 .

94 . المصدر الأخير ج 7 ص 46

28 - **الحاج أحمد التونسي** كان بائع كتب ومعالجا بمراكش في أرائل القرن الرابع عشر الهجري (95) .

29 - **عبد الله بن عبد السلام الوزاني** : كان عارفا بالطب ، أخذ عن أخيه الحكيم سيدي ابراهيم . كما كان عارفا بخصائص النباتات وأعيانها وتركيب المعاجين واستخراج الزيوت من المعادن والحيوانات . وهو آخر معلم في دهن الآجر بالمغرب .

وتوفي عام 1901/1318 بدكالة وبها دفن . ومن تلامذته طبيبان هما العربي بنيس الفاسي ومحمد بن الهاشمي الادريسي (96) .

30 - **علال بن عبد الله الفاسي** : المتوفى سنة 1896/1314 . كان طبيباً ماهراً ، وله في ذلك تأليف منها : « تجريد المفردات الطبية » (97) .

هؤلاء هم بعض الأطباء والمؤلفين الذين خلفوا تصانيف مختلفة في هذا الميدان . ومما لا جدال فيه أنه كان ثمة آخرون من عشابين وعطارين ومعالجين وصفوا لغيرهم مقادير من النباتات والمعادن والأحجار ورقات العشرات والحيوانات ، يتخذونها للعلاج ، سواء صحت جسمانيا أو نفسانيا أو لم تصح علميا .

فكيف كانت طرق التطبيب ؟ وما هي الأدوية التي كانت منتشرة ؟

ب - أساليب العلاج

الأمراض الشائعة في القرن التاسع عشر تحدثت عنها الطببة الانجليزية فرانسيس ماك ناب F. Mac Nab في كتاب رحلتها الى المغرب سنة 1901 ، فذكرت أنها ورم العيون ومختلف انواع الرمد ، ومرض الجذام ، والأمراض السرية التناسلية التي جلبها منذ قرنين الوافدون على المغرب من اليهود

95 . نفس المصدر ج 7 ص 149

96 . نفس المصدر ج 8 ص 343 و 344

97 . محمد الفاسي : « تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى » في « دعوة

الحق » عدد يوليو 1960 ص 40

والنساء الساقطات من الاسبانيات بطنجة ، وكذلك داء الفيل (98) المدعو عندنا « سَلَّاط » والمتميز بورم الأعضاء .

أما الأوبئة فمعروفة سلف الكلام عنها . إلا أن الجائز أن امراض العيون كانت اكثر انتشاراً بالبوادي منها بالحواضر على ما هو مرجح . ولربما كانت ثمة امراض أخرى لم تشر إليها الطيبة التي كانت تستقي الأخبار من الأجانب بطنجة وغيرها .

أنواع العلاج المستعملة في العهد العلوي أتى ذكرها في بعض الكتب على سبيل الرواية والاقتضاب (99) أو على طريق الاسهباب في المصنفات المشار إليها أعلاه .

وفيما يرجع للأدوية ، يجب أن نقول انه كانت هناك مصطلحات لأسماء الأدوية وردت في مختلف الكتب مثل الأشربة والمعجونات والجوارشات والذبيدات والأدهان والسفوفات والمراهم والأكحال والمرببات والمنعشات واللطوخات والبخور . ثم إن الدواء كان أنواعا شتى .

قام تشخيص المرض على جس النبض ودرجة الحرارة وإدراك بعض العوارض والعلامات من خلال التنفس وسحنة الوجه وحالة العين مثلا .

الصوم والحمية كانا مما ينصح به الأطباء البعض من مرضاهم . وقد اعتمد الطب الوقائي على عملية التعشاب . كانت « العشبة » نوعين : الكبيرة والصغيرة . الأولى كانت لأمراض خطيرة مثل « النَوَّار » أو الزهري ، وكانت العملية تدوم أسبوعا أو أسبوعين يمكث المريض أثناءها في البيت ويلتزم بحمية معينة (الامتناع من أكل لحم البقر والتوابل القارصة مثل الفلفل) . وعلى أهله ألا يعرضوه لما يثير القلق والغضب . والأخرى كانت لأمراض مثل وجع المفاصل .

98 . عبد المجيد بنجلون : « جولات ... 1901 » ص 48 و 49

99 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب ... » ص 68

التحليل ولا سيما للبول كان معروفا منذ قديم .

الاستشفاء بالمياه المعدنية شربا أو استحماما كان القصد به التبرك أكثر من العلاج بالخواص الطبية الكامنة فيها .

ومن علماء النباتات الأوربيين من جاؤا الى المغرب في القرن التاسع عشر للبحث عن خواص الأعشاب والنباتات المغربية ، مثل هوكر وماو وبول الانجليزيين وبلانسا الفرنسي ، وذلك لترتيبها ودراسة فاعليتها العلمية .

والمعروف أن الخل كان مادة معقمة ، وأن الثلج والماء البارد كانا لوقف الحمى والرعاف والنزيف . وكان للكوليرا ترياق خاص لم تورد المصنفات صيغته الكيماوية .

الملح والقطران كان لهما خواص غيبية لطرد الشيطان والجان في الأعراف الشعبية ، مثلهما في ذلك تراب الأضرحة والرقى والجداول التي كان يكتبها الفقهاء أو ذرية بعض الصالحين للعلاج النفساني خاصة . أما الوقاية من العين السوداء أو عين الحسود فكانت بهاته التعاويذ أو بصورة الكف وأصابع اليد أو بحذوة الجواد أو بالبخور .

العامّة كانوا يعتقدون أن الجنون « واللقوة » (التي هي شلل جزئي) من عمل الشيطان أو لطمة من المخلوقات الغيبية أو بسبب « توكال » أي تسميم حقود .

الخواص والعوام معا كانوا يبحثون عن أدوية لتقوية البّاه أي تنشيط الغدد التناسلية . وقد أفردت لذلك مصنفات ، وقدم العشابون المتجولون أدوية في شأنها .

أما العلاج الطبي والجراحي فكانا موجودين بشكل مبسط . فالجراحة كان بعضها بالتبنيج ، وبعضها كان يحتاج الى حذق كقلع الأضراس و إعدام الأطفال . أما البتر فكان عملية خطيرة تؤدي الى متاعب لوقف النزيف المتولد عنها وتستلزم مهارة وكفاءة ودواء .

وعلى كل حال ، كانت ثمة ممارسات ومعالجات مثل القِبالَة للنساء ، والكِحالَة كانت لأمراض العين ، وكانت الفِصادَة بالقارورة لعلاج الضغط الدموي . وكان ذلك للمفاصل . والدَّوادة كانت لأخراج الدود من الأذن . والتبخير كان للتطهير . وكان التسخين لأخراج الرطوبة بالقدرة ، وكانت العَوادة لازالة التسمم . وجبر الكسور والعظام كان بالمَلْزَم والجبيرة واللصقة التي كانت أيضا للقرح والدمل . والحدُ بالقطران وغيره كان لبعض الأمراض الجلدية .

أما الكي فكان لعلاج بوصفَّير وبوزَلْثوم . وقديما كان بالمِحْثور . وقد أوردت المصادر بيتا من الشعر قاله محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج الصنهاجي المكناسي الذي كان فقيها ومحدثا وأديبا ونابغة في الطب قبل القرن الخامس عشر الميلادي . وقد عرَّض فيه بطبيب يدعى ابن سالم كان قد كوى صديقا له من آل أبي العافية بواسطة المحور فمات . قال راثيا صديقه وهاجيا الطبيب :

ولقد كوى قلبي فِراقُك كيةً كادت تكون كما كواك المِحْثور (100)

وكما شهَّد بالغبَاوة لأطباء اعترف بالمهارة لآخرين ، كعبد الوهاب الدراق . فقد حاول شخصان الاستهزاء به ، وحمل أحدهما له بول كبش سمين ، وحمل الآخر قطرات من ماء سقف متداع ، وقدما له ذلك على أنهما بولان ، وجعلاهما في قاروة .

فلما فحص الأبول ترك قاروتيهما على انفراد ، ثم قال لصاحب الكبش : هذا غلب عليه الشحم إن لم تذبحه مات عن قرب . وقال لصاحب ماء السقف : هذا محتاج الى حريرة وإلا سقط . وأراد أن يذهب بهما الى الحاكم ، ولكنه عفا عنهما (101) .

* * *

100 . عبد الرحمان بن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 598

101 . المصدر السابق ج 5 ص 400

الباب الثاني

المعطيات والمبادلات

الاقتصادية

مؤشراتها وضوابطها وأدواتها وأحجامها

بعد أن ألمنا في الباب الأول بربوع المغرب وحدوده وسكانه بالداخل والخارج واطلعنا على النكبات التي حاقت بهم ، بودي أن أدخل الى باب ثان هو المعاملات والمعطيات الاقتصادية . ولن يُنتظر مني إطناب ، بل انتخاب ، فالعصر طويل ، والتعامل متنوع ، والزبناء مختلفون ، والمصادر غميسة ، ولا سيما المغربية منها .

ومن أجل هذا سأسعى لوضع اليد على شيء من الافادات وطائفة من الأرقام وثلة من الأسماء . وقد رتبت الكلام في ذلك على سبعة فصول هي :

1 . المواصلات والتجهيز

2 . المفاهيم القياسية في الوزن والاكتيال والمعايرذ

3 . التطورات النقدية والمالية والجمركية

4 . النظام الحرفي

5 . الصناعة والمعادن

6 . التجارة المغربية

7 . الفلاحة وتملك العقار

وسأنتقل بعد قليل الى الحديث عن حالة المواصلات والتجهيز .

1 : المواصلات والتجهيز

في هذا الفصل أتطرق الى ما كانت عليه المواصلات وما قدمه المخزن من تجهيزات لتسهيلها أو عرقلتها ، إزاء التسرب الأجنبي التجاري منه والسياسي .

وسأتحدث عن المواصلات البرية والمسافية كالتلغراف والبريد وتجهيز الموانئ والطرق البرية التجارية ، وأختم بالكلام عن المراحل والمحطات ، بحسب أهم المنطلقات من مدينة معينة الى مدن أخرى . واعترف - كما فعلت في مناسبات شتى - بأن تناوله على الوجه الشافي الكافي صعب المنال . وذلك لا يمنع من الالمام - ولو على وجه الاستثناس - ببعض الجوانب المرتبطة بالصميم من المادة .

I . المواصلات البحرية

كان الشروع في فتح قناة السويس سنة 1859 قد تم على يد المهندس الفرنسي الفيكونت فيردنان ديه ليسيبس : F. de Lesseps

ولما دشنت سنة 1869 صارت إنجلترا سنة 1875 أهم مساهم في شركة القنال ، وكان من نتائج ذلك اختزال في طريق البواخر التجارية بين البلدان الآسيوية وأروبا بنسبة كادت تقارب النصف . وهكذا اختصرت المسافة بين مدينة بومباي الهندية ومدينة لندن البريطانية بنسبة 44 ٪

وعلى هذا كان في فتحها ازدهار للملاحة البخارية وللنشاط التجاري البحري ، فغيّر ذلك من معطيات الاقتصاد العالمي ، إذ أخذت الحبوب الأمريكية وصوف أستراليا والأرجنتين وجلود الهند تتراكم في الأسواق الأوروبية بمقادير كبيرة وبأثمان منخفضة زاحمت المغرب الذي لم يعد المصدر الوحيد للحبوب والصوف (I) .

وقبل تدشين هذا الخط ، كانت السفن تتعرض للغرق أحياناً في المحيط الأطلانطيقي ، وللتلف أحياناً أخرى . ولهذا اقترحت عدة دول على المغرب إنشاء منارة لانقاذ المراكب الضالة . طلبت فرنسا ذلك سنة 1852 . ثم تجددت المحاولة على يد جون هي ، وأخيراً نصت المعاهدة المغربية الأسبانية المبرمة في 20 نونبر 1861 في فصلها الثالث والأربعين ، على بناء منار أشقّار (2) .

وهو الشيء الذي وافق عليه السلطان ، فوقعت معاهدة تشييد منارة أشقّار أو رأس سيارطيل بشواطئ طنجة في 31 مايو 1865 .

وكان الذي وقع هاته الاتفاقية المتألّفة من 7 فصول : باسم المغرب محمد برغاش ، وباسم فرنسا أُوغوست لوي فيكتور إيمي داكّان ، وباسم إنجلترا والمملكة النمساوية الهنغارية وهولاندا جون هي ، وباسم بلجيكا إيرنيست دالوان ، وباسم اسبانيا فرانسيسكو ميري اي كلوم ، وباسم الولايات المتحدة جيس ماك ماث ، وباسم إيطاليا الكسندر فيردينوا ، وباسم البرتغال جوزي دانييل كولا صو ، وباسم السويد والنرويج سليم ديهرا نهوف . وفي سنة 1878 انضمت الى هاته الدول ألمانيا ثم روسيا سنة 1899 .

ينص الفصل الأول على إنشاء المنارة على نفقة الحكومة المغربية ، لكن ادارتها أسندت الى الدول المتعاقدة ، دون أن يكون في ذلك مساس بحقوق المغرب .

1 . « تاريخ المغرب » ص 292

2 . « الوثائق » ج 4 ص 170 ، وروجرز : « تاريخ ... » ص 231

وفي الفصل الثاني تتحمل الدول الأجنبية نفقات التسيير والصيانة .

وفي الفصل الثالث جعلت حراسة المنارة على كاهل المغرب .

الفصل الرابع يتعلق بحياد المنارة عند نشوب الحروب .

الفصل الخامس ينص على توقيع الاتفاقية لمدة عشر سنوات تجدد تلقائيا كل سنة .

أما الفصلان الأخيران فيشيران الى إجراءات المصادقة (3) .

وكان الذي أشرف على بنائها مهندس القناطر والطرق البلجيكي أو الفرنسي ليون جاكوي L. Jacquet ، وفي بداية 1865 دشنت المنارة (4) . وعن هاته المنارة وتسييرها قال أكنسوس :

« ومن ذلك أيضا برج الفنار الذي بناه مولانا على ساحل البحر ، في المسافة البعيدة ، وذكروا أنه يوقد فيه من الزيت كل ليلة شيء كثير . قيل انه كان في الزمن القديم ، وأحياء مولانا نصره الله وأنفق عليه آلاف مؤلفة من الريال » (5) ، فات المؤلف أن يذكر مبلغها بكامل الدقة .

وهكذا أقيمت شبكة من الأساطيل البحرية وبني الفنار المذكور لخدمة الاقتصاد المغربي والأجنبي تصديرا واستيرادا . أما في المغرب فبعد إلغائه — طوعا أو كرها — لجهاز القرصنة وأساليبها في بداية القرن التاسع عشر ، أخذ أسطوله البحري يتقلص شيئا فشيئا ، ولم يعد يحمل البضائع الى الخارج ولا ينقلها الى الداخل وسقا وجلبا ، ولم يصبح لرياس البحر ذلك النفوذ السابق ولا سيما بعد النصف الثاني من نفس القرن ، وأصيب

3 . محمد التهامي الوكيللي : « صفحات من تاريخ العلاقات المغربية الأمريكية 1776 — 1956 » ص 450 ، وكذلك المصدر السابق .

4 . جان لوي ميج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 116 (8) ، وهنري ده لامارتيينير : « ذكريات عن المغرب » ص 22

5 . محمد أكنسوس : « الجيش العرمرم ... » ج 2 ص 81

الاقتصاد المغربي بشلل في الصميم لأسباب مختلفة لا مجال لبسطها هنا خشية التكرار .

2 . تجهيز الموانئ

وقد بنيت أرصفة في بعض الموانئ الكبرى كطنجة — حسبما سنرى في مكان آخر — لاستقبال السفن والمراكب الكبيرة والصغيرة الناقلة للبضائع والمسافرين ، غير أن وجود صخور ناتئة وامتلاء الضفاف بالرمال كانا عائقين ، وذلك لـِوُشُول ماء البحر وضعف حجمه لبلوغ الشاطئ أو الرصيف في أمان ، ولم يكن مناص في حمل البضائع وتعدية المسافرين الى البر من اللجوء الى ظهور العمال عند عدم وجود فلوكات أو مُعَدَّيات حتى تصل الى المرسى المقصود وخصوصا بالرباط حيث لم يكن تجهيز كامل لتلطيف حدة الأمواج وتفادي « تحريث » السفن واجتناب لحوق الأضرار بها .

أما عن الرافعات فلم يؤثر عن المخزن أنه حبذ استعمال الميكانيك . ومن حيث الأهرام كان الأئمة يشرفون على بنائها لادخار البضائع في السوق والجلب ، وكان التجار يهرعون الى اكتراثها منهم مستعينين في ذلك بتوسط القناصل وتدخل السلطات .

3 . الطريق البرية

الطرق التجارية المغربية الافريقية التي كانت تذرعها القوافل ذهابا وإيابا ، كانت تتشعب الى محاور من الشمال الى الجنوب ، حاملة في الاتجاهين بضائع السودان وتجارة المغرب . كانت القوافل القاصدة الى السودان أو الراجعة منه تبلغ 5000 جمل حسب الدكتور لانس الذي زار تمبوكتو في أواخر القرن التاسع عشر .

ومن القرن العاشر الميلادي الى القرن الرابع عشر منه أي من عهد الإدارة حتى نهاية المرينيين ، كان المغرب ممرا لهاته القوافل حسب المخطوط الثمانية الآتي ذكرها :

- 1 . خط طنجة - فاس - تازة - مليلية
- 2 . خط زرهون - الرباط
- 3 . خط فاس - زرهون - مراكش - تارودانت
- 4 . خط فاس - قلعة مهدي - سجلماسة
- 5 . خط سجلماسة - فجيج
- 6 . خط سجلماسة - أدرار - حتى تمبوكتو
- 7 . خط سجلماسة - تلمسان حتى الجزائر
- 8 . خط سجلماسة - تاوديني حتى تمبوكتو (6)

ولذا كانت سجلماسة مفتاح الجزائر وافريقيا حسب الخطوط الأربعة الأخيرة . أما الخطوط الأولى فكانت داخلية ، ولكنها كانت تتصل بمحور سجلماسة التي كانت قبل انقراضها محطة للنخاسة وتجارة الذهب والفضة والعاج والابنوس والجلود .

وقد توسع السعديون لفترة ما في الجنوب حتى نهر النيجر ، وكان للعلويين اهتمام مغاير ، ولكن كانت لهم اتصالات مع الجنوب ، خافتة تارة أو قوية تارة أخرى عبر العصور .

اضمحلال مدينة سجلماسة الصحراوية الفيلالية كان عاملا من عوامل تقلص التجارة ، ولكن فاس وأقا - وبالأخص مراكش - خلفتها في تجارة الجنوب ، ولما أنشئ مرسى الصويرة في القرن الثامن عشر أصبح هو المنفذ الجنوبي لهاته المبادلات بين افريقيا والخارج مرورا بالمغرب . وقد أنزل استيلاء الفرنسيين والاسبانيين على الجنوب ضربة قاضية بتجارة سوس ومراكش والصويرة في تصدير الرقيق وريش النعام والمعادن .

8 . المنجد في اللغة والاعلام ، الخريطة الثانية الطبعة 21 سنة 1976 بيروت

كانت قوافل الجمال ترحل سالكة المَهَامِهِ والبيد ، تصاب تارة بالعطش ، وتتعرض تارة أخرى للنهب ولعواصف الرمال ، وكانت بطيئة في الحل والترحال ، بَطْءَ الحمَّارة والبَغَّالة ، كما كانت غالية الثمن بحيث أضحي الانتقال من طنجة الى الرباط بحراً آمناً على النفس والبضاعة منه براً . أضف الى ذلك أن ثمن الحمل من الصويرة الى مراكش كان ضعفه الى مرسيليا في أواخر القرن التاسع عشر .

وإذا نظرنا الى المغرب وحده في هذا القرن وجدنا أن « الطرق بمعناها الأروبي كانت منعدمة ، ولو أن الرحالة الأروبيين ذكروا أنها كانت تعبد في بعض الجهات عند قدوم السلطان الحسن الأول إليها . فهي اذن لم تكن مخططة تخطيطاً هندسياً صحيحاً ، وكانت تختلف بين السبيل والمِهْيَع . وكانت هناك طريق السلطان وطريق الحمَّارة » (7)

أما وسائل الربط بين المدن الداخلية بعضها بعضها فكانت أقوى وأمتن من وسائل الارتباط بينها وبين المدن الشاطئية . وكان التجار والجنود والموظفون يُؤَثِّرون سلوك طريق البحر على سلوك سبيل البر ، وذلك ما كان يفعله بركاش مثلاً عند الرحيل الى الرباط ، أو مغادرته الى طنجة مقر عمله . ولما أهدت الحكومة البريطانية للحسن الأول الفيل ستوك كان تسفيره من طنجة الى فاس عبر الرباط من أصعب الأسفار ، لأن الجسور التي كانت موجودة بالداخل كانت منعدمة بضواحي المدن الساحلية (8) .

والحاصل كما تقدم أن العناية بتجهيز البلاد بطرق جديدة وقناطر متينة لأخراج المغرب من عزله لم تكن قط في مقدمة الأمور ولا من آكدها لدى المخزن ، لأن الحمل كان على البغال والجمال ، وذلك شأن النقالين فلهم أن يفعلوا ما يشاءون أو ما لا يشاءون بطرق البغال . ولم يكن يخطر بالبال أن الطريق ذات منافع اقتصادية وسترراتيجية . ولكن — حتى ولو أرادوا — أين

7 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 42

8 . المصدر السابق

هم المهندسون وأين هي الأموال ؟ على أن الطرق والقناطر القليلة التي شيدت في الماضي انما كانت تعبّد لزيارة السلطان أو تحدث بأمره على يد الأسارى من النصارى أو بعض الأوروبيين المسلمين كعبد الرحمان العليج الذي تمتع لدى السلطات المخزنية بحظوة كبيرة حتى توفي سنة 1879 .

أما العجلة فكانت لا تعرف الا لجر المدافع السلطانية أثناء الحركات العسكرية ، وكان الأوروبيون يستخدمون بعض الكراريس والأكداش بطنجة في آخر القرن - كما سيرد خبر ذلك في الوثائق المغربية - إما للنزهة ، وإما لحمل البضائع . ولأمان القوافل التجارية أحدثت النزالات بجوار الطرق بضمانة الجند والسكان مقابل تأدية أتاوة معلومة . وكانت القوافل مجهزة بزطّاطين أي حراس ، إما للحماية من نهب الناهبين أو للارشاد في الطريق .

ولم تمد سكك حديدية بالرغم من العروض الأجنبية ، لأن المخزن كان يرى في تشييدها أداة للتغلغل الأجنبي ، مع العلم أن الفرنسيين بدأوا يمدونها في شرق المغرب في أواخر القرن ، بعد أن كانوا ألحوا على السلطان سنة 1880 في نصب خطوطها ثم عدلوا عن ذلك أمام رفضه .

4 . المواصلات

4 . I . التلغراف

أولى الدول إنشاء للتلغراف كانت هي انجلترا التي ربطت الاتصال بين طنجة ومستعمرة جبل طارق ، وتلتها في ذلك اسبانيا التي وصلت بين سبتة والجزيرة الخضراء . وكان ذلك بعد تردد السلطان ثم موافقته في النهاية . وسيرد في مواطن أخرى ما كتبه الوثائق المخزنية عن موضوع التلغراف أو السلك .

التلغراف كان إذن وسيلة لربط التجار والهيئة الدبلوماسية بالخارج ، لم يستفد منه المخزن شيئاً على ما يظهر . والعمل كان بلا ريب لا يزال جارياً بالحمام الزاجل . إذ لعل المقصود من عبارة « فطير لنا الأخبار بذلك » الواردة

في بعض رسائل التراث هو إرسالها بواسطة الحمام الذي لم يرد في المصادر المخزنية ذكر لأوكاره وأبراجه وتماريده . وقد يكون التطبيق بواسطة التلغراف فعلا ، لكن يستبعد جدا أن يكون المخزن قد نصب أعمدته وأسلاكه (باستثناء احتمال وجوده قبل 1866 لتعليق رؤوس قاطعي أسلاكه على أخشابه حسبما سيأتي في مكان آخر) إلا اذا كان المراد بذلك الاستعانة بالبرقيات الأجنبية في مطلع القرن العشرين أو بالرقاصة المسرعين المخبئين .

4 . 2 : البريد

قال السلطان لبركاش سنة 1879 : « بلغنا أن بعض التجار أحدثوا البوسطة في بعض مدن الكوشطة . . . وغير خاف أن هذا ، إن صح ، لم يتقدم مثله في هذه الايالة ، واختراع لم تتضمنه شروط ولا قوانين ، وأن جعله بغير إذن افتيات كبير وتجرو عظيم . . . »

« وعليه فنأمر أن تبحث في ذلك . . . ولا تتركه أصلا » (9) . ولم تمر على ذلك الا سنوات قليلة حتى أنشأ السلطان سنة 1892 بريدا بين مراكش والجديدة بقصد التجربة . وبعد ذلك عمم استعماله في الغرب وفي الحوز ، وعين له بفاس أمينا دعي أمين الشكارة أو البوسطة . وكان الى نظره رجال سموا الرقاصة الذين كانوا يربطون الاتصال بين المدينة والثغور مرتين في الأسبوع (10) مثلما كان للبريد الأجنبي سعاته . ولبسطة البريد ، اتخذته المخزن بعد ذلك وسيلة لمهامه السياسية والادارية وجعل له ثمانية خطوط .

الأجانب اعتمدوه في أغراضهم السياسية والتجارية . وكانت اولى الدول إنشاء له هي انجلترا (ابريل 1857) وفرنسا (1858) واسبانيا (1861) ، وبعد ذلك أسس مكتب بريدي مستقل عن القنصليات ، وفي أواخر القرن أحدث

9 . « الوثائق » : 4 ص 459

10 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 45

بالدار البيضاء بريد ألماني وآخر إسباني ، وكان ليكل دمجته وطابعه ورقاصوه (II) الذين أصبحوا أحد أصناف المحميين .

وتجدر الإشارة الى أن الرقاصين كانوا يحملون الطرود والأموال والمكاتيب من بلد الى بلد ، أما داخل المدينة فلم يكن ثمة شبكة توزيع أو سعاة بريديون ، وإنما كانت المخاطبات تظل بالمكتب حتى يقدم اليها صاحبها ، فإذا أبطأ عنها كلف المسؤول من يبحثون عنه ليأتي لحيازتها (I2) .

وكانت طريقة المراسلة في العهد السعودي أنها كانت توجه ضمن جعاب من النحاس يدور بها اللّحام من الجهتين لكيلا يفتحها الا صاحبها ، وكانت بعض المكاتيب تحرر بطريق الشفرة ، ولعل هاته الكيفية في التراسل استمرت بعد ذلك على هذا المنهاج أو على ما يشبهه (I3) .

4 . 3 : المسافات

ومع ذلك كان سير الرقاصين بطيئا اما لوعورة الطريق واما لدموء الأحوال ، ولا سيما الطقس ، غير أن السعاة إذا كوفثوا مكافأة جيدة كانوا يخبون سيرهم ويقطعون المراحل في أقصر الأوقات ، ويحفظ لنا التاريخ أمثلة من أقصاب السبق . من ذلك أن ماك لين بعث رقاصا من الرباط الى فاس سنة 1894 لحمل نعي السلطان فوصل في أقصر مدة حسبما سيرد خبر ذلك مع هذا الضابط ، وهناك مثال آخر وهو أن رسولا وصل من اس الى طنجة خلال سفارة إيوان سميث في ظرف يومين ونصف بدل 6 أيام .

11 . هنري كروز : «ذكريات ١٩٠٠» ص 44 ومييج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 304

12 . روجي له طورنو : « الحياة ... » ص 133

13 . عن تنظيم البريد المغربي ينظر مقال محمد المنوني : « مظاهر ... » في مجلة تطوان « ع 2 ص 72 (سنة 1957) ، وعبد الله العروي : « الأصول ... » ص 44 ، ومحمد بنسعيد : « نظرات حول تاريخ البريد بالمغرب » في مجلة « الباحث » المغربية انسجك الثالث السنة الثالثة (1974) ص 113 وما بعدها .

وهناك مثال ثالث : حدث في العهد السعودي أن القائد جوذر حمّل رقاصا رسالة منه الى مراكش وألزمه برد الجواب الى السودان في ظرف أربعين يوما ، مع أن المسافة كانت تقتضي أكثر من ثلاثة أشهر ذهابا وإيابا (14) ، ففعل . وكان لعامل السرعة دور كبير على الأحداث السياسية والعسكرية .

كان الرسل يقطعون في المعدل 6 كلم في الساعة أو ما بين 50 و 60 كلم في اليوم ، فكيف كانت المسافات بين بعض المدن بعضها مع بعض ؟ لم أقف في هذا الباب الا على ما ذكره عبد الله العروي نقلا عن كتب الرحالة الأجانب ، فقد أتى بأهم المسافات من خلال ثلاثة منطلقات هي فاس ومراكش والصويرة ، وحسبها بالأيام (ي) :

منطلق فاس :

يوم 1 (ي) منه الى مكناس

2 ي « تازة »

3 و 5 ي « العرائش والرباط ووزان »

6 ي « طنجة وتطوان »

12 ي « فجيج »

منطلق مراكش :

4 ي منه الى : بني ملال وأبي الجعد وأزمور والجديدة

8 ي « الصويرة »

10 ي « تزناخت وتيكرت »

14 . محمد الغربي : « الحكم ... » ص 352 (نقلا عن « تاريخ السودان » لعبد الرحمان السعودي ص 42) .

منطلق الصورة :

45 منه' الى أكادير

7 ي » « تارودانت

14 ي » « تزيت (I5) ولا شك أن بعض هاته المنطلقات كان مربوطاً ببعضها الآخر .

* * *

لا بد إذن من قطع هاته المسافات لبلوغ المدن المغربية وللإطلاع على المقاييس في الأوزان والمكاييل ثم في العملة والجبايات وضوابط التشريع الجمركي .

2 : المفاهيم القياسية

كانت المعايير والموازين والمكاييل في القرن التاسع عشر معطيات حضارة المغرب ومقاييس بيئته ، وهي تختلف كثيرا أو قليلا عما كان متداولا في ذلك العصر في الشرق والغرب ، وكان لا بد من الركون اليها لضبط المعاملة ، وكذلك لثلا يقع المجتمع الاسلامي في محظور التطفيف في الكيل والمعايرة ، وحتى لا يلزم أعضاءه عقاب المحتسب أو القاضي ، وقد دفعت الظروف الدولية المغرب دفعا الى الأخذ ببعضها في علاقته مع الخارج ، سواء في تجارة المواد الفلاحية والبضائع اليدوية المصنعة أو في ارتباطه مع التجار الوطنيين أو بقية الزبناء والمستهلكين والوسطاء .

وعلى هذا إذن كانت هناك وحدات هندسية لقياس الطول والعرض والمساحة ، وأخرى كثافية لضبط الوزن والسعة ، زيادة على أصناف متباينة كالعيارات الميكانيكية (السرعة والعمل والقوة) ، أما الأقسام الباقية فتناثرت إما للعملة بصحة أعدادها وكسورها وأشكالها ونسبها الى بعضها بعضا زينة أو حسابا حتى يكون البيع والتأجير جائزين ، وأما وحدات للزمان الطويل والوقت القصير لبداية العمل ونهايته ، أو معرفة أوقات دخول الصلاة وأداء الشعائر الدينية .

وسأحاول الاقتراب من الحقيقة في المفاهيم – ولو أنها صعبة – سواء منها التي اصطلح عليها دوليا ، أو التي اتفق عليها جزافا ومحليا فقط ، في القرن الماضي أو بداية القرن الحالي دون تمييز .

I . الوحدات المُقنَّنة

الظاهرة البارزة فيها أنها ليست موحدة ولا تامة الضبط ، وأنها مختلفة من ناحية لأخرى ، حتى ولو كانت متقاربة فيما بينها كمدينتي فاس ومكناس ، وهي ترجع في أصلها الى أربع مجموعات : السعة والحجم والوزن ، فالمساحات والأبعاد ، ثم العيار الدقيق وأخيرا حساب الوقت .

I . I : الوزن والسعة والحجم

المُد : 20 لترا أو 20 كيلو بفاس أو 50 لترا أو كيلو بتازة ، وكان مد مكناس يساوي 16 لترا ، وفي جهة أخرى كان يعادل 24 لترا . أما في البلاد المشرقية فكان يماثل 18 لترا إفرنجيا على وجه التقريب .

وكان مد زيد ابن ثابت يساوي في عهد الرسول ثلاثة أرباع اللتر الحالي .

الرَّبْعَة : 8ر33 لترات ، وكانت 3 ربعات تساوي في المواد الصلبة صاعا واحدا (دمنات) .

الصاع : 4 أمداد = نصف عبرة = 80 كيلو (فاس) . وفي المواد الصلبة كان يعادل ديكاليتين ونصفا (25 لترا) أو 3 ربعات ، أما ببلدان المشرق فان الصاع المُلجَم (أي المَسطَح) كان يساوي صاعين ونصفا أي 10 أمداد .

الفَنِيكَة (أو الفَنِيقة) fanega : مثل صاع فاس (80 كيلو) ، لكنها كانت في الجنوب لا تساوي إلا 50ر975 لترا أي مدين ونصفا ، وكانت كذلك تعادل في جهات أخرى 55ر50 لترا تارة ، أو 54 كيلو أي القنطار تارة أخرى .

العَبْرَة : 8 أمداد = صاعان = 160 لترا أو كيلو بفاس . أما بالجنوب فهي إما 100 كيلو ، وإما 107ر33 كيلو . وللمواد الصلبة ، كانت العبرة تماثل صاعا وثلاثا .

الخَرْوُوبَةُ : قريبة من عبدة الجنوب . وهناك من يجعلها 104 كيلو .
وثمة أيضا من يساويها بثمانية أمداد فاس أي 160 كيلو ، وهي للمواد الصلبة
تعادل 8 أصواع بدمنات ، وكانت الخروبة في عهد الحسن الأول تماثل 6ر5
أمداد مكناس أي 8 أمداد فاس ، والخروبة كانت كذلك لحساب الزمن .

الصَّحْفَةُ : 60 مدا = 1200 كيلو بحساب فاس

الوَاسِق : 60 صاعا = 240 مدا (فاس) = 1800 كيلو

القنطار : 100 رطل أي 54 كيلو وهو قريب من فنيكة الجنوب

الْقَرْدِيَّةُ أَوْ الْقَرْدَةُ : 5 لترات أو 5 كيلو ، للسوائل والجوامد معا

الكَيْل : لتران ، وكان يسع 3 لترات ، ولكنه ترك ولم يبق فيه
الا لتر واحد بمكناس

العدل : 10 أمداد شعير ، وهو حمل البغلة

الرطل : جزء من مائة من القنطار ، ولكنه أثقل من الرطل الإنجليزي
الذي لا يزن الا 453 غراما ، وهو في بلدان المشرق يماثل 12 أوقية ، وبالمغرب
كان يساوي 16 أوقية كبيرة أو 32 أوقية صغيرة ، بحسب الغرض منه .

والرطل أرتال متنوعة ، بالنظر لنوع المادة المكتالة ، ويتراوح بين
500 و 1250 غراما :

— 500 غ في الشمال وهو الرطل العطاري

— 540 غ في الجنوب

— 625 - 650 غ للصوف المغزولة واللحم والخضر ويسمى

الخضاري ، الذي قد يبلغ 1025 غراما بمكناس و 1000 غ في غير هاته المدينة

- 800 غ وهو رطل القاعة

- 820 غ للصوف الملفوفة وهو أيضا الرطل القشاشي بمكناس

- 1000 غ وهو الرطل الدرازي أي للنساجين

- 1250 غ وهو رطل آخر

القلّة : وهي للسوائل ، وتمائل 16ر4 كلغ بمكناس ، أو 20 رطلا قشاشيا تارة أو 18 لترا تارة أخرى ، أما بطنجة فتساوي 13ر5 كلغ ، وربما كانت تعادل 10ر55 لترات بل كانت بدمنات (اينولتان) تساوي 32 لترا .

وقلة القطران نصف القلة السابقة

القضيب : 5 قلل

الثمن : لتر واحد بدمنات

والقلة والثن معا للسوائل ونصف السوائل كالسمن .

I . 2 : الأبعاد والمساحات

الخدّام : آر واحد أو 100 متر مربع

حرت الأزواج : الأزواج صغيرة ومتوسطة وكبيرة لما يسع بذر مساحة معينة من الهكتارات بأنواع من الحبوب أو القطاني .

وسنحدد مساحتها بالهكتارات (هـ) :

زوجة الحمير وهي الصغيرة (2ر5 هـ) : ما يسع حرت 15 مدا من القمح أو 24 مدا من الشعير أو 45 مدا من الفول .

زوجة الثيران وهي المتوسطة (5 هـ) وضعف الصغيرة : 30 مدا من القمح أو 48 مدا من الشعير أو 90 مدا من الفول .

زوجة البغال أو الجمال وهي الكبيرة (10 هـ) : 50 مدا من القمح أو 80 مدا من الشعير أو 150 مدا من الفول .

على أن حرث الزوجة كان في بداية القرن العشرين يتراوح بين 8 و 10 و 11 و 12 هكتارا بحسب موقع الأرض ، علوا أو انحدارا أو انحرافا أو انبساطا .

الفَرَض : نصف وحدات الأزواج السابقة .

الفرسخ : للأطوال ، وقد يتخذ كذلك للزمان ، وهو يماثل بالمشرق 3 أميال هاشمية = 12 ألف ذراع = 8 كيلومترات تقريبا .

الميل الهاشمي : 1000 باع = 4000 ذراع أو منتهى حد البصر .

الفر أو فم الكلب : ما بين السبابة والابهام = 18 سنتمترا

الشبر : 27,5 سنتمترا

القامة : 1,65 م

القدم : 32 سنتمترا وهو ما بين إبهام الرجل وطرف العقب

الذراع : تارة 55 سنتمترا وأخرى 57 س وثالثة 45 س ، وقد بطل العمل به في آخر القرن ، أما في المشرق فيتراوح بين 50 و 70 س .

القالة : وهي تماثل إجمالا ذراعا واصبعا ، أما قياسها الدقيق فكانت للنسيج تتراوح بين 51 سنتمترا (قالة الطراز) وبين 55 سنتمترا (قالة الملف والبز والحرير بمكناس) ، وكانت لها كسور كالنصف والثلث والربع .

العار الدقيق : 3 . 1

المثقال : 4 غرامات ، وهو أيضا للعملة لأنها كانت توزن .

الأوقية : نصف ثُمْن الرطل = 1 من 16 منه = 28,349 غ حسب الأحوال . ولما اتخذ الكيلو مقياسا بعد ذلك ، أحدثت الأوقية الكبيرة التي

كانت ضعف الصغيرة . وكانت الأوقية تقسم الى اثمان . وهذا المعيار كان للعملة أيضاً كما سيأتي .

القيراط : هو إما I من 24 أو 2 من 20 حسب الحاجة منه ، والأوقية والقيراط كانا للوزن الصغير من البضائع النفيسة كالجواهر والذهب والفضة والعود القُماري والمصطكى والمسك والزعفران والطيب والعطور .

النّواية : 1r82 غ للجواهر أو 2r22 غ للمعادن الثمينة

الثلّث : وهو جزء واحد من 8 من الأوقية

I . 4 : الوقت :

الساعة المئانية والنصف والثلث (20 د) والربع (15 د) والقسم (5 د) كل ذلك كان لحساب الزمن .

وكان هناك **الدرج** ، ويقسم الى ثوان وثالث وروابع .

وفي البوادي كان **امتداد الظل** مقياسا لمرور الزمن في النهار .

وثمة وحدة **زمان بسلوكولوجية** ودينية وهي مدة استغراق تلاوة سورة الاخلاص . فترتيلها ترتيلا وسطا بالبسملة والاشباع يستغرق نحو 12 ثانية أو أقل من ذلك بحسب حالة القارئ النفسية .

والى جانب ذلك كان من وحدات الاستغراق الزمني :

الفرضية : التي كانت توقيتا فلاحيا بمراكش والحوز مثلا وهي عبارة عن استغلال الساقية المائية مدة 12 ساعة زمانية .

والشكال : وهو ثلث لتر من الماء في الثانية .

والخروبة : مقدار المياه الخارجة من العين مدة 45 دقيقة .

* * *

تلك هي الوحدات المتفق عليها في الهندسة والكثافة . ومنها تظهر صورة لأعضاء الجسم ، ومنها أيضا تشتم رائحة الديانة الاسلامية كتحري المد النبوي لزكاة الفطر أو اجتناب التطيف لحرمة أو طابع الدولة (تحديد قدر المكوس والزكوات) . كما تلوح منها مخايل التأثير الأجنبي كالفرنسي والانجليزي ، لما يحتاج إليه المتعاملون من دقة في المبادلات .

2 . الوحدات الاجتزافية

والى جانب ذلك كانت المقاييس التخمينية تقسم الى كسور كالانصاف والأرباع والأثمان مثلما تقسم المعايير المقننة . ويمكن أن تتجزأ مثلا الى رُبَيْع (أي ربع صغير) . وكلا الوحدات تستخدم في نفس الغرض كاملة أو مكسرة ، مضعفة أو مضاعفة ، شفعية أو وتثرية . وهي محدودة بالعرف أو بالشرع مثل القد والسهم والحصة في الشركة وغيرها وذلك للمائلة ، وهي كذلك معلومة بحجمها أو بشبع النظر منها ، على قدر مخصوص بين أهل الحرف أو المشترين ، وربما كانت بالقطعة أو بالكرجة الصغيرة أو الكبيرة :

— الرؤوس والقطعان والعصى لعد الدواب ، والقرجومة للذبائح، والكرعة للأنصبة من اللحوم أو الخضر .

— والكربة للسوائل كالماء ، ومثلها الطونة والقرعة والرضومة والقارورة والشكوة (للبن والمخض) .

— والخطوة أو الخلفة والأصبع والباع (قدر امتداد اليدين) والأنملة وكلها للطول والعرض .

— والمضرب والكركور والدرجة ، للأبعاد والحدود .

— والفدان والعزيب والعرصة والجنان والغرسه والسانية والبحيرة والقطعة (لمساحة الأراضي الزراعية) ، والحوض (لبيع البقول والخضر) .

— والطارة أو الطرحة : مقابل وزن الظرف الموزون فيه .

- والقلثوشة (وهي أصغر من القلة) : للسمن والعسل .
- والكمشة والقبضة والحفنة للحبوب (في الزكاة والصدقات) ،
والغرارة لحمل الجمل من الزروع مثلاً ، والشواري والتليس والخنشة والكيس
للحبوب ، والبوطة والبرميل للزيت وحتى للسكر ، والفرضة والفطرة نصاب
زكاة العيد .
- والرأس والحزمة والربطة والسلة والعرام للخضر والبقول والفواكه .
والكافة : حزمة الدوم المفتول .
- والرزمة والباله والباكيط والصندوق للملفوفات والطرود .
- والشبكة للتبن ، والجزء للصوف ، والحمل للحطب أو للحبوب .
- والبيسة والخرقة للمنسوجات ، والكبة والعمارة والقنوط والمدزّة
للخيوط المفتولة أو المرسلّة .
- القب والكاميلة والسطل للاكتيال ، والكرصة والشدق والكسرة
لأجزاء الخبزة ، والفرتوتة ورأس الأصبع أو الظفر للمواد الثمينة ذات الحجم
الضعيف .
- والزخية للبضائع النفيسة (كالزعفران) وحتى للعادية (كالحبوب)
أما العد الشفعي ، فثمة الزوجة (اثنان) والزينة (أو الدزينة أو
الطرزينة) للعدد 12 كالبيض ، والبيعة لثلث الزينة وهو 4 ، وذلك للمخيطات .
والعصى هي : 200 رأس من الغنم .
- والطرحة لمجموع وحدات الأحذية كالبلغة والمشاية والشربيل
والصفائح .
- والفردة ضد الزوجة ، والحبة للبيض والفواكه ، والتفصيلة
للمنسوجات قبل خياطتها كالقفطان والجلابة ، والتقشيطة لمجموع ملابس
المرأة .

— والكرجة والقطعة لما لا يوزن ولا يعد كالشراء بالجملة .

وهناك العد بالعشرات والمئات والآلاف .

— وعن الزمن ثمة الطَّرِيحَة (أجر عمل بالوحدة الزمانية) . وللتعبير عن انصرام الوقت الطويل تستعمل كلمات الليلة والنهار والجمعة (أي الأسبوع) والشهر والعام . ولتحديد الوقت : الصباح والضحى والظهر والأوليّ والسَّاهِل (أي العصر) والشفع (وهو الهزيع الأخير من الليل) والنَّبْثُوري للصباح الباكر . والفرسخ يعني أيضا الزمان الطويل .

ولمعرفة أوقات الصلاة دخولها ، ولتحديد بدء الشهور القمرية بزوغ أهلتها . وفي العالم القروي توقيت خاص لمعرفة المنازل والفصول والمواسم حسب التقويم الفلاحي .

وسياتي الحديث عما تبقى من الوحدات القياسية كالعملة .

تلك هي المعايير التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر والتي لا يزال بعضها ساريا الى الآن . وكان عنصر الحجم والسعة أرجح من عامل الوزن والثقل ، وبعبارة أخرى كان امتلاء العين منها أضبط من قبضة اليد . وقد تعدت الاستغناء عن بعض الوحدات وأتيت مثلا بالبيسَّة وهي عيار صغير عند البزاز ولو أن المنسوجات كانت تباع بالقالة أو المتر فيما بعد ، ولم آت بالحصيرة أو الزربية لأنها بضاعة لا تتجزأ وإنما تباع باعتبار ما يشبه مساحتها . على أنني قد استندت في تحديد أقدارها الى تصانيف بعض المؤلفين .

ولئن كانت تحمل مَيْسَمًا إسلاميًا ، أو تبرز كما رأينا جوارج الانسان أو طاقته فذلك دليل على أن المرء لم يجد ميزانا أفضل من ميزان حواسه . وهي في مجملها وليدة الحاجة وبنت العرف ، ولم يستطع القانون أن يمحو أثر التعامل بما هو تخميني وغير مضبوط . ولا تزال بعض النواحي المغربية تتعامل في اكتيال الحبوب مثلا بالعبرة والكاميلة ، لصعوبة هضم الأهالي للفهوم الحديثة ، مفضلين ذلك على الكيل بالقنطار أو الكيلو دون اللجوء الى المقايضة التي يغلب على الظن أنها أضحت في خبر كان ، على الأقل في الحواضر والمدن .

هذا ، ويفترض أنه كانت لهاته الفروق في المعيار نتائج وخيمة على الاقتصاد الوطني ، ولربما استفاد التجار عامة من تمايز الموازين عند البيع والشراء والتصدير والاستيراد . فلعلهم اشتروا بمد تازة (50 كيلو) وتبايعوا بمد فاس (20 كيلو) . ولم أطلع على محاولة لتوحيد المكايل إلا على تلك التي سويت بها فنيكة الصويرة بمد تازة (50 كيلو) فيما يرجع للتجارة الخارجية في أواخر القرن التاسع عشر .

ومن المفروض أن يكون لبعض المحتسبين الذين كانوا قضاة تجاريين ومهنيين ، مكايلهم وموازينهم كما سيأتي في الحديث عنهم . والراجح أن عمل فاس كان ساري المفعول بهاته المدينة العاصمة الدينية وبباقي المدن الأخرى (I) .

وبالرغم من هاته الاضطرابات في تحديد الحجم أو الوزن أو المدى أو المدة ، فلا يظهر أن ذلك كان يضع مشكلات عويصة . فلكل مدينة أو مجموعة من

I . عن بعض ما تقدم تنظر المراجع :

- عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 50 — 51
- جان لوي مبيج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 146
- ريمون شارل : « الروح الاسلامية » ص 72
- بروسبير ريكار : « المغرب — سلسلة الادلاء الزرق » ص 70 — 71
- احمد التجاني : « القاموس العربي الفرنسي » صفحات مختلفة
- عمر الخالدي : « نموذج من الاقطاع الجهوي » في مجلة « دراسات عربية » عدد 8 (يونيو 1980) ص 67 وما بعدها .
- احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 215 — 297 — 298
- محمد المنوني : « اربع وثائق ... » في « دعوة الحق » (يبرابر — مارس 1971) ص 56 (13)
- عبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة » ج 2 ص 64 — 67 — 69
- بول باسكون : « حوز مراکش » ج 2 ص 636
- جوزيف لوسيوني : « الاحباس بالمغرب ، من نشأتها الى 1956 » ص 113
- كودفروا دمبين ولوي ميرسي « موجز العامية المغربية » ص 214
- مارك بونفوس : « منخلة فجيج » ص 72

المدن والنواحي مفاهيمها واصطلاحاتها . ولكل بضاعة مقاييسها الخاصة ، جامدة كانت او سائلة ، ضيقة كانت او واسعة ، طويلة كانت او عريضة ، تافهة كانت او نفيسة ، خفيفة كانت او ثقيلة ، فلاحية كانت او صناعية ، حضرية كانت او قروية . وكانت بجانب ذلك رقابة المستهلكين والحرفيين معا وعلى رأسهم الأمين أو العريف أو الشيخ ثم تحكيم المحتسب القاضي المهني وجولاته في الأسواق .

* * *

هاته الاختلالات كان لها نظير ، ولكنه خطير على الاقتصاد ، من حيث التغيرات المالية والأوضاع النقدية . وذلك ما سيأتي في الفصل التابع .

3 : التغيرات النقدية والمالية والجمركية

سنتناولها على التتابع بشيء من الاقتضاب .

أولا : التطور النقدي

حفظت العملة المغربية قيمتها الذاتية طالما ظلت البلاد لا علاقة لها بالخارج ، والعكس بالعكس صحيح . وهكذا كلما ربط المخزن صلات مع أوروبا ازداد الخطر على الاقتصاد الوطني .

وكان نظام العملة في القرن التاسع عشر هو المنهاج الساري في القرن الذي قبله ، في عهد محمد الثالث ذي الاتفاقيات الدولية المتعددة . وكان المثلقال يزن 29 غراما ثم عوض في القرن الماضي بالريال الأسباني والفرنك الفرنسي اللذين صارا لا يساويان في الوزن الا 25 غراما فقط .

والى جانب عملة الذهب ، كانت تروج في بداية القرن التاسع عشر أيضا سكة الفضة والنحاس معا . لكن الذهب اخذ يتوارى عن الأنظار شيئا فشيئا حتى اختفى نهائيا عند الدفعة الأولى من الغرامة الحربية في أوائل الستينيات .

ولمقارنة وزن العملة في القرنين الماضيين أسوق هذا الجدول :

وزن العملتين الفضية والنحاسية

سنة 1863

سنة 1766

الفضة	النحاس	الفضة	النحاس
الريال	4 اواق	32ر5 أوقية	
المثقال = 29 غراما	الأوقية = 29ر2 غ = 26 فلسا	الريال = 25 غ 5 فرنكات = 1ر مئاقيل	
الدرهم الشرعي أو الكبير = 29ر2 غ عشر المثقال	96 فلسا = الأوقية	الريال الصغير = 7ر2 غ	100 أوقية
		الدرهم الكبير = 29ر2 غ = خمسا الريال الصغير	40 أوقية
الموزونة أو الدرهم الصغير = 72ر0 غ ربع الدرهم الشرعي	24 فلسا	الدرهم الصغير = 72ر0 غ = عشر الدرهم الصغير	10 اواق أوقية واحدة = 72ر0 غ = المثقال = عشر الريال الصغير
		الموزونة =	ربع الأوقية

ومن السكة النحاسية كان الفلس أو القيراط يساوي في عهد الحسن الأول 12 زلاغي أو زوالغ ، وكان كل زلاغي ينقسم الى 12 حبة ، بمعنى ان الفلس كان يساوي $12 \times 12 = 144$ حبة . الريال كان يسمى الدورو ، والقرش كان يدعى البليون . والأوقية ايضا مائثلث 4 وجوه ، والوجه كان يزن 105 ، 0 غ من الذهب الخالص في وقت سابق .

وكانت بالمغرب قطعة ذهبية تدعى « ثيكيس » وهي تعادل 38ر75 بليوننا ودفعت في الغرامة الحربية لاسبانيا سنة 1860 . وقبل منتصف القرن

التاسع عشر . راجت نقود ذهبية كالضبلون الاسباني (32 أوقية من الريال) واللويز الفرنسي والليبرة الأنجليزية (I). اما البندقي الايطالي او الدوكة ducat فهو عملة ذهبية قديمة جدا ضربت بمدينة البندقية منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، وكانت تعادل 40 أوقية من الذهب ، ولكنها في بداية القرن العشرين كانت تماثل 12 فرنكا . وقد يكون البندقي من الفضة ، ويُسمى حينئذ دوكاتون ducaton (2).

كانت تماثل 12 فرنكا . وقد يكون البندقي من الفضة ، ويُسمى حينئذ دوكاتون وابتداءً من سنة 1840 ، بدأت العملة المغربية تنهار ، وضرب السلطان مولاي عبد الرحمان سكة من الفضة والنحاس دون الذهب ، غير ان انخفاض سعرها كان من العوامل السلبية ، فأصبحت الأوقية النحاسية سنة 1852 لا تعادل الا نصف قيمتها سنة 1766 . ولما اتخذ السلطان نفسه تدابير وقائية لصون العملة وتحديد قدر الصاكة انهارت الدخول الى 50٪ (3) .

وعندما ولي محمد الرابع ، وجد امامه هاته الحالة المزرية التي صاحبها ويلات الأوبئة والمجاعات . وكان سعر العملة الرسمي سنة 1870 هو 50 و 32 أوقية لكل فرنك فرنسي ، بينما كان سعرها التجاري يفوق ذلك بكثير اي 50 أوقية للفرنك . وفي سنة 1877 بلغ سعر الصرف بمراكش 100 وبالصويرة 65 وبالدار البيضاء 60 وبالرباط 56 وبطنجة 49 . وكلما اتجهت الى الجنوب (حيث كانت مصانع الضرب السرية ماثورة كما سيرد) ارتفع السعر حتى بلغ حده الأقصى سنة 1894 عند وفاة السلطان (4) .

1 . « تاريخ المغرب » لطائفة من المؤلفين ص 309 وعبد الله العروي : « الاصول » ص 45 - 47 وعبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 394 و ج 2 ص 66 وجرمان عياش : « جوانب ... » ص 28 و 29 و 33 ومحمد الصديقي : « ايقاظ ... » ص 71 ومحمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 19 وبول باسكون : « حوز مراكش » ص 641 من الجزء الثاني .

2 . محمد المختار السوسي : « ايليغ » ص 70 (207) تحقيق محمد بن عبد الله الروداني .

3 . « تاريخ المغرب » ص 309

4 . جان لوي ميبج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 432 .

ومنذ 1868 ظهرت بأوروبا والجزائر وسوس نقود مزورة ومقلدة للسكة المغربية ، ومنها سكة نحاسية كانت تدعى « تَحَسَّحَاسَت » ، ونودي سنة 1868/1285 بوقف التعامل بها وبإبدالها بسكة أخرى كانت تسمى القواريط (5).

وتلافيا لمثل هاته الأحوال المضرة ، قرر الحسن الأول ضرب سكة بأوروبا سنتي 1881 و1884 موافقة لأحكام الشريعة الإسلامية . وهكذا تعاقد المخزن مع دار سير : Seillière الفرنسية لصنع 20 مليوناً من الريال الحسني ، كما أبرم سنة 1891 عقدة أخرى مع الفرنسي كُيف Gaiffe عميل سير لضرب هاته العملة التي كانت مقسمة هكذا مع كسورها :

● الريال = 216ر29 غ ، منها 26ر29 من الفضة الخالصة ، وهو 4 أو 5 بسيطات حسنية حسب الأحوال .

● نصف الريال = 1 : 2 ريال = نصف ريال = قريب من بسيطتين حسنيتين .

● ربع الريال = 1 : 4 ريال = ربع ريال = قريب من بسيطة حسنية .

● زوج بليون = 1 : 10 ريال = عشر الريال = حسني = قرشان

● بليون = 1 : 20 ريال = نصف عشر الريال = قرش = نصف حسني .

ولذلك ارتبطت العملة الجديدة التي كانت تسمى الريال أو الدورو الحسني ارتباطاً مصيرياً وحسابياً بالريال الإسباني (25 غراماً ، منها 22ر5 غ من الفضة الخالصة) . وهذا يدل ، شيئاً ما على صحة النقد المغربي مقارنةً بالعملة الإسبانية ، ويفسر ، الى حد ما ، تهافت المضاربين والصيارفة على الريال الحسني الجيد متى وجدوه .

5 . المصدر السابق ج 5 ص 127 ومحمد الصديقي : « ايقاظ ... » ص 71

ولما لم تكن عمليات السك سليمة في بعض الأحيان ، فقد كانت ترجع الى الضاربين العملة الفاسدة أو الناقص وزنها . وأود ان اوضح هنا ان الاعتماد في الأداء كان على وزن العملة لا على عدها ، فلم يكن المخزن يعطي كذا وكذا ريالاً بل كذا وكذا غراماً او رطلاً ، على الأقل في المعاملات الرسمية ، اجتناباً لكل غش وابتزاز .

على ان السلطان الحسن الأول كان قد قرر سنة 1888 الاستغناء مؤقتاً عن الضرب بأوروبا الذي لم يكن منخفض التكلفة ، فقد بيعت في بعض السنوات حبوب الزكوات والأعشار الى التاجر الفرنسي باكي N. Paquet لتسديد نفقات الصياغة والسك . وأمر السلطان باشتراء آلة من بلجيكا لضرب النقد ، ولكن دواليبها لم يكتب لها الدوران ، ثم امر ببناء المكيمة بفاس لصياغة العملة النحاسية التي لم تكن تضرب بل كانت تذاب ثم تصاغ دون نقش . وكانت حتى 1891 لم تخرج هي الأخرى نقوداً . فلم يسع السلطان الا اتخاذ تدابير احتياطية للدفاع عن العملة ، وسحب الفلوس النحاسية الرديئة من الأسواق ، لعجز المخزن عن التحكم في التجارة الخارجية التي كانت السبب المباشر في تدهورها .

وقد اصبحت الحالة النقدية في آخر 1883 من الخطورة بحيث صار الذهب والفضة الفرنسيان مفقودين بطنجة نفسها ، وغدا سعر صرف البليون المغربي رديئاً حتى كان عده مضيعة للوقت ... وراجت بالأسواق عدد من القطع النقدية المثقوبة المحورة المزورة . ويحكى ده فوكو ان ادنى اداء بالعملة في البوادي سنة 1883 كان يستلزم احياناً وقتاً طويلاً من اجل «تقليب» النقد وعرضه على الغير من المسلمين وحتى من اليهود ان وجدوا هناك (6) ، لما لهم من معرفة بذلك . وفي سنة 1884 مثلاً بلغ معدل الصرف بطنجة 100 أوقية وبالجديدة 110 وبالصويرة 125 في رواية (7) بل 175 في رواية أخرى (8).

6 . روجي له طورنو : « الحياة ... » ص 119

7 . جان لوي ميج : « المغرب وأوروبا » ج 3 ص 436

8 . « تاريخ المغرب » ص 309

كان هذا الانهيار المتوالي دليلا على فشل الاصلاحات النقدية . وكانت العملة الاسبانية التي ارتبطت بها العملة المغربية منذ 1889 مصدر متاعب كبرى للاقتصاد المغربي . ولأن العملة الحسنية كانت أقوم وأثمن من مرافقتها ، فقد كانت تصدر الى الخارج ويؤتى بعملة اسبانية ، منها ريال فونصو (أو الفونصو) لتحل محلها في المعاملات على يد مضاربين مشهورين يجنون من فائض القيمة أرباحاً طائلة .

ظهرت بالأسواق المغربية سنة 1892 و 1893 السكة الفليبية والسكة الايصابيلية او ريال زابيل التي لم تكن رائجة باسبانيا نفسها بل وممنوعة فيها . ولما بلغ خبرها الى السلطان منع دورانها على الأمناء والعدول وأمرهم بعدم قبولها في أداء الرسوم . وكان اول من ادخلها اسبانيو سبته او مليلية لأداء اجور عمال الريف ، تدليسا وتطفيفا (9) ، فلم تكن تزدرد الريال الحسني فقط بل كان الاسبانيون لا يقبلونها بالمرّة من المغرب في المعاملات ، الى ان ألزموا بذلك بشق الأنفس ، نزولا عند الحق والمنطق . وكان التجار الأوربيون وموظفو مكاتب البريد والتلغراف يرفضونها ايضاً .

والى جانب هذا التسرب النقدي ، كان هناك تدليس آخر هو نفاق سوق الضرب والطبع كما اشرت لذلك أنفا . واضيف الى ذلك ايضا المضاربات التي كان ينشط فيها المرابون عند عد النقود عوضا عن وزنها ثم في تبديلها بغيرها او في استيرادها بالملايين مثلما فعله جون باتيستي انصادو J.B. Ansado الطارقي الايطالي الانجليزي قنصل المانيا بالجديدة وأحد عملاء بنوك طنجة . فقد جلب سنة 1894 من العملة الايصابيلية والفليبية نحو المليونين ، وفعل مثله بعض يهود طنجة المتجنسين او المحميين مثل ميير وكوهن وشركتهما : كانوا يشترون تلك العملة من برشلونة بأقل من قيمتها الاسمية بـ 20٪ ثم يروجونها بما تحمل من سعر ، ولا بد من الاشارة الى ان بعض الأمناء في المراسي كانوا بلا ريب يتساهلون في قبضها ، بل ويتواطؤون مع بعض رؤساء المراكب في انزالها خفية ، عصيانا للأوامر المخزنية .

9 . جان لوي ميج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 431 (3)

وعن حركة النقود بين المغرب والخارج لم أقف على افادة كاملة عبر السنوات ، وذلك لا يمنع من اعطاء مثال جزئي في هذا الجدول :

حركة النقود بين المغرب ومرسيليا

(١٨٨٧ - ١٨٩٣)

السنة	المستوردات من المغرب	المصدرات الى المغرب
١٨٨٧	١.٦١١.٠٠٠ فرنك	٥٠٦.٠٠٠ فرنك
١٨٨٨	٢.٢٩٣.٠٠٠ »	٦٦٤.٠٠٠ »
١٨٨٩	٢.٧٢٥.٠٠٠ »	١.١٥٠.٠٠٠ »
١٨٩٠	٧١٠.٠٠٠ »	٩٤٢.٠٠٠ »
١٨٩١	٢.٦٩٧.٠٠٠ »	١.٢١٢.٣٠٠ »
١٨٩٢	٢.٨٥٤.٨٣١ »	١.٩٥١.٢٠٠ »
١٨٩٣	٣.٠٨٥.٩٧٩ »	١.٦٧٧.٠٠٠ »

ولو زدت الى ذلك ان مقدار العجز عن هاته المدة كان يبلغ ٥.٩٥٠.٠٠٠ فرنك ذهبي (١٠) لاتضح الخصاص .

ولا شك أن الأمور ستنجلي أكثر من ذلك إذا علمنا أن حركة النقود بين المغرب ومرسيليا كانت أنشط مما ذكر أعلاه ، أي ما بين 1882 و 1884 وبيان ذلك أنه :

في سنة 1882 : أخرج من المغرب 8 ملايين فرنك ودخل إليه مليون واحد.

وفي سنة 1883 : » » » » 10 » » 6ر8 ملايين

وفي سنة 1884 : » » » » 10ر4 » » 4ر8 (II)

* * *

ثانياً : التطور الجبائي

أسفرت هاته الصعوبات النقدية عن صعوبات مالية كبيرة كاد بيت المال من أجلها أن يغدو فارغاً . لم يعد المغاربة الأغنياء يؤدون الضرائب تقليداً للمحميين والمتجنسين والأجانب ، وعظمت المناورات للتملص من الوفاء بها . ولم يكتب التنفيذ لتسوية 30 مارس 1881 لحمل المحميين والسماسرة على تسديد الزكوات والأعشار والرسوم ، طبقاً للفصل الثاني عشر من معاهدة مدريد سنة 1880 .

ولئن كان مولاي سليمان ألغى الضرائب التي سنها سيدي محمد بن عبد الله على المنسوجات والجلود والكبريت والموازين والأسواق ، مكتفياً بالزكوات والأعشار والرسوم الجمركية ، فإن السلطان مولاي عبد الرحمان أسس سنة 1850 ضريبة على الجلود وأخرى على المواشي المباعة بالأسواق .

وبينما كانت مصاريف الدولة في القرن الثامن عشر تبلغ 500.000 مثقال أي 3 ملايين فرنك ذهبي ، وهو قدر كان كافياً لنفقات الإدارة والجيش (12) ،

11 . المصدر السابق ج 5 ص 295

12 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 293

إذا بها تصير — للتضخم النقدي وتطور الأسعار وتقلبات العملة — تتراوح بين 6 و 7 ملايين فرنك سنة 1882 . ثم بلغت 20 مليوناً سنة 1893 وارتقت الى 40 مليوناً سنة 1900 . وقد دفع أكثر من نصفها لتسديد التعويضات واشتراء السلاح وبعض الانتاج الصناعي الأوروبي ، باضافة العجز السنوي المقدّر بـ 14 مليوناً . وباتت المداخل الجمركية قارة ولكن لا رقابة عليها ، لأنها كانت تُغني بالأحرى أمناء المراسي (13) .

ولم يحجم المخزن عن اتخاذ قوانين للزيادة في موارد الميزانية كالحافز المفروض على دخول البضائع الى المدينة ، بالرغم من حركات الاحتجاج الشعبي كفتنة الدباغين بفاس سنة 1873 للتملص من أداء المكوس ، وكتمرّد القبائل عن أداء الزكوات . ولما ألغى السلطان الحافر سنة 1885 عوضه بضريبة أخرى فرضت على خروج البضائع من المرسى الى المدن الداخلية ، واضطرّ الحسّن الأول ، كما تقدم ، الى بيع الحبوب على يد تجار أجانب للزيادة في قدرة المغرب على تحمل الأعباء الثقيلة عليه ، بل فكر في الاستدانة والاقتراض من الخارج . غير أن انتهاء أداء الغرامة الحربية الى اسبانيا سنة 1884 ، أفرج عنه الأزمة مؤقتاً (14) .

وإذا كان المؤرخون المغاربة يُقَوِّمون عمل كل سلطان بقدرته على رفع المظالم — وهو حق — وإزالة المكوس — وفيه نظر لأن التكاليف كانت ثقيلة — فلم يكونوا على صواب الا في الشرط الأول . لأن الدسائس الاستعمارية ودعاوي

13 . نفس المصدر ص 341 . ويحكى عن خيانة بعض « الأمناء » انهم كانوا يجيبون السلطات المخزنية ، اذا سألتهم عن وفر المراسي ، بالنادرة الشهيرة ان المركب الفلاني « دخل فارغاً وخرج فارغاً » ! وقد يكون ذلك عن غفلة منهم ، وهو شيء نادر فلكل سفينة « منفشطوتها » او بيان سلعها المحمولة وقد يكون تواطؤاً منهم مع التجار او قائد السفينة لكي ينهبوا ويسرقوا وهو متواتر . وهكذا لا تخلو جعبتهم من سهام وحيل . وكثير منهم أثروا من اشغالهم اثراء فاحشاً ، بل منهم من كان يروم الاستقالة من الولاية ليتولى « الأمانة » حسبما سنرى في مكان آخر . زد على ذلك ان احدهم وهو الحاج احمد بناني أصابه خبال في عقله ، وصار سنة 1886 يدور ويصيح بأعلى صوته بميناء طنجة انه ربح مئة ألف ريال من خدمته بالمرسى مثلما سنرى مع انجلترا بهاته المدينة . فعلام يدل هذا ؟

14 . جان لوي ميبج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 437

الدول لأجل رعاياها كان فيها من الشطط والتجني ما يفضح تلك المناورات المُنْبِيَّة ، ويضع على كاهل الأمة - والمخزن ممثلها - الوفاء بتلك المطالب من أموال عمومية .

وهكذا كان تقهقر ريع المراسي والمستفادات عاملا في ركود التجار وتقلص المبادلات بين الفينة والفينة . وكان فساد الوضع النقدي حافزا على الاستهتار بحقوق الدولة وهيبتها . ولم يكن الأوروبيون وحدهم - والحق يقال - هم أسباب هذا التدهور ، فكان « الى جانبهم عدد محدود من المغاربة من مسلمين ويهود كانوا مستفيدين من هذا الوضع » (I5) .

ولا غرو أن تستفحل الحالة استفحالا خطيرا سنة 1895 ، يدل عليه ما وقع آنذاك وقبل ذلك بسنوات ، من غلاء مفرط ، وفروق شاسعة بين الأسعار والأجور وإخفاء المعاملات الربوية بكلكها على الطبقات الشعبية ، وسوق المدّينين ضحايا الوضع الى السجون ، والتماس المتهافتين مخرجا من ذلك بالخلطة والاحتماء والتجنس والمسح والمروق .

وهكذا انقلبت الوضعية رأسا على عقب منذ سنة 1840 ، إذ صار على المغرب منذ ذلك الوقت أن يؤدي للدول الأروبية - بكيفية تكاد تكون مقنعة - جزية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان (I6) .

وأعظم جزية فرضت عليه قهرا وعدوانا هي الغرامة الحربية سنة 1860 تلتها بعد سنوات في آخر العهد الحسنّي المناوشات قرب مليلية المغربية التي أسفرت عن غرامة أخرى طلب عنها في البداية 25 مليونا من البسيطات . ولولا الصفة التي نزلت على خد السفير الحاج عبد الكريم بريشة بأحد شوارع مدريد سنة 1895 على يد أحد غلاة الاستعمار المجانين الضابط المتقاعد ميغيل دي فونتيس M. de Fuentes لما خفض قدرها الى 20 مليونا (I7) وهي

15 . « تاريخ المغرب » ص 309

16 . جان لوي ميبج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 123

17 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 1 ص 379

لظمة تشبه تلك التي تعرض لها خد السفير عبد الله ابن عَدِيْل امام الملا بأحد شوارع لندن سنة 1762 أو 1764 على يد أحد الرعاع (18) .

* * *

وبعد هذا سنرى ما كان التشريع الجمركي المغربي يبيحه ويحرمه في ميدان المبادلات الاقتصادية . وذلك هو الموضوع الموالي .

* * *

ثالثاً : التشريع الجمركي

الرسوم الجمركية كانت سلاحا امتلكه المغرب ، فدرّ عليه دخولا هامة ساعدته على سد بعض الثغرات ، ودرء عدد من الأخطار ، والوفاء بطائفة من الالتزامات .

ولأجل استخلاصها عما كان يصدر ويستورد ، عين السلاطين أمناء في الثغور والمراسي وخصصوا لهم أجورا وشرعوا لهم مقاييس . وكان إحداث هذا السلك من أولى التدابير الإيجابية في تجديد الهياكل المخزنية استجابة لمتطلبات العصر ، وتسديدا للغرامة الحربية المفروضة ، وتطبيقا للمعاهدة المغربية الانجليزية المبرمة سنة 1856 والتي كانت ذات أبعاد سياسية واقتصادية خطيرة .

الوثائق القليلة التي تيسر الاطلاع عليها لا تفيد — على ما هي عليه — شيئا كثيرا . فما دامت مبعثرة لم تدون ، فكل مقارنة أو دراسة استيعابية ستكون عسيرة لمعرفة الحصيلة الاقتصادية العامة . وليست هاته الوثائق في الواقع إلا بمثابة رسائل سلطانية دورية تفتح الباب ثم توصله ، تبعا للظروف .

18 . عبد الهادي التازي : « الثغور ... » ، في « البحث العلمي » بالمعهد الخامس والعشرين يناير — يونيو 1976 ص 22 (2)

في حين أن من المصادر الأوروبية المستخلصة من تقارير القناصل آنذاك والحسابات التجارية ما عُنِيَتْ بهذا الموضوع ابتداءً من صدر القرن (I9) . وليس يهمننا منها الا ما يتعلق بالفترة الممتدة من سنة 1860 الى 1894 . ومن ذلك يستفاد أن المخزن كان يمنع التصدير والاستيراد لبعض المواد ، ثم يعود ليرفع الحَظْرَ كلاً أو بعضاً ، ثم يرجع الى التحريم ، ابتغاء مواصلة الاحتكار أو تلبية للرغبات الشعبية المستمدة من حالة الأوضاع المغربية . وبصفة عامة فقد استطاع التجار الأوروبيون أن ينزعوا من السلطان حرية تصدير الصوف سنة 1861 ووسق الحبوب ابتداءً من 1875 (حسب سنوات الشدة والرخاء ثم أكدت هاته الحرية سنوات أطول سنة 1886) وإخراج رؤوس البقر حتى 6000 في السنة ، اعتباراً من سنة 1873 ، وتصدير المعادن ابتداءً من 1892 (20) .

أما من حيث التسلسل التاريخي فكانت كما يلي :

نوفمبر 1860 : رفع الحَظْرَ عن تصدير الصوف والجلود ، وفرض احتكار تجارة الشمع الخام ، ومنع خروج الحبوب ، وتسريح تصدير القطاني والبقر الذي ضوعف إخراج رؤوسه الى جبل طارق من 3.000 الى 6.000 وبيع حبوب الزكوات والأعشار في المزايمة .

سنة 1861 : عقد معاهدة تجارية مغربية إسبانية ومواصلة تسريح تصدير الأصواف .

سنة 1862 : السماح للكبريت بالدخول لمدة سنة مقابل أداء 10% من قيمته ، وللصوف والجلود بالخروج لمدة سنتين واحتكار التبغ .

سنة 1863 : إذن بتصدير القطن لسنة واحدة مع منع السماسرة من اشتراؤه بداخل البلاد وتصدير 6.000 رأس من البقر الى سبتة .

19 . جان لوي ميبج : « المغرب واوروبا » ج 5 من ص 255 الى 266

20 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 252

سنة 1864 : السماح باشتراء الصوف من الداخل وتجديد رخصة تصدير القطن مقابل 10 فرنكات للقنطار .

سنة 1865 : منع استيراد الكبريت وملح البارود .

سنة 1866 : الترخيص بتصدير الحبوب .

سنة 1867 : العودة الى منع تصدير الحبوب .

سنة 1868 : مواصلة منع تصديرها أيضا

سنة 1869 : حرية تصدير القطني ولحاء الشجر (الفرشي) .

سنة 1870 : منع تصدير الحبوب .

سنة 1871 : الاذن بخروج القطني واللحاء مع أداء نصف قرش للفنيكة .

سنة 1873 : استمرار حرية تصدير القطني والترخيص بوسق 6.000 رأس من البقر الى الجزائر .

سنة 1874 : منع تصدير الحبوب

سنة 1875 : الترخيص بتصديرها وبوسق المصارين

سنة 1876 : تسريح تصدير القطني مع تحريم تصدير الحبوب

سنة 1877 : مواصلة تسريح القطني

سنة 1878 : منع تصديرها مع الترخيص بتصدير العظام

سنة 1880 : السماح لألمانيا باستيراد 6.000 رأس من البقر

سنة 1882 : تخفيض رسوم استيراد الحبوب الى النصف بسبب المسغبة (21) .

21 . جان لوي ميج : « المغرب واوروبا » ج 5 الصفحات المذكورة اعلاه

سنة 1883 : « أُنعم على دولة الماركان بتسريح وسق 6000 رأس من الثيران في كل سنة لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم » (22)

سنة 1888 : تسريح تصدير الزيوت دون حبوب الزيتون

سنة 1890 : عقد معاهدة تجارية بين المغرب وألمانيا (10. نونبر) والترخيص بتصدير الحبوب لمدة سنة .

سنة 1892 : إبرام معاهدة تجارية فرنسية مغربية (24 أكتوبر) والترخيص بتصدير الفرشي .

سنة 1893 : منع تصدير الحبوب

سنة 1894 : مواصلة هذا المنع (23)

ولئن كانت هاته البيانات عاجزة عن إعطائنا فكرة عن حجم التصدير والاستيراد والاحتكار ، وعن إمدادنا بمجموع الدخل الجمركي ومدى استفادة الاقتصاد الوطني وبيت المال منه ، فلا بد أن آتي هنا بمختصر لبعض أرقام الدخل في المراسي كالجديدة والصويرة والعرائش حيث كانت تقتطع الغرامة الحربية .

الجديدة : 1.754.949 بسيطة سنة 1873 و 940.279 بسيطة سنة 1875 و 646.766 بسيطة سنة 1878 و 366.035 بسيطة سنة 1882 .

الصويرة : 945.862 فرنكا سنة 1870 و 1.055.590 فرنكا سنة 1871 و 814.910 فرنكا سنة 1875 و 896.994 فرنكا سنة 1876 و 960.300 فرنك سنة 1877 (24) .

22 . ظهير في 4 جمادى الثانية 1300/12 ابريل 1883 في « الاتحاف » ج 2 ص 388 .

23 . مبيج : « المغرب واوروبا » ج 5 من ص 255 الى 266

24 . جان لوي مبيج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 437 (2)

. **العرائش** : كان واجب إسبانيا بالبسيطات ما يلي على وجه التقريب :
100 ألف سنة 1862 و 50 ألف سنة 1868 و 160 ألف سنة 1871 و 30 ألف سنة 1872 و 420 ألف سنة 1873 و 160 ألف سنة 1874 و 300 ألف سنة 1876 و 60 ألف سنة 1880 و 190 ألف سنة 1884 (25)

أما مجموع الدخل بنفس المرسى عن سنوات أخرى فكان بالفرنكات كما يأتي : 421.523 سنة 1873 و 105.946 سنة 1878 و 94.034 سنة 1879 و 54.800 سنة 1880 و 69.368 سنة 1881 و 74.169 سنة 1882 (26) . ويبدو أن في هذين المجموعين من الأرقام تناقضا واضحا ، بين واجب إسبانيا وهو النصف في دخل التصدير لا في مجموع التجارة ، وبين كافة دخل المرسى . ولئن كان أمين الأمناء يصدر — باذن المخزن طبعا — التعليمات لكي لا يطلع الاسبانيون اطلاعا تاما على كافة الدخول ، لأسباب خاصة أو وجيهة ، فقد اهتبلها النهابون من أمناء مغاربة ومراقبين إسبانيين وتجار لاقتطاع أموال لأنفسهم ، الشيء الذي استنكره جون هي سنة 1877 ووصفه بالغش المعمم (27) . ويستفاد من صعود الأرقام وهبوطها بيان لحالة المغرب آنذاك من ازدهار وركود ، ولما اعتراه من بلايا وخطوب .

وأيا كان الأمر ، فقد كانت التعريفات الجمركية ضعيفة منذ 1856 وهي 10% من قيمة البضاعة (28) يحددها السلطان بين الفينة والأخرى عند الحاجة أو تبينها المعاهدات كالتى وقعت مع إنجلترا في السنة المذكورة آنفا (29) . ولئن كان السلطان يُمهِّل بعض التجار أحيانا في أداء واجب الجمارك ولا يضيق عليهم ، فقد كان في تصرفات طائفة منهم ما يسيء الى سمعتهم ويزيد في سخط المخزن وعامة الشعب عليهم .

25 . المصدر السابق ج 5 ص 285 حسب الخط البياني المنشور هناك

26 . المصدر السابق ج 3 ص 437 (2)

27 . المصدر السابق

28 . المصدر السابق ص 420 و « تاريخ المغرب » ص 306

29 . ينظر نصها بمجلة « الوثائق » ج 2 ص 201 (النص العربي) وص 215 (النص الانجليزي) .

ومن ذلك ما روتّه الوثائق المخزنية من أن بعض المستوردين بالمراسي كانوا يحتجون على ارتفاع هاته الرسوم ، ويدعون أنها مشتتة فلا يريدون أداء الصاكة نقدا للأمناء وإنما يلجأون الى الحيلة ، فيطلبون مثلا من الأمناء أخذ الأعشار منها عينا وما كان لهم من سبيل غيره ، فيخزنونها لكي تباع بعد ذلك ، فاذا عزموا على البيع تقدم نفس التاجر أو شريكه متواطئين على اشترائها بثمان زهيد (30) يُغْبَن فيه بيت المال حقه وتنهب به ثروات المغرب ، الذي لم يرفع جدارا عاليا للحماية الجمركية ، حتى غزت أسواقه منتجات الصناعة الحديثة الرخيصة ، وشلت حركة الاقتصاد الوطني ولا سيما الصناعة اليدوية .

* * *

كان الأمناء هم أعوان تنفيذ هاته السياسة المالية : أمناء المستفاد والجبايات والخرّص وأمناء السكة وأمناء الموانئ ، فقد كانت أساليبهم خاصة في التدوين والتسجيل والتحصيل (31) . وأرجىء الحديث عن كافة هؤلاء الموظفين سواء كانوا بالمدن أو بالمراسي ، لآتناوله عن النظام الحرفي في التجارة والصناعة .

30 . بمحافظ الصويرة وغيرها امثلة من هذا النوع .

31 . كتابات الأمناء غير معهودة في الوقت الحاضر . ولايضاح بعضها اورد امثلة مع شرحها بهذا الجدول التحويلي القياسي :

العدد =	الموزونة	الأوقية	المثقال
= 10732	0	2	1.073
= 104576 5 ررر	3	5	104.576
= 84632 1 رر	2	1	84.632
	ر = موزونة		

4 : النظام الحرفي

خضع هذا النظام لعدة قواعد ، وامتاز أهله بآداب أصيلة في تصريف الانتاج وبالتزام سلوك معين في الأسعار والاستخدام وفي التضامن والفصل في النزاعات بينهم وبين غيرهم .

وقد صنفت هاته الحناطي أنواعا مختلفة ، باعتبار طبيعة نشاط أهلها . وسأشير بشيء من الاقتضاب الى الأثر الأجنبي في ازدهارها وإنعاشها والى توزيع النشاط الاقتصادي وتمركز البضائع والصناع والخدمات .

ثم سنلم في شيء من الأسهاب بأنساب المحترفين من صناع وتجار وأجراء وأهل الخبرة مع ما تضمن ذلك من أنواع وضروب ، وبعد ذلك سنطلع على خطة الحسبة ودورها في تقويم الأوضاع . فقد كان للنظام الحرفي أثر وحساسية في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، لأنه يرتبط بمآل السكان العاملين النشيطين من الطبقات الفقيرة والمتوسطة ويتصل أوثق اتصال بأعمالهم وهمومهم ومصارفاتهم .

وكنت أنوي أن أفرد له من الوثائق المغربية ما يفى بالقصد ، ولكن النية لم تكف وحدها لبلوغ المبتغى . أما المراجع المغربية والأجنبية القديمة والحديثة فقد ألفيت فيها بعض الكفاية وشيئا من الغناء ، فاقترعت على طائفة منها لنيل المرام ولو أنها لا تنظر الى المسألة نظرة شمولية .

على أن من المستغرب والمؤسف أن المطلب المتعلق بأحوال أهل الحرف ونظامهم الداخلي لم يحظ بأدنى اهتمام في التأليف المغربية القديمة . أما المصنفون من الأوروبيين فقد أولوه شيئا من العناية . ومما كتبوه وحققوه ، جلبت طائفة من الافادات الجليلة .

ومع الاعتراف بالتقصير ، فاني أرى أن إيراد شيء مما احتوت عليه لما يصح الاعتماد عليه ، على الأكثر ، أو مما يجوز الاستئناس به على الأقل .

ولذلك عمدت الى هذا الفصل فصُغِّتْهُ صياغة حرة لم أكد أتقيد فيها تقيدا مطلقا باثبات الهوامش في أسفل كل صفحة وإنما في نهاية البحث .

* * *

المطلب الأول : نظام الحناطي

الحنطة كانت خلية اجتماعية للانتاج والتجارة وتقديم الخدمات للزبناء والوسطاء ، ظلت خلال قرون طويلة أنسباً بنيوية في البيئة المغربية ، فوصفها بعض المؤلفين بالنقابات العمالية . وقد اتسم النظام الحرفي في جميع العصور بطابع الحرية التي ظل المخزن يحترم مبادئها الذي كان موجوداً قبل العهد الموحيدي . وكان على رأس الحناطي أمناء كانوا يسمون آنذاك المشرفين .

ويعسر تصنيف هذه النشاطات حسب اصطلاح خبراء الاقتصاد المعاصرين الى قطاع أول (الفلاحة والصناعة الاستخراجية والغابة والصيد) والى قطاع ثان (تحويل المواد الأولية الى بضائع مصنوعة أو مستهلكة) والى قطاع ثالث (التجارة والخدمات) . ذلك أن الحرفي المغربي كان في الغالب منتجا (القطاع الأول أو الثاني حسب الحاجة) وتاجرا معا (القطاع الثالث) .

* * *

I : تصنيف الانتاج

كان الحرفي إذن يبيع انتاجه بالجملة وبالتقسيط معا ، وكان الى ذلك يُسوّق مصنوعاته بالمزاد أو في مكان إنتاجه ويشترى بضائع غيره بنفس الطريقة . وكان للزبون أن يشتريه منه أو من التاجر أو من الدلال أيضا ، حسب قانون العرض والطلب .

وسواء اشترى الزبون من المنتج في معمله أو من التاجر من دكانه ، فقد كان لا بد له في بعض المدن من المهاددة في الأثمان . و « المتاوية » عادة متأصلة في التجارة والصناعة والخدمات ، يجد بعض المستهلكين لذة كبرى في نهجها . بل كانت على ما اعتقد إحدى المرغبات في المعاملة التي قد لا تحلو بدونها لبعض الناس .

وإذا استثنينا بعض المدن كوجدة من سلوك أهلها مسلك المهاودة ، فقد كانت معروفة في كثير من المدن كفاس حيث اشتهر التاجر بمضاعفة أثمان البضائع مضاعفة شديدة ، مادحاً سلعته تارة مدحاً لا مزيد عليه حتى ولو كانت سيئة الصنع ، ومستعيناً تارة أخرى بأغلظ الايمان لا قناع الزبون أو التمويه عليه . وقد يتفق له أن يبيع سلعته بأقل من السعر الذي أقسم له على أنه هو الحد النهائي . وغالباً ما يدرك التاجر أن المساوم الذي أمام دكانه لن يشتري منه شيئاً ، وأنه إنما سيتعبه في تقديم كثير من ضروب البضاعة التي عنده ، ولكنه إذا كان ماهراً يعرف كيف يجعله زبونا بالكلمة الطيبة والاشارة النابهة والملاحظة النافذة والتزلف المفيد . والغريب أن روجي له طورنو في كتابه « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 » لم يُشر الى ظاهرة المتاوية — التي كانت من خصائص «الحوانتية» أكثر مما كانت من طبائع التجار — بقليل أو بكثير بالرغم من شدة حرصه على وصف المجتمع الفاسي . فهل دخلت الى آداب التجارة والصناعة بآخره ، أي في بداية القرن الحالي ؟

وكان للتاجر الميزان إن كانت سلعته مما يوزن أو يكال ، والقالة ان كانت مما يباع ويشترى بالطول والعرض .

* * *

2 : آداب المهن وأدواتها

بداية العمل كانت في الصباح الباكر ونهايته كانت في العصر ، مع توقف يسير عند أذان الظهر ، حيث كان يهرع بعض المتدينين لأداء الصلاة قبل الغداء . وكانت الأسر تبعث لأهلها بما تيسر لها من طعام . أما «المُعَلَّم» فكان يذهب لمنزله بعد الأذان الثاني ، بخلاف التاجر الذي كان يغلق دكانه عند الأذان الأول .

وكانت لكل حنطة تقاليدها وأدواتها الخاصة في الانتاج والعمل ، ولها اصطلاحاتها في أسماء القطع المفككة قبل تركيبها أو بعد تأليفها ، لا يكاد يفقهها غير الحرفيين أنفسهم .

على أن الدين كان يصبغ الحرفة بصبغته عند الابتداء أو الانتهاء من « المرمّة » أو « الطّريحة » أو العمل ، وعند معالجة الأثقال وتناولها جماعيا لحملها .

أما البراح فكانت عباراته معهودة في تبليغ الأوامر الرسمية أو إطلاق النداء أو فتح السوق والبيع .

وإذا كانت الأبرة مشتركة بين الخياط والخراز ، والمقص مستعملا لدهما ولدى الدراز والحصار أيضا ، فلا الأبرة ولا المقص كانا من صنف واحد . لكن المطرقة كانت للحداد والنجار ، بينما المنشار وحده كان للخشب وللحديد .

بمثل هاته الآلات كانت الأشغال المختلفة تنجز . كان ثمة « شغل الوصية » وهو ما اتفق مُقَدِّمًا على نوعه وأبعاده ولونه وشكله وربما على أجل تسليمه ، ولذلك كان غالي الثمن لأنه يكون متقنا ويدفع عنه عربون في الغالب . وهو بهذا له زبون معلوم ، بخلاف « الشغل السواقي » الذي يعرض للبيع والاستهلاك ويشتره زبون مجهول .

كانت هناك حرف رفيعة يزاولها أهل المدينة ، وأخرى وضيفة يحترفها آفاقيون طرأوا على الحواضر دون تكوين مهني صحيح ، أو دون إلمام حِرَفيٍّ بالمرّة . وربما كان في الابن ميل فطري واضح لأن يحذو في المهنة حذو أبيه وجده ، وصار لذلك يجري مثل « صنعة بوك لا (= لثلا) يغلبوك » أو مثل «الصنعة : إيلا ما غنّت تَسْتَر ، وقيلَ اتزید ف العُمَر» . على أنه كان ثمة تحريض أو ترغيب في مخالطة بعض الحرفيين دون بعض ، بهذا البيت الشعري الحكمي :

فمن خالط العطار فاز بطيبه ومن خالط الحداد نال السوائدا

• • •

3 : قواعد الحناطي :

الانخراط في الحرف والخروج منها كانا مقننين . يسمى المبتدئ في الصنعة « بالمتعلم » الذي كان دون أجرة ، أو كان « المعلم » يتولى تعليمه وتغذيته أو « يخدم على كرشه » . ومع ذلك كان من الزبناء من لا يضمن عليه بـ « الحلاوة » أو « السخرة » ، وفي الأعياد كان المعلم ينفحه بصلة أو بكسوة أو بحذاء . الكلفة قد ترفع بين « المعلم » وأهل مصنعه . كانوا يعرفون مبلغ ربحه ، لأنه كان معهم يشاركون العمل صباح مساء ، مثلما كانوا يعلمون أسرارهم كعدد أولاده واسم زوجته ، وكان أحيانا لا يبخل عليهم باقامة نزهة في حديقة أو في الهواء الطلق ، فيقضون وقتا بين أكل وشرب تارة وتفكه وغناء تارة أخرى ، ويؤنس الزبون العجول ! كما قال له طورنو .

ومتى قضى « المتعلم » مدة في المهنة فظهرت نجابته ، ارتقى الى رتبة « الصانع » الذي كان اما شريكا لرب المعمل في الأرباح ، واما أجيرا يتقاضى أجرته يوميا أو أسبوعيا عشية الخميس .

ومن الصانع من كانت تتهيا لهم الأسباب ليصبحوا - بعد اكتمال تجربتهم وبرز حنكتهم - « معلمين » ينتجون ويبيعون ويشترون ويخزنون المواد الأولية الضرورية لهم .

الحرفيون وأطفال الكتاتيب والمعامل كانوا يعطلون في « العواشير » أي الأسبوع الموالي لعيد الفطر والأضحى والمولد . واعتاد الحجام أن يعطل يوم الأربعاء مثلما ألف الفرارنيون أن لا يطهوا خبز السوق يومي السبت والثلاثاء بفاس على وجه المثال . وبصفة عامة كان الحرفيون يقفلون أماكنهم عشية الخميس وطيلة الجمعة ، لكن دخول السلطان الى أية مدينة كان يوم راحة معلومة .

ويرى أن الصانع الفاسي كان غالبا ما يعمل مدة ست ساعات في اليوم أي نحو 200 يوم في العام . وكان هو وغيره لا يعرفان التوتر العصبي ولا يبذلان المجهود المتواصل الذي يخضع له العامل العصري اليوم .

والى جانب هذا كله كانت المهن - على الأغلب وحتى الآن في بعض الأحوال - تسير وفق أربعة مبادئ هي : اجتناب المنافسة المهلكة في الانتاج ، وتسعير أجره اليد العاملة ، والتضامن ، والاحتكام .

3 . 1 : **تحديد الأسعار بطريقة محكمة** ، أي باعتبار أثمان شراء المواد الأولية وتقدير التكاليف ، ويكون ذلك في الغالب على يد لجنة تتألف من كبار المعلمين تحت رئاسة الأمين . وكان الزيغ عن هذا المبدأ سببا في العقوبات والذعائر التي تنفذ أيضا على التجار المحتكرين ، إبان الرخاء ، انتظارا لأيام الشدة .

3 . 2 : **تسعير أجره العمال** كان قاعدة متبعة ، بحيث كان محظورا على المعلم الغني تسريح عماله بسبب الغلاء أو استمالة مستخدميه الحرفي المنافس له الى الخدمة معه .

وكان تحديد الأجرة مختلفاً من حرفته لحرفة ، وخاضعاً لعدد من الاعتبارات والظروف والأعراف .

3 . 3 : **التضامن** كان بالتعاون وبالمساعدة المتبادلة . مثلاً كان الخبازون بمكناس إذا عجز أحدهم أو توفي ، يتولى خباز منهم تسيير الفرن ويعطي دخله الصافي للأيتام حتى يبلغوا سن الرشد . وكانوا يطهون الخبز مجاناً للحجّامة والصحّافة والخيّاطة والطبّالة والرّحويين الذين كانوا يعدون من الفقراء . وبهاته المناسبة ، أذكر أنه الى عهد قريب كانت أجره الطهي هي « القرصة » الصغيرة أو « الكسرة » من الخبز . وكان يشتريها من الفرن البقالة من أهل سوس والآفاقيون والغرباء الذين لا يستطيعون عجن الخبز وإرساله للفران .

وبفاس ، كان القزدارة والبقالون من أهل سوس قد اعتادوا المساهمة في أداء ديون المُعسّرين منهم . ولذلك كان الافلاس ، على ما قيل ، نادرا فيهم .

وصورة أخرى من هذا التضامن : أن أمين الحنطة كان يبحث عن العمل للمتعلمين والصناع البَطَّالين (أي العاطلين) ، وأن الحرفي إذا احتاج الى مال لاشتراء المواد الأولية من الدلالة ، يضمنه أمينه أو يؤدي عنه فعلاً ، حتى يوسع الله عليه في رزقه .

3 . 4 : **الاحتكام** : كانت الغاية منه فض النزاعات وإصدار أحكام الزجر والتأديب النابعة من قواعد المهنة ونواميس الشرع الاسلامي وتقاليد الأعراف الوطنية ، فيما يخص الغش والمماطلة والتلوي . تارة يكون الناطق بهذه التدابير هو المحتسب ، وتارة أخرى يكون ذلك ، في نطاق أدنى ، من اختصاص الأمين . وفي بعض الأوقات يتولى الحرفيون العقاب بأنفسهم .

« القُرْمة » كانت شبيهة « الفَلَقَة » في الكتاتيب ، وكانت تتخذ للعقاب ، لكن كانت هناك تعزيرات معنوية لينة ، وأخرى مادية قاسية .

ومن العقوبات المعنوية ما حُكي بفاس عن ذلك الحمَّال الذي تقاضى أجرته مرتين . ولما اشتكى الزبون بذلك لدى أمين زرزاية المدينة ، عمد الى عقوبة طريفة ، فاستدعى صاحب الحمَّال وعشرين من أهل المهنة الى مأدبة فاخرة أكلوا فيها وشربوا على نفقة الحمال الغشاش . ومع ذلك لم يرض المشتكى فأسرَّ اليه الأمين : لو عرضت القضية على المحتسب لحكم لك باسترجاع فُلَيْسَات ، ولكننا هنا فرضنا على الزرزاوي « النِّصاف » الذي هو أغلى وأفضل من تلك الدَّوانق .

أما العقاب المهني فكان قاسيا مثل العقوبة المسماة « الحاج ميلود » بمكناس . كان الحاج ميلود هذا دباغا ، ولما ارتكب ذات يوم سرقة ، ألحق العار بمهنته . فجاء الدباغون وحملوه على أكتافهم وطوَّفوه في السوق ، ثم أهملوه ببابه . ومعنى هذا الوضع أنه طرد من المهنة وأن عليه ألا يعود لمزاولتها ، وأن يده « ترفع » عنها فلا يظهر مرة أخرى . وسيأتي ما فعله أهل فاس من حرفيين وفقهاء لمعاقبة الغشاشين في منتصف القرن الثامن عشر .

إلا أن هناك معاملات لا تقع تحت طائلة الزجر متى كان فيها تواطؤ .
مثلا الدلال كان في بعض الأوقات والأسواق البلدية شريكا للتاجر المحتكر في
رفع الأثمان وتضخيمها حتى لا يقتحم المستهلك ميداناً للمنافسة ، وحتى
يصح للتاجر إبقاء سيطرته على السوق ، مقابل رشوة تدفع للدلال المتآمر .

ولكن لا أرى بأسا من ضرب أمثلة تكاد تكون واقعية : للظرفاء نكتة
عن ذلك النجار «السَّفْسَاوي» الذي ماطل زبونا طيلة ربع قرن في صنع مهد .
وصورتها أن أحدهم استصنع مهداً لابنه فلم يفعل النجار ، حتى إذا كبر الصبي
وشب وتزوج ورزق طفلا ذهب لنفس الصانع عن نفس الغرض وحثه على
الاسراع في إنجاز المهد (للهفيد هذه المرة) . فما كان من النجار الا أن خاطبه :
« ما تكونشي زَرْبانُ بِحَالِ ابْنَاكَ » .

مثال آخر عن المماطلة رواه الأخوان طارو في كتابهما عن فاس في شأن
الخراز المسوف . وكان هذا الأمر يحط في أعين الناس من شأن المهنة
ويضر بأهلها بالغ الاضرار .

الحكم في الدرجة الأولى كان من اختصاص الأمين الذي كان يفصل
بين المتعلمين والمعلمين من جهة أولى ، وبين التجار والمعلمين والمستخدمين
من جهة ثانية ، وبينهم وبين الزبناء من جهة أخيرة . الأمين كان إذن رئيسا
لكافة الحرفة ، ساهرا على حفظ كرامتها . ولذلك كان عليه أن يتوسط
ويتدخل ، فاذا عظم الأمر عليه ، أحاله على المحتسب الذي قد يرده الى حكم
الباشا لمقاضاة المخالف أو الغشاش .

وبذلك كان حَكَمًا ، وكان قضاؤه الشفوي المعجل نافذا ومُسَمَّطًا
في الغالب لسهولة ، لا يكاد يستنكف منه أحد ، إلا اذا خرج عن دائرة الانصاف
وحاد عن قواعد الحرفة وما تفرضه تقاليد الموروثة .

كانت وظيفة الأمين مجانية ، وكان ماهرا في شؤون الحنطة يعرف
البضائع المغشوشة والمعاملة المحرمة . وكان متصفا بمروءة وأخلاق طيبة
وذا بسطة في الرزق تمكنه من مزاولة التحكيم ومن مباشرة نشاطه المهني معاً .

ولذلك كان يتولى أيضا « شياخة المخزن » التي كانت تخول له — ضمانه وتأييدا — حق الحصول على بعض الخدمات الادارية والحبسسية كالبناء والنجارة والحصارة بمشاركة غيره عند حدوث السمسرات .

* * *

4 : **الولاء السياسي والديني** : وفي كل عيد ، كان الحرفيون من كل مدينة يوجهون أعيانهم وهداياهم الى السلطان ، تعبيرا عن ولائهم وطاعتهم السياسية والدينية .

وثمة أعراف وتقاليد كان لا بد من مراعاتها . كان لكل حنطة سيدها أو وليها الروحي . مثلاً بمكناس كان اللبّانون كل سنة يدينون بالولاء لسيدي أبي زكري فيقدمون مجانا للحاضرين كوؤسا دِهَاقاً من الحليب . وفي عيد الأضحى ، كان الجزائريون يشتركون في شراء ستة رؤوس من الغنم ويغسلون ظهورها ويخضبون صوفها بالحناء ويهدون كبشاً منها للامام خطيب العيد ، والخمسة الباقية كانت توجه لدار المخزن ، وذلك احتفالاً من هاته الحنطة بموسم سيدي عبد الرحمان المجذوب . الدرازون كانوا يسهرون ليلة سيدي علي الشريف الوافي بجامع الزيتونة . ومثلهم في ذلك أصحاب الأفران تكريماً لمولاي عبد الله بن حمّد ، والرحويون تعظيماً لمولاي يوسف . ومثل ذلك كان ولا شك بمدن ونواح أخرى .

وبكافة المدن ، كان السفاجون يتصدقون بأول اسفنجة مقلوبة لأول قادم عليهم صباحاً ، وتسمى تلك الهدية : « العباسية » إهداءً الى الولي أبي العباس السبتي دفين مراكش . وكان لكل حرفة علمها وشعارها ووليّها على وجه التقريب .

* * *

5 : **تصنيف الحناطي** : وإذا نظرنا الى ترتيب أهل الصنائع اليدويين أو الآليين ، وجدنا أن الخراز كان يوضع في المقدمة ولعل ذلك لنظافته . ويأتي بعده البناءون والنجارون الذين يقضون العمل في الهواء الطلق تحت وهج

الشمس والغبار والأتربة . أما الصباغ والدباغ فكانا في وسط السلم . وكان ذلك في الغالب بسبب مشاق المهنة وطبيعتها . وفي الدرجة الدنيا يقع السمسار ، بينما كان الحداد في الدرك الأسفل حتى كانت شهادته أمام العدول مرفوضة ولا سيما بنواحي الريف .

لكن كيف يصنف غيرهم ؟ الحجام كان صديق الأُسرة في قضاء بعض الخدمات الخصوصية بفاس وبغير فاس .

والقرباب ؟ أليس متسولا يستجدي المارة ، ولو أنه كان يسقيهم من مائه الذي مَتَحَه وجعله في قربته ؟ أليس يستعان به في إخماد الحرائق مثلاً ؟

والزرزاي ؟ كان ينقل البضائع كما كان يحمل البشر : العاقل الى حيث يريد والمجنون الى حيث لا يريد كالمارسُتان ، وكان أيضاً يعين على جلد العبد الآبق أو العاصي .

حنطة الحمالين والجمالين كان يدور في فلكها آخرون كالرزامين والزطاطين والرقاصين .

كان الرصاصون والرحويون من فقراء سوس ، حيث تعلموا صناعة المعادن وإتقانها . أما القزدارون فكانوا بمراكش وفاس والرباط من يهودها الذين كانوا يعرفون أيضاً صياغة الذهب والفضة والتمويه بهما . وكانت منزلة اليهود في المهنة منحطة عند المسلمين ، لما هو موروث ومعروف .

والجدير بالاشارة أيضاً أن الآفاقيين ، أي النازحين من البوادي ، كانوا يمتهنون حرفاً متواضعة لا تحتاج إلا الى شيء من المعرفة البسيطة كالحمَّاسين والرواسين والكفائيتين والكوايُثيين ، أو إلا الى قوة العضل كالحمالين والنقالين والشطابين والحفارين .

على أن هناك حرفاً لا بد فيها من المام — ولو بسيط — بالقراءة والكتابة ، كالنقاشين والنساخ والخطاطين . وثمة مهن قروية كالزراعة وتربية

المواشي ، ومدنية كالتزويق وصنع المجاديل والطرايش ، ومختلطة كالسمارة وصنع الاسفنج . وكانت بالمغرب فنون هي آية في الروعة والجمال : الحفر والنقش ، والتخريم والتزويق ، والتسطير والتوريق ، سواء كانت على الجدران والسواري والأرض والسقف ، أو على الأثاث المنزلي كالصناديق والموائد ذات الصناعة المنبتة المرصعة بأغصان الليمون والأصداف البراقة مثلا .

ومن حيث المهارة كان الصناعات أنواعا : المعلم «الرقايقي» أو «الصنایعي» أي البارع ، والمعلم الشغالي أي العادي أو من لا يحتاج في مهنته الى خبرة كبرى أو من كان مكملا لصناعة غيره .

وغالبا ما كانت الحرف عمودية (أي إنتاج نوع واحد) . ويمكن أن نقول ان بعضها كان ، نوعا ما ، أفقيا ينتج بضائع مختلفة ، أو كان يُستعان فيها بصناع آخرين . فمقاول البناء كان مفتقرا الى معونة النجار والحداد والصباغ والجيار وأحيانا الى الجباص والزلايجي . وكان يعد من الموسرين ، يتعدد ربحه بتعدد الخدمات والتوسط في إنجازها .

ولربما عدت بعض المهن مُربحة وغنية ، كالبرازة والنجارة والبناء والصياغة ، وأخرى كانت تعتبر فقيرة كالحصارة والشراطة .

وأكثر الحرفيين كان منتجا وتاجرا ، لكن كان منهم من لا ينتجون وإنما يبيعون ويشترون (الخضار والبزاز والبقال) .

ومن الحرف ما كان خاصا بالنساء كالقابلة والماشطة والعريفة ومنيا ما كان لا يسمح به إلا للرجال كالنجارة والبناء . ومن المهن ما كان يمارسه الرجل والمرأة على اجتماع أو على افتراق ، كالخياطة والنسيج .

ومن أهل الخدمات من كان وسيطا كالسمسار والسواق والتاجر أي البَيَّاع الشرائي ، ومنهم من كان يُكْري صوته وخطواته (البراح والدلال) ، أو ظهره (الزرزاي) ، أو دابته ونفسه معا (الحمار) .

ولئن كان للمهن الصناعية والتجارية « أميناتها » أي رؤساء حرفها ، فمثل ذلك لم يكن — على ما أعلم — للوظائف المأجورة والمهن القروية كالزراعة إلا ما كان من شيوخها وعرفائها ، والا ما كان يجب على الحماليين أن يجعلوا ضامنا وأميना ، مثلما يتخذ الرقاصون ضامنا عن الأموال التي ينقلون ، خشية ضياعها أو سطو اللصوص عليها . وكان على الخياطين المبتدئين قبل ممارسة المهنة أن يعينوا ضامنا لهم عن الأثواب التي كانت تسلم إليهم ، مخافة السرقة أو فساد الصنع .

* * *

6 : التأثير الأجنبي : كان عدد من فروع النشاط الاقتصادي يباشر على يد مستوطنين أجانب كالإسبانيين (البناء والنجارة أو التجارة والزراعة) . وقد أفضت مزاحمتهم للمغاربة ، في الداخل والخارج ، إلى تكبيدهم خسائر جسيمة ، لكنهم استفادوا من معرفتهم وخبرتهم .

احتفظ النجار بأسماء ماعونه أو دوزانه الإسبانية ، واستجلبت ناعورة نسج الحرير من إيطاليا ، ورابوز الحداد أو كيره استقدم من الشرق أو من السودان . أما معاصر الزيوت وبعض الملابس والحمامات فهي ذكريات العهد الروماني أو القرطاجي ، زد على ذلك أن التطريز منقول في بعضه عن الخارج : في أزموور كانت له رموز إيطالية وإسبانية يرجع عهدها إلى القرن السادس عشر . أما الطرز الفاسي فمستمد من سوريا وتركيا ، والطرز السلوي من أصل فارسي أو شامي ، والطرز التطواني من أصل بلقاني .

* * *

7 : النشاط الاقتصادي جغرافيا : وعن توزع الصناعات والحرف بالمدن ، فقد كانت أوربا — قبل ظهور البخار والكهرباء بها — تنتج نفس البضائع على طريقة كادت أن تكون موحدة أو متقاربة .

وقد يكون لكل حاضرة مغربية اختصاص . فاس اشتهرت مثلاً بنسج الصوف والحرير والطرز به ، ونقش الخشب وخرطه وصبغه ، وتجليد الأثاث وتسفير الكتب وتذهيبها وصنع الأدوات الفخارية البيضاء أو المزوقة .

وامتازت مكناس بالطرز الملون وصياغة الحلي وتزويق الخشب .

أما الرباط فعرفت بزرابيها وبطرزها الجميل المنقول عن العدو الأخرى :
سلا التي تميزت بحصرها وبطانياتها الصوفية والنجارة المزوقة بأغصان
الليمون وخزفها المزخرف .

على أن مراكش كانت متخصصة في صنع الأسلحة المذهبة والمفضضة
والعاجية ، واشتهرت بجلودها المقوصة والمطروزة وسروجها الفخيمة المزينة .
وعرف عن آسفي إتقانها لصناعة أواني الفخار المصبوغ بالألوان .
والصويرة اشتهرت بنجارتها وخشبها وعرارها المنقوش وحليها .

وهكذا كانت لكل مدينة خاصية منفردة أو صناعة مشتركة كتطوان
التي ورثت - هي وسلا وفاس - عن بلاد الأندلس نشاطا فلاحيا رافعا
كالزراعة السقوية وإنتاج الخضر والفلال ، ولكن أهلها كانوا ينافسون مراكش
ويصنعون مكاحل مزخرفة بالذهب والفضة ويقدمونها هدايا للسلطان في الأعياد .

وعن البوادي ، كانت أشغالها متقطعة تنتظر نزول الغيث للبدء فيها ،
أو اشتداد الحرارة للانتهاء منها ، تشترك في ذلك المرأة والرجل على السواء .
وكانت المرأة القروية تنقش أيضا الأواني الخزفية وتنسج كذلك الزرابي
والحنابل والملابس ، تطبخ الطعام وتحمل الحطب ، كانت تلك الصناعة مغروقة
بجفافها ، أو بقلة ألوانها ، أو بطابعها الفطري الموروث . فقبائل الريف والتسول
وزرهون كانت تصنع الفخار الأحمر والأسود دون طبخه في الفرن ودون
تبييضه بالمينا . وكانت نواحي صفرو تصنع حصر الحلفاء ، مصبوغة كانت أو
طبيعية . وقبيلتا زمُّور وكروان امتازتا بمنسوجاتهما الصوفية . أما نواحي تادلة
وزيَّان وبنو مطير وبنو مكيك وبنو وراين وكيكو وكلاوة وشيشاوة فاشتهرت
بالزرابي المعقودة بأفضل أنواع الصوف .

كما عرفت مدينتا وزان وبزو بجلاليتهما وأنسجتهما الرفيعة .

* * *

8 : **تمركز البضائع والخدمات** : أما أين تطلب المصنوعات والخدمات وتخزن البضائع والأقوات ، فكاد السوق أن يكون عاما لجميع أنواع الصناعات أو خاصا بنوع البضاعة المقصودة ، ومثل ذلك الفندق والدار والحانات .

ومن المناسب إحصاء هاته المراكز ، مرتبة ترتيباً متجانساً فيما بينها .

الصناعة : دار الصابون : مصنعه ، ودار الخدمة : ورش البناء وشبهه ، ودار الدباغ : المدبغة ، ودار فخّارة : للأجر والخزف ، ودار كبرّاة : لتنظيف الثياب وتليينها ، ودار الصناعة : مصنع السلاح ، والطاحونة : للحبوب والقطاني ، والدرّاز : للحصر والنسيج ، والمرسى : للشحن والافراغ .

الخزن والبيع : القاعة : للبيض والدهنيات والمصبرات ، ورحبة الزرع : للحبوب والقطاني ، والروّا : للصوف ، ودار السلعة والخزين والهري والفندق : للبضائع ، والقيسارية : للمنسوجات .

التجارة : الجوطية : سوق البضائع البالية ، والبلاصة : السوق البلدي ، والحانات والسوق والفندق ويختص كل واحد بمنتجات معينة (حانات العطار ، سوق السباط ، فندق الشماعين مثلاً) . ودار الرهاين : للاقتراض والرهن .

انتاج الحيوان والأرض : دار الراعي : للعلف ، ودار الشوا : لشي الخرفان ، والسانية : للبقول والخضر ، والزّريبة : للبقر والأنعام ، والكُرّنة : للحيوانات الذبيحة ، والنادر : مجمع التبن .

الراحة والعمل وشؤون البيت : التّريّبة : منتدى الصناع والتجار ، والقهوة : مكان احتساء نقيع البن والشاي ، والموقف : سوق اليد العاملة ، والكُنيسة : محطة الحمالين ، والفندّة : المطعم ، والفرّان : للخبز ، والفرنق أو الفرّناطشي : لتسخين ماء الحمام وإنضاج القدور وشي الاكاريم ، والحمام : للاغتسال .

الخدمات الادارية والقضائية : بساط العدول : شارع دكاكينهم ،

ودار القاضي : محكمته ودار القايد : محكمته ، ودار المخزن والبنيقة :
مكتب اعضاء المخزن ، ودار عدل : بيت المال (فاس) والمنجرة الصغرى :
مكتب المحتسب ، والمنجرة الكبرى : مكتب ناظر الاحباس .

التعليم : السيد : لتعليم الأطفال ، ودار المعلمة أو دار الفقيرة :
لتعليم البنات المهن البيتية .

والكثير من هاته المصطلحات مغربية صرفة ، قد تكون في معانيها
مختلفة عما هو معروف في بلدان عربية أخرى .

هاته جملة من المعطيات والمؤشرات التي صبغت المجتمع المغربي
قبل القرن التاسع عشر وظل بعضها ساريا حتى الآن في كثير من الحناطي (I) .
فمن هم أهلها ؟ وما هي أنسابهم ؟

ذلك هو ما سيرد في هذا المعجم الصغير .

* * *

المطلب الثاني : دليل الأنساب المهنية

سأتحدث عن المحترفين من صناع وتجار معاً أو تجار فقط وأهل
الخبرة منهم وطبقات المأجورين في الحرف والفلاحة والادارة وفي أوقات الراحة
والأفراح . وبالكلام عنهم سأحصى في الواقع انواع النشاط الاقتصادي
والاجتماعي والاداري .

وهكذا سعييت الى استقصائهم ، دون ان آتي بالمصدر كالنساجة
وعوضته مثلاً بالدراز لأن نسبه المهني كان تدرّازت¹ . وسبب هذا أن صوغ
المصادر كان عندنا في اللسان الدراج مغربياً مبرّبراً مثل تقهواجيت ،
ولهذا أوردت النسب الحرفي وحده ، على خلاف في التسمية بين مدينة ومدينة ،

1 . استلهمت هاته الافادات عن النظام الحرفي مما تلقيته شفاهاً من فضلاء
مدينة سلا في اعراغهم وتقاليدهم ، ومما لا يزال عالقا بالذهن من اقوال الاسلاف المرحومين
في مصنوعاتهم واصطلاحاتهم وآدابهم ، ومما مارسته في الصغر من تجارة صغيرة ونجر
الأخشاب (1942 - 1946)

وناحية وأخرى ، مرتبة حسب حرف متشابهة أو أعمال متقاربة ، تتجاوز 320 نوعا ، دون اعتبار المتكرر والمترادف .

وقبل إيراد هاته الأنساب المهنية ، أود أن أُنبه الى أن هاته الأنطولوجيات لا تكاد تخلو - في نظري - من فائدة تاريخية لاستكناه شبكة العلاقات الاجتماعية التي كانت خاضعة لضوابط قِيَمِيَّة وعُرفِيَّة وفكرية ، وللإطلاع على مدى تقسيم العمل داخل بنية المجتمع التقليدي المغربي ، مما لا يصح أن يغفل عنه علماء الانثروبولوجيا والاجتماع والتاريخ وغيرهم في تحليلاتهم . فقد كانت الحرفة - طبعا - إحدى القنوات التي تربط الأفراد داخل هذا الهيكل الاجتماعي الاقتصادي وتستقطب القسط الأوفر من السكان النشيطين .

غير أنني التزمت بسوق كل نسب مهني ببلادنا - على ما في ذلك من طول - دون التعرض لغيره ، مما ذكره عز الدين ابن الأثير في كتابه « اللباب ، في تهذيب الأنساب » المصنف في القرن الثالث عشر الميلادي بالمشرق العربي ، والذي وصل بها الى 4.151 نسبا ، منها 483 انتماء مهنيا ، بحسب دراسة معن خليل عمر .

ولا يجوز الاقتباس من هاته المؤلفات ، لبعدها زمانيا عن القرن التاسع عشر ، ومكانيا عن المغرب ، ثم لاختلاف المدلول اللفظي هنا وهناك ، مثل القمَّاح الذي هو البرَّغاز أو الحنَّاط بالمغرب والفاخراني الذي هو الفَخَّار عندنا ، ولو أن هناك تطابقا في تسميات أخرى كالخشاب والزيات والقطان والصواف والعسال والقزاز واللباد والنخاس والحداد والسراج ..

لكن للأبحاث التي قام بها الأستاذان عبد القادر زمامة والمرحوم عبد السلام بن سودة فائدة كبرى في هذا المجال . وعليها اعتمدت في الأساس لوضع هذا المعجم .

وقد التجأت الى الذاكرة والسؤال فيما لم أقف عليه في المصادر . وإن ما سيأتي سيصدق على الحواضر والبوادي بوسط المغرب ، مع احتمال وجود اختلاف يسير في التسمية ، دون ادعاء أن ما سأرويه منها « جامع مانع » كما يقال ، أو الزعم أن جمع المهن كانت مستقلة عن بعضها بعضاً ، لوجود حرف

ثانوية ترتبط ارتباطا وثيقا بنشاطات أساسية (خراط بالنسبة للنجار ، وجيار وقطاب بالقياس الى البناء) ، علما بأن من الخدمات ما كان موسميا غير دائم (حصاد ولقاط بالنسبة الى الفلاحة) ، وما كان يتوقف لسوء أحوال الجو (بناء مثلا) ، وما كان مستمرا (دراز وتاجر) .

وآن لنا أن نعرف أهل الحناطي مرتبين في I6 مجموعة متجانسة وهي :

I : إنتاج الحيوان وبيعه

- I – بكَار وعلاف (معلف المواشي للذبح وللبيع وحتى للحلب)
- 2 – جَمَّال (مربي الجمال أو ذابحها أو بائع لحومها قديدا)
- 3 – كساب (مربي الغنم والمعز للنتاج)
- 4 – حلاب ولبان (بائع الحليب ومشتقاته)
- 5 – دجايجي (مربي الدجاج وشبهه من ذوات الريش وبائعها)
- 6 – حمامجي (مربي الحمام وبائعها) وقد يقال له حمايمي مثل صاحب مكان الاستحمام
- 7 – براطلي وطوايري (الطيور)
- 8 – بياض (بائع البيض وجامعه)
- 9 – صياد وحوات (صائد السمك وبائعها)
- 10 – بَغَّاز (بائع السمك بالجملة بأزمور)
- 11 – شراح (مجفف السمك بأزمور ومملح النون بمرجات الغرب)
- 12 – ذباح وجزار وسلاخ
- 13 – كفايتي ودقاق (بائع الكفتة المشوية)
- 14 – كوايحي (من يشوي الأكواح ، وهي قطع الشحم والكبد)
- 15 – خلّاع (صانع الخليع وبائعها)
- 16 – سقايطي (جزار يبيع الأكاريع وما سقط من الكُرنة)
- 17 – ابّاشوطي ، وأكّار ، وشوطة وحمّاس (طابخ الأكاريع وبائعها)
- 18 – روّاس (بائع رؤوس الغنم المشوية)

- 19 – شحام (بائع الشعير)
- 20 – دهان وسمان (بائع السمن ومصفيه وخازنه)
- 21 – عسال (بائع العسل)
- 22 – مشاط (صانع المشط)
- 23 – لباط (من يجز الصوف وشعور المعز)
- 24 – هيادري (مشتري الهيدورة)
- 25 – خمال (بائع ريش النعام)
- 26 – شواط وحجار وشواي (من يشوي الخرفان والأكاريح والرؤوس)

2 : إنتاج الفلاحة والغابة وبيعه

- 1 – فلاح وحراث (الخضر والحبوب)
- 2 – سوايني (إنتاج الخضر والبقول بالسانية بمدينة سلا مثلاً)
- 3 – غلايلي وخضار (بائع الخضر والفواكه)
- 4 – حناط وبرغاز (بائع الحبوب والقطاني)
- 5 – زيات (بائع الزيت وعاصرها)
- 6 – معصري وعصار (عاصر الزيت أو بائعها)
- 7 – بونخّال (بائع النخالة ومشتريها)
- 8 – أرّاز (بائع الأرز)
- 9 – دقاق (بائع الدقيق)
- 10 – تبّان (بائع التبن)
- 11 – حمامصي وحماص (بائع الحبوب والقطاني المقلوة)
- 12 – فوال (بائع الفول المقلو أو المبخر)
- 13 – خمار (بائع الخميرة أو مقطر الخمر)

- 14 - قهواجي وقهاوجي (صانع نقيع البن والشاي ومقدمه للزبائن)
- 15 - حرايري (بائع الحرية)
- 16 - خباز وفرارني وفرني (للخبز)
- 17 - سَفَنَاج وسَفَاج (صانع السفنج والحلوى المعسلة)
- 18 - طاحوني (من له مطحنة مدارة بحيوان)
- 19 - رحوي أو رحاوي (من له رحي مائية)
- 20 - نعانعي وإيقايمي (بائع « الإقامة » أي النعنع ، والقزير الخ ...)
- 21 - ابا حَلَوِي وحلوي وعبَّادي (صانع الحلوى وبائعها)
- 22 - حطاب (قاطع الأعواد وجامعها وبائعها)
- 23 - بياض وفحام (بائع الفحم وحتى صانعه)
- 24 - كحَّاك وكحَّاكة (صنع الكعك)
- 25 - ثرادة (مُحترفة صنع الثريد وبائعته وربما صانعة اوراق البَسْطِيْلَة والمَحْنَشَة والرغائف والمَلْثَوِيَّة)
- 26 - فتَّالة (للكسكس والمحصة)
- 27 - دَوَّادة (فاتلة الدويذة أي « الشَّعْثَرِيَّة » ، وهي غير المعالجة)
- 28 - عجان وعجانة (للخبز والسفنج والبَغْرِير)
- 29 - زياتني ورقاد (بائع المرققات كالزيتون الأبيض والأسود المملح والمرقد الحامض والقارص والمخلل ، والخل الطبيعي والفلفل الحار المطحون السائل أو الكامل و « الريوجة » التي هي مشروب مخلل وحاد بالفلفل والباذنجان والجَزَر والخِيَار وغير ذلك) .
- 30 - لَقَّاط (جامع الأعشاب والثمار البرية والحشرات مثل النبق و « بوخَنُو » و « كرينبُوس » والخروب والسَلِّق والبَقُولَة والرَّجْلَة وبوشنيخة والسعتر و « فليثو » والشيخ والبليوط والتَّرْفَاس و « غلالة » (الحلزون) والسَّرْمَبَق (البحرار) الخ ...) .

3 : الغزل والنسج والاكتساء والتمنطق :

- 1 - حرار وقزاز (غازل الخيوط والأنسجة الحريرية وبائعها)
- 2 - براوولي (غازل الخيوط الصوفية الغليظة التي هي البروال)
- 3 - صواف (بائع الصوف وخازنه)
- 4 - قرادشي وقراشلي وحلاج (من يقرشل الصوف)
- 5 - قرداش وصباغ (للخيوط والصوف والمنسوجات)
- 6 - خياط وخياطة
- 7 - قياطني (صانع القياطين)
- 8 - طرازة
- 9 - بزاز وقيساري (بائع القماش)
- 10 - زرادخي (بائع قماش الزردخان)
- 11 : - دبراز (لتنسيق والزربية والحنبل والأغطيات)
- 12 - حصار (صانع الحصر) ومنه شرايطي وخيايطي أي صانع الحصر ذات سدى الشريط المفتول (الدوم) أو ذات سدى الخيط (القنب) ولحمتها جميعاً من سمار .
- 13 - شراط وقنابي (صانع شريط الدوم والقنب)
- 14 - طرابقي (صانع الطرابيق)
- 15 - شرايبي (صانع الشربية وهي الخمار)
- 16 - طرابشي (صانع الطرابيش)
- 17 - بطان ولباد (صانع اللبد والعائم والشواشي)
- 18 - قطان (صانع المنسوجات القطنية)
- 19 - نيار (صانع النير ، أي نول المناسج للحرارة والدراسة)
- 20 - مجادلي (صانع المجاديل الحريرية وشبهها)

21 – مشامري (فاتل المشامير وهي مجاديل من حرير ومن خيوط

مذهبة)

22 – مضايمي (صانع مضمّات الرجال والنساء)

23 – حزامي وكراز (صانع الكرّزية وهي منطقة صوفية للرجال)

24 – بزايمي (صانع الازيم)

25 – شرواط وشراوطي واباشرويط (تاجر الأسماك والأشياء البالية)

4 : الجلد والانتعال والفراش :

1 – خراز (صانع البلاغي للرجال)

2 – شرابلي (صانع شربيل النساء)

3 – روايحي (صانع الريحية والمشاية للنساء)

4 – سبابطي (صانع السباط) ، والأربعة كلهم من الخرازة .

5 – شكايري (صانع الشكاثر)

6 – بزاطمي (صانع البزاطيم)

7 – سطارمي (صانع السطّرمبيات والأرائك)

8 – فراش وصناع وسدار (من يحشو الفراش بالصوف وغيره)

9 – دباغ

5 : الانشاء والابتناء :

1 – زواق وجباص (زخرفة الجدران والسقوف أو تزويق هياكل

شموع المولد النبوي بسلا)

2 – وراق ونقاش (على الخشب والمعادن)

3 – حجار (ناحت الحجر أو مقطعه)

4 – زلايجي (محترف التزليج)

5 – رخّام ورخايمي (صانع الرخام ووضعه) ويسمى أيضا نقاشا

- 6 – بَنّاي
- 7 – رَكَّاز وسَقاف (راكر الخشب في الجدران ومسقف البيوت)
- 8 – لواح (محترف البناء بطاوية التي هي ملاط نصفه من الجير المصفى والنصف الآخر من الرمل)
- 9 – رمال (بائع الرمال ومستخرجها)
- 10 – لَوَاجِرِي (صانع الآجر)
- 11 – صباغ وجيار (الطالي بالجير والصباغة)
- 12 – جيار (صانع الجير أو بائعه وبائع «تادُوقَّة» أي الطين الأصفر المسمى «الصَنْصَال» لصنع «النوافخ» الطينية أو إصلاحها)
- 13 – نجار ، وهو أنواع منها السبع الوارد ذكرها :
- 14 – بلالطي (صانع القوارب من شجر البلوط بمدينة سلا)
- 15 – خشاب (بائع الخشب وجالبه من الغابة)
- 16 – نشار (ناشر الأخشاب الكبيرة)
- 17 – خراط (خرط الأعواد الصغيرة)
- 18 – عواد (صانع أدوات العود)
- 19 – قواقيبي (صانع القواقيب وهي أحذية من خشب للوضوء والغسل)
- 20 – كوافري (صانع الصندوق المدعو الكوفري)
- 21 – بلاج (صانع المغاليق)
- 22 – مسامري (صانع المسامير وغيرها وبائعها)
- 23 – خرايصي (بائع الخرص والأقفال وغيرها وصانعها)
- 24 – جوالقي وقزادري وفنايري (صانع أدوات القصدير والفنار أي المصباح)
- 25 – حداد

- 26 - كيار (صانع الكير للنفخ في نار الحداد والسمار)
27 - زجاج (بائع الزجاج ومقطعه)
28 - زفات (صانع الزيت والطالي به) ومثله الجلفاط أو الكلفاط
الذي يصلح السفينة ويطلعي حوزها بالزفت والقطران
29 - قطارني (صانع القطران وبائعه)
30 - مقاول ، مباشر

6 : التائث المنزلي :

- I - مهارزي ونقايشي وصفار (صانع أدوات الصنفر وهو النحاس الأصفر ومذيبه)
2 - طناجري (صانع الطناجير من النحاس)
3 - صوايني (صانع الصواني)
4 - كدّار (صانع القدور)
5 - فخّار وكواش (صانع الأواني الخزفية وطابخها في كوشته)
6 - شماع (صانع الشمع أو بائعه أو مزخره)
7 - دلای (صانع الدلو)
8 - سفاط وسلال (صانع الأسفاط التي هي السلال)
9 - قصاب وقلامي (صانع الأدوات القصبية من سلال أو أقلام)
10 - براملي (صانع البراميل)
11 - كفاف (صانع الكفاف)
12 - قباب (صانع القباب الخشبية للحمام وغيره)
13 - قفاص وقفاز (صانع الأقفاص)
14 - غرابلي وتيّال (صانع الغرابيل وبائعه)
15 - روابزي (من يصنع الرابوز للنفخ في النار المنزلية)

7 : النظافة والصيانة :

- I — غواسلي (بائع الغاسول — مراكش)
- 2 — صوابني (محترف صناعة الصابون) ويسمى أيضا صابونجيا
- 3 — صيانة
- 4 — حمايمي (صاحب مكان الاستحمام) وقد يقال له حمامجي مثل
بائع الطيور
- 5 — غلاس الحمام وغلاسته (حراسة الثياب في الحمام)
- 6 — غسال وغسالة (للأموات)
- 7 — كسال وكباس وكياس وطيابة (دلك الأطراف وتقديم الماء في
الحمام)
- 8 — فرّ ناتشي (مسخن مياه الحمام)
- 9 — صقال (من يصقل الأواني المعدنية)
- 10 — كبرّات وقصّار (منظف الثياب من الأوساخ ، ومطهرها بالكبريت
والدلك والغسل والتليين)
- 11 — شيات (من يستعمل الفرشاة للتطهير)
- 12 — شطاطبي (صانع الشطاطيب وبائعها)
- 13 — شطاب وبكّار وزبال (كناس)
- 14 — بيار وغطاس وعوام (متعهد الآبار والمطافي بالحفر والاصلاح)
- 15 — قناقني وقنوي وقوادسي وشيخ الماء الحلو (مصلح المياه
ومتعهد المجاري)
- 16 — كناف وخمال وشيخ الماء المضاف ومول بوخرارب (متعهد المياه
القدرة والأوساخ)
- 17 — مول الواد (مراقب المجاري)
- 18 — غصاص (من يجصص السطوح)

19 – طحان وطراب وسماط (من يحد الأمواس والشواقير وأدوات القطع).

20 – ذواب وقزدار وكواي (مصلح الأدوات والأواني)

21 – مواثني (مصلح الساعة التي هي المكانة)

22 – سفار (للكتب والجلد)

23 – ملاخ وطراف (مرقع الأحذية)

24 – ابتاعدي وبعدي (إسكافي بدوي ، بمراكش)

25 حجام وحلاق وحفاف (لحلق الشعر وضرب الرزة على القلب) .
وليس كل حلاق حجاما ، فلهذا الأخير اختصاصات أخرى ترد في الفقرة الموالية .

8 : العلاج :

I – حجام (تجبير العظام المكسورة وذلك المفاصيل الزائغة وردها
وقلع الأضراس وإعذار الأطفال والفسادة وخدمة المدعوين في الحفلات) . وقد
يطلق على خاتن الأطفال بمدينة سلا لفظ «الفقير»

2 – بيطار (معالج الحيوانات بالكي والجرح)

3 – صفاح وصفائحجي وسمار (معالج حوافر البهائم وقد انتقلت اليه
أعمال البيطار)

4 – طبيب وجراح

5 – كحال (معالج أمراض العيون)

6 – قابلة (مولدة وغاسلة للأطفال الموتى)

7 – عشاب (بائع الأعشاب والعقاقير والحيوانات المصبرة)

8 – ضراب الكيسان وضرايته (معالجة بعض الأمراض بالقارورة
لامتصاص البرودة من الجسم)

9 – دواء ودواءة (إخراج الدود من الأذن)

- I0 - عوَّاد وعوَّادة (إخراج «التَّوْكَال» أي التسمم من المعدة)
- I1 - كواي (من يكوي لعلاج بوزلثوم (داء المفاصل) وبوصفَّير (اليرقان) وغيرهما)
- I2 - حداد (من يحد الأمراض الجلدية مثل «النار الفارسية»)
- I3 - تَفَّال (من يبخ بريقه في الفم أو غيره لاستجلاب «الشفاء»)
- I4 - سبَّاب وفاقه وطالب : كاتب الرُّقَى والتمايم والحروز «والهَنْدَة»
- I5 - يقاش (جامع الحروز وبائعها)
- I6 - عزام وسحار وحكيم (وله معنى السحر والشعوذة وطرد الجن)
- I7 - شواف وشوافة وضاربة الخط الزناتي والفال وكران وكرانة (لاستطلاع الغيب)
- I8 - جبار (من يجبر الكسر)

9 : النقل :

- I - حمَّار (ناقل بالحمار داخل المدينة)
- 2 - جمَّال (ناقل بالجمال من بلد الى بلد)
- 3 - صحَّاف (ناقل الأموات وخدور العرائس)
- 4 - حمال ومكاري ومعاش وطالب معاشو وزرزي (حامل على الظهر أو على الدابة)
- 5 - رقاص (حامل البريد راجلا أو راكبا من مدينة لأخرى)
- 6 - كراب ولامين (ناقل الماء في كربتته وبائعه)
- 7 - نقال (حامل ما في القاعة من دهنيات وعسل وخليع على الدابة أو على الظهر الى المنازل والدكاكين)
- 8 - براوطي وكرارسي (حمال عند اتخاذ الكراريس والبراويط)
- 9 - رفاد وطراح (ناقل الخبز الى الفرن أو مدخله في بيت النار)

- IO – قطاب (سائق حمير تحمل مواد البناء)
II – فلايكي (بحري ينقل الركاب من ضفة الى ضفة) ، ومثله غرّاب
I2 – حنّاش وشكّام وڭوساس وجاسوس (ناقل الأخبار)

IO – الركوب والسلاح :

- I – سراج وسرايحي وسقاط (صانع السروج وبائعها)
2 – سناح وسلاح وزنايدي (صانع الأسلحة وبائعها)
3 – سرايري وسرّار (صانع عكاز البنادق)
4 – جعايبي (صانع جعاب المكاحل)
5 – برادعي (صانع البرادع)
6 – غماد وجواي (صانع غشاء السكاكين والسيوف)
7 – وشّائي (محترف نقش ركاب الخيل)
8 – رماح (صانع العصي والرماح)
9 – كماخ (من يتولى «تكميخ» عظام السروج وصقلها وتليينها)
IO – شكايي وشكام (صانع الشكائم)

II – الأفراح والزينة :

- I – آلي ورباب وعواد وكمنجي وطرار وغياط وغناي وطبال وڭنابري
وشطاح ورايس (للطرب والرقص)
2 – شيخة وطبالة وشطاحة ورايسة وزفنية (للغناء والرقص)
3 – دقاق رمضان ونفار (موقف الصائمين للسحور)
4 – منشد ومسمّع وذكّار ومادح
5 – حضّارة وفقيرة (منشدة الأذكار والصلوات وقارئة القرآن)
6 – بواق (صانع البوق والغيطة والنفير)
7 – طرايري (صانع الطر)

8 - قصايد و كرايحي وقوال وشيخ الكلام (حافظ الشعر الملحون
أو ناظمه)

9 - شيخ الرماة (مدرّب الشبان على الرماية)

10 - كُناوي (من يرقص ويغني مثل كُناوة)

11 - ولد سيدي احماد وموس (بهلواني معروف)

12 - قراد (مدرّب القروود ومروضها)

13 - خراف وفداوي وحلايقي وعجايب ومداح (من يحكي الأزلية أو
يعقد «الحلقة» في الأسواق والساحات)

14 - ملاعبي ومساكري (مسايف)

15 - بواردي وباردي (اللاعب بالبارود)

16 - خطابة (خاطبة العروس)

17 - ماشطة وعراضة ونكافة (مزيّنة العروس)

18 - حناية ورشامة (من تخضب بالحناء وترسم بها نقوشا على اليد
والرجل وقد تكون أيضا طرازة وثقابة آذان البنات الصغيرات)

19 - زغردة وجراية وجلاسة العروس (تابعة للنكافة وتتوسط بين
العريس والعروس)

20 - سكاك وتكّموتي وصائغ وجواهري ودكاك وذهايب وشلال
وفضاض ونقايري ونقار (من يتولى التذهيب والتفضيض والاصلاح والصياغة
والتدويب والنقش على المعادن الثمينة والأحجار الكريمة)

21 - قطار (من يتولى تقطير ماء الورد والزهر)

22 - نوايري (بائع الأزهار وجامعها)

23 - طيابة وتراصة ومعاونة (لأعداد الشراب والطعام في المناسبات)

12 : التجارة :

1 - كفاط وكفاد (بائع الكاغد وربما صنّاعه أيضا) ومثله الورّاق

2 - كُتّبي (بائع الكتب)

- 3 - سقاط (من يبيع بالتقسيط)
- 4 - جمّال (من يتجر بالجملة ، وهو ضد السقاط ، وغير الناقل بالجمال)
- 5 - جلاب (من يجلب البضائع من الأسواق البعيدة للبيع)
- 6 - حوانتي (صاحب الدكان)
- 7 - سمسار (الوسيط في بيع العقار والبز وغيرهما)
- 8 - شريك ومخالط ووكيل ونائب (ويدعى أيضا «أخينطي» أي عميل)
- 9 - مؤل قلب شقلب ومتسبب وسبايبي (من يتولى شراء الأشياء البالية وبيعها)
- 10 - ملاك (من له الأملاك أو من يشتري الممّدم من المباني ويتولى بيعها بعد إصلاحها)
- 11 - معمرّ عليه ، وموآل (من له مال يستثمره أو يقرضه)
- 12 - سواق (من يشتري ويبيع في الأسواق)
- 13 - مزايدي (من يزايد في السمسرات والبيوع)
- 14 - وساق (مصدر)
- 15 - ضامن (في الأداء أو في الخدمة)
- 16 - بياع شرابي ، تاجر
- 17 - غيّار وصرّاف وصرارفي (مبدل العملة)
- 18 - نخاس (متجر في الرقيق)
- 19 - حناط (بائع الحنوط والأعشاب) وهو غير البرغاز
- 20 - عطار (بائع التوابل والعطور والعقيق والصابون وأدوات الكتابة والخياطة)
- 21 - بقال (بائع الأدم وغيره)
- 22 - قشاش (بائع القشوع أي القشاوش وهي الأدوات المعدنية والزجاجية واللّعب)

- 23 — دَخَاخْنِي (من يبيع التبغ والدخان)
24 — مَلَالِحِي وَمَلَا ح (صانع الملح وبائعه)
25 — قَرَاد وَمَحْطَاط (بائع متجول ببضاعته دون حانوت له)
26 — فَلَاس (من يبحث في مياه الوديان والقمامة عما سقط من قطع وأدوات معدنية لبيعها)

27 — عَوَاج (بائع المصنوعات العاجية)

13 : وظائف دينية وقضائية :

- I — إِمَام (في المسجد والمجزرة)
2 — خَطِيب (يوم الجمعة والعيد)
3 — مُؤَنَس الغرباء (مؤذن ذو صوت ندي لتأنيس الغرباء والمرضى) وقريب منه شِفَاع وهَلَّال ومُؤَذِّن .
4 — مَشْفَع وحزَاب (قارئ أحزاب القرآن في المساجد)
5 — مُؤَقَّت ومِيقَاتِي
6 — عَالَم وفقِيه ومُحَدِّث ومُفْتِي
7 — قَاضِي
8 — سِجَان وحَبَاس (من يسهر على تنفيذ العقوبات)
9 — نَاطِر (ساهر على مصالح الأوقاف والمارستانات)
10 — وَكِيل الغياب (للسهر على حقوق الغائبين عن الميراث)
11 — بَوْمَوَارِث (لحفظ الأثاث المنقطعة)
12 — عَوْن (بمحكمة القاضي)
13 — عَدَل (من يتلقى الشهادات ويوثق العقود بالمرسي والنظارة ومحكمة القاضي)
14 — وَاعِظ ومُورِق وسَارِد الحديث

- 15 - درار ومُدَرَّر وفقيه (مؤدب الصبيان في المدن)
16 - مشارط (معلم الصبيان في البوادي)
17 - طَالِب (من له معرفة بالقراءة والكتابة) ويطلق أيضاً على
المشارط وعلى الكاتب المخزني
18 - حزان (عالم اليهود وإمامهم)
19 - خطاط وناسخ ونساخ (من ينسخ الكتب والرسائل)
20 - وكيل ووكيلي (نائب الخصوم لدى القضاء)
21 - شيخ الطريقة ومقدم الزاوية (للطوائف الدينية)

14 : وظائف إدارية وعسكرية :

- 1 - قائد وباشا وعامل وحاكم ووالي وخليفة وشيخ ومقدم وجاري
وأمغار ومزوار
2 - محتسب
3 - كاتب
4 - خوجة وكتاتبي (دون الكاتب)
5 - ترجمان أو ترجمان (في القنصليات)
6 - مخزني (عون السلطة المحلية والمخزن)
7 - عريفة (شرطية لشؤون النساء)
8 - عسكري (جندي وله معنى الشاوش والشرطي أيضاً)
9 - شاوش ومشاوري (من يستأذن للدخول على الحكام)
10 - أمين (للخزص والمرسى والمستفاد والحساب)
11 - نكاس ومكاس وعشار (جابي الجمارك وقابض المكوس)
12 - آغا وحراب وقائد المحلة وقائد الرحي (1000 جندي) وقائد
المائة (100 جندي) وقائد الطابور وعلام وموان وخزان وعلاف (وظائف
مخزنية وعسكرية)

I3 – خيال (فارس)

I4 – طبجي (مدفعي)

I5 – رجلي (من المشاة)

I6 – بحري وملاح

I5 : خدمات ماجورة :

I – براح ، منادي (للاشهار)

2 – دلال ودلالة (للتوسط في البيع)

3 – قابض (للاكرية والغلات)

4 – وقاف (من يسهر على سير الأشغال وأداء الأجور للعمال)

5 – مطبعي وطباع ومصنف الحروف ومصصح الأغلاط (بعد دخول

الطباعة الحجرية)

6 – وزان وعبار وكيال

7 – عيار (للمعادن الثمينة)

8 – زبار (مقلم الأشجار)

9 – لقام (مطعم الشجر)

I0 – سفاد (مكتشف الماء بواسطة غصن زيتون مثلا)

II – خطاطري (حفار الخطّارات)

I2 – صرايفي (موزع المياه بالواحات مثلا)

I3 – زراب (صانع الزريبة والحوش)

I4 – حصاد ، دراس ، عزاب ، جنان ، جنايني ، بحار ، بحايري ،

رباع ، خماس ، سارح ، خباز ، راع ، شوال ، رحال ، عدار (أشغال فلاحية وقروية)

I5 – حياح (تقريب الصيد البري الى الصيادين)

- 16 — تراب وحفار (للقبور وغيرها)
17 — سقاط (للغلال والزيتون)
18 — كواد (للمكفوفين وللدلالة على الطريق ولقيادة الأنعام)
19 — سواق (للأبقار والأغنام)
20 — بيات وعساس
21 — بواب
22 — كلاس (متصرف في المقاهي والمطاعم وغير ذلك)
23 — روي وطواع وسياس (سائس الخيول أو مروض الحيوان)
24 — زطاط وكشاف وشواف (حامي القوافل ودليلها في السفر)
25 — صانع (وهو دون «المعلم» وفوق «المتعلم»)
26 — مزوار (حارس حدائق السلطان)
27 — خدام وخدمة وخادم ومتعلم ومتعلمة وصاحب ومسخر ومسخرة وتراس ومعاون وعوين وتواز و «مكال قراب» (وظائف ثانوية)
28 — عريف المسيد (مراقب الأطفال بالمسيد)

16 : أهل الخبرة :

- 1 — لامين (رئيس الحنطة وحكمها) ، والجمع لامينات
2 — رايس (رئيس البحارة والفلايكية)
3 — عريف (أمين الجزارين)
4 — قبال (من يرتضي الخدمات المقدمة في التصدير والاستيراد ، وهو مرادف طرانزيطير)
5 — ابا مهاود (حكم للمهاودة بين الناس)
6 — خراص (مقوم الانتاج الفلاحي والزكاة والعشور)
7 — هنداز ومهندس ومقوم وخبير

- 8 - شيخ الفلاحة (خبير في شؤون الفلاحة لدى القضاء والمخزن)
- 9 - نقيب ومزوار ونساب (تقويم الأنساب) والمزوار أيضا كبير القوم وكبير الطلبة
- 10 - شيخ النّظر أو البُصر وعارف (من يتولى معاينة العيوب والأضرار وتقديرها ومسح العقارات والأماك وتقويمها)
- 11 - صنايعي وحرافني (من يتقن صنعته)
- 12 - مول الشّي وعزّيّ وعلاّم ومعلم (ربّ المعمل) . ويضاف إليه وصف صنعته (معلم نجار ، معلم بناي الخ) . كما يزيد «المتعلم» له نعتا آخر تأدبا معه ، مثل عزّيّ (اختصار عزيزي) فلان (عزي أحمد ، عزي عبد الله الخ) ، أو عمي الحاج أو عم الحاج ، إن كان من الحجاج المسلمين .
- 13 - قلاب (وهو الخبير ربما في الشؤون العقارية وحدها)

* * *

ومن هاته الحرف ما استمر حتى الآن ، ومنها ما انقرض أمره ، ومنها ما ظهر بعد ذلك بقليل أو بكثير . ومن الحق أن أؤكد أن هذا التعداد ليس تاما ، وقد يكون فيه خلط أو نسيان . لكن المقصود هو الالمام ببعض ما استحضرتة منها ، وهو على كل حال خير من إغفاله .

هاته الحرف كانت كلها معروفة في القرون الماضية وطرف من القرن الحالي . وهذا إحصاء لها . ويفهم من سرد متعاطي هاته الحناطي وهاته الوظائف والخدمات الأجورة أنها كانت تخضع لرقابة ذاتية تضاف إليها رقابة الدولة في شخص المحتسب .

والآن لم يبق لي الا الحديث عن خطة الحسبة .

* * *

المطلب الثالث : خطة الحسبة

نظام الحسبة الاسلامية مؤسسة اجتماعية لا يسوغ إغفال طابعها الأصيل وما تركته من آثار لضبط قواعد المعاشة في البيئة وصيانة المجتمع من التفسخ والتهتك . وهكذا كان للمحتسب اختصاصات تختلف باختلاف البلدان وتداول العصور ، وهي فوق ذلك تمتاز بما لها من أصالة . وقد دخل فقه الحسبة في فقه المعاملات ابتداء من القرن الثالث الهجري بالمغرب والأندلس معاً حتى قيل إن القضاء باب من أبواب الحسبة التي ظلت قائمة الذات منذ ذلك الوقت ، ولم يأفل نجمها إلا في بداية القرن العشرين الميلادي .

وبخلاف المطلبين السابقين ، صنف كتب في شرق البلدان الاسلامية وغربها عن خطة الحسبة ، كما وضعت تأليف أخرى عنها بالمغرب لا تزال حتى الآن مخطوطة . ولعل في طبعها ما يفتح مجالاً للبحث ، ويكشف النقاب عما هو مندثر وغميس . وأغلب الظن أن العناية بالحسبة ترجع الى صبغتها الدينية والى ما أمر به الاسلام من صيانة الحقوق ورعاية المصالح ودرء المفاسد وجلب المنافع .

كانت سلطة المحتسب متنوعة : دينية وأخلاقية ، وأمنية ونظامية ، وقضائية وحرفية . والى ذلك كله سأعرض بإيجاز من خلال بعض العصور . وسأذيل بإعطاء نماذج من أعمال المحتسب المغربي .

* * *

I : الاختصاصات الدينية والأخلاقية

كان المحتسب آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، حريصاً على أداء الصلوات في أوقاتها ، وحضور المؤمنين صلاة الجمعة بالمسجد ، وإقامة الأذان ، والرقابة على الامام والمؤذن في بعض الأوقات ، ولومهما ان أساءا القيام بالشعائر الدينية . وكان يلزم السادة الرفق بالعبيد ، ويمنع الاشتغال بالسحر والكهانة ، ويسهر أيضاً على اتخاذ المآزر في الحمامات التي كان يدخلها

في زيارات مباغتة . وكان أحيانا يقيم الحدود على شاربى الخمر والزناة ، ويمنع قيام الملاهي ، ويحول دون سفور النساء وتبرجهن .

كان يحظر على المارة التردد للنساء في الطريق والوقوف بالشوارع بدون موجب . وإذا أراد بناء أو جيار الصعود الى السطوح للإصلاح أو للبناء كان لا يجوز له ذلك الا اذا أعلم الجيران بوجود تستر نسائهم ، لئلا يطلع الغرباء على المحارم وعورات المنازل ، والا رفعت الدعوى الى المحتسب بذلك.

هذا القاضي كان يحظر التسول على القادرين على العمل ، ويحرم على كتاب الشوارع كتابة رسائل الهجو والسب والبغض ، ويمنع إقامة المنادب والنياحة .

* * *

2 : اختصاصات الأمن والوقاية

وفي عهود الاسلام الأولى كان يُعنى بالتعطر بالمسك وقص الشارب ونتف شعر الأبط وحلق شعر العانة وتقليم الأظافر وتقصير الثياب . ويحكى أن شخصا التمس من أمير تعيينه في منصب الحسبة وكان طويل الثياب وذا شوارب مرسلة ، فرد طلبه لأنه كان عليه أن يكون محتسب نفسه قبل أن يكون محتسب غيره .

كان يرد الصبيان الضالين الى منازلهم ويرفق بالحيوان الأليف ، يخفف عنه الأثقال ويحبس الحيوانات الضارية مثل الكلاب ، ويجبر أصحاب المراكب على عدم حمل ما لا يستطيع من البضائع . وكان يسهر على نظافة الأسواق ، ويأمر أهل الحرف بتشطيبها .

كما كان حريصا على نظافة المدينة ، ومتطوفا بها لئلا توضع الأزبال في الأزقة والشوارع أو تهرق المياه القذرة وتطرح جيف الحيوانات بها . كما كان يسهر على حفظ الصحة أثناء ذبوع الأوبئة ، ويراقب السقائين لأجل نظافة القرب .

وكان يحول دون شغل الطريق العام بما يعوق حركة المرور ، وإذا تداعى جدار للانهييار أمر بهدمه حتى لا يصاب السكان أو المارة بأذى .

الحمامات كان يسهر على نظافتها ، ويأمر الكياسين بجعل المحاك في الماء والملح كل ليلة .

* * *

3 : الاختصاصات القضائية والحرفية

المحتسب كان حريصا على سلامة الأموال وصحة المعاملات ، مانعا لروجان العملة الفاسدة ، مراقبا للمطاعم والفنادق والأغذية ، متذوقا للطعام للتأكد من حسن إعدادة .

من مهماته الأولى كل ما يتعلق ببخس وتطفيف في كيل ووزن وما يرتبط بمطل وتأخير في أجر ودين والضرب على ايدي المخالفين .

وكانت له حصة على الأطباء والعشابين أيضا ، وكان هذا يقتضي منه معرفة بأصول التطبيب والعلاج .

وفي ميدان الأجور والأسعار (2) والعمل واحتكار البضائع ، كانت للمحتسب أحيانا سلطة عريضة على التجار والصناع ، يحدد أوقات الخدمة للعمال ، ويفصل في النزاعات القائمة بينهم وبين الحرفيين ، أو بين هؤلاء بعضهم بعضا ، أو بينهم وبين الزبناء إذا ما تداعوا لديه مباشرة أو لدى الأمين قبله من أجل غش أو تدليس .

كان عقابه رهينا بالنوازل المعروضة ، فاما التعزير والتنبيه الذكي وكسر البضاعة الفاسدة ، وإما العقاب والجلد على رؤوس المملأ أو في محكمته ، وإما الذعيرة والاستصفاء والطرده من الحنطة أو حتى من البلد (في الأندلس مثلا)

2 . احمد التوفيق في « اينولتان » ج I ص 333 وما بعدها اتى بمعدل للأسعار والأجور بدمنات خاصة في منتصف القرن التاسع عشر .

إذا تكررت المخالفة . وكان ثمة عقاب طريف وهو أن يجعل الغشاش في بيع في قفة كبيرة ، وترفع رجلاه الى السماء ، ويضرب على قيعانها ويطوّف في أسواق المدينة .

وفي بعض الحالات الاستثنائية كان المحتسب يولى مناصب أخرى كالشرطة ونظارة الأحباس ونظارة المارستانات في عهد الموحدين ، أو يجمع الى الحسبة منصب وكيل الغياب أو ابي المواريث . وذلك ما يفيد أنه كان عالما بالفقه والبيوع ، مطلعاً على أسرار المهن والمعاملات .

كانت الحسبة إذن وظيفة دينية ودنيوية معا ، فقد كان المحتسب يدعى رئيس الأمناء في العهد الوطاسي ، وكانت الخطة تدعى ولاية السوق ، أو أحكام السوق أو خطة السوق وصاحبها يدعى صاحب الحسبة .

وكانت تأتي في الدرجة الثالثة في نظام الولايات الاسلامية وتختلط في مزاولتها بخطة الشرطة .

وتذكر المصادر أن المحتسب كان له شأو بارز في العصر العلوي . كان السلطان محمد بن عبد الله هو الذي يصدر التعليمات والتوجيهات في ميدان الحسبة ، ومثله في ذلك محمد الرابع . أما الحسن الأول فقد تحدث عن الحسبة في وصية القرن الشهيرة .

4 : صور من أعمال المحتسب المغربي

الاختصاصات التي قدمت لا تنطبق حتما على المحتسب المغربي بل على المحتسب الاسلامي في الأندلس والشرق والغرب من المغرب الى بلاد فارس . وبودى أن أضرب أمثلة مختلفة عن المحتسب المغربي من خلال مزاولته لمهنته وأجرته ، وتعدد نشاطه ، وحزمه وغفلته ، وصلابته وصراحته .

وعلي أن أوضح قبل ذلك أن المحتسب كان موظفا لا يختاره المخزن من الأغنياء ، بل من أهل المروءة والخبرة والنزاهة والتعفف عما في أيدي الناس .

4 . I : أجره المحتسب

لم ترد في المصادر تفاصيل مستفيضة عن نوع الأجرة التي كانت تصرف للمحتسبين ، ولا سيما في العهد الرحماني . إلا أننا نعلم أن هذا القاضي المهني كان يتوصل بالانعامات السلطانية المبذولة اعتيادياً في شتى المناسبات لأعضاء المخزن ورجال القضاء والعلم . وكانت صدقة أكثر مما كانت أجراً .

وفي العهد المحمدي ، كان محتسب تطوان الحاج عبد العزيز الفقّاي يتقاضى من صندوق الأمناء 140 أوقية في الشهر . أما في عهد مولاي الحسن فارتفعت تلك الأجرة الى 40 مثقالاً أي 400 أوقية ، أدت من مال الأحباس لبعض المحتسبين في المدن الكبرى على الراجح .

وبديهي أن هذا كله لا يسمى أجرة ، لضئالة القدر الممنوح ، إذا علمنا أن باشا طنجة كان يقبض 50 ريالاً في الشهر أي 500 مثقال أو 5000 أوقية . وإذا عرفنا أن أجرة الترجمة والكتاب في القنصليات كانت المئات من الريالات بين سنة 1881 و 1884 ، وأن قنصل فرنسا بالصويرة كان يتقاضى بين 12 و 13 فرنك سنة 1880 مثلاً ، حسبما ذكره ميج في «المغرب وأروبا» ، اتضحت لنا تفاهة راتبه الشهري .

ولهذا كله لم يكن تأجير المحتسب إلا جد زهيد . ولأجله كان أهل الحرف يجمعون له نسبة معلومة من مبيعات البضائع . كما كان الجزارون يدفعون له 25 سنتيماً عن كل كبش ذبيح ، فضلاً عن رطلين من اللحم كل يوم ، وكان كل رحوي يؤدي له 6 فرنكات في الشهر . وطبعاً لم يسلم رجال الحسبة من تقاضي الرشوة ومن الانحراف .

وعن الحسبة ورشوة أصحابها فال ابن زيدان : «ولما فتحت أبواب الرشا والتهاون بأمور الاسلام والمسلمين على مصاريعها ، دخلت على هاته الخطة عوامل الاختلال والانحلال ، المؤديين الى الخراب والاضمحلال» .

4 . 2 : تنوع نشاطه

ينبغي التنبيه بادىء الأمر الى أن المصنفات المغربية في التاريخ والتراجم ضئيلة علينا باسماء المحتسبين الذين تولوا هاته الخطة في القرن

التاسع عشر ، والى أن ما وصلنا عنهم إنما جاء عَرَضاً ، لا بطريق التدوين المنهجي المتلاحق .

ولهذا فلسنا مستطيعين أن نعرفهم بكاملهم ، ونطلع على أحوالهم وسلوكهم ، ونذكر بالتالي الأثر الذي خلفوه في المجتمع الذي عاشوا بين أحضانه .

ومهما يكن فلا بأس أن نسوق بعض ما تبعثر في التأليف من الحقائق وحتى من النوادر التي تبرز — من جهة أولى — جانباً من تأقلمهم مع البيئة ومن تطابق نشاطهم مع الشريعة الإسلامية والمقتضيات الإدارية ، والتي تصدق من جهة أخرى على كل محتسب في أية حاضرة مغربية .

من ذلك أن المحتسب بسلا كان يلزم السفاج بالنظافة والاختضاب بالحناء ، خشية العقاب أو المنع من تعاطي الحرفة .

واشتهر بالرباط في نهاية القرن الثامن عشر المحتسب العباس موريـنو الذي — بعد مقتله — تولى الرايس فلوريش الحسبة مكانه حتى عزل وخلفه الجيلالي العدلاني حسبما سيرد .

وكان المحتسب الأخير يتجول كل يوم ببغـلته في الأسواق ، ويدخل الى الدكاكين ويتذوق طعم السمن والعسل والخبز والأسفنج . وكان يمشي أمامه عونان واحد يحمل العصي والآخر يحمل أزفـل (السوط) . فاذا ألقى غشاً ، قبض على الغشاش ، وأمر بتمغيطه على الأرض وجلده جهاراً .

وبأسفي كان المحتسب يأمر بتطويف الغشاش الأثيم على المدينة ويجعل الحبل في عنقه ويقوده مخزنيان يعلنان عن نوع الغش المرتكب ويتوقفان بين الفينة والأخرى لجلده وعقابه .

وبمراكش كان من محتسبيها في القرن التاسع عشر مولاي عبد الله ابن ابراهيم البوكيلي الملقب «السـوّار ت» . وكان السلطان مولاي عبد الرحمان

عهد إليه بأشغال أخرى زيادة على الحسبة . فقد كلفه باسعاف المنكوبين بعد هجوم الأسطول الفرنسي على الصويرة سنة 1844 ، كما أمره بالوقوف على إصلاح جامع الكتبيين بمراكش ، وظل في منصبه مدة أربع وعشرين سنة حتى توفي سنة 1313 (1896) ، وخلفه ابنه مولاي ابراهيم طيلة ست سنوات .

وعند دخول الطباعة الحجرية عهد العاهل لمحتسب فاس بالرقابة على إصدار الكتب مثلما عهد بذلك الى القاضي ، وأُسند الى محتسب مكناس بيع المواد الخطيرة كالبارود وملحه والكبريت .

ومن مهام المحتسب أنه كان مكلفا بتعقب اخبار الغرباء واحوال الجواسيس مثلما وقع بفاس في نهاية العهد الحسني .

وقد كلف محتسب الرباط بالاشراف على تعليم الائمة فنون الطبخ والتدبير المنزلي .

وبمكناس كان أحيانا يقوم مقام العدل في كتابة العقود ، وتحرير الرسوم .

والى جانب هاته الوظيفة الأساسية ، كان بعض المحتسبين من الحزم والدراية والعلم بحيث أهلوا لشغل مناصب ثانوية لسد رمقهم وقوت عيالهم .

4 . 3 : حزمه وغفلته

بفاس اتفق أن دخل أحد الحمالين الى فندق لتناول طعامه ، تاركا بغلته مربوطة بالخارج ومثقلة بالبضائع . ولما مر المحتسب وجدها على تلك الحالة فأمر بفكها ، وبإخراج الحمال الذي وضعت على ظهره البضاعة التي كانت على ظهر الدابة ، فأعطى لها علفها وحقها من الشعير .

وكادت غفلة المحتسب أن تفضي الى إفساد علاقة المغرب مع غيره من الدول . ونسوق ما حدث بفاس في منتصف القرن الثامن عشر . وصورة ذلك أن فتنة حدثت عندما كان المحتسب هو الطيب الريحاني (1751/1168) كادت أن تكون دبلوماسية بين والي طرابلس وسلطان المغرب . ذلك أن

الحجاج كانوا قد اعتادوا في ذلك الحين أن يصحبوا معهم نقودا وبضائع كالحياك ليبيعوها لأهل المشرق ، استعانة بثمانها على السفر ومصاريف الحج . غير أن الحياك كانت مدخولة ، والنقود كانت مغشوشة ، لأن القائم على الضرب وهو القائد قاسم ابن الأشهب زيف دينار الذهب وبالح في تنحيس الموزونات ، ولأن حالة مناسج الطرازين كانت سيئة في عهد المحتسب المذكور الذي كان قد غفل عن مراقبتها وبحثها .

ولما وصلت رسالة الوالي قرئت على العموم بفاس ، فاجتمع فقهاء المدينة وأمروا بتغيير المنكر ، وعقاب الغشاشين ، وتحطيم الطرازات الفاسدة ، وتعقب المكلف بضرب السكة .

4 . 4 : صلابته وصراحته

كان المحتسب واليا وقاضيا وشرطيا وفتيا معا ، وكانت الصلاحيات التي سقتها لا تنطبق تماما على المحتسب المغربي . ولا يجوز له أن يمارسها هكذا في الزمان ولا في المكان ، وخصوصا منها تلك التي تدعو الى مزيد من التيقظ والحرص على تطبيق الشريعة الاسلامية كما هي في عصور الاسلام الأولى .

وتروي المصادر التاريخية عن صلابة المحتسبين وصراحتهم للأمراء أن طُغْتَكِين بن عبد الله مملوك السلطان قَتَشَ السلجوقي بدمشق في القرن الثاني عشر الميلادي طلب لمدينته محتسبا ، فذُكِرَ له رجل من أهل العلم ، فأمر باحضاره ، ولما بَصُرَ به قال له : — حسب مؤلف «نهاية الرتبة» ، في طلب الحسبة» جلال الدين عبد الرحمان بن نصر الشيرازي — «إني وليتك أمر الحسبة على الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فقال : «إن كان الأمر كذلك فقم عن هاته الطَّراحة وارفع هذا المسند فانهما من حرير ، واخلع هذا الخاتم فانه من ذهب» . فنهض السلطان عن طراحته ، وأمر برفع مسنده ، وخلع الخاتم من إصبعه ثم قال : «قد ضمنت لك النظر في أمر الشرطة»

وبديهي أن مزاولتها على تلك الكيفية كانت مما يعصف به و بمنصبه ، ولا يكاد يقبلها أحد لما فيها من تشدد . إذ لا يسوغ أن يعزب عن البال

أنه كان موظفا يلتزم السمع والطاعة . وعليه أن يتعاون مع الباشا لتحقيق الغرض من وظيفته ، وبالتالي يشق عليه تحدي السلطة المحلية . فاذا تعارضت الوظيفتان كان الرجحان — على ما اعتقد — للباشا لدى المخزن .

وبينما كان لمدينة فاس في العهد الحسني ثلاثة عمال ، لم يكن بها إلا محتسب واحد كان لازما عليه أن يستنجد بهم وبأعوانهم للاضطلاع بأعباء منصبه . ولم يكن مسموحا له أن يتخذ هيئة عسكرية ، كالرايس المعطي بالرباط ، وإنما كان له مخازنية كغيره من الولاة .

كان الرايس المعطي فلوريش محتسبا وأميناً ورئيساً للبحرية في عهد مولاي سليمان وبداية عهد مولاي عبد الرحمان ، وكان له نظام شبه عسكري في سلاحه وتداريبه ورؤسائه ، حتى كان مضايقا للباشا ، ولذلك لم تطل ولايته كثيراً ، لما ظهر عليه من انحراف وتشدد .

وقد اغتاض السلطان من الرايس المعطي لشدة تصلبه ، وأعد محلة لتأديبه . ولما وصلت وعلى رأسها مولاي عبد الرحمان أغلقت الأبواب ، فأمر العاهل بفتح ثغرة في سورها ليرى ما بداخل المدينة ، فوجد رجال المعطي على أهبة القتال . وبعد المفاوضة ، دخلت المحلة السلطانية من الثغرة ثم سويت المسألة . وتولى بعده الجيلالي العدلاني الذي كان لا يزال محتسباً في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (3) .

* * *

وخلاصة القول أن الحرفي لم يكن يرى في الأمين والمحتسب جهاز حكم ظالم ، وأن المستهلك — الذي كان يتوق الى الصدق في المعاملة والى إلغاء الاحتكار — كان يجد في الحسبة حماية له من التدليس ، وأن الجميع

3 — عن الانساب المهنية ينظر :

— عبد القادر زمامة : « أسماء الحرف المعروفة بمدينة فاس » في مجلة « اللسان العربي » مج 7 ج 1 (يناير 1970) ص 312 وما بعدها ، ثم نفس المجلة العدد الرابع ، غشت 1966 ص 207 — 210 ، ثم « القيسرية واخواتها » في « دعوة الحق » ماي 1968 ص 131 وما بعدها

كان ينظر إليها نظراً لمؤسسة تحكيم وتعزيز ، في أكنافها تعضيد وتضامن وسلامة .

لكن نظام الحسبة ضعف وخف وزنه بعد عقد الحماية سنة 1912 ، وصارت اختصاصات صاحبه مهنية فقط . وقد دخله الخور عندما بدأت البضائع الأجنبية تكتسح المغرب ، فلم تعد للمحتسب سلطة لزجر الغش والتدليس ، لجهله بأسبابه ولعجزه — هو والمخزن والولاية جميعا — عن الحد من آثاره . ومع الأيام صار المحتسب مجرد مستشار اقتصادي .

ولو عرف المغرب كيف يستفيد من هذا النظام الاسلامي ويطور أساليبه ، ويسدي له الدعم الضروري ، لانتعش اقتصادنا وتقومت أخلاقنا من

— عبد السلام ابن سودة : « حول اسماء الحرف المعروفة بمدينة فاس ، في مجلة « دعوة الحق » يونيو 1971 وابريل 1972 ص 130 وما بعدها .

— احمد التيجاني : « القاموس العربي الفرنسي »

— معن خليل عمر : « لباب الأنساب لابن الأثير ، ومعطياته الاجتماعية » في ص 353 وما بعدها من مجلة « المناهل » العدد 21

— محمد بن احمد شماعو : « المجتمع المغربي كما عرفت من خلال خمسين سنة : 1350 — 1400 » صفحات مختلفة .

وعن النظام الحرفي باللغة العربية :

— احمد التوفيق « مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر : اينولتان 1850 — 1912 » ج 1 ص 333 وما بعدها .

— عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 87

وهاته هي المراجع باللغة الفرنسية عن هذا النظام :

— لوي برونو : « على عتبة المغرب الحديث » ص 34 — 36

— بروسبير ريكار : « المغرب : الدليل الأزرق » ص 31 — 32

— ب. لوي ريفيير : « ما كانت عليه الحناطي بالمغرب » ص 129 — 145 في مجلة « دراسات مغربية »

— موريس كردفروا — دمومبين : « المؤسسات الاسلامية » ص 167

— ريمون شارل : « الروح الاسلامية » ص 267

— مبيج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 124 و 441 (5)

— روجي له طورنو : « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 » ص 45 و 62 و 68 و 76

و 80 و 94 و 105 و 117 و 132 و 135 و 230

هذا الوازع ، ولظللنا نرى أولئك الصانع المهرة ، حافظي الثراث وحاملي المشعل ، يجيدون أعمالهم إجادة أجدادهم الذين كانوا يبدعون . وكان البارعون منهم يصنعون ، ونصب أعينهم مصحف كريم يستمدون منه نور الله .

وعن خطة الحسبة :

- عبد الوهاب ابن منصور « الحسبة » صفحات مختلفة
- وقد ذكر المؤلف في الصفحة 39 ان الفقهاء المغاربة صنفوا في العهود المتأخرة كتباً لا تزال مخطوطة ، ومنها « الارتفاق » ، في مسائل الاستحقاق » و « كشف القناع » ، في تضمين الصانع » و « رفع الالتباس » ، في شركة الخماس » و « نظم العمل الفاسي » و « التيسير » ، في احكام التسعير » و « تحرير الصاع النبوي » و « الأقنوم » ، في جميع العلوم » .
- عبد الله كنون : « خطة الحسبة » في « مجلة كلية الشريعة » عدد ماي 1978 ص 9 .
- احمد الناصري : « الاستقصا » ج 6 ص 86 و ج 8 ص 91 و ص 132
- عبد الرحمان الفاسي : « خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين » بمجلة « المناهل » العدد 18 و 20 و 21 و 23 .
- محمد اكنسوس : « الجيش ... » ج 2 ص 30 و 54
- محمد المنتصر الريسوني : « الحسبة في الاسلام » في « دعوة الحق » يوليوز 1975 ص 119 وما بعدها .
- محمد المنوني : « خطة الحسبة » في « المناهل » العدد 14 ص 228
- عبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة ... » ج 1 ص 394 و ج 2 ص 64 حتى ص 70 ، و « الاتحاف » ج 3 ص 571 و ج 4 ص 462 و 460
- محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 69 و 84
- محمد عيسى صالحية : « المحتسب وقانون الدفاع الاجتماعي » في مجلة « العربي » عدد يناير 1983 ص 166
- زهير طحان : « عند ما كان المحتسب مسؤول النظافة » نفس المجلة عدد يبرابر 1978 ص 48 وما بعدها

§ : الصناعة والمعادن



المعادن مواد خام تعالجها يد الصانع معالجته لغيرها لتستخدم في أغراض شتى . أما الصناعة فكانت طريقة تحويل ووسيلة ابتكار ، سواء في ذلك الوطنية منها والأجنبية .

I : الصناعة الوطنية

سبق لي الحديث عن الحناطي فأعطيت طائفة من الافادات الاقتصادية والاجتماعية العامة . وأعود الآن لتقديم جوانب أخرى من هذا الموضوع .

من المؤسف أن يكون التاريخ قد نسي أن يدون لنا أسماء المهرة من الصناع في الحواضر والبادي ، فيتحدث لنا عن نشاطهم كمّاً وكيفاً في مختلف العصور . فقد استخدمت الصناعة التقليدية الجزء الأوفر من سكان المدن ، ولكننا لا نعرف أعداد المصانع المنبثة بالمغرب خلال القرن التاسع عشر ، وإن كنا نعلم أنه كان في بداية القرن العشرين (1919) بفاس 230 حنطة ، وبآسفي III ، وبسلا 109 ، وبمراكش 97 ، وبالدار البيضاء 51 ، وبأزمور 19 ، وبالصويرة 15 . أما قبل ذلك فسنورد أرقاماً أخرى من خلال هذا المبحث .

وقد أسس السلاطين مصانع وطنية للسكر والسلاح والنسيج خلال القرن التاسع عشر بمراكش وفاس (I) . ولكن العدوتين الرباط وسلا كانتا مدينتين صناعيتين تحتلان في عهد مولاي عبد الرحمان الدرجة الثالثة من حيث ضخامة الانتاج الذي قدر بخمسة ملايين فرنك وقتئذ .

I . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر الحضارة المغربية » الجزء الثاني ص 32 (نقلا عن كتاب كايي : « تاريخ الرباط » ص 193 - 196)

وكان بهما سنة 1855 أيضا 12 دراذا للزراحي ، أنتجت 840 زربية ، بيع نصفها داخل المغرب ، وصدر الثلث إلى الخارج ، وصرف الباقي في عين المكان .

أما درازات الحايك فكان عددها 5 ، وكان طول الحائك 6 أمتار ، وعرضه متراً ونصفاً . وقد نسج في تلك السنة 63.200 حائك ، يضاف إليها 400 جلابة من الصوف ، طول كل واحدة منها 5 أمتار ، وثمانها 10 فرنكات للوحدة .

وصنع بالمدينتين كذلك 460.800 سبنيّة من القطن المغزول بجبل طارق ، قيمتها 345.600 فرنك .

أما باقي الصناعات ، فقد احتوت العدوتان على 40 داراً للديغ و 10 دور للصباغة تعالج كل سنة أزيد من 110.000 كيلو من الصوف و 1500 كيلو من الحرير ، و 150 معملا للبلغة و 30 دار فخارة تصنع 600.000 إناء في العام ، قيمتها 180.000 فرنك .

ودائما في نفس السنة وفي نفس المدينتين ، كان ثمة ثلاث دور لضرب سكة البليون تحتوي على 12 مصهرة يعمل فيها 36 من صناع ومتعلمين . وكانت تذيب تسعة قناطير من المواد الأولية كالنحاس والرصاص والقصدير والكبريت (2) .

وبعد ذلك بسنوات أي حوالي 1880 ، كان بالرباط 350 دكانا لصنع البلغة و 50 دراذا للزربية ، حسب لودفيك ده كامبو الذي قال أيضا : إن المغرب كان يصدر إلى السنغال البلاغي ، وإلى الجزائر حياك فاس وزراحي الدار البيضاء وزراحي الرباط المشهورة بديمومة أصباغها . وقد أنتج من زراحي هاته المدينة في نفس السنة 4.000 وحدة صُدّرت ثلاثة أرباعها (3) .

2 . المصدر السابق ص 80

3 . عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ، ج 2 ص 70 (1) نقلا عن ده كامبو : « إيالة تنهار » .

وبفاس كان 520 درازا للنسيج تستخدم 20.000 عامل ، و 360 طاحونة لم يبق منها سنة 1904 إلا 160 يعمل فيها نفس العدد من العمال والحمالين . أما دور التصبين فكان عددها خمسين ، زيادة على مائة أخرى كانت موجودة قرب بوجلود (4) .

وعن الصناعات بالعدوتين أيضا ورد أن الطرازات من القطن والكتان « كانت تكاد أن لا تُحصى كثرة » . ولما تقهقر أمرها في أيام مولانا سليمان وما بعدها من أيام مولانا عبد الرحمن ، قدس الله روحهما في النعيم ، كانت الطرازات التي بقيت بسلا فقط دون الرباط ست مائة معمل .

« وأما صناعة الحصر هي الآن خاصة بسلا في الاتقان والجودة وحسن المنظر وعجيب الرقم . ولا زالت هذه الصناعة لها روجان في سائر بلاد الغرب وأمصاره ، وتحمل حتى الى بلاد الأفرنج . . . » حسب محمد بن علي الدكالي الذي أضاف أن صناعة الفخار ما زالت من أعظم الحرف بالعدوتين ، إلا أنها نقلت جميع معاملها الى الرباط ، ولم يبق من دور فخارة بسلا إلا داران فقط (5) .

وفيما يرجع لعدد المحترفين بالرباط وسلا وفاس ومراكش ومكناس والدار البيضاء وتارودانت ، فقد كانوا يبلغون نصف سكان هاته المدن في القرن العشرين (6) .

وبدمنات كان عدد الصناع من الدباغين في عهد الحسن الأول يزيد عن 370 ، كان منهم حوالي 200 بدار الدبغ الكبيرة ، و 70 بدار دباغ السوق ، ونحو من 100 بدار دباغ الملاح (7) .

4 . المصدران السابقان : « مظاهر ... » ص 87 و « معطيات ... » ص 71

5 . محمد بن علي الدكالي السلاوي : « الاتحاد الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز » مخطوط رقم 850 5 بمكتبة الصيرحي من القطع الصغير ص 29

6 . عبد العزيز بن عبد الله : « مظاهر الحضارة المغربية » ج 2 ص 80 و 85 . وفيه استند الى لوي ماسينيون الذي أجرى تحقيقا سنة 1924 بعنوان « الحناطي الاسلامية »

7 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 259

لكن هاته الصناعة الوطنية أخذت في التدهور ، فقد كان تطور الرأسمال التجاري وإدماجه في السوق العالمي أحد الأسباب الحاسمة في افلاس الصناعة التقليدية ، وذلك بالأخص عند استيراد بضائع منافسة للانتاج المحلي (8) .

وهذا ما يشرح - إلى حد كبير - تمرد الصناع المتتابع أواخر القرن التاسع عشر حسبما سلفت الإشارة إليه : ثار الحرفيون في غشت 1872 على عامل مراكش أحمد بن داود ، وفي نونبر 1873 قاموا بفاس على أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس .

فمن أي شيء تدمروا ؟ لقد استاءوا خاصة من المكوس التي فرضت على المواد الأولية وعلى المعاملات ، والتي صارت لازمة باعتبار الإصلاحات السلطانية ، فقد كانت تعتبر مجحفة وغير شرعية .

وإذا اعتقدنا أنهم كانوا يتألمون منها ، وجب علينا ألا نغفل أن التجار الأغنياء كانوا يشترون منافعها ويستفيدون منها أيما استفادة . ولم يكن الأمر ولاشك تمرد بورجوازيين على الملكية المستبدة ولكنه كان استياء صغار الصناع والتجار المنضوين تحت لواء حنطتهم والذين كانوا عند الحاجة ينادون بالتضامن المهني (9) .

لكنني لم أقف - لسوء الحظ - على بيانات شافية عبر السنوات عن نشاط كل مدينة في ميدان الصناعة الأهلية التي لحقتها أضرار من المزاخمة الأجنبية ، بتسرب جواسيس الاقتصاد الى البلاد لتقليد الانتاج الوطني ، مثلما فعلته معامل سطرakonitz بيوهميا (تشييكوسلوفاكيا) عندما قلدت طرايش فاس في الصنع ، ومثلما كانت تباع بأسواق مدينة ليون ومدينة نيم بفرنسا وأسواق إنجلترا مصنوعات مقلدة كالمخدرات والطنافس والحصير ، القصد منها تخريب الاقتصاد المغربي والصناعة اليدوية (10) .

8 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 114 في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد الثامن

9 . المصدر الأخير وأحمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 261

10 . جان لوي مبيج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 391

وقد تهافت بعض الأوروبيين واليهود ، وخصوصا أبناء ناهون بطنجة ، على شراء دور الدباغة وصهاريجها ، وتعاطي الأجانب لنفس الصناعات التي كان يمارسها المغاربة .

ولم يطرأ على أساليب الانتاج تطوير ملحوظ ، فبقيت الصناعة متوارثة لا يقصد بها تصدير في حد ذاته الى الخارج ، ولم يأخذ الصناع بعين الاعتبار ما يلزم من تجديد ، ولم يكن لهم من تفتق الذهن ما يسمح لها بالازدهار . وأخذت البضائع والمنتجات الأجنبية تكتسح الأسواق بأثمان زهيدة ومدمرة معا (II) . ومما زاد الطين بلة كثرة المماطلات وانتشار الغش فأصبحت الصناعة الأهلية بأضرار فادحة .

ومن الحق أن أشير الى طرء تغيير وتجديد في الاقتصاد الأسروي عندما استوردت لأول مرة سنة 1885 آلات الخياطة المعروفة سنجير Singer فقد أصبحت ملائمة للوضع التقليدي ، وغدت تمد المرأة بمصدر جديد للرزق (I2) سريع في الانجاز وعصري في الانتاج ، استعاضت به بعض النساء أحيانا عن الخياطة البطيئة بالابرة والكبّان .

* * *

2 : « الصناعة » الأجنبية

كانت صناعة تحويل واستهلاك ، بسيطة في تجهيزها وبطيئة في حركتها لا يقصد منها تصدير على ما يعتقد .

تأسست بمختلف المدن مطاحن بخارية للدقيق ، ومناشر للخشب ، ومعامل للآجر وللتصبير ، ولصنع المشروبات والماء الغازي ، والصابون وتصفية الشموع ، ومعاصر للزيوت . ففي سنة 1885 كان عدد المطاحن البخارية بمجموع المغرب ثمانى وحدات منها 3 بطنجة : واحدة في ملك المخزن

11 . « تاريخ المغرب » لجماعة من المؤلفين ص 305

12 . جان لوي ميج : « المغرب واوروبا » ج 4 ص 345

والأخريان كانتا في ملك بودجيت ميكين : Budget Maekin ولوتشهيد ريغسي
Lochhead Revie وبينتو Pinto

وفي السنوات الموالية شيدت مطاحن أخرى : بالعرائش سنة 1885 ،
وبالرباط سنة 1886 و 1887 ، واحدة في ملك سيفيراك J. L. Sévérac
الفرنسي وأخرى لجورج فرنو G. Fernau الانجليزي .

وفي سنة 1888 أسست شركة ليرانطان Le Printemps مطحنة
بطنجة ، وفي السنة الموالية بنى دابيد أزولاي بنفس المدينة مطحنة أخرى .
وفي سنة 1890 شيدت شركة ماسنونة Masnona مطحنة كبيرة بالمدينة
يمكنها معالجة 20 قنطارا في الساعة .

وبمدينة القصر بنيت مطحنة سنة 1890 . وبالصويرة بنيت المطحنة
البخارية الثالثة بالمدينة على يد بروم Broome سنة 1892 ، وبلغ عدد
المطاحن المشيدة سنة 1894 حوالي 15 وحدة في ملك أروبيين أو يهود متجنسين
أو محميين (I3) صارت تزاحم الأرحية المائية البطيئة التي كانت مثلا بالرباط
في ملك أهل سوس .

ومما لاشك فيه أن الأرحي والطواحين كانت لاتزال موجودة بعدد
من المدن الى جانب المطاحن اليدوية بالبوادي ولم تتأثر بهاته المنافسة على
ما يبدو .

وبمراكش أسس الفرنسي لانييل Lagnel معصرة للزيت سنة 1892
ثم عدل عنها بعد سنتين .

وبفاس أسس الاخوان روبيك Robic الفرنسيون أو الفرنسيان
معملا لصنع المشروبات سنة 1894 حطمه للصوص على ما يظهر .

وبطنجة تكاثرت معامل ومؤسسات أخرى ابتداءً من 1885 . وقبل ذلك
سنة 1876 أنشأ طایلور F. Taylor معملا للماء الغازي كان يصدر جل

إنتاجه لجبل طارق . وفي سنة 1887 أنشأ سوندت Sundt وتوسان Toussaint معملا بخاريا لنشر الخشب ، سرعان ما صار في ملك جالوزو Jaluzol الفرنسي الذي بنى في السنة الموالية معملا للآجر لم يضايق به الايطالي أكيلي بيطري A. Petri . وفي سنة 1891 جهزت الشركة الاسبانية اطرانسا طلانتيكا مولداً كهربائيا صغيرا . وفي نفس السنة كذلك بنى معملان للتبغ ، يدير أحدهما صنانيص وابن الصايغ ، ويشرف على الآخر سيرويا Serruya وبيطري Petri ، ثم بنى معمل ثالث للتبغ كان في ملك خ. سيربيرا J. Cervira

ثم صارت الصويرة ثاني مدينة مغربية بعد طنجة تحتوي على صناعات صغرى : مطاحن بخارية ومعمل للماء الغازي أحدثه سنة 1886 إرفين Irvine وشركاؤه ، ومعمل للتصبير يمثله أندري André وكيسادة Quissada ومقصرة للزيت في ملك جاكطي الفرنسي ، وأخرى في ملك جوسار Jaussard باعها فيما بعد الى كازنوف Cazeneuve ليؤسس نزلا بالصويرة سنة 1895 .

وبتطوان أنشأ الاسباني بيسيستي مندوثا V. Mendoza سنة 1891 معملا لصمامات القناني يستخدم 20 عاملا .

بالدار البيضاء أنشئ بين 1890 و 1896 مصنع للصابون البلدي وآخر للماء الغازي ومنشرة خشب ميكانيكية . وبها ايضاً استوطن المنصر الانجليزي أرمور Armour لكي يصبح من صناعها .

وبالجديدة أحدث مورتيو Morteo الايطالي عدة معامل : واحد لصنع المعكرونة أو الماكارونية ومقطرة لتصفية الشموع ومنشرة للخشب .

هاته المعامل كلها لم تتطلب أموالا كثيرة ، ولا يداً عاملة متخصصة ، ولا تسمى صناعة ، وإنما كانت مضايقة للصناعة التقليدية ، وليست تكفي لقيام سياسة تصنيع (14) .

* * *

3 : القطاع المعدني

ظل هذا الميدان خارجا عن نطاق استغلال الأجانب ، لما كان المخزن يبيده من تصلب ، خصوصا أن المناجم كائنة بداخل البلاد وواقعة بنواح نائية منعزلة . وكان التنقيب عن المعادن بدأ في الثلث الأول من القرن الماضي .

عثر على الفحم بأنجرة وطنجة ، والاثمد بالريف وقرب سبتة ، والرصاص والنحاس بالجنوب وبسوس ، والحديد بجبل الحديد قرب الصويرة ، وعثر على البترول سنة 1888 بجبل سلفات . وقد باءت مساعي عدد من الشركات والأفراد بالفشل عندما طلبوا رخصة استغلال معادن الشمال والجنوب وخصوصا سوس التي كانت تزخر بالكثير منها ، بحيث أن «الدولة الأتروبية التي ستمتلك المغرب يوما ما — على حد قول أحد الخبراء الفرنسيين بيانكوني Bianconi سنة 1891 — ستجد في استغلال المناجم وحده تعويضا كافيا عن نفقات الاحتلال» (15) .

وقد حاولت شركة «شط الورد» وهو تحريف عامي لاسم شاتلوورث Shuttelworth نيل الامتياز سنة 1882 ، وعينت لذلك المهندس إيوينغ Eweing (16) .

وسعى أجانب آخرون لنيل الرخص مثل الكونط ده شافانياك الفرنسي سنة 1883 ومونطانارو من أجل التنقيب عن معادن الريف . ولما جمع القبطان الانجليزي وارن F. Warren أموالا لاستغلال منجمي نال رخصة به قبل ذلك ، منعه المخزن منه مقابل تعويض أدي له سنة 1886 ، وقدره 600 جنيه ، وكان ذلك ترضية له (17) . وكان هذا المنجم يقع بقبيلة أنجرة (18) . ولم يرفض السلطان الحسن الأول للقبطان وارن المذكور هذا الامتياز فقط

15 . نفس المصدر ص 335 (9) و « تاريخ المغرب » ص 317

16 . مبيج « المغرب واوروبا » ج 4 ص 49 (7)

17 . المصدر السابق ص 336 .

18 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 461

بل لم يخوله سنة 1885 الحق في إدخال الماء لطنجة حفاظا على حنطة القرايين (19) .

والجدير بالذكر أن وارن زار المغرب مرات عديدة ، ودخل فاس ومراكش وأقام بطنجة . وكان له اهتمام بالأشغال العمومية وبالمعادن التي كان يقوم بحملة واسعة للتعريف بخيرات المغرب الباطنية . وفوق ذلك كان من الغلاة ، إذ كان ينادي بلاده بالعدول عن جبل طارق وباحتلالها لمدينة سبتة بدلا منها (20) .

ومن الذين بحثوا عن المعادن سنة 1883 الألماني ياكوب شودت Schaudt (21) والمهندس سيلبا Silva الانجليزي في نواحي مراكش (22) . وفي غشت 1881 نقب المهندس الايطالي پيتروسيلفا Pietro Silva على المعادن .

أما المهندس البلجيكي ديگان Desguins فقد ورد على المغرب سنة 1868 للتنقيب عن المعادن والثروات الباطنية ودراسة إمكانيات صناعية (23) .

وقبل منتصف القرن التاسع عشر نقب المهندس الانجليزي ريلي Rilley بأحواز أنجرة والمهندس الفرنسي هيلينوس Helenus بأرباض تطوان عن النحاس الذي بدأ استغلاله آنذاك ، وكذلك عن الالومينا والمنغنيز . والمهندس لودفيك فيل L. Ville بحث أيضا بأحواز طنجة . وقد خلف دكاز Decazes مذكرات عن وجود ثروات واستغلالات معدنية في النواحي الممتدة من فاس الى مكناس (24) وذلك سنة 1839 .

19 . جان لوي ميج : « المغرب واوروبا » ج 4 ص 353 (1)

20 . نفس المرجع ج 1 ص 174

21 . المصدر السابق ج 4 ص 24 (4)

22 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 461

23 . بيير كيبن : « المانيا ... » ص 17 (1)

24 . ميج : « المغرب واوروبا » ج 2 ص 486 (6)

وكان مولاي عبد الرحمان يخول الأذن للمغاربة والأجانب مثل مصطفى الدكالي الذي كان يستغل بعض المناجم بأنجرة . وكان أحمد بوضربة الجزائري — الذي كان له سنة 1846 اتصال بمصالح يهودية بمرسيليا — يستغل مناجم النحاس بأحواز تطوان ، وربع من ذلك أموالا طائلة (25) .

أما السلطان الحسن الأول فكان يحترز كثيرا كما تقدم ولا يأذن للأجانب ولا لغيرهم في التنقيب فضلا عن الاستغلال . ولما عثر على معدن الأثمد بأنجرة قبل سنة 1885 رفض المساعي الأجنبية وأمر بإجراء سمسرة عمومية لاستخراجه ووضع شروطاً ، سادسها يخرج العمال من الحماية الأجنبية . وهاهي هاته البنود السبعة :

«أولا : أن يكون استخدام ذلك بالخيل أو بالبغال لا بطريق الحديد (أي بالسكة الحديدية) .

«ثانيا : أن لا يستخرج أقل من ألفين طوناً في السنة» ، والطنة هي البرميل في الاصطلاحات القديمة .

«ثالثا : أن يكون الوسق من إحدى المراسي المعلومة للوسق والوضع .

«رابعا : أن دولة السلطان لا يلزمها أداء شيء من الصائر ولا مما عسى أن يدعى به من الخطية أو غيرها . وإذا أٌحدث بذلك المحل بناء للانتفاع به ولنزول الآلات واستقرار المستخدمين ، فبعد فراغ الخدمة أو تغير المعدن يكون ذلك البناء لجانب المخزن من غير مطالبة بشيء .

«خامسا : الذي تجعل معه كنطرة ذلك يكون عليه صائر الأُمناء وجميع ما يلزم لذلك من المخازنية لحفظ الرقاب والأمتعة .

«سادسا : أن جميع رعية السلطان الذين يكونون في خدمة صاحب الكنطرة يكونون تحت حكم ولاية السلطان ولا يقع التعرض عليهم بوجه .

«سابعاً : كل من يزيد في ذلك يجعل قدراً من الدراهم على قدر ما يستطيع ، يقدمه لجانب المخزن أمانة على صدقه ، ويكون ذلك من ثمن آخر ما يوسق . . . »

وقد وجهت هاته الشروط ضمن منشور الى كافة نواب الدول بطنجة مطوياً على «ابلان . . . ليقع إشهار ذلك ، وليعلمه جميع تجار رعيتكم في داخل خمسة أشهر من تاريخه ، وعند انصرامها لا تبقى حجة لأحد . . . » (26)

ومنذ 1892 بدأ المغرب يصدر انتاجه المعدني ، طبق هاته الشروط .

26 . منشور بركاش الى ممثل فرنسا ورديغة في 20 ربيع الأول 1302/7 يناير 1885 (صورته عند اوجين فومي في « المختار من المراسلات المغربية » ، ج 1 ص 33 وترجمته الفرنسية عند ميج ج 5 ص 177 - 178 من « المغرب واوروبا »)

6 : التجارة المغربية

كانت التجارة أساساً لاتخاذ الأجانب سماسرة ووكلاء وعملاء في شتى المراسي المغربية ، وكانت أيضاً بداية لانتقاص السيادة الوطنية ، وأضحت – هي والحماية – أهم عناصر النفوذ الأجنبي . وهذا أمر كثيراً ما اشرت إليه في مواطن مختلفة .

تنقسم هاته التجارة الى تصدير واستيراد واحتكار : تصدير الانتاج الفلاحي والحيواني والصناعي ، واستيراد المواد الغذائية والاستهلاكية والصناعية ، واحتكار منتوجات استراتيجية أو خصوصية .

ولئن كان المخزن يبيع للأشخاص المعنويين والذاتيين توظيف السماسرة والعملاء ، فلم يكن يجيز ذلك إلا في التجارة الحلال ، دون التجارة المحظورة ، وذلك لاعتبارات دينية وأخلاقية وصحية وأمنية .

ومرادي في هذا الفصل أن أتناول بعض الكلام عن هاته التجارة الممنوعة (بيع الرقيق والسلاح ، وتهريب العملة وتزييفها : وتجارة الأعشاب المرقدة ، وبيع بطائق الحماية) والمباحة (تصدير الصوف وجلود المعز ، واستيراد السكر والشاي) . وسأبين حجم المبادلات الاقتصادية مع بعض الدول قبل استخلاص أولى النتائج الاجتماعية لدى التجار المغاربة والأجانب .

وقبل الحديث عن التجارة المباحة ، لابد من الالمام – ولو في شيء – من الاقتضاب – بالتجارة المحظورة .

* * *

أولاً : التجارة المحظورة

I : I : النخاسة

زعمت مصادر المنصرين أن النخاسة وما تبعها من فقدان الحرية قد شجعت نشاط المنصرين ، بدعوى أن بعض المضطهدين كانوا يلتجئون أحيانا الى مراكزهم — حسبما سيأتي في باب خاص — هربا من الاهانة والعدوان . زد على ذلك أن هذه التجارة قد ألقت في الأذهان شبهات حول الاسلام هو في الحقيقة بريء منها ، وعزت الفضل في تحرير الرقيق الى النصرانية أو الى بعض رؤساء الدول والمنظرين . وسنرى فيما بعد أن المسألة خلاف الواقع .

ومن المناسب تناول هاته القضية في شيء من الاقتضاب ، وذلك بالاتيان بنبذة تاريخية ، وتصوير حالة العبيد ، وإيراد رأي الاسلام في تحرير الرقيق ، وسوق بعض ما بذله ملوك المغرب لافتكاك أسارى الحرب ، قبل إعطاء أرقام عن بيع الرقيق في أواخر القرن الماضي .

أ : نبذة تاريخية

شهد القرن التاسع عشر حملة قوية ونبيلة في أغراضها لفك الأسار خاصة عن الزنوج الذين كانوا يقنصون كما تقنص الحيوانات ، ثم يصدرون الى الخارج للعمل في مناخ شبيه بالبيئة الافريقية حسبما هو معروف في كتب الأجانب .

«وما كان تحرير الزنوج في افريقيا هدفا لذاته ، وإنما كان وسيلة لادماجهم في بوتقة المسيحية حتى يكونوا في خدمة الانسان الغربي وأهدافه . وهل من حاجة الى إثبات أن مغامرة ولفنجستون في مجاهل افريقيا انما كانت بالذات لهذه الغاية ؟ » (I)

وكانت هاته الحملة الأوروبية من أجل إلغاء الرق تتزعمها جمعيات متنوعة للدعوة الى ذلك في جميع البلدان المعروفة ومنها المغرب ، حيث جاءت

I . ابراهيم حركات : « تحريف التاريخ : اهم مظاهره وأساليبه » ، في « دعوة

الحق » ماي 1977 ص 43

بعثة وحاولت الاتصال بالسلطان مولاي عبد الرحمان لتتترح عليه العدول عن الاسترقاق . وقد يكون مقصود البعثة بالأرقاء أولئك العلوج أو الأسارى النصراني الذين كانوا يعملون بالمغرب في القرون الماضية ، وقدموا خدمات مهمة في العمران والجيش والتعليم . لكن ليس هناك ما يدل على أنهم كانوا يسامون التنكيل ولا سيما في القرن التاسع عشر .

ولئن لم يستقبل السلطان هذا الوفد ، ورماء بالفضول (2) ، فإن الحسن الأول في وصية القرن سنة 1883/1301 كان ذا فكر تحرري دعاه إليه شدة تمسكه بالدين الاسلامي ، فأرسلها صيحة مدوية : «ومن المُنكر الذي لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره هذا الخطب الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي . . . » (3)

ب : حالة العبيد في القرن الماضي

ويستفاد من أقوال أجنب عاشوا بالمغرب خلال القرن التاسع عشر أن حال العبيد هنا لم تكن بالمقلقة ولا بالخطيرة .

ففي سنة 1886 روى جون هي عنهم أنهم كانوا «ينعمون بحالة من السعادة والرضى ، وأنهم يفضلون - ولو بعد تحريرهم - البقاء مع الأسر التي عاشوا معها» ، وأن «الأماء أقل فجورا من الفتيات بأروبا ، اللاتي يبعن أنفسهن ويسقطن الى أسفل مهاوي الرذيلة . . . » ، وأن «من يستحق اهتمام أهل الخير والعالم المتحضر هو الفلاح المغربي لا العبد . . . » (4) .

والرحالة الانجليزي ليرد قال سنة 1872 إن العبيد كانوا «يعاملون معاملة حسنة في هذه البلاد» . وهو يرى - حسب تجربته الخاصة - أنه يصعب العثور على طبقة أسعد من طبقة العبيد بالمغرب (5) . ولعل ذلك هو ما دعا

2 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 420

3 . عبد الرحمان ابن زيدان « الاتحاد » ج 2 ص 229

4 . رسالة جون هي الى اللورد روزبري في 13 ماي 1886 في كتاب روجرز : « تاريخ ... » ص 268

5 . عبد المجيد بنجلون : « جولات ... 1872 » ص 124

السلطان مولاي عبد الرحمان ، قبل ذلك ، الى عدم المبالاة بأعضاء البعثة المنادية بالغاء الاسترقاق ، لأن القضية وطنية ودينية لا دخل لأحد من الأجانب فيها . وأهل البلد يحلون مشاكلهم بمفردهم ، عن طريق العرف والاحسان تارة ، وبوازع إسلامي تارة أخرى .

ومع ذلك لا ينبغي أن نبیض وجه بعض المغاربة ، بادعاء نبذهم لاقتناء العبيد والاماء . فقد كان امتلاك الرقيق علامة من علامات الثروة والجاه ، ودليلا على حالة البيئة وأخلاقها . يزكي ذلك ما كان في الماضي من شرط «خادم لا تموت» الذي كانت بعض المخطوبات الغنيات تضعه دوما على كاهل الخاطب ، من التزامه جعل خادمة رهن إشارتها على الدوام . فان ماتت أو بيعت ، وجب عليه أن يشتري لمهـيرته أمة أخرى لكي تظل محتفظة بجمالها الذي كان البعض يتصوره اكتنازا للشحم واللحم ، ولكي تخدم «للاتـها» ومولاتها . كانت تلك الخادمة تدعى «دآدة» متى أسنّت ، وكانت تتولى أيضاً تربية الأطفال . أما إذا كانت صغيرة فكانت تقوم بأدوار شتى . وكانت من أملاك الزوجة سواء ترملت أو طلقت . فقد كان الرقيق يستبدل برقيق غيره ، كما تعوض اليوم سيارة بسيارة أفخم منها ، وعقار بعقار أجمل منه .

وليس معنى هذا كله إطلاق هذا الحكم على جميع أفراد المجتمع المغربي . فلم تكن فيه عنصرية مقبنة كتلك التي كانت معروفة في بلدان العالم . فاذا كان فيه ميز ، فهو هيئن ضعيف لاتشوبه فضائح ، ولذلك كان العبد ينعم حسب أقوال المعاصرين الأجانب — مقارنة بما كان ببلدانهم — بعيشة راضية ، وكانوا طبقة لا تسام خسفا إلا نادرا (6) . ثم ليس في تعزيز العبد الآبق ، وتأديب الأمة العاصية ما يشبه التعذيب في ذلك الوقت بالذات .

ت : الاسلام وتحرير الرقيق

كان المغاربة متدينين يبغون ثواب الله بعثق الرقاب ، إما تحللا من يمين ، أو كفارة عن ذنب ، أو وفاء بنذر ، وإما تطوعا وبراً . ولئن كان تحرير

6 . عن حالة الرقيق بفاس في بداية القرن العشرين ينظر كتاب الأخوين جيروم وجان طهارو : « فاس او بوجوازبو الاسلام » ، من ص 25 الى 43 ، ففيه اشارات مفيدة في هذا الباب .

الأمة أم الولد يأتي تلقائياً ، فإن المكاتب كانت إجراءً استثنائياً وشرعياً ، ولكنها كانت ملزمة للسيد : «والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيما نكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم» ، حسبما جاء في الآية 33 من سورة النور .

والمكاتب حسب قواعد الشريعة الإسلامية هي «منح الحرية للرقيق متى طلبها ، مقابل مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق . والعق هنا إجباري لا يملك السيد رفضه ولا تأجيله بعد أداء المبلغ المتفق عليه ، والا تدخلت الدولة (القاضي أو الحاكم) لتنفيذ العتق بالقوة .

«ومثل ذلك حدث في أوروبا في القرن الرابع عشر - أي بعد تقرير الإسلام له بسبعة قرون - مع فارق كبير لم يوجد في غير الإسلام ، وهو كفالة الدولة للارقاء المكاتبين . . . » (7) . بل إن الدولة كانت تعين المكاتب بمال الأمة : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب» (التوبة ، الآية 60) .

ث : سلاطين المغرب وتحرير الأسارى

افتكاك أسارى الحرب والقرصنة كانت تعقد له سفارات بين سلاطين المغرب وملوك أوروبا ، ولم يكن منع الاسترقاق صادقا على هذا النوع من الناس ، لأن تحريرهم من جانب واحد كان لا يلزم الجانب الآخر بسلوك نفس السبيل . ومما يكتب بمداد الفخر لملوك المغرب ولاسيما السلطان سيدي محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر ويسجل في صحيفتهم ، تلکم الأموال الضخمة التي بذلت بسخاء في القرون الماضية لانقاذ الأسارى المسلمين كائنة ما كانت جنسيتهم لأنهم من الأمة الإسلامية (8) ، حتى «ذكر المؤرخون

7 . محمد قطب : «شبهات حول الإسلام» ص 45

8 . ينظر «الاتحاف» لابن زيدان ج 3 ص 266 عن تلك السفارات التي أوفدها محمد الثالث إلى إسبانيا ومالطة والسويد وفرنسا و نابولي لافتداء الأسارى

أن عدد من افتدي منهم بلغ خمسين ألفاً . . . كان فيهم من أهل الجزائر وتونس وطرابلس ومصر عدد كبير . . . » (9) .

على أن الاسلام أباح للسيد أن تكون عنده عدد من الجواري من سبي الحرب . . . ويخرج من دائرة الاسلام كل ما كان يأتي عن طريق الاختطاف من بلاد إسلامية ، ويباع ويشترى في أسواق النخاسة (10) .

وأحمد الناصري شاهد تجار الرقيق فقال عن «الذين يجلبونهم أو يتجرون فيهم إنما هم ممن لا خلاق لهم ولا دين» (11) ، وذلك في معرض الحديث عن فتح السعديين للسودان وبيع المسلم لأخيه المسلم .

كانت النخاسة في القرون الماضية تعتمد على الغصب والاختطافات التي من الحق أن يقال إنها كانت بالفعل موجودة . وكم من أطفال وبنات خطفوا من ديارهم بشرق المغرب وجنوبه ، ولا يزال البعض منهم على قيد الحياة !

ج : النخاسة بالأرقام

تولى هاته «التجارة» المقيمة طائفة من أعيان سوس والساقية الحمراء ووادي الذهب . وكانت تربطهم صلات بأوساط أجنبية ومغربية ، يربحون من البيع أموالا ، ويصدرون الرقيق أو يبيعونه في الأسواق .

فلننظر الآن الى النخاسة ببعض الأرقام وفي مختلف المدن في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر .

فبين سنتي 1861 و 1865 كان تصدير الرقيق الى الخارج يساوي 20 ٪ من تجارة الصويرة مثلا ، وذلك ما يعادل مليونا ونصفا من الفرنكات .

9 . عبد الوهاب ابن منصور : « الحض على طلب العلم وتبليغه » ص 295 من « الدروس الحسنية » المجلد الثاني ، وكذلك العباس ابن ابراهيم : « الأعلام » ج 6 ص 129 .

10 . محمد قطب : « شبهات حول الاسلام » ص 60

11 . « الاستقصا » ج 5 ص 132 و 133

فبالمدن الشاطئية بيع سنة 1883 — التي هي سنة وصية القرن كما تقدم — لخدمة الأسر الموسرة أعداد كثيرة بشتى المراسي والمدن . وقد أحصاها قناصل الدول ولاسيما إنجلترا كما يلي :

تطوان :	20 رقبة
طنجة :	40 »
العرائش :	10 — 12 »
القصر الكبير :	100 »
الرباط :	600 — 800 »
الدار البيضاء :	100 — 120 »
الجديدة :	250 — 300 »
آسفي :	200 — 3000 » (هكذا في المصادر)
الصويرة :	40 — 60 »

وبالمدن الداخلية حيث لم يكن قناصل ، لم يرد إحصاء . الا أن مراكش كانت محتشد هاته «البضاعة» لقربها من السودان وموريطانيا نسبيا . وعن فاس ذكرت المنصرة إيما هيردمان أن سوق النخاسة كان فارغا سنة 1888 لتفوق الطلب على العرض (12) . ونلاحظ أن السنة كانت سنة رخاء وخيرات ، وأن المنصرين كانوا يقومون بدور القناصل وأشباههم في اشتتام الأخبار .

أما أثمان البيع ، فكانت تختلف باختلاف الظروف والجنس والسن : فللأطفال ما بين 100 و 300 فرنك ، وللرجال ما بين 125 و 600 فرنك ، وللنساء ما بين 300 و 750 فرنكا ، بل كانت الأسعار تنزل بين 1876 و 1888 الى 40 فرنكا . وفي بداية القرن العشرين تغيرت الأثمان ، فكان ثمن العبد يتراوح بين 50 و 500 فرنك ، و ثمن الاماء الشابات بين 500 و 2500 وذلك سنة 1904 بفاس (13) .

12 . جان لوي مبيج « المغرب واوروبا » ج 3 ص 364 (1)

13 . روجي له طورنو : « الحياة ... » ص 34 ، وجان لوي مبيج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 365

وتروي المصادر أن الأمناء كانوا يتقاضون صاكة 5% من ثمن الرقيق (I4) وأن المخزن كان يتعقب النخاسين ويشدد النكير على التجار الأجانب حسبما ورد ذلك في الوثائق المغربية ، ولو ان هاته التجارة ظلت قائمة الذات .

* * *

I . 2 : السلاح

احتكر المخزن استيراده وبيعه لأسباب أمنية وسياسية وعسكرية ، ولذلك منع تداوله في الأسواق بين الأشخاص والجماعات ، ومثل ذلك ملح البارود والكبريت والمتفجرات .

ومع تحريم هاته التجارة الحربية نظريا ، فقد كان لبعض الأجانب من تفتق الحيلة ما يبطلون به هذا المنع ، وذلك عندما يتعاقدون مع الحكومة على استيراده لمصلحة الجيش . فكانوا في بعض الأحيان - وخصوصا في أواخر عهد الحسن الأول - يقترحون عتادا وأسلحة بثمن رخيص ، فتوضع معهم عقدة على المعروف في ذلك . وعند ما تصل الشحنات الى المراسي ، يطالبون بثمن أعلى من الثمن المقترح ، مدعين - أحيانا ، وحسب خطة قد تكون مبيتة - أنهم أخطأوا في تقدير الثمن ، أو أن الأسعار قد ارتفعت أثناء ذلك في مكان الانتاج .

وحيث أن يكون المخزن بين نارين : إما أخذه بالثمن المطلوب ، وإما فسخ العقدة . فاذا كان الفسخ هو الذي تقرر ، فإن تجار الحرب يبيعونه تارة في عين المكان (I5) سرا ، بل جهارا تارة أخرى ودون حياء ، مثلما يباع السكر والشاي والشمع بالأسواق حسبما سيرد .

ومن الذين تخصصوا في هاته التجارة ، «القائد» ماك لين الحراب الانجليزي وبعض أعضاء أسرته . فقد قام هو وأخوه آلن سنة 1894 بهذا النوع من المناورة والتدليس . وكان لدهما من الاهتمام ببيع السلاح والاستغناء

I4 . المصدر الأخير ايضا

I5 . المصدر السابق ج 4 ص 106 (4)

السريع أكثر مما لهما من العناية بتدريب الجيش . ولقد اغتاز الحسن الأول عند ما وجد بقبيلة بني مطير عددا وفيرا من مكاحل ونتشيستر Winchester التي كان الأخوان يبيعانها آنذاك (I6) .

* * *

I . 3 : تهريب العملة وتزييفها

كان الأجانب يهربون العملة المغربية الذهبية والفضية ويضربون سكة نحاسية مزيفة ويستوردون عملة أجنبية لا سند لها ، حسبما ورد الكلام عنه في فصل سابق .

* * *

I . 4 : بيع الخمر

كثيرة هي الرسائل المخزنية التي تستنكر على الأجانب بيعهم الخمر للمسلمين في الحانات والمقاهي والحوانيت ، واستيرادهم لها ، وكاد يتخصص في هاته التجارة المستوطنون البرتغاليون والاسبانيون (I7) .

كان لهؤلاء على وجه التعيين 57 مقهى بطنجة وحدها سنة 1884 ، منها 34 بالمدينة و 23 خارجها . وكان الاسبانيون يمتهنون هاته الحرفة كما كانوا «مزيفين للعملة ومهربين وأصحاب حانات يديرونها دون رقابة ولا تحديد . وكانت طنجة سنة 1876 - حسب وثائق وزارة الخارجية الاسبانية - نوعا من الأرض الموعودة للفقراء والمضطهدين» (I8) الذين كانوا يريدون بذلك جعلها مستعمرة كجزر الخالدات وغيرها .

أما اليهود المغاربة فكانوا يتاجرون في الخمر على استحياء أو خوف ، بملاحهم وغير ملاحهم الذي كان منتدى لعصاة المسلمين المدمنين على شرب «ماحيا» خاصة ، مما كان سببا في تدمير الأوساط الورعة منهم ونقل مساكنهم من حي الى حي (سلا في بداية القرن التاسع عشر مثلا) .

I6 . المصدر السابق (6)

I7 . مجلة « الوثائق » ج 4 رسائل مختلفة

I8 . مبيج « المغرب واوروبا » ج 3 ص 261

وأغلب الظن أن منهم من عدلوا عن بيع المسكرات جهارا ، وانصرفوا الى نشاط آخر لم يحدث ضجة غير ضجة الاحتماء بالدخيل والمجاهرة بالولاء للدول الخارجية حسبما تردد صداه في الرسائل المغربية والمصادر الأجنبية .

* * *

I . 5 . : باقي التجارات المحظورة

أ . كانت تجارة الكيف والتبغ محتكرة ، وكان المخزن يبيع امتياز «الطريقة» أو تابعة لبعض التجار . وكان السلطان يأمر في بعض السنوات باحراق هاته الأعشاب المرقدة تلبية لفتوى علماء فاس .

على أنه ليس لدينا توضيحات عن قيمة هاته البضاعة من الوجهة النقدية وحجمها وأماكن زراعتها ، ولو أن المظنون أن مناطق استغلالها كانت بالريف وسوس .

ب . كان الربا أو «الطئالغ» محظورا شرعا ووضعنا ، حرمة النصرانية والاسلام : «أحل الله البيع وحرم الربا» ، لكن الديانة الموسوية حللته . وقد تراوحت نسبة فائدة الاقراض به بين 50 و 60 في المئة أحيانا في الزمن العادي ، وطفرت الى 200 في المئة في أوقات الحرج والشدة (I9) . وقد تخصص

I9 . المصدر السابق ص 450 . وعن ممارسة الربا ، يحكي روجي طورنو في كتابه « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 » ص 147 — 149 قصة طريفة لا يجوز القياس عليها اطلاقا ، عاشها ميشو بيلير بهاته المدينة سنة 1896 .

وصورتها باختصار ان هذا الأخير زار احد تجار فاس بفندقه ، فوجده منهمكا في عد نقوده ، ولما انتهى منها ، جعلها في خزنة انجليزية ، واقبل على الزائر مرحبا ، وما هي الا برهة وجيزة ، حتى وقف بالباب تاجر آخر من معارف الزائر ، سائلا ان يقرضه قدرا من المال لبضعة اشهر ، مقابل رهنة دارا قريبة من فندق التاجر . فأقسم له هذا الأخير بأغلظ الأيمان انه لا يملك ساعته المال المطلوب . وكلما الحف الطالب في السؤال حلف له صاحب المتجر باليمين الغموس ،

واخيرا اهتديا الى حل ، فقال له : « ليس عندي مال ولكني اقترضك سكرا تبيعه فيما بعد ، وبثمنه تقضي حاجتك » . فأجابه : « سكر ؟ اقبله » . وصار الرجلان يحسبان كم يستغرق المقدار المالي من خناشي السكر . وبينما كان العدل منه يساوي 37 بسيطة

فيه طائفة من المحميين ومن غير المحميين المغاربة من مسلمين ويهود وجماعة من التجار كالتارقيين .

ث . **بيع بطائق الحماية والخلطة** : سرى هذا النوع من المعاملات المذمومة بين المغاربة والأجانب . ومن الصعب تحديد أعداد المحميين والسماصرة أو بيان أسعار هاته «التجارة» . وهذا الصنف — والذي قبله كما تقدم — كان محور الخلافات والشنثان والمؤامرات والدسائس والمؤتمرات واللقاءات والسفارات التي تمت في هذا العهد ، والحديث سيأتي مستفيضا عنه من خلال هذا التأليف . وكان السلاطين يعاقبون العدول والولاة والأمناء والقضاة إذا ما شهدوا لأحد بالربا أو بالحماية والخلطة أو مالوا الى التساهل . وبقي الأمر كذلك حتى أواخر العهد الحسني .

* * *

وهكذا وبالجملية كانت هاته التجارة بأنواعها مما يستقبحه الاسلام ويرى فيها استغلالا مقيتا ، وإنها كالاقتصاديا أو صحيا ، وحطا من قيمة الشخص كإنسان صالح عامل . وكان المخزن (في ظواهره وضوابطه) يندد به ، ويدعو المسلمين الى اتباع ما جاء في القرآن والحديث . أما الاسترقاق فلا داعي لمزيد

حسنية ، فقد عده له بـ 70 بسيطة ليؤدي القرض بعد ثلاثة اشهر ، بمعنى ان الفائدة كانت 400 في المائة .

وبعد ان اشهد التاجر على القرض امام عدلين ، وحاز رسم الرهن ، سلم له بطاقة ليأخذ السلعة من عند شخص معين . وبعد ان انصرف الطالب ، نادى التاجر خادمه وقال له ان سكرا سيباع بالفندق الفلاني ، وعليه ان يشتريه له بشرط ان لا يتجاوز 32ر5 بسيطة لكل عدل ثم يوجهه للشخص المعين اعلاه .

وانصرمت سنة ، فعاد ميشو بيلير الى فاس ، فوجد ان دار المقرض قد صارت فندقا للمقرض فقال له : « كنت في ضيق في الفندق الآخر . وقد ألح علي صديقي ان اشتري منه هاته الدار ، ففعلت ارضاءا لخاطره . ولا بد من تبادل المساعدة بين الأصدقاء والمسلمين » .

وعلق بيلير على هذا الكلام : « لكن نسي صديقي الكريم ان يقول لي ان الدار التي كانت تساوي نحو 20 ألف فرنك ، قد حازها بنحو مائة عدل من السكر ، اي 50000 فرنك » . ذلك ان المقرض لما لم يف بالأداء ، امهله المقرض مرة ثانية ، وبعدها استولى على الدار وصيرها فندقا لسلعته .

الكلام عنه ، لأنه أخذ يضمحل في أواخر القرن ولا سيما عند ما انهارت التجارة مع تمبوكتو والسودان باستيلاء الفرنسيين عليهما ، وحينما تعاظمت في العالم موجات الاستهجان .

* * *

ثانياً : التجارة المباحة

أبرم المغرب معاهدات تجارية مع عدد من الدول مثل إنجلترا (1855) وإسبانيا (1861) والمانيا (1890) وفرنسا (1892) . وقد حددت تلك الاتفاقيات المواد المصدرة من المغرب والمستوردة اليه ، وبينت نوعها ومقدار الرسوم المستخلصة عنها ، كما أنبأت عن المواد والبضائع المحتكرة . وإلقاء نظرة على التشريع الجمركي المغربي قد يكفي للالمام بذلك .

كان إمضاء تلك الاتفاقيات سببا مباشرا في فتح القنصليات بالمراسي والشغور ، للعناية بشؤون التجارة والتجار الذين اتخذوا سماسرة وخطاء . أما القناصل فقد استخدموا مغاربة أسبغوا عليهم حماية بلادهم ونزعوا عنهم سلطة القضاءين الاداري والشرعي ، خشية طغيان العمال والقواد عليهم ، وهو أمر صحيح الى حد ما .

تنقسم التجارة الى تصدير واستيراد واحتكار : فأما الاحتكار فقد تقدم الحديث عنه . وأما التصدير والاستيراد فكانا تارة مزدهرين نسبيا ، وتارة راكدين ، يتخبطان في مشاكل خارجية وداخلية :

أزمات سنوات 1856 حتى 1859 أدت الى نقص في التصدير بنسبة 106% وفي الاستيراد بنسبة 80% .

وأزمات سنوات 1874 الى 1884 أفضت الى نقص 45% في التصدير ، وآخر في الاستيراد قدره 28% .

وابتداء من سنة 1878 بدأت حصيلة التصدير من الاستيراد تتقلص ، حتى صارت صفرا سنة 1892 .

وكان من شأن فرض رسم جمركي ضعيف ، وانخفاض أثمان البضائع الأجنبية ، وهبوط تكاليف نقلها الى المغرب ، تشجيع الاستيراد وعرقلة ازدهار التجارة الخارجية المغربية في التصدير ، فأصبح المغرب — تبعا لذلك — مصدرا للمواد الأولية وسوقا للبضائع الأجنبية (20) ، وصار اقتصاده مكملًا لغيره .

أما الموانئ فقد ضعف شأن بعضها ، وازدهر شأو مراسٍ أخرى على حساب غيرها : تقلص نشاط ميناء الرباط وتطوان والعرائش بتقدم النقل البحري ، فورثت طنجة دور تطوان ، وحلت الدار البيضاء محل الرباط ، بعد أن كانت المدينة الأولى ، في وقت ما من النصف الأول من القرن التاسع عشر ، جزءا من إيالة الثانية ، بل صارت الدار البيضاء تخلف كلا من الجديدة والصويرة وطنجة ، وأكثر من ذلك تبوأ مكان جبل طارق في خزن البضائع ضمن التجارة الدولية . وبعد أن كانت مساهمتها في التجارة المغربية الخارجية تبلغ 5% سنة 1844 صارت سنة 1890 تستقطب نحو 25% منها (21) .

* * *

2 . I : المواد المصدرة

مجملها مواد فلاحية وحيوانية وإنتاج صناعي أهلي . ومن الممل والعسير الاتيان بها كلها ، بأثمانها وأحجامها ، وذكر البلدان التي كانت تستوردها خلال هاته الفترة . ولكننا سنشير الى ذلك في شيء من الإيجاز .

فالى أوروبا صدرت المواد الفلاحية كالحبوب والقطاني ، والى هامبورغ وسبته وجبل طارق ووهران والمراكب الأمريكية صدرت الشيران التي بلغت في بعض السنوات 6.000 رأس لكل واحدة من الجهات المعنية ، وإليها والى غيرها أُرسلت الأصواف وجلود المعز والعجول وريش النعام (من الجنوب) والصمغ واللوز والقطن والعظام والعلق ولحاء الشجر والأخشاب وبعض الأعشاب والشمع الخام (22) وما الى ذلك .

20 . « تاريخ المغرب » ص 306

21 . نفس المصدر ص 308

22 . يراجع ركن التشريع الجمركي اعلاه ص 224 وما بعدها

ومن البضائع المصدرة كذلك المصنوعات الأهلية كالمطروقات والزراعي وماء الورد المقطر والمصنوعات الجلدية كالأحذية .

وكان بعض هاته البضائع يمنع تارة للغلاء وما يتبعه من فاقة تدعو الى الاحتجاج ، أو لضعف الانتاج تارة أخرى ، حتى كان السلطان يستشير الفقهاء والأئمة والتجار في الإباحة والمنع ، لأن المعاملة مع الكفار كانت بمثابة إعانة لهم على المسلمين مثلما ذكر صاحب «الاستقصا» . وكان ذلك مصدر بعض الهلع الذي كان يصيب تجار أوروبا المستوردين والمصدرين .

ولم تسر هاته المصدرات على وتيرة واحدة ، فتارة يضعف حجمها ويقل الربح المأمول منها داخليا ، وتارة أخرى تزداد كميتها وتتضاعف منها العائدات .

ولابد في الختام من ذكر مادتين كانتا تصدران وهما الصوف والجلود ، وذلك لاعطاء نظرة جزئية ، لتقييم هاته الحالة .

2 . I . I : تصدير الصوف (من 1857 الى 1890)

كانت الصوف توسق من كافة الموانئ ، من طنجة حتى الصويرة . وأمام ازدهار الأرقام ، اكتفي بذكر النسب المئوية لبعض هاته المراسي في التصدير العام : أقل نسبة كانت للصويرة 7% سنة 1857 و 5% سنة 1883 ثم 7% أيضا سنة 1888 .

وأعلاها في ذلك كانت لميناء الدار البيضاء : 25% سنة 1857 و 28% سنة 1861 و 40% سنة 1866 و 44% سنة 1868 و 32% سنة 1870 و 50% سنة 1872 و 80% سنة 1880 و 46% سنة 1882 و 65% سنة 1886 و 66% سنة 1888 وايضا سنة 1894 و 38% سنة 1896 (23) .

أما من حيث مجمل التصدير ، فقد سقطت مبالغ أثمان الأوصاف الموسوقة من 3500 ملايين فرنك سنة 1876 الى مليون و 200 ألف سنة 1881 ،

لانهيار الأسعار نظرا لمزاحمة صوف أستراليا . ولكن المقادير ارتفعت سنة 1890 الى 3700 ملايين (24) .

2 . 1 . 2 : تصدير الجلود

وأخص بها فقط جلود المعز ، دون جلود البقر التي كانت توسق بكميات طفيفة ، مكتفيا بمثال عن تجارة جلود المعز بين المغرب ومرسيليا . فبينما كانت نسبة المغرب في بيع الجلود بهاته المدينة الفرنسية 56ر10% سنوات 1871 حتى 1873 (مجموع ما بيع بمرسيليا كان 55.437 بالة ، حظ المغرب منها 31.132 فقط) ، إذا بتلك النسبة تنزل الى 45ر30% من سنة 1874 الى سنة 1876 ، ثم تزداد تدهورا سنة 1885 الى أن تصل الى 36ر10% فحسب (25) .

وكانت لا تصدر الى أوروبا وحدها ولكن الى الولايات المتحدة أيضا بعد سنة 1880 على الأخص .

* * *

2 . 2 : المواد المستوردة

هي بالأخص — زيادة على السلاح المحتكر — السكر والشاي والبن والمنسوجات الصوفية والقطنية والحريرية وشموع الانارة والغاز والملابس كان الشاي سنة 1890 ثالث بضاعة مجلوبة من الخارج تساوي مليونين من الفرنكات أو 5% من مجموع الاستيراد (26) .

وكان السكر يمثل في تلك السنة أيضا 20% من الاستيراد أو 8 ملايين من الفرنك . ولكنه صار سنة 1894 يساوي 25% من السلع المجلوبة . وكان

24 . المصدر السابق ج 4 ص 264

25 . المصدر السابق 399

26 . المصدر السابق ص 387

وسيلة لبيع غيره من المواد عند البقالة . وإذا كان سكر مرسيلية هو الغالب على غيره (27) ، فقد كان سكر بلجيكا يباع في قوالب مختلفة تزن ما بين 250 و 300 كلغ و 10 كيلوات (28) . وبعد فتح قناة السويس ، صار السكر والشاي يغزوان المغرب بأثمان رخيصة سنة 1873 . وكان الشاي يستورد من صنفين : صنف جيد للاستهلاك بالشمال والوسط ، ونوع هيستون Ilyston المتوسط («الصويري»؟) وهو أخضر بالجنوب . ولما كانا مادتين شعبيتين ، استحسنتم إعطاء أمثلة عن تجارتهما التي تضاعفت من 10% سنة 1830 الى 33% من مجموع المستوردات في آخر القرن (29) .

2 . 2 . 1 : استيراد السكر (1871 - 1877)

1871 :	1.895.144 كيلو	= 1.980.720 بالفرنك
1872 :	2.331.669 «	= 2.463.375 «
1873 :	2.400.189 «	= 2.421.442 «
1874 :	2.692.958 «	= 2.753.074 «
1875 :	3.112.008 «	= 2.979.496 «
1876 :	2.458.088 «	= 2.764.540 «
1877 :	3.273.702 «	= 3.490.779 «

2 . 2 . 2 : استيراد الشاي (1870 - 1877)

1870 :	644.525 (بالفرنك)	= 3.437 (بالصندوق)
1871 :	708.700 «	
1872 :	940.275 «	= 3.779 (بالصندوق)

27 . المصدر السابق ص 389

28 . المصدر السابق ج 5 ص 139

29 . « تاريخ المغرب » ص 306

4.820 =	«	744.430	: 1873
	«	755.600	: 1874
(بالصندوق) 4.629 =	«	1.060.000	: 1875
5.802 =	«	1.084.463	: 1876
(30) « 5.571 =	«	844.650	: 1877

ومع أن السكر كان لا يساوي إلا نحو فرنك للكيلو ، فقد كانت هناك مواد أخرى تستورد وتكلف الخزينة غاليا . كانت تجارة المنسوجات الخارجية تمثل 50% من مجموع الاستيراد ، وانتشر لبس المنسوجات القطنية المصنوعة بمدينة منشيسطر في المدن والقرى على السواء . وانتقلت الشموع الألمانية والانجليزية والفرنسية من الحاضرة الى البادية بأثمان زهيدة حتى تضاعف استجلابها 3 مرات من سنة 1870 الى 1890 . وفي نهاية العهد الحسني قُدِّر ما استورد منها بمليون ونصف من الكيلوات . واستورد من البترول ما قيمته 35.000 فرنك سنة 1870 وأكثر من 100 ألف فرنك سنة 1885 ، حتى كاد المغاربة أن يستغنوا عن الشموع سنة 1892 . وفي سنة 1895 جلب من الغاز 800 ألف لتر واستعملت الكهرباء سنة 1902 . كما استقدمت السكاكين الثمينة وأدوات البناء ، من أسمنت وجبس وقناطر حديد (31) .

نجم عن الزيادة في الاستهلاك ضعف في الادخار وخصاص في الميزان التجاري ، في الوقت الذي عرفت فيه المصدرات المغربية منافسة كبرى في الأسواق وانهاراً شديداً في الأثمان . وليس للمغرب آنذاك إلا تكبد عجز في العملة ، وخصوصاً بعد سنة 1891 ، بلغ قدره 20 مليوناً من الفرنكات .

كان لهذا الخلل التجاري ، الذي هو غلبة الاستيراد على التصدير ، عواقب وخيمة لا على الموازنة وحدها ، بل على قيمة صرف الريال . وأوخم

30 . جان لوي ميبج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 247 و 249

31 . المصدر السابق ج 4 ص 391 .

النتائج تكبدها الادخار النقدي وتكوين رأس المال الثابت لما أخذت العملة الصالحة في النزيف .

* * *

ثالثاً : حجم المبادلات التجارية

محاولة الحديث عن حجم المبادلات التجارية بين المغرب والدول الأجنبية لن تفيد كثيراً . الأرقام مبعثرة وجزئية تختلف من مصدر لمصدر ، بين مرسى ومرسى ، ومن سنة الى سنة ، وبين نوع ونوع ، وبين وسق وجلب . والكلام عن كل ذلك ، وبالأخص من مصدر مغربي صرف - هذا إن كان لا يزال مصونا من العبث - سيكون ضرباً من الاطناب الممل .

وكل ما أريد قوله هنا هو أن الدول الأجنبية على لسان نوابها كانت تطالب بعقد معاهدات تجارية وتخفيض الرسوم الجمركية ونهج سياسة متحررة في الميدان التجاري .

ومع ذلك لا أرى بآسا من النظر الى مرسى الصويرة وحركته التجارية ، خلال فترة محددة لضرب أمثلة صغيرة بهاته المدينة :

بلغت التجارة الانجليزية بالصويرة 15 مليوناً من الفرنكات سنة 1865 ثم سقطت الى 5 ملايين سنة 1894 .

تجارة بلجيكا وصلت سنة 1868 الى 400 ألف فرنك ثم تردت الى الصفر سنتي 1872 و 1873 بها أيضا .

البرتغال لم يتعد حجم المبادلات معه 240 ألف فرنك سنة 1874 .

ومع فرنسا بهذا الثغر الجنوبي كانت قيمة التجارة الفرنسية تبلغ أكثر من 6 ملايين فرنك سنة 1871 ، فسقطت سنة 1884 الى مليون و 800 ألف فرنك وتقلصت تجارة ريش النعام وتصديره من هاته المدينة لما احتلت فرنسا مالي سنة 1894 . كانت تبلغ 200 مليون سنة 1863 ثم انحدرت الى 280 ألفاً سنة

1883 ، فالى 85 ألفا سنة 1893 ، حتى صارت صفرا سنة 1895 . وهكذا كله عن الصويرة.

أما مجموع تجارة المغرب مع فرنسا ، فقد كان لا يتعدى سنة 1890 قبل توقيع معاهدة 1892 المؤشّر 7 ، الذي ارتفع بفضلها الى 20 ، ثم رجع هذا الرقم متدهورا الى المؤشّر الأول 7 .

وعن إسبانيا ظلت التجارة راكدة سنة 1851 ، اذ لم تتعد آنذاك 540 ألفاً ثم نزلت نزولا فظيحا ، بالرغم من أنها عقدت مع المغرب في تلك السنة معاهدة كانت «عظيمة في الظاهر هزيلة في الباطن» (32) .

ومن حيث الحركة العامة للملاحة التجارية الأجنبية بالمراسي ، فبعد أن كانت لا تتعدى المؤشّر 300 سنة 1875 ، قفزت الى 450 سنة 1885 ، والى 600 سنة 1886 ، ونزلت الى 500 سنة 1887 ، ثم صعدت الى 750 سنة 1889 ، والى 850 سنة 1890 ، ثم الى 1000 سنة 1891 ، وانتهت الى 1300 سنة 1894 ، وتردّت في السنة الموالية الى 850 ، وبلغت سنة 1904 المؤشّر 1500 الذي كان هو القمة (33) . وتدل هاته المؤشرات على قوة غزو المغرب بالبضائع ، وشدة إنهاكه اقتصادياً .

على أنه لم يرد تفصيل مستفيض عن دخول المراكب الى الشغور المغربية ، حسب الجنسيات وعبر السنوات ، سوى أنه في سنة 1873 وصل الى هاته المراسي 837 مركبا ، منها 484 لانجلترا ، و 131 لفرنسا ، و 89 لاسبانيا و 68 للبرتغال ، و 50 للدانمارك ، و 15 لألمانيا (34) .

32 . « تاريخ المغرب » ص 306 وجان لوي مبيج : « المغرب واوروبا » ج 5 ص 275 وما بعدها . والاستشهاد هنا عن المعاهدة مأخوذ من « تاريخ تطوان » ج 5 ص 313 لمحمد داود .

33 . جان لوي مبيج : « المغرب واوروبا » ج 5 ص 288

34 . بيير كيين : « ألمانيا والمغرب من 1870 الى 1905 » ص 25 (4)

هذا بعض ما جاء في المصادر الأجنبية . وغير ذلك كثير في المؤسسات وغرف التجارة في الخارج .

أما حركة الموانئ وأشغالها من استيراد وتصدير من الوجهة المخزنية ، فلا تزال تقاييد الأمان وتقاريرهم وحساباتهم ومنفشطوات السفن زاخرة بأرقام وأعلام ، لم يكتب لها إلى الآن دراسة ولا تمحيص . وطرف من ذلك موجود بوثائق أنسر ، كأسرة الحاج محمد بن المدني بنيس وآل التازي ممن كانت تصلهم البيانات الدقيقة ، بعضها محفوظ بمديرية الوثائق الملكية .

وعلى الجملة ، ارتفعت المبادلات الاقتصادية بنسبة 40% في العهد الحسني ، على الرغم من انخفاض الأثمان عموماً :

— معدل سنوات 1873 — 76 كان 56 مليونا من الفرنكات

— « 1890 — 94 كان 78 « « (35) .

* * *

رابعاً : الانعكاسات الاجتماعية والسياسية

هاته التجارة كانت لها ملابسات مختلفة ، لدى المغاربة والأجانب على السواء : منها ارتقاء طبقات جديدة إلى الثروة ، وإفقار طبقات أخرى ، بل إفلاس بعض التجار . وأعظم من ذلك انتحار عدد منهم . وقد انعكست مضاعفاتها على المجتمع المغربي الذي أخذت تتقوض أركانه ، وعلى بيت المال الذي كان ينضب معينه ، وعلى السكان الذين بدأت أحوالهم في التغير ، أجانب كانوا أو مغاربة .

* * *

4 . I : على المغاربة

كان هؤلاء التجار المثرون «أهم المسلمين المحميين من لدن الدول الأوروبية ، وهم الذين قبلوا ، بصدر رحب ، معاهدة الحماية الفرنسية للمغرب

35 . جان لوي مبيج : « الحسن الأول » في سلسلة « الأفارقة » ج 3 ص 244

التي كانوا يتوقعون حدوثها الى حد ما . وكان كل شيء في القرن التاسع عشر مفيدا لهم : انخفاض الانتاج ، والتدخل الأروبي ، والآزمات المالية ، وانهيار العملة ، والمجاعات ، والاصلاحات العسكرية والجبائية ، والتنظيم الإداري» (36) .

ومن الذين تولوا التجارة في الداخل أولا أهل فاس وأهل سوس . الأولون كادوا يتخصصون في بيع المنسوجات الأروبية التي كانت تمثل أحيانا 50% من الاستيراد ، والآخرون برزوا في تجارة المواد الغذائية من سكر وشاي وبن وشموع . وكانت هاتان الفئتان من الذين هاجروا الى الخارج بعد اليهود المغاربة بقليل ، أو وجهوا إليه أولادهم كما سلف ذكره ، ولا سيما عند ما كانت المعاملات مُربحة ، والتجارة المغربية ناهضة ، ووصل الحال بهم الى الاحتماء واضطروا الى التجنس أحيانا ، حفظا لأموالهم وأنفسهم (37) كما تقدم ، أو صيانة للملكية الفردية حسبما سيأتي .

وكان منهم من ظل بالمغرب تحت الحماية ، يتعاطى الربا الفاحش والمضاربات العقارية والوكالة والسمسرة للأجانب ، وينادي بربط مزيد من الاتصال بالخارج ، لمزيد من الربح في تصدير القطني مثلا ، ونشأ خلاف بين سكان الثغور (كالرباط والدار البيضاء) وأهل الداخل (كفاس ومراكش) ، حول توسيع نطاق هاته التجارة أو تقليص ظلها ، وعرض السلطان الحسن الأول ذلك على استفتاء العلماء ، كما رأينا ذلك من قبل . ولم يسلم التجار والوكلاء من الافلاس حسبما سيرد .

وقد صدرت مؤخرا دراسات مفيدة (38) عن علاقة بعض المغاربة بالتجارة الخارجية في القرنين الحالي والماضي ، الذي مثل تحولا تاريخيا حاسما

36 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 104 و 107

37 . « تاريخ المغرب » ص 311

38 . ادريس بنعلي : مثال الانتقال ... » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد الثامن (1980) ابتداء من ص 97

أدى الى تفكك أوصال الجماعات القبلية والقروية تفككا بطيئاً ، لكنه كان متواصلاً بتسرب الاقتصاد النقدي والتجاري .

وهناك أسباب ثلاثة تدعو الى هذا التأكيد :

1 . بدأ العصر بتحولات عميقة .

2 . وامتازت الحقبة باحلال دورة مكان دورة ، من خلال تحطيم الهياكل الاقتصادية الموجودة أو تعويضها بغيرها .

3 . وكان عصر انفتاح المغرب على التجارة الأوربية وإدماجه في نطاق توزيع العمل دولياً .

ذلك أن القرن التاسع عشر المغربي امتاز بأزمة مُعَمَّمة ، هزت أركان المجتمع ، ودمرت الطبقات في قاعدتها الاجتماعية ، وجرّت الى أزمة في السلطة السياسية . كان المخزن طوال هذا القرن بحاجة الى الخروج من المأزق . فهو — من جهة — مفتقر الى أموال لزجر التمرد الداخلي وصد العدو الخارجي ، ولكنه — من جهة أخرى — لم يستطع الظفر بذلك إلا بتقويض أسس أسلوبه : فلكي يستخلص الدخول الكافية ، وجب عليه تشجيع التجارة والصناعة . وكان ذلك يشق عليه ، لأن الريع الجمركي كان بيد الأجانب . فضلاً عن ذلك ، لزم عليه أن يأتي بنظام جبائي ناجع ، وأن يقضي على أساليب رجال السلطة (الباشوات والقواد والشيوخ والخلفاء الخ . . .) الذين كانوا يستحوذون على الأموال التي يجبيها المخزن من رعاياه (39) .

والى جانب سلوك الموظفين المخزنيين ، كانت طبقات من التجار المغاربة تستفيد من المبادلات مع الخارج ، جلبا ووسقا .

فقبل سنة 1856 كان عدد من التجار المغاربة يتمتعون بحماية السلطان المتمثلة في ظواهر التوقير والاحترام . وبواسطتهم ، كان السلطان يحتكر

التجارة الخارجية احتكارا كاد أن يكون كاملا ، وكانوا يضطلعون بدور الوسطاء ، لأنهم كانوا يخضعون له ماديا ومعنويا .

لكن الأحوال أخذت في التبدل بعد هذا التاريخ ، فصار بعضهم يحمل لقب « تاجر السلطان » ، وبدأت تخول لهم امتيازات ومنافع ، أهمها إسقاط أداء الحقوق عن بعضهم ، أو التوسعة عليهم في دفع واجبات المكوس والجمرك بأقساط شهرية .

كان الاحتكار من أشهر تلك الفوائد : فالعلق كان يباع بثمان وصل الى 100 ألف فرنك في السنة . وبيع مستفاد الدبغ بـ 240 ألف فرنك سنويا . وخول تصدير الفرشي الى مصطفى الدكالي واحتكار الحناء ليهودا لاوي . . . (40)

وشيئا فشيئا ، صار بعض تجار فاس أعظم وكلاء التصدير الى أوربا وأهم مستوردي الانتاج الأجنبي . وكانوا يوزعونه في أرجاء البلاد بوسائلهم الخاصة ، بعد أن يُضَفُّوا عليه طابعهم ونبرتهم ، مقلدين من سبقهم من التجار اليهود . وقد اقتفى أثرَ الفاسيين تجار مغاربة آخرون ، سالكين في ذلك طرائق كادت أن تكون متشابهة في الوكالة والسمسرة والتبعية .

وآل الأمر في ذلك الى استحواذ كبار الوسطاء على معاملات وقضايا كانت تُدْرِءُ عليهم الملايين «المُملِئَة» من الأرباح ، وصاروا أحد عوامل التسرب الأجنبي . وبفضلهم استطاع الأوروبيون اجتثاث أصول الاقتصاد المغربي ، ونَصَبَ أجهزة التبعية التي يَسَّرَت لهم تحويل ذلك لمصلحتهم ، بأُسلوب ذي سفسطة ونجاعة ، ألا وهو الحماية التي حررت طاقات كانت قَبْلُ هامدة ، فقدمت لها اله البورجوازية التجارية ما كانت عاجزة عنه بوسائلها الخاصة ، ألا وهو ضمانه احترام الملكية (41) حسبما أشرت الى ذلك سابقا .

40 . المصدر السابق ص 112 - 113 (نقلا عن دراسة التباع : « التسرب التجاري والمالي بالمغرب : 1850 - 1912 » ص 154 - سنة 1976) .

41 . ادريس بنعلي « مثال الانتقال ... » ص 115 - 116

ويستفاد من بحث أجراه رني لكثير أن هاته التبعية كانت مفيدة لهؤلاء الوسطاء . وقد ذكر عن حالة 60 من تجار فاس سنة 1904 أنهم أثروا إثراء فاحشا قدّره هكذا :

- 7 منهم كانوا يملكون أكثر من مليونين من البسيطة الحسنية

- 5 » » ما بين مليون ومليونين » »

- 7 » » ونصف مليون » »

- 27 » » 100 ألف و 500 ألف من البسيطة الحسنية

- 14 » » 50 ألفا و 100 ألف من البسيطة الحسنية (42).

كما يتجلى من دراسة أخرى عن 44 من تجار فاس في أواخر القرن الماضي وصدّر من الحالي أن 28 منهم كانوا محميين بدول مختلفة : إنجلترا (13) وفرنسا (8) وألمانيا (5) . وتذبذب واحد منهم بين الحمايةتين الفرنسية والانجليزية ، وتأرجح آخر بين ثلاث حمايات : فرنسية وألمانية وإيطالية (43) ، بينما لم يرد عن الـ 17 الباقين حماية ظاهرة . وستأتي أسماء هؤلاء جميعا .

والى سنة 1890 ، كان كبار تجار فاس يعتمدون على أبناء جبل طارق لأجراء بعض العمليات النادرة . ولم يتمكن الموسرون من اليهود من إنشاء بعض المشروعات المصرفية الا في نهاية عهد السلطان الراحل مولاي الحسن . وقد فضل الأولون التعامل مع مصارف طنجة التي أنشأ يهود فاس فروعها لها في مدينتهم (44) .

42 . المصدر السابق ص 116 - 117 (نقلا عن لكثير R. Leclerc في تأليفه : « التجارة والصناعة بفاس » سنة 1905) .

43 . المصدر السابق ص 118 (نقلا عن محمد كنيب : « الهياكل التقليدية والحماية الدبلوماسية » ص 18 في مناظرة فانسين ، دجنبر 1976)

44 . احمد شكري السباعي : « فكرة عن تطور التجارة والقانون التجاري في العالم والمغرب » ص 32 في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد السابع (1980) .

ولضرب أمثلة على تلك المعاملة ، أقول إن الوكلاء الصيرفيين ، مثلا اذا صدروا الى إنجلترا بضائع لحسابهم الخاص ، كانوا يسحبون من بنك إنجليزي حوالة مالية بثلاث قيمة الشحنة المصدرة ، ثم يبيعون تلك الحوالة للتجار المغاربة ليستوردوا في مقابلها البضائع الانجليزية ، ويعود الوكلاء الى شراء المنتجات المغربية لتصديرها بما أخذوا من نقد مغربي في مقابل تلك الحوالات التي باعوها للتجار المغاربة . وهي طريقة فريدة من نوعها للتغلب على مشكلة عدم وجود مصارف مالية بالمغرب ، وان كانت بدائية وأقرب الى المقايضة منها الى أنظمة التجارة المتبعة في ذلك الحين ، على أن من شأنها أن تضبط ميزان التبادل التجاري بين البلدين (45) .

من هاته الحركة التجارية ، وهاته النوافذ على الخارج ، وهاته الاقامات المستديمة في المهاجر ، نشأت «طبقة بورجوازية متوسطة . وتظهر بورجوازيته في نوعية العمل الذي كانت تقوم به وهو التجارة أو الفلاحة في غالب الأحيان ، كما تظهر في المنزل الذي تسكنه والذي يتميز من داخله لا من خارجه» (46) .

* * *

4 . I . I : إثراء المغاربة بالتجارة في الخارج

وآن لنا أن ننظر الى الآثار التي خلفتها التجارة في الأوساط المغربية . وللأسف ليست لنا دراسات عن جميع التجار في مختلف المدن سوى فاس . ولذلك سأسوق بعض ما وقفت عليه .

لم تكن فاس باب التجارة المغربية ، وإنما كانت خزيننا لها ، وبالأخص للمبادلات مع الخارج ، لما اشتملت عليه من الوسائط والفنادق والخزائن والأهراء ودور السلع من جهة أولى ، ولما حُبي به البعض من أهلها من حب

45 . عبد المجيد بنجلون : « جولات 1901 ... » ص 70

46 . عبد الكريم غلاب : « المجتمع التقليدي بفاس في مواجهة تحديات العصر » في مجلة « المناهل » العدد 12 (يوليوز 1978) ص 89 وما بعدها .

للمال وللربح من جهة ثانية ، ولأنها كانت عاصمة للبلاد من جهة ثالثة . ولموقعها الجغرافي من جهة رابعة .

والتأليف عنها كثيرة ، أجنبية كانت أو وطنية . وقد اهتم المصنفون والرحالة الأوروبيون بها وبأهلها ، محاولين هتك أسرارها واستجلاء أخبارها . أما في الحاضر فالدراسات الوطنية عنها غزيرة ، ولا تخلو من فائدة محققة وآخرها كتاب « فاس ، كشاف المراجع البيبليوغرافية للتراث الثقافي » الذي أصدرته وزارة الثقافة بالرباط سنة 1981 .

وقد اشتمل على 677 مرجعا باللغات الأجنبية و 514 باللغة العربية ولو أن ذكر بعضها مكرر . وقد هيبء هذا الكشف الذي ليس جامعا مانعا ، بمناسبة الحملة الدولية لانقاذ مدينة فاس وتراثها وحضارتها العريقة .

ومن آخر ما صدر فيما نحن بصدد دراسته قِيَّمة عن التطورات التي حدثت في نهاية القرن الماضي وبعده بقليل ، وعن حالة أهلها ، من حيث تكس ثروات 44 منهم بعامل التجارة والتوسط في بيع الانتاج الأجنبي مما أشرت إليه سابقا . وها هي أسماؤهم و ثرواتهم التي كانت في بعضها وليدة القرن التاسع عشر :

1 - **ادريس التازي** : محمي إنجليزي ، احترف التجارة وأحدث نوع القطن المسمى «الحاج التازي» . أودع ماركته لدى هنري Henri الصانع بمدينة منشيسطر سنة 1907 . بلغت ثروته 20 مليونا من الفرنكات سنة 1907 .

2 - **المدني التازي** : شقيق السابق ومحمي إنجليزي أيضا (كان له 50 مليونا سنة 1909) .

3 - **ابو بكر التازي** : محمي إنجليزي أيضا ، كانت له 4 دور تجارية بمدينة منشيسطر (أزيد من 600 مليون سنة 1928) .

4 - **محمد بن المدني التازي** : محمي فرنسي ، كانت له اربع دور للتصدير والاستيراد وكان ربحه السنوي بين مليون واحد ومليونين (أزيد من 500 مليون فرنك سنة 1930) .

وبينما كانت ثروة آل التازي بضعة الملايين سنة 1898 ، إذا بأموال مؤسسها ادريس كانت تفوق المليار سنة 1930 .

5 - **محمد بن زيد برادة** : محمي فرنسي وزبون كبير لمدينة جنوة الإيطالية حيث انتقل إليها سنة 1906 (أكثر من 60 مليوناً من الفرنكات سنة 1914) .

6 - **علي بن الطيب بناني** : محمي فرنسي . كان تاجراً بفاس ، وكانت له ستة مفاتيح وعدة شركاء ، واحد منهم بالسنگال و 3 بالدار البيضاء و 2 بطنجة (ثروته : 350 مليوناً سنة 1930) .

7 - **الزبير بناني** : كان وسيطاً لأخيه بين فاس والقاهرة . وكان يتجر بالقيسارية وكان له خمسة شركاء (150 مليوناً سنة 1925) .

8 - **محمد بنيس** (أزيد من 200 مليون سنة 1918) .

9 - **العربي بنيس** : محمي فرنسي وابن عم السابق . كان تاجراً ومستورداً للمنسوجات (نصف مليون من الفرنكات سنة 1901) .

10 - **عبد الحي برادة** (أزيد من 250 مليون فرنك سنة 1927) .

11 - **الطيب بناني** : محمي فرنسي وتاجر بالقيسارية ، وكان له 8 مفاتيح بفاس (70 مليون فرنك سنة 1910) .

12 - **عبد السلام بن زيد برادة** : محمي إنجليزي . وكان أيضاً تاجراً ، ومن كبار مستوردي المنسوجات ، وكانت له نحو عشرة من المفاتيح (أكثر من 300 مليون فرنك سنة 1930) .

13 - **محمد بنونة** : محمي فرنسي وتاجر بالقيسارية ومن كبار مستوردي النسيج ، وكان له 7 شركاء . وثروته فاقت 200 مليون فرنك سنة 1927 .

14 - **الظاهر مكوار** : محمي إنجليزي كان يشرف على دار للتصدير

والاستيراد بمنشيسطر ، وكان من كبار التجار بفاس ، وكان له 18 شريكا ، منهم اثنان بالسنگال (أكثر من 650 مليون فرنك سنة 1928) .

15 — **محمد جسوس** : محمي إنجليزي . تاجر بالقيسارية سنة 1895 وكانت له دار تجارية ومصنع للنسيج بمنشيسطر ، و 22 شريكا (أكثر من 600 مليون فرنك سنة 1930) .

16 — **أحمد الصقلي** : كان تاجرا بفاس وأقام عدة مرات ببلدان خارجية وكان له 10 شركاء (300 مليون فرنك سنة 1922) .

17 — **ادريس الحلو** : محمي إنجليزي ، كانت له دار للتوريد والتصدير بلندن من سنة 1897 الى 1902 ومضاربات على النقل بالسيارات و 10 شركاء (أكثر من 280 مليونا سنة 1927) .

18 — **محمد الشرايبي** : محمي ألماني ومن كبار التجار ، كانت له علاقة بالسنگال و 9 شركاء (350 ألف بسيطة سنة 1904 و 350 مليونا من الفرنكات سنة 1930) .

19 — **محمد بنكيران** : من كبار تجار فاس وكان له 9 شركاء (أزيد من 200 مليون فرنك سنة 1925) .

20 — **محمد الأزرق** : محمي إنجليزي (وتقدم لي الحديث عنه أو عن سَمِيَّه مع المستوطنين بمصر حيث كانت له دار تجارية بالقاهرة) . تجول بالمغرب وأوربا ، وكان مستوردا للسكر والشاي أثناء الحرب العظمى وبعدها ، كما كان يجلب الحرير والأحذية من اليابان ، وأحدث شركات للبقالة بفاس حيث كانت له 10 مفاتيح (أزيد من 15 مليونا من الفرنكات سنة 1900 ومليار سنة 1930) .

21 — **محمد بن المعطي التازي** : كان مستوردا للمنسوجات ، وقام برحلات الى الخارج ، وكانت له 10 مفاتيح و 3 أرحية (30 مليون فرنك سنة 1913 قبل مغادرته فاس الى الدار البيضاء) .

22 — **حميد التازي** : ابن السابق . كان مستوردا للمنسوجات ومصدرا الى السنغال (160 مليون فرنك بين 1913 و 1930) .

23 — **عبد الوهاب التازي** : محمي إنجليزي ومن كبار مستوردي المنسوجات ، فتح مركزا بمنشيسطر ، وكان مضاربا في المنسوجات والسكر ، وكان له 30 مفتاحا و 10 أرحية و 36 شريكا بالمغرب و غيره (أزيد من مليار ونصف من الفرنكات سنة 1930) .

24 — **محمد بن العباس القباج** : من الأسر التجارية الكبرى . كان يستورد السكر والشاي خلال الحرب العظمى ، ويصدر الحياك الى الجزائر ، والبلاغي الى السنغال ، وكانت له 8 مفاتيح و 11 شريكا (أزيد من 600 مليون فرنك سنة 1918) .

25 — **عبد الرحمان بناني سميرس** : محمي فرنسي ومن كبار الرحالة ، كان له مركزان تجاريان بمدينة منشيسطر ، وكان يستورد السكر والشاي وكان يملك 20 مفتاحا بفاس وكان له 11 شريكا في غيرها (أزيد من 6 ملايين فرنك سنة 1900 وحوالي مليار سنة 1930 وعقارات بفاس ومكناس والدار البيضاء) .

26 — **المكي بن عبد الله** : فتح مركزا بلندن سنة 1890 وهو من كبار المصدرين الى السنغال ، ومن اعظم المضاربين على العقارات الحضرية والقروية ، كان له 11 شريكا في المنسوجات والمواد الغذائية (أزيد من مليون بسيطة سنة 1904 وأكثر من 400 مليون فرنك سنة 1925) .

27 — **بناصر بنجلون** : كانت له علاقة مع الجزائر ومصر ، و 20 شريكا (أزيد من نصف مليون بسيطة سنة 1905 ، وأكثر من 180 مليون من الفرنك سنة 1926) .

28 — **عبد السلام الصقلي** : محمي إنجليزي . ملاك عقاري كانت له 10 مفاتيح و 9 شركاء في كل من فاس ومكناس والدار البيضاء (50 ألف بسيطة سنة 1900 وأزيد من 450 مليون من الفرنك سنة 1930) .

29 – **بناصر الحلو** : محمي ألماني ومن كبار زبناء جنوة ثم مدينة ليون . كان عنده 25 شريكا بالدار البيضاء وفاس ومكناس (أزيد من 250 ألف بسيطة سنة 1904 وأكثر من 300 مليون فرنك سنة 1930) .

30 – **محمد بن عبد القادر بنيس** : محمي فرنسي ، سافر الى الخارج وكانت له تجارة نشيطة مع مدينة ليون و 13 شريكا (أزيد من نصف مليون بسيطة سنة 1904 وأكثر من 250 مليون فرنك سنة 1928) .

31 – **محمد بن العربي برادة** : محمي ألماني ، وكان له شركاء بهامبورغ وإفريقيا الشمالية والشرق الأوسط والسنغال والقاهرة (له ما بين 100 و 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 250 مليوناً من الفرنكات سنة 1930) .

32 – **بناصر الصقلي** : محمي إنجليزي وكانت له دار تجارية بهامبورغ وشركاء بالسنغال ومصر و 11 شريكا بالمغرب (300 مليون فرنك سنة 1930) .

33 – **حمزة الصقلي** : (في الأصل خمسة الصقلي) محمي ألماني بخلاف شقيقه بناصر المحمي الانجليزي سالف الذكر (25 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 250 مليوناً من الفرنك سنة 1930) .

34 – **محمد بن أحمد بنيس** : كان له شركاء سنة 1907 بالسنغال وإيران والقاهرة وطنجة وأسس دارا تجارية للمنسوجات بمدينة ليون . وبعد الحرب صار له 15 شريكا بالمغرب (أزيد من 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأكثر من 300 مليون فرنك سنة 1930) .

35 – **محمد عيوش** : محمي ألماني . فتح دارا لتجارة المنسوجات بهامبورغ سنة 1907 وأخرى برومة سنة 1914 ، وكان من مستوردي المنسوجات الحريرية من كل مكان وحتى من اليابان . كان له 30 شريكا بطنجة و 6 بالدار البيضاء (50 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 280 مليوناً من الفرنك سنة 1930) .

35 — **محمد الزمراني** : من كبار الملاكين العقاريين وكان له 6 شركاء : بفاس (3) ومكناس (2) والقاهرة (1) ، ومعصرة زيت ميكانيكية بباب الساكمة (بين 100 و 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 200 مليون فرنك بعد ذلك) .

37 — **الحسين الكتاني** : محمي إنجليزي ثم فرنسي . قام بأسفار متعددة الى الخارج (50 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 30 مليوناً من الفرنكات سنة 1911) .

38 — **الغالي الكتاني** : ابن عم السابق ، وهو من المستوردين والمصدرين ومن كبار التجار ، وله 10 شركاء : 4 بفاس و 6 بالدار البيضاء (أكثر من 350 مليوناً من الفرنكات سنة 1930) .

39 — **المكي بنشقرون** : كانت له رحلات الى أوروبا والسنغال والشرق الأوسط ، ونصب أبناء عمومته بمدينتي جنوة وليون وكان له شركاء : 5 بفاس و 7 بالدار البيضاء (100 ألف بسيطة سنة 1904 وأزيد من 250 مليون من الفرنكات سنة 1930) .

40 — **عبد السلام المراكشي** : رحل مرات عديدة الى الخارج وكان له 13 شريكا بالمغرب والسنغال والقاهرة كما كان من كبار المستوردين ، وكان يصدر الى مصر ثم الى اليابان الحرير والأحذية (100 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 200 مليون فرنك سنة 1930) .

41 و 42 — **ادريس بنجلون وابنه الهادي** : بدأ الأب تجارته بالسنغال سنة 1890 وسافر الى السودان والشرق الأوسط . وبعد الحرب العظمى قام برحلات الى الخارج ، وتصرف في دار تجارية بهامبورغ ، وكان له 7 شركاء (من 100 الى 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 150 مليون فرنك سنة 1930) .

43 — **الطاهر ابن الأمين** : محمي إنجليزي . كان له سنة 1906 شريكان بمرسيلية وثالث بالقاهرة ، واستورد المنسوجات الحريرية والسكر والشاي خلال الحرب العظمى . وفي سنة 1920 نصب ابنه بالدار البيضاء وكان له 6 شركاء (150 ألف بسيطة سنة 1905 و 100 مليون فرنك سنة 1920) .

44 - محمد بن المكي التازي : محمي انجليزي . كانت له دار للمنسوجات القطنية بمنشيسطر و 20 مفتاحاً بفاس و 2 بالقصر الكبير و 2 بمكناس (30 مليوناً من الفرنك قبل سنة 1910 وأزيد من 700 مليون فرنك سنة 1930 ، فضلا عن 20 داراً بفاس) .

وقد نزح أغلب هؤلاء التجار الفاسيين الى الدار البيضاء في مطلع هذا القرن (47) .

ومن الأنصاف للحقيقة والتاريخ أن يذكر هنا بأنه انبثقت بالذات من أحضان هاته البورجوازية الوطنية - الممّالئة تارة ، المُسّالمة تارة أخرى - شخصيات أخرى واعية قامت سداً في وجه النفوذ الأجنبي ، وبعثت الوعي القومي في الأوساط الشعبية . أما الملابس التي صاحبت هذه الصحوة ، والدوافع التي حملت عليها ، والطرائق التي اتخذت في سبيلها فذلك محتاج الى بسط في الفروق الدقيقة ، وهو ما يحيد بنا عن نطاق هذا البحث .

* * *

4 . I . 2 : بعض الماركات التجارية (المنسوجات)

هاته المدينة كان لها دور عظيم في التصدير والاستيراد ، وتوافد عليها تجار من الداخل ومن الخارج مما سيذكر في غير هذا المكان وفي محله .

لكن مدينة فاس كانت تستقطب التجارة الخارجية استقطاباً شديداً وتروجها بالداخل ترويجاً كبيراً . وسنقتصر في ذلك على الأثواب والمراكات التجارية .

47 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ، فاس في القرن التاسع عشر » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد 8 (النصف الثاني من 1980) ص 119-126 ولدى عرض هذا التأليف على صديق من اساتذة الجامعة ، استغرب شديد الاستغراب من هاته الارقام ، فوجد فيها مبالغة ، ذاكرا لي ان حميدو بناني الرباطي لما توفي قبيل نشوب الحرب الاخيرة خلف ثروة لا تحصى ، قدرها 10 ملايين فرنك ، وكانت في ذلك الوقت من الضخامة بمكان ، فكيف يكون لعبد الوهاب التازي (رقم 23 اعلاه) ثروة تزيد على المليار والنصف من الفرنكات سنة 1930 ؟ وعلى كل ، فالمؤلف بنعلي في حل ، لأنه استقى ما استقاه من المصادر التي احوال عليها في نهاية بحثه .

ومن المناسب أن يقال إن الموضة في الأزياء والأثواب كانت لا تصدر إلا عن هاته العاصمة ومن قيساريته على وجه التحديد ، وأن تجار هاته الحاضرة كانوا في الغالب يُولون للبضائع المستوردة نَبْرَتهم الشخصية ، الى حد أن تحامل عليهم في ذلك بعض المؤلفين من الأجانب (48) وغيرهم : إذ كان هؤلاء الوسطاء يعرّبون ثم يُمغّرّبون كل سلعة أجنبية ، ابتداءً من «تفيسها» ويمدونها بما تفتقر إليه من الاشهار والرواج والأسماء ، وبما يداعب الوجدان بالفاظ إيحائية أو غزلية أو تفاؤلية ، نراها واضحة في العلامات التجارية التي سنستعرض شيئاً منها .

فمن المروط وقماشات التنايط والقفاطين والأزُر وغيرها اشتهرت حتى الآن بعض الأصناف ، منها القديم كالزردخان والمطّيب والملف والمؤبّر والكمّخة ، ومنها الحديث نسبياً وهو يحمل أسماء أشخاص أو أماكن كالبنديقي (إيطاليا) ، وكرّبل (أي كارثير Carver الانجليزي) ، وشال كاشمير (الهند) ، والسوسني (?) الانجليزي) ، ومَرّزاية (مرسيليا ؟ Marseille) ، وسكّوئش (مدينة سان لوي Saint-Louis الفرنسية) ، والكوزمير (Cosme) ، والنمسا (Niemetz) ، والشيت (مدينة سيت Sète الفرنسية) ، والتوبيت (?) (Le Touvet) ، ومركان أو americanos وبرنّشيك Braunschvig .

القفاطين كانت لها علامات منها «الدنيا جات» و «الخريبة» و «الطيسان» و «بيطراشة» و «القلب». وعرفت ماركات للملبوسات الفوقية كـفَرَجِيّات الرجال ودفائن النساء ، مثل «المطبوع» و «مَنْ قَدَ عَلَيْهِ» و «الديمي» و «الكمّانجة» و «المسوّس» و «فلّة المعدنوس» و «فلّة التوريق» و «الشيخة» و «جوهرة» و «هالاجا» و «بُهتّان الحرير» و «فاكية القرن» و «القريضة» و «مشموم

48 . الاخوان طارو : « فاس اوبورجوازيو الاسلام » ص 52 . هذا الكتاب كان قد اثار عند صدوره ضجة لدى بعض اهل فاس لما نسبته اليهم من حق او من باطل . وذلك ما سجله مؤلفان فرنسيان روجي كواندرو وشارل بينز في كتابهما « اراضي المغرب القاصية » ص 11 ، مضيفين ان هذا التحامل لا مبرر له وان احد الاخوين لم يدخل فاس قط وانهما كانا ملهمين من لدن مصالح الاقامة العامة الفرنسية آنذاك .

العزري» و «الطَّرَن» (أي القطار) و «حبيبة مسيكة» و «للاحلنوة» و «اشرب» و «طل» و «فرعون» و «فوش» و «مشموم السلطان» .

ومن المروط ايضا «البايئة» و «حياتي» و الجيم و «المزوق» و «طرّوال» و مكرّانة» .

ومن الماركات التجارية أذكر «لانكي» و «السحل» و «الكميمة» و «بركاضو» abrocado و «كورزيانو» و «الطو» alto

ومن أنسجة الخمر والسباني كانت ثمة سباني «القلوب» و «الشوكة» و «باسطو» و «القطبان» و «الطيفور» .

على أن قوامج الحلو كانت شهيرة لدى النساء . وكن يرتدينها ملاصقة للجسم ، وكانت لضيقها تقوم مقام مدعم النهدين .

وكان من هاته المروط والشقق و «البيسّات» الصوفية والحريرية والقطنية والكتانية ما تصعب الاحاطة به (49) ، مما كان داخلا في أعراف اللباس.

وقديماً قيل : «كلّ بشهوتك ، والبس بشهوة الناس» .

فالموضة — إذ تنسجم مع بعض الرغبات — ليست الا عقدة نفسية ، وترجمة لذوق الغير ، والنزول عند حكمه ، ومحاولة تقليده . ويكاد بعض الناس يذهبون الى القول إن للتجار المغتربين ولشركائهم في الداخل دورا ما في انتقاء هاته العبارات وألفاظ النسيج ، المتملقة للخيال ، المزدلفة للشعور ، لتزداد البضاعة نفاقا ، ولتُضَفِّيَ عليها «ذوقا» .

هاته التسميات إنما هي داخلية مغربة . فالأنواع المصدرة من الخارج الى بلدان أخرى كانت بلا ريب تحمل أسماء غير هاته الأسماء المغربية .

49 . بعض الانواع من الانسجة ورد في « العز والصولة » لابن زيدان الجزء الثاني ص 99 وما بعدها ، وفي الجزء الثامن من « تاريخ تطوان » ص 126 و 127 و 145 و 325 لمحمد داود ، والباقي تلقيته من افواه المسنين من التجار والسيدات من اهل مدينة سلا .

وحاصله أن هاته الأنسجة قبل أن تخاط أو تطرز أو تلبس كانت تداعب خيال المرأة وتناشد عواطفها ، ولا تخاطب عقل الرجل إلا على مَضَض ، وإلا لأنه صاحب المال الذي يبتاع به لنفسه أو لزوجته ماشاءت من حرير وديباج وقماش .

لكن المشتري ، إذ يُرضي نفسه وزوجه ، كان يقتني أحيانا «الشهرة» أو الواجهة التجارية . فلب تاجر سبر أغوار النفس واستبطن أذواق المستهلك ليوقعه في حباله بواسطة التزيين (إذ طريقة «زَيْنَ بَاشْ» تبّيع، معروفة منذ القديم) ، وحسن العرض ، وطنين الأسماء ، وبريق العناوين ، مثلما يفعله تاجر عصرنا الحاضر عندما يقحم في ثمن البضاعة نسبة من تكلفة التجميل والزجاجة الأمامية ، ليؤدي الزبون الفاتورة كاملة من حيث يشعر ، أو من حيث لا يشعر . وكأي من سلعة معينة بيعت في مكان بارز على يد تاجر مشهور ، بثمان أعلى من سعرها الحقيقي في متجر مغمور يتصرف فيه تاجر خامل.

الحرفيون على اختلاف أنواعهم من صناع وتجار كانوا يمارسون «المتاوية» أو ما سماه ابن خلدون المكايسة والمماحكة . وكان تاجر القيسارية خاصة «يعلّي ، باش يُصيب ما يُخلّي» ولاسيما بفاس كما تقدم (50) .

تاجر فاس عُرف بذكائه ومواهبه اللدنية (ومثله في هذا المعنى كل تاجر مغربي له وصف الفاسي في المعاملة) . كما امتاز بأنه «فَشَّار» أي فَيَّاش ، شغوف بابرار ثروته . ولا أدل على ذلك عندما يشتري منزلا جميلا . ومتى اقتناه تطلعت نفسه الى امتلاك المنزل المجاور أو المقابل ليمد إليه قُنْطيرة وليتزوج بامرأة أخرى (51) متى استغني وعاش في ينسُر ورَغَد .

هاذه البحبوحة ما كانت لتبرز لولا تكدس الثروات ، ولولا تعدد «المفاتيح» التي تعني اليوم ملكية الأصول التجارية ، ولاسيما انطلاقا من

50 . نضيف الى ما سبق في ص 231 ان احمد الصفيوي تخيل في الصفحة 84 من كتابه « صندوق التحف » حوارا دار بين تاجر يز وبين امرأة تريد شراء بدعية لابنها . وقد صور في اسلوب ساحر وساخر معا كيف ان الثمن المطلوب كان خمس ريات فصار ريالين ونصفا .

51 . الاخوان طارو : « فاس او بوجوازيو الاسلام » ص 21 ، ويقصدان بالقنيطرة « الصابة » وهي مأخوذة من كلمة الساباط الفارسية اي الممر المسقف بين دار ودار ، والمعروف في المدن المغربية العتيقة .

التجارة التي هي - من حيث كنهها - وساطة ، وليست إنتاجا بالمعنى المادي المعروف الذي هو خلق محسوس من محسوس ، وإنما هي مسعى فردي أو جماعي وتجهيز مادي ومجهود عقلي ومعنوي لخلق فائض القيمة .

على أن فقدان هاته الحاسة الخاصة كان من العوامل التي تسلم الى الاعسار والخسارة والسجن ، أو تترك صاحبها في شبه فقر أو توسط حال . ولا ينبغي أن نفهم من التجارة أنها مجرد ربح : فاحتمال الغرْم وافتراض الغنم متلازمان وَسِيَّان . فكم من مواجب إملاق وشهادات عُدْم وحجج إفلاس وضعت ! وكم من غرماء حبسوا ! اما للتغريير بهم في مجال ليسوا من أهله ، وإما لتصريفهم شؤونهم على النمط التقليدي العتيق ، في وقت تبدلت الأرض وقيمها ، وإما لجهلهم بقواعد التجارة ، واما لأنهم لاقوا مضايقات شتى أو مصاعب مختلفة ، أو تجردوا من حسن النية ، أو خلت عقولهم مما هي في حاجة اليه من مضاء وحنكة ومثابرة وخيال .

وعلى كل حال ، كان للبضائع الأجنبية - منسوجة كانت أو معدنية - عشاقها وباعثها ومتعهدو استيرادها وتسويقها وتوزيعها من المرسى الى القيسارية ، ومنها الى الدكاكين والأسواق الحضرية والقروية .

* * *

4 . 2 : على الأجانب (بين الربح والخسارة)

أما المستوطنون الأروبيون فقد كانوا الواسطة في الثغور بين التجار المغاربة في الداخل والشركات الأجنبية في الخارج . ولا ريب أن يكونوا قد انتفعوا من هاته المبادلات : استفادوا وانتكسوا معا ، ولكنهم فتكوا قصداً أو عَرَاضاً بالبنِيَّات والهياكل الاجتماعية العتيقة . وكانت التجارة المِعُول الهدّام الذي صُدِعَ الواجحة الوطنية ، واستل منها بعض عناصر المقاومة ، فاتخذ هذا التدمير أبعادا شتى تمثلت في بروز أنماط جديدة من الحياة الحديثة أخلّت بالميوازنات الداخلية ، وبدأت البيئة تعيش في دوامة لا قرار لها ، حسبما ألمعت الى ذلك مرارا وتكرارا .

ولئن كنا لا نعلم شيئا عن مدى الأرباح الأجنبية من صوف المغرب وحبوبه ، وجلود أنعامه وسائر إنتاجه ومصنوعاته ، فقد أوردت - بعكس ذلك - كتب التاريخ أسماء المفلسين وأشباههم من أشخاص ذاتيين ومعنويين ، كسالومون برّجل وسامويل وبنّحاس طوليدانو ويهودة الصايغ ، وكلهم من طنجة ، والترجمان بالصويرة سنة 1879 ، وكالأنجليزيين بالصويرة بينير Pennyer وبروم Broome ، وموسي لاريدو بطنجة ، وداسوي Dasoy وديكولي Degoulet سنة 1882 . وتتابع الافلاس حتى سنة 1885 ، وعاد جزائريون الى بلدانهم يحملون إفلاسهم على كواهلهم ، والتجّار المخترّبون من اليهود الى الأضرحة كزاوية درقاوة بالصويرة ، هربا من المتابعة .

أما المؤسسات الكبرى فقد أصابها ما أصاب التجار مثل قاليري Valéry ، واليهوديين دابيد ليون كوهين وبنسيمحون من مرسيلية ، وروسي Roussy ، وپاريزو Parisot ، وشركة كارفير داربشير C. Darbshire وميير ، وهما من مدينة منشيسنتر ، وكل ذلك كان سنة 1883 .

وبعد الافلاس جاء الموت : انتحر الفرنسيان شارل دومون Dumont وفرانسوا كوركورال Corcoral بالدار البيضاء سنة 1880 ، والاسباني سانتياغو باردو S. Pardo سنة 1882 بنفس المدينة (52) .

وماكادت تمر هاته السنوات العجاف حتى عاد بعض الازدهار الى التجارة المغربية ، بعد حصول انتعاش خارجي وتنحية الضعاف وحلول الأقوياء محلهم بحسب قواعد الاحتشاد أو التكتل الاقتصادي الأفقي أو العمودي . بينما انتعش المغاربة من تجار وغيرهم ، واستطاع بعضهم إنقاذ نفسه من التردّي في الهاوية ، وعادوا الى اقتناء العقارات واشتراء القيان والعبيد ، والهجرة الى الخارج .

وظهرت بعد مؤتمر مدريد وسائل جديدة لتسهيل التجارة كالصحافة والتلغراف والبريد وانخفاض أثمان النقل البحري . كان للتلغراف دور حاسم

في توجيه الأسعار وتكوين الادخار والاحتكار والتحكم في الأسواق ، وصارت تصل للوكلاء بالمغرب تعليمات مدققة .

وربما كان ربح الوكيل التجاري الأجنبي بالمغرب أعظم من غنم صاحب المال بالخارج ، فكان له نصيب ثابت (6%) يخصمه عند الحسابات . أما السمسار المغربي فغالباً ما كان ربحه أقل من غنم الوكيل والتاجر الأجنبي .

وعن وسائل النقل المغربية ، لم يدخل عليها تجديد فظلت باهظة الثمن لعدم تعبيد الطرق ولأخطارها ، وصار الحمالون بالجنوب والشمال ممن كانوا يملكون دواب الكراع والظَّهْر ، من جمال وبغال وخيل وحمير ، يشترطون أثماناً مرتفعة ، لحمل البضائع المغربية الى المراسي للتصدير .

وبالمقابل دخلت على الملاحة ثورة كبيرة ، فامتدت الخطوط العالمية التجارية ، واتسع نطاقها لا الى المغرب وحده بل الى سائر جهات المعمور ، وهو شيء وطئاً أكناف الهجرة الأجنبية ، ومكّن التجار الأوروبيين من تصريف سلعهم .

ولكي يفرضوا أنفسهم عمدوا الى عدد من الحيل : منها إغراق الأسواق بسلع ناقصة الجودة ، ولكنها رخيصة النقل والتكلفة ، ومنها البيع الانتحاري وهو ما يعبر عنه بالدومبينج dumping ، ومنها أيضاً تقليد الانتاج الوطني وتزوير الماركات وتلفيف البضائع أو تزيينها تملقا للذوق المغربي (53) .

ولم يكن تقليد الانتاج وليد هاته الفترة ، فقد منع السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بيع «السباني» (الخُمُر) التي كتبت عليها آيات قرآنية محرفة ، بدافع من يهود إنجلترا (54) ، وذلك تزلفاً منهم لاكتساب الأسواق المغربية .

تغلغلت السلع الأجنبية الى المغرب بواديه وحواضره ، وهرع عدد من صغار الباعة والوسطاء الى دور التجارة ، يستحثون أصحابها على تسليمهم

53 . « تاريخ المغرب » ص 296 و 306

54 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 343

البضائع لتباع بسرعة بالمراسي ان كانت مما يصدر ، أو ببطء بالمدن الداخلية ان كانت مما يستورد ، وأصبح دور البقال السوسي والبراز الفاسي عظيما في تسويق المنتجات الأجنبية (55) .

وكان أنسب الأوقات في المعاملات أنسبها في المواسم الفلاحية : من سقوط أمطار أو احتباسها ، وانقطاع طرق أو انفتاحها ، وغزارة في الانتاج أو ندرته . فاذا ساء الطقس ساءت الأحوال ، فيبدأ الاحتكار المتبوع بالغلاء .

بعد فترات الرخاء تنافست الدول على استغلال السوق المغربي ، فقد كانت فرنسا وإسبانيا وإنجلترا زبائن المغرب التقليديين حتى مؤتمر مدريد ، وأخذت ألمانيا تحتل مكانة مرموقة ، ولاسيما بعد سنة 1890 ، إثر توقيع المعاهدة التجارية مع المغرب . وظهرت آثار ذلك في التهافت الأوروبي ، ولاسيما الفرنسي والألماني ، في العقد الأخير من القرن الماضي وبداية القرن العشرين ، بعد أن كانت فرنسا سادرة عن هذا الخطر بتأمين «حدودها» واكتساح تونس والسنغال والسودان ، بعد توطيد أركانها بالجزائر .

أما إنجلترا ، فكانت تخشى من ظهور المنافسة الألمانية على السوق المغربي فاستقدمت طائفة من الطارقيين والمالطيين والشرقيين الى كل من الصويرة والدار البيضاء وطنجة ، ممهدة بذلك لعقد معاهدة تجارية تخلف اتفاقية سنة 1856 البالية . وكانت على الاطلاق أقوى الدول في عدد السماسرة والوكلاء

* * *

4 . 3 : الآثار الاجتماعية (مثال السكر والشاي)

وقد تركت التجارة الأوروبية بصمات متنوعة في اللسان المغربي وعوائد المغاربة . كان كَرَبَل — كما مر بنا — نوعا من الثياب يلبسه الجند وغير الجند . وكان الفريول نوعا من اللباس يرتديه العملة والصناع ، ولعله مأخوذ

من فيريوه الفرنسي كما تقدم . ولكن الأكثر من ذلك ظل راسخاً في العادات الغذائية الشعبية .

وكانت أواني الريد لشرب الشاي تسمى كذلك ، لأن تاجرا من مدينة منتشيسطر كان يصنع أواني الشاي الفضية وهو ريتشارد رايت (أو ريد) : R. Reade أو Wright . والأصل في ذلك حسب بعض الروايات أن حرب القرم أدت سنة 1854 إلى إغلاق منفذ بحر البلطيق ، فحالت دون وصول سفن الشاي الانجليزية إلى أسواقها المعتادة . فألزم أصحاب البضاعة بتفريغها في ميناء طنجة والصويرة ، ريثما يدبرون أمرها ، ثم بدا لهم أن المغرب هو البديل لسوقهم التقليدية .

وكان المغاربة قبل ذلك ، حسب نفس المصدر ، لا يشربون الشاي ، وإنما كانوا يحتسون نقيع النعنع أو الشبّية ، معطراً بورق الورد أو ماء زهر البرتقال والليمون (56) .

وتختلف الروايات في تاريخ دخول الشاي إلى عادات المغاربة . ويحتمل أن « نشوة » احتسائه ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر . ولذلك نجد أن قنصل فرنسا بالرباط كان يوزع قوالب السكر وعلب الشاي على بعض رياس البحر في العدوتين بنسبة قالبين ورجل واحد لكل رياس ، وذلك على إثر توقيع معاهدة 28 ماي 1767 بين بلاده وبين سيدي محمد بن عبد الله (57) .

وفي رواية أخرى ، كانت إنجلترا سنة 1820 هي التي قدمت حبوب الشاي هدية إلى السلطان مولاي سليمان (58) فصار شربه عادة غذائية لا محيد عنها .

56 . ليلي بوزيد : « نحن والانجليز ونقط الالتقاء » في « دعوة الحق » نونبر 1980 ، ص 73 - 74 (نقلا عن كتاب اندري لونوي : A. Launoy « المغرب » ص 57) .

57 . روجي كواندرو : « قراصنة سلا » ص 65

58 . ريمون شارل : « الروح الإسلامية » ص 271

لكن يبدو أن الشاي أدخل الى المغرب قبل منتصف القرن الثامن عشر ،
إذ ذكر هـ ج رينو : J. H. Renaud أن ممثل انجلترا لدى سفارته بمكناس
سنة 1727 أهدى للسلطان 18 رطلا من الشاي (59) .

• • •

كان في الامكان أن يكون اتصال المغرب بالخارج سببا في تشجيع
بوادر النهضة التي بدأها محمد الرابع والحسن الأول . لكن التعسفات الأجنبية
وظلم الولاة أعادت المغرب الى القمقم الذي كان يعيش فيه مُخَيَّرًا أو مُسَيَّرًا.

وليس لدينا ما يسمح باستخلاص ربح المغرب من هاته التجارة :
مذكرات القناصل وكتب الرحالة تعطي نظرة جزئية عابرة عن الحالة من
حرب تطوان الى موت الحسن الأول ، أقل منها في ذلك دفاتر حسابات المراسي
والأمناء . وقد يكون من الخير أن تقابل مع تقارير القناصل ، لينظر الى ذلك
من زاوية التاريخ المغربي . لكن عملا من هذا القبيل أظنه عسيرا ، وقد يكون
لا طائل تحته ، لانعدام المقاييس واختلاف المفاهيم .

7 : الفلاحة وامتلاك العقار



الزراعة قطاع كبير وميدان خطير في النشاط الاقتصادي ، وهو لخطورته مس 80% أي السواد الأعظم من سكان المغرب ، ومع ذلك لم يلق كامل العناية في المؤلفات والمخطوطات ، مما يجعل طرقه على الوجه المطلوب أمرا مستعصيا لا ينقع غلة الصادي .

ولما كان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، رأيت اقتحام الميدان واجبا ، فسقت جملة من المعلومات والافادات تناولت الجانب الزراعي والجانب العقاري ، ولو بخروج طفيف عن القرن التاسع عشر .

* * *

المطلب الأول : الفلاحة

لبثت الزراعة المغربية ، من حرث وغرس وضرع ، متخلفة طوال القرن التاسع عشر ، سواء من حيث هياكل العقار أو صنوف النباتات والأغراس أو طرائق الاستثمار والتصرف في الانتاج ، أو من باب تربية السوائم .

كانت الزراعة وما فتئت الشغل الشاغل لسكان البوادي ، منها يقتاتون ، وفيها يقضون جل أوقاتهم .

I . I : الزرع

سننظر هنا الى الهياكل العقارية وطرائق الاستغلال وأنواع الانتاج الزراعي .

I . I . I : الهياكل العقارية

امتلاك الأراضي كان ولا يزال راجعا للخواص وللدولة وللأحباس ،
يثبت شرعيا بالرسوم والخيابة وبمقتضى الأعراف ، من شراء وإرث ومعاوضة
وهبة . ولئن تنوعت الأملاك العمومية تنوعا مختلفا (أراضي «الجموع» و«الكيش»
والدولة) ، فقد كان للأملاك الفلاحية الجبسية نظام خاص ، تدبره المصلحة
العمومية المسماة بالأوقاف .

أ - أراضي «الجموع» وتسمى أيضا الأراضي الجماعية أو العرشية .
الدولة تملكها ، و «العرش» أو العشيرة تستغلها . القبيلة بفخدااتها وبطونها
تقسم بين الفترة والفترة حرثها على الذكور المتزوجين البالغين من القرويين
المحليين . وربما كان للأجانب من البدويين الحق في الانتفاع بها ، شريطة
المقام بتراب الفخدة المستغلة مدة من السنوات .

هاته العقارات لا تفوت ولا تحجز . وما زالت لحد الساعة تسير
وفق مقتضيات ظهير 26 رجب 1337 (27 أبريل 1919) ، بعد أن كانت الأعراف
والتقاليد هي التي تضبط شؤونها .

وتنقسم أراضي الجموع الى زراعية ورعوية .

الزراعية منها تنقسم الى مغروس ومستقي في أقلها ، وإلى مراعي ومحروث
في أكثرها .

المراعي تسرح فيها الأنعام بالتناوب ، وبالمراعاة بين العشائر .
وكانت تقوم من أجلها نزاعات بين الكسابين من أهل الجبال والمرتفعات
والصحاري والسهول ، القريبي السكن منها .

أما مساحتها الكاملة في العهود الماضية فصعبة التقدير ، ويرجع أنها
كانت أوسع مما هي عليه الآن ، فلا يستبعد أن يكون قد وقع عليها سطو في
الجبال والسهول وضياف الأودية ، على يد الولاة والوجهاء وأهل البوادي (1)
مثلا .

1 . البير كيوم : « الملكية الجماعية بالمغرب » ص 15 - 17

وبقطع النظر عن الأراضي الصحراوية الجافة بجنوب المغرب وشرقه ،
فقد كان مجموع العقارات الجماعية متجاوزاً ستة ملايين هكتار ، لم يُحدّد
ولم يُحَفِّظَ منها الا نحو النصف في العقد الثاني من هذا القرن العشرين .
وتفصيله كما يلي :

- أكثر من مليون هكتار بنواحي مراكش

- ونحو مليون هكتار بنواحي وجدة وتازة

- والباقي بنواح مختلفة بالشرق وبالجنوب وبالوسط (2) .

وسترد أرقام أخرى عن المساحات الفلاحية النافعة منها في الوقت
الحاضر .

ب - **أراضي الكيش** . الملكية صافية للدولة التي لها ، مثل النوع
السابق ذكره ، الحق العيني فيها . لكن الحق الشخصي (أي حق الانتفاع)
يعود الى قبائل كانت في العهد الماضي مشهورة بصفاتها الحربية وبولائها
للسلطان ، في مقابل أداء الخدمة العسكرية .

كان للبواخر (أي عبيد البخاري) استفادة منها في العهد الاسماعيلي .
وبعدهم صارت قبائل معينة ، مثل الشراردة والوداية وشرائكة القاطنة
بنواحي الرباط وفاس ومراكش وأزغار (سيدي قاسم) وتازة ووجدة وغيرها ،
هي التي تستغلها .

بطون أخرى من نفس القبائل المخزنية انتفعت بهاته الأراضي في
شتى نواحي المغرب ، أذكر منها أولاد دليم والمنابهة ودخيسة والمغافرة وأولاد
جامع وتكنة والرحامنة والشبانات وذوي منيع وذوي بلال والشجع وزرارة .

وفي نواحي مراكش في بداية القرن كانت عشائر أخرى مستخدمة في
الحامية العسكرية من أهل سوس والحوز كالغنانمة وحربيل وأهل تسلطانت

وتزكورت وعين دادة وتانشاشت وبوعكاز والغواضم وأولاد نصير وأولاد يحيى وآية يَمور (3) وغيرهم . وكانوا يستغلون العقارات المذكورة ، على ما هو مَرَحج .

هاته الأراضي يستحيل الوقوف على سعتها في الماضي ، لكن المساحات الفلاحية النافعة منها في العهد الحاضر تبلغ نحو 320 ألف هكتار ، ولا ريب أنها كانت أوسع من ذلك .

ت - **أراضي الدولة المدعوة «الأمالك المخزنية»** . هي من ممتلكات الحكومة ، والملكية هنا خاصة وخالصة ، يتصرف صاحبها فيها تصرفَ ذي الحق في حقه ، ببيع وهبة ومعاوضة واستغلال ، الدولة لها فيها الحق العيني والشخصي معا بخلاف الصنفين الماضيين .

منها الزراعية البورية ومنها السقوية ومنها المغروسة ، ولو أن معرفة مساحتها الفعلية في الماضي لم تيسر .

ومنها الغابوية التي تكسو الآن أزيد من 8 ملايين هكتار (منها أكثر من ثلاثة ملايين بالحلفاء) . ولا جدال في أن مساحتها كانت أضخم من ذلك بكثير في القرن المنصرم ، لما يُعْلَم من أن رقعة المغرب كانت مكسوة بغابات شاسعة . ولربما لم تكن الدولة في الماضي تستصوب تملك الغابة الطبيعية ، ولم تكن أيضاً الأعراف تقرها على ذلك .

ث - **أراضي الأحباس (أو بلاد الجامع)** . للمصلحة العمومية الأخيرة حق النظارة وتنفيذ إرادة المحبس .

نظائر الأحباس بالمدن ، ونوابهم بالبوادي ملزمون بتنفيذ وصية المَحْبَس ، من بر وإحسان وعبادة . والأمالك لا تُفَوَّت ولا تحجز إلا بنص القانون .

3 . رسالة الامير مولاي عبد الحفيظ بن الحسن الى محمد المفضل غريط في متم جمادى الاولى 1322 / منتصف غشت 1904 وكذلك « المختار من المراسلات المغربية » لأوجين فومي ص 150 وايضا عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 82 و 533

الأوقاف لها ممتلكات فلاحية تستغلها بالاكراء ، وتبرم عقودا مع المزارعين للمغارسة والمساقاة والمزارعة المعروفة في الفقه الاسلامي والمذهب المالكي .

وعرف عن عقارات الأقباس انها كانت دائما مستقلة عن أملاك الدولة الخصوصية والعمومية معا ، ولو أن من المتعذر معرفة مساحاتها في القرن الفائت على الأقل ، ولو أن من المحتمل أيضا أن يكون بعض الأشخاص قد سطوا أيضا على طرف منها بأنواع التحايل ، مثل الاكراء الطويل الأمد أو بالتواطؤ والسكوت .

وحتى سنة 1929 كانت قيمة الأملاك الزراعية تصل الى 258 مليون من الفرنكات ممثلة في 28.260 قطعة (4) ومنبثة في شتى نواحي المغرب .

ج - **اراضي الخواص** لا سبيل لمعرفة مساحتها وتبيان مساحتها وتحديد أحجامها ومداهها . ويجوز أن نقول إنها البقية الباقية من الأراضي النافعة (5) كما سيأتي وأنها كانت تتجاوز الملايين من الهكتارات .

وكما كانت الملكية جماعية ، كانت أيضا فردية . وكانت تتمايز في مساحتها . متوسط الضيعات الفلاحية الفردية لا يمكن تقديره على وجه الدقة ،

4 . جوزيف لوسيون : « الأقباس بالمغرب » ص 213 . اما سنة 1963 فبلغت القطع 130 الفا والمساحة 90 ألف هكتار ، بين سقوية وبورية وغابوية . تنظر عن ذلك « دعوة الحق » عدد يناير 1966 ، ص 34

5 . يرى عبد اللطيف بنشريفة في « الحيازات الفلاحية بالمغرب : بنيتها وخصائصها » (ص 6 و 7 من « مجلة جغرافية المغرب » العدد الخامس للسلسلة الجديدة 1981) أن مساحة مجموع الأراضي الفلاحية النافعة في الثلث الاخير من القرن العشرين تبلغ بالهكتارات وبالنسب المئوية ما يلي :

1 . اراضي الملك الخاص :	5.373.600 هـ أو 74,30 %
2 . اراضي الدولة :	445.000 هـ أو 6,15 %
3 . اراضي الجيش :	319.200 هـ أو 4,41 %
4 . اراضي الاقباس :	83.700 هـ أو 1,15 %
5 . الاراضي الجماعية :	1.009.900 هـ أو 13,96 %

الجميع : 7 231 400 هـ

لا سيما في العصور الخالية . فالأملاك كانت تتضخم ، كما كانت تفتت . ومتى تضخمت ، كان لصاحبها وزن اجتماعي يدفعه الى الحفاظ عليه بوزن سياسي أو بجاء مخزني ، أي بزلفى وتزلف تارة ، أو بعصبية وتعصب تارة أخرى .

لكنها متى تفتتت وتجزأت بتعاقب الاراتة عبر الأجيال (وكل توارث يزيد الأملاك تمزيقا ، ويضاعف عدد اصحاب الحقوق فيها) أفضت بأهل الأرياف الى الهجرة الى المدن والحوضر ، طلبا للرزق أو فرارا من العدوان أو نجاة من الأوبئة .

ولئن كان من العسير معرفة معدل الملكية الفردية في مجموع البلاد ، فان متوسطها بأحواز طنجة سنة 1867 كان مثلا يبلغ 50 هكتارا (6) . وهذا رقم لا قياس عليه ، لأنه محط نقاش .

* * *

2 . I . I : مدى الأملاك العقارية وصيانتها

ولما كان الترامي على العقارات محتملا (لأن الرسوم كانت تعتورها عيوب في الشكل أو في الأصل ، أو يلحق المعاملات غبن" ، أو يفسدها غش ، كتعدد البيوع لنفس القطعة أو الضيعة ، في وقت واحد لأشخاص مختلفين) ، صار نظام التحفيظ العقاري أفضل ضمانة للحيلولة دون ذلك ، ولكنه لم يحدث إلا في بداية القرن العشرين .

وقبل ذلك ، كان المسح الطبوغرافي للعقارات أمرا يستحيل معه تثبيت الملكية ، ولو أن الفلاحين كانوا يعرفون حدود عقاراتهم - صغرت مساحتها ، أو كبرت - معرفة يقين ، بل كانوا يدركون بالذكري والحدس مكان إقلاعهم لشوكة أو لغرسة بكامل الدقة ، ولو بعد مرور سنين . الغالب أن كل واحد كان يعلم حقه ، حتى ولو تجاهله أمام الغير .

الاراضي الاخيرة تفوق 10 ملايين هكتار ، تسعة اعشارها مخصصة للرعي . لكن بول باسكون يذهب الى ان مساحة الاراضي الجماعية تبلغ 5 ملايين هكتار للجميع حسبما جاء في « شركة عقارية رعوية » بمجلة « البحث العلمي » ، وبالمعدد الرابع والعشرين (يناير ابريل 1975) ، ص 142 ، تعريب زبيدة بورجل .

6 . « تاريخ المغرب » ص 304 .

ضم الأراضي كان بالشفعة والارث والشراء مثلا . لكن التقنيات الحديثة أبانت عن فائدته الاقتصادية القصوى ، لا سيما اذا كانت الأرض ستصبح مسقية . ولئن تولدت عن ري الحقول منافع كاحداث فائض القيمة وتقنين الانتاج وبرمجته ضمن طرائق التناوب الزراعي ، فقد خلق السقي ارتفاعات أخرى لصالح الجوار (إحداث طرق ، ومد قنوات السقي الخ) .

الري والغرس كانا ولا يزالان لمزيد من المردودية الاقتصادية ، حتى لا تترك الأرض مهملة .

* * *

3 . I . I : الاستغلال وطرائقه

للانتفاع بانتاج الأرض وسائل مادية وأساليب فنية : فالوسائل هي التربة والماء والبذور والأدوات ، والأساليب هي الاجارة والعمل الشخصي .

أ . التربة والماء

الزوابع تنقل رمال الصحراء التي ليست أرضا فلاحية وهي لا تعنينا هنا . أما الأنواء الأخرى ولا سيما الأمطار ، فكانت ولا تزال في النواحي الشمالية تجرف التربة الصالحة في المنحدرات والمرتفعات . وعن الريف الغربي الكثير الأمطار ، لاحظ الخبراء أن الانجراف الحالي يقضي على القشرة العليا من الأرض ويدفع بها الى بعيد بنسبة 2% كل سنة . ولا ريب أن هاته الآفات كانت متفاحشة في العهود الماضية . الانجراف والتآكل يحدثان من المخاطر ما لا يطاق : فيضان أودية كسبو ويناون ، وضياع محصولات وأشجار .

وكلما ذهبنا من الشمال الى الجنوب ، ومن الغرب الى الشرق ، تناقصت كميات الغيث السنوية ، وقلت الزراعات ، وكثرت السوائم والأنعام التي منها المعز التي تتسلق الأشجار وتاكل ثمارها واوراقها وتحطم اغصانها . أو ترعى في الحقول فتقلع النبتة بجذرها وبتربتها التي تجرفها السيول وتذروها الرياح .

اختلفت الأتربة في قابلياتها الزراعية ، ومردّها بصفة عامة الى 5 أنواع :

تيرس بهضاب شمال مضيق تازة وجنوبه وسهول مكناس وفاس
وضفاف سهل الغرب والجزء الجنوبي من بلاد زمور وزعير ونجود الشاوية ،
باستثناء المنطقة الساحلية .

الحَمْرِي بالمغرب الشرقي ومكناس وطوال المحيط الأطلسي ، غير
بعيد عن البحر ولا سيما بنواحي دكالة .

الدّهْس على ضفاف الأنهار التي تصب في المحيط مثل يَنْدَاون
وورغة وسَبو والرَّدَم وبَهْت .

الحَرْوُشَة والرمل بالغرب والواجهة المحيطية (7) .

ب - باقي الوسائل

بالبذور والسماد والأدوات المعدنية والخشبية كان الاستغلال جائزا .
ولا يظهر أن البذور كانت منتقاة ، لكن يحتمل جداً أن الفلاحين
المَهْرَة كانوا يعرفون ما يصلح لتربة دون تربة ، ويدركون أوقات الأشغال
القروية ، ولهم خبرة بمطالع الفصول وتوقيت لمعرفة المنازل : فصلا الخريف
والشتاء للحبوب ، وفصل الربيع للقطاني التي كانت أيضا تزرع في الأراضي
«الجامّة» .

التسميد كان في الأراضي المجاورة للغابة باحراق أوراق الأشجار
وجمع رمادها وبذره (8) كما كان بروت البهائم و «الغُبَار» ، سواء في ذلك
الأراضي البورية والمروية .

الأدوات كانت تتمثل خاصة في المحراث الخشبي والمنجل الحديدي
والمقص لتشذيب الأشجار والمقعدة لقطع الأخشاب .

7 . البير كيوم : « التطور الاقتصادي للمجتمع القروي المغربي » ص 16 - 18

8 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج I ص 215

أما في غير الأراضي «البعلية» والمشجرة ، فقد كانت الناعورة مسخرة لجلب مياه الآبار بولجة سلا وبأحواز فاس ومكناس حيث النواعير والسواني ، وبنواحي الصحراء حيث الحطّارات المملوءة بفيض الأمطار العاصفة، ولكنها كانت أيضا بغيرها كضفاف ورغة وسبو ، وتذكرنا بالعهد الروماني (9).

أخذ شيء من التجديد يدخل على الأدوات . فقد جلب محمد الرابع لما كان وليا للعهد آلة ذات أربعة أفراس لدرس الزرع (10) .

الحيوانات مقرونة الى مثيلاتها أو الى غير مثيلاتها كانت تتولى الأعمال الشاقة من حمل وحرث وقلب وعزق ، أو منفردة لجلب المياه من الآبار ولسقي أحواض الخضر والبقول بالسواني والحدائق والحقول . لكن العناية بها كانت قليلة وخاصة في علفها .

ت - أساليب العمل والاستغلال

ربما كان الغرض الأساسي منها حصول الاكتفاء الذاتي . وكان الاستثمار مباشرا وغير مباشر .

الأول كان عاما ، كلما كانت مساحة القطعة الأرضية صغيرة أو متوسطة ، يعمل فيها الفلاح بنفسه وأهله ، ويستعين أحيانا بغيره من العمال لأجراء ما هو واجب من عزق وقلب وحرث واستصلاح وتنقية وحصد ودرس ونقل .

والثاني كان موجودا ، متى عظمت المساحة أو كان الملاك حَضَرِيًّا أو كثير العقارات . فكان يكرّيها للغير أو يعقدها له بالخِزْرة أو بالنصيب ، أو كان يعتمد الى اتخاذ نظام الخِمَاسة في الأراضي البعلية ، أو نظام الرِّبَاعَة

9 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 36

10 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 32

في الملكيات المسقية . ولا يزال الخمّاسون والربّاعون يشتغلون حسب هاته الطريقة القديمة منذ قرون سحيقة .

والى جانب ذلك كانت «السُّخْرة» وكانت «التّويّزة» : الأولى كانت قسرية والأخرى كانت ، في كثير من مظاهرها ، تعاقدية . والمراد بهاته الأخيرة التعاون في إنجاز الأشغال القروية في الأراضي الفسيحة الأرجاء كالعزائب التي كانت في ملك أهل الزوايا ورجال المخزن والولاة والاشراف ، ولكنها ما لبثت أن صارت سخرة قسرية على الفلاح ورجل البوادي .

هاته الأيدي العاملة سهّرت على تنفيذ عدد من العمليات النافعة والمضرة : تنقية الأرض من الدوم والأشواك والعُنبّ والأحجار . وفي منطقة الغرب مثلاً استصلحت العقارات وجففت الممرجات من الماء ، ولو أن هاته العملية لم تُجرَ على نطاق واسع إلا في النصف الأول من القرن العشرين ، حينما نزل المعمرون بهاته الناحية .

بعض الفلاحين من أهل الجبال حرثوا المنحدرات فانجرفت التربة ، أو تراموا على الغابة فقلعوا أشجارها . ولم تكن المدرّجات معروفة في ذلك الوقت على الراجح ، كما لم يكن الانحِتات معالِجاً بالطرق العصرية المعهودة في وقتنا ، مثل الطريقة البيولوجية (كالغرس) أو الميكانيكية (كالتدعيم بأسوار من الأحجار) .

هاته الأساليب المختلفة في الاستغلال صاحبتهّا طرائق أخرى في العقود . إكراء الأراضي للغير كان مضراً بها . فالمكتري ، الذي يعلم أن العقار الذي سيستغله صائر الى غيره لا محالة ، لم يكن يُعنى بمستقبل الأرض ، همه — كهم الملاك — أن يستخرج منها أقصى ما يجوز من ربح ، أو أوفر ما يمكن من إنتاج ، بأقل جهد وأدنى تكلفة .

الفلاح الملاك المستغل كان يعرف أنواعاً من الأساليب الزراعية منذ عهود قديمة . كان يترك قسباً من أرضه مستريحاً طيلة موسم فلاحي أو يزرعه

بالقطاني تقوية لعناصر الحياة فيه . كان الاجمام معهودا رجاء «الصابة» الوفيرة أو توخيا لتحسين الانتاج وظروفه .

* * *

I . I . 4 : الانتاج الزراعي

شغلت الأرض بأنواع الفلاحة البعلية والمروية ، وغطيت بأشجار الفاكهة والغابة في السهل والجبل معا . أما واحات الشرق والجنوب ، فقد أنبت فيها النخل خاصة . الأراضي في النواحي الجافة كسيت بالحلقة والنباتات البرية .

أما الجبل الأكبر من مساحة المغرب فكان فيه كثير من الأرض الموات قد تصلح للاستغلال وقد لا تصلح .

وقبل أن ندخل للكلام عن الأنواع الزراعية القوتية ، يحسن بنا أن نستعرض كافة الأراضي ، لنرى ما كان مهملًا وما كان مستصلحا أو صالحا للنشاط الفلاحي والحيواني .

أ . الأراضي المهملة والمستصلحة

لم يرد في المصادر القديمة بيان عن مساحات الأراضي المستصلحة والمهملة . فالمؤلفون والرحالة الأوروبيون الذين زاروا في القرن التاسع عشر منطقة الغرب التي كانت بابا للمغرب الشمالي تضاربت أقوالهم في ذلك . بعضهم ذهب الى أن المَهْمَل منها كان الثلثين ، وآخرون قالوا إنه النصف ، وثالثون بالغوا فزعموا أن 99% من ناحية الغرب كانت مهملة ، ولاسيما في سنوات القحط . وبديهي أن الغرب منطقة فقط ، ولا يصح القياس عليها ولا التعميم في الحكم تبعا لذلك .

أما رأي ده فوكو فيحتمل النقاش ، إذ يروي أن النواحي المهملة كانت بتازة وتادلة وسائيس في السنة التي تجول فيها ببعض أنحاء المغرب (1883) ، بعد سني الجذب الذي استمر سبع سنوات بالجنوب وخمسة فيما عداه .

لكنه مالبث أن ذكر عن النواحي الأخرى أن «المغاربة لم يكونوا يدعون حرث أي مكان صالح بناحية شفشاون ، وأن أحواز فاس لم تكن تحتوي على مكان مهمل الحرث ، وأن قبيلة زمور تقطن ببلاد غنية ومحروثة ، وأن سوس بلاد الزراعات المزدهرة . . . » (II) .

وتعوزنا إفادات عن أحوال الأراضي في القرن الماضي للمقارنة . وحتى منتصف القرن الحالي كانت المساحات القروية الاجمالية في المنطقة الوسطى من المغرب (دون باقي النواحي الشمالية والجنوبية) تبلغ مستويات مختلفة من الاهمال والغرس والحرث والنبات . فكانت :

— 52ر00 % من الأراضي : مواتا	
— 9ر20 % » : محروثة	
— 6ر80 % » : مستريحة	
— 9ر10 % » : غابوية	
— 4ر60 % » : عامرة بالحلثة	
— 17ر00 % » : مراعي	
— 12ر00 % » : حدائق وجنات (I2) ، وذلك هو مجموع	
99ر90 % .	

على أن مساحة المراعي كانت تبلغ حتى منتصف القرن العشرين أو بعده بقليل حوالي 15 مليونا من الهكتارات (I3) من مختلف أصناف الملكيات .

ب - الزراعات البورية : أهمها الحبوب والقطاني التي كانت ولا تزال هي المزروعات البعلية السنوية التقليدية . مساحاتها لم تأت مفصلة عن جميع النواحي ولا مضبوطة في المصادر خلال القرن التاسع عشر .

I1 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 34 و 35

I2 . البير كيوم : « الملكية الجماعية بالمغرب » ص 66

I3 . بول باسكون : « شركة عقارية رعوية » مصدر سابق

الأرقام التي عندنا في حاجة الى تمحيص : مثلا كان ثمة نحو 200 ألف هكتار محروثة بالقطاني والدوالي والبواكر سنة 1870 . وقبل ذلك في أحواز طنجة سنة 1867 حرث بالشعير 5 آلاف هكتار وبالحنطة 4 آلاف وبالقمح 3 آلاف (14) . وهاته الأعداد الصغيرة لا تفيدنا الا قليلا .

أما بعد ذلك فلم أقف على شيء حتى بداية القرن العشرين . المصنفون من الأجانب رووا أرقاما جزئية عن طنجة التي ليست مجموع المغرب طبعا . فلنحاول أن نقرب من العهد بأرقام : إذ يستفاد من احصاءات الترتيب سنتي 1915 و 1930 أن المساحات تكاثرت :

<u>الأصناف :</u>	<u>1915 :</u>	<u>1930 :</u>
— القمح الصلب :	563.074 هـ	944.931 هـ
— القمح الطري :	لا شيء	251.590 هـ
— الشعير :	698.504 هـ	1.297.792 هـ
— المؤدون للترتيب :	250.000 فلاح	784.000 فلاح (15)

أرقام أخرى عن سنة 1918 دلت على ازدياد المساحات المحروثة التي بلغت في المجموع مليوناً و 861 ألف هكتار . وها هو تفصيلها :

— الشعير	882 ألف هـ
— القمح الصلب	640 » »
— الذرة	264 » »
— الفول	38 » »
— الحمص	21 » »

14 . « تاريخ المغرب » ص 314

15 . ليون مارشال : « مختصر التشريع المالي المغربي » ص 97 .

– الذرة البيضاء والزوان 9 » »
– الكتان 3 » » (16)

وهنا ينبغي أن أشير إلى أن هاته البيانات لا تخص إلا المنطقة التي كانت تدعى السلطانية ، دون باقي المناطق ، وإلى أنها لا تعني مجموع المساحات الخاضعة للضريبة المذكورة .

ومما لا شك فيه أن بعضا من الفلاحين كان لا يصرح بما عنده ، لسبب من الأسباب ، فلا تدخل مساحته ضمن المجموع .

ونلاحظ هنا أن القمح الطري لم يكن معروفا ، وحتى سنة 1918 لم يرد له ذكر ، وهو مما جلبه الأجانب إلى المغرب . بينما كان الشعير محروثا بالنواحي الجنوبية ، خاصة وأنه لا يتطلب الكثير من المياه وينسجم مع أحوال الطقس .

وإيا كان الأمر ، فقد كانت الأراضي مشغولة في جزء منها بالحروث التقليدية التي لا يعرف مدى عطائها السنوي في الوحدة . بيد أن معدل الانتاج السنوي في الهكتار كان لا يتجاوز في الغالب 700 كيلو (17) ، حسب سنوات الرخاء ، أو أقل من ذلك أو منعما في سنوات الجذب .

ت – **الزراعات المسقية** : الماء هو العمدة فيها . وفي شأنه كانت تنشب نزاعات بين الفلاحين في السهول والجبال والصحراء . وفي نواحي الحوز اشتدت الخصومات والفتن عليه .

وفي فجيج سنة 1877 تواطأت قبيلة الوداغير وقبيلة زناكة على قصر من القصور القريبة لتنتزع منهم الماء . فتربص المعتدون حتى دخل أهل هذا

16 . البير كيوم : « الملكية الجماعية بالمغرب » ص 66 . وعلى سبيل المؤانسة نشير إلى أن التصميم الثلاثي 1978 – 1980 قدر المساحات المحروثة بالقمح الصلب والطري في 1 753 000 هكتار ، والمساحات المبذورة بالشعير والخرطال والقطاني في 215 000 هـ 3

17 . أحمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 215

الدوار الى المسجد ، ووضعوا ناسفة تحته ، فهلك جميع من فيه — على ما قيل — من جراء الانفجار ، فتحول الماء الى ناحية زناكة وصارت غنية بالماء المغتصب (18) .

كانت المزروعات تحتوي على الخضر والبقول والفواكه والدوالي وبعض المشجرات . أما المساحات المسقية فغير مذكورة في المصنفات والمخطوطات ، ولكنها حتى منتصف القرن العشرين لم تكن تتعدى 50 ألف هكتار ، (وهي مساحة تضاعفت اليوم 14 مرة) .

اشتهر أهل درعة بالمهارة في الزراعة المسقية ، وأهل الغرب بتربية المواشي ، وأهل الريف بغراسة الأشجار (19) والكروم .

وقد مر بنا أن سكان بعض المدن كفاس وسلا وأهل ضفاف ورغة وسوس كانوا يحسنون الزراعة السقوية .

أهل سوس ومراكش كانوا في القديم يستخرجون السكر من القصب ، لكن هاته الزراعة مالبت أن خبّت ، الى أن حاول محمد الرابع إحياءها على ما يظهر .

فقد اعتنى بزراعة القصب السكري ، واستقدم لذلك اختصاصيين لتصفيته في مصنع أكدال بمراكش ، وجدد حفر قنوات السقي ، وحاول حفر آبار على الطريقة العصرية .

كما أنه اتخذ مبادرات لزراعة القطن ، وشجعت إنجلترا حكومة المغرب على حراثته بنواحي دكالة والجديدة سنة 1865 ، فبلغ إنتاجه آنذاك 400 قنطار (20) . سلا وأحوازها كانت تحرث القطن في نفس الفترة لمدة من الزمان .

18 . مارك بونفوس : « منخلة فجيج » ، ص 71

19 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ، ص 37

20 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ، ج 2 ص 32 و 68

وما عتمت تلك الزراعة أن انهارت لأسباب دولية وظرفية ، ولما يتطلب حث القطن من عناية وعناء .

ولئن لم يكن الأرز على ما يعتقد معروفا في زراعته في ذلك العصر ، فقد بدأ إنتاج البطاطيس يصدره أروبيو الدار البيضاء حوالي 1880 في نسب ضعيفة .

وعلى كل حال ، كانت الأرض المغربية تنبت ما يكفي لتغذية 5 أو 7 ملايين من السكان ، وكان شيء من الانتاج الفلاحي والحيواني والغابوي يصدر الى الخارج كالحبوب والقطن والجلود والصوف والفرشي ، على يد المخزن ولاسيما حبوب الزكوات والأعشار .

أما الباقي منه فكان يدخر في المطامير والأثاديرات ، أو يباع في الأسواق ، كما كان التبغ يجمع بالنوادر بالأكوام لعلف البهائم .

ث - المفروصات

اشتملت على أشجار الفواكه في المرتفعات والسهول معا : مثل الكروم ومثل أشجار الزيتون واللوز والتين والمشمش والحمضيات والتفاح والرمان والبرقوق . كما كانت أنواع من الأشجار كالنخيل تغرس في الصحراء ، بينما كانت أشجار الفرشي والعرعر والأرز والصنوبر والبلوط تنمو في الجبال وحتى في السهول ، حيث الأرض فقيرة التربة .

وبناحية الصويرة اشتهرت غابات أرغان ، التي لا توجد في أي بلاد غير المغرب ، ويصير منها زيت لذيذ ، سأل له لعاب بعض المستوطنين الفرنسيين بهاته المدينة في أواخر القرن الماضي .



هذا بعض ما يتعلق بالأرض وهيكلها ووسائل استغلالها وإنتاجها البوري والمروي والمشجر ، لما فيه من مصلحة للإنسان وللحيوان . وقد أتيت سابقا بطائفة من الأرقام والبيانات على وجه التقريب والاستئناس ، لأن

بداية القرن العشرين تتماثل في بعض من أوجهها مع نهاية القرن الذي قبله ، حسبما أشرت إليه غير ما مرة في مواطن مختلفة . ومن هنا نخلص الى دواب الكُراع والظهر والضرع .

* * *

المطلب الثاني : السوائم

اختلفت في أعمالها وتعددت رؤوسها

2 . I : دور المواشي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كانت مصدرا أساسيا وثانويا معا من مصادر أهل الو بر . فبينما يتخذها الرحالون موردا جوهريا ويسيمون دوابهم في المراعي ، جعلها المقيمون دخلا مكملا لما لهم من عقار أو شجر ، حتى قيل عنها إنها « كنز الفقير » يدخر فيها توفيره .

ذوات الكراع تعينهم برؤوثها وجهدها ونتاجها في أعمال الحرث الشاقة (البغال والحمير والجمال والثيران). وكان منها ما يتخذ للظهر أي الركوب والسفر . وأفضلها الجمال في الصحراء ، والأفراس في البوادي . الخيل كانت للأفراح والزينة والحرب والمفاخرة ، لما اشتهرت به من سرعة وخفة ورشاقة في رياضة «التبوريد» . ولا ريب أن الحصان كان سفينة البداء ، مثلما كان الجمل سفينة الصحراء ، ولاشك أن من أهل القرى من كان يُعنى بتربيتها منذ عهود قديمة ، على الرغم من انتقادات جون هي واستهزائه ، لما قارنها بغيرها من الخيول الأجنبية في إحدى رسائله .

المؤاخذات هاته لا تنصرف فقط الى الخيول ، ولكن الى مجموع السوائم . فكانت تصاب بأوبئة وبأمراض ، وتعالج على يد البيطار التقليدي الذي ورث عنه السمار بعض أعماله .

حيوان الكُراع والضرع كان يعيش كيفما اتفق : تارة يطلق في المراعي الطبيعية أو «المكدلة» ، (أي المحاطة بأحواش وأسلاك ، منعاً للمواشي

من دخولها . ولاسيما عند أهل الجبال) وتارة أخرى في الحقول المحصودة .
ومرة ثالثة بالغابة يلتقط ما يكفيه أو ما لا يكفيه لاسترداد الجهد الذي بذله
طول النهار ، أو المنتظر منه من إنتاج غذائي كاللبن ومشتقاته واللحم والادام
والصوف والجلود أو من نتاج وتوالد .

وكان من هاته الدواب ما كان قنوعا ولوداً ، كالمعز الذي تلد أنثاه
بنهمين أو ثلاثة كل خمسة أشهر ، والذي يَجْتَثُ النبتة من أصلها وبتربتها
في المرتفعات ، ويلحق أضرارا بالأرض والشجر حسبما تقدم وصفه .

ومنها ما هو أكول ومِعْطَاء كالبقرة . كان ادخار العلف يأتي في المرتبة
الأخيرة من اهتمام مالكيها . فاذا احتاج الى مال يقضي به حاجة عرضت له
كالحصاد ، باعها في السوق ، ولربما نحر خروفا إقراءاً لضيغه الطارئ ، أو
ذبح شاة استئلافاً لقلب زوجته الناشزة ، أو «عَرَقَب» على قومه ، أي سفك
دم حيوان ، حقناً لدماء أهل قبيلته .

وأشد الأوقات حرجا لها كان هو فصل الخريف وبداية فصل الشتاء .
اتخذ الكساب لها زعارة بالأجرة أو بالنصيب . واذا كان الفلاح يفخر
بعدد زوجات حرثه الكبرى أو الصغرى ، فقد كان المربي يَعْتَدُّ بأرقام عِصِيَّه
وقطعانه و «دولة» أنعامه .

* * *

2 . 2 : أعداد الأنعام

رؤوس المواشي اختلفت أرقامها عبر السنوات ، فقد تزايدت في أيام
الرخاء وتناقصت في أيام الشدة خلال القرن الماضي .

ده فوكو رأى بنجد ولماس قطعانا كثيرة من الأنعام ، وببلاد تادلة
أعدادا كثيرة من الجمال والأغنام ، وشاهد بسوس أبقارا جميلة ووفيرة ، مثلما
رأى ببلاد زيان وطنجة وأوروبا (2I) .

2I . عبد الله العروي : « الاصول ... » ، ص 35

مؤلفات الأجانب لا تشير بشيء الى بقية المناطق كالغرب والشاوية والظهرا والصحراء ، حيث تعددت الأنعام .

وأيا كانت رواية الراهب ، فقد تضاربت الأقوال في عدد السوائم في العهد الرحماني حيث كان المغرب يملك 40 مليوناً من الغنم وما بين 10 و 12 مليوناً من المعز ومن 5 الى 6 ملايين من البقر و 5 ملايين من الجمال والأفراس والبغال والحمير ، نقلا عن راهب آخر هو ليون كودار ، بينما يرى مصدر إضافي أن ثروة المغرب من الحيوانات كانت 48 مليوناً من الغنم و 6 ملايين من البقر (22) سنة 1859 .

وكانت سنوات الشدة التي جاءت بعد ذلك مهلكة . في سنة 1868 ضاعت 30% من أغنام دكالة ، دون بقية النواحي . وفي سنة 1879 ماتت نصف رؤوس المواشي في بعض الأقاليم وثلاثة أرباعها في مناطق أخرى كما تقدمت الإشارة إليها في «الجوائح والقواصم» .

وصدّرت الى الخارج أصواف كانت سنة 1877 تزن 3 ملايين من الكيلوات ، وهو ما يفيد جزئاً حوالي مليونين من الغنم (23) أو تزيد بكثير . كما صدرت الثيران ، لكن ببضعة الآلاف كل سنة تقريبا ، لدول مختلفة .

وعلى سبيل التقريب والمؤانسة أذكر أنه كان في المنطقة الوسطى وحدها في منتصف القرن العشرين 23 مليوناً من الأغنام و 7 ملايين من المعز و 2 م من الأبقار و 700 ألف من الحمير و 350 ألفاً من البغال والأفراس و 200 ألف من الجمال (24) .

ونرى مما سلف أن أعداد المواشي تناقصت خلال قرن تناقصاً واضحاً.

* * *

22 . عبد العزيز بنعبد الله : «مظاهر ...» ج 2 ص 30 و «معطيات ...» ج 2 ص 63

23 . جان لوي ميج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 240

24 . البير كيوم : « التطور ... » ص 19

والى جانب هاته المواشي كانت الدواجن . ذوات الريش مثل ذوات
الضرع كانت لسد الرmq . كما كانت تباع في الأسواق التي يحمل اليها بيض
وزيت وسمن وحبوب وقطان وصوف وعسل . ومما لاشك فيه أن «جباح» النحل
أي قفائزه كانت موردا إضافيا للفلاح .

* * *

مجمل ما تقدم كان عن الحيوان والأرض والانسان (25) وأغلبه ورد
في تأليف أجنبية . أما وثائقنا وكتب تراثنا فلم تفتح بعد ليقارن ما فيها بما في
غيرها . ولو كتب الاطلاع على ما هو مغمور أو مفقود من ربائذ الأسر وكنائش
الخراسين وحوالات الأحباس لانفتح باب المناقشة واسعا ، ولظهر تحول
مفيد في كتابة التاريخ الاقتصادي خاصة .

وعلى كل حال ، بدأ التطور بارزا في الفلاحة ونموها لما دخل العنصر
الأروبي وأغنياء الحضر الى الميدان بشراء العقار وخلطة الفلاحين .

فكيف كان بعض ذلك ؟

* * *

المطلب الثالث : الخلطة وتملك العقار

3 . I : الخلطة

قبل النصف الأول من القرن التاسع عشر لم يكن نظام الخلطة أو
الاشتراك مع الأجنبي في الانتاج الفلاحي والحيواني معروفا . حتى اذا تقدم

25 . الكتب المغربية القديمة لم تمدنا بشيء عن احوال الفلاحة في الماضي
لذلك لم اجد مناصا لتكميل النقص من الرجوع الى بعض التأليف عن الجغرافية والزراعة
الحديثة ، ومن اللجوء الى اولى سنوات النشاط الاداري (1961 – 1978) ، فتصححت
الآن عندي شيء من الفهوم وطائفة من التصورات ، لاسيما بعد تقلد اعباء السلطة ،
والانتداب لدى مكتب التسويق والتصدير ، والعمل بمشروع تنمية الريف الغربي
« الديرو » . ولكل من ذلك علاقة بالمعالم القروي .

واود في الختام ان اقدم جزيل الشكر الى المهندس الزراعي السيد احمد النجاعي
وزير الفلاحة سابقا ، على العناية التي قدمها لي اثناء مراجعته لهذا المطلب عن الزراعة
والاشغال القروية .

الزمن وتسايكن الأوروبيون مع المغاربة وأبرمت معاهدة مدريد بدأت الخلطة تظهر ، وصارت عاملا جديدا من عوامل تكوين الثروة ومصادر الرزق ، وغدت عادة مستحدثة في الاقتصاد الفلاحي ، فأصبح نظام الخليط أشبه بنظام الخماس .

وحينئذ طفقت هاته المعاملات تبرم بين الفلاحين والأوروبيين ، واقتدى بهم أغنياء الحضريين الذين كانوا قبل ذلك بلا ريب يعمدون الى عقود عرفية أو شرعية من هذا النوع مع أهل البوادي (26) .

كان نظام الخليط شبيها بوضعية الخماس . وقد فعلت الخطوب فعلها في المغاربة وتعاضم البحث عن الخلطة التي كانت سهلة المنال .

ولئن كان السمسار والمحمي متمتعين بحصانة في الرقاب والمتاع ، فالخليط لم يكن له من ذلك شيء ، سوى الحماية المفروضة على الأموال التي كانت ملكا للأجانب .

وكان من الأوروبيين من يبيع الخلطة كما يبيع الحماية والسمسرة ، فلم يقتصر على الستة من الخلطاء المقررين في معاهدة مدريد ، بل تجاوزهم الى العشرات .

مثلا بأسفي كانت الخلطة الفلاحية أفيد من الانتاج الفلاحي نفسه ، ولا سيما عند الدكتور آلار Allard نائب قنصل فرنسا ، الذي وصل الى المدينة دون وسائل مادية كافية ، ثم اتخذ لنفسه خلطاء كثيرين خلقوا له من المشاكل ما سيأتي شرحه في مدينة آسفي بحول الله .

وفي منتصف القرن التاسع عشر استطاع ستة تجار فرنسيين أن يصيروا ملاكين لـ 16.000 رأس من الماشية في قبيلة واحدة هي أولاد حريز . وقد وضعت تحت حراسة 81 راعيا مغربيا . وتألقت تقريبا - حسبما جاء في

26 . احيانا كان بعض الخلطاء لا يوفون بعهودهم ، ومثال ذلك انهم كانوا يزعمون لشركائهم هلاك رؤوس من المواشي المجعلولة تحت رعايتهم ، او يحتجفون قسطا من المحاصيل الزراعية ، او يحاولون - عند المحاسبة - ان « يخرجوا الما فـ الما » مع الملاكين ، وهذا هو اصل النكتة الجنسية السارية على السنة الحضريين من ان اصحابهم ليسوا « عروبية » ، وانما هم من اهل « عبروا بيا » (اي بتسكين الباء الاولى) . وقريب من هذا قولهم ايضا : « اذا اراد الله ذهاب المالية ، ابتلاك بخلطة اهل البادية » .

كناشة ابن اليماني - من رؤوس الغنم (27) ، وذلك في الوقت الذي كان الصوف المغربي يباع في الخارج بأثمان مربحة .

وبالدار البيضاء اتخذ قنصل إنجلترا جون لا بين وقنصل أمريكا جون كوب العديد من الخلطاء . ومثلهما في ذلك الحاج عبد السلام الشاوش بالقصر الكبير وهاري ماك لين الأنجليزي بنواحي فاس وغيرها . وكان هذا الضابط قد أثرى إثراء فاحشا من منصبه فوظف معه أعدادا ضخمة من الرعاة المغاربة المسلمين .

هذا ، ولا شك أن رعاية الحلاليف لم يكونوا كلهم من المسلمين لتحريم الخنزير ، ومن المحتمل أنهم كانوا من الاسبانيين والبرتغاليين المملقين . وقد ترددت أصدااء رعي الحلو في أحواز المدن كتطوان والجديدة في رسائل الولاة المغربية ، واستنكار السكان للعيث والأقذار التي كانت ملتصقة بياته الحيوانات (28) .

كان للمحميين دخل في الفلاحة والماشية ، مثلما كان لأعضاء المخزن والولاة والأغنياء من الحضريين وأهل الزوايا . ولم يكن لها ته الخلطة نفس المفعول القانوني الدولي : فالحماية لا تَنْجَرُ على متاعهم وأرزاقهم بنفس الصفة أمام المحاكم القنصلية أو المغربية كما اومت الى ذلك آنفا .

ويكاد المؤلفون والرحالة الأوروبيون يجمعون على أن حالة العبد والأمة كانت أفضل من حالة الفلاح المغربي . فقد أخذ فقراء البوادي يرحلون الى المدن هرباً من ظلم الولاة أو فراراً من الجندية أو بحثاً عن العمل (29) ، ثم تعاظم النفوذ الأوروبي وأناخت المجاعات والطواعين بكلكلها عليهم وعلى الصناع اليدويين ، فصار التسارع الى الحماية والخلطة سبيلا الى تنكب الأهوال والأزمة التجارية سنة 1880 ، حتى باع أحد الفلاحين هكتارا من الأرض قبل ذلك لأحد تجار مدينة القصر اسمه المراكشي خلال مسغبة 1878 بما يعادل كيسا واحدا من القمح (30) .

27 . جيرمان عياش : « جوانب ... » ص II

28 . عبد الوهاب بنمنصور : « الوثائق » ج 4 ص 239 و 257 و 387

29 . « تاريخ المغرب » ص 311

30 . جان لوي ميبج : « المغرب واوروبا » ج 4 ص 457 (8) وص 339 - 343

ومثل هذا الاستغلال البشع كان يرتكبه أجنب ومغاربة آخرون محميون أو شبه محميين . كانوا يشترون الانتاج الفلاحي في حالة اخضاراه أو قبل حرثه ، ويقتنون الصوف أحيانا على ظهور أمهاتها ، فاستغنوا استغناء مفضوحا واخترنوا واحتكروا للبيع عند الأزمات والطوارئ (3I) . وقد دل هذا البيع بالسلم (ولو أنه مباح في الشريعة الاسلامية) على حالة الاضطرار الأبدي الذي كان يعاني منه أهل البوادي .

ولو كان هذا التسلط مقتصرًا على الانتاج لهان الأمر ، ولكنه امتد الى السطو على الأرض نفسها . وهو ما سنرى شيئًا منه في تملك العقار .

* * *

3 . 2 : التملك العقاري

قبل سنة 1856 لم يكن للأجنب الحق في تملك العقار ، لكن ابتداءً من سنة 1878 صار التسابق الى استعمار الأراضي بالبوادي أمرا ممكنا بوسائل ملتوية ، بالرغم من تحذير السلطان ومن التدابير التي كانت تتخذها السلطات الادارية والقضائية لدى التسليم والاشهاد العدلي .

ونصت معاهدة مدريد على حق الأجنب من الأوروبيين وغيرهم في اقتناء الملكيات العقارية حضرية كانت أو قروية ، بشرط موافقة المخزن . وتعاضم الخطب ابتداءً من سنة 1889 ، فاشترى الأجنب مساحات وقطعا بالشغور والأرباض ، وبعد ذلك أنشئت شركات فلاحية كان حمها الوحيد العقار والاستعمار .

وكان التراجمة من يهود وغيرهم يملكون ضيعات شاسعة : حاييم بنشيمول كان له 300 هكتار بالغرب ، ومنصور مَلْحَمَة السوري وشريكه ابراهام سكسُو كان لهما 140 هكتارا بنواحي طنجة اشترى بعضها

تيودور فورث Th. Furtth الألماني الأصل الفرنسي الجنسية الذي استقر بطنجة سنة 1892 ، وكانت وراءه مصالح بنكية فرنسية .

ومن أهم الملاكين بطنجة الفرنسي جالوزو ، والنمساوي الدكتور شميدل ، والايطالي اكيلى بيطري ، والأمريكي أيون بيرديكاريس ، والسفير جون هي .

ومثل ذلك يقال بمدن أخرى في نهاية عهد الحسن الأول . بالجديدة امتلك مورطيو الايطالي عقارات ، وبالصويرة كان لجاكطي الفرنسي أملاك فلاحية . وبالعرائش اشترى ده لاروش الفرنسي أملاكاً وعقارات .

وبالدار البيضاء كان لنيومان الألماني ضيعة بالأحواز حوالي 1880 . وامتلك الاخوة لامب عقارات بها وبالجديدة وآسفي ، على الرغم من اشتغالهم بالتجارة . وكانت لفيريوه الفرنسي ولجورج فيرنو الانجليزي أراض زراعية بأحواز المدن .

ونعود الى آسفي لنلاحظ أن مساحة الضيعات بالأحواز بلغت 300 هكتار، وامتلكها أجانب من مختلف الجنسيات مثل الانجليزي بوطر والفرنسي آالر والنمساوي فريدريك كيلينر F. Kellener الذي كان له من الأملاك ما لا يستطيع حرقه ، والذي ظلت ذريته مقيمة هناك حتى منتصف القرن العشرين . هاته الحالة من الهيمنة على العقار الفلاحي ، ولو أنها ضعيفة المساحة ، مهدت لاستعمار الأرض وللإستييطان الأجنبي . وكان المفروض أن يكون التملك وفق قواعد الشرع الاسلامي وبعد نيل رخصة السلطات . ولكن سرعان الرشوة والفساد في الأوساط المخزنية هيأ لذلك أسباباً كثيرة .

ومن ذلك أن قائد الدار البيضاء سنة 1889 باع للأوروبيين أملاك الدولة نفسها ، وسمح لانجليزيين وإسبانيين بشراء عقارات مختلفة .

ولما استدان قائد مديونة للتاجر الفرنسي بروسبير فيريوه بستان ألف فرنك ، سمح له باقتناء الأرض بقبيلته (32) .

وفي ابريل 1890 شهد المنصر سومرز أن أملاكاً عقارية زراعية كانت بيد أوروبيين بين الدار البيضاء وبرشيد (33) بقيادة أولاد حريز .

وهكذا كان الأمر عن غير المسلمين . أما الجزائريون فقد كانوا يشترون أملاكاً ثم يبيعونها للفرنسيين . وكان القاضي يجيز المعاملة بين المسلمين المغاربة والجزائريين ، ولكنه لم يكن يتفطن الى تلك الحيلة في العقد والتفويت والالتزام .

ودخل اليهود - المحميون وغير المحميين - الى ميدان العقار الحضري ، وامتلكوا ثلاثة أرباع طنجة ، وأثروا بالمضاربات والبيع ، وأصبحوا بذلك من أصحاب الملايين (34) .

على أن البورجوازية التجارية اهتمت فيما بعد بالميدان الفلاحي ، باقتناء الأطيان الزراعية التي يصعب تقدير عددها ، لكن فرز رسوم الملكيات فرزا منهجيا يمكن في يوم من الأيام من معرفة مداها . وأغلب الأملاك الخاضعة للتحفيظ العقاري قبل الحماية الفرنسية كانت حتى سنة 1960 في حيازة أسر مغربية كان منها من تعاطت التجارة في القرن التاسع عشر . ومن هؤلاء التجار مغاربة كانوا يملكون أكثر من 7.200 هكتار بأحواز فاس وها هي أنسابهم :

بناني : 1557 هـ - التازي : 1130 هـ - بنيس : 894 هـ - بنشقرون :
868 هـ - الحلو : 801 هـ - برادة : 663 هـ - بنكيران : 357 هـ - بنسليمان :

32 . جان لموي مبيج : « المغرب واوروبا » ج 4 ص 339 - 343

33 . نفس المصدر ص 491

34 . ايضا ج 4 ص 402 (3).

356 هـ — بنيخلف : 145 هـ — بنجلون : 145 هـ — جسوس : 123 هـ — الكوهن :
110 هـ — بنونة : 58 هكتاراً (35) .

* * *

هذا ما تيسر قوله عن المعطيات والمبادلات الاقتصادية . ومن هنا
سأشرع في شيء من الحديث عن الشؤون الدبلوماسية .

* * *

35 . ادريس بنعلي « مثال الانتقال ... » ص 110 — 113 في « المجلة المغربية
للقانون والسياسة والاقتصاد العدد 8 (نقلا عن تأليف جيورجيو لازاريف G. Lazarev)
بعنوان « مظاهر الرأسمالية الفلاحية بالمغرب » ص 17)

الباب الثالث

جوانب من العلاقات الخارجية

الآن وصلنا الى مبحث آخر يرتبط به باقي الأبواب والفصول والمباحث والمقاطع في هذا الجزء وما سيليه من هذا الكتاب : وهو الشؤون الدبلوماسية والقنصلية من خلال المراجع المطبوعة ، ولا سيما من الوثائق المغربية الغميسة.

إلا أنه يجب الادلاء هنا بتوضيح ، وهو أنني لم أطلع على كافة المصادر المخطوطة والمطبوعة التي تتصل بموضوعنا هذا ، وإنما تصفحت منها ما بلغه الجهد ، وبصرت به العين ، وامتدت اليه اليد ، ولربما لست في حاجة الى مزيد من مثل هذا البيان والتعليل ، لأن هذا الكلام صادق على كل ما تقدم ، وعلى كل ما سيأتي .

ثم إنني رأيت أن أرفع التباسا آخر ، وهو أن القول هنا في هذا الباب لن يكون مستفيضا عن العلاقات والالتزامات الخارجية التي كانت لحكومات المغرب البائدة ، ولكنه سيرمي الى الالمام ببعض الجوانب ، لا بغرض الموازنة والحكم ولا بدافع الرغبة وحدها في مراقبة الأحداث من الوجهة التاريخية ، إلا ما أتى من ذلك عرضا أو بما اسعفت به المراجع ، عن هاته الوقائع التي كان تأثيرها مصيريا ، وكانت ابعادها خطيرة ظهرت جليلة اكثر ما يكون الجلاء في مطلع القرن العشرين .

وليس في النية إذن الاستقصاء التام ، ولكن مجرد استعراض بعض الوقائع والأزمات والمشاكل . وإلاّ فأين هي المصادر الكافية النزيهة الموضوعية ؟ استقراء ذلك من صلب المراسلات الرسمية العتيقة صعب المنال ،

واستنطاق الوثائق المخزنية رهين بادراك اللغة أسلوبا ولفظا ونحوا .
فالتراث المغربي لم يحلل ولم يدرس بعد ، لأنه لا يفتأ غيباً من الغيوب . وكل
ما ظهر منه وبعث لا يزال في طور الكشف والتخمين . فاذا كان عندنا الفرع ،
فأين هو الأصل ؟ واذا وجدنا الخطاب فأين هو الرد ؟

حقاً في تأليف الأجانب وتقارير الدبلوماسيين والقناصل ورجال
الارساليات الدينية النصرانية استطرادات مفيدة ، ولربما دراسات قيّمة ،
ومؤشرات دقيقة عن الأحداث الدبلوماسية . لكن الى أي حد يجوز اعتبار
محتواها ثبوتاً صحيحاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ مثلاً
جان لوي ميج وبيير كيين ألفا عن العلاقات بين المغرب والدول الأجنبية
وعن تاريخ المغرب تصانيف جيدة ، لكنهما عجزا عن استكناه مكنون الوثيقة
المغربية في أصلها ، ولو أن بعضها مترجم الى لغات الغير .

وهذا يجرنا الى التساؤل – وحالة مصادرها على ما هي عليه – عن مدى
تبعيتنا في ثقافتنا وتفكيرنا للخارج : هل سنظل عالة في كتابة تاريخنا على
الأجنبي الذي كانت سياسة بلاده تنطلق من دوافع مختلفة ، وتسير وفق
برامج مخططة ، أو تابعة للظروف والملابسات واللقاءات والمواطنات والترضيات
والتنطّعات والمؤامرات والتحديات والتعسفات ؟ ولهذا يجوز أن نفترض
أن في بعض ما جاء في مصنفات عجمية عديدة افتياتاً وتدليساً ، وأنه ليس
إلا نظرة أجنبية فيها ذكاء وفيها خبث معا ، وأن مراعاة الجانب المغربي
الموضوعي لم تؤخذ بعين الرضا والاعتبار ، فاعتمدت على قلب الحقائق
وتشويهها لحاجة في النفس دفيئة .

وبعد ، فسيكون عليّ في هذا الباب أن أمزج ، من المراجع الأجنبية
والوثائق المغربية ، ما أعتقد أن فيه فائدة وخدمة لشيء من جوانب الموضوع ،
وذلك من منظار خاص – صوابه أو خطؤه شيء آخر لا يعني هنا – يسعى
لتقريب البعيد من الفهوم ، ولشرح شيء من الوقائع الغامضة ، ولمعرفة سيرة

اسلافنا ، في سلبياتهم وايجابياتهم في شبه صورة طبق الأصل ، لا يشوبها تحريف ولا يعتورها تزويد .

ولئن كان ذلك من أشق الأمور – وهذا هو عين الحقيقة ، فالكمال لله ! – فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بما يمس بعض هذه الشؤون المنعقدة . ولأجل بسطها ، سقّيت الوثائق تارة عن طريق الاقتباس الجزئي ، وتارة أخرى بواسطة النص الكامل لغميسها ، بعد تسهيل قراءته ما وسّعني التسهيل .

هذا عن الدول التي ارتبطت مع المغرب بعهود وعقود . أما الحكومات الأخرى (مصر وتركيا) فقد قدمت شيئاً عن ذلك في فصل المغتربين . وما إخال الا أن فيه غنّة وبلغّة .

• • •

وجمّاع القول ، ما هي بعض المشاكل المزمّنة بين بلادنا والدول الأوروبية ؟ وكيف كانت تعالج من الجانب المخزني ؟ ومن هم الذين تولوا أمر ذلك ؟ تلك هي رؤوس الفصول التي ستتطرق الى ذلك كما يلي :

– الفصل الأول : الأزمات والسفارات المغربية

– الفصل الثاني : دار النيابة (نبذة عن حياة الخطيب وبرغاش

والطريس) .

– الفصل الثالث : أعضاء دار النيابة وطرف من نشاطهم .

1 : الازمات و السفارات

يشتمل هذا الفصل على ثلاثة مطالب : الازمات والسفارات ووفادة
الطريس على البابا سنة 1888 .

المطلب الأول : الازمات

دارت علاقات المغرب مع الدول الأجنبية عموما والدول الأوروبية
خصوصا قبل سنة 1830 على محور القرصنة : تصفية الغنائم والأسلاب التي
غنمها المغرب على يد القراصنة المجاهدين ، ثم تسريح الأسارى من
الجانبين ، والعمل من أجل احترام الراية الوطنية .

غير أن احتلال فرنسا للجزائر وضع هاته الدولة في موقف آخر لقربها
من المغرب . كانت فرنسا تريد نهج سياسة الأبهة وحفظ السمعة : فلا بد
أن تُحترم الراية الفرنسية بالمغرب لكي تُحترم تلك الراية أيضا بالجزائر .
فلئن كان على المغرب أن يظل مستقلا ، فلفرنسا الحق في تبوء المكانة الأولى
فيه ، أما إذا كان محكوما عليه بالانقراض والزوال ، فلفرنسا حق « الشفعة »
فيه ، حسبما ذهب إليه عبد الله العروي الذي يضيف :

ولذلك قامت حرب يسلي بين فرنسا والمغرب سنة 1844 ، ثم قامت
بعد ذلك بـ 15 سنة حرب تطوان بين المغرب وإسبانيا (I) .

1 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ، ص 240 - 241

ولا أرى كبير فائدة في بسط الكلام عن هذه الحرب (2) . وبين هذين الحدثين ، وقع توتر بين المغرب وإنجلترا أدى بالأخيرة في منتصف القرن التاسع عشر الى قصف شواطئ الريف ، مثل فرنسا التي قصفت مدينتي طنجة والصويرة سنة 1844 ، فضلاً على قصف مدينة سلا بعد ذلك .

وكان احتلال اسبانيا مدينة تطوان أبعد أثرا من معركة يسلي التي يرى البعض أن المغرب لم يَخْضُصْهَا ، وأنه لم ينهزم إلا عَرَضاً في موقعة عابرة لم تدم سوى 7 ساعات ، عمل فيها الارجاف بموت ولي العهد (قائد الجيش) كل عمله البسيكولوجي ، فاندحرت المحلات الأميرية دون اقتحام ولا انضباط . أما إسبانيا فقد احتلت المدينة مدة طويلة ، ولم تجل عنها إلا بعد نيل تعويضات حربية هامة ، بقي المغرب يسدها سنوات طويلة من وفر مراسيه .

وكانت سياسة إسبانيا متصلبة : فمتى أبدى السلطان مرونة وليونة ، كانت تغالي في التعنت الذي أدى بها الى المطالبة بعزل محمد الخطيب نائب السلطان بطنجة ، وذلك ما وقع فعلا .

ولا داعي للخوض في تفاصيل النزاعات المغربية مع الدول الأجنبية : ولكن يستحسن التذكير بها :

كانت أعظم المشاكل المعلقة مع إنجلترا هي تخفيض الرسوم الجمركية وحرية التصدير سنة 1856 .

ومع فرنسا : مشاكل الحدود وحمايتها لشريف وزان .

ومع إسبانيا التعويض الحربي ، وتحديد مكان مرسى الصيد منذ نهاية حرب تطوان الى سنة 1883 .

2 . عن هاته الحرب تراجع مجلة « الوثائق » المجموع الثاني من ص 234 الى 336 ، حيث رسائل عربية ومعربة ، و « تاريخ تطوان » الجزء الرابع لمحمد داود ، وكتاب « الاتحاف » الجزء الثاني لعبد الرحمان ابن زيدان .

ومع مختلف الدول : حق التملك العقاري منذ سنة 1880 ، وفتح قنصليات بالمدن الداخلية .

وكانت السرقات والاعتداءات على الأجانب تتكاثر ، وتُجْعَل ذريعة للمطالبة المستمرة بأموال باهظة : (3) ففي منتصف القرن ، كان سعر الدية هو 25 ألف فرنك ، فطالبت إسبانيا بـ 100 ألف سنة 1880 ، ونالته فعلا ألمانيا سنة 1895 ، بعد أن كانت قد طالبت بـ 410 آلاف فرنك عن مقتل فرانز نيومان ، أحد المعمرين بالدار البيضاء .

وهكذا كان لابد للمغرب من 20 سنة لتسديد التعويضات الحربية لاسبانيا (100 مليون فرنك) ، وأداء القرض الانجليزي الذي تلاه . أما سنة 1893 فقد أدى المغرب عن حوادث مليلية لاسبانيا 20 مليوناً ، وهو قدر كان يساوي صوائر الدولة لمدة سنتين (4) .

وكانت هاته الأزمات والأحداث بمثابة تحديات لكسر شوكة المغرب والاجهاز عليه ، وهو شيء لم تصل اليه سياسة الدول الأوروبية طالما لم يمت الحسن الأول . فقد كان من الدهاء الشديد ومن قوة الايمان ، بحيث دفع المكاييد ما وسعه الدفاع . وكان الى جانبه طائفة من الموظفين وأهل المخزن الأكفاء (على الرغم مما قيل فيهم) ممن ساعدوه على الصمود . لكن الأمر سيتغير كثيراً بوفاته .

كان بعض الدبلوماسيين والرحالة الأجانب يعتبرون المغرب بلداً أخلاق غريبة متوحشة ، يجب فتحه على مصراعيه للنشاط الأوروبي ، بضمان حرية المعاملات ، والتكافؤ في الفرص ، والأمان على الأنفس والأموال ، تحت ظل حكومة عادلة نزيهة . فما دامت هاته الشروط لم تتوفر . . . فلا يمكن أن يعامل معاملة البلدان «المتحضرة» بعضها بعضاً .

3 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ، ص 245

4 . المصدر السابق ص 248

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان المخزن يعيش تحت وطأة التهديد بالأزمات مع هاته الدول أو مع غيرها : مع فرنسا ، وعرضا مع اسبانيا سنة 1839 و 1845 ، ومع فرنسا أيضا من سنة 1849 الى سنة 1851 ، ومع اسبانيا سنتي 1859 و 1860 ، ومع ايطاليا سنة 1880 ، ثم مع فرنسا سنة 1884 وبعد ذلك من سنة 1887 الى سنة 1889 ، ثم مع انجلترا سنة 1892 ، ومع اسبانيا مرة أخرى سنة 1893 . . .

وإذا تأملنا هاته الأزمات ، وجدنا أنها كانت تتخلق اختلاقا للظفر بمنافع معينة ظلت ، حتى ذلك الحين ، مرفوضة . وقد جرت العادة أن يعقب التوتر جوٌّ من التعاون المتين ، ولأجل ذلك كانت العلاقات المغربية الفرنسية جيدة بعد سنتي 1851 و 1884 ، ولهذا أيضا تحسنت العلاقات بين المغرب وإسبانيا سنة 1861 تحسناً ملحوظاً (5) .

وهكذا ، نرى أن تعقد المشاكل من جراء التسرب الأجنبي أدى بالسلطانين محمد الرابع والحسن الأول الى النظر فيها بجد وتمعن ، أكثر من مولاي عبد الرحمان الذي كان أعضاء الهيئة الدبلوماسية «حتى سنة 1842 يكاتبونه مباشرة . ولما كثرت المطالب الزمهم بمكاتبتهم عن طريق وزير الواسطة» (6) .

وحتى أساليب المكاتبة تغيرت ، فلم يعد ملوك أوروبا ورؤساؤها يلقبون بالطاغية ، وصار القنصل العام أو الوزير المفوض يدعى «الكبَلَّير» أي الفارس وهو لقب تشريف كما نرى ، أو يسمى «المُعْتَبَر فلان ، نائب الدولة الفلانية الفخيمة» ، أو كانوا يطلقون عليه اسم الباشدور الذي يعني السفير ، وهي كلمة كانت مخصصة الاطلاق على غير المسلمين (7) ، وان كان بعض الولاة يطلقون لقب الباشدور على محمد برّكاش في بعض الأحيان .

5 . المصدر السابق ص 244 . تراجع ايضا « دبلوماسية الدولة العلوية » لابراهيم حركات في « دعوة الحق » ، مارس 1970 ص 134 ، وص 87 من « الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي » لعلال الفاسي .

6 . ر . ج . فريش « المغرب » ص 249

7 . أوجين فومي : « المختار من المراسلات المغربية » الجزء الأول ص 122

ومع ذلك لم يكفّر وزير الواسطة ولا وزير الخارجية ولا وزير البحر ولا النائب السلطاني لحل هاته الأزمات . فكان لابد من إيفاد سفارات الى الخارج . وذلك ما سأتناوله بعد حين .

بيد أنه يستحسن ، قبل ذلك ، تصوير سياسة المغرب إزاء أوروبا في القرن التاسع عشر . ولعل عناوين الجزء الثاني والثالث والرابع من كتاب «المغرب وأوروبا» لجان لوي ميج تلخص المراحل المتعاقبة التي مرت بها العلاقات بين المخزن والدول الأجنبية . فبعد «الانفتاح» المختوم بالمعاهدة التجارية المغربية البريطانية سنة 1856 ، بدأت تلوح في الآفاق «المصاعب» ، لا فقط من حيث تطبيق هذا التفتح ، ولكن أيضا من حيث ما لابس من أطماع وتعسفات ، فانزلق «نحو الأزمة» التي أفضت الى خاتمتها سنة 1912 .

* * *

المطلب الثاني : السفارات المغربية

لم يكن بإمكان سيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن تعيين سفراء مقيمين ، ولو أن السلطان الأخير كان ينوي تسميتهم في كل من مدريد وروما وباريس وبرلين ولندن ، ولكنه افتقر الى الوسائل (8) . وإنما اكتفيا بإيفاد سفارات تدوم أسابيع أو شهوراً ، إما لطلب تأييد مواقف المخزن ، أو للاقتراض ، أو للتهنئة ، أو لحل بعض المشاكل الظرفية . والغالب أن موضوع السفارة يبقى سرى (9) ، وحتى تاريخ السفر وموانئ الاقلاع . ولا يظل مضمون السفارة مكتوما إلا لبعض الوقت ، وذلك تفادياً للملابسات والمضاعفات الدولية ، ولو أن بعض السفراء أو كتابهم نشروا مدوناتهم عما رأوه وشاهدوه ، لا عما تطرق اليه الموفدون من شؤون .

وإذا نظرنا الى أشخاص السفراء ، وجدناهم ينتمون الى طبقات شتى من المجتمع : فمنهم الوزراء والولاة والعمال والكتاب ، ومنهم الخواص والتجار .

8 . جان لوي ميج : « المغرب وأوروبا » ج 4 ص 131

9 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 215

زارت هاته السفارات في فترات مختلفة ألمانيا وإنجلترا وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال وبلجيكا وفرنسا (وكلها وقعت معاهدة مدريد) زيادة على حاضرة الفاتيكان .

ولم يُكْتَبَ للسفارة التي كان الحسن الأول ينوي إرسالها الى رئيس الولايات المتحدة أن تتوجه لأمريكا سنة 1880 ، لرفض ماثيوز اعتمادها لدى حكومة بلاده (IO) الموقعة أيضا على معاهدة مدريد .

ولم أعلم بسفارات وجهت الى البرازيل أو الى هولاندا أو الى البلدان السكنديناوية أو الى الأنبيريال (أي الامبراطورية النمساوية الهنغارية) ، وكلها أبرمت وفق مدريد مع المغرب ، ولعل ذلك لقلة مصالحها بالمغرب ، أو لِحِفَّةِ وزنها على الصعيد الدولي .

وما من شك في أن هاته الوفادات كانت تكمل ببعض التوفيق ، أو تمنى بالفشل المُقَنَّع بالكلام المعسول . فالى أين اتجه السفراء ؟ ومتى حلوا ضيوفا ؟ وما كان من نتائج أعمالهم ؟ وماذا حملوه في جعابهم ؟ أسئلة لا نجد لها الآن جوابا شافيا ، وإن كان لازما ايراد أسماء المبعوثين وتاريخ رحلاتهم .

وعلى أن أُشير الى أن جان لوي مبيج الذي درس هاته الحقبة وما قبلها بقليل لم يتحدث إلا عن سفارات سلطانية سنة 1885 الى باريس ومدريد ولندن وروما ، وسنة 1888 الى الفاتيكان وإسبانيا ، وسنة 1889 الى فرنسا وألمانيا ، وسنة 1890 الى إيطاليا (II) ، دون أن يوضَّح مغزى السفارات ، أو يَعرِّض لها بقليل أو بكثير من التفصيل .

وقليلة هي المصادر الأخرى – بين عربية وعجمية – التي تطرقت الى هذا الموضوع بما يشفي الغليل .

10 . جان هيس : « القضية المغربية » ص 274

11 . جان لوي مبيج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 131 (5)

وسأتحدث على التوالي عن سفارات موجهة الى ألمانيا وانجلترا
واسبانيا وايطاليا والبرتغال وبلجيكا والفاثيكان وتركيا وفرنسا .

* * *

أ . ألمانيا

1 . سفارة الطيب ابن هيمة عامل آسفي كانت لدى الملك غليوم الأول
الذي استقبله يوم 23 ماي 1878 ، فطلب مساندة هاته الحكومة للمغرب في
حقوقه بالجنوب ، وقد فشلت السفارة لأن ألمانيا كانت تريد بدورها ميناءاً
على الشاطئ الأطلسي أو بشمال المغرب (I2) .

2 . السفارة الثانية هي التي قام بها الحاج محمد برقاش ابن وزير
الخارجية . فقد ذهب سنة 1884 الى برلين ، حاملاً رسالة سلطانية الى ملك
ألمانيا ، ورافق البعثة الطلابية الحربية الى هناك . وكانت الرسالة مؤرخة في 24
محرم 1302 / 13 نونبر 1884 (I3) .

3 . توجهت سفارة الى برلين في بداية 1889 برئاسة قائد أولاد حريز
عبد السلام بن رشيد ، الذي قيل إنه كان على علاقة بالمصالح الألمانية (I4) .
وكان مصحوباً بالحاج محمد برقاش ، لاشترى تجهيزات حربية ، وخصوصاً
مدافع كروب لتقوية الثغور (I5) ولا سيما الرباط وطنجة . وسنرى عند
الحديث بطنجة عن ألمانيا ما قالته الوثائق المخزنية عنها . وقد عاد في سفارة
أخرى الى ألمانيا سنة 1892 قبل وفادته على ايطاليا كما سيأتي .

4 . وهناك سفارة بعدها قادها عامل المزامرة المعطي بن الكبير .
وكانت سنة 1890 ، وسنجد صداها بطنجة مع ألمانيا أيضاً .

12 . عبد الهادي التازي : « الثغور ... » في مجلة « البحث العلمي » العدد
27 ص 16 (يناير - يوليوز 1977) وابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 469 .

13 . المصدر الاخير ص 468

14 . مبيج : « المغرب واوروبا » ج 4 ص 131 (5)

15 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 357 ، ومارت وادمون كوفيون « كتاب
ايعان المغرب الاقصى » ص 286 .

5 . وقد أوفد السلطان الحسن الأول **الحاج العربي بريشة** في مهمة سرية الى ألمانيا (16) . وبطبيعة الحال لم يعرف شيء عنها ولا عن تاريخها الذي كان بالضرورة قبل سنة 1894 .

6 . ومثلما قيل عن **الحاج العربي** ، يقال عن أخيه **الحاج عبد الكريم بريشة** الذي عين سفيراً الى ألمانيا (17) . فلم أستطع أن أقف على فحوى السفارة ولا تحديد تاريخها .

* * *

ب . إنجلترا-را

I . بعد حرب تطوان ، فرضت اسبانيا غرامة حربية على المغرب ، فاضطّرّ المخزن لاستسلاف قدر باهظ من الأموال . ولهذا وجه السلطان محمد الرابع كاتبه **الحاج عبد الرحمان العاجي** للمفاوضة في ذلك مع الحكومة البريطانية (18) . وكان ذلك سنة 1861 ، وصحبه الأمين محمد الشامي .

2 . وكان التمهيد لهذه المفاوضة قد وقع في يونيو 1860 بسفارة **الحاج عبد الكريم بن جلون** الذي تقدم أنه كان تاجراً بفرنسا سنة 1840 والذي كان مصحوباً بأحد تجار إنجلترا ريتشارد غلوثر R. Glover من أجل اقتراض 20 مليون ريال (19) .

3 . وكانت السفارة الثالثة هي التي قام بها لأوروبا الغربية **الحاج محمد الزبدي** ، الذي وصل لانجلترا في يوليو 1876 ، وقدم للملكة خطاباً

16 . هنري ده لا مارتينير : « ذكريات ... » ص 139

17 . عبد الكبير الفاسي : « دبلوماسية المغرب » في « رسالة المغرب » نونبر 1947 ص 163 .

18 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 570 ، وجان لوي ميج : « المغرب واوروبا » ج 5 ص 57 وما بعدها ، حيث نشرت ترجمة العقد المبرم آنذاك سنة 1861 (الوثائق 13 و 14 و 15 و 16) .

19 . روجرز : « تاريخ ... » ص 226

سلطانها . وكان موضوع السفارة طلب معونة إنجلترا في تأييد وجهة النظر المغربية حول قضية الحماية التعسفية (20) .

4 . وكانت سفارة الحاج عبد الكريم بريشة خاصة بمسائل تجارية . ولم يعرف لهاته الوفادة من تاريخ .

5 . والسفارة الخامسة هي التي أسندت الى عبد الرحمان بن محمد الشرفي الذي كان كاتباً للسلطان مولاي عبد الرحمان وفتيها مشاركا ووزيرا للخليفة السلطاني بمراكش . وقد عينه محمد الرابع سفيراً «حتى تقرت الأمور ، وتمهدت على الوجه المعروف ، وتيسرت الأسباب في البر والبحر» (21) . ولم تكف هاته الفقرة لاستكناه مضمون السفارة ، ولا لتحديد تاريخها ماعدا وجودها في فترة ما (22) . والراجع أن موضوعها كان هو التمهيد للمعاهدة التجارية والبحرية ، ومعاهدة السلم والصداقة المبرمتين بين البلدين في 9 دجنبر 1856 ، وهو ما قد تفيدته عبارة «تيسرت الأسباب في البر والبحر» السابقة (23) . وقد تعددت ذكر هاته السفارة بالرغم من وقوعها ، على ما أعتقد ، قبل حرب تطوان ، وما ذلك إلا لما كان للعلاقات التجارية ولتدعيم الصداقة من أهمية بين البلدين ، ولخطورة هاته المعاهدة على الاقتصاد المغربي .

6 . وقد تكون لمحمد بن عبد الرحمان برغاش وزير الخارجية سفارة الى إنجلترا رافقه فيها محمد المكي البطاوري ، كما سيشار اليه في ترجمة هذا الأخير . ولم أقف لها على تاريخ .

* * *

20 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 سفارة الزبدي من ص 279 الى ص 311 وكذلك « الوثائق » ج 5 ص 16 وما بعدها .

21 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 8 ص 149 (نقلا عن « الجيش »)

22 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 580

23 . الحديث عن المعاهدتين ورد في « الوثائق » : 2 من ص 153 الى ص 229

ت . إسبانيا

1 . الأمير مولاي العباس بن السلطان مولاي عبد الرحمان توجه سفيرا لمدريد ، فعقد مع الحكومة الاسبانية المعاهدة التجارية في اكتوبر 1861 ، كما قابل ملكة اسبانيا (24) . ولعله حصل على تأجيل أداء القسطين الأولين من مبلغ الغرامة (25) .

2 . ثاني سفير كان هو الحاج ادريس بن ادريس ، نجل الوزير محمد ابن ادريس العمراوي في شأن قضية مليلية . وكان ذلك حوالي 1862 (26) . ولعله كان سنة 1859 سفيرا الى إسبانيا مرة أخرى ، (27) . ولم يعرف شيء عن المقصود من هاته الوفادة الأخيرة .

3 . وبعده جاءت سفارة محمد بن عبد الله بن أحمد البخاري . ولم يوفد إلا لتحية ملك اسبانيا عام 1294/1877 عند نزوله بسبته (28) .

4 . وفي نفس السنة (1294/1877) ، عين الحسن الأول باشا الرباط عبد السلام السويسي سفيرا الى اسبانيا «رداً لزيارة باشادورها الموفد على الحضرة السلطانية» (29) دون إيضاح آخر . لكن المقصود كان محاولة لاقناع اسبانيا بالتخلي عن طلبها قطعة سانطاكروث دي ماريكينيا أو الشبيكة .

5 . أما الحاج عبد الكريم بريشة فكانت له سفارات متعددة الى اسبانيا وغيرها حسبما سيأتي في ترجمته . فكان عضواً في الوفد المتوجه لحضور مؤتمر

24 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 417

25 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 152

26 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 213

27 . عبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 813

28 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 326

29 . المرجع السابق ص 330

مدريد ، ووجه مرات أخرى الى اسبانيا في مسائل الجنوب المغربي ومسائل مليلية . كما قصد فرنسا وألمانيا في مهمات رسمية .

6 . محمد بركاش الذي ترأس وفد المغرب في مؤتمر مدريد اقبله ملك اسبانيا ، ثم سلم له السفير رسالة الحسن الأول ، وذلك يوم 31 يونيو 1880 في الساعة الثانية عشرة والنصف .

وعن ذلك وجه تقريراً ها هي مبيضته (30) :

« الحمد لله وحده »

« ينهي لكرم علم سيدنا أعزه الله أننا لما كنا نلاقينا مع سلطان صبانيا عند وصولنا لمدير ، ودفعنا له كتاب سيدنا أعزه الله ، شرحنا له محبة سيدنا أعزه الله لهم ولدولتهم وما يناسب ذلك . فأجاب بمثل ذلك ، ووضح أن له ولدولتهم المحبة التامة في جانب سيدنا (أعزه الله) العالي بالله .

« ولما تمنا الأشغال التي كنا بصدددها ، وعزمنا على التوجه ، وجب علينا أن نودعه ، فتوجهنا لذلك نحن وخديم سيدنا ، الحاج عبد الكريم بريشة ، فتلاقينا معه ، فجدد الكلام في تأسيس المحبة وتأكيددها ، وأعلن أن مراده اتباع سيرة الأسلاف ، من تمام المحبة واتصالها الى أن تبلغ الى حد أكثر مما كانت عليه .

« وأوصانا بتبليغ ذلك لحضرة سيدنا أعزه الله ، كما حمل بعض ذلك خديم سيدنا المذكور ، ولم يقصر هنا معنا في البرور أولاً وثانياً ، وذلك كله مقصود لجانب سيدنا أعزه الله .

30 . مبيضة تقرير بتاريخ 16 شعبان 1297/26 يوليوز 1880 ، محفظة الحماية القنصلية ، ورسالة وزير الدولة الاسباني الى بركاش في 30 يونيو 1880 ، نفس المحفظة

«إلا أنه لم يدفع لنا في تلك الساعة جواب الكتاب الشريف ، والآن بعد حلولنا بطنجة ، (قد) ورد الجواب المذكور على يد باشدورهم ، فيها هو يصل حضرة مولانا مع ترجمته طي هذا . طالبا من مولانا رضاه . والسلام» (31).

7 . وفي سنة 1883 أوفد **بوشتي ابن البغدادى** الى اسبانيا للبحث في قضية سواحل سوس من أكادير الى طرفاية (32) .

8 . سفارة أخرى أسندت سنة 1889 الى **محمد بن أحمد بن المؤذن** السرغيني (33) خلال رحلته الى بلجيكا والبرتغال . ولم يرد عنها تفصيل .

9 . **عبد الحميد الرحمانى** وجه سفيرا لدى الحكومة الاسبانية سنة 1891 . وكان موضوع رحلته تقديم جواب الحكومة المغربية عن مطالب إسبانيا ، وكذلك دعوة هاته الدولة الى سحب بعثتها العسكرية من المغرب (34) .

* * *

ث . ايطاليا

1 . **الحاج محمد الزبدي** كان سفيرا لدى دول أوروبا الغربية فحل بايطاليا في غشت سنة 1876 ، وتقابل مع ملكها ومع أعضاء الحكومة حول قضايا الحماية الأجنبية .

2 . **بوشتي ابن البغدادى** كلف في منتصف 1885 بسفارة لدى حكومة ايطاليا (35) . ولم يعرف عنها شيء .

-
- 31 . ما بين هلالين كان مكتوبا بالمبيضة ، ثم شطب عليه في الاصل .
32 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 331 .
33 . رسالة السلطان الى الطريس في 3 ربيع الاول 1307/28 اكتوبر 1889 محفلة الطريس 17 .
34 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 337 و 494 .
35 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 352

3 . وثالث سفير كان هو القائد الكبير بن المدني الشاوي في أكتوبر 1889 (35) .

4 . والسفير الرابع كان هو عبد السلام برشيد قائد أولاد حريز ، الذي زار هاته البلاد سنة 1892 قبل الالتحاق بألمانيا . وقد تفقد أحوال البعثة الطلابية بإيطاليا (37) .

* * *

ج . البرتغال

I . الطيب ابن هيمة توجه سفيراً للبرتغال في تاريخ لم أستطع تحديده ، ولا معرفة الداعي للسفارة . وقد يكون ذلك سنة 1878 عند سفارته لدى ملك ألمانيا .

2 . وهناك سفير آخر هو محمد بن أحمد بن المؤذن السرغيني . وقد كلف أثناء رحلته الى اسبانيا وبلجيكا بالتعزية في وفاة ملك البرتغال سنة 1889 ، وتهنئة الملك الجديد بتوليته (38) .

* * *

ح . بلجيكا

I . كانت من جملة البلدان التي زارها الحاج محمد الزبدي خلال رحلته الشهيرة في منتصف 1876 في موضوع الحماية القنصلية ، وقد تقابل مع ملكها .

* * *

36 . المصدر السابق

37 . احمد معنينو : « مذكرة طالب » ، في « دعوة الحق » ، العدد الاول ، السنة 12 ص 145 .

38 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 365

2 . محمد بن أحمد بن المؤذن السرغيني قصد هاته البلاد سنة 1889 (39) . ولم أعثر على أي شيء عن هاته الوفادة .

* * *

خ . القاتيكان

بعث السلطان الحسن الأول نائبه بطنجة الحاج محمد الطريس سنة 1888 سفيراً لدى البابا ليون الثالث عشر ، في موضوع وساطته لدى الدول الأوروبية للحد من الحماية التعسفية . وقد أتيت بأخبارها مفصلة شيئاً ما في نهاية هذا الفصل .

* * *

د . تركيا

أما سفارة الحاج العربي بريشة الى اسطنبول فقد جمعت بين الأغراض السرية والأهداف السلطانية ، ولم أستطع تحديد تاريخها (40) .

* * *

ذ . فرنسا

1 . سفارة الحاج ادريس بن الوزير محمد بن ادريس العمراوي الزموري كانت في السنة الأولى من العهد المحمدي . وقد وصل في منتصف 1860 الى باريس (41) ، وقابل الملك ناپوليون الثالث (42) . وكان مصحوباً في

39 . رسالة السلطان الى الطريس سالفة الذكر (28 اكتوبر 1889)

40 . عبد الكبير الفاسي : « دبلوماسية المغرب » في مجلة « رسالة المغرب » نونبر 1947 ص 162 . وقد جعل هنري ده لامارتنيير تاريخها في منتصف القرن التاسع عشر في كتابه « ذكريات عن المغرب » ، ص 139 . ولكنه اخطأ عندما قال ان السلطان الحسن الاول هو الذي كلفه بتلك المهمة ، لانه كان اذذاك خليفة لا سلطاناً .

41 . مبارك زكي : « من ادب الرحلات ... » مجلة « البحث العلمي » اكتوبر 1980 ، العدد 31 ص 67 وما بعدها .

42 . ابن زيدان : « الاتجاف » ج 3 ص 524 و 570

رحلته بصحافي لبناني هو رشيد الدحداح الذي كان يطبع بسوريا جريدة لتأييد الامبراطور الفرنسي في سياسته بالمشرق (43) . وهو من نصارى لبنان ، كان كاتباً لأسرار الأمير بشير الشهابي ، ولما خلع الأمير المذكور رحل الى مرسيلية وتعاطى التجارة حتى توفي بفرنسا (44) . كما كان يرافق السفير ترجمان يدعى الصويري الذي كان في نفس الوقت سمساراً والقنصل المتدرب بيليسي (45) . وقد يكون هذا الأخير هو الذي كان «قنصوا بالرباط هذه مدة ، يعرف العربية ، يأخذ بيدهم فيما يحتاجون إليه» (46) .

ولم يعرف عن هاته السفارة سوى أن السفير تحدث مع المسؤولين في «هاته القضية وفي غيرها من شؤون المملكة التي تقتضيها السياسة والعادة المقررة بين الدول» (47) .

وحتى السفير ابن ادريس لم يفدنا في كتابه «تحفة الملك العزيز» ، بمملكة باريز» بشيء ، سوى وصف مشاهداته واقتراحاته المتواضعة ، الأمر الذي يحمل على التساؤل عما إذا كانت هناك تقارير مدققة تسلم الى السلطان عن مثل هاته الرحلات (48) .

ويحتمل أن يكون الموضوع اما قضايا الحدود المغربية الجزائرية ، واما الحصول على وساطة فرنسا لتخفيض اسبانيا الغرامة المفروضة على إثر حرب تطوان ، لأن المغرب التزم بدفع 150 مليون فرنك ذهبي من أجل الجلاء (49) .

43 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 215 ، ومبارك زكي : من أدب الرحلات ... » ص 73 .

44 . خير الدين الزركلي : « الاعلام ... » ج 3 ص 50 .

45 . مبارك زكي : « من أدب الرحلات ... » ص 73 .

46 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 112 .

47 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 3 ص 34 (نقلا عن « الجيش .. »)

48 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 215 .

49 . مبارك زكي : « من أدب الرحلات ... » ص 73 .

وأيا كان الأمر فقد تقابل مع وزير خارجية فرنسا آنذاك وهو
توفينيل Thouvenil (50) .

2 . **الحاج عبد الرحمان العاجي** كان سفيرا سنة 1865 لدى حكومة
فرنسا في قضية أولاد سيدي الشيخ والحدود المغربية الجزائرية (51) .

3 . وكانت سفارة **محمد بن عبد الكريم الشركي** ، أحد قواد الجيش
السلطاني ، **والحاج محمد بن سعيد** عامل سلا ، من أهم السفارات لا من حيث
المواضيع المطروحة فقط ، ولكن أيضاً من حيث طول مكث السفيرين بفرنسا ،
حيث زارا خلالها عددا من المآثر .

ويستفاد من كتاب محمد أكنسوس أن الغرض منها كان في شأن ولد
حمزة ولد الشيخ بوسماحة (52) ، أي قدور ولد حمزة البوشيخي ، فتكون
إذن امتداداً لسفارة العاجي سالفة الذكر . رسالة اعتماد السفيرين المؤرخة
في 15 غشت 1865 لا تشير كالعادة الى هاته النقطة بالذات (53) .

وكانت مدة الوفادة كفيلة بإجراء اتصالات واسعة مع بعض الأوساط
الفرنسية ، ولا سيما مع الشركة التي كانت تريد نصب تelfراف بالمغرب (54) .

وقبل أن أوضح مغزى السفارة ، أود أن أُلح الى أن السفيرين كانا
مصحوبين ، وخصوصا في يناير 1866 ، ببعض موظفي المفوضية الفرنسية مثل

50 . جان لوي مبيج : « المغرب واوروبا » ، ج 2 ص 403 (4)

51 . ابن زيدان : « الاتحاف » ، ج 3 ص 530 و 534

52 . محمد أكنسوس : « الجيش ... » ، ج 2 ص 93

53 . ابن زيدان : « الاتحاف » ، ج 2 ص 318 و ج 3 ص 570 . وقد نقل احمد
الناصري نصها في كتابه : « الاستقصا » : 9 ص 117 . اما صورتها فتوجد بخزانة
حفيدة الحاج العربي بنسعيد بسلا . وتاريخها هو 22 ربيع الاول 1282/15 غشت 1865

54 . رسالة السلطان الى الحاج محمد بنسعيد في 23 رجب 1306/25 مارس
1889 ، اصلها بخزانة الحاج العربي بنسعيد .

الترجمان شيفر Schefer ، وبومبي الذي كان قنصلا لفرنسا بالرباط والصويرة ، وديطري Destrée الكاتب بطنجة (55) .

أما كاتب السفارة فقد كان هو الحاج محمد السدراتي الذي أصبح فيما بعد قاضيا لمدينة سلا ، وسنرى أنه يضع أيدينا على الهدف الحقيقي من هاته المهمة ، أفضل مما قاله الناصري الذي ذكر أن الكلام دار مع ملك فرنسا «في شأن هؤلاء النواب الذين يبعثهم الى المغرب ، وأن يكون ينتخبهم من بيوت الأعيان ، وممن يتصف بالتأني وحسن السيرة ، والوقوف عندما حُد لهم» (56) ، حسب التصريح الذي تلقاه من عامل سلا ، المتأثر مثلا بسيرة نائب قنصل فرنسا بالرباط أنطوان دوكور ، حسبما سيأتي في محله إن شاء الله بمدينة الرباط .

ومهما يكن ، فقد دارت المحادثة مع وزير خارجية فرنسا دروان ده لوي Drouyen de Lhuys ، حول تسوية 19 غشت 1863 ، وحول شرور الحماية وإلزام الأجانب أداء الأعشار الفلاحية . وقد أيد هاته السفارة البارون إيمي داكأن وزير فرنسا بطنجة وبومبي قنصلها بالصويرة . فوعد وزير الخارجية بارسال التعليمات الضرورية الى ممثل فرنسا بطنجة لتأييد وجهة النظر المغربية ، وذلك مثلا في الوقت الذي كان فيه نائب إسبانيا بطنجة ميري اي كلوم يعترض على أداء الأوروبيين لهاته الرسوم . وقد تكلمت المفاوضات بالنجاح ، لأن محمد بركااش وقع على اتفاق مع ممثل فرنسا في يبرابر 1866 يتعلق بهذا الموضوع (57) .

وبعد فما هو المقصود من سفارة الشرقي وبنسعيد ؟ بين يدي مسودة رسالة السفيرين الى وزير الخارجية . وهي غير مؤرخة ، وبخط كاتب السفارة

55 . رسالة وزارة الخارجية الفرنسية الى الحاج محمد بنسعيد في 23 يناير 1866 . صورتها بالفرنسية بخزانة الحاج العربي بنسعيد .

56 . « الاستقصا » ج 9 ص 116

57 . جان لوي مبيج : « المغرب واوروبا » ج 2 ص 551 و ج 3 ص 135 (5)

السدراتي ، وبها تصويبات بقلم الحاج محمد بنسعيد . وها هو فحواها الكامل
المشتمل على 8 نقط :

«الحمد لله وحده ،

«السلام التام يخص حضرة وزير الأمور البرانية (58) مؤسسي دروان
دا الويس ، من السفيرين القائد محمد الشرقي والقائد الحاج محمد بن سعيد
السلوي ، الواردين من حضرة الامام الأعدل ، الرفيع المقام ، سلطان مراكشة
وفاس وأقطار المغرب الأقصا الشريف ، العظيم القدر المنيف ، أمير المؤمنين
سيدي محمد ، أرسلهما الى سلطان افرانسة لتجديد المحبة بين الدولتين ،
والسعي فيما يزيدهما اتصالا بين الايالتين .

«ولننه لشريف علمك (59) أن سلطاننا أمرنا أن نعرض على سعادة
حضرة العاهل المعظم ، الملك الأفخم ، نابليون الثالث بوناپارطي ، دام عزه (60)
مطالب كلها في المحافظة على المحبة وإشهارها . فالمرجو من سيادتكم أن
ينظرها (61) بعين الرضى والقبول .

«أولها : أن الحماية تكون محصورة فيما هو مبين في الشرط الحادي
عشر ، مع ما وقع عليه التوافق بين النائبين المفوضين بطنجة ، في ثالث ربيع
الأول سنة ألف ومايتان وثمانين ، الموافق للتاسع عشر من غشت سنة ألف
وثمانمائة وثلاثة وستين (62) .

58 . الجملة المغلظة كتبت بخط الحاج محمد بنسعيد ، وقد عوضت هاته
العبارة عبارة أخرى شطب فوقها ونصها : « الجنا ب المعظم المحترم ، عاهل افرانسة
نابوليون الثالث بوناپارطي ، ووزيره على الامور البرانية ، .

59 . في الاصل : « علم سلطان افرانسة »

60 . الجملة من انشاء الحاج محمد بنسعيد

61 . في الاصل : « تنظروها »

62 . القصد هنا الى المعاهدة المغربية الفرنسية المبرمة يوم 28 ماي 1767 ،
ونصها العربي منشور بمجلة « الوثائق » ج 1 ص 437 . ويتعلق هذا الشرط الحادي
عشر بالتسهيلات التي يقدمها المغرب للتجار والقناصل الفرنسيين ولرجال الديـ
وباتخاذ السماسرة والمحامين ، وتحريرهم من الوظائف

«**الثاني** : أن ما في الشرط الثاني من الشروط المنعقدة بين الدولتين من أن لرعييني الدولتين (أن) يذهب - (وا) حيث شاءوا (ا) بتجارتهم ، ءامين لا يتعدى أحد عليهم ، ولا يمنعون من ذلك (63) :

«هذا الشرط يُقَيِّدُ بالمحل الذي تكون فيه الأحكام جارية ، وليس فيه خوف .

«**الثالث** : أننا - لخوف الضرر على من يريد من إيالة الفرانسييس السكنى في المدن البعيدة من الساحل التي ليس فيها قنصوات ، وجيرانها برابر لا يعرفون صَرَْفَ النصارى - نحب إذنهم بالسكنى بالمدين ، القرية من الساحل ، التي فيها القونصوات .

«**الرابع** : أن من كان ببلد في إيالة مراکش وأراد السفر منها - وهو من إيالة الفرانسييس - في البر ، فانه يتبع قانون أهل البلد في سفرهم . من كونه يخبر حاكم البلد على يد القونصوا أو نائبه .

«**الخامس** : أن من كان من إيالة الفرانسييس عنده حرث أو ماشية أو غيرهما في إيالة مراکش ، فانه يلزمه مثل ما يلزم أهل ايالة (مراكش) من إعطاء الزكاة والأعشار .

«**السادس** : أن الشكايات التي تصدر بين رعييتي الايالتين : فان كان المشتكى من ايالة الفرانسييس والمشتكى به من ايالة مراکش ، فان الشكوى ترفع لعامل البلد عن يد القونصوا أو نائبه .

«وإن كان المشتكى من ايالة مراکش والمشتكى به من ايالة الفرانصييس ، فان الشكوى ترفع للقونصوا أو نائبه على يد حاكم البلد .

63 . هاته الجملة مقتبسة من الشرط الثاني من نفس معاهدة 1767 ، ونصها بالحرف هو : « ان لرعييتي الدولتين ان يذهبوا حيث شاءوا بتجارتهم ومراكبهم برا وبحرا في أمن وأمان ، بحيث لا يتعدى احدهما على الآخر ولا يمنعهم احد من ذلك » .

«السابع : أن الدعاوي الكبار التي يكثر النزاع فيها بين النواب . ترفع لسلطان الايالة التي يتعين الدعوى من طرفه ، ليحكم فيها بمقتضى ما هو جار في الشرع أو القانون ، وذلك كالقتل . فان كان القاتل من إيالة افرانسة والمقتول من ايالة مراكش ، فان سلطان افرانسة يحكم في الدعوى . وان كان القاتل من ايالة مراكش والمقتول من ايالة افرانسة ، فان سلطان مراكش يحكم في الدعوى .

«الثامن : نخبر جنابكم وأن (سنا) نريد جعل نائب بحضرتكم بباريز ، ليكون واسطة في زيادة المحبة بين الدولتين . كما نحب من كمال سيادتكم وجميل سيرتكم أن تزيدوا توصوا نوابكم ، الذين توجهونهم للخدمة بايالتنا ، بترحيب الصدر ، وحسن الخلق ، والصبر والتأني في الأمور . وان بلغتهم دعوة من الدعاوي ، يبحثون على حقيقتها ، ولا يقبلون فيها إلا شهادة الناس المعروف حالهم ، ولا يقبلون شهادة صاحب لصاحبه ، ولا العدو لعدوه ، وان كان مثل هذا إنما يقع من أمثال الخليفة الذي كان بالعرائش (64) . وقد أخرتموه عن الخدمة . هـ» (65) .

* * *

4 . سفارة أخرى كانت لمحمد بن عبد الكريم الشرقي سنة 1868 . وقد حضر فيها معرض باريس (66) ولم أقف على بيان عنها .

5 . وفي سنة 1867 كلف السلطان محمد الرابع وزيره في الشؤون الخارجية محمد برخاش بتسليم رسالة الى نابوليون لتهنئته (67) . ولم يرد تفصيل عن هاته السفارة سوى وقوعها في 24 يوليوز 1867 .

64 . لم أقف على اسم هذا النائب القنصلي المعزول . فهل كان هو كامي ده لاروش C. de Laroche ؟ أم كان هو الاطرش Alatras اليهودي الحلبي المتفرنس المتوفى سنة 1866 ؟

65 . اصل هاته المسودة موجود،بخزانة الحاج العربي بنسعيد . اما اصل الرسالة فلا شك انه دفع لوزير الخارجية ده لوي . والمبيضة كما نرى غفل من التاريخ . وقد اتممت ما ظهر لي من نقص وجعلته بين هالين

66 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 534

67 . المصدر السابق ص 535 ، وتوجد صورة رسالة اعتماد السفير عند محمد نهليل في كتابه « رسائل شريفة » ، اللوحة 23

6 . وكانت **لبرثاش** أيضا سفارة أخرى الى باريس سنة 1884 لمعالجة قضية احتفاء الحاج عبد السلام الوزاني بحكومة فرنسا على يد لاديلاس ورديكة ، وذلك لما خلفته من أصدقاء في الداخل والخارج وسيأتي طرف من أخبارها في ترجمة الوزير .

7 . وقبل هاتين السفارتين كانت له سفارة سرية الى وهران في منتصف 1865 ، صحبة وزير فرنسا إيمي داكأن وقنصل فرنسا بالصويرة بومبي ، وذلك لتحية الأمبراطور نابوليون (68) .

8 . وكانت رحلة **الحاج محمد الزبدي** قد بدأت بفرنسا سنة 1876 ، وتقابل مع رئيس الجمهورية ماك ماوون ووزير الخارجية كذلك ، ودارت كما تقدم حول مشاكل الحماية القنصلية .

9 . **الحاج عبد الكريم بريشة** قام بسفارة لفرنسا سنة 1878 في مسائل التبادل التجاري ، حسبما هو سيشار اليه في ترجمته .

10 . أما وزير الشكايات **علي بن محمد المسفيوي** فكانت سفارته في بداية سنة 1880 تخص الحماية التعسفية من جهة أولى ، ومحاولة اكتساب تأييد فرنسا لرأي المغرب في نزاعه مع اسبانيا من جهة ثانية ، وحول عزم المخزن !شراء مصادرة سانطا كروث دي مار بيكينيا من جهة أخيرة ، وقد وعدت الحكومة الفرنسية السفير المغربي بالتوسط لدى اسبانيا (69) .

II . سفارة **عبد المالك بن علي السعيد** أحد عمال المغرب الشرقي كانت في يناير 1885 لدى الرئيس جول كريفلي «لربط أسباب الخير مع عظماء الدول سيما مع الجوار» (70) . ومعنى هذا أن عبد المالك كان أدري الناس بمشاكل الحدود التي تطرق إليها في سفارته .

68 . مبيج « المغرب واوروبا » ج 5 ص 72

69 . عبد الوهاب بنمنصور : « مشكلة الحماية القنصلية » ومجلة « الوثائق »

ج 4 ص 80 (1) . وقد نشر مبيج في الجزء الخامس من كتاب « المغرب واوروبا » ص 169 ترجمة مذكرة السفير المسفيوي الى الفرنسية .

70 . ابن زيدان : « الاتحاف » 2 ص 315

12 . وآخر سفارة مغربية الى فرنسا في هذه الفترة أسندت في منتصف 1889 الى القائد الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي ، لدى الرئيس سادي كارنو بفرنسا (71) .

وكان المقصود من هاته السفارة سرىا ، وظهرها «رد السلام وتجديد المحبة» . وقد عين الحاج المعطي «لذكائه ونباهته وكونه من ذوي القـدم الراسخ في خدمتنا الشريفة خلفا عن سلف» (72) وعزز في رحلته بالأمين الحاج محمد بن المدني بنيس وبكاتب السلطان أحمد الكردودي وبالترجمان الأول بمفوضية فرنسا بطنجة ثيات : Vial ؟ (73) .

13 . ثم أوفده بعد ذلك الى الجزائر فوصل الى وهران لتحية كارنو ، رئيس الجمهورية الفرنسية ، وقابله «الولاة الفرنسيون بغاية المبرة» (74) .

* * *

هاته هي السفارات المغربية التي وقفت عليها . وما من شك في أن السفراء كانوا على اتصال بالسلطان والمخزن ومن أقرب المقربين إليهما . وكانوا — على ما أعلم — من النباهة والاخلاص بما لا يجوز أن يتطرق اليه الشك . ولم يكونوا كبعض الجبناء الذين أوفدوا الى الخارج بعد وفاة الحسن الأول ، مثل محمد بن موسى بن أحمد «المختل الشعور ، الذي لما رأى الأسد كاشرا أنيابه ببarris ظن أنه يريد افتراسه» ووقع له ما وقع (75) .

71 . المصدر السابق ص 317

72 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 قعدة 1306/18 يوليوز 1889 — محفظة الطريس 16 .

73 . جاك كايي : « السفارات والبعثات المغربية الى فرنسا حتى الحماية » بمجلة «تطوان» ، العدد السادس 1961 ص 187 وما بعدها ، وكذلك «الاتحاف» ج 3 ص 359

74 . رسالة الطريس الى غريط في 15 محرم 1307/11 شتنبر 1889 — محفظة الطريس 17 .

75 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » : 7 ص 129 و 130 ، مع تعليق الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور على هاته الحادثة البئيسة ، حيث تغوط السفير ويال في سراويله !

ومنذ عهد بعيد كان الشرط في السفير أن يكون «على غاية من مكارم الأخلاق ، ومن العزم والنجدة ، وعلو الهمة ، واستحضار مفيد الأجوبة ، ومتانة الدين» (76) وان يكون «من ذوي العقل والمروءة والدين والمعرفة بقوانين الأجناس . ولا بد من عالم يقيم أمر الدين من صلاة وقراءة» (77) .

ومع ذلك كاد أغلب المبعوثين أن يكونوا أُميين (78) ، فافتقر بعضهم الى ترجمة وكتاب وأعوان .

ولئن كان السفراء من علية الناس وأصلحهم في عهد السلطانين من جهة أولى ، فلنا أن نتساءل من جهة أخرى عن مدى معرفتهم بملايسات السياسة الدولية وبالثقافة العصرية واللغات الحية ليستطيعوا أداء رسالتهم على الوجه الذي يرتضيه السلطان مُعْتَمِدُهُمْ . وباستثناء الحاج عبد الكريم بريشة الذي كان له إلمام بالاسبانية والفرنسية والانجليزية ، فالآخرون كانوا محتاجين الى ترجمة هم في أغلبهم من موظفي المفوضيات بطنجة . وهنا نتساءل مرة أخرى : هل بلغ السفراء أم هل حرف الترجمة ؟ مثل پيليسي Pélisser مع ابن ادريس في رحلته الى فرنسا ، وجول مونج Jules Monge مع الزبدي بفرنسا ، وروبيرط نجل جون هي معه بانجلترا ، وبوزيو Bosio معه أيضا الى ايطاليا ، والراهب خوسي ليرتشوندي مع الطريس الى حاضرة القاتيكان ، أو غيرهم ممن لم أقف على أخبارهم .

أما بقية أعضاء السفارات كالكتاب والأمناء والعديد من المخازنية فكان دورهم بروتوكوليا أو إداريا لا يغني شيئا في نجاح المهمة أو فشلها ، مثلما قد لا تفيد في ذلك الألفاظ المختارة والعبارات المنمقة والخطوط

76 . رسالة محمد بن ادريس الى بوسلهام بن علي في 28 رجب 1261 -
2 غشت 1945 في « الوثائق » ج 2 ص 51

77 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى الحاج عبد القادر اشعاش
في 4 رمضان 1261/6 شتنبر 1845 في « الوثائق » ج 2 ص 76

78 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 215

المزخرفة انتهى يدبج أعضاء' المخزن وكتائبه ظهائر السلطان الاعتمادية الى اولئك الرؤساء المضيفين ، تلك المكاتيب التي لا يفهمها حتى الراسخون في العلم ، لطولها النسبي ، ولما احتوت عليه من جناس وطباق وتورية ، ولما تخللها من وزن وسجع .

ولو عمدنا الى دراسة نصوصها لما وجدنا فيها غير وصاية السلطان ، في رسالة عننية مُخَاطَبُهُ لكي يُصدِّق السفير فيما سيناجيه به في جلسة سرية ، اذ غالبا ما يُستقبل السفير على انفراد ، ويدلي للرئيس أو للملك بما كلفه به السلطان تكليفا شخصيا ، غير ما هو مثبت في نص ظهير الاعتماد الرسمي . وهذا ما يدل على سرية المهمة .

ومن جهة أخرى ، كان بعض السفراء من الولاة الذين كانوا بحكم مناصبهم على اتصال مباشر بالقناصل والأجانب الذين كانوا يسعون لديهم لحل المشاكل المعلقة . وذلك لا يكاد يكفي لجواز جهلهم بأحوال الحياة المعاصرة لهم ، على ما هو راجح . كما كان البعض الآخر من بين التجار الذين كانت معرفتهم بالسياسة الدولية أوسع وأفضل . وهناك صنف ثالث من السفراء اختيروا من العلماء أو الفقهاء أو الكتاب .

وفي الوقت الذي كانت بعض الدول تختار سفراءها وقناصلها العاميين من المستعربين والمستشرقين وحتى من المغامرين وشذاذي الآفاق ، ليكونوا عيوننا لها ، كان المغرب لا يكاد يوفد أندادا لهم ، لا بلاغ صوته والذوذ عن حوزته بالقدر المطلوب . وهذا من دلائل الضعف الكمي والكيفي الذي كان المغرب يعاني منه ، إزاء سياسة أجنبية كانت أحيانا مخططة ومبيتة ، هدفها التوسع والسيطرة . ولولا مدافعة السلطان ، وصموده ودهاؤه ، وضربه سفارة بسفارة ، وتغليب طائفة على طائفة ، وتقريبه سفير أمة ، وغضه من شأن سفير أمة أخرى ، وسلوكه سياسة المماثلة المقصودة تارة ، العفوية تارة أخرى ، لفرضت الدول على المغرب حجرا نهائيا قبل سنة 1912 .

وعلى كل حال ، كان عدد السفارات قليلا في ثلث قرن من الزمان ، ولم تكن كافية ولا بعيدة الأثر ، فمنها السفارات الأحادية أي التي وجهت الى قطر واحد ، ومنها الثنائية أو المتعددة كسفارة الزبدي أو سفارات الحاج عبد الكريم بريشة .

* * *

المطلب الثالث : سفارة الطريس الى الفاتيكان

قدمت في المقاطع السابقة نبذة مختصرة عن السفارات المغربية الى مختلف الدواير ، في العهدين المحمدي والحسني . ولئن لم يرد كبير تفصيل عنها ، فقد حاولت استجلاء بعض غوامضها .

ونيتي معقودة الآن على أفرد بعض الكلام لسفارة واحدة ، هي تلك التي قام بها الحاج محمد بن العربي الطريس سنة 1888 الى حاضرة الفاتيكان ، مساهمة مع المسهمين في تقديمها أو دراستها (79) ، لأنها أولا من صميم الموضوع الذي أنا بصددده وهو الحماية القنصلية ، ولأنها ثانيا تحتوي على وثائق غميسة .

وسأبدأ بعرض مقتضب لظروف هاته الوفادة ، وأختم بإيراد أربعة نصوص ، أولها عربته ، وثانيها حاولت رده الى أصله العربي ، والثالث والرابع لم يسبق نشرهما ، وهما عبارة عن تقرير سري من السفير الى السلطان .

* * *

79 . من الذين عنوا بهاته السفارة :

- عبد الوهاب بن منصور في كتابه « مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان » ، وفيه قدم 20 وثيقة في الموضوع .
- خوسي اكيرا بليغيثويلو في بحثه : « وثائق تتعلق بالسفارة المغربية الى البابا ليون الثالث عشر » ، المعرب بمجلة « تطوان » العدد الثاني ص 155 وما بعدها . وقد أثبت فيه 6 من نفس الوثائق المنشورة في المصدر السابق .
- جاك كايي في مطلبه : « حول علاقات المغرب مع الكرسي المقدس » ، المنشور بمجلة « اسبريس تمودا » المجلد العاشر من ص 71 الى 94 وقد نشر بمفرده خطاب الطريس امام البابا ، ورد هذا الاخير عليه .
- عبد الرحمان ابن زيدان « الاتحاد » الجزء الثاني ص 366

3 . 1 : ظروف السفارة

احتفل البابا ليون الثالث عشر (1810 - 1903) بيوبيله الكهنوني ، أي قضاؤه مدة خمسين سنة في منصب ديني . ودامت الاحتفالات من 31 دجنبر 1887 الى 15 يناير الموالي . ولهاته المناسبة أوفد ملوك أوروبا النصارى ، من كاثوليك وبروتستانت ، وبعض الملوك المسلمين (شاه إيران والسلطان العثماني وخديوي مصر) وميكادو اليابان ، سفراء لتقديم التهاني والهدايا .

وما كان للسلطان الحسن الأول أن يشذ عن هؤلاء جميعا . فقد أجرى وزير إسبانيا المقيم ، خوسي ديوسدادو ، محادثات مطولة مع السلطان ، دارت حول المحاولات المبذولة لتغيير معاهدة مدريد ، والحد من شطط الحماية والقناصل والتجار من جهة أولى ، وحول توجيه سفارة لدى البابا لتنهئته ودعوته الى التوسط والتدخل لدى الدول الأوروبية المعنية من جهة ثانية . وأثناء تلك المقابلة بين السلطان والوزير ، عبر هذا عن نية حكومته في تخصيص مركب اسباني لنقل أعضاء السفارة .

على أن العاهل المغربي كان يحرص على إيفاد مبعوث على وجه السر ، فرشح لباته الغاية باشا طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي (80) ، ابتداء من نهاية سنة 1887 ، حسب رسالة السلطان الى الطريس بتاريخه . غير أن مرض هذا الأخير أو تمارضه على الأصح (لأنه ربما كان يتأثم من سفارة لدى رئيس النصارى ، مثلما كان الرأي العام في مختلف طبقاته يستهجنها) ، ثم قبول السلطان لعذره ، أخرأ موعد انطلاق السفير الى بداية شهر يبرابر الموالي ، وأدى الى تعيين المبعوث الجديد الذي كان هو الحاج محمد الطريس .

ففي العاشر من ذلك الشهر حلت بطنجة المدرعة الاسبانية كاستيا Castilla . وبعد يومين استقلها الطريس صحبة الحاج محمد بن الباشا

80 . وليس هو عبد الرزاق الريفي كما توهم ذلك جاك كايي ، وكرر اسمه عدة مرات في معرض بحثه . ورسالة السلطان تحمل تاريخ 4 ربيع الثاني 1305/20 دجنبر 1887 ، نصها بمجلة « تطوان » العدد الثاني ص 156 ، ويكتاب عبد الوهاب بمنصور ص 102

عبد الصادق الريفي المعتذر آنفا ، وأحمد الكردودي ، والقائدين الحاج أحمد تايّاي ومحمد بن عبد الخالق والكاتبين محمد البخاري والحاج محمد الكردودي ، وثلاثة من المساعدين المغاربة . كما كان في رفقة الطريس الراهب خوسي ليرتشوندي J. Lerchundi للقيام بالترجمة ، مثلما فعل ذلك في سفارات مغربية أخرى الى اسبانيا ، والراهب دومينكو غارسيا D. Garcia

وفي 17 يبرير وصلت المدرعة الى ميناء نابولي . وللفد امتطى الوفد متن القطار الى روما ، ثم تحدد موعد المقابلة مع البابا في زوال يوم 25 من نفس الشهر . وحينئذ ألقى السفير رسالته بالعربية (الوثيقة I) وبعد ترجمة ليرتشوندي ، وتقديم الطريس اليه كتاب الحسن الأول الاعتمادي (81) والهدايا السلطانية (82) ، رد عليه ليون الثالث عشر بخطاب باللغة الإيطالية ، (الوثيقة 2) ترجمه' الراهب خوسي المذكور الى العربية .

وانصرف الوفد وقضى الأيام الموالية في زيارة آثار المدينة ، والطواف بالمعرض الثاتيكاني المفتوح منذ 6 يناير الماضي .

وقبل العودة الى المغرب ، استقبل البابا الطريس استقبالا سريا مرتين ، إحداها كانت يوم 8 مارس ، وجرت بينهما مذكرات على انفراد ، ثم غادر ايطاليا الى طنجة التي رجع اليها يوم 19 مارس . وفي نهاية الشهر ، خرج الطريس من طنجة الى مكناس ، حيث حل ركاب السلطان ، ليطلعه على فحوى مهمته (الوثيقتان 3 و 4) .

فماذا كان الغرض من السفارة ؟ ظاهرها كان هو استعداد السلطان لأن يضمن لأهل الكتاب ممارسة شعائرهم الدينية بالمغرب ، ولكنها في الواقع

81 . لم نطلع على نصها الاصيل ، لكي ينبغي استبدال اسم عبد الصادق باسم الطريس لادراك شكلها البروتوكولي . وقد نشر عبد الوهاب بنمنصور في كتابه ص 105 وبليغيثويلو في بحثه ص 160 متن رسالة اعتماد عبد الصادق (20 ربيع الثاني او 12 منه)

82 . عددها وفصلها جاك كايبي في بحثه ص 87

كانت تتعلق «بمشكلة امتيازات الحماية التي أصبحت في ذلك العصر مرضاً مزمناً بالنسبة الى المغرب» (83) .

ويبدو ، من خلال الوثائق المتصلة بالموضوع ، أن السلطان كان ينوي تقسيم هاته الوفادة الى شطرين : تهنئة البابا بواسطة عبد الصادق ، وإرسال الطريس الى مدريد حيث كانت النية متجهة لعقد مؤتمر جديد ابتداءً من 19 أبريل ، بعد المشاورات التي كان قد أجراها وزير الدولة الاسباني موريت Moret ، صديق خوسي ليرتشوندي ، مع باقي الدول .

غير أن سقوط الحكومة وتولّي ماطيوس ساكاسطا M. Sagasta رئاسة الوزارة الجديدة أديا الى التفكير في تأجيل المؤتمر الى الخريف ، ثم الى العدول نهائياً عن عقده ، ولا سيما على يد وزير الخارجية الجديد لابيكا دي أرميخو La Vega de Armijo الذي كان يساير فرنسا لالغائه نتيجة الخلافات الأوروبية (84) .

وهكذا لم تنجح السفارة ولم ينعقد المؤتمر ، ولم يحد الحماة من غلوائهم . فانفتح باب التشوف والأطماع على مصراعيه ، وصدقت دراسة السلطان عند ما قال قبل ذلك لبركاش سنة 1880 عن مؤتمر مدريد انه « لن يكون منه شيء » (85) .

* * *

3 . 2 : وثائق السفارة

هي عديدة ولكني اخترت أربعاً فقط .

أ . خطاب الطريس أمام البابا

(تعريب توفيق)

83. خوسي اكليرا بليغيثويلو : « وثائق . . . » ص 171

84 . جان لوي مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 4 . ص 163

85 . عبد الوهاب بن منصور «الوثائق» ج 5 ص 379

الحمد لله ،

أيها الحبر الأعظم ،

وجهني سيدنا المؤيد بالله ، سلطان المغرب المعظم ، سفيرا لدى مقامكم العالي ، وأمرني أن أخطبكم نيابة عنه ، وأهنتكم بما مَنَّ الله ، القادرُ عليكم (86) ، من بلوغ فقاھتكم الى خمسين سنة ، اقتداءً بما فعله شعوب آسيا وأمريكا وعظماء الدنيا .

وقد اقتضى شريف نظر مولانا ، أمد الله في عمره وسعادته ، أن يقرر لكم محبته ، على أساس متين ، ويريد حفظه الله أن ترتبط معكم هاته المودة ، وترسخ هاته الصحبة ، وتستمر على الدوام ، لأنه ، أعزه الله ، يعلم أنكم اتخذتم الحق منزلا ، وأنكم تسعون للخير والهناء لجميع المخلوقات في العالم . كما أن مولانا نصره الله راغب في أن تتجدد وتتقوى وتتوطد الصحبة التي كانت بين الرهبان البابليون رؤساء الرهبنة الفرنسيةكانية وبين أسلافه المقدسين .

ونتمنى أن لا تنقطع هاته المودة بين مقامكم العالي وجلالة مولانا الشريفة ، وأن تستمر دائما ، لا يلحقها خلل ولا مناقضة . ولهذا بعثني سيدنا حفظه الله وأمرني أن أوثق معكم علاقات المودة ، حتى تفرحوا لما فيه فرحنا ، وتحزنوا لما فيه حزننا .

وإن سيدنا دام علاه كتب لكم مسطوره الشريف ، تصديقا لما ذكرناه ، وأمرني أن أدفعه لجنابكم السامي (87) .

86 . هاته العبارة المغلظة كان لها وقع خاص بالمغرب آنذاك ، حسبما ذكره الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في كتابه ص 104 (I)

87 . حاولت هنا - بطريقة التلفيق أو التلييق - تعريب هاته الوثيقة (نقلا عن الفرنسية ونقلا عن العربية الأصلية) ، مستعينا بأسلوب الطريس ، بقصد التوفيق بينها وبين المراسلات المخزنية المتصلة بالموضوع . هذا النص اقتبسه جاك كايي من جريدة «مونيطور روما» في عددها الصادر يوم 25 يبرابر 1888 ونشره في بحثه ص 86 .

ب : جواب البابا (تعريب)

تلقينا بأسمى الاعتبار الرسالة التي دفعتموها لنا ، نحن السيد الكريم الرفيع ، من لدن جلالة عاهلكم ، واستقبلنا بمزيد الغبطة ما قدمه من دلائل المجاملة والمراعاة ، بإيفاده أشخاصا مرموقين ، ليقدّموا لنا التهانى والتحف ، بمناسبة يوبيلنا الكهنوني .

وإننا لراغبون ، بوصفنا الرئيس الأعلى للديانة الالهية ، التي تضم مؤمنين في جميع أطراف المعمور ، أن نُشركَ معنا الملوك — الذين يسوسون الشعوب — لما فيه مصلحة الكنيسة الكاثوليكية ، ولهذا فنحن جد ممنونين لجلالته الشريفة التي عبرتْ بواسطتكم عن عزمنا — المتطابق مع رغبتنا — على إقامة علاقات المودة ، على أساس مكين ودائم . كما نشعر بصادق الاطمئنان عند ما نرى الى جنابكم ابناً عظيماً ، دعا — منذ عهد مؤسس هاته الطائفة الفرانسيسكانية — الى مبراته — التي هي ميدان لجلال الأعمال — إفريقيا عامة ، والمغرب خاصة .

ولقد سررنا لسماع كلمات الشناء على رجال الدين هؤلاء ، ولنا اليقين أنهم سيكونون أهلاً للرعاية التي سيُضفيها عليهم جلالته .

وليست هاته أول مرة تتبادل فيها السفارات وكلمات المودة بين الأحرار الرومانيين وملوك إفريقيا . وإننا لنسعد غاية السعادة لأن تتجدد الآن هاته العلاقات الحبية ، وسنسعى سعياً حثيثاً للعناية بها وتوطيد أركانها .

ولهذا نريد — يحذونا الامتنان الذي نشعر به لجلالته الشريفة — أن نجدد نفس متمنيات الرفاهية والمجد التي عبر بها كريغوريوس السابع العظيم ، أحد أسلافنا المكرمين إزاء أصير (88) ملك موريطانيا ، الذي شرفه

38 . أصير Azir (تعريف A (nna) zir الناصر بعد حذف النون ومركبتها) هو الناصر بن علناس الحمادي المتوفى سنة 1088 . فقد كان طلب من كريغوريوس السابع سنة 1076 إرسال قس الى مدينة عنابة للعناية بالنصارى الاسارى ، فوافق البابا على طلبه . والتصحيح في اسم الناصر من افادة جاك كايي .

بخطب وده . وفي نفس الوقت نضرع الى الله أن يزيد السعادة والرفاهية للمغرب وملكه المبجل الذي يسهر على مصيره (89) .

* * *

ت : تقرير الطريس عن سفارته (90)

ت . 2 : استفسار البابا
(الشرط الأيسر)

لما لقينا البابا الملاقاة السرية
الثانية وذكرنا له ماتضمنه التقييد
يمنتته ، أجاب عنه بقوله :

الله يقول الحق ، وأمرنا باتباعه ،
ولا خروج لنا عنه ، وحكم بلادكم
كحكم سائر بلاد أوروبا في حريتها ،
وعدم الخروج عن مقتضى الحق فيها .

وإننا نفرح لما اقتضته المحبة من
الجانبين ، ونساعد عليها من غير
واسطة ولا تحجير على غير يد مخزن
الأجناس ، إن شئتم على يد الپادري
خوسي أو على يد غيره ، ونقف
ونتوسط في قضاء أغراضكم ونفرح
الفرح الكثير .

ت . I : نص محادثته مع البابا
(الشرط الأيمن)

الحمد لله ،

لا يخفى على جميع الدول ،
ورؤساء الملل ، أن سيدنا السلطان ،
الشريف المعظم ، سلطان المغرب ،
المؤيد بالله ، المنصور بعناية الله ، له
العناية العظيمة في إقامة الحق ،
والسلوك على طريقته ، وكف التعدي
في جميع إيالته . كما أنكم لا ترضون
أن يعتدي أحد على أحد ، ولا توافقون
على الخروج عن طريق الحق والرشد .

فكما أن الحرية في بلادات أوروبا
شاملة لأقطارها ، سائغة عند جميع
الدول في ممالكها ، فكذلك يجب أن
تكون أرضنا ومملكتنا ، لا يلحقها شيء
من التعدي ، ولا ما يكون موجبا للترك ،

89 . عربت هاته الوثيقة نقلا عن جاك كايي في بحثه ص 86 - 87

90 . هاته الربيعة بشطريها ثمانية ، فقد عثرت عليها سنة 1975 عندما كنت عضوا في
لجنة اعداد ملف المغرب لدى محكمة العدل بلاهاي في شأن قضية الصحراء المغربية ، وكنت قد
ترجمتها الى الفرنسية ضمن وثائق عديدة . وقد غاب عني الآن رقمها . والراجع أن اصلها محفوظ
باحدى الخزائن الملكية .

وهل النصارى بطنبجة يخرجون
عن الحق ومقتضى الشروط ؟
فقلنا له : نعم إن بعضهم يصدر
منه ذلك .

فأجاب بأنه لا ينبغي أن يصدر
منهم ذلك في بلاد الناس ، وإن صدر
من أحدهم شيء مما ذكر ، يكتب لنا به
عن غير يد المخزن ، ونتكلم في أمرهم
وما يصدر عنهم ، حتى يجري على
طريق الحق .

وسألنا عن الجمع بمدريد : متى
يكون ؟

فأجبناه بأن الوقت الذي يكون
فيه لا زال لم ينعين . وإن عيّن ،
فلا نكره إعانتكم لنا فيه لما هو حق لنا .
فقال إنه يقف ويعين ولا يقصر .

ولا للخروج فيها عن مقتضى الحق بما
ينافيه ، وتكون الكتابة من الجانبين
شاهدة بموجبات المحبة ، وتكررها
دليلا على تمام الصحبة .

ومن أجل ذلك يريد سيدنا - أيده
الله - أن يكون يكتب لكم بما يظهر
لجنابه - العالي بالله - أدام الله علاه .
ويحب ، أيده الله ، وقوفكم فيما هو
حق لنا ، ودفاعكم ما فيه مضرة علينا
وعلى بلادنا ، حتى تكون الأمور جارية
على مقتضى الحق لا يلحقها خلل ولا
مناقضة مع غيرها من الدول . وأنتم
كذلك : في الكتب لجانب سيدنا -
العالي بالله - بما يتجدد من أموركم ،
وتحبون أن تعلموا به من أحوالكم ،
وتوجه إليكم مكاتيب سيدنا الشريفة
فيما شاء ، على يد من يشاء ، من غير
واسطة ولا تحجير .

2 : النواب السلطانيون

أشرف على النيابة منذ 1851 : مَحْمَد الخطيب ومَحْمَد بركَاش ومحمد الطريس . وها هي نبذة عن تراجمهم وملامح من شخصيتهم .

• • •

I : الحاج مَحْمَد بن عبد الله الخطيب

هو من أصل تطواني ، وكان أحد تجار المغرب الأغنياء . عاش بجبل طارق للتجارة فيها مدة 17 سنة ، وأقام طويلا بمدينة مرسيليا ثم بمدينة جنوة حيث تعلم اللغة الإيطالية .

عين أولاً أميناً بديوانة طنجة ، وفي ماي 1851 أصبح باشا للمدينة ثم نائبا سلطانيا ، بعد وفاة بوسلهم بن علي . وكان ذا عقل متفتح لاتصاله بالتجار ، ولمهارته في المعاملات . وبقي في منصبه حتى عزل سنة 1862 بعد مطالبة إسبانيا باعفائه منه ، لكن السلطان كان يعتبر أنه «أريح من العمل لكبر سنه» (I) ، بخلاف رأي المتحمسين للحرب مع إسبانيا فيه ، «فقد كانوا يتهمون بالضعف ، وبأنه كان على نَفَسِ النصارى ، ويعلم الله أنه لم يكن كما يزعمون ، وإنما كان أبعد منهم نظراً ، وأسد رأياً» (2) .

كان صديقا لجون هي ، وهذا ما دعا الراهب كودار ، المناهض لانجلترا ، ليصفه بأنه كان «يجيد السباحة في مياه السياسة الانجليزية» . وذلك لأنه كان ميالا لرأيه في الميدانين التجاري والسياسي . وقد فاوض ممثل إنجلترا طيلة ثلاث سنوات لإبرام معاهدة 9 دجنبر 1856 التجارية والبحرية .

I . رسالة السلطان الى اشعاش في 8 قعدة 1278/7 ماي 1862 في «تاريخ تطوان» لمحمد

داود ج 6 ص 20

2 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 222

الخطيب كان عفيفا ومتواضعا . ذكر مرة لأحد موظفي القنصلية الفرنسية بأنه طلب من السلطان أن يعفيه من منصبه الذي لم يُخلَق له ولا يقدر عليه ، وأن يدعه بجلابة بسيطة من صوف ، يقتات من أعشاب الحقول (3) .

وكان يخشى عقاب السلطان ومصادرة أملاكه ، ولا يَألو جهدا في مرضاته (4) .

ولما أُعفي رحل الى تطوان ، وقضى بقية عمره في العبادة حتى توفي في 24 شوال 1288/6 يناير 1872 (5) . لكن ذمته كانت مليئة بديون المخزن ، فثقت أملاك ورثته حتى يؤدوا ما كان مُدْرَكا على أبيهم ، لتبرا من حقوق الدولة (6) .

* * *

2 : مَحْمَد بن عبد الرحمان برْكَاش

ولد مَحْمَد برْكَاش بالرباط سنة 1225/1808 ، وهو ينتمي الى أسرة أندلسية عملت بعد هجرتها في أسطول الجهاد . اشتغل منذ صغره بالتجارة في مدينة جبل طارق . وكان يتجر معه فيها الحاج محمد بن المدني بنيس الذي صار فيما بعد أمينا للأمناء (وزير المالية) وعبد الخالق فرج محتسب الرباط . ثم عين عاملا لمدينة الدار البيضاء . ولما أُعفي مَحْمَد الخطيب من منصب نائب السلطان في الشؤون الخارجية ، بعد حرب تطوان ، عينه السلطان محمد الرابع في ذلك المنصب بطنجة حوالي 1862 . فصار صلة الوصل بين الهيئة الدبلوماسية المستقرة بهاته المدينة وبين السلطان الذي كان ينتقل باستمرار في أطراف مملكته .

3 . جان لوي مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 279 و 280 ، وعبد اللطيف الخطيب : «شارل ياجرشميد وعلاقات المغرب بفرنسا واسبانيا» في مجلة «تطوان» ، العدد الثاني 1962 ص 51 .

4 . جان لوي مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 279 .

5 . عبد الرحمان ابن زيدان «العز والصولة» ج 1 ص 323 ومحمد داود : «مختصر تاريخ تطوان» ص 311 .

6 . رسالة السلطان محمد الرابع الى الحاج محمد بنيس في 7 ربيع الثاني 1290/3 يونيو 1873 .

وطيلة المدة التي قضاها بركاش على رأس الشؤون الخارجية ، والتي تقرب من ثلاثين سنة ، كان مثال النزاهة والاستقامة والسعي الجاد الحثيث في سبيل مصلحة وطنه . لكنه لم يكن يتوافق دائما في مساعيه ، لتواطؤ الأجانب على المغرب ، وضعف الحكومة المركزية ، وتخلف الأفكار ، وقلة الولي والنصير . وهو الذي مثل المغرب في المؤتمر الدولي الذي اجتمع بمديرية سنة 1880 للنظر في قضية الحمايات القنصلية . كما ضربت على يده السكة المغربية في الخارج ، واشترى ، بواسطته وواسطة ابنه الحاج محمد ، السلاح الحديث للجيش المغربي . وما زال في منصبه حتى ساءت حالته الصحية ، وضعف بصره ، فسافر الى أوروبا للتداوي ، وبدأ ينوب عنه في غيبته الحاج محمد بن العربي الطريس ، الى أن مات سنة 1303/1886 ودفن بمقبرة العلو بالرباط (7) .

استهل إذن عمله مع المخزن بوصفه أمينا . وكان من الذين عينوا آنذاك أمناءً مأجورين : الحاج بوجنان البارودي والحاج عبد السلام أحرسان والحاج محمد بنشقرون بوشوكة (8) . فكان اختيار السلطان إياه اختيارا في محله . لأن الأمناء كانوا أدرى الناس بأخلاق القناصل ورغبات المستوطنين ، دراية تفوق دراية مطلق الناس بهم . ومنذ سنة 1864 ، وهو يخاطب بوزير «الأمور البرانيين» (9) على تقيض سلفه الخطيب وخلفه الطريس . وبهاته الصفة أو غيرها فوض اليه السلطان محمد الرابع منذ سنة 1865 الفصل في الدعاوي التي تنشأ بين «المسلمين والنصارى» (10) ، ولاسيما في قضايا الحماية والمحميين التي كانت له فيها جولات مع نواب الدول مثل القنصل

7 . عبد الوهاب بن منصور : «الوثائق» ج 4 . ص 20 وهامش «العز والصولة» 1 ص 387 .

8 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى هؤلاء الأمناء في 7 قعدة 1278 / 6 ماي 1862 - محفظة بركاش .

9 . رسالة أوغوست بومي الى بركاش في 17 شعبان 1280/28 يناير 1864 - محفظة بركاش .

10 . ظهير في 25 قعدة 1281/20 أبريل 1865 في «الوثائق» 4 ص 324

العام الأمريكي الكولونيل ماثيوز ووزير إيطاليا بطنجة ستيفانو سكوثاصو ، حسبما هو مذكور في غير هذا المكان .

قام ببعض السفارات الى الخارج مثل سفارته لدى الملك نابوليون الثالث في 24 يوليوز 1867 (II) . ومثل المغرب ، كما ذكرنا ، في مؤتمر مدريد سنة 1880 حيث كانت تدرس مشاكل الحماية القنصلية ، بما يتبعها ويسبقها من ملابسات . وفيها كان خصمه هو الأميرال جوريس سفير فرنسا بمدريد وممثلا في المؤتمر ، الذي كان يتشدد في تطبيق تسوية 19 غشت 1863 ، لصالح محمي فرنسا ، والحصول على استثناء في مبدأ الحماية الوراثة (ابن شيمول) ، واختيار السماسرة من سكان البوادي . وهو الشيء الذي لم تقبله الحكومة ، لأن في ذلك امتدادا للنفوذ الأجنبي . وتوقفت الجلسات ، وكاد المؤتمر أن يَنْفَضَّ ، لولا تدخلات من هنا وهناك ، وقبول المخزن لأخف الضررين ، كما هي عادته في مثل هاته الأمور المشتبكة المعقدة ، ذات الأبعاد الاستعمارية التوسعية .

وقبل خوضه غمرات مؤتمر مدريد ، كان قد أجرى مذكرات تمهيدية متعددة بطنجة مع ممثلي الدول ، وكانت خلاصة هاته المحادثات بمثابة وثيقة العمل لدى المؤتمر . وكان مستشاره في الشؤون الخارجية هو جون هي دروموند هي ، الذي كان يوجه اليه رسائل سرية وعلمية ، لتنبيهه لبعض المزالق ، وخصوصا أن الدبلوماسية المغربية كانت مفتقرة الى وسائل شتى للاطلاع على خبيث الدسائس وطيب النوايا . وكان بركاش يُحْبِط مناورات جميع الاوروبيين وحتى الانجليزيين (12) .

والى ذلك كان طيب المعاشرة لدى المغاربة ولدى الأجانب أيضا . ولذلك أنعمت إسبانيا عليه سنة 1870 بوسام ايصابيلا الكاثوليكية (13) . كما

11 . ابن زيدان : «الاتحاف» 3 ص 536

12 . هنري ده لامارتينيير : «ذكريات عن المغرب» ص 29

13 . رسالة وزير خارجية اسبانيا سكاظمة الى بركاش في 22 ماي 1870 - محفوظة المغرب اسبانيا .

كان أثيرا عند السلطان ، يأخذ برأيه ، ومحبوبا لدى معينيه وأصدقائه . قال عنه الحاج محمد الزبدي في رسالة منه الى الحسن الأول ما نصه : « هذا الرجل عند مولانا بهذا الثغر ركن من الأركان ، ما دامت «كَلِمَة» سيدنا فيه ، اذ هي القوة التي يدافع بها . . . وَوَاللَّهِ لو كان رءا سيدنا أعزه الله ما هو فيه هذا الرجل من المشاق وحمل الأثقال العظيمة على سائر الأيام لدعى له سيدنا بالبركة في عمره . وقد حصل له ضعف في بصره ، بحيث لا يقرأ اليوم المكاتيب ، وإنما يسردون عليه . وقال انما حصل له ذلك من تاريخ شكْو دُرّة الطالين . وهو الآن مخصوص بمُعِين ، وبزيادة الكتّاب . وقد صرح لي بهذا مرارا ، لأن أشغاله اليوم متعذرة بكاتب واحد . . . » (I4) . ويعني به محمد المكي البطاوري صهره . كما يعني بشكودرة الطالين تهديد ستيفانو سكوثاصو باستجلابه من حكومة بلاده أسطولها الحربي لاستخلاص الديون ، وتحقيق المطالب التي قدمها لفائدة المحميين ، وذلك ما بين ماي 1882 وأواسط سنة 1885 .

ولم تكن لتخفى على السلطان هاته الأمور ، ولا لتعزّب عن باله المشاق التي تحملها بركاش لمصلحة المغرب ، والمدافعة عن حقوق اخوانه . وهذا ما رد به الحسن الأول على رسالة الزبدي :

« . . . وأما ما وصفته به من الصدق والنصح فهو المعهود منه والمعروف فيه ، وكيف لا وهو وكيل المسلمين ونائبهم ، سنده الله وأعانه ! وأما تحمله المشاق فطوبى له بذلك ! لأنه في سبيل رب العالمين وفي مصالح المسلمين ، أفاض الله عليه بركته دنيا وأخرى ! وأجزل له ثوابا وأجرا ! وأما إعانتة ، فقد كنا أذنا له فيها بولده الحاج محمد أصلحه الله ! وأما الضعف فالله يزيد من قواه في ضعفه ! وأما زيادة الكتاب له فسنرى فيها » (I5) .

I4 . رسالة الحاج محمد الزبدي الى السلطان في فاتح ربيع الثاني 1301 - 30 يناير 1881 - محفظة بركاش

I5 . رسالة السلطان الى الحاج محمد الزبدي في 7 ربيع الثاني 1301/5 يبرابر 1881 - محفظة بركاش .

وهاته شهادة سلطانية بفضل هذا الرجل المفارق لأهله ، المضحى بماله الذي كان يؤديه من جيبه ويستحيي أن يطالب به .

على أنه لم يفتأ قبل ذلك بسنوات يطرح قضية المعونة بالموظفين . ويستخلص من مسودة رسالة منه الى الحاجب عن تأخير الأجوبة عن القضايا المستعجلة مثل احتماء السعيدى غريط باسبانيا أن «سبب تأخير بعض الأجوبة هو كون الوقت كله نستغرقه في الملاقات مع الترجمات والنواب وغيرهم والليل نقطع منه في مباشرة الكتابة نحو الست ساعات تزيد أو تنقص إلا قليلا » ثم يضيف :

«ولو وجدت الفراغ الى الاعلام بها قبْلُ ، لقدمت الكتابة في شأن زيادة الكاتب الذي أمره عندي من أهم الأمور ، لأجل الاعانة » (I6) على ما كان يصده .

لابد لمن بلغ السادسة والسبعين من العمر أن تضعف قواه ويكل بصره . ولهذا استأذن السلطان في الذهاب الى الخارج للعلاج ، فوافق الحسن الأول بشرط تعيين من ينوب عنه ، وذلك ما أجابه عنه بركاش : (بهاته الرسالة التى تقدمها بدياجتها مثالا عن مكاتيبه) :

« أدام الله العز والنصر والتمكين ، والظفر والتأييد والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين . وبعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب لمولانا من الاجلال والتشريف : «ينهى لكريم سيدنا — أعزه الله ونصره — أنه وصلنا كتابه الشريف — أسماه الله — جوابا عما طلبناه من سيادة مولانا الشريفة ، من الأذن لنا فى التوجه لمرسيلية ، بقصد مداواة ما اعترانا ، حسبما قدمنا لمولانا — أعزه الله — ، فأذن لنا سيدنا — أيده الله — فى ذلك ، ودعا لنا — نصره الله — بما نرجو من الله تعالى قبوله ، وأنعم علينا مولانا — أدام الله علاه — بألف ريال ، اعانة على ذلك ... » .

16 . مسودة جواب بركاش الى موسى بن أحمد فى 20 حجة 1293/6 يناير 1876 ، بنفس المحفظة .

«وما أمرنا به سيدنا - أعزه الله - من تعيين نائب عنا ، فقد تأملنا هنا بطنجة ، فوجدنا الطالب عبد السلام أحرسان ، وإن كان ممن يختار لذلك لصدقه ومروءته ، إلا أنه ضيق الصدر جداً ، لا يطيق مكابدة أمر هذه الخدمة ، وتخوف مما عسى أن ينشأ من ذلك . وظهر لنا - إن اقتضاه نظر سيدنا أعزه الله - واحد من ثلاثة : الحاج محمد الطريس والحاج محمد اللبادي والحاج عبد الكريم بريشة . لسيدنا - أعزه الله - النظر في أحدهم ، لأن مولانا - أيده الله - يعرفهم كلهم . فإن اقتضى نظر سيدنا - أسماء الله - واحدا منهم ، فيصدر - أعزه الله - أمره الشريف بوروده لها عاجلاً ، لنبصره فيما يدور الآن بين اليد من الأمور ، ليكون على بال منها وينوب عنا إلى أوبتنا بالسلامة ... » (I7) .

وغادر المغرب بعد شهر تقريباً ، فوصل إلى مرسيلية صحبة كاتبه محمد المكي البطاوري في 8 أبريل 1884 ، وعرض نفسه على أربعة من الأطباء . وبدل أن يخلد إلى الراحة والنقاة تلاحقت عليه الأمور ، ولاسيما قضية حماية فرنسا للحاج عبد السلام الوزاني ، فبدأ للسلطان أن يوجه بوشتي ابن البغدادى إلى باريس لحلها مع أعضاء حكومة فرنسا ، ولكنه عدل عن ذلك ، وكتب إلى بركاش يشخصه إلى العاصمة الفرنسية . وفى ذلك قال الوزير للسلطان ، جواباً عن رسالته :

« ... ينهى لكريم علم سيدنا - أعزه الله ونصره - أنه لما وصل بـاشدور الفرنصيى لباريز ، وكثر الهرج بافرانصة ، وتزايد الكلام القبيح فى الجوازيط ، وساءنا ذلك مع ما وصلنا بالأمس من النائب الحاج محمد الطريس ، مما دار من الكلام فى نازلة وزان وغيرها ، تعين علينا تعجيل النهوض لباريز ، وإن كنا لازلنا نتم الدواء هنا بمرسيلية ، بعد ما ظهر لنا الخير ، والحمد لله . وها نحن على أهبة السفر غدا إن شاء الله .. » (I8) .

17 . رسالة بركاش إلى السلطان فى 26 ربيع الثانى 1301/24 يبرابر 1884 - محفظة بركاش .

18 . رسالة بركاش إلى السلطان فى 12 رجب 1301/7 ماي 1884 - محفظة بركاش .

ولم تكلل مساعيه السياسية بالنجاح ، لتواطؤ مصالح اقتصادية واستعمارية وراء الحاج عبد السلام الوزاني ، بينما استطاع الأطباء حصر الداء مؤقتا ، ونصحوه بالرجوع الى مرسيلية متى لاحت بعض الأعراض . وبعد عشرين شهراً استأذن السلطان في ذلك قائلا : « وقد ظهر لي الآن أنه وصل وقت ذلك لظهور العلامات التي كانوا ذكروها لنا . فنطلب من سيدنا - أعزه الله - أن يتفضل علينا بأذنه الشريف في التوجه للدواء ... » (19) .

فرخص له السلطان في الذهاب ، وأنعم عليه بألف ريال أيضاً (20) . ولكنه في النهاية لم يسافر ، لتفشي عدوى الكوليرا في أوربا ، وفرض حجر صحي بمرسيلية آنذاك ، ثم ان حالته الصحية ازدادت سوءاً ، حتى ألجأه الأمر الى استشارة طبيب من الدار البيضاء .

ولعله منذ ذلك الوقت انقطع عن العمل بطنجة ، ولزم بيته بالرباط . في حين صار الحاج محمد الطريس يتخبط في المشاكل ، ويراجع بركاش في الأمور العويصة ، فلا يبخل عليه بالنصح ما استطاع . ولما لم يستطع فوض الأمر للنائب قائلا : « الحاضر يرى ما لا يرى الغائب » .

ولم يلبث أن رزى بفقد ولده الحاج العباس الذي كان أمينا (21) . ثم مرت شهور قليلة فمرض ابنه الحاج محمد مرضاً أودى بحياته بعد أسبوع (22) ، وذلك لتفاحش الوباء . وما كاد يطل شهر أكتوبر 1885 حتى لحق بربه « الأبر المرحوم السيد محمد بارقش ، برد الله ثراه ورحمه » (23) .

19 . رسالة بركاش الى السلطان في 9 محرم 1303/18 أكتوبر 1885 - محفظة بركاش .

20 . رسالة بركاش الى السلطان في 26 محرم 1303/4 نونبر 1885 - نفس المحفظة .

21 . رسالة تعزية الحاج محمد بن سعيد الى بركاش في 9 ربيع الأول 1303/14 دجنبر 1885 ، وتعزية جون مي له في 2 يناير 1886 .

22 . رسالة تعزية من عبد السلام أحرسان الى بركاش في 22 قعدة 1303/12 شتنبر 1886 .

23 . لم يرد تاريخ وفاته مضبوطا . وأول من وجدته يتحدث عنها هو المكي بن عبد السلام في رسالته الى الطريس في 19 محرم 1304/18 أكتوبر 1886 - محفظة الطريس 9 . بينما قال المؤلفان كوفيون في «كتاب أعيان المغرب الأقصى» ص 283 انه مات في 3 محرم 1304/2 أكتوبر 1886 ، ذاكرين أن الوفاة كانت بطنجة ،

3 : الحاج محمد بن العربي الطريس

هو من مواليد تطوان سنة 1825/1242 . أخذ قسطا من العلوم الدينية بمسقط رأسه ، ثم ارتحل الى الصويرة حيث كان والده مقيماً ، فأخذ عن علمائها علوما مختلفة .

لكنه مع ذلك قد يكون من الذين تلقوا طرفا من التعليم الحديث سنة 1863 ، لما فتح الاتحاد الاسرائيلي أول مدرسة بتطوان فدخلها هو ورفيقه عبد القادر الرزيني (24) . وإذا صح ذلك ، فقد اختلف الى المدرسة في سن الثامنة والثلاثين . وهذا مستبعد نوعا ما .

كان أمينا بوادي مرتيل باديء الأمر ، ثم عين أمينا للمستفاد بالدار البيضاء سنة 1875 وبأجرة بلغت آنذاك 215 مثقلا أي 2150 أوقية (25) .

وكان أمين الأمناء محمد التازي موخا يعتمد عليه ، فقدم له هاته النصيحة الثمينة التي رعاها في سلوكه طوال حياته :

قد رشحك لأمر لو فطنت له
فأربأً بنفسك أن ترعى مع الهمل (26)

ولم تكد تنقضي شهور معدودة ، حتى طلب إراحته من الخدمة (نونبر 1875) ، وتلك عادة اتخذها طيلة حياته ، سواء بطنجة أو بالدار البيضاء . وبعد أن عين السلطان في البداية عوضاً عنه الحاج محمد هارون أميناً للمستفاد ، عدل عن ذلك وكلفه مرة أخرى (أكتوبر 1877) ، الى أن أعفي نهائياً من أمانة المستفادات في غشت 1878 ، بتعيين أحمد بن محمد الدليرو للقيام بها (27) .

24 . ميج : «المغرب وأوروبا» : 2 ص 570 (2)

25 . ظهور تعيينه في 21 قعدة 1292/19 دجنبر 1875 - محفظة الطريس 1

26 . عبد الهادي التازي : «رسائل مخزنية» ج 1 ص 35 . والبيت للطفرائي في لاميته ، التي مطلعها : «أصالة الزأي صانتني عن الخطل . وحلية الفضل زانتني لدى العطل» .

27 . رسائل كثيرة في هذا الموضوع بمحفظة الطريس 1

ولئن أقيّل من الأمانة ، فقد كلفه السلطان بياشوية مدينة السدار البيضاء (28) . وفي هاته المرة ، ظل عاملا على المدينة من يونيو 1879 الى أواخر سنة 1882 . وبعد قضاء ثلاث سنوات ونصف بالعمالة ، اشتكى للسلطان بعجزه وضعف قوته وضيق صدره ، والتمس منه الاعفاء ، فقبل عذره بتعيين الحاج العربي بريشة مكانه (29) . ولما ذكر له فراغ اليد وعزمه على تزويج ابنه ، أنعم عليه بـ 500 ريال ، اعانة على العرس ، وأتشف العروسين والعريسين بهدايا مختلفة (30) .

والتحق الطريس بطنجة (31) وصار ينوب عن برّكاش أثناء غيبته ويقبض ريالين في اليوم ، أي 60 ريالا في الشهر . ولكن أجرته صارت فيما بعد 75 ريالا شهرياً (32) . وعند وفاة وزير الخارجية ، خول السلطان للطريس حق الانتفاع بالدارين اللتين كانتا بيد برّكاش ، وبالرياض وعروسة السواني وبلاد المنزه ، وأعطى لكاتبه الذي هو عبد الرحمان الزّودي دارا لسكناه ، « والكل على وجه الانتفاع والاستغلال لا غير » (33) . كما نفدت له فيما بعد دار كانت تدعى دار البوطيقة (34) . وهكذا ورث الانتفاع بالسكنى ، دون أن يرث صفة وزير الخارجية التي كانت لمحمد برّكاش ، ثم أسندت الى محمد المفضل غريط .

28 . ظهير في 18 جمادى الاولى 1296 / 9 يونيو 1879 - محفظة الطريس 1

29 . رسالة السلطان الى الطريس في 26 صفر 1300 / 6 يناير 1883 - محفظة الطريس 2

30 . رسالة السلطان الى الطريس في 21 جمادى الاولى 1300 / 30 مارس 1883 - محفظة الطريس 3 .

31 . ذكر العباس ابن ابراهيم في « الاعلام » ج 7 ص 151 - 152 أنه ناب بطنجة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان لكن هذا وهم منه ، واذا صح ذلك فقد كان مجرد موظف ، ولم يكن نائبا سلطانيا

32 . رسالة السلطان الى الطريس في 23 جمادى الاولى 1301 / 21 مارس 1884 . محفظة الطريس 3 ، وكذلك مبيج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 124 (4)

33 . ظهير في 24 محرم 1304 / 23 اكتوبر 1886 ، محفظة الطريس 9 .

34 . رسالة السلطان الى الطريس في 25 شوال 1305 / 5 يوليوز 1888 . محفظة الطريس 13 .

ولعل كثرة تبرم الطريس من العمل وخشية السلطان عليه من مكاييد الأجانب ومتطلبات الهيئة الدبلوماسية هما اللذان كانا مانعين دون تعيينه فى منصب الوزير . زد على ذلك أن سياسة الدول الأجنبية بدأت نواياها تفتضح بعد عقد معاهدة مدريد ، وصار ممثلوها يرومون التعسف فى تأويل النصوص والمعاهدات ، فكان لا بد من التوقي منهم ، بترك الأمور بيده نائب ، واسناد الوزارة لشخص آخر تحتم عليه ظروف عمله أن يتنقل حيث يتنقل السلطان . ولم أطلع فى الوثائق التى بين يدي على عيب يسيء الى سمعة الطريس سوى ما ذكرته من كثرة التبرم وشدة الشكوى .

لم يكن تاجرا ولا غنيا كبركاش ، وانما كان « طالبا » ذا مستوى ثقافى بسيط هو على كل حال أعلى من مستوى سلفه ، وقد يكون على شىء من الالمام باللغات الأجنبية .

وبينما كانت كتابة بركاش كتابة تاجر ، وخطه خط « طالب » ، تلقى مبادئ القراءة والحساب ، ثم انتقل الى التجارة ، حسيما يدل عليه أسلوبه وخطه البسيط ، واستعانت به بكتابه وصهره محمد المكي البطاوري ، كان أسلوب الطريس رصينا ، وخطه متوسطا ، لا يرقى مع ذلك لخط البطاوري وكتابته .

وفوق هذا كله كان الطريس فى البداية قليل الخبرة على ما يبدو بالشؤون الدبلوماسية ، ونفسيات الأجانب وخفايا التجارة ، ولكنه كان يعلم بأن فى مماطلات السلطات المغربية فى تصفية الدعاوى والمطالب ما يجعل مهمته عسيرة ، وخصوصا بعد أن اصبحت قضية الحماية قائمة على ركيزة هـى معاهدة مدريد . وكان يبلغ للمخزن الصعوبات التى يلقاها فى عمله .

ولم يكن الأوربيون وحدهم هم الذين يؤزمون الأوضاع ، بل كان الولاة والعمال بسوء طوياتهم يزيدون النار اشتعالا . قال الطريس فى ذلك لغريط محتجا :

« فانه لا يخفى عليك أن المكاتيب الشريفة تصدر للعمال بفصال دعاويهم » (أي دعاوي النواب) « فيتلوون ويتلوون ولا يقع منهم تنفيذ . وليس في طريقي اجراء الأحكام عليهم أو الزامهم الفصال . وغاية ما أدركه في أمرها هو إبلاغها والكتب بما نומר بكتابته في شأنها ... وأطلب من الحضرة الشريفة الزامهم بفصل الدعاوي الثابتة الصحيحة ، أو تأخري عن مباشرة أمور النواب لأبقى في حل ولا أكون منديلا . . . » (35) .

ولما مرض في اكتوبر 1888 طلب الاعفاء من الخدمة ، لعجزه عنها ، فوعده السلطان بأنه « سيكون له تاويل خير » (36) . وكرر طلبه مرة أخرى ، ورشح غيره ليقوم مقامه . فقال السلطان مجيبا : « وصل كتابك شارحا فيه حالك وضعف قوتك ، وطلبت اعفاءك من الخدمة ، وتعيين الخديم الحاج عبد الكريم بريشة لها ، أو الخديم الحاج محمد اللبادي . وصار بالبال ، وسنرى في ذلك (37) وفي نفس الوقت كتب الطريس مستصرخا : « وسيدنا يراقب فينا الله بالعدر من هذه الخدمة ، لا أقدر عليها من الألم الذي أصابني » (38) .

ولا شك أن السلطان راقب الله ، ولم يجد من معين نزيه ، كما سنرى ، الا الطريس . كان الحسن الأول مفتقرا الى من يساعده ، وكان الطريس ذا عيال ومحتاجا الى ما يقيم به أوذاه . وقد أعانه السلطان فسرح له تصدير 12.500 فنيكة من القطني بدون صاكة (أي رسوم جمركية) من الجديدة ، وكلف بذلك نائبه الحاج محمد الصفار (39) . كما وسع عليه قبل ذلك وعلى رفيقه وهو في الغالب عبد الرحمان الزودي « لما لحقهما من

35 . رسالة الطريس الى غريط في 3 حجة 1305 / 11 غشت 1888 — محفظة الطريس 13

36 . رسالة السلطان الى الطريس في 11 ربيع الاول 1307 / 5 نونبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

37 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 جمادى الثانية 1307 / 10 يبرابر 1890 — محفظة الطريس 17 .

38 . رسالة الطريس الى غريط المذكورة في الهامشة 35 أعلاه

39 . رسالة محمد التازي ومحمد حصار الى الامين محمد بن العربي برادة ومحمد بن عبد الله والي الحاج محمد الصفار في 11 رجب 1310 / 29 يناير 1893 ، محفظة الطريس 21 .

ضيق الوقت والاضطرار » ، وأنعم عليه وعلى رفيقه أيضا بـ 25 ألف ريال تنفذ من أعشار الحبوب (40) .

ولن أفيّ الطريس حقه ان غفلت عن الاقتباس من رسالة وجهها الى السلطان سنة 1887 تدل على مدى ورعه وتمسكه بالرزق الطيب . قال :

« قدم علينا أولادنا ، وسلموا علينا ، وطلبوا معتاد ما يسرهم . فأعطيناهم الأنعام الذي أنعم به علينا مولانا ، وظهر لنا منهم التشوف . فصادقناهم وقلنا لهم : هذا أصل الحلال ، اقنعوا به . والحياء من مولانا غلب علينا ، فسكتوا ، وقد تكسرت خواطرهم ، حيث جالت في ذلك الألسنة . وأشد ما لقيناه - من ذلك - التأثير في انحطاط الخدمة الشريفة » (41) .

وأي كلام أبلغ من هذا ؟ ان « الحاج محمد الطريس ضربت بنزاهته الأمثال ، لقد شاخ قبل الأوان ، ولذلك كان يمشي متوكئا على عصاه (42) في آخر حياته .

ولا أعلم أن الطريس غادر المغرب الا ثلاث مرات : الأولى كانت لأدائه فريضة الحج قبل النيابة بطنجة ، والثانية سفارته لدى البابا سنة 1888 ، والثالثة لرئاسة الوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 حيث بذل جهداً كبيراً لصون استقلال المغرب وذلك بحنكته وخبرته الطويلة .

وتتضارب الآراء في مهارته وسياسته . وعن ذلك قال هنري ده لامارتينيير الفرنسي : « لم يكن أحد يشك في نزاهة الطريس التي كانت

40 . رسالة الطريس الى السلطان في 1 محرم 1310 / 26 غشت 1892 ، ورسالته التذكيرية في 9 ربيع الاول 1310 / 1 اكتوبر 1892 ، ورسالة غريبط الى الطريس في 16 ربيع الثاني 1310 / 7 نونبر 1892 . محفظة الطريس 23 .

41 . رسالة الطريس الى السلطان في 23 حجة 1304 / 12 شتنبر 1887 ، محفظة الطريس 10 .

42 . جاك كايبي « النوادر المغربية » ص 185 .

مضرب الأمثال . ولكن مؤهلاته المهنية كانت ضعيفة ، اذ كان محافظا وقليل الخبرة ويعاب عليه أنه كان يطلب من المحميين أن يحموا غير المحميين ، لضرب محمي بلد بمحمي بلد آخر ، ظانا أن في ذلك نفعا » (43) وكان هذا المؤلف معاصراً له .

اما جورج ادموند هولت الذي كان موظفاً بالقنصلية الأمريكية بطنجة فقد ذكر عنه :

« كان الطريس فريدا من نوعه بين الدبلوماسيين المغاربة ، كما كان يبرز الأجانب . ولو امتد به العمر لما تمكنت فرنسا من فرض سيطرتها العملية على المغرب ، فلو حاولت ذلك لأثارت حربا في أوروبا .

« كان رجلا طيب المعشر ، متمتعاً بحكمة دبلوماسية غير عادية . وهو القائل : (ان كذبة واحدة تكفي لأن تشغل أوروبا سنة ، وعندنا خزينـة ملأى بالأكاذيب) ، كان رجلا شريفا ، ولذلك فانه مات فقيرا وتلك كبرى مميزاتة » (44) .

كانت طيبوبة نفسه بادية عليه ، سواء خلال تقلده ولاية السدار البيضاء حيث انعمت عليه الولايات المتحدة وانجلترا بوسام رفيع لعمله على انقاذ مركبين وبحارتهما ، أو أثناء سفارته لدى البابا الذي أكرمه سنة 1888 بوشاح شرفي .

ويحكى عنه أن شخصا لقيه في أيام ضيقه ، فسأله هدية يستعين بها ، فلما لم يجد شيئا طلب منه المصاحبة لداره ، ودخل ثم توارى عن نظره ، وانسلخ من ملبوسه ، وناوله اياه ليبيعه ويقضي به مآربه . كما ذكر أن أحد الضعفاء استعار منه صينية كبيرة ، وبعد قضاء وطره منها جعلها بيد سمسار ليبيعها . ولما وجدها بيد هذا السمسار ، نكّب الطريق

43 . هنري ده لامارتنيير : « ذكريات عن المغرب » ص 29

44 . عبد المجيد بنجلون : « جولات في مغرب امس : قبيل الحماية » ص 92 - 93 ، تلخيص كتاب جورج ادموند هولت .

واسرع حتى لا يراه بائعها ويستحيي . ونادرة أخرى وقعت له وهو أن بعض الناس طلب منه يوم عاشوراء وهو في منصب النيابة أن يدفع له من زكاة أمواله شيئاً ، فأجابه والله لا فرق بيني وبينك في هاتـه الساعة الا بالصبر (45) .

وأذيل بما وصفه به العباس ابن ابراهيم :

كان محمد بن العربي الطريس « خيراً دينا فاضلاً نبيها حازماً ضابطاً عفيفاً نزيهاً ، محافظاً على ديانتـه ، ملازماً للصلوات وأداء الزكوات ، عفيفاً عن أخذ الرشوة ، عاقلاً وقوراً حسن السمـت ، لم يثبت عنه أنه ارتشى في قضية ... وفي أيامه تكاثرت عليه تهافتات الوزراء في القضايا وتنطعاتهم ، وصار يقول : « ان دام هذا عامين يفلس المغرب » ، فكان الأمر كذلك ...

توفي رحمه الله (46) ليلة 16 شعبان 1326/12 شتنبر 1908 ، بمدينة طنجة (47) .

15 . نقلت هاته النبذة ونبذا أخرى قبلها من تقييد في ترجمة الطريس بعد وفاته التدوين هذا مبتور من آخره ، ولم أقرأ منه الا الصفحات الاربع الاولى مما لم يسمح لي بمعرفة كاتبه . وتوجد صورة منه بخزانة الحاج العربي بنسعيد . وعنوانه : « نبذة يسيرة من ترجمة المرحوم محمد بن العربي الطريس » .

46 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام . . . » ج 7 ص 151 .

17 . محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ص 328 .

3 : اعضاء دار النيابة



ستكون المقاطع الموالية عناصر ترجمية لموظفي النيابة ، مستقاة في جلها من الوثائق المخزنية ، كما أنها ستتناول وصفا لنشاطهم وأشغالهم وتصنيفاً للمحميين .

* * *

المطلب الأول : تراجم الموظفين

I . **العربي بوشنتوف** هو من أهل سلا ، وكان كاتباً مع محمد برقاش ، وناب عنه ايضاً حوالي 1864 . العربي من أقدم الكتاب بدار النيابة ، ولعله انخرط في الاسلاك المخزنية قبل توظيفه بطنجة . وسبب تعيينه في عهد المولى عبد الرحمان كان لجودة خطه ، لأن « أهل سلا هم أولى بهذه الخطة من غيرهم » (I) حسبما جاء في رسالة السلطان أثناء معرض الكلام عن إجادة السلويين للخطوط .

وفد استمر في عمله زمناً طويلاً ، حتى عجز أو توفي فيما يعتقد قبل سنة 1880 ، فاتخذ برقاش صهره البطاوري كاتباً بدلاً منه .

2 . محمد المكي البطاوري

عالم شهير من علماء الرباط ، أصله من مدينة شرشال بالجزائر ، هاجرت أسرته الى المغرب الأقصى فاستقرت بالرباط . ولد في ربيع الأول عام 1274/أكتوبر 1857 ، وتلقى العلم عن جماعة من علماء وقته . وبدأ حياته الادارية عام 1297/1880 عندما عين سكرتيراً بدار النيابة بطنجة . وبهذه الصفة رافق برقاش الى مؤتمر مدريد ، كما صاحبه عام 1301/1884 الى اسبانيا

I . محمد بن علي الدكالي : « اتحاف الملا ... » ، و 32

وفرنسا وانجلترا ، واستفاد من هذين السفيرين علوماً جمة ، واطلع على النهضة الأوروبية فأفاده ذلك كثيراً ، وتقلد بعد ذلك وظائف مخزنية مختلفة . آخرها منصب القضاء الذي تولاه عام 1905/1323 بمدينة الرباط (2) .

ولما توجه الى الأصقاع الحجازية لأداء فريضة الحج عام 1304 / 1886 اتصل بعلماء الحرمين ومصر واستفاد منهم . وقد اختاره السلطان الحسن الأول مؤدباً لبعض أبنائه وعين بمرسى الرباط ثم بديوانة طنجة (3) .

كان شاعراً مجيداً وكاتباً متقناً ، وله مؤلفات تزيد على الستين ، وتوفي في 25 مارس 1936 / 2 محرم 1335 ، حيث دفن بالرباط .

كان صهراً للوزير محمد بركاش ، وكان خطه رائقاً ، وأسلوبه جميلاً بليغاً . ولما توفي الوزير كان يعين آله في بعض مراسلاتهم .

3 . الحاج محمد بن الطاهر الزبدي

الحاج محمد الزبدي ، أو الزبيدي أيضاً كما كان يسمى ، من أصل رباطي حيث كان عاملاً للرباط مدة قصيرة في العهد الرحماني ، وكان أحد أمناء الدولة وسفرائها من عهد محمد الرابع الى عهد الحسن الأول ، وقد كلفه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بمهمة التفاوض مع اسبانيا في قضية الحرب الاسبانية المغربية سنة 1859 ، بمعية النائب محمد الخطيب (4) . وظل الزبدي أميناً بمرسى طنجة وبالنيابة السلطانية سنوات طويلة .

وفي سنة 1876 وجهه السلطان سفيراً الى فرنسا وبلجيكا وانجلترا وإيطاليا ، للمذاكرة مع رؤسائها وحكوماتها في قضايا الحماية القنصلية ،

2 . عبد الوهاب بنصور : « الوثائق » ج 4 ص 93

3 . عبد الله الجراري : من أعلام . . . ج 2 ص 214 وما بعدها ، وكذلك مصنفه الغربي : « أبو حامد المكي البيطاوري وأثره في ميدان العلم والأدب » في « دعوة الحق » مارس 1965 ص 79 .

4 . « الوثائق » : 2 ص 270 و 284 و 286 و 287

ودعوتها لتأييد وجهة النظر المغربية . وخلال هاته الرحلة التي دامت أكثر من ثلاثة أشهر (من ماي الى شتنبر 1876) قدم عددا من الهدايا لرجالات هاته الدول ، وصيالات لمبراتها الاحسانية (5) .

ويرى بعض المؤرخين أن مهمته لم تكن عقيمة ، لأن الدوق ده كار قبل مبدأ مراجعة حق الحماية ، لكن مع التحفظ في حق التجار الفرنسيين ، واستشارة الدول الأخرى المعنية (6) ، ومثل ذلك قالته له الحكومة البريطانية .

4 . الحاج عبد الكريم بن محمد بريشة الحميدي

ولد الحاج عبد الكريم بتطوان سنة 1246 / 1830 ، وتوفي بها في 10 محرم 1315 / 17 يوليوز 1897 . سافر الى مصر سنة 1269 / 1852 ، واتجر بجدة 3 سنوات ، وعاد الى المغرب سنة 1279 / 1855 ، فعين في السنة الموالية أمينا بمرسى الدار البيضاء لمدة سنة ، ثم سافر الى فاس ومنشيستر للتجارة . وعاد الى تطوان بعد 3 سنوات حيث صار أمينا . وفي عام 1292/1875 عين أمينا لمداخل الدولة ومصاريفها لمدة 3 سنوات أيضا . وفي سنة 1295 / 1878 ، وجه سفيرا الى اسبانيا للمذاكرة في قضية مصادرة سانطا كروث ، ثم ارسل سفيرا الى كل من اسبانيا وفرنسا وانجلترا لجس نبضها في مسائل التبادل التجاري .

وقد شارك محمد بركاش في مؤتمر مدريد سنة 1880 كما تقدم ، وعينه السلطان عضواً بالوفد الرسمي لمساعدة بركاش « لكونه رجلا كياساً فطناً ، حنكته التجارب ، ومن بيت الخدمة (7) » .

5 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 279 وما بعدها

6 . مبيج : « المغرب وأوروبا » ج 3 ص 268 (2 و 5)

7 . رسالة السلطان الى بركاش في 20 جمادى الأولى 1297 / 2 مارس 1880 - محفظة الحماية القنصلية

وفي سنة 1889 سافر لحضور معرض باريس ، وفي سنة 1891 ذهب ايضا الى اسبانيا للمذاكرة في قضية طرفاية .

ثم عين كذلك سفيرا الى اسبانيا في يناير 1895 للمذاكرة في قضية مليلية . وبمديره لطمه أحد الجنرالات المتقاعدين ميكل دي فوينطيس على ملاء من الناس بالشارع ، فحكم على المعتدي « بالبقاء مُحَجَّرًا بالمارستان » (8) أي مستشفى الأمراض العقلية ، وقدمت الحكومة الاسبانية اعتذارا رسميا عن هاته الاهانة (9) .

كانت حياة الحاج عبد الكريم حافلة ومضطربة ، وكان تاجرا كما كان أمينا ، له معرفة باللغة الفرنسية والاسبانية والانجليزية ، ومن أسرته كان للمخزن موظفون مقتدرون مثل أخيه الحاج العربي الذي كان عاملا على الدار البيضاء وأمينا بها ، وكان يقوم بأشغال خاصة للسلطان وللمخزن الذي كان يكلفه بمهام دقيقة ، وكان محل تقدير من لدن المخزن ومن لدن حكومات أخرى لطول باعه ، فَوُشِّحَ بأوسمة مختلفة من اسبانيا وفرنسا ، وكان من المرشحين لتولي النيابة السلطانية وقتا ما .

هاته الحياة الصاخبة لم تلبث ان ضعفت مع الأيام . وعنها قال للوزير غريط : « ... وأنا اذا خرجت يوم واحد للزنقة ، لزممت عليه الفراش ستة أيام ، ولا يخفأك أخي حال الكبار والمرض في الغربة ، والطبيب ملازم لي بالدواء ولك العافية . . . » (10) .

5 . بناصر بن أحمد غَنَّام

ولد بالرباط سنة 1262 / 1845 ، وبها توفي سنة 1915 ودفن .

8 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 1 ص 378

(9) . « ترجمة بقلم أحمد معنيو ، « دعوة الحق » عدد أبريل 1971 ، ص 166 ، وعند محمد داود « مختصر تاريخ تطوان » ص 321

10 . رسالة بريشة الى غريط في 7 شعبان 1307 / 29 مارس 1890 ، محفوظة بالمغرب ايطاليا .

انخرط مبكرا في سلك الموظفين المخزنين ، وعينه السلطان عضوا
بالسفارة التي قادها الحاج محمد الزبدي الى أوروبا الغربية سنة 1876 ،
ثم صار أمينا للمال ، فشارك في عملية ضرب الريال المغربي بالخارج . وفي
سنة 1305 / 1888 رقي الى رتبة أمين الاختبار التي تعني مفتش المالية ،
فكان يقوم بتفتيش الأمناء بالمواني والمدن . وفي سنة 1315 / 1898 عين
أمينا بطنجة ، وبقي بدار النيابة يعمل الى جانب الحاج محمد الطريس .
وتولى بعد ذلك مناصب أخرى في الداخل والخارج ، الى أن استراح من
عمله سنة 1912 ، وجمع من خدمته الطويلة مع المخزن ثروة كبيرة (II) .

6 . الحاج عبد السلام أحرفان

هو طنجي ومن أقدم الأمناء والموظفين ، اذ عين - كما سبق - منذ
1862 وكان ينوب عن برغاش ، ولكنه كان عصبي المزاج « ضيق الصدر لا
يستطيع مكابدة أمر هاته الخدمة » ، حسبما قال برغاش للسلطان .
ولما تولى النيابة الحاج محمد الطريس ، اعتذر عن العمل معه (I2) ،
وبقي أمينا بمرسى طنجة ، الى أن رقي الى درجة أمين الاختبار بالمرسى سنة
1888 ، مثله في ذلك مثل بناصر غنام (I3) ، وكان لا يزال موظفا في مطلع
القرن العشرين بطنجة (I4) . ولم أقف على تاريخي مولده ووفاته .

7 . الحاج محمد الغسّال

كان منذ سنة 1864 أمينا بطنجة (I5) ، وبعد ذلك انتقل الى الأمانة
بمرسى الجديدة ، سنة 1872 . وعند تولي الطريس أمر النيابة ، صار معينا له

II . عبد الوهاب بنمنصور : « أعلام المغرب العربي » ، ج 1 ص 217 - 220

I2 . محفظة الطريس 6

I3 . رسالة السلطان الى الطريس في 23 جمادى الثانية 1305 / 7 مارس 1888 ،
محفظة الطريس 12

I4 . ابن زيدان « العز والصولة » ج 1 ص 308

I5 . رسالة الغسال الى الوزير محمد بنيس في 4 صفر 1283 / 18 يونيو 1866 ،
محفظة طنجة : ، وكذلك محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 132

حسـوالي 1884 ، حتى توفي في 15 ربيع الثاني 1305 / 31 دجنبر 1887
بطنـجة (16) .

8 . الحاج محمد الزنـجاري

كان يقوم كذلك بالنيابة عن الطريس الذي وصفه بأنه « من أحب
الناس ، لينا ، ومن أخيار الناس هـيئة ودينا » (17) ، ولذلك رافق عبد
السلام برشيد في سفارته الى المانيا سنة 1889 ، ولم أقف على ترجمة مفصلة
لحياته .

9 . الزبير سكـيرج

هو أحد طلبة مدرسة تشاتهام الملكية للمهندسين بلندن ، حيث
درس خمس سنوات ، وتعلم اللغات الحية ، وتخرج سنة 1880 هو ومحمد
الجباص الذي ترقى فيما بعد الى مناصب وزارية ، وادريس بن عبد الواحد بن
بوعزة ، وكلهم من أصل فاسي كانوا من أعضاء البعثة التعليمية . وكان
مهندسا ، كما كان ترجمانا بدار النيابة بطنـجة ، حتى ما بعد سنة 1887 ،
ورافق برقاش لمؤتمر مدريد ليقوم بنفس العمل ، وقد أسندت اليه مهمة
مراقبة الثغور المغربية ، وشارك في بعض السفارات وتقلد مناصب ادارية
بعد ذلك . آخرها منصب وزير في حكومة الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن
اسماعيل العلوي بمنطقة الحماية الاسبانية بشمال المملكة .

كانت ولادته سنة 1270 / 1854 بفاس ، ووفاته سنة 1351 / 1935
بتطوان (18) ، وله اختراع وتأليف صغير (19) .

16 . رسالة الطريس الى السلطان في فاتح محرم 1307 / 17 غشت 1890 ، محفوظة
الطريس 14 . وكذلك عبد العزيز التمساني خلوق : « ارتسامات حاج ... » في ملحق
العلم ، 17 نونبر 1981

17 . رسالة الطريس الى شريط في 4 ربيع الثاني 1306 / 8 دجنبر 1888 ، محفوظة
الطريس 14 .

18 . « الوثائق » : 3 ص 494 ، وابن زيدان : « العز والصولة ... » ج 2 ص 150 ،
وميج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 222 (7) ، و « المراسلات ... » الانجليزية ص 90
المراسلة 93) ، اما المدرسة فهي : Royal Engineers of Chatham

19 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 192

10 . عبد الرحمان الزَّوْدِي

كان سنة 1888 كاتباً للنائب الطريس (20) ، ونفذ له السلطان الدويرة التي لجانب المخزن بقوس بيسيْنطي المجاورة لمستشفى الفرنسيين بطنجة ، على وجه الانتفاع بدون كراء ، وقطعة أرض حراثية بالمنزه كانت بيد محمد برْكَاش ، على وجه الانتفاع بحرثها كذلك (21) .

كما كان السلطان ينفحه بصلة بين الحين والحين ، مثلما سبق عند الحديث عن الطريس ورفيقه الذي أظنه هو عبد الرحمان نفسه والذي لم يرد توضيح آخر عن حياته .

11 . الحاج محمد الصفار

كان يقوم بالنيابة عن الطريس ، بعد أن كان كاتباً لدى المخزن المركزي ، وأميناً بالجديدة . وفي سنة 1891 « اقتضى نظرنا الشريف اعانتك فيما أنت مطوق به من هاتيك الخطة بالخدم الحاج محمد الصفار بلكديك ، نحو العامين ، ويبدل بغيره معينا آخر لك ، حيث كررت طلب الاعفاء ... وقد أوصيناه بأن يكون عند اشارتك ... وبعد تصفيته أموره بشغل الجديدة يوافيك في الأثر » (22) .

وخليفة النائب هذا من أصل تطواني ، وقد نفذت له دار الطريس ليسكنها ، بينما تحول النائب الى الدار التي كان يحتلها محمد برْكَاش (23) . وظل يعمل معه مدة تقرب من سنتين ، حتى انتقل ، حسب ارادة السلطان باستبداله الى مرسى الجديدة بوصفه خليفة للطريس (24) ، وكانت

20 . رسالته الى الطريس في 19 رجب 1305 / فاتح ابريل 1887 ، محفظة الطريس 12

21 . ظهير في 8 صفر 1309 / 13 شتنبر 1891 ، محفظة الطريس 21

22 . رسالة السلطان الى الطريس في 28 رجب 1308 / 9 مارس 1891 ، محفظة الطريس 20

23 . رسالة السلطان الى الطريس في 8 شعبان 1308 / 19 مارس 1891 ، محفظة

الطريس 20

24 . رسالة محمد حصار الى محمد بن عبد الله في 1 رجب 1310 / 19 يناير 1893 ،

محفظة الطريس 24

وفاته بتطوان في شهر ابريل 1894 ، ونفذ السلطان لورثته مائة ريال .
صلة من وفر مرسى تطوان (25) .

12 . الحسن بن محمد الغَسَّال

ولد بطنجة عام 1283 / 1866 ، وكانت وفاته يوم 4 غشت 1939 بمراكش ، وهو ابن الحاج محمد الغسال (26) المذكور سابقاً . وقد تابع دراسته بفاس ، ثم التحق بدار النيابة ليعمل بها موظفاً (27) . ولعله هو الكاتب الجديد المضاف الى موظفي النيابة ، والذي أشار اليه ابن زيدان : « ولم يكن مع هؤلاء النواب غير كاتب واحد من مبرزى العدول ، وجرى العمل على ذلك الى عام 1308 . وفي عام 1309 زيد كاتب آخر . . . » (28) ، وبعد ذلك تولى مناصب مخزنية أخرى .

كان الحسن كثير السفر ، فله أربع رحلات ، وصنف 17 تأليفاً . كما كان كاتباً لسفارة وجهت سنة 1902 الى لندن لحضور تتويج الملك ادوارد السابع ، وألف عنها كتاباً بعنوان « الرحلة الى بلاد الانجليز » ، ترجم الى اللغة الفرنسية سنة 1908 ، ونشرت ترجمته في « مجلة العالم الاسلامي » قديماً ، وصدر نصه العربي حديثاً (29) .

25 . رسالة السلطان الى أمناء مرسى تطوان في 13 شعبان 1311 / 19 ابريل 1894 .
محفوظة تطوان : 5

26 . عبد العزيز التمساني خلو : « ارتسامات حاج ... » ملحق « العلم » 27
نوفمبر 1981 ، وكذلك « مخطوطات الفقيه الحسن الغسال » لنفس المؤلف في « مجلة دار النيابة »
العدد الأول ، يناير 1984 ، ص 68

27 . رسالة محمد الصفار الى الطريس في 22 رجب 1310 / 9 يبرابر 1893 .
محفوظة طنجة 24

28 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 308

29 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 218 وعبد الهادي التازي : « سفارة
عن السلطان مولاي عبد العزيز الى لندن » في مجلة « البحث العلمي » العدد المثنى 29 - 30
من ص 191 الى ص 208

13 . محمد بوعسل

كان سنة 1888 كاتباً بدار النيابة (30) .

14 . الحاج أحمد تاي

كان يعمل سنة 1891 بأجرة 3 بلايين في اليوم ، أي 4 ريالات ونصف شهرياً ، وهو قدر زهيد ، لذلك طلب الطريس من غريط أن يزيد له ولغيره في مرتبه الشهري ، لأنه ذو عيال وفاقة (31) . وقد رافق الطريس الى حاضرة القاتيكان سنة 1888 بوصفه قائداً كما تقدم .

15 . عبد السلام أسعيد

كان عوناً كذلك من عهد برقاش ، حتى توفي في أواخر سنة 1890 ، وكانت بيده دار مخزنية طلب الطريس أن تخول لعبد السلام بوزيان (32) .

16 . العربي بن دحمان

هو من أصل سلاوي (33) ، أما أشغاله بدار النيابة فكان بعضها يتعلق بالترجمة ، على ما يظهر ، ولكنه كان من العدول ايضاً .

17 . عبد السلام بوزيان

تولى من سنة 1899 الى 1906 القيام بشؤون القنصلية المغربية العامة بجبل طارق (34) ، وكان قبل ذلك من أعوان الحاج محمد الطريس يتردد

30 . وثائق بمحظة الطريس 12

31 . رسالة الطريس الى غريط في 17 ربيع الثاني 1309 / 20 دجنبر 1891 ، محظنة الطريس 21

32 . رسالة الطريس الى غريط في 9 محرم 1300 / 15 غشت 1891 ، محظنة الطريس 20

33 . من وثائق الحاج العربي بنسعيد

34 . محمد المنوني : « مظاهر ... » في مجلة « تطوان » العدد 2 ص 55 ، وعبد الهادي التازي : « سفارة عن السلطان مولاي عبد العزيز الى لندن » في مجلة « البحث العلمي » العدد المثنى 20 - 30 ، ص 192 - 194

عليه بين الفينة والأخرى ، طلبا للعمل ، فكان يكلفه فعلا ببعض الأشخاص المخزنية أو الخاصة ، ومنها قبض دخل المون الذي بناه المهندس النمساوي موزبورغر كما سيرد ، كما كانت لعبد السلام حانوت يتجر بها . ولما توفي عبد السلام أسعيد سالف الذكر سنة 1890 ، التمس له الطريس من المخزن الانعام عليه بالانتفاع بسكنى هذا العون الهالك .

18 . محمد بن سليمان

وقد سماه صاحب « الاعلام » محمد الكبير بن محمد بن سليمان الغرناطي المراكشي ، كان كاتباً منذ أيام الطيب بوعشرين ، ثم عين كاتباً لسفارة محمد بن موسى بن أحمد الى باريز ، ثم استكتب بدار النيابة بطنجة ، وهو شقيق وزير الخارجية (فيما بعد) عبد الكريم بن سليمان (35) . وكان الخليفة مولاي اسماعيل قد جعله كاتباً له ، كما استكتبه الوزير أحمد بن موسى .

وقد حلاه صاحب « فواصل الجمان » بأنه « امام المتمظرفين . رونق مجالس المتلطفين ، كاتب منصف ، ليس بوان ولا متعسف ، ذو قلم سيال ، وكلام ميال ، وخط قوي . . . » (36) .

كان ابن سليمان هذا صاحب نكتة ، خفيف الروح ، ومنشئ مترسلا ، اكتسب من فصال الدعاوي ومباشرتها دقة في الحس ، وضبطاً في التفكير واحكاماً في الكتابة ، ورونقا في الخط ، وهو من القلائل الذين كانوا يقسمون مكاتيبهم الى فقرات ، خلاف كتاب المخزن معاصريه الذين كانوا لا يستطيعون التفريق بين رسالة ادارية مقتضبة بليغة ، ورسم عدلي قانوني لا بد من توثيقه ، فبينما كان هو يحرر الفقرة ثم يعود الى السطر ، كانوا يكتبون من بداية الورقة الى نهايتها ، فاذا فصل الكلام عكسوا الورقة .

35 . العباس بن ابراهيم « الاعلام ... » ج 7 ص 129

36 . محمد غريبط : « فواصل الجمان ... » ص 200

وبدأوا يكتبون في طرتها اليمنى حتى يصلوا برسالتهم الى الاستدارة حول المكتوب الأول ، فان لم يكف ذلك كتبوا بالمُحول (37) .

كان محمد بن سليمان من المكلفين بتصفية الدعاوي ، فقد عهد اليه سنة 1887 بفصال ديون السويد (38) وسنة 1884 / 1885 بتصفية مطالب المحميين الأمريكين بصفرو وفاس (39) ، وسنة 1892 بمباشرة دعاوي المحميين والمستوطنين الفرنسيين (40) . وكان هو ممن استخدموا بالنيابة السلطانية بطنجة شهورا طويلة ، سواء سنة 1892 أو قبلها ، وقد اعترف بالحيث الكبير في الزام المدينين بأداء ديون قد تكون وهمية أو منفوخة بالربا ، ويحكي للطريس في احدى رسائله اليه أن باشا فاس الجديد ، العربي ولد أبا محمد الشرقي قبض على مدين برىء ، صرح مراراً للعامل أن لديه الابراء من الدين ، فلم يصدق ومكث بالسجن مدة طويلة ، ولما خرج منه أتاه برسم الابراء ، وما ذلك الا لأن العربي هذا كان يتعلل بأنه فعل ذلك « وقوفا مع التشديد المترادف علينا من الجنب الشريف » (41) . ولم أقف على ترجمة كاملة له .

19 . الحاج محمد اللبّادي

عمل بدار النيابة وسلك الأمانة سنة 1862 . وتقدم أن برّكاش كان يرشحه للنيابة عنه ، قبل تعيين الطريس الذي كان قد أشار على السلطان بتعيينه لما كان يطلب الاعفاء ، ولم أقف على غير ذلك عنه . ولا شك أنه كان ذا حنكة ودراية .

هؤلاء هم بعض الموظفين ، وسترّد أسماء آخرين .

• • •

37 . محافظ الطريس تحفل بطرف من مراسلاته

38 . رسالته الى غريط في 1 شعبان 1304 / 25 ابريل 1887 ، محفظة السويد المغرب

39 . محفظة الطريس 6

40 . محفظة الطريس 24

41 . رسالة محمد بن سليمان الى الطريس في 4 صفر 1304 / 2 نونبر 1886 ،

محفظة الطريس 9

المطلب الثاني : أشغال دار النيابة

كانت مطالب السلك الدبلوماسي وشكاوي التجار والمستوطنين تستأثر بحصة الأسد في ملفات النيابة السلطانية منذ تأسيسها بطنجة .

وفي عهد الخطيب وبركاش والطريس ، كثرت الدعاوي بالنهب والمطالبات بالديون ، وخصوصا سنتي 1884 ، 1885 حتى أدى الحال ببعض النواب الى استصدار أمر من حكوماتهم بارسال الأسطول البحري لتقاضي الديون ، فاستغاث الطريس بالسلطان الذي كلف كُتّابا وأمناء ومعهم فقهاء وعدول لتصفح رسوم الديون وتمييز باطلها من صحيحها لالزام المدينين بالوفاء ، أو ايداعهم السجن .

وتحتفل محافظة الطريس سنتي 1302 و 1303 بمواجب عُدْم وفاقة واملاق ، من الذين كانوا يتعاملون مع التجار ، ثم يتلوّون عليهم أو يعجزون عن الأداء ، سواء في ذلك السماسرة والخطاء ، بالرغم من تحذير المخزن للتجار من « التعامل مع المفاليس والاقتصار على الأملياء » . كما ألح السلطان على الرفق بالمعسرين « وان كان ذو عسرة ، فنظرة الى ميسرة » ، حسبما جاء في الآية 280 من سورة البقرة .

كان هؤلاء الكتاب والأعوان قليلي العدد بالنسبة لنيابة اتسع نطاق عملها بتكاثر الدعاوي وتشعب القضايا وتهافت المتهافتين من أجانِب وغيرهم . وهذا العدد لا يكفي الآن لتسيير قنصلية صغيرة ، فكيف بالطريس النائب السلطاني الذي اقتضت الظروف تركه بهذه المدينة ، يكتب الرسائل ويتصفح الرسوم ويتقبل الشاكين ويداري الهيئة الدبلوماسية والقنصلية ويحاول حل مشاكلها الصحيحة منها والباطلة ؟

وقد أوردت عند الحديث عن الطريس أنه كان يطلب الاقالة من العمل . ولا شك أن قلة المعين كانت من أسباب ذلك .

الحق أن ميزانية الدولة لم تكن عاجزة عجزاً مطلقاً حسبما هو معروف عن دفع الأجور وتوظيف الأعوان . ولم يكن للنائب الحرية والصلاحيات في التوظيف ، وحتى لو اتخذ قراراً باستخدام عون أو كاتب ، لا يرد الجواب بقبوله أو رفضه إلا متأخراً ، كما حدث له عند « ما استجلب كاتباً من تطوان بأهله بقصد الإعانة لكون الأشغال لا يكفي فيها الكاتب ولا الاثنان » وقدّر له مشاهرة 25 ريالاً في الشهر سنة 1892 ، ولم يرد له جواب بالقبول حتى ذلك الحين (42) .

على أن المخزن عامة ، والسلطان خاصة ، كانا يدركان ثقل الأشغال المنوطة به ، فكان الحسن الأول يوفد إليه بعض الكتاب مثل محمد بن سليمان سابق الذكر ، وعبد السلام أزطوط والحاج قاسم جسوس وأحمد الكردودي ومحمد التلمساني والمعطي بن عبد الله الغربي وإبراهيم بن محمد بن الكناوي ومولاي أحمد البلغيثي ، أو يكلفهم باعانتهم من بعيد أو من قريب ، زيادة على مده بالعدول والفقهاء ، وتكليف القضاة والسلطات المحلية بشد أزره .

وكان الطلبة والعدول والقضاة مسؤولين ، نوعاً ما ، عن العراقيل التي تعترض حل المشاكل : فإذا كتبوا أشهاداً لا يدققون في التحرير ، ولا يحققون في النسب ، فمتى صرح لهم الشهود والمتقاضون أنهم يسمون بوشعيب الدكالي أو بوسلهام السفيناني كتبوه أحياناً كما هو ، والحال أن دكالة مليئة باسم بوشعيب ، وقبيلة سفينان زاخرة باسم بوسلهام . فهم لا يبحثون عن لقب مميز ، أو كنية خاصة ، لرفع الالتباس وضبط العقود .

وفي هذا المعنى « عشر على غلط كبير في أحد الكناشين المتضمنين لرسوم ديون التجار ... وصُحِّف بعضها لمقاربة حروفها من المخرج كالحريزي مع الخزاري ، والهراري مع الهواري والرويسي مع الرويمي ونحو ذلك ... وعليه فعرف بذلك الطلبة المباشرين لتنفيذ ذلك ، وحذّرهم من

42 . رسالة الطريس إلى غريط في 23 جمادى الثانية 1309 / 24 يناير 1892 ،
مفحظة الطريس 21

التساهل فيه . فان أصل وجود الغلط محذور في مثل هذا ، فأحرى تفاحشه « (43) .

وقد سممت قضايا القواد المدينين من سنة 1869 الى سنة 1873 العلاقات بين نواب الدول والمخزن (44) . وكانت مشكلة الجمع بين القواد والتعويض المادي من أصعبها حلا .

ومن القضايا ذات الأصداء دعاوي عبد السلام الحلو المحمي الأمريكي مع غيره من المغاربة ، ودعوى الحاج محمد شلال الفاسي المحمي الأمريكي أيضا سمسار بيرديكاريس ، ودعوى عبد الرحمان اليعقوبي ودعاوي النهب والديون وانسركة التي كان السفراء والنواب يكاتبون المخزن فيها ثم يذكرون برسائلهم . فاذا لم يثمر ذلك شيئا تحملوا مشاق الرحلة الى حيث السلطان فيقدمون له عرائضهم . وكانت مطالبهم تحسم اما كلها وذلك نادر ، أو يحل بعضها فقط ، وذلك ما يستلزم تعيين لجان تصفح الرسوم وقراءتها وعرضها على الشرع الاداري تارة ، والشرع القضائي تارة أخرى .

★ ★ ★

3. 3 : أنواع المحميين

كانوا خمسة أصناف : المجنسون والمحميون القنصليون والمحميون الاستثنائيون والسماسرة والمخلطاء وكان مولاي الحسن يدعو بعضهم «المتنصرة» ، اذا هم تنكروا لوطنهم .

I. **المجنسون** : وهم في الأصل مغاربة اكتسبوا جنسية اجنبية ، حفظا لمصالحهم المادية ، بالولادة أو بالزواج بالخارج . ولم يكن المخزن يعترف لهم بذلك . فاذا عادوا الى الوطن فهم مغاربة كاملو الحقوق . وأغلب هؤلاء كانوا من اليهود .

43 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 شعبان 1301 / 8 يونيو 1884 ، محفظة الطريس 4 .

44 . مبيج : « المغرب وأوربا » 3 ص 35 (6) و 215 (8)

2. **المحميون القنصليون** : كانوا مستخدمين بالمفوضيات أو بالقنصليات كالكتاب والتراجمة والأعوان ، وكان عددهم محصورا من حيث المبدأ .

3. **المحميون الاستثنائيون** : أو التعسفيون ، وهم مجرد تجار ، وكانوا في الغالب من اليهود المغاربة ، لا علاقة لهم بالعمل مع الوزراء والقناصل ، وكان المفروض أن لا يتجاوز عددهم 12 محميا لكل دولة . وكانوا يدعون كبار المحميين واكثرهم كانوا من اليهود .

4. **السماسرة** : وهم مغاربة بين مسلمين ويهود ، وكانوا يتجرون أو يشترون من الأسواق لمصلحة التجار الأجانب . وكان المخزن مُصرا على أن لا يتخذوا الا من سكان المدن دون البوادي . ومن أجل ذلك تعطلت أعمال مؤتمر مدريد لفترة ما ، وكاد الجمع أن ينفذ كما تقدم بسبب تصلب ممثل فرنسا فيه ، وانتهى الأمر بالاتفاق على أن عدد السماسرة لكل تاجر لا يجب أن يتجاوز الاثنين لمن له تجارة كبيرة .

كان هؤلاء الأصناف الأربعة محميين في بدنههم وذرياتهم وفي الأموال التي هي ملك للتجار . وكانت لا تجوز محاكمتهم الا بحضور القنصل أو نائبه لدى القضاء .

5. **الخطاء** : وهم شركاء في الفلاحة وتربية الماشية ، وليسست الحماية منطبقة على شخصهم ، وانما على الأموال التي بين أيديهم لغيرهم ، أما عددهم فكان المفروض أن لا يتعدى الستة لكل تاجر .

على أن الخلطة لم تكن تستلزم الا أموالا ضئيلة مصحوبة أحيانا بعقد مكتوب ، بينما لم تكن السمسرة تقتضي ذلك .

وقد انضافت الى هاته الأصناف بالعرف لا بالقانون أنواع أخرى وخصوصا عند احتماء الوزاني بفرنسا ، فتولد عن ذلك نوع آخر هو المتعلقون بالوزاني أو بالشاوش أو بغيرهما : من أصحاب وعزابة وخدامين وأصهار وخماسين .

وقد فرض مؤتمر مدريد على ممثلي الدول موافاة السلطات المغربية سنويا بقوائم المحميين ، دون لوائح الخلطاء التي كان المخزن يرفضها رفضا باتا حتى سنة 1305 هـ / 1888 م أو بعدها بقليل ، وذلك لكي يعرف المحمي من غيره عند الضرورة (45) . ولما أعياه الأمر ، اضطر الى قبولها مفصولة عن لوائح المحميين ، ومع ذلك في سنة 1894 وقبلها أيضا ، « تقاعد نواب الدول بطنجة عن دفع زمام السماسرة والمخالطين كل سنة وفق الشروط ، فيجب أن تكلمهم في ذلك ، وتوجه لنا نسخا منها » (46) .

واذا كان السماسرة ملزمين بأداء الزكاة والأعشار فقط ، فإن على المخالطين أداءهما زيادة على الكلف المخزنية ومآرب الحرب وسط اخوانهم ، ومنهم من كان قادرا على حمل السلاح ، أو على اعارة دابته للحركات السلطانية ، فلا يقوم بشيء من ذلك ، بل يحرض غيره على التمرد والعصيان ، ويتحدى السلطة ويحل عرى الأحكام .

ومن ذلك امتناع المخالطين سنة 1888 من الحركة مع السلطان الى بلاد البربر . ولما كلم نواب الدول في حيازة أموالهم من شركائهم ، قبل ممثلو فرنسا وإيطاليا والنمسا ، واستمهل ريد لويس أربعة أشهر لحيازتها ، بينما رأى سفير إنجلترا كربي كرين أن في هذا الاجراء تضيقا على الخلطاء وتعسيرا للمخالطة (47) .

أما في سنة 1894 فكانت الحالة هي ما وصفها الحسن الأول في رسالته الى الطريس ، وهي بمثابة جسر نعبه به من هذا الكتاب الأول الى الكتاب الثاني . قال العاهل رحمه الله ، لسبع وثلاثين ليلة بقين من حياته :

45 . وئاتق مختلفة بمحفظة الطريس 13

46 . رسالة السلطان الى الطريس في 15 رمضان 1311 / 22 مارس 1894 ، محفظة الطريس 26

47 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 صفر 1306 / 25 اكتوبر 1888 ، محفظة الطريس 14

« ... التجار لم يتمشوا في اتخاذهم السماسرة من الرعية على مقتضى الشروط ، الذي هو اتخاذ من كان منهم ذا تجارة متسعة سمسارين ، ومتوسطة سمسارا واحدا ، وصار كل واحد يتخذ ثمانية فأكثر ... وكل سمسار تنحاش لخيمته العشرون خيمة من اخوانهم فأكثر ... وصار الواحد منهم يتخذ الخمسين أو الستين مخالطا ، وكل مخالط ينحاش اليه العدد الكثير من اخوانه ، فيتعرض عليهم للعامل ، ويفريهم على عدم اعطاء الواجب ، والقيام بالكلف ، وعلى عدم اعطاء حقوق الناس ... »

« ومن جملة القبائل التي وقع فيها هذا الخرق الفظيع ... قبيلة مديونة ، فقد كادت أن تكون كلها سماسرة أو مخالطين ، بدون شرط ولا قانون حسبما تقف عليه ، وملخصه ' اثنان وستون 62 سمسارا ، ومائتا مخالط ومخالطان 202 ، واحد عشر مائة وستة وخمسون 1156 خيمة منحاشة لأولئك السماسرة والمخالطين ... »

« وعليه فنأمرك أن تكلم النواب بما يتعين في ذلك ، وتقف في رتق هذا الخرق » (48) .

أما بعد وفاة السلطان سنة 1894 فحدث عن ذلك ولا حرج ، فقد كان المحميون بدكالة والشاوية على رأس المتمردين في العهد العريزي .

48 . رسالة السلطان الى الطريس في 24 شوال 1311 / 30 ابريل 1894 ، محفوظة الطريس 26

انتهى الجزء الأول ، ويليه
الجزء الثاني ، أوله مدينة طنجة

كان الفراغ من طبعه يوم الجمعة

25 ذي الحجة 1404

21 شتنبر 1984

تصويب واستدراك

نقتصر هنا على الأخطاء البينة دون الأغلاط الهينة :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
6	4	الألمانية	الأروبية
	5	V ، والمركبة	V ، والألمانية المركبة
65	6	إدموند هولت	ماك ناب
	23	1911	1901
75	11	8 و 9 ... وكانا	8 و 9 إيلي ورفائيل ، ولعلهما كانا شريكين لأولاد المعطي ، وكانا
109	19	رقد مع	رقم مع 4/109
138	7 - 6	وتونس والجزائر وطرابلس	وتونس وطرابلس
196	2	التطبيق	التطير
197	16 - 15	أن ماك لين ... 1894	أن شقيق الكولونيل ماك لين بعث رقاصاً من الدار البيضاء حيث كان قنصلاً الى الرباط سنة 1894
214	17 - 16	0,72 غ ... الصغير	0,72 غ
	18	ربع الأوقية	ربع الأوقية = 24 فلساً
319	11	والكمخة ، ومنها	والكمخة والمحب والكيرية والسحل والباز والطللس وسارثة ، ومنها
	17	برنشيك	برنتيك أو برنشيك (؟)
	19	وبيطراشة والقلب	وبيطراشة وشمس العشي والقلب
320	5	لانكي والسحل والكميمة	لانكي والكميمة

شكر وتقدير

★ للأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، مؤرخ المملكة ،
الذي تحمل - على الرغم من وفرة أشغاله - عناء في مراجعة
هذا الجزء ، وتنقيحه بعلمه الغزير ، سواء في المعنى أو في
المبنى . فهو - لله دره - صاحب مدرسة فذة في الضبط
والتحري ، افتخر بالتتلمذ اليها في تقويم اللسان والبنان ،
وتأصيل البرهان والبيان . وهو ايضاً - أمد الله في عمره -
لم يفتأ مشجعاً ايائي لاتمام هذا التأليف بكامل اجزائه ، ولم
يزل مغدقاً علي طيب كلماته .

★ لهيأة المطبعة السعيدة ، ادارة وتقنيين وعمالا ،
فلهم الفضل الكبير في ابراز هاته الباكورة التاريخية في
حلتها القشبية .

فاليهم جميعاً اقدم بالغ الشكر وجزيل الامتنان .
المؤلف

355 - 423	Titre III : Aspects des relations extérieures
359 - 390	<i>Chapitre 1^{er}</i> : Crises et ambassades
359	- Section 1 : Crises
363	- Section 2 : Ambassades marocaines (en Allemagne, en Angleterre, en Espagne, en Italie, au Portugal, en Belgique, en Turquie, et en France)
383	- Section 3 : Ambassade de Torrès au Vatican
391 - 405	<i>Chapitre II</i> : les naïbs du sultan (biographies)
391	- Section 1 : M'hamed Khatib
392	- Section 2 : M'hamed Bargash
399	- Section 3 : Mohamed Torrès
407 - 423	<i>Chapitre III</i> : Le personnel de Dar Niaba
407	- Section 1 : biographies
418	- Section 2 : activités de Dar Niaba
420	- Section 3 : catégories des protégés

	237 — classification des artisans 237 — influences extérieures 240 — activités économiques géographiques 240 — regroupement des produits et services 242)
243	- Section 2 : recensement des métiers
263	- Section 3 : le hisbat
275 - 285	<i>Chapitre V : industries et mines</i>
275	- Section 1 : industrie nationale
279	- Section 2 : industrie étrangère
282	- Section 3 : secteur minier
287 - 327	<i>Chapitre VI : Le commerce marocain</i>
288	- Section 1 : le commerce prohibé (esclavagisme 288 — le commerce des armes 294 — contrebande et autres commerces 295)
298	- Section 2 : le commerce légal (productions exportées : laines et peaux 300 — productions importées : sucre et thé 302)
304	- Section 3 : volume des échanges commerciaux
306	- Section 4 : impacts socio-politiques (a : sur les marocains 306 — enrichissement de commerçants marocains à l'étranger 311 — quelques marques commerciales (les tissus) 318 — b : sur les étrangers 322 — influences sociales : exemples du sucre et du thé 325)
329 - 354	<i>Chapitre VII : Agriculture et appropriation</i>
328	- Section 1 : L'agriculture (structures agraires : Terres collectives, guich, habous, domaniales et privées 330 - étendue et entretien d'exploitations agricoles 334 — modes de faire - valoir 335 — productions agricoles : jachères et drainages — cultures intensives et extensives — plantations et boisement 339)
345	- Section 2 : Le cheptel (rôle dans la vie économique et sociale 345 — effectifs : 346)
348	- Section 3 : association et appropriation

★ ★ ★

85	- Section 2 : les émigrés vers les pays islamiques (Sénégal et Mali 85 — Algérie 90 — Tunisie 93 — Egypte 94 — Le Soudan 125 — Syrie et Liban 125 — Hijaz 126 — Jordanie et Palestine 128 — Turquie 130 — Le Levant 135)
	Annexe 141
145 - 156	<i>Chapitre IV</i> : Les immigrés
146	- Section 1 : modalités et mobiles de l'immigration
148	- Section 2 : effectifs et répartition
157 - 185	<i>Chapitre V</i> : Calamités et catastrophes
158	- Section 1 : pestes et famines
165	- Section 2 : prévention et secours (médecine étrangère et conseil sanitaire 167 — Médecine marocaine 174 : A Les médecins marocains 176 — B : thérapeutique marocaine 182)
	* * *
187 - 357	Titre II : données et échanges économiques
189 - 199	<i>Chapitre 1^{er}</i> : Communications et équipement (communications maritimes 189 — équipement portuaire 192 — réseau routier 192 — Télégraphe 195 — Postes 196 — itinéraires 197)
201 - 211	<i>Chapitre II</i> : systèmes de mesures
202	- Section 1 : unités homologuées
207	- Section 2 : unités arbitraires
213 - 228	<i>Chapitre III</i> : évolutions monétaire, fiscale et douanière
213	- Section 1 : évolution monétaire
220	- Section 2 : évolution fiscale
223	- Section 3 : législation douanière
229 - 273	<i>Chapitre IV</i> : Le régime corporatif
230	- Section 1 : statuts des corporations (écoulement des produits 230 — outils, us et coutumes 231 — règles des métiers 233 — allégeance politique et religieuse

Table de Matières du Tome I

(Livre 1^{er})

Pages	Objets
	Préface
1	bismillah
3	Avant - propos
	* * *
11 - 185	Titre I — Le Maroc ; pays et populations
12 - 27	Chapitre 1 ^{er} : Empire Marocain
12	- Section 1 : acception externe
13	- Section 2 : acception interne
21	- Section 3 : la « siba »
25	- Section 4 : extension territoriale et statut des khalifas sultaniens.
29 - 56	Chapitre II : Contrées et populations
29	- Section 1 : Contrées marocaines (frontières 29 — organisation administrative locale 32 — division territoriale 34)
38	- Section 2 : Populations (classification ethnographique 38 — classification anthropologique : mode vestimentaire 39 — classification démographique 50)
57 - 144	Chapitre III : les émigrés : (la représentation consulaire marocaine 58 — les marocains à l'étranger 60)
63	- Section 1 : les émigrés vers les pays chrétiens (U. S. A. 63 — Royaume Uni 64 — France 73 — Allemagne et Italie 76 — Espagne 78 — Gibraltar 79 — Brésil 84 — autres pays américains 85)

Sans leur concours, ne serait pas réalisé ce livre pour lequel j'ai dû consulter des centaines d'ouvrages et des milliers de manuscrits, en reproduisant (soit partiellement ou intégralement) plusieurs centaines de documents, dont une grande partie traduit le point de vue officiel du Makhzen.

Cet ouvrage comporte 4 tomes, mais il sera divisé en 3 livres :

- 1 - Introduction
- 2 - Immigrations et protections
- 3 - Immigrations sans protections

L'AUTEUR.



BISMILLAH



Mes vifs remerciements et ma profonde gratitude vont à ceux qui m'ont aidé à la réalisation du présent essai historique sur la protection consulaire (ses complications et ses interférences) à la fin du XIX^{ème} siècle. Il s'agit notamment des professeurs et docteurs :

— Abdelwahab BENMANSOUR, Historiographe du Royaume qui m'a autorisé à consulter les documents et les fonds de la Direction des Archives Royales,

— Mohamed HAJJI, ex Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat et directeur du Collège Royal,

— Mohamed ZNIBER, Professeur à la dite Faculté,

— Mohamed EL MAMOUNI, Conférencier à la même faculté,

Ils ont lu ou feuilleté cet ouvrage et en ont apprécié le thème innové, tout en m'encourageant à poursuivre ce travail et en me présentant leurs remarques combien pertinentes, dont j'ai tenu, dans la mesure du possible, à m'y conformer.

— EL HAJ Abdellah Es-Sbihi qui a mis à ma disposition les livres et les manuscrits de sa Bibliothèque,

— Tous les chercheurs et auteurs, marocains et étrangers, qui ont traité, en langue arabe ou en d'autres langues, certains aspects du schéma général de cet ouvrage.

— Tous les collègues et amis de la D.A.R. et de l'Imprimerie Royale.

TRANSCRIPTION DU TITRE D'ORIGINE :

« Al-İstyfān w - al ħimāyah
bi-l' Maghrib »

1863 - 1894

Tome I



N° du dépôt légal 507/1984



Les fonds de dossiers mentionnés ici appartiennent à la
Direction des Archives Royales - Rabat

Mustapha BOUCHARA

**IMMIGRATIONS
ET
PROTECTIONS
AU MAROC**

1863 - 1894



Tome 1

Imprimerie Royale — RABAT

1984

TRANSCRIPTION DU TITRE D'ORIGINE :

**« Al-istytan w-al himaya
bi - l' Maghrib »**

1863 - 1894

Tome 1



Les fonds de dossiers mentionnés ici appartiennent à la
Direction des Archives Royales - Rabat



رقم الايداع القانوني : 1984/507 : N° du dépôt légal :

مصطفى بن كحل

الاستيطان والحماية

بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الثاني

1. مدن الشمال

الطبعة المأخوذة من الرباط

1407 — 1987

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الثاني

1. مدن الشمال

المطبعة المأخوذة. الرباط

1987 — 1407

ورأيت - أيها الأخ - تساقط المسلمين اليوم على أهل
الحمايات ، ونسبة جميع أموالهم اليهم ، وبذلهم عريض المال
في تحصيل الحماية ومساعدة التجار والأقناص لهم في
ذلك ، ولا حد له ولا حصر ، بل تعطلت الأوامر المخزنية راسا ،
والأمر الآن في غاية الازدياد ... وكادت كذلك ان تعطل
الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم

من رسالة مَحْمَد الجرارى

الى مَحْمَد بركاش

في 15 ربيع الثاني 1282

9 شتنبر 1866

* * *

اما عَلمنا ان من ورائنا عدوا يشتهي مواطيه
اقدامنا وتنكيس اعلامنا ؟

من رسالة علماء فاس في منتصف رمضان 1290

6 نونبر 1873

(« الاستقصا » ج 9 ص 133)

رقم الایداع القانوني : 1984/507

فهرس المواد

المواضيع	الصفحات
باسم الله	435
الباب الرابع : طنجة	437 – 547
– الفصل الأول : الولاة والسكان والعمران	437 – 446
. المطلب الأول : الولاة ص 439	
. المطلب الثاني : السكان والعمران 443	
. المطلب الثالث : جدولا المحميين والسماصرة 446	
– الفصل الثاني : ألمانيا	447 – 461
. المطلب الأول : السلك الدبلوماسي 447	
. المطلب الثاني : العلاقات المغربية الألمانية 451	
. المطلب الثالث : موظفو السفارة 454	
. المطلب الرابع : المحميون والسماصرة والمستوطنون	
456	
– الفصل الثالث : الولايات المتحدة الأمريكية	463 – 500
. المطلب الأول : السلك الدبلوماسي 453	
. المطلب الثاني : المحميون والسماصرة والمستوطنون	
465	
. المطلب الثالث : القناصل العامون 472 (ماك ماث –	
ريد ليويس – ماثيوز)	
. ملحقان : قضية القيسي 487 – قضية الحلو 493	
– الفصل الرابع : انجلترا	501 – 550
. المطلب الأول : السلك الدبلوماسي 501	
. المطلب الثاني : القناصل والموظفون 503	

. المطلب الثالث : المحميون والسماصرة والمستوطنون

505

. المطلب الرابع : السفراء 5I3 (جون هي - كربي

جرين - ايوان سميث) .

. ملحقان عن وقائع المفاوضات 537

- الفصل الخامس : اسبانيا

55I - 576

. المطلب الأول : السلك الدبلوماسي 55I

. المطلب الثاني : العلاقات المغربية الاسبانية 557

. المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون 57I

- الفصل السادس : ايطاليا

577 - 592

. المطلب الأول : السلك الدبلوماسي 577

. المطلب الثاني : موظفو المفوضية 578

. المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون 580

. المطلب الرابع : سكوثاصو وكانطاغالي 586

- الفصل السابع : الانبيريال

593 - 604

. المطلب الأول : السلك الدبلوماسي 594

. المطلب الثاني : الدكتور شميدل 595

. المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون 598

- الفصل الثامن : فرنسا

605 - 632

. المطلب الأول : الوزراء المفوضون 605

. المطلب الثاني : موظفو المفوضية 6I2

. المطلب الثالث : المحميون والسماصرة والمستوطنون

6I8

. ملحق : حاييم بنشيمول 629

- الفصل التاسع : باقي الدول

633 - 648

. المطلب الأول : البرتغال - 633 (القناصل

والمحميون)

- . المطلب الثاني : البرازيل 638 (القناصل والمحميون)
. المطلب الثالث : بلجيكا 639 (القناصل والمحميون)
. المطلب الرابع : الدانمارك والسويد والنرويج
643 (القناصل والمحميون)
. المطلب الخامس : هولاندة 646 (القناصل
والمحميون)

* * *

الباب الخامس : الثغور الشمالية الغربية

- الفصل الأول : تطوان

549 - 736

651 - 668

- . المطلب الأول : الولاية والسكان 651 وجدول
المحميين 654
. المطلب الثاني : الولايات المتحدة 655 (القناصل
والمحميون)
. المطلب الثالث : انجلترا 656 (القناصل والمحميون)
. المطلب الرابع : اسبانيا 658 (القناصل والمحميون)
. المطلب الخامس : ايطاليا 662 (القناصل والمحميون)
. المطلب السادس : البرتغال 663 (القناصل
والمحميون)
. المطلب السابع : الأنبيريال 664 (القناصل
والمحميون)
. المطلب الثامن : فرنسا : 666 (القناصل والمحميون)
. المطلب التاسع : بلجيكا 667 (القناصل والمحميون)

- الفصل الثاني : أصيلة (الولاية والمحميون)

669 - 672

- الفصل الثالث : العرائش

673 - 698

- . المطلب الأول : الولاية والسكان 673 وجدول
المحميين والسماسة 677
. المطلب الثاني : ألمانيا 678 (القناصل والمحميون)

. المطلب الثالث : الولايات المتحدة 679 (القناصل والمحميون)

. المطلب الرابع : انجلترا والنمسا وهولاندة والدانمارك 683 (القناصل والمحميون)

. المطلب الخامس : اسبانيا 687 (القناصل والمحميون)

. المطلب السادس : ايطاليا 691 (القناصل والمحميون)

. المطلب السابع : البرتغال 693 (القناصل والمحميون)

. المطلب الثامن : بلجيكا 694 (القناصل والمحميون)

. المطلب التاسع : فرنسا 695 (القناصل والمحميون)

- الفصل الرابع : القصر الكبير وايلات الغرب

699 - 735

. المطلب الأول : الولاية والسكان 699 وجدولا

المحميين والسماسة 709

. المطلب الثاني : ألمانيا وقضية المصمودي 710

. المطلب الثالث : الولايات المتحدة 715 (القناصل والمحميون)

. المطلب الرابع : انجلترا والنمسا وهولاندة 717 (القناصل والمحميون)

. المطلب الخامس : اسبانيا 723 (القناصل والمحميون)

. المطلب السادس : ايطاليا 724 (القناصل والمحميون)

. المطلب السابع : البرتغال 726 (القناصل والمحميون)

. المطلب الثامن : بلجيكا 727 (القناصل والمحميون)

. المطلب التاسع : فرنسا 728 (القناصل والمحميون)

الباب السادس : تعدوتان

737 - 800

- الفصل الأول : سلا والرباط

737 - 758

. المطلب الأول : مدينة سلا 739

. المطلب الثاني : مدينة الرباط - الولاة والسكان

والعمران 742

. ملحقان : جدولا المحميين والسماصرة 753 والأسر

الرباطية 754

- الفصل الثاني : ألمانيا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	762 - 759
- الفصل الثالث : الولايات المتحدة (القناصل والمحميون والمستوطنون)	768 - 763
- الفصل الرابع : إنجلترا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	774 - 769
- الفصل الخامس : إسبانيا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	778 - 775
- الفصل السادس : إيطاليا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	784 - 779
- الفصل السابع : فرنسا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	796 - 785
- الفصل الثامن : باقي الدول (القناصل والمحميون والمستوطنون)	800 - 797
الباب السابع : الدار البيضاء	943 - 801
- الفصل الأول : الولاة والسكان والعمران - جدولا المحميين والسماصرة	824 - 803
- الفصل الثاني : ألمانيا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	836 - 825
- الفصل الثالث : الولايات المتحدة (القناصل والمحميون والمستوطنون)	858 - 837
- الفصل الرابع : إنجلترا والنمسا وهولاندة (القناصل والمحميون والمستوطنون)	874 - 859

- الفصل الخامس : اسبانيا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	875 - 890
- الفصل السادس : ايطاليا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	891 - 904
- الفصل السابع : فرنسا (القناصل والمحميون والمستوطنون)	905 - 930
- الفصل الثامن : باقي الدول - البرتغال - البرازيل - بلجيكا - السويد والنرويج - اليونان (القناصل والمحميون)	931 - 943
...	
استدراكات وتصويبات	945
الفهرس باللغة الفرنسية	957

تنبيهات أولية

يلزم ابداء جملة من الملاحظات الأساسية :

I . **التأليف** : بينما كان الجزء الأول (أو الكتاب التمهيدي) مدخلا لأدراك الأحداث العامة التي شهدتها المغرب في القرن التاسع عشر (فكان بهذا كتابا قائم الذات) ، يصدر اليوم الكتاب الثاني : «الاستيطان والحماية بالمغرب : 1863 – 1894» ليتطرق الى جذور كل من الحماية القنصلية ومن استيطان الأجانب الذي كان سببا من أسباب التحولات المجتمعية البعيدة المدى والذي تطور الى أن حلت حماية الدولة للدولة محل حماية الأشخاص للأشخاص (معاهدة 30 مارس 1912) ، ولو أن التأليف يقف عند وفاة السلطان مولاي الحسن الأول رحمه الله سنة 1894 .

وهذا الكتاب الثاني سيتناول هاته الظاهرة في شيء غير قليل من المسؤولية اعتمادا على حفريات وأسبار من بعض مصادر التراث الوطني الغميس ، وسيستغرق - بحسب غزارة المادة - كامل صفحات مجلدين :

● أحدهما ينطلق من طنجة ويقف بالدار البيضاء (فهو اذن القسم الأول من الكتاب الثاني ، وبعبارة أخرى هو الجزء الثاني من حيث الترتيب) .

● والآخر سيبدأ بالجديدة وسينتهي بالعواصم الداخلية (فسيكون هو القسم الثاني من الكتاب الثاني ، أي الجزء الثالث في الترتيب) .

وأراني مضطرا في كل ذلك الى سلسلة أرقام الصفحات حتى تسهل الفهرسة والتبويب .

2 . **الأسلوب** : من الوثائق ما هو مدبج بلغة عربية سليمة ، ومنها ما هو مكتوب أحيانا بخط سيء ولغة رديئة أو مصور تصويرا مُعتمًا بحيث تصعب دراسته ، وقد أمكن تذليل هاته العقبة بالاستقراء والنقد ثم

بالاستشهاد بالنصوص دون تحريرها من أخطائها النحوية والاملائية ، رعيًا لمصادقيتها .

3 . ومنها ما يحمل **تاريخًا** ومنها ما هو عار منه ، ومع ذلك تيسر ضبط زمنها التقريبي ، اما بدراسة الخط ، واما بالمقارنة مع حدث معين يوحي به ، مثلا : تاريخ وفاة محمي أو تاريخ تجريده من الحماية .

4 . بينما **عناوين** المحميين واضحة ، اذا بعناوين السماسرة تشير اشكالا : فالوثائق الأجنبية تورد عناوين التجار والمستوطنين فقط ، والمصادر المغربية تنص على عناوين السماسرة وحدهم ، وقد سعت جهد الطاقة الى رفع هذا الالتباس برد السمسار الى موطنه ، ولا سيما من الرباط الى الدار البيضاء ، ان كان من قبائل الشاوية .

5 . **الاحالة** على نصوص التراث ميسورة في هذا الكتاب ، لأنها مقتبسة أصلا أو تصويرا من محافظ مديرية الوثائق الملكية التي تحتوي أيضا على مستندات من خارجها . ونحمد الله على أن ما صُوِّر من مكتبة تطوان أو من الخزانة العامة ممهور بأرقام أُنشِر اليها قدر الامكان .

6 . **المصادقية** : هي نسبية فيما يتعلق بالحدث المروي ، ومطلقة فيما يرجع لصحة النص المكتوب ، ولأجله أدرجت في خاتمة هذا التأليف استدراكات وتصويبات لا تمس **لحسن الحظ** بجوهر المسألة مسأً مخلا ولا فظيما . وقد حملني على هذا ما تنبعت له في النهاية من وجود اختلال حدث أثناء عملية المطابقة بين التاريخين الهجري والميلادي أو من تحريف لفظي بسيط وقع خلال مرور الكتاب من عملية النسخ اليدوي الى عملية الرقن الآلي ، ثم منهما الى عملية الطبع والتصحيح . وقد رأيتني ملزماً بمراجعة جميع ما عندي من النصوص المصورة ومن الجذاذات الشخصية حتى تكون مصادقية النص المكتوب كاملة في الجزأين معاً ، وخصوصاً أن هاتيه المستندات العتيقة هي في الواقع «جديدة» تصدر لأول مرة ، مساهمة في كتابة التاريخ من منابعه الأصلية ، وحرصاً على تلطيف المثل المعروف : « الأحسن عدو الحسن » .

الكتاب الثاني

الاستيطان والحماية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ستكون الرسالة السلطانية ، التي قدمناها عن مديونة ، خير
قنطرة الى كتابنا الثاني هذا الذي يدور محوره حول الحماية القنصلية مقرونة
بالاستيطان الأجنبي .

ولا اخال أن فيما أسلفنا من أبواب وفصول ومطالب في الكتاب الأول الا
تمهيدا وأضواءً مسلطة على مادة تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر .

وستكون الفرصة مواتية لقراءة جديدة لتراثنا ، يتأتى بعدها التأويل
والاستنباط ، وهكذا سنشخص الواقع ونقرره ونقدمه لادراك ماهيته ومداه .

فلئن كان القصد هو التقريب والاستشهاد من واقع التراث المغربي ،
فلا عجب أن طغى على هذا التأليف عنصر التدوين ، وقل فيه - الى حد ما -
جانب التحليل .

ثم إنه لا محيد لمن يكتبون كتابة ملتزمة أن يفعلوا ذلك بالقلب
والقالب ، أي انطلاقاً من ينابيع الشعور الصادق ومن جذور الأصالة القويمة ،
مع التحلي بما يلزم من التحري الرصين الذي يُخضع الحدث لمقاييس
التمحيص اخضاع العالم المادة لموازين الفحص .

وليس عازباً عن البال أن وثائقنا مصدقة في الأصل حتى يظهر
النقيض ، وأن الرسائل المخزنية جديرة بالتصديق الى أن يُستبان ما عسى
أن يعثر بها من تحريف أو تأويل .

وهي على كل حال تمت الى نصف الحقيقة أو قل الى جلها بسبب متين ، بينما النصف الآخر يجب أن نتلمسه خارجها بعد النقد والدرس .

وغرضنا الحقيقي هو قول الحقيقة العلمية كاملة ومجردة من كل تحريف ، والاعراض عن كل كلام مجاني أو تأكيد رخيص ، غير مقتصرين على العمومات التي مللناها والتي لا نطيب بها نفسا ، ولا نقر بها عينا .

وسنقف في كتابنا هذا مستمتعين بتلك « السعادة البينة الواضحة في تجسس ما فضل من غبار القرون » * الدوارس . وستكون مسيرتنا طويلة ، متنقلين أولا من مدينة الى أخرى من حواضر المحيط الأطلسي ، حيث كثر الحماة والمحميون ، ثم متوغلين الى القواعد الكبرى حيث قلوا . ولكننا سنحط رحالنا بطنجة ، لنعرف إواليات (ميكانيزمات) الحماية ونشأتها وتطورها وملابساتها بهذا الثغر الشمالي .

* هذا التعبير نشر في مجلة « ليكسبريس » ، عدد 27 يوليوز 1984 ، ص 18 ، وهو للمؤرخ الفرنسي جورج دوبي Duby

الباب الرابع

طنجة

يوشك هذا الباب أن يكون مقتبسا في أكثره من المخطوطات الغميسة والوثائق المخزنية ، وفي أقله من المصنفات والمقالات المغربية والأجنبية ، حديثة كانت أو قديمة ، عربية كانت أو عجمية .

وسيدور الكلام فيه حول تسعة فصول : أولها عن ولاية هذا الثغر وسكانه وعمرانه ، والباقية عن الشؤون المتعلقة بالدول التي أبرمت مع المغرب معاهدات الاستيطان ، ولاسيما وفق مدريد لسنة 1880 .

وسنحصى كافة المحميين الإداريين والسياسيين والتجارين ، وسنكشف عن أسماء طائفة من المستوطنين الأجانب ، وسنميط اللثام عن أحوال أعضاء السلك الدبلوماسي والقنصلي .

1 : الولاية والعمران

1 : الولاية والسكان والعمران

أ - الولاية

1. بعد عزل العربي السعيد عن ولاية طنجة ، أسندها السلطان الى محمد وميمون الكرواني الى أن آخره سنة 1243/1837 عنها (1) .

2 . وفي سنة 1837 ولي على المدينة وعلى غيرها عبد السلام السلاوي المكناسي ، حتى توفي حوالي عام 1257 / 1840 ، وكان له اشراف على النيابة السلطانية

3 . وفي السنة الأخيرة ، عين بوسلهام بن علي أزطوط عاملا على طنجة وعلى غيرها ومكلفا بالنيابة السلطانية الى يبرابر 1851 وهو تاريخ وفاته (2) .

4 . وخلفه محمد الخطيب في الولاية ، حتى فصلت عن النيابة السلطانية التي انفرد بها ابتداءً من سنة 1854 .

5 . فعهد بالباشوية في هاته السنة الى محمد بن عبو ابن عبد المالك الريفي الذي تقلب في وظائف سامية بالجيش قبل ذلك .

وظل في منصبه حتى عزل سنة 1858 ، وتوفي في 21 أكتوبر من نفس السنة بفاس ، وكان مولده بطنجة سنة 1798 وقد وصفه بعض المؤلفين

1 . محمد اكنسوس : « الجيش العرمم ... » الجزء الثاني ص 8

2 . عبد الوهاب بن منصور : « أعلام المغرب العربي » الجزء الثاني ص 190 وكذلك ظهير تولى عبد السلام في 18 ربيع الأول 1253 / 22 يونيو 1837 محفظة طنجة 1 ، وكذلك « الاتحاف » ابن زيدان ج 2 ص 179 و « تاريخ تطوان » ج 8 ص 337 لمحمد داود

بأنه كان نشيطا للغاية وذا طبع مستقل وصراحة بالغة ، وأنه أعطى دلائل واضحة على ميله للأوربيين ، وأن منزله كان مؤثرا على شاكلتهم (3) .

6 . وفي سنة 1861 كان محمد بن عبد الكريم الجبوري واليا على المدينة وأحوازها (4) وبقي في الولاية حتى منتصف 1863 .

7 . ولعل العباس المقشد هو الذي تولى المنصب بعده ، لأنه كان سنة 1865 إشا للمدينة (5) . وكان العباس هذا من معيني الأمير العباس أثناء حرب تطوان ، كما كان يقوم أثناء غياب محمد بركاش بالنيابة عنه في تمثيل السلطان لدى أعضاء السلك الدبلوماسي (6) ، وبقي مباشرا أعماله بطنجة حتى توفي في غشت 1875 .

8 . وقد اسندت الباشوية أياها إلى علي المسفيوي الذي سيصير فيما بعد وزيرا للشكايات ، ولكنه ما لبث أن أعفي منها (7) . وأثناء ولايته كلفه السلطان الحسن الأول في مارس 1875 بتقوية حامية طنجة وبأن يجمع « 300 من العسكر من خدامنا أهل ثغر طنجة وأهل الفحص والغربية » (8) ، والغالب على الظن أنه كان نائبا فقط .

3 . مبيج : « المغرب وأروبا » ج 2 ص 279 (2)

4 . محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ص 174 و « تاريخ تطوان » ج 6 ص 123 ، وابن زيدان : « الاتحاف » ج 1 ص 122

5 . مسودة بتاريخ 2 محرم 1282 / 18 ماي 1865 ، محفظة طنجة : 1

6 . مبيج : « المغرب وأروبا » ج 3 ص 184 (6)

7 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 182

8 . « الوثائق » ج 3 ص 421

9 . ثم عين الجيلالي بن حمّو المنجّم الحمزاوي البخاري (9) الذي تقلب في الوظائف المخزنية العليا مدة تنيف على الخمسين سنة (10) .

10 . عبد الصادق بن أحمد الريفي ، الذي كان خليفة للجيلالي ، أسندت إليه شؤون المدينة سنة 1878 عند وفاة سلفه (11) .

كان للجيلالي مشاكل مع السلطة القنصلية ، وخاصة قنصل فرنسا الذي أقام الحد على سارق وعلى قاطع طريق ، فطالب القنصل بالافراج عنهما والاعتذار له عما فعله (12) .

أما عبد الصادق فكانت له نزاعات مع قناصل آخرين ، اتهموه بالتسلط والاختلاس ومنهم ممثل هولاندا الذي قال عنه سنة 1884 : « عبد الصادق مشغل الآن، بعمارة خناشيه بدراهم حركة أنجزة ، ولم يردّ باله لغرضات الناس الذين لم يجلبون له رشوة من المال أو من الماشية » (13) .

وفي سنة 1889 اشتكى منه كلاصو ممثل البرتغال ، لأنه استولى على أموال الزيّزُون المستخدم بالمفوضية البرتغالية بطنجة (14) ويظهر أن هذا العامل عبد الصادق قد توفي سنة 1891 (15) ، بينما كان عبد الرحمان بن

9 . رسالة السلطان الى الجيلالي في 23 رجب 1292 / 25 غشت 1875 ، محفظة الجيلالي بن حمّو

10 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف ... » 2 ص 111

11 . مسودة بمحول رسالة بركاش الى السلطان في 27 شعبان 1295 / 21 غشت 1878 ، محفظة طنجة 2

12 . « الوثائق » : 4 ص 430 وما بعدها

13 . رسالة نائب الفلامينك الى الطريس في 25 شتنبر 1884 / 4 حجة 1301 ، محفظة الطريس I

14 . رسالة كلاصو الى الطريس في 27 يناير 1889 / 22 جمادى الأولى 1306 ، محفظة المغرب البرتغال

15 . موجب عدلي في 11 قعدة 1308 / 18 يونيو 1891 ، محفظة الطريس 20

عبد الصادق قبل سنة 1885 خليفة له (16) وبعد وفاة عبد الصادق ، عين السلطان عاملا آخر فقامت طنجة على عاملها ، وحدثت روعة كبيرة أدت بالدول الى ارسال سفن لحمل رعاياها . فكتب الطريس الى السلطان رسائل عديدة أولها في 6 جمادى الأولى 1309 . فأوفد العاهل القائد محمد الشاوي في 200 من الخيل لحراسة البلد ، وعزل العامل الذي لم يذكر اسمه ، وعين عبد الرحمان بن محمد بن عبد الصادق سنة 1892 عاملا على المدينة (17) .

وبغلب على الظن أن بعض أهل طنجة لم يكونوا يحبون آل ابن عبد الصادق ، وقد تزايد تدميرهم منهم ، عند ما وقعت فتنة عبد السلام الأنجيري أثناء مد اسبانيا لأسلاك التلغراف بنواحي أنجرة ، وعمت الاضطرابات نواحي المدينة ، حتى استاء من ذلك النواب والقناصل والأجانب وخافوا على أنفسهم وأموالهم من تلك الفتنة .

ولم يكن السكان والأجانب وحدهم مستائين ، بل حتى الجيش ، وعن ذلك قال السلطان للطريس سنة 1892 : بلغ الى « علمنا الشريف أن الخديم القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق أضر بالجيش الريفي هناك ، وقبض منهم سبعمائة ريال ، ثم فرض عليهم اثني عشر مائة ريال ، وحاز نصفها من راتبهم بالمرسى ... وعليه ، فلا بد ، تقص البحث في ذلك . » (18) ، ولم يطل ذلك ، اذ توفي العامل بعد ذلك بقليل ، وتولى أخوه عبد العزيز بن عبد الصادق الباشوية ، في حين كان أخوهما الثالث الحاج محمد بن عبد الصادق أمينا بالمرسى ، وله دعاوي مع التاجر المحمي الايطالي ميمون بن الدّهان (19) .

• • •

16 . رسالة شميدل قنصل النمسا الى الطريس في 20 جمادى الثانية 1302 / 6 أبريل 1885 ، محفظة المغرب النمسا

17 . رسالة السلطان الى الطريس في 16 جمادى الثانية 1309 / 17 يناير 1892 ، محفظة الطريس 21

18 . رسالة السلطان الى الطريس في 21 ربيع الثاني 1310 / 12 نونبر 1892 ، محفظة الطريس 23

19 . رسالة كانطاغيللي الى الطريس في 17 أبريل 1894 ، محفظة المغرب ايطاليا

ب : السكان والعمران

بلغ أهل طنجة في شتى الفترات أعدادا مختلفة يقدرها بعض المؤلفين كما يلي : 7500 سنة 1834 و 10.000 سنة 1855 و 12.000 سنة 1866 (20) و 15.000 سنة 1874 و 21.000 سنة 1884 (21) و 36.000 سنة 1892 و 45.000 سنة 1900 (22) ، ومثل ذلك قاله الطبيب الانجليزي ليرد عن سنة 1872 ، اذ كان مجموع السكان 14.600 نسمة ، منهم 9.000 مسلم و 5.000 يهودي و 600 نصراني (23) . لكن لا عبرة بما جاء في بعض الروايات من أن أعداد الأروبيين بلغت 6000 شخص بعد مؤتمر مدريد (24) ، فذلك من المزاعم التي لا تستند إلى أساس معقول .

وكان أغلب سكان طنجة من جباله والريف ، زيادة على طوائف مهمة من اليهود .

أما الأجانب فكان جلهم مهاجرين اسبانيين فروا من بلادهم للظروف التي كانت تمر بها في آماذ متعاقبة ، ويليهم في الرتبة الانجليزيون وغالبيتهم طارقيون . وكانت قلة من المهاجرين لا يجدون سكنا ، فكانوا يتخذون في البداية المغاور والكهوف منازل لهم .

أما التجار الطارئون فكانوا أيضا يتخبطون في مشاكل السكنى ، لعدم ترخيص المخزن لهم بالبناء ولا بالتملك ، ثم انه كان يخشى منهم التماطل أو الامتناع من أداء الواجبات ، فكان يرفض ، وخصوصا سنة 1886 ، البناء لهم بطنجة أو غيرها من المدن ، ولذلك جاء في رسالة بهذا التاريخ : « لم يكن المخزن يبني شيئا بالشجر الطنجي بحساب ستة في المئة ، لأن القناصل الذين يتجرون يمتنعون من أداء واجب الكراء ، مثلما فعل قنصل اسبانيا

20 . ميج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 14

21 . المصدر السابق ص 461

22 . ميج : « المغرب وأوربا » 4 ص 397

23 . عبد المجيد بن جلون : « جولات ... 1872 » ص 19

24 . ميج : « الصحف والصحافيون بطنجة في القرن التاسع عشر » في مجلة «اسبيريس» ، عدد يبرابر 1951 ، ص 193 .

بالجديدة التي بنى له مكاناً هناك ، وصيّر في بنائه ما يزيد على 20.000 ريال ولما طوب بالكراء امتنع منه» (25) .

وليس معنى هذا ان التجار لم يشتروا العقارات ولم يبنوا الدور والمخازن سرا أو علنا . بل انهم كانوا يمتلكون المصانع والدور التجارية ومنازل السكنى . لأن الشرط في الامتلاك ، حسب معاهدة مدريد ، كان هو الحصول على اذن السلطة التي كانت في الغالب ترخص لهم في ذلك ، وسنجد في غير هذا المكان آثارا لذلك وخصوصا اشتراءهم لها بواسطة المحمين ثم بيعها لهم بعقود خاصة غير عدلية .

وليس من سبيل الى الأطناب في مسائل العمران بهاته المدينة التي كان يعيش فيها القسط الأوفر من الأجانب على اختلاف ديانتهم وجنسياتهم . وكانوا قد فرضوا - أو كادوا يفرضون - على المخزن وعلى السلطة نفوذهم ، ولاسيما بمجلس العافية أو بمختلف اللجان المحلية (26) . وسيأتي شيء من هذا القبيل في مواطن شتى من التأليف .

* * *

هاته هي طنجة : عمراننا وولاية ، ولئن كانت بها سلطات ادارية ومالية فقد كانت أيضا عاصمة دبلوماسية تتولى فيها النيابة السلطانية تدبير الشؤون الخارجية .

كان هذا الثغر مقرا للمفوضين والقناصل الذين كانوا يتعاملون مع المصالح النيابية والمحلية بما يقتضيه القانون الدولي تارة ، وبما يُستَهْجَن من تعسفات وانتهاك للحرمات تارة أخرى .

وأهم جناية ارتكبتها غلاتهم هي اسباغهم حماية دولهم - أو بالأصح حمايتهم الشخصية - على طائفة من الرعايا المغاربة من يهود ومسلمين معا .

25 . رسالة السلطان الى الطريس في 6 شوال 1303 / 8 يوليوز 1886 ، محفظة الطريس 6

26 . صدرت مؤخرا بمجلة دار النيابة (العدد الاول ، 1984) دراسات ونصوص عن العمران بطنجة . ويستحسن الاطلاع عليها لمعرفة بعض الجوانب الغامضة

وعَيْنُ ما أريد طرقه في الفصول المقبلة هو القاء بصيص من النور على الظروف والملابسات التي حاقت بهاته الحماية الصغرى ، استعدادا وتمهيدا للحماية الكبرى ، وللهيمنة الأوروبية على مستقبل البلاد .

وسأتناول القول هنا بالأخص لأحصي بهاته المدينة كافة المحمين ، والكشف الذي قمت به لم يتقدم له نظير في أي كتاب عربي مغربي مطبوع ، الا ما ورد نادرا وعفويا عند ابن زيدان . وقد اقتبست ذلك من المصادر الأجنبية والعربية ، ومن التراث المخزني المنسي ، احياء له ، وخدمة للتاريخ ، وتعريفا برأي الدولة المغربية في هاته المشاكل المصيرية .

ولن يتم لي هذا الأمر ، ويستقيم هذا الجرد ، ما لم أسلط ما استطعته من أضواء على ما خفي من حياة أعضاء السلك الدبلوماسي والقنصلي وأفراد الجالية الأجنبية والمصالح الاقتصادية ، فقد اسلفت الكلام غير ما مرة أن التجارة (مع نصب القنصليات واستيطان الأجانب ببلادنا) كانت من المباشرة في اتخاذ المحمين والسماسرة والخلطاء والعملاء ، وفي التحولات المجتمعية الخطيرة .

ومن خلال هاته الحماية الفردية ، بدأ المغاربة - محمين كانوا أو شبه محمين - ينتقلون من طور الى طور ، وصارت الهياكل التقليدية تتدمر وتتخرب ، لتحل محلها صور أخرى من الحياة الجديدة المدسوسة ، فتعصف بما كان بمغرب القرن التاسع عشر من أصالة ومن مقومات ، عصفا شديدا مُنْكَرًا ، وغدت عيون المغاربة مشدودة الى الخارج .

* * *

وختاما أشير الى أن هاته الحماية الفردية تلبس بها بطنجة وبأحوازا 363 شخصا ما بين سنتي 1863 و 1900 ، على وجه الاجمال لا الحصر والضبط ، لانعدام الوثائق المنتظمة في هذا المضمار .

وفيما يلي جدولان تلخيصيان لهؤلاء الأشخاص باعتبار المكررين والمتقلبين في الحماية ، احدهما يحتوي على 319 محميا ، كان عدد المسلمين 190 منهم وعدد اليهود 129 ، والآخر يشتمل على 46 سمسارا منهم 28 يهوديا و 18 مسلما ، وستأتي أسماؤهم تباعا في الفصول القادمة :

ج. 1. المحميون

(1863 - 1900)

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
ألمانيا	5	15	20
الولايات المتحدة	31	20	51
بريطانيا العظمى	9	44	53
اسبانيا	—	19	19
إيطاليا	27	10	37
الانبريال	5	5	10
فرنسا	16	36	52
البرتغال	8	22	30
البرازيل	21	—	21
بلجيكا	3	11	14
السويد والنرويج	3	5	8
الدانمارك	1	1	2
هولاندة	—	2	2
المجموع	129	190	319

ج. 2. السماسرة

(1863 - 1900)

ألمانيا	4	—	4
الولايات المتحدة	7	1	8
بريطانيا العظمى	6	4	10
إيطاليا	3	—	3
الانبريال	—	1	1
فرنسا	7	10	17
البرتغال	1	2	3
المجموع	28	18	46

2 : ألمانيا



تصميم هذا الفصل :

1. السلك الدبلوماسي

2 العلاقات المغربية الألمانية

3. موظفو السفارة

4 المحميون والمستوطنون والسماسة

* * *

المطلب الأول : السلك الدبلوماسي

كانت ألمانيا تدعى في الوثائق المخزنية البروس أو البروسية أو البروص Preussen, Prusse وكانت المدن الهنسية : بريمن وهامبورغ ولوبيك تتعامل مع المغرب ، وترتبط به بعلاقات اقتصادية ، تحت اشراف جون هي . لكن انتصار ألمانيا على فرنسا سنة 1870 ثم ظهور هاته الدولة موحدة الأجزاء تحت رعاية الملك غليوم لفتا اليها الأنظار ، وقد اختلط تاريخ ألمانيا بتاريخ بروسيا حتى سقطت الملكية في نونبر 1918 .

وفيما يلي أسماء الوزراء المفوضين :

1. قررت حكومة الأمير فون أوطو بيسمارك ، الذي كان وزيرا أول في الحكومة الملكية منذ سنة 1862 ، اقامة علاقات دبلوماسية مع المغرب ، وعينت لذلك وزراء مفوضين كان أولهم فون غوليج : Von Gulich

وكان مجرد مبعوث ، عين في بداية سنة 1873 ، فسافر الى جبل طارق .
غير أن حكومته أمرته بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الرحمان بالتريث بهاته
المدينة ، وعدم الدخول الى طنجة ، ولكنه ما لبث أن حل بها دون بروتوكول ،
فوصل على ظهر باخرة متواضعة ، بينما كانت العادة أن يفد المفوضون على
متن السفن الحربية .

عين كولينغ قنصلا عاما ، ولم يصبح وزيرا مقيما الا في مارس 1874 .
وقد وجه رسائل اعتماده من الملك غليوم الى الحسن الأول ، وسلم له بركاش
رسالة من السلطان الى العاهل الألماني في نفس السنة ايضا .

وكان وصوله ، على متن سفينة تجارية لنقل الحيوانات ، مما يؤخذ
عليه اذن . ويضاف الى ذلك ايثاره معاشرة اليهود ، مما أسقطه في أعين
المغاربة المسلمين ، فأشاعت الأوساط الاستعمارية بالجزائر أنه يهودي أسلم ،
لأنها كانت ترتاب في سلوك ألمانيا .

كان كولينغ قاسيا في أحكامه على المغرب وعلى الأوساط الدبلوماسية
وعلى الجاليات الأجنبية التي لاكته بالسنتها ، كان يرى أن المفوضيات منهمكة
في الاتجار بالحماية وفي الاثراء من عمليات تتفاوت درجات الشبهة فيها ،
وعنده أن سفير انجلترا لا يهتم الا بتجارة اللحوم مع جبل طارق ، وان له
نصيبا في ربحها ، وهو يصف تيسو بأنه كان يوزع وقته بين القنص
والأبحاث التاريخية ، كما يذهب الى أن ميري اي كلوم لم يقبل وظيفته بطنجة
الا لأن له مصالح بجبل طارق ، ووصفه بأنه كان يتلهى بالقنص والصيد .

وهكذا كان يكيل لهم التهم أو يصفهم كما هم عليه ، ويرى أنهم
محافظون في سياستهم ، لا رغبة لهم الا في امضاء الوقت وعقد الصفقات
المربحة .

أما عن نفسه فقد ذكر أنه منفي في « بلاد الهمج » وأن المغرب بلد
فقير لا مستقبل له « ما دام حكم القرآن نافذا فيه » .

الحقيقة أن كُولِيخ الذي قضى سنواته الأولى باسبانيا وأمريكا الجنوبية لا يعرف شيئا عن بلدان الاسلام ، فلم يمكث بالمغرب الا أقل من سنتين حتى أعفي من منصبه في أواخر سنة 1874 ، ورحل عن طنجة في بداية 1875 الى مقره الجديد بالأسكندرية (1) .

2. وكان الذي خلفه هو **تيودور فيبير** Th. Weber قنصل ألمانيا ببيروت سابقا ، وقد عين وزيرا مفوضا ، ووصل الى طنجة في أكتوبر 1875 ، وكان مستعربا ممتازا ، قضى بالشرق سنين طويلة أتقن خلالها النطق والكتابة باللغة العربية .

وقد استطاع أثناء مقامه نشر نفوذ دولته الاقتصادي والسياسي بعد أن كان ضعيفا (2) ، وعاش بالمغرب نحو 10 سنوات ، الى أن أحيل على التقاعد في منتصف 1885 . وكان سنة 1878 قد رافق الطيب ابن هيمة في سفارته الى ألمانيا .

3. ثم خلفه في أكتوبر الموالي **شارل تيستا** Ch. Testa المترجم الأول بسفارة ألمانيا بتركيا ، الذي كان خبيرا بشؤون الشرق ونشيطا وطموحا ولبقا (3) . لكن مقامه لم يطل بالمغرب ، فاستعفى في 18 مارس 1887 لمرض أصابه « فأعفته دولته لما ألمَّ به » (4) ، وكان في آخر أيامه بطنجة يسمى نفسه « مِينِسْطَر رَزْدِيْنُط » أي وزيرا مقيما « لملك الألمان وسلطان البروس ونائب دولة النبريال » أي الامبراطورية النمساوية

1 . كيلن : « ألمانيا والمغرب من 1870 الى 1905 » ص 29 - 35

2 . عبد الوهاب بنمنصور : « الوثائق » ج 4 ص 100 ، وجان لوي مبيج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 19

3 . المرجع الأخير : ج 4 ص 169

4 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 شعبان 1304 / 13 ماي 1887 ، محفوظة الطريس 10

الهنغارية ، (5) ومن طنجة عاد الى الأستانة ليشغل فيها المنصب الأول الذي كان يتولاه قبل ذلك (6) .

4. وأتى بعده من شتنبر 1887 الى ماي 1888 **طرافراس Travers** الذي كان قنصلا عاما باستراليا ، ولعله عين سفيرا رسميا بدلا من تيستا (7) ، ولكن يظهر من وثيقة أخرى أن تسميته لم تؤكدتها الحكومة الألمانية ، وإنما تركته نائبا عن السفير (8) ، وذلك ما يدل على السبب في استعفائه وسفره « بقصد جنب الراحة مما ألمَّ به » (9) .

5. وفي سنة 1888 قررت الحكومة الألمانية تسمية سفير رسمي هو **الكونت طاطنباخ : Von Graaf Tatenbach** الذي كان الكاتب الأول بسفارة ألمانيا بمدير (10) .

6. وقد خلفه البارون **فون شنك Von Schenck** حوالي 1896 ، في حين سمي طاطنباخ ببيرن ثم بلشبونة ، ولكنه هو الذي مثل بلاده في مؤتمر الجزيرة الخضراء (II) .

* * *

5 . رسالة السلطان الى الطريس في 28 جمادى الثانية 1303 / 3 ابريل 1887 ، محفظة المغرب ألمانيا

6 . جان لوي ميبج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 169

7 . رسالة فون سالديرن الى الحاج محمد الغسال بتاريخ 3 غشت 1887 / 12 قعدة 1304 ، محفظة ألمانيا المغرب ، ثم كتاب طرافرس الى الطريس بتاريخ 19 أكتوبر 1887 ، نفس المحفظة

8 . رسالة بيسمارك الى وزير الخارجية ، المحررة ببرلين في 29 يناير 1887 ، نفس المحفظة رجان لوي ميبج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 177 (10)

9 . رسالة الطريس الى السلطان في 15 رجب 1306 / 17 يبرابر 1889 ، محفظة الطريس 15

10 . رسالة فون فالدهاوزن الى الطريس في 16 يونيو 1888 ، محفظة المغرب ألمانيا

11 . جان لوي ميبج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 177 (10)

وكان من الذين يقومون مقام السفير ، البارون كيطلر G. de Kettler وفون سالديرن Von Saldern ، الذي كان مستشارا بسفارة ألمانيا بمدير ، وفون فالدهاوزن Waldthausen ثم الكونت هنكل Henckell .

وحتى سنة 1885 ، لم يكن لألمانيا إشعاع كبير بالمغرب ، فلم يكن لها قنصل الا في الصويرة والجديدة والرباط والعرائش ، أما بالدار البيضاء ، فكان لها نائب أجنبي عنها في ذلك التاريخ (12) .

* * *

المطلب الثاني : العلاقات المغربية الألمانية

كان الوزراء المفوضون يقفون موقفا حسنا من القضايا المغربية ما لم تمس المصالح الألمانية العامة ، وكانت سياسة فيبير ومن تلاه من السفراء تقوم على هذا المبدأ ، ولم يسجل له خلال هاته الفترة الا المواقف المعتدلة . وقد كانت تلك الصلات على قدر ما حُبِّي به هذا السفير من حذق ومؤهلات شخصية : فقد كان يتقن العربية ، مما سهل اتصاله بالوزير محمد برقاش والنائب الحاج محمد الطريس ومعاونيهما ، بعد أن قضى مدة طويلة بالمغرب .

وأهم ما تميزت به علاقة المغرب بألمانيا هو عقد معاهدة تجارية بين البلدين واستقبال بعثات طلابية ، وتوجيه سفارات مغربية الى ألمانيا ذكرت نتفا عنها في غير هذا المكان ، وأورد هنا اثنتين فقط من خلال الوثائق المخزنية وبعدهما خبر المعاهدة التجارية .

2 1 : سفارتا عبد السلام ابن رشيد

كلف السلطان قائد أولاد حريز عبد السلام ابن رشيد بالسفارة الى ألمانيا ، وعيّن معه أمينا وكاتبا و 10 مخازنية (13) ، وحدد سفره في ربيع

12 . رسالة فيبير الى الوزير محمد بن العربي الجامعي في 22 ماي 1885 ، محفوظة المانيا المغرب

13 . رسالة السلطان الى الطريس في متم صفر 1306 / 4 نونبر 1888 ، محفوظة الطريس 14

الثاني 1306 (دجنبر 1888) . وكان معه أيضا في هاته السفارة الحاج محمد الزكّاري ، نائب الرئيس بطنجة ، ولا سيما أثناء مقابلاته مع ملك ألمانيا .

وقد سافر بالفعل بحرا الى ألمانيا في 21 ربيع الثاني 1306 (25 دجنبر 1888) . وبعد أن أدى مهمته ، خرج من برلين عائدا الى المغرب في 16 جمادى الآخرة 1306 / 17 يبرابر 1887 .

ولا تتحدث الوثائق عن أثر هاته السفارة ومدى تكللها بالنجاح أو بالفشل ، ولا عن الغرض منها ، ولعل وفاة الملك غليوم سنة 1888 كانت من الأسباب التي حالت دون نجاحها .

وكانت له وفادة أخرى سنة 1892 .

2. 2 : سفارة الحاج المعطي بن عبد الكبير

وجه السلطان سفارة أخرى الى ألمانيا برئاسة الحاج المعطي بن عبد الكبير فائد المزامرة بالشاوية ، ولم تتحدث عنه الوثائق الا قليلا ، ومن ذلك أن الحاج المعطي « جلب من ألمانيا مدفعا للمغرب وأنزل في مرسى العرائش » (14) .

2. 3 : المعاهدة التجارية

والمعتقد أن موضوع سفارة ابن رشيد الأولى كان قضايا اشتراء السلاح وكسب تأييد ألمانيا للمغرب في قضية طرفاية ، التي كانت انجلترا تريد أن نستولي عليها ، والتمهيد لعقد معاهدة تجارية بين البلدين .

لكن يظهر من وثائق مخزنية أن المهمة فشلت وتعثرت ، لأن المخزن كان يريد اعطاء الأسبقية لرفع أضرار الحماية على حرية التجارة التي كانت ألمانيا تنادي بها وتقدمها على غيرها وترمي الى عقد معاهدة 1890 .

14 . رسالة أمراء طنجة : محمد بن المفضل بن جلون وعبد الرحمان بن المكي العيمي ومحمد الخمال الى السلطان في فاتح رمضان 1307 / 21 أبريل 1890 ، محفوظة بطنجة 3

ومكذا قال السلطان للطريس في رسالة جوابية : « المخزن مستعد لكل خير ، وللتسهيل في أمر التجارة بعد حسم الواقع في ذلك ، وقبول الدولة لعذر المخزن وتسليمها له ... » (I5) ، بعد أن كان الطريس اقترح قبل ذلك على الحسن الأول اما « ابقاء الحال على ما هو عليه » ، واما « التأهب لرفع أضرار الحماية واثبات الحرية . ومن الحرية اذا ثُبِتَتْ يقع التسهيل في التجارة ، بما فيه النفع والمصلحة للمخزن والرعية ، وعدم الاجحاف بحقوقهم » (I6) . وقد وافقه السلطان في نفس الرسالة على أن « لا يقدم التسهيل في التجارة على رفع أضرار الحماية واثبات الحرية لما في تقديمه من الدسائس ».

هاته التحفظات كانت في اللفظ أيضا ، وخصوصا في الفصل الرابع من مشروع المعاهدة المذكورة حيث ترك بياض داخل مسودتها لتغيير عبارة « رعية الألمان لهم الحرية أن يَسْقُوا من جميع مراسي المغرب في جميع المراكب ... » ، وللتنقيص على « المراسي المفتوحة للتجارة ، أي فيها ديوانة ... » (I7) . وكان المقصود بها تطوان (مرتيل) وطنجة والعرائش والعدوتان والدار البيضاء والجديدة وآسفي والصويرة .

والحقيقة أن ألمانيا قد انصاعت لرأي المخزن ، فعبرت له عن « عزمها على الغاء مبدأ الحماية ليتسع نطاق تجارتها » (I8) .

وأُبرمت فعلا بين المغرب وألمانيا ، ووجه السلطان نسخة منها الى الطريس مطبوعا عليها بطابعه (I9) في فاتح رمضان 1308 (10 أبريل 1891) ، بعد انتهاء المفاوضات التي أشرت اليها أعلاه .

غسر أن ممثلي باقي الدول ، ومنهم إيوان - سميث الانجليزي ، رأوا أن في ذلك انحرافا من المخزن عن مبدأ المساواة بين الدول في المعاملة ،

15 . من السلطان الى الطريس في 20 قعدة 1306 / 20 ماي 1889 ، محفظة الطريس 16

16 . نفس المصدر السابق

17 . رسالة الطريس الى السلطان في 25 محرم 1309 / 31 غشت 1891

18 . جان لوي ميج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 191 (2)

19 . رسالة السلطان الى الطريس في 10 رمضان 1308 / 19 أبريل 1891 ، محفظة

الطريس 20

ولا سيما وان انجلترا التي كانت فى شخص جون هي تكن كامل المحبة للمغرب وإأهله ، لم تظفر بمثل ذلك منذ ابرام المعاهدة التجارية سنة 1856 .

وقد كان عقد اتفاقية تجارية هو الذي حمل تشارليز إيوان - سميث على القيام برحلة الى فاس سنة 1892 ، واسبانيا على حرب سنة 1893 ، وفرنسا على اثاره فضية توات ، وأفضى ذلك كله الى انتزاع امتيازات : فرنسا سنتي 1892 و 1902 واسبانيا سنة 1896 وانجلترا سنة 1901 ، ولم يبق الا العثور على اطار دولي جديد لهذه الامتيازات ، وذلك كان هو السبب فى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 (20) .

• • •

المطلب الثالث : موظفو السفارة

1. منصور ملحمة

أما معينو السفارة غير المغاربة فأخص بالذكر منهم منصور ملحمة الذي يبدو من خلال خطه الرقعي ، ومن أسلوب كتابته أنه من أصل مشرقى شامى (لبنان) تعرّف عليه هناك فيبير ، حين كان يعمل بالشرق العربى ، فاستصحبه معه ، وكان أحيانا ينوب عنه وعن غيره من السفراء الذين أتوا للمغرب بعد ذلك .

كان منصور الترجمان الأول للمفوضية ، وقد اكتسب بعض الشهرة لدى الأوساط المخزنية والشعبية حتى كان يسمى منصور بن حامي (تحريف ملحمة) .

وقد ولد منصور ببيروت سنة 1836 ، ومات بالقاهرة سنة 1904 ، وكان أيضا قنصلا بطنجة (21) .

20 . عبد الله العروى : « الأصول ... » ص 251

21 . جان لوي مبيج : « المغرب وأوروبا » ج 4 ص 170

إلا أنه كان كبعض موظفي القنصليات والمفوضيات يتعاطى للمضاربات : فقد اشترى باشتراك مع ابراهيم سكسو ، ترجمان مفوضية بلجيكا I40 هكتاراً بأنجزة ، وكان المخزن يرتاب فيه « لكي لا يدخل لها الكُنْطَرَبَنديس وجعل عليها عسة » (22) ، وكانت تلك الملكية تقع بقنْقُوس وفي مَلَا بَاطَا .

ولذلك لم تشأ السلطات الترخيص له ببيع أرضه بقنْقُوس ، وكان قد « طلب من اجلها 36 ألف ريال وعول على أن يبيعها للمخزن بـ 26 ألفا » (23) ، بعد أن كان يريد تفويتها لبعض الاسبانيين (24) .

كما حاول أيضا هو وشريكه ابراهيم سكسو بيع تلك الأرض أو غيرها لشركة فرنسية من وهران ، على يد حَيْم بنْشَيْمُول ترجمان المفوضية الفرنسية بضنجة ، لكن باشا المدينة لم يأذن للعدول بكتابة رسم البيع (25) .

وكان جواب عبد الصادق بن أحمد الريفي الى النائب الطريس هو أن « عندنا مرسوم من سيدنا ألا نعطوا الأذن في البيع الا من هو داخل عن الوادي والكائن بالسواني ، ومن خارج الوادي فلا نعطوا فيه اذنا لأحد ، ولا سيما البلاد المذكورة للترجمانيين المذكورين هي بقبيلة أنجرة ، وليس لنا عليهم ولا على أرضهم تصريح » (26) .

على أن المسؤولين المغاربة نبهوا عليه : « نحبك تكون على بال من منصور ومن جَنْطِيلِي ، لأنهما قطعة سم » (27) . وكان الأخير منها ترجمانا بالمفوضية الإيطالية .

22 رسالة السلطان الى الطريس في 11 ربيع الأول 1305 / 27 نونبر 1887 ، محفظة الطريس 11

23 رسالة السلطان الى الطريس في 17 قعدة 1308 / 24 يونيو 1891 ، محفظة الطريس 20 .

24 رسالة السلطان الى الطريس في 4 رجب 1307 / 24 يبرابر 1890 ، محفظة الطريس 18
25 . كتاب ملحمة وسكسو الى الطريس في 5 محرم 1308 / 22 غشت 1890 ، محفظة الطريس 19

26 . رسالة عبد الصادق الى الطريس في 8 محرم 1308 / 25 غشت 1890 ، محفظة الطريس 19

27 . رسالة العربي أبارودي الى محمد المفضل غريط في 4 شوال 1305 / 14 يونيو 1885 ، محفظة فرنسا المغرب

ولم يخل ' ملحمة من مخالط ، فقد كان محمد بن عبد الله بن مالك المصمودي « الذي هو من خدام المخزن » أحد هؤلاء (28) . وسيأتي عنه حديث بمدينة القصر الكبير حيث كان قد اعتقل فوقعت ضجة بسببه .

2 . موظفون آخرون

وفضلا عن ملحمة كان ثمة ترجمان مساعد هو : ده لوديريتز de Luderitz الذي ألف كتابا عن الأمثال الشعبية المغربية وكاتب بالمفوضية يدعى فيزنبيرغ (29) : Wesenberg

★ ★ ★

المطلب الرابع : المحميون والسماسة والمستوطنون

وفيما يرجع للمحميين المغاربة والتجار الألمانين بطنجة ، فقد أتى ذكرهم في عدة مصادر مخزنية . وكانت المفوضية توجه للسلطات المسؤولة لوائحهم السنوية بصفة تكاد تكون متواصلة ، ابتداء من سنة 1880 .

وهم ينقسمون الى مستخدمين بالمفوضية وسماسة للتجار .

4. 1 : المحميون القنصليون

وردت اسمائهم في مختلف القوائم السنوية (30) ، ويستثنى منهم أولهم وهو :

28 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 محرم 1306 / 19 شتنبر 1888 ، محفظة الطريس 14

29 . ميج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 178 (3)

30 . سنرتبهم بحسب تاريخ حمايتهم استنادا الى القوائم الألمانية العامة الممتدة من 1880 الى 1904 ، وسنجعل بين هلالين تاريخا يفيد أنهم كانوا لا يزالون مذكورين في السنة المعنية

١ - **محمد بنوثة التطواني** الذي كان سنة 1875 كاتباً بالمفوضية (31) ،
وها هو بيان المحميين الباقين :

٢ - **اسحاق سكسو** ترجمان منذ سنة 1873 ، ولم يرد له ذكر في
قائمة 1883 .

٣ - منذ 1874 : **عبد السلام النوينو** : عون (1890) .

٤ - 6 منذ 1876 : **العربي بن عبد القادر** عون (1897) و**محمد**
جردان ، طباح (1885) و**مسعودة بنت الدهان** مستخدمة (1881) .

٥ - 7 - 9 ، منذ 1878 : **قدور بن عمر بن قاسم** مستخدم (1881)
و**الحسين بن محمد** ، مثله (1882) و**التهامي المجدوبي** مثله (1885) .

٦ - 10 ، منذ 1879 : **محمد بن أحمد الكحلون المائوسي** مستخدم
(1885) .

٧ - 11 ، منذ 1880 : **عياد بن محمد السعيد** ، رباع (1892) .

٨ - 12 - 14 ، منذ 1882 : **سلطانة بنت الزرايين** (1884) و**حينة**
بنت الزرايين (1885) وكلتاهما مستخدمة ، و**الحاج أحمد بن الجلاي الدكالي**
كاتب (1890) ، وكان من الملاكين بالدار البيضاء ، وله عقارات مشتركة بينه
وبين الحكومة بنسبة الثلثين له والباقي لها (32) .

٩ - 15 ، **عبد الله العسيري** رباع من سنة 1887 الى سنة 1892 .

١٠ - 16 - 18 ، منذ 1890 **أحمد السيار** عون و**وريكا** عون و**المختار بن**
عبد الله عون (1892) .

31 . رسالة بركاش الى الجيلالي بن حمو في 24 جمادى الثانية 1292 / 28 يونيو
1875 ، محظية بركاش

32 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 15 صفر 1308 / 30 شتنبر 1890

- 19 - 20 ، الجيلالي العسيري والعايشي بن الهاشمي بن عبد الله
عنوان من سنة 1895 الى سنة 1897 .

4. 2 : المستوطنون

يلزم الحديث عن التجار والدور التجارية .

1 و 2 : ادوارد هيسنير و يواخيمشون E. Haessner/Joachimshon

كانا شريكين ويعملان في ميادين مختلفة ، وتاجرين بالعمولة ، سواء
من المغرب أو من ألمانيا ، كما كان لهما ممثلون في بعض جهات المغرب .

ومن جملة ما كانا يحترفانه المتاجرة في استيراد السلع المدنية
والعسكرية ، فقد وقعا مع المخزن عقدة بضمانة المفوضية الألمانية لجلب 5
ملايين من القرطوس ، نصفها لمكاحل مارتيني Martini والاخرى لمكاحل
الكونبلي Comblain ، بحساب 22 ريال للألف (33) ، وكانا يستوردان
ذلك مقسما على سنوات ، وكانت لهما علاقة مع روب ، ثم سلومان الابسن
Rob. M. Slomann من مدينة هامبورغ (34) ، ولم تغن المخزن ضمانة
السفارة لهما ، اذ كان بعض القرطوس « فاسد الصنع » عند تسليمه (35) .

على أن استيرادهما للسلاح من أجل المخزن أخذ ينير الشكوك حول
نشاطهما ، فقد اتهمهما أمينا مرسى الرباط (36) بأنهما كانا يبيعان المكاحل

33 . رسالة من السلطان الى الطريس في 12 شوال 1307 / فاتح يونيو 1890 ، محفظة
الطريس 18

34 . محفظة الطريس 21 و 23

35 . رسالة الطريس الى غريط في 22 شعبان 1308 / ثاني ابريل 1891 ، محفظة
الطريس 20

36 . رسالتهم سترد عند الكلام عن أمريكا ، وهي مؤرخة في 4 محرم 1307 / 22 يوليوز

1890

بطنجة وخصوصا هيسنير الذي كانت له أيضا ارتباطات مع صانع السلاح كروپ .

وزيادة على الاتجار فى السلاح ، كانا مكلفين بالنقل البحري من هامبورغ الى ساحل أمريكا الغربى والجزر الخالدات وماديرة ، كما كانت شركتهما عميلة لخطوط فورمان : Woermann (37) .

ولم يعرف لهما فى طنجة الا سمسار واحد أصله من يهود المدينة ، وهو بينحاس طوليدانو (38) اتى اسمه فى القوائم السنوية من 1886 الى 1897 ، وكان لهما خليطان وسماسرة فى بعض نواحي المغرب سيرد ذكرهم فى محلهم .

وأشير فى الختام الى أن يواخمسون من أصل پولوني من مدينة فروكلاف Wroclaw ، وأن هيسنير ألماني من مدينة برلين ، ظل يقيم بطنجة حتى اغتيل بها سنة 1896 (39) ، على يد أحد الاسبانيين ، وقد حلا معا بنفس المدينة سنة 1877 .

3. ريشارد داننبيرغ R. Dannenberg

المعتقد أن هذا الشخص كان يقيم لوقت ما بطنجة ، وفى سنة 1890 باع البارود للمخزن، وفى شأنه كتب السلطان الى الطريس : « حامله التاجر دننبرك الألمانى عرض على حضرتنا مشترة من البرود المصنوع بفبركتهم . فنأمر أن تعقد معه كمنطردة على شراء ألف قنطار منه » ، وكان سنة 1882 ممثلا لمصانع النسيج الألمانية وعميلا للمفوضية (40) . ولا ينبغي أن يختلط اسمه مع إ. ج. داننبيرغ

37 . جريدة « المغرب الاقصى » 15 يوليوز 1899 ، العدد 860

38 . رسالة تيسنا الى الطريس فى 14 شتنبر 1886 / 15 حجة 1303 ، محفظة المغرب المانيا

39 . مبيج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 24 (4)

40 . رسالة السلطان فى 28 جمادى الثانية 1307 / 19 يبرابر 1890 ، محفظة الطريس 17 وجان لوي مبيج « المغرب وأوربا » ج 4 ص 191 (3)

4. اوطو فينطزل Otto Wentzel

فينطزل ولد بألمانيا ، وعمل مهندسا بانجلترا ثم انتقل الى الجزائر ، ولما أسره بنو يزناسن استطاع الفرار ، فوصل الى طنجة سنة 1865 ، وتوظف في حراسة منار أشقار حتى 1878 ، وبعد ذلك رحل الى الدار البيضاء ليعمل مع شركة تجارية ، وكان خلال مقامه يختلط بالأوساط الشعبية فسموه « سيدي بنزل » (41) . وربما تعلم اللغة العربية عند ما كان مستخدما بالجزائر وطنجة .

5. غومبرت J. P. Gumbert

وقد خلف فينطزل في حراسة المنارة ، وهو من أوائل الألمانين الذين نزحوا الى المغرب الذي لم يكن به سنة 1877 الا هذان الحارسان ، وألماني آخر هو براور الذي كان مقيما بالصويرة ، وألماني رابع كان بطنجة يمتهن التجارة ، وقد حل غومبرت بطنجة سنة 1852 وتزوج بها وبقي في منصبه حتى 1897 (42) .

6. يوسف سعادة

طلب له سفير ألمانيا طاطنباخ سنة 1890 دارا لسكناء بطنجة على هواء حوانيت الأحباس (43) ، وكان أصله من الشام ، ولا تعرف علاقته بالسفارة الألمانية .

4. 3 : السماسرة

كان عددهم أربعة أشخاص وكلهم من يهود طنجة . وسلف الحديث عن بنحاس طوليدانو ، اما الباقيون فهم :

41 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 19 (5) وببير كيين : «ألمانيا ...»

ص 26

42 مبيج « المغرب وأروبا » ج 4 ص 19 (5)

43 . رسالة السلطان الى الطريس في 16 رمضان 1307 / 6 ماي 1890 محفوظة الطريس 18

- **بنجيو الطنجي** الذي كان سنة 1894 نائبا عن الدار التجارية الألمانية **يوان شوباخ** J. Schubach من مدينة هامبورغ (44) .
- **يعقوب واسحاق لاريدو** ، وكانا من 1895 الى 1897 وكيلين لشركة الملاحة الألمانية « أطلس » كما كانا وكيلين للبريد الألماني وممثلين لدار يوسف هينتز فان لاندريك J. Heintz van Landeryck من مدينة اللوكسامبورغ (45) .

44 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 21 يبرابر 1894 ، محفظة المغرب ألمانيا

45 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 19 غشت 1890 / 3 محرم 1308 ، نفس المحفظة وكذلك رسالة انياس كاسيل الى الطريس في 14 يناير 1891 ، محفظة المغرب هولاندة

3 : الولايات المتحدة الأمريكية

مواد هذا الفصل هي :

1 - السلك الدبلوماسي والقنصلي

2 - المحميون والسفارة والمستوطنون

3 - نبذة عن حياة بعض القناصل العاملين

وسنختتمه بملحقين عن نازلتين : قضية القيسي وقضية الحلو

* * *

المطلب الأول : السلك الدبلوماسي والقنصلي

لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية وزير مفوض ، ولكن كان لها بطنجة قناصل عامون ، تعاقبوا على تدبير الشؤون الدبلوماسية من سنة 1856 الى مطلع القرن العشرين وهم : (I)

1. جورج براون من 1856 الى 1861

2. جيمس ده لونك من 1861 الى 1862

3. جيس ماك ماث وذلك من سنة 1862 الى 1869

1 . وهاهي كتابة اسمائهم بالحروف اللاتينية :

1. G. V. Brown - 2. James de Long - 3. Jess Mac Math
4. J. T. Robeson - 5. Felix A. Mathews - 6. W. Reed Lewis
7. J. Judson Barclay - 8. D. N. Burke - 9. F. C. Partridge
10. S. Rene Gummeré .

4. جون ت. روبسن من 1869 الى 1870

5. فليكس أ. ماثيوز الذي تولى القنصلية المحلية والعامة ثلاث مرات متقطعة . ففي سنة 1869 كان قنصلا عاما بالنيابة ، بعد روبسن ، ثم صار قنصلا عاما رسميا طيلة 17 سنة متواصلة ، أي من 1870 الى 1887 ، حتى عزل في السنة الأخيرة على اثر فضيحة عبد السلام الحلو ، ثم عاد الى المغرب أواسط سنة 1890 ، وبقي في منصبه حتى سنة 1893 .

6. وليام ريد ليويس من بداية 1877 الى نهاية 1889

7. جون جودسن باركلي من 1893 الى 1896

8. ديفيد ن. بورك سنة 1897

9. فرانك س. پارتريدج سنتي 1897 و 1898

10. سامويل ر. كوميري من 1898 الى 1905

وام يرد في الوثائق المخزنية عن الثلاثة الأولين ما يعني ، سوى أن المغرب كان ينوي استسلاف مبلغ الغرامة الحربية حتى من الولايات المتحدة (2) ، وسوى أن السلطان نوه بأعمال جيس ماك ماث الذي ما قصر «مدة مقامه في نيابته في القيام على ساق الجد في تجديد العهد ، وما قط رأينا منه الا الخير التام ، فمثله من يكون نائبا عن الدول في احياء ما أسسه الأسلاف » (3) ، وذلك عند ما انتهت مأموريته .

أمامعينو هؤلاء القناصل العاميين فكان منهم طائفة من اليهود المغاربة وعدد قليل من الأمريكيين منهم جسبار ماثيوز ابن القنصل العام .

2 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 131

3 . رسالة محمد الرابع الى الرئيس كرانط في 23 ربيع الثاني 1286 / 2 غشت 1869 . وتوجد صورتها عند محمد نهليل في كتابه « رسائل شريفة » الموحة 37

أما موظفو القنصلية الأمريكية ، فكان من الذين تولوا أمرها :

- و. پ. سكوت W. P. Scott حوالي 1871 وهو :إنجليزي ، وسيأتي خبره فيما بعد .

- ادوارد كيلبورن فوت : E. Kilbourne Foote سنة 1887 ، وقد كان أيضا نائبا عن ريد لويس ، وقد طرد جميع من كانوا يعملون بالقنصلية (4) .

- فريدريك جيمس مان : F. James Mann الذي كان مكلفا بالقنصلية الأمريكية العامة بطنجة سنة 1887 أيضا (5) .

- روبرت ستوكر : Robert Stalker الذي كان ينوب عن القنصل العام لويس ، وخصوصا عند عزله في بداية 1890 . وكانت له مخالطات ببعض المغاربة اثنان من قبيلة سفيان وواحد من دكالة .

- محمد المصري : وهو نسب ناقص . وكان سنة 1888 ترجمانا بالقنصلية العامة (6) . وقد عرف بخطه المشرقي في مختلف المراسلات .

* * *

المطلب الثاني : المحميون والسماسة والمستوطنون

كان للولايات المتحدة محميون قنصليون واستثنائيون لإدارتها وسياسة رجالها أو بالأصح لمحميها . وذلك هو ما سأطرق اليه بادئا بالمحميين.

4 . رسالة ريد لويس الى الطريس في 14 مارس 1887 ، محفظة امريكا المغرب

5 . رسالة ريد لويس الى الحاج محمد الغسال في 30 يوليوز 1887 ، محفظة المغرب
أمريكا

6 . رسالة السلطان الى الطريس في 4 محرم 1306 / 10 شتنبر 1888 محفظة
الطريس 14

أولا : المحميون القنصليون والاستثنائيون

1 - مسعود بن قسيس : كان ترجمانا للقنصل العام جيس ماك
ماث قبل سنة 1863 ونائبا عنه ، كما كان شريكا لمحمد بركاش عند ما كان
تاجرا (7) . وقد صار أبناؤه محميين مثله حسبما سيأتي .

2 - موسى برينطي : كان ترجمانا أيضا (8) سنة 1865 ثم صار
ترجمانا بالقنصلية النمساوية .

3 - رامون الزوخي : كان ترجمانا مثلهما ، وتولى سنة 1887 النيابة
بالقنصلية (9) .

4 - الحاج محمد بن عمرو العوامي : كان كاتباً للقنصلية العامة ،
ولما توفي صار ابنه عبد السلام في خدمة ماثيوز (10) سنة 1891 .

5 - ساسون از تكوط كان محميا استثنائيا بمقتضى الفصل 15 من
معاهدة مدريد (11) ، وذلك في سنة 1887 ، وقد جعله النائب في خدمته .

6 - 7 - شلومو ناهون و داشيل أبي قاسيس : مثل السابق

7 . رسالة محمد بن المدني بنيس الى بركاش في 14 رجب 1280 / 24 دجنبر 1863 ،
محفوظة ببركاش

8 . رسالته الى بركاش في 9 جمادى الاولى 1283 / 18 شتنبر 1866 ، محفوظة ببركاش

9 . رسالة في 15 ربيع الاول 1305 / 1 دجنبر 1887 ، محفوظة بالمغرب الولايات المتحدة

10 . رسالة ماثيوز الى الوزير غريط في 3 ربيع الثاني 1309 / 6 نونبر 1891 ،
نفس المحفوظة

11 . هذا والاثنان بعده عدهم القنصل العام ريد لويس محميين استثنائيين بمقتضى
رسالته المؤرخة في 7 شتنبر 1887 ، نفس المحفوظة

8 - **ابراهيم لاريدو** : لم أقف على تاريخ منحه الحماية ، ولكنه ورد مع المحميين سنة 1888 . ولا يستبعد أن يكون نالها قبل ذلك (I2) .

9 - 17 - **موسى بيلو** (أو مسعود بيلو في وثائق أخرى) و **مسعود بوزانلو والصدیق بن علي الملياني و مناحيم ج. بن قاسيس واسحاق بن ذرقين** (وكان ترجمانا) و **علي الفتوح** (صار محميا نمساويا ثم اسبانيا) و **عبد الكريم التوزاني ويعقوب بن حيّون وقاسم بن محمد العرائشي** : وكلهم محميون استثنائيون .

18 - **محمد بن احميدو الشواطى او الدكالي** : كان محميا (I3) ، حتى نزع من الحماية في 25 ابريل 1888 . وسترّد قصته مع الدكتور شميدل القنصل العام النمساوي .

19 - **احمد البشاري** : وعزل منها في نفس التاريخ مع السابق . وكان راعياً لبقر ريد لويس (I4) .

20 - 22 - **محمد بن الحسن أنزنای** : (I5) و **الحاج أحمد بن موسى و أحمد الشواطى** وكانو جميعا مستخدمين بالقنصلية منذ 1887 .

23 - **الحاج عبد السلام بن محمد بن عمرو العوامي** : مثل السابقين الثلاثة ، وكان مستخدما قبل وفاة أبيه ، الكاتب المذكور سابقا (I6) .

I2 . هذا المحمي والذين بعده وردت أسماء بعضهم في 4 لوائح كلها غير مؤرخة ، واحدة منها خاصة بمحيبي طنجة والثلاث الباقية عامة ، تشمل عددا من المدن . وسنرى أن تاريخ اللائحة الخاصة بطنجة كان فيما قبل 25 أبريل 1888 ، وذلك عندما نزع ريد لويس من الحماية اثنين من المغاربة هما أحمد البشاري ومحمد بن حميدو الشواطى ، برسالة منه الى الحاج محمد الزكاري بنفس التاريخ ، محافظة المغرب الولايات المتحدة

وعليه فيكون ابراهيم لاريدو محميا سنة 1888 كما قد يكون قبلها وبعدها

I3 . ريد لويس الى الحاج محمد الغسال في 21 يونيو 1887 ، نفس المحافظة

I4 . رسالة ريد لويس الى الغسال في 26 يوليو 1887 ، محافظة المغرب أمريكا

I5 . رسالة ريد لويس في 21 يونيو السابقة الذكر

16 . المصدر السابق ورسالة مانيوز الى غريبط في 6 نونبر 1891 المذكورة أعلاه

24 - عبد السلام بن الحسين أکعبون أکثر نائي : كان مستخدما حتى نزع من الحماية سنة 1887 (17) .

25 - عبد الرحمان بن أحمد السانية : كان مستخدما سنة 1888 (18)

26 - عبد السلام بن العربي أزام : كان عونا سنة 1888 (19) .

27 - 50 : عبد السلام بن عيسى (20) و محمد بن عمرو الريفي و الحاج مسعود العمارني و الحاج علي السوسي و يودة ناهون و ابراهيم يودة أزنكوط و سينط اكوين و يعقوب كوين الشاوني و ادريس بن محمد بن ادريس و ابراهيم بن هرلوش و اشلومو بن ديان و عمران قنيز و بتحيم كوين و شلومو فراشي و هليل ناهون و دافيد السرفاطي و إسحاق بن مسعود بن قسيس و يعقوب بن مسعود بن قسيس و يوسف بن قسيس و إسحاق بن موسى بن قسيس و يودة ابن يوسف بن قسيس و يعقوب الزوغي و إسحاق قوريات و الباز مريم ابن الطويل : وكل هؤلاء كانوا محميين استثنائيين .

51 - عبد السلام بن الحاج محمد عمور : محمي سنة 1887 . وقد سماه الطربس بالشيطان الفاسي (21) .

ثانيا : السماسرة

I - مناحيم بن مسعود بن قسيس : هو ابن الترجمان مسعود بن قسيس ، وكان سمسارا لتاجرين بمدينة فيلاديلفيا الأمريكية اسمهما

17 . رسالة ريد لويس الى الطربس في 12 شتنبر 1887

18 . رسالة ريد لويس الى الطربس في 4 شتنبر 1888

19 . رسالة ريد ليويس الى الطربس في 8 يناير 1888

20 . هذا الرجل والذين بعده وردوا في لوائح غير مؤرخة ، ولعلهم كانوا محميين قبل سنة 1891

21 . رسالة الطربس الى غريط في 18 ربيع الاول 1305 / 4 دجنبر 1887 ، محفظة الطربس 11

كين سفيرلينك و كوتس Keen Sterling و Coates (22) اللذين كان لهما سماسرة سيرد ذكرهم بمدن أخرى . وكانت هاته الشركة تستورد الجلود من طنجة الى جبل طارق ثم الى لندن ، ومن ثمة الى مرسى فيلاديلفيا ولم يكن نشاطها مقتصرًا على المغرب وحده ، بل كانت تشتري « البطانة » من الجزائر وتونس وغيرهما . وقد بلغت قيمة مشترياتها من المغرب سنة 1890/1307 مائة وخمسين ألف ريال (23) .

2 - 8 - يودا اشلومو قُرْباط و ابراهام بيمينطة و ابراهام سلامة و عيوش سلامة و يوسف طريدانو و ابراهام طريدانو و الحاج محمد بن العربي السوسي التلملي : ولم يعرف لمن كانوا سماسرة (24) ويحتمل أنهم كانوا في خدمة بعض المحميين الاستثنائيين .

ثالثا : المستوطنون

١ آيتون هـ. بيرديكاريس : Ion H. Perdicaris

وهو من أصل يوناني ، ولد بأثينا حيث كان أبوه قنصلا أمريكيا ، ثم تجنس بالجنسية الأمريكية (25) وأقام بطنجة سنوات طوالا حتى بداية القرن العشرين ، حين أسره أحمد الريسوني هو وصهره كرومويل فارلي Cromwell Varlay سنة 1904 ، وطلب لتخليصه فدية مالية .

وكانت سكنى آيتون بالمعادي . ولما أراد اشتراء جنان الكراوي ، طلب أن يؤذن للعدول بكتابة رسم البيع والاشهاد له ، ولكن باشا طنجة رد

22 رسالة ريد لويس الى الطريس في 15 يوليوز 1887 ، محفظة المغرب الولايات المتحدة

23 . رسالة مانيوز الى الطريس في 10 رجب 1308 / 19 يبرابر 1891 ، نفس المحفظة

24 . وردت أسماء هؤلاء في قوائم غفل ، نرجح أن تاريخها هو حوالي 1891

25 . جريدة « طايمز أوف مراكو » الانجليزية ، عدد 19 يونيو 1886

عليه أن تلك الأرض مغروسة ، ولذلك فهي أرض للمخزن (26) . وذلك هو ما بلغه الطريس لنائب أمريكا يعلمه بالمنع من الشراء والاشهاد (27) .

وقد كان فعلا « قد اشترى ثلاث قطع أخرى من الأرض بطريق السواني ، تجاور أجنة الانجليز وغيره من الأجناس ، وطلب من العامل تنفيذ العدول للاشهاد » . ولكن السلطان أمر في النهاية بعرض الرسوم على الشرع ، فان ألفاها مسئلة ، يأذن للعدول بالاشهاد (28) .

ومما يذكر عن بيرديكاريس أنه اشتهر بشهامته وأريحيته وثرائه ، وأنه لم يكن على أحسن حال مع فليكس ماثيوز ، فكان يندد بسياسته وبتصرفات المسؤولين الأمريكيين في تجارة الحماية . وعن ذلك ألف كتابين طبعهما سنتي 1886 و 1887 بمدينة لندن (29) . وكان له ولوع بالفنون الجميلة ورسم برشته لوحات زيتية لا تزال حتى الساعة قائمة الذات بالمتحف الأمريكي بطنجة .

وقد وقفت له على سمسار واحد بالقصر الكبير وهو عبد الرحمان بن أحمد اليعقوبي ، صهر الحاج عبد السلام الشاوش الجزائري ولكن ذلك لم يدم طويلا ، اذ عزل عن السمسرة له قبل 15 مارس 1886 . وكان له سمساران آخران بفاس هما الحاج محمد شلال وأحمد القندوسي .

2. أدامس : Adams

لم يعرف من اسمه الا هذا الجزء . وكان قد استقر بطنجة واشترى « داراً كبيرة بساحل البحر ، قرب ديوانة مرسى طنجة ، بقصد جعلها محلا

26 . رسالة عبد الرحمان بن عبد الصادق الى الطريس في 1 قعدة 1310 / 17 ماي 1893 ، محفظة الطريس 24

27 . رسالة الطريس الى القنصل العام في 2 قعدة 1310 / 18 ماي 1893 ، محفظة الطريس 24

28 . رسالة السلطان الى الطريس في 27 حجة 1310 / 12 يوليوز 1893 ، نفس المحفظة .

29 . جان لوي ميبج : « المغرب وأوربا » ج 1 ص 153 و ج 4 ص 154 (2)

للقمار يأتي اليه المولعون من كل ناحية من مسلمين ونصارى ويهود ...
وهذه الدار كانت قبْلُ مُعَدَّة لنزول الأفاقيين من الأجانب ، ولا زالت على
هذه الحالة» (30) .

ولم يعرف عنه أنه جعلها فعلا بعد ذلك داراً للقمار ، ولا أنه اتخذ
سماسرة .

3. هاري كارلطن II. Carlton

ورد ذكره مع خلطاء التجار الأمريكيين في القوائم الغفل من التاريخ ،
وكان يعيش بطنجة حيث كان له في هاته المدينة خليط واحد ، وفي غيرها
أيضا آخرون .

وكان يقوم بأدوار مختلفة سواء لدى المخزن أو لدى غيره ، فهو من
الذين رافقوا بعثة تعليمية مغربية الى الخارج للتدرب بمعامل وينتشيستر (31)
كما أنه كان يعمل لصالح الولايات المتحدة التي اتخذ جنسيتها ، ولو أنه من
أصل انجليزي .

الا أنه قبل الحرب العالمية الأولى كان عميلاً لشركة مانيسمان
الألمانية (32) .

4. الدكتور واد : Wood

جاء اسمه في نفس قوائم الخلطاء . فقد كان له شركاء عددهم II
بالغرب بقبيلة سفيان وقبيلة بني مالك .

والمظنون انه كان من المنصرين وانه كان طبيباً ، ولو لم نطلع على
نشاطه .

30 . رسالة الطريس الى السلطان في 23 حجة 1306 / 23 يوليوز 1889 ، محفظة
الطريس 16

31 . جان لوي ميج : « المغرب وأروبا » ج 4 ص 96

32 من تقرير مينار قنصل فرنسا بطنجة بتاريخ 15 دجنبر 1916

5. جاسپار ماثيوز : Jaspar Mathews

كان يعيش بالمغرب مع أبيه فليكس ماثيوز وقد تزوج بنت سفير البرتغال جوزيف دانييل كولاصو سنة 1886 وكان يخلف أباه وينوب عنه .

أقام زمناً بطنجة واتهم مثل أبيه بالاتجار في الحماية (33) وبعد عزل والده ظل مقيماً بالعرائش وبالمغرب وخاصة بإيالة سفيان ، حيث كان يتدخل ليفصل الدعاوي بين الناس وخاصة بين خوان Juan الصبنيولي ومحمد بن علي السفيناني الحارثي (34) ، وكان له من الخلطاء نحو 11 شخصاً من إيالة سفيان ومن شتوكة ومن مديونة والجديدة ودكالة ومكناس وبني مالك وذلك حوالي سنة 1891 .

كما كان له زرب جنان انتزعته المحلة عند دخولها لطنجة عام 1889/1307 ، ولما اشتكى من هذا الضرر أمر السلطان له بتعويض قدره 5050 ريالاً ، دفعت من دخل مرسى طنجة (35) .

المطلب الثالث : القناصل العامون

سأتحدث عن ثلاثة منهم : جيس ماك ماث ثم ويليام ريد ليويس واخيراً فليكس ماثيوز .

I. جيس ماك ماث

قدمت الكلام على أن هذا القنصل العام قضي بالمغرب 7 سنوات من 1862 إلى 1869 ، وأن محمداً الرابع قد وجه رسالة الشناء عليه عند نهاية مهمته ، مثلما تقضي بذلك الأعراف الدبلوماسية .

33 . رسالة من السلطان إلى الطريس في 26 جمادى الثانية 1301 / 24 أبريل 1881 ، محفظة الطريس 3

34 . رسالة المكي بن بوسلهام السفيناني إلى الطريس في 16 شوال 1305 / 26 يونيو 1888 ، محفظة الطريس 13

35 . رسالة السلطان إلى الطريس في 27 صفر 1307 / 23 أكتوبر 1889 ، محفظة الطريس 21

إلا أن هناك جوانب خفية من حياة هذا القنصل العام لابد من إبرازها
عن السلك القنصلي الأمريكي .

ففي سنة 1865 ، رُفعت طنجة بطلقات نارية استمرت عدة ساعات ،
وذلك أن ماك ماث كان يطوف بأرجاء المدينة صحبة راهب انجليزي ، طاردا
الكلاب يشبعها قتلا و إبادة ، وقد خول لنفسه هتك حرمة المنازل ، لتعقب
تلك الحيوانات ، فصرع كلبا كان الى جانب امرأة نفساء .

فما كان من الباشا الا أن احتج ودعا ممثلي الدول الى منع رعاياها
من تلك التسلية البشعة فلم يلق ماك ماث بالاً لذلك التحذير ، وتمادي
في عمله صحبة رفيقه في اليوم الموالي ، لكن خارج اسوار المدينة ، فقام
الرأي العام ضده واصفا إياه في ملصقات بجدران المدينة بأنه جلاذ .

ولما أعفي ماك ماث من منصبه سنة 1869 ، أطلق قبل ذلك إشاعات
سيئة في حق خلفه ماثيوز فنعتته بأنه ينتمي لأسرة جد متواضعة لأن أحد
أقاربه كان يملك قارب صيد بطنجة ووصمه في نسبه ، زاعما أن فليكس
ليس الا ابن سفاح (36) وذلك ما قصده بلا شك برغاش عند ما سيقول عنه
انه ليس من المنزل التي يستحق بها أن يكون نائبا عن أحد الأجناس الفخيمة
كجنسكم ... لأن ولاية رجل مثل هذا فيه نقصان للعز لأياتكم وياالتنا وفيه
نقصان في أعين الناس ، حسبما سيأتي الكلام عن ماثيوز .

وسأتحدث عن ريد ليويس وهو الذي كان معاً خلفاً وسلفاً لفليكس
ماثيوز .

2. وليام ريد ليويس

بعد عزل ماثيوز في المرة الأولى عين وليام ريد ليويس قنصلاً عاماً
للولايات المتحدة سنة 1887 ، لكنه لم يلبث أن تمادي على إعطاء الحماية حتى

36 . جاك كايي : « النوادر المغربية » ص 56 و 57

أنسى في ذلك سلفه ، ولم يكن ذلك ليخفى على الولاة ولا على الطريس الذي أكد ذلك للسلطان الذي أجابه :

«وصل كتابك شارحا فيه ما هو عليه نائب المركان من خرق القوانين والشروط ، وذكرت أنه ان اقتضى نظرنا الشريف جعل الحجة عليه بما يصدر منه من ذلك ، ويقبّح سيرته ، وإنهاء ذلك لدولته أو تقريره بجمع مدريد ، فعَلَّتْ وصار بالبال ، فنعم اجعلها عليه بذلك وانتهى لدولته » (37) .

أما النزاعات التي كانت له مع السلطات فترجع بالأساس ومن جهة أولى ، الى الشطط في الحماية ، والى قضية مال الفابور Favor التي حدثت له مع وزير الخارجية محمد المفضل غريط من جهة ثانية ، والى شجاره مع سلطات المرسى في حيازة السلاح من جهة أخيرة ، وهي التي كانت سببا مباشرا في عزله .

2. 1 - التهديد والشطط

كان ريد ليويس قبل ذلك بشهرين قد وجه لوائح المحميين ، ورفع عددهم الى 54 ، دون بيان موجب حمايتهم ، فلما ردتها اليه نيابة طنجة أعادها اليها كما هي ، فأرجعت اليه ثانية ولكنه ردها اليها مضيفاً فيها 5 أشخاص «دخلوا في حمايته حديثا ، وأخبر في كتابه أن جملة أولئك الناس 60 مستخدمون له خاصة ، يَحْسَب أنه حيث نسبهم لخصوص خدمته لا يطالب ببيانهم ، واستند في ذلك الى الفصل الثاني من وفق مدريد ... وهددنا في كتابه المشار اليه بأننا اذا لم نوجه اليه ، غَدَ تاريخ كتابه قبل غروب الشمس ، بالمكاتب الى العمال ليكونوا على بال من حماياتهم المقيدة ، أنزل سنجق

37 . رسالة السلطان الى الطريس في 5 جمادى الثانية 1305 / 18 يبرابر 1888 ،
محظظة الطريس 12

بلادہ ولا یرفعہ الا بعد وصول القوة البحرية القادمة بأمر دولته ، فتجبرنا على الخضوع لمطالبه ، وأجبناه على ذلك بما اقتضاه تأمل الشروط ...» (38) .

ولكن تهديده باستجلاب القوة البحرية ، وتلويحه بقطع العلاقات ، لم يكونا ليرهبنا المخزن ، وكل ما آلتا اليه أنها جعلته مسخرة أمام النواب كما سنرى :

«قدمنا ما دار بينك وبين قونصو المركان في قضية زمام أهل حمايتهم وغيرها ، وكنا أعلمنا مولانا بأنه هدد باتيان القوة البحرية ، وأعلمنا مجادتكم بتواتر خبر ورود مركبين حربيين من دولته يوم 12 شهر التاريخ ، والى الآن لم يصل ، والى الآن لم نتحقق هل كان ذلك منه مجرد سفسطة أم لم تساعد دولته ... وكل النواب استخفوه فيما صدر منه واستغفلوه في تلك المطالب ...» (39) . السلطان أيضا لم يأبه لذلك عند ما قال :

«وأما المركبان ، فاذا وردا فبيّنْ لِكبيرها عَجْرَه وبُجْرَه ، وامضِ معه على ما ذكرت » (40) .

وبعد ذلك بأسابيع حل مركب حربي ببعض المراسي ، وكان المخزن على حذر منه ، وكان يكتب للعمال والأمناء بالانتباه الى الفرثاظة الأمريكية ، وفعلوا وردت « لمرسى الجديدة وأقامت بها 3 أيام ، وأظهرت علامة العيب بعدم تسليمها على البلاد على العادة ، وبطلوع البنديرة بسنجقها سوداء » وتوجهت « لنواحي مرسى العدوتين والدار البيضاء وأمرنا مولانا أن نكون

38 . رسالة محمد الزكاري الى السلطان في 9 جمادى الثانية 1305 / 22 يبرابر 1888 ،
محفظة الحماية القنصلية

39 . رسالة الزكاري الى غريظ في 16 جمادى الثانية 1305 / 29 يبرابر 1888 ، محفظة
الطريس 12

40 . رسالة السلطان الى الزكاري في 22 جمادى الثانية 1305 / 6 مارس 1888 ،
محفظة الطريس 12

منها على بال اذا وردت للمرسى والأخذ بالحذر وأن لا نغتر ، فان الحاضر بصير « (41) .

واشتد الخلاف بين لويس وبين المخزن في قضايا الستين محميا كالمنشور الذي وجهه عامل طنجة لنواب الدول يقترح فيه في سيرة ريد الويس ، ومثل ثلاث دعاو أخرى هي : دعوى الحاج محمد شلال بفاس ودعوى العباس العوفير المسجون على يد الشرع بالرباط ، ودعوى ابن الجيلالي المسجون على يد عامله بالدار البيضاء (42) .

أما في قضية الستين محميا ، فكان المخزن يريد معرفة « مراتب خدمتهم » مع ريد لويس ، وآل الأمر الى لجنة تحكيم ، فاختار المغرب ألمانيا للنيابة عنه فيها ، واختار القنصل العام سفير إنجلترا أولا ، ثم سفير فرنسا أخيرا (43) .

لكن فيما يتعلق بالدعاوي الأخرى ، عين السلطان عدة مندوبين لفصلها بما يقتضيه القانون وكان منهم العربي المنيعي والحاج محمد القباچ المكنى الفرنصوي والحاج عبد الكريم الغنمية ، وقد أمرهم (44) العاهل - بعد أن يتصفح عدلان بطنجة الرسوم - ألا يقبلوا إلا من كان محميا قبل عام 1875/1292 وأن يستبطنوا مواجب هاته الحماية التعسفية الستين (45) .

41 . رسالة السلطان الى محمد الجراري ، وجواب الاخير في 16 و 17 شعبان / 28 و 29 أبريل نفس المحفظة

42 . مسودة محضر اجتماع الزكاري ولويس في 28 شعبان / 5 ماي ، محفظة الطريس 13

43 . رسالة الى سفير ألمانيا في 4 رجب 1305 / 17 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

44 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 رجب 1305 / 30 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

45 . رسالة غريط الى الزكاري في 23 جمادى الثانية 1305 / 7 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

2. 2 - قضية مال الفابور

وأغرب ما في أمر ممثل دولة كبرى أنه كان يفضّل أن تفصل دعاويه ومطالبه الشخصية قبل مطالب دولته ، وقبل دعاوي المحميين وقضايسا اتجار بلاده القليلين ، وكان من تلك الدعاوي الشخصية طلبه قبض 15 ألف ريال بيده من يد الوزير محمد المفضل غريط ، قبل مغادرة مكناس حيث كان في وقت ما (46) وذلك في قضية سميت قضية مال الفابور التي لم يرد عنها تفصيل مستفيض .

على أنه كان له معينون آخرون مثل تراجمته اليهود الثلاثة : ابن زرقين وابن زكار والرامون الزوكي وترجمانه المشرقي محمد المصري ، وكان أولهم «أقبح من القونص» ، وأشد طمعا من أشعَب» ، وكان المخزن لا يثق بترجمته (47) .

ولما عظم شبطه فكر السلطان في توجيه سفير الى الولايات المتحدة لاطلاع رئيسها على « حال هذا النائب وما يحاوله من خرق القوانين » (48) ولما بلغ ذلك الى علم الحكومة الأمريكية أوفدت الكاتب الأول لسفارتها بمديره للبحث عن حال قنصلها العام ، ولا سيما في قضية مال الفابور آنفة الذكر ، وكان الكاتب مصحوبا بالترجمان ابن زرقين ، لكن المخزن ، وعلى الأخص وزير الخارجية ، كان يعلم « أن لا غرض لهم في البحث عن حال المذكور وانما الغرض عندهم هو الطمع واقتراح الأمور الخارقة » (49) .

46 . من موجب عدلي بتاريخ 27 رمضان 1305 / 8 يونيو 1888 . محفظة الطريس 13

47 . رسالة غريط الى الطريس في 22 رجب 1306 / 24 مارس 1889 ، محفظة الطريس 15

48 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 رجب 1305 / 26 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

49 . رسالة غريط في 22 رجب سالفة الذكر

وكذلك الشأن في بقية أعوان القنصل العام الذين كانوا - أو كان بعضهم على الأقل - « يسبون الاسلام وأهله السب الفادح الذي لا يقدر أحد أن يتفوه به ». وما كان لأمر خطير كهذا - ان صح كله أو بعضه - الا أن يهز المشاعر المؤمنة هزا ، فوضعت بذلك الواجب العدلية . ويصور القضية أحدُها بأن هؤلاء الأربعة أتوا الى دار الوزير غريط بمكناس ، وصاروا يدقون بابه دقا عنيفا ، ولما فتح لهم صاروا يقولون : « ... والله لَيَهْدَنَّ هذا الغربَ دولةَ مَرَّكان بالمدافع والكور هداً ! وردوا الهدية التي أنعم بها عليهم مولانا نصره الله » (50) ، وكان من جملة الشهود هاري ماك لين ، حسب موجب آخر (51) .

2. 3 - حيازة السلاح قسرا

وقد زكمت الأنوف من سوء سيرة لويس لا في المغرب وامريكسا فحسب ، بل حتى في فرنسا ، حيث كان السفير الأمريكي بباريس يعترف بأن قنصل أمريكا العام بطنجة رجل ظالم (52) .

وكان ختام أمره والسبب المباشر المحتمل لعزله هفوة من جملة هفواته : اذ ارسل أحد الأمريكين الى مرسى طنجة لحيازة صندوق ، فيه 10 مكاحل و 6 كوابيس ، شاهرا بيده بطاقة الحيازة الممضاة من لدن القنصل العام (53) . ولما منع الأمناء هذا الشخص من حيازة السلاح أظهر لهم كتاب القنصل فأخذوا منه البطاقة وعرضوها على الطريس ، وفي نفس الوقت بلغ

50. من الموجب العدلي الاول الموضوع بمكناس بتاريخ 21 رمضان 1305 / 3 ماي 1888 ، محفظة الطريس 13

51. هذا الموجب مؤرخ في 27 رمضان 1305 / 9 ماي 1888 ، محفظة الطريس 13

52. رسالة العربي أبارودي الى غريط في 4 شوال 1305 / 14 يونيو 1888 ، محفظة فرنسا المغرب

53. رسالتا أمناء مرسى طنجة عبد الرحمان بن المكي العيسى ومحمد بن الممثل بن جلون ومحمد العربي الخمال في 18 و 23 ربيع الثاني 1307 / 12 و 17 دجنبر 1889 ، محفظة طنجة 3

الخبر الى القنصل الأمريكي فاستشاط غيظا وذهب بنفسه الى المرسى ليأخذ صندوق السلاح قهرا .

فاستغل الطريس غلطة من كان يدعوه «المتهور» ، وأعلم المخزن بالحادثة ثم أبرق الى وزير خارجية أمريكا بالاسترعاء على افتيات قنصلها العام وسوء سيرته ، طالبا إقالته . وبعد مدة قصيرة نشرت الصحف نبأ عزله نهائيا (54) ، وصار روبيرت ستوكر ينوب عنه الى أن رجع ماثيوز الرجوع الثاني في يوليوز 1890 .

وأختم بالاشارة الى أن ريد لويس من مواليد مدينة فيلاديفيا سنة 1860 ، وانه كان شابا في الثامنة والعشرين من عمره ، قليل الدراية بالعوائد المحلية . وفي ماي 1888 قرر الذهاب الى قصر السلطان بمكناس في مهمة ، ولكنه سافر راجلا ، ذهابا وإيابا ، الى طنجة . ذلك أنه لما لم يكن قادرا على ركوب الفرس ، حمل في محفة على ظهر بغلين ، فأصابه الدوار . وللغد حاول امتطاء ظهر حمار ، فلم يفلح ، فأخذ يمشي راجلا . وكان دخوله لمكناس ، بلباس مدني وعلى الأقدام ، مثار تعاليق شتى في الأوساط المخزنية والشعبية التي قالت إنه جاء راجلا يطلب صفح السلطان عما صدر منه بعد الأحداث التي وقعت بينه وبين المخزن (55) والتي سبق الكلام عنها .

وكان تاجرا في الحماية ، سلم لترجمانه عددا من البطائق البيضاء الموقعة ، حسبما سنرى أمثلة ذلك في الدار البيضاء .

وأخيراً كان لريد لويس بعض المعرفة باللغة العربية على ما يبدو . ومع ذلك كان يبعث برسائله الى المخزن بالانجليزية فقط ولكنه في الأخير بدأ يوجهها بالانجليزية وبالعربية بخط ترجمانه محمد المدعو المصري .

* * *

54 . رسالة الطريس الى السلطان في 19 جمادى الثانية 1307 / 10 يبرابر 1890 ،
محفظة الطريس 17

55 . جان لوي ميج : « المغرب وأروبا » ج 4 ص 356 (4) وجاك كايي « النوادر
المغربية » ص 59

3. فليكس ماثيوز

ولد بمدينة طنجة سنة 1834 ، وبها مات سنة 1899 ، وأصله من كاليفورنيا . كان بحارا من سنة 1852 الى سنة 1857 ، كما كان استاذا ومنقبا بكاليفورنيا من 1858 الى 1869 . وفي أبريل من السنة الأخيرة عين قنصلا لبلاطه بطنجة ثم قنصلا عاما (55) .

وكان نشيطا في توزيع المناشير الصهيونية المكتوبة باللغة العبرية لدى الأوساط اليهودية المغربية ، وقد تعاون تعاوننا وثيقا مع ليثي كوهين صاحب جريدة «ريفي دو ماروك» وممثل الجمعية الأنجليزية اليهودية Anglo-Jewish Association بانجلترا ، ومع مجلس المندوبين الأمريكيين العبرين بالولايات المتحدة : Board of delegation of American Hebrews

وقد نُعت ماثيوز بأنه كان أكثر الدبلوماسيين فسادا في القرن الماضي (57) . وقد جمع من منصبه أموالا وملك عقارات وأراضي فلاحية . بقي فليكس ماثيوز يمثل الولايات المتحدة الأمريكية بوصفه قنصلا عاما مدة عشرين سنة في فترات متقطعة من 1869 الى 1893 أطولها من 1870 الى 1887 . كان ضابطا برتبة عقيد ، وكان من الذين شاركوا في الحرب الانفصالية التي دارت رحاها بين شمال الولايات المتحدة وجنوبها (1861 - 1865) ، ولعله أصبح جنرالا حوالي 1890 مثلما كانت تدعوه بعض الوثائق المخزنية والديبلوماسية ، ولو أنه مثل ريد لويس كان كثير السفسطة يهدد باستجلاب الأسطول الحربي ولاسيما سنة 1884 لما قال : « فان كان الفرنسيين عنده الفورسة ، فحتى أنا كذلك أو أكثر منه » (58) ، وذلك لما ألزم أحد المحميين

56 . ميج : المغرب وأوروبا « ج 1 ص 140 وهنري ده لامارتينيير « ذكريات » ص 135

57 . عبد الحميد لطفى : « العلاقات المغربية الأمريكية في القرن التاسع عشر » بملحق ألومنيون المغربية في 27 دجنبر 1981 في تعليق له على أطروحة دينيس فليبس عن « الوجود الأمريكي بالمغرب من 1880 الى 1904 » التي نوقشت بجامعة ويسكونسين سنة 1972
Dennis Philips : «The American Presence in Morocco : 1880 - 1904»

58 . رسالة ماثيوز الى بركاش في 24 ربيع الثاني 1301 / 22 يبرابر 1884 ، محفظة بركاش

الأمريكيين بأداء حقوق الأبواب ، في حين أعفي من ذلك أحد المحميين الفرنسيين بتطوان .

وقد بدأ عمله بالمغرب وهو لا يزال صغير السن مع جيس ماك ماث ، وكان مولعا بالقنص وذلك ما قاله في رسالة للسلطان : « لما قدمت من بلادي صغير لشعر طنجة ، لاتخفاكم ولاعتي بالصيادة » (59) .

ولما عزم ماك ماث على الرحيل نهائيا من المغرب ، رشحه ليخلفه ، فرد عليه برقاش الذي كان بدون شك يعرفه برسالة « على وجه السر » : « إن هذا الرجل مطيوس هو خلق وتربية بطنجة ، وهو من بعض الناس القاطنين الذين ليسوا من المنزلة التي يستحق لها حتى يكون نائبا عن أحد الأجناس الفخيمة كجنسكم ... لأن ولاية رجل مثل هذا فيه نقصان للعز لأياتكم وإياتنا ، وفيه نقصان في أعين الناس » (60) .

وهكذا يبدو أن المخزن لم يكن راضيا عنه لأسباب وجيهة لاشك أنها فقدان المروءة والأخلاق الحميدة . ولذلك قررت الحكومة الأمريكية استدعاءه ، وكتب السلطان في شأنه الى الجنرال أوليوسيس سمن كرانط (61) رئيس الولايات المتحدة يخبره بأن ماثيوز « قد قام بما رشحتموه له وكلفتموه به ... » (62) .

ولكنه ما عثم أن أصبح بعد ذلك قنصلا عاما لبلاده وصدقت فراسة برقاش في سوء سيرته واتجاره في الحماية . وفي ذلك قال السلطان في رسالته الى برقاش :

59 . رسالته في متم جمادى الثانية 1310 / 18 يناير 1893 ، محفظة المغرب أمريكا

60 . رسالة برقاش الى جيس ماك ماث في 22 جمادى الثانية 1286 / 29 شتنبر 1869 محفظة المغرب أمريكا

61 . كان كرانط U. S. Grant رئيسا من سنة 1868 الى 1876 . وكان زعيم الشماليين وقد ولد سنة 1822 في بوينت بليزانت ومات سنة 1885

62 . رسالة السلطان الى الرئيس كرانط في 22 شوال 1286 / 25 يناير 1870

« قونسو الماركان الذي بطنجة لا زال على اعطائه الحماية للناس من غير قانون ... فبوصول كتابنا اليك ، افرغ جهدك للتلطف في كفه عن ذلك وحصره ، حتى تحوز منه تقييد المحميين عنده ليقع البحث فيهم ... » (63) .

ولا شك أن بركاش تلتطف أكثر من اللازم مع ماثيوز الذي لم يكن يكثر لذلك ، عندما أسبغ حماية دولته على أكثر من مائة شخص ، ولما كُلم في ذلك قال انه مجرد وشايات كاذبة :

« ... بعض الناس ذكر أن لي في الحماية أكثر من مائة رجل وكلهم تجار ... وأنا حسب ما هو في الورقة من 30 الى 40 ، داخل في ذلك الخلائف وخدامهم وخدام الدار وخدام العراصي ... وأنت تعرفني ، لا نقدر نعمل أمرا خارجا على القانون ، لأنه أنا دائما وأبداً عندي الشرطيات في يدي » (64) . وكان المخزن يرد له بعض المطالب الطفيفة أو المهمة ، مثل ما وقع له في 7 نونبر 1891 عند ما كان يريد حيازة « صهاريج كانت بدار الدباغ بطنجة ليجعلها اصطبلا لدوابه » .

وكان بركاش والطريس يرفضان له في الغالب الأسماء التي كان يقترحها ، وخصوصا اذا كانت الحماية غير مصحوبة بموجبات منحها ، ولكنه كان يصر على التمسك برأيه ، فيركن الى الفصل السادس عشر من معاهدة مدريد الذي يجيز للدولة المتعاقدة تخويل حمايتها لمن قدموا لها خدمة استثنائية ، ولم يكن للخدمات الاستثنائية مدلول محدد ، وذلك كان هو الباب الذي تسرب منه هو وغيره ، ومع ذلك لم يكن في سنة 1884 عدد المحميين يتجاوز 37 شخصا حسب رسالة السلطان الى الطريس :

63 . رسالة السلطان الى بركاش في 29 جمادى الثانية 1293 / 22 يوليوز 1876

64 . في « الوثائق » ج 4 ص 439 رسالة ماثيوز الى بركاش في 18 صفر 1295 / 21 يبرابر 1878

« وصل كتابك بتوجيه نائب المركان لك تقييد أهل حمايتهم — محصورين في أهل المدن والثغور وجميعهم سبعة وثلاثون ، وسفره هو وولده لبلادهم بقصد التصييف بها ... » (65) .

وبقي على حاله ، وقامت عليه قائمة المخزن و « كثر فيه الطعن لدى دولته ، ووصلها من سوء سيرته ما حرك غضبها عليه ، ولم ترض بسماعه . وقد وجهت نائبها ببلاد قالص من اسبانيا بقصد البحث في أمره ، وقد حضر لدينا وحقق عندنا ما يمكن تحقيقه ، كما أحلناه على الأمناء في تحقيقهم له ما يمكنهم ، فيما يشاع عنه لدى دولته من اشتغاله بالكطربنض بمرسى طنجة ، فاجتمع بهم وحقق عنهم ذلك ، وتلقى من نصارى وغيرهم في قضايا ليست بخافية ... » (66) . وقد أوفدت الحكومة الأمريكية القنصل د . هـ . إنغراهام : D. H. Ingrarham ليبحث في عين المكان التهم التي وجهها اليه الأمريكي بيرديكاريس (67) وعابها عليه المخزن . وكان مجيء القنصل من قادس الى المغرب للتحقيق فيما اتهم به من تهريب ومضاربة قد أثر عليه فكتب الى الطريس يشكره على حسن شهادته فيه أمام القنصل . ومع أن ماثيوز كان يعلم أن المدح الذي كاله إياه إنما كان على سبيل المجاملة ، فقد طلب منه أن يوجه اليه هذا المديح كتابة تزكية له :

« وبعد فغير خاف عن سيادتك أن أحداً تكلم في جانبي أنني نتعرض على الحق ، وسيرتي غير حسنة الخ ما تكلم به . وقد كنت عندك مع القونصول الوارد من قالص ، في شأن ذلك وشافهناك ، وما قصرت في جانبنا ، جزاك الله خيراً وأطال عمرك ! ولا يخفاك ، أيها المحب ، أن ذلك نستحقه كتابة ، فالمطلوب من سيادتك أن تجيبنا بذلك جواب خصوص الأحبة ... » (68) .

65 . رسالة السلطان الى الطريس في 10 رجب 1301 / 5 ماي 1884 ، محفظة الطريس 4

66 . رسالة الطريس الى السلطان في 27 ربيع الثاني 1303 / 2 يبرابر 1886 ، محفظة المغرب أمريكا

67 . جان لوي ميج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 154 (4)

68 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 14 جمادى الأولى 1303 / 18 يبرابر 1886 — محفظة المغرب أمريكا .

ولا شك أن هاته القضية وغيرها كانت من الأسباب التي حملت أمريكا على عزله . وقد بدا رضا السلطان وارتياح الحكومة الأمريكية من اقالته ، لأن المقصود من العلاقات المغربية الأمريكية « هو دوام الصداقة ورسوخها » كيفما كانت سيرة الواسطة . وذلك هو عين ما أكداه العاهل في رسالته الجوابية الى الرئيس كليفلاند :

«... و آفنى حضرتنا الشريفة مسطوركم بأنكم أمرتم فليكس مطيوس قونصوكم بايالتنا السعيدة بالرجوع لأرضه ، وأنكم كنتم أمرتموه بالسعي في الخير وفيما تزداد به المحبة بين الجانبين . وإعلام جانبنا العالي بالله بأن المرجو منكم هو ثبوت المحبة ودوامها بين الايالتين ، فذلك هو المعتقد فيكم ، والمعروف منكم ، ومن حسن سيرتكم قديما وحديثا ، سواء بلفسه الواسطة وعمل بمقتضاه أم لا ... » (69) .

وهكذا ما لبث الرئيس الأمريكي أن أقاله من القنصلية العامة ، وعين مكانه ريد لويس الذي سار في الواقع مثل سيرته ، حتى عزل بعد ثلاث سنوات ثم اسندت الى روبرت ستوكر شؤون القنصلية العامة بطنجة لمدة قصيرة : وما كادت ولاية رئيس انولايات المتحدة تنتهي ، حتى عاد ماثيوز مرة أخرى « الى المغرب بعد أن عينته دولته » (70) في منتصف 1890 ، الى أن أعفي في أواخر سنة 1893 ، وأعلن الطريس « أن دولته زادت في مرتبته وأنه كان يريد بالتوجه للأعتاب الشريفة وأنا ب عنه ولده هشبر في ذلك » (71) .

69 . رسالة السلطان الى الرئيس كليفلاند في 11 شعبان 1304 / 23 أبريل 1888 ، نفس المحفظة ، وقد تولى ستيفن كروفر كليفلاند S. G. Cleveland رئاسة الولايات المتحدة من سنة 1885 الى 1889 ثم من سنة 1893 الى 1897 ، وهو من مواليد 1809 وتوفي سنة 1908 .

70 . رسالة الطريس الى السلطان في 21 شوال 1307 / 10 يوليوز 1890 - محفظة الطريس 18 وربما كانت الزيادة في المرتبة هي الترقية الى رتبة جنرال .

71 . رسالة الطريس الى السلطان في 1 حجة 1310 / 16 يوليوز 1893 - محفظة الطريس 24 . وكانت آخر رسالة عثرت عليها منه الى السلطات المغربية مؤرخة بفتح ربيع الثاني 1311 / 12 أكتوبر 1893 ، وأول رسالة من خلفه باركلي الى المخزن كانت بتاريخ 16 رجب 1311 / 24 يناير 1894 .

وختاما أشير الى أن ماثيوز ، لما عاد عودته الثانية في أبريل 1890 ، أتى بأشياء جديدة . فقد وجه للسلطان رسالة يخبره بأنه قد مرت أربعة قرون على اكتشاف القارة الأمريكية ، وفي رسالة أخرى طلب مشاركة المغرب في أحد الإنمعارض بالولايات المتحدة بتقديم المصنوعات المغربية فيه ، مقترحا أن يكون موريس إيليسيبي مندوبا لجناح المغرب ، ولكن المخزن رفض تلك العروض ، سيما وأن الممثل المقترح كان من اليهود .

وكان القنصل العام يتعرض لحملات انتقادية عنيفة في صحافــة الخارج وصحافة طنجة مثل « التايمس أو ف مروكو » و « المغرب الأقصى » كما تحدث عن نشاطه معاصروه مثل الفرنسي هنري ده لامارطينيير (72) .

ومن تلك الحملات ما كتبه الصحفي الفرنسي كيرديك ده شيني عنه لوعن الولايات المتحدة اذ قال في رسالة منه الى المخزن : « اجعلوا امريكا في جيبكم وفوقها منديل . سيقدم الكولونيل ماثيوز أوراق اعتماده المزعومة ، لقد فكر في ذلك منذ أمد بعيد ، لكي يكسب المال في قضايا « باء » وغيرهم الذين هم أرذال ، قبل أن يطالبه الرئيس كـ ... الذي هو رجل نزيه بتقديم الحساب عن تصرفاته .

« ان ماثيوز يرتعد فرقا ، وليس قويا في منصبه . ابنه الذي يرتدي يفاس لباس أبيه (يالها من مهزلة !) سيحاول ان يُفزعكم لكي تسددوا له الحساب عن الديون الدميمة .

« كونوا حازمين ولا تعملوا شيئا بالأقوال ، الكل بالكتابة ، واذا حدثت فضيحة ما ، فوجهوا لي على عجل بالمعلومات لكي أنشرها بالجريدة التي بقيت لي بطنجة وفي جرائد باريس ولندن :

72 . «ذكريات عن المغرب» ص 135 وما بعدها

«من الذي يعمل من أجلكم بقلبه

وعقله ومعاركه ، والذي يحبكم» : (73)

أ. ده كيرديك شيني A. de Kerdic Cheny

عاد ماثيوز الى المغرب كما ذكرت ليواصل سلوك نفس التصرفات ، لا مع المغاربة فحسب بل حتى مع الأجانب . فقد حمى شخصا من جنسية فرنسية صدرت عليه أحكام في بلاده بتهمة النصب والاحتيال ، وادعى ماثيوز أن ذلك الشخص أمريكي وليس فرنسيا فمكنه ماثيوز من الهرب من المغرب بالرغم من احتجاج باطنوطر وزير فرنسا وغضبه (74) .

كما أنه حمى عبد الرحمان اليعقوبي من مدينة القصر ، بدعوى أنه سمسار للأمريكي أيون برديكاريس الذي أنكر معرفته به ، وكان اليعقوبي متهما بقتل شخص عمدا حسبما ستأتي أخبار ذلك في محلها .

وينبغي أن يضاف الى هاته الحماية مافعله مع أشخاص متابعين أمام القضاء ، وهم أبناء الحاج العربي بوقنيطير الحريزي الذين قتلوا خمس إماء تركها لهم أبوهم بعد وفاته ، بعد أن ظهر أن أحدهم اشترى صك الحماية من قنصل أمريكا بالدار البيضاء جون كوب بمبلغ 400 ريال ، كما سترد حكاية ذلك بهاته المدينة .

ولما انتهت مأموريته في أواخر 1893 لبث مقيما بطنجة حتى توفي بعد ذلك بخمس سنوات ، وظل على حاله ، فزعم سنة 1896 ان مغربيا سطا له في منزله على رسوم عقارية ، فطالب المخزن بتعويض يساوي مبلغه مبلغ الملكية نفسها ، فما كان من السلطات المغربية إلا أن أجابته متهمكة ، وبالرفض طبعا بقولها : « الحمد لله على أن العقار نفسه مازال في محله لم يتلف مثلما تلفت الكواغد والرسوم » ووقفت المسالة عند هذا الحد (75) .

73 . جان لوي مبيج : « وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن التاسع عشر » ص 205 . ويبدو أن هاته الرسالة الغفل كتبت في النصف الأول من سنة 1890 . فاما الرئيس «ك» فهو كليفلند ، واما قضايا «B» فلم أقف على مدلولها ، وصاحب الرسالة صحافي فرنسي غريب الأطوار ، عاش بالمغرب في أواخر القرن التاسع عشر .

74 . جاك كايبي : « النواذر المغربية » ص 58

75 . نفس المرجع ص 59

ملحقان

ونتهي الكلام عن الولايات المتحدة وقنصلها العام ماثيوز بملحقين هما قضية القيسي وقضية عبد السلام الحلو .

الملحق الأول - قضية القيسي :

وهي عبارة عن طائفة من المراسلات تتعلق بها وضمنها مساجلات كلامية بين ماثيوز وبين الوزير محمد برقاش ، تبين من جهة قوة عارضة الجانبين في الخصام ، ومن جهة أخرى تلقي بعض الأضواء الكاشفة على حياة القنصل العام ماثيوز وسيرته .

I . قال في رسالة الى برقاش : « ... وبعد فظهر لي من اليوم الأول الذي نزلت في هذه البلاد وعدم السعد يجري عليّ فيها . فأول مرة أظهروا عليّ الباطل واحتجت كلفة عليه ورجعت الى مركة وبقيت فيها ستة أشهر وبعد ذلك أتيت لهذا بالفورسّة في يدي من عند المخزن متاعي » .

وبعد أن عدد السرقات التي نكب بها سواء في أملاكه وأمتعته وأمواله ، أو في أدوات عمله (الطوابع) ، قال إنه لم يستطع أن يقنع الحكام بالقبض على الذين « سرقوا لي من داري ما كان عندي مجموع فيها في خدمتي مدة من ثلاثين سنة ، وذلك يُقَوِّم عندي بمال كثير ، جمعته من جميع البلدان ، حيث كنت خداما فسّياناً في أحد فَرَاطِط دولتنا السعيدة ، وما جمعته في هذه البلاد مدة من أربعة عشر سنة » .

أما الذين يتهمهم فهم المسمون العربي الذي « اعترف بأنه سرق هو وبوكوآبس والقيسي من الفسّينة عدد كبير من السكة القديمة ، وسكة هذا الوقت ، ذهباً وفضة وعدداً من المال وطابع المخزن

متاعي طبعوا به عددا من الكواغيد زورا « أما عن « القيسي الذي باع لأخيه كاغيد الحماية من الكواغد التي طبع بالطابع المزور ثمنها خمسمائة ريال » فقد قال إن عبد السلام السربوت ، خليفة باشا العرائش لم يقتصر على رفض شكايته فقط بل سرح المتهم من سجنه .

وختم بقوله « والآن رأيت المخزن غض عني الطرف وكان من حقه أن يقوم لي متاعي ، ويشد العضد في دعوتي ، كما هو اللازم عليه ... فاني هاته المرة لا تقدر أن نسامح في متاعي أصلا مُتَصِلًا لأنه كل شيء له حد . وإذا لم يقوم لي في متاعي ، نحتاج نكتب لمخزن دولتنا السعيدة ، ونعلمه بالواقعة من أولها الى آخرها ، ونطلب منه أن يوجه لنا قرسانا متاع الكثرة ، ويبقى هنا حتى تتفصل دعوتي » (76) .

2 . وقد رد بركاش على رسالته هاته وعلى أخرى قبلها مؤرخة في 8 ربيع الأول بجوابٍ طويل ومنه نقتطف ما يلي :

« فأما إشارتك أن الفاعلين الذين بالسجن وهم بوكوابس والعربي والقيسي كانوا خدامين عندك ذكرت أن الأمر بخلافه ، وأن الذي كان خداما هو بوكوابس والى الآن لم يثبت عليه شيء . وإنما دفعته للمخزن لأن الباشا طلبك به واسترعى عليك »

« فأما كونهم كانوا خدامين عندك أم لا ، فالناس من أهل البلد يعرفون من كان خداما من غيره . لكن يدلنا على أنهم كانوا خدامين عندك ما كنت شافهتنا به من أن هاته السرقة وقعت في مدة ثلاثة أشهر منذ غيبتك للمفيرة بالخزيرة .

« وأما قولك إن بوكوابس لم يثبت عليه شيء الى آخره فغير خاف عنكم انه مقيد عندكم في زمام الحماية فما موجب دفعه للعامل ؟

76 . من مائوز الى بركاش في 7 ذي الحجة 1299/20 نونبر 1881 - محفظة بركاش .

وسجنه ؟ فهل اذا ادعى بدعوى على أحد عندك فى زمام الحماية ولم تكن تلك الدعوى ثابتة عندك وطلب منك العامل واسترعى : تدفعه ؟ لا ، ويجعل فى السجن مع عدم ثبوت الدعوى ؟ لا . . .

« وأما قولك على القيسي إنك لا تعرفه ولا هو من حمايتكم ، فقد تعجبنا من ذلك سألنا ولدك والخليفة الترجمان ابن زرقين فأخبرنا خليفتم بالعرائش بأنه كان كتب له بأنه أراد جعله كاتباً عنده

« وأما قولك إنه لو كان فى الحماية لم يسرق الطابع فالذي ذكرت فى كتابك تاريخ 7 ذى الحجة أنه إنما طبع الكواغيد المزورة لبيعها للغير لا ليحتمي بها هو . . .

« وأما قولك إن المخزن هو المقلد بكل ما تحت يد المخزن كما هي العادة فالمرجو منك أن تبين لنا ما هو مرادك لأن جعلك التقليد على المخزن ومدافعتك على السراق مخالفة لما ذكرت وثبت عندك ، يلجئنا الى هذا السؤال

« وأما قولك إنك تعرفني : عندي من نتشاور معه ويعطيني الرأي الجميل ، فالحق ظاهر واضح ، فلا نحتاج الى الجواب عن ذلك لأنك جرحتنا به . . .

« وعليه ، نطلب منكم أنه غدا فى ساعة 12 من النهار ، تحضر أو تبعث عندنا من ينوب عنك ، ليحضر فى سؤالنا للقيسي بمحضر اثنين من العدول . ولما تقع الشهادة يضع الحاضر من قبلك خط يده معهم .

« وأما قولك على الدعاوي الماضية التي انقطعت مادتها منذ إزمان فما من أمر يكون لك الحق فيه إلا ويقع الوقوف فيه وحيث ذكرت أنك تبحث على ذلك فى المحل الذي تعطى فيه الحقوق فذلك شهيتنا ، لأن فى موضع الحق كل أحد عنده ما يقول . وأما ما ذكرت من أنه كان بيني وبينك عهد وشروط ، فبين لنا هذا العهد وهذه الشروط ما هي ؟ فان كان

عهد المحبة كوزير للأمور البرانية لحضرة السلطان مع نائب دولة الماركان
فنعم ، وذلك واجب وما كنا نظن أننا نبليغ الى هذا المبلغ في هاتيه
القضية ، حتى تصير تذكر لنا الكلام الذي يُغَيَّر

«وقبل أن نتم هذا الكتاب ، يجب علينا أن نبين لكم استغرابنا أنك
تكتب لنا بالعجمية والعربية وتُنزل خط يدك في المكتوب : بالعجمي ،
مخالفة للأصول الجارية التي تبعثها دائما الى الآن ، فنحن لا نلتفت إلا للمكتوب
العربي » (77) .

3 . أما جون هي دروموند هي سفير بريطانيا العظمى ، فله رأيه أيضا
في ماثيوز وفي قضية القيسي ومن معه . فقد كان ذكر قبل ذلك في رسالة
سرية الى محمد بركاش سنة 1880 ما يلي :

«..... فواحد من هؤلاء المحميين اسمه القيسي ، هو معروف سارق
للبقر ، مشتهر بذلك . وحيث هو في حماية المركان ، الظاهر لنا أن القائد
عبد الصادق لم يزعم بقبضه .

«وقت جوازنا على الشرارضة ، فواحد من أهلها أسمه بوجمّع
طلب منا الاعانة ، حيث ذكر أنه خلّص على الحميّة لقونس' المركان
بواسطة صاحبه أبي كوابس 50 ريال على الحميّة . وبعد ذلك ، فعامله لم
يقبل تلك الحمية ...

«هذا أبو كوابس - كما غير خاف عليكم - إنه في خدمة المركان ،
بقصد الوقوف على بلادات الحرث التي له في بعض المواضع من هذه الايالة .

«والظاهر لنا ، اذا يصدر البحث في هذا ، يوجد أن نائب المركان
يدخل ويتوسط فيمن لم يكن تحت حمايته قبل ، ويحمي كل أحد ممن هو من
هذه الرعاية الذين هم في خدمته وفي خدمة خدام تقوّ نصوّات في أمر

77 . رسالة بركاش الى ماثيوز في 28 ربيع الاول 1300/6 يبرابر 1883 - محفظة بركاش

«الفلاحة . فالظاهر لنا أن هذا الأمر يحتاج الى البحث فيه : حيث اذا تترك
الحمية وهذا الدخول - على وجه الحيلة - في حكم الولاية يدوم ويفعله الغير
من دول الأجناس بكثرة ، كما يفعل نائب المركان ، فهذه قضية الحمية لا يكون
فيها دواء » (78) .

4 . ومثل ذلك قاله عنه لاديسلاس أورديكة ممثل فرنسا فهو يرى أن
ماثيوز لم يكن يرمي الا الى الاثراء بالمغرب ، فيدخل اليه سلعا ثمينة لا يؤدي
عنها حقوق الجمر . وكان في ذلك ضرر على بيت المال ومصالح التجار .

وعن التهديد بالأسطول لارضاء المطالب الشخصية ، ولا سيما في
قضية القيسي قال ممثل فرنسا المذكور ان مبلغ السرقة المزعومة لم يكن
يتعدى 3,000 أو 4,000 فرنك ، في حين أنه ألزم أداء 150 ألف فرنك ثم تنازل
الى 1000 ألف فقط كما سنرى .

على أن أحد الديبلوماسيين قال بعد ذلك بثلاث سنوات إن هذه
المطالب مجرد اختلاق وافتيات لا ينطوي على أصل من الحقيقة . وقد جنى
من ذلك أرباحا طائلة ، وانتشرت أخبار الفضيحة . وكان الجميع ينتظر عزله
لولا أن الرئيس كرانط أنقذه لأنه كان تحت إمرته خلال حرب الانشقاق (79) .

5 . وثمة رسالة من السلطان الى محمد بركاش ، ولها علاقة بسرقة
دار النائب الأمريكي وقد جاء فيها بالحرف :

«وبعد وصلنا كتابك الثاني في شأن سرقة نائب المركان والنسخ
الثلاث من كتابيه لك فيها ومن جوابك له عنهما وتصفحت ، فاذا بالتي له
منها والواصلة على يدك قبلها هي هي لم تخل مما تضمنته الأولى من التلوي
والتلوين والروغان والعدول عن الحق وعدم الانصاف والاذعان ...

78 . رسالة جون هي الى محمد بركاش في 31 ماي 1880 ، محفظة المغرب بريطانيا

79 . جاك كايي : « النوادر المغربية » ص 56

«نعم يتعين عليك الكلام فى ذلك مع الدولة بواسطة من ظهر لك من النواب وشرح حقيقة القضية لها قبل أن يقلبها الخصم ويخلط ويلبس ويشعّب الدعوى ليتمكن منها مما يريد فيها فان مثلك لا يخفى عليه من أين توكل الكتف» (80) .

وقد وصلت هاته الرسالة بواسطة رسالة أخرى بعثها الوزير الصدر تنحو نفس المنحى وهي مؤرخة قبلها بيومين (27 ربيع الثاني) .

6 . وكانت قضية سرقة داره وما نتج عنها من التهديد بطلب إرسال «القرسّان متاع الكريّة» أو ما كان يسمى «الشكّو دُرّة» (الأسطول الحربي) قد أرعبت بركاش فكتب رسالة الى السلطان يذكر فيها أن «ذلك حقيقة ، لما تَخَبَّرْتُ به من الشكودرة التي تجتمع بقصد المرور بطنجة ، وأعلمنا سيدنا - أيده الله - أننا لا زلنا نَسْتُخِيرُ الله فى هذا الأمر ، وأن المخايل لا تُعْجِبُ ، وأنا فى حيرة عظيمة حيث جعل للجواب ثلاثة أيام ولتمام الفصل واحداً وعشرين يوماً وتحقق عندنا مساعدة دولته له ، وتخوفنا من حدوث ما تلزمنا بسببه الملامة» .

وأضاف بركاش أن ماثيوز قد طلب «ترضية قدرها خمسة وعشرين ألف ريال مع فائدتها ، من يوم أشهدتها على القيسي ، أحد السراق ، وجميع المصاريف التي صرف على هذه الدعوى هنا وبالمركة : خمسة آلاف ريال . فلم نزل نلاطفه فاستحيى» (81) . ثم اتفقا على أداء 25 ألف ريال ، دفع منها 16000 ، وبقي 9000 يؤجل الى ستة أشهر (82) .

* * *

80 . رسالة السلطان الى بركاش فى 29 ربيع الثاني 1300/9 مارس 1883 - محفظة بركاش

81 . رسالة بركاش الى السلطان فى 22 رجب 1300/24 ماي 1883 - محفظة بركاش .

82 . وذلك ما مجموعه مائة ألف فرنك المذكورة سابقا أي ما يعادل 25 ألف ريال

الملحق الثاني - قضية عبد السلام الحلو .

هاته النازلة كانت من أسباب عزل فليكس ماثيوز عن القنصلية العامة ،
تبودلت فيها رسائل بينه وبين الحاج محمد الطريس ، تشبه في جملتها ما كان
بينه وبين برغاش .

فقد فضح الحلو القنصل الأمريكي بتقاضيه بالرشوة وتلقي الهدايا ،
كما تعرض فيها لولاية فاس واتهمهم بنفس التهمة ، وسنرى فيها من الافادات
الكثيرة عن سياسة ماثيوز وسلوكه .

كان عبد السلام بن محمد الحلو محميا لأمريكا بفاس ، ثم لما جرد من
الحماية التجأ الى مفوضية إيطاليا ، طالبا ضمانتها أو حمايتها . وعنه وردت
عدد من الرسائل سنتقطف شيئا منها حسب التدرج التاريخي ، أولا بأول :

قال الطريس لفليكس ماثيوز :

I . «محميكم عبد السلام الحلو عليه دعوى لولد من فاس ، كان وصيا
عليه ، وأكل له ماله وجميع ما خلف له أبوه . فنطلب منكم إما أن تلزموه بأعمال
الشرع معه في ذلك ، وإما إخراجه من الحماية . . . » (83)

فأجابه ماثيوز :

2 . «كنت أخبرتنا بذلك في الماضي ، وكتبنا للمدعى عليه ليتوجه
للشريعة ، وهو جاء لطنجة ولم يمثل . وقد كثرت عليه الشكايات لدينا كما
ذكرت ، ووجهنا عليه مخزني من السدار ليقابل من يشتكي به ، فلم يجده ،
ويظهر أنه خفي نفسه من الحكم . فنطلب منكم البحث عنه ، وإخراجه أين
ما كان ، وتوجيه كتاب لعامل فاس بالقبض عليه إن حل بفاس ... » (84)

83 . رسالة الطريس الى ماثيوز في 12 قعدة 1303/12 غشت 1886 - محفظة المخرب
للولايات المتحدة .

84 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 12 قعدة أيضا

فقد كان عبد السلام بالفعل منذ 10 غشت بدار المفوضية الإيطالية بطنجة ، كما سنرى من رسالته التي سيرد نصها في آخر هذا الفصل . ولذلك لم يعثر عليه المخزني . فطالب الطريس ماثيوزَ بنزعه من الحماية وبتسليمه في رسالته اليه في اليوم الموالي وهو 13 غشت فرد عليه ماثيوز في نفس اليوم :

3 . «وصلنا كتابك المؤرخ في 13 من الجاري ، طالبا إسقاطه من لِسْطَة حمايتنا الخ اعلم أننا لا حاجة عندنا بالمذكور ، سوى قبض حقوق الناس المدعين عليه بالفسينة . وإذا سلّم في الحماية ، لا تعرّض لنا في ذلك . لكن جميع الدعاوي الواقعة عليه في الحماية لا بد من فصالتها في الفسينة حسب شروط مدريد بالفصل الخامس منها» (85)

ثم أضاف في رسالة أخرى :

4 . «هذا الرجل كثرت به الشكايات بهذه الفسينة ، وكثير منها بدّئتُ : من جملتها دعوة الرجل الذي وجهتَ لنا ولا يخطر ببال أن رجلا محميا ، عليه دعاوي بدأت ، وقبل تمام الحكم فيها ينزع نفسه . ألا ترى أن رجلا من رعية السلطان - نصره الله - عليه دعاوي ، وقبل تمام الحكم فيها طلب الحماية : هل تسلم أنت حمايته أم لا ؟ وهذا هو المقرر في شروط مدريد .

«وما ذكرتَ بأن هذا الرجل إن كان عندنا نُمكنك منه : لم نفهم له معنى . لأنني كتبتُ لك أولاً وثانيا ، وذكرت لك بأنك تأمر الولايات بالبحث على هذا الرجل وقبضه وتوجيهه لهذه الفسينة ، حتى يُتِمَّ دعاويه . وإن ظهر لك بأن لا بد من الدولة المراكشية أن تباشر دعاويه إن سلّم في الحماية فوجهه معه أحد عن جانبك يحضر معه في الحكم ، ويكون تنفيذ دعاويه على يدك .

85 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 13 قعدة

«وإن أردت إحداث قانون جديد ، خارج على ما هو مرسوم بشروط
مدير ، فلك النظر . إنني لا قدرة لي على منعك في أحداثه راجيا منك
الجواب » (86) .

واستمرت هذه المجادلة الفقهية في تفسير القانون بين الرجلين ،
فقال الطريس :

5 . «راجعنا الفصل المذكور من شروط مدير مطالعة تامة ونصه :
«والمحميون الذين تنحوا من الحماية ، وعليهم دعوى مبدية قبل خروجهم من
الحماية ، فدعواهم يكون الحكم فيها في المجلس الذي بدئت فيه» . وعليه ،
ففلح ونجدد على أن عبد السلام المذكور لم يبق عليه تصرف لأحد سوى
السلطان - نصره الله - وولاته قطعا . نعم الدعوى المبدوة عليه قبل تاريخ
اعزل نفسه ، وهو يوم الجمعة II قعدة ، تتم بفسينتك ، على أن نوجه لها إن
قبض عليه على يدنا ، ونوجه معه أحد أعواننا ليحضر معه بالفسينة » (87) .

وكان جدال ماثيوز ينحو منحى الشريعة عندما أجاب النائب السلطاني
عن الرسالة السابقة بقوله :

6 . «ظهر لنا من كتابك أنه لما كان الحلو المذكور أخبرك بعزل نفسه
من الحماية كان قدّم تاريخ كتابه . لأن الكتاب الذي أخبرتنا بعزل نفسه
مؤرخ في 17 من الجاري . ولو كان عندك الخبر بعزل نفسه قبل ذلك التاريخ
لأعلمتنا كما هي عادتك . وفي تاريخ 15 من الجاري ، تفاصل في دعوى كانت
له بالفسينة . والمقصود عندنا من هذا كله أنه رجل متعدي ، ويسمع كلام من
لا خلاق له ، وغاية نشطنا أنه يحضر أحد من جانبك وقت الحكم
بالفسينة . . . » (88) .

86 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 17 قعدة

87 . مسودة جواب الطريس الى ماثيوز في 23 قعدة

88 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 25 قعدة

وقد سلم ماثيوز عبد السلام الحلو الى المخزن بعد ذلك ، وعنه قال
القنصل العام :

7 . «دفعنا لك عبد السلام الحلو ، وتراه كتب كتابا لسائر النواب ،
وذكر لهم أنه دفع لنا عشرة آلاف ريال ، وبيده مكاتب منا بالفرمة والطابع .
وقد توجه عليها رقاصا ، وأتى له بمائتي كتاب وتسعة عشر كتاب ، حسبما
عدها بيده العدلان . وعليه ، فالمطلوب منك أن تحضر الرجل بين يديك ،
وتأمره باخراج المكاتب المذكورة ، ليظهر منها ما زعمه . إني لا نريد الحضور
معه ، ربما يقع له بعض الحياء . نعم وقت حضوره تعلمنا لتوجه أحدا من جانبنا
الذي نشيق به أنا وأنت ويحضر معه لديك . . . » (89)

كانت التهم التي ألصقها عبد السلام الحلو بالقنصل الأمريكي جد
خطيرة . ومع أن التاجر الفاسي طلب اللجوء الى دار المفوضية الإيطالية ولدى
سكوفاصو ، لكن هذا الأخير ، وهو عميد السلك الدبلوماسي ، شجع ماثيوز
على متابعة الحلو أمام القضاء غير أن الكولونيل رفض ذلك . وبعد شهر
قليلة جاء نبا عزله (90) .

ولا شك أن الحكومة الأمريكية كانت على علم ببعض تلك الاتهامات ،
فجاء قائد الأسطول الأمريكي الى طنجة لاستطلاع الخبر . فقال في ذلك
ماثيوز مخاطباً الطريس :

8 . «حيث وردت الفرغاطة أخبرت الكميندانت بالواقع في دعوة
عبد السلام الحلو ، وبما نسبته لنا ، وقيد جميع ذلك ، بقصد اخبار الدولة .
ولكن حيث كانت عنده الأشغال بجبل طارق سافر [من] هنا ، وطلبني نرسل
له هناك ما تحصل من الدعوة والمقصود من ذلك ، عنده وعندنا ، أن
نوجه له جوابك بالنفي أو الاثبات لما نسبته لنا بنفسنا » (91)

89 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 5 حجة 1303 / 4 شتنبر 1886

90 . جاك كايي : «التوادر المغربية» ص 59

91 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 9 حجة 1303 / 8 شتنبر 1886

وكان المخزن قد قرر عرض الحجج التي ادعى بها الحلو على لجنة التصفحها ، وحاول القنصل العام معرفة النتيجة ، فكتب الطريس في شأن ذلك برسالتين واحدة في 26 محرم والأخرى في تاريخ فاتح ربيع الثاني 1304 وعن ذلك أجابه الطريس ، حسبما يبدو من هاته المسودة المضطربة :

9 . «ورد كتابكم تاريخ I ربيع الثاني ، سائلا عن المواجه التي دفع لنا الحلو : هل فيها حجة عليك أنت نفسك أم لا ، فأعلم أن تلك المكاتب التي دفعها لنا الحلو تصفحناها ولم يوجد فيها خط يدك بتعمير الذمة بشيء (92) مما ادعاه عدا (93) وجد فيها كتابكم بغير متيكم أحدهما ورقة الحماية له ولأخيه ، والثاني الاعلام بشركائه ، وهم أناس ثمانية ، وباقي المكاتب بفرمة جنابكم (94) وبعضها بفرمة خليفتم في المكاتب التي كانت دائرة بينهم وبينه في التجارة . وسنتصفحها ويُفصل أمرها على وجه الحق ..» (95) . وتحرق القنصل العام شوقاً لمعرفة نتيجة التحقيق لما قال :

10 . «في يوم التاريخ ورد علينا كتاب من دولتنا الفخيمة وبطيئه عدد من نسخ المكاتب التي ذكر للدولة أنها منسوخة من المواجه التي تحت يدك وطلبت أن نبحت في القضية ونخبرها عن النسخ المذكورة هل هي حقيقة أو فيها بعض الزيادة والنقصان .

«وعليه فالمطلوب من سيادتكم أن تعين لنا وقتا لمقابلة ذلك النسخ مع الأصل الذي تحت سيادتكم لنجاوب الدولة» (96) .

92 . هاته العبارات المغلطة وردت في المسودة أولا ثم شطب فوقها وكتبت عبارة « فيها لخط يدكم » عوضا عنها .

93 . شطب فوق هاته الكلمة وعوضت بلفظة « نعم »

94 . شطب فوق هاتين الكلمتين

95 . مسودة جواب الطريس الى ماثيوز في 9 حجة 1303/8 شتنبر 1886

(96) . من ماثيوز الى الطريس في 5 ربيع الثاني 1304/1 يناير 1887

وكانت دعوى عبد السلام الحلو كما نرى سببا في عزل ماثيوز في شهر يناير 1887 ولما عين ريد لويس في شهر مارس الموالي ، وجه حوله الرسالة الآتية :

II . « بلغني أنه مسجون لديكم بمكناس رجل يدعى عبد السلام الحلو من فاس ، ومن رعايا حضرة الامام الشريفة ، وأن سجنه كان على يد القنصل الأمريكي هاهنا منذ بضع شهور . وكوني بحثت عن أمره بدفاتر وأزمنة القنصولات ، ولم وجدت عليه علة يستوجب عليها الإبقاء في السجن ، فافتضى النظر أن أسأل الحضرة الشريفة إطلاق سبيله حيث يعود لطنجة بمتعهدا للحضرة السنية بأني لا أجعل للمذكور حماية . . . » (97) .

وقبل أن أورد رسالة عبد السلام الحلو الى وزير ايطاليا بطنجة ، أود أن أشير الى أن الحلو كان طلب من الطريس أن يعمل على إسقاطه من حماية أمريكا (98) ، وأن عبد السلام كان له نزاع مع منحيم بن قسيس المحمي الأمريكي بطنجة ، وأن الحلو لما كان ملتجئا الى دار يون برديكاريس الذي اكان يكن عداء لماثيوز ، جاء المخازنية لاعتقاله بمنزله (99) يوم 3 شتنبر 1886 .

أما لجنة تصفح مواجب الحلو ضد ماثيوز التي كانت حاضرة عند استنطاقه أمام الطريس ، فكان من أعضائها نيابة عن أمريكا :

— محمد بن عمرو العوامي كاتب القنصلية

— وإدموند تشارلطن Edmond Charleton

— والقبطان تشارليز جون روليسطن Ch. J. Rolleston الذي كان ترجمانا بالقنصلية البريطانية (100) .

97 . من ريد لويس الى غريط في 24 جمادى الثانية 1304/20 مارس 1887

98 . رسالة عبد السلام الى الطريس في 14 قعدة 1303/14 غشت 1886 — محفظة الطريس 8

99 . رسالة يون بيرديكاريس الى الطريس في 3 شتنبر 1886

100 . من رسالة بالفرنسية في 9 شتنبر 1886/10 ذى الحجة 1303 — محفظة الطريس 8

I2 . محمد بن سليمان كان مكلفا بتصفية الدعاوي وخصوصا الأمريكية ، فقال معقبا بعد ذلك على اعتقال الحلو ، وفرح الناس بذلك إن « المدعين يترادفون على تقييد دعاويهم على الحلو . ولا تسأل عن فرح الناس خاصة وعامة بهذا البلد ونحن في غاية الانتظار لدخول هذا الفاجر لهذا البلد في كبّله ، وهذا ما يمكن شرحه لكم من غرائب هذا الظالم أخذه الله » (I01)

وكان الحلو « قد وجه في كبّله من طنجة الى مكناس » (I02) .

ولم أقف على نهاية هاته القضية (I03) ولم أعلم كم لبث عبد السلام في السجن ، وسأورد رسالته على أغلاطها وعلى ما فيها من حق أو باطل ، وبها أختتم هاته القضية التي شغلت المخزن زمنا طويلا وعصفت بممثل إحدى الدول الكبرى لكن الى حين .

قال عبد السلام الحلو مشتكيا من ماثيوز ومن السلطة المحلية بفاس أيضا لدى سكوفاصو :

I3 . « أنا عبد السلام الحلو الفاسي وقع له وقيع كبير . واليوم كَنُطَلِّب من المخزن الطليان يقف معي لكوني كنت أمين بفاس وعملي (عمل لي) الحيلة الباشا متاع فاس (I04) وقبضني في السجن وقبض مني سبعة وعشرين مائة ريال ظلما وعدوا وتعديا ، وبعد ذلك أيضا قبضني في السجن وقبض مني أربعة وعشرين مائة ريالا .

101 . رسالة محمد بن سليمان الى الطريس في 16 حجة 1303/15 شتنبر 1886 - محفظة الطريس 8 .

102 . رسالة السلطان الى الطريس في 24 ربيع الاول 1304/21 دجنبر 1886 - محفظة الطريس 8 .

103 . هناك رسالة بمحظة الطريس 13 بتاريخ 3 شوال 1305/13 يونيو 1888 تتحدث عن وفاة الأمين الحفاج عبد السلام الحلو فجأة ، لكن لا ندري هل هذا الميت هو نفس المحمي المذكور .

104 . الباشا في ذلك الوقت كان هو عبد الله بن احمد البخاري المتوفى سنة 1887

«وحيث رأيت هذا الظلم ، قدمت لعند الباشا وطلبت منه يسقطني لكوني قلت له : عِنْدَ رسوم على الناس من قبال البيع والشراء ، وطلبت منه يكتب لي لعمال البادية يقفوا معي حتى نتخلص فدفعت للباشا مائتين ريال ، ولكاتبه ثمانون ريالاً على تلك المكاتب ، وقدمت لطنجة وتلاقيت مع قنصل المركان فليس مَطْيُونَس ودفعت له أربع مائة ريال مع شراييل بسقصلي (بالصقلي) عدد 16 ، مع قطعة وأربعة حياك حرير وعشر بلاغي عمل فاس ، وعطاني ورقة وأني سمسار واحد من الفسينة . وبعد ذلك بأيام صار يوجه لي على أمور وسررتُ نَقْدَمُ برجلي ونعطي ونوجه مع الحمارة وغيره ، حتى أخرج من يدي عدداً من المال ، قدره عشرة ألف ريال فأكثر . وعندي تَحْتِ مكاتب من الفسينة بخط اليد القنصُول والبشادور ، منهم المطبوع والفرامة : والآل كَنَخَافُ على نفسي ، إلا نَزَوَّلُ الحمية يعمل لي المركان فليسُ شي حيلة حتى ندخل للسجن ونَكْزُولُ العَصَّ ، مثل ما وقع لولد القيصي ، الذي كان يطلب الحمية . مهمي جَدَّدُ في طلبها قالوا له : سرق فسينة القنصُول المَرَكَّان .

«والآن اليوم كنخافُ على نفسي ومتاعي . ومن هذا الأمر وغيره كنطلب من المخزن الطليان يقف معي ، وكنطلب منه يكتب لسلطان الغرب نصره الله يُسامحني على تلك الحمية التي قبضت من المركان ، وكنطلب منه أيضاً يحميني ويتهلاً فينا .

«ومثل هذا الكتاب كتبت له لجميع جنُوس الروم » (105)

في 10 قعدة 1303 هـ

الامضاء : عبد السلام بن محمد الحلو

105 . الرسالة يطابق تاريخها 10 غشت 1886 ، وهي مكتوبة بمقر المفوضية الإيطالية وخطها قريب من خط جنطيلي ترجمان السفارة

4 : انجلترا

تصميم هذا الفصل يتكون من أربعة مطالب هي :

1 . السلك الدبلوماسي

2 . الموظفون والقناصل

3 . المحميون والسماسة والمستوطنون

4 . السفراء : جون هي وكربي كرين واوان سميث

* * *

المطلب الأول : السلك الدبلوماسي

تولى تدبير شؤون هاته الدولة قناصل ووزراء كان أولهم ابتداءً من

1830 :

1 . إدوارد ويليام أريول دروموند هي

E. W. Auriol DRUMMOND HAY

الذي خلف الميجور جيمس دوغلاس J. DOUGLAS في القنصلية العامة بطنجة ، من سنة 1929 حتى وفاته سنة 1845 . وكان لادوارد هذا خمسة من الأبناء هم : طوماس الذي كان ينوب عنه أحيانا في بداية الأمر ، وفرانك الذي كان لفترة ما قنصلا لبلاده بتطوان ، وروبرت الذي كان نائب كاتب الدولة البريطانية في المستعمرات بلندن ، وجيمس دي ثيم وكان قنصلا بتطوان (1857) ، وبالرباط (1866) ، وجون الذي خلف سنة 1845 أباه دفين جبل طارق (I) .

2 . جون هي : وظل يمثل بلاده بوصفه قنصلا عاما ، ثم وزيرا مقيماً من سنة 1845 الى 1886 .

3 . وليام كربي ثرين

وهو الذي خلف جون المُحال على التقاعد ، وذلك سنة 1886 الى وفاته بالمغرب سنة 1891 .

4 . تشارليز إيوان سميث

ولم يطل مقامه بالمغرب الا حوالي سنتين .

وسياتي كلام خاص عن هؤلاء السفراء الثلاثة الآخرين .

5 . ويست ريدجوي West RIDGEWAY

وكان «مبعوثا خاصا في مهمة مؤقتة» ، وهي أن يربط مع الحكومة المغربية العلاقات الودية التي كانت من قبل قائمة بين البلدين . وكان السير ريدجوي دائبا لكاتب الدولة في شؤون إيرلاندة ، كما كان من سنة 1860 الى 1889 ضابطا بالجيش (2) .

وكان أيضا أحد أعضاء مجلس الملكة الخاص . وقد نجح في إبادة السحب التي خيمت على العلاقات المغربية البريطانية ، بسبب تصرف إيوان سميث ، وتبادل الهدايا والتحف مع السلطات المغربية . وهكذا أهدى للطريس مِرآة ، عند ما بعث اليه في منتصف 1893 رسالة التوديع (3) ، بعد أن مكث بالمغرب حوالي ستة أشهر .

2 . المصدر السابق ج 4 ص 277

3 . رسالة التوديع تحمل تاريخ 24 يوليوز 1893/10 محرم 1311 ، وأول رسالة له كانت في 25 رجب 1310/13 يبرابر 1893 — محفظة المغرب بريطانيا

6 . إيرنست ماسن ساطو Ernest MASON SATOW

الذي كان وزيرا مقيما بمونطيببيدو ، بالأرغواي (4) ، قبل أن يصل الى المغرب في شتنبر 1893 .

* * *

المطلب الثاني : القناصل والموظفون

أما المساعدون لهؤلاء السفراء فكان منهم :

1 . فريدريك كارستنس F. CARSTENSEN الذي كان موظفا بالمفوضية بطنجة سنة 1855 ، ثم نائبا قنصليا بها سنة 1857 ، ثم بآسفي والصويرة سنة 1855 ، حتى مات سنة 1873 بهاته المدينة (5)

2 . هـ. ل دوبويس H. L. DUPUIS

وهو ابن تاجر بريطاني استقر بالمغرب سنة 1840 . وكان كاتباً للقنصلية بطنجة ، واقتُرح ليكون وكيلا قنصليا بمراكش (1866) ، ولكنه عين نائبا بتطوان ، وفي سنة 1869 عين بالدار البيضاء (6) .

3 . جيمس ده قيم هي J. de Vismes Hay

شقيق جون هي ، وكان كاتباً خاصاً له مدة خمس سنوات وقنصلاً ببعض المدن ، كما تقدم ، وكان يعرف اللغة العربية والفرنسية والاسبانية والاطالية والألمانية .

4 . طوماس پيلاوز ريد Thomas PELLOWES READE

ناب عن السفير منذ سنة 1859 ، وقام بأشغال القنصلية بطنجة .

4 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 278

5 . المصدر السابق ج 1 ص 84

6 . المصدر السابق ج 1 ص 103

وفي سنة 1864 عين قنصلا بالقاهرة ثم بقادس ، وبعد ذلك بازمير وتونس ، وكانت وفاته في سنة 1885 (7) .

5 . هوراس وايط Horace WHITE

وكان قنصلا وناثبا عن جون هي ، بعد أن دبر قنصلية بلاده بإيطاليا وبيروت وقبرص ، وأحيل على المعاش في أكتوبر 1885 . وكان يشرف على شؤون بلجيكا ثم على قضايا النرويج والسويد . وهو من مواليد أكسفورد سنة 1823 ، وكانت وفاته في أبريل 1901 بمدينة طنجة (8)

6 . هيربرت إدموند وايط Herbert Ed. WHITE

ابن هوراس سابق الذكر . وقد خلف أباه في القنصلية ، ولكن الأب كان ينوب أحيانا عن ابنه (9) . وظل يعمل سنوات طويلة منذ سنة 1882 ، حتى استقال في أكتوبر 1921 (10) .

7 . س ن إيليوط G. N. ELIOT

كان مساعدا لايوان سميث . وقد أمر السلطان بمعاملته «بما تقتضيه المحبة والمودة الخاصة الموروثة خلفا عن سلف» (11) .

7 . «الوثائق» : ج 4 ص 202 ، ومبيج «المغرب وأروبا» ج 1 ص 158 و ج 2 ص 384 (4)

8 . المصدر الأخير ج 3 ص 207 (2) و ج 1 ص 176

9 . رسالة جون هي الى الطريس في 13 محرم 1303/22 أكتوبر 1885 - محفظة المغرب بريطانيا .

10 . ابراهيم شحاتة حسن : «صدى الشرق في تاريخ المغرب عام 1921 : لوحة تاريخية من الوثائق البريطانية» ، في مجلة «المناهل» العدد الخامس ، 1976 ص 323 .

11 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 جمادى الثانية 1310/10 دجنبر 1892 ، محفظة الطريس 23

8 . جيمس ده قيم ده بونطيوه J. de Vismes de Ponthieu

كان سنة 1890 ترجمانا ونائبا قنصليا (I2) . ولكن أعضاء السلك الدبلوماسي كانوا يعتبرونه موظفا خاملا ومغفلا (I3) .

9 . مانويل نويلا M. NOVELLA

منذ سنة 1869 كان ترجمانا وكاتبا بالقنصلية بطنجة (I4) . ويظهر أنه من أصل طارقي ، الا أنه كان يتعاطى التجارة فكان له سماسرة وشركاء من المغاربة ، وأخيرا كان من مصدري الثيران الى جبل طارق .

هاته إلمامة قصيرة بهؤلاء الموظفين ليس فيها حصر ، لكن كان بالمدينة موظفون مغاربة منهم المحميون الاستثنائيون والقنصليون .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والسماسرة والمستوطنون

كانت سفارة إنجلترا تتكلف بشؤون بلادها زيادة على مصالح الأباطورية النمساوية الهنغارية وهولاندة والدانمارك وأحيانا السويد والنرويج .

ومن أجل ذلك اختلطت في الوثائق المخزنية أسماء محمي هاته الدول في بعض الفترات ولا سيما حوالي 1880 ، فلم يتيسر التمييز في الانتماء الى هاته البلدان ، الا أن ابن زيدان أورد في تقييده الأول في «العز والصولة» أسماءهم مفصلة ، أسوقها نقلا عنه واقتباسا من وثائق أخرى .

I2 . رسالة ده بونطيوه الى الطريس في 17 ماي 1890 ، محفظة المغرب بريطانيا

I3 . ميبج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 278

I4 . رسالة جون هي الى الطريس في 31 دجنبر 1884/13 ربيع الاول 1302 ، محفظة المغرب بريطانيا .

وقبل ذلك ، أُشير الى أن بريطانيا العظمى كان لها سنة 1863 بمدينة طنجة 30 محميا ، منهم ترجمان واحد وكاتب واحد ومخزنيان و 26 مستخدما . منهم 10 للقنصل المحلي ، بينما لم يكن للقناصل بمختلف الشغور الا ترجمان واحد وثلاثة مستخدمين (I5) .

أولاً : المحميون القنصليون والاستثنائيون

أ - من التقييد الأول لابن زيدان (1880)

I - 20 : حاييم كسكاس (ترجمان) ، ومحمد بن يحيى (كاتب) ، وعبد السلام بن داود ، وعبد السلام حجوط ، وأحمد الهنية ، وحمدان ادريس ، ومحمد ولد خليفة ، وأحمد بن الشعائر ، ومحمد بن عزايـز ، وعائشة الدرقاوية ، وفريجة كويهن ، وأحمد المرابط ، وعبد السلام بن الحاج سعيد ، وعبد السلام ولد الحمياني ، ومحمد الـريفي ، وعزوز الـريفي السعيد ، وعبد القادر الـريفي ، ومحمد ولد المهدي ، والحاج أحمد العمارتي ، وبوجـمعة . . . (دون نسب) ، وكانوا أعوانا ومستخدمين .

ب . من التقييد ومن الزمام الانجليزي معا :

وهناك آخرون وردت أسماؤهم في التقييد الـزيداني وكذلك في وثيقة بريطانية ليست مؤرخة (I6) أدعوها الزمام . وسأقارن بينهما :

2I - 29 : الحاج علي العمارتي ، ادريس السعيد (في الزمام : اجواو) ، عبد الرحمان بقط (في الزمام : الحبـيط) ، أحمد بن علي (في الزمام : بوعلي ، من جامع المقرئ) ، عبد السلام (لم يرد نسبه ، ولعله هو عبد السلام

I5 . رسالة جون هي الى الحاج ادريس بن ادريس في 17 أبريل 1863/17 شوال 1279 . نصها عند محمد داود في «تاريخ تطوان» ج 6 ص 122 .

I6 . هاته القائمة غفل من التاريخ ، غير أن خط كاتبها يفيد أنها وضعت يوم حررت قائمة سماسرة سنة 1889 ، وقد جعلت لها ، من أجل ذلك ، هذا التاريخ على وجه التقريب ، واسمها الكامل «زمام الناس الذين هم في حماية الإنجليز من رعية مراكشة بطـنجة»

بوربكة المذكور في الزمام) ، محمد أقلعي (في الزمام : الحاج أحمد أقلعي) ،
أحمد ولد عبد الله ، كاتب (في الزمام : أحمد الفتوح ، كاتب) ، العربي الفردي
(في الزمام : الحاج العربي) ، شالوم كويهن ساعي بريد (في الزمام : كاتب)

ت : من الزمام المذكور (1889)

قبل أن أتم لأئحة المحميين ، أود أن أشير الى هذا الخلط
والاضطراب في الوثائق زيادة على إغفال ذكر النسب المميز والاقتصار أحيانا
على الاسم القبلي كالعمارتى والريفي والدكالي الذي لا يفيد شيئا لعموميته
وغموضه ، وأسماء المحميين التي سيأتي ذكرها قد تكون مكررة ، ولكني
أوردها حفظا للأمانة التاريخية وعددهم I2 ، زيادة على من سبق ذكرهم :

30 - 41 : عبد الرحمان بوجمعة ، والحاج عبد الله العمارتي وعبد
السلام الدكالي ، وقدرور الوهراني ، وأحمد ولد الحاج محمد الشرطي ،
وعبد الرحمان بن حادر ، وأحمد الجبلي ، ومحمد الأنجري ، ومحمد بن سعود ،
وسلام بن الديلال ، وأحميدو بن العربي ، ومحمد العمارتي ، وكلهم كانوا
أعوانا ومستخدمين .

ث - من غيرهما :

42 - دايد سكسو : كان سنة 1864 ترجمانا (I7)

43 - هارون ابنسور : كان سنة 1881 ترجمانا للسفارة (I8)

44 . ابراهيم يعقوب لاريدو : كان تاجرا محميا ، وكان يدعى
«الأنجليزي» تمييزا له عن ابراهيم لاريدو الرباطي ، وقد يكون أولهما هو
صاحب التقايد بالعربية عن التنجيم والفلك (I9) .

I7 . رسالة العربي بوشنتوف الى بركاش في 15 شوال 1280/24 مارس 1864 ،
محفظة بركاش .

I8 . ابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 447

I9 . محفظة الطريس 68

45 و 46 . **يوسف العسري وشلومو ابن عبو** : وهما أيضا تاجران محميان ، اتخذا سماسرة في بعض المدن كما سيأتي ذلك في موطنه .

وإضافة الى المحميين السابقين كان هناك آخرون سنة 1880 صدرت الوصاية عليهم من جهات شتى الى السلطات المغربية ، هذا الاستيلاء شبيه بالحماية ، كما قال جون هي عند ما تحدث عن فليكس ماثيوز وعن وصايته على الأشخاص ، حسبما تقدم ، وهؤلاء هم (20) :

47 . **محمد دادون** : نائب في التجارة عن 3 تجار من النجليز

48 و 49 **ومحمد الكوهن ومحمد الأزرق كذلك**

50 . **والحاج المكي بن عبد الله** نائب بوطالب الذي بجبل طارق ، ويبيده مال تجار الانجليز (21)

51 . **ومحمد بن عبد القادر بناني** ، بالتأكيد على الوقوف معه في تنضيض نقش الزليج المكلف به من قبل باشدور النجليز .

52 . **والحاج عبد الخالق بن شقرون** ، الذي كانت له شركة مع قنصل النجليز بالرباط (22) .

53 . **والذمي مخلوف الدوعي** ، هو نائب في التجارة عن تاجر إنجليزي

ثانياً : السماسرة

I - 3 . **شلومو برينطي و موسىس ليبي وسحاق كوهن** : ورد ذكرهم في زمام 1889 ، ولم يعرف لمن كانوا سماسرة .

20 . وعددهم سبعة أشخاص كما هو عند ابن زيدان في «العز والصولة» ج 1 ص 310 .

21 . ولا أدري هل الحاج المكي بن عبد الله والمكي بن عبد الله المذكور في ص 71 و 315 أعلاه شخص واحد

22 . وهو جون فروست : J. Frost

4 . **رفائيل بيمينطة** : كان سمسارا لمؤسسي لاريدو القاطن بلندن
(23) سنة 1891

5 . **الحسن بن ابراهيم السوسي** : سمسار لورثة اليهودي ليثي
كويهن بطنجة (24) سنة 1889 .

6 . **الحاج الحسن العمارتي** : سمسار جون مكينطوش :
J. Mackintosh القاطن بطنجة سنة 1889 ، وهو من تجار جبل طارق .

7 . **محمد بن الحاج محمد الفكاك السليماني** : سمسار أوخينيو
إميليانو E. Emiliano بطنجة سنة 1889 ، ولعل الأخير من جبل طارق أيضا .

8 . **يوسف سكسكو**

9 . **ومحمد أمقشد** ، وكانا سمسارين بطنجة سنة 1863 لهنري
مطيوس القاطن بالرباط (25) .

10 . **إسحاق ناهون** : كان نائبا لشركة اگراهام GRAHAM
من مدينة منشيسطر في استيراد السكر الى طنجة ، وقد ورد أن الأمين الحاج
أحمد بناني منعه من انزاله بالمرسى ، بعد أن كان قد أصابه خلل في عقله ،
فصار يدور في المدينة ويده كابوس ، ويصيح أنه ربح مائة ألف ريال من
خدمته بالمرسى (26)

23 . رسالة هربرت وايط الى الخريس في 5 يونيو 1891/26 شوال 1308 - محفظة
المغرب بريطانيا ،

24 . من لائحة المحميين العامة لسنة 1889 ، وقد ورد هو فيها مع الاثنين اللذين بعده .

25 . رسالة جون هي في 5 نونبر 1863 - محفظة الحماية القنصلية .

26 . رسالة هي الى غريبط في 24 مارس 1886/17 جمادى الثانية 1303 - محفظة
المغرب بريطانيا ، ينظر عن هذا الأمين الصفحة 221 أعلاه .

ثالثاً : المستوطنون

أصلهم من إنجلترا وجبل طارق وحتى من مالطة ، وقد سقت أسماء قليل منهم وازيد عليهم آخريين ، لكن دون الاحاطة بهم جميعاً .

١ . ريكاردو البارس Ricardo ALVAREZ

الغالب أنه طارقي اكتسب الجنسية الانجليزية ، وكان موظفاً باللجنة الصحية ، وقد اقترح كرسي كرين أن يوكل اليه اصلاح المركب «بَرْكُو الحياة» (أي سفينة الانقاذ) التي كانت الحكومة البريطانية أهدتها الى سلطات طنجة سنة 1884 «لتخليص الأرواح في ساعة الخطر» (27) ، بعد أن كان قد أسىء استعمالها وقيادتها .

2 . منويل البارس Manuel ALVAREZ

كان متهما بمقتل الشريف مروان العلمي ، وكانت السلطات القنصلية قد اعتقلته ، وكلف هربرت وايط بالتحري في القضية (28) ، بعد مطالبة السلطات المغربية بالاقتصاص منه .

3 . نيكولا داسوي N. DASSOY

كان يقيم بطنجة ، ولعله إنما كان يشتغل بالفلاحة حوالي 1894 ، وكان يريد اشتراء أرض حراثية ، فامتنع عدول طنجة من كتابة رسم البيع ، على إحداهم من عدم السماح للأجانب بامتلاك العقارات ، لكن السفير إيرنست سطاو تدخل في قضيته قائلاً :

«كان اشميدل وابراهيم سكسو وابن شمول وبيسان وزنكوط وبرديكاريس وباشدور البرطقيز وقنصل الماركان السابق جنرال ماطيوس وغيرهم من رعايا أجناس شتى ، باعوا واشتروا أرضاً حراثية بناحية

27 . رسالة كرين الى الطريس في 22 يناير 1889 - محفظة المغرب بريطانيا

28 . رسالة وايط الى الطريس في 26 شتنبر 1893/14 ربيع الأول 1311 - نفس المحفظة.

طنجة» (29) . ونوضح أن الأول هو قنصل النمسا ، والثاني ترجمان المفوضية البلجيكية والثالث هو حاييم بن شيمول والرابع وهو قانسان دافان D. Vincin وسيأتي عن الاثنين الآخرين حديث مع فرنسا .

4 . ميراندو Mirando (?)

«ميراندو النجليزي كان خرج من ثغر طنجة وسكن بالفحص وتراعى على أراضي السكان وأكثر الأضرار بهم» (30) وكان ذلك سنة 1888 .

5 . كابيا إي موليناريس Cavilla y Molinaris

طارقي دون شك وكان له شريك يدعى هنري . وقد أراد أن يبني معملا للآجر وفرنا لصنع الجير بناحية طنجة ، ولما طلب الرخصة لم تخوله السلطة المحلية إياها وأعطتها لشخص يدعى ييطري (31) ، وكان ذلك سنة 1886 .

وكان كابيا هذا من جملة المحكّمين فى دعوى الحاج أحمد الدكالي الطنجي ، شريك المعلم الحسن السوسي (32) .

ولم اقف لهؤلاء جميعا على خلطاء ولا على سماسرة .

6 . غريغور هي Gregor/Gregory Hay

كان يقطن بطنجة سنة 1893 ، وكان له خلطاء بقبيلة مصمودة من أحواز تطوان (33) . والمعتقد أنه ابن السفير جون هي .

29 . رسالة سطو الى الطريس فى 19 يراير 12/1894 شعبان 1311 - نفس المحفظة .

30 . رسالة السلطان الى الطريس فى 18 صفر 1306/24 اكتوبر 1888 - محفظة الطريس 14

31 . رسالة هنري الى جون هي فى 30 أبريل 1886/26 رجب 1303 - محفظة الطريس 7

32 . رسالة فى 27 يناير 1886/21 ربيع الاول 1303 - نفس المحفظة

33 . اشهاد عدلي فى 23 حجة 1310/8 يوليوز 1893 ، وآخر فى فاتح شوال 1311/7 أبريل

1891 ، محفظة الطريس 16 ، والعبارة المكتوبة فيها هي «ابن الباشدور جان كيغر» وحبذا لو كتب «كيغر ، ابن الباشدور جان» لاستقامت المعنى ، والراجع أنه ليس الا ك (ر) يفـ (و) ر الذي هو ترخيم كريكوري بعد حذف الكاتب للراء والمد الوار وربما المد اليائي ان كان اسمه كريكوري .

7 . خوان طوليدانو ترينيداد J. Toledano Trinidad

طارقي مجنس عاش بطنجة حتى اغتيل في دجنبر 1892 بأحواز المدينة
وقد نشأ عن مصرعه خلاف بين السفارة البريطانية والسلطات المخزنية ،
أوردت أصداءه بعض الوثائق المغربية .

فبينما ترى السلطات المحلية أن خوان عريبد كان يتعاطى المسكرات
بجهارا ثم تشاجر مع العسة فأردته قتيلا ، اذا بالنائب البريطاني يرى أن
الشرطة هي التي قتلت عمدا ، فطالب سميث بالقبض على ثلاثة من الحراس
ودفع دية القتل لأهله وقدرها خمسة آلاف ريال مهددا باحضار «مراكب حربية
لاجراء ما هو واجب» (34) .

ولما رأى السلطان أن السفارة متشددة ، أمر بالقاء القبض على ثلاثة
من الحراس لأن «المصلحة اقتضت ترجيح ما ادعاه النجليز من كون العسة
هي التي قتلت خوان النجليزي دون مرجح لذلك» (35) .

ومع ذلك تظن العاهل لخبايا القضية مع سفير كانت علاقته بالمخزن
جد متوترة حسبما سيأتي شرح بعض جوانبها ، فنبه الطريس الى الحرص
على أن لا يكون في ذلك مطالبة بقتلهم جميعا ولا سيما ابن المرابط المتهم
الرئيسي ، غير أن النائب الانجليزي رأى أن لا مانع عنده في تسريح اثنين
منهم ، فلم يأمر السلطان بالافراج عنهم ، تاركا اياهم رهن الاعتقال ، ومشيرا
على الطريس : «استشر الشرع في تسريحهم أو عدمه» (36) .

وأخيرا طلبت النيابة البريطانية من ممثلي الدول الأخرى تأييدها في
مطلبها ، وطلب الطريس وساطة سفير ألمانيا الذي بقي على الحياد .

34 . رسالة اليوط الى غريط في 31 دجنبر 1892/11 جمادى الثانية 1310 محفظة
المغرب بريطانيا .

35 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 جمادى الثانية 1310/8 يناير 1892 نفس المحفظة

36 . رسالة السلطان الى الطريس في 15 شعبان 1310/4 مارس 1893 - نفس المحفظة
أيضا ، ينظر عن هاته القضية روجرز : «تاريخ العلاقات ...» ص 290 ، وكذلك بيير كيين
«ألمانيا والمغرب ...» ص 276 (1)

وننتقل الآن الى حياة سفراء الدولة الانجليزية لنزيد توسعا في عوامل التوتر وفي بحث تطور العلاقات المغربية البريطانية .

* * *

المطلب الرابع : السفراء

أعود هنا لأفصل بعض القول عن حياة ثلاثة من السفراء الانجليزيين بطنجة مثلوا بلادهم من سنة 1845 الى سنة 1893 ، وهم على التوالي : جون هي ووليام كربي كرين وتشارليز إيوان سميث .

أولاً : جون دروموند هي J. H. Drummond Hay

I . نبذة من حياته

ولد السيرجون هي يوم فاتح يونيو 1816 بمدينة فلانسيان بفرنسا ، وتوفي في 27 نونبر 1893 وعاش في المغرب ممثلاً لبريطانيا العظمى مدة تقرب من نصف قرن ، وكانت له عواطف طيبة نحو المغرب وصداقة متينة مع سلاطينه ، وكان يعرقل بتدخلاته لدى حكومته أطماع الدول الاستعمارية فيه ، فكان زملاؤه الدبلوماسيون يتضايقون منه وينعتونه في تقاريرهم بالعربي ، أو بالعربي المنافق ، وهو الذي اقترح على حكومته وعلى المغرب عقد مؤتمر دولي خارج المغرب ، للنظر في مشكلة الحماية القنصلية بعد ما ظهر له أن النظر فيها من طرف سفراء الدول وقناصلها لا يؤدي الى نتيجة (37) .

وكان يدعى «وكيل المسلمين» لدفاعه عن المغرب والمغاربة في تقاريره ورسائله الى السلطات الدبلوماسية البريطانية (38) .

37 . عبد الوهاب بنمنصور : «مشكلة الحماية القنصلية» ص 19 ومبيج : «المغرب وأروبا»

ج 2 ص 272 .

38 . ر . ج . فريش : «المغرب» ص 285

وهو الذي خلف أباه إدوارد هي في القنصلية العامة لبلاده ، بعد أن كان أخوه طوماس ينوب عن أبيهما خلال غيابه (39) . كما كان جون هي حاضرا بطنجة أثناء قصف الأسطول البحري الفرنسي لها (40) في شتنبر 1844 .

بدأ حياته موظفا بسفارة بلاده بتركيا سنة 1840 ، ثم انتقل الى المغرب سنة 1844 ، وعين في سن الثامنة والعشرين قنصلا عاما بطنجة (41) . ولم يرق الى رتبة وزير مطلق الصلاحية الا سنة 1872 ، (42) بعد أن كان فقط وزيرا مفوضا منذ ماي 1860 .

وأُسرة هي قديمة الاستيطان بالمغرب قبل سنة 1822 ، وقد وقع الانعام على إدوارد هي ابان ولاية بوسلهم أزطوط ببلاد حرائية بشرف العقاب تسع حرث ثلاثة أزواج ، وكان جون قبل رحيله يريد أن يترك الأرض والعروة بيد صهره المستقر بطنجة ، ويبد الحاج أحمد العمارتي صاحبه ، لكن الانعام هذا لم يكن تمليكا ، ولذلك طلب المخزن من جون أن يوجه اليه الظهائر والرسوم ليتعرف منها على حدودها (43) .

وكان يملك أيضا عقارات وأراضي كثيرة وخاصة بأحواز طنجة (44) . بوعد أنعم السلطان مولاي سليمان على سفارة إنجلترا ببلاد قريبة من السواني ليبنني بها أبوه إدوارد دار النائب (45) . وكان هذا العقار يدعى عرصة برغال

39 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى بوسلهم بن علي أزطوط ، في متم ربيع الأول 1257/22 ماي 1841 ، محفظة بوسلهم بن علي : I

40 . ر . ج فريش «المغرب» ص 267

41 . «الوثائق» ج 2 ص 113 ، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 272

42 . روجرز : «تاريخ ...» ص 236 ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 454

43 . رسالة الطريس الى جون هي في 22 رمضان 1303/24 يونيو 1886 - محفظة الطريس 8

44 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 452 (4)

45 . رسالة الطريس الى جون هي في 22 رمضان 1303/24 يوليو 1886 - محفظة الطريس 8

التي يبدو أنها هي التي اشتراها السلطان مولاي عبد الحفيظ للاقامة فيها
بطنجة ، وأنها هي التي كانت تسمى رافنسروك (46) Ravensrock

أقام بهاته المدينة قبل الولاية وبعدها سنوات طويلة ، تعرف خلالها
على المغرب ومشاكله ، وكان ينوب في بعض الفترات ، وخصوصا قبل سنة
1880 ، عن عدد كبير من الدول كالامبراطورية النمساوية الهنغارية وهولاندة
وكذلك عن دولة الدانمارك التي تزوج سنة 1845 ابنة قنصلها العام
إكارسنسن (47) . كما كان ممثلا لعدد من المدن التجارية الألمانية المدعوة
«المدن الهنسية» (48) وكان بالتالي عميدا للسلك الدبلوماسي .

وكان يتحدث بعدة لغات كالفرنسية والاسبانية ، وكذلك باللغة
العربية دون أن يحسن النطق بها (49) وكان أحيانا يوقع رسائله الخاصة
الموجهة للسلطات المغربية بعبارة «جان هي دروموند هي» باللغة العربية التي
تعلمها عن أبيه . وقد أصيب طيلة عدة سنوات بمرض في عينيه ، منعه من
الكتابة ، فاقصر على إملاء رسائله (50) .

ومما حققه لبلاذه أنه عقد معاهدة تجارية وبحرية مع النائب محمد
الخطيب ، ثم معاهدة صلح ومهادنة ، وكلاهما أبرم في 9 دجنبر 1856/10 ربيع
الثاني 1273 ، ثم صادق عليهما كل من السلطان مولاي عبد الرحمان والملكة
فكتوريا ، ولم يكن عقدهما من السهولة بمكان ، فقد استغرقت المحادثات من

46 . ولتر هاريس : «المغرب البائد» ص 138

47 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 273

48 . الهنس la hanse معناه التحالف التجاري الواسع بين عدة مدن المانية حرة
مثل بريمن Bremen وهامبورغ Hamburg و لوبيك Lubeck
وكانت المدينة الأخيرة زعيمة الهنس من سنة 1230 الى 1535 ، ولم تفقد صفة المدينة
الحرّة الا سنة 1937 عند صعود النازية الى الحكم .

49 . هنري ده لامارتنيير : «ذكريات عن المغرب» ص 76 و 78

50 . عبد الله العمراني : «سير جون ه. د. هاي وجهوده الدبلوماسية في الحرب الستينية
بين المغرب واسبانيا» ، في مجلة «البينة» ، العدد السابع ، نونبر 1962 ، ص 87

أجلهما سنين طويلة . وكان يرى في التجارة عاملا أساسيا لازدهار البلاد .
نوحى قبيل انتهاء عمله بطنجة كان يريد من المغرب أن يشارك في معرض
أديلايدا بأستراليا سنة 1886 بانتاجه الصناعي والفلاحي (51) .

وسأطرق ، فيما يلي ، لرأيه في الإصلاحات ، ولقضية قبطان المركب
«ويزارد» ، وأختم بالعلاقات بينه وبين أعضاء المخزن .

2 : جون هي والإصلاحات

لم تكن المسائل التجارية هي التي تشغل باله ، بل كانت مشاكل
الحماية والقضايا الدولية لبلاده تأخذ منه مأخذاً كبيراً .

كان يعلم أن التعسف في استعمال حق الحماية يؤدي الى كثرة عدد
المحميين ، وأن الممثلين الدبلوماسيين كانوا — على ما يظهر — يوجهون
لوائحهم الى حكوماتهم ، بعد أن يختصروها ، لكيلا يستتبّان فيها وجه
التعسف (52) .

أما عن علاقاته بالحكومة المغربية فقد استفاد من اتصالاته بأعضائها ،
وكان حكمه قاسياً عليهم في الغالب . وكان يرى في المخزن مصدر تعفن لا بد
من تطهيره . وقد كتب سنة 1845 : «إهمال في كل مكان . . . وهاته نتيجة
إدارة لا تقوم بحفظ الأمتعة والرقاب» . وفي سنة 1864 قال : «هاته الحكومة
أسوأ حكومة في العالم . . . فباستثناء السلطان نفسه الذي هو نزيه وضعيف ،
والحاجب واثنين آخرين ، فان الجميع فاسد» . وفي سنة 1880 قال : «يشبه
المخزن اصطبلات أجيّاس ، وانه لعار أن يسمح لهاته الحكومة الملعونة أن
تدوم . لا بد أن يلتزم السلطان بادخال الإصلاحات . . .» (53) . وذكر أيضا

51 . رسالة في 23 يونيو 1886/20 رمضان 1303 — محفظة المغرب بريطانيا

52 . رسالة جون هي الى ماركيز سولزبوري في 29 مارس 1880 ، وهي الوثيقة 78 في
كتاب «المراسلات . . .» الانجليزي .

53 . عبد الله العروي : «الأصول . . .» ص 255 ، أما أوجياس Angias فهو ملك
خرافي في الأساطير اليونانية ، كانت له اسطبلات فسيحة يحتاج في تنظيفها من اقذارها الى
إطلاق نهر كبير عليها .

أن الموظفين من الصدر الى المخزني كانوا يعتمدون في حياتهم على الرشوة والابتزاز والاختلاس ، لعدم منح أي راتب لهم (54) .

وعندما كان هي أعظم صديق للمخزن ، استطاع أن يقترح عليه برنامج الإصلاح في عدة مناسبات : عرضه على محمد الرابع سنة 1864 و 1858 و 1873 ، ثم قدمه الى الحسن الأول سنة 1874 و 1881 . وكان أكمل برنامج له هو الذي قدمه في دجنبر 1868 ، خلال مقابلة على انفراد مع السلطان بفاس . فقد أشار عليه بتخفيض الضرائب ، وتسديد الأجور للموظفين للقضاء على الرشوة ، والنقص من عدد الجنود ، وإلغاء الامتيازات الضريبية ، والعدول عن بيع مستفادات المكوس ، وتعيين جباة لمدة سنة واحدة فقط ، وحذف الهدايا الى السلطان في الأعياد ، وإلزام المحتسبين بإيداع الضمانات .

كما سبق له أن قدم برنامجا مماثلا في مارس 1873 بمراكش ، مع إلحاحه على الاقتداء بالدانمارك وهولاندة ، البلدين الصغيرين اللذين أصبحا - كما قال - غنيين لوجود ادارة نزيهة بهما .

وقد نال جون هي بعض الحظوة لدى محمد الرابع الذي أسس سلكا للأمناء سنة 1861 ، وعين لهم أجورهم لتطبيق معاهدة 1856 التجارية أحسن تطبيق ، ووعد بتجريب الاقتراحات الأخرى بأحد أقاليم الجنوب . لكنه مات بعد قليل ، وكان خلفه الحسن الأول ذا طبيعة جد محافظة . وحينئذ غير هي خطته ، وأقنع ممثلي الدول بفرض الإصلاحات على السلطان بشكل تضامني . وفشل ذلك كله ، لاختفاق مؤتمر مدريد في الحد من أضرار الحماية التعسفية التي كانت في نظر السلطان العائق الأكبر أمام كل اصلاح (55) .

وكان من أول الأمناء المأجورين تعيينا بمرسى طنجة ، الحاج بوجنان البارودي والحاج عبد الكريم أحرسان الطنجي «ونفذنا لأول منهما تسعين

54 . روجرز : «تاريخ ...» ص 254

55 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 255

ريالا ، ولشاني ستين ريالا في كل شهر ، ولكل واحد من العدلين اللذين أمرنا القاضي بتعيينهما عشرين ريالا عن كل شهر ، في مقابلة خدمتهما» (56).

أما آراؤه في السياسة الخارجية لبلاده ، فقد كانت إنجلترا تريد المحافظة فقط على مواقعها التجارية والسياسية المكتسبة . ولهذا كان لمثلها نظرات أوسع من نظرات زملائه . وكان يفهم تطلّعات المخزن ، ويحتل مكانة هرموقة في بلاط السلطانين المذكورين ، وكان مستشارهما في الشؤون الخارجية ، وفي حصر حق الحماية ، حتى مؤتمر مدريد الذي أدى فشله الى وضع حد لنفوذها ولنفوذه أيضاً .

وقد ظل ممثل إنجلترا خلال أزيد من ثلاثين سنة بطل سيادة السلطان ، والوحدة الترابية ، والاصلاحات الواجب إجراؤها لفائدة جميع الدول وبرضاها . ولهذا كانت مصلحة إنجلترا مطابقة لمصلحة السلطان (57).

وقبل ذلك ، كان قد اضطلع بأدوار مهمة للحد من آثار هزيمة المغرب في حرب تطوان ، وحمل اسبانيا على الجلاء عن هاته المدينة مقابل تعويض حربي فرض على المغرب فرضاً .

3 . قضية قبطان «الوزير» : Wizard

ولم تخل علاقاته مع السلطات المغربية من بعض الحدة . فقد حدث خلاف بين المغرب وإنجلترا سنة 1849 بعد حرب المغرب مع فرنسا سنة 1844 وقبل حرب تطوان سنة 1859 . كان يستعين بقوات إنجلترا بجبل طارق على سلوك سياسة حكومة بلاده ويسيطر على طنجة — حسب ممثل إيطاليا سنة 1866 — بوصفه نائبا ملكيا (58) . كما سبق للمركب الحربي الانجليزي

56 . رسالة السلطان الى بركاش في متم رمضان 1278 / 31 مارس 1862 ، عند عبد الرحمن ابن زيدان في «الاتحاف» ج 3 ص 380 .

57 . عبد الله العروي : الأصول ... ص 243

58 . جان لوي ميج : «المغرب واروبا» ج 5 ص 88

«جانوس» أن قصف سنة 1851 مركز القرصنة بالريف ، وقتل عددا من الريفيين ، ودمر مدافعهم (59) .

وكان ممثلو انجلترا سنة 1870 لا يرعون للسلطات المغربية ذمما ، ولا سيما في حادثة رئيس المركب الحربي الانجليزي عند زيارته لطنجة في يناير 1870 ومحاولته إهانة السلطة .

كانت هاته الباخرة الحربية الوزير قد زارت الشواطئ المغربية ، ولما وصل رئيسها الى طنجة قدم لزيارة عامل المدينة . وحينئذ لم يقف الحراس المصطفون أمام داره احتراماً له . فما كان منه الا أن «طلب جلد جندي مغربي ، لأنه عند دخوله لساحة داره لم يقف إجلالا له . وكان العامل ، الذي لم يأمر قط جنوده بتحيةة قائد المركب ، قد وعده بعقابهم على هذا الإهمال . لكن الضابط شك في صحة تنفيذ الوعد ، فاشتراط أن يقع هذا الجلد في الحال ، واختير جندي واحد من بينهم للعقاب عن ذنب وهمي . هذا هو العدل ، وإلا فلا ! ويُجَابُ الذين يستنكرون هذه الأساليب أن ذلك أمر لازم لتأكيد الأبهة الأوروبية . ورأي المتواضع أن هاته الأبهة — ان كانت هناك أبهة — أولى لها أن تكون طيبة ، لو جلد القائد المسؤول الوحيد في هاته القضية ، بدلا من إهانة جندي صغير بريء ، لكن الذئاب لم تعتد أن يأكل بعضها بعضا . فليذهب بعد هذا من شاء ليتبجح لدى المغاربة بحضارتنا ، أو للاستغراب من الكراهية التي يضمرونها لكل ما يصدر عن النصارى» (60) .

ولم اقف على بيان لرأي جون هي في هاته الحادثة السيئة بين الرعايا الانجليزيين والسلطات المغربية ، وان لم يكن فيها ما يشين في نظر من كانوا يُشيدون ببلغة القوة والتسلط .

59 . روجرز : «تاريخ ...» ص 214

60 . جان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 154 ، نقلا عن مقال بجريدة سيمافور مرسيليا .

4 . جون يعتزل عمله

ومع ذلك ، ما انفك جون مرموقا عند السلطان ولدى برقاش ، حتى فاتح يوليوز 1886 حين أحيلَ على المعاش (61) . وظل متردداً على المغرب حتى آخر حياته . وكان يتدخل حبياً لفصال بعض الدعاوي مثل ما قاله السلطان للطريس : «ادفع لجان الذي كان باشادور النجليز قبل' ، على يد نائبهم ، هناك ألف ريال من قبل مفاصلة دعوى عمّار القصري ومامان» (62) . بل انه كان يقيم بطنجة ولا تدري السلطة بوجوده ، مثل هذا السؤال الذي القاه الوزير غريط على الطريس سنة 1888 : «هل كان جان هي دروموندهي مازال ساكنا بطنجة ؟» (63) . فقد كان فعلا يسكن بطنجة في فصل الشتاء ، وقيم فيها مع أهله .

لكن هذا التساؤل لم يكن تجاهلا ، اذ كان المخزن يقدر أعماله ومسايعه . وعند انقضاء مهمته بعث برسالة الى محمد غريط أجابه عنها بأخرى مطولة ، هاته مقتطفات منها :

«وصل كتابك بأن مدة خدمتك كملت وعمّا قريب تسافر ، وأن عدم إمكان ملاقاتك مع الجناب العالي بالله يقصد الوداع مع شريف سيادته أثر فيك ، وأنت هذه مدة من أربعين سنة وأنت في الخدمة بهذه الايالة السعيدة ، وكان سيدنا ومولانا ، جد سيدنا ومولانا المنصور بالله ، وسيدنا ومولانا والده قدسهما الله ، يحملانك على الثقة والمحبة والصدق ، وكذلك سيدنا ومولانا نصره الله يحملك على ذلك ، وأنت . . . إن أطال الله عمرك ترجع لهنّا بعد مضي سنة ، وتقيم إبان الشتاء . . .

61 . رسالة الى الطريس في 26 يونيو 1886/23 رمضان 1303 - محفلة المغرب بريطانيا

62 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 رمضان 1308/29 ابريل 1891 - محفلة الطريس 20 .

63 . رسالة غريط الى الطريس في 26 حجة 1305/3 شتنبر 1888

«وأطلعنتُ بكتابك شريفَ علم مولانا . . . وأمرني . . . أن نجيبك عنه بأن بُعدك عن هذه الايالة السعيدة أثّر في الخواطر ، ووقع منها موقعا ، لأنك أحد عقلاء وحكماء دولة فخيمة . . . لأن الانسان يُستدلُّ على عقله وحاله بأحد أشياء ثلاثة : رسوله أو كتابه أو هديته ، وبأن ما ذكرته ، من أنك لاتعجز في الوقوف في خير جنابه الشريف وخير رعيته ، هو الظن بك والمعتقد فيك . . . وقد نُبئتُ عنك في وداع من سميتهم من وزراء وكبراء خدام الأعتاب الشريفة ، فاعترف الكل بمحبتك . . . وأنشد قول من مضى وغبر :

«وما ضرنا نأَيُ الجسم وقد دنتُ قلوب» طويناها على خالص الود

«وأما ما ذكرته من أنه ان أطال الله عمرك ، واقتضى النظر الشريف قدومك للحضرة العالية بالله . . . فأمرني مولانا أعزه الله أن نجيبك بأن عمرك يطول بحول الله . . . فمرحبا بك . . . » (64)

ولا أظن أن الشعر والمحسنات البديعية كانت عبثاً في حق هذا العميد وكانت تكريما من المغرب ، مثلما أنعمت عليه دولته بلقب السير ، جزاء عمله .

ولم يكن المخزن وحده هو الذي أحسن توديعه ، فقد أقيمت حفلة فاخرة على شرفه بطنجة في 14 يوليوز 1886 . وكان في توديعه أعضاء الجالية الانجليزية والحاج محمد الطريس وعامل المدينة وكافة الدبلوماسيين الأجانب . وقد تولى ثمانية من أعضاء تلك الجالية التجديف في القارب الذي حمله الى السفينة التي كانت تنتظره في الخليج ، لتنقله الى إنجلترا .

وهكذا تم الخروج الرسمي للسيرجون هي من مسرح الحياة المغربية ، بعد واحد وأربعين عاما من تكريسه نفسه لخدمة بلاده أو لخدمة البلاد التي

64 . رسالة محمد المفضل غريط الى جون مي في اواخر رمضان 1303 / فاتح يوليوز 1886
محفظة المغرب : بريطانيا ، ثم روجرز : « تاريخ ... » ص 270

كان يمثلها لديها . ولقد احتل مكانته المتقدمة . . . بسبب أمانته وصراحته وإخلاصه لبلاده وحبه للمغرب وفهمه له (65) .

وسنرى من سلوك خلفه ، وخلف خلفه أن سياستهما كانت جتبا لخطه رشيدة ، حرص جون كل الحرص على أن تكون سائرة في نفس النهج ، فرشح لها من كان يعرف المغرب ولغته وعوائده ، ومن كان معينا له مدة عشر سنوات وهو كربي كرين .

* * *

ثانياً : وليام كربي كرين W. Kirby Green

I . نبذة من حياته

ولد بمدينة نابولي بإيطاليا سنة 1836 ، ثم صار سنة 1853 كاتباً للقنصل البريطاني العام بالقاهرة . ولما نقل الى المغرب ، أصبح سنة 1859 كاتباً خاصاً لجون هي ، ثم عين في يناير 1861 قنصلاً بتطوان . وبعد ذلك غادر المغرب ، فصار سنة 1879 مكلفاً بالأشغال بمونتينيغرو (يوغوسلافيا) ، ثم عين قنصلاً عاماً بالبنانيا (66) . وفي سنة 1886 عين سفيراً بطنجة ، فوصل إليها في 7 أكتوبر 1886 ، حيث تقلد منصبه (67) . وكان «محباً لجميع الناس ، وهو خديم عاقل ماهر ، وصدرت منه الخدمة الناصحة في جميع المواضيع التي كانت خدمته فيهم» (68) . وكان الى ذلك يتقن العربية والفرنسية والاسبانية . إلا أن حاله لم تكن على أحسن ما يرام مع المخزن ، لأن سياسته

65 . المصدر الاخير ص 270 - 271

66 . جان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 152 و ج 1 ص 116

67 . رسالة السلطان الى الطريس في 5 صفر 1304/3 نونبر 1886 - محفظة الطريس 9
ثم روجرز : «تاريخ ...» ص 273

68 . رسالة هي الى الطريس في 20 يونيو 1886/26 رمضان 1303 - محفظة المغرب
بريطانيا ، وجان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ، ج 4 ص 152

كانت ترمي الى الدفاع عن البعثات التنصيرية واليهود والصحافة البريطانية (69) .

ولعل أهم خلاف بينه وبين المخزن كان حول قضية طرفاية ، وتخويل الامتيازات الى المستوطنين والمحميين . ففي هذا المعنى قال الطريس الغريط : «فَلْتَتَنَبَّهُوا لهؤلاء الأجانب الذين يدعون المحبة : يطلبون تبرعات عليهم بأمور مهمة ، والمخزن يتوقف في بعض (الأحيان) على أغراض صغيرة منهم فيمتنعون . مثلاً الانجليز : له بوسطة من حانوتين كانتا بيد ضَعْفَةِ المسلمين ، فسوعد لخراجهم منها وتمكينهما له ٠٠٠٠٠ . ثم ذكر أن حوانيت كانت «بيد أناس من هذا الثغر يتوارثونها خلفاً عن سلف ويريد الأجانب حيازة استغلالها وطردهم لمن فيها» (70) .

وفي عهده بدأت تظهر مساعي الشركة الانجليزية نورث ويست أفريكان للاستيطان بالجنوب المغربي وخصوصاً بمرسى طرفاية أو كاب يوبي ، وكانت مثار صراع كلامي وديبلوماسي شديد بين المخزن والسفارة الانجليزية . وسيأتي عن ذلك كلام في محله .

2 . قضية التلغراف

ليست انجلترا هي البلد الوحيد الذي طلب من المخزن إدخال التلغراف الى المغرب . فقد كان لاديلاس ورديغة ممثل فرنسا ينوي أن يطلب رخصة جعله بالمغرب (71) سنة 1880 . بل لعله كان موجوداً قبل ذلك سنة 1866 بين تطوان وفاس «وصلبت على أعمدته رؤوس 17 عاصياً قطعوا قبل ذلك أسلاكه» (72) . وبعد ذلك طلبته اسبانيا كما سيأتي .

69 . المصدر الاخير ص 152 و 153

70 . رسالة الطريس الى غريط في 11 رجب 1306/13 مارس 1889 — محفظة الطريس 15

71 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 36

72 . مقال بجريدة «سيمافور مرسيليا» في 27 يونيو 1866 في كتاب ميج «المغرب وأروبا»

ج 5 ص 81 .

وكان جون هي قد التمس مد جهاز التلغراف من جبل طارق الى طنجة ، ولكن ذلك لم يحصل ، فجدد الكرة كرين بعد ذلك ووضعت شركة «إستيرن تلغراف Eastern Telegraph» سنة 1888 أول خط بحري لها (73) .

وقد أسالت هاته القضية كثيرا من المداد وأجرى كرين عددا من الاتصالات حتى أذن السلطان لنائب «دولة النجليز بطنجة كاربي اكرين في جعل سلك التلغراف بين طنجة وجبل طارق بحرا» على شروط خمسة ، هي حسب رسالة سلطانية :

1 - ألا يكون إلا بطنجة من البحر

2 - ولا يكون بمرسى أخرى

3 - ولا يكون في البر

4 - وأن يكون بطنجة بالمحل الذي يعينه عامل البلد ونائب المخزن بها

5 - وذلك بعد قبول النواب للشروط المذكورة (74)

لكن رسالة أخرى بعدها ذكرت أن السلطان لم يعط إذنا لسفير انجلترا بجعل التلغراف بين طنجة وجبل طارق (75) . وأكدت رسالة لاحقة بعد نحو السنتين أن السلطات الانجليزية استوردت حبلا بحريا لاصلاح الجهاز البرقي دون علم السلطان وموافقته . وعزا بعض الباحثين اخفاء ذلك عن مولاي الحسن الى تواطؤ النيابة السلطانية مع الأجانب في هذا الأمر (76) .

73 . المصدر الاخير ج 3 ص 496

74 . رسالة في 10 شعبان 1304/1، ماي 1887 - محفظة الطريس 10

75 . رسالة السلطان الى الطريس في فاتح ذي الحجة 1301/21 غشت 1887 - محفظة الطريس 10

76 . جرمان عياش : «الشعور الوطني في مغرب القرن التاسع عشر» في ملحق «العلم» في 12 يبرابر 1982 ، مستدلا في ذلك برسالة السلطان الى المهدي الجراي في 2 يبرابر 1889/ فاتح جمادى الثانية 1306 ، المنشورة في اللوحة 75 من «رسائل شريفة» لجامعها محمد نهليل .

ومع ذلك أرسلت انجلترا خمسة مراكب الى مرسى طنجة أواخر مارس سنة 1889 بقصد الوقوف على^{*} اصلاح السلك ، مما يدل على أن الرخصة كانت قد سلمت فعلا ، وأنه نُصب وتحطمت أسلاكه . وقد قام السلطان وقعد وأمر نائبه الطريس أن يسترعي على سفير انجلترا «إن أبى الا جعله قوة وافتياتا ، وتركه وعدم مقابله بما ينافي المهادنة من المضاربة والمقاتلة» (77).

لكن المراكب أقلعت مرساتها في اليوم الموالي ، واستمرت المهادنة التي كان السلطان حريصا عليها بالرغم من ظاهر غضبه .

وقد قامت قائمة قبيلة أنجرة لهذا التلغراف الانجليزي كما قامت بعد ذلك للتلغراف الاسباني . ولما «تشكى باشدور النجليز المتوفى حين كان بمراكشة بأن أهل أنجرة أزالوا الأعمدة المار عليها السلك ببلادهم ...» (78) ألزم السلطان ترضيتهم قبل مرور السلك بناحيتهم .

3 . وفاة كرين

وهكذا كانت حياة كربي كرين صاحبة أحيانا مع المخزن ، بينما كانت حالته الصحية سيئة فذهب سنة 1889 للاستشفاء ببلاده بضعة أشهر وترك النيابة الى وايط (79) . وعاد في شهر يونيو «من سفره ، وحل بأطرافنا وقد خف ألمه بعض الخفة» حسب رسالة الطريس الذي أضاف فيها : «فلتردوا البال لأشغاله وأموره ، فانه لا زال مجتهدا في تنطعاته . ويروج الكلام بين هؤلاء الناس في جعل مقامهم بالركاب الشريف أينما حل ... وقد أشيع هذا الكلام في بعض جوازيط الأهرام» (80) .

77 . رسالة السلطان الى الطريس في 27 رجب 1306/29 مارس 1889 .

78 . رسالة السلطان الى الطريس في 10 ربيع الاول 1309/14 اكتوبر 1891 - محفظة الطريس 21

79 . رسالة كرين الى الطريس في 7 مارس 1889 - محفظة المغرب بريطانيا

80 . رسالة الطريس الى غريط في 10 شوال 1306/9 يونيو 1889

وأخيرا مات بمراكش يوم 24 يبرابر 1891 بعد أن انفجر دماغه (81) ثم نقل جثمانه بحرا من مرسى الجديدة يوم 22 رجب/3 مارس الى انجلترا (82) ليأتي بعده من سيميل الى التنطع والتنمر وهو إيوان سميث الذي ستمر في هذه العلاقات بين البلدين بأزمة خطيرة ، ولكنها عابرة عالجها المخزن ببرودة دم بزت البرودة الانجليزية الشهيرة .

* * *

ثالثا : تشارليز ايوان سميث Ch. Evan - Smith

كان قبل تعيينه بالمغرب في 3 دجنبر 1891 يعمل بافريقيا الشرقية بجزيرة زنجبار التي كانت تحت الحماية البريطانية ، ثم صار قنصلا سنة 1879 بمسقط ، وكان قبل ذلك ضابطا بالهند سنة 1859 . ولم يبدأ عمله يظهر بالمغرب (83) الا حوالي منتصف سنة 1892 . وبعد عزله من منصبه ، عين بيوغوتا عاصمة كولومبيا (84) ، تاركا العلاقات متدهورة بين البلدين .

فما هي أسباب هذا التدهور ؟ وما هي عناصره ؟ المعتقد أن الأسباب كانت هي النكسة التي تلت اعتزال جون هي ، وتردي الأحوال بعد تعيين كرين مكانه . أما العناصر فقد كانت تتمثل في تعثر المفاوضات بين إيوان سميث وأعضاء المخزن من أجل ربط علاقات جديدة ، وفي محاولته إبرام معاهدة تجارية تخلف اتفاقية سنة 1856 ، وماتلا ذلك من قضية «الريكالو» ، وسعيه لفرض تعيين نائب قنصلي بفاس .

81 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 166

82 . رسالة أمناء الجديدة الى السلطان في 22 رجب 1306/3 مارس 1891 — محفظة المغرب بريطانيا .

83 . من أوائل مكاتيب سميث رسالته الموجهة الى غريط في 11 يوليوز 1892/15 ذي الحجة 1309 — محفظة الطريس 22

84 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 261 وروجرز : «تاريخ ...» ص 282

3 . I : سياسة سميث

انسحاب جون هي ، وتعتك كربي كرين مع المخزن ثم وفاته في بداية سنة 1891 ، كل ذلك فتح الباب على مصراعيه للنفوذ الألماني والنفوذ الفرنسي . فكادت بريطانيا العظمى أن تكون دولة متأخرة الرتبة عن غيرها . وقد سبق في فصل ألمانيا بطنجة بيان العواقب السياسية والاقتصادية لتوقيع المعاهدة التجارية المغربية الجرمانية سنة 1890 ، وأذكر هنا بأن فرنسا كانت تنجري مفاوضات لإبرام معاهدة مماثلة مع المغرب ، عقدت فعلا يوم 24 أكتوبر 1892 . فأين إذن مكانة إنجلترا على المسرح المغربي ؟ وما هي جدوى معاهدة 1856 البالية ؟

لم يكن إذن بُدٌّ من تعيين خلف لكربي كرين ، ولم يكن مناص من تسمية سفير حازم مثل سميث «الذي عمل على استحواذ بلاده على زنجبار» (85) ، حتى قالت صحيفة «تايمز أوف مروكو» الطنجية في عددها يوم 4 أكتوبر 1891 إن السفير «سيعالج قضية المغرب - عند الاقتضاء - معالجته لقضية زنجبار» . وكانت وراء سميث مصالح كبرى بليفيرويل ومنتشيسطر (86) . وقد ضغطت هاته الأوساط وكذلك مصالح تجار جبل طارق على حكومة بلاده للخروج من هاته العزلة ، وحمل السلطان على عقد معاهدة تجارية متحررة .

وقد أسفر هذا الضغط عن تغيير معطيات التسلسل الأوربي الذي أصبح ، منذ ذلك الحين ، قائما على قواعد قانونية ، وعن إعفاء التجار من كل مكس وضريبة (87) .

وهكذا كانت مهمة سميث شاقة وحرجة معاً ، بدأها بالمفاوضات السلمية ، وأنهاها بعنف لما أراد فرض نفوذ بلاده بفاس .

85 . جان لوى مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 262

86 . المصدر السابق أيضا

87 . «تاريخ المغرب» ص 289

3 . 2 : المفاوضات

التمس الوزير المفوض من المخزن إبطال النخاسة ، وأعرب هو بدوره عن عزمه على إلغاء المحاكم المختلطة ورفع أضرار الحماية (88) التي كانت ، كما رأينا قبل ، نفس مطالب المخزن من ألمانيا عند توقيع المعاهدة التجارية معها . ثم ابتدأت المحادثات (89) .

كان خلال زيارته لفاس في ابريل 1892 قد التمس منح مد خيوط التلغراف بين طنجة والصويرة ، وإنشاء خط للسكة الحديدية بين فاس وطنجة ، وادخال الماء الشروب للمدينة الأخيرة ، واحداث بنك للدولة المغربية برؤوس أموال بريطانية ، وتنظيم قوة شرطية بشجر طنجة ، وفتح قنصلية بفاس ، وابرار معاهدة تجارية جديدة ، والاعلان عن ابطال الاسترقاق (90) كما تقدم .

وهكذا خرج سميث من طنجة في آخر ابريل 1892 ، على رأس وفد يتألف من 20 شخصاً ، منهم 6 ضباط ، فوصل الى فاس يوم 12 ماي ، وبدأ أول اتصال يوم 18 منه ، ولم يغادر العاصمة الا يوم 13 يوليوز الموالي (91) .

وكان يريد تنفيذ شروط معاهدة مدريد ، ولاسيما في قضايا التملك العقاري ، وامتنع سفير انجلترا «من المفاوضة في أمر إباحة شراء الأملاك لرعيتهن بهذه الايالة ، وإسقاط لفظة «موافقة المخزن» من الشروط ولكنه أذعن الآن للمفاوضة في ذلك فطلب إباحة الشراء في أراضي على طول هراسي الكوشطة من ناحية البر ، تكون قريبة من المراسي ، وتكون في مساحتها أربع سوائع ويكون التملك بغير موافقة المخزن ، بحيث تسقط

88 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 269

89 . سنمعرض لها في ملحق خاص وسنأتي بوثيقتين فريدتين

90 . جلال يحيى : «المغرب الكبير» ج 3 ص 491

91 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 269 (1)

هاته اللفظة من الشروط» . لكن السلطان أصر على إبقاء عبارة «موافقة المخزن» والتمسك بوفق مدريد (92) .

ولما جنح للمفاوضة ، عين المخزن الكاتبين المفضل غريط وعبد الواحد ابن الموّاز ، ومعهما أربعة من الأمناء ، للمذاكرة معه في شروط تسريح وسق القطاني والحبوب ، وفي قضية تملك الأجانب للأراضي والعقارات على بعد 15 ميلا من الشواطئ «وصاروا يترددون لمحل نزوله بقصد ذلك ثلاث مرات في اليوم ، ولم يحصلوا معه على مفيد ولما أيس الموجهون من إذعانه للحق ، أوقفوا المباشرة معه» (93) .

وهكذا قطع الصلة — حسب المصدر المخزني — مع المندوبين للمذاكرة معه ، وحوّل مرة أخرى على الذهاب الى فاس . ولكنه عاد من الطريق متهما الحكومة باهماله «وصار يزعم أن المخزن يُقابله مقابلة الأعداء ، وصيّره كالمسجون في محل نزوله» (94) ، عندما كان بفاس ، وطلب تنحية المفضل غريط من وفد المفاوضة .

وقد أطلع المخزن نواب الدول على أن «مِنِ سَطَر النَجْلِيز شارل وان سميد كان يريد تجديد شروط التجارة بما فيه الضرر الفادح للرعية» (95) . ولت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل نشأت عنه مضاعفات أخرى كقضية تمزيق سميث نسخة من مشروع الاتفاقية التجارية المغربية الانجليزية .

92 . رسالة السلطان الى الطريس في 26 قعدة 1309/22 يونيو 1892 — محفظة الطريس 22

93 . رسالة السلطان الى الطريس في 7 حجة 1309/2 يوليو 1892 ، بنفس المحفظة

94 . من رسالتي الطريس الى السلطان في 28 و 24/1309 حجة و 25 يوليو 1892 ، نفس المحفظة

95 . نسخة من رسالة مخزنية الى باشدور فرنسا في 15 حجة 1309/10 يوليو 1892 ، محفظة المغرب فرنسا . وترجمتها الفرنسية أثبتتها مبيج في «المغرب وأروبا» ج 5 ص 201

فكانت المعاهدة التجارية التي عقدها ألمانيا مع المغرب إذن بمثابة النقطة التي أفاضت القدح . «ولما رأى أن المخزن لا يساعده على ما فيه الضرر ، من الشروط التي دفع نسختها ، وجه أصحابه للمُعَيَّنِينَ لمباشرة أموره ، ذاكراً لهم أن المخزن ، إذا أعطى للباشدور مائة ألف ريال رِيَّكَلُوا ، يَنْسُقِطُ المسائل التي فيها الضرر من الشروط ، ويتساهل معهم في باقي الشروط» .

وحين بلغوا ذلك للطريس ، وأراد النائب السلطاني إخبار وزير خارجية إنجلترا ، كان سميث قد «تَنَمَّرَ وَتَنَطَّعَ ، وقام وقعد لذلك ، وازداد غيظه وقلقه . وزعم أن المُعَيَّنِينَ وردوا عليه ، طالبين أن يُعْطِيَهُ المخزن مائة ألف ريال رشوة على ما ذكر أعلاه ... مع أن الباشدورات لم يقبضوا رشوة من المخزن قط ، وأنهم منزهون عند المخزن من ذلك ، متحاشون عنه» (96)

ولو أن سميث كان يتهم جميع ممثلي الدول بقبول رشاو من السلطات المخزنية ونفى ذلك عن نفسه (97) . فعلا ، حاول المخزن أن يوجه رسالة للحكومة البريطانية على يد وزير فرنسا بطنجة ، «الذي قبل بالترحيب» (98) «وليكن كلامك مع الباشدور على وجه السر ، بحيث لا يعلم ذلك غيره من الباشدورات ... قبل أن يكتب الخصم لدولته ...» (99) ، ولكن الاختيار في النهاية وقع على سفير ألمانيا الذي طلب منه الطريس أن يكتب عن السفير الفرنسي وحاشيته رسالة المخزن . وكان بداخل الكتاب المخزني الشروط التي مزقها إيوان سميث ورمى بها (100) .

3 . 3 : بين «الريغالو» وتمزيق المعاهدة

قبل الحديث عن خبر تمزيق المعاهدة ، أتعرض لقضية «الريغالو» regalo (أي الهدية بالاسبانية) . وأعيد الى الذاكرة أنني أشرت الى أن

96 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 حجة 1309/16 يوليوز 1892 محفظة الطريس 22

97 . بيير كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 275 (6)

98 . رسالة الطريس الى غريط في 28 حجة 1309/24 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

99 . رسالة غريط الى الطريس في 22 حجة 1309/18 يوليوز 1892 - نفس المحفظة

100 . مسودة مضمن المكاتيب التي وجهت للطريس في 23 حجة 1309/19 يوليوز 1892

نفس المحفظة

نازلة مماثلة سميت قضية «مال الفابور» favor (ومعناها الصلة بالاسبانية) قد وقعت قبل ذلك في منتصف 1888 بين وزير الخارجية وريد لويس القنصل العام الأمريكي الذي هدد باستجلاب أسطول الولايات المتحدة لكك المغرب دكاً ، حتى يقبض 15 ألف ريال من يد المفضل غريط .

ولن تمسح هاتان القضيتان الاتهام الذي كان ملصقاً بغريط من أجل قبض الرشوة كما سيأتي .

هاتان المسألتان تطرحان طرحاً عنيفاً مشكلة أجور الموظفين الصغار منهم والكبار . فلئن كان الأمناء وأمينهم يتقاضون أجرتهم من ريع المراسي ، مثلما تدل على ذلك رسائلهم ، فمن أين يأتي راتب وزير الخارجية ؟ ولا يكاد يكفيه ما كان يصرف له ولغيره بين الحين والحين من صلة ومونة وعولة من السلطان في الأعياد والمناسبات . وإذن قد لا يكون للوزير مناص من الطمع فيما بأيدي الناس ، ومن التبرطل والارتشاء .

كان السلطان ينوي فعلاً تعيين أجور للوزراء ، مثلما فعل مع الأمناء والطريس وبعض القواد (101) . لكنه كان يرى أنه ، حتى لو فعل ذلك ، لن يقطع دابر الرشوة ، لأن المسؤولين اعتادوها ، ولذلك «كان تبرطل فضول هريط معروفاً ، وكان ميالا للمصالح الفرنسية التي كانت تقدم له مكافئات سنوية ، وخصوصاً الدار التجارية فورج وشانطي ، وشركة ليرانطان ، وكذلك المستوصف الفرنسي بطنجة ، حسب مراسلات دوبيني والدكتور ليناريس (102) .

وجاء في رسالة وصلت الى هذا الطبيب الفرنسي سنة 1892 : «ولا يجوز لكم أن تشكوا مطلقاً في سهولة إرشاء وزير الخارجية ، فليس في هاته الايالة من نزيه الا السلطان» (103) .

101 . روجرز : «تاريخ ...» ص 292

102 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 247 (6)

103 . المصدر السابق ج 5 ص 199

وفضلا عن ما تقدم ، كان غريط مدينا بمقادير هامة من المال لأبي بكر الغنجاوي (I04) ، عميل بريطانيا الشري بمراكش ، ولاشك أن الوزير — عفا الله عنه وعن غيره — كان يعتبرها صلات ورشاوي ، ومع ذلك قبضها .

وقد سلف لي أن ذكرت أن جون هي وصف الادارة المغربية بشمول الرشوة والفساد ، ولا يصح الاعتماد — الا في شيء كثير من الحذر — على ما قاله غريط صاحب « فواصل الجمان » عن الوزير من أنه لما ولي « سر أكثر الناس بولايته ، لما عهدوه فيه من انتصاره للحق ورعايته ، ونزاهته عن الطمع وإبائته ... » (I05) . اذ التنزيه عن « الطَّمَع » دليل ضمني على وجود التهمة اية . ثم إن أسلوب المؤلف يبعده عن الحقيقة التي لا يلتزمها ، التزامه السجع في كلامه ، ورعايته في رنة اللفظ حفظ سمعة آل غريط .

وسواء برأ السي فضول نفسه أو نزّه المخزن عن قبض الرشوة أو عن بذلها ، وسواء دُفعت له أو دَفَعها هو ، فقد سلمت الحكومة لسميث المائة ألف ريال التي طلبها من المعيّنين للمفاوضة معه (وأحدهم من آل غريط) بعد أن كانت الحكومة البريطانية قد استفهمت عن صحة ذلك أو عدمه ، وأمر السلطان بتنفيذ هذه الذعيرة قائلا : «إننا أمضيناها على الوجه الذي أعطيت عليه الدراهم في قضية الطرفاية» (I06) في شكل تعويض . وهكذا أسدل الستار عن هاته القضية التي لا يعرف فيها الفاعل ولا المفعول ، ولا يدري فيها وجه أداء هذه الذعيرة أو هذا «التعويض» الذي تقاضاه سميث فعلا .

أما عن تمزيق المعاهدة فقد كذب ذلك الوزير البريطاني ، وقال انه انما قطع مشروع المعاهدة المقترحة . وشاهد ذلك طبيب البعثة العسكرية الفرنسية الدكتور ليناريس فقال إنه مزقها الى «ألف قطعة» (I07) . وقال

I04 . المصدر السابق ج 4 ص 269

I05 . محمد غريط : «فواصل الجمان ...» ص 191

I06 . رسالة السلطان الى الطريس في 17 صفر 1310/10 شتنبر 1892 — محفظة

الطريس 23

I07 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 275

روجرز ان الورقة الممزقة ما زالت داخل المظروف في المحفوظات البريطانية (108) . ولم تورد الوثائق الظروف التي مزق فيها الوزير سميث تلك الأوراق ورمى بها عرض الحائط ، لكن الذي ثبت أن المخزن قابل أعمال الممثل البريطاني الطائشة بمنتهى الجلد وبرودة الأعصاب ، فالحكومة التي كانت لا تسعى إلا في ارتكاب أهون الأمور ، رأت أن في «تمزيقها أخف الضررين» (حسب العبارة المخزنية الفقهية الشهيرة) (109) ، اذ ابادة مكتوب أفضل طبعا من قطع العلاقة بين الدول .

* * *

3 . 4 : قضية تعيين قنصل بفاس

وفضلا عما سبق ذكره من قضية الارتشاء وما ضحبتها من ملابسات ، جاءت حادثة أخرى لتزيد في الطين بلة . حاول إيوان سميث الاتصال بالمخزن رأسا ، وذهب الى فاس وفرض تعيين ماك إيثر ماك ليود نائبا قنصليا بها فوق اضطراب في المدينة وهيجان ، حسبما سنرى .

ولكن الصحافة الدولية وجدت في هذا الافتيات مادة للكلام . ومن الصحفيين من كان له اتصال بالمخزن مثل الفرنسي ثيال المسمى ده كرديك شيني الذي «نصح» المخزن بمنع «الانجليز من هذا التصرف ، والحيولة ايضاً بينهم وبين تعميم الخلطة مع الفلاحين ، وحملهم على أداء الضرائب والمكوس . فلكم الحق في ذلك ، بمقتضى المعاهدات الدولية . ألزموا الفرنسيين بذلك أيضا ، وسيضطرّ الوزير الفرنسي لتأييدكم ، على الرغم من أنه تشاجر معي ، وأعلم الآن أنه على خطأ . ومن جهة أخرى اني أعمل الآن بباريس ضد الحماية التعسفية» (110) .

108 . روجرز : «تاريخ ...» ص 290 (12)

109 . رسالة الطريس الى اللورد روزبري في 14 جمادى الاولى 1310/4 دجنبر 1892 محفوظة الطريس 22 .

110 . رسالة غير مؤرخة من ده كرديك الصحفي الى المخزن في كتاب جان لوي ميج «وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن التاسع عشر» ص 204 ، وهو الذي اسميه دائما الجزء الخامس من «المغرب وأروبا»

وخلال رحلة إيوان سميث الى فاس سنة 1892 ، حدثت مظاهرة
عمومية ضد نائب القنصل الذي رفع علم بلاده فوق داره ، في حين أنه لم
يُعتَرَف به رسمياً . وطالب السفير بتعويض قدره 2.000 جنيه ، وزعه على
فقراء المدينة وبعقاب الباشا أمام الملأ (III) .

وما كان للمخزن أن يقبل تعيين القنصل ، بعد أن «عزم سميث بغتة
على نصب سِنَجِيق بمحل سكنى مكلاود النجليزي بفاس ، ذاكرة أن دولته
أمرته بذلك .

«وحيث أن فاس من المدن الداخلية التي لم يعهد أهلها ذلك ، وعظم
الأمر عليهم ، وقاموا وقعدوا ، وكاد أن ينشأ من ذلك أضرار شتى لا تخفى ،
فنؤمل إصدار أمركم الى باشادوركم بالكف عن قصده» (II2) .

وكان سميث ، زيادة على ذلك ، يريد اتخاذ نائب قنصلي بمراكش .
ولما بلغ لعلم السلطان عزمه على تعيين بعض اليهود لهذا الغرض ، كتب للقائد
محمد ويدة السوسي يحذره من تعليق السنجق ويأمره بنزعه «بلطافة حتى
لا يقع فيه تمزيق ولا كسر» (II3) .

وهكذا بقيت العلاقات متوترة بين الوزير البريطاني والمخزن ، وصارت
الأصابع تشير اليه في تحريك فتنة الشيخ المتمرد عبد السلام الحماّم الذي
كان قد رفض أن ينزل خط التلغراف بأرض أنجرة . ولما بلغت تلك الاشاعات
لعلم السلطان قال للطريس يستفهمه :

«فقد بلغ لعلمنا الشريف أن الفاسد الحماّم الأنجري ورد عند
باشدور النجليز لداره ، بعد رجوعه من حضرتنا الشريفة ، وبقي عنده يومين ،

III . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 247

II2 . برقية من الطريس الى «الصدر الأعظم» روبرت سيسيل ماركيز سولزبوري والى
وزير الخارجية روزبيري في 28 قعدة 1309/26 يونيو 1892 - محفظة المغرب بريطانيا

II3 . رسالة السلطان الى محمد ويدة في 4 محرم 1310/29 يوليوز 1892 - محفظة
المغرب بريطانيا .

وأمدّه بعدد من العدة والقرطوس وغيرهما ، ووجه ذلك إليهم في مركب لهم
بجزيرة قنقوس بأنجرة ، وأنزل ذلك هناك ، وصار يحرضه على الهجوم على
دور النصاري الخارجة عن البلد ... وعليه ، فان صح ذلك فتكلم مع الباشدور
المذكور فيه وعرفّه بما تحته من المفاسد ... وعرف النواب بما ذكر
ليكونوا شهداء في الاسترعاء عليه ...» (II4)

لكن الطريس أثبت في النهاية بطلان تلك الاشاعات (II5) .

ولم يكن لنائب مثل إيوان أن يظل في منصبه أكثر من ذلك ، ولذلك
عين ريديجوي مكانه لمدة قصيرة الى حين استقرار إرنست سطاو ليمثل بلاده
ابتداءً من 29 غشت سنة 1893 . وليس في المقام متسع لبسط سياسته
لخروجها عن نطاق هذا المؤلف زمانا ، تلك السياسة التي ستعرف نكسة
بيّنة على يد نيكولسن ، في مطلع القرن العشرين .

ويجدر بنا الآن أن ننتقل الى أسرار المذاكرات كما وعدت بذلك سابقا.

II4 . رسالة السلطان الى الطريس في 9 محرم 1310/3 غشت 1892 - محفظة الطريس
23 . وتوجد نسخة من هاته الرسالة في مجلة دار النيابة العدد الخامس 1985 ، ص 64 وهي
بتاريخ 8 محرم 1310

II5 . رسالة السلطان الى الطريس في 25 صفر 1310/18 شتنبر 1892 - نفس المحفظة
ونصها موجود ايضا بمجلة دار النيابة كما ذكر سابقا .

ملحق

عن وقائع المفاوضات

آخراً ما أُذيل به هذا المبحث وثيقتان كاملتان عن ملابسات المفاوضة مع إيوان سميث في شأن عقد معاهدة تجارية بين المغرب وبلاده .

المخزن كان يستشير الأُمراء والتجار والعلماء والولاة في مثل هاته الأمور (II6) فكان ردهم بمثابة عناصر جوابية .

المستندان اللذان سأسوقهما عبارة عن مسودتين لتقرير لا تاريخ له . وكل القرائن تدل على أنهما وضعتا أثناء المفاوضات أو بعدها بقليل ، وعلى كل حال بعد 21 قعدة 1309/17 يونيو 1892 .

أول الوثيقتين حرر بعد الثاني ، وكان مرافقا له كما سيأتي . وهما معا تحتويان على جملة من الافادات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي لا نحتاج الى ابراز أهميتها ووجاهتها .

المسودتان محفوظتان بمكتبة تطوان الاولى تحت رقم 31/67 والثانية ذات رقم 21/65 . ونسختهما معا موجودة بمحفظة الطريس 22 بمديرية الوثائق الملكية بالرباط .

أ - نص الوثيقة الأولى

يبدو أنها موجهة الى الطريس ، ليستلهم منها رسالة جوابية واسترعاية لسفير ألمانيا ، الذي كان وسيطا بين المخزن ، و «دولة الضيف» التي هي إنجلترا ، و «الضيف» الذي هو إيوان سميث في تعبير الوثيقة :

II6 . بخزانة الحاج العربي بنسعيد أصل لمسودة غير مؤرخة وهي بمثابة جواب جده الحاج محمد عامل سلا ، عن رسالة استشارة تلقاها بلاشك من المخزن . ولا تتعلق المبيضة بـ 16 نقطة منقاد يدل على أنها لا تتصل بنفس المعاهدة التي نتحدث عنها .

« الحمد لله ،

«وصل كتابك المتضمن لما شافهك به المُحِبّ الذي سميت من :

«- أن دولته أخبرته أن دولة الضيف أعادت المفاوضة معها في طلب موافقة الضيف على ما يطلبه في مسألة توسيع نطاق التجارة بالمسامحة للأجانب في تملكهم للأموال بأوجه التملك ، وأمرته بالكتب للمخزن في ذلك . فكتب لك بما في كتابه الذي وجهت ، مُعلِّماً أن دولته تشير بالخصوص على الجناب المخزني أن يمنح الأجانب حقّ تملك العقارات في المراسي المفتوحة للتجارة .

«- ومن أن هذا المحب المشافه لك بما ذكر شافهك أيضا على وجه السر أن دولته لا تسمح أبدا ، ولا تساعد قطعا ، في كل مسألة تُنتج ضررا للمخزن أو لرعيته .

«- وأن السبب فيما كتب به بأمر دولته هو تكرار دولة الضيف الطلب من دولة المحب بأن يساعد الضيف ويتوافق معه .

«- وأن هذا الكتاب محصور في تسهيلات التجارة فقط ،

«- وأن الغرض منه هو تسهيل المخزن في مسائل التجارة ، العائد نفعها عموما حيث ذلك متعين ، ويُظهر الخير والاحسان .

«- وأن كل مسألة يظهر أن فيها ضررا للآيالة فللمخزن النظر فيها ،

«- وأن من الرأي أن يرجع هذا الضيف مجبوراً الخاطر في بعض المسائل التي لا ضرر فيها .

* * *

«فأجيبُ المحبَ المشار اليه بأن الضيف لما ورد لهنّا قوبل بالجميل ،
وعومل بمزيد المودة والمبرة والاكرام .

«فاذا به ظهر منه خلاف المعهود من سفراء الخير والهناء بين الدول ،
وتبين منه ما لا ترضاه دولته ، لأنها لم توجهه الا لأجل ما تقتضيه المحبة ،
لا للسعي في تغيير العوائد وخرم القواعد وتكدير الخواطر وإحداث الضرر .

«ومع ذلك تساهل المخزن معه مراعاة لمحبة دولته ، وبأشر معه
الشروط التجارية التي دفع نسختها وقبّلها . عدى شروط ثلاثة منها
تضمنت :

« I - : تسريح القمح ببليون 8 ، والشعير ببليون 4 ، وتسريح البهائم
على الدوام ،

« 2 - : وتسريح الحبوب من مرسى الى مرسى بدون صاكة ، وكذلك
الحيوان ،

« 3 - : وإسقاط لفظة «موافقة المخزن» من الشرط المقرر في شراء
الأرضين والأماك ،

«فلم يقبلها المخزن .

أ - «أما تسريح القمح والشعير بالصاكة المشار اليها ، وتسريح
البهائم على الدوام ، فأجابه' المخزن عنه بأن ذلك كان عرضاً على الرعية ،
لما كانت الشروط تبشّر بطنجة . ووقع الكلام فيه ، فأنيقت من ذلك ،
وقامت وقعدت وصار الناس ينادون بالجهاد في أسواقهم ومجالسهم وقبائلهم ،
وخامر التشويش' القلوب ، وتزايد الروع حتى كتبَ للحضرة الشريفة بعض'
النواب بعدم استحسان ذلك ، وأنه يكفي قول المخزن لهم إن الرعية لا تريد
ذلك ، ولا يحتاج الى اعلامها حتى يقع منها هذا الهرّاج .

«وكان طلبها بأشدور الألمان ، وأجيب بذلك فقبّل العذر . ولما
تكلم فيها هذا النائب أ'جيب بذلك ، وبأنه ، على الفرض والتقدير ، لو لم يكن

من ذلك الا عدم المساعدة لجنس عظيم كبير سبق في طلبها ، لكان كافيا في منع من يطلبها بعده . لأنه لو كان تسريحها لا ضرر فيه لكان هو أحق بها . زيادة على ابطال حرية المخزن فيها ، وأخرى مع الضرر .

«وقد بيّن له الأُمْناءُ المباشرون معه لتلك الشروط بعضَ الضرر الحاصل له في خاصّة نفسه وفي غيره من ذوي الحرّاف : بأنه كان يشتري قبلُ مثلاً الحبَّ بِبَسْطِيطَةٍ ، فلما سُرّح صار يباع بأربعة ، والأجر (II7) كان يشتري من أجرته ما يقتات به من الخبز ، ويفضّل له ما يشتري به الادام ، فاذا به صارت لا تكفيه للخبز .

«ومع ذلك لم يقبل من المخزن كلاماً ، ويقول ان ذلك كله عرفته دولته ، ولا تقبل منه الا التنفيذ ، ولا عليها في ضرر ولا في مراعاة أحد ، وبأن البهائم في وسقها ضرر .

«فلم يقبل ذلك .

ب - «وأما تسريح الحبوب من مرسى الى مرسى وكذلك الحيوان بدون صاكة ، فأجابه المخزن عنه :

« - بأن الحبوب مسرّحٌ وسقّها في اسم المخزن للمرسى المحتاجة اليها من مراسي الايالة بلا أعشار . والاذن بذلك عند النائب والعامل والأُمْناء وبتطوان عند العامل والأُمْناء كذلك . كلما احتاجت البلد الى نوع من الحبوب أن يكتبوا لأُمْناء الدار البيضاء والجديدة بتوجيه ما تحصل به الكفاية ،

« - وبأنها مسرحة على يد الألمان بالأعشار وللنواب بدون أعشار .

« - وبأن البهائم والماشية مسرحة برأ ، يذهب بها من هي بيده حيث شاء ، إذ لا موجب ولا سبب في وسقها من مرسى الى مرسى .

II7 . كذا في الأصل بتسكين الجيم . والمقصود هنا هو الأجير

«لأن ما بين المراسي من طنجة الى أكادير كله من قبائل الطاعة والهناء والعمارة والكلا وتنفيذ الأوامر المخزنية على مقتضاها . وليس عند المخزن قبيلة من ذوي العصبية والشوكة والدعارة والفساد كزمور ونحوهم ، بين مرسى من المراسي حتى يُحتاج الى وسقها بحرا ، احتياطا من القبيلة المذكورة ، أو لكونها تتعدى ، وضاعت لهم فيها أموال وكذا وكذا إلخ ، فيُحتاج الى الوسق بحرا من أجل هذه العلة ولأجل هذه المصلحة ،

«فلم يقبل ذلك .

ت - «وأما إسقاط لفظة «موافقة المخزن» من الشرط المشار اليه ، فأجابه عنه المخزن بأن هذا شرطهم ، وهم مُقرّون عليه بموافقة المخزن ، ولم يُمنعوا منه ، ولا زالوا عليه الى الآن وحتى الآن .

«وطلب منه المخزن المفاوضة في أمره بأن يُعطى بكل مرسى من المراسي المفتوحة للتجارة محلا لسكنى تجار الأجناس وتعاطي التجارة ، ويختص كل تاجر محقق التجارة أو كِبائية بمساحة من ذلك المحل على قدر الحال ، بجزء سنوي أو شهري ، يبني فيه كفايته من ماله الخاص ، ويُضرب له أجل للفراغ من بناء ذلك ، بحيث اذا تأخر عن البناء حتى انصرم ذلك الأجل ، انفسخ ذلك الجزء . ويكون ذلك على قانون أنه اذا مضت عدة من السنين رجع المحل لبنائه ملكا خاصا للمخزن كما هو الجاري في أراضيهم ، ويعتقد لهذا القانون وهذا المقصد شروط تخصّصه ، وكيفية تخصّصه ،

«فلم يلتفت ولم يُذعن وقال : لا يجيب عن شيء من ذلك ، إلا اذا سوعد على فصل تسريح الحبوب والبهاثم .

«والمخزن موجود للمفاوضة معه في شرط شراء الأملاك ، وتيسير أمره ، متى شاء ، على نحو ما ذكر .

* * *

«وتقدم لك الاعلام بما ذكر بتاريخ 21 من ذي القعدة تاريخه .

«ونسخة ، من الشروط التجارية التي دفع ، تصلك صحبة هذه الورقة (118) ، مقيدا عليها ما دار بينه وبين المخزن فيها ، لتعلم منها أن المخزن تساهل معه فيها ، على المسائل الثلاثة المذكورة أعلاه ، فلم يقبلها منه ، لما فيه الضرر البيّن . ولا زال طالبا تنفيذ هذه المسائل الثلاثة على وجه الالتزام ، ذاكرا أن دولته أمرته بذلك ، وأن جميع الدول موافقون على ذلك.

«كما يصلك بطيه أيضا تنفيذ مطالب أخرى له ، مع ما أجابه به المخزن عنها .

«فطالع بالجميع المحب المذكور ، ليعلم به دولته المحبة ، فتعلم به دولة الضيف ، ليلا يكتب لها بغير الواقع .

«وجاز المحب خيراً على تنبيهه على ما ذكر ، واستنبيهه في مجازاة دولته المحبة بأتم الجزاء» .

* * *

ب - نص الوثيقة الثانية

كتب المفاوضون المغاربة يمنتها مضمن مشروع المعاهدة التجارية فصلا فصلا ، بينما كتب بالأيسر من المستند جوابهم عن كل نقطة منها ، مستنديين أساساً الى معاهدة 9 دجنبر 1856 القديمة وعرضا الى المعاهدة التجارية المغربية الاسبانية والمعاهدة التجارية المغربية الالمانية .

أهم مادة للنزاع تعلق بالفصل التاسع (حرية وسق الحبوب والحيوانات) والفصل الثالث عشر (الحق في تملك العقار) .

* * *

السؤال

الحمد لله ،

الفصل الأول

النسخة التي دفع الباشدور موافقة في المعنى لشروطهم القديمة ومع الألمان ، ومخالفة لها في اللفظ ، إلا لفظ الحرية في الاتجار فزائد في النسخة . وقد وقع الكلام عليها مع الباشدور فقال : تُسَقَطُ .

الثاني :

موافق كذلك . وكان في النسخة مستثنى من الممنوعات : النّصال والكوابيس والخنابير وملحة البارود والكبريت . فكلّم في ذلك ، فسلّم إبقاءه على منعه .

الثالث :

موافق للقديم كذلك إلا لفظ «محصولات الأرض» كانت زائدة في النسخة . فكلّم فيها وأُسقطت .

الجواب

فيه زيادة لفظ «الحرية» .
وقد سلّم إسقاطها .

قد سلّم ما كان استثنى منه ،
وأجرى الجميع على ما في القديم .

فيه زيادة «محصولات الأرض»
وقد سلّم إسقاطها .

الرابع :

في شأن أعشار الموضوعات .
كانت في القديمة عشرة في المائة ، وفي
النسخة بخمسة في المائة للمنسوجات ،
وثمانية لما عداها . فرُوجع في ذلك
فسلم العشرة في المائة ، لما عدا
المنسوج من الحرير والملف فيكونان
بخمسة في المائة . كما أنه كلّم في
جعل الأعشار بالآليون وتقويم
السلع به فسلمه .

الخامس :

موافق للسادس من القديمة .
ومضمنه عدم الزيادة على ما يعطي
غيرهم ، فيما يرد من السلع وفيما
يخرج منها .

السادس :

في شأن المسائل الخارجة
وصاكتها .

السابع :

في عدم إعطاء المكس والغرامة
زيادة على ما ذكر في أعشار السلع

قد سلّم منسوج الحرير
بخمسة في المائة ، جبراً للخاطر ، كما
جُبِرَ بزيادة الجواهر وحجر الياقوت
بخمسة في المائة أيضا . وأما الملف
فيبقى عشرة .

موافق ، مسلّم

جوابه مقيد على تقييد
الطريقة .

العمل على شرط مدريد
الجاري به العمل ، فيبدّل به

الداخلة وصاكتها الخارجة . وهذا موافق للشرط الثالث من القديمة ومناقض لشرط مدريد الموافق عليه.

الثامن :

في شأن مخاطيف المراكب والبابورات وأجرة رئيس المرسى . وهو مخالف لشرطهم القديم في تقدير ما كان يُعطى ، وموافق لشرط الصبنيول .

التاسع :

يطلب فيه أن يوسق من مرسى الى مرسى ، بعد حط الوثيقة فيما يوسق ، جميع 'المُسَرَّح' وسقه الشامل للقطاني وغيرها. وذلك كائن فيما عدا بعض المسائل كالحبوب ، فانها لا توسق الا بالأعشار .

كما يطلب أن يوسق من مرسى الى مرسى جميع المسائل الممنوعة كالبهائم والماشية . وهذا الشرط زائد على ما في القديمة ومخالف لشروط الألمان : من كون الممنوع يبقى على منعه ، والحبوب لا توسق من المرسى الا بصاكتها .

العمل جار به اليوم

أما الحبوب فمسرح وسقها في اسم المخزن للمراسى المحتاجة اليها من مراسى الايالة بلا أعشار . والاذن بذلك عند النائب والعامل والأمناء ، وبتطوان عند العامل والأمناء كذلك . كلما احتاجت البلد الى نوع من الحبوب أن يكتبوا للأمناء الدار البيضاء والجديدة بتوجيه ما تحصل به الكفاية .

وأما البهائم والماشية فمُسَرَّحة برا ، يذهب بها من هي بيده حيث شاء . إذ لا موجب ولا سبب في وسقها من مرسى الى مرسى .

لأن ما بين المراسي من طنجة الى
أثاير كله من قبائل الطاعة والهنا،
والعمارة والكلا وتنفيذ الأوامر
المخزنية على مقتضاها . وليس عندنا
قبيلة من ذوي العصبية والشوكة
والدعارة والفساد كزمور ونحوهم بين
مرسى من المراسي ، حتى يحتاج الى
وسقها بحرا ، احتياطا من القبيلة
المذكورة أو لكونها تتعدى وضاعت
لهم فيها أموال وكذا وكذا إلخ ،
فيحتاج الى الوسق بحرا ، من أجل
هاته العلة ولأجل هاته المصلحة .

فلم يقبل ذلك .

العاشر :

لم توجد ، عند التأمل ،
مناسبة لادراجه في الشروط . لأن
لجانب المخزن ، أعزه الله ، الخيار
فيما تقتضيه المصلحة من ذلك :
كالمنار بطنجة لما طلبوه ووافق عليه
الأجانب ساعد المخزن عليه لظهور
المصلحة فيه ، وكالمون بالجديدة
وبالعرائش . فكذا ما تتعين المصلحة
فيه بعد من مثل ذلك ، وتقع موافقة
النواب عليه يساعده عليه ان طلبوه
واقترضته المصلحة .

تضمن طلب بناء المونات
بالمراسي والمنارات لضوء المراكب
واستخراج صائر ذلك . وهذا لم
يذكر لا في القديمة ولا في الألمانية.

الحادي عشر :

في التعريف بالمراكب التي لهم بالكواغد على شرعهم . وكذلك مراكبنا لا تسافر الا بالتعريف بالكواغد على شرعنا . ولم يكن هذا بالقديمة ولا بالألمانية . وهو لا بأس به .

الثاني عشر :

موافق للرابع من القديمة . وفيه لا تقبل مداخلة ولاية المخزن في أمورهم . فكلّم بأن يُخصّص بالأُمور التجارية ففعل .

الثالث عشر :

في شأن اشتراء واكتراء دور السكنى وخزائن التجارة ، وجري العمل فيها معهم على مقتضى قانون حاكم البلد إلخ . وبعضه موافق للشرط الرابع من المعاهدة القديمة . والزوائد المضروب عليها في النسخة لما كلّم الباشدور فيها ، وعدّ باسقاطها بعد الملاقاة بجلالة سيدنا الشريفة ، وقد وقعت .

هذا مسلم جار به العمل فيما بينهم .

موافق كما قد علم

هذا شرطكم وأنتم مُقرّون عليه ، بموافقة المخزن ، ولم تمنعوا منه ، ولا زلتم عليه الى الآن وحتى الآن وقد طلب منه المفاوضة في أمره بأن يُعطي بكل مرسى من المراسي المفتوحة للتجارة محلا لسكنى تجار الأجناس وتعاطي التجارة ، ويُختص كل تاجر محقق التجارة أو كِبّانية بمساحة من ذلك المحل على قدر الحال بجزء سنوي أو شهري ،

يُبنى فيه كفايته من ماله الخاص ،
ويُضْرَبُ له أجل للفراغ من بناء
ذلك ، بحيث أن تأخر عن البناء حتى
انصرم ذلك الأجل انفسخ ذلك
الجزء . ويكون ذلك على قانون أنه :
إذا مضت عدة من السنين ، رجع
المحل ببنائه ملكا خاصا للمخزن ،
كما هو الجاري في أراضيهم . ويعقد
لهذا القانون وهذا المقصد شروط
تخصه ، وكيفية تحصّنه .

فلم يلتفت ولم يُذعن وقال :
لا يجيب عن شيء من ذلك ، الا اذا
سوعد على فصل تسريح الحبوب
والبهائم . والمخزن موجود للمفاوضة
معه في شراء الأملاك ، وتيسير أمره
على نحو ما ذكر .

الرابع عشر :

في شأن ما يترتب على من
قبض بيده كُنْطَرَبَانُض أن يحاز
منه الخ . وهو موافق للثالث عشر من
شروط التجارة القديمة .

موافق مسلم .

الخامس عشر :

في قلب الأسهمي في الماركات
المربوطة . وهذا ليس في القديمة ولا
في الألمانية .

هذا الشرط : الكلام فيه مع
أرباب الفبركات . اذ لا سلعة تخدم
عندنا بالفبركة . وأمناء المراسي
أيضا لا مدخل لهم في ذلك ولا عهدة
لهم عليهم فيه ، وإنما العهدة على
صاحب الفبركة الذي يفعله .

السادس عشر :

في شأن اصطياد المرجان ،
وهو موافق للشرط المؤقتي ستين
من شروط الصبنيول فهو معمول به .

مسلم

السابع عشر :

فيما عسى أن يحدث بين رعية
الجانبين من الاختلاف والنزاع على
شأن أمور المحاسبة والديون التجارية
الغير المبنية على رسوم عدلية
بمقتضى شرع الاسلام . كلّم
الباشدور فأجاب بأن يبقى موقوفا
حتى يتلاقى ، وقد تلاقى .

يُنْتَخَب ، لفصال ذلك ،
البعض من التجار من قبل المدعي
والمدعى عليه ، ويحضر أحد من مخزن
الجانبين ، ويكون الحكم بطنجة على
يد نائبيهم أو باحدى المراسي .

الثامن عشر :

فيما يَفْتَحَ بعد من المراسي .
وهو موافق للشرط الثاني عشر من
القديمة .
العمل بهذا فيما عسى أن
يفتحه سيدنا أيده الله من المراسي
بعد . ولا يُخْتَصَّ في الشروط محن
بالذكر .

التاسع عشر :

مضمنه أن ما احتوت عليه هذه
الشروط اللاحقة بجميع مُسْتَمْلَكَات
دولة النجليز وممالكها I2 المبينة
بالنسخة .
هذا الشرط لا معنى له ، لأن
المخزن إنما يتعاقد مع النجليز بواسطة
الباشدور فيمن يشمله حكم النجليز .
ومن ليس شاملا حكمه له ، فلا كلام
لنا فيه .

§ : اسبانيا



مواد هذا الفصل هي :

I . السلك الدبلوماسي والقنصلي

2 . العلاقات المغربية الاسبانية بما اشتملت عليه من قضية مليلية وشؤون الهجرة الى المغرب ، وإدخال التلغراف الاسباني الى سبتة ، وما تلاه من فتنة عبد السلام الحمام

3 . المحميون والمستوطنون .

وعلى هذا الترتيب سيُطرق الموضوع .

* * *

المطلب الأول : السلك الدبلوماسي والقنصلي

أولا : الوزراء المفوضون

مثل اسبانيا بطنجة في هاته الفترة عدة وزراء وقناصل عامين كان أولهم :

I . **خوان بلانكو ديل بايئي** Juan Blanco del Valle الذي بدأ

عمله من غشت 1858 الى 1860 بوصفه قنصلا عاما لبلاده ، خلفا عن كارلوس اسبانيا Carlos España الذي خصص أوقاته للتجارة (I)

I . جان لوى مبيج «المغرب وأروبا» ج 2 ص 308 (4) و ج 3 ص 160

2 . **فرانسييسكو دي پاولا ميرى إي كولوم** F. de Paula Merry y Colom المولود باشبيلية سنة 1829 ، والمتوفى سنة 1900 . وقد عين بطنجة سنة 1860 برتبة وزير مفوض ، واستمر في منصبه الى شتنبر 1872 . وفي سنة 1875 عين سفيرا ببرلين حتى 1878 .

وهو أحد الغلاة الذين كانوا يطالبون بسياسة حازمة ونشطة ضد المغرب . وزيادة على ذلك ، كان أحد صنائع الجنرال أودونيل قائد قوات الاحتلال الاسباني بتطوان إثر معركة واد دراس (2)

وتلاه في هذه الوظيفة نواب كانوا يستبدلون بسرعة ومنهم :

3 . **فلورينتيو سانس** Florentino Sanz الذي استقال في يناير 1874 ، لكيلا يُزَكَّى حل قضية الأسارى الاسبانيين المعتقلين بوادي نون ، إذ كان يعتبره حلا مُجحفًا . وبعده عين :

4 . **أدولفو باتشوت إي اتشبال** Adolfo Patxot y Achaval ولم يلبث في منصبه الا حوالي سنة ، حتى خلفه :

5 . **إدواردو روميا يانغوس** E. Romea Yangos (3) الذي يبدو أنه كان قنصلا في البداية ثم صار وزيرا . وكان يبالي في وصف الاعتداءات الواقعة على الرعايا الاسبانيين بالمغرب ، مع أنه لم يُرْتَكَبْ الا اعتداء واحد . وكان رأيه مماثلا لأفكار ميرى إي كولوم في تفكيك وحدة المغرب . فقد قال هذا الأخير لسكوثاصو «منذ 8 أو 9 سنوات : ان امتلاك اسبانيا مسألة وقت . فمتى حُلّت قضية المشرق ، حُلّت قضية المغرب» (4) بالتبعية .

2 . المصدر السابق ج 1 ص 142 و ج 3 ص 187 و 160

3 . المصدر السابق ج 3 ص 187

4 . المصدر السابق ج 5 ص 165 ، حسب رسالة من وزير ايطاليا الى وزير خارجية بلاده في 24 شتنبر 1878

وظل روميا ولو بعد انتهاء مأموريته «ينتقد في حملة صحافية سياسة اسبانيا بالمغرب القائمة على الاعتدال» (5) .

وبعد هؤلاء الثلاثة السابقين ، أسندت النيابة عن اسبانيا الى وزراء آخرين شغلوا مناصبهم مدة طويلة نسبيا . ومنهم :

6 . **خوسي ديوسدادو إي كاستييو** José Diosdado y Castillo

الذي كان أحد معيني ميرى إي كولوم ، منذ 1871 على الأقل (6) . ولم أقف على تحديد تاريخ تعيينه وزيرا ، ولكنه ظل بطنجة حتى عين سفيراً بالسويد سنة 1889 .

وكان — بخلاف ميرى إي كولوم — معتدلاً في سياسته ، تبعاً لتعليمات حكومته . وكانت علاقاته طيبة مع المخزن . ولما عين بالسويد ، أهدى للسلطان قبل التحاقه بمنصبه الجديد كميّة صغيرة مذهب (7) .

وما لبث بعد سنتين أن طلب الاعفاء من وظيفته بالسويد ، «والرجوع للخدمة بطنجة» . وكانت له عرصة بهاته المدينة ، فالتمس «الانعام عليه بطريق من مرّشان ، ليكمل استواء جهة من عرصته . وهذا الطريف تافه ، لا ضرر فيه على الطريق» (8) .

وإذ كان السلطان يخشى أن يكون في ذلك ضرر ، لم يأذن له ، ولكنه قال للطريس : «فان رأيت ألا ضرر فيه فنفضّه له» (9) . ولم يفتأ — بعد ذلك بقليل — أن «طلب الاذن ببيع عرصته التي بمرشان وقطعتين من الأرض ، واحدة قريبة من العرصة ، والأخرى بجهة البحر» (10) .

5 . «الوثائق» ج 4 ص 101

6 . رسالة ديوسدادو الى بركاش فى 14 حجة 1287/7 مارس 1871 — محفظة بركاش

7 . رسالة السلطان الى الطريس فى 29 رجب 1306/31 مارس 1889 ، محفظة الطريس 15

8 . رسالة السلطان الى الطريس فى 18 شوال 1308/26 ماي 1891 ، محفظة الطريس 20

9 . رسالة السلطان الى الطريس فى 2 محرم 1309/8 غشت 1891 ، نفس المحفظة

10 . رسالة أمناء طنجة أحمد بن محمد بناني ومحمد فرج وعبد السلام أحرضان الى السلطان فى 8 قعدة 1309/4 يونيو 1892 ، محفظة طنجة 3

7 . **فرانثيسكو رفائيل فيغيرا** : Francisco Rafael Figuera

الذي دخل الى الحياة الدبلوماسية سنة 1843 بوصفه ملحقا بلشبونة ، وفي غشت 1888 عين نائبا لكاتب الدولة . وفي يناير 1889 حل محل ديوسدادو بطنجة .

وظل في منصبه حتى يناير 1893 عندما عين سفيرا باسطنبول (II) .
وخلفه :

8 . **المركيس فورناري دي پوطيسطاد** : Fornari de Poteslad

الذي سلك بدوره «سياسة اسبانية جديدة قد يكون ابتعد بها عن الالمانيين ، وخصوصا عن الانجليز ، وكان يعمل على غزو طنجة حتى الجبل الكبير بواسطة اسبانيين من الطبقة الدنيا . وأستطيع أن أؤكد لكم أن دي پوطيسطاد متفق مع مقالاتي ضد الحماية التعسفية ... لكن لا ينبغي أن أكتفكم أن الحزب الاسباني ، من أجل التحالف مع ألمانيا وانجلترا لاقتسام رفات المغرب ، لا يزال قوي الشوكة باسبانيا ، ولا أدري هل سيعرف المريكز كيف سيقوي جانب السياسة المغربية على جانب سياسة الوزير السابق ديوسدادو ، فيطرد القنصل لوثنانو» حسب رسالة الصحافي الفرنسي ده كرديك شيني الى المخزن (I2) .

* * *

ثانيا : القناصل

هذا عن الوزراء . أما القناصل فكان منهم زيادة على روميا سالف الذكر :

I . **ه . دي اونسييا** : H. de Uncilla الذي كان سنة 1871

قنصلا (I3)

II . جان لوي ميبج «المغرب وأروبا» ج 4 ص 220 (2 و 3)

I2 . المصدر السابق ج 5 ص 204

I3 . منشطة البابور «ليون روج» الوارد لطنجة في 16 يبرابر 1871 ، محفوظة طنجة I

- 2 . بيدرو أُرطيث دي سوكاسطي Pedro Ortiz de Sugasti
المعين حوالي 1872 وكان أيضا قنصلا بالرباط (14)
- 3 . فرانثيسكو ثونثاليث Francisco Gonzalez وكان سنة 1882
قنصلا (15)
- 4 . فرانثيسكو سوليفيريس Francisco Soliveres ، وكان قنصلا
في حدود سنة 1882 وما بعدها (16)
- 5 . مانويل ألباريس دي طوليدو Manuel Alvarez de Toledo
وهو أيضا كان حوالي 1893 موظفا (17)
- 6 . فرانثيسكو لوثنانو مونيوت Francisco Lozano Munoz
الذي كان قنصلا بالعرائش (نونبر 1868) ثم بالصويرة (1881) وكان في دجنبر
1883 قنصلا (18) . ويبدو أنه كان من دعاة التصلب ، ولم تكن ترضى عنه
السلطات المخزنية والأوساط الدبلوماسية . وكانت له تقارير وتآليف .
- 7 . كانديدو غاليسيا Cándido Galicia الذي تولى سنة 1894
المهام القنصلية (19) .

* * *

-
- 14 . رسالة بيدرو الى بركاش في 29 شتنبر 1872 ، محفظة بركاش
- 15 . رسالة بركاش الى خوسي ديوسدادو في 26 قعدة 1299/9 أكتوبر 1882 ، نفس
المحفظة
- 16 . رسائل بمحفظتي الطريس 8 و 13
- 17 . رسالة دي فورناري الى الطريس في 14 غشت 1893/1 صفر 1311 ، محفظة
الطريس 25
- 18 . رسالة لوثنانو الى الطريس في 21 حجة 1311/25 يوليوز 1893 ، محفظة الطريس
26 ، وجان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 210 (5)
- 19 . رسالة كانديدو الى الطريس في 12 يبرابر 1894/6 شعبان 1311 ، محفظة
الطريس 26

ثالثا : موظفو المفوضية

ولم أقف على غير هؤلاء القناصل . ولا بد أن أنهي الكلام بالحديث عن بعض الموظفين بدار المفوضية الاسبانية بطنجة ، منهم اثنان فقط وهما :

١ . **بَنَسِيْسْلاوْ رَامِيرِيْثْ دِي بِيَّائُوْ رُوْتِيَا** Wenceslao Ramirez de Villa-Urrutia وهو من مواليد سنة 1858 وتقلب في مناصب مختلفة بأمريكا وانجلترا والبرتغال وفرنسا بوصفه كاتباً للسر . وكان ملحقاً بالمفوضية بطنجة ، وصاحب ديوسدادو في سفارته الى مراكش سنة 1882 . وأثناء مؤتمر مدريد عُين أحد كتاب الجلسات (20) الأربعة .

وبعد انفضاض المؤتمر ، أنعم السلطان عليه وعلى الكتاب الثلاثة الباقين بسكين «مذهب مُجَبَّرْ مُزْدَجْ لكل واحد منهم ، وأتحف بألف ريال» الترجمان رينالدي آتي الذكر «مجازات ... على وقوفهم معكم ، وأخذهم بيدكم حين كنتم بمدريد» (21) ، وكذلك على رئيس الحكومة الاسبانية ووزير الدولة (أي الشؤون الخارجية) .

2 . **أَنِيْبَالْ رِيْنَالْدِي** Anibal Rinaldy

ولد بدمشق من أب ايطالي وأم مالطية . وعمل سنين طويلة بمفوضية اسبانيا بطنجة ، وكان له نفوذ وتأثير كبير لدى الموظفين المغاربة بسبب لباقتة وإتقانه للعربية (22) . وكثيرا ما كان الكتاب المخزنون يحرفون اسمه الى الرِّيْلانْدِي . وقد شارك - كما قلت - في مؤتمر مدريد بوصفه ترجمانا .

لبث في عمله أكثر من عشرين سنة ، عرف عن كَثَبِ النائب بركاش الذي أدلى في حقه بهاته الشهادة لدى الطريس جاء فيها :

20 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 157

21 . رسالة السلطان الى بركاش في 15 شوال 1297/20 شتنبر 1880 ، محفظة الحماية القنصلية .

22 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 80

«وزدناك هذا لننبهك ونعرفك في أمر الترجمان ، لكون الترجمات هم مفاتيح ما ينغلق من الأمور مع النواب كرتبة الوزراء ، لاسيما الترجمان السنيور الرلاندي : هو مجرب ومختبر عندنا نحوا من عشرين سنة ، ودار بيننا على يده من المهمات العظام ما لا يسع في البال ، وليس فيه غش ولا خيانة للجانبين . وانما الذي فيه أمر واحد ناشيء عن صفاء باطنه : وهو أنه يكره كثرة التردد في الأمور . فيجب قضاء الغرض الذي ورد لأجله من دون تردد ، وذلك من عدم غشه ، فيظهر ما في باطنه من أول وهلة ... وكنا نستشير معه في المهمات وكان ينصح ويحشد رأيه واستشارته ... » (23). وجاءت هاته الشهادة في معرض الحديث عن الاسباني الذي قتله أهل المنار سنة 1885 .

وأذيل الكلام عنه بإشارتين : الأولى أنه كان قبل سنة 1884 ينوي استيطان مراكش فرفض المخزن ذلك (24) . ولعل السبب في هذا الأمر أنه كان مرشحا لقنصلية اسبانية بهاته المدينة . والثانية هي أنه ترجم القرآن الكريم على ما يبدو الى اللغة الاسبانية ، فاقتبس منه الدكتور أوبيلو Ovilo في كتابه «المرأة المغربية» ، ولا يُعرف ما إذا طبعت تلك الترجمة (25) .

* * *

المطلب الثاني : العلاقات المغربية الاسبانية

لبسط الكلام عنها وجب التطرق الى جملة من القضايا المتنوعة . وسأقتصر هنا على العلاقات الدبلوماسية في شيء من الاقتضاب ، والى قضية مليلية في أواخر العهد الحسني ثم الى ملابسات الهجرة الاسبانية الى المغرب . وسأختم بمسألة نصب التلغراف وارتباطها بفتنة عبد السلام الحمام الانجري .

23. رسالة بركاش الى الطريس في 3 محرم 1303/12 أكتوبر 1885 ، محفظة بركاش

24 . ابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 337

25 . عبد الله العمراني : «القرآن الكريم في مجال الطبع والترجمة والنشر» في مجلة «دعوة الحق» أكتوبر 1973 ص 134

أولا : العلاقات الدبلوماسية

كانت الروابط مع هاته الدولة متسمة ، قبل حرب تطوان وبعدها بقليل ، بالتصلب من الجانب الاسباني والليونة من الجانب المغربي . لكن بعد انسحاب جيش الاحتلال من هاته المدينة ، أخذت سياسة حكومة مدريد تميل الى الاعتدال والتبصر ثم الى التعاون والتصالح ، فلم تكن تريد التورط مع جارها ، حفاظا على «مواقع» الشمال . وقد تبودلت بين البلدين سفارات في مسائل متنوعة ، ولا سيما في قضية مصادرة سائطا كروث المعروفة .

وفضلا على ذلك ، كان انعقاد مؤتمر مدريد ببلادها دليلا على سياسة الاعتدال والتعاون ، وكان سعيها سنة 1888 لمراجعة معاهدة 1880 برهانا آخر على الوثام بين الدولتين الجارتين .

هذا ، وفي حدود سنة 1890 حاولت النيابة عن ثلاث دول أمريكية هي المكسيك وكواتيمالا والأرجنتين (26) فأعلمت المخزن بذلك . وعنه أجاب الطريس' السفير' الاسباني فيكيرة بأن «ولاة مراكشة لا تصرف لهم على الأجانب . وعليه ، فللرعية أن تستحمي بمن أرادت» (27) . وكان النائب السلطاني أوضح له قبل ذلك أن «الدول الثلاث لا تعلق لها بايالة مراكشة» وأن نيابته عنها «متوقفة على إذن الجنا ب العالي بالله ، ولا يمكننا أن نقبل ذلك من عِنْدِ ياتنا» (28)

وأُنهيت المسألة آنذاك على هذا الوجه . وهو ما قاله الطريس للعاهل من أن نائبها رد له ما كتب له به ، ورد الطريس ما أجابه به ، وهكذا سلم «كل واحد منكما للآخر ما عنده فالحمد لله الذي كفى ، وهو المسؤول عن غير ذلك» (29)

26 . رسالة فيكيرة الى الطريس في 30 أبريل 10/1890 رمضان 1307 ، محفظة الطريس 18

27 . جواب الطريس الى فيكيرة في 28 رمضان 18/1307 ماي 1890 ، نفس المحفظة

28 . رسالة الطريس الى فيكيرة في 13 رمضان 1307/3 ماي 1890 ، نفس المحفظة

29 . جواب السلطان الى الطريس في 21 شوال 1307/11 يونيو 1890 ، نفس المحفظة

وأخيرا أُشير الى أن حكومة مدريد كانت قبل سنة 1894 تتولى تمثيل مصالح روسيا القيصرية (30) أو الموسكوب . بل انها كانت تنوب عنها قبل ذلك بكثير .

ثانيا : أحداث مليلية

لم تفتأ تنشعب بين المغاربة والاسبانيين نزاعات على الحدود ، ولا سيما قرب سبتة ومليلية . وأريد هنا أن أتعرض ببعض الايجاز لحوادث سنة 1893 التي وقعت بين أهل قلعية وسكان مليلية من الأجانب .

شرع الاسبانيون في بناء تحصينات دفاعية قرب مليلية فهاجمها أهل قلعية وأدّى ذلك الى نشوب معارك بين الطرفين انتهت بانهزام اسبانيي مليلية ، فما كان من حكومة مدريد الا أن أرسلت جيشا كاملا الى المدينة . ويصور الناصري القضية بأن أهل قلعية طلبوا من السلطان «أن يزيدهم في مساحة أرض مليلية على عاداتهم في كثرة الاقتراحات والتلونات . فأسعفهم وزادهم من أرض زناتة ، وصار الحد قريبا من تربة ولي الله سيدي وارياش... فلم يحل' لنصارى مليلية بناء العسات وغيرها الا في محل يشرف على تربة الولي المذكور ويكشف عنها . فراودهم أهل الريف على التخلي عن ذلك الموضع والبناء بغيره ، فأبوا وأصروا على الامتناع ، وربما لسعوهم بما أحفظهم من الكلام المؤلم على عاداتهم في ذلك ... فلما سلكوا هذا المسلك ونحوه مع أهل الريف ، أذاقوهم من بأسهم شديد العقاب وأليم العذاب كما هو معلوم .

«فلما احتل السلطان - أيده الله - بحضرة مراکش ، قدم عليه وفد الاصبنيول» (يرأسه مارتينيس كامپوس Martinez Campos) «يطلبون الانصاف من أهل الريف في هاته النازلة ... فوقع الفصل على أن يدفع

30 . رسالة كنديدو الى الطريس في 16 ابريل 1894 ، نفس المحفظة

السلطان عن دماء قتلاهم أربعة ملايين من الريال ، وتم الصلح على ذلك» (31) ، وهو ما يعادل 20 مليوناً من البسيطات كما تقدم عند الحديث عن السفراء ، وخصوصاً عن الحاج عبد الكريم بريشة .

وهو تعويض حربي ثقيل دفع إثر نازلة وقعت كان عسكريو مليلية سبباً مباشراً فيها ، لكونهم راموا تشييد أبراج في أماكن اشتراها المخزن منهم سابقاً . وزيادة على الغرامة المالية ، اعتقل الفقير ميمون الكلعي وابن عمه ، بتهمة تحريض السكان على المقاومة ، ووصفتها رسالة مخزنية بأنهما كانا السبب في الفساد الواقع بـكلعية (32) .

ثالثاً : الهجرة الإسبانية ومضاعفاتها

كانت الجالية الإسبانية بالمغرب أوفر عدداً من غيرها ، وكانت سنة 1866 بطنجة مثلاً «تتألف من أناس لا تحمد سيرتهم ، كانوا من المتهورين المخاطرين ، مع العلم أنهم كانوا في جلهم من المهربين والفارين من إسبانيا» (33) . وكانوا أيضاً من الطبقة الفقيرة يمتنون حرفاً مختلفة بطنجة وغيرها ، حتى ضايقوا المغاربة وزاحموهم . وكانوا «من الاملاق والضعة ما أضروا به — أكثر مما نفَعوا — سياسة بلادهم التي كانت ترمي إلى أن يدوم — جهد الامكان — استقلال المغرب النظري ، لكي تحافظ على مواقع قارة» (34) .

وسأشير على التوالي إلى عدد قليل من النوازل التي وقعت بالاحتكاك بينهم وبين المغاربة ، وذلك من خلال مصادر مغربية :

31 . أحمد الناصري «الاستقصا» ج 9 ص 206 ، وجيرمان عياش : «ردود الفعل المغربية أمام الاحتلال الإسباني والفرنسي» في مجلة «دار النيابة» العدد الخامس (1985) ص 21 ، تعريب محمد البزاز وعبد العزيز التمساني

32 . رسائل مختلفة في ربيع الثاني وجمادى الأولى 1311 / نونبر ودجنبر 1893 بمحفظه الطريس 25

33 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 89

34 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 242

I : «ومن جملتها قضية الشريف الذي قتله الصبنيولي بطنجة .
وكانوا زعموا أنهم أرادوا الحكم على القاتل ، وتحيلوا حتى أخرجوه من البلاد
وصاروا يتلاعبون ... وقد بلغنا أن القاتل المذكور قدم لطنجة وسكن غير
مكترث بأي أحد . فبأي موجب لم يقتل مع ثبوت قتله ؟ وبأي وجه يسكت عن
دعواه ؟ ... » (35) . وكان ذلك حوالي 1867 .

وقد أوضحت رسالة لاحقة ، بعد أكثر من سنتين من تاريخ الوثيقة
السابقة ، أن القتيل هو الشريف العلمي ، وأن الجاني كان قد اعتقل ، وزعمت
السلطات الاسبانية عند ترحيله أنها كانت تريد محاكمته ، فذهبت به الى
قادس ، ولكنه مكث طليقا . وبعد مدة عاد الى طنجة للاقامة بها . وأصبح
الطنجيون - الذين لم ينسوه - يرون فيه الشخص المتحدي لشعورهم ، حتى
هم أحد المواطنين باغتيال سفير اسبانيا بطنجة (36) . وقد اعتادت الوثائق
المخزنية إهمال اسم الأجانب وهوية القاتل الذي كان هو سيلبانا (37) Sylvana

2 : وثمة قضية أخرى قارنها السلطان في رسالته السابقة لسنة 1867
بقضية الشريف العلمي قائلا «... مع أنهم في قضية مرطوس تعنتوا غاية
التعنت ، وألزمونا قتله ، فصبّرناهم ريثما تتم الموجبات ويحكم الشرع
بقتله ، فلم يصبروا وما قصروا في التعنت ، وطلبوا رفع النازلة لغير القاضي ،
فوقع الحكم عليه بالقتل . ومع ذلك طلبوا أداء المال في القتل ، فكان ذلك
كله . فأي فرق بين هذا وذاك ومنع هذا من القتل ؟ » (38) . ولم يرد عن قضية

35 . رسالة السلطان الى بركاش في 18 ربيع الثاني 1284/19 غشت 1867 . نصها عند
ابن زيدان في «الاتحاف» ج 3 ص 386 - 388 ، وسورتها عند محمد نهليل في «رسائل شريفة» .
اللسوحة 24

36 . رسالة السلطان الى بركاش في 20 جمادى الاولى 1286/6 شتنبر 1867 ، محفوظة
بركاش

37 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 107

38 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ، الصفحات المشار اليها سابقا

مارطوس Marlos بيان واضح . فقد سميت في رسالتين سنة 1865
«نازلة مرطوس المقتول في جبل النكرو ، نواحي أنجرة» (39) .

3 : وقبل سنة 1863 قتل أهل أنجرة رجلين إسبانيين وجرحوا اثنين
آخرين ، كما قتل اسباني ثالث في ناحية مرتيل . فأمر السلطان الولاة بتعقب
القاتلين (40) .

4 : وخلال 18 شهرا (أي سنة 1869 و 1870) قتل ستة من الاسبانيين
وجرح اثنان (41) .

وهذا ما دعا الى مزيد من تأزيم الأوضاع بين الحكومتين المغربية
والاسبانية ، وبعد أخذ ورد ، تألفت سنة 1871 لجنة لبحث الدعاوي تحت
رئاسة جون هي . فطلب ممثل اسبانيا من مندوب المغرب الحاج عبد الرحمان
العاجي 30 ألف ريال ، دية 5 قتلى أي بنسبة 5 آلاف لكل قتيل . لكن الطرفين
لم يتفقا في الأخير الا على 20 ألف ريال عن الجميع (42) .

5 : قتل اسبانيو مليلية سنة 1870 ريفيا اسمه علي ، وكان مصرع
الاسباني منديس Mendez ردا شعبيا على هذا الحادث (43) .

6 : ومن ذلك أيضا أنه وقعت سنة 1886 حادثة ارتكبتها جماعة من
«أربعة من نصارى الصبنيول بطنجة قبضوا على رجل من هذه الايالة في

39 . من رسالتين واحدة من السلطان ، وأخرى من بركاش ، مؤرختين في 22 قعدة ثم
في 28 حجة 1281/18 أبريل و 24 ماي 1865 ، محفظة بركاش

40 . رسالة السلطان الى بركاش في 18 شعبان 1279/8 يبرابر 1863 ، صورتها في
كتب نهليل «رسائل شريفة» ، اللوحة 15

41 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 6 ص 150 ، حيث رسالة ميري اي كلوم الى
السلطان في دجنبر 1870

42 . المصدر السابق ص 153

43 . جان لوي مبيج : «المغرب واروبا» ج 5 ص 149

حانوته بالسوق الكبير وخنقوه بقصد أخذ ما معه من الدراهم ... وقتلوا عددا من الناس على هذه الكيفية وأخفوا جثثهم ...» (44) .

7 : في سنة 1888 ، بلغ الى علم المخزن أن الاسبانيين «لا زالوا يردون أفواجا لثغر طنجة ، حتى اجتمع منهم بالثغر المذكور الآن ألفون» . كما قال غريط للطريس ، وقد طلب غريط معرفة عددهم الذي بطنجة (45) .

8 : «وتكاثرت النهب بطنجة ، وتشكى من ذلك كافة النواب . ومن الذين سرقوا قنصلا اسبانيا وايطاليا ، وتشكى من ذلك النواب ومنهم نائب النبريال والبردقيز ، وطرق اللصوص محال الأجانب خارج البلد» . فأمر السلطان عامل طنجة بتقديم العسة والزيادة فيها ، بعد أن وجه اليه ألفا من العسكر . ووقع البحث عن النهب ، فلم يعرف أحيانا الى أي بلد ينتمون (46) . وكان ذلك سنة 1889 . ولا يستبعد أن يكون بعض اللصوص من جنسية اسبانية أو مغربية .

9 : توافدهم على المغرب خلق مشاكل لا حد لها ، ومنها السكنى والأمن والنهب . «وقد كثرت علينا الاسترعاءات من أهل الفحص في شأن أشخاص من رعية دولة السبنيول يسكنون في الكهوف والأجوار بناحية المحل المذكور . فنطلب منكم أن تأمروهم حيناً بالقيام من هناك ، لأن المحل خلاء ، وقد تصيبهم الآفات في أنفسهم وأمتعتهم ...» (47) .

10 : والآفة وقعت أمثالها على فترات متقطعة ، فمن ذلك مقتل الاسباني لويس أوليبيّة : (؟) Luis Oliva ونهب أمتعته بأحواز طنجة في شهر غشت 1891 . وقد طالبت المفوضية بالاقتصاص من الجاني (48) .

44 . رسالة السلطان الى الطريس في 3 قعدة 1306/فاتح يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 16 .

45 . رسالة غريط الى الطريس في 26 حجة 1305/3 شتنبر 1888 ، محفظة الطريس 13

46 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 ربيع الثاني 1307/14 دجنبر 1889 ، محفظة الطريس 17

47 . رسالة الطريس الى فيكييرة في 27 رجب 1308/8 مارس 1891 ، محفظة الطريس 20

48 . رسالة فيكييرة الى الطريس في 11 غشت 1891/5 محرم 1309 ، محفظة الطريس 21

II : وقبلها كانت حادثة معاكسة ، ولعلها انتقامية ، وهي أن خوسي باروسو (؟) José Barroso قتل دراويا مغربيا بسوق طنجة سنة 1890 . ولما طلب سفير اسبانيا من الطريس مفاصلة دعوى الاسباني لويس أوليبي ، ذكره بأن القاتل المغربي «مقبوض عند المخزن ، وأن على اسبانيا أن تنصف آل الدراوي من قاتله بارص' الذي هو تحت حكم اسبانيا» (49) . فرد فيثيرة على الطريس أنه «حكم على باروس' بـ 12 سنة ، زيادة على سنتي الاعتقال» من لدن محكمة اسبانية ، ولهذا يجب الاقتصاص من قاتل لويس أوليبي حسب قواعد الشرع المغربي (50) .

I2 : وتفاقت الأحوال ، فأعلم الطريس' غريط' الذي رد عليه : «الصبنيوليان المقتولان أحدهما بناحية مليلية ، والآخر بفحص طنجة ، وامراة اسبانية» (هي ماريا أطينسة Maria Alenza) «قتلت بعده بالجبل الكبير من نواحي طنجة أيضا ، وسكوتهم عن قضية عسكريهم المقتول بالريف ، وأن قتيل الفحص لم يتحقق قتله على يد أحد ، والمتهم به لا زال بالسجن الى الآن ، وقاتل المسلم الدراوي بطنجة ، فأجابوك بأن شرعهم حكم بسجنه اثني عشر عاما وأنه مسجون عندهم باسبانيا ...» (51) ، وكان كل ذلك من العوامل التي تهدد الأمن ، وتفسد الجوار .

I3 : وفضلا عما سبق ذكره ، اتخذت إجراءات زجرية وتعسفية من لدن سلطات سبتة و «صار جوار سبتة كلما دخلوا اليها سجنوا ...» ، وهذا يؤدي حسب قائد الحداة «الى الفتنة وعدم المهادنة» (52) .

49 . مسودة جواب الطريس الى فيكبرة في متم ربيع الثاني 1309/2 دجنبر 1891 ، نفس المحفظة

50 . رسالة فيكبرة الى الطريس في 29 ماي 1892/2 قعدة 1309 ، نفس المحفظة

51 . رسالة غريط الى الطريس في 12 حجة 1310/27 يونيو 1893 ، محفظة الطريس 24

52 . رسالة عبد السلام السعيد الى الطريس في 26 حجة 1310/11 يوليوز 1893 ، نفس المحفظة

وأخيرا كان المهاجرون يطلبون الرزق حلالا وحراما ، «ويبيعون السلاح» (53) ، كما كانوا يروجون سكة اسبانية فضية بالمغرب لا تدور ببلاذهم نفسها ، ولذلك صدرت الأوامر الى العدول والأمناء بالآء يعتبروها عند الأداء (54)

هذا بعض ما وقفت عليه من ملابسات الهجرة بطنجة وهو أقل القليل ، لكن غير ذلك سيأتي بمدن أخرى .

رابعا : قضية التلغراف

طلب الاسبانيون سنة 1883 «جعل التلغراف من طنجة لطريفة بحرا ، وحتى إن كان لابد من استخدام الآلة المذكورة فتكون بداخل ايالتنا ، وخدمتها من رعيقتنا» (55) .

هذه الرغبة قديمة ، فقد عرضوها سنة 1869 ، وبدأت شركة تفكر في ربط الأسلاك سنة 1870 ، لكن معاكسة انجلترا وفرنسا حالت دون ذلك (56) .

وبعد موافقة السلطان على مد انجلترا أسلاك التلغراف من جبل طارق الى طنجة ، تشوفت اسبانيا الى نيل نفس الامتياز . غير أن ذلك انطوى على فتنة عبد السلام الحمام الذي لم يقبل أن تغرس أخشابه بقبيلة أنجرة خاصة وأن اسبانيا كانت تريد بذلك تدعيم مركزها ، وإدامة احتلالها لثغري سبتة ومليلية .

وهكذا «طلب سفير اسبانيا جعل سلك التلغراف بحرا بين طنجة وطريفة أو الجزيرة الخضراء ، على الشروط المجعولة مع الانجليز في جعله

53 . من موجب عدلي في 29 حجة 1310/14 يوليوز 1893 . نفس المحفظة

54 . رسالة السلطان الى الطريس في 4 صفر 1311/17 غشت 1893 ، نفس المحفظة

55 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 502 ، حيث رسالة السلطان الى بركاش في 23 شوال 1300/27 غشت 1883

56 . «تاريخ المغرب» ص 320 . لطائفة من المؤلفين

بين طنجة وجبل طارق . فنامرك أن تساعد على جعله على الشروط المذكورة» (57) .

ويستفاد من رسالة سلطانية (58) أن الاسبانيين قبلوا البنود الأربعة التالية وهي :

1 — أن يكون التلغراف بين طنجة وطريفة أو الجزيرة الخضراء

2 — وألا يكون غيرها من المراسي

3 — وألا يكون برا

4 — وأن يكون بالمحل الذي يعينه المخزن بطنجة

وهي نفس التي جعلت بين المغرب وانجلترا باستثناء الأول الذي ينص طبعا على نصبه بين طنجة وجبل طارق . وقد فرض شرط خامس على الانجليز كما تقدم وهو أن يوافق النواب على جعله ويطبعون بطوابعهم على هذه الشروط (59) .

خامسا : فتنة عبد السلام الحمام

لما توافق الطرفان على الشروع في أشغال ركز دعائم التلغراف يوم 3 شتنبر 1891 (27 محرم 1309) ، وصلت الأخبار من عامل تطوان أن عبد السلام الحمام وأصحابه يريدون منع اسبانيا من ذلك . وكان الطريس يرى أن المعارضة الصادرة من عبد السلام «ليست معارضة لها ، بل معارضة للجناب الشريف . ولاسبانيا أن تشرع في وضع الركائز ما بين الواد وطنجة» (60) .

57 . رسالة السلطان الى الطريس في 28 ربيع الثاني 1307/22 دجنبر 1889 ، محفظة الطريس 17

58 . رسالة السلطان الى الطريس في 15 رجب 1307/7 مارس 1890 ، محفظة الطريس 18

59 . مسودة رسالة الطريس الى نائب اسبانيا في 17 شوال 1308/26 ماي 1891 ، محفظة الطريس 20

60 . رسالة الطريس الى نائب اسبانيا في 27 محرم 1309/2 شتنبر 1891 ، محفظة الطريس 21

ثم صدرت الأوامر الى ادريس أمقشيد أحد قواد أنجرة والى عمال طنجة وتطوان وأصيلة « بترصد قائد قبيلة أنجرة عبد السلام الأنجسري ، لاشتغاله بالفساد ، لا على وجه الامتناع من نزول السلك بالقبيلة » (61) . وألقي القبض على الحمام ، فظن الطريس أن « النازلة قد انتهت بوجه جميل » (62) .

ولما اعتقل الحمام ، بقي رهن الأسار حتى أمر السلطان بعد ذلك بتوجيهه لسجن مصباح بمراكش . غير أنه استطاع أن يلوذ بالفرار بتواطؤ أو بدونه ، والتجأ الى قبيلة واد راس ، واستقدم أصحابه من أنجرة متعصبا بهم .

ومع ذلك ودرءاً للفتنة ، خوله العاهل الأمان ، أمراً الطريس باستقدامه لمراكش (63) . فلم يفلح الأمان السلطاني في تهدئة الروعة ، حتى « تفاقم أمر ولد الحمام وانضم اليه ثلثا القبيلة وانضم الى صفه بعض الأجانب » (64) واتهم إيوان سميث كما رأينا ذلك قبل وثبت ضده ، ونسب للحمام اعتقال الرهائن ومنهم شاب فرنسي لم يذكر اسمه . فبينما كان هذا الأخير يقوم بجولة « على شاطئ البحر حتى ملتقى النهر في طنجة القديمة ، واذا بشخصين يعتقلانه ويقودانه الى قائد أنجرة المتمرد . وقد حبس هنا 8 أيام . لكنه ألح في الأخير لكي يرجع تحت الحراسة الى طنجة ، دون أن يضطهد أو ينهب متاعه » (65) .

وترى رسالة سلطانية أنه كان متواطئاً ، اذ « كان النصراني الفرانصيصي قد اكرى بهيمة للخروج لبساتين البلد على العادة ، ثم جدد في السير لعنه

61 . رسالتان سلطانيتان الى الطريس كلاهما في 8 صفر 1309/13 شتنبر 1891 ، نفس المحفظة

62 . مسودة رسالة الطريس الى السلطان في 15 صفر 1309/20 شتنبر 1891 ، نفس المحفظة ايضاً .

63 . رسالة السلطان الى الطريس في 26 صفر 1309/فاتح اكتوبر 1891 ، محفظة الطريس 22

64 . رسالة السلطان الى الطريس في 16 قعدة 1309/12 يونيو 1892 ، محفظة الطريس 22

65 . جان لوي ميبج : « المغرب وأروبا » ج 5 ص 199 حيث رسالة مخبر الى الدكتور ايناريس صادرة من طنجة ومؤرخة في 9 يونيو 1892 .

ولد الحمام . وطلب أن يقيم معه من جملة رفقائه ، وبقي عنده نحو الثمانية أيام حتى استرعى كبراء القبيلة على الحمام ، خشية أن تلحقهم مَلَاة بسببه . ووجهوه في الأمان جبرا عليه» (66) .

وفي رسالة أخرى الى الطريس ، أصدر الحسن الأول تعليماته لنائبه أن يكلم «النواب بأن يأمرُوا رعاياهم بالاحتياط والأخذ بالحذر في خروجهم لنواحي المدينة ، الى أن تطفأ نار الفتنة ...» (67)

وتعاضم خَطْبُ الفَتَنَانِ ، وصار صديقا لاسبانيا ، وأخبر قائد الحداة قرب سبته عبد السلام السعيدى الطريس بأن «الريفي الجاسوس الموجه من هنا ... أتى بكتاب من الحمام لحاكم سبته ...» (68) . ولعله كان يريد السلاح أو الالتجاء الى سبته .

وقبل ذلك ، عين السلطان القائدين العربي بن عبو الرحمانى وعلي الأودى لردع فتنة الحمام (69) . الا أن الجيش وخصوصا كبراءه ، كانوا ، على ما يبدو ، مُضِرِّين بمصلحة المغرب اضرارَ الفتان الأنجري بها . وطال مُقام المحلة حتى كثرت الشكايات بفسادها ، ولم يكن السلطان مشاطرا لهذا الرأي لما قال للطريس في جواب بليغ :

«وصل كتابك بما تقول على كبير المحلة في التَسَرُّاد الذي حضرته مع خدامنا أُمْناء المرسى المحروسة ، من كونه أكرى عددا من الناس للوقوف معه ، عوضا عن فر من العدد الأصلي ، ولم تتفطن لذلك حيث رأيت

66 . رسالة السلطان الى الطريس في 4 صفر 1310/28 غشت 1892 ، محفظة الطريس 22 .

67 . رسالة السلطان الى الطريس في 3 محرم 1310/28 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

68 . رسالة عبد السلام السعيدى الى الطريس في 5 محرم 1310/30 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

69 . رسالة السلطان الى الطريس في 16 حجة 1309/12 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

الجميع بالكسوة العسكرية (70) ورددت الأمر الى ما هو محقق عند جانبنا العالي بالله في كبير المحلة من صدق أو عدمه ، وصار بالبال .

«فالصدق اليوم عزيز ، بل صار كعقواء مغرب ، يُسمع ولا يرى .
وان لم يكن الكل فالبعض . وحتى إن هو يتحرى ، فليس لأخ زيد أخ .
والله أسأل أن لا يَكِلَنَا الى أنفسنا ، ولا الى أحد سواه . والسلام» (71)

ويضاف الى هذا التلاعب بالأموال ونفخ الأعداد وما كان من ذلك ،
تظلم أهل طنجة لدى السلطان ، فقد «تشكى أهل الفحص من إضرار المحلة
بهم ، ونهب أمتعتهم ... وصار النواب يسترعون من أجل ذلك ... ولما صدر
من كبراء المحلة من القبض على بعض الصالحين من الأنجرة ومن جملتهم رجل
مخالط للمركان ... فاقترح عليك نائب المركان تسريحه ، ورد متاء ،
أو تأتي مراكبهم لأجل الفصال ، حسبما بكتابيّه الواصلين طي كتابك
وذكرت أن طول مكث المحلة بقرب طنجة لا يفضي الا لمزيد التشويش
وصار بالبال .

«أما ما تشكى به أهل الفحص فلا غرابة في ذلك ، وكثيرا ما يقع ذلك
من المحلة للصالح ، ولاكن يتدارك ذلك . وقد كتبنا لكبراء المحلة أن
يفاصلوهم ... وأما أهل الأنجرة فليس فيهم رجل رشيد (72) . وأما استرعاء
النواب فهو كذلك . وأما المركان فكان من حقه أن لا يخالط أهل الفساد ،
أو يحوز أمتعته من عندهم حيث قسدوا ... وأما ما خشيت من مكث المحلة
بقرب طنجة ، فقد أمرنا بنقلها من هناك ...» (73) .

70 . مثل هاته الأعداد المنفوخة وقع أثناء فتنة بوحمارة لما أمر الوزير المهدي المنبوي
بقيادة الحملة التجريدية ضده . ينظر ذلك في كتاب عبد الوهاب بن منصور : «أعلام المغرب
العربي» ج 1 ص 319 و 322

71 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 محرم 1310/13 غشت 1892 . محفظة الطريس 22

72 . مثل هاته الأوصاف وردت في رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى أهل انجرة
سنة 1847 وفيها : «ليس فيكم رجل رشيد وذو عقل سليم ورأي سديد» (انظر مجلة دار التيا به
العدد الخامس من 60 ، العمود الثاني)

73 . رسالة السلطان الى الطريس في 6 صفر 1310/13 غشت 1892 . نفس المحفظة

ومع اعتراف السلطان بما قد يقع من انتهاك المحلة للحرمانات ، فلم يكن الجند كله على وتيرة واحدة ، بل كان فيهم من قام بواجبه فأكرمه العاهل «الذي أنعم بفرس مسرج تلمساني اعتناء ومجازاة» (74) على قائد الرحي الدمناطي في محاربة الفساد .

وقد آتت سياسة حزم الحسن الأول أكلها ، فوفد أعيان أنجرة على لسان قبيلتهم طالبين الأمان (75) . فأمّن السلطان «أهل الغابة من الأنجرة المجاورة للحدادة» في إحدى رسائله إلى الطريس (76) . ثم فسر في رسالة أخرى في نفس اليوم هذا الأمان بأنه يصدق على «أهل الغابة المتظاهرين بالصلاح ... إن لم يدخلوا في زمرة أهل الفساد ...» (77) .

وأخيرا وفي مارس 1893 ، حملت الأنباء خبر القبض «على ظالم نفسه الحمام الأنجري وحلوله بسجن طنجة ... فقد حاق به سيئٌ مكره ، وعاد عليه شؤم فعله وبغيه ، فقد ضاعت بسببه رقاب وأموال ...» (78) ، وكان من جملتها جنود مغاربة من أعضاء المحلة وكان «الطبيب الاصبنيولي والمكلف بتعليم متعاطي الصناعة الطبية هو الذي عالج مجاريح المحلة» (79) .

وهكذا كان التلغراف الاسباني سببا في فتنة دامت نحو من سنتين . بعد أن «كانت اسبانيا أكثر من السلطان نفسه تعارض ، بكبير عناد ، في تسرب الحضارة الحديثة . فمثلا اعترضت على انشاء حاجز (مول) بآسفي ،

74 . رسالة السلطان إلى الطريس في 28 محرم 1310/22 غشت 1892 ، نفس المحفظة

75 . رسالة محمد السلاوي إلى الطريس في 23 محرم 1310/17 غشت 1892 ، نفس المحفظة

76 . رسالة السلطان إلى الطريس في 5 صفر 1310/29 غشت 1892 ، نفس المحفظة

77 . رسالة السلطان إلى الطريس في 5 صفر 1310/29 غشت أيضا ، نفس المحفظة

78 . رسالة السلطان إلى الطريس في 28 شعبان 1310/17 مارس 1893 ، محفظة

الطريس 24

79 . رسالة العباس بن محمد بن العربي الجامعي إلى السلطان في 15 ربيع الاول 1310/

7 أكتوبر 1892 ، محفظة طنجة . 3 والراجع أن هذا الطبيب هو فليبي أوبيلو أي كناليس .

وعلى وضع أسلاك التلغراف من جبل طارق الى طنجة ، وعلى الاصلاح النقدي سنة 1867 ، وعلى كل أنواع الاصلاحات سنة 1875 على الخصوص (80) .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون

في أواخر عهد مولاي عبد الرحمان ارتفع عدد المحميين الاسبانيين من اليهود ارتفاعاً شديداً في سنة واحدة (81) ، نظرا لما كانت عليه سياسة اسبانيا إزاء المغرب قبل حرب تطوان وفي السنوات القليلة بعدها . أما الموظفون بالمفوضية سنة 1866 أي في عهد ميري إي كلوم فكان عددهم 10 موظفين صغار ، منهم كاتب ونائب للمفوض وترجمان رسمي وقنصل وثلاثة كتاب للعربية ومترجم وقابض بالجمارك وطبيب ، كلهم مؤجّرون من الحكومة ، مثلهم في ذلك مثل قنصلين اثنين و 17 نائبا قنصليا بالمراسي (82) .

ولم أعر على وثيقة مفصلة ومؤرخة بأسماء المحميين القنصليين بطنجة سوى لائحة غفل ومنها أقتطف أسماءهم على ما هي عليه من إخطاء :

أولا : المحميون القنصليون

1 . محمد بن العربي أمقشيد : وكان كاتباً بالقنصلية

2 . سي محمد الدرقاوي : ولم يرد بيان صفته هو والذين بعده

3 . عبد الرحمان المصمودي : وقد ذكر أنه «معلم» ، ويعني ذلك أنه

كان محترفا لصناعة ما

80 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 257

81 . عبد الوهاب بن منصور : «الوثائق» ج 4 ، ص 19 ، وشارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة الامبيرyalيات» ص 32 .

82 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 89

4 - 6 . سي أحمد بن سلام أزام ومحمد بن محمد بن سلام أزام
ومحمد بن أحمد المرباط

7 - 10 . رحمة زوجة الحاج أحمد المرباط وأولادها الثلاثة : ولعل
محمد سابق الذكر رابع أولادها ، ولا شك أنها أرملة .

11 . الحاج محمد الشاوي : صهر القائد أحمد بن احساين

12 - 16 . الحاج قدور بن بوبكر ، وكان عوناً بدار القنصل هو
والأربعة الذين يلونه : والحاج محمد أحلوي ، والحاج الحسن أزغود ،
وسي علي الفتوح : ولعله هو الذي كان محمياً أمريكياً حسبما سلف ، وحسبما
سيأتي من أنه كان كاتباً بالقنصلية النمساوية ، ومحمد أكبيري .

18 - محمد الزيّلاشي كان كاتباً بالمفوضية

18 - أحمد بن احساين وكان عوناً بالمفوضية أيضاً ، (ولا أدري هل هو
القائد أحمد بن احساين المذكور سابقاً)

19 - أحمد بن عمرو الصغير : عون كذلك بالمفوضية

وبعد هؤلاء الثلاثة جاء في القائمة «ومتعلمين دار نيابتنا وخدام
كتابنا» (83) .

* * *

ثانياً : السماسرة والمستوطنون

لم أقف أيضاً على اسم أي سمسار لأي تاجر إسباني بطنجة ، وما
عثرت إلا على أسماء بعض المستوطنين . ولا شك أن ندرة السماسرة دليل
على أن المهاجرين الإسبانيين إلى المغرب عامة وطنجة خاصة لم يكونوا من

83 . من لائحة غير مؤرخة بمحظة المغرب إسبانيا ، وعليها طابع المفوضية بطنجة ورقمها
بمكتبة تطوان هو 50/69 .

كبار التجار ، أو ربما تكون لوائح السماسرة قد ضاعت . على أن كناش
مستفاد طنجة سنة 1869 يحتوي على أسماء اسبانيين كانوا مشغولين بالجلب
والوسق آنذاك ، وهم :

1 . **خوان بلانكو غارسيا** Juan Blanco Garcia وكان يصدر
الزعتر .

2 . **رويث Ruiz** وكان مستوردا للسكر

3 . **مويس مجيرش** : وقد يكون يهوديا اسبانيا أو برتغاليا وكان
مستوردا للثياب .

4 . **بينطو Pinto** والغالب أنه يهودي اسباني أو مغربي كان
يتجر في الأرز والشاي و «الخل» (الذي هو الخمر بحسب اصطلاح الأماء)

5 . **ماطياس Matias** كان من مصدري الشيران الى جبل طارق
على يد منويل نوبيللا الموظف بالمفوضية البريطانية بطنجة (ولعله هو
الملقب النصراني الأكحل)

6 . **رامون نيטو R. Nieto** كان من المصدرين (84) .

7 . **فرتونة Fortuna** ولم يذكر نسبه ونسب من قبله وكان
يجلب ثوب «الكيرية» لحساب المخزن سنة 1888 (85) لكسوة الجيش على
ما يظهر .

8 . **ريكاردو غونثاليث R. Gonzalez** : لما قدم الى طنجة سنة 1888

84 . هؤلاء الستة السابقون ذكروا في مستفاد طنجة ، في جمادى الاولى 1286 / أكتوبر
1869 ، محفظة طنجة : 1

85 . رسالة أمناء مرسى طنجة الى السلطان في 9 محرم 1300 / 15 شتنبر 1888 ، محفظة
طنجة 3

طلب على يد نيابة بلاده من السلطات المخزنية تنفيذ حانوت حبسية له بالسوق الداخل (86) .

9 . **بيدال بيرنابي** Vidal Bernabe . لعل هذا الرجل كان من ميسوري تجار اسبانيا بطنجة . فكان نائبا للشركة طرانزاتلانتيكا الاسبانية هنا (87) ، وطلب من المخزن أن يعين له حصة من القمح والشعير لتصديرها الى الخارج بالعمولة سنة 1891 ، فرد الطريس بأن الوسق غير ممكن في هاته السنة لافساد الجراد لهما ، وذكر للنائب الاسباني أن «التاجر في غنى عن الوسق لأن تجارته قائمة» (88) .

10 . **فرناندو** Fernando . هذا الاسم الناقص كان لتاجر مفلس أو محتال ، وكان يسكن بطنجة حين أقرضه «وصيف سيدنا الطالب ادريس بن زينة» قدرا من المال أيام ديوسدادو ، ثم تقاعد له عن جله . وقد «أفلس بأموال الناس ، وكان مستعدا للافلاس ، وهو يتصيد المغفلين ، وقد ثبت فلسه بموجب قوانينهم ، فلم يبق وجه لاعادة الكلام معهم في هاته النازلة» (89) .

وقد يكون لفرناندو هذا نسب طورالبا Torralba

11 . **إدواردو اسطيرنو** E. Esterno . كان يبني دارا بشاطيء البحر في المحل المسمى البراميل ، فأوقف له المخزن سنة 1889 البناء (90) . ولعل المنع كان سببه مراقبة التهريب .

86 . رسالة الطريس الى غريط في 23 شعبان 1305/5 ماي 1888 ، محفظة الطريس 11

87 . رسالة الطريس الى قائب اسبانيا في 12 قعدة 1310/28 ماي 1893 ، محفظة الطريس 24 .

88 . رسالة الطريس الى نائب اسبانيا في 6 ربيع الاول 1309/10 اكتوبر 1891 . محفظة الطريس 21

89 . رسالة الطريس الى السلطان في 15 ربيع الثاني 1308/28 نونبر 1890 ، محفظة الطريس 19 .

90 . رسالة فيكيرة الى الطريس في 1 شتنبر 1889/5 محرم 1307 ، محفظة الطريس 17

١٢ . كاميلو بونيلي Camilio Bonelli كان من قدامى المستوطنين الاسبانيين بطنجة ، ورد عليها سنة ١٨٥٨ ، وكان أول صيدلي أروبي بالمغرب . وقد تزوج بهاته المدينة ، وبها مات سنة ١٨٩٨ ، وفي سنة ١٨٨٤ كان أمين صندوق لجنة الصحة والطرق البلدية ، وممثلا لعدة مصالح اسبانية بالمدينة (٩١) .

١٣ . كاستيو Castillo ، وكان مهندسا اسبانيا كلفه مجلس السنيذة بادخال الماء الشروب لطنجة . وقد طالب جوزي كولاصو ممثل البرتغال المخزن بأداء أجرة للمهندس المذكور ، فاستظهر الطريس بجواب كان وجهه بركاش الى خوسي ديوسدادو بأن المغرب لا يلتزم بصاثر هذه الأشغال ، وذكر له النائب السلطاني أيضا أن المخزن لم يكلف كاستيو بشيء (٩٢) ، وكان ذلك سنة ١٨٩٣ .

وبديهي أن هذا قليل في الحديث عن المستوطنين الاسبانيين الذين كانوا بالألوف بطنجة ، ولكن المصادر ضئيلة علينا مثلما هي بعيدة عنا .

٩١ . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج ٤ ص ٣٥٤ (١٣) ومحمد الأمين البزاز : «لجنة الصحة والطرق البلدية بطنجة» ص ٤٨ من مجلة «دار النياحة» العدد الاول ١٩٨٤

٩٢ . رسالة الطريس الى نائب اسبانيا في ٢٦ حجة ١٣١٠/١١ يوليوز ١٨٩٣ ، محفوظة للطريس ٢٤ .

6 : إيطاليا

ينقسم هذا الفصل الى أربعة مطالب :

1 . السلك الدبلوماسي والقنصلي

2 . موظفو المفوضية

3 . المحميون والمستوطنون

4 . نبذة من حياة سكوفاصو وكانطاكالي

* * *

المطلب الأول : السلك الدبلوماسي والقنصلي

كانت إيطاليا ممثلة بالمغرب بجمهورية البندقية من سنة 1792 الى 1799 ، واختفى هذا التمثيل ، الى أن استأنفته سنة 1820 مملكة سردينيا ، وفي سنة 1825 كانت مملكة الصقليتين تمثل المملكة الايطالية حتى اندمجت فيها بقيام الوحدة الترابية .

ومن الذين نابوا عن ايطاليا ، موحدة أو مشتتة ، أذكر :

1 . **غرابرغ أف هيمسو** Graberg af Hemso الذي كان قنصلا للسويد والنرويج ، وبعد عزله صار يمثل سردينيا سنة 1822 .

2 . قنصل فرنسا بطنجة **ده كاستيون** ، ناب سنة 1860 عن سردينيا (1)

3 . **جيوسيبي دي مارتينو** Giuseppe di Martino الذي قضى بالمغرب نحو ثلاثين سنة ابتداء من 1835 كان ينوب خلالها عن مملكة

1 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 539

الصقليتين (2) . وفي أبريل 1861 ، أصبح قنصلا عاما لنابولي ، وبعد تعيين خلفه آتى الذكر صار سنة 1865 ممثلا لبلاده بالأسكندرية (3) .

4 . **إليكساندر ده فيردينو** A. de Verdinois الذي قد لا يكون ايطالي الجنسية والذي وصل الى طنجة في 9 يراير 1865 بوصفه قنصلا عاما لاطاليا ، وكان يسير «الوكالة الملكية والقنصلية العامة لصاحب الجلالة ملك ايطاليا» بطنجة ، وقد طلب تعيين قناصل محترفين وخاصة بالجديدة سنة 1866 ، لأنه كان يرى أن الجديدة تقع بوسط المغرب وأن تجارة الحبوب والصوف (4) مزدهرة فيها ، وبعد ذلك خلفه :

5 . **أدولفو كاستيليناردو** A. Castillinaro في مارس 1867 ، وكان نائبا عن سيردينيا بطنجة منذ 1850 ، ونشر سنة 1868 تقريرا عن تجارة المغرب (4) وهي السنة التي عين فيها خلفه :

6 . **ستيفانو سكوقاصو** Stefano Scovasso الذي مكث وزيرا مقيما بطنجة مدة طويلة .

7 . **روميو كانطاثالي** R. Cantagalli الذي تقلد أعباء منصبه سنة 1888 ، وسيأتي حديث عنه وعن خلفه

* * *

المطلب الثاني : موظفو المفوضية

أما المستخدمون فكانوا في أغلبهم ايطاليين ، زيادة على المحميين القنصليين المغاربة . وكان من هؤلاء الموظفين :

2 . رسالة دي مارتينو الى مولاي عبد الرحمان في 4 ذي القعدة 1253/30 يناير 1838 ، وكذلك ميسج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 92 .

3 . المرجع لآخر ج 5 ص 91 و ج 2 ص 454 و ج 1 ص 173

4 . نفسه ج 1 ص 85 و ج 2 ص 454 وكذلك رسالة السلطان الى بركاش في 10 ذي القعدة 1284/4 مارس 1867 ، محفظة المغرب ايطاليا ، وأيضا جاك كايي : «شارل ياجر شفيد...» ص 47 و 102 .

1. ج . **فينانزي** G. Venanzi وكان ينوب عن كاستيللناردو وعن سكوثاصو ، وخصوصا في غشت 1871 .

2. **پاولو تراندي** (?) P. Grandi وكان يقوم مقام السفير حوالي 1875 (5)

3. **بوزيو** Bosio كان ترجمانا سنة 1875 ، وهو الذي رافق الحاج محمد الزبدي الى ايطاليا في نفس السنة ، وكان الكتاب المخزنون يعرفون اسمه الى «بوزيد» ، لتشابه رسم الواو والدا ل .

4. **فوساتي رينيري** Fossati Reyneri كان سنة 1879 موظفا ونائبا (5) .

5. أ. **جانطيلي جيانتييلي** A. Gentile Giantelle كان هو الترجمان الأول بمفوضية طنجة ، وناب عن سكوثاصو وعن كانطانالي ، وكان يستلطف في توقيعه على العادة في ذلك بعبارة «لطف الله به» . وتقدم أن وصفه أمناء طنجة بأنه كان «قطعة سم» ، مثله مثل منصور ملحة ، ترجمان المفوضية الألمانية .

وقد ولد جانطيلي بمدينة جنوة سنة 1857 ، وعين ترجمانا سنة 1878 بتونس ، ونقل منها الى طنجة في أكتوبر من نفس السنة . بوصفه ترجمانا بمفوضية بلاده ، ثم أصبح سنة 1886 مكلفا بالأشغال ، وقد تصاهر سنة 1884 مع أسرة أيون بيرديكاريس الأمريكي الغني . وكانت علاقته وطيدة مع الأوروبيين . كما كانت له اتصالات بالقصر السلطاني وكبار رجال المخزن ، وكان يعتبر الملهم الحقيقي للمفوضية الإيطالية (7) ، وظل بطنجة حتى نقل الى الدار البيضاء حوالي سنة 1912 لتقلد أعباء القنصلية العامة .

5 . رسالة كراندي الى بركاش في 10 غشت 1875 ، محفظة بركاش

6 . محفظة المغرب ايطاليا

7 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 98 (7)

6 . **فليس مايسا** F. Maissa كان قنصلا بطنجة حوالي 1884 ونائبا عن سكوقاصو (8) .

7 . **جيوليو تيسي** G. Tessi وكان نائبا قنصليا لاطاليا بهاته المدينة قبل أن يعين بالمشرق سنة 1886 ، كما كان سنة 1885 من مساعدي سكوقاصو (9) .

8 . **ارطورو غامبياجي** A. Galetti Gambiagi وكان سنة 1889 قائما بالأشغال ، ولما وقع اعتداء عليه احتج أعضاء السلك الدبلوماسية وطالبوا بتحسين أحوال الشرطة بطنجة (10) .

9 . **كراكولو دي فورينو** (؟) Ga di Vorino وكان سنة 1890 أحد مساعدي روميو كانطاطالي (11) .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون

كان السفراء والقناصل يقسمون محميي ايطاليا الى ثلاث مراتب :

I : محميو السفارة والقنصليات ، 2 : والمحميون الاستثنائيون قبل معاهدة مدريد ، 3 : والسماصرة .

أسماء هؤلاء وردت في لوائح سنوات 1889 و 1891 و 93 و 94 ، وهناك آخرون ذكروا في وثائق أخرى متفرقة ، ومن جميع ذلك سأقتبس ما يلي :

أولا : المحميون الاستثنائيون

أغلب المحميين يهود مغاربة ، لم يذكر عن موجب حمايتهم شيء ، سوى وجودهم على هذه الصفة قبل سنة 1880 ، وها هي أسماؤهم :

-
- 8 . رسالة سكوقاصو الى الطريس في 18 يوليوز 1884 ، محفظة ايطاليا المغرب
9 . ميج : «المغرب وأروبا» ج I ص 170 ، ورسالة في 27 غشت 1885 ، نفس المحفظة
10 . رسالة كانطاطالي الى الطريس في 9 أكتوبر 1889 ، نفس المحفظة ، وكذلك
بيير كيين : «المانيا والمغرب» ص 204 .
11 . رسالة كانطاطالي الى الطريس في 25 شتنبر 1890 ، نفس المحفظة أيضا .

I — II رفائيل موشي طوليدانو ، ومردوخاي لاريديو . ورفائيل طوليدانو ، ويحيى ابراهيم ابن الصايغ ، وحاييم بوزاڭلو ، وميمون بن الدهان ، وإستير بنـدلاڭ ، أرملة فريجة ، ويشوع طوليدانو . ومـردوخ قزيرز . وعبد الرحمان وهارون ، وإسحاق بوزاڭلو هذا المحمي وكل السابق ذكرهم وردوا في اللوائح الأربع المذكورة أعلاه .

I2 — I9 شلومو لاريديو ، ودابيد أزولاي ، وإسحاق ع. ناهون ، وحاييم ع ناهون ، واسحاق ش. ناهون ، ويوسف ناهون ، وموشي ع ابن الصايغ ، ويحيى ع ابن الصايغ . وقد وردت أسمائهم في قوائم I889 — I89I .

20 — 2I ابراهيم ناهون ، ويعقوب ناهون ، ذكرا في قائمة I889 وحدها

22 جميلة بوزاڭلو : لم ترد في لائحة I894 وانما في التي قبلها .

23 و 24 موشي طوليدانو : في لائحتي I893 و I894 فقط ، وهو ومن بعده حفيدان ليوسف طوليدانو وارد الذكر ، ومناحيم ناهون .

25 محمد الدكالي : ذكر عنه أنه مجنس ايطالي منذ 25 نونبر I869 — هو والاثنان بعده — استنادا الى الفصل الخامس عشر من معاهدة مدريد (I2) .

26 عبد الرحمان بناني : مثله منذ 20 نونبر I878 .

27 الحاج العربي الديوري : مثلها منذ I878 (I3) .

I2 . رسالة سكوفاصو الى بركاش في I١ نونبر I88١ ، محفوظة الحماية الفرنسية ، و «الوثائق» ج 4 ص 6I .

I3 . شارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة الامبرياليات» ص 70 وكذلك رسالة سكوفاصو في I١ نونبر I88١ آنفة الذكر .

ثانياً : المحميون القنصليون

28 - **الحزان يوسف طوليدانو** : كان ترجمانا ورد في لائحة 1889 و 1891 فقط ، لوفاته في غشت من السنة الأخيرة . وقد عمل مدة أربعين سنة ، أي منذ سنة 1851 ، ترجمانا وكان له حفيدان كما تقدم ، فاستشار السفير المخزن في هل له الحق في إدخالهما للحماية (14) ، فصدرت الموافقة .

29 - **يوسف أفاللو** : ترجمان آخر ، ورد في جميع اللوائح .

30 - 32 **الحاج محمد السوسي ، والحاج عبد السلام العمارتي ، والحاج محمد الشياظمي** : أعوان ذكروا في كافة القوائم .

33 - **محمد ومزيان** : عون في لائحة 89 و 91

34 - **أحمد بن عبد الله** : عون في لائحة 93 و 94

35 - **ابراهيم بن الصايغ** : صار سنة 1889 كاتباً بالسفارة بطنجة (15)

36 - **العربي البقّاش** : صار سنة 1889 عوناً بالسفارة (16) .

37 - **ابراهيم بن مردوخ لاريدو** : لعله كان قنصلاً بطنجة سنة 1891 . وكانت له عرصة بمرشان مجاورة لعرصة الباشا الحاج محمد بن عبد الصادق (17) . وكان محرراً بجريدة «إيليكو ماوريطانو El Eco Mauritano» من سنة 1885 الى 1887 ، وصار ترجمانا للمفوضية الإيطالية (18) وقد ورد في لائحة 1889 وحدها .

14 . رسالة كانطاغالي الى غريبط في 28 دجنبر 1891 ، محفوظة بالمغرب إيطاليا

15 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 3 يوليوز 1889/10 قعدة 1306 . نفس المحفظه

16 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 28 يونيو 1889/29 شوال 1306 . نفس المحفظه

17 . اشهاد عدلي في 13 محرم 1309/19 غشت 1891 . محفوظة الطريس 21

18 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 129

ثالثاً : السماسرة

1 - **موشي اشلومو ناهون** : كان سمساراً للمحدي التاجر يوسف ناهون بطنجة في كافة القوائم الأربع السابق ذكرها .

2 - **يعيش اذريزور** : سمسار يحيى ابن الصائغ بطنجة سنة 1889 و 1891 .

3 - **حاييم كويهن** : سمسار في قوائم سنة 1891 و 93 و 94 للتاجر اسحاق ناهون بطنجة ، وكان ناهون قد اشترى سنة 1891 نحو مائة صهريج من دار الدباغ القديمة الكائنة بخارج باب الدباغ من ثغر طنجة (19) .

ويحكى عن أولاد ناهون أنهم كانوا «يتحيلون لشراء صهاريج الدباغة من الضعفاء من أرباب تلك الصهاريج ، بوسائط خفية ويتغالون في أثمانها» (20) ولا شك أنهم كانوا من مصدري الجلود .

رابعاً : المستوطنون

1 - **بيطري أكيلي** Petri Achelle

استوطن طنجة سنة 1884 ، وأسس شركة تجارية بمساعدة دور التجارة بايطاليا ، وكان نشاطه واسعاً ، ارتبط بعلاقات مع القصر السلطاني وسكوفاصو . وكان يعد أبرز شخصية بالجمالية الايطالية ، وكان من الملاكين بالمدينة استعان به كإنطاكالي في مهماته لدى المخزن . ولعب دوراً لتهدئة اسبانيا أثناء قضية مليلية سنة 1893 . وقد عينته الحكومة الايطالية سنة 1903 مندوباً تجارياً بالمغرب (21) ، وظل يعيش بالمدينة حتى ما بعد سنة 1911 .

19 . رسالة في 13 ربيع الأول 1309/17 أكتوبر 1891 ، محفظة فرنسا

20 . رسالة الطريس الى السلطان في 4 محرم 1309/10 يونيو 1891 ، محفظة ايطاليا

21 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 124

وكان له مصنع للآجر حوالي 1886 بناحية طنجة . بناء الآمناء لغيره من التجار في البداية ، ولما فضلوهم عليهم ، ثار ثائرههم ، ومن جملتهم موليناريس الاسباني ، وفي سنة 1889 بلغ الى علم السلطان أن «التاجر الطلياني بيطر ترامي على قطعة من أرض المخزن بطنجة وبيتين للعسة» . وكان استيلاؤه على «طرف من عرصة أمقشند سببا» في احتجاج الأجانب والسلك الدبلوماسي ، وخصوصا نائب اسبانيا بطنجة ، فطلبوا المساواة معه في ذلك (22) .

وقد ظفر بعقد لبيع الحبوب سنة 1890 ، وقعه بفاس الترجمان جانطيلي والوزير غريط وتضمن 7 شروط ، منها أن الوسق يكون بمرسى طنجة (23) . وظلت العقدة جارية ، فكان سنة 1892 يبيع حبوب الأعشار والزكوات التي تستغني عنها البلاد ، فالقمح كان يباع بثمن يتراوح بين 19 و 23 فرنكا لمائة كيلو ، والشعير بين 13 و 15 فرنكا ، ولم تبرم هاته الوثيقة معه فقط ، فكان نواب پاكي وكارثور قد أمضوا شرطا مماثلا لتفادي التفضيل بين الدول (24) . وكلما كان المخزون الحكومي منها فائضا عن حاجة الاستهلاك . كانت الحكومة تسرح التصدير ، لكن هذا العقد أثار سنة 1894 عاصفة من الاحتجاج ، اذ أدى وسق القمح والشعير على يد الأجانب ولا سيما بيطري الى غلاثهما «وترادفت الشكايات منها على الحضرة الشريفة بارتفاع ثمن الحبوب جدا في هذه السنة ، بالنقص الواقع في جميع الحبوب قائلة : إن بقي وسق القمح والشعير مسرحا لبلاد النصارى يزيد ثمنها ارتفاعا ويتضاعف الضرر الواقع لهم» . وحيث كان مقالته صحيحا مبينا ، تعين عدم تضعيف

22 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 ربيع الاول 1307/7 نونبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

23 . رسالة الطريس الى غريط في 18 ربيع الثاني 1308/فاتح دجنبر 1890 ، ورسالة غريط الى الطريس في 6 ربيع الثاني 1308/19 نونبر 1890 ، محفظة الطريس 19

24 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 جمادى الاولى 1310/9 دجنبر 1892 ، محفظة الطريس 23

الضرر الواقع لها بالغلاء . . . » (25) ، الا أن بيطري كان يتعلل في بعض الأحيان بانعدام الربح من البيع بسبب حالة الحبوب (26) .

وكان يتعامل مع شركة لافيلوتشي التي كانت تملك أسطولا للنقل البحري بمدينة جنوة ، وتتولى نقل الحبوب وغيرها من طنجة ، وكان لبيطري سماسرة بالجديدة وغيرها ، كما كان سنة 1899 وكيلا في طنجة لشركة La Ligure Brasiliana di Genova (27) . وكان الى ذلك رئيسا لجمعية من التجار طلبت سنة 1910 امتياز صيد الحوت في نواحي اشقار (28) .

2 — أنجليو لوباريلو (?) Angelo Lubarello

لعله كان تاجرا بطنجة سنة 1887 ، وقد طلب أن يشتري قطعة أرض بهاته المدينة مجاورة لعرضة كانت له قرب مارشان (29) . ولم أقف له على سمسار .

3 — أندريس . . . (أو أندريا) Andrea . . .

عثر الحاج عبد الرحمان اللغميش رئيس الحرس بمرسى طنجة سنة 1889 على فلوكة بها نصرانيان : أحدهما أندريس (أو أندريا) دون بيان نسبه وهو ايطالي «متصل النبات أسوده ، أقرن ، ضمير الخدين» والآخر برطقيزي اسمه خوان مريرو ويدهما سلاح مهرب (30) .

25 . رسالة غريط الى الطريس في 21 محرم 1311/4 غشت 1893 ، محفظة الطريس 25

26 . رسالة كانطالغالي الى غريط في 26 يبرابر 1892 ، محفظة ايطاليا المغرب

27 . جريدة ريفي دو ماروك العدد 851 الصادر في 20 يوليوز 1899

28 . محفظة التجارة ، ورسالة محمد بن محمد الجباص الى الحاج محمد المقرئ في 27 فعدة 1328/30 نونبر 1910 ، محفظة الترتيب العام

29 . رسالة سكوفاصو الى غريط في 19 يبرابر 1887 ، محفظة المغرب ايطاليا

30 . من موجب عدلي في 7 حجة 1306/1 غشت 1889 ، نفس المحفظة

ولما عرضت القضية على كانطاغالي أجاب بأن «نائب دولة إيطاليا الذي قبل كل شيء يحب توقيير حقوق الحضرة الشريفة وأحكام هذه الايالة . يباشر هذه القضية على وجه الحق» (31)

ولم أقف على غير هؤلاء من المستوطنين الايطاليين

المطلب الرابع : سكوقاصو وكانطاغالي

أولا : ستيفانو سكوقاصو

وصل الى المغرب سنة 1860 قادما من جبل طارق للاشتغال بالتجارة . وفي أواخر سنة 1868 عين قنصلا عاما لبلاده ، خلفا عن كاستيليناردو ، وكانت له مصالح شخصية كبيرة في المغرب ، وفي سنة 1875 بدأ يقوي جانب أنصاره وزبنائه المغاربة تقوية منتظمة ، بتجنيس اليهود وحماية المسلمين (32) .

وفي 15 غشت 1871 صار وزيرا مقيما لإيطاليا بطنجة (33) ، وظل في منصبه نحواً من 18 سنة ، فأصبح عميدا للسلك الدبلوماسي ، بعد اعتزال جون هي الحياة الدبلوماسية ، وتوفي في أكتوبر 1887 بالمغرب الذي رفض مغادرته .

كان يعيش في العزوبة ، وكانت له صلة بأسرة السافوا الملكية يشتري لها التمور ويمسحها بنفسه بفرشاة ثم يبعث بها الى الملك (34) . ولعله كان ضابطا في الجيش برتبة كومندان . فقد اشتهر في بلدان البحر الأبيض المتوسط بقوته البرقالية العضلية ، الى حد تكسير قطع النقود بين أصابعه (35) .

31 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 6 غشت 1889 ، نفس المحفظة

32 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 من 81 (8) . ومنشطة البابور «ماروك» في 21 دجنبر 1870 ، محفظة طنجة I .

33 . رسالة مايسا في 10 ربيع الاول 1305/26 نونبر 1887 ، محفظة المغرب إيطاليا

34 . هنري ده لامارينيير : «ذكريات عن المغرب» ص 120

35 . المصدر السابق ، وكتاب «السفير بول كامبون» ص 107 ، بقلم دبلوماسي مجهول

وكان يضيف الى التجارة المباحة بيع الحماية التي قال عنها إنها «مادة تجارية تباع لأكبر مغال في الثمن» (36) . وكان اليهود المغاربة أعظم متهافت عليها . فقد ذكر سنة 1882 أن عدد المحميين بدولته يبلغ 139 في المجموع ، منهم 66 من المحميين القنصليين والاستثنائيين ، و 73 من السماسرة ونواب التجار ، الايطاليين منهم والمحميين (37) .

ولم يكن سكوثاصو على أحسن حال مع السلطات المخزنية ، ولا سيما مع محمد بركاش الذي كان شديد العتب عليه ، ودارت بينهما مشادات ومجادلات كلامية ، وخصوصا أثناء فترة مشاورات طنجة ، قبل اجتماع مؤتمر مدريد سنة 1880 ، وربما كان حاضرا في الكواليس أثناء انعقاد هذا المحفل الدولي ، فكان يستشار في بعض النقاط .

كان كثير المطالب ضد الولاة ، ناقما عليهم ، ففي سنة 1883 اتهم هو أحد عمال بني حسن وباشا الرباط بخرق حقوق محمي ايطالي (38) .

وقبل ذلك سنة 1880 تعلل وزير ايطاليا بكون محتسب طنجة سجن امرأة مغربية محمية كانت تخدمه ، فقدم لائحة طويلة لمطالبه ، ثم ألزم جوابا مستعجلا عنها ، والا أنزل علم بلاده ، ايذانا بقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، كما أنه نادى بعزل المحتسب الذي كان قد حبس زوجها أو ولدها ، ولما هرب هذا الأخير بحوائج الناس سجنها المحتسب بدلا منه (39) .

وقد بلغ عدد الدعاوي التي قدمها سنة 1884 على الولاة والعمال والشيوخ من أجل النهب والديون الحقيقية أو الموهومة III قضية ، تراوح قدرها بين 245 و 250 ألف فرنك ، وكان في ذلك يهدد باستجلاب الأسطول ، مما

36 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» 4 ص 36

37 . رسالة سكوثاصو الى بركاش في 13 أبريل 1882 ، محفوظة بركاش

38 . جان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 81 (8)

39 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 246 ، ورسالتا السلطان الى بركاش في 21

شوال و 4 قعدة 1297/20 شتنبر و 8 أكتوبر 1880 ، في «الاتحاف» ج 2 ص 373 ، لعبد الرحمان ابن زيدان .

أدخل الرعب في قلوب أعضاء النيابة بطنجة ، وظل برغاش سنوات يفأوضه فيها على كبر سنه ، ثم تحسنت علاقته مع المخزن فكان من المساعدين على ارسال بعثات تعليمية الى ايطاليا .

وأختم الحديث عنه بقضية تمرد وصفاقة ولصوصية وافتيات ، أحدثت ضجة لدى الأوساط الدبلوماسية ، فاطلقوا عليه صفة الريبيلدي *rebelde* الإسبانية التي تعني المتمرد ، حتى صار ابتداءً من سنة 1869 يعرف بها أيضا لدى الكتاب المخزنيين وتراجمة المفوضيات والقنصليات . ولست أدري هل كانت تأخذه عزة بائنها عند سماعها أم كان يستحيي منها ، ولا شك أن غيره من القناصل اتخذها سابقة لانتهاك حرمة القضاء وتسريع المسجونين قسرا من زناناتهم ، ومخاطبة الولاة بكلام بذيء ، حسبما سنرى أمثلة من ذلك في أطراف من هذا الكتاب .

وردت قصة الريبيلدي المتهور في مقال بجريدة «سيمافور مرسيليا» . ولأهميتها أقتطف منه ما يرجع لهذه القضية فأعربه فيما يلي :

«امتازت نهاية سنة 1869 بطنجة بسطو لم يسبق له مثيل — فيما أظن — أفضى الى قطع العلاقات بين الحكومة المغربية وايطاليا ، وها كيف وقعت الحادثة :

«تحمى ايطاليا أو ممثلها مغربيا اسمه الدكالي ، عرف بثروته في جميع أنحاء المغرب ، ولهذا الشخص عدة أقارب ، وكان أحد أبناء عمومته قد اشتكى منه ، فأمر المخزن قائد طنجة باعتقاله وتوجيهه الى فاس تحت الحراسة المشددة ، وكان قنصل ايطاليا السابق» (ويقصد الصحافي به القنصل كاستيلليناردو) «يرمي قبل ذهابه ، وبدون جدوى ، الى تسريح المسجون ، ومن غريب الصدف — التي يعتبرها الجميع نتيجة خطة مبيتة — أن قنصل ايطاليا كان يصطاد بالغابة عندما كان الخافرون يرافقون السجين . فترصد للقافلة في مكان غير بعيد عن المدينة .

«ويجمع الكل على تأكيد أن قنصل إيطاليا سكوفاصو أوقف الموكب وأشهر مسدسه على الجنود المغاربة ، آمرا إياهم برد المسجون الى طنجة .

«ولم يلبث هذا العمل أن أفزع فزعا شديدا وزير صاحب الجلالة المقيم بطنجة الذي تحمل عناء لم يعرف له نظير ، فلم ينفك غاديا رائحا ، مترددا على مفوضيات فرنسا وانجلترا واسبانيا طردا وعكسا ، مستفهما جميع الوزراء عن رأيهم فى هذا الاعتداء ، وعما ينبغي سلوكه إزاءه .

«وكانت عاقبة ذلك صدور أمر من فاس بتوجيه الدكالي مرة أخرى الى العاصمة ، وقد عدل قنصل إيطاليا هذه المرة عن تجديد معارضته ، فاقصر على خفض علم بلاده ، الشيء الذي كان مصدر روعة كبرى فى مجموع طنجة والايالة .

«ونتساءل عما سينجم عن هذا الخلاف ، لا شيء ، ان أردتم معرفة رأيي الشخصي فليست إيطاليا فى مكانة تسمح لها بالذهاب بعيدا ، اذا كان المغاربة الذين يؤيدهم وزراء الدول الأخرى قد ارتأوا أن يقاوموه . . . » (40) ،

هاته الضجة كانت لمصلحة أحمد بن الجيلالي الدكالي الرباطي . فمن هم أولاد الدكالي ؟ كان المصطفى بن الجيلالي شخصية مرموقة ، وكان أحد تجار مولاي عبد الرحمان الذى خوله امتيازات عظيمة .

وبعد وفاة الأب تبوأ ابنه محمد مكانة بارزة فى تجارة المغرب وسياسته ، وشارك فى المفاوضات التي كانت ترمي الى إلغاء الجزية التي كانت بعض دول أوروبا الشمالية تؤديها للمغرب سنة 1845 ، كما أسهم فى جزء من المفاوضات التي وقعت من أجل تسديد التعويض الحربى لاسبانيا سنة 1861 ، وقد نال الحماية الإيطالية سنة 1862 .

أما أحمد فهو عم السابق وشريكه ، وكان محميا أمريكيا واحتل مكان ابن أخيه لدى السلطان الذى كلفه بمهام فى الخارج ، لمعرفته باللغات الأجنبية.

40 . جان لوي ميج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 153 - 154 ، نقلا عن مقال صدر بجريدة

«سيمافور مارسيليا» فى فاتح يبرابر 1870 .

غير أنه أساء الظن به إذ انشاق في مغامرات دنيئة ،
فعمد الى تزوير رسوم ملكيات عقارية ، بتواطؤ مع أفراد من قبيلة أنجرة . ولما
شعر المخزن به ، وأدلى ميري إي كلوم بالحجة على ذلك ، أمر السلطان
باعتقال آل الدكالي ، فألقى القبض على أحمد العم ، ثم أصدر الأمر بتوجيهه
الى فاس تحت الحراسة ، لا سيما وأن آل الدكالي لم يكونوا يؤدون الضرائب ،
وكانوا يتملصون من تسديد الديون التي عليهم قبل مواطنتهم وأقربائهم .

ولما بلغ الخبر الى محمد ، هرب من طنجة قاصدا مدينة فلورينسة
صحبة أحد اليهود ، وبايطاليا تجنس بتدخل أحد القناصل الايطاليين ،
للخدمات التي أسداها لبلاده .

وهكذا أصبح في مأمن من المتابعات ومن الديون التي كانت عليه
للأشخاص وللدولة معا ، والتي جاوزت 300 ألف فرنك ذهبي .

وقد استغل سكوفاصو هاته الوضعية ، ليقدم مشروع الاستيطان
الايطالي بالجنوب المغربي مطالبا بقطعة من التراب ، وملوفا بحملة
عسكرية (41) .

ثانيا : روميو كانطالي

إثر وفاة سكوفاصو ، عين روميو خلفا له في 5 مارس 1888 (42) .

وكان من قبل ذلك كاتباً بالمفوضية الايطالية بواشنطن وبيرون
وريودي جانيرو وأثينا وبروكسيل .

وظل في منصبه حتى عين سنة 1895 سفيرا ببروكسيل ، فعوضه
بطنجة مالموسي Mahmusi القنصل السابق بمدينة تريستا (43) .

41 . المصدر السابق ج 2 ص 550 (5) وكذلك ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 543
وص 560 الى 563 وج 5 ص 84

42 . رسالة مايسا الى الطريس في 5 مارس 1888 ، مخنطة ايطاليا

43 . بيير كمين : «المانيا والغرب» ص 242

وكان على النقيض من سلفه يهدف الى «الوقوف عند حدود معاهدة مدريد» ، وطلب ألا يشتكي المغاربة لديه ، وألا يقبل الأجانب ، في دعاويهم لدى المحاكم ، إلا وفق «الشروط» (44) أي المعاهدات .

ولهذا دأب يبعث بلوائح المحميين في شيء من الانتظام ، ولئن كانت علاقته جيدة مع المخزن عامة ومع الطريس خاصة ، فقد كان ينقم على بعض الولاة وعلى سفير إنجلترا عرقلة مشاريعه التجارية ، بعد أن كان يطلب كغيره من السفراء بناء الدور والأهرية للقناصل والرعايا الايطاليين (45) ، مستظهراً في ذلك بالفصل الخامس من المعاهدة المنعقدة بين المغرب ومملكة نابولي سنة 1782 ، من أن للقناصل والتجار والرعايا الايطاليين الحق في بناء سكناهم ، أينما ظهر لهم (46) .

ومن جملة مآخذه على الولاة أن الحبّاسي قائد قبيلة بني مالك كان لا يريد «الا تعكيس التجار مع الأجانبين وحياسة الدراهم من أناس لا ذنب لهم الا مخالطتهم مع أهل رعية الأجناس وأهل حمايتهم» (47) .

وأيا كان الأمر ، فقبل زيارة السلطان لنواحي تطوان سنة 1889 تواطأ بعض «من لا خلاق لهم من قبيلة الأخماس على اغتيال باشدور الطليان ، اذا مر ببلادهم لحضرتنا الشريفة وتحالفوا على ذلك» (48) حسب رسالة سلطانية لم توضح أسباب ذلك التآمر ، وبعد أن كلف الحسن الأول في هذا الكتاب نائبه بالتحقيق في هاته القضية والأخذ بناصية الحزم فيها ، أمره بأن

44 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 28 نونبر 1888 ، محفظة المغرب ايطاليا

45 . رسالة كانطاغالي الى غريط في 17 يونيو 1890 ، نفس المحفظة

46 . رسالة كانطاغالي الى غريط في 20 دجنبر 1889 ، نفس المحفظة ، ومثل هذا أورد جاك كايي في كتابه : «الأوراق ...» ص 243 عن المعاهدة المبرمة بين المغرب ومملكة الصقليتين بتاريخ 18 أكتوبر 1782 في فصلها الخامس .

47 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 30 أبريل 1890 ، نفس المحفظة

48 . رسالة السلطان الى الطريس في 21 حجة 1306/21 غشت 1889 ، محفظة الطريس 11 ولئن لم يقع اعتداء على كانطاغالي فقد وقع في نفس السنة على ارطورو كاليبتي كامبياجي القاتم بالانجيل حسبما تقدم في الصفحة 580 أعلاه .

يخبر السفير بذلك ، ويؤكد عليه بالمكوث بطنجة أو بالتالي بتطوان ، الى حين قدومه .

وكانت لكانطاطالي – كما تقدم – مشاريع تجارية ، فاقترح على السلطان ربط أواصر المحبة والتواصل ، لتسهيل العلاقات الاقتصادية بين البلدين عن طريق مرسيليا ، لعدم ورود سفن ايطالية منتظمة على المغرب ، وكانت شركة لافياوتشي Societa la Veloce تريد أن تتولى حركة النقل البحري بين المغرب وايطاليا في أوقات معينة ، لحمل المسافرين والسلع كالحرير وأثوابه والمؤبر والكمخة والمرجان الى المغرب ، ووسق الجلد والصوف والزيت الى ايطاليا ، ويبدو أن مشروعه نال رضى السلطان (49) .

49 . مسودة رسالة بتاريخ متم شوال 1306/29 يونيو 1889 ، محفظة ايطاليا المغرب

7 : الانبيريال

كانت الامبراطورية النمساوية الهنغارية تدعى بالمغرب ، تارة الانبيريال أو اللنبيريال أو حتى نبيريال (تحريفا لكلمة إمبريال impérial أي الامبراطوري) ، وتارة أخرى أوستريياكو أو السريياكو أو الاسطريياكو عن صفة مشتقة من اللغة الاسبانية : austriaco

وثمة تحريف آخر في المشرق قريب منه ، وهو أن الروسيين كانوا يطلقون نيتمس Niemets على النمسا ، فقلدهم الأتراك ، وسار عرب المشرق على نهجهم في هاته التسمية (I) ، في حين أن أهل النمسا يسمون بلادهم OSTERREICH

وأيا كان الأمر ، فقد كانت الامبراطورية المذكورة حلفاً بين دولتين كبيرتين بأروبا الوسطى ، دام من سنة 1867 الى سنة 1918 ، وهما النمسا والمجر (أي هنغاريا) . وبعد الحرب العظمى ، تجزأت الى دول مختلفة زيادة على المذكورتين والى تشيكوسلوفاكيا ، وألحقت أطرافها بإيطاليا ورومانيا ويوغوسلافيا ، اثر معاهدة سان جيرمان .

وظلت اللنبيريال ذات علاقة دبلوماسية مع المغرب في منتصف القرن التاسع عشر ، تمثلها تارة انجلترا ، وتارة ألمانيا ، مع وجود قنصل عام أنبيريالي بطنجة ابتداءً من سنة 1868 .

I . محمد الفاسي : «البربرية شقيقة العربية» ، في مجلة «البحث العلمي» عدد يناير 1969 ، ص 7

الكلام عن هاته الأمبراطورية يستلزم طرق ثلاثة مطالب :

1 . السلك الدبلوماسي والقنصلي

2 . ترجمة القنصل العام ماكسيمليان شميدل

3 . المحميون والمستوطنون

• • •

المطلب الأول : السلك الدبلوماسي والقنصلي

1 : الدكتور ماكسيمليان شميدل Maximilian Schmiedl

الذي ظل قنصلا عاما من سنة 1868 الى حين عزله في منتصف 1885 وخلفه :

2 : پول ريتزر ريكلان فون أوهموسفيك P. Ritter R. von Ohmocevic

وهو الذي عين إثر فضيحة سلفه (2) ، وقد لبث في منصبه من سنة 1885 الى 1890 . ولما عزم على الرحيل ، قال له الطريس : «بلغنا أن جنابكم قد استوفى مدة الخدمة بهذه الايالة ، وأنتك على نية السفر . فتأسفنا لذلك الغاية ، لما أليفناه من خيارتكم وحقانيتكم وسعيكم دائما في الخير بين البلدين» (3) .

وذكر كانوكي وزير خارجية الانبيريال في رسالته الى الطريس أن أوهموسفيك كان سنة 1885 ، قبل تسميته بطنجة ، قنصلا عاما بمدينة بور سعيد (4) ، فقد يكون من المستعربين إذن .

3 : كارل ريترفون بوليسليفسكي Karl Ritter von Boleslewski

الذي تولى شؤون القنصلية العامة حتى 1896 (5) . وخلفه :

2 . رسالة جون هي الى الطريس في 16 اكتوبر 1885/7 محرم 1303 ، محفظة النمسا

3 . مسودة رسالة الطريس الى أوهموسفيك في 13 رجب 1307/5 مارس 1890 ، محفظة الطريس 18 .

4 . رسالة كانوكي الى الطريس في 29 نونبر 1885

5 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبة» ج 4 ص 172

4 : الكونت جلبيرت فون هوهنوارت G. Von Hohenwart الذي كان سنة 1899 وزيرا للأمبراطورية بطنجة (6)

ومن ثمة ، كان للأمبراطورية وجود ضعيف لا نضاعة فيه ، للنزاع الذي شبَّ بين البعض من المحميين اللنبرياليين وبين الدكتور شميدل الذي سأتناول الحديث عنه الآن .

* * *

المطلب الثاني : الدكتور شميدل

هو من أصل هنغاري ، وأحد يهود أوروبا الشرقية ، وقد عين بالمغرب قنصلا عاما لبلاده مدة 17 سنة حتى ظهرت تعسفاته .

ولد ببوهيميا سنة 1833 ، واستقر بتطوان سنة 1858 بوصفه طبيبا ، وظل متعاطيا للطب فيها حتى سنة 1865 ، وكان يتلقى من سالومون روتشايلد 200 فرنك شهريا ، زيادة على الأدوية التي يفتقر إليها في عمله لعلاج اليهود ، ثم انتقل الى طنجة سنة 1868 وتزوج باسبانية من هاته المدينة ، وفي نفس السنة عين قنصلا لبلاده ، ولكنه انغمر في مضاربات خسيصة بالمغرب ، إذ كان له كثير من السماسرة والخلطاء . وبعد عزله سنة 1885 ظل يتردد بين أوروبا والمغرب (7) وفي يناير 1899 استوطن مراكش لمزاولة الطب أو غير الطب ، واتخذ له زبناء كثيرين من يهود المدينة (8) .

وأثناء تقلده أعباء منصبه القنصلي ، كان له ثلاثون محميا ، وخلافا لما ورد في المصادر الأوروبية ، لم يكن شميدل الامبريالي الوحيد بالمغرب (9) لوجود آخرين بآسفي وبطنجة وبغيرهما .

6 . جريدة «المغرب الاقصى» 15 يوليوز 1899

7 . رسالة شميدل الى الطريس في 21 ماي 1894/15 قعدة 1311 ، محفظة الطريس 26

8 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 471

9 . المصدر السابق ج 2 ص 553

من أهم النزاعات ما وقع له مع حليلة بنت عيسى ، ثم مع حليلة أرملة القائد مصطفى السفيناني . ولم يرد ايضاح عن سبب ذلك . لكن خلافه مع محمد بن حميدو الشواطى كانت له أبعاد كبيرة ، وجعل لذلك ملف عرض على لجنة تصفح الرسوم ، فلم يستطع شميدل الاتيان بحجج «سوى مجرد القول ، واقتضى النظر أن تحسم مادة هذه الدعوى ، حيث لم يوجد لديه ما يعتمد عليه» (10)

كان الشواطى يطلق فيه لسانه بالحق والباطل ، فطلب القنصل العام من باشا المدينة فصل الخلاف بينهما ، لكن عبد الصادق بن أحمد رفض ، لأن الدعوى كانت شرعية . والتهمة التي كان شميدل يوجهها لخصمه هي أنه «رجل احرامي وكاذب حاول التدليس على رجل من جنسنا ، اسمه مسيو سيس بوكر الذى هو مهندس المون . . . » (11) أى بيطرس موزبورغر الذى سيرد الحديث عنه فى الختام .

وقال له الطريس فى رسالة جوابية ان الشواطى «قد أدخل السجن على هذا الكلام القبيح ولا زال به منذ شهرين . . . » (12) ، وقد ظل بالفعل مسجوناً مدة ثلاثة أشهر .

على أن الشواطى لم يكن وحده الذى يتولى سلقه بالسنة حداد ، فقد كانت «الجرائد بأروبا تقول : ان شميدل حاز على وجه الظلم طرفاً من الأرض بعين الدالية ، وسجن وجعل الحديد على الناس الذين امتنعوا من بيع أرضهم له ، وذكروا أنه كان عنده السجن بعزيبه بعين الدالية ، وألفوا به سلاسل وأكبال وعنّاقيات وأمور أخرى كان يعذب بها الناس ، فالمطلوب من

10 . تقرير لجنة التحقيق فى 4 جمادى الاولى 1303/8 يبرابر 1886 ، محفظة النمسا

11 . رسالة شميدل الى الطريس فى 15 محرم 1304/14 اكتوبر 1886 ، نفس المحفظة

12 . جواب الطريس فى 15 ربيع الاول 1304/12 دجنبر 1886 ، نفس المحفظة

سيادتك - ووجهنا عندك - أن تبحث في هاته القضية ، وتعلمنا بحقيقتها . . . » (I3)

فضيحة شميدل كانت إذن واضحة ، ولكنه لم يفتأ منافحاً عن سمعته المدنسة وعن عقاراته وأملكه الكثيرة ، التي ما عتَم أن رغب في بيعها «بالأفضلية للمخزن وبالتقاضي» ، وقد أراد أحد الاسبانيين ، بواسطة ليثي كويهن ، اقتناء أملاكه «بعين الدالية بما فيها الديار والأجنة بمبلغ 10 آلاف ريال» ثم عرض عليه أحد المستوطنين الانجليزيين ثمن 14.000 ريال «وكذلك دار السكنى التي كانت لي بحي المصلا بشجر طنجة ، مع الأجنة والبلاد فهي عندي للبيع» . وقد ساومه عليها انجليزي آخر بـ 5.000 جنيه استرليني . «ولا يخفاكم أن دارنا المذكورة كبيرة» غايةً ، يقدر يجعل فيها 150 دياراً ، وحين هاته الدار قريبة ، جُلُ الناس يبحثون عليها لبنون فيها . . . كما نعلمكم أن عندي الأملاك بتطوان : البلاد في ارميلات ، ومحل في المصلا وراء الملاح . . . » (I4) حسبما جاء في الرسالة التي وجهها الى الطريس في أواخر 1886 ، طالباً الجواب منه لأنه كان ينوي مغادرة المغرب بعد ذلك بقليل .

ويبدو مع ذلك أن الترخيص ببيع أملاكه لم يسلم له . وحتى سنة 1891 ، لم يكن بَعْدُ قد باع شيئاً ، ولكنه فَوَّت على ما يظهر عقاراته بعين الدالية لمستوطن فرنسي اسمه صري (?) Serruys (15) . وقد «زعم الطبيب اشمدل الثنبريالي الموجود الآن بأروبا أنه باع البلاد بـ 16.000 ريال ، فامتنع العامل من اعطاء الاذن بالبيع . ولاكن المَقومين لم يزيدوا على ريال 3.100 في

13 . رسالة بول ريكليان الى الطريس في 6 جمادى الاولى 1303/10 يبرابر 1886 ، نفس المحفوظة .

14 . رسالة شميدل الى الطريس في 27 نونبر 1886/29 صفر 1304 ، نفس المحفوظة

15 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس في 27 جمادى الثانية 1308/7 يبرابر 1891 ، نفس المحفوظة

تقدير الجميع ، وأخيرا وافق على بيعها بنفس التقويم ، لكونه الآن في غاية الاحتياج الى ثمنها» (I6) .

ولم يثبت أن المخزن حازها منه ولكنه باع «بلادا له بدارها بعين الدالية من أحواز طنجة لأحد تجار المركان حسبما أخبر به نائب باشدور المركان» (I7) ، وكان ذلك سنة 1893 .

تلك جوانب من حياة هذا القنصل الطبيب المعزول ، وهي تشبه من بعض الوجوه قضايا الكولونيل ماثيوز في مغامراتهما العديدة .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون

أولا : المحميون

أ - من تقييد ابن زيدان (I880)

I - موسى برينطي : كان ترجمانا للقنصلية العامة منذ 1880 وكان لا يزال سنة 1885 في هذا المنصب (I8) ، وتقدم أنه كان ترجمانا بالقنصلية الأمريكية .

2 - 7 - عبد الله بن يحيى (كاتب) ومحمد بن الحاج علي العمارتي (عون) وعلي الفتوح : مثل السابق وقد تقدمت الإشارة اليه مع المحميين الامريكيين وحيم بيثت (ولعله بونطي) وكان ترجمانا والحاج محمد بن ابها العمارتي وكان كاتباً ايضاً وموسى بن عليل : وكان طباحاً ، وكلهم كانوا محميين سنة 1880 .

I6 . رسالة الطريس الى السلطان في 22 محرم 1309/28 غشت 1891 ، نفس المحفظة

I7 . رسالة الخليفة السلطاني مولاي عمر الى الطريس في 17 ربيع الاول 1311/28 شتنبر 1893 ، محفظة الطريس 25

I8 . رسالة جون هي الى الطريس في 9 قعدة 1302/20 غشت 1885 ، محفظة النمسا

ب - من غيره

8 . **عبد القادر حديد** (أو عبد القادر الريفى أو الطنجي أو أحديد) ، الذى كان سائسا سنة 1880 حتى قتل سنة 1885 ، ووُجد مذبوحا ومحروقا بدوار العباددة بقبيلة بنى حسن من إيالة عبد الكبير الثوري (19) . فطالب قنصل النمسا بدية قدرها 600 ريال أداها له نفس القائد فى صيف 1885 بأمر السلطان (20) ، وقبل ذلك توقف قاضي طنجة أملاك الهالك على ورثته ، فأخبر الطريس السلطان بذلك وأطلعه على قرار القاضي الذى «ذكر أن موته ليس بثابت ، مع أنه عُثر عليه مقتولا بالعباددة هو والجيلالي بن الجليل السلاوي» ، فرد عليه السلطان : «فارفع القضية للشرع» (21)

9 - **بيريرا** وكان ترجمانا سنة 1892 ولعله من يهود طنجة (22)

10 - **إسحاق أبنسور** : كان ترجمانا بالقنصلية العامة من سنة 1888 الى سنة 1892 ، وكان له سمسار بطنجة (23) وآخر بالرباط ، وكان شريكا ليهودي آخر يقيم بلندن اسمه موسى أفاللو .

ثانياً : السماسرة

لم أقف الا على اسم سمسار واحد كان يعمل لحساب اسحاق أبنسور ترجمان القنصلية العامة ، وكان لهذا السمسار نسب عام ، هو **عبد السلام المصّوري** الذى كان مسجوناً بطنجة سنة 1892 ، فتدخل القنصل بوليسلافسكي لدى السلطات المحلية لتسريحه (24) .

19 . رسالة السلطان الى الطريس فى 28 محرم 1303/6 نونبر 1885 ، محفظة الطريس 5

20 . رسالة الطريس الى السلطان فى 18 رمضان 1308/27 ابريل 1891 ، محفظة النمسا

21 . رسالة السلطان الى الطريس فى 29 رمضان 1307/19 ماي 1890 ، محفظة الطريس 18

22 . محفظة النمسا

23 . رسالتان واحدة فى 23 ربيع الاول 1306/27 نونبر 1888 ، واخرى من بوليسلافسكي

الى عبد القادر بن عبد الصادق خليفة باشا طنجة فى 20 يونيو 1892/24 قعدة 1309 ، محفظة النمسا

24 . الرسالة الاخيرة

ثالثاً : المستوطنون

1 . **جول ري** Jules (?) Rey (?) كان ترجمانا سنة 1889 يعمل لحساب المهندس النمساوي موزبورغر (25) وارد الذكر ، والراجح أنه من جنسية غير نمساوية .

2 : **فالانطين هيل** Valentin Hell : كان هيل مصورا يعيش بطنجة ، حتى اغتيل على يد مغربي سنة 1892 . وقد وقع هذا الحادث عند ما كان المصور «قاصدا الفئدة المسماة هُطِل بِيكْتوريا في الساعة السابعة والنصف من عشية 7 أكتوبر 1892 ، وقد ضربه رجل بعصاه على قفاه ضربتين ، حتى نخر مغشياً عليه» (25) . ولم يَرِد سبب هذا العدوان الذي أسفر عن موت هيل ، ولعل المعتدي كان مصابا بخلل عقلي ، وقد طالبت القنصلية بدية 2000 ريال ، أُديت لأسرته فعلا .

3 - 4 : **بول فورت وهيرمان فورت** Paul/Hermann Vurth (?)

كان لهما هذين التاجرين شركة ، وكان بول فورت يطلب حيازة بندقيتين له بخزين الديوانة سنة 1892 ، لأنه كان يخشى النهب ، أما هرمان فكان شريكا له (27) .

5 . **الدكتور فروخت** (Bleyer) Frucht (?) لم أعر على ذكره

الا في رسالته التي يخبر فيها أن مدافع أرمسترونك تباعها بمدينة ثيينا دار النمساوي كارل أدالبرت أيبيل Carl Adalbert Apel (28) ، ولم أدر هل كان يقيم بالمغرب أم خارجه .

25 . رسالة موزبوركر الى غريط في 29 شتنبر 1889 ، محفظة النمسا

26 . رسالة بيريرا الى الطريس في 8 أكتوبر 1892 ، نفس المحفظة

27 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس في 20 يوليوز 1892/24 حجة 1309 ، نفس المحفظة

28 . رسالة الدكتور فروخت بتاريخ 18 ماي 1889/17 رمضان 1306 ، محفظة الطريس 16

6 . **بيطرس موزبورغر** P. Meusbürger هذا الرجل من أصل نمساوي كان يقيم بطنجة قبل سنة 1884 وبعدها ، وهو الذي بنى رصيفا بمرسى المدينة بتكليف من المجلس الصحي كما سيرد .

وكان الى ذلك تاجراً وله شريكان أو خليفان مغربيان يبيعان له السكر في الأسواق الداخلية (29) .

أما «المون» أو الرصيف ، فقد كان السلطان قد وافق على بنائه بمرسى طنجة سنة 1875 ، وهذا ما ذكر به شارل فيرو المخزن قائلاً ان برقاش كان قد أخبرهم بهاته المصادقة (30) . ولكن هذا المجلس الصحي صار متطاولا على السلطات ، واعتبر نفسه مجلسا بلديا ، فأسند في نونبر 1884 بناء الرصيف الى المهندس النمساوي موزبورغر الذي ادى النفقات اللازمة وهي 5.100 ريال من ماله الخاص ، دون أن يلتزم له المخزن بأى شيء ، وغض المخزن الطرف عنه لكي يستخلص المصاريف من المستعملين (31) .

ولا تكاد تخفى أهمية هذا الرصيف في نقل البضائع والمسافرين من السفن الى القوارب صعودا وهبوطا ، بدل الحمل على الظهر ، وهو تجهيز يضاف الى انشاء منارة أشقّار ، التي كانت تيسيراً للملاحة وللتجارة ، ويبدو أن المخزن قد تساهل في الأمر ، تاركا القضية تحت عهدة المجلس الصحي .

لكن زوبعة حطمت هذا الحاجز وأتلفت جزءا منه بعد بنائه ، فتعطل العمل به في الملاحة والنقل ، وبدأ الخلاف يحتدم بين المخزن والنواب ، دفاعا عن التجارة وعن المهندس الذي طالب الحكومة اما بتعويض قدره 60.131

29 . رسالة مزبوركر الى غريط سالفة الذكر في 29 شتنبر 1889 ، محفظة النمسا

30 . رسالة شارل فيرو الى العربي بن المختار في 22 ابريل 1885/7 رجب 1302 ، محفظة طنجة 3

31 . رسالة قنصل النمسا الى الحاج محمد الغسال في 19 يونيو 1887/27 رمضان 1304 ، محفظة النمسا

فرنكا ، واما بالسماح له بقبض بليون عن كل شخص صادر أو وارد حتى يستوفي ماله (32) .

فرد الطريس على ذلك بأن «أمر المون مو كول لمجلس العافية ، ولا يسمع كلاما» (33) ، الشيء الذي لم يقبله النواب ، وخاصة ريكليان مستظهماً بأن البناء وقع في أرض المخزن ، وعليه فالقضية تحت عهدة الحكومة (34) التي رأت أن المبلغ باهظ وفيه شطط (60 ألف فرنك بدل 5 آلاف) .

وكانت القضية لا تزال حتى نونبر 1889 مثار أخذ ورد بين الطرفين ، وفي أواخر سنة 1890 ، وجه المعتمدون الدبلوماسيون عريضة جماعية من أجل المهندس يلتمسون تسديد هذا القدر (5100 ريال) ، والترخيص له بجباية 50 ريالاً في الشهر حتى يستوفي ماله (35) .

وفي ابريل 1891 حُلّت المشكلة ، فاتفق كل من النواب والطريس على حيافة ملكية المون لجانب الحكومة ، معترفين أن تملك النواب السابقين له كان خطأ ، وأن في انتزاعه مصلحة واضحة للمخزن ، وعُين عبد السلام بوزيان الطنجي أمينا على دخل المون ، وتقرر أداء 5100 ريال للمهندس ، وذلك ما صادق عليه السلطان فعلا (36) .

وهكذا وضعت نقطة فصل نهائية في قضية الرصيف انتهت بانتصار رأي الحكومة ، لكن نواب المجلس ظلوا في الحقيقة يفرضون أنفسهم مجلسا

32 . رسالة ريكليان الى الطريس في 6 حجة 1301/26 غشت 1887 ، نفس المحفظة

33 . رسالة الطريس في 18 حجة 1304/7 شتنبر 1887 ، نفس المحفظة

34 . رسالة ريكليان الى الطريس في 21 حجة 1304/10 شتنبر 1887 ، نفس المحفظة

35 . عريضة النواب الى المخزن في 5 ربيع الثاني 1308/18 نونبر 1890 ، وهي بتوقيع طاطنباخ (المانيا) وبوليسلافسكي (الامبيريال) وأنسباخ (بلجيكا) وفيكيرو (اسبانيا) ومائيوذ (الولايات المتحدة) ولوى باطنوطر (شقيق وزير فرنسا) وكارين (انجلترا) وايميليو ري كولاصو (البرتغال والبرازيل) والياس كاسيل (السويد والنرويج) ، وكنطغالي (ايطاليا) - محفظة طنجة 3 .

36 . رسالة السلطان الى الطريس في 6 رمضان 1308/15 ابريل 1891 - محفظة

الطريس 20 .

بلديا ، فاقترحوا سنة 1893 بناء ثلاث مجازر : واحدة للمسلمين وثانية للنصارى
وثالثة لليهود ، وادخال الماء الشروب لطنجة ، وترصيف أزقة المدينة (37)
وهو التماس ارتضاه السلطان على الراجع .

37 . رسالة الطريس الى السلطان في 8 رجب 1310/26 يناير 1893 – محفظة طنجة 3
وجن لوي ميهيج «المغرب وأروبا» ج 4 ص 127

8 : فرنسا

تصميم هذا الفصل :

1 - الوزراء المفوضون

2 - موظفو المفوضية

3 - المحميون والسماصرة والمستوطنون مع ملحق عن حاييم
بنشيمول .

وعلى هذا الترتيب سأسير .

* * *

المطلب الأول : الوزراء المفوضون

كان احتلال فرنسا للجزائر من الأسباب التي متنت العلاقات القنصلية والديبلوماسية بينها وبين المغرب . فقد عين بطنجة عدد من المكلفين بالأشغال والقناصل العامين والوزراء المفوضين أذكر منهم :

1 - **الفيكونت ده كاستيون : Le Vicomte de Castillon** الذي كان نائباً عن فرنسا حوالي سنة 1860 الى حين اعتماد :

2 - **ليون فيليب بيكلار : Léon-Philippe Beclard** وزيراً مفوضاً في نهاية 1862 . وقد التحق بمنصبه يوم 30 ماي 1863 فلم يمكث فيه طويلاً ، اذ توفي في فاتح مارس 1864 . وكان عمله بالمغرب مهماً ، على قصر

المدة التي قضاها فيه (I) ، وهو الذي أبرم مع ادريس بن ادريس تسوية 19 غشت 1863 عن الحماية القنصلية . وبعد وفاته خلفه في هذا المنصب :

3 - أگوست لوي فيكتور ، المعروف بالبارون إيمي داقان :

Aymé d'Aquin الذي وصل الى طنجة في 19 غشت 1864 . وكان « رجلا حازما وذا ذكاء نادر » (2) . وكانت علاقته طيبة مع المخزن ، وظل يواصل مهمته من سنة 1864 الى سنة 1871 . غير انه « ذهب ضحية جهوده في سبيل الحد من الحماية . وكان ضد بومبي ذي التأثير الواسع بالمغرب وفرنسا ، وضد بنشيمول ترجمان المفوضية الفرنسية التي كان يسيطر عليها يهود طنجة ذوو المصالح القوية بباريس » (3) . وستظهر عناصر من حياته من خلال ترجمة خلفه .

4 . شارل جوزيف تيسو Charles-Joseph Tissot الذي وصل

الى طنجة في 25 ماي 1871 ، وهو من مواليد سنة 1828 ، وكان وزيرا مفوضا من ذلك التاريخ حتى سنة 1876 ، حين عين في اكتوبر سفيرا لفرنسا بمدينة أثينا ثم باسطنبول فلندن (4) .

وقد وصفه بركاش في رسالته الى السلطان بأنه «رجل مليح ، يبحث عن دوام الهدنة وتأسيس المحبة والوقوف مع الحق ... وكانت تقدمت له خدمة بتونس ، ويعرف شيئا من العربية» (5) . ولكنه بعد يومين زاد للعاهل توضيحات أخرى ، وبيّن له «في غير هذا المكان أن باشدور الفرنضيص رجل هَيِّن لَيِّن ، الا أن حزبه الذين كانوا يخدمون مع مَنْ قبله ، صاروا يبحثون ويوضحون له مساويء من كان قبله ، ليتوصلوا الى عدم رجوع الآخر» (الذي

1 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 21

2 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 129 (6) و ج 5 ص 88

3 . المصدر السابق ج 2 ص 558

4 . المصدر السابق ج 1 ص 171 و ج 3 ص 190 (2)

5 . رسالة بركاش الى السلطان في 2 شعبان 1288/17 اكتوبر 1871 ، محفظة بركاش

هو بالطبع البارون داكأن) «... لكونه كان يشدد عليهم ، ويخرجهم من الأمور التي لا مدخل لهم فيها ، وكان شديدا على اليهود ، حاجزا لهم عن الفضاضة والجسارة ، وكذلك بعض تجار رعيتهم وخلافتهم ، ومن أجل هذا التشديد الذي كان عنده عليهم ، أبغضوه ، وصاروا يبحثون في مساوئه ، ويقلبون ما يستحسن للتوصل الى غرضهم ، واستفهمت منهم أنهم يبحثون على ما يتوصلون به لادائته من جهتنا ، ونحن لا يصدر منا ، في جانبه ولا في جانب المخزن الذي كان مؤكليه ، أدنى شيء مما يُشعر نقصا ، لا مشافهة ولا كتابة ، ولا مدحا ولا خوصا فيما جاز عندهم ، لأن العمل على الجنس فما وافقوا عليه وفرحوا به ، تقابلوهم بأن ما فرح به الجنس واستحسنه تأخذ حظنا من ذلك ، وذلك على مقتضى السياسة ...» وفي ختام هذا الكتاب ذكر بركاش أن تيسو له «اتصال من جهة الصحبة» (6) برئيس الجمهورية آنذاك أدولف تيير : A. Thiers

كان تيسو من علماء التاريخ والآثار ، وقد أجرى خلال مقامه بالمغرب عددا من الأبحاث الجغرافية والجيولوجية نشرت في المجلات العلمية بباريس (7) ، وهو من الذين اكتشفوا أطلال مدينة ويلي ، وقد جاب جميع المسالك والطرق الرومانية بالمغرب ، ولما نشر سنة 1876 كتابه : «أبحاث في الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية : Recherches sur la Géographie Comparée de la Mauritanie Tingitane» ، أصبح مراسلا لأكاديمية الآداب بباريس ، وقد وضع في نفس السنة خريطة وكتابا بعنوان «خط المسير من طنجة الى الرباط : Itinéraire de Tanger à Rabat» (8)

ويبدو أن معرفته بالعربية واهتمامه بالثقافة جعلاه أحد المقربين الى السلطات ، وكان ، هو وفيرو ، من بعده «الوحيدين بين ممثلي فرنسا اللذين

6 . رسالة بركاش الى السلطان في 4 شعبان/19 أكتوبر ، نفس المحفظة

7 . عبد الوهاب بن منصور : «الوثائق» ج 4 ص 61 وميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 483 (2)

8 . رولان ليل : «الرحالة الفرنسيون الى المغرب» ص 155 و 156

كانا يُعْنَيَانِ باصلاح الهياكل المخزنية ، ويتفقان في ذلك مع جون دروموند هي « (9) ، وظل في منصبه حتى سمي بعده :

5 . 1 . ده فيرنويي A. de Vernouillet في نونبر 1877 ، بعد ان كان وزيرا مفوضا سنة 1874 ، بمدينة ليما عاصمة البيرو ، وكان قبل ذلك ملحقا بسفارة فرنسا بروما (10) ولبت في وظيفته الى نهاية سنة 1881 . وخلفه :

6 . لاديسلاس اورديغة Ladislas Ordéga الذي مثل بلاده مدة ثلاث سنوات من دجنبر 1881 الى دجنبر 1884 ، كتب خلالها مقالات عن المغرب .

ولد ورديغة سنة 1828 ، وبدأ حياته الادارية سنة 1855 بوصفه ملحقا بادارة الشؤون القنصلية والتجارية بباريس ، ثم عين بمدينة تريريسنتا ، وبعدها بمدينة أنفيرس ببلجيكا ، ومنها انتقل الى المغرب في 6 دجنبر 1881 ، مترقيا الى درجة وزير مفوض ، وقد تسلق السلم الاداري بسرعة ، فلم يكن سنة 1878 سوى مجرد قنصل بمدينة ياليرمو الصقلية ، وكانت تحميه مصالح سياسية وماسونية ، وصفه سكوثاصو بالتهور وقلة الدراية وعدم الرؤية وفساد الذوق والاحساس ، لكن هنري ده لامارتنيير حلاه باتساع الثقافة الادبية ، وبطبيعة حية نشيطة ، ونفس كريمة ، زيادة على العجرفة .

وكان الحسن الاول يعرف تلاعبه في بيع الحماية وتوزيعه لبطائقها على اصحاب شريف وزان ، حتى قال عنه : إن معاهدة مدريد لا وجود لها في ذهن ورديغة (11) .

وقد امتازت ولايته بحدث سييء ، وهو حماية فرنسا للحاج عبد السلام الوزاني ، وكانت له اتصالات متينة مع مصالح اقتصادية بفرنسا . ولما عظم النكير على سياسته ، عُزل وعين بدلا عنه :

9 . عبد الله العروي : «الاصول . . . » ص 257

10 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 63 ومبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 98

11 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 150 و ج 4 ص 36 (6) و 53 (+)

7 . **شارل فيرو** L. Charles Féraud المولود سنة 1839 ، وكان ترجمانا لفرنوي عند رحلته الى فاس ، كما كان ترجمانا بالجيش ، وسبق له أن كان قنصلا عاما بطرابلس ، وكانت له معرفة بشمال افريقيا وباللغة العربية ، وارتباطات بالطريقة التجانية ، وخلف تآليف ، وظل يمثل بلاده من سنة 1885 الى وفاته بالمغرب في نونبر 1888 ، وخلال تلك المدة كان يطمح لأن يقوم لدى المخزن مقامَ جون هي (I2) .

ولئن كان الطريس قد أثنى عليه «بجميل الأوصاف ومحاسن الأخلاق وتوطئة الأكناف» (I3) ، فقد نعتة جون هي أيضا بأنه «يتلافى التهديد والقوة . وهو أخطر من سابقه» ، لكن الوزير البريطاني ظل يكنه له بالغ التقدير (I4) .

ولما عين بالمغرب وصل الى طنجة ، فطلب كالعادة من السلطات المخزنية تهية أسباب رحلته الى فاس لتقديم أوراق اعتماده من لدن الرئيس كريفي لدى الحسن الأول ، بوصفه وزيرا مقيما ، وهكذا خرج من طنجة في أواخر أبريل 1885 .

وكان مصحوبا في سفارته بحاشية تتألف من ابنه وصهره وتراجمة وضباط ، ومخفورا بـ 69 جنديا مغربيا ومعهم 170 من دواب الكراع والظهر لحمل الأمتعة والهدايا الى السلطان وأعضاء المخزن ، منها 52 دابة لجسر المدافع المقدمة الى الجيش المغربي ، و 31 فرسا لأعضاء السفارة ، و 22 من الأفراس والبغال و 12 جملا ، يقود الجميع عدد كبير من الأدلاء والكشافة .

وأثناء الطريق كان يُدهش الولاة بمعرفته للعربية ، وبقرضه للشعر واستشهاده بالآيات القرآنية ، وحكايته لتاريخ المغرب ، نقلا عن ابن خلدون

I2 . المصدر السابق ج 1 ص 106 و ج 4 ص 233 (1) ، وكتاب «بول كامبون سفيرا» ص 106 .

I3 . رسالة الطريس الى محمد بن العربي بن المختار في 8 جمادى الآخرة 1302/25 مارس 1885 ، محفظة الطريس 5

I4 . جان لوي ميبج : «المغرب وأروبه» ج 4 ص 234 (4)

وصاحب «روض القرطاس» ، وكان وصوله الى فاس يوم 6 ماي 1885 ، فاستقبله السلطان يوم 8 منه ، وألقى أمامه خطاباً باللغة العربية فكان يرد عليه بلفظة «خيار» أى نعم ، ثم استقبله على انفراد ثلاث مرات (15) .

والمشكلة الكبرى التي وجدها نصب عينيه كانت هي قضية الحماية الفرنسية للحاج عبد السلام الوزاني ، فكانت تقض مضجع السلطات المغربية ، وكان فيرو يسعى لحلها .

لكنه كان يتعرض لانتقادات بعض الأجانب المنشغلين من علاقاته مع السلطان ، وكان يعارض تحالف شريف وزان مع جالوزو الذي كانت له عصبية لدى وزارة الخارجية الفرنسية التي أمرته بتأييد مطالبه ، بل كانت تفكر في عزله وتعويضه بسفير آخر هو إتيان (16) : Etienne

ولم يوفق فيرو في علاج القضايا المستعصية ، ولكنه كان كما ذكرت من المؤيدين لاصلاح البنيات الحكومية ، والتنظيمات الادارية حتى أدركته الوفاة في 17 نونبر 1888 بالمغرب (17) ، وحل محله :

8 . جول پاتنوتر Jules Patenôtre المولود في أبريل 1845 ،

وكان أستاذا من سنة 1867 الى سنة 1871 ، وانخرط في السلك الدبلوماسي سنة 1872 بوصفه ملحقاً بآثينا ، ثم بالصين سنة 1883 ، وبعده باليونان سنة 1884 ، وعين بالمغرب من يناير 1889 الى اكتوبر 1891 ، (18) وقد وصفه غريط قائلاً : «باشدور الفرنضيص الوافد على حضرة سيدنا العالية بالله قد ظهر منه مايدل على العقل وحسن المعاملة والوقوف مع الحق في الأمور ،

15 . رولان لبيل : «الرحالة . . .» ص 165 ، وجاك كايي : «النوادر المغربية» السلسلة الثانية ص 116 و 119 .

16 . جان لوي مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 235 (6) و ص 240 - 241 (9)

17 . رسالة الطريس الى أحمد بن موسى في 16 ربيع الثاني 1306/20 دجنبر 1888 - محفظة الطريس 14

18 . جان لوي مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 243 .

غير أن الترجمان حَيِّم ابن شِمُول ، مهما رءاه مال الى فصال قضية من قضاياها - التي لها تعلق به أو باليهود المنحاشين اليه بما يقتضيه الحق فيها - إلا ويبادر الى تعكيسها وتثبيط فِصالها» (19) .

ولكن مقامه لم يطل بالمغرب ، لأنه عين سفيراً بواشنطن في أواخر أكتوبر 1891 ، ولذلك «ورد باشدور الفرنضيص لطنجة لجمع حوائجه بقصد التوجه للخدمة بأمریکا» (20) ، وبعده بشهور وصل خلفه :

9 . **الكونت جول دوبيني Jules d'Aubigny** الذي حل بطنجة في 30 ابريل 1892 ، وظل في منصبه حتى سلم في غشت 1894 مقاليد مفوضية فرنسا (21) الى خلفه :

10 . **بايلان ده مونبيل Baylin de Monbel** ، وكان من سنة 1894 الى 1900 وزيراً مفوضاً ومبعوثاً فوق العادة (22)

* * *

هؤلاء هم الذين كانوا يمثلون فرنسا بطنجة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكانوا يختلفون بين المسالم وبين المتصَلِّب (ورديغة وقبله ده ثيرنويي) والحق أن فرنسا كانت تميل الى المهادنة ولو الى حين .

وأهم من اعتمدت عليه فرنسا في بسط حمايتها هم الجزائريون واليهود المغاربة ، الذين «تفتقت حيلتهم عن خلق سبب يمكنهم من أن يصبحوا مواطنين فرنسيين بتطبيق مرسوم كريميوه Crémieux عليهم ، ففي أواخر سنة 1859 ، كان عدد المحميين 90 يهودياً فصاروا في مارس 1860 يبلغون 763 شخصاً» (23) .

19 . رسالة غريط الى الطريس في 17 رمضان 1306/17 ماي 1889 ، محفظة الطريس 16

20 . رسالة السلطان الى الطريس في 28 ربيع الاول 1309/11 نونبر 1891 ، محفظة الطريس 21

21 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 243

22 . المصدر السابق ج 1 ص 144 ، ثم «البيان العددي للمراسلة السياسية من 1871 الى 1896» لوزارة الخارجية الفرنسية ص 50 - 51

23 . شارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة الامبرياليات» ص 32

المطلب الثاني : موظفو المفوضية والقنصلية

تعاقب على مناصب المفوضية والقنصلية الفرنسية بطنجة عدة مساعدين من قناصل وقائمين بالأشغال ومستشارين وكتاب وتراجمة ، وكان فيهم أيضا موظفون مغاربة سترد أسماؤهم مع المحميين والسماسة .

وحسبي الآن أن أذكر أن الموظفين بالمفوضية الذين كان عددهم سنة 1866 ضئيلا تألف من وزير مفوض وكتاب وترجمانين فرنسيين ونائب قنصلي ومترجمين ، وأنه لم يكن بالمغرب الا نائبان قنصليان وقنصل واحد في تلك السنة (24) ، وتضخم عدد المستخدمين بتضخم الأشغال .

وسأدرج فيما يلي أسماء بعضهم ، مع العلم اني لم استطع في بعض الأحيان تمييز وظائفهم بكامل الدقة ، وتبيين من كان منهم موظفا بالمفوضية وبالقنصلية :

1 . **حجوط پليسيي ده رينو** Pellissier de Reynaud وكان سنة 1862 «القنصل المتصرف بالنيابة للعلم الفرنسي في المراكش» (25) ، وهو الذي رافق ادريس بن ادريس في سفارته الى فرنسا سنة 1860 لمعرفته بالعربية ، وكان قبل ذلك قنصلا متدربا بالرباط .

2 . **هنري ده طالني** Henri de Tallenay وكان سنة 1864 نائبا عن بيكلار ولفترة قصيرة بعد وفاته ، وكان قد وصل الى طنجة سنة 1863 وعمل موظفا بعدة مناصب بألمانيا ، وبعد تعيين البارون إيمي داکان ، رحل في يبرابر 1865 عن مدينة طنجة (26) .

24 . جان لوى مبيج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 91 و 94

25 . رسالة ده رينو الى برکاش في 2 ماي 1863/13 قعدة 1279 ، محفظة برکاش

26 . جان لوى مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 129 (6) وص 385 ، ورسالة في 14

محرم 1281/19 يونيو 1864 بمحفظة برکاش .

3 . **ديطري Destrée** وكان ترجمانا مع ده طالني ثم مع البارون إيمي داکان لبضع سنوات (27) .

4 . **شيفر C. Scheffer** وكان سنة 1866 «السكرتير الأول لامبراطور فرنسا» (28)

5 . **ده كورونيل A. de Couronnel** الذي كان سنة 1856 كاتباً بالمفوضية الفرنسية (29)

6 . **برطولدي Bartholdi (?)** وكان سنة 1867 «النائب المفوض لأمور الفرنسيين» (30)

7 . **جول مونج Jules Monge** وكان الترجمان الأول قبل سنة 1875 حتى يناير 1878 ، وأصله من مقاطعة السائوا ، وقد رافق الزبدي في سفارته (31) .

8 . **لسور Lesourd** : وكان قائماً بالنيابة عن تيسو ، من أكتوبر 1876 الى نونبر 1877 ، وقبل تعيين ده فيرنويي (32)

9 . **الكونت هنري ده لوجي - فيلار H. de Laugier-Villard** وكان «نائب الدولة الفرنسية» (33) سنة 1877 بعد لسور سابق الذكر .

27 . رسالة العربي بوشنتوف الى بركاش في 14 قعدة 1280 / 21 ابريل 1864 - محفظة بركاش ثم جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 81 .

28 . رسالة وزير خارجية فرنسا الى برطولدي في 23 يناير 1866 - محفظة المغرب فرنسا

29 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 94

30 . رسالة بركاش الى برطولدي في 18 شعبان 1284 / 15 دجنبر 1867 - محفظة بركاش

31 . « الوثائق » ج 4 ص 435

32 . وزارة الخارجية الفرنسية : « البيان ... » المذكور سلفا

33 . رسالة في 13 قعدة 1294 / 19 نونبر 1877 ، محفظة بركاش

10 . ده لابلينير : de la Boulinière وكان سنة 1881 كاتباً
بطنجة ومكلفاً بالأشغال بها (34)

11 . ده غاسپاري : E. de Gaspary كان سنة 1882 الترجمان
الأول بالمفوضية (35)

12 . هنري سوقيير : H. Sauvaire كان ترجمانا بالمدينة سنة
1878 ، وقبلها بناية قنصلية فرنسا بالدار البيضاء سنة 1876 ، وقد بدأ حياته
سنة 1857 بالقنصلية الفرنسية العامة بالاسكندرية (36) وكان قبل ذلك قنصلاً
في بيروت ، وتلقى العربية بمدرسة اللغات الشرقية ببافيس ، وتوفي سنة
1896 ، وله تأليف عن الشرق (37) ومصنفات أخرى أحدها عن الحسبة
بالأندلس .

13 . شارل إيكار : Charles Hecquard وكان ترجمانا بالمفوضية
بطنجة وقنصلاً بمدينة فاس ، وبها سيرد الحديث عنه .

14 . مونفري : Monfraix وكان كاتباً بطنجة حوالي 1883
والنائب الأول بالمفوضية (38) .

15 . بلونديل : Blondel كان سنة 1884 كاتباً مترجماً (39) .

34 . جان لوي مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 45

35 . رسالة ده كاسباري الى بركاش في 22 رمضان 1299 / 7 غشت 1882 ، محفظة
بركاش والدكتور مارسبي : « المغرب » ص 125

36 . مبيج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 165

37 . خير الدين الزركلي : « الاعلام ... » ج 9 ص 106

38 . « البيان ... » لوزارة الخارجية الفرنسية ، ثم رسالة مونفري الى الطريس في
13 جمادى الثانية 1300 / 21 ابريل 1883 ، محفظة فرنسا المغرب

39 . مبيج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 54

16 . ده غري : De Gray وكان الترجمان الاول ، وهو الذي تلا خطاب أورديغة أثناء استقبال السلطان لوزير فرنسا سنة 1882 بمدينة مراكش (40) .

17 . قانسان داقان : Vincent Davin كان مستخدما بالمفوضية ، كما كان تاجرا ، وقد استقر بطنجة سنة 1838 ، وبها توفي سنة 1900 ، وكان ملاكا عقاريا ومراسلا صحفيا سنة 1887 ، وكان له ضلع في مؤامرة حماية شريف وزان (41) .

18 . الفونس بيرطران : A. Bertrand الذي بدأ حياته مستكتبا بالاسكندرية سنة 1856 ، ثم اضطلع بمناصب أخرى بزنجبار وبغداد وحلب ، وقد عين سنة 1882 قنصلا بالصويرة ، وكان سنة 1884 كاتباً مترجماً ثم قنصلا بطنجة ، ثم صار مراسلا صحفيا (42) ، وسيرد خبره بالصويرة

19 . جورج سبيريدان كاسيانوس : G. Spiridin Cassianos وكان حوالي سنة 1885 كاتباً بطنجة (43) .

20 . أ. بوتيرون : A. Boutiron وكان حوالي 1887 كاتباً أيضاً بطنجة (44) .

21 . بول طايي : Paul Taillet وكان في نفس السنة مستشاراً بالقنصلية الفرنسية بطنجة (45) .

10 . عبد الله العمراني : « سفارة لدى جلالة الحسن الاول » في مجلة « دعوة الحق » السنة 15 العدد الثالث ماي 1972 ، ص 123

41 . جان لوي مياج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 97

42 . المصدر السابق ج 1 ص 75 و ج 4 ص 54 ، ورسالة بمحفظه الطريس 5 ، بتاريخ 28 ابريل 1885 / 13 رجب 1302 .

43 . رسالة في 19 ماي 1885 / 4 شعبان 1302 ، محفظة الطريس 5

44 . « البيان ... » لوزارة الخارجية الفرنسية ، ورسالة بوتيرون الى غريط في 21 جمادى الاولى 1304 / 15 يبرابر 1887 ، محفظة المغرب فرنسا

45 . رسالة في 21 يبرابر 1887 / 27 جمادى الاولى 1304 ، نفس المحفظة

22 . تيوفيل مونو : Théophile MONOD (?) كان قائما بالأشغال قبل سنة 1887 ونائبا أول بالمفوضية (46) .

23 . هنري ده لامارتينير : H. de la Martinière وكان موظفا بالمفوضية سنتي 1887 و 1888 حسبما سيأتي عنه حديث خارج هذا المكان .

24 . اوجين إيلويس : E. Helouis اضطلع بمنصب ترجمان بالمفوضية الفرنسية حوالي 1890 ، « واستخدم مسي إلويس من صغره في بلدان العرب ، وأقام بعض سنين ببلاد الحضرة الشريفة ، وصار يعلم العربية علما تاما » (47) . ونفذ له السلطان سنة 1892 « منفعة عُرْيَصَة المخزن الكائنة بالمعادي ، المعروفة بعُرصة بن يَسْف ، التي كانت بيد الطالب علي الدكالي كاتب الفرنضيص » (48) ، وكان من المكلفين بتصفية دعاوي الديون .

25 . إميل بياط : Emile PIAT كان الترجمان الأول بالمفوضية كما كان كاتبها في عهد شارل فيرو . وقد اضطلع بمنصب القنصل بطنجة (49) سنة 1888 ، وهو الذي رافق الحاج المعطي بن عبد الكبير في سفارته الى فرنسا سنة 1889 .

26 . لوي باطنوتر : L. Patenôtre ناب حوالي سنة 1890 عن شقيقه جول ، الوزير المفوض (50)

46 . رسالة عبد السلام السويسي اليه بدون تاريخ (توفي السويسي سنة 1887) .

47 . رسالة باطنوتر الى غريط في 20 ماي 1890 ، محفظة فرنسا

48 . ظهير في 29 جمادى الاولى 1309 / 31 دجنبر 1891 ، نفس المحفظة .

49 . رسالة بياط الى الطريس في 30 رمضان 1306 / 30 ماي 1889 ، محفظة الطريس 16 ، وكذلك جاك كايي : « السفارات ... » في مجلة « تطوان » العدد السادس ، ص 187 .

50 . رسالة باطنوتر الى الطريس في 14 اكتوبر 1890 / 29 صفر 1308 ، محفظة الطريس 19 .

27 . پاسكولي : Pascoly تولى سنة 1891 القيام بالأشغال
بطنجة (51) .

28 . ف. سُوَّار : F. Souhart كان كاتباً للمفوضية بطنجة ، ولكنه
كان « النائب الاول القائم مقام الباشدور الفرنسي » (52) سنة 1891 .

29 . ش. نونا نوتيجا (?) Charles Nuna Gutiga ، وكان سنة
1891 مستشاراً بالمفوضية الفرنسية (53)

30 . لريش : Leriche ، وكان سنة 1893 ترجماناً بالسفارة
الفرنسية بطنجة (54) .

31 . كولان ده پلانسي : Collin de Palancy (ou Plancy)
قضى حياته الادارية بالشرق الأقصى قبل تعيينه كاتباً بالسفارة وقائماً
بالأشغال بطنجة سنة 1895 ، وله تقارير تجارية وقنصلية (55)

32 . أوجين فومي : E. Fumey ، وهذا كان الترجمان الاول
بمفوضية فرنسا بطنجة وكلف سنة 1896 بناية قنصلية فرنسا بفاس ، ولد
سنة 1879 ، ولكنه مات سنة 1904 وقد وضع تأليفاً عن الترسل المخزني (56)
ونقل الى الفرنسية القسم الأخير من «الاستقصا» لأحمد الناصري ونشره
بمجلة «ليزارشيف ماروكين»

51 . رسالة باسكولي الى الطريس في 7 شعبان 1308 / 18 مارس 1891 ، محفوظة
الطريس 20 .

52 . رسالة سُوَّار الى الطريس في 19 شتنبر 1891 / 14 صفر 1309 ، محفوظة
الطريس 21 و « البيان ... » لوزارة الخارجية الفرنسية ، الصفحات المذكورة أعلاه .

53 . محفظة الطريس 20 . ولم يتيسر تحقيق كتابة اسمه

54 . رسالة دوبيني الى الطريس في 19 يونيو 1893 / 4 حجة 1310 ، محفظة الطريس 24

55 . « البيان ... » لوزارة الخارجية الفرنسية ، وجان لوي مياج : « المغرب
وأروبا » ج 1 ص 91

56 . المصدر الاخير ج 1 ص III

. ولا شك أن المفوضية والقنصلية كان لهما موظفون فرنسيون آخرون .
أثناء هاته الفترة من القرن التاسع عشر ، ولكن اكتفي بهؤلاء .



المطلب الثالث : المحميون والسماصرة والمستوطنون

ليس تحت اليد إلا قوائم فرنسية سنوية عامة للمحميين والسماصرة
تمتد من سنة 1879 الى 1886 ، وهي عبارة عن مسودات باللغة الفرنسية كانت
تراجع كل سنة فكثر فيها التنقيح بالتشطيب والاقحام .

ومع أن خطها مُعْتَم ، وتصويرها رديء ، فسأقتطف منها كل ما يتعلق
بطنجة ، وسأستعين أيضا بوثائق بعضها لا تاريخ له وبمصادر مطبوعة كذلك ،
بادئا بالمحميين وخاتما بالمستوطنين .

وعليّ أن أذكر بأن عدد المحتمين من اليهود المغاربة كان 90
شخصا سنة 1859 ، وسرعان ما صاروا 763 سنة 1860 بكافة أنحاء المغرب ،
أما سنة 1885 فكان مجموع المحميين المغاربة لا يتجاوز 136 شخصا في كل
المدن والشغور (57) .

أ - المحميون :

أ - 1 : من القوائم السنوية (1879 - 1886)

1. **موشي بنشيمول** : المكنى بـ **بريرو** ، كان حوالي سنة 1853 ترجمانا
بالمفوضية (58) ، وعنه ورد استثناء في التسوية المغربية الفرنسية لسنة

57 . رسالة السلطان الى بركاش في 7 ربيع الثاني 1302 / 24 يناير 1885 ، محفوظة
الطريس 5

58 . رسالة بركاش الى ده رينو في 15 ذي القعدة 1279 / 4 ماي 1863 . محفوظة
بـ **بركاش** .

1863 ، وكذلك في الفصل السادس من معاهدة مدريد ، كان إذن محميا استثنائيا وقنصليا معا ، وكانت حمايته وراثية ، وامتيازاته منحت له ولا سرته على أساس أنه كان عقيما لا ينبغي ، وظل اسمه واردا في القوائم السنوية حتى 1885 .

2 - **محمد المصوري** : وكان كاتبا حتى توفي قبل سنة 1879 ، وجاء في رسالة سلطانية عنه أنه كان « لا يسعى الا في الافساد بين الدولتين » (59) ، وقد كلف السلطان نائبه بمخاطبة الفرنسيين « في إخراج المصوري المذكور من خدمتهم ، وإبعاده من طنجة ، اما بالانتقال الى داخل الايالة ، أو بنقله الى مكان آخر ، لأن بقاءه بطنجة لا يؤدي الى خير » ، وذلك لأن « هذا المصوري شأنه هو هذا من قديم » (60) ، ولا سيما في الواقعة التي نشبت بين قنصل فرنسا بطنجة وباشا المدينة الجيلاي بن حمو سنة 1878 .

3 - **دايد أزنكوط** : توفي قبل سنة 1879 ، بعد أن كان ترجمانا للمراكب البحرية (61) .

4 - 6 أرملة محمد المصوري وابنتهما وابنها عبد القادر

7 - 9 أرملة دايد أزنكوط ، وابناها شالوم وموشي : وكان زوجا الأرملتين موظفين بالمفوضية ، وتردد ذكر أعضاء أُسرتهم من سنة 1879 الى 1883 في القوائم السنوية المعنية .

10 - **يهودة الصائغ** : كان تاجرا بطنجة وذا سماسرة ، ستأتي أسماؤهم بمختلف المدن .

59 . رسالة السلطان الى بركاش في 4 محرم 1295 / 8 يناير 1878 ، نصها في « الوثائق » ج 4 ص 433

60 . « الوثائق » ج 4 ص 56

61 . أتت أسماء المحميين 1 و 3 و 11 و 12 و 13 في قائمة ثلاثية تتعلق بمن كانوا بطنجة والدار البيضاء والجديدة . ومع انها خلو من التاريخ ، فلا ريب انها كتبت قبل سنة 1878 لثبوت وفاة المحمي رقم 3 حوالي السنة الاخيرة .

II – **حاييم بن ابراهام بنشيمول** : كان ترجمانا وتاجرا ذا سماسرة ، وهو من اكبر المحميين ، وسيأتي الكلام عنه فى ملحق خاص بآخر هذا الفصل.

I2 – **دايد بنشيمول** : هو ترجمان آخر بالمفوضية

I3 – **شلومو بنشيمول** : وكان صيدلي المستشفى الفرنسى بطنجة

I4 – I5 **الهاشمى السوسى و الحاج قدور ولد حية** : عونان فى قائمة 1879 فقط .

I6 – **العربى التطوانى** : مثلهما ، لكن يحتمل أنه هو العربى البوتوي (؟) المذكور عونا فى لائحة 1882 .

I7 – **الحاج أحمد سعود** : مستخدم فى قائمتي 1879 و 1880

I8 – 26 **أحمد الشرقى ، والمختار الغمارى ، وعبد الله التوزانى ، ومحمد ولد حدو ، وفريخة بنت اليسع ، وأحمد بن العياشى ، ومحمد ولد ادريس ، وسالومون بن عسولين ، ومحمد بن عمرو ، وقد وردت أسماؤهم فى قوائم سنوات 1879 الى 1881 بوصفهم أعوانا .**

27 – **عبد السلام بن سمثوط** : كاتب فى القوائم الأخيرة أيضا .

28 – 31 **أحمد الدكالى ، وولد الحاج قاسم بن محمد بوعود ، ومحمد التوزانى ، ومحمد ولد التهامي كتر واش (أو كثلواج) كانوا أعوانا فى القوائم الممتدة من 1879 الى 1882 .**

32 – **جلول** (دون ذكر نسبه) وكان مستخدما سنة 1880 فقط

33 – 34 **احميدة بن محمد بن العربى ، وسارة بوطبول** : مستخدمان فى قائمة سنة 1881 .

35 — 42 **عبد الله الدكالي** : (وكان كاتباً) **ومحمد السوسي** ، **ومحمد سعيد** ، **والقائد أ قلعي** (أو سعيد أ قلعي) ، **والعياشي بن الحاج مبارك** ، **وفطوم بنت النوينو** ، **وشيمي مورينو** ، **وسلطانة أبي قاسيس** : وهم أعوان مستخدمون وذكروا جميعاً في لائحة سنة 1882 .

43 — 44 **محمد التسماني** (رئيس الأعوان) ، **والحاج محمد مصباح** عون ثم حارس بنك طرانزا طلائيك ، وكلاهما ورد في القوائم السنوية بدون انقطاع من سنة 1879 إلى 1885 .

أ — 2 — من وثائق أخرى

45 — **علال الدكالي** : كان سنة 1887 كاتباً بالمفوضية (62) ولربما قبلها ، لكن يحتمل أن اسمه هو علي الدكالي الحسيني الذي كان كاتباً سنة 1888 والذي كانت بيده منفعة عريضة أنعم بها السلطان سنة 1892 على أوجين إيلويس ترجمان المفوضية ، المذكور سابقاً .

46 — **إسحاق كويهن** : وكان سنة 1888 كاتباً (63)

47 — **محمد البقيوي الطنجي** ، وكان عوناً ، التمس سنة 1891 الانعام عليه بحانوت حبسية بطنجة (64) .

48 — **سلام الرغيف** : عون أيضاً والتمس كذلك الانعام عليه بحانوت حبسية سنة 1891 فأكرمت له (65) .

62 . من حكم شرعي في 9 شعبان 1304 / 3 ماي 1887 ، محفظة المغرب فرنسا .

63 . رسالة الطريس إلى أحمد بن موسى في 16 ربيع الأول 1306 / 20 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14 .

64 . مسودة رسالة إلى محمد المفرج ناظر الاحباس في 27 رجب 1308 / 8 مارس 1891 ، محفظة المغرب فرنسا .

65 . مسودة رسالة إلى محمد المفرج في 5 شعبان 1308 / 16 مارس 1891 ، نفس المحفظة .

49 - **عبد السلام أيوب** : مثلهما أيضا ، وطلب كراء حانوت حبسية فوق الانعام عليه بها في نفس السنة كذلك (66) .

50 - **الجيلالي بن بوشعيب الريفي** الذي كان سنة 1892 عونا (67) .

51 - **عبد السلام أبارودي** : وهو محمي متنطع كانت عليه قبل سنة 1889 ديون قبيل الناس ، وقبيل الدولة ، ونال الحماية الفرنسية ولكنه كان معتديا ، ففي نونبر 1891 خرج الى الشارع وأخذ يطلق النار - كيفما اتفق - على المارة ، فجرح أشخاصا وقتل آخرين ومنهم ولد أحمد الغسال الذي صرع أمام باب داره ، فوقعت ضجة بالمدينة ورفع السكان عريضة استنكار ضد هذا المحمي المتهور الى السلطان (68) .

52 - **بينحاس الصايغ** : وكان يتعاطى الصحافة (69) .

هؤلاء هم المحميون القنصليون والاستثنائيون بطنجة ، وننتقل الى المحميين التجاريين أو السماسرة .

ب - السماسرة

ب 1 من القوائم السنوية (1879 - 1886)

1 - 2 **أحمد بن الفقيه ومحمد بن الشرقية** : سمساران لشركة ياكبي من مدينة مرسيلية من سنة 1879 الى سنة 1885 ، لكن الأخير منهما حذف وجعل مكانه سنة 1883 :

66 - مسودة جواب الى سفير فرنسا في 20 قعدة 1308 / 27 يونيو 1891 ، نفس المحفظة .

67 - رسالة في 23 ربيع الثاني 1310 / 14 اكتوبر 1892 ، نفس المحفظة

68 - محمد كنيب « الحماية الاجنبية بالمغرب في أواخر القرن التاسع عشر ومصدر القرن العشرين » ص 109 (نسخة مرقونة) .

69 - مبيج : « الصحف والصحافة بطنجة في القرن التاسع عشر » ، مجلة « اسبريس » ص 215 (3) .

3 - **ابراهيم بيمينطة** الذي صار من 1882 الى 1884 سمسارا لتاجر من مدينة بوردو اسمه لاندو : Landau . وكان في نفس الوقت صحافيا .
4 - **قاسم البوير** سمسار ألفونس داثان القاطن بطنجة ، وذلك من 1879 الى 1883 .

5 - **بلال** ... مثل السابق حتى توفي سنة 1882 ، ولم يرد نسبه .
6 - 7 - **الحاج عبد الله الدراوي ، والطاهر العزيزي** : سمساران لفائبي القاطن بطنجة وذلك من 1879 الى 1884 .

8 - **يهودة س قورياط** : سمسار برانشفيك Braunschvig الساكن بمدينة ليون من 1880 الى 1886 .

9 - **ابراهيم س قورياط** مثله له من 1882 الى 1886 .

10 - **يهودة ميمون كويهن** : سمسار داييد ليون كويهن الساكن بمرسيلية ، في قائمة 1882 الى 1885 .

11 - **مخلوف طوليدانو** : سمسار بنسيمحون القاطن بمرسيلية في قائمة 1882 الى 1885 .

12 - **الحبيب طوليدانو** : سمساره قبل سنة 1882 ولكنه صار بعد ذلك سمسارا لداييد ليون كويهن .

13 - 14 - **الشريف الحاج محمد خمليش والحاج حمو خمليش** : سمساران للكونط ده شافانياك القاطن بطنجة ، وذلك من 1882 الى 1884 .

15 - **الحاج محمد بن عمارة** : سمسار ادوار ميشوبيلير الساكن بطنجة وذلك سنة 1885 .

16 - **يونس بن عسولين** : كان حوالي سنة 1879 أمين صنـدوق المفوضية ثم صار من سنة 1882 الى 1885 سمسارا لتاجر من مرسيلية اسمه جيگودي Gigoudet (70) .

ب 2 - من غيرها

17 - **الحاج محمد بن عيسى الديموسي الفحصي** : كان سنة 1893 سمسارا لتاجر فرنسي يقيم بطنجة اسمه بيطري (71) : Piétri

ت - المستوطنون

تقاطر على طنجة عدد من الفرنسيين خلال القرن الماضي . غير أن أخبارهم كادت تكون نادرة ، على الأقل فيما وقفت عليه حتى الآن من الوثائق والمصنفات ، لكن لا مندوحة لنا عن سوق أسماء طائفة يسيرة منهم ، ممن كانت لهم علاقة بالسلطات وبالمواطنين المغاربة .

ومن أشهرهم الاسرتان الفرنسيتان : Vautrai وفافيي Favier في بداية القرن المذكور حيث ولد بالمدينة جملة من أفرادهما ، وكذلك أسرة دافان Davin في أواسطه وأواخره ، حسبما جاء في المصادر الأجنبية ولا سيما في احصاء سكان طنجة من الفرنسيين لسنة 1886 .

1 - شارل كوتش : Ch. Goutch

كان هذا التاجر يزاول حوالي 1892 وحتى بداية القرن العشرين مهنا مختلفة (72) وكان شريكا لعدة دور للتصدير والاستيراد وللمثيل التجاري وللبيع بالعمولة . وكان ينوب عن « لي گران ماگازان دوپرنطان » الباريسية ،

70 . أسماء السماسرة 1 و 10 و 11 و 12 و 16 وردت عند مبيع في «المغرب وأروبا» ج 5 ص 250

71 . رسالة دوبيني الى الطريس في 10 غشت 1893 ، محفظة المغرب فرنسا

72 . رسالة كوتش الى الطريس في 23 ربيع الثاني 1310 / 14 اكتوبر 1892 ، محفظة الطريس 23

كما أنه كان مالكا لمنشرة للخشب وذا مقاوله في النجارة وصنع القرمود والثلج والمحركات الكهربائية ، زيادة على أورش لخشب البناء والحديد والفحم وغير ذلك (73) وكان تاجرا في الغاز ، ولهذا الغرض التمس كوتش من المخزن محلا خارج المدينة لادخاره (74) .

وهو من الذين قدموا للحكومة قروضا في مطلع القرن العشرين ، ومن الذين باعوا لها أسلحة كانت أحيانا رديئة الصنع ، بعد أن كان يعرض عليها « ميشطرات » منها (75) .

وكانت معاملته التجارية ممتدة الى عدد من المدن ومن جملتها حاضرة فاس .

2 - كَيْف : Gaiffe

لم يرد في الوثائق أنه كان مقيما بطنجة باستمرار . ولكنه على كل حال كان يمثل بالمغرب المؤسسة البنكية « له كونطوار ديسكونط » ، وكان ينوب عن تحالف ألام مع بنك دماشى Allard Demachy وكذلك عن مؤسسة كساي : Caïl التي كانت تبيع الأسلحة للمخزن (76) . وكان يجري مفاوضات مع المخزن لضرب السكة النحاسية فأبرم مع غريط اتفاقية بمراكش في 11 رمضان 1308 / 20 أبريل 1891 ، بعد مذاكرات ابتدأت سنة 1889 . وفي 17 جمادى الآخرة 1309 / 18 يونيو 1892 أمضى غريط نيابة عن المخزن وأوجين إلويس نيابة عن كيف اتفاقية أخرى (77) .

73 . رسائل مختلفة بمحفظه الطريس 68

74 . رسالة السلطان الى الطريس في 3 شعبان 1310 / 20 يبرابر 1893 ، محفظة السطريس 24

75 . رسالة عبد السلام أحرضان الى غريط في 23 رمضان 1310 / 10 ابريل 1893 ، وجواب المخزن لسفير فرنسا في 4 ذي القعدة 1310 / 20 ماي 1893 ، محفظة المغرب فرنسا .

76 . جان لوي مبيج : « المغرب وأروبا » ج 3 ص 500 .

77 . رسالة الى باطنوطر في 25 رمضان 1306 / 25 ماي 1889 ، محفظة المغرب فرنسا ، وكذلك وثائق أخرى بمحفظه الطريس 21 .

3 - بول تيوفيل ري : P. T. Rey

عاش هذا التاجر بطنجة حوالي 1853 . وكانت تجارته تدور حول
اشتراء الحبوب والصوف والجلود وتصديرها الى فرنسا . وقد تصاهر مع
نائب البرتغال ، الا أن اغتياله سنة 1855 أحدث بلبلة وروعة لدى الاوساط
الاجنبية والقنصلية . وكان قاتله من الأشراف ، ونفذ فيه الحكم بالاعدام أمام
الملا بطنجة .
وقد خلف ذرية ظل البعض منها يعيش بالمغرب حتى منتصف القرن
العشرين (78) .

4 - بيطري Piétri (?)

قبل سنة 1890 كان يملك مطحنة للدقيق ، فأراد توسيع رقعتها
بإضافة قطعة أرضية اليها والتمس الاذن من المخزن (79) . وتقدم ذكر سمساره .

5 - ليون دافان L. Davin

سلفت الإشارة الى أخيه أدولف الذي كان تاجرا بالمدينة وله سمساره ،
والى أبيه فانسان الذي كان أيضا موظفا بالمصالح الفرنسية وضالعا في حماية
بلاده للحاج عبد السلام الوزاني ، كما كان ملاكا عقاريا ، وتاجرا .
أما الابن الثاني ليون فهو من تجار المدينة حيث كان له معمل للتصوير ،
وهو من مواليد سنة 1856 بطنجة (80) .

ومما لا ريب فيه أنه كان موظفا رسميا أو شبه رسمي بالمفوضية
الفرنسية ، وكان نشيطا فنجدته ضمن رفاق هنري ده لامارتنيير مبعوث
المصالح الاستعمارية بالجزائر الى المغرب ، وصديق الوزاني المذكور أعلاه .

78 . مبيج « المغرب وأروبا » ج 2 ص 61 (9) و 284 (7) و ج 5 ص 47

79 . رسالة السلطان الى عبد الصادق بن احمد في 25 حجة 1307/12 ثقت

1890 . محفظة المغرب فرنسا

80 . مبيج : « المغرب وأروبا » ج 1 ص 97

ومهما يكن من أمره ، فقد نهبت دار ليون داڤان سنة 1890 ، فالتمس من أمراء طنجة اكراءه حانوتا حبسية سنة 1891 .

6 - **لوسيان برونزو** L. BRUZEAUD

أسس سنة 1892 شركة فلاحية كان رأسمالها يبلغ 30 ألف فرنك ، وكان تيودور فورت شريكه T. Furth ، لكن خلافه مع هذا الأخير أفضى به الى اعتزال هاته الشركة التي كانت تدعى « شركة المغرب الفلاحية » أو «La Société Agricole du Maroc»

وقبل هذا الوقت كان له أو لأحد أقاربه سنة 1888 «فونضة بحري المصلى بطنجة» (81) .

7 - **الدكتور بيير أندريو** P. Andrieu

كان قد قدم الى السلطات مشروعا لجلب الماء الى طنجة سنة 1886 لمنفعة السكان قاطبة (82) ، وقد استوطن مدينة الصويرة أيضا .

8 - **القائد أغا عبد الكريم الهوغ** (?) بيت ده فيلروش

Billette de Villeroche

كان محاميا فرنسيا ، لكنه اندس في المغامرات التي كانت تحاك مع الحاج عبد السلام الوزاني ، وكان أيضا تاجرا مغامرا كما سيأتي ، وفوق هذا كله كان يلقي محاضرات باسمه المستعار المذكور أعلاه (83) .

9 - **جول جالوزو وأصحابه** J. Jaluzot et consort

كان جالوزو تاجرا بطنجة ، لكنه كان مغامرا ، وكان من أصحابه : ده فيلروش سالف الذكر آنفا ، وسوندت Sundt وتوسان Toussaint

81 . رسالة فيرو الى الطريس في 19 شوال 1305 / 29 يونيو 1888 ، محفظة الطريس 18

82 . مطالب باطنوطة ، (النقطة 6) في 22 شعبان 1306 / 23 ابريل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا

83 . ميسج « المغرب وأروبا » ج 1 ص 76 .

إلا أن نشاط رفقاءه لما كان سىء التدبير فى الميدان التجارى . غطوه بدسائس سياسية ، وهكذا أفلسوا فالتجأوا الى جالوزو الذى حل بطنجة سنة 1888 لتوسيع فرع «لي كران ماكازان دو يرانطان» بهاته المدينة وألحق بمؤسسته التجارية منشرة للخشب ومصنعا للآجر ، ثم عزل توسان عن ادارة المؤسسة وأنشأ مركزا للتجارة بالصويرة أسنده الى بيير أندريوه ، سابق الذكر أعلاه .

وبعد ذلك اقتنى أوطيل فيكتوريا بطنجة وأراضي شاسعة من أملاك الحاج عبد السلام الوزاني ، وقد وقع مع «صاحب السمو الملكي ، شريف وزان الأكبر ، سيدي عبد السلام» عقدة لفائدة شركته بتاريخ 24 يناير 1888 ، لاستغلال جميع الأراضي الصالحة للزراعة ، مدتها 99 سنة ومن «أجل عمل انساني ، ولكي يخدم فيها عمال مغاربة وفرنسيون» .

وكان شارل فيرو وزير فرنسا مناهضا لهاته المشاريع ، لكن وفاته قوت الأمل فى أن يكون باطنوطر مؤيدا لها (84) .

ويستحسن أن نقول ان مصالح اقتصادية كبرى كانت وراء جالوزو ، وأنه اشترى تلك الاطيان التى كانت ملكا للزاوية لا لشيخها .

10 - فرنسيان آخران : لم يذكر اسمهما ، طلبا سنة 1885 الاذن لهما ببناء مصنع بضواحي طنجة ، وجعل فرن لاحراق عظام الميتة من جميع الحيوانات ووسق رمادها الى فرنسا لصناعة الأصباغ .

وقد وافق المخزن على تشييده للمصنع من حيث المبدأ ، الا أنه تخوف من أن يفضي اعطاؤهما هذا الامتياز الى تخويل امتياز آخر لغيرهما من جهة أولى ، والى نبش قبور الآدميين متى نفذت عظام الحيوانات من جهة أخرى (85) .

84 . نفس المرجع ج 4 ص 242 و 243

85 . رسالة السلطان الى بركاش فى 7 رجب 1302/22 ابريل 1885 ، محفظة الطريس 15

هاته بعض الافادات عن جماعة من الرعايا الفرنسيين بطنجة ، وليس فيها حصر ، ولكن تدليل .

ونختم هذا المبحث بادراج ملحق عن أحد كبار المحميين الفرنسيين الشهيرين بهاته المدينة .

* * *

ملحق : حاييم بنشيمول

كان مغربيا ، فاحتفى بفرنسا لأنه كان منذ ما قبل سنة 1870 ترجمانا بطنجة ، وقد «نال صك المواطنة الفرنسية ، وبذل كافة نفوذه لاكتساب ثروة طائلة ، كان معروفا في الأوساط الماسونية وعضوا مشهورا في الاتحاد الاسرائيلي ، وممثلا لشركات النقل البحري وللابناك ووكيلا ثم مالكا لجريدة «له ريفي دو ماروك» .

«وفي سنة 1886 ندد به وبأعماله الصحافي الفرنسي إدوار درومون E. Drumont (1844 - 1917) على أعمدة جديدة «لافرانس جويث La France Juive» ، فوصفه بأنه كان مسير دفة سياسة المفوضية الفرنسية بالمغرب ، فقد كانت وزارة الخارجية الفرنسية تعتبره المفاوض «المفضل» ، ولما قرر مؤتمر مدريد أن لا تكون الحماية وراثية ، استطاع ممثل فرنسا فيه أن ينال استثناءً لصالح أسرة بنشيمول ، وقد جاء يوم اضطرت فيه فرنسا الى الاستغناء عن خدماته ، مع تركها لهذا المساعد الثمين جوقة الشرف» (86) .

وكانت السلطات المغربية تنظر اليه بكامل الجذر وتنعتيه بالتلون واختراع الترهات ، حتى طلب غريبط من الطريس فضح أعماله والتشنيع عليه في الصحافة (87) غير الجريدة التي كان يملكها أو يشرف عليها .

86 . شارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة الامبرياليات» ص 32

87 . رسالة غريبط الى الطريس في 17 رمضان 1306/17 ماي 1889 . محفظة الطريس 15

وقد تقدم شيء من هذا القبيل عنه لدى الكلام عن إيمي داكاز في بداية هذا الفصل .

ومن المصارف التي كان ينوب عنها البنك طرانز أطلانتيك بطنجة منذ ما قبل 1885 ، وكان سنة 1889 يمثل شركة نيكولا ياكوي البحرية الشهيرة (88) .

ومن هذا كله اكتسب جاها وثروة استغلها أحسن استغلال : ففي سنة 1883 هيا لشارل ده فوكو أسباب السياحة بالمغرب صحبة مردوخي أبي سرور ، فأوصى بهما خيرا لدى يهود المغرب ولا سيما فاس (89) .

وكما كان رحيما باليهود عند ما تبرع بأرض بمدينة طنجة لتكون مدرسة لأطفالهم فطلبت «أليانس جيوف» رخصة فتحها سنة 1887 بهاته المدينة (90) ، فانه كان حازما صلبا في قضيته مع حاييم بونطي القصري ، فقد استسلف هذا الأخير من البنك طرانز أطلانتيك 2700 ريال سنة 1881 بفائدة 10٪ في السنة ، ولربما بأكثر من ذلك ، لأنه كان زبونا ، لكنه لما عجز بعد ذلك بسنوات عن التسديد ، صدر الأمر ببيع أملاك البونطي بالمزاد ، فبلغت 1450 ريالا ، وحاول بنشيمول حيازتها بنفس الثمن ، بالرغم من استحالة ذلك شرعا ، ولما وجد بونطي مشتريا يدفع له أكثر من مبلغ المزاد ، امتنع بنشيمول سنة 1888 من التسليم (91) .

وكانت السلطات المغربية لا ترغب مطلقاً أن «يبتلع» حاييم الغني حاييم الفقير لأن المسألة كانت سياسية ومالية معا .

88 . جريدة «له ريغي دو ماروك» عدد 20 يوليو 1899

89 . اسحاق عبو : «المسلمون الاندلسيون واليهود الاسبانيون» ص 328

90 . مطالب فرنسا - رسالة باطنوطر الى غريط في 22 شعبان 1306/23 ماي 1889 .
محفظة المغرب فرنسا .

91 . رسالة بونطي الى الحاج محمد الزكاري في 20 جمادى الآخرة 1305/4 مارس 1888
محفظة الطريس 12 .

وفضلا عما سبق ، كان لبنشيمول أصحاب وسماصرة مغاربة ، فقد كان له سنة 1887 شركاء بفاس في بيع التبغ والكيف والحشيش (92) .

وختام الكلام عنه أنه ولد بطنجة سنة 1834 وكان لا يزال حيا في أواخر القرن التاسع عشر .

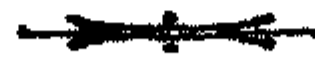
وكان أول أمره وكيلا لفرنسا بالعرائش دون أجرة ، وكانت له قرابة مع أسرة بنشيمول بطنجة وعلاقة وطيدة مع تجار المدينة الأخيرة وتجار فرنسا من اليهود .

كما كان له ارتباط مع الدوائر المخزنية ، وكان لا يعرف الفرنسية ولا يكتب بها ، وإنما كان يحرر رسائله باللغة الإسبانية (93) مع معرفته للعربية طبعا .

92 . رسالة بوطيرون الى غريظ في 12 جمادى الاخرة 1304/8 مارس 1887 محفظه المغرب فرنسا .

93 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 210 و 413 (7) و ج 3 ص 198 (12)

9 : باقي الدول



وهي البرتغال والبرازيل وبلجيكا والدول السكندنافية وهولاندة .

* * *

المطلب الأول : البرتغال

* * *

أولا : السلك الدبلوماسي والقنصلي

شغلت أسرة كولاكو مناصب التمثيل القنصلي ثم الدبلوماسي بالمغرب طوال القرن التاسع عشر برمته (I) ، ومن هؤلاء جورج ثم ابنه جوزي دانييل وقبلهما كولاكو الجد .

I : **جورج جوزيف كولاكو** Jorge Josef Colaço الذي عين خلفا عن أبيه حوالي 1841 ، ولما حصلت له ائتلاف في منزله عند نهب طنجة أثناء القصف الفرنسي لهاته المدينة سنة 1844 ، التمس من السلطان تعويضا في شكل ترخيص بوسق 12 ألف فنيكة من القمح و 12 ألف فنيكة من الشعير من مرسى الدار البيضاء ، لكن مولاي عبد الرحمان أمر بوسلهم بن علي أن يسد «هذا الباب فان النهب الواقع وقع في خزين المخزن ، ونهب ما له بال . فحيث وقع ذلك في خزينا ، فلا يَغِيظُهُ ما وقع في داره . . . » (2)

وقد عزل عن النيابة سنة 1861 ، فأُسند المنصب لابنه :

- 1 . جان لوي ميج : «المغرب واروبا» ج 2 ص 24 (2) و ج 5 ص (91)
- 2 . رسالة السلطان الى بوسلهم في 4 ربيع الاول . وجواب الاخير له في 12 ربيع الثاني 1261/13 مارس و 20 ابريل 1845 ، محفظة بوسلهم بن علي : 4.

2 : جوزي دانييل كولاصو José Daniel Colaço الذي شرع قبل سنة 1858 في النيابة عن أبيه (3) ، حتى عين قنصلا عاما ثم وزيرا مفوضا ، وآلت إليه - بعد وفاة سكوفاصو سنة 1887 - عمادة السلك الدبلوماسي . وكان فوق ذلك يترأس اللجنة الصحية بالتناوب مع زملائه ، فضلا عن ذلك ، ناب عن البرازيل مدة طويلة ، وعن فليكس ماثيوز في بعض الأحيان ، لوجود روابط مصاهرة بينهما ، بزواج جسبار ماثيوز ابنة السفير البرتغالي .

ومع أنه كان وخصوصا حوالي سنة 1865 تاجرا مدة طويلة بطنجة (4) فقد ظل يمثل بلاده حتى سنة 1895 ، وكان يسعى لأن يكون لها وزن كبقية الدول ، ولا سيما عند ما طلب سنة 1889 من الحسن الأول أن يعتمد لدى المخزن بعثة عسكرية برتغالية (5) ، مثلما فعلت دول أخرى ، غير أن شيئا من ذلك لم يكن ، لأن البرتغال ظلت دولة ضعيفة ، وقد وصفها الصحفي الفرنسي ده كرديك شني في «نصيحة» الى المخزن خلو من التاريخ «اجعلوا البرتغال في جيبكم إن شئتم ، وفوقه المنديل . ان كولاصو لم يعد يملك لأمره شيئا ، البرتغال قد أصابه الخراب» (6) .

أقام جوزي بالمغرب زمنا طويلا ، ويبدو أنه كان يريد الرحيل عنه ابتداءً من سنة 1893 ، فقدم للطريس هدية ، أجابه عنها كما يلي : «أعلمتنا في 24 يوليوز 1893 انكم على أهبة السفر من هاته الايالة ، وقد وجدنا تأثيرا كبيرا لمفارقتكم ، لما ألقناه من حسن سيرتكم ، وقد وصلت المرأة الموجهة من جنابكم» (7) .

3 . رسالة جوزي دانييل كولاصو الى محمد الخطيب في 30 قعدة 1275 / فاتح يوليوز 1859 وكذلك ابن زيدان في «الاتحاف» ج 3 ص 542

4 . منفشة البابور «تيجر : Tiger» في 22 مارس 1865 ، محفظة طنجة 1

5 . جان لوي مويج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 109 (6)

6 . المصدر السابق ج 5 ص 205

7 . مسودة رسالة الطريس الى نائب البرتغال في 11 محرم 1311 / 25 يوليوز 1893 ، محفظة الطريس 25

والحقيقة أن العلاقات بين البلدين كانت طيبة ؛ ولذلك وجه السلطان سفارات ، منها وفادة القائد محمد بن أحمد المؤذن الى لشبونة للتعزية في وفاة ملك البرتغال سنة 1889 ، حسبما مر بنا في غير هذا المكان .

3 : **إيميليو ري كولاڤو** Emilio Rey Colaço كان أحد معيني السفير سابق الذكر وأحد أقاربه ، كان «ميليو الري كولاڤو البرازيلي ولد أخت السفير وعارفا باللسان العربي وعوائد البلد» (8) .

وكان المخزن يستعين بخدماته أحيانا لمعرفته بالعربية ، وهو الذي ترجم المعاهدة التجارية المغربية الألمانية سنة 1890 أثناء غياب منصور مَلْحَمَة ، ولهذا أمّل تعويضا عن ذلك ، بأن تنفذ له دار من دور المخزن ، لكن السلطان لم يقبل «الانعام عليه بالدار ، ولكن بغيرها» (9) .

وكان الى ذلك ملاكا وتاجرا له سماسرة وخطاء ؛ وقد حُرِّم من البناء «بأرض المخزن الممنوعة ، وهي أرض الغربية» (10) ، لكن يظهر أن الأرض كانت ملكاً لأحد سماسرته ، لا ملكا للدولة .

4 . **سيبسطيان كيشادة** S. Qeixada كان كاتباً بالمفوضية ، وكانت له خلطة فلاحية بأولاد فرج بدكالة .

* * *

ثانياً : المحميون : حفظت لنا الوثائق أسماء عدد كبير من المحميين القنصليين والاستثنائيين والسماسرة بشتى المدن المغربية ، وذلك في اللائحة البرتغالية العامة لسنة 1880 ، ثم في قوائم محلية ومستندات مختلفة.

8 . رسالة الى كولاڤو في ميم شوال 1309/27 ماي 1892 . محفظة البرتغال - المغرب

9 . رسالة السلطان الى الطريس في 5 ربيع الاول 1309/9 اكتوبر 1891 ، محفظة الطريس 21

10 . رسالة عبد الرحمان بن عبد الصادق في 1 قعدة 1310/17 ماي 1893 ، ورسالة الطريس الى نائب البرتغال في 2 قعدة/18 ماي . محفظة الطريس 21

١ . من لائحة فاتح أبريل 1880 البرتغالية :

١ - 2 : عبد الكريم بن عزوز و عبد الكريم الدُرْدَب و كانا عونين منذ 1879 و 1872 على التوالي

3 - 7 : محمد الحسّاني مستخدم منذ 1868 ، و الحسين ... مستخدم منذ 1878 ، والتهامي الحساني وسلام الحسّاني والمعلم الحسن ... مستخدمون منذ 1860 .

8 - 9 : بن عيسى ... ورحمة الزيلاشية : مستخدمان منذ 1870 و 1872

١0 - ١١ : محمد الجبلي ورحمة الجبلية : مستخدمان منذ 1874

١2 - ١3 : العربي النجار : وكان كاتباً وتوفي قبل سنة 1880 وخلال العمل ، وأرملته منانة .

١4 - ١5 : عبد الرحمان بن العياشي : كان عوناً ، ومات بفاس سنة 1871 وابنته وحيمو .

١6 : عبد الوهاب : مستخدم منذ سنة 1871 ، وكان قاطناً بقبيلة أنجرة ، «بدار النونوش يدعي أنه في حامية جنس البرطقيز ، وبسبب ذلك ، صار يجمع عليه أهل الزيغ والفساد ، ويخوض في القبيلة ويشعل نار الفتنة ...» (١١) ، ولم يرد لعبد الوهاب هذا نسب ولا لقب مميز ، مثل المحمي المذكور بعده وبعض الذين سبقوهما :

١7 - ١8 : بوشتي وأحمد التمساني : مستخدمان منذ 1879 و 1876 .

١9 - 20 : شلومو بن البحر وأخوه ميمون : مستخدمان منذ 1862 .

21 : **زهرة سنائيس** : أرملة محمي منذ 1870

22 - 25 : **عزّار أد'وبّاس** : محمي قبل وفاته سنة 1858 ، وأبناؤه :

مردوخ وحاييم واسحاق .

26 : **يهوده فينكينوس محمي** منذ 1872 ، وذكر أن أباه قد تجنس

قبل وفاته .

27 : **أحمد الزيلاشي** : وكان مستخدماً بالمفوضية سنة 1880 .

ب : من غيرها

28 : **اليزون** : ولم يُعرف اسمه ، وكان مستخدماً بالمفوضية سنة

1889 ، فاشتكى كولاصو الى الطريس بأن باشا طنجة عبد الصادق كان قد

استولى على أموال محميه (I2) .

29 : **اليزيد بن محمد العياشي** : مستخدم سنة 1886 (I3) وهو ابن

الذي بعده :

30 : **محمد العياشي** : عون سنة 1890 ، وكانت السلطات غير راضية

عن أعماله (I4) .

* * *

ثالثاً : السماسرة

I : **بوسلهام بن ريان** : كان سنة 1893 سمساراً لايميليو كولاصو (I5)

12 . رسالة كولاصو الى الطريس في 27 يناير 1889/25 جمادى الاولى 1306 ، محفظة البرتغال .

13 . رسالة كولاصو الى الطريس في 10 يراير 1886 ، محفظة المغرب البرتغال

14 . رسالة كولاصو الى الطريس في 8 ماي 1890 ، نفس المحفظة

15 . رسالة كولاصو الى الطريس في 16 ماي 1893 ، نفس المحفظة

2 - 3 : شلومو قزیز : سمسار لتاجر يقيم بالبرتغال والجيالاسي
الحضري : سمسار منذ 1874 لتاجر آخر لم يذكر اسمه حسبما جاء في قائمة
1880 البرتغالية العامة .

* * *

المستوطنون لم يذكر منهم إلا واحد اسمه خوان ميريرو J. Morero
كان مستوطنا مدينة طنجة سنة 1870 ، وكان تاجرا بها (16) ، وقد اتهم
بتحريب السلاح سنة 1889 خلال فتنة عبد السلام الحمام الأنجري وضبطه
رئيس حراس المرسى الحاج عبد الرحمان اللغميش متلبسا بجريمته وفي
مركبه ، وكان معه إيطالي يدعى أندريس ، وأعلم بذلك سفيرا البرتغال
وايطاليا ، فأجاب كولا صو الطريس بأنه لا يرى مانعا من اجراء القانون عليه (17)
وطبعا صودرت هاته البضائع الممنوعة .

* * *

المطلب الثاني : البرازيل

لم أعر للبرازيل بطنجة الا على محميين استثنائيين دون سمسارة
ولا تجار ، وكان جوزي كولا صو سفير البرتغال بطنجة يمثل البرازيل عددا
من السنين ، وفي سنة 1890 ، عين قنصل خاص هو أدونيرام ماوريتي دي
كالييريو Adonyram Maurity de Calimerio (18) ، ولا شك أنه كان
تحت اشراف جوزي كولا صو .

ولذلك كان لهاته الدولة محميون قنصليون في بعض المدن المغربية ،
سوادهم الأعظم من اليهود المغاربة الذين ادعوا التجنس أو الحماية ، ووردت

16 . منفشة الباخرة «هركوليس» Herculès « الواردة من جبل طارق الى طنجة
في 31 دجنبر 1870 ، محفظة طنجة 1 .

17 . رسالة أمناء مرسى طنجة : محمد بن المفضل بن جلون وعبد الرحمان بن المكي العبي
ومحمد الخمال الى السلطان في 9 حجة 1306/5 غشت 1889 ، محفظة طنجة 3 ، ورسالة كولا صو
الى الطريس في 6 غشت 1889 ، محفظة المغرب البرتغال .

18 . رسالة في 19 أبريل 1890 ، محفظة المغرب البرازيل

أسماءهم في وثائق ولوائح متعددة ، وكلهم بطنجة محميون استثنائيون ،
وهاته قائمتهم :

1 - 3 : **سالمون سزراغة** وأرملته **سيمحة** وصهرها **ابراهيم قزير** :
كان الزوج محميا منذ 1851 ، ومات قبل 1880 .

4 - 5 : **اسحاق بنجُو** وأرملته **برسيده** : محمي منذ 1868 ، وكان
تاجرا بالبرازيل حيث مات وبقي أولاده بطنجة ، وقد ذكر هؤلاء جميعا في
قائمة مؤرخة في فاتح ابريل 1880 .

6 - 20 : **ميركاص الصباح** : تاجر محمي له سماسرة ، وأتى ذكره
هو ومن بعده في لائحة سنة 1900 المحررة بالصويرة (19) وها هي أسماءهم :
شالوم بنجو وشالوم عبّادية وشالوم ابن التّاج ونسيم بن السّباط والياهو
بن لولو والياهو النّقّاوة وابراهيم أوحَيّون والياهو بن شمعون وابراهيم بن
أيوّا وفرتونة الدهّان وداويد شالوم بينطو واسحاق بن زرقين وشمويل
حمّو ورويين بنجو .

21 : **اسحاق ابن الصائغ** : محمي وكان يستورد التبغ ، وله مصنع
لتعبئته أسسه سنة 1886 بطنجة ، كما كانت له شركة مع صنانيس (20) .

* * *

المطلب الثالث : بلجيكا

* * *

أولا : السلك الدبلوماسي والقنصلي

تعاقب على تمثيل بلجيكا بطنجة عدد من السفراء :

19 . رقمها بمكتبة تطوان هو 69 - 46

20 . رسالة كولاصو الى الطريس في 14 يناير 1891 ، محافظة المغرب البرازيل

I : إرنست دالوين Ernest DALUIN

كان نائبا قنصليا لبلجيكا بقادس ، وعين سنة 1856 قنصلا بطنجة ، بعد أن قام برحلة استطلاعية الى المغرب نشرت نتائجها سنة 1855 ، ثم صار سنة 1877 وزيرا مقيما بالمغرب (21) ، بعد أن كان قبل ذلك حوالي سنة 1866 قنصلا عاما لبلاده بشاطيء افريقيا الغربية (22) .

وكانت له علاقة طيبة مع المخزن ، فاستطاع أن يقنع الحسن الأول بايفاد بعثة طلابية الى بلجيكا حوالي سنة 1875 ، وأن يوقع مع المغرب معاهدة في يونيو 1862 ، حصلت بموجبها بلاده على نفس الامتيازات التي ظفرت بها انجلترا واسبانيا سنة 1856 وسنة 1861 .

وبعد ذلك أُحيل على المعاش ، حتى مات بأروبا سنة 1884 . وخلف ثروة طائلة اكتسبها من تجارة السلاح ، و 9 منازل بطنجة وحدها ، كان بعضها فخيمة (23) ، وتولى الشؤون بعده :

2 : البارون فيطنال WHETNALL

الذي كان من قبل مستشارا بمفوضية بلجيكا ، وعين في دجنبر 1884 وزيرا مقيما بطنجة (24) ، وظل في منصبه الى أن سمي سفيرا بروما في أوائل 1889 (25) ، وكان في بداية 1888 قد قام بسفارة الى السلطان ، وقدم باسم بلاده مطائب ترابية «وضحك السلطان المولى الحسن لما علم أن هدف السفارة

21 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 96 و ج 2 ص 275

22 . رسالة في 2 ربيع الثاني 1283 - 14 غشت 1866 ، محفظة المغرب بلجيكا

23 . مييج « المغرب واروبا » ج 3 ص 454 وبيير كيين : « ألمانيا ... » ص 16 و 29 (4)

24 . مييج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 176 ، ورسالة الطريس الى فيطنال في 1.1 قعدة 25/1302 غشت 1885 ، محفظة المغرب بلجيكا

25 . رسالة الطريس الى غريط في 19 جمادى الاولى 1306 - 21 يناير 1889 ، محفظة الطريس 15

هو الحصول على موضع قدم في وادي الشبيكة على الشاطئ الأطلسي ،
يساعد بلجيكا في مصالحها بالكونغو (26) »

3 : إدوارد أنسباخ E. Anspach

كان أول أمره يمثل بلجيكا باسبانيا من سنة 1877 الى 1888 ، وناب
عنها في مؤتمر مدريد ، وبعد ذلك عين وزيرا بطنجة في بداية 1888 حتى مات
سنة 1902 بها ، عن 71 سنة من عمره (27) .

ومن القناصل نجد شخصين هما :

سيريس (?) Serruys وكان سنة 1869 قنصلا بطنجة (28) ولعله
من جنسية فرنسية .

ماكس ريزر (?) Max Rizer وكان سنة 1887 معينا لقيطنال ،
وفي نفس الوقت نائبا عن الأمبراطورية النمساوية الهنغارية (29) .

وعلى الجملة كانت العلاقات جيدة بين البلدين ، فتبدلت الوفادات
وخصوصا سفارة الزبدي سنة 1875 وابن المؤذن سنة 1890 .

أما عدد المستوطنين بالمغرب فكان جد ضعيف ، ولم يكن لبلجيكا
بطنجة غير من ذكرت من القناصل ومن المفوضين ، ومع ذلك كان لها محميون
قنصليون دون سماسرة لتجار لا وجود لهم بالمدينة .

* * *

26 . عبد الهادي التازي : « الثغور ... » في مجلة « البحث العلمي » ع 27 ص 19

27 . جان لوى مبيج : « المغرب وأروبا » ج 1 ص 62 ، ومسودة رسالة في 17 حجة 1306 / 14
نشت 1889 ، محفظة بلجيكا

28 . جان لوى مبيج : « المغرب وأروبا » ج 4 ص 17 (1) ، ثم رسالة وزير خارجية بلجيكا
الى بركاش في 15 يوليوز 1869 ، محفظة بلجيكا

29 . رسالة ماكس ريزر الى الطريس في 22 حجة 1304 / 11 شتنبر 1887 ، محفظة النمسا

ثانية : المحميون القنصليون

1 . **ابراهيم سكسُو** : كان سنة 1866 يضطلع بمنصب الترجمان الاول (30) ، وأصبح شريكا مع منصور ملحمة ترجمان ألمانيا في أرض اشتريها بناحية المنار لفائدة شركة فرنسية بوهران بـ 600 ريال ، وادعيا أنهما فعلا ذلك بـ 26.000 ريال سنة 1890 (31) ، وكان الى ذلك ينوب عن السفير ، ولم يرد له ذكر في لائحتي 1886 و 1889 اللتين آخذ منهما أسماء باقي المحميين وهم :

أ - من قائمتي 1886 و 1889 :

2 - **يعقوب سكسو** : كان الترجمان الثاني ، عين لهذا المنصب سنة 1885 .

3 - **عبد السلام بن قدور** : عين عونا سنة 1872 وذكر في لائحة 1886 فقط .

4 - **عبد السلام بوكسنكاس** : عون كذلك سمي سنة 1879 .

5 - **عبد القادر حمادي** : كان سائسا للدواب منذ 1876 ورد ذكره في لائحة 1886 ، أما لائحة 1889 فتسميه قدور حمادي .

6 - 7 - **عبد السلام بن علي** : مثله وعين سنة 1886 هو **وأحمد بن عبد الله** : وكان مستخدما .

8 - **أحمد التلاوي** : كان رباغا عين سنة 1865 .

9 - **سيمحة حبيبة** : مستخدمة منذ 1868 ذكرت في لائحة 1886 فقط .

10 - **العربي الفردي** : كان طباحا عين سنة 1885 ، وكان قبل ذلك محميا انجليزيا سنة 1880 .

30 . رسالة في 13 جمادى الاولى 1283/23 شتنبر 1866

31 . رسالة الطريس الى السلطان في 6 رمضان 1307/26 أبريل 1890

ب - من قائمة 1889 وحدها •

II - I4 - محمد بن الحسن ومحمد بن مخلوف : وكانا عونين ،
ومحمد السوسي طباح ، وعمر بن محمد السعيد رباع .

* * *

المطلب الرابع : الدول السكندنافية

ونعني بها هنا الدنمارك من جهة أولى والاتحاد السويدي النرويجي
من جهة أخرى ، مع استثناء فينلاندة التي لم تحضر مؤتمر مدريد سنة 1880
والتي لم تكن لها مصالح بالمغرب ، وسنعالج شؤون الدولتين في قسمين :

أولا : الدانمارك

لم يكن لها ته الدولة تمثيل قنصلي ولا دبلوماسي بطنجة على يد
أبنائها ، لكن انجلترا كانت تتولى رعاية شؤون الدانماركيين أي «الماركيين»
بالتعبير المغربي حينما كانت تؤدي للمغرب وجيبة مالية .

وكان لها سنة 1880 بعض المحميين وعددهم اثنان ، دون وجود
مستوطنين ولا سماسرة . ولربما أدخلتهما انجلترا في قوائمها . واسمهما هو :

I - بناحيم سطرونا : وكان ترجمانا

2 - ومحمد بن الحاج قاسم : وكان عوناً (32) .

* * *

ثانياً : الاتحاد السويدي النرويجي

من بداية القرن التاسع عشر (1815) الى صدر القرن العشرين (1905) كانت المملكتان السويدية والنرويجية مندمجتين ، وكانت مقاليد الشؤون الخارجية بيد السويد .

وظلت العلاقات بين المغرب وهذا الاتحاد مستمرة ومتميزة بأداء الدولتين للمملكة المغربية وجيبة توقفتا عن تسديدها في منتصف القرن التاسع عشر بعد مفاوضات بين الأطراف وتدخلات ووساطات من الجانب الأروبي .

وكانت السويد حاضرة في مؤتمر مدريد وأبدت نشاطا معتدلا خلال انعقاده ، كما أنه كان للسويد تمثيل قنصلي أو دبلوماسي بطنجة منذ ما قبل القرن التاسع عشر .

أ - السلك القنصلي والدبلوماسي :

تولاه في مطلع القرن المذكور عدة أشخاص نذكر منهم :

1 - 2 : أنكارلو Ankarloo وأغريل Agrell وبعد هما :

3 : يعقوب غرابيرك آف هيمسو I. Graberg af Hemso وقد مثل السويد بعد السابقين كما مثل المملكة السردينية ، وذلك من 1814 الى 1822 ، وهي السنة التي طرد فيها من طنجة فانتقل الى طرابلس الغرب لتمثيل بلاده السويد حتى سنة 1828 .

4 : ج. م. إيهرنهوف J. M. Ehrenhoff الذي أشرف بعده على الشؤون السويدية (33) .

33 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 37 و 116 و ج 2 ص 45-4 وكذلك بيير كيين «ألمانيا والمغرب» ص 16 (2) وأيضاً ماجالي مورسي «شمال إفريقيا : 1800 - 1900» ص 93

5 : وخلفه **ف . كروسكوسطوف** F. Cruscustoff أو - على الراجح - أعانه من 1828 الى حوالي 1847 بحيث لبث بطنجة نحواً من 18 سنة انتقل بعد ها الى الجزائر بوصفه قنصلاً عاماً (34) .

6 : **الا أن إيدم ده شاستو** Edme de Chateau قنصل فرنسا بطنجة تولى النيابة عن السويد (35) لبعض الوقت سنة 1845 .

7 : وعين **سليم إيهرنهوف** قنصلاً من 1854 الى 1859 ، وانتقل بعد ذلك الى الأستانة ، فقررت السويد إلغاء تمثيلها القنصلي بطنجة سنة 1869 بصفة مؤقتة على ما يظهر ، وذلك لأن :

8 : **دالوان** سفير بلجيكا تولى من 1860 الى 1878 النيابة عن السويد والنرويج (36) .

9 : وآل التمثيل الدبلوماسي بعد ذلك الى بريطانيا العظمى فكلف **هيريرت وايط** بالنيابة عن السويد ولا سيما سنة 1882 زيادة على قنصلية بلاده بطنجة .

10 : **فيكتور إلياس كاسيل** V. Elias Cassel عين سنة 1886 قنصلاً عاماً حتى سنة 1891 حين غادر المدينة فأُسندت الى وزير ألمانيا رعاية المصالح السويدية (37) .

هذا ومن الذين كانوا يساعدون هؤلاء القناصل ولا سيما في أواخر القرن التاسع عشر أذكر :

34 . رسالة كروسكوسطوف الى محمد بن ادريس في 28 جمادى الاولى 1263/14 ماي 1847 ، محفظة السويد .

35 . رسالة بوسلهام بن علي الى الحاج العربي الطريس في 10 قعدة 1261/10 نوفمبر 1845 ، نفس المحفظة .

36 . ميبج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 454

37 . رسالة كاسيل الى الطريس في 22 ماي 1891 ، محفظة السويد ، وكذلك كيين . «ألمانيا» ص 310 (2)

- **لاطو** Lato (?) ، وكان سنة 1882 نائبا عن القنصل (38) .
- **جون هـ مونيل** J. H. Monella ، وكان سنة 1890 مساعداً (39) .
- **إيميليو دال** E. Dale ، وكان سنة 1896 تاجرا بطنجة ونائبا (40) .
- ولا يبدو أنهم من أصل سويدي .

ب — المحميون

كان للسويد بعض المحميين بطنجة عددهم تسعة :

ب 1 — من القائمة السويدية لعام 1888 :

- 1 — 8 : **منعمود الشريقي** وظل اسمه وارداً في قائمة سنة 1898
- وموسى الصويري وإسحاق بنشيمول وعبد السلام الدكالي التلمي والحاج أحمد الهراس ومبارك بن سعيد وصالح الدكالي والعربي الفردي** الذى تقدم اسمه فى اللائحة البلجيكية ، وكلهم كانوا فى الغالب أعواناً .

ب 2 : من غيرها

- 9 : **حاييم بن دلاك** وكان سنة 1888 ترجمانا (41) ولكن اسمه لم يذكر فى قائمة 1888 .

* * *

المطلب الخامس : هولاندة

كانت الوثائق المخزنية تطلق لفظة الفلامينك Flameng على هولاندة التى كانت لها علاقات تجارية وقنصلية مع المغرب عبر أطوار التاريخ ، لكنها

38 . رسالة لاطو الى الطريس فى 13 مارس 1882/15 جمادى الاولى 1301 ، محفظة السويد

39 . رسالة الياس كاسيل الى الطريس فى 20 محرم 1308/11 شتنبر 1890 . نفس المحفظة

40 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 6 يبرابر 1890 ، نفس المحفظة

41 . رسالة كاسيل الى الطريس فى 9 جمادى الاولى 1305/23 يناير 1888 ، نفس المحفظة

مع ذلك ، لم تكن ممثلة بأحد أبناء جيلئتها ، وإنما بغيرهم سواء في طنجة أو في خارجها .

وكانت انجائرا تنوب عنها في شخص جون دروموند هي ، حتى أحيل على التقاعد ، وحينئذ تولى تدبير شؤونها إلياس كاسيل نائب السويد والنرويج بطنجة وقنصلهما العام (42) ، وفي سنة 1895 كان وزير ألمانيا فون بوشة هو الذي يرعى مصالح هولاندة (43) .

ولم تخل ' من بعض المحميين القنصليين بطنجة وكان عددهم اثنين :

1 : **الحاج أحمد العمارتي** وكان منذ سنة 1863 عونا بقنصليتها (44) .

2 : **العربي بن الحاج عبد الله العمارتي** وكان سنة 1880 محميا (45) .

ولعله كان عونا أيضا .

ولم أقف على اسم أي مستوطن هولاندي . وبالطبع لا وجود للسماسة .

42 . رسالة إلياس كاسيل الى الطريس في 16 غشت 1886 . محفظة السويد وكذلك كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 310 (2)

43 . رسالة في 8 نونبر 1895 ، محفظة المغرب هولاندة

44 . رسالة جون هي في 5 نونبر 1863 . محفظة الحماية القنصلية

15 . عبد الرحمان ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 313

الباب الخامس

الثغور الشمالية الغربية



في بلاد الهبط والخلط هاته ستكون الحماية القنصلية والاستيطان
الأجنبي أهون شأنًا مما كانا بطنجة ، وسنتناول ذلك في جملة من الفصول :

الفصل الأول : تطوان

الفصل الثاني : أصيلة

الفصل الثالث : العرائش

الفصل الرابع : القصر الكبير وإيالات الغرب

1 : تطوان

المطلب الأول : الولاية والسكان

أ - الولاية :

تولى تسيير الشؤون المحلية عدد من العمال كان في مقدمتهم :

I - محمد بن الحاج عبد الرحمان أشعّاش ، وقد أسندت إليه الباشوية عند عزل العربي بن يوسف المسلماني عنها سنة 1825/1241 ، وظل واليا حتى توفي سنة 1845/1261 .

2 - وحينئذ تقلد هذا المنصب ابنه الحاج عبد القادر الذي كان قبل باشا لمدينة الدار البيضاء حوالي 1845 ، وفي أكتوبر من هاتمة السنة عينه السلطان مولاي عبد الرحمان سفيرا لدى لوي فليب ملك فرنسا ، وبقي يزاوّل مهامه الى أن عزل وسجن بمدينة سلا في 15 مارس 1851 ، والسبب في ذلك - على ما قيل - أن جماعة من أهل تطوان تضجروا من حكمه وأنانيته فتآمروا عليه وحرضوا القنصل الفرنسي عليه ، لأنه كان قد نكب بعض الجزائريين الذين تُحميهم فرنسا ، فما كان من هذا النائب الا أن تقلد سيفه ولباسه الرسمي ودخل على أشعّاش دون استئذان ، فاغتاز الوالي وصفع ذلك الوكيل الذي كان يهوديا متفرنسا .

وجاء في المصادر أن أشعّاش سرح من سجنه ، فعفا عنه السلطان ورده بعد جلاء الجيش الاسباني عن المدينة سنة 1861/1278 الى منصبه الذي

لم يكد يقضي فيه الا نحو السنتين حتى عزل مرة أخرى ، ومات سنة 1282/1864 بمدينة مكناس (1) .

3 – وفي شعبان 1267 يونيو 1851 وبعد نكبة أشعاش عين الحاج أحمد الحداد واليا على المدينة ، وكان قبل ذلك أحد الأئمء وتوفي سنة 1275/1858 (2) .

4 – وكان الذي تقلد الباشوية من بعده هو محمد بن محمد بن الحاج (3) التطواني ، ويظهر أنه بقي في المنصب المذكور حتى أسندت الولاية مرة أخرى الى الحاج عبد القادر أشعاش سنة 1861 كما تقدم بعد العفو السلطاني .

5 – وفي أوائل 1281/1864 صار محمد بن منصور المهداوي باشا للمدينة ولكنه أٌخر عن الولاية بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات ، وكان «رجلا بدويا لا يعرف من الأحكام شيئا» (4) .

6 – أحمد الخضر السلاوي المكناسي ، عين سنة 1867 بعد أن كان عاملا على فاس ومكناس ودامت ولايته 12 سنة و 9 أشهر الى أن توفي في محرم 1296/يناير 1879 عن 85 سنة من عمره (5) .

7 – وكان آخر الولاة في هاته الفترة هو محمد بن أحمد الخضر السلاوي ابن العامل الهالك ، وقد قضى في منصبه نحوا من 19 سنة لأنه أعفي عام 1315/1898 .

1 . محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ص 120 و ص 167 و « تاريخ تطوان » ج 6 ص 88 و 93 و ج 8 ص 80 و 104 و 116 و « الوثائق » ج 2 ص 48 و 87 ، ورسالة بمحفظه برকাশ في محرم 1281 / يونيو 1865

2 . محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ص 120

3 . المصدر نفسه ص 167

4 . المصدر السابق ص 205 و « تاريخ تطوان » ج 6 ص 94

5 . المصدر الاخير ج 6 ص 174 و « الوثائق » ج 4 ص 404 ورسالة محمد بن احمد الخضر الى برকাশ في 24 ربيع الاول 1296 / 18 مارس 1879 – محفظه تطوان : 3

وكان لوالده خليفة هو محمد الغفياي المتوفى سنة 1887/1304 (6).
وأثناء الاحتلال الاسباني كان الحاج أحمد بن علي أبوعير أحد الوجهاء
المتخلفين ، فعينه الاسبانيون باشا للمدينة ومنحوه لقب خليفة قنصل شرفي
بعد ذلك (7) .

* * *

ب - السكان :

يقدر المصنفون الأجانب سكان المدينة بـ 16 ألفا سنة 1836 و 22 ألفا
سنة 1857 و 21 ألفا سنة 1867 ، ولم يرتفع هذا العدد الى 22 ألفا الا في
نهاية القرن أي سنة 1895 حيث اعتبر المنصر سومرز أن المسلمين واليهود
والأوروبيين كانوا على التوالي 16 ألفا و 6 آلاف و 291 شخصا (8) .

ونلاحظ أن سكان المدينة قد تقهقر عددهم منذ حرب تطوان وكثرت
الهجرة الى مدن ونواح مغربية أو الى أقطار أخرى بعد أن كانت تلك الحاضرة
من أهم المدن المغربية .

وكان بالمدينة قناصل ووكلاء ، كما كان يسكن بها بعض الأجانب
جلهم من الاسبانيين ، ومن أجل ذلك كان لهم محميون قنصليون سيأتي جدول
عدي عنهم ، وسأقدم في المطالب الموالية سرداً لأسمائهم على اختلاف
درجاتهم ونسبتهم الى تلك الدول : الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى
واسبانيا وايطاليا والبرتغال وبلجيكا والنمسا وفرنسا ، وكان عددهم قليلا :
57 محمياً منهم 31 مسلماً ، أما السماسرة فلا وجود لهم .

6 . محمد داود « مختصر تاريخ تطوان » ص 205

7 . محمد داود « تاريخ تطوان » ج 5 ص 232 و ص 294 (1)

8 . جان لوي ميج « المغرب واروبا » ج 3 ص 461 و ج 4 ص 397 و 402 (3)

المحميون (1863 - 1900)

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
الولايات المتحدة	9	3	12
بريطانيا العظمى	1	3	4
اسبانيا	2	11	13
ايطاليا	2	1	3
البرتغال	4	5	9
بلجيكا	1	2	3
النمسا	3	3	6
فرنسا	4	3	7
المجموع	26	31	57

المطلب الثاني : الولايات المتحدة الأمريكية

كان اليهودي التطواني ابراهيم برينطي هو الذي يتولى النيابة القنصلية عن الولايات المتحدة بتطوان (9) الى أن آلت الى إسحاق كويهن بعد ذلك (10) سنة 1882 ثم إلى ساوول طوبعليم سنة 1893 .

ولأجل ذلك كان بهاته المدينة محميون استثنائيون بمقتضى الفصل 16 من معاهدة مدريد ومحميون قنصليون بمقتضى الفصل الثاني منها وقد وردت أسماء المحميين في قوائم ووثائق مختلفة .

أ . من تقييد ابن زيدان (11) :

I - 3 - الحزان يهودة بودرهم ، ومسعود بن موسى أوحلون ، والأمين البقالي الغماري التطواني : لم يرد سبب لحمايتهم بثلاثتهم سنة 1880 ، ولعلمهم كانوا محميين استثنائيين .

ب - من قائمتي 59/69 و 60/69 الأمريكيتين (12)

4 - ابراهيم برينطي : كان نائبا قنصليا قبل 1886 ثم صار ترجمانا للوكيل إسحاق كويهن سنة 1888 .

9 . رسالة محمد بن احمد الخضر السلوي الى السلطان في 28 رجب 1303 / 2 ماي 1886 ، محفظة الحماية القنصلية

10 . رسالة ريد لمويس الى الحاج محمد الزكاري في 9 يوليوز 1888 ، محفظة المغرب امريكا ، ورسالة ماثيوز الى السلطان في 26 شوال 1309 / 8 ماي 1892 التي تذكر ان اسحاق كويهن « خليفتنا بتطوان منذ 10 اعوام مضت » ، محفظة المغرب الولايات المتحدة

11 . ابن زيدان « العز والصلوة » ج I ص 313

12 . ساستعين طوال الحديث عن المحميين والسماصرة الامريكيين بهاتيين القائمتين : 69 - 59 و 69 - 60 ، لانهما عامتان ، ولكن عيبهما انهما كغيرهما خاليتان من التاريخ . وسيرد عند الكلام عن المحميين بالدار البيضاء انهما حررتا حوالي سنة 1890

وسياتي أنه كان قبل ذلك محمياً نمساوياً .

5 - 8 - يوسف بن طاطا ، وعبد السلام بن محمد أقشوشو ، وإبراهيم إسحاق ليبي سباط ، ويوسف بن طاطا ، وكلهم كانوا محميين .

ت - من غير ذلك

9 - الحاج أحمد القفياني : من أهالي تطوان عينه ريد ليويس سنة 1888 كاتبا بالوكالة القنصلية (I3) .

10 - ساوول طوبعليم : كان سنة 1893 نائبا قنصليا (I4) .

11 - إسحاق كويهن : وكيل قنصلي سنة 1888 ورد ذكره هو وإبراهيم برينطي سابق الذكر ويستأخر بن عددي سمسار إسحاق هذا (I5)

12 - يستأخر بن عددي : وكان محمياً وسمسارا للوكيل إسحاق كويهن.

* * *

المطلب الثالث : إنجلترا

أ - السلك القنصلي

تقدم بطنجة شيء من الكلام عن السلك القنصلي :

1 - فرانك هي Frank HAY شقيق جون هي كان نائبا قنصليا بمدينة تطوان بعد سنة 1851 .

13 . رسالة ريد ليويس الى الحاج محمد الزكاري في 9 يوليوز 1888 (الهامشة 10) وكذلك رسالته الثانية اليه في 25 أبريل 1888 ، محفظة المغرب أمريكا .

14 . رسالة بمحظة المغرب أمريكا بتاريخ 21 أبريل 1893/4 شوال 1310

15 . رسالة محمد بن أحمد الخضر السابقة . (الهامشة 9) وقائمة 1 أبريل 1886 المختلطة.

وسبب تعيينه هنا ونقله من طنجة هو شجار حدث بينه وبين أوغوست بومبي الكاتب بالقنصلية الفرنسية بطنجة ، وذلك أن فرانك صفع هذا الأخير صفا قويا واتهمه باستمالة خليلته اليهودية التي اشتكت لديه بالمضايقة التي كانت تلقاها منه ، وقد حمل بومبي الى المستشفى ونقل فرانك الى تطوان بعد ذلك ، (I6) تفاديا لأزمة بين فرنسا وانجلترا .

2 — وكان شقيق آخر للسفير وهو **جيمس ده قيم** نائبا قنصليا بتطوان سنة 1857 .

3 — كما كان السفير **وليام كربي كرين** قد تقلد هاته المهمة القنصلية سنة 1860 و 1861 .

4 — ومن الذين تولوا هذا المنصب **دوبويس DUPUIS** وقد أشرت الى ذلك بطنجة عن هؤلاء جميعاً .

5 — وفي سنة 1869 حذفت بريطانيا العظمى نيابتها القنصلية المحلية ، ويبدو أن هذا التدبير لم يكن الا مؤقتا لأن **إسحاق ناهون** كان نائبا قنصليا حوالي 1886 لما نشأ بينه وبين أحمد بن محمد اللبادي التطواني نزاع حول أرض بتطوان كان والده قد ترك القنصل فرانك هي يبني فيها بركة خشبية لجعلها إصطبلا لفرسه فاستولى عليها النائب ناهون وادعي ملكيتها (I7) .

• • •

ب — المحميون

كان لهؤلاء الوكلاء محميون قنصليون واستثنائيون أقدمهم على ما يظهر كان هو :

16 . جاك كايي «الوادى المغربية» ص 22 من السلسلة الثانية وروجرز «تاريخ...» ص 212

17 . رسالة أحمد بن محمد اللبادي الى الطريس في 11 رمضان 1303/13 يونيو 1886 ، «محطة الطريس» 8 .

1 – شلومو ناهون وقد شغل سنة 1865 منصب الترجمان القنصلي (18) ، وكان هناك سنة 1880 ثلاثة محميين آخرين ، وها هي أسماؤهم :

2 – عبد الخالق بن عبد السلام سكيرج : ولم يعرف وجهه منحه الحماية ، وقد يكون عوناً أو ترجماناً .

3 – ومحمد بن يحيى : والغالب أنه كان كاتباً بتطوان وبطنجة معا حسبما تقدم .

4 – ومحمد المصلوحي (19) والمظنون أنه كان عوناً فقط .

ولم أقف على غير هؤلاء .

أما السماسرة فلم أعثر لهم على أثر ، فلم يكن بالمدينة تجار إنجليزيون ولا روجان اقتصادي مثل مدن الشاطيء الأطلسي ، ولا سيما في النصف الثاني من القرن الماضي .

• • •

المطلب الرابع : إسبانيا

1 . السلك القنصلي :

تقلد مناصب التمثيل القنصلي بتطوان عدة أشخاص منهم :

1 – بيدرو فانطون Pedro Fantun سنة 1863 ، وكان سنة 1859 نائبا قنصليا لبلاده بالدار البيضاء ، وهو من مواليد جبل طارق ومن أب إسباني وأم إيطالية (20) ، وبعده تولاهما :

18 . رسالة في 16 جمادى الثانية 1282/5 نونبر 1865 ، محفظة بركاش

19 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 313

20 . جان لوي مبيج «المغرب وأروبا» ج 3 ص 204 (1)

2 – **رامون خيسناير دي لاريغان** R. Jexnanver de la Reguen

وكان سنة 1866 على خلاف مع باشا تطوان محمد بن منصور المهداوي حول تسريح يهودي ذكر أنه أهان دولته واحتمى بالقنصلية الأمريكية (21) .

3 – **رامون نول** R. NOL تولى ادارة الشؤون القنصلية بالمدينة

سنة 1868 ، وكان لا يزال في منصبه في أكتوبر 1870 ، وعرف عنه أنه كان من أنصار سياسة القوة التي نادى بها ميري إي كلوم وقد أصبح عضوا بمجلس الكورطيس (22) .

4 – وفي سنة 1879 كان **خوان موربي** J. MORBE هو الذي يشغل

هذه الوظيفة (23) .

5 – **تيودورو رويث دي كويباس** T. R. de Cuevas كان قنصلا

بتطوان بعد 1881 (24) .

6 – **والنائب القنصلي خوسي ميرابانت إي پاسكوال :**

J. Mirabent y Pascual تقلد هذا المنصب سنة 1885 ثم انتقل الى الصويرة ثم الى العرائش ، وقد مات سنة 1904 بهاته المدينة ، وكانت له تقارير تجارية (25) .

وبالطبع كان لاسبانيا محميون قنصلون قليلون وهم :

21 . رسالة الى الباشا المهداوي في 13 أكتوبر 1866 نصها وارد في «الوثائق» ج 4 ص 349 و 351 .

22 . جان لوي مبيج «المغرب وأروبا» ج 1 ص 134 و ج 5 ص 145

23 . رسالة ديوسدادو الى الطريس في 13 يونيو 1879 ، محفوظة المغرب اسبانيا

24 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 96

25 . المصدر السابق ج 1 ص 143

ب . المحميون القنصليون

I - 4 - أحمد بن العربي اللبادي ، وعبد الكريم بن أحمد اللبادي ، وكان تاجرا ولعله ابن السابق ، ويعقوب بن دايد كويهن ، ومحمد بن الحاج عبد القادر العطار . والأربعة كانوا محميين سنة 1880 دون معرفة موجب الحماية (26) ، وقبل ذلك كان آخرون منهم :

5 - الحاج عبد القادر العطار الذي كان أمينا وباشا للصويرة سنة 1860 (27) والذي كان محميا قبل سنة 1876 هو ومن بعده :

6 - IO - العربي صالص ، وعبد الله الصبان ، وأحمد جبور ، وأم كلثوم زوجة الفقيه ماشان ، وأم كلثوم زوجة الحاج أحمد أبعير (28) . وقد أسلفت الكلام على أن الحاج أحمد أبعير كان متوليا على تطوان إبان الاحتلال الاسباني . ولا شك أنه توفي قبل 1875 فورثت زوجته الحماية ، أما أم كلثوم الأولى فهي ربما كانت زوجة لأحمد ماشان الذي كان يحترف العدالة بتطوان .

II - عبد الرحمان أبعير شقيق السابق وذكر أنه منح الجنسية الاسبانية (29) .

I2 - الحاج عبد الكريم عدة ، وقد سجله بيدرو فانطون في لائحة المحميين سنة 1863 ولكنه تبرأ منها بعد ذلك (30) على ما يظهر .

وكل هؤلاء السابقين لم يذكر لحمايتهم سبب ، أما :

26 . عبد الرحمان ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 310 وما بعد عا ، ومحمد داود : «مختصر تاريخ تطوان» ص 208 و «تاريخ تطوان» ج 6 ص 174

27 . المصدر الاخير ج 5 ص 288

28 . أيضا 6 ص 174 و «مختصر ...» ص 208

29 . محمد داود «تاريخ تطوان» ج 5 ص 232

30 . رسالة عبد القادر اشماش الى محمد بركاش في 27 جمادى الثانية 1280/9 دجنبر 1863 نصها في «الوثائق» ج 4 ص 306 .

13 - إبراهيم حسان فكان سنة 1886 ترجمانا بالقنصلية (31) .

* * *

ت - المستوطنون :

لم أقف على أسماء جميع الاسبانيين القاطنين بتطوان خلال النصف الثاني من القرن الماضي سوى الاشارة الى أن 12 شخصا كانوا يعيشون بالمدينة سنة 1870 ، منهم 5 لهم حانات و 2 من الاسكافيين و 3 من الفلاحين . وكانت سيرة كثير منهم - حسب الوثائق الاسبانية - غير محمودة : مشاكسون ومهربون (32) ولم تكن لهم تجارة لاستحقاق تعيين سماسرة لهم .

أما الوثائق المخزنية فقد تحدثت عن بعضهم ومنهم اثنان وقفت على طرف من اسمهما :

- **خوان . . .** (؟) ولم يرد ذكر نسبه وكان سنة 1880 يخدم بعربته في المرسى حيث كان يتعاطى التهريب ويترأس عصابة من اللصوص حتى قبض عليه متلبسا بجريمته ليطرد من المدينة (33) .

- **اولاد بسينتي Vicente** وكانوا سنة 1890 يشتغلون بمرسى مرتيل «وهم قاطنون عندنا يشتغلون بالكنطربنض في الماشية وغيرها بمراكبهم وخصوصا منويل بيسينتي الذي وسق في العام الماضي الى جبل طارق 7 أبقار وأنزلها به ، وأخبرنا بذلك الحاج سعيد (جسوس) ولم يزالوا على غيئهم حتى عمد أحدهم اسمه شيلي الى 3 بقرات ووسقيا في مركبه» (34) .

31 . رسالة محمد بن الطيب قنجاغ الى بركاش في 17 شوال 1283/13 أكتوبر 1866 ،
محفوظة بركاش .

32 . جان لوي مبيج «المغرب وأوربا» ج 5 ص 115 .

33 . رسالة محمد بن أحمد الخضر السلوي الى بركاش في 18 شوال 1297/23 سبتمبر
1880 نصها في «الوثائق» 4 ص 510 .

34 . رسالة محمد بن أحمد الخضر السلوي الى الطريس في 1 شعبان 1307/23 مارس
1890 ، محفوظة الطريس 18 .

— أما بيسنتي فنسبه هو مندوثا Mendoza ، وقد أنشأ سنة 1891
معملا لصمامات القناني كان يعمل فيه 20 مستخدما .

* * *

المطلب الخامس : إيطاليا

لم يعرف لهاته الدولة من ممثل قنصلي بتطوان سوى محمد الخطيب
الذي كان يقوم بالنيابة عنها حوالي 1886 .

المحميون كانوا ثلاثة هم :

1 — محمد الخطيب نفسه الذي ظل اسمه واردا في كافة القوائم
حتى 1894 .

2 — بيدال ابن الوليد من يهود المدينة ، وكان محميا قبل معاهدة
مدريد وظل اسمه مثبتا في القوائم السنوية .

3 — موشي بن شطريت : وكان محميا سنة 1879 ، ولم يعرف وجه
حمايته التي كانت في الغالب استثنائية كالتي كانت لمن قبله (35) .

أما المستوطنون والتجار فلم يرد لهم خبر لعدم استيطان المدينة
من لدن رعايا هاته الدولة ، ويستثنى واحد اسمه أنطونيو بالامارا
(?) Antonio Palamara وكان يعيش بالمدينة حوالي 1889 ، وقد ذهب راجلا
من تطوان الى طنجة مع زوجته وأولاده يطلب حقه ، لأن ولاية المدينة قد
تراخوا عن إنصافه ، وكان حديث الاستيطان بالمغرب ، ولا شك أن اعتداء
وقع عليه «وهو من بلاد كنطلو قدم على طريق سبتة ، ولما دخل البلاد ووصل
للفندق صار يبيع أمورا تلعب بها الصبيان فاجتمع عليه عددا وافرا (كذا) من
صبيان المسلمين واليهود والأعراب وضربوه بالحجارة» (36) .

* * *

35 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 6 ص 178 ، ومسودة رسالة سلطانية في 2 شوال
1303/25 يوليوز 1886 ، محفظة المغرب إيطاليا .

36 . رسالتا كانطاغالي الى الطريس في 10 يونيو و 7 يوليوز 1889 ، محفظة المغرب
إيطاليا .

المطلب السادس - البرتغال

مثل هاته الدولة ابتداء من طنجة سنة 1864 ابراهيم حسان (37) وبعده تولاها سنة 1880 ابنه يشوع حسان (38) ثم سالفادور حسان ، ولعل الأول شقيق الثالث الذي كان سنة 1894 تاجرا مصدرا ، ولربما كان نائبا أيضا عن النمسا أو محميا لها (39) .

ومن أجل هذا كان للبرتغال محميون قنصليون جاءت أسماءهم في مصادر مختلفة وهم :

I - محمد السعيد ، وكان سنة 1864 محميا «وهو من قبيلة بني سعيد الجبلية واستوطن مدينة تطوان وأخذ يتعاطى الفلاحة وكسب الماشية واحتفى بحماية جنس البرطقيز على يد خليفة ابراهيم حسان القونصو النائب عن جنسه بطنجة ، وزاغ بذلك وطني واشتغل بالفساد ، على وجه التعدي والعناد ، ولم يقدر أحد يتكلم معه على ذلك خوفا من جرأته وشدة إذايته بالشتيم وغيره ، لأنه مشغول باذاية المسلمين» (40) . ولم يرد سبب لحمايته ، وهناك أسماء محميين آخرين سنة 1880 وهم :

2 - سمويل بن موسى بن طويلة وكان ترجمانا (41)

37 . رسالة محمد أشعاش نائب عامل تطوان في 14 ربيع الثاني 1281/16 شتنبر 1864 ، نصها في «الوثائق» ج 4 ص 316 .

38 . رسالة محمد بن أحمد الخضر الى بركاش في 25 مارس 1880/13 ربيع الثاني 1297 ، محفظة الحماية القنصلية .

39 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس في 12 ماي 1894/6 قعدة 1311 ، محفظة المغرب النمسا .

40 . رسالة محمد أشعاش في 14 ربيع الثاني 1281 متقدمة الذكر

41 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 313 ، ولائحة المحميين العامة ، ورسالة محمد بن أحمد الخضر في 13 ربيع الثاني 1297 (الهامشة د) .

3 - 7 : سالومون بن بينطو ليبي ، واسحاق بن عليل
وكانا مستخدمين ، وحمّان بن الفقيه العرود وكان عوننا ، ومحمد بن سلام
القرشي وكان بوابا ، ودابيد ولد شلوم كويهن وكان كاتباً (42) .

وقد طرد عبد الرحمان بن عبد الصادق باشا طنجة من مكتبه سنة
1893 هذا المحمي وولده واحد الأعوان واسمه :

8 - ابن قدور : «الذي هو مخازني ولد مخازني ، وكان يخدم المخزن
وبيكلار باشدور فرنسا ، وقنصل اسبانيا ، وباشدور البلجيك دالوين الذي
خدم معه 16 سنة ومع البارون ويطنل عامين» (43) ولعل ذلك من أجل
الفضاظة والوقاحة .

9 - محمد الكحلون : وكان كاتباً للعربية سنة 1880

وعن المستوطنين ورد أن سفير CEVEZ وبارتشيلا BARCELO
كانا سنة 1880 يتاجران بفلوكتهما بين تطوان وشواطئ اسبانيا (44) .

* * *

المطلب السابع : اللبيريال

لم يرد ذكر لمن كانوا يمثلون هاته الامبراطورية التي كان لها بعض
المحميين الذين حفظت لنا الوثائق اسماءهم ، وهم :

1 - أحمد بن علي أبعير الذي كان حاكماً لتطوان عام 1277/1860
وصار بعد ذلك قنصلاً شرقياً للنمسا والدنمارك (45) .

42 . ورد هذا المحمي والاربعة من قبله في المصدرين الاخيرين .

43 . رسالة كولاصو الى الطريس في 17 مارس 1893/28 شعبان 1310 . محفظة
المغرب البرتغال .

44 . رسالة محمد بن أحمد الخضر المتقدمة الذكر في الهامشة 38

45 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 451 (2)

2 - **إبراهيم برينطي** وكان ترجمانا للقنصلية سنة 1866 . وقد تقدم أنه كان سنة 1886 ينوب عن الولايات المتحدة (46) ولربما يكون آنذاك قد غدا محميا أمريكيا ما عدا اذا كان سمياً له .

3 - **إسحاق ابن ابراهيم برينطي** وهو ابن السابق ، وشلوم غرصور محميان سنة 1880 ولم يدر وجه حمايتهما .

5 - **أحمد بن الحاج محمد صالّص** وكان سنة 1880 كاتباً (47) وظل حتى سنة 1887 يواصل نفس العمل (48) .

6 - **عبد الكريم اللبادي** كان سنة 1892 مستخدماً أو كاتباً (49) ، ويبدو أنه كان يتدخل فيما لا يعنيه ، فاشتكت السلطة من تصرفاته لدى القنصل العام الذي أجاب : «أمرنا عبد الكريم اللبادي يتخلا عن دخوله في الأمور الخارجات عن محله في تقنصوات بتطوان لأن ذلك يجلب له الدعاوي مع المخزن» (50) .

أما المستوطنون من الأنبريال فكان منهم الدكتور ماكسيمليان شميدل الذي استقر لتعاطي مهنة الطب بالمدينة بعد حرب تطوان كما تقدم في ترجمته قنصلاً لبلاده بطنجة .

* * *

46 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 233

47 . رسالتا محمد بن منصور المهداوي وأحمد الخضر السلاوي إلى بركش في 28 حجة 1283 (3 ماي 1867) و 12 حجة 1284 (5 أبريل 1868) محفوظة بركاش ، ورسالة الأخير إلى السلطان في 28 رجب 1303/2 ماي 1886 ، محفوظة الحماية القنصلية .

48 . ورد هذا المحمي والاثنان اللذان قبله في التشييد الثاني لابن زيدان .

49 . رسالة في 23 جمادى الأولى 1305/6 يبرابر 1888 ، محفوظة المغرب النمسا .

50 . رسالة بوليسلافسكي إلى الطريس في 23 رجب 1309/2 يبرابر 1892 ، محفوظة المغرب النمسا .

المطلب الثامن : فرنسا

أ - السلك القنصلي :

مناحيم ناهون كان سنة 1862 نائبا قنصليا (51) ثم أعقبه بقليل أو بكثير آخرون لم أقف على أسمائهم ، لأن فرنسا وانجلترا حذفتا سنة 1866 تمثيلهما القنصلي بالمدينة ، الى سنة 1891 حيث كان محمد بن عبد اللطيف الوهراني الجزائري هو النائب عن هاته الدولة (52) .

ب - المحميون :

وعددهم من سنة 1862 حتى 1884 لم يتجاوز سبعة ، وهم :

I - **مناحيم ناهون** متقدم الذكر ، وقد اتهم سنة 1862 بأنه كان «يدخل لديار المسلمين ويتعرض لنسائهم صحبة يهودي من تلمسان اسمه اسرائيل ابن يشو» (53) .

2 - **موسي أزولاي** وكان سنة 1866 ترجمانا (54) .

3 - **هلال بن ناهون** كان كاتباً للوكيل القنصلي في لوائح المحميين الفرنسيين العامة من سنة 1880 الى سنة 1884 وورد فيها اسمه هو والأربعة الذين بعده حتى سنة 1882 :

4 - **موسي بنطولية** وكان ترجمانا وقد تقدم أن ابنه سمويل كان محميا وترجمانا للوكالة القنصلية البرتغالية سنة 1880 .

51 . رسالة محمد أشعاش الى بركاش في 2 ربيع الاول 1279/28 غشت 1862 ، محفظة بركاش ، وجان لوي مبيج «المغرب وأروبا» ج 3 ص 43 .

52 . رسالة باسكولي الى الطريس في 7 شعبان 1308/18 مارس 1891 ، محفظة الطريس (20)

53 . رسالة محمد أشعاش المتقدمة الذكر في الهامشة 51

54 . رسالة محمد بن منصور المهداوي الى بركاش في 19 شعبان 1282/7 يناير 1866 . محفظة بركاش .

5 - 7 - عبد الغفار خرخور ، وموفا السويسي ، وعبد الكريم زرديق
وكلهم كانوا مستخدمين .

ت - المستوطنون :

لم أتبين أحدا منهم ، على أن بعض الجزائريين من يهود ومسلمين
كانوا يتخذون المدينة موطنا ، كما كانوا يهاجرون الى مدن جزائرية كتلمسان
ولا سيما بعد حرب تطوان .

والفرنسي الوحيد الذي وقفت على اسمه كان طبيبا وصيدليا معا
واسمه مورير : Maurer (55) . ولعل هذا الطبيب لم يستوطن المدينة الا
لعلاج اليهود مثلما فعل شميدل قبله إذ كانت تطوان حوالي 1856 تأوي 8000
يهودي من مجموع 22000 من السكان ، وبذلك فاقت باقي المدن المغربية في
الاستيطان اليهودي .

وبالرغم من حركات الهجرة الى الخارج فقد بقي بها عدد لا بأس به
منهم ، واشترت جماعة منهم مكانا مخربا سنة 1889 بملاح تطوان لتجعل فيه
مدرسة لليهود . وقد دفع الدكتور ليناريس والتاجر برونزويك للمخزن تصميم
هاته المدرسة (56) وتبرع حاييم بن شيمول بالأرض اللازمة لبنائها .

* * *

المطلب التاسع : بلجيكا

لم يعرف من كان يمثل بلجيكا بمدينة تطوان حيث كان هناك محميون
وهم في لائحة 1889 البلجيكية :

1 - هليل ناهون : ترجمان

2 - علي بن بوعزة : عون

55 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 171 (1)

56 . النقطة الثانية من تقييد مطالب فرنسا في رسالة باطنوطر الى غريط في 22 شعبان
1300/23 أبريل 1889 . محفظة المغرب فرنسا .

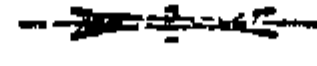
3 - ميمون بن حمو : مستخدم

ولم يرد ذكر تجار ولا سماسرة .

* * *

هذا مجمل ما التقطته عن القناصل والمحميين بتطوان . أما الدول
الأخرى فلم أقف على شيء عنها من المحميين والمستوطنين ، مستثنياً من ذلك
أن الحاج أحمد أبعير كان ملحقاً بالقنصلية الدانماركية بعد سنة 1860 .

2 : أصيلة



أ - السولاة :

1 - 2 . تقدم في طنجة أن عبد السلام السلاوي كان عاملا أيضا على أصيلة سنة 1837 ، وأنه بعد وفاته سنة 1839 عين بوسلهام بن علي في نفس المنصب على المدينتين وأحوازهما ، حتى مات سنة 1851 ، ولعلهما كانا يسيران شؤون أصيلة من طنجة طيلة هاته المدة ، ولم يعرف من كانوا يتولون أمر المدينة بعد وفاة بوسلهام .

3 . وعلى كل حال كان الحاج محمد بن علي قائدا لأصيلة عدة سنوات منذ سنة 1867 على الأقل (1) وكان لا يزال واليا عليها سنة 1873 عند ارتقاء الحسن الأول الى العرش (2) .

4 . وكان عبد المالك بن علي السعيد خليفة لعامل طنجة ثم صار قبل سنة 1885 باشا للمدينة قبل أن يوجه سفيراً الى فرنسا (3) .

5 . وبعده كان الحاج محمد أمقشد قائدا على المدينة حوالي 1886 (4) حتى توفي سنة 1888 (5) ، ولم أقف على من تولى تدبير أمرها بعد هذا

1 . رسالة الحاج محمد بن علي الى بركاش في 25 رمضان 1283/31 يناير 1867 ، في «الوثائق» 4 ص 359 .

2 . بيعة أصيلة في 1 شعبان 1290/24 شتنبر 1873 ، في «الوثائق» : 3 ص 186

3 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 305

4 . رسالة هربيرت وايط الى الطريس في 26 يوليوز 1886/24 شوال 1303 ، محفظة المغرب بريطانيا .

5 . رسالة الزكاري الى السلطان في 27 شعبان 1305/9 ماي 1888 ، محفظة الطريس 13

التاريخ ، وربما كان منهم إدريس ابن عبد السلام أمقشد خليفة القائد (6) في
تصريف الشؤون المحلية سنة 1888 وبعد ها .

* * *

ب - السكان :

لم يرد بيان عن أعداد سكان هاته المدينة الصغيرة مغاربة كانوا أو
أجانب خلال هاته الفترة ، ولا ريب أن الأرقام قد لا تتجاوز بضعة آلاف نسمة .
ولكن في سنة 1900 بلغ تعداد أهل المدينة نحو 4000 نسمة (7) .

وقد استوطنها بعض الأوروبيين لأغراض شتى على الرغم من ممانعة
المخزن في ذلك ، لأنها لم تكن مفتوحة للتجارة مثل الثغور الثمانية المعروفة
وكانت بضائعها توسق إما من طنجة واما من العرائش .

ت - المحميون والمستوطنون :

التمثيل القنصلي كان منعذما لأنه كان ممنوعا ، ومع ذلك حل بها
أجانب قليلو العدد ، وكان بها أيضا محميون قنصليون يسيرون ينتسبون
لبعض الدول مثل انجلترا والبرتغال وايطاليا واسبانيا والنمسا وعددهم
خمسة ، منهم مسلمان اثنان .

ت - I - إنجلترا :

الحاج أحمد بن عزوز ، اقترح سنة 1891 ليكون سمسارا لكارفر
Carver وإخوانه القاطنين بالعرائش وجبل طارق (8) .

6 . رسالة ادريس أمقشد الى الزكاري في 20 جمادى الثانية 1305 / 4 مارس 1888 ،
محفظة الطريس 12 .

7 . كينيث براون : «أهل سلا» ص 48

8 . رسالة وايط الى الطريس في 5 يونيو 1891 / 27 شوال 1308 ، محفظة المغرب برباط .

وفي سنة 1867 كان بالمدينة تاجر انجليزي له حانة لبيع الخمر لم
تورد الوثائق المخزنية اسمه (9) .

ت - 2 - البرتغالي :

كان لها محمي واحد سنة 1867 يدعى يوسف ولد فرشية ويعمل في
خدمة شخص برتغالي في بيع الخمر اسمه جواكين (10) .

ت - 3 - إيطاليا :

كان لها ثلاثة من المحميين ، وها هي أسماءهم :

I - يوسف ولد امريخ الخراط كان محميا ايطاليا وقيل انه كان
سنة 1867 يبيع الخمر ، ولكن ثبت أنه لم يفعل (11) .

2 - إسحاق بن شطون : كان محميا ايطاليا في قائمتي 1893 و 1894 ،
وحاولت السفارة الايطالية جعله وكيلًا قنصليا بالمدينة منذ 1892 . واقرحت :

3 - عبد السلام بن عمور الغربي : عونا له وأثبتتهما معاً في القائمتين
المذكورتين (12) .

ت - 4 - إسبانيا :

لم يكن لها أي محمي ولكن اسبانياً اسمه كوزمير أو Cosme . . .
كان سنة 1867 « يبيع الماء الفاسد » ويتحايل في السرقة (13) .

9 . «الوثائق» 4 ص 358

10 . المصدر الاخير

11 . المصدر السابق ص 365

12 . رسالة كانطاغالي الى الرئيس في 15 دجنبر 1892/25 جمادى الاولى 1310 ،
محفظة المغرب ايطاليا .

13 . «الوثائق» : 4 ص 365 و 363

ت - 5 النمسا :

لم يكن لها من محمي بهاته المدينة ولكنها رامت نصب رايتها وجعل
إسحاق بن شطون سالف الذكر نائبا قنصليا سنة 1888 قبل ايطاليا (14) .
فكان جواب السلطان أن «أصيلة ليست مستخدمة للوضع والوسق وهي مثل
مدن الايالة وليست مثل المراسي ، فجعل السنجق بها مخالف للعادة» (15) .

14 . رسالة ادريس بن عبد السلام أمّتشيد خليفة باشا أصيلة الى الحاج محمد الزكاري
في 20 جمادى الثانية 1305/4 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12
15 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 جمادى الاولى 1306/15 يناير 1889 ،
محفظة الطريس 15 .

5 : العرائش

المطلب الأول : الولاية والسكان

أ - الولاية :

1 - كانت العرائش من إيالة أبي سلهم بن علي أظوط الذي كان يقطن بها والذي تولى أيضا على طنجة وأصيلة وأحوازهما حتى توفي سنة 1851. ومن ذلك الوقت لم أقف على من وكل إليهم أمر العرائش سوى **حمان الصريدي** الذي كان من قبل 'عاملا على تطوان والعرائش في العهد الرحماني (1) دون معرفة مدة الولاية بالعرائش وتاريخها المضبوط .

2 - وقبل حرب تطوان كان **التهامي بن محمد ابن عبد السلام التلاواني** واليا على المدينة (2) ، واستمر مدة قليلة بعد الحرب المذكورة في هاته الولاية.

3 - **الحاج علي بن محمد العرائشي** وكان سنة 1862 عاملا على العرائش وأصيلة ، بعد أن كان في سلك الأئمة ، وحتى 1877 كان لا يفتأ 'عاملا على المدينتين (3) .

4 - وفي سنة 1878 أصبح **محمد بن علي العرائشي** عاملا (4) .

1 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 228

2 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 192 ، ويسمى في وثائق أخرى التالوتي هو والعامل السابع بعده .

3 . المصدر الاخير ج 5 ص 51 وابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 397

4 . المصدر الاخير نفس الصفحة ، ولربما يكون الحاج علي بن محمد ومحمد بن علي شخص واحدًا اضطربت المصادر في شأنه .

5 - والذي تقلد هاته الاعباء بعده وقبل سنة 1879 كان هو محمد ولد
ابن محمد الشرقي الى ما قبل 24 قعدة 1301 15 شتنبر 1884 وهو تاريخ
وفاته (5) .

6 - وبعد وفاة ولد ابن محمد بقليل أو بكثير أصبح المكي العرائشي
مضطلعا بالأعباء الى وفاته (6) أواخر سنة 1305 /منتصف 1888 .

7 - أحمد بن التهامي التلاواني أسندت اليه العمالة . وكان حتى
نهاية 1892 لا يزال واليا (7) .

8 - علي بن الجيلالي الراشدي عين على العرائش في أواخر العهد
الحسني وتوفي بعد ذلك بقليل (8) . وفي منتصف سنة 1894 كان له خليفة هو
محمد بن عبد السلام السربوت (9) بعد أن كان أبوه لمدة طويلة خليفة لبعض
العمال السابق ذكرهم وبعد أن كان هو نفسه خليفة لهم منذ حوالي 1888 التي
قد تكون تاريخ وفاة أبيه .

ولم أقف على شيء مفيد عن ولاية قبائل الأحواز .

* * *

ب - السكان والعمران

المصادر المغربية صامتة عن عدد السكان ، لكن تصانيف الأجانب
من مؤلفين ورحالة تتحدث في شيء من الضبط عن أرقامهم عبر السنوات ،
فقد قدرهم علي باي العباسي بـ 4 آلاف نسمة سنة 1805 ، ومنهم من رأى

5 . رسالة الطريس الى السلطان في 24 قعدة 1301 /15 شتنبر 1884 ، محفظة الطريس ؛
وكذلك «الوثائق» ج 4 ص 446

6 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس في 13 حجة 1305 /21 غشت 1888 ، محفظة
الطريس 13 .

7 . رسالة محمد السربوت الى الطريس في 23 شوال 1305 /3 يوليوز 1888 ، المحفظة
نفسها ، ومبيضة رسالة مخزنية الى أحمد بن التهامي في 8 جمادى الاولى 1310 /28 نونبر 1892 .
وكذلك ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 52 .

8 . المصدر الاخير ج 2 ص 222 (1) وص 146

9 . من موجب عدلي في 23 حجة 1311 /27 يونيو 1894 . محفظة الطريس 26 .

أن عددهم هو 2500 نسمة فقط سنة 1834 ثم 4000 شخص سنة 1855 منهم ألف من اليهود و 500 من الجنود كانوا بها بين 1837 و 1850 أثناء ولاية أبي سلهم ، غير أنهم بلغوا سنة 1866 نحو 5000 شخص ثم ارتفع هذا القدر سنة 1875 الى 6500 نسمة (10) .

أما في صدر القرن العشرين فتختلف الأرقام فهم 9000 نسمة (11) أو أقل من ذلك بكثير أي 5000 نسمة منهم ألفان من اليهود ، وكان أغلب المسلمين من الريفيين ومن جبالة ، أما الأوروبيون فكان عددهم 150 نفرا منهم 10 من الفرنسيين و 120 من الأسبانيين الذين كانوا يتعاطون مهناً مختلفة ، وبقطع النظر عن التجار اليهود ووكلاء التجار بفاس أو طنجة كانت كل تجارة العرائش أواخر القرن التاسع عشر بأيدي عدة دور تجارية : إيطالية وفرنسية واسبانية وانجليزية وألمانية .

وفضلا عن هؤلاء كانت بالعرائش منذ قديم بعثة كاثوليكية من الفرايلية الفرانسييسكانيين وبعثة بروتستانتية حلت في نهاية القرن بهاته المدينة وتألقت من 5 أشخاص .

موقع المدينة جعلها منفذاً لبضائع أصيلة والقصر الكبير حيث كانت تصدر منتوجاتها منها وكذلك انتاج النواحي والقبائل المجاورة من طليق وخلط وسفيان وبني مالك ، وقد كان للعرائش ماض في مجال التجارة من وسق وجلب ، ولئن كنا لا نستطيع الآن إبراز هاته الحركة من المبادلات في بداية القرن الماضي وأواسطه ، فلقد كانت في أواخره متميزة بغلبة الاستيراد على التصدير وبتفوق التجارة البريطانية على الألمانية والفرنسية .

وهكذا كانت الحالة من سنة 1898 الى سنة 1901 كما يلي وعلى التتابع :

10 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 174 و ج 3 ص 461 وكينيث بروان : «أهل سلا»

ص 48 .

11 . أوجين فومي : «المختار . . . » ص 116

II ر 4 و 5 ر 05 و 86 ر 2 و 04 ر 5 للاستيراد و 66 ر I و 56 ر I و 7 ر I
و 23 ر I للتصدير ، وذلك كله بملايين الفرنكات (I2) .

كما أن مكانة المرسى جلبت تجارا اتخذوا لهم سماسرة ،
وقناصل جعلوا محميين لخدمتهم ومصلحة شؤون دولهم ، فمن هم هؤلاء
المحميون ومن هم هؤلاء القناصل والتجار ؟

سأحاول استقصاء أحوالهم من خلال الوثائق والمصادر مرتبين حسب
الدول ، ولو أنها لم تكن ممثلة كلها بالمدينة حسبما سيأتي في الجدولين
المواليين ، وقد بلغ عددهم 105 من الأشخاص ، فكان المحميون 53 ، منهم 32
يهوديا ، وكان السماسرة 52 منهم 44 مسلما .

I2 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 90 و 93

ت - المحميون والسماصرة بالعرائش (1863 - 1900)

ت - I - المحميون

الجميع	المسلمون	اليهود	الدول
8	6	2	ألمانيا
II	2	9	الولايات المتحدة
4	3	I	النمسا
2	I	I	هولاندة
I	—	I	الدانمارك
3	I	2	إنجلترا
II	3	8	إسبانيا
2	I	I	إيطاليا
5	I	4	البرتغال
6	3	3	بلجيكا
53	2I	32	المجاميع

ت - 2 - السماصرة

26	25	I	الولايات المتحدة
II	6	5	إنجلترا
I5	I3	2	فرنسا
52	44	8	المجاميع

المطلب الثاني : المانيا

المصالح الألمانية كانت ضعيفة هنا ، بالرغم من وجود قنصل أو وكيل ألماني بالعرائش سنة 1882 حسبما سبقت الإشارة اليه في طنجة ، ويظهر أن ألمانيا لم تكن ممثلة إلا من خلال غيرها من الدول . وأنه لم يكن لها تجار يقيمون بالعرائش يحتاجون الى سماسرة .

وكل ما وقفت عليه هو أسماء لبعض المحميين القنصليين كانوا يعملون في الوكالة المكلفة بالقضايا الألمانية ، ولا سيما عند ما كان ليويس فورد الانجليزي نائبا عن ألمانيا (13) سنة 1882 .

وأسماء هؤلاء المحميين من خلال اللوائح الألمانية (1880 - 1897) هي :

2 - سالومون بن الصائغ : كان ترجمانا (1880 - 1897)

2 - عبد السلام بن محمد : عون (1880 - 1892)

3 - عمر بن أحمد الريفي : كان مستخدما سنة 1881 و 82 وورد اسمه في لائحة 1895

4 - فضول بن محمد الهواري : مستخدم عند القنصل (1881 - 1897)

5 - محمد بن القيسي : كان كاتباً لنائب القنصل ليويس فورد (1882) ، ويغلب على الظن أنه هو محمد القيسي الذي تقدم الكلام عن خلافه مع القنصل العام الأمريكي ماثيوز .

6 - التهامي البصيري : مستخدم (1886 - 1892)

7 - مسعود مور يوسف : كان كاتباً بالوكالة (1895)

8 - منصور بن مسعود الجزار : كان عوناً (1897)

• • •

13 . رسالة تيودور فيبير الى محمد برকাশ في 13 مارس 1882/24 جمادى الاولى 1299 .
محفوظة برকাশ .

المطلب الثالث : الولايات المتحدة الأمريكية

أ - السلك القنصلي :

1 . تولاه قبل يناير 1888 موسي بن مسعود ابن قسيس حتى استعفائه (14) .

2 . وعين بعده إسحاق مطيطة (15) ، ثم عزل عن الوكالة التي أسندت الي :

3 . إلياس ابن الطويل المتوفى سنة 1892

4 . وكان هاري كارلطن الأنجليزي أصلا الأمريكي تجنسا هو الذي أشرف على الشؤون الأمريكية في أواخر القرن الماضي وصدر القرن العشرين.

ب - المحميون القنصليون والاستثنائيون

وردت أسماؤهم في مصادر مختلفة ومنها قوائم سنوية ومحلية .

ب 1 من القائمتين 59/69 و 60/69 الأمريكيتين (16) :

1 - 2 : إسحاق مطيطة : ترجمان ، ومحمد بن عبد السلام ابن حمو

الملش : كاتب

3 . عمران بن يعقوب ابن يفلح مشيشو : ترجمان (17) بعد إسحاق

مطيطة .

14 . رسالة ريد ليويس الى انطريس في 30 يناير 1888/16 جمادى الاولى 1305 .
محفظه المغرب أمريكا .

15 . رسالة القائد بوسليام بن المصطفى السفينياني الى برকাশ في 12 صفر 1301/13
دجنبر 1883 ، محفظه برকাশ

16 . القوائم المذكورة هنا كلها عارية من التاريخ ، سوى 22/69 التي حررت في فاتح
يناير 1888 ، والارقام هي لمكتبة تطوان .

17 . ابن زيدان : «المز والصولة» ج 1 ص 54 .

ب 2 — من قائمة 59/69 وحدها :

4 . موسي بن مسعود ابن قاسيس : نائب قنصلي وتاجر محمي

ب 3 — من 60/69 فقط :

5 . مسعود بن بنحيم ابن قاسيس محمي استثنائي

ب 4 — من 4/69 الأمريكية (18)

6 — 7 : الحاج عبد السلام التوزاني : عون ، وعيوش بن يودا ازولاي :

تاجر محمي ، وكلاهما سنة 1888 .

ب 5 . من قائمة الخطاء الغفل :

8 . إلياس ابن الطويل : وكيل قنصلي وتاجر ذو سماسرة بالعرائش

والدار البيضاء «وكان يزرع ويستعمل التبغ» (19) .

كان الولاة بالعرائش يتهمونه بأنه كان «يتجاسر على المناصب الدينية ، ويهين حكام البلد ، ويكثر التردد لمجالسهم بالفظاظة والعنف وإظهار القوة . . . حتى تعطلت — على الشرع والمخزن بالشعر المذكور — الأحكام . . . ويسب الناس جهارا ويلعن الآباء والأجداد أمام الحكام وغيرهم . . .»

ولما بلغ ذلك لعلم السلطان أمر الطريس «بمباشرة القضية بما يتعين

فيها» (20) .

18 . ورد فيها أيضا المحمي الرابع كما جاء كذلك في 22/69 هو والمحمي الاول

19 . رسالة ريد ليويس الى الطريس في 9 يونيو 1887 ، محفظة المغرب أمريكا

20 . من موجب عدلي في 9 صفر 1307/5 أكتوبر 1889 ، محفظة الطريس 17 ، وكذلك رسالة السلطان الى الطريس في 22 صفر 1307/18 أكتوبر 1889 . المحفظة نفسها .

وكان ابن الطويل قد هاجر قبل ذلك الى الولايات المتحدة حيث كان يتاجر . ولما رجع بعد ذلك الى المغرب استوطن العرائش حتى مرض وذهب الى طنجة في مارس 1892 حيث مات (21) .

9 - II - شلومو بن إلياس ابن الطويل ، وكلازة ابن الطويل ،
وابراهيم بن يفلح : وكلهم تجار محميون ذوو خلطاء وسماسرة .

ت - السماسرة (22)

I - من 59/69 :

I - 7 . شلومو بن زرقين ، والحاج محمد بن بوسلهام الخضاري ،
وعبد الرحمان بن بوسلهام الخضاري ، ومحمد بن الجيلالي قباب البوشتي ،
والحاج بوسلهام الكثيري ، والتهامي قيسومة ، والحاج بوشعيب بن العربي
الحسناوي : ولم يرد لمن كانوا سماسرة .

ب 2 من 60/69 :

8 - 12 : الحاج ابراهيم السفياي الدكالي (الدكاجي ؟) ، والحاج
الكمالي السفياي ، ومحمد بن الحاج الحواشي ، وعبد السلام بن الحاج
الحواشي ، وأحمد قيسومة (23) : ولم يعرف لمن كانوا سماسرة .

ب 3 . منهما معا :

13 - 20 . عبد السلام بن ابراهيم ، وحمدان (أو حماد) بن حسون
الخلطي ، والحاج الجيلالي بن محمد (أو أحمد) الرياحي (أو حلحول) المالكي

21 . رسالة ماثيوز الى غريط في 15 شعبان 1309/15 مارس 1892 ، محفظة المغرب
أمريكا ، ورسالة أميني مرسى العرائش محمد بن عبد الهادي زنيبر وعبد الوهاب بن محمد بنيس
الى الطريس في 10 شعبان 1309/10 مارس 1892 ، محفظة الطريس 22 .

22 . جمعت هنا السماسرة بالعرائش والنصر والغرب ، لأن الوثائق الامريكية لا تميز
عناوين السماسرة ، وتقتصر على عناوين التجار وحدهم ، وقد نقلت الى العرائش أسماء السماسرة
7 - 10 - 13 - 16 ، فلربما كانوا سماسرة أو خلطاء لابن عطار النائب التوصل بالرباط حيث
وردت أسماؤهم .

23 . الطليقي في 51/69

(24) ، وعبد القادر بن محمد الدرقاوي ، وعلي بن بوسلهام الخضاري الطليقي ،
ومحمد المنصوري ، وبوسلهام بن الحاج العفاني ، والجيلالي بن يشو
(أوهيشو) الغماري المالكي : وكلهم لم يرد بيان عن تجارهم .

21 — الطيب الشلح (أو صلولج) العرائشي . وكان سنة 1887 سمسارا
لإلياس ابن الطويل (25) .

22 — أحمد بن الحاج محمد ابن حمو الخمار العرائشي : كان سنة
1886 سمسارا لمسعود بن قاسيس .

ب 4 . من 22/69 (1888) :

23 . عبد القادر الكيري ولعله الكثيري : لم يذكر اسم تاجره

24 . سلام بن دامية ابن الرموش كان سنة 1887 سمسارا لإلياس
ابن الطويل (26) .

ب 5 . من غير ذلك :

25 — الحاج بوسلهام بن الجيلالي الخنشوشي : سمسار ليون
روفيل (27) .

26 — محمد بن عبد السلام السلاوي ولد قيسومة : كان سمسارا
لنفس التاجر حتى سنة 1891 حيث نزع من السمسرة له (28) وعين مكانه
الحاج الجيلالي الرياحي رقم 15 أعلاه .

24 . عين هذا السمسار سنة 1891 لخدمة ليون روفيل ، بعد عزل محمد بن عبد السلام
السلاوي (رقم 26 أدناه)

25 . رسالة لبويس إلى الطريس في 28 أكتوبر 1887 ، محفوظة المغرب أمريكا ، وقد
نصت على اسمه قائمتا 22/69 و 4/69

26 . الرسالة الأخيرة ، وقد ورد أيضا ذكره في قائمة 1/69

27 . رسالة لبويس إلى الطريس في 31 يناير 17/1888 جمادى الأولى 1305 ، وجواب
الطريس عنها في 21 جمادى الأولى 1305/4 يبرابر 1888 ، محفوظة المغرب أمريكا ، وذكر أيضا
هذا السمسار في 4/69 .

28 . رسالة ماثيوز إلى الطريس في 19 دجنبر 17/1891 جمادى الأولى 1309 ، المحفوظة
نفسها .

المطلب الرابع : إنجلترا والنمسا وهولاندة والدانمارك

سأجمع فى المقاطع الموالية الشبكة القنصلية لهاته الدول ، لأنها كانت تحت وصاية بريطانيا العظمى وخاصة سنة 1880 .

أ - السلك القنصلي :

1 - ألكسندر باروخ طوليدانو دونكان A. B. T. DUNCAN عين سنة 1856 نائبا قنصليا حتى توفي بالكوليرا سنة 1868 بالعرائش ، وكان قبل ذلك من سنة 1845 الى 1856 مستخدما بالقنصلية العابة بطنجة (29) .

2 - والذي خلفه كان هو يوسف عيموسي (أو إيموسي) IMOSI المسمى أيضا بيبي النجليزي ، وذلك من 1871 الى 1892 حين استقال من وظيفته ، وكانت له تقارير تجارية (30) . وكان سنة 1885 يمثل هولاندا (31) .

3 - أسرة فورد التى ظلت تعيش بالمدينة حتى منتصف القرن العشرين بدأت تنوب عن المصالح الأنجليزية وغير الأنجليزية بالعرائش ، ولا بد أن أوضح هنا أن جدا وأبنا وحفيدا كانوا يسمون جميعا ليويس فورد : Lewis FORDE . أما الجد فكان مقيما بآسفي وسيرد الحديث عنه بهاته المدينة على حدة . وكان الابن والحفيد مقيمين بالعرائش ، الوثائق المخزنية تسمي الجد لويز فورد .

ومنذ 1883 بدأ لويس فورد الأب ينوب عن عيموسي وعن الدول التى كانت تحت رعاية إنجلترا .

29 . جان لوى ميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 103 و ج 2 ص 385

30 . المصدر نفسه ج 1 ص 123 و ج 3 ص 304 (1)

31 . رسالة إيموسي فى 27 ربيع الاول 1302/14 يناير 1885 . محفظة المغرب بريطانيا

4 – وخلفه **لويس فورد الحفيد** فى النيابة عن إنجلترا وعن دول أخرى مثل هولاندا (32) وذلك سنة 1893 .

5 – وقبل ذلك (أى سنة 1888) كانت هولاندة قد أسندت الوكالة القنصلية عنها الى النائب الايطالى **أليساندرو وائينو** (33) .

ولم أقف على من كان يرعى المصالح النمساوية والدانماركية بالعرائش بعد سنة 1880 .

ب – **المحميون القنصلون لهاته الدول** (34) :

ب – 1 – **انجلترا** : كان لها ثلاثة سنة 1880 وهم :

1 – **مير مطيطة** : وكان ترجمانا للوكالة القنصلية

2 – **ومحمد بن أحمد** : وكان عوناً بها

3 – **ومخلوف بن شطريت** : وكان مستخدماً بها حتى مات مقتولاً سنة 1884 لأنه لما عاد متأخراً فى الليل أطلق الحراس عليه النار (35) .

ب 2 – **الدانمارك** : وكان لها محمي واحد آنذاك سمي الترجمان

ب 3 – **النمسا** :

لها أربعة من المحميين سنة 1880 ، ها هي أسماؤهم :

1 – **إسحاق مسلم** : ترجمان

2 – **ادريس العمارتي** : مخزنى

32 . رسالة ريديجوي الى الطريس فى 16 يوليوز 1893/2 محرم 1311 ، محفظة المغرب بريطانيا .

33 . رسالة الياس كاسيل فى 9 يوليوز 1888/29 شوال 1305 ، محفظة المغرب بلجيكا

34 . المحميون القنصلون الواردة أسماؤهم أسفله جاءوا فى التقييد الثالث لابن زيدان فى كتابه «العز والصولة» ج 1 ص 314

35 . رسالة محمد ولد ابا محمد الشركي الى السلطان فى 26 جمادى الاولى 1301/21 مارس 1884 ، محفظة المغرب بريطانيا

3 – عبد السلام البار : متعلم

4 – محمد العمارتي : مثله

ب 4 – هولاندة كان لها اثنان سنة 1880 وهما :

I – محمد بن خليفة : وكان مخزنيا

2 – شامويل التدغي : وكان ترجمانا ، وظل منذ ذلك التاريخ

محميا حتى 1893 (36) بل وبعده في لائحة 1896 العامة .

ت – السماسرة :

وردت أسماء هؤلاء في وثائق متفرقة ومنها :

ت I – من تقييد ابن زيدان وقائمة السماسرة للتجار الانجليزيين

سنة 1879 :

I – شلومو حليوة : سمسار يوسف فافا J. FAVVA وكلاهما من

مدينة العرائش .

2 – 3 – ابراهيم ولد الخروبية (أو الخروبي أو الحربيلية) الدكالي

والحسن (أو ابن الحسن) الزاوية الدكالي : وهما معا سمساران لدومينغو

ماسكاريناس D. MASCARENHAS ، وكان الأول منهما لا يزال سنة 1889

سمسارا له .

4 – شلومو أزولاي من العرائش سمسار ليوسف العسري بطنجة

5 – حاييم بن موسى بن زوقين سمسار لشركة ليبي بجبل طارق

36 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 28 مايو 1893/12 قعدة 1310 . محفظة المغرب

عزلاندة .

ت 2 - من لائحة 1879 وحدها :

6 - سليمان الخراط : سمسار ليوسف إيموسي النائب القنصلي

ت 3 - من لائحة 1889 :

7 - ابراهيم مور يوسف سمسار يوسف العسكري بطنجة

8 - عبد الله ولد الحاج القرشي سمسار لويس فورد بالعرائش

9 - غفور بن بوعزة سمسار لمسكاريناس

10 - أحمد بن الطاهر الخلفي سمسار ليوسف إيموسي

11 - محمد بن غريب (أو الغريب) سمسار ليعقوب فريروس من

سكان العرائش ، وقد استغنى عنه سنة 1892 .

ث - المستوطنون

زيادة على التجار المذكورين مع سمسارتهم أعلاه وردت أسماء آخرين كانت لهم علاقة مع السكان أو مع المخزن وهم :

1 - ر. كويل R. COWELL الذي كان يقطن بالجديدة حيث كان

يمثل بلجيكا بها سنة 1857 (37) ولكنه - هو أو قريبه - كان يسكن بالعرائش فأصلح له الأماناء مخزنا كان يكتريه منهم سنة 1874 مثله في ذلك مثل ماسكاريناس سالف الذكر والتاجر :

2 - يوسف كونطي J. CONTI المتوفى سنة 1878 حسب لائحة

السماسة للسنة التي بعدها .

كما أصلح الأمناء مخزنًا لليويس فورد (38) الذي اتهم سنة 1893 بالتراخي على أرض حرائية للمخزن تسمى العدّاس (39) .
ولم أقف على سماسرة لكوول وكونطي .

3 - ومن المستوطنين **إيدموند كارلطن** E. Carleton الذي كان تاجر حماية أكثر مما كان بزازاً ، فربح منها أموالاً طائلة . وقد انتقل إلى السكنى بالقصر الكبير .

* * *

المطلب الخامس : إسبانيا

أ : السلك القنصلي

كانت لها نيابة قنصلية بالعرائش تقلدها :

- 1 - **لوثيو دي سايدرا** Lucio de Saavedra قبل سنة 1863 (40)
- 2 - **إدواردو دي لا آما** E. de la AMA سنة 1863 (41)
- 3 - **تيودورو دي كويباس** T. de CUEVAS قبل سنة 1868 وكان مراقباً بالديوانة ونائباً قنصلياً معاً (42) .
- 4 - **فرانثيسكو لوثنانو مونيوت** في نونبر 1868 (43)
- 5 - **أ. دي طاطاني** de TATANI (44) حتى حوالي 1881

38 . تقييد في صفر 1291 مارس ابريل 1874 ، محفظة العرائش 1
39 . رسالة دوبيني إلى الطريس في 3 رمضان 1310/21 مارس 1893 ، محفظة الطريس 2
40 . رسالته في 14 شتنبر 1863 ، محفظة الحماية القنصلية
41 . وثيقة في 19 جمادى الثانية 1280/فاتح دجنبر 1863 . محفظة العرائش 3
42 . المصدر السابق ج 1 ص 96 ورسالة أميني المرسى عبد الكريم بن زاكور ومحمد بن سعيد إلى الحاج محمد بنيس في 9 حجة 1285/22 مارس 1869 ، محفظة العرائش 1
43 . جان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 210 (5) ، وقد تقدم ذكره بطبعة ص 555
44 . جان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 169 و ج 1 ص 207 (4)

6 – إدواردو دي كويباس (45) حوالي 1887

7 – خوسي ميرابانت اي ياسكوال (46) وهو من آخرهم وتقدمت الإشارة اليه بتطوان ، وكان الأولون من هؤلاء النواب أو بعضهم يجمعون الى النيابة القنصلية الرقابة على دخل المراسي بكيفية سافرة أحيانا لاقتطاع أموال الغرامة الحربية ، وقد تختلط صفاتهم الرسمية في الوثائق فلا يظهر منصبهم الفعلي من خلال الرسائل المخزنية التي تدعوهم أحيانا «أمناء» .

ب – المحميون :

هؤلاء القناصل كان لهم محميون سنة 1863 وهم :

I – 8 – مخلوف مور يوسف الخنوسي ومخلوف الخراط وإبراهيم بنعميل وسعيد بن مسعود وشماعية أزويل ودابيد بونطي وموسى كويهن وإسحاق بونطي ، وكلهم من يهود العرائش ، وربما كان منهم مستخدمون بالقنصلية أو تجار فقط .

9 – 10 محمد بن داود ، وابن حامد ، وهذان ربما كانا عونين .

II – عبد السلام أبلوند : وكان كاتباً بالوكالة القنصلية (47)

وقد استمر في عمله سنوات حتى اتهمه القنصل دي كويباس سنة 1868 بسرقة داره وبلاستغناء غير المشروع (48) ولاشك أنه عزل من الحماية بعد ذلك .

45 . من موجب عدلي في 29 جمادى الاولى 1304/23 يراير 1887 ، محفظة الطريس 9

46 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 143

47 . رسالة دي سايدرا في 16 شتنبر 1863 المذكورة سابقا

48 . رسالة تيودورو دي كويباس الى بركاش في 4 ماي 1868 ، محفظة بركاش

ت - المستوطنون والسماصرة

كان رقم الاسبانيين بالعرائش 90 شخصا سنة 1886 وبلغ عدد المحميين فى تلك السنة 90 شخصا أيضا (49) .

لم أقف على اسم أي سمسار للمستوطنين بالمدينة ، والشخص الوحيد الذى كان له سماصرة - على ما أعلم - هو خابيير ساينس واد الذكر ، فقد كان من الأغنياء وله خلطاء وسماصرة خارج المدينة ولا سيما بالجديدة وبقبيلة سفيان بأولاد طلحة سنة 1891 .

I - خابيير ساينس Javier SAENZ

هذا التاجر كان من الميسورين وقدامى الاسبانيين بهاته المدينة حيث كان من الذين انتفعوا سنة 1874 من خزين أصلحه له الأمناء (50) . وكان لا يزال حتى سنة 1891 مقيما بالعرائش (51) ، وقد منعه الأمناء سنة 1883 من تصدير الزوان مخلوطا بالقمح بحجة التهريب والغش (52) .

وعنه تحدث عامل العرائش فقال لبركاش سنة 1879 إن «سوسيا من سكان العرائش قد توفي قبل وترك دارا خربة بالقصبة ، وعند وفاته أقر بدين لنصراني صبنيولي اسمه خبير ، فعمد إذ ذاك خبير المذكور لتلك الدار وجعل يبنيتها ولازال جادا فى بنائها الآن ، وقد كلمه خليفة القاضي فيها وفى أمرها ، فأجابه بأنه يطلب فى تلك الدار دراهمه التى أقر له بها السوسي المذكور ، ولما ضم عليه ناظر الأحباس فى العرائش السيد العمراني العياشي

49 . ميج وهوج : «الاروبيون . . .» ص 10

50 . رسالة فى صفر 1291/مارس أبريل 1874 ، محفظة العرائش 3

51 . رسالة الطريس الى فيكيرة فى 20 شعبان 1308/9 أبريل 1891 . محفظة المغرب اسبانيا 3 .

52 . رسالة محمد راغون ومحمد بن عبد الكبير التازي الى الطريس فى 5 ربيع الثاني 1308/10 دجنبر 1888 . محفظة الطريس 14

فى شرائها منه امتنع ، وحين تحقق الخليفة المذكور من حيازته لها بغير موجب شرعى أطلقها للبيع وأمر الدلال بالإشادة عليها فى مظان الزيادة ، فلما أخبر خبير المذكور بما فعله الخليفة بالدار من التسويق ذهب لقنصوه وشكى له بذلك ، فأرسل صاحبه للخليفة بالعرائش بأن يقبض على الدلال ويؤدبه على إشادته على الدار المذكورة ، فأرسل القائد للدلال وسأله عن قضية الدار ، فأجابه بأن الشرع أمر بتسويقها ، فقال لصاحب النصراني : لا مدخل لي فى أمر الشرع ، فذهب صاحب القونص¹ لحال سبيله ، فلما أصبح صباح الغد ضعف خبير الخدمة فيها وزاد فى الصائر قائلا : إنه صير عليها ثلاثمائة ريال ، ومثل هاته القضية لا يجب السكوت عليها» (53) .

2 - **مانويل دي كوبياس** : وهذا من قدماء الاسبانيين ، وكان مكتريا لخزين فطلب أن يبني له الأمانء دارا فوقه بحسب قاعدة 6 ٪ فوافق السلطان على ذلك سنة 1890 بحسب الشرط المعهود (54) .

3 - **إسبانيون آخرون** كانوا يعيشون بالمدينة منهم : **غويريرو** Guerrero وكان مصدرا للقطاني سنة 1866 و**لورانسو** Lorenzo وهو مثله فى التجارة سنة 1867 و**اخواكين** Joaquin ... وهو مثل السابق (55) ، و**لوبيث اى ألدانا دي لوتغاندو** L. y. Aldana de Lutgando حوالي 1863 و**بالريو ماريت** V. MAREZ (56) ولم أقف لهم على خلطاء ولا على سماسرة ، ولا على تمام أنساب بعضهم ، ولم يرد أسم طورسو... TORSO الذى كان سنة 1839 مصدرا للفرشي (57) .

53 . رسالة محمد ولد ابا محمد الشرقي الى بركاش فى 5 قعدة 1296/21 أكتوبر 1879 ، محفظة بركاش .

54 . رسالة السلطان الى الطريس فى 9 شعبان 1307/31 مارس 1890 . محفظة الطريس 18 .

55 . بيان الأمانء فى 27 رجب 1283/5 دجنبر 1866 ، محفظة العرائش 1 .

56 . وثيقة فى 19 جمادى الثانية 1280/فتح دجنبر 1863 ، نفس المحفظة

57 . رسالة ميرى اى كلوم الى بركاش فى 25 شتنبر 1869 ، نصها فى «لوثائق» ج 1

يضاف الى هؤلاء **خوسيف سانطرو** J. SANTO الذي كانت له مطحنة اكتراها حوالي 1886 أي «منذ 6 سنوات مع وجود طاحونتين للمسلمين هنا» (58) كما كان يملك سنة 1888 منشرة للخشب ويرسل عماله لالتقاط الحطب من الغابة أو اقتلاعه . وفوق هذا كان له سنة 1881 خلطاء بقبيلة بني مالك (59) .

ومثله في ذلك مثل **خوسي غاييغو** J. Gallego الذي كان ترجمانا سنة 1891 فطلب من المخزن بناء دار له بحساب 6 في المائة (60) .

وآخر ما أقوله عن إسبانيا أنها وجهت سنة 1889 «طبيبا لمعالجة رعاياها وضعفاء المسلمين من غير أجرة ولا ثمن دواء يلزم من ذكر». وطلب نائب تلك الدولة أن يبني المخزن للطبيب محلا بـ 6٪ فأذن السلطان بذلك (61)

* * *

المطلب السادس : إيطاليا

أ . السلك القنصلي :

أسرة **وانينو** Guanino تولت النيابة عن إيطاليا قبل سنة 1866 وبعد ها (62) كما مثلت مصالح دول أخرى كالبرتغال والسويد والنرويج .

أول الوكلاء هو الأب أندرية **Andréa** حتى توفي سنة 1887 (63) . وقد ولد أندريا بجنوة واستوطن العرائش سنة 1840 ومثل دولة سردينيا

58 . رسالة محتسب العرائش الى السلطان في 3 ربيع الاول 1310/25 شتبر 1892 .
محفظه العرائش 3 .

59 . رسالة دي كوياس الى محمد بن عبد السلام السربوت في 13 شوال 1305/23 يونيو 1888 ، محفظه الطريس 13

60 . رسالة فيكيرة الى الطريس في 22 قعدة 1308/29 يونيو 1891 ، محفظه الطريس 20

61 . رسالة الطريس الى السلطان وجوابه عنها في فاتح شعبان 1306 و 7 رمضان/2 ابريل و 7 ماي 1889 ، محفظه الطريس 15 .

62 . رسالته الى بركاش في 27 محرم 1283/10 يونيو 1860 ، محفظه بركاش

63 . رسالة الياس كاسيل الى الطريس في 28 نونبر 1887 ، محفظه المغرب السريد

سنة 1843 وعين قنصلا لإنجلترا سنة 1850 ، وذريته ظلت مقيمة بالعرائش حتى منتصف القرن العشرين (64) ، وكان يصدر سنة 1866 جلود البقصر والزوان والحمص والصوف والخشب والغاسول (65) ، وكان يملك بعض العقارات كما سيرد .

وبعد وفاته صار ابنه اليساندرو ينوب عنه (66) وكانت له معرفة بالعربية قراءة وكتابة (67) .

وهكذا كانت لايطاليا طائفة من المحميين القنصليين والسماسرة وردت أسماؤهم في اللوائح الايطالية سنة 1889 و 91 حتى 1894 وفي وثائق مختلفة .

ب - المحميون

لم يرد إلا اسم محميين اثنين وهما :

I - **إسحاق الخراط** وكان ترجمانا بالقنصلية ورد ذكره في القوائم المشار اليها سابقا .

2 - **وبو غالب ولد الحاج عبد القادر** وكان «أندرية خليفة الطليان بالعرائش اشترى جنانا من بوغالب ولد الحاج عبد القادر العرائشي وأراد جعل عزيب فيه من غير إذن عامل البلد ولا كتابة العدول ثم أتاه بورقة يزعم حماية بوغالب البائع المذكور . . .» (58) وكان ذلك سنة 1879 .

ولم أقف على أسماء للسماسرة بالمدينة ولكن خارجها .

64 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 121 (3)

65 . بيان الامناء سنة 1865/1283 ، محفظة العرائش 1

66 . رسالة اليساندرو الى الحاج بوسلهام السفيناني في 16 رمضان 1305/27 مناي 1888 ، محفظة المغرب ايطاليا .

67 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس في فاتح ربيع الاول 1300/5 أكتوبر 1881 محفظة الطريس 21 .

68 . رسالة السلطان الى برকাশ في 23 سفر 1296/16 يراير 1879 ، نصها وارد في «الوثائق» ج 4 ص 444

المطلب السابع : البرتغال

أ - السلك القنصلي

كان أندريا وانيو الايطالي يمثل دولة البرتغال ، وخلفه بعد وفاته سنة 1887 ابنه أليساندرو (69) فى تدبير الوكالة القنصلية .

وهكذا كان لهاته الدولة محميون قنصليون .

ب - المحميون :

1 - موشي فراشي : كان ترجمانا للوكالة

2 - يعقوب أمسلم : محمي منذ 1856

3 - أحمد هروش : ترجمان بالمرسى وجميعهم ذكروا فى قائمة 1880 البرتغالية .

4 - يوسف بوطبول : كان سنة 1887 ترجمانا (70)

5 - عمران الرواح : تاجر ومحمي قبل 1892 وكان له سمسرة (71) .

ت - السمسرة والمستوطنون :

ولم أقف على اسم أي سمسار لتاجر برتغالي بالعرائش ، لكن كان ثمة بعض التجار ، منهم :

1 - رامون باطريشيو R. PATRICIO الذي كان يعيش بالمدينة

سنة 1887 ومنع من الوسق فى مركبه (72) .

69 . رسالة أندرية الى القائد التهامي بن بوغزة فى 6 جمادى الاولى 1304 / 31 يناير 1887 . محفظة المغرب البرتغال

70 . نفس الرسالة

71 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 11 ماي 1892 ، نفس المحفظة

72 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 22 مارس 1887 ، نفس المحفظة

2 – **طوماس** . . . البرطقيزي وكان يصدر من المرسى حوالى
1867 (73) .

3 – **مارتينيس** . . . Martinez وكان سنة 1880 يتاجر بفلوكته
بين المغرب واسبانيا (74) .

* * *

المطلب الثامن : بلجيكا

أ – السلك القنصلي :

مثل بلجيكا ج **كلارنبو** G. CLAREMBEAUX الذي حل بالمدينة
قبل سنة 1865 ، فكان للدولة بعض المحميين جاءت أسماؤهم فى اللوائح
السنوية .

ب – المحميون :

1 – **موشي بن خليفة الصائغ** كان ترجمانا قبل سنة 1879 وورد ذكره
فى لائحتي 1885 و 1889 ، كما كان تاجرا .

2 – 4 – **محمد المنصوري** عون عين سنة 1880 و**يامين كيلب** وقد عين
مستخدما قبل 1879 و**طامو** وكانت خادمة منذ سنة 1880 ، وأتت أسماؤهم فى
لائحة 1886 البلجيكية .

5 – 6 – **ابراهيم كيلو وعبد السلام الكوش** مستخدمان فى قائمة
1889 البلجيكية .

ت – السماسرة والمستوطنون :

ج كلارنبو كان له سماسرة ، وقد استوطن هذا النائب القنصلي
المدينة قديما ، وكان يصدر الصوف واللوز والثياب والسكر من العرائش
ومن طنجة (75) . وكانت دائرة نشاطه موسعة فالتمس من المخزن أن يبني له

73 . تقييد فى أوائل 1284 بمحظة العرائش 1

74 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 451 (2)

75 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 186 (6) ومستفاد طنجة فى جمادى

الاولى 1286/9 غشت 1869 ، محظة طنجة 1

مطحنة وفندقا ، فبنى له رضى حسب قاعدة 6 ٪ وأكراه إياها سنة 1889 لمدة 16 سنة (76) .

وقد وقع على عقدة ذلك فى نفس السنة واختير مكانها خارج المدينة وبجوار أجنحتها الرملية (77) ، وضمنه فى الأداء التاجر الفرنسى سيرىوس SERIEYZ بعد اطلاع أندريا وائينو على ذلك (78) .

وكان له بالغرب ونواحيه خلطاء وسماسرة ستأتى أسماء بعضهم فى محلها .

* * *

المطلب التاسع : فرنسا

أ - السلك القنصلي

1 - تولى تمثيل فرنسا كامى ده لاروش C. de Laroche منذ أن استوطن المدينة سنة 1860 (79) .

2 - ولما مرض واستعفى خلفه ابنه لوي (80)

3 - والذى أسندت إليه الوكالة بعده كان هو ناجيار (81) NAGGIAR

ب - المحميون والسماسرة

لئن كانت لفرنسا نيابة قنصلية ، فلم يرد فى المصادر أنه كان لها محميون ، وهو شىء مستغرب ، لكن كان لتجارها سماسرة حفظت أسماءهم عدد من الوثائق .

76 . من موجب عدلي بتاريخ 9 شوال 1306/8 يونيو 1889 وضع بمحضر الأمين الحاج ادريس برادة وبنعاش المالقي ، محفظة الطريس 16

77 . رسالة الأمين العربى بريشة وعبد المجيد بن علال التازي بتاريخ موجب المتعار إليه بنفس المحفظة ، ورسالة السلطان الى الطريس فى 20 جمادى الاولى 1306/22 يناير 1889 ، محفظة المغرب بلجيكا .

78 . موجب بتاريخ 9 شوال 1306/8 يونيو 1889 . محفظة الطريس 16

79 . مبيع : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 480

80 . رسالة باطنوطر الى الطريس فى 20 حجة 1306/26 غشت 1889 ، محفظة الطريس 16

81 . مبيع : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 147

ب 1 - من القوائم السنوية الفرنسية العامة (1879 - 1885)

1 - 2 - عزوز بن عزوز ، والحاج بنمنصور بن أحمد : سمساران للتاجر المقيم بمرسيليا **فالانطان ثرو** V. Gros الذي مثله بالمغرب منذ سنة 1863 **بلاندين** Blandin ثم ده لاروش (82) .

3 - 4 - محمد بن أحمد (ولم يرد نسبه) والحاج بنمنصور بن علال **المنصوري** وهما سمساران للتاجر ليون LION الابن القاطن بمرسيليا ، وقد ظل الأول منهما - هو واللدان قبله - سمسارة لصاحبيهما من سنة 1879 الى 1885 ، بينما كان الرابع سمسارا للتاجر ليون من سنة 1882 الى 1885 .

5 - **بوعزة بن الشرقي** : (أو ابن وشكي حسبما حرفته بعض القوائم) كان سمسارا من 1880 الى 1883 لدار نيكولا پاكي التي كان يمثلها القنصل ده لاروش وابنه لوي مدة طويلة (83) .

6 - **علي بن سعيد الدكالي** : سمساره أيضا سنة 1882 على يده ده لاروش .

7 - 8 **بوسلهام بن الجيلالي** سمساره أيضا ، حتى عوض بالحاج علي بن المكي من 1883 الى 1885 .

9 - **عمران بن يفلح** : سمسار فرتونة الدرعي من 1884 الى 1885 .

10 - **ابراهيم مارسيانو** : سمسار إيشي سنة 1882 .

11 - 12 - **بوسلهام بن الفقيه النظام الخلفي** ، ومحمد بن بوسلهام **الهواري** : سمساران لمينار من 1879 الى 1885 .

82 . نفس المصدر ج 2 ص 514 (2)

83 . نفس الصفحة والمصدر أيضا ، وكذلك ج 5 ص 250 ، حيث ذكر المؤلف السمسارة أصحاب الأرقام 2 و 3 و 4 و 5 و 11 ، ثم رسالة باطنوطر المشار إليها في الهامشة 80 أعلاه . وأخيرا رسالة دوبيني الى أنطريس في 1 مارس 1893/15 شعبان 1310 ، محفوظة الطريس 33 .

ب - 2 - من غيرها

13 - الحاج محمد الحراق الطليقي الهواري : كان سنة 1892 سمسارا له أيضا (84) .

14 - الحاج محمد بن منصور الخليفي : كان سنة 1894 سمسارا للتاجر دولار (85) الذي هو ده لاروش حسبما يلوح .

15 - محمد بن الحاج الزيانبي : مثله سنة 1889 للقنصل ده لاروش (86)

ت - المستوطنون

I - كامي ده لاروش القنصل المذكور أعلاه كان له سمسرة قبل سنة 1881 عددهم ستة عملوا معه مدة 14 سنة (87) ولم أقف على أسمائهم ، وقد استوطن المدينة سنة 1860 وانتظر أكثر من سنة للحصول على مستقر هو وجاك الأطرش آتي الذكر (88) ، ولكنه كان مكتريا لأحد أملاك المخزن سنة 1871 (89) . ومع ذلك كان ماطلا في أداء وجيبة الكراء لناظر الأحباس بالمدينة (90) وذلك سنة 1889 .

وتفيد تقاييد الأمناء أنه كان يصدر عددا من البضائع والمنتجات المغربية مثل الصوف والحصر وسرغينة وجلود المعز ، ويستورد الكبريت على يد كاتبه إرفاتو (91) .

84 . رسالة سوار الى الطريس في 9 رجب 1309/8 يبرابر 1892 . محفظة الطريس 22
85 . رسالة دوييني الى الطريس في 10 يبرابر 1891/1 شعبان 1311 ، محفظة المغرب فرنسا .

86 . رسالة باطنوطر المذكورة في الهامشة 80 أعلاه

87 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 552 (7)

88 . المصدر السابق ج 2 ص 180

89 . تلخيص الداخل على أمناء مرسى العرائش 1871/1287 ، محفظة العرائش 1

90 . رسالة الناظر الحاج أحمد بن علي الى الطريس في 28 رمضان 1306/28 ماي 1889 ، محفظة الطريس 13 .

91 . محفظة العرائش : 1

2 - **جاء الأطراس أو الأطرش** Alatras وهو من يهود حلب بسوريا ، وقد استوطن المدينة منذ سنة 1864 وأقدم على شركات مع المغاربة وتعامل مع السلطات التي حجزت عنه تأييدها فمات سنة 1866 مفلسا بالعرائش (92) .

3 - **فليب مینار** وكان سنة 1866 مصدرا للصوف الجزء (93) لأنه كان يهتم بها منذ 1853 ووسع نطاق تجارته انطلاقا من العرائش وجعل مركزين بالرباط والدار البيضاء .

4 - **جان ديزيري سيريس** J. D. SERIEYZ صير مینار وشريكه

5 - **ألكسندر سيريس** وهو شقيق السابق وكان يعيش أيضا بنفس المدينة (94) .

6 - **جورج ده لاروش** وصل سنة 1892 الى المغرب (95) وقد يكون شقيق السابق .

7 - **لوي ده لاروش**

وكان له سنة 1890 سماسرة بالغرب ، كما كانت له معاملات مع بعض الرسميين، إذ كانت له سنة 1890 ديون على أبي بكر الحباسي قائد بني مالك وعلى محمد أزطوط العرائشي (96) الذي ربما كان أمينا .

وأيا كان الأمر ، فقد كان عدد الجالية الفرنسية بالعرائش يبلغ 10 أشخاص في أواخر القرن الماضي ، وكان ده لاروش أكبر تاجر فرنسي بالمدينة وقد حاول أن يكون رجل صناعة (97) .

92 . جان لوي ميسج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 512 (7)

93 . محفظة العرائش I

94 . جان لوي ميسج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 513 (1 و 3)

95 . أ. بروشبي : «السجل الذهبي . . .» ص 97

96 . رسالة باطنوطر الى الطريس في 4 شوال 1307/24 ماي 1890 ، محفظة المغرب فرنسا

97 . أجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 90

4 : القصر الكبير وايالات الغرب

المطلب الأول : الولاية والسكان

أجمع هنا كل ما يتعلق بولاية هاته المدينة وأحوازها القريبة .

أ - ولاية القصر الكبير

غالبا ما كانت إيالة المدينة منضمة بالأصالة أو بالنيابة الى عمالة العرائش حسبما سلف فى الفصل الماضى . ومن العمال الذين وقفت على أسمائهم :

1 - **محمد ولد أبنا محمد الشرقى** الذى أسندت اليه ادارة الشؤون المحلية بالقصر والعرائش منذ العهد الرحمانى حتى توفي سنة 1884 .

2 - **المكى بن محمد التلاوانى الحسنى** عين عاملا وكان سنة 1886 هو الذى يباشر هاته الوظيفة . ولكن :

3 - **أحمد بن التهامى التلاوانى الحسنى** أصبح بعد ذلك قائدا على القصر والعرائش .

4 - وحوالى سنة 1894 كان **الطاهر الزفرى** هو عامل المدينة (I)

1 . رسالة فى 24 قعدة 1311/24 ماي 1894 ، محفوظة الحسنى الأول : 2

ومن خلفاء العمال كان العربي بن بوسلهام الكرطي سنة 1885 مساعداً للملكي التالوتي (2) بينما كان أحمد بن الطيب ابن الجائزة سنة 1888 هو الذي تولى النيابة (3) عن أحمد بن التهامي .

• • •

ب - ولاية قبائل الغرب

ليس في الوسع إحصاء جميع العمال من أرباض مدينة القصر حتى شرقي أزغار (مدينة سيدي قاسم بوعسرية الحالية) وإلى شمال قنيطرة علي وعدي (مدينة القنيطرة الحالية) ، فقد كانوا من الكثرة وكانت الايلات من التشتت ، والقبائل من التوزع بحيث لا طاقة لذلك ، لا سيما وأن الوثائق المتعلقة بالموضوع لا تزال مبعثرة لم تلق دراسة ولا تمحيصا .

وحسبنا هنا ما ورد في بعض المصادر المغربية والأجنبية غميسها ومطبوعها ، وسيكون عبارة عن نبذ عن ثلاث قبائل مشهورة هي سفيان وبنو مالك وبنو حسن ، دون التعرض لولاية قبائل المناصرة وطلليق والخلط والحضاصرة الذين لم يتيسر الوقوف على شيء عنهم ، فلربما كانت إيالاتهم مندمجة في إيالات القبائل الكبرى بالغرب .

ب I - ولاية سفيان

سفيان قبيلة عربية يقع بترابها مركز أحد كورت الحالي ، وكان علينا من القواد :

I - عبد السلام بن عبد الكريم ابن عودة السفياني الحارثي ، ولي قبل نونبر 1843 على الغرب (4) ومكث في الولاية II سنة حتى قسام عليه

2 . من موجب عدلي في 22 ربيع الثاني 1303/28 يناير 1886 . محفظة الطريس 7

3 . رسالة في 27 قعدة 1305/5 غشت 1888 . محفظة الطريس 13

4 . رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي في 12 محرم 1261/21 يناير 1815 . محفظة بوسلهام 4 ، ومحمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 174 حيث رسالة إلى محمد أشعاش في 13 شوال 1259/6 نونبر 1843

إخوانه وهجموا عليه فلم يقدر على قتالهم ولجأ إلى جبل صرصر بأولاده فعزل عنهم (5) .

وكان عبد السلام منذ بداية أمره على خلاف مع جوارحه من الولاية ومع محكوميه ، فكتب بوسلهام بن علي سنة 1846 إلى سيدي محمد بن عبد الرحمان رسالة في شأن الاختصاص الترابي أجابه عنها الأمير في «شأن الطالب عبد السلام بن عبد الكريم وما يرتكبه من خرق القوانين بالتعرض على ناس من إيالتك ، والتصرف على أولاد جلول الذين في الغرب بالذعيرة والولاية والعزل . فقد كلمناه في ذلك فحلف أيثمانا مُحَرَجَة أنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، وإنما يقبض على من حصل بيده من السراق من أي قبيلة كان ، لأنه مأمور بذلك .

«وقد سمعنا منه ومن خليفتك بوسلهام وعرفنا ما يدعي به كل منهما ، والأمر في ذلك سهل ، لأن الحق أبلج ، والباطل لجَلَسَج ، فما وقع الاقرار فيه من الجانبين يُفَاصِل ، وما وقع فيه الانكار يُخْتَار عشرة — من أعيان الجانب المُتَكَبِّر لما ادعى به عليه — من أهل الدين الذين لا يتعمدون الحلف على الباطل ويحلفون .

«وها نحن وجهنا صاحبنا به' للوقوف على ذلك والتردد بينك وبين الطالب عبد السلام المذكور حتى ترد المظالم وتؤدي الحقوق من الجانبين» (6) .

ولي عبد السلام لا على سفيان فقط ولكن على طرف من بني مالك أيضا ، ومن ذلك أنه حدث سنة 1845 خلاف على من يتولى على فخدة سيّار وفخدة أولاد بوعكل ، وهل هما من إيالة عبد السلام أم من عمالة أبي سلهام بن علي ، وقد أرسل الأخير كتابا إلى السلطان يعلمه بخبر هذا التنازع أجابه عنه أنه بعد ما وجه الحاج العربي (7) صحبة «كتابه رسماً بأنهم من جملة

5 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 228

6 . رسالة الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى بوسلهام بن علي في 25 شوال

16/1262 أكتوبر 1846 ، محفظة بوسلهام بن علي 5

7 . نظن أن المقصود هو الحاج العربي الوزاني

الأخلط ، وجه القائد عبد السلام الظهائر التي بأيديهم أنهم من جملة بني مالك ، واحتج بأنهم لو كانوا من الخلط لرجعوا على يد كاتبنا محمد بن ادريس حين كنا وجهناه على عهد ولاية كاتبنا الطالب عبد السلام السلوي ليرد خراج الأخلط من عند سفيان وبني مالك ، وكانت الفرقتان حينئذ في ولاية عاملهما ولم يرجعا من جملة من رجع ، ولم يطالب كاتبنا السلوي المذكور بوجوعهما وعلى تقدير كونهما من الأخلط ، وولينا عليهما عامل الغرب لكونهما في وسط إيلاته ، لما كان في ذلك كبير فائدة يحتاج معهما الى تكرار المراجعة وكثرة الكلام ، إذ هما فرقتان ضعيفتان ، فأحرى وببده شبهة من تقدمه مع الظهائر . . . » (8)

وهكذا وبعد بضعة أشهر حل السلطان تنازع الاختصاص ، فقال للعامل أبي سلهم : «حسمنا مادة النزاع على الفرقتين المتنازع فيهما السيايرة والعواكلة ، أما السيايرة فقد رددناها للأخلط حيث كان يتصرف عليهم كثيرا ، وأما العواكلة فقد أبقيناها في ولاية الغرب لأنهم لم يخرجوا عن تصرف عماله . فسلمتهم لخالنا عبد السلام وقنع الخلط عن طلبهم ، كما أمرنا خالنا المذكور برفع اليد عن السيايرة وتسليمهم لولايتك » (9) .

وطالت ولاية عبد السلام حتى 1856 لما أخرجه إخوانه من داره وفر ناجياً بنفسه حسبما مر بنا آنفا . وقد توفي عبد السلام بعد ذلك في حرب تطوان (10) .

2 - ابنه عبد الكريم ولي إثره مباشرة أو بعد مدة قليلة ، وعلى كل حال قبل سنة 1862 حين قتله أصحاب الروكي : الجيلالي السفياني واقتحموا داره وقتلوا من كان معه (11) .

8 . رسالة مولاي عبد الرحمن الى بوسلهم في 9 جمادى الاخرة 1261/15 يونيو 1815 ،
محفوظة بوسلهم 4

9 . رسالة السلطان الى بوسلهم في 1 شعبان 8 غشت ، المحفوظة نفسها

10 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 100

11 . المصدر السابق ص 108 ، والجيلالي هذا هو غير الجيلالي الزرهوني المعروف بابي حمارة .

3 - ويبدو أن ابنه الثاني محمد بن عبد السلام ابن عودة هو الذي خلفه مباشرة ، وكان قائدا قبل صعود الحسن الأول الى العرش (I2) حتى ألقى عليه القبض في بداية 1880 فمات في السنة التي بعدها ، وكان ترك وحيث ما له بالقصر من الفنادق والحوانيت بعد ما وقع له ما وقع مع عبد السلام الشاوش (I3) . وكانت قرية ابن عودة الموجودة الآن بتراب قبيلة بني مالك قرب سوق الأربعاء تنسب الى أسرة هذا القائد المعزول الذي يظهر مما تقدم أنه كان من المثرين ، وسيأتي كلام عنه أيضا في قضية محمد بن عبد الله المصمودي شريك منصور ملحمة الترجمان بالمفوضية الألمانية بطنجة .

4 - ولما نكب ابن عودة عين السلطان عاملا مؤقتا هو على ما يبدو من خارج القبيلة واسمه عبد الله بن علي الزيراوي الذي كان سنة 1881 قائدا ولفترة ما (I4) .

5 - وبعده عين السلطان الحاج بوسلهام بن المصطفى الرموش على القبيلة وهو ابن عم القائد ابن عودة (I5) وبقي واليا الى أن عزل سنة 1893 .

ويحكي الطريس في جوابه للسلطان أن «جل أبناء عم بوسلهام السفياي وقرابته ، الذين كانت أيديهم تجول في القبيلة أيام ولايته بالحيث والظلم لما وقع القبض عليه ، صاروا يتوجهون لطنجة بقصد الدخول في الحماية والمخالطة مع تجار الأجناس ليتستروا بذلك الخ . وأمرنا مولانا بأن نعلم النواب هنا بأن المخزن لا يقبل حمايتهم ولا مخالطتهم حيث هم متبوعون بما ذكر» (I6) .

12 . بيعة أهل القصر والغرب للحسن الأول في «الوثائق» ج 3 ص 166

13 . رسالة محمد ولد ابا محمد الشرقي الى بركاش في 27 ربيع الثاني 1298/29 مارس 1881 ، محفظة المغرب فرنسا .

14 . رسالة أحمد المصمودي ومحمد الكباش وأبي بكر الحباسي وعبد الله بن علي الزيراري (أو الزيراوي) الى بركاش في 29 صفر 1298/متن يناير 1881 ، محفظة بركاش .

15 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 197

16 . جواب الطريس للسلطان في متن قعدة 1310/15 يونيو 1893 ، محفظة الطريس .

6 - وبعد تنحية بوسلهام ولي علي القبيلة القائد محمد بن بوبكر الحباسي ، لكن «أهل الغرب تمردوا وعصوا وخصوصا بعد عزل السفيفاني وتولية الحباسي عليهم الذي لم يقدر على ردع العصاة» ، فولي اثنان من القبيلة فلم يفلحوا فصارت طرق الغرب مقطوعة وكثر النهاب والسرقة والتراخي عن الخدمة العسكرية والفرار من الجيش» ، وقد أمر السلطان نائبه باعلام ممثلي الدول بوجوب حيازة التجار أموالهم منهم وعدم مخالطتهم (I7) .

7 - وآخر ولاية سفيفان في نهاية القرن الماضي وبداية الحالي كان هو محمد بن عبد الله الفضلي (I8) .

* * *

ب 2 - ولاية بني مالك

كانوا في مبدأ أمرهم وخصوصا في منتصف القرن التاسع عشر من الحباسة الذين هم مهاجرون جزائريون من إيغليزان ناحية مستغانم (I9) ، وبتراب القبيلة يقع مركز سوق أربعاء الغرب المعروف قديما بسوق أربعاء سيدي عيسى ابن الأحسن ، وقد تولى عليها بعض قواد سفيفان مثلما ولي هؤلاء كذلك على قبيلة بني مالك في عهود استثنائية ، فمن العمال :

I - محمد بن الحاج الحباسي كان منذ سنة 1845 عاملا على الغرب وبالتالي على بني مالك (20) . وفي هاته السنة وقعت له حادثة غريبة سجن من أجلها مدة ، ولكنه سرح وعفا عنه السلطان بحيث نجده عاملا سنة 1851 .

وصورتها أن بوسلهام بن علي كتب الى مولاي عبد الرحمان رسالة يخبره بمال استخرج من دار الحباسي من تحت حفرتين أجابه عنها العاهل

17 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 محرم 1311/2 غشت 1893 ، محفظة الطريس 25

18 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 99

19 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 99

20 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 93

بقوله : «علمنا ما ذكرتَ في شأن الحباسي وداره والمال المستخرج منها والمدعى به ، ووصل الرسم الذي وجهتَ بشهادة الواقفين . فاعلم أننا أمرنا بسؤال الطالب عبد السلام (21) عن ذلك ، فذكر أن الحفرتين - اللتين عاينهما من وجهتَ مكان نخلتين كانتا هناك - أُقلعتا للحطب لا غير ، والدار ليست عليها عمارة بحيث كان المال عنده بها ، فلو عجل استخراجَه ودفعه أو نبه عليه لجعل الحرس عليها ، فليقم على ساق الجد في أداء ما عليه إن أراد الخير لنفسه » (22) .

وبعد شهرين صدر الأمر السلطاني إلى بوسلهم بأن يوجه «لحضرتنا العالية بالله محمد بن الحاج الحباسي في كبله ليُبعَد عن القيل والقال ولا ينسب إليه ما لم يَقُل ، وأخواه يبقيان هناك لأداء ما وظفنا عليه وجمعه ، وأنت على ضمانك ، وحين يؤدي ذلك يسرح ويسكن بعياله هنا إن شاء الله ، ووجه صحبته ما يكفي من الخيل لحفظه من أهل العرائش والأودية» (23) .

ولم تكد تمر إلا بضعة أيام حتى «ورد على حضرتنا الشريفة الحباسي في كبله صحبة الخيل التي وجهت معه ، ولن يكون له إن شاء الله إلا الخير إن أدى ما عليه وأنصف من نفسه» (24) ، وبعد ذلك أمر السلطان نائبه بتوجيه «عيال الحباسي واصلين لمكناسة» وبأن يرسل «معهم أخاه وذوي محرمهم» وبأن يحتاط «عليهم حتى يأتوا في حفظ وصيانة ، من غير كشف ستر ولا إهانة» (25) .

21 . لعل المقصود هو عبد السلام بن عبد الكريم ابن عودة عامل قبيلة سفيان

22 . رسالة السلطان إلى بوسلهم في ربيع الثاني 1261/24 أبريل 1815 . مخطئة بوسلهم 4

23 . رسالة السلطان إلى بوسلهم في 16 جمادى الثانية 1261/22 يونيو 1845 . بالمحفظة نفسها .

24 . رسالة السلطان إلى بوسلهم في 28 جمادى الثانية/3 يوليو . المحفظة نفسها

25 . رسالة السلطان إلى بوسلهم في 7 شعبان/11 غشت المحفظة نفسها أيضا

والظاهر مما تقدم أن المال المستخرج كان اما ثروة للعامل جمعها بحكم طول منصبه الاداري ، وإنما أنه كنز عثر عليه بينما هو من حق بيت المال . غير أن القضية حلت فأدى ما عليه وأُعيد الى منصبه الأول ، مما يدل على عدم شرعية المال المكتسب أو على ظلم الولاة وعسفهم .

2 - وفي سنة 1860 كان **أبوبكر بن محمد الحباسي** عاملا على القبيلة ، واستمر في ولايته زمنا طويلا ، حتى اذتهِم هو الآخر في اواخر العهد الحسني - بعد أن «استطاع أن يجمع تحت سلطته كل القبيلة - باكتساب ثروة لم تكن عنده فسجنه المخزن ، وكانت نكبته واضحة : فبين عشية وضحاها قسمت القبيلة الى خمس إيالات لم يبق منها اليوم (26) الا ثلاثة ، وكان لفخدة أولاد عيسى قائدها الخاص ، أما الباقي فجزئ الى قسمين . . . » ، وكان عامل القبيلة هو «العربي بن المسيّح الحباسي أحد أقارب العامل المعزول ، وكان يقطن بقرية الحباسي ويسكن حول القرية جميع أعضاء فرقته» (27) .

ولعله - لما عُرِل - سُجن أو نفي الى المغرب الشرقي حتى «اشتكى بتمريره وبقائه فارغ الأشغال» أثناء فتنة أبي حمارة (28) .

3 - وكان **محمد بن أبي بكر الحباسي** خليفة لأبيه على ما يظهر وما لبث أن صار حوالي 1891 عاملا (29) على القبيلة أو على جزء من عشائرها واستمر في الولاية الى ما بعد 1903 على الأقل (30) .

4 - ومن القواد أيضا **العربي بن المسيّح المذكور** آنفا ، ولعله إنما كان واليا على فخدة أو عشيرة بعد توزيع إيالة أبي بكر الحباسي .

26 . أي سنة 1903

27 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 98 - 99

28 . رسالة أحمد الركينة الى الطريس في 8 رمضان 1321/28 نونبر 1903 ، وثائق الترتيب العام 1321

29 . رسالة محمد الحباسي الى الطريس في 19 محرم 1309/25 غشت 1891 . محفظة الطريس 21

30 . رسالة محمد الحباسي الى الطريس في 4 رمضان 1321/24 نونبر 1903 ، وثائق الترتيب العام سنة 1321

ومن أقدم قواد بني مالك وسفيان : الحاج محمد بن الفاسي وعلي بن عيسى ومحمد المعتوكي وقاسم بن الخضر . وكانوا جميعا في اواخر العهد السلیماني (31) .

* * *

ب 3 - ولاية بني حسن

تعاقب على تصريف شؤون هاته القبيلة عدد كبير من القواد خلال عهود مختلفة فتضخمت الايالات تضخما يستحيل معه الوقوف على أسمائهم وتحديد مناطق نفوذهم على وجه الدقة ، وكان من الولاية في العهد السلیماني محمد بن العامري اليحياوي (32) ، أما بعد ذلك فولي آخرون ، منهم :

I - **الغازي ابن العامري** الذي كان سنة 1863 أحد عمال هاته القبيلة (33) أو شطر منها .

2 - وفي سنة 1882 كان على بني حسن قواد أربعة هم : **الهاشمي البورحمادي والحسن بن غانم التروطي ومحمد بن العياشي العمري ومحمد بن الحسن اليعشي** الذي خلفه ابنه التهامي ، ولا يستبعد أن يكون ضمنهم قواد قبيلة عامر .

ومن جملة العمال أيضا ابن القرشي والصفاعي وغيرهما .

3 - ومن أشهر العمال سنة 1888 كان **احميدة بن المكي المختاري** (34)

4 - وفي سنة 1894 نجد أن أكبر قائد بهاته القبيلة كان هو **محمد**

الكداري (35) الذي اشتهر بثروته وسلطته .

31 . محمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 1 ص 236

32 . المرجع السابق

33 . رسالة في 27 ربيع الثاني 1280/11 أكتوبر 1863 . محفظة بركاش

34 . رسالة السلطان الى الطريس في 4 ربيع الاول 1306/8 نونبر 1888 . محفظة

الطريس 14

35 . رسالة كانتاغالي الى الطريس في 12 يناير 1894 . محفظة المغرب ايطاليا

قبيلة بني حسن واقعة بمنطقة غنية ، وكانت سنة 1903 تتوزع الى 12 فخدة أو عودا ، يشرف على 6 عشائر منها القائد الكداري ، بينما كان 16 عاملا يشرفون على الست الباقية .

وهكذا عين على اثنتين من الفخدات المعروفة بشنعيها أربعة قواد لكل واحدة منها ، وكان لفخدة أخرى ثلاثة عمال ، أما الفخدات الثلاث الباقية فكان لكل واحدة عامل أو عاملان ، وبهذا كان لبني حسن سنة 1903 أكبر عدد من السلطات الادارية بلغت 17 قائدا (36) :

5 - على أن بعض عمال سلا كانوا يتولون على عشيرة من بني حسن (37) في وقت من الأوقات .

• • •

ت - السكان

على الرغم من أن هاته المدينة كانت مجاورة لمنطقة اقتصادية وبشرية هامة لم أقف على عدد سكانها ولا على تعداد أهل أحوازها خلال القرن التاسع عشر .

غير أن سكان المدينة كانوا يقدرون في أواخر القرن الماضي بنحو عشرة آلاف ، منهم ألفان من اليهود .

ومن السكان المسلمين أذكر بوجود طوائف مهمة من الجزائريين وعلى رأسهم عبد السلام الشاوش وابنه أحمد ومحمد عدة ، فقد كانوا من كبار الملاكين العقاريين في نهاية القرن ، وكان الجزائريون من الكثرة بحيث بنوا مسجدا حمل اسم جامع الكزيريين (38) .

وكاد السلك القنصلي يكون شبه منعدم . وقليل من التجار الأجانب من كان يقطن بالمدينة ، لأن القصر لم يكن ثغرا ولا هو مرسى وإنما كان محتشدا لانتاج الغرب الذي كان يصدر بعضه الى الخارج من مرسى العرائش .

36 . أوجين أوبن : «مغرب اليوم» ص 102

37 . المصدر السابق

38 . المصدر نفسه ص 88

ومن الدول التي كان لها وجود ضعيف في هاته الفترة : ألمانيا والولايات المتحدة وهولاندة والنمسا واسبانيا وايطاليا وانجلترا والبرتغال وبلجيكا وفرنسا ، ولم يكن عدد السماسرة والمحميين يتجاوز 80 شخصا ، زيادة على الخلطاء الذين بلغوا أعدادا كثيرة بقبائل الغرب ولا سيما بني مالك التي كان بها سنة 1881 وحدها ازيد من 41 خليطا (39) فضلا عما وقع بعد ذلك.

ويوضح الجدولان الآتيان أعداد المحميين والسماسرة :

ت 1 المحميون :

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
الولايات المتحدة	4	1	5
النمسا	1	—	1
فرنسا	—	2	2
البرتغال	2	—	2
الجميع	7	3	10

39 . من «تقييد المخالطين للقوانين وتجار الاجناس من قبيلة بني مالك» . محفظة الحمزة القنصلية ، وهو عاز من التاريخ ، لكن خطه شبيه برسالة أبي بكر العباسي الى بركاش في 29 جمادى الاولى 1298/29 أبريل 1881

ت 2 - السماسرة :

الجميع	المسلمون	اليهود	الدول
3	2	1	ألمانيا
2	1	1	الولايات المتحدة
3	2	1	النمسا
2	2	-	هولاندا
24	21	3	انجلترا
1	1		اسبانيا
11	8	3	ايطاليا
13	10	3	فرنسا
3	3	-	البرتغال
8	8	-	بلجيكا
70	58	12	الجميع

المطلب الثاني : ألمانيا

لم يكن لها تمثيل قنصلي بالقصر وانما كان لها خليط شبه محمي وسمساران أحدهما : إسحاق كوهن سمسار روبينو ROBINO وأولاده المقيمين بهامبورغ . وقد جاء ذكره في لاثحتي 1881 و 1882 ، والثاني هو محمد الشباني وهو من قبيلة بني حسن ذكر محمياً سنة 1882 وجاء اسمه في قائمتي سنة 1884 و 1885 سمساراً لهسنير ويواخيمسون القاطنين بطنجة ، وكانت

السلطات المحلية تعيب عليه تنطعه . فأخرج من الحماية سنة 1886 هو وأخوه
لخيانة الثقة (40) .

أما الخليط فهو محمد بن عبد الله أو مالك المصمودي الذي كان شريكا
للترجمان منصور ملحمة ، وكان اعتقاله سنة 1881 سببا في تكدير العلاقات
بين المخزن والسفير قيبيير ، وسنعرف السبب في سجنه من خلال الوثائق
المخزنية التي ساقنا لها طرفاً من التفاصيل عن نازلته .

قضية المصمودي

ذكرت رسالة سلطانية الى بركاش جواباً عن كتاب النائب : «وما ذكرته
في شأن باشدور البروس من أنه كان من جملة من كان واقفا معكم في الوفق
المذكور (41) حتى وقعت له بسبب ذلك المشاحنة والمقاطعة مع بعض النواب.
غير أنك رأيته الآن تبدل حاله بسبب وقعة ولد عبد الله أ'مالك المصمودي
شريك ترجمانه ، وتبدله مضر بذلك وبغيره ، وصار منا على بال .

«فاعلم أن ذلك الرجل شاع فساده ولا يخفى على أحد ، واسئل عنه
سماسرتهم والحاج عبد السلام ولد الحاج العربي الوزاني هناك ، ومع هذا
فانما أطفالنا به نار الفتنة ، وعما قريب بحول الله ينتدرك أمره ويُنْجبر كسره .
فطيب له نفسه حتى يرجع لما كان ، فانك عاقل تعرف ما تأتي وما تذر في
ذلك . وقد كتب لنا في ذلك وأجيب بما تصلك نسخة منه طيه .

والسلام في 9 رجب 1298» (42) .

النسخة المطوية تحتوي على جملة من الفوائد التاريخية ، وهي موجهة
من المخزن الى السفير تيودور قيبيير جواباً عن رسالته التي سبق له أن بعثها

40 . رسالة حمو بن الجيلالي الى بركاش في 12 صفر 1300/23 دجنبر 1882 ورسالة
تيسنا الى الطريس في 31 مايو 1886/27 شعبان 1303 ، محفظة المغرب الماني

41 . أي معاهدة مدريد

12 . الموافق 7 يونيو 1881 ، من وثائق الخزنة العامة بالرباط

الى السلطان ، وها هي مقتطفات جد وافية منها أقدمها مثالا للرسائل
الديبلوماسية المخزنية :

«وبعدُ وصل كتابك الذى وجهته للحضرة الشريفة وتصفحه سيدنا
- نصره الله - وعلم ما ذكرته فيه من بذلك المجهود فى السعي فى الخير لآياله
السعيدة والوقوف فى ترتيب قانون الوظائف وغير ذلك ، راجيا انقطاع ما عليه
بعض العمال من التعدي المؤدى لتكدير الخواطر الذى من جملته ما وقع لولد
عبد الله بن مالك المصمودي شريك ترجمانك من القبض عليه وعلى ولديه
وحيازة أمتعته بالسبب الذى بيّنه لك النائب السيد محمد بركاش مع أنه
لم يثبت عندك وإنما ثبت عندك كون العامل هو الذى تسبب فى ذلك لا
المذكور ، وأن الحضرة المولوية لم تبلغها حقيقة القضية .

«وظهر لك أن تعيّن الحضرة الشريفة رجلين أمينين وتعيّن أنت
رجلين كذلك ويتوجهوا جميعا فى رفقة واحدة للقبيلة وجوارها ويبحثوا عن
سيرة الرجل المذكور ، وما رُمي به ، وإن ثبت عليه التعصب بالفساد والسعي
فى الفتنة لا تقبل ذلك منه . وإن لم يثبت ، تعاقب الحضرة الشريفة الأناس
العشرة الذين وجههم العامل للشكاية وتحكم بمقتضى نظرها على العامل
الموجه لهم .

«وأنك قدمت الاعلام للحضرة المولوية بهاذه القضية قبل إعلامك
سلطانك المعظم بها ، لتحقيقك بأن كل قضية رفعت للحضرة الشريفة يقع
الانصاف فيها .

«وصار جميع ما ذكرته فيه بباله الشريف .

«وأمرنا - أيده الله - أن نجيبك أيها المحب الناصح عما ذكرته - من
بذلك المجهود فى السعي فى الخير لآياله السعيدة - بأنه أعزه الله يعرف
ذلك ويعترف به ، وأنه على يقين من أنك من الوسائط العقلاء . . . ويستحسن
سيرتك ومصارفتك ويدعوا لك ويجازيك بالخير .

«وعما ذكرته من تعدي العمال على الرعية ، فانه - أيده الله - غير غافل عن حثهم على الرفق بالرعية وعدم الحيف عليها ومقابلتها بالعدل والسلوك بها مسلك الحق ، كما أنه - أعزه الله - غير مقصر في البحث عن أحوالهم وسيرتهم معها ، ولا يقر - دام علاه - أحدا منهم على ظلمه لها

«وعما وقع للمذكور فان حقيقة أمره واضحة وضوح الشمس يعرفها الخاص والعام من القبائل المجاورين لقبيلته ومن حاشية الجنب الشريف ، وأمرنا - أعزه الله - بشرحها لك .

«وهي أن هذا الرجل لا ولاية له على قبيلته بشياخة ولا بغيرها ، وإنما كان منحاشا للبقالي (43) ومتعصبا به ، وصار يترامى على الناس يعزل من شاء من الأشياخ ، ويولي من شاء ، ويقبض ما شاء ، وجالت يده في أموال الناس وأمتعتهم بسبب ركونه للمذكور ، حتى صار عامل القبيلة يساعده اتقاء لشره .

«ومن جملة ذلك مساعدته له على قبض الذعيرة من قبيلة مصمودة على يده ، فقبض من كل شيخ ما شاء الى أن حصل من القبيلة خمسين ألف ريال توصل ابن عودة منها بعشرين ألفا . والباقي استبد به هو ، واشترى ديارا بالقصر ونصف فندق من أولاد الطود بست وأربعين مائة ريال وحوانيت وبلادات وديارا بوزان ، وبني دارا بالقبيلة مثل دور كبراء العمال .

«وحيث توفي البقالي تعلق بترجمانكم بقصد أن يتمادى على حاله ، ولما عزل ابن عودة وولي القائد بوسلهام صار يغري قبيلة مصمودة على عدم الانقياد اليه وعلى الخروج عنه ، وتوجيه جماعة منهم للحضرة الشريفة لتدخل الحرم وتطلب عدم ولايته ، فساعده على ذلك من كان يخوض في القبيلة أيام ولاية ابن عودة ووردوا للحضرة المولوية واحترموا وطلبوا ذلك ، وحيث لم

43 . قد يكون هو عبد السلام بن علي البقالي الذي هو من «الشخصيات الغربية الاطوار» (عبد الوهاب بن منصور : «لوثائق» ج 3 ص 79)

يساعدوا ورجعوا للقبيلة أغراهم على الصالحين التابعين للعامل الذين لم يساعدوه على الخروج عليه ، وهم أهل مدشر ثمة ، وحرصهم على تحريق دورهم وهدمها وأكل ما اشتملت عليه ، فعمدوا اليها وفعلوا بها ذلك ، واحترم البعض من أهل المدشر المذكور ببني مستارة ، والبعض بغزاوة ، والبعض برهونة ، ورفعوا شكايتهم للحضرة العالية بالله .

« فلم يستعجل به سيدنا أيده الله حتى وجه ابن عمه مولاي ادريس بن المهدي يحقق ذلك ، فأخبر بأنه بالغ في البحث عنه في القبائل المجاورين لهم واستشهدهم ، فشهدوا بأنهم فعلوا ذلك بإشارة المذكور وصهره ولد الفلاق وقاضي القبيلة ، حسبما تقف عليه في الرسوم الواصلة إليك طيه مع الرسم المتضمن لما أكل لهم ، وكثر التشكي من الجوار وشرفاء وزان .

« ولو سمع - دام نصره - قول العامل فيه لما وجه ابن عمه المذكور للبحث ولما أخره حتى كتب فيه الشرفاء المذكورون وغيرهم ، وقد كان مولانا المنصور بالله يحاول إخراج أمر ولد عبد الله المذكور بسلام حيث هو مخالط لجانبكم المحب ، فاذا به تمادى على الخوض والفساد ، ولم يجعل لتراميه ولا للمخزن فسحة في إخراج أمره بسلام ، حتى أحال حال القبيلة وصيّر من كان صالحا منها فاسدا ، وتشوف الجبال للفساد بسبب ذلك ، وكادوا أن يعودوا الى ما كانوا عليه من الفساد ، ونزل عنده بوقبة رئيس الفسّاد ، حسبما تقف عليه في مكاتب الشرفاء المذكورين وغيرهم .

« فبادر مولانا - نصره الله - لاطفاء نار الفتنة وانتقاذ المذكور من أيدي العمال وجعله في السجن على يده رعاية لانحياشه لجانبكم ، وإلا فإن هذا الأمر الذي ارتكب يستوجب عليه في شرعنا القتل أو التصليب أو التخليه أو النفي من الأرض .

« وحيث ، تكلمت فيه أيها المحب فلا يكون في أمره الا الخير بحول الله .

«وعما ظهر لك من تعيين الحضرة الشريفة رجلين أمينين وتعين أنت رجلين كذلك ... فلا بأس ليتضح ما ذكر أو ضده ، وهاهو وجه رجلين تقيين من حضرته الشريفة للنائب السيد محمد برقاش .

«وعما ذكرته من تقديم الاعلام بهذه القضية قبل إعلامك بها لسلطانك الفخيم لأجل ما ذكر ، فإن ذلك هو الظن بك والمعتقد فيك ، والأمر بحول الله هين ، فكل ما أردته يكون بيننا وبينك ولا تتوقف فيه على اعلام دولتك كما هو شأن المحبين ، لأن تقديمك الاعلام لها ينافي المحبة ، وحيث لم تقدمه فذلك دليل على محبتك وحسن وساطتك وسعيك في الخير بين الجانبين وحرصك عليه .

«جزيت خيرا على ذلك ، وعشت كما تحب ، ودمت بخير في جميع الأحوال ، مبارك لك في النفس والأهل والأولاد والمال .

«وختم في 8 رجب 1298» (44)

* * *

المطلب الثالث : الولايات المتحدة

كانت النيابة القنصلية بالعرائش تتولى الشؤون الأمريكية بالقصر الكبير ، ولو أن حمان السلاوي كان يدعي أنه ممثل هاته الدولة .

أ - المحميون

كان بالقصر محميون وسماسرة قليلون حفظت أسماءهم بعض الوثائق.

أ. 1 من قائمتي 59/69 و 60/69 :

I - 2 : شاعو ابن الديان : تاجر محمي وحمان السلاوي المدعو المر-كاني ، وهو أيضا تاجر محمي وذو خلطاء

أ. 2 من لائحة 22/69 :

3 . عيوش بن يهودا بنصولي : محمي كذلك سنة 1888

أ - 3 من غير ذلك :

4 . مير بورجل : تاجر كان حوالي سنة 1886 محميا (45)

5 . ابراهيم ابن الديان تاجر محمي كان له سنة 1894 نزاع مع
خلطائه (46) ،

ب . السماسرة والمستوطنون

لم يكن بهاته المدينة رعايا أمريكيون ، ولكن كان فيها سمساران اثنان :

ب I - من 4/69 الغفل :

I . روبين الترجمان : كان سمسارا ليهودي آخر مقيم بنيويورك
اسمه ليون غزيل ، وقد طلب القنصل العام ليويس سنة 1888 جعله سمسارا
لهذا التاجر (47) . فرد الطريس عليه بأن «هذا الشخص الذي سميتموه تاجرا
هو في نيويورك وليس هو بالمغرب ، ولا نعلم له تجارة كبيرة في الداخل ولا في
الخارج ، وكنطري تجاري في مرسى من مراسي المغرب ، ولا بد من وجود
هذه الأمور كلها وثبوتها» (48)

ويظهر أن المخزن لم يوافق على السمسرة له في ذلك الوقت (49)
ولربما ارتضاها بعد ذلك ، وكان الترجمان من كبار المرابين ، فاكسب ثروة

45 . من وثيقة عنوانها «هذا بيان الناس المذكورين في هذه الورقة» ، وهي بامضاء هانيوز ،
وليس فيها تاريخ ولا رقم من مكتبة تطوان ، وعدد الاشخاص المذكورين فيها 27 من فاس ومكناس
وطنجة والقصر ، وفيها ذكر المحمي رقم 2 أعلاه .

46 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 52

47 . رسالة ليويس الى الطريس في 12 جمادى الاولى 1305/26 يناير 1888 ، محفوظة
المغرب أمريكا

48 . مسودة جواب الطريس في 17 جمادى الاولى 1305 ، نفس المحفظة

49 . رسالة سطرور الى الطريس في 11 يناير 1889/19 جمادى الاولى 1307 ، نفس المحفظة

طائلة من المضاربة في آثار الجفاف الذي أصاب المغرب من سنة 1878 الى 1884 ، ومن الرسوم التي تركها له أبوه (50) .

ب - 2 . من غيرها :

2 . **عبد الرحمان اليعقوبي** ، كان سنة 1881 سمسارا لبرديكاريس الأمريكي القاطن بطنجة (51) ، وبقي حتى جرد من السمسرة حوالي 1886 حسبما سيأتي خبر ذلك مع فرنسا .

ولم يرد شيء عن المستوطنين سوى أن جاسپار ماثيوز كانت له خلطة فلاحية مع أهل الغرب ، ومثله في ذلك الدكتور وود الذي كانت له شراكة مع أهل قبيلتي سفيان وبني مالك .

* * *

المطلب الرابع : إنجلترا والنمسا وهولاندة

أ - السلك القنصلي :

في سنة 1888 كانت إنجلترا تتولى تمثيل نفسها والنيابة عن حاتين الدولتين الأخيرتين .

1 - **ليويس فورد** L. Forde الابن المستوطن بالعرائش كان نائبا قنصليا لبلاده قبل سنة 1883 بالقصر (52) الى أن اضطلع بذلك :

2 - **إدموند كارلطن** E. CARLETON المنحدر من أسرة قديمة الاستقرار بالمغرب ، إدموند هذا حل بطنجة أولا سنة 1886 ثم انتقل الى القصر

50 . محمد كنيب : «الحمايات القنصلية في أواخر القرن 19 وبداية القرن العشرين» (نسخة مرقونة لأطروحته ص 99)

51 . رسالة ماثيوز الى محمد ولد أبو محمد في 12 رجب 1299/30 ماي 1881 ، محفوظة ببركاش .

52 . جان لوي ميج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 364 (1)

سنة 1894 حيث اتخذ له ولاخيه إدوارد Edward خطاء ولربما سماسرة أيضا (53) .

ب - المحميون والسماسرة

لم تخل المدينة من محميين ولا من سماسرة ، وبما أن الوصاية كانت لانجلترا فقد اختلطت أسماؤهم ، ولكنني حاولت جهد المستطاع تمييز المحميين الانجليزيين عن غيرهم .

أولاً : النمسا

كان لها محمي واحد وثلاثة سماسرة ، أما المحمي فهو شاعو ساريما الذي كان سنة 1861 ترجمانا (54) .

وأما السماسرة فهم :

I - **يونة لاريدو** : الذي كان سنة 1887 يعمل لصالح حاييم بونطي ترجمان القنصلية العامة بطنجة (55) .

2 و 3 **وعلي بن الجيلالي السفياني ، والجيلالي بن احمد السفياني** : وكلاهما من ورغة ، وكانا بقبيلة سفيان سمسارين للمهندس موزبورغر القاطن بطنجة ، غير أن السلطات لم تعترف بالسمسرة له «لأنهما من أشياخ القبيلة عندنا ، وأبطلا حركة مولانا السعيدة وتخلفا عنها ، وكلفنا مولانا - أيده الله - بعقاب كل من بطّل أيا كان ، ولا سيما من الأشياخ ومن هو في خدمة المخزن ...» (56) . وكان ذلك سنة 1882 .

53 . المصدر نفسه ج 1 ص 96 و ج 3 ص 302 (4) و ص 307 (5)

54 . رسالة الى بركاش في 8 رجب 1279/30 دجنبر 1862 ، محفظة بركاش

55 . رسالة الطريس الى القنصل العام في 10 شعبان 1301/4 ماي 1887 ، محفظة المغرب النمسا

56 . رسالة بوسلهام بن المصطفى الى بركاش في 26 شوال 1299/10 سبتمبر 1882 ، محفظة بركاش

ثانياً : هولاندة

في سنة 1880 كان لأحد محميينها أو تجارها وهو : جبرو داركوز ربييل القاطن على ما يبدو بمدينة طنجة سمساران أوردهما ابن زيدان (57) وهما :

I - **علي اليوسفي** : سمساره بعين فلفل (58) بأحواز سوق أربعاء الغرب . وقد وصف موجب عدلي هذا السمسار بأنه هو واخواه الجيلالي والحاج العربي «من أهل الفساد والسرقة والخيانة ومجمع الفاسدين من كل بلاد ، وكثرت الشكاية بالأول لرياسته في الفساد ...» . والمعني به هو علي بن أحمد اليوسفي .

2 - **وبوسلهام التونسي** : سمسار له بيداوة

ثالثاً : إنجلترا

اقتطفت أسماء السماسرة من مصادر مختلفة منها :

أ. **التقييد الثالث لابن زيدان وقائمة السماسرة سنة 1879 معاً :**

I - **يوسف كارو** وهو من يهود القصر : وكان سمساراً للقنصل بالعرائش يوسف عيموسي ، ثم صار سنة 1890 نائباً ليعقوب فريروس (59) FERREROS ، ويعقوب هذا كان يدعى أحياناً فريريج الإنجليزي ، وكانت حركته التجارية سنة 1892 أو قبلها «قليلة جداً بالداخل والخارج بالنسبة الى غيره من التجار . . .» حسب تعبير أميني مرسى العرائش (60) .

57 . «العز والصولة» ج 1 ص 312 ، ولم أستطع ضبط اسم التاجر

58 . موجب في صفر 1302/دجنبر 1884 ، محفظة بركاش

59 . رسالة كرين الى الرئيس في 21 يونيو 1890/3 قعدة 1307 ، محفظة المغرب بريطانيا ، ويسميه ابن زيدان : يعقوب بن اريض ، وهو تحريف

60 . رسالة الأمين محمد بن عبد الهادي زنيبر وعبد الوهاب بن محمد بنيس الى الرئيس في 11 ربيع الاول 1310/3 أكتوبر 1892 ، محفظة الرئيس 23

وهو قديم الاستيطان بالقصر منذ ما قبل 1882 حين هجم 50 من جباله على داره وقتلوا ابنته ، فأمر السلطان بعقاب الجناة (61) .

2 - 3 - علي بن سلام العمراني : (أو : ابن سالم عند ابن زيدان) وأحمد بن العربي الشروني : سمساران له أيضا .

ب . من لائحة السماسرة سنة 1889

سنستعين بهاته القائمة وبوثائق أخرى أيضا للكشف عن اسماء السماسرة :

4 - شلومو بن مويال : سمسار منويل نوبيلة الكاتب بالسفارة البريطانية بطنجة .

5 - شلومو ملول مثله . وقد سبق لهذا السمسار أن اشتكى بأن ولاية القصر قد استولوا على خزين سلعته (62) .

6 - العربي الخياطي سمسار يوسف إيموسي . ولما توفي سنة 1889 طلب تعيين ابنه مكانه وهو :

7 - الحسن بن العربي الخياطي (63)

8 - محمد بن بوسلهام المنصوري الغرباوي سمسار بالغرب للتاجر الانجليزي أو الطارقي المقيم بطنجة أبيلارضو ساستري Abelardo SASTRE ويبدو أن السمسار من قبيلة المناصرة شمالي القنيطرة .

61 . رسالة السلطان الى برকাশ في 5 ربيع الثاني 1299/24 يراير 1882 ، محفظة برকাশ

62 . رسالة جون هي الى الطريس في 17 يراير 1886/13 جمادى الاولى 1303 ، محفظة برকাশ .

63 . رسالة كرين الى الطريس في 7 شتنبر 1889/11 محرم 1307 . محفظة المغرب بريطانيا . وام يرد ذكر الحسن في قائمة 1889

9 - **الحاج محمد ولد الحاج العربي القرشي الكربي** سمسار بقبيلة بني حسن للتاجر لويس فورد الابن أو الحفيد ، وقد استغني عنه سنة 1890 واقرحت المفوضية بدلا عنه :

10 - **العربي بن الحاج القرشي الكربي** (64)

11 - **محمد بن العربي ابن الكدير القرباوي الخنشوشي السفيناني** : سمسار بقبيلة سفينان ليوسف فابة القاطن بالعرائش . وكانت المفوضية قد اقترحتة هو ومن بعده :

12 - **الحاج بوسلهام بن الكدير ابن المصطفى** ليكونا سنة 1886 سمسارين ليوسف العسري القاطن بطنجة (65) .

ت - **من غيرها** (66)

13 - **محمد بن علي ابن ابراهيم** : رشح سنة 1892 ليكون سمسارا بقبيلة بني مالك للتاجر لويس فورد (67) .

14 - **أحمد بن حدو** : الذي لم أستطع تحديد موطنه وكان سمسارا قبل 1888 ليعقوب فريورس حتى استبدله بالسمسار :

15 - **محمد بن حماد كرطي** (68)

64 . رسالة كرين الى الطريس في 7 مارس 1890/15 رجب 1307 ، محفظة المغرب بريطانيا . ولم يذكر العربي في قائمة 1889 .

65 . رسالة جون هي الى الطريس في 23 يراير 1886/19 جمادى الاولى 1303 ، وفي قائمة 1889 ان السماسرة 9 و 11 و 12 من قبيلة بني حسن ، ولا نطن ذلك صوابا

66 . الرسائل الآتي ذكرها كلها موجودة بمحفظه المغرب بريطانيا المظنى . مديرية الوثائق الملكية .

67 . رسالة سميث الى الطريس في 1 رمضان 1309/30 مارس 1892

68 . رسالة كرين الى الزكاري في 10 أبريل 1888 ، ولعل صوابه الكرطي نسبة الى أحد كورت .

16 - **بوعزة بن العياشي السفيناني الغربي** (أو الكرّبي) : رشح سنة 1891 ليكون سمسارا ليوسف فابة بقبيلة سفيان حسب رسالة وايط الى الطريس (69) الذي رد عليه بأن بوعزة «قاطع طريق» فلا يجوز قبوله للسمسرة.

17 - وكان التاجر يريد الاستغناء عن سمسار آخر هو **الميلودي العبدلاوي**.

18 - 19 - **قاسم بن عمر السفيناني العزيزي** اقترح ليكون سمسارا سنة 1893 لسامويل فرريج القاطن بالعرائش بدلا من **بنعيسى بن الجيلالي العاصمي** (70).

20 - **محمد بن المنصور البعراوي** الذي هو من فخذة البحارة طُلب سنة 1888 ليكون سمسارا بالغرب للتاجر سالومون البحر القاطن بالعرائش (71).

21 - **الحاج بوسلهام الخلطي** الساكن قرب القصر كان سنة 1889 سمسارا للتاجر ماك إيثر ماكليود Mac Iver Macleod القاطن بطنجة . وقد اشتكى كرين بأن هذا السمسار كان قد تعرض له ولاية الناحية ومنهم عامل العرائش (72).

22 - **حمو ابن الغزال الحريزي** اقترح سنة 1892 ليكون سمسارا ليعقوب فريروس بدلا من محمد الغريب متقدم الذكر بالعرائش (73).

69 . رسالة وايط الى الطريس في 26 شتنبر 21/1891 صفر 1309

70 . رسالة انيسست ساطو الى الطريس في 8 دجنبر 29/1893 جمادى الاولى 1311 .

71 . رسالة كرين الى الطريس في 23 نونبر 19/1888 ربيع الاول 1306

72 . رسالة كرين الى الطريس في 5 يوليوز 17/1889 قعدة 1307

73 . رسالة ايوان سميث الى الطريس في 13 شتنبر 20/1892 صفر 1310

23 - 24 - **الحاج الحفياني** (ولم يرد ايضاح آخر) اقترح ليكون سمسارا لقنصل انجلترا بالعرائش سنة 1888 وهو يوسف ايموسي بدلا من : **بغداد بن هيمر** (74) ولعل صوابه **الحيمر** .

هذا بعض ما ورد عن السماسرة للتجار البريطانيين (75) .

* * *

المطلب الخامس : اسبانيا

كان **إدواردو دي كاسترو** E. de Castro وكيلاً قنصلية لاسبانيا بالقصر الكبير في آخر القرن الماضي حتى مات سنة 1904 ، وكان مراسلا لجريدة «المغرب الأقصى» (76) .

ولم يكن لهاته الدولة محميون ولكن لبعض مستوطنيتها خلطاء بقبائل الغرب زيادة على سمسار واحد اسمه **مفتاح بن بوسلهام البدوي** الذي طلبت المفوضية سنة 1891 اتخاذه سمساراً لخايبير ساينس المقيم بالعرائش فلم يقبل المخزن جعله الا بعد أن يؤدي مفتاح ما تخلد بدمته من الأعشار (77) .

أما المستوطنون فأذكر منهم **خوسيه خيمينيث** J. Jemenez الذي كان طبيباً بالقصر حتى قتل خارج المدينة ودفن في 29 دجنبر 1893 بمكان يدعى **الديور** (78) .

74 . رسالة كرين الى الزكاري في 10 أبريل 1888

75 . وقد يكون السماسرة أصحاب الأرقام : 17 و 22 و 21 من غير أهل الغرب .

76 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 86

77 . رسالة الطريس الى نائب اسبانيا في 21 شعبان 1308/1 أبريل 1891 . مخطئة الطريس 21

78 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس في 21 جمادى الآخرة 1311/30 دجنبر 1893 . مخطئة الطريس 25

وثمة مستوطنون اسبانيون آخرون هم : الريكي أي إنريكي كاييغو E. Gallego الذي كان سنة 1891 من مربى الخنزير ببني ثور البشاشنة ، قبيلة سفيان (79) والاسباني ريكاردو (أو ليكاردو الأعرج) الذي كان له سنة 1888 خليط بقبيلة بني مالك اسمه العربي بن الحاج الجيلالي العاصمي (80) وثالث كان له سنة 1891 خليط بقبيلة سفيان يدعى ولد محمد الغيلاسي (أو القيلاسي) كان قائدها قد سجنه (81) .

هذا مجمل ما وقفت عليه من خلال المصادر المغربية عن اسبانيا بهاته المدينة .

* * *

المطلب السادس : إيطاليا

لم أقف لهاته الدولة على قناصل أو نواب قنصليين ولا على محميين طبعاً ولا على مستوطنين ، وإنما على سماسرة وخطاء كانوا بالقصر الكبير والغرب يعملون لصالح تجار ايطاليين .

وقد وردت أسماء بعضهم في لوائح المحميين من سنة 1889 حتى 1894 وكذا في وثائق مختلفة ، وها هو بيان السماسرة :

أ - من اللوائح السنوية :

I - 2 - الحاج مصطفى الرميقي : كان سمساراً للوكيل القنصلي أندريا كوانينو (82) قبل سنة 1884 ثم صار سمساراً لابنه ألفريدو في اللوائح

79 . رسالة بوسلهم بن المصطفى الى الطريس في 11 شعبان 1308/22 مارس 1891 ،
محفظه الطريس 20

80 . رسالة أبي بكر الحباسي الى الحاج محمد الزكاري في 9 شعبان 1305/21 ابريل 1888
محفظه الطريس 12

81 . رسالة السلطان الى الطريس في 2 ربيع الاول 1309/6 اكتوبر 1891 ، محفظه
الطريس 21

82 . رسالة السلطان الى أبي بكر الحباسي في 4 جمادى الاولى 1301/2 مارس 1884 ،
محفظه الطريس 4

المذكورة بقبيلة بني مالك . **والحاج بوسلهام الرافعي** وكان سمساراً لهما أيضاً سنة 1889 وأتى اسمه في لائحة 1891 .

3 - 4 - **بوعزة بن المعطي الحسناوي** : سمسار ألساندرو كوانينو ابن القنصل أندريا وذكر اسمه في كافة القوائم ، **وعلي الخياطي الحسناوي** : مثل السابق سنة 1889 فقط .

5 - **موشي بن يعيش** : سمسار بالقصر سنة 1889 ليحيى ابن الصائغ المقيم بطنجة .

6 - **مايير طوليدانو** : سمسار بالقصر لرفائل طوليدانو

7 - 9 - **محمد المسيكك والعربي العمري** : سمساران بالغرب لاسحاق ناهون **ويودا ابن ديان** : سمساره بمدينة القصر في جميع القوائم .

10 - **بوسلهام بن الحاج المعطي** : سمسار ألساندرو كوانينو في جميع القوائم بقبيلة بني مالك .

ب - من غيرها

11 - **بوسلهام بن العربي الخنشوشي** : كان سنة 1893 سمساراً للتاجر ألفريدو كوانينو سالف الذكر الذي كان له خليط آخر سنة 1894 بقبيلة بني حسن هو أحمد بن الطاهر الحسناوي من إيالة القائد محمد الكداري (83) .

• • •

83 . رسالة كنطغالي الى الطريس في 12 يناير 1894 ، محفلة المغرب إيطاليا

المطلب السابع : البرتغال

كان ثمة محميان وسماسرة ، أما المحميان فهما :

I - **يعقوب السرفاطي التطواني** (84) حوالي 1892 وهو من التجار اليهود بالقصر .

2 - **حاييم بونطي** وكانت له أو لِسَمِيَّه ترجمان القنصلية النمساوية بطنجة دعاو كثيرة مع حاييم بنشيمول ترجمان المفوضية الفرنسية بطنجة .

ولم أقف على غيرهما . وكان عدد السماسرة ثلاثة هم :

I - **محمد بن سحنون السفياي الحجامي** : كان سمسارا منذ سنة 1878 بقبيلة سفيان لتاجر أو محمي برتغالي ، وفي سنة 1892 تظلم الوزير المفوض عنه لدى الطريس الذي أجابه : «وهذه مدة أربعة عشرة سنة وهو في حمايتكم ولم تظهر عليه إلا المسكنة ثم اشتكى عليه بأن أصهار القائد بوسنهام السفياي سرقوا له 200 من الضأن و 36 رأسا من البقر وخمس مطامير من الزرع وقششوا خيمته وقتلوا صهره وابن عمه» (85)

2 - 3 - **الحاج محمد بن الأحمر الخلفي** الذي كان سنة 1890 سمسارا للتاجر عمران الرواح حتى استبدله سنة 1892 بآخر اسمه : **محمد بن الحبشي البعبوشي الحباسي** (86)

• • •

84 . رسالة كولاو الى الطريس في 17 دجنبر 1892/27 جمادى الاولى 1310 . محفوظات المغرب البرازيل

85 . جواب الطريس الى كولاو في 21 رجب 1309/20 يبرابر 1892 ، محافظة المغرب البرتغال .

86 . رسالة كولاو الى الطريس في 11 ماي 1892 ، المحافظة نفسها

المطلب الثامن : بلجيكا

كان لبعض تجارها خارج مدينة القصر وبقبائل الغرب سمسرة وخطاء بهاته الأنحاء وردت أسماؤهم في لوائح المحميين . السمسرة كانوا هم :

أ - من قائمة 1889 :

I - 2 - بوسلهام بن علي بن التهامي الخلفي كان سمسارا للقنصل كلارنبو حتى أبدله بعد مدة (87) وجعل مكانه : الحاج بن المنصور ابن البغا وهما معا من قبيلة سفيان .

3 - 4 العربي بن ادريس المالكي الحسناوي ومحمد بن الحاج السفياي : سمساران لتاجرين لم يذكر اسمهما .

5 - 6 - أحمد بن العظمية الزيدي وسعيد بن بوسلهام الزياني وهما من قبيلة بني مالك وكانا سمسارين للدار التجارية إيميل برام (88) Emile BRAME بواسطة نائبها الذي لم يرد بيان عنه .

7 - محمد بن علي الزياني (وهو من قبيلة بني مالك) وكان سمسارا للقنصل كلارنبو . وعنه جاء قبل سنة 1884 أنه «فسد وأفسد جماعته وغيرهم ، أنزلهم معه وتعصب به الجميع وامتنع إخوانه من اعطاء الكلف المخزنية ومن الحركة ومن دفع أعشارهم مالاّ وحبوبا . . . والجماعة عصت بسببه» (89)

ب . من غيرها :

8 - وكان لنفس القنصل كلارنبو سمسار بقبيلة بني حسن لم أقف على اسمه ولكنه قتل قبل 1888 . فأصدر السلطان أمره للقائد أحميدة بن

87 . رسالة ابراهيم سكسو الى الطريس في 3 غشت 16/1890 حجة 1307 . محفظة المغرب بلجيكا

88 . رسالة الى الطريس في 9 يونيو 1889 ، ثم رسالة أنسب'خ الى الطريس في 22 ابريل 21/1889 شعبان 1306 ، نفس المحفظة

89 . من تقييد المخالطين للقوانص وتجار الأجناس من قبيلة بني مالك ،

المكي المختاري بحسم مادة الدعوى . وفعلًا وجه القائد دية القتل وهي 851 ريات (90) .

* * *

المطلب التاسع : فرنسا

أ - السلك القنصلي

1 - كان عبد السلام بن محمد الشاوش يسمي نفسه «نائبًا للدولة الفرنسية الفخيمة بالقصر» ويكتب توقيعه في رسائله بالحروف اللاتينية (91) .

2 - وبعده عين إدوار ميشو - بيلير نائبًا قنصليًا .

ب - المحميون :

لم يكن لفرنسا محميون قنصليون عديدون ، ولذا لم أقف إلا على اسم شخصين هما :

1 - 2 - أحمد الساحلي ومحمد حنتيت الطنجي (92)

ت - السماسرة :

اقتبست أسماءهم من القوائم العامة الفرنسية (93) ومن غيرها . وكانوا هم :

1 - الحاج مصطفى بن علي الرميقي الخلوفي : سمسار بقبيلة بني مالك لرفايل الصائح (قائمتا 1881 و 1882) . وكان قبل سنة 1884 سمسارًا لقنصل إيطاليا أندريا كوانينو .

90 . رسالة السلطان إلى الطريس في 4 ربيع الثاني 1306/8 دجنبر 1888 ، محفظة الطريس 14

91 . رسالة الأمين أحمد بن الطاهر بناني إلى الطريس في 7 جمادى الثانية 1303/13 مارس 1886 ، محفظة الطريس 7 ، وكذلك رسالة عبد السلام الشاوش إلى الثالث حميدة بن المكي المختاري في 23 رمضان 1305/3 يونيو 1888 ، محفظة القصر 1

92 . لي عودة إلى هذين المحميين وإلى القائمين القنصليين

93 . ساجمل بين هلالين تاريخ القوائم الفرنسية

2 - **المكي بن الفقيه الفروطي** : كان سمساراً في قائمة 1884 بقبيلة بني مالك للدار التجارية بوني BONNET ، وقد شطب على اسمه في القائمة المذكورة . ويستفاد من جهة أخرى أنه كان كاتباً لقائد هاته القبيلة أبي بكر الحباسي ولمن كان قبله مدة 30 سنة (94) .

3 - **العربي الشافعي** : سمسار بالغرب لنفس الدار (1881 - 1883)

4 - **الحسين ابن الزاوية** : كان في قائمة 1884 سمساراً لحاييم ابن شيمول . غير أن اسمه شطب عليه ليجعل مكانه المكي رقم 2 أعلاه . وتقدم أنه كان سمساراً للتاجر الطارقي المَنْجَلَز ماسكاريناس .

5 - **الطيب الزفتي** : سمسار عبد السلام الشاوش (1879 - 1880)

6 - **رفائيل بنشيمول** : (1879 - 1884) سمسار فيكتور مازوريل
V. Mazurel

7 - **أحمد الشرقي** : مثله له (1882 - 1885)

8 - **دايد سي كوهن** : (1884 - 1885) سمسار لدار تجارية من مدينة ليون اسمها شركة إيريني بران : Irénée BRUN

9 - **علي البغدادي الحموشي** (أو الحمادي) : سمسار بالفقرة (1884) للكونط ده شاقانياك القاطن بطنجة .

10 - **يوسف الحداد** : (1885) سمسار التاجر الفرنسي القاطن بمرسيليا فرانكون E. Francon

94 . تقييد المخالطين للقوانين وتجار الأجناس بقبيلة بني مالك يدعوه البوخصيبي وليس الفروطي

11 - بوسلهام بن الجيلالي ولد زروال التريعي : كان سمسارا للقنصل ده لاروش (1879 - 1881) ثم صار سمسارا لعبد السلام الشاوش (1883-1885) وعاد سنة 1890 سمسارا للقنصل المذكور (95)

12 - بوسلهام بن الحاج الطيب : سمسار للتاجر الفرنسي القاطن بمرسيليا ليو الابن (1879 - 1882)

13 - عبد الرحمان اليعقوبي : سمسار عبد السلام الشاوش (1882) ، ولكنه جرد من الحماية (96) .

* * *

ث - المستوطنون :

قبل الحديث عن مستوطنين فرنسيين أ تعرض لشخصية جزائرية الأصل ، مغربية العقب : عبد السلام الشاوش ، ولقضية صهره عبد الرحمان اليعقوبي .

I - عبد السلام بن محمد الشاوش : «الجزيري أصلا ، القصري دارا» (97) لأن آل الشاوش هاجروا من الجزائر الى تطوان ومنها الى القصر (98) . لم أقف على تاريخ حلوله بهاته المدينة حيث اتخذ كثيراً من الخلفاء والشركاء بقبائل الخطط وطلیق وسفيان وبني مالك الذين كانوا يعدون بالعشرات بل بما يزيد على المائة (99) ولكنه على كل حال كان موجودا بالمدينة سنة 1881 .

95 . هامش رسالة باطنوطر الى غريط في 11 دجنبر 1890 ، محفظة المغرب فرنسا

96 . سيأتي وشيكا بسط لبعض جوانبها

97 . من موجب عدلي في 28 ربيع الثاني 1298/30 مارس 1881 ، محفظة المغرب فرنسا

98 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 229

99 . رسالة في 17 جمادى الآخرة 1307/8 يبرابر 1890 . محفظة الحماية النصية

كثرة الخلطاء سببت له متاعب مع السلطات التي كانت تطالب بعزله عن منصبه ، فأُخر عنه لمدة (100) حتى رده ورديفة سنة 1884 الى سالف عمله «بعد أن تحققنا أن كل الشكاية التي اشتكوا بها لا أصل لها» (101)

وأُسفر نزاعه مع محمد بن عبد السلام ابن عودة عن عزل هذا القائد عن قبيلة سفيان . وكانت رسالة سلطانية تعتبره سنة 1885 «الساعي في الفساد في الأرض والمعرض عليه ، وقد تكرر ذلك منه ، وما دام في تلك الأرض لا يسعى الا في الفتنة والقتل والجرح ، ولو فعل مثل هذا في إيالة أخرى لنفي وخلد في السجن» ، وقد أمر الحسن الأول نائبه الطريس في نفس الرسالة بأن يخاطب «الباشدور بإبعاده من تلك الأرض ليسترريح ويريح» (102)

غير أنه يستفاد من وثائق نشرت مؤخرا أن علاقته مع السلطات المحلية ومع السلطان نفسه تحسنت بعد ذلك . وقد توفي عبد السلام قبل يوليوز 1893 بمدينة القصر الكبير (103) وحاول صهره عبد الرحمان اليعقوبي الحلول محله ، لكن بدون جدوى لما له من سوابق كما سنرى في نازلته .

2 - قضية عبد الرحمان بن أحمد اليعقوبي

تلون هذا الشخص بين الحمائيتين الأمريكية والفرنسية ، فقد مر بنا أنه كان محميا فرنسيا ابتداء من سنة 1882 .

ولما تورط في جريمة قتل وضبط متلبسا بها لجأ الى ماثيوز يطلب حمايته التي اسبغها عليه ، فطالب المخزن 'القنصل' الأمريكي بنزعه منها ،

100 . رسالة ورديفة الى بركاش في 17 محرم 1300/28 نونبر 1882 ، محفظة المغرب فرنسا

101 . رسالة ورديفة الى بركاش في 22 محرم 1302/11 نونبر 1884 ، نفس المحفظة

102 . رسالة السلطان الى الطريس في 25 حجة 1302/5 أكتوبر 1885 ، محفظة الطريس 5

103 . رسالة دوييني الى الطريس قبل 3 يوليوز 1893/18 حجة 1310 ، محفظة الطريس 21

فامتنع حتى رفعت القضية الى علم الحكومة الأمريكية التي لم تقبل أن تحمي شخصا متابعا لدى القضاء ، وقد تبرأ حاميه بيرديكاريس منه ومن أفعاله (104).

ولما كان أحد أقارب عبد السلام الشاوش التمس هذا الأخير من ممثل فرنسا أن يواصل حمايته له لثلا يقع تحت سطوة المحاكم المغربية ، لكن مسعاه لم يلق التأييد الكافي .

ولئن كنا لا نعرف السبب الذي ارتكب من أجله عبد الرحمان جريمته فاننا نعلم أنه كان هناك خصام لا ندرك مداه أيضا بين عبد السلام الشاوش وقائد قبيلة سفيان الذي عزل من منصبه بسبب عبد السلام المذكور مثلما تقدم.

فماذا فعل اليعقوبي ؟ اتهم بأنه ذهب الى سوق كورت وقتل خليفة القائد بوسلهام بن دحيم السفياني قبل يناير 1886 .

ولم يشأ فيرو أن يعكر علاقته مع المخزن ، فعمل على تسليم عبد الرحمان اليعقوبي الى السلطات المحلية (105) .

وظل اليعقوبي محبوسا شهورا طويلة ووجه من سجنه رسالة استعطاف ساذجة الى سفير فرنسا في أبريل 1887 ، هاهي مقتطفات منها :

« . . . وليس خافي عليك حالنا وطول سجننا وغربتنا وبكاء أهلنا . . .
وليس عندنا من يرحمنا الا الله وأنت ، لأنك معلوم تجري في الخير وترجوا
بذلك الثواب من الله تعالى ، واحنا مثل أولادك ربيتنا ، واليوم احنا تائبين
لله ، فارحمنا بجودك يرحمك الله ، فاحنا في حرمك وحرمة سننيرة وأولادك
جميعا أصلحهم الله ، ولا تنظر لوجهنا وفعلنا ، فانظر لله ولوجه صهرنا حبيبك
سيدي عبد السلام الشاوش ، واشتر الثواب من الله ، فلا عمل عمله في دار
الدنيا أحسن من السعاية في تسريحنا . . . »

104 . رسالة بيرديكاريس الى الطريس في 21 يناير 1886 / 15 ربيع الثاني 1303 ،
محفظة الطريس 7

105 . جاك كايي : «النوادر المغربية» ص 59

«والحمد لله ، فلا يكبر عليك ذلك . وإن كان بقي في خاطرك شيئا علينا
فها السجن عندك في طنجة اجعلني فيه حتى يصفأ خاطرك علي ، ولا تتركني
غريبا هنا ، وأما الشرع انتهى أمره وعجز خصمنا بالعدول ورفع القاضي يده .

«ومنه تعلم سيادتك بأنه لم تكن لنا حماية قبل مع المركان ولا مخالطة
معه وإنما فعلنا ذلك مساعدة لبعض المفسدين الذين غشَّمونا وحصل لي
الخوف من السفر لفاس لا غير ، وكيف نحتمي بالمركان وأنا صهر نائب
الدولة الفرنساوية ؟

«عبد الرحمان بن أحمد اليعقوبي» (106)

ويبدو أن هذا الأخير سرح بعد ذلك بقليل لعدم ثبوت الحجة عليه
أو لتدخلات مختلفة .

وقد عرضت النازلة على القضاء وسرح من سجنه لأن المخزن لم يكن
يريد التورط في مأزق مع الدول (107)

وسويت القضية في شكل لم أقف على تفاصيله ، ولما مات عبد السلام
الشاوش طمع في تمثيل فرنسا ، فكلفه دوبيني سنة 1893 «بحفظ دفاتر
وأوراق دار النيابة» (108) القنصلية ريشما يعهد بها لغيره .

وكان السلطات لا تزال تتذكر حاله فعارضت في تعيينه برسالة
الطريس الرفضية الى ممثل فرنسا :

«وصل كتابكم بتاريخ 25 حجة معلما بوفاة نائبكم بالقصر .

106 . رسالة عبد الرحمان اليعقوبي الى نائب فرنسا في 16 رجب 1304/10 ابريل
1887 . محفظة المغرب فرنسا

107 . جواب المخزن لممثل فرنسا ، ورسالة مخزنية الى قاضي القصر حميد بناني
وكلاهما في 7 رمضان 1304/30 ماي 1887 ، المحفظة نفسها

108 . رسالة دوبيني الى الطريس في 10 يوليوز 1893/25 حجة 1310 . محفظة الطريس 24

«أما عبد الرحمان اليعقوبي فسَجِيَّتُهُ لا تقبل الوساطة بين جانبي الدولتين المحبتين ، وقد صدر على يده من سوء السيرة ما يمنع ذلك ... وكان قد تسبب في قتل بعض ولاة المخزن ، ولما أراد قبضه ادعى أنه في حماية المركان وتبرأ من حماية الدولة الفرنسية ، وبذلك أساء الى الدولتين معا» (109)

3 - إدوار ميشو - بيلير E. MICHAUX - BELLAIRE

ولد بمدينة روان بفرنسا سنة 1857 وتوفي بالرباط في 13 مارس 1930. وفي سنة 1886 حل بطنجة ممثلا لشركة الكونطوار جنرال فرانسى ، وبعد أربع سنوات استوطن مدينة القصر الكبير حتى 1905 ، وعين وكيلا قنصليا ومكلفا بالبريد سنة 1894 ثم نائبا قنصليا بمدينة فاس لمدة قصيرة ، وكان الى ذلك مراسلا لجريدة «ريثي دوماروك» الفرنسية طوال هاته المدة .

وابتداء من سنة 1908 رحل الى طنجة ليخلف الدكتور سالمون SALMON فى إدارة «البعثة العلمية» الفرنسية التى كان يشرف عليها ألفريد لشاطوليى A. Le Châtelier منذ 1903 ، وقد سهر إدوار على توجيه أعمالها حتى سنة 1920 .

وفى سنة 1925 أسند اليه القسم السوسىولوجى بإدارة الشؤون الأهلية بالرباط حتى توفي (110) .

تظاهر بالاسلام وكان من رواد المساجد ، لكن أحد مرافقيه لمدة طويلة ذكر عنه أنه لم يسلم قط وأنه كان لا يصلي ولا يصوم بل ظل على نصرانيته لأنه لفظ أنفاسه الأخيرة بين يدي أحد أساقفة الكنيسة الكبرى بالرباط .

(109) . رسالة الطريس الى دويني فى 25 حجة/10 يوليوز أيضا ، المحفظة نفسها

110 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 88 وجان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 142 و ج 4 ص 302 (4) وعبد القادر الخلاوي : «المؤرخ الاجتماعى ميشو بيلار بطنجة والتحصن الكبير وسلا : 1884 - 1930» بمجلة «دعوة الحق» . نونبر 1971 ص 139 - 143 باختصار

وكان يسمى الحاج عبد السلام بيلار لما كان بسلا ، أما بطنجة فكان يدعى ولد القاضي لأن أباه كان قاضيا ، وكان يرتدي اللباس المغربي طوال هاته المدة ، وقد تزوج بامرأة مغربية مسلمة من وزان ولكنه لم ينجب أطفالا .

وكان يكتب في مجلة «العالم الاسلامي» الفرنسية وبمجلة «ليزارشيف ماروكين» التي بدأت تصدر وتطبع ببافيس سنة 1904 وبلغت أعدادها نحو الثلاثين .

له مصنفات وتآليف كثيرة باللغة الفرنسية وهي ذات قيمة تاريخية (III) تتناول حالة المسلمين بالجزائر والحكومة المغربية والتعليم والريسوني وناحية الغرب والأزمات النقدية والطرق والزوايا والحركة الوهابية .

وكان من أقطاب الاستعمار ومن الملبسين والمتعنتين ، المصادر المغربية المخطوطة تحدثت عن أخلاقه وسيرته لما حل بالقصر الكبير صحبة أخيه دانييل فقالت :

«النصراني بليز الفرنصوي الساكن بمدينة القصر وأخوه وترجمانهما محمد حنتيت الطنجاوي أتوا لسجن المدينة شاهرين السلاح وهددوا السجن بتسريح أحمد الساحلي (II2) ، وقد أخرجوه عنوة من السجن وذلك ما أخبر أحمد بن التهامي عامل العرائش به الحاج محمد الطريس في اليوم الموالي (II3) .

وكان قاضي القصر محمد بن الطاهر بناني قد حكم قبل ذلك على الساحلي المذكور بالسجن لأنه منع ابنته من الرجوع لمنزل زوجها محمد بن المختار البقالي . وكان القاضي بناني يتهم بيلير بأنه كان مشتغلا بالفاحشة جهارا مع المسلمات ومنهن زوجة هذا الشريف المذكور (II4) .

III . المصدر الأخير .

II2 . من موجب عدلي في 17 ربيع الاول 1309/21 أكتوبر 1891 ، محفظة الطريس 21

II3 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس في 18 ربيع الاول/22 أكتوبر ، المحفظة نفسها

II4 . رسالة القاضي بناني في 20 ربيع الاول/24 أكتوبر ، المحفظة المذكورة

أما عن سكناه بالقصر فقد امتنع أهل المدينة من إكراهه دارا له ولأخيه وترجمانه ، فالتمست السفارة من المخزن تخويله مسكنا (II5) .

ونشير الى أن ميشو بيلير اختار في آخر حياته السكنى بسلا حيث كان يقطن بدار البزاز الواقعة قرب المسجد الأعظم صحبة زوجته (II6) .

4 - إيشي ICHÉ

حل بالمغرب واستوطن المدينة سنة 1878 ولكنه توفي في يوليو 1881 .

وكان نائبا عن فيكتور مازوريل الوهراني وملاكا لأراض فسيحة سنة 1880 بأحواز القصر الكبير ، وكانت له خلطة مع المغاربة يقدم لهم البذور وأنواع المساعدات ، وفي سنة 1878 صدر 798 رأسا من الثيران الى مدينة وهران (II7) ، وطلب في السنة الموالية «ليسنسية» أي رخصة لوسق 15 ألف رأس من الغنم بتأييد من قنصل فرنسا بفاس سابقا شارل إيكار ، لكن ذلك لم يخول له بسبب المسغبة (II8) .

ولم يكن تاجرا وانما كان معمرا ، ولذلك كان له سنة 1881 خلطاء ولا سيما بقبيلة بني مالك (II9) .

115 . مطالب فرنسا - في 10 محرم 1300/16 غشت 1891 ، محفظة المغرب فرنسا

116 . التي كان اسمها الحاتمية والتي توجد صورتها بالخزانة الصبيحية بسلا

117 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 453 (10)

118 . رسالة السلطان الى بركاش في 28 رمضان 1297/3 شتنبر 1880 ، محفظة المغرب فرنسا

119 . رسالة أبي بكر الحباسي الى بركاش في 29 جمادى الاولى 1298/29 ابريل 1881 ، محفظة بركاش ، وكذلك تقييد المخالطين للقوانين وتجار الأجناس من قبيلة بني مالك ، محفظة الحماية القنصلية ،

الباب السادس

العدوتان



سلا والرباط عدوتا نهر أبي رقراق . وللکلام عنهما ضمن هذا الباب سنتناوله فى ذلك ضمن عدة فصول : الأول منها سيكون عن ولاية المدينتين وسكانهما وعمرانهما ، والفصول الأخرى ستأتى عن السلك القنصلى والمحميين والسماصرة وبعض المستوطنين المنتمين للدول الموقعة على معاهدة مدريد .

1 : سلا والرباط

سنقسم الفصل الأول الى مطلبين : الأول عن ولاية سلا وأحوازها ،
والثاني عن ولاية مدينة الرباط وسكانها وعمرانها .

المطلب الأول : سلا

• • •

سندع السكان والعمران الى باب آخر سنعده على حدة . ولن نتحدث
عن المحميين ولا عن المستوطنين الذين لا وجود لهم بها ، وسنقتصر على سرد
أسماء ولاية المدينة وعمال أحوازها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

أ - الولاية بالمدينة والأحواز

أ - I - ولاية سلا

I - محمد بن عبد الهادي زنيبر كان ناظرا لأحباس المدينة قبل أن
يصير واليا على سلا بعد عبد العزيز محبوبة (I) .

2 - ولما توفي بالكوليرا سنة 1855 عين عبد العزيز بن الحاج عبد
الوهاب محبوبة للمرة الثانية . وكلفه السلطان بانتخاب 20 شابا لتعلم المدفعية
زيادة على من بالمدينة من الطبقية وتخصيص راتب لهم : 15 أوقية في
الشهر (2) .

1 . كينيث براون : «أمل سلا» ص 164

2 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 62 و 70

3 - وفي أواخر رجب 1278 / يناير 1862 صار الحاج محمد بن محمد بن سعيد المولود في العقد الثاني من القرن الثالث عشر قائدا للمدينة الى أن وافته منيته بها .

وكان قبل انخراطه في سلك الأمناء بمرسى آسفي من 1272 الى 1278 يتعاطى جلب الحرير وملبوساته كالكمخة من الخارج وتصدير بضائع أخرى مثل الكمون الى مدينة جنوة الايطالية ، ولكنه انقطع عن تلك التجارة لما نجا من الفرق أثناء سفرة من سفراته .

وفي سنة 1866 بعثه محمد الرابع سفيرا الى فرنسا صحبة محمد بن عبد الكريم الشرقي ، وفي سنة 1290 / 1873 أسندت إليه قيادة أولاد سبيطة (الذين هم من أصل دكالي نزلوا بتراب قبيلة عامر) ثم أضيفت إليه قيادة أولاد سيدي موسى بن علي من أحواز الرباط .

وخلال ولايته على المدينة كان السلطان يكلفه بمهمات لدى القبائل المجاورة كالتحقيق فيما كان يشجر بين قواد الأحواز والتجار الأجانب والمحميين . وكان في الكثير من الأحيان همزة وصل بين المخزن وقواد قبائل أحواز سلا والرباط كعامر وحسين والسهول وزمور وبني حسن والأعراب والأوداية وزعير ، وكان وأسطه لبعضهم في صنع الطوابع الرسمية لهم (3) .

وإضافة الى ما تقدم كلف الحسن الأول عامل المدينة الحاج محمد ثم ابنه عبد الله بالاشراف على بناء قصبة قنيطرة علي وعدي ، واستمر العمل فيها عدة سنوات حتى انتهى سنة 1895 تقريبا (4) .

وقد دارت المراسلات التي كان يتوصل بها من المخزن حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصون الآلات الجهادية ، وحفظ الغابة من عدوان الجوار عليها ، وأخبار ردع الفتن الداخلية ، وانتخاب الشبان للتعليم بالخارج .

3 . ما تقدم هو من افدة حفيده الحاج العربي بن سعيد

4 . وثائق مختلفة بمحفظتي الحاج محمد وعبد الله بن سعيد بالوثائق الملكية

وكان له خلفاء هم على الترتيب : الحاج عبد الله زنيبر ثم شقيقه عمر بنسعيد وأخيراً الحاج علال الأودي الذي هو من قصبة الأوداية (5) .

4 - ولما توفي الحاج محمد في 8 ربيع الثاني 1310/30 أكتوبر 1892 عين ابنه **محمد عبد الله** على المدينة ، وكان قبل ذلك أميناً بمرسى الرباط (6) واستمر عبد الله عاملاً إلى أن عين بعد وفاة مولاي الحسن عضواً بدار النيابة السلطانية بطنجة .

وكان الحاج أحمد بن محمد الطالب خليفته له من 1310 إلى 1318 وبعده ولي العربي بن محمد معينو إلى حدود 1322 .

5 - وفي يناير 1906 عين **الحاج الطيب الصبيحي** عاملاً على سلا حتى وفاته في أكتوبر سنة 1914 (7) .

أ - 2 - ولاية الأحواز

كان قواد القبائل القريبة عديدين في هاته الفترة فيتعذر الوقوف عليهم بحيث كاد يكون لكل فخذة قائدها فكان قواد السهود وحصين وعامر كثيرين ، فمنهم **أحمد ابن العروسي الهلالي** الذي كان السلطان قد أمر عامله على سلا سنة 1868 بأن يقف معه ويشد أزره . وكان لا يزال قائداً عند ارتقاء الحسن الأول العرش العلوي (8) .

أخوه **سعيد** ولي مكانه ، فكان عاملاً على عامر الحوزية سنة 1888 (9) واستمرت الولاية في آل ابن العروسي حتى منتصف القرن العشرين .

5 . هاته الافادة من عند الحاج العربي بنسعيد

6 . رسالة عبد الله بنسعيد إلى السلطان في 11 ربيع الثاني 1310/فاتح نوفمبر 1892 . محفظة الحاج محمد بنسعيد .

7 . لكل من عبد الله بنسعيد والحاج الطيب ترجمة في «الاتحاف الوجيز» لمحمد بن علي الدكالي ، تحقيق مصطفى بوشعراء ، الملحق الاول ص 148 و 175

8 . رسالة السلطان إلى الحاج محمد بنسعيد في فاتح رجب 1285/18 أكتوبر 1892 . وبعدة أهل سلا وقبائل حوزها ، في «الوثائق» ج 3 ص 124

9 . رسالة سعيد ابن العروسي إلى الطريس في 13 رجب 1305/26 مارس 1888 . محفظة الطريس 14

وهن قواد عامر أذكر أيضا عبد الرحمان بن المعطي الهلالي العمري الذي كان واليا سنة 1856 واستمر الى ما بعد 1873 في عمله هذا (10) ، ومحمد بن العياشي بوزامة العمري الذي ولي على اخوانه ، وهو من المتأخرين في التاريخ عن الباقيين .

• • •

المطلب الثاني : مدينة الرباط

أهم عناصر هذا المبحث هي الولاية والسكان والعمران .

أ - الولاية

انحصرت العمالة على المدينة في آل السويسي من أواخر القرن الثامن عشر (الحاج محمد بن ابراهيم السويسي كان عام 1789/1205 عاملا) الى صدر القرن العشرين ، بيد أن حكمهم كان يتخلله تعيين ولاية آخرين غير السويسين كما سيأتي :

1 - **الغازي السكيري الحسناوي** كان سنة 1801/1221 قائدا على الرباط (11) .

2 - **الحاج عبد الرحمان أشعاش التطواني** كان سنة 1811/1226 أمينا بمرسى الرباط ثم أسندت اليه الولاية على تامسنا والرباط سنة 1813 ، حتى قام عليه أهل المدينة سنة 1815 فعزل عن منصبه ، إذ نجده بعد عدة سنوات ، وخصوصا سنة 1823 ، يعمل في سلك الأمناء بطنجة (12) .

10 . رسالته الى بركاش في 10 رجب 1283/18 نونبر 1860 ثم رسالة الحاج محمد بن سعيد الى بركاش في 23 ربيع الثاني 1289/30 يونيو 1872 . محفظة بركاش .

11 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 84

12 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 25 و 30 و 37 و 61 و 103 والمجلد الثالث . القسم الثاني من ص 246 الى 248 ، و «تاريخ الدولة السعيدة» لمحمد الضيف ج 3 ص 255 و 282 (مصور الخزانة العلمية الصبيحية بسلا) .

3 - **العربي بن بلال** عين سنة 1815/1231 عاملا على الرباط خلفاً عنه وكان سنة 1817/1233 لا يزال عاملا (I3)

4 - **الحاج محمد بن الحاج محمد ابن ابراهيم السويسي** كان عاملا على المدينة ، غير أنه يصعب ضبط تاريخ تعيينه ، والشئ الثابت أنه كان سنة 1824/1240 ناظرا على أحباس الرباط (I4) .

5 - **الحاج محمد بن الحاج محمد ابن الحاج محمد** (بالتلثيت في (المحمد بن) **السويسي** (الحفيد) استعمل على المدينة مدة طويلة الى سنة 1844 (I5) ، بين فترتين عصيبتين تبدآن بتمرد الرباطيين على أشعاش ، وتنتهيان بعصيانهم لعاملهم السويسي .

6 - إذ ثار أهل المدينة على **الحاج محمد السويسي** (الحفيد) واختار أعيانهم **الحاج محمد بن الطاهر الزبدي** (أو الزبدي) عاملا عليهم ، واستمرت هاته الحالة بضعة أشهر من سنة 1845/1261 .

وكان سبب تمرد السكان على السويسي أنهم سئدوا ملكته ومرضوا في طاعته لأسباب تعدها الرعية على العمال ، وقد دفعهم الى ذلك أيضا ما كان من جفاء بين السويسي والزبدي المذكورين ، لأن الأول رد شفاعة الثاني في بعض أهل البلد حسبما قيل . فجمع الأخير منهما طائفة من أهل المدينة ممن

13 . المرجع الأخير وكذلك كناشة أحمد الجريري بالخزانة المذكورة حيث يوجد نصان منسوخان من رسالتين سلطانيتين الى العربي بن بلال عامل الرباط سنة 1232 .

14 . ذكر عبد الله السويسي في كتابه «تاريخ رباط النج» ص 200 أن الحاج محمد ولي سنة 1812 ، الشئ الذي يتناقض مع ما ذكره محمد بن عبد السلام الضعيف في تاريخه عن تعيين العربي بن بلال عاملا سنة 1815 ومع ماورد في الهامشة الأخيرة . على أن المصادر تضطرب في شأن السويسي هذا وتخلط بينه وبين ابنه المسمى مثله الحاج محمد .

15 . السويسي : «تاريخ . . .» ص 200 ، وابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 135 . وتاريخ الضعيف ج 3 ص 218 ، ومحمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 103 و 282 ، وتلفت الانتباه الى الاحتراز الذي أبدته أعلاه حول الخلط بين الحاج محمد (الحفيد) وبين الحاج محمد (الابن) .

كان يعلم انحرافهم على العامل وأطعمهم وأطلعهم على خبيثة صدره ، فتحالفوا ومشوا الى دار السويسسي ، وتقدموا اليه في أن يلزم بيته ، وأجمع رأيهم على تقديم الزبدي مكانه .

فاتصل الخبر بمولاي عبد الرحمان وهو بفاس فقام وقعد ، وأرسل **الطيب الوديني البخاري** متوليا عليهم فطردوه ، وتظاهر السلطان بقبول الأمر الواقع ، وبعد ستة أشهر قبض على الزبدي ، ثم سرحه بعد حين (I6) .

7 - الأمين **الحاج عبد اللطيف فرج** ولي سنة 1845 من بعده (I7) وظل كذلك الى سنة 1850 أو بعدها بقليل (I8) .

8 - وآل الأمر بعده الى **عبد السلام بن الحاج محمد** (الحفيد) السويسسي الذي اضطلع بالولاية على الرباط ثم على الدار البيضاء عدة سنوات (I9) والذي أوفده السلطان سفيرا الى اسبانيا في قضايا الجنوب سنة 1877 .

9 - حوالي 1885 مات عبد السلام فنهض بالشؤون المحلية شقيقه **محمد** (20) وأضيفت اليه الولاية على الأحواز ، مثل صخيرات القرنفل .

ومما يذكر أن هذين العاملين الأخيرين كانا أحيانا على خلاف شديد مع قناصل بعض الدول وفق ما سيأتي في محله .

وفي هذا الصدد نشير الى أن ممثل ايطاليا بطنجة ستيفانو سكوقاصو كان يعيب على عبد السلام سياسته إزاء المحميين من اليهود والمسلمين .

16 . أحمد الناصري : «الاستقصاء» ج 9 ص 54

17 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 59

18 . كايي في «شارل ياجرشميد ...» ص 58 يتحدث عن الحاج عبد اللطيف عاملًا للرباط سنة 1850 ، ونظنه الأمين عبد اللطيف فرج المذكور إذ كانت العادة تولية بعض الأمناء عمالة المدن مؤقتاً .

19 . رسالة أميني الدار البيضاء أحمد الركراكي وعبد الكريم ابن زاكور إلى الحاج محمد بن المدني بنيس في 6 رجب 1283/14 نوفمبر 1866 ، محفظة الدار البيضاء 1 ، ولم نكتف على بداية تعيين عبد السلام على المدينة ، ولربما كانت قبل سنة 1866 بكثير ، أي بعد سنة 1850 .

20 . عبد الله السويسسي : «تاريخ رباط الفتح» ص 206

ومن ذلك أنه كتب الى بركاش سنة 1872 رسالة يتهم العامل باجبار اليهود في يوم سبتهم بقصد استخدامهم «في تمليح رؤوس مقطوعة من بني موسى عدتهم ثمانية وأربعون رأسا ، بالعنف والضرب . . . » وبالزام «شيخ اليهود دفع خمسة وستون (= ستين) أوقية ، الواجبة في الصائر عليها من صندوق الضعفاء منهم ، وكل ما كان على هؤلاء من الجبر والخسارة والظلم تجده باذن من هذه (= هذا) المتولي ، وهذه القساوة وقلة الشفقة - التي ظهرت منه في جنب هؤلاء الضعفاء اليهود من غير حق - ينقض بهما ما كان أسسه الجانب الشريف بالظهير المنيف من الايصاء على كافة يهود هاته الايالة بواسطة سنيور مونطي فيوري . . .

«ونحن لا غرض لنا في هتك الحجاب الذي يستر الولاة . . . لكن من اللازم علينا - وهو من وظيفنا ، وأنا نائب دولة معتبرة ، يجب علينا - الاسترعاء على هذه القساوة والظلم ومخالفة الأوامر الشريفة ، وبالمخالفة تظلم يهود هذه الايالة .

«وما دامت الدولة الشريفة موافقة على عدم ظلم طائفة معينة . . . ، كن مطمئن البال ، أيها الوزير السيد ، من جانب ايطاليا وغيرها من الأجناس أن لا يكون لليهود أحد منهم ما دام الحق» (21) .

وسواء تزيد النائب الايطالي في كلامه أو تحرى الصواب ، فقد كانت معاييب أخرى تعزى الى عبد السلام ، ويستفاد من تصفح «تقييد الدعاوي الكائنة بين الليكاسيون الطالياني والمخزن الشريف التي لم يقع فيها فصال حتى الآن (22)» أن عبد السلام قبض على أحمد ابن زويد سمسار دار موشي ناهون الطنجي وسجنه مدة تزيد على السنة وأنه أمر بالقبض على رجل في

21 . رسالة سكوفاصو الى بركاش في 16 دجنبر 1872/15 شوال 1289 ، محفظة بركاش

22 . التقييد خال من التاريخ الذي قد يكون ما بعد 1876 ، محفظة المغرب ايطاليا ، وما جاء أعلاه ورد في النقطتين 5 و 11 منه .

خدمة محمد الدكالي وهجم على غرسته من غير أن يعلم القنصل . ومن أجل ذلك طالب سكوقاصو فى تقييده بعزل السويسى أو نقله لآيالة أخرى .

ومما لا شك فيه أن خصوم عبد السلام كانوا كثيرين ، فقد استقدم سنة 1883/1300 الى طنجة لمقابلتهم هناك ، وقد كانت لاطاليا مطالب عديدة لاقى المخزن عناءاً شديداً فى علاجها ، وكان بعضها راجعاً للديون وبعضها الآخر يتعلق بدعاوى النهب ، وقد هدد سكوقاصو باستجلاب الأسطول البحرى الايطالى لاستيفاء الباطل والصحيح من هاته الدعاوى (23) .

ولئن كان فى سكوقاصو إفراط ومبالغة فلا ينبغي أخذ كلامه ودفاعه عن المحميين الا بشيء من الحذر ، على أن سياسة السويسى كانت توحى بجواز صدور شطط منه وحيف . وتلك هى النغمة التى رددتها قناصل آخرون مثل أنطوان دوكور الفرنسى وابن عطار نائب قنصل الولايات المتحدة ، ومما لا ريب فيه أن السويسى قد أسرف على نفسه وعلى الناس .

ولم تكن سياسة أخيه محمد تخلو من مأخذ ، فهذا كانطاغالى السفير الايطالى المعتدل يتهمة بـ «سوء نية نحو الطاليانيين والتعكيس» (24) فى التجارة معهم وذلك سنة 1890 ، وحتى سنة 1894 كانت التهمة هى نفس التهمة من جانب النائب الايطالى (25) .

* * *

ب - العمران :

يكاد كل ما هو بين أسوار المدينة الحالية يكون عتيقا أي من باب الأحد (أو الحد) وسيدي مخلوف الى حي العلو .

23 . الرسائل المتبادلة فى شأن هاته المطالب بين المخزن وسكوقاصو نزيرة . وقد اطلعت على أكثر من أربعين منها بمحفظة المغرب ايطاليا وتاريخها يبتدىء من ماي 1882 الى غشت 1886 .

24 . رسالة كانطاغالى الى الرئيس فى 29 يناير 1890 . المحفظة نفسها

25 . رسالة كانطاغالى الى الرئيس فى 12 يناير 1891 . بالمحفظة المذكورة

قصبة شالة قديمة الوجود وكانت عامرة حتى في عصر مولاي إسماعيل وقاعة الأوداية أحدثت في العهد الموحدى (26) ومن أقدم الأحياء : العساو وبوقرون والكزاء واللوبيرة (أو الأوبيرا) وسيدي فاتح ووقاصة والملاح القريب من هذا الحي الأخير .

المدينة خلاف غيرها من المدن الحضرية وهى مبنية على نمط عصري ، شوارعها متسعة وأزقتها ودروبها شبه فسيحة .

وكانت مرسى العدوتين نشيطة فى المبادلات ، ولولا أن الحاجز الرملي كان مانعا لدخول السفن الكبيرة خشية التحريث والجنوح لكان للميناء شأن كبير . وبتدبر حالته التجارية بين 1853 و 1875 يتضح أن حصيلة رواجه قامت على غلبة الجلب على الوسق ، وأن التصدير قلما يفوق الاستيراد ، طبق ما سيرد فى هذا الجدول (27) .

26 . محمد بن علي الدكالي : «الاتحاف الوجيز» ص 71 و 77 ، تحقيق مصطفى بوشعرا .

27 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 227 و 286 ، وقد أصلحت الأرقام التى بين هاتين حتى تستقيم عمليات الجمع فى الجدول الموالي .

تجارة الرباط بين 1853 و 1875
(بآلاف الفرنكات)

السنوات	الاستيراد	التصدير	المجموع
1853	845	650	1495
1854	463	755	1218
1855	1549	929	2479
1856	2167	997	3164
1857	2294	1863	4158
1858	1196	587	1784
1859	590	492	1072
1860	862	1533	2395
1861	2650	1615	4265
1862	2915	1237	(4153)
1863	2918	1885	4804
1864	1823	1830	3654
1865	1430	1166	2597
1866	1202	1329	2531
1867	698	962	(1660)
1868	798	774	1572
1869	869	670	1539
1870	604	1258	1862
1871	884	1006	1890
1872	1339	997	2336
1873	1614	951	2565
1874	1894	1096	(2991)
1875	2110	1467	3578

ت - السكان :

الفقرات الموالية سنتناول هذا الموضوع من عدة جوانب : تطور الأعداد ، وهجرة الجوار الى الثغور ، وتلميح الى العلاقات بين أهل العدوتين ، ونظرة الرباطي الى غيره والى نفسه ، وسيكون الختام بجدولي السماسرة والمحميين ، ثم بجرد استقصائي للأسر الرباطية المستوطنة والمتأصلة ، قديماً وحديثاً .

ت I - الأعداد :

تراوحت أرقام أهل الرباط في القرن التاسع عشر بين 22 ألفاً سنة 1834 - 1836 و 25 ألفاً سنة 1856 و 26 ألفاً سنة 1866 و 25 ألفاً سنة 1900 حسب ما جاء في المصادر الحديثة (28) ، لكن ثمة من يذهب الى 18 ألفاً و 27 ألفاً و 40 ألفاً متدرجة من الثلث الأول من القرن الماضي الى أواخره . على أن مجموع سكان العدوتين سنة 1855 كان يقارب الخمسين ألفاً منهم 5 أو 6 آلاف من اليهود ، ولربما بلغ عدد هؤلاء في الثلث الثاني من نفس الفترة 7 آلاف (29) . هاته الأرقام لا تعدو أن تكون مجرد تقديرات قد لا تبعد عن الواقع بعدا كثيراً ، وهي تدل مع ذلك على استقرار في عدد السكان بهاته المدينة الرباطية أثناء المدة المقصودة .

أما الأجانب فكانت جواليهم نَزْرَة في العقود الأخيرة من القرن الماضي ، فالكاثوليكيون (من فرنسيين وإيطاليين وإسبانيين وبرتغاليين) لم يزد تعدادهم من 1876 الى 1895 على ما فوق الخمسين وما دون العشرين فرداً ، بينما البروتستانتيون (ولاسيما البريطانيون) لم يتعدوا بين 1864 و 1869 عشرين شخصاً (30) ، وقد تكاثروا في مطلع القرن العشرين .

28 . كينيث براون : «أهل سلا» ص 48

29 . جان لوي ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 176 - 177 و ج 3 ص 15 و 20

و 161 و ج 4 ص 497

30 . المرجع الأخير ج 5 ص 70

ت 2 - الهجرة الى الثغور :

شهدت كثير من الحواضر نزوح أعداد وفيرة من القرويين طلبا للعمل واستقرار أسر كاملة بمدن هي غير مساقط رؤوسها من أجل التجارة أو غيرها.

وقد سجلت بالرباط أضعف نسبة معروفة في القرن الماضي إذا قورنت بما حدث في غير هاته المدينة ، فقد تزايد سكان الثغور بين 1832 و 1866 كما يلي : 18 ٪ في الرباط و 25 ٪ بتطوان و 33 ٪ بآسفي و 50 ٪ بالعرائش و 60 ٪ بطنجة والصويرة و 400 ٪ بالجديدة و 700 ٪ بالدار البيضاء (31) . وهذا ما يفسر نوعا ما استقراراً في سكان الرباط حسبما تقدم شرحه أعلاه ، وهو ما يدعو الى افتراض انغلاق المجتمع الرباطي مقارنة من جهة أولى مع غيره ، وانفتاحه اذا ما قوبل بالمجتمع السلاوي المحافظ من جهة أخرى .

وهذا كله لا يمنع حركات النزوح من النواحي والأحواز من البروز بحيث كانت هذه الهجرة - ولو أنها ضعيفة - سببا في تضيق المعيشة على أهل الرباط الأولين .

وفي سنة 1839 كان الرباطيون يميزون أنفسهم عن البرانيين (32) ويدعونهم بالآفاقيين أو بالمستوطنين الطارئين ، وهي ظاهرة عرفت في الواقع بمدن أخرى من الحواضر التقليدية .

ت 3 : الخلاف بين أهل العدوتين

وحتى مع المدينة الجارة السلاوية كان تنافس وخصام . وكان السلاويون مثلا ينظرون الى بعض أهل الرباط على أنهم مبتدعون ، بل كانوا يرون في سلوك أفراد منهم ميوعة أو ما يشبهها ، وكان التراشق بالألفاظ محتدا وجاريا بين أهل العدوتين منذ إمارة محمد العياشي .

31 . المصدر نفسه ، ج 3 ص 23

32 . أيضاً ج 3 ص 22

ويبدو أن تلك النعرات كانت مستحكمة بين الطرفين حتى أواخر القرن الماضي وأواسطه ، إذ في سنة 1873 كانت وقعة بين أهل العدوتين أثناء عيطة بنيس أو فتنة المكوس .

ت 4 - الفروق بين الرباطي والبراني

ومهما يكن ونحن نتحدث عن الماضي الغابر فقد كان بالرباط طائفة من أهل الورع والفضل والعلم مثلما عاش بهاته المدينة أفراد من ذوي العواطف الرقيقة والمشاعر المهيبة ، وكانت الرباط الى هذا وذاك مدينة الحرف المزدهرة كالتجارة والصناعة والفنون .

وقد تكون الشعارات الوجيزة التي سأقدمها مؤشرات لظهور تلك الفروق والموافقات داخل المجتمع الرباطي نفسه من خلال النشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية ، وها هي نصوصها ومعانيها (33) :

I - «وردة وسوسانة» عنوان سكان حي العلو واللوبيرة ، لاسرافهم في طلب اللذة واللهو والزينة .

2 - «بدعية ومكانة» لأهل سيدي فاتح حتى درب اكناوة ، فقد كانوا صناعا أو فقهاء من أهل التقوى والديانة ، يترقبون حلول وقت الصلاة ، مستشيرين من أجل ذلك ساعاتهم الصدرية .

3 - «خبّاطة وبطانة» شعار أهل قصبة الأوداية من أهل الصناعات النسيجية ، فقد كانوا يذهبون بالبطانات والخبّاطات الى جنب البحر لغسل الأصواف التي صنعوا منها أمتعتهم وزرايبهم المشهورة بالرباطية ، ولو أن أصلها سلاوي ، لأن معنى «سلا» في القديم : الرباط (سلا الحديثة) وسلا (المدينة المعروفة) معاً .

33 . الاستفادة من الصديق الحاج محمد الأمين ابن الجنائي الرباطي

4 - «كرشة ومصرانة» علامة سكان السويقة من الطبقات الشعبية الفقيرة التي كانت تتجر في بيع الأكارع والأسقاط أو تققات بها لضيق ذات اليد أو تعمل ذلك جميعا .

ومن أهل الرباط فئات أصيلة متحضرة وأخرى دخيلة بدوية ومتحضرة معا وردت من أنحاء مختلفة ، وستأتي أسماؤها في الختام . وكان منها النزور والنشور ، والمندثر والمستمر حتى منتصف القرن العشرين وكلهم من المسلمين.

أما يهود الرباط فلا سبيل لذكرهم طالما ظل مجتمعهم مغلقا من جهة أولى ، وما دامت المصادر المغربية القديمة صامتة عنهم من جهة ثانية ، ثم لا طاقة لتمييزهم عن غيرهم من يهود المدن الأخرى بألقابهم وكناهم الخاصة .

وستأتي تباعا في الفصول الموالية أسماء بعض المستوطنين من الأجانب الذين كان على رأسهم وكلاء وقناصل جعلوا مقارهم بين حي العلو والملاح في مكان يعرف حتى الآن بزقة القناصل ، وقد مثلوا عدداً من الدول ، وجعلوا لهم محميين وسماسرة سيأتي ذكرهم وقبله أعدادهم التي كانت 53 للأوليين و 34 للثانين وجميعهم 97 حسبما في الجدولين المواليين وهم من أهل الرباط وأحوازه ما بين مكرر وغير مكرر .

الملحق الأول : السماسرة والمحميون 1863 - 1900

I - المحميون :

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
ألمانيا	—	5	5
أمريكا	5	3	8
انجلترا	—	4	4
اسبانيا	2	5	7
ايطاليا	2	4	6
البرتغال	10	—	10
البرازيل	7	—	7
بلجيكا	1	1	2
النمسا	2	—	2
فرنسا	3	9	12
المجاميع	32	31	63

2 - السماسرة :

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
انجلترا	3	5	8
اسبانيا	—	2	2
ايطاليا	2	3	5
البرتغال	1	—	—
النمسا	1	1	—
فرنسا	1	15	16
المجاميع	8	26	34

الملحق الثاني

الأسر الرباطية

هذا جرد يكاد يكون كاملاً لأسماء أهل الرباط ، لا أعني به أولية ولا أولوية ولا حطاً من مقام ولا رفعا من شأن بقدر ما أقصد به إثباتاً لحقيقة تاريخية قديمة وحسبي به استقصاء استثناسياً للذين عاشوا بالرباط قبل منتصف القرن العشرين . ومنهم أسر مشتركة بين العدوتين ، وقد رتبت ذلك حسب قواعد الألفبائية المغربية ولم اكتبها حسب النطق ولكن بمقتضى قواعد النحو العربي .

* I الأبيض 2 الادريسي 3 الأزرق 4 أزطوط 5 الأزموري 6 أطوبي 7 الامراني 8 الاسماعيلي 9 الأودي 10 الأوراوي 11 الأيسر

* I2 باحو I3 البعراوي I4 البخات I5 البخاري I6 بخوت I7 البدرائي I8 برّا I9 برّادو 20 برّيش 21 برّكاش 22 البرنوسي 23 برق الليل 24 برقوق 25 البريبري 26 البريجي 27 بریطل 28 البزيوي 29 البطاوري 30 البلغيثي 31 بلافريج 32 بلامينو 33 بلامبو 34 البليدي 35 باليسيو 36 بناني 37 بنونة 38 البنيوري 39 الباعودي 40 بّعيز 41 بيسير 42 الباشا 43 البوقي 44 بآئنة 45 بيريز 46 پيرو 47 ابّيزار 48 البيضاوي 49 بوتيرة 50 بوجمة 51 بوجندار 52 بوجيدة 53 بوحدو 54 أبّاخاي 55 البودلالي 56 بودهير 57 بورقية 58 بوطالب 59 البوكيلي 60 بولعمان 61 بومهاود 62 بونو 63 بوعلام 64 بوعلاثة 65 أبو العيد 66 البوعزاوي 67 بوعنان 68 أبو القاسم 69 بوسلهام 70 أبو الشكاوي 71 بوهلال 72 بوهادي

* 73 ابن ابراهيم 74 ابن الأحسن 75 ابن ادريس 76 ابن اسماعيل 77 ابن برّكة 78 ابن بنعيسى 79 ابن بوعزّة 80 ابن بوشعيب 81 ابن التهامي

82 ابن جلتون 83 ابن جامع 84 ابن الكُناوي 85 ابن الجيلالي 86 ابن الحسن
87 ابن الحسين 88 ابن الحسيني 89 ابن الحاج 90 ابن الحوضي 91 ابن الحضر
92 ابن خرابة 93 ابن داود 94 ابن دورو 95 ابن ذراعو 96 ابن راجع 97 ابن
رمضان 98 ابن الراضي 99 ابن رشيقي 100 ابن ريسون 101 ابن الرواين
102 ابن زويد 103 ابن الطاهر 104 ابن طوجة 105 ابن الكورة 106 ابن الكاهية
107 ابن كيران 108 ابن المبارك 109 ابن محرز 110 ابن المختار 111 ابن المكي
112 ابن المليح 113 ابن المامون 114 ابن منصور 115 ابن مسعود 116 ابن
المعطي 117 ابن موسى 118 ابن المهدي 119 ابن عبد الخالق 120 ابن عبو
121 ابن عبد الله 122 ابن عبد السلام 123 ابن العباس 124 ابن عثمان 125 ابن
عندادة 126 ابن العربي 127 ابن العربي 128 ابن عرفة 129 ابن عزوز 130 ابن
علي 131 ابن عمر 132 ابن عمرو 133 ابن عامر 134 ابن عسيلة 135 ابن عويش
136 ابن العياشي 137 ابن العيساوي 138 ابن الغازي 139 ابن فارس 140 ابن
الفقيه 141 ابن قدور 142 ابن سلامة 143 ابن سعود 144 ابن سعيد 145 ابن
السايع 146 ابن الشرقي 147 ابن شقرون 148 ابن هشام 149 ابن الهاشمي
150 ابن اليزيد 151 ابن اليماني 152 ابن يعقوب 153 ابن يعيش 154 ابن يشو
155 ابن يوسف

* 156 التباع 157 التيجاني 158 التادلي 159 التريكي 160 التازي
161 التطواني 162 التوروثي 163 تكيطو 164 التلمساني 165 تمورثو 166
التغيري 167 التومي 168 التونسي 169 التواتي

* 170 الجبّاري 171 جبرو 172 الجبلي 173 الجديدي 174 كديرة 175 الجفيري
176 الجراي 177 جوريو 178 الجزولي 179 كازوليت 180 كلزيم 181 الجامعي
182 الكندوز 183 جنيح 184 الجعيدي 185 كسوس

* 186 الحاجي 187 الحجوي 188 الحجمري 189 الحداد 190 حرّاة 191
الحريزي 192 الحريشي 193 حكم 194 الحكماءوي 195 الحلو 196 الحليوي 197
الحمدوشي 198 الحمين 199 الحموني 200 الحنصالي 201 الحافي 202 الحفيان
203 الحسناني 204 حساين

* 205 الخدّاوي 206 خَطْبُوط 207 خالَص 208 الخلطي 209 خَلَوَق
210 خَشَّان 211 الخياط

* 212 الدبّي 213 الدخيسي 214 الدّريبكي 215 الدراوي 216 الدكّ 217
الدكالي 218 دينية 219 دَعْنُون 220 الدغمي 221 الداغري 222 الدغيمر
223 الدقاق 224 الداودي 225 الديوري 226 دِيّاس

* 227 الرّكراكي 228 الرّكّاني 229 الرّحالي 230 رودِيّاس 231 الروندة
232 الرينكة 233 الرطل 234 الرغاي 235 الرفاعي 236 الريح 237 الريش
238 رُوّان 239 الراشدي 240 الرواس 241 الرايس 242 الرايسي 243
الريسوني 244 الروداني 245 الرويجل

* 246 الزبدي 247 الزراري 248 الزرهوني 249 الزطّ 250 الزكي 251 زكيك
252 زنبر 253 الزناتي 254 الزنايدي 255 الزعيمي 256 الزواغي 257 الزو
258 الزياتي 259 الزيادي 260 الزياني

* 261 طاجين 262 الطرابلسي 263 الطراري 264 طريدانو 265 الطيماح
266 طيفور

* 267 كَرّاكشُو 268 كَرِيّم 269 كَرِيسْپو 270 الكّراري 271 كيليطو
272 الكّمرا 273 كنطزون 274 كريلائن 275 الكيحل

* 276 اللوباريس 277 اللحتكي 278 اللحياني 279 لَزّارو 280 اللوشبي
281 لاميرو

* 282 المباركي 283 مبيركو 284 متجينوش 285 المجدوبي 286 المحرزي
287 المَدَوّر 288 مدّون 289 المذكوري 290 مرسيل 291 المراكشي 292 المريني
293 المزابي 294 المطاعي 295 المكناسي 296 مكوار 297 المكينسي 298 ملين
299 المنصوري 300 المصباحي 301 المعداني 302 المعروفي 303 المعموري
304 المغراوي 305 المستغانمي 306 المستيري 307 المسفيوي 308 المسناوي
309 مورينو 310 مولاو 311 المواق 312 الموزن 313 المبيدري 314 الميساوي
315 مَراس

* 316 الناصري 317 النصيري

* 318 الضباحي 319 الصحراوي 320 الصّروخ 321 صَنَدَال 322
الصنهاجي 323 الصويري 324 صيرون 325 ضاكّة

* 326 العبّريدي 327 عبدون 328 العتابي 329 العدلاني 330 العذراوي
331 العطار 332 العظّمة 333 العكاري 334 العلمي 335 العلاهي 336 العليج
337 العلاوي 338 عليوة 339 العمري 340 العماري 341 عمران 342 العيماني
343 العيدوني 344 العياشي 345 العوفير 346 العوفي 347 العنقي 348 العايدي
349 العكّباني 350 عاشور 351 العوّلة

* 352 الغرفي 353 الغرباوي 354 غارة الله 355 الغريسي 356 غالب 357 غنّام
358 غانم 359 غفّير

* 360 فَرَج 361 فَرَج 362 فَرْفُرة 363 فَرَشَادو 364 الفكّاك
365 فلوريش 366 الفلّوس 367 الفلّات 368 فَنَجِيرو 369 فَنَيْش 370
الفاسي 371 الفيلاي 372 فيلال

* 373 القباچ 374 القجيري 375 القادري 376 القرشي 377 القرطبي 378
القرقوري 379 قرّيون 380 قورّية 381 قامة 382 قَمْرادة 383 القصري
384 القاسمي 385 القسطالي 386 القايدي 387 القواقجي

* 388 سبّاطة 389 السباعي 390 السبيّع 391 السحيمي
392 السرايري 393 السلامي 394 السلاوي 395 سَلِيطَن 396 السالمي 397
السمار 398 السفاج 399 السفاني 400 السغروشنّي 401 السايح 402 الساهلي
403 السهواني 404 السويني 405 السويسي 406 السوسي 407 سيسو

* 408 الشباني 409 الشتوكي 410 الشدادي 411 الشديّد 412 الشاذلية
413 الشرقي 414 الشرقاوي 415 شكالانطو 416 الشّلاوي 417 الشلح 418
شَنْتِيَاك 419 الشّيحاني 420 الشياظمي 421 الشاوي 422 شايب عينو

* 423 الهَرَم 424 الهواري

* 425 والحاج 426 والزهرء 427 وَالْعَلُو 428 الوزاع 429 الوزاني
430 الواعدودي 431 الولادي 432 أولاد سيدي الغندور 433 أولاد مولاي ابراهيم
* 434 اليزيدي 435 اليمني 436 اليعقوبي 437 اليسنفي 438 يشثو (X)

X . تستدعي هاته الاعلام الملاحظات الآتية :

• من حيث بعض الاسر المشتركة بين العدوتين : 6 - 10 - 25 - 27 - 33 - 180 -
184 - 201 - 207 - 220 - 252 - 292 - 369 - 375 - 415 - 427 .

• من حيث النطق : الكافات أو الجيمات معقودة في 21 - 64 - 84 - 152 - 162 - 171 -
179 - 180 - 182 - 185 - 227 - 228 - 232 - 270 - 272 - 277 - 349 - 418 .

الباءات فارسية P تنطق أحيانا في 31 - 32 - 45 - 46 - 269

• من حيث الكتابة بالأحرف اللاتينية : الباء اسبانية (V) في 21 - 35 - 44
ويجوز أن تكتب هي وغيرها من الاعلام بنفس الأحرف :

1 Blanco. 19 Parado. 21 Vargas. 31 Palafren. 32 Palomino.
35 Valesio (?) . 44 Vaina/Baena. 45 Perez. 46 Pilo/Pairo. 62 Bono.
163 Chiquito. 165 Chamorro. 218 Denia. 226 Diaz. 230 Rodias. 231
Ronda. 232 Rienga. 238 Roan. 264 Toledano. 267 Carrasco. 269
Crespo. 271 Querido. 272 Camara. 276 Alvarez/Livares. 279 Lazaro.
281 Romero. 287 Almodovar. 290 Marcelo. 298 Molina. 309 Moreno.
310 Mulato. 315 Miras. 321 Sandalio (?). 363 Farchado. 365 Flores
379 Carrion. 380 Coria. 382 Camarada. 388 Zapata. 415 Escalant.
418 Santiago.

2 : ألمانيا

أ - السلك القنصلي

1 - جون فروسط الانجليزي ناب سنة 1885 وقبلها قليلا عن مصالح ألمانيا بالرباط (1) .

2 - إيرنيست هانسن الألماني كان سنة 1890 يمثل بلاده أيضا (80) حتى خلفه :

3 - ه. طونيس سنة 1901 بياته المدينة (3)

ب - المحميون القنصليون :

جاءت أسماؤهم في اللوائح الألمانية السنوية ابتداءً من سنة 1881 ، وقبل ذلك ورد المحميان الأول والثاني في القوائم الانجليزية ، لأن إنجلترا كانت تتولى المصالح الألمانية .

1 - الحاج بنعيسى بن راجع : كان ترجمانا ومحميا إنجليزيا بالوكالة القنصلية سنة 1879 ، ولكنه في القوائم السنوية صار محميا ألمانيا (قوائم 1881 - 1892) . وفي سنة 1893 عاد محميا انجليزيا (4) .

1 . رسالة فيبير الى الطريس في 11 ماي 1885 ، محفظة الطريس 5

2 . رسالة هانسن الى غريط في 15 صفر 1308/30 شتنبر 1890

3 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 171

4 . رسالة سكسو الى السويسري في 21 دجنبر 1893 ، وقد جعلت بين هلالين تاريخ النوائم .

2 - **المعطي بن مبارك** : عون (1881 - 1892) . وكان من قبل محميا انجليزيا ، كما تقدم عنه وعن من قبله **الحاج الهاشمي الباشا** : ترجمان (1890) **وعمر بن أحمد الزياتي** عون (1890 - 1897) **والحاج محمد بن راجع** : ترجمان (1895) .

ت - السماسرة والمستوطنون :

عاش بالرباط عدد قليل من الألمانين كان لهم سماسرة خارج الرباط ولا سيما بالدار البيضاء حيث سترد أسماؤهم ، وكان من المستوطنين :

1 - **هانسن** : E. A. HANSEN

استوطن المغرب سنة 1878 فنزل بالدار البيضاء ثم انتقل الى الرباط سنة 1884 وبقي به حتى سنة 1897 حيث كانت وفاته (5) ، كان له بعض السماسرة من أحواز الدار البيضاء .

واتخذ من أهل الرباط وسلا خلطاء كانت له معاملات معهم ودعاو عليهم ، فقد كان المكي بركاش مدينا له ببعض المال أداه عنه أخواه عبد المجيد والصدیق (6) ثم كانت له علاقة مع أحمد الصابونجي السلاوي الذي «اشترى منه 24 ماكينة ، ثمنها 1200 فرنكا بموجب كنطردة في 2 دجنبر 1890 . لكن الصابونجي لما وجدها فاسدة امتنع من الأداء» (7) .

وقد وقعت له واقعة مع الحاج محمد بن الحاج عمر العوفير الذي كانت له مصارفات أخرى مع بعض التجار الألمانين ، وتفيد شكاية في الموضوع أن العوفير صدر منه «السب والشتيم المذكور بحق النائب المذكور بكلمات كـ

5 . كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 57 (1)

6 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 20 أكتوبر 1893 ، محفظة المغرب انمايا

7 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 23 ماي 1892 ، المحفظة نفسها

«شفار وقمار وكذاب وقليل الدين» وراجع ذلك مرارا ، فالشهود الذين كانوا حاضرين وسمعوا هذا الكلام هم : التاجر فيكى وسي حفيظ الكتاني وسي محمد كركش' بالرباط» (8) .

أما الأئمناء بالرباط فكانوا ينعتونه بأنه كان «كثير الصياح المفرط» (9) ، كما أنهم حجزوا له «مدة عامين مكحلة صيد ذات عمارتين كانتا وردت له» . لكن السلطان أمرهم بتسريحها له (10) .

2 - هينريخ طونيس H. TONNIES

كان وكيلا قنصليا كما تقدم ، وكانت له معاملات مع المغاربة ودعاو على بعض السلاويين مثل ادريس حصار وأخيه بنعاشر اللذين سجنهما أحمد الطالببي خليفة عامل سلا سنة 1901 من أجل الوفاء بدينهما (11) .

وختاما كان لدار سونينكالب SONNENKALB الألمانية من مدينة ليبسيك وكلاء بالرباط سنة 1894 ، كان منهم بنعبو بن زاكين وشركاؤه (12) .

-
- 8 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 28 شتنبر 1892 ، المحفظة المذكورة
 - 9 . رسالة الامينين : الصديق بركاش وعبد السلام بن يحيى الى الطريس في 20 شوال 1305/30 يونيو 1888 ، محفظة الطريس 13
 - 10 . رسالة السلطان الى الطريس في 2 جمادى الاولى 1300/4 دجنبر 1891 ، محفظة الطريس 21 .
 - 11 . رسالة طونيس الى المهدي المنبهي في 6 حجة 1318/27 مارس 1901 ، محفظة المغرب ألمانيا
 - 12 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 7 يبرير 1894 . بالمحفظه نفسها

3 : الولايات المتحدة الأمريكية

أ - السلك القنصلي :

- 1 - موشي كيروب كان سنة 1864 وكيلا قنصليا (1) .
- 2 - وبعد سنوات خلفه موشي ابن عطار حتى سنة 1881 حين توفي (2)
- 3 - ثم تولى هذا المنصب شقيقه حاييم بن رفائيل ابن عطار (3)
- 4 - وفي سنة 1891 كان هنسن القنصل الألماني مكلفا بالمصالح الأمريكية (4) مدة قصيرة :
- 5 - لأن يعقوب بن رفائيل ابن عطار المحمي أو المجنس البرازيلي تولاها سنة 1894 أو قبلها بقليل (5) .

ب - السماسرة :

سترد أسماء الكثير منهم بالدار البيضاء لأنهم من أحوازها ولأن الوثائق الأمريكية لا تميز بين عنوان التاجر وعنوان السمسار ، وسندرج هنا واحدا نظنه من يهود الرباط هو يعيش بن سعود الذي لم يعرف تاجره (6) .

1 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 3 شعبان 1280/13 يناير 1861 .
محفوظة بركاش

2 . رسالة ماثيوز الى بركاش في 13 رجب 1298/11 يونيو 1881 . بالمحفوظة نفسها .

3 . الرسالة نفسها

4 . رسالة باركلي الى الطريس في 2 ماي 1892 ، نفس المحفوظة

5 . الرسالة الاخيرة نفسها

6 . من الوثيقتين الأمريكيتين 59/69 و 60/69

ت - المحميون :

ت 1 - من وثيقة 60/69 الغفل :

I - 2 - أبو بكر بن علي حكيم : عون سنة 1892 وشمويل ابن الصائغ
تاجر محمي .

ت 2 - منها ومن 59/69 معا :

3 - شلومو بن سعيد : وكان سنة 1883 ترجمانا

ت 3 - منهما معا ومن 7/69 الغفل ومن 22/69 (سنة 1888) :

4 - حاييم بن رفائيل ابن عطار : كان محميا منذ سنة 1880 ووكيلا
قنصليا ، وسنعود اليه .

ت 4 - من غير ذلك :

5 - موشي كيروب وتقدم أنه كان محميا سنة 1864

6 - أحمد الدكالي : وكان من أول التجار المحميين (7)

7 - 8 - يوسف ابن الصائغ صار سنة 1892 ترجمانا للوكالة ومحمد
بن يحيى الشاوي وكان كاتباً في السنة نفسها (8) . وقد وصفه ماثيوز بأنه
«رجل مسكين ، وصاحب جد ، لم فيه فجور ، يعرفه الخاص والعام ، وساكن
بأولاده بالرباط هذه مدة طاولة . . . » (9) .

7 . ميج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 277 (2)

8 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 27 شوال 1309/25 ماي 1892 ، محفظة المغرب
أمريكا ، وقد ورد فيها ذكر هذين المحميين زيادة على المحمي الأول .

9 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 18 ربيع الثاني 1310/9 نونبر 1892 ، بالمحفظات نفسها .

ث - المستوطنون وأسرة ابن عطار :

لم يرد شيء عن الأمريكيين . إلا أن زمرة من المحميين كانوا يتولون التجارة نيابة عن بعض التجار الأمريكيين ، ومنهم كانت أسرة ابن عطار مثل يعقوب ورفائيل .

أما حاييم فقد كان محميا استثنائيا وناثبا قنصليا ، وكانت السلطات المحلية تتضجر ممن كان يتولى القنصلية من أهل ابن عطار ومن حمايته لأهل سوس الرحويين الذين «تفاحش أمرهم في السرقة فيما يطحنونه للناس ، وبعض الناس لا يتوصلون للطحين إلا بالزيادة على السعر زيادة على السرقة ، وكذلك البقالة يسرقون في الميزان مع فساد السعر . . . وكثير منهم يتعلق بالقونص ابن عطار ويتعرض عليهم ، ومن جملتهم ابراهيم بن علي المنوزي وإخوان له كل واحد منهم برحى . . . والكل من ابن عطار . . . فقد أفسد ملاح اليهود ، والآن يفسد الرعات . . . » (10) .

وكان العامل عبد السلام السويسي صارما يقيم الحدود ، ولم يكن ذلك ليعجب حيم فتشكى منه فأجاب السويسي «أن ما تشكى منه ابن عطار من عدم جوابي لكتابه لم يصدق في ذلك . . . وأما اليهود الصيارفة فلم يظلم أحد منهم ، وكنت قد كتبت لك بأنهم يسرقون للأعراب من الفلوس وقت الصرف ، ونهيتهم عن ذلك فلم ينتهوا ، فضربت واحدا منهم نحو العشرين ضربة وسجنتهم مدة قريبة وسرحتهم قبل وصول جوابك .

«وأما محمد الرحوي الموصنى عليه . . . قلم يصله أحد بسوء ، مع أنه يتعرض للمخزن على أهل سوس ، ويعضده في ذلك القونص ابن عطار وترجمانه شميل بن سعيد . . . ومن الآن قد ضقت ذرعا من هذا الأمر ، وظهر لي أن نكف يدي عن التصرف حتى يظهر وجه الأمر . فان ابن عطار

10 . رسالة عبد السلام السويسي إلى بركاش في 5 صفر 1298/7 يناير 1881 ،

محفوظة بركاش

يتعرض في أمور لا مدخل له فيها ، من جملتها هذه الدعاوي ، وليس أحد منهم في الحماية ومع ذلك رجعت الكثرة علينا . إنا لله وانا اليه راجعون .» (II).

وكان الوكيل القنصلي يتواطؤ مع أهل سوس على إهانة أمين حرفة الطاحونيين الذين ذكر عامل الرباط أنهم كانوا يسرقون الدقيق عند طحنه ، ويعزو ذلك الى تحريض القنصل ويؤكد أنه «إنما هو من خوض ابن عطار وترجمانه وهذا القونص' ابن عطار غشوم في أمور الخدمة وليس بمليح في طبعه ، ويفريه على الجدل والخصام الترجمان' ، فان زمامه بيده من قديم ، فان عليه قضايا متعددة حين كان مع أخيه ولا زال يخوض ويطلق لسانه في السوق بما لا يصلح .» (I2) .

ولم يرد تاريخ انتهائه من الولاية القنصلية ، لكن حاييم كان لا يزال وكيلا قنصليا في 21 يونيو 1887 في عهد ريدلويس (I3) .

ولم ينجح بنو عطار في استدراج المغاربة الى الحماية الأمريكية ، ولذلك ظلت الولايات المتحدة أقل مصالح بالرباط من غيرها . وقد قال عامل الرباط في ذلك ما يلي :

«طرفنا ليس فيه تجار للمركان ، وليس له مخالطة هنا ولا عند أعراب الرباط كافة ، والذي عندنا هم أولاد الباشا أصلا ، منهم الحاج عبد القادر كاتب الجنس المذكور في الدار البيضاء ، ومخالطته بها كثيرة ، وله حرث عند الشاوية : أولاد زيان ومديونة وزناتة . وهنا أخاه الحاج الهاشمي وولد عمه أحمد ومخالطا لهم الأمين السيد محمد بن العربي الحساني» . ثم

11 . رسالة عبد السلام السويسي الى برকাশ في 2 ربيع الثاني 1300/10 يبرابر 1883 ، محفظة برকাশ ، ومثلها ورد في رسالة منه اليه قبلها في 15 ربيع الاول 1300/25 يناير 1883 ، بالمحفظه المذكورة .

12 . رسالة السويسي الى برকাশ في 18 ربيع الثاني 1300/26 يبرابر 1883 ، محفظة برকাশ .

13 . رسالة ريدلويس الى الطريس في 21 يونيو 1887 ، محفظة المغرب أمريكا

قال انهم يتعلقون «بالجنس المذكور ويظلمون ولا يعطون الحق وان تَعَيَّنَ عليهم ، ثم نائب الجنس المذكور هنا اليهودي رفايل بن عطار من يهود الرباط ، ومستولي على جميع الذميين ، خصوصا قرابته وأصهاره وقراباتهم ، ويتعرض على الجميع ، وأما مخالطته في الحرث والماشية فعند قبيلة الغرب وبني حسن» (I4) .

14 . رسالة محمد السويسي الى السلطان في متم جمادى الثانية 1303/4 أبريل 1386 . محفظة الطريس 7

4 : انجلترا

أ - السلك القنصلي :

تعدد القناصل والوكلاء بالرباط . وكان منهم :

I - **وليام جيمس إيلتون** W. J. ELTON الذي كان تاجرا بجبل طارق ثم استوطن الصويرة من 1834 الى 1844 . وفي سنة 1847 عين نائبا قنصليا بالرباط حتى أواخر 1855 ، وبعد ذلك عاد الى الصويرة بنفس الصفة ومنها الى آسفي حيث مات في غشت 1869 هو وابنه وليام صامويل الذي كان مستخدما معه بالرباط واعتنق الديانة الاسلامية (I) كما سيأتي خبر ذلك في مكانه .

2 - **بيطر بارو** P. BARROW هو الذي خلفه بالرباط سنة 1857 . وقد عزل عن منصبه سنة 1862 لأنه كان قبل ذلك يتهم جون هي بالخطرة والمحسوبية وبعدها لفرنسا (2) .

3 - **جيمس دروموند هي** شقيق الوزير البريطاني هو الذي حل محل بارو بعد ذلك (3) ولبعض الوقت .

4 - وفي سنة 1867 انتقل **فرانك وولدريدج** F. WOOLDRIDGE من قنصلية الدار البيضاء الى نفس الوظيفة بالرباط (4) . أما :

1 . ميج : «المغرب وأروبة» ج 1 ص 104 و ج 2 ص 336 (1)

2 . المصدر السابق

3 . المصدر السابق أيضا ورسالة السويسي الى بركاش في 5 جمادى الثانية 1282/26 أكتوبر 1865 ، محفظة بركاش

4 . ميج : «المغرب وأروبة» ج 1 ص 177

5 - **جون فروسط I. FROST** فقد ناب عن بلاده لمدة طويلة منذ 1872 كما مثل دولا أخرى كألمانيا والدانمارك وهولاندا وبلجيكا والبرتغال .

حل هذا القنصل بالمدينة سنة 1857 وعمره لا يتجاوز العشرين . وهو لذلك يعد من قدماء المستوطنين بالرباط ومن أهم التجار . وكان مراسلا للجمعيات الجغرافية التي كان يوافيها بمعلومات مناخية كل يوم ، وفي سنة 1880 تولى عن جميع مناصبه القنصلية (5) فخلفه كيرثين .

وكان لبريطانيا العظمى محميون قنصليون وسماسرة لتجار رعاياها بالرباط ، وردت أسماؤهم في وثائق ومصادر مختلفة .

ب - المحميون القنصليون :

كان عددهم سنة 1880 لا يعدو أربعة وهم :

1 - **الحاج بن عيسى ابن راجع** : وكان ترجمانا (6) وعاد سنة 1893 الى هذا المنصب .

2 - 4 - **المعطي بن مبارك** : عون وصار هو والذي قبله محميين ألمانيين ومحمد الغزواني : مستخدم وعائشة الرغاوي : مستخدمة

ت - السماسرة :

ت 1 - **من تقييد ابن زيدان وزمام سماسرة التجار الانجليزيين (1879)**

1 - **ابراهيم لاريدو** : سمسار هنري ماتيوس H. MATEOS الطارقي بمدينة الرباط .

2 - **بوعبيد ولد الحاج موسى** : سمسار له أيضا بمدينة سلا

5 . المصدر السابق ج 1 ص 111 و ج 5 ص 70 وكيين : «المانيا والمغرب» ص 38 (1) ورسالة جون هي الى بركاش في 9 مارس 1875 ، محفظة بركاش

6 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 316 ، وقد ورد هو والثلاثة الذين بعده في الكتاب الاخير .

3 - **عبد الهادي بن بوعزة المحرزي** : سمسار بالرباط لأرباب كنطردة اللحم بجبل طارق ، ومنهم مطيوس سالف الذكر .

4 - **الحاج الشاذلي** مثله لهم وهو المدعو الحاج الصالي الحريزي في قائمة سمسرة سنة 1889 .

ت 2 - من قائمة سمسرة التجار لسنة 1889

5 - 6 - **عبد الرحمان بن العياشي بورزامة العمري والمفضل بن العياشي بورزامة العمري** سمساران للقنصل جون فروست بقبيلة عامر .

ت 3 من غيرها

7 - **يوسف الدهان** كان سنة 1886 نائبا بالرباط عن شركة شوستر فولد (7) Shuster/FOLD المستقرة بمدينة منتشيسطر

8 - **إلياس بن سعود** سمسار بالرباط لشركة كرومويل باركس (?) Barks ?/BURKS (?) اللندنية قبل 1891 بسنوات عدة (8)

• • •

ث - **المستوطنون** :

قليلون هم الرعايا البريطانيون أو الطارقيون الذين سكنوا بالرباط وتستفاد من كنانيش القنصلية أسماء بعضهم من الذين كانوا بهاته المدينة من 1864 الى 1878 . كما تحدثت الوثائق المخزنية عن طائفة منهم .

ث I - من السجلات القنصلية :

روبيرت كيرتون فروسط R. KIRTON FROST كان تاجرا (عمره 29 سنة) ، **وجون فروسط** : تاجر ثم قنصل (27 سنة) ، وهما معا من مواليد

7 . رسالة جون هي الى الطريس في 3 ماي 1886 ، محفوظة المغرب بريطانيا

8 . رسالة ايوان سميث الى الطريس في 8 دجنبر 1891 ، المحفوظة نفسها

انجلترا ، وتيودور لوكاس كوديت T. L. GODET وهو طبيب قدم من جزيرة
بيرمودة (50 سنة) ، وسالومون بيطون وهو من يهود جبل طارق (34 سنة)
وقد استوطن مدينة سلا ، وأوخينيو كيبيرو E. GUILLEVERO وكان تاجرا
ومن أصل طارقي (24 سنة) ووليام ديشيد كوتش W. D. GOOCH ، وأصله
من لندن .

هؤلاء الستة كانوا بالمدينة سنة 1865 ، وأكثرهم كان في عهد
الشباب . لكن كان هناك آخرون حلوا بالرباط سنة 1869 أو بعدها ومنهم :

يوذا بالانسي Y. BALENSI وهو من جبل طارق (36 سنة). وحاصله
أن الجالية لم تكن تتجاوز 17 شخصا خلال هاتئ الفترة (9) فيهم التاجر
والسائح والخدم ومعهم ثلاثة من النساء دون أن يرد للأطفال ذكر فهل كانوا
عزابا ؟

ث 2 - المصادر المغربية تحدثت عن بعض هؤلاء المستوطنين وفي
مقدمتهم :

هنري ماطيوس الذي كان مصدراً للشيران الى جبل طارق حيث كان
مولده به سنة 1837 .

ومما يذكر أن عصابة من قبيلة عامر سطت سنة 1866 على 80 ثورا (10)
كانت في ملكه وذلك أثناء تسفيرها الى مراسي الشمال ، لأن الحيوانات كان
تقاد برا الى العرائش أو الى طنجة ومنها توسق بحرا .

كان سيء السيرة ، وعنه قال السلطان لبركاش يخبره بأن هذا التاجر
قد «بلغ الغاية في السفه والجسارة على المسلمين وعلى جانب المخزن ...»

9 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 70

10 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 23 حجة 1282/9 مني 1866 . محفوظات

بركاش

وأنه «ركب يوما من الرباط لسلا في فلك كبير . ولما وصل لبر سلا ترك المحل الذي يسع نزوله ... وقصد المحل الضيق لينزل به ... فَنَحْنِي أرباب الفلايك فلايكهم ، غير رجل ثقيل السمع لم يسمع كلامه ... فجعل مطيوس يسبه فرد عليه الجواب بالسب ، فأخذ مطيوس غانجوا كان معه في الفلك وصار يضربه به ، وما حال بينه وبينه الا بعض الفلايكية .

»ثم نزل مطيوس البر وأطلق لسانه بسب المسلمين والدين والمخزن عمال وغيرهم وعمر مكحلته وتهدد بها المسلم الذي أجابه بالسب ...

»وقد أخبر خديمنا ابن سعيد أن هذه هي عادة النصراني المذكور مع جميع من يبيع له البقر أو يخالطه في أمر من أموره ...

»ولا يخفى أن دولة النجليز معروفة بغاية المحبة والتعظيم لجنابنا العالي بالله . وقد صار بعض سفهاء تجارها كمطيوس يصدر منه ما ترى ...

»فكيف يطلق السفية مطيوس لسانه بسب المخزن على رؤوس الأشهاد ؟ فتكلم مع الباشدور في إجراء الأحكام عليه بما تقتضيه شريعتهم ، ونفيه من هذه الايالة السعيدة» (II) .

كرومويل باركس C. BURKS (?)

ذكرت المصادر المخزنية أنه كان سببا في فتنة حدثت سنة 1889 بديوانة مرسى الرباط عند ما منعه الأمناء من اخراج مكحلة صيد وردت عليه من خارج المغرب ، فقد كان يريد حيازتها دون رخصة مسبقة من الحكومة . فتشاجر معهم وخطف صندوقا من المرسى ، وحينئذ ضربه الحراس وساقوه

II . رسالة السلطان الى بركاش في 22 صفر (1289/1 ماي 1872 ، نصونها بمجلة

«الوثائق» : ج 4 ص 400 - 401

مسجوناً لدار الوكالة القنصلية (I2) ، ثم تولى القنصل جيرفن تمكين باركس من بندقيته المحجوزة (I3) .

وكما اختلف باركس مع الألماناء فقد اختلف مع غيرهم من المغاربة مثل محمد عبد المجيد بركاش حول عشر زكايب من عود النوار (القرنفل) . فقد بيعت له على يد التاجرين الألمانين الطنجيين هيسنير ويواخمسون في أوائل 1890 ، وطالت الدعوى بين بركاش وباركس نحو السنتين ، وقد كان المشتري يدعى أن السلعة غير مطابقة لِمَوْشْتَرَةٍ وأن القرنفل كان فاسداً وأن الدعوى في ذلك تنحصر بينه وبين الألمانين ولا علاقة للانجليزي بها (I4) .

جيرفين (GIRVIN ?)

هذا كان نائبا قنصليا بالرباط سنة 1889 . وكان فظا غليظا وذلك أنه ضرب رئيس مرسى الرباط بالعصا ثلاث ضربات متوالية لرفضه الاتيان بالقوارب للنقص من حمولة إحدى السفن (I5) .

12 . رسالة وايط الى الطريس في 16 أبريل 1889 ، محفظة المغرب بريطانيا

13 . رسالة كرين الى الطريس في 9 دجنبر 1889/15 ربيع الثاني 1307 ، المحفظة المذكورة

14 . رسالة كرين الى الطريس في 28 أكتوبر 1890 ، ثم رسالة بركاش الى الطريس في 6 شوال 1309/4 ماي 1892 ، المحفظة السابق ذكرها

15 . رسالة أميني المرسى الصديق بركاش وعبد المجيد بنشقرون الى الطريس في 6 شوال 1306/3 يونية 1889 ، محفظة الطريس 16

§ : اسبانيا

أ - السلك القنصلي :

كان لها ته الدولة نواب قنصليون يقومون أيضا بوظيفة اقتطاع قسط من الوفر لتسديد الغرامة الحربية ، وأولهم كان هو :

1 - **وامون فيرنانديث دي لاريغيرا** R. F. de la Reguera المعين في شتنبر 1861 بمدينة الرباط بوصفه «أمينا» (1)

2 - **إدواردو دي لانييا** : E. de La Nina وكان سنة 1866 نائبا بالمدينة (2) .

3 - ثالث نائب قنصلي كان هو **فرانثيثكو پوينطبي** F. PUNTE وذلك من 1873 الى 1874 ، وظل بالرباط الى أن انتقل الى الصويرة (3) سنة 1875 ، وكان منذ سنة 1863 مراقبا بالمرسى .

4 - **تيودورو دي كويباس** T. de Cuevas أسندت اليه سنة 1881 النيابة عن بلاده بالرباط (4) ، وكان رقيبا بياته المرسى وبغيرها من المدن وخلف مذكرات وتقارير تجارية (4)

1 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 151 (1)

2 . رسالة دي لانييا الى بركاش في 23 ربيع الثاني 1283/4 شتنبر 1866 . محفظة بركاش

3 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 150

4 . رسالة ديوسدادو الى بركاش في 20 يبرير 1881 . محفظة بركاش

5 - وكان رفائيل اكواروني بي سوليس R. AGUARONI Y SOLIS

سنة 1892 نائبا قنصليا (5) . ولم أقف على من كان بعده مباشرة .

ب - المحميون :

كان لهؤلاء النواب القنصلين محميون :

ب 1 - من تقييد ابن زيدان (1880)

1 - الحاج محمد الأزرق : « الفاسي اصلا الرباطي وطنا » وكان منذ

ما قبل 1880 يشغل منصب كاتب بالنيابة القنصلية . وبقي كاتباً كذلك سنة 1891 ثم محميا بعد 1907 دون شغل وظيفة الكاتب (6) وذلك لكبر سنه على ما يظهر .

2 - 5 - عبد الرحمان الأودي : كان عوناً ، و « متعلما للدار لم

يسمهما » القنصل واليهودي الزكوري : وكان ترجمانا (7) .

ب 2 من غيره :

6 - هارون سكسو : كان سنة 1892 ترجمانا (8)

7 - الحاج احمد الأزرق : وكان كاتباً سنة 1894 بدار الوكالة وظل

إلى ما بعد أواخر 1907 محمياً (9) .

5 . رسالته الى محمد السويسي في 1 شعبان 1309 / فاتح مارس 1892 ، محفظة الطريس 20

6 . رسالة محمد بن سعيد في 2 شوال 1308 / 11 ماي 1891 ، محفظة المغرب اسبانيا .
ثم لائحة المحميين الاسبانيين بالرباط سنة 1907 بالخرانة الصبيحية

7 . ابن زيدان في « العز والصولة » ج 1 ص 316 سماه اليهودي ولعل صوابه : الياور

8 . رسالة اكواروني الى محمد السويسي في 5 شعبان 1309 / 5 مارس 1892 . محفظة الطريس 22

9 . لائحة المحميين الاسبانيين بالرباط سنة 1907 بالخرانة الصبيحية ، ولربما يكون المحمي الاول والسابع شخصا واحدا

ت - السماسرة والمستوطنون :

مما لا ريب فيه أن الرباط كان يسكن به رعايا اسبانيون ، وهناك إشارات الى السماسرة والمستوطنين في وثائق مختلفة .

I - في سنة 1889 قبض عامل بني حسن احميدة بن المكي المختاري على سمسار تاجر اسباني لم يذكر اسمهما معاً ولم يعرف لهما مكان استقرار ، والراجع أنه كان بالرباط .

وتبين من البحث الذي أجري أن القائد فعل ذلك ظلماً وعدواناً حتى «سقط من عين الحضرة المولوية بهذه الأفعال الدمية ، ولا أظن عاقبته تخرج بخير» (IO) وقد أمر القائد بدفع 2000 ريال لفصال تلك الدعوى .

2 - أثير الى أن عبد الرحمان بن بوعزة الزهاني كان سمساراً لقنصل اسبانيا رفائيل أكواروني ، وقد اعتقله عامل الرباط سنة 1893 ، فاحتج القنصل ذاكرة أنه محمي لدولته بينما أنكر السويسي أن تكون له هاته الحماية ، ولذلك يجوز له اعتقاله لأن له أمراً بشد عضد عمال البوادي في ذلك (II) .

أما أبوه بوعزة بن المعطي فقد تقدم أنه كان سمساراً ببني حسن لفائدة أندريا وانينو قنصل ايطاليا بالعرائش .

IO . رسالة غريط الى الطريس في 15 جمادى الثانية 1306/16 يبرابر 1889 ، محفظة الطريس 15

II . رسالة أكواروني الى عامل الرباط في 7 مارس 1893/18 شعبان 1310 ، محفظة اسبانيا المغرب

6 : إيطاليا

أ - السلك القنصلي :

1 - **موسى ابن عطار** كان ينوب عن إيطاليا أيضا (1) حوالي سنة 1867

2 - **أنطوان دوكور** الفرنسي مثل هاته الدولة بعد هذا التاريخ

3 - وحوالي سنة 1893 أُسند الى الوكيل الاسباني **رفائيل أكواروني** إي سوليس القيام بهذه النيابة (2) .

4 - **هارون سكسو** تولى نفس المهمة (3) وكان ذلك في أواخر سنة 1893 ، ولم أقف على غير هؤلاء الذين ليسوا ايطاليين ، وكان لهم محميون قنصليون وسماصرة جاءت أسماء بعضهم مفصلة في وثائق ومصادر مختلفة .

ب - المحميون القنصليون :

ب 1 - **من تقييد ابن زيدان** (1880)

1 - **الحاج محمد بن الحاج عبد الله الباشا** كان كاتباً للنيابة القنصلية بالرباط تردد ذكره منذ سنة 1880 حتى لائحة 1894 السنوية .

1 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 6 حجة 1283/11 ابريل 1867 .
محفظه بركاش

2 . رسالة أكواروني الى محمد السويسي في 7 مارس 1893

3 . رسالة سكسو الى محمد السويسي في 21 دجنبر 1893 . محفظه المغرب ايطاليا

لم يكن الباشا هذا على أفضل حال مع السلطة المحلية وخصوصا آل السويسي الذين كانوا يصفونه بالتطاؤل والتعرض على الأحكام (4) على أنه كانت له كثير من الدعاوي مع السلطات ومع السكان مثل مصطفى بن مسعود طريدانو الرباطي المتجر بالدار البيضاء ، ولما رفعت النازلة الى القضاء وحكم سنة 1880 على الحاج محمد الباشا باليمين امتنع الأخير من الحلف فأشهد عليه خصمه ذلك بالعدول (5) .

الباشا كان من أكبر الملاكين بالرباط ، ولما أراد بناء هري وحوانيت قرب حي وقاصة والملاح واتفق سنة 1893 على ذلك مع المعلم البناء مبارك السلاوي ليكري هاته الأملاك لدار تجارة موشي-إسحاق ناهون الطنجي ، رفض السويسي له رخصة البناء (6) .

وكان للحاج محمد الباشا ولد مولع بصيد القنفذ . وحدث له أن تلاقى مع شخص يدعى العقباني كانت له سابق معرفة به ، وكان بيد ولد الباشا كأبوس فخرجت منه رصاصة صادت العقباني وأردته قتيلا في الحين . ولما رأى ما وقع له لاذ بالفرار ، لكن السلطان أمر بالقبض عليه وتكليم سفير إيطاليا بدفع القاتل لعامل البلد حتى يتفصل مع أولياء الدم (7) .

2 - محمد بن بوشعيب المغراوي الزناتي : كان مستوطنا بالرباط سنة 1880 ومحميا هو ومن بعده :

4 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 10 جمادى الاولى 1298/10 أبريل 1881 ، محفظة بركاش

5 . رسالة محمد بن العربي الطريس الى بركاش في 2 فعدة 1297/6 أكتوبر 1880 ، محفظة بركاش

6 . رسالتا سكسو الى محمد السويسي في 21 و 21 دجنبر 1893 ، محفظة المغرب ايطاليا

7 . رسالة السلطان الى الطريس في دتم جمادى الاولى 1310/20 دجنبر 1892 ، محفظة الطريس 23

3 - محمد بن المعطي العلوي (8) ولم يرد بيان لوجه حمايتهما وربما كانا مستخدمين بالدار القنصلية .

ب 2 - من غيره

4 - وهناك محمي رابع «بدار خليفتنا بشعر رباط ، فلا ذكرنا اسمه وكنايته لعدم معرفتنا به ولما يأتينا ذلك منه فنخبرك به إن شاء الله» (9) . وكان ذلك سنة 1882 .

5 - ابراهيم القصري كان سنة 1867 ترجمانا (10) .

6 - ابراهيم برشيلون صار سنة 1893 وبعدها ترجمانا (11) .

ت - السماسرة :

ت 1 - من تقييد ابن زيدان والقوائم السنوية الايطالية

1 - شمويل طوليدانو الطنجوي كان سنة 1880 وبعدها سمسارا لاسحاق ناهون القاطن بطنجة (12) .

ت 2 - من غير ذلك

2 - موشي اسرائيل كان سنة 1893 سمسارا له أيضا (13)

8 . هذا المحمي واللذان قبله ورد ذكرهم عند ابن زيدان في «العز والصلوة» ج 1 .

من 316

9 . رسالة سكوفاصو الى بركاش في 13 أبريل 1882 ، محفظة بركاش

10 . رسالة عبد السلام السويسي في 6 حجة 1283/11 أبريل 1867

11 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 6 يونيو 1893 ، محفظة المغرب ايطاليا

12 . ابن زيدان في تقييده الرابع سماه طروان الطنجوي ، وصوابه هو طرايدانو

13 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 19 يونيو 1893/4 حجة 1310 ، محفظة المغرب

ايطاليا

3 - أحمد بن زويد سمسار ثالث له أيضا ، وقد اتهم سكوذاصو العامل السويسري بأنه استولى على خزينة السمسار وعلى ما اشتراه من البقر ، وبأنه جعله بالسجن مدة تنيف على السنة (I4) .

4 - أحمد ابن المنصار سمسار دايد أزولاي سنة 1889 بالرباط ورد ذكره في لائحة السنة نفسها .

5 - الحاج أحمد بن الحاج عبد الله الباشا وكان ابتداء من سنة 1890 سمسارا للتاجر أكيلي يطري المقيم بطنجة (I5) .

الحاج أحمد هذا كانت له - مثل شقيقه كاتب القنصلية - مشاكل مع السلطة المحلية . وقد رفض المخزن في البداية قبول سمسارته سنة 1888 لبعض التجار . وذلك لما كان عليه «آيت الباشا من مداخلات وكثرة الخوض مع النائب القنصلي» أنطوان دوكور الفرنسي بخلاف الحاج محمد الأزرق (كاتب القنصلية الاسبانية بالرباط) الذي كان يتساهل في الأمور (I6) .

ثم إنه كان يعاب على الحاج أحمد أيضا الاهتمام بقضايا السلاح ، وذلك أن أمين المستفاد بسلا الحاج محمد الغنيمي عشر سنة 1890 على 40 مكحلة بشاطيء الواد ، وكان الباشا هذا يملك بعضها (I7) .

I4 . تقييد الدعاوي الايطالية - النقطة الخامسة ، هذا التقييد غير مؤرخ وهو محدد بعد سنة 1876 حسبما يستفاد من قراءته

I5 . رسالة كزنتاغالي الى الطريس في 14 يوليوز 1890/26 قعدة 1307 . محفظة المغرب ايطاليا

I6 . رسالة محمد السويسري الى الطريس في 11 شوال 1305/21 يونيو 1888 ، محفظة الطريس 13

I7 . رسالة محمد المديسي الى السلطان في 13 قعدة 1307/1 يوليوز 1890 ، محفظة فرنسا المغرب

كما أنه أدخل لدار النائب القنصلي دو كور صندوقا من السلاح أتاه
مهربا من المرسى ، ولما كُتِّم في رد ذلك امتنع الأخير من ارجاع المكاحل
الى المرسى «لِمَا كان عليه الرجلان من كثرة الدعاوي والخوض» (18) .

ث - المستوطنون :

لم أقف على اسم أي ايطالي بالرباط سوى «طبيب ايطالي ولد ونشأ
بتونس ، وقد سكن بالمدينة بدار رجل من أولاد زيان اسمه المعطي ابا خاي
الذى كان في حماية الفرانصيص وهو صهر للقائد المهدي الجراي . وقد
نزل بالدار المذكورة بعياله الكثيرين وأغلق بابها الموالي للديار وفتح بابا
خارج العلوا مقابلا للقصبة» (19) أي قصبة الأوداية . ولم يرد اسم الطبيب
في هاته الوثيقة التي تفيد أنه كان يعيش بالمدينة حوالي 1889 .

18 . مسودة رسالة مخزنية الى امراء مرسى العدوتين في 14 ربيع الثاني 1310/5 نوفمبر

1892 ، المحفظة المذكورة

19 . رسالة محمد السويسي الى السلطان في 9 جمادى الاولى 1300/11 يناير 1889 .

محفظة المغرب ايطاليا

7 : فرنسا

أ - السلك القنصلي

تولاه بضعة أشخاص كان منهم :

1 - جوزيف فيريوه J. Ferrieu الذي كان حوالي سنة 1853 وكيلًا قنصليًا مؤقتًا .

2 - أگوست بوميبي A. Beaumier كان نائبًا بالدار البيضاء وبالرباط ابتداءً من 1854 ، وظل في منصبه حتى انتقل سنة 1865 إلى الصويرة (1) .

3 - بيليسيبي Pellissier قنصل متدرب ، وقد رافق ابن ادريس سنة 1860 في سفارته إلى فرنسا لمعرفته بالعربية (2) .

4 - الفريد ده سان شافري A. de Saint Chaffray تولى بعده (3) ، ولم أقف على من كان قبله أو بعده مباشرة ، إلا أن :

5 - أنطوان دوگور : كان بعد هذا التاريخ نائبًا قنصليًا ، في حين كانت الشؤون القنصلية مسندة ولا سيما سنة 1870 إلى فرانك وولدريدج

1 . ميج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 337 (1) و ج 3 ص 52 (8) و ج 5 ص 45 . وكذلك رسالة عبد السلام السويسي إلى بركاش في 3 شعبان 1280/13 يناير 1364 ، محفوظة ببركاش

2 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 6 ص 112

3 . ميج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 27 (4) و ص 53 (2)

الأنجليزي (4) أو الى القنصلية الفرنسية بالدار البيضاء المكلفة أيضا بالجديرة وبالرباط تحت إمرة ج ده موفوازان ، حسبما سيأتي في غير هذا المكان .

6 — وبعد سنة 1885 كان **غرافيري** Graveri قنصلا بكل من الدار البيضاء والرباط والجديدة (5) مع وجود نواب محليين .

ب — المحميون القنصليون

كان لفرنسا محميون قنصليون وخطاء وسماسرة لبعض تجارها سترد أسماؤهم نقلا من مصادر ووثائق متنوعة .

ب 1 — من التقييد الرابع لابن زيدان واللوائح السنوية الفرنسية العامة معاً :

1 — 5 — **الحاج عبد القادر الزكي الرباطي** : كاتب ، **ويعقوب بن سعيد ابن الصائغ** : ترجمان ، **ومحمد الداودي** : مستخدم ، وكلهم من سنة 1879 الى 1882 ، **وبوشعيب الجديدي** مستوطن بالرباط ومستخدم سنة 1880 ، **وعبد [السلام] القصري** (6) مثل السابق مستخدم حتى سنة 1883 .

ب 2 — من القوائم الفرنسية العامة وحدها :

6 — 8 — **الحاج عبد الله اليوسفي** : عون بدار الوكالة سنة 1883 **والحاج عبد العلي حسون** : مستخدم من 1879 الى 1881 ، **والطاهر السهلي** : مستخدم سنة 1879 .

ب 3 — من غيرها :

4 . من ذلك رسالة دوكور اليه في 30 ماي 1870 ، صورتها بخزانة الحاج العربي بنسعيد

5 . رسالة كرافيري الى بركاش في 27 رجب 12/1302 ماي 1885 ، محفوظة بركاش

6 . ابن زيدان أغفل لفظة البذالة «السلام» ولذلك جعلها بين معقونين

- 9 - **بوحبوط** : كان محميا سنة 1866 وكان يسكن بالرباط (7) .
- 10 - **محمد بن الشرقي الأودي** : عون بالقنصلية سنة 1887 ، وسيأتي كلام عنه مع أنطوان دو كور .
- 11 - **ابراهيم أوحنا** : محمي ومن يهود الرباط قتل سنة 1891 بأحواز المدينة (8) .
- 12 - **أحمد الغربي** : كان سنة 1861 محميا لبومبي قنصل فرنسا بالرباط (9) .

ت - السماسرة

ت 1 - من تقييد ابن زيدان والقوائم السنوية العامة معا :

1 - 2 - **محمد بن البصير الشرقاوي الرباطي وأحمد ابن الهاشمي السلاوي** : سمساران لأورتوس Hortus ، الأول من 1879 إلى 1883 ، والآخر من 1880 إلى 1886 .

3 - 4 **محمد البالي الزعري والمعطي ولد ابنا خاي الشاوي الزباني** (10) سمساران لأنطوان دو كور ، الأول من 1879 إلى 1884 والثاني حتى سنة 1881 .
وقد انتقل المعطي سنة 1889 أو قبلها إلى السكنى بالرباط ، وكان شقيقه قد قتل سنة 1881 ونهبت بضاعته (11) . وقد ادعى السمسار المذكور

7 . لم يذكر إلا نسبه في رسالة الطبيب بن اليماني إلى بركاش في 8 ربيع الثاني 1283/20 غشت 1866 ، محفظة بركاش

8 . مسودة رسالة إلى محمد السويسي في 10 ربيع الأول 1309/20 أكتوبر 1891 . محفظة فرنسا المغرب

9 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 553 (1)

10 . حرفة ابن زيدان فسماه المعطي أبا حنيني ، كما أنه حرف اسم السمسار الثاني فكتبه : ابن العياشي الذي لعله اسم جده

11 . رسالة عبد السلام السويسي إلى السلطان في 24 قعدة 1298/18 أكتوبر 1881 . محفظة بركاش

أن الزيادة نهبوا له في تلك السنة خمس مطامير من الزرع ، ولكنه لم يأت بحجة على ذلك (I2) .

5 - أحمد بن علي النجاعي الغرباوي سمسار من سنة 1879 إلى 1886 للتاجر ميراد .

ت - 2 - من القوائم الفرنسية وحدها :

6 - 7 - سعيد بن عبد القادر ، والمغراوي بن بوشعيب : سمساران لمازوريل Mazurel من 1880 إلى 1886 .

8 - الجيلالي بن عبد الرحمان : سمسار أورتوس من 1882 إلى 1886 .

9 - الحاج أحمد بن منصور : سمسار حاييم بنشيمول سنة 1884 (I3)

10 - عبد القادر لوباريس : كان سنة 1882 فقط سمسارا للحاج علي بوطالب الحشمي الجزائري عند ما كان تحت حماية فرنسا .

11 - سالومون أوحيون : كان سنة 1881 فقط سمسارا ليعقوب ابن الصائغ الترجمان والتاجر المحمي رقم 2 أعلاه . وقد حذف اسمه من القوائم بعد ذلك .

ت - 3 - من وثائق أخرى

12 - 14 - اسماعيل بن المعطي الأوراوي وأخواه عبد القادر وعمرو وكلهم من بني ورا . كانوا محميين من لدن الوكيل القنصلي دو كور ، والراجح أنهم كانوا سماسرة ، والأرجح من ذلك أنهم لم يكونوا الا خلطاء له .

12 . رسالة السلطان الى برکش في 9 حجة 1298/2 نونبر 1881 ، المحفوظة بنفسه .

13 . يظهر أن هذا السمسار هو الحاج بمنصور بن أحمد المذكور بالعرائش أنه سمسار فلانطان كرو ، كما يبدو أن السماسرة 6 و 7 و 8 ليسوا من سكان الرباط . ولكني تركبهم هنا مذاكرة للوثائق

15 - **قدور الوردیغی** : سمسار لأنطوان دوکور الذي قد أعطاه 600 ريال لكن أولاد كثير من قبيلة زعير نهبوا له حسبما يستفاد من وثائق مختلفة.

16 - **محمد الوردیغی** : سمسار من مدينة سلا سنة 1893 للتاجر سيفيراك J. L. SEVERAC (14) الذي كان مقيما في البداية بالدار البيضاء وكانت له علاقات تجارية مع مينائي آسفي والجديدة . ويبدو أنه استوطن الرباط حوالي 1887 حيث كانت له في هاته السنة مطحنة للحبوب (15) . ولم يلتبس من المخزن بناء خزين له بهاته المدينة الا في سنة 1891 وفي شهورها الأولى (16) .

ث - المستوطنون :

لم أعرف من الرعايا الفرنسيين بالرباط سوى اثنين : سفيراك وقد تقدم ذكره ، وأنطوان دوکور وهو من سألج أمره من المصادر المغربية ، وقبلهما كان فيليب مينار وفولكيي FAULQUIER مقيمين بالرباط سنة 1853 لاشتراء الصوف المغربية .

انطوان دوکور A. DUCORS

ويدعى نينو ترخيما ، وكان وكيلا قنصليا لبلاده تحت إشراف غيره ، كما أسندت اليه النيابة عن ايطاليا بهاته المدينة زيادة على وكالته عن السفن التجارية .

تردد ذكره ابتداءً من سنة 1864 كما سيأتي ، وكانت له مع السلطات الادارية والحسبية والقضائية والمالية ومع السكان مشاكل ومعاملات متنوعة مدة مقامه بالرباط طيلة ثلث قرن على الأقل .

14 . رسالة أحمد الطالبي خليفة عامل سلا الى السلطان في 20 جمادى الثانية 1311/1893 دجنبر 1893 ، محفظة المغرب فرنسا

15 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 490 (5) و ج 3 ص 55 (1) و ج 4 ص 337 (7)

16 . مسودة رسالة الى أمناء العدوتين في 26 رجب 1338/7 مارس 1891 ، محفظة المغرب فرنسا

ولما كان بومبي قنصلا بالرباط والدار البيضاء كان نائبه هو نينور الذي هو من أقاربه والذي «طبعه مَجْهَد ، ودمه يغلي في الحين ، وهو يريد التجراً عليّ ، وأنا لم نعانده مرعة (= مراعاة) للقنصل ، وحين يسافر القونصل يتبدل طبعه ولا يملك نفسه ، فאלله يهديه فان القونصل يعرف طبعه . . . » (17). وهذا يدل على أنه كان معروفا قبل سنة 1864 .

سمع السلطان محمد الرابع عنه الكثير فقال إن دوكور «يحاول أن يكون نائبا عن جنسه هناك وهو معروف بالطيش والتعدي كما هو معروف بالعدوتين» (18) وكان ذلك سنة 1868 .

وفي سنة 1884 كتب عنه عبد السلام السويسي : « . . . فقد أجبته عن شكوى بولنوار في غير هذا ، ولم نبالغ في الجواب اتقاءً لِسَرِّ نين ، وهذا بولنوار ليس له غرض في هذه الشكوى ، وإنما اشتكى مساعدة لغرض نين ، ونين لم يبق له شغل الا فساد المخزن ، وقد مد يده في جميع الأمور وجعل يده مع الصَّبَّاح والحوزية ، ويتعرض هو وأولاد الباشا على الناس ، واشتغلوا بفساد كبير ، ويتعرضون على الجزارة والرحوية والقَرَّآبة وغيرهم ، وأما تعرضهم على المخزن في المكس فلا تسئل ، ونحن نغض الطرف عنهم منذ أوصيتنا » (19) .

واستمر في تعنته مع السلطات الادارية ولا سيما مع عامل الرباط محمد بن الحاج محمد السويسي الذي قال عنه سنة 1889 : «خليفة نائب الفرائص هنا المسمى أنطوان ذكور المعروف نينو قد ضيق بنا غاية

17 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 3 شعبان 1280/ 13 يناير 1864 .

محفظه بركاش

18 . رسالة السلطان الى بركاش في 9 جمادى الثانية 1285/ 27 شتنبر 1868 ، المحفظه

نفسها

19 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 5 حجة 1301/ 29 شتنبر 1881 .

المحفظه المذكورة

الضيق وحاد عن سلوك القوانين ، وطال ما ساعدنا وباششناه ، وأمره كل يوم يزيد . . . » (20) . ثم عدد الباشا أمثلة من تصرفاته .

كان نطاق أعماله واسعا ، فقد اتخذ سماسرة كما تقدم وخطاء في قبائل أحواز الرباط وسلا ، اتهم دوكور قائد قبيلة بني حسن ابن خدة بأنه سجن خماسيه ورعاته أكثر من 15 يوما حتى تعطلت أشغاله سنة 1870 وطالب بتعويض عن الخسارة التي لحقته من ذلك (21) .

كان يماطل المتعاملين معه من مدينة سلا ولا سيما في «قضية حامله الحاج محمد بن علي الدكالي السلوي من كونه باع لنائب قونصو جنس الأفرانصيص برباط الفتح التاجر أنطون دكور عددا من الصوف ، تجمّل في ثمنها ألف وثلاثمائة ريال - تزيد أو تنقص بقليل - لأجل ، وأعطاه النائب المذكور خط يده بذلك ، ولما حل الأجل وطلبه صار يسوفه ، وإن كلم في ذلك يجيب بما لا طائل تحته .

«وكان الحاج محمد المذكور اشتكى عليك بطنجة أولاً ، وكتبت في القضية ثم سافر ثانيا لطنجة ، واشتكى على نائبك السيد الحاج محمد الطريس ، وكلم الباشدور الذي سافر وكتب لقونصو الدار البيضاء ، وجاوب الباشدور ، وهو أخبر الحاج محمد الطريس بأن أنطون المذكور سيفلس ، وما صح لابن علي الدور وسط الغرماء يحوزه ، وأنطون غاني بالقدر الذي بذمته وأكثر .

«فالمروم من سيادتك : خذ بيده وكن له واسطة حتى يتوصل بحقه . وتعلّم وأن القضايا التي تكون لرعيتهم ولو كانت لا حقيقة لها يقبضونها ، وهذا الرجل حقه ظاهر لا ريب فيه . . . » (22)

20 . رسالة محمد السويسي الى الطريس في 22 قعدة 1306/20 يوليوز 1880 ، محفظة الطريس 16

21 . رسالته بالفرنسية الى ولدريدج قنصل إنجلترا وفرنسا بالرباط في 26 ماي 1870 صورتها عند الحاج العربي بنسعيد

22 . رسالة الحاج محمد ابن سعيد الى بركاش في 18 قعدة 1302/29 غشت 1885 ، محفظة بركاش

كان شريكا لغيره مثل مازوريل الفرنسي بوهران ، وقد ظهر ذلك لما ادعى المقروط الزموري خليط هذا الأخير بأن أفرادا من قبيلة بني حسن وأولاد سبيطة نهبوا له من دواره عدداً من البقر ، حسب رسالة عامل سلا الذي «أخبر أن المقروط ورد عليه واعترف بأن عدد البقر الذي كان تحت يده ثلاثة عشر ، فيها إناث ، والباقي ذكور اشتراها من خمسة عشر الى عشرين ريالاً للثور ، والاناث بثمانية ريال وسبعة لاغير ، فكتب لنين' نائب' قونص الفرنسي بالرباط بأن يوجه له صاحب مازوريل ليقابل دعواه حيث عمال بني حسن وردوا عليه لفصالها ، فامتنع من توجيهه فأعاد لك الكتابة وأخفى لِمَا ذكره المقروط ، وبأن العمال حاضرون لدفع ثمن الثلاثة عشر رأساً .

«فأجابه بأنه هو الذي بَصَّرَهم فيما ذكر ولا يقبل الا ثمن السبعة والعشرين ثورا ، فاتفق مع العمال على أن يدفعوا هم وأولاد سبيطة ثمن الثلاثة عشر ثورا بحساب خمسة وعشرين ريالاً للرأس ودفعوا كل ثمن ذلك ، وذكر أنه تبين له أن نائب القونص المذكور هو القابض ، وأن لا مزوريل .

«وحيث تحقق عنده أن عدد البقر المنهوب ثلاثة عشر رأساً لا غير أمرناه بحياسة ما بقي من ثمنها ومطالعة علمنا الشريف ، وأعلمناك لتكون على بال من هؤلاء ومن أكلهم أموال الناس بالترهات وشرهم عليه وتكلم في القضية مع الباشدور ، والسلام» (23) .

وذلك كله لأن دوكور كان «في الحقيقة هو الشاكي وهو القابض وما تَمَّ مازوريل» (24) .

23 . رسالة السلطان الى بركاش في 23 ربيع الثاني 1299/14 مارس 1882 . محفظة فرنسا المغرب

24 . رسالة الحاج محمد ابن سعيد الى السلطان في 12 ربيع الثاني 1299/3 مارس 1882 بالمحظة نفسها ، أما عمال بني حسن فهم : بويزة اليعيشي والهاشمي البورحموي والحسن بن غانم ومحمد بن العياشي

وزيادة على دعوى النهب هاته كانت له سنة 1882 دعوى أخرى على زعير وعلى الزيادة (25) .

ثم ان دوكور تجرأ على القضاء أيضا ، فقد نسب اليه «سبه القاضي في محل حكمه ، وهجمه على السجن فورصة» ، واخراج مسجون من رعية هذه الايالة لا حماية له ، وكان مسجوننا في قضية شرعية ، فاشتكى علينا القاضي فأذناه بالكتابة لك في ذلك . . . » (26) .

وقد تبرأ دوكور من ذلك برسالته الى بركاش في اليوم الموالي ذاكرا «أنه وقع لنا كلام مع القاضي السيد الحاج أحمد ملين في شأن رجل غرباوي كنا وجهناه له مع رجل آخر غرباوي أيضا ، وكلهم أصحاب أهل الحمايات ليعمل لهم الشرع ويحكم عليهم بما أنزل الله ، وفشت من ذلك الكلام أخبار بروايات مختلفة لا أصل لها : يريدون بذلك التخليط والخوض بين الناس ، ومقامك لا بد له من التحقيق للدعوى ليقف على تصحيحها ويكون على بال منها . . . » (27) .

وتكذيباً لدوكور وضعت مواجب عدلية بأنه هجم على السجن وشيد بذلك القائمان بالسجن الحاج محمد رودياس والحاج التهامي بن الزياتي (28) .

وأميننا الرباط أيضا تبرما من سوء تصرفه لما وجه عونه محمد بن الشرقي الأودي «ليخرج صندوقا زاعما أن بداخله مكيئة الخياطة فوجدنا مكتوبا على ظهر الصندوق اسم أحمد فرج . . . » فامتنع الأمينان من تسليمه للمخزني «بدون قانون ، فتلاحى مع حمال عاب عليه الشتم الصادر منه» . وفي

25 . رسالة ده مونفوازان الى بركاش في 5 حجة 1299/18 اكتوبر 1882 ، بالمحفظه المذكورة

26 . رسالة بركاش الى الطريس في 21 جمادى الثانية 1302/7 ابريل 1885

27 . رسالة دوكور الى بركاش في 22 جمادى الثانية/8 ابريل

28 . رسالة محمد بركاش الى الطريس في 21 جمادى الثانية 1302 المتقدم ذكرهما ثم وثائق أخرى في نفس الشهر ، محفظة الطريس 5

ذلك الوقت أتى نينو «وبيده عصي فجعل يضرب الحممال المذكور بسباب الديوانة . . .» . وختما رسالتهما بالتنديد بـ «طيش هذا النصراني باليد واللسان» (29) .

وقد رددت نفس الرواية رسالة العامل السويسري في اليوم نفسه ، فقد جاء فيها أن دوكور «وجه مكينة لتخييط ملبوسهم في بر النصاري» وأن المكينة لما عادت الى الرباط بعد الاصلاح حاول حيازتها ، لكنه تشاجر مع خدمة المرسى ، ثم ضرب نينو أحدهم بالعصى «ضربا بالغاً على ملا من الناس ، وما قصر من الشتم والسب على الأمناء ومن القول الخارج على الموضوع . . .» (30)

وحتى ناظر أحباس الرباط اشتكى منه ذاكراً أنه امتنع من أداء واجب 46 شهراً آخرها غشت 1890 عن كراء ثلاثة أمكنة حبسية (31) معلقاً بلاريب تسديد الواجب على فصال دعاويه أولاً ، وقد بنى الأمناء له بـ 6٪ مطحنة بسوق الغزل سنة 1294 وأكروه إياها لمدة 16 سنة (32)

ولكن لما بنى دوكور داراً باللوبيرة سنة 1886 أراد أن يحدث بها مطحنة فقام الجوار بوضع موجب الضرر والضوضاء (33) .

وآخر ما أذكر عنه وعن شئنائه هو ما حدث له مع موشي إسرائيلي الذي كان سمساراً بالرباط للتاجر المحمي الإيطالي إسحاق ناهون الطنجي ، كان دوكور ينوب عن تاجر فرنسي يدعى كريميوه Crémieu المقيم بمدينة

29 . رسالة الصديق بركاش وعبد السلام ابن يحيى إلى الطريس في 27 رجب 1304/21 أبريل 1887 ، محفظة الطريس 10

30 . رسالة محمد السويسري إلى الطريس في 27 رجب/21 أبريل 1887 ، بالمحفظة المذكورة .

31 . رسالة عبد القادر المعموري إلى الطريس في 12 حجة 1306/9 غشت 1889 ، محفظة الطريس 16

32 . من كداشة محمد بن الحاج المكي المريني ص 40 . بالخزانة الصبغية بسلا

33 . الموجب يحمل تاريخ متم شوال 1303/فاتح غشت 1886 ، محفظة الطريس 5

فرنسية تدعى إيكس (34) ، فاستؤنف الحكم الصادر على النائب القنصلي بمدينة طنجة (35) .

هذا استعراض لسيرة دوكور من خلال الوثائق المخزنية ، وقد لبث هذا الشخص بالرباط مدة طويلة تنيف على 34 سنة ، أصهر فيها ببنته إيميلي الى المكى برغاش (36) وبحفيدته الى أسرة ابن الجناوي .

34 . لعلها إيكس أن بروفانس : Aix - En - Provence

35 . رسالة دوبيني الى الطريس فى 19 ماي 1893 . محفظة المغرب فرنسا

36 . من أوراق ساسي بالخزانة الصبيحية بسلا

8 : باقي الدول

المطلب الأول : البرتغال

أ -

أ - السلك القنصلي :

1 - أسرة ابن عطار تولت النيابة عن البرتغال والدانمارك بالرباط وخصوصا يوسف (I) سنة 1846 ، وبعده تولوها موشى وحاييم بنعطار .

2 - وفي سنة 1883 على الأخص كان جون فروست الأنجليزي يضطلع بالنيابة عن هاته الدولة (2) .

3 - وفي سنة 1890 كان ريو فرانسيسكو داوجو ممثلا للبرتغال وللبرازيل .

4 - ثم آلت النيابة الى يعقوب وفائيل بنعطار ولا سيما سنة 1893 .

ب - المحميون :

كان عدد المحميين سنة 1880 لا يتعدى بالرباط عشرة من يهود المدينة :

1 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 333 (3)

2 . رسالة فروست الى الحاج محمد ابن سعيد في 5 قعدة 1300/7 شتنبر 1883 .

محافظة المغرب البرتغال

I - 5 شمويل بن سعيد : ترجمان ، وشاويل بن سعيد ، ومسعود بن قاسيس (3) ويعقوب أقبلي وبردوئو : وهم مستخدمون بدار النيابة القنصلية.

6 - 10 - دايد بيسو وشلومو عمار ويوسف بن داود المليح (او الشليح) ومسعود كوهن وشلومو كوهن وكلهم محميون استثنائيون .

ت - السماسرة والمستوطنون :

هناك اسم سمسار واحد وهو علي بن التهامي الهمساسي الذي قد يكون من أهل سلا فاعتقله عامها سنة 1883 ، وكان يعمل لفائدة لويس داكراسة L. Da GRAÇA القاطن بالرباط (4) .

وكان لداكراسة فلك يتجر به بين المغرب واسبانيا آنذاك (5) ، وأصل هاته الأسرة من مدينة طافيرة Tavira وكان الأب يعيش بأهله بالمدينة ، ولما أراد ابنه جوزي الذهاب لمراقبة حرثه بالشاوية رفقة أمه وولده اصطحب معه بندقية ، فحاول حرس العامل نزعها منه ، لكن القنصل بنعطار تدخل محتجاً (6) ولم يرد لغيره من المستوطنين ذكر في المصادر التاريخية في ذلك الوقت .

* * *

المطلب الثاني بلجيكيا

لم يكن لها تمثيل بالمدينة ، وكان لها محميان سنة 1889 وهما :

I - يوسف الدهان : ولعله من يهود سلا ، وكان ترجمانا .

3 . ذكر هذا المحمي وحده في القائمة البرتغالية العامة سنة 1880 ، بينما جاءت أسماء كافة المحميين في التقييد الرابع لابن زيدان في «العز والصولة» ج 2 ص 110 ، مع تحريف بسيط في بعض الأسماء .

4 . رسالة فروست الى الحاج محمد ابن سعيد سابقة الذكر

5 . ميج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 451 (2)

6 . استرعاء يعقوب رفايل ابن عطار في 8 ماي 1893 ، محفوظة المغرب البرتغال

2 - محمد بن سالم سيبي : وكان كاتباً (7)

* * *

المطلب الثالث : الأبراطورية النمساوية الهنغارية

كان لها بعض المحميين والسماصرة ، فقد تولت النيابة عنها أسرة ابن عطار حسبما سلف .

أ - المحميون :

I - شالوم المليخ : من يهود المدينة وكان سنة 1880 محمياً (8)

2 - يوسف بنيسيبي : كان سنة 1864 ترجمانا (9)

ب - السماصرة :

I - نظر مراشي سمسار حاييم بونطي ترجمان القنصل العام بطنجة سنة 1887 ولم يتضح اسم هذا السمسار (10) .

2 - محمد بن الحاج عمر العوفير كان سنة 1892 سمسارا لاسحاق أبنسور (II) ترجمان القنصلية العامة ، وقد أصاب العوفير إفلاس فيما بعد (12) .

7 . لائحة المحميين البلجيكيين سنة 1889 ، محفظة الحماية القنصلية

8 . التقييد الرابع لابن زيدان

9 . رسالة موشي ابن عطار في 23 شعبان 1280/2 يبرابر 1864 ، وهي باللغة الإسبانية بمحظة الحماية القنصلية

10 . جواب الطريس الى القنصل العام في 10 شعبان 1304/4 ماي 1887 . محفظة المغرب النمسا

11 . رسالة ريدجوي الى الطريس في 12 يونيو 1892 . محفظة المغرب بريطانيا

12 . رسالة نائب أشغال بريطانيا الى الطريس في 9 غشت 1893 ، نفس المحفظة

المطلب الرابع : البرازيل

كان يمثلها بالرباط أبناء عطار ثم داوجو (I3) حوالي 1890 ، وقبله
وبعدہ كان أبناء عطار متعاقبين على تمثيل البرازيل ، وها هي أسماء المحميين
سنة 1880 وبعد ها :

I - 4 شلومو ابن عليل ودابيد بوحبوط ويهودا بونطي ولم يرد وجه
حمايتهم بثلاثتهم ويعقوب ابن عطار كذلك ، ولكنه يصبح نائبا قنصليا (I4) .

5 - 6 ابراهيم أمزلاك : نال الحماية ثم مات قبل سنة 1879 وسطي
أمزلاك : وهي زوجته التي نالت الحماية هي وأولادها (I5)

7 - موشي طوليدانو : محمي من يهود الرباط ، وكان قائد الرباط
قد اعتقله سنة 1892 ، فاحتج على ذلك ابن عطار مدعيا أنه متجنس برازيلي (I6) .

13 . رسالة فرانسيسكو داوجو الى السويسي في 4 صفر 1308/19 ستمبر 1890
رسالة يعقوب ابن عطار اليه في 3 محرم 1311/17 يوليوز 1893 ، محفظة المغرب البرتغال
14 . ذكر ابن زيدان هؤلاء المحميين الاربعة في تقييده ، مع شئ من التحريف
15 . لائحة المحميين البرازيليين في فاتح أبريل 1880 ، محفظة الحماية القنصلية
16 . رسالة يعقوب ابن عطار الى محمد السويسي في 4 محرم 1310/29 يوليوز 1892 ،
محفظة المغرب البرازيل

الباب السابع

الدار البيضاء واحوازها

اضطلعت هاته المدينة بدور كبير في اقتصاد البلاد ابتداءً من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد بلغ الاستيطان الأجنبي – وبالتالي أعداد المحميين والسماصرة والخلطاء فيها وفي أحوازها – مبلغاً لم تصل اليه باقي الثغور والمدن .

وسيدور الكلام مطرداً في عدد من الفصول : أولها عن المدينة وولاتها وسكانها وعمرانها والباقية منها ستعرض للقناصل والمحميين والمستوطنين من كل دولة على الترتيب الذي سنراه .

1 : الولاية والسكان والعمران

أ - ولاية المدينة :

1 . لعل أحمد ابن المعطي كان سنة 1851 عاملا على المدينة (I)

2 - وقبل سنة 1854 أضيفت الدار البيضاء الى إيالة محمد بن رشيد ابن عثمان الحريري عامل مديونة آنذاك وقائد أولاد حريز ، الذي لما اعتقل حاييم المليح نائب قنصل انجلترا عزل عن الولاية بتدخل جون هي وأودع خليفته حسن بلقاسم غياهب السجن .

3 - وحينئذ عين السلطان مولاي عبد الرحمان على المدينة عامل الرباط عبد السلام السويسي الذي اكتفى بتوجيه خليفته الى تلك الحاضرة وهو عبد القادر بريشة ، فصارت تابعة إداريا للرباط ، وأسند أمانة المرسى الى رجل قوي هو محمد ابن زاكور الذي كان المستشار الاقتصادي للسلطان (2) .

عبد السلام السويسي تولى عليها حتى 1277/1860 على ما يبدو (3) .

4 - ويظهر أن محمد بن عبد الرحمان برخاش نائب السلطان بطنجة قد قام فيها بالأمر بعده لمدة قصيرة عند ما انفصلت عن إيالة الرباط .

1 . رسالة الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمان الى أحمد ابن المعطي في 12 حة 1267/8 أكتوبر 1851 ، محفظة الدار البيضاء 2

2 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 344 وج 3 ص 54 و 56

3 . رسالة أميني الدار البيضاء أحمد الريراكي وعبد الكريم ابن زاكور الى الحاج محمد بنيس في 6 رجب 1283/14 نونبر 1866 ، محفظة الدار البيضاء 1 ، وهي تتحدث عن ولاية عبد السلام السويسي قبل ذلك مدة 6 سنوات (انظر ص 744 أعلاه)

5 - وفي سنة 1862 عين على ولاية المدينة مَحْمَد بن ادريس ابن حمان الجراوي الأودي (4) وكان أبوه أحد عمال وجدة في العهد الرحماني .

وما لبث الا سنة حتى اتهم بالخيانة فذكر عنه أحد أمناء المدينة أو تجارها سنة 1864 في رسالة منه الى السلطان أنه سمع أن «القائد مَحْمَد الجراوي كان شريكا مع الذميين المشترين كنطردة الدار البيضاء وأسواقها»، وأنه « . . . يُخبرهم بما يكون فيه الخسارة » ، و «أنهم فرقوا ألفي مئقال رشاوي على من يظن به ذلك ليعينهم على ثبات الخسارة . . . » (5)

وهكذا نعت العامل بالتواطؤ مع بعض التجار من اليهود أو غيرهم للتقليل من دخل الدار البيضاء ، ولكي يباع احتكار ريعها بثمان بخس ، لكن هذا الأمين أو هذا التاجر ما فتىء أن اشترى لنفسه «كنطردة أبواب الدار البيضاء» بعد ذلك الوقت (6) .

ومهما يكن فقد ظل الجراوي واليا الى أن نقله السلطان سنة 1875 الى ولاية الجديدة حيث سيرد شيء من أخباره .

6 - وبعد عزل الجراوي أو نقله كان الحاج عبد الله بن قاسم حصار السلاوي هو العامل قبل مارس 1875 الى غشت 1878 وهي سنة وفاته (7) بسكتة قلبية .

4 . رسالة السلطان الى بركاش في 16 جمادى الاولى 1279/9 دجنبر 1862 ، محفظة بركاش

5 . رسالة محمد بن الحاج قاسم حصار الى السلطان في 27 شعبان 1280/7 يبرابر 1864 ، محفظة الدار البيضاء .

6 . رسالة الأمين محمد بن العربي معينو ومحمد بن الحاج عبد الرحمان الحلوي الى الحاج محمد بن المدني بنيس في 22 قعدة 1282/8 أبريل 1866 ، نفس المحفظة

7 . رسالة جون لابين الى حصار في مارس 1875 (محفظة بركاش) تفيد أن حصار كان عاملا في هذه السنة ، وهو خلاف ما ذكر في «الوثائق» ج 5 ص 43 (139) من أن الجراوي كان لا يزال عاملا حتى 23 ربيع الثاني 1293/18 ماي 1876

وقد رُمي بما رُمي به سلفه الجرازي من أنه كان على اتصال وثيق ببعض القناصل ، وأنه كان يمتنع من أداء الواجبات للأمناء والمكلفين وأن «الحاج عبد الله حصار لا زال على حاله من تكليف أمناء الباب بما لم يكلفوا به» حسب رسالة الحاجب موسى بن أحمد الى أمين المستفاد الحاج محمد الطريس الذي «تكلم معه في شأنهم فلم يكف عنهم» (8) . وأضاف الحاجب في رسالة أخرى الى الطريس أن الحاج عبد الله حصار «ترامى على المكلفين بخدمة المخزن هناك بالدار البيضاء مما حمل الرجلين اللذين سميت على الاجتماع بجنس الماركان والبلجيك» (9) ، وزاد في كتاب ثالث الى أمين المستفاد أن حصار كان «يأخذ من السلع التي تعشر بالمرسى ما يريد ، ويتقدم الى التعشير ويعشرها بأبخس ثمن» (10) .

7 - ولعل المنصب ظل شاغرا بعد وفاة حصار الى أن سمي في يونيو 1879 **الحاج محمد الطريس** عاملا ولبث في الولاية حتى أواخر 1882 .

8 - وفي يناير 1883 انتقل الطريس الى طنجة نائبا عن برغاش وخلفه الأمين الحاج **العربي بن محمد بريشة** (II) المولود سنة 1260/1844 بمدينة تطوان ، وكان بريشة منذ سنة 1869 تاجرا في استيراد السكر والشاي والكتان (12) .

كما كان له نائب هو محمد بن محمد بن سلامة (أو السلامة) التطواني الذي بعد عودة بريشة الى سلك الأمناء صار سنة 1889 يتعاطى للتجارة الى أن توفي سنة 1892 ودفن بسيدي أبي الليوث بالدار البيضاء (13) .

8 . رسالته في 14 قعدة 1293/1 دجنبر 1876 ، محفظة الطريس 1

9 . رسالته في 4 محرم 1294/19 يناير 1877 ، المحفظة نفسها

10 . رسالته في 15 محرم 1294/30 يناير 1877 ، المحفظة نفسها

11 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 صفر 1300/6 يناير 1883 ، محفظة الطريس 2

12 . تقايد الحاج العربي فرج والحاج عبد الرحمان أقصبي في محرم 1286/أبريل ماي 1869 ، محفظة الدار البيضاء 2

13 . رسالة بوشعيب السعيدى الى الطريس في 12 جمادى الثانية 1310/فاتح يناير 1893 محفظة الطريس 23

ويظهر أنه كان له خليفة آخر هو الأمين محمد بن عبد الرحمان بريشة ، وكان سنة 1883 ينوب عنه وعن من بعد الحاج العربي من الولاية ، غير أنه انتقل الى الأمانة بالصويرة سنة 1885 ، ولربما عاد مرة أخرى الى الدار البيضاء (14) ولا سيما سنة 1892 ليكون خليفة أو أميناً بالمرسى .

9 - ولم أقف على المدة التي قضاها الحاج العربي في الولاية ، ولعلها انتهت قبل نونبر 1886 لما أسندت شؤون المدينة الى الحاج المعطي بن الكبير المزامزي الشاوي (15) الذي كان سفيراً في يوليو 1889 الى فرنسا والى ألمانيا حسبما تقدمت الإشارة الى ذلك في طنجة .

10 . وفي أكتوبر 1888 عهد بإدارة المدينة الى أحمد بن العربي المديوني (16) الذي تولاهما مرتين أي قبل عبد الرحمان بركاش وبعده سنة 1894 .

11 . عبد الرحمان بركاش كان أميناً بالمرسى وعين سنة 1892 واليا (17)

وبعد عزل محمد بن سعيد من أمانة المستفاد ، وتنحية محمد الحلوي ومصطفى جسوس وادريس الفيلالي عن أمانة الميناء ، وثبوت خيانة بن سعيد وتواطؤ أمناء المرسى معه سنة 1893 ، طلب بركاش أن يكون أميناً ثالثاً بالميناء بعد أن عين أمينان جديداً هما الحاج ادريس بن محمد برادة والحاج محمد هارون التطواني وأمين جديد للمستفاد كان هو أبو بكر بن أحمد دينية.

14 . رسالته الى عبد السلام ابن رشيد في 11 صفر 1301/12 دجنبر 1883 ، وكذلك الى قنصل فرنسا في 15 حجة 1309/11 يوليو 1892 ، محفظة المغرب فرنسا ، ثم رسالة بركاش الى الطريس في 13 شعبان 1302/28 مايو 1885 ، محفظة المغرب ايطاليا

15 . رسالة الحاج المعطي الى الطريس في 6 صفر 1304/4 نونبر 1886 ، محفظة الطريس 9

16 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 10 صفر 1306/16 أكتوبر 1888 ، محفظة الطريس 14

17 . رسالة أحمد بن محمد العلمي الى الطريس في 11 شعبان 1309/11 مارس 1892 ، محفظة الطريس 22

وقد تعلل عبد الرحمان بركاش في رسالته بأنه أضرب به «كثرة الصائر وعدم الوجدان» (18) . وفعلًا في غشت 1894 صار أمينًا ثالثًا (19) أو على الأصح أعفي من الولاية حسب طلبه في يوليوز 1893 .

وقبل وفاة السلطان الحسن الأول وقعت فضيحة في المرسى ، وبعد وفاته بقليل حدثت فتنة بالمدينة وتمردت قبائل الشاوية وتدخل القناصل الأوروبيون مثل جورج فيرنو الأنجليزي لعزل بركاش فعين أحمد بن العربي قبل شتنبر 1894 على ما يظهر (20) .

وزيادة على «عينة» الأمناء وفتنة القبائل المجاورة وقعت فضيحة أخرى كان أصحابها هم المحتسب والناظر وعبد العزيز بركاش الذين تورطوا في الفساد والخمر وانتهاك الحرمات والرشوة والزور (21) حسب رسالة أعطت أمثلة على ذلك .

وكان عبد العزيز بركاش هو الخليفة (22) ولعله شقيق العامل السابق عبد الرحمان .

• • •

ب - ولاية الأحواز

هذا عن ولاية المدينة ، أما قواد الأحواز فقد كانوا كثيرين لا طاقة لحصرهم عن كل قبيلة من قبائل مديونة وزناتة والزيائدة ومزاب والمذاكرة والمزامزة وأولاد حريز وأولاد زيان .

18 . رسالة عبد الرحمان بركاش الى السلطان في 22 حجة 1310/7 يوليوز 1893 ،
محفظة الدار البيضاء 3

19 . رسالة عبد الرحمان بركاش الى الحاجب في 12 صفر 1312/15 غشت 1894 ،
المحفظة نفسها

20 . مارتان : «أربعة قرون من تاريخ المغرب» ص 371 ، ورسالة أحمد بن العربي في 10
ربيع الاول 1312/11 شتنبر 1894 ، بالمحفظة المذكورة

21 . رسالة محمد شمس الدين بن الكبير المراكشي ومحمد بن الغزواني الى السلطان
في 11 شوال 1312/17 أبريل 1894 ، محفظة الدار البيضاء 3

22 . رسالة عبد العزيز بركاش الى الطريس في 20 شعبان 1311/26 يبرابر 1894 ،
محفظة الطريس 26

على أن منهم من أسندت إليه مؤقتا إدارة شؤون المدينة مثل محمد بن رشيد وأحمد بن العربي والحاج المعطي بن عبد الكبير الذين كانوا على التتابع قوادا لأولاد حريز ومديونة والمزامزة .

ولا نقطع مطلقاً بأن محمد بن مشيش المديوني كان عاملاً على المدينة في الفترة الممتدة بين ولاية عبد السلام السويسي ومحمد بركاش من جهة أولى ، وبين عهد محمد الجراي من جهة ثانية .

وجاء عن ابن مشيش أنه كان منذ بداية أمره «مشهورا بالتلوي والاستهزاء وقلب الحقائق والغصب» (23) ، وقد عزل عن ولاية الدار البيضاء إن كان فعلا تولى شؤونها (24) أو - بالأصح - عن قيادة قبيلة مديونة ، واعتقل بأمر السلطان قبل سنة 1865 على يد قائد أولاد حريز حسبما سيأتي الكلام عن خلفه مع المحمي الإيطالي يحيى ابن الصائغ ومطالبة قنصل فرنسا بروسبير فيريوه إياه برد السلف الذي كان قد قدمه له .

كانت لكافة عمال الأحواز - أو لبعضهم على الأقل - مداخلات مع الأجانب ، وتصرفت طائفة منهم تصرفا لا يليق ، وذلك بالظلم والرشوة والاستهانة بأمور الناس وخدمات المخزن ، مما دفع طائفة من الناس في إيالاتهم إلى البحث عن الخلطة والسمسرة والحماية

ومن أشهر الولايات الكبرى إيالة أبناء الرشيد بقبيلة أولاد حريز ، كان محمد بن رشيد ابن عثمان هو المتولي عليها حتى وفاته سنة 1856 ، وبعده أسندت إلى ابنه الأول رشيد المتوفى سنة 1869 ثم إلى ابنه الثاني

23 . رسالة بركاش إلى السلطان في 5 ربيع الأول 1280/20 غشت 1863 ، محفظة

بركاش 24 .

24 . يفهم من التعليق على الوثيقة 554 («الوثائق» 4 ص 326) أن محمد بن مشيش كان عاملاً على المدينة ، ولعل الصواب أنه إنما كان قائداً على مديونة ، إذ أن عامل الدار البيضاء كان في ذلك الوقت هو محمد الجراي أي منذ 1862 .

عبد السلام من سنة 1869 الى سنة 1902 وهي تاريخ وفاته (25) ، بمعنى أنه ظل عاملا ثلث قرن ، و هي مدة تبيع كل شيء .

ولو تأملنا طائفة من الوثائق التي وصلتنا عنه لوجدناها طافحة بما يدل على سوء مسلكه وشدة إرهاقه لبني جلدته وعصيانه للأوامر المخزنية ، وللحقيقة و التاريخ ليس عبد السلام الوحيد من الولاة في هذا العدوان على الرقاب والمتاع ، والتسلط على الأشعار والأبشار ، والزج بالمحكومين في الموبقات ، والدفع بهم الى المزلق والمهلكات .

وسنقرأ شيئا منها لنرى فيه العامل الظلوم ، عفا الله عنه .

أولها النص الكامل لرسالة محمد برغاش ، فقد كتب اليه سنة 1881 يحذره وينصحه قائلا :

«وبعد فقد وصل كتابك بأن عامل الدار البيضاء (وهو الطريس آنذاك) كتب لك بأن قونصو النجليز بها (وهو جون لاين) بأن التاجر جورش (لعله جورج فيرنو) أراد أن يجعل بوشعيب بن الشيخ محمد بن حسين سمسارا ، مع أن والده وجده كانا شيخين . ولما توفي والده تولى مكانه هو وعمه الشيخ علي ، وتوفر عند هم مال المخزن ، وعلمنا جميع ما ذكرت في شأنه .

«فاعلم أننا تكلمنا في هذه القضية ، فذكروا أن بوشعيب المذكور ليس هو بشيخ ولم يتقدم له تصرف وانما عمه هو الشيخ ، وهو فارق عنه ومتباري معه بالعدول من كل مخالطة في مال المخزن كانت لوالده وحاز ما هو خاص إرثا عن أبيه ، ومع ذلك هو مسترعي على عمه المذكور في تلك القسمة ، ذاكرنا أن متاع أبيه لا زال عنده .

«لاكن نحن قد وقفنا في هذه القضية غايةً ، بشرط أن لا تضر بوشعيب المذكور ولا تعاقبه ولا تزجره ولا تحوز له شيئا وتبقيه على حالته التي ذكرت

من الشياخة ولا تمد فيه يدك بسوء ، وان تراميت عليه أو حزت له شيئا فانهم يقفون في جعله سمسارا ويطلبون رد ما أخذت له ، ويقفون في ذلك على ساق الجد ، ولا تبقى لهم ثقة ، بحيث اذا كانت عندك قضية أخرى مثل هذه ، فلا يقبل كلام فيها .

«والآن فكن على بصيرة وأحسن الى إخوانك وتلطف في سياستهم حتى لا يتشوفون لمثل ذلك ، وإياك أن يقع مد اليد في بوشعيب المذكور أو فيما هو له أو يقع ترامي عليه ولو بالكلام بسبب هذه الدعوى ، فاجعله كَمَنْ وقعت منه هفوة ووقع الاغضاء عنها ، والله يوفقنا جميعا وعلى المحبة والسلام» (26) .

ثم ها هو الطريس الذي كان عاملا على الدار البيضاء يصفه في رسالة منه الى السلطان سنة 1888 بأنه لم يكن يعبا بكلامه ، ولا يرد على رسائله ، ويلفق للبعض من أولاد حريز التهم الباطلة ويشهد بأنهم «من فساد القبيلة المشهورين بالنهب وكذا وكذا» (27) ، الطريس انطلق في حكمه من واقع عاشه يوم كان أمينا وقائدا بهاته المدينة قريبا من إيالة ابن الرشيد .

وهناك عامل آخر يشهد في عبد السلام بما هو أخطر وما هو أفظع سنة 1886 ، وصورته أن رجلين من أولاد حريز هما : الغزواني بن المعطي وأخوه محمد اللذان يُعرفان بأولاد الزيادة ادعى دارمُون وهو «يهودي فرانصيصي» أنهما في حمايته ، وأنه وردت لهما الورقتان بذلك من طنجة ، فكان الخديم ابن رشيد نبهني عليهما ، فجعلت الرصد عليهما ، فلما دخلا لشغل الدار البيضاء قبضت عليهما واسترعت علي قنصل الفرانصيص بأن حمايتهما لا تسوغ ، محتجا عليه بحجج وما قصرت .

26 . من «نسخة مما كتبنا لابن الرشيد» في 6 جمادى الثانية 1298/6 ماي 1881 .
محفظة بركاش

27 . رسالة الطريس الى السلطان في 19 صفر 1300/25 أكتوبر 1888 ، محفظة
الطريس 14

« فلم يقبل وكتب لطنجة ، فلما كتب أرسلت على الرجلين وقلت لهما : ما حملهما على الدخول في الحماية وترك حماية سيدنا ؟ فأجابا بأنهما ما حملهما على ذلك محبة في تلك الحماية ولا بغض في حماية مولانا ، وإنما حملهما على ذلك أنهما أحسا عدم الأمان على أنفسهما ومالهما ، وتحقق لهما ذلك حتى ما ينجيها منه الا الفرار من البلد .

« فلم يقدرنا على فراق وطنهما ، فالتمسنا مدافعة عن أنفسهما بما ارتكباه ثم تضرعا لدي وقالوا : إن التزمت لهما بالأمان من سيدنا نصره الله على أن يدفعنا ما نأبهما وزيادة مع اخوانهما ولا يقع لهما ظلم ، فانهما يشهدان عليه العدول برفض تلك الحماية وأنهما في حمى الله ورسوله ومولانا أعزه الله .

« وكثيرا ما يرد علينا أناس من أهل الحماية باكين شاكين بمن يحملهم على الدخول في الحماية ، ومن هنا يعلم سيدنا أعزه الله أن بعض العمال يسوقون الناس الى هذه الحماية ويخالفون قصد مولانا الشريف في مجافات الناس عنها » (28) .

ولو اضعفنا الى هذا الظلم البدني سلطة القواد في جمع الهدايا واستخلاص الضرائب والأعشار واستبدادهم بقسط كبير منها دون بيت المال لظهر مبلغ الجور والارهاق .

وكانت تولية «أسواق قبيلة الشاوية لعمالها بخمسين ألف مثقال في السنة ابتداء من شهر التاريخ» (29) أي ذي الحجة 1294/دجنبر 1877 شاهدا على خطورة الضم بين السلطة المالية والادارية ، ذلك الجمع الذي يبيع كل محظور .

• • •

28 . رسالة العربي بريشة الى السلطان في 18 محرم 1301/17 أكتوبر 1886 ، محفظة المغرب فرنسا

29 . رسالة محمد التازي الى الطريس في 5 حجة 1294/12 دجنبر 1877 ، محفظة انطريس 1

ت - السكان

تتضارب الأقوال في تحديد أعدادهم ما دام الإحصاء لم يقع سوى من بعض الأجانب في ذكر أرقام رعايا بلادهم ، وهو شيء هين بالنسبة اليهم لقلتهم .

وسنستعرض هنا أرقاما استثنائية لفقدان غيرها ، الرواية الأولى تذهب الى أنه في منتصف القرن التاسع عشر تراوح عدد أهل المدينة بين 600 و 1000 نسمة ، ثم تضاعفت الأعداد : 7000 سنة 1875 و 9000 سنة 1885 و 13 ألفا سنة 1893 وفي سنة 1900 كانوا 21 ألفا (30) ، وهكذا وفي ظرف نحو 50 سنة تزايد السكان تزايداً عشرين أو ثلاثين مرة حسب التقديرات .

وفي رواية ثانية : 700 نسمة سنة 1834 و 1.600 سنة 1856 و 5.000 سنة 1866 منهم على التتابع 150 و 250 و 1.800 من اليهود المغاربة (31) . وفي رواية ثالثة لم يكن أرثور ليرد يقدر السكان سنة 1872 الا بنحو 4000 نسمة ، منهم نسبة كبيرة من اليهود ونحو 100 أروبي (32) .

وكانت أعداد الأجانب في رواية رابعة : 225 سنة 1878 منهم 114 اسبانيا ، ثم تضاعف رقمهم الى 160 سنة 1884 ، وما لبث أن ارتفع سنة 1893 الى 297 شخصا ، وفي سنة 1878 كان من الفرنسيين 38 ومن الايطاليين عشرة (33) .

واذا حاولنا أن نرجع قليلا الى الوراء سنة 1856 فسنجد أنه كان من الفرنسيين 12 ومن الاسبانيين 2 ومن الانجليزيين 2 ومن الايطاليين واحد فقط (34) .

30 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 183 وج 3 ص 461 وج 4 ص 497

31 . المصدر السابق ، ج 3 ص 26

32 . عبد المجيد بنجلون «جولات . . . 1872» ص 38

33 . ميج وهوج «الأوروبيون بالدار البيضاء» . ص 22 و 25

34 . المصدر نفسه ص 18

ومن منتصف القرن (1856) الى مطلع القرن العشرين (1906) تضخمت أعداد الجوالي الاسبانية والفرنسية والانجليزية والايطالية والبرتغالية والطارقية فوصلت الى 1074 بالدار البيضاء والى 750 بالجديدة ، ومن دراسة أصولهم الجغرافية ومواطن ولادتهم فى كل من هاتين المدينتين يتبين أن 827 ولدوا بمدن المغرب و 638 باسبانيا و 149 بجبل طارق و 96 بفرنسا و 49 بالبرتغال و 39 بانجلترا و 26 بايطاليا أو بالمناطق التى كانت تسيطر عليها هاته الدول .

وزيادة فى التوضيح أسوق هذا الجدول : (35)

عاش منهم		ولد ... ب :	مواليد
بالجديدة	بالدار البيضاء		
28	71	99 بطنجة	I - المغرب
321	31	352 بالجديدة	
12	325	337 بالدار البيضاء	
15	81	96 بمدن مختلفة	2 - فرنسا
92	57	149 بجبل طارق	3 - جبل طارق .
105	111	216 بمالقة	4 - اسبانيا
53	187	240 بقادس	
8	27	35 بجزيرة ماديرة	5 - البرتغال ...
2	10	12 بالمستعمرات	6 - انجلترا
2	2	4 بلندن	
11	15	26 بمدن مختلفة	7 - ايطاليا

35 . نقلا عن «وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي فى القرن التاسع عشر»
لجان لوي ميجس س 246 و 247

ولم تحفل الدار البيضاء بالأوروبيين فقط ، ولكنها كانت مسكنا للآفاقيين من المغاربة ، الحضريين منهم والقرويين ، وتقدم أن نسبة التكاثر فيها بين 1832 و 1866 بلغت نحو 700 فى المائة ، وقد أدى بها موقعها الجغرافى وخيراتها الفلاحية وتجارتها الى تقوية نشاطها وازدياد عمرانها .

* * *

ث - العمران

قال قنصل فرنسا أگوست بومبي عنها : «لما وصلت الى مرسى الدار البيضاء سنة 1854 لم يكن مبنيا بالحجر الا 5 أو 6 من المنازل وبعض الدكاكين» ، ومثل ذلك أكده جون هي فوصفها بأنها ، بعد أن كانت قرية متواضعة ، أصبحت ابتداءً من سنة 1865 من أهم مراسى المغرب «لأنها من مستحدثات التجارة الأجنبية» . وذكر الدكتور كئول أن أهميتها لم تعظم الا بعد مضي ثلاثين سنة (36) .

وجاء فى مصدر مغربى أنها كانت إبان ولاية الجرارى عليها «خالية قفرا ليس بها أكثر من 20 دارا» (37) .

والظاهر أن المخزن لم يكن فى البداية يريد تسهيل الاستيطان الأجنبى فيها ، بل كان يمنع البناء بها ، وهذا الأمر لم يعبأ به البعض من التجار الأروبيين سنة 1863 حسبما جاء فى هاته الرسالة من أمينى مرساها آنذاك :

« . . . صرنا إذذاك نمنع كل من يريد احداث شيء بالبلد ، ولم نبج لأحد بناء قليل ولا كثير ، عدى من كان يبني بها قبلنا كفريول نائب قونصور الفرانصيص ، وديمون نائب عن جنسين ، والرومي بيدّر من جنس النجليز ، والذمي الياء الزقوري فى حماية جنس البلجيق ، والذمي ابن الدباغ فى

36 . جان لوي مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 18

37 . العباس ابن ابراهيم : «الأعلام . . .» ج 7 ص 222

حماية الفرانصيص ، وذمي يدعى يزّ في حماية الطليان ، وذمين في حماية الصبنيول .

«فلما حاولنا منعهم من ذلك كغيرهم امتنعوا من الامتثال . . . وربما خاطبنا بعضهم بأنه يأتي بالمعلمين البنّائين من بلد أخرى ، ويلزمنا أن ندفع لهم الكراء اللازم لهم في البابور أو غيره ، ويعد علينا أيام بطالة البناء . . . وبقينا متحيرين»

«فبالفضل منك استعمل نفسك في هذه القضية . . . حتى نكون منها على تحقيق ، بحيث لا يبقى عندنا تشويش ، فلا يخفاك أن مولانا — أعزه الله — لم يسلم لابن هليل الذي في حماية الصبنيول الحوانيت التي له بالدار البيضاء من غير إعطاء نصف كراء» (38) .

ويظهر أن المخزن لم يكن حتى 1870/1287 يبني للأجانب شيئاً بهاته المدينة لقلة أعدادهم ، ولا تفيد تقاييد الأمناء في ذلك الوقت أنهم شيدوا لهم حوانيت ولا أهراً ولا مخازن ولا دوراً ، ولكنه كان يكرهم عقارات يحتفظون فيها بحق الزينة مقابل حق الكنيسة الذي للحكومة ، ولأنهم لم يبنوا لهم شيئاً لم يطالبوهم إلا بالكنيسة ، وكان التجار من الأوروبيين يكترون من الخواص أيضاً مسلمين كانوا أو يهودا .

لكن بعد بدء التهافت على شراء العقار وتشديد الأملاك قال السلطان في ظهيره سنة 1876 إن «أرض الدار البيضاء ليست من أرض الموات ، وإنما هي ملك لجانب المخزن ، فلا سبيل لمن يريد التصرف فيها بوجه إلا عن إذن المخزن ومشورته ، حسبما هو مقرر على عهد سيدنا الوالد وغيره من أسلافنا الكرام ، وحتى في الشروط التي بيننا وبين نواب الأجناس . . . ولا يأذن في بناء شيء بها ولو قلّ ، ولا في فتح طاق ولا باب عليها» (39) . وقال محمد

38 . رسالة الحاج المدني الديوري ومحمد التازي إلى محمد برকাশ في 8 رجب 1280/19

دجنبر 1863 ، محفظة برকাশ

39 . ظهير في 18 محرم 1293/14 يبرابر 1876 ، محفظة الطريس 1

التازي للحاج محمد الطريس في رسالته إن «أمر البناء قد وقع فيه التساهل حتى ضاعت أرض المخزن ، ولا بد أن تشمر عن ساعد الجد في الخدمة ، ولتكن من أمر الأملاك ببال ... وكن على بال من أولاد الباشا ليلا يكرؤا الحوانيت . وأعلمناك لتكون على بصيرة من ذلك ، لأنه ربما يقع من الدكالي تلبس في شيء من الأشياء ... ورد البال للعدول هناك ، لأنه بلغنا أن الغربي أحد العدول لم يتصف بأوصاف الشهادة ...» وختم رسالته بالبيت الشعري المتقدم ذكره في ترجمة الطريس :

«قد رشحوك لأمر لو فطنت له

فاربأ بنفسك أن ترع (= ترعى) مع الهمل» (40)

غير أن معاهدة مدريد المبرمة سنة 1880 فتحت الأبواب للتملك بشروط ، فالفصل الحادي عشر منها ينص على أن «حقوق الأملاك العقارية لرعية الأجناس بالمغرب معروف ، وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة في شريعة البلد ...» ولذلك - ومع شيء من التساهل - بنيت الأهراء والدور علنا وسرا من لدن الأجانب والمغاربة الذين توافدوا على المدينة من كل حدب وصوب ، وتدخل الوزراء المفوضون لكي تكون للقناصل مقرات بالدار البيضاء . ولما كانت سنة 1891 أو قبلها بقليل سرح السلطان البناء للتجار بواسطة الأمناء حسب طريقة 6 في المائة أو احتفظ بحق الأكرأ وطالب بالكلسة أو بالكرأ ، إن كان الملك للدولة أو للأحباس ، وقالت رسالة السلطان في هذا الصدد مفوضة للسلطة المحلية وممانعة البناء خارج البلد :

«إن البناء بمرسى الدار البيضاء لا يكون الا باذن مخزن البلد . والعرف هو عدم البناء أصلا بخارج البلد . وأرض الدار البيضاء كلها لجانب المخزن . ومن ادعى ملكية شيء منها لا تسلكم له رقبتة . ولأجل ذلك جعل المخزن البناء بستة في المائة .

40 . رسالة محمد التازي الى الطريس في 6 شوال 1294 / 14 أكتوبر 1877 - محفلة

الطريس I ، وعبد الهادي التازي : «رسائل مخزنية» ج I ص 35

«وصار اليهودي ولد حُسييس⁴¹ والرومي كارلو يبنيان بعرضة خارج البلد وكذلك النصراني جورش النجليزي حاز جنانات خمسة أمام باب مراکش وبني بها دارا وعرضة ودارا للصابون». وختم كتابه بوجوب تبليغ هذا القرار الى النواب بطنجة (41).

ومن حيث تجهيز المدينة وتوسيع مرساها فقد كانت نية الحسن الأول أن يجعل للأوروبيين حيا خاصا لهم مثل ملاح اليهود في بعض المدن المغربية (42) وكانت المرسى مفتقرة الى عناية تناسب حجم حركتها الاقتصادية. ولهذا كان السلطان يريد بناء حائط لتكسير حدة الأمواج ، فوجه سنة 1885 تعليماته الى الطريس لكي يبلغ ذلك الى علم النواب بطنجة بواسطة منشور (43).

وفي سنة 1888 رفع جماعة من التجار الأجانب واليهود المغاربة عريضة الى السلطان يلتمسون منه فيها «أن يأمر ببناء درّانة أو محل يكفي لوضع القطاني والصوفة وغير ذلك من البضائع المعروفة ، لكون الضرر الذي يقع إلينا اليوم في أمتعتنا هو عظيم لسبب عدم ما ذكر . وأما الحضرة الشريفة - حفظها الله - التي افتخرنا بها غاية الافتخار حيث حل مولانا - أعزّه الله - بهذا الشجر المذكور في 18 مايه سنة 1876 موافقه 23 ربيع الثاني عام 1293 عارفة أخير من غيرها أن هذه المرسى هي محتاجة الى ديوانة عظيمة كما ينبغي لتجارها ، مع أننا لا نشك بأن العلم الشريف تحقق بازدياد تجارتها في المملكة السعيدة بهذه الناحية المغربية . لأن المحل الذي لا يكفي لواحد فلا يمكن أن يكفي لمائة .

«وعليه فالمرتجى من فضل الجانب الشريف أن ينظر إلينا بنظره الكريم ، وينعم علينا بالأنعام الذي أنعم به على مدن أقل من هذه المدينة في

41 . رسالة السلطان الى الطريس في 17 ربيع الاول 1309/20 أكتوبر 1891 . مخطوطة الطريس 21 ، وكارلو هو كارلو أطلايا الاسباني وجورش هو جورج فيرنو ، وذلك على ما نظن .

42 . سيأتي كلام عن ذلك مع فرنسا

43 . رسالة فيرو الى الوزير محمد بن العربي ابن المختار في 22 أبريل 1885/7 رجب 1302 ، مخطوطة طنجة 3

قدر تجارتهم ، وأعوام : أقل من هذا في الغلة وقع مرارا عديدة بأن السلعة
الموضوعة في زقاق الديوانة لوسقها بعد تعشيرها قد رجعت من المحلل
المذكور فاسدة رغما من التجار الى خزائنهم مع أهريتهم ، وذلك لعدم محل
مسقف يحفظ من المطر وغيره حتى لا خنشة واحدة من الحب ولا قطعة من
الصوف وغير ذلك . . . » (44)

وكانت هاته العريضة بتوقيع 35 تاجرا من مختلف الجنسيات
والحمايات .

فمن فرنسا : جول بيكس وبروسبير فريوه ، وألكسندر سيريس ،
وألونس كنيبة ، وگوستاف أنكو .

ومن إنجلترا : جورج فيرنو ، وجون لاين ، ومردوخ بوطاير ، وستيفن
هنظر ، وتشارليز باليسطرينو ، وحاييم كانسينو .

ومن ألمانيا : التاجران براندت وطول .

ومن اسبانيا : اخواكين أضر'وباو' ، ومانويل الباريس ، وسينطيس
وگارسياس ، ودومينكو أطلايا ، زيادة على المحميّين : الياهو التدغي وابن
قدعون .

ومن البرتغال : گوميش ، والمحميان : شمويل التدغي ونسيم الزاگوري .

ومن ايطاليا : گايطانو باليسطرينو والمحميان : إسحاق ناهون
وموسى بن شطريس .

ومن المحميّين البرازيليين : هارون أزولاي ، وشلومو ابن هاروش ،
ويحيى السرفاطي ، ويوسف كويهن ، واسحاق ابن السباط ، وإبراهيم
الزاگوري .

44 . العريضة مؤرخة في 13 شتنبر 1888/7 محرم 1306 . محفوظة الهيئة الدبلوماسية .

ومن التجار اليهود المحميين أو غيرهم : حاييم الزاكوري وابن زرقين وعطية كويهن .

وربما يكون في إثبات أسماء هؤلاء فائدة ، ولو أن من المحقق أن يكون العدد أكثر من ذلك بقليل ، وكانوا جميعا تجارا أو شركاء أو وكلاء أو شبه ذلك .

ولم يطلبوا ذلك وحدهم فقد رغب فيه الوزراء والقناصل مثل جول ياطنوطر الذي اقترح سنة 1889 بناء الأهراء لعدم ملائمة عددها مع النشاط التجاري ، وزيادة الفلائك بالجديدة والدار البيضاء لحمل السلع من المراكب والى الرصيف اقتداء بما وقع في طنجة لما أنشئت الفلائك والمعديات ، وقد أصدر السلطان أوامره للأمناء بزيادة ذلك (45) .

• • •

ج - المحميون والسماصرة :

ولم تعرف مدينة مغربية ما عرفتة الدار البيضاء سواء في اتساع تجارتها واقتصادها ، أو في تنوع التجار والقناصل بها وكثرة الحماية والمحميين.

وقد بلغ عدد القنصليات سنة 1900 بالمدينة أربعاً : لاسبانيا وفرنسا وانجلترا وألمانيا ، وتسع وكالات لكل من النمسا وإيطاليا وبلجيكا والولايات المتحدة والبرتغال والبرازيل والدانمارك وهولاندة والسويد والنرويج (46) زيادة على اليونان قبيل سنة 1880 .

قد استفحل بوجود القناصل والتجار عدد المحميين والسماصرة والخطاء ، وسنرى من أجل ذلك في رسالتين كيف تطور أمر النوعين الأولين . أما الخطاء فقد كانوا كثيرين ولا سبيل هنا للاتيان بأعدادهم الوفيرة من وجوه :

45 . مطالب فرنسا في 22 شعبان 1306/23 أبريل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا (النقشان الرابعة والخامسة منها)

46 . مبيج و هوج « الاروبيون . . . » ، ص 92

أولا لم يكن المخزن يقبل لوائهم في البداية .

ثانيا لم تأت أسماؤهم في القوائم بصفة منتظمة .

ثالثا لأن الحماية لا تنطبق عليهم وإنما على الأموال التي بيدهم لغيرهم.

رابعا وأخيرا لأن عددهم كان كثيرا (6 خلطاء على الأقل لكل تاجر) .

وعلىنا أن نشاهد الوضع في وقتين متباعدين فلنتفحص الحالة سنة 1865 في رسالة الجراري الى بركاش ، قال العامل :

«... ليكن في كريم علمكم أن مولانا - نصره الله - كان كتب لعمال الشاوية من قبل بقبض واجب الزكوة والأعشار ، وكتب لي أيضا يأمرني - أعزه الله - بتعيين من يحضر على محاسبة الأشياخ مع العامة في الواجب المذكور ، ونص على أن من لم يدع الحماية فأمره ظاهر ، ومن زعم أنه فيها وإن كانت له لا تسلم له ولا يعمل بقوله ، وإنما يعمل بما في الشروط من قصرها على ترجمان وبواب ومتعلمين اثنين يكونان بهم .

«ورأيت - أيها الأخ - تساقط المسلمين اليوم على أهل الحماية ، ونسبة جميع أموالهم اليهم ، وبذلهم عريض المال في تحصيل الحماية ، ومساعدة التجار والأقناص لهم في ذلك ، ولا حد له ولا حصر ، بل تعطلت الأوامر المخزنية رأسا .

«والأمر الآن في غاية الازدياد ، ولا يكاد يوجد أحد على الإطلاق الا وله تعلق اما بالتجار أو القونص ، واما بمن احتذى بهم وهلم جرا ... وكادت كذلك أن تعطل الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم للتجار والأقناص ، مع بذل جميع أموالهم ونسبتها كلها أو نصفها لهم ، ومن لا شيء له يشهد أن في ذمته كذا وكذا مالا للتاجر أو من تعلق به ، كي يجعل له تمييز وتشريف واكتساب جاء بذلك ... » (47) ،

47 . رسالته في 15 ربيع الثاني 1282/7 شتنبر 1865 - محفوظة بركاش

وليت شعري كيف يكون هذا التمييز وهذا التشريف ان لم يكونا مسخا ومروقا ، هاته الحقيقة المرة سنتجرعها طوال هذا الباب ، ولن تكون الا قِلا من كثر في الحديث عن هذا السرطان .

حتى اذا كانت سنة 1894/1311 صرخ السلطان قبل وفاته بنحو الشهر هاته الصيحة المستنكرة في رسالة سبق لي أن أشرت اليها في الجزء الأول وأعيد هنا الاستشهاد بطرف منها حيث المقام مناسب :

«... التجار لم يتمشوا في اتخاذهم السماسرة من الرعية على مقتضى الشروط .

«ومن جملة القبائل التي وقع فيها هذا الخرق الفظيع . . . قبيلة مديونة ، فقد كادت أن تكون كلها سماسرة أو مخالطين بدون شرط ولا قانون حسبما تقف عليه . . . وملخصه اثنان وستون 62 سمسارا ومائتا مخالط ومخالطان 202 واحد عشر مائة وستة وخمسون 1156 خيمة منحاشة لأولئك السماسرة والمخالطين» (48) .

وقد وضعت جدولين لنجد فيهما أكثر مما ذكره الحسن الأول وما هو أفدح ، البيانان المذكوران يتناولان الدار البيضاء وأحوازها من سنة 1863 الى نهاية القرن تقريبا ، ومنها سيظهر أن عدد المحميين والسماسرة بلغ حسب الفترات ، ونظراً للتكرار وللانتقال من حماية الى أخرى 559 شخصا باعتبار انتمائهم الى الدول والقبائل والمدينة .

وسنجدهم مرتبين حسب الديانة (مسلمين ويهودا) ، وحسب الأصل القبلي (مديونة وأولاد حريز خاصة) ، والسمة البارزة أن أكثر المحميين كانوا من اليهود وجل السماسرة كانوا من المسلمين ، وسنطلع بالتفصيل على هاته الأسماء (ولو أن في احصائها ثغرات) استخرجتها من الوثائق المخطوطة في أكثرها ، ومن الكتب المطبوعة في أقلها .

48 . رسالة السلطان الى الطريس في 24 شوال 1311/30 أبريل 1894 ، محفظة الطريس 26 .

ج I - السماسرة : 1863 - 1900

المجموع (49)	غيرهم	مديونة	أولاد حرين	اليهود	المدول
50	20	5	21	4	بريطانيا العظمى
44	11	10	14	9	ايطاليا
10	2	4	4	—	البرتغال
23	6	13	4	—	اسبانيا
2	—	—	2	—	بلجيكا
3	—	1	2	—	اليونان
62	27	14	16	5	فرنسا
64	21	16	17	10	الولايات المتحدة
64	18	16	15	15	البرازيل
31	9	14	6	2	ألمانيا
3	3	—	—	—	السويد والنرويج
356	117	93	101	45	المجاميع

49 . أدرجت في هذا الجدول والذي بعده اعداد السماسرة والمحميين من مختلف الدول حسبما وقفت عليه في المصادر المخزنية التي طالت اليها اليد ، مع العلم أن القوائم غير منتظمة ولا متسلسلة في التاريخ يعتمدها انقطاع كبير ، وأدخلت في الحساب — على سبيل الحفظ — اعداد هؤلاء الاشخاص الواردين في القوائم البرازيلية سنة 1900 والالمانية في بداية القرن العشرين .

وبهذا الاعتبار حددت لمجموعها تاريخيا جزافيا هو 1863 - 1900 على سبيل التجوز ورغبة في شيء من الحصر الذي لا سبيل اليه كما لا يخفى .

ج 2 - المحميون : 1863 - 1900

المجموع	غيرهم	مديونة	أولاد حرير	اليهود	الجدول (50)
19	7	1	1	10	إيطاليا
18	3	3	—	12	البرتغال
35	3	11	7	14	إسبانيا
8	3	2	—	3	بلجيكا
6	5	—	—	1	اليونان
10	5	1	2	2	فرنسا
38	9	—	1	28	الولايات المتحدة
51	18	2	2	29	البرازيل
7	4	2	—	1	ألمانيا
2	1	—	1	—	هولندا
6	4	—	—	2	النمسا
3	2	—	1	—	السويد والنرويج
203	64	22	15	102	المجاميع

50 . لم أقف لبريطانيا العظمى على أسماء محمييها وأعدادهم هنا ، وهو أمر مستحيل
يشير الاستغراب ، لأن بريطانيا دولة كان لها سلك قنصلي واسع منذ عقود طويلة وكان لها
وزن ومصالح كبرى ، ولا شك أنهم ضمن المحميين الهولنديين والنمساويين وأن بعض قوائمهم
قد ضاعت ، والا فمن أين لها بأن تقوم برعاية مصالحها وهي على ما ذكرت ؟

2 : ألمانيا

تأخر الوجود الألماني عن غيره بالدار البيضاء خاصة وبالمغرب عامة ، وقد اتخذت ألمانيا وكلاء قنصليين ومحامين وسماسرة لتجارها ، وسنرى هذا في جملة من المطالب .

المطلب الأول : السلك القنصلي

1 - **اليكساندر كرامة** : A. Karara الطارقي تولى من سنة 1879 إلى حوالي 1885 تمثيل عدد من الدول من بينها ألمانيا وبلجيكا (1) .

2 - **فرانس نيومان** : F. NEUMANN الألماني ناب فترة قصيرة عن دولته (2) ولا سيما سنة 1884 .

3 - **والت الوكالة سنة 1885 إلى هـ. فيكه** (3) H. Ficke ، واستمر كذلك حتى خلفه سنة 1896 :

4 - **فون بروك** : von BRUCK ، ولكنه لم يدم إلا مدة قصيرة (4) فأسندت الوكالة إلى :

5 - **إيغن** : IGEN من 1897 إلى 1905 (5) .

1 . رسالته إلى بريشة في 11 ربيع الثاني 1302/28 يناير 1885 ، محفظة الحماية القنصلية ، وكذلك كيبن : «ألمانيا والمغرب» ص 39 .

2 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 201 ، وأيضا كيبن ، «ألمانيا والمغرب» ص 208 (2)

3 . كيبن : «ألمانيا والمغرب» ص 55 (5) .

4 . المرجع نفسه ص 412

5 . أيضا الصفحة نفسها

المطلب الثاني : المحميون

وردت أسماؤهم فى القوائم السنوية الألمانية .

1 — محمد بن ابراهيم الحداوي البيضاءي : كاتب (1890 — 1897) .
ولا يظهر أنه كان سمسارا (6) .

2 — يوسف بن إسحاق كويهن : كان منذ سنة 1886 ترجمانا (7)
وورد ذكره فى قوائم 1890 — 1892 .

3 — الحسين بن محمد الزباني الرحيوي البيضاءي : وكان سنة 1881
عونا فى قائمة الوكيل القنصلي (8) وكذلك فى القوائم الألمانية (1890 — 1895) ،
وسيصير سنة 1897 سمسارا لفيفة .

4 — 6 : التهامي بن محمد بن الشافعي الحارثي المديوني (9) :
كاتب ، وابن علي بن الطيب المجاطي المديوني ، والحسن بن الحاج علي
السوسي : عونان ، وكلهم بثلاثتهم جاءت أسماؤهم فى قائمة 1897 .

7 — الميلودي بن محمد الزيادي الطالب الرباطي : محمي فى لائحة
1897 التى لم توضح وجه حمايته ، ولعله كان ترجمانا . فقد سبق له أن كان
أحد المتعلمين بألمانيا (10) سنة 1874/1291 ، ثم بعد عودته صار فى خدمة
المصالح الألمانية ، حسبما سيرد فى باب آخر .

6 . أورده ابن زيدان سمسارا لفيفة سنة 1880 ، لكن رسالة القنصل فيكة الى بريشة
فى 20 حجة 1302/6 أكتوبر 1885 تذكر أنه كاتب .

7 . رسالة تيسنا الى الطريس فى 25 مارس 1886/19 جمادى الثانية 1303 ، وحفظه
ألمانيا المغرب .

8 . بتاريخ 19 ربيع الثانى 1304/15 يفاير 1887 ، وفيها أيضا ذكر المحميين الأولين .
ورقم الوثيقة بمكتبة تطوان هو 20/69 .

9 . جاء اسمه أيضا فى قائمة 1890/19 وفيها انه كان متقعدا على 15 خيمة من اخوانه .
وتتعلق القائمة بالسمنة من مديونة .

10 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 151

المطلب الثالث : السماسرة

سنقتبس أسماءهم من وثائق مخزنية وألمانية .

أ — من تقييد ابن زيدان والقوائم الألمانية معا :

I — عباس بن الحاج بوشعيب الحارثي المديوني البضاوي : سمسار فرانس نيومان من 1880 الى 1882 ، وجاء عنه في قائمة 49/69 أنه كان متقعدا على 10 خيام من اخوانه ، أي «حاميا» اياهم ومنافحا عنهم .

2 — بوشعيب بن الحاج مسعود ابن عمر العبدائي المديوني : مثله له في نفس السنوات ، ولكنه لم يعد سمساره في القوائم السنوية الموالية (II) .

ب — من القوائم الألمانية وحدها (1880 — 1904) :

3 — محمد بن ابراهيم الحداوي المديوني : سمسار فيكة من 1880 الى 1884 وهي السنة التي عدل فيها عنه (I2) .

4 — الحاج الجيلالي بن العربي العامري السعيدني : سمساره أيضا (1881 — 1885) ثم سمسار للتاجرين براندت وطول (1887 — 1892) .

5 — محمد بن الطيب ابن العربي ولد العبودية المديوني : سمسار نيومان (1880 — 1885) ثم عدل عنه في السنة الموالية (I3) . سيصير سمسارا لمحمي أمريكي .

6 — الحاج محمد بن علي ابن التهامي المجدوبي : سمسار فيكة (1895 — 1897) .

11 . رسالة فيبير الى الطريس في 6 ماي 1882 ، محفظة المغرب ألمانيا

12 . رسالة فيبير الى الطريس في 8 أبريل 1884 ، بالمحفظة نفسها

13 . رسالة تيستا الى الطريس في 24 مارس 1886 ، وفيها أنه محمد بن الشيب و ليس ابن الطيب ، والصواب هو ما جاء أعلاه استنادا الى القوائم الألمانية المكتوبة بالحروف اللاتينية والعربية معا .

7 - محمد بن المعطي ابن الراضي المجاطي المديوني : سمسار نيومان في قوائم سنة 1890 الى 1895 ، بل انه حتى في سنة 1887 كان سمسارا له بعد عزل السمسار الخامس أعلاه (I4) .

8 - احمد بن بوشعيب الشياظمي : مثله له أيضا في قوائم 1890 الى 1892 ، وكان قبل ذلك سمسارا له سنة 1885 حيث أبدله بالسمسار الثالث أعلاه (I5) .

9 - بوشعيب بن الفقيه محمد ابن الحاج الهراوي الحداوي المديوني البضاوي : سمسار براندت وطول (1890 - 1904) .

10 - محمد بن بوعبيد الفقري الحريزي : سمسارهما أيضا منذ 1890 بمدينة الرباط (I6) ثم ورد اسمه أيضا في القوائم من 1892 الى 1897 . وسيأتي ذكره سمسارا مع أمريكا وإيطاليا .

11 - العربي بن الشرقي الرحالي الحريزي : كان بالرباط سمسارا للقنصل الألماني بنفس المدينة في قوائم 1890 - 1895 . إلا أن السفارة كانت قد التمتت تعيينه سنة 1887 ، فاعترض عامل أولاد حريز لكونه مدينا للمخزن ، وفعل مثله الطريس (I7) ، ولكن حمايته بعد ذلك أصبحت مقبولة .

12 - سليمان بن علي ابن الرامي المزابي : مثله في نفس اللوائح ، وكان سمسارا لهنسين القنصل بالرباط ، ويظهر أنه استمر معه كذلك حتى بعد سنة 1902 .

14 . كما هو في قائمة قنصل ألمانيا بالدار البيضاء بتاريخ 11 يناير 1887 . ورقمها بمكتبة تطوان هو 20/69 ، وفيها ذكر السماسرة : 1 - 4 - 7 - 8 - 29

15 . جاء اسمه سمسارا في قائمة قنصل بلجيكا بتاريخ 28 يناير 1885/11 ربيع الثاني 1302 وذكر السماسرة : 1 - 4 - 5 معه أيضا .

16 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 15 يبرابر 1890/24 جمادى الثانية 1307 ، محفوظة بالمغرب ألمانيا .

17 . رسالة تيسنا الى الطريس في 3 يناير 1887 ، ثم رسالتا طرافرس الى الطريس في 28 رمضان و 5 شوال 1305/8 و 15 يونيو 1888 وجواب الأخير الى الاول في 5 شوال أيضا ، المحفوظة نفسها .

13 - **الحاج قدور بن محمد الرياحي الحريزي** : سمسار كارل فيكة (1890 - 1895) ، وسيأتي أنه كان سمسارا لتاجر انجليزي .

14 - **الحاج أحمد بن الحاج الرغاي المديوني البيضاوي** : سمسار شولتس (1895) ثم أصبح في خدمة غروندمان (1897) وأخيرا صار سنة 1904 سمسارا لهنسين القنصل بالرباط . غير أنه كان منذ 1893 سمسارا لشولتس المذكور (18) .

15 - **محمد بن قاسم الرحالي المجنوبي الزناتي** : سمسار نيومان (1890 - 1895) .

16 - **الحاج الطاهر بن الهاشمي القديري الزياتي المديوني البيضاوي** : سمسار براندت وطول (1895 - 1904) ، ولعله هو الذي كان سنة 1880 سمسارا لتاجر محمي بايطاليا ولآخر محمي بانجلترا .

17 - **المكي بن علي ابن القرش الغماري العبداهي المديوني المدعو ابن الكاس** : سمسار شولتس (1895 - 1897) ، وكانت السفارة التمسست سنة 1892 تعيينه سمسارا لنوطسل ، فاعترض أحمد بن العربي قائد مديونة قائلا ان المكي عامر الذمة (19) .

18 - **محمد بن محمد بن علال ابن مزّين الحريزي** : سمسار هيسنير القاطن بطنجة (1897) .

19 - **شلومو بن موشي عمران الرباطي البيضاوي** : سمسار هازة وغروندمان (1897 - 1904) .

ومن قوائم سنة 1904 نقتبس أسماء السماسرة السبعة الآتي ذكرهم :

18 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 25 مارس 1893/7 رمضان 1310 ، المحفوظة بفسيف .

19 . رسالتا طاطنباخ الى الطريس في 26 أكتوبر و 24 نونبر 1892 ، بالمحفوظة المذكورة ،

ثم رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 19 رجب 1310/6 يراير 1893 ، محفظة الطريس 24

20 — 21 : الحاج بن الحاج الجيلالي المذكوري المزدروعي والحسين بن محمد الزياتي (المحمي رقم 3 أعلاه) : وكانا سمسارين لكارل فيكة .

22 — الحاج أحمد بن الحاج عبد الله المسعودي المديوني : سمسار أوطو هاكة .

23 — أحمد بن الحاج دحمان المحروثي الزياتي : سمسار للتاجرين المتجولين فيمكرت وإنكة منذ ما قبل سنة 1901 تقريبا (20) .

24 — 25 : الحاج عبد السلام بن عبد الرحمان فويتج البيضاوي والحاج ابن اسماعيل الحبشي الحريزي : سمساران لهنريخ فيكة .

26 — الحاج بوعزة بن الحاج محمد ابن الحسن الأخير (21) الهراوي المديوني البيضاوي : سمسار كارل فيكة سنة 1904 .

ت — من غير ذلك :

27 — الحاج أحمد بن المفضل العلاوي الحريزي : كان قبل سنة 1880 سمسارا لفيقة ثم عدل عنه (22) .

28 — الحاج مسعود بن عمر العبدايمي المديوني : كان حوالي سنة 1881 سمسارا لفرانس نيومان (23) ، وتقدم ذكر ابنه السمسار رقم 2 أعلاه .

29 — مسعود الدرعي : كان سنة 1886 وقبلها نائبا لبييرشة وريطر الألمانين بالدار البيضاء حيث كان يقطن بها (24) .

20 . رسالة الطريس الى نائب ألمانيا في 7 حجة 1318/25 مارس 1901 ، محفظة المغرب ألمانيا .

21 . كذا : وصوابه قد يكون الأحمر أو الحيمر ، أو ما يشبه ذلك

22 . رسالة فيبير الى بروكاش في 14 يناير 1880 ، محفظة ألمانيا المغرب

23 . رسالة فيبير الى الطريس في 6 ماي 1882 ، وأخرى عنه الى بروكاش في 14 ماي 1881 ، بالمحفظة نفسها .

24 . من الوثيقة 20/69 بتاريخ 14 يناير 1887 (الهامشة 14 أعلاه) ومن رسالة منشورة ملحة الى الطريس في 6 شتنبر 1885 .

30 - الحاج عمر البضاوي : كان سمسارا لكارل فيكة حتى سنة 1887

حين جرد من الحماية (25) .

31 - التهامي بن الحسن الجروصي المديوني : طلبت السفارة سنة

1894 أن يتخذ سمسارا لهيرمان فوربك ، فاعتضت السلطة على تعيينه بدعوى أنه شيخ ، وقال أمينا مرسى الدار البيضاء ان التاجر «غير معروف ، والسمسار من أشياخ مديونة ، ولكن نصرانية كانت تتجر في خردة تجارة ضعيفة قالت : اجعلوا أن تجارتي في اسم التاجر المذكور» (26) .

وكان بين المخزن والسفارة خلاف حول هذا السمسار . ومما جاء في جواب طاطنباخ أن فوربك له «تجارة كثيرة في الداخل والخارج ، وقد بينا ذلك لسيادتكم بتقديم عدد من الفاطورات ومن أوراق الوسق التي باسمه ، وأن أيضا بمقتضى البطاقة التي نظرتوها من أمناء أعشار الحرائة تثبت أن التهامي الجروصي ليس هو بشيخ .

«وليس خاف عن علم سيادتكم بأن العمال وقياد الحضرة الشريفة يجعلون دائما التعللات المذكورة التي تمنع التجارة وتسبب لها أضرارا كثيرة .
«فعليه ، أعلم سعادتكم بأنني أعطيت ورقة الحماية الى السمسار التهامي بن الحسن الجروصي المذكور . . . » (27)

المطلب الرابع : المستوطنون

I - 2 - الاخوان فيكة : FICKE

- هينريخ ألبريخت فيكة ولد بألمانيا سنة 1854 ، وأقام بجبل طارق

من سنة 1874 الى 1877 ، كان يعرف المغرب ويتكلم باللغة العربية ، وقد صار

25 . رسالة تيستا الى الطريس في 29 يناير 1887 ، محفظة المغرب ألمانيا

26 . رسالة الامينين محمد هارون وادريس بن محمد برادة الى الطريس في 16 شوال 1311/22 أبريل 1894 ، محفظة الطريس 26 .

27 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 5 أبريل 1894/29 رمضان 1311 ، محفظة المغرب ألمانيا .

سنة 1885 نائبا قنصليا لبلاده ، لكنه لم يكن كفؤا لمنصبه حسبما جاء في بعض المصادر ، ولذلك عوض سنة 1895 بقنصل مقتدر (28) .

كانت له شركة تجارية تستورد السلع من ألمانيا ، واتخذ لذلك عددا كبيرا من الخلطاء بالدار البيضاء وأحوازها ، وتقدم ذكر سماسرته بهاته المدينة .
— أما شقيقه كارل فكان شريكا له حتى انفصل عنه في أكتوبر 1899 ، وفتح فرعا لتجارته بالجديدة .

ولد كارل فيكة بألمانيا سنة 1862 ، والتحق بأخيه بالدار البيضاء ، وكان له دور كبير في افادة المصالح الألمانية العلمية والسياسية والاقتصادية ، وكان مثل أخيه متقنا للغة العربية وعارفا بعوائد المغرب والمغاربة ، وأكثر نشاطا وحيوية منه .

فقد رافق بعثة ماكس كيدنفيلت M. Quedenfelt الى الجنوب سنة 1884 ، وبعثة ياناش Jannasch الى وادي نول سنة 1886 ، واضطلع بدور محسوس في فرار بعض جنود اللقيف الأجنبي الفرنسي من الدار البيضاء الى ألمانيا سنة 1907 ، فكان نشاطه قويا ضد فرنسا التي لما أشهرت الحرب العالمية الاولى اعتقلته سلطاتها بالمغرب وحجزت أملاكه ثم أعدم في 18 يناير 1915 متهما بالجاسوسية (29) .

3 - فرانس نيومان : F. NEUMANN

تاجر ألماني مشبوه الحركة ، تولى أول الامر النيابة القنصلية عن بلاده لفترة قصيرة ، وكان له خلطة مع المغاربة فاتخذ عددا من السماسرة .

لكن نشاطه كان سياسيا أكثر منه اقتصاديا ، ويستفاد من بعض المصادر المغربية أن «التاجر نومان ليست له تجارة إطلاقا ، فلا يستحق

28 . بيير كيين : (ألمانيا والمغرب) ص 55 و 56

29 - نفسه ص 55 و 56 و 400

السمسار فضلا عن اثنين» (30) ، وذلك لما طلب سنة 1887 تعيين السمسارين الاول والثامن .

كان مهربا وبائعا للسلاح ، وفي هذا المعنى تقول رسالة وجهها مخبر مجهول : «بعد اكمال الخبر الذي أعطي لحضرته الشريفة في ارسال الاسلحة للريف أن الالمان المسمى لومان القاطن في الدار البيضاء مشتريا بعض أراضي هو واثنان من الالمان في البر المراكشي ، ويقال ان هذه الاراضي هي شرقي حوز مليلية وقرب الوادي المنكب في البحر قبالة جزيرة شَفَرِينَة .

»وأیضا كما عرفوا حضرته الشريفة أن هذا لومان قد اشترى في هذه الأيام في لندرة عشرين ألف مكحلة المسماة سبنر سير ، ويقال ان هذه المكاحل يرسلها للريف ولتافلات ولتوات ، ويقال ان البعض من هذه المكاحل توجهت من لندرة في التاسع من شعبان الفارط لتافيلات أو لتوات على يد التاجرين الالمانيين المسمين مَوْر وويس القاطنين بالصويرة ، أما [البعض] الآخر من المكاحل ربما تتوجه عن قريب من لندرة للريف .

»ويخبرون أن كبانية الأنجليز متاع المراكب المسماة فرود ومراكبها ترد لطنجة في كل شهر هي التي تأتي بعشرة آلاف من المكاحل مع قرطوسها ، وهذه المكاحل يرسلونها على عشرين مرة ، كل مرة يريدون (= يَرْدُون) بعشرين او خمسة وعشرين صندوقا ، وفي كل صندوق عشرون مكحلة ، كل واحدة بتفالتها ، ويقال أيضا : ان الثلاثة من الجرمنيين الذين بالريف قد لبسوا لباس العربي حتى يختلفون « (31) .

كان تاجرا في السلاح يستورده لحساب المخزن أيضا . فقد باع سنة 1889 للمخزن عشرين ألف مكحلة (32) .

30 . تعليق في طرة الوثيقة 20/69 (14 يناير 1887) المذكورة سابقا

31 . الرسالة غفل من التاريخ الذي قد يكون سنة 1889 ، ومن اسم مرسلها الذي نعتقه فرنسيا . فقد كان الفرنسيون في الجزائر يتوجسون خيفة من هذا النشاط قرب الحدود الشرقية .

أما تهجيم الاسماء الواردة هنا فهو على التوالي Forwood - Waïs - Maur

32 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 204 ، وكين : «ألمانيا والمغرب» ص 208 (F) .

وكان نيومان قبل ذلك سنة 1881 يتعاطى الفلاحة وتربية المواشي .
ولذلك « اشترى أرضا فى مديونة ، ووقع المنع من الأذن للعدول فى الشهادة
له . ثم إنه أراد أن يبني فيها حظيرة لبقره ، فمنع عامل مديونة البنائين من
البناء أولا ، وبعد ذلك أرسل مخازنيته للطريق وتعرضوا للتاجر المذكور
عند رجوعه للدار البيضاء مع البنائين والخدامة ، فقبضوا على البنائين والخدامة
وجعلوهم بالسجن وأخذوا لهم سبعة وعشرين حمارا وجملا واحدا . والتاجر
المذكور توجه للشكاية على باشدوره بطنجة ... » الذي « طلب منا البحث
عما حصل للمذكور من الخسارات بسبب ما وقع له ... » وقدرها « ثلاث
عشرة مائة ريال ... » (33) :

وظل نيومان هكذا حتى اغتيل سنة 1894 على يد مجهول . ولما
مات طلبت ألمانيا دية مالية ضخمة فنالتها سنة 1895 وقدرها 410 آلاف
فرنك ، وقد مرت العلاقات المغربية الألمانية من سنة 1894 الى 1897 بسببه
بأزمة خطيرة (34) .

4 - فريديك براندت : F. BRANDT

ولد بألمانيا سنة 1856 وحل بالدار البيضاء فى أكتوبر 1879 ،
وأصبح شريكا لهينريش فيكة . وكان وكيلا قنصليا للمملكة النمساوية
الهنغارية ، وفى سنة 1914 أصبح نائبا قنصليا لألمانيا واتهم بالجاسوسية
لبلاده فحكمت عليه سلطات الحماية بـ 10 سنوات من الأشغال الشاقة (35) .

5 - هنريش طول : H. TOEL

ولد سنة 1885 والتحق ببراندت لتجريب حظه وأصبح شريكا
لفيكة سنة 1885 ، وبعده اشترك مع براندت . ومن جملة ما كانا يصدرانه
سنة 1886 رؤوس البقر ، وقد غادر المغرب سنة 1905 (36) .

33 . رسالة بركاش الى السلطان فى 5 حجة 1298/29 أكتوبر 1881 ، محفظة بركاش .

34 . عبد الله العروي : «الاصول ...» ص 248 (29) وجيرمان عياش : «أزمة العلاقات

المغربية الألمانية 1894 - 1897» فى مجلة «ايسبريس - تمودا» 1965 ، ص 159 - 201 ،
ولاسيما ص 186 من المجلد الرابع .

35 . كيني : «ألمانيا والمغرب» ص 56 .

36 . المصدر والصفحة السابقان .

6 - قالتر شولتس : W. SCHULTZ

تقدم خبره بطنجة ، وقد استوطن الدار البيضاء عدة سنوات ، وكان له سماسرة وخطاء .

7 - هيرمان قوربك : H. WORBECK

أصله من مدينة نورمبيرغ . وكان له سماسرة لحسابه على يده أو على يد غيره الذي هو فيكة الكبير . وكان سنة 1894 مقيما بالدار البيضاء (37).

8 - نوطسل : NUTZEL (?)

استوطن الدار البيضاء حوالي 1892 ، وطلب تعيين سمسار له . غير أن الأمناء ذكروا أن نوطسل ليست له تجارة ، فرد سفير ألمانيا قائلا إنه مسجل عنده بدفاتر التجارة وأنه يستحق أن يتخذ له سمسارا ، طالبا الموافقة على تعيين المكي المديوني رقم 17 أعلاه ، ومخبرا أن نوطسل حديث الاستيطان (38) .

9 و 10 - فيكرت و إنكة : WEIKERT/ENKE تاجران متجولان كان لهما سماسرة وخطاء .

11 - الدكتور هاكة : Otto HAAKE كان له سمسار وخطاء سنة 1904 .

12 - غرويلمان : F. GRUELMAN كان ذا خطاء بالدار البيضاء وأحوازاها حوالي سنة 1897 في الفلاحة وغيرها (39) .

37 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 5 أبريل 1894 ، محفظة المغرب المانيا .

38 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 24 نونبر 1892 ، المحفظة نفسها .

39 . كان للتجار الالمانيين عدد كبير من الخطاء : 46 لبراندت وطول و 28 لفيكة وشركته و 17 لهازة وكرونتمان و 13 لاوطو هاكة ، حسبما جاء في قائمة 25 مارس 1897 المتعلقة بالخطا بالدار البيضاء والرباط والجديدة وطنجة ، وهي بتوقيع البارون فون شنك ، وزير ألمانيا بطنجة .

13 - أدولف دوبيرت : A. DOBBERT

طبيب البحرية البروسية ، ولد سنة 1853 استوطن الدار البيضاء في أكتوبر 1880 وزاول فيها الطب حتى سنة 1889 حيث غادر المغرب ، ولكنه عاد اليه سنة 1902 .

وفي سنة 1885 اشترك مع المغاربة في تربية الغنم بسهول زناتة . وكانت له خلطة مع رجال من قبيلة مديونة (40) .

14 - جورج كراكة : G. KRAKE

ولد بألمانيا سنة 1856 ووصل الى المغرب سنة 1886 . وبعد أن قضى شهورا بتطوان وفاس ، استوطن الدار البيضاء وفتح صيدلية وعيادة بها سنة 1894 ، وقبل ذلك حدث خلاف بينه وبين القنصل فيكة الذي منعه من تعاطي الطب بدعوى أنه غير طبيب . لكن طاطنباخ رفض مطلب القنصل وأمره بتركه في نشاطه لأن كراكة كانت له معرفة بالمغرب .

دخل الى المغرب باسم مستعار مدعيا أنه روسي الأصل ، وكان يتشاجر باستمرار أمام الملأ مع زوجته الاسبانية ، كما كان متسريا بامرأة مغربية مسلمة .

وكان عميلا لشركة أوطو هاكة ، وفي سنة 1909 صار في خدمة دار مانيسمان بالدار البيضاء (41) .

40 . كين : «ألمانيا والمغرب» ص 57 (1) .

41 . المرجع نفسه 399 (4) و ص 486 (4) .

3 : الولايات المتحدة الامريكية

المطلب الأول : السلك القنصلي

1 - قبل سنة 1880 كان مسعود العسري المجوطني متوليا أمور المصالح الأمريكية بالدار البيضاء (I) .

2 - وبعد هاته السنة أو قبلها بقليل أسندت الى جون كوب حتى حوالي 1887 .

3 - اذ في السنة الأخيرة عين لها يوسف روفيل المحمي الأمريكي (2) بعد أن كان المخزن قد اعترض على تسميته ، ولكنه ظل وكيلا الى حدود سنة 1889 .

4 - ولربما عاد كوب من جديد لتولي أمرها سنة 1889 الى السنوات الأولى من القرن العشرين .

• • •

المطلب الثاني : المحميون

نقسمهم الى محمين استثنائيين والى محمين قنصليين جاءت أسماؤهم في الكثير من الوثائق الأجنبية والمغربية المضطربة .

1 . تقييد دعاوي القبطان كوب ، النقطة الرابعة ، 19 صفر 1297 / فاتح يبرابر 1880 ، محفظة بروكاش .

2 . رسالة ليويس الى الغسال في 6 يوليوز 1887 ، محفظة المغرب أمريكا .

أ - المحميون القنصليون

أ . 1 - من تقييد ابن زيدان (1880) :

1 - **الحاج عبد القادر الباشا** الرباطي كان معيناً لجون كوب وكاتبه منذ ما قبل سنة 1880 حتى أقصى حوالي 1889 من وظيفته ، فصار منذ ذلك الوقت الى ما بعد 1894 كاتباً بالقنصلية الإيطالية .

كان الحاج عبد القادر الباشا من الموسرين ، فقد « ورث عن جده الحاج أحمد الباشا خزينين ، ثم شرع في بنائهما بناء جديداً » سنة 1881 ، غير أن السلطة المحلية منعتهم من اكمال البناء « وجارت عليه مع أنه من الناس الذين عندهم الأهلية مثل بوسبير فريول وغيره ... » (3) .

ولما استفسر بركاش 'عامل' الدار البيضاء عن ذلك أجابه بأن هذين الهريين هما « لجانب المخزن ، وكانا بيد يهودي اسمه قرقوز أعارهما بعد ذهابه لبر النصارى للباشا الرباطي ، وبقياً بيد أولاده يتصرفون فيهما ، وتنوسيا وصاروا يدعون ملكيتهما » (4) .

2 . 5 - **أحمد بن ناصر** مستخدم الى ما بعد سنة 1887 **والعربي الدرقاوي والمعطي الشتوكي وحمو الكروسي** وكلهم مستخدمون أو أعوان .

6 - **الحاج عزوز البيضاوي** : وقَّاف البناء ، ولكن ابن زيدان حرق اسمه الى مجون .

وكان الطريس أثناء عمالته على المدينة قد أدبه وجلده وسجنه ، فطالب كوب العامل بتعويض عن ذلك قدره 400 ريال ، ولما بلغت القضية الى علم السلطان كتب الى العامل يقول ان « قونصو المركان لا زال يتكلم

3 . رسالة ماثيوز الى بركاش في 16 ربيع الثاني 1298/18 مارس 1881 ، المحفظة الأخيرة

4 . رسالة الطريس الى بركاش في 4 جمادى الثانية 1298/4 ماي 1881 ، المحفظة المذكورة .

في دعواه عليك بأنك ضربت الحاج عزوز وهو في حماية جنسهم ، ويطلب أربعمئة ريال ، فنأمرك بجعل سداد معه ولا بد ، وكف لسانه عنك — وهذا ان كان له حق في ذلك — والا فاجبه بِمُسْكِتٍ يصرفه عنك « (5) .

7 — مسعود العسري : كان بناء وظل محميا حتى بعد سنة 1887 .

8 — ابراهيم مناحيم عطية ترجمان الوكالة وبقي مذكورا في الوثائق حتى بعد سنة 1887 أيضا . وقد اشتهر مع كوب ببيع الحماية .

9 — اسحاق بن زرقين : كاتب تارة ، وترجمان تارة أخرى .

أ . 2 من غيره :

10 — 11 : بوشعيب ابن المسناوي (6) مستخدم سنة 1881 ومحمد بن عيسى الكروصي عون بالوكالة في تلك السنة ، وجاء اسمه في وثائق أخرى سنة 1887 .

12 — 13 : ابراهيم مسعود عمار برثوم وابراهيم عمار : مستخدمان سنة 1881 وبعدها في جملة من القوائم .

14 — 15 : علي الدكالي وشلومون واحنیش كانا سنة 1889 مستخدمين بالقنصلية (7) .

16 — الحاج خريش بن الحاج الحبشي الحريزي : صار سنة 1889 كاتباً بدلا من الحاج عبد القادر الباشا الذي « كان يقرأ بفاس... وصار يخدم مع القنصل منذ عام ... » (8) .

5 . رسالة السلطان الى الطريس في 7 قعدة 1297/11 اكتوبر 1880 ، رقم 1/11 مكتبة تطوان ، ثم القضية الاولى من دعاوي كوب (يناير 1880) .

6 . رسالة ماثيوز الى بركاش في 9 صفر 1299/31 دجنبر 1881 ، محفظة بركاش .

7 . بينة عدلية في 26 شوال 1306/25 يونيو 1889 ، ورسالة خليفة عامل الدار البيضاء الى الطريس في 27 شوال / 26 يونيو ، محفظة الطريس 16 .

8 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 6 ربيع الاول 1308/20 اكتوبر 1890 ، محفظة المغرب الولايات المتحدة .

ب - المحميون الاستثنائيون

وهم كثيرون جدا وردت أسماؤهم في طائفة من الوثائق وكلهم تجار .

ب 1 - من تقييد ابن زيدان :

17 - 19 : دايد بن داحّة العبلية وداويد الباز وسالم الرومي

ب 2 - من القائمة السنوية القنصلية (9) :

20 - 24 : ميمون بوطبول ومير بوطبول وشمويل بن هاروش

ومسعود العسري المجوطي (وهو غير المحمي 7 أعلاه) ومسعود الدرعي .

أما الدرعي فكان سنة 1885 سمسارا للتاجرين الألمانين القاطنين بمدينة لبسيك وهما ريطر وهيرشة ، ولكن « أشغال الدرعي الخصوصية له ليس هي تحت الحماية ، (10) الألمانية .

ب 3 - من قائمة أمريكية محلية أخرى (II) :

25 - الياهو عمار

ب 4 - من قائمتي 69 - 59 و 69 - 60 الفلين (12) .

9 . رقمها بمكتبة تطوان هو 69 / 10 وتاريخها هو سنة 1884/1302 ، وتشتمل على 29 محميا منهم من سبق ذكرهم وهم ذوو الأرقام : 1 - 2 - 4 - 6 - 8 - 9 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 21 ، وهي بامضاء جون كوب ، ولا تميز فيها بين المحميين والسماسة .

10 . رسالة منصور ملحمة إلى الشريف في 6 شتنبر 1885/26 قعدة 1302 ، محفوظة المغرب ألمانيا .

11 . رقمها بمكتبة تطوان هو 69/34 وهي عارية من التاريخ وتحتوي على أسماء سمسرة وعلى أسماء المحميين ذوي الأرقام 1 - 2 - 8 - 11 - 12 - 17 - 19 - 20 - 25 .

12 . وهما غفلان من التاريخ وفيهما سمسرة ، وفيهما أيضا المحميون أصحاب الأرقام 7 - 8 - 9 - 18 - 19 - 20 - 25 ولكن ليس فيهما ذكر الحاج عبد القادر الباشا المعزول عن الحماية سنة 1890 ، مما يحمل على الاعتقاد أنهما وضعتا بعد هذه السنة .

26 - 28 : يعقوب ابن الصائغ وأسير الليبي ويهين أبطاح .

ب 5 - من قائمة الخطاء العامة الغفل (I3)

29 - 33 : شمويل بن قاسيس ويعقوب بن سعيد وابراهيم أمسلم

وليون روفيل وليون واحنیش .

ب 6 من قائمة 69 - 6 المحلية (I4) :

34 - مسعود عمار

ب 7 - من قائمة 69 - 22 الأمريكية (I5)

35 - يعقوب الدرعي .

ب 8 - من 69 - 45 الغفل (I6) :

36 - اسحاق العسري

ب 9 - من غير ذلك (I7) :

37 - 38 : يوسف روفيل ويهودا روفيل : كان الاول نائبا قنصليا

وتاجرا محميا ذا « تجارة ضعيفة في الداخل والخارج » (I8) . أما الثاني

فكان « لا أصل لتجارته مطلقا بالدار البيضاء » (I9) سنة 1888 .

I3 . هي غفل من التاريخ ومن الرقم ، وخطها مثل خط 59/69 و 60/69 ، وتاريخها قد يكون بعد سنة 1889 .

I4 . وهي كذلك عارية من التاريخ وفيها 17 شخصا منهم المحميان 8 و 23

I5 . تاريخها هو 1 يناير 1888 / 16 ربيع الثاني 1305 .

I6 . وهي قائمة السماسرة والخطاء من أهل مديونة ، ولا تاريخ لها .

I7 . ثمة وثيقة أخرى بتاريخ 9 جمادى الثانية 1303 / 15 مارس 1886 ، وفيها أسماء 25 شخصا من الدار البيضاء وخارجها ، ونصت على أسماء المحميين ذوي الأرقام 1 - 11 - 12 - 13 - 17 - 19 - 20 - 23

I8 . رسالة أميني المرسى الى الطريس فى 10 قعدة 1305 / 19 يوليوز 1888 ، محفوظة الطريس I6 .

I9 . نفس الرسالة أيضا .

المطلب الثالث : السماسرة

أ - من تقييد ابن زيدان (1880) :

I - 2 : يوسف بن حمو شريك مسعود العسري ومناحيم عطية الذي كان بعد ذلك ولاسيما سنة 1893 سمسارا لتاجر من جبل طارق اسمه ابراهام كما جاء في بعض المصادر .

ب - من قائمة 10/69 القنصلية (20) :

3 - أحمد بن صابر الكريزي الهدوسي الحريزي الذي كان سنة 1886 سمسارا لابراهيم عطية ترجمان القنصلية وفي سنة 1888 صار عطية نائبا للتاجرين الامريكيين كين سطرلينك وكوتس Keen Sterling and Coates المقيمين بمدينة فيلا دليفيا وطلب أن يجعل في خدمته ابن صابر المذكور وكذلك هذا السمسار :

4 - قاسم بن عبد الحميد الكريزي الهدوسي المزامري : (21) ، لكن الطريس أجاب عن ذلك بالتريث حتى يستفهم عن التاجرين وعن السمسارين (22) ، وما من شك أن المخزن ارتضى هاتين السمسرتين

5 - الميلودي بن محمد ابن المكي الأحرش الحريزي : كان سنة 1883 في خدمة إلياس ابن الطويل المحمي بالعرائش ، وفي سنة 1887 جدد الطلب في شأنه (23) .

20 . تاريخها هو 1302 / 1884 ولم ترد فيها أسماء التجار ، ولكنني سأحاول أن أبحث عنهم من خلال الوثائق ، لأن القوائم الامريكية صممت عنهم .

21 . رسالة ليويس الى الطريس في 1 يراير 1888 / 18 جمادى الاولى 1305 ، ورقمها بتطوان هو 52 / 149 ، وكذلك قائمة 15 مارس 1886

22 . مسودة جواب الطريس في طرة رسالة ليويس المذكورة في الهامشة السابقة ، وفيهما كلام عن السمسار ادريس بن عبد القادر رقم 15 .

23 . رسالة قنصل أمريكا الى خليفة عامل الدار البيضاء في 12 صفر 1301 / 13 دجنبر 1883 ، محفظة الحماية القنصلية ، ثم رسالة ليويس الى الطريس في 21 حجة 1304 / 10 شتنبر 1887 ، محفظة المغرب أمريكا

6 - **الحاج علي بن الحولي الحلوفي الحريزي** : كان سمسارا لابراهيم عطية ، ثم انتقل الى خدمة ليون روفيل حتى سنة 1888 لما عزل من الحماية (24) ، وكان قبل ذلك سنة 1880 سمسارا لمحمي أو تاجر ايطالي كما سيأتي .

7 - **محمد بن علي ولد غنو الحلوفي الحريزي** : سمسار مناحيم عطية سنة 1888 . وكان سنة 1887 سمسارا ليوسف روفيل (25) .

8 - **التهامي بن بوشعيب بن العياشي المجاطي المديوني** : سمسار جون كوب (26) سنة 1880 أو قبلها . لكن وثيقتين (27) ذكرت أنه كان خليفته ومعترضا على 15 خيمة من اخوانه ، أي « حاميا » للمنحاشين اليه والمقربين .

9 - **عبد الله الزواغي المسعودي المديوني** مثله في السمسرة لجون كوب ، ولكنه في 69 / 45 و 69 / 47 خليفته .

10 - **ابراهيم بن قاسم بن الهاشمي الجداوي المزامزي** : كان من سنة 1883 الى 1886 سمسارا لالياس ابن الطويل (28) ، ثم انتقل الى الخدمة مع ابراهيم بن مويل .

11 - 12 : **موشي بن عيرود ودابيد بانون** سمساران لالياس ابن الطويل .

24 . رسالة ليويس الى الطريس في 9 يبرابر 1888 ، المحفظة نفسها

25 . رسالة ليويس الى الطريس في 16 صفر 1305 / 3 نونبر 1887 ، نفس المحفظة المذكورة .

26 . القضية الثالثة من دعاوي كوب ، فاتح يبرابر 1880 .

27 . هما 69 / 45 و 69 / 49 المتعلقتان بالسمسرة من مديونة .

28 . رسالة بريشة الى الحاج المعطي بن عبد الكبير في 28 رجب 1300 / 4 يونيو 1883 ، محفظة المغرب أمريكا ، وكذلك قائمة 15 مارس 1886 .

I3 - I4 : **مولاي التهامي بن علي ومحمد بن الحاج محمد الشواف الزياتي** سمساران لم أقف على اسم تاجريهما ، لكن ابن الشواف كان خليطا لمسعود العسري المجوطي ، فترامى عليه القائد المكي الفضالي سنة 1880 أو قبلها (29) .

ت - من 69 / 34 المحلية (30)

I5 - **ادريس بن عبد القادر الجلولي الحريزي** : كان قبل سنة 1880 خليطا لكوب (31) وطلب سنة 1888 ان يصبح سمساره واستمر معه الى سنة 1894 أو بعدها (32) .

I6 - **الحاج عبد الرحمان بن المجاهد العبوبي المديوني** : سمسار ابن عطار القاطن بالرباط ، كما أنه في 45/69 سمسار ليون روفيل . أما في قائمة 9 جمادى الثانية 1303 / 15 مارس 1886 فإن اسمه هو الحاج عبد الرحمان بن سمحاحل ، وذكر سمسارا لروفيل .

I7 - **الحاج مسعود بن الغزواني الحريزي** : سمسار ابراهيم بن مويال سنة 1886 . وبعد ذلك صار سمسار ليون روفيل حتى جرد من الحماية سنة 1891 ، وكان قبل ذلك قائد المائة بالمخزن (33) .

I8 - I9 : **الجيلالي بن عبد الله المزامزي ومحمد أبو العيش الحريزي** : لم يرد تاجرهما في المصادر .

29 . النقطة الرابعة من دعاوي كوب (1880)

30 . وفيها من السماسرة أصحاب الارقام : 3 - 4 - 5 - 10 - 11 - 12 أيضا .

31 . النقطة الرابعة من دعاوي كوب

32 . انظر رسالة ليويس وجواب الطريس في الهامشتين 21 و 22 أعلاه عنه وعن غيره ، على أنه في قائمة 154 / 168 كان سمسارا له بعد سنة 1894 ومتعرضا على 15 خيمة .

33 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 6 ربيع الاول 1306 / 10 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14

ث - من 69 / 6 الغفل (34) :

20 - محمد بن العربي الشيهب ولد العبودية المديوني : سمسار
ليون روفيل (35) سنة 1886 حتى جرد سنة 1891 (36) وتقدم أنه كان قبل
ذلك سمسارا لنيومان الألماني .

21 - ابراهيم الزيداني : كان سنة 1887 سمسارا لياس ابن
الطويل (37) .

22 - محمد بن العربي المهاوري الجداوي المزامري : كان سنة 1880
سمسارا لاسحاق بن زرقين ، وكان الحاج المعطي بن عبد الكبير قائد المزامرة
سجنه وحاز ما عنده (38) ، وظل مع نفس التاجر حتى سنة 1888 حين طلبه
ليون روفيل ليجعله سمساره بدلا من الحاج علي بن الحولي رقم 6 أعلاه (39) .
غير أن خليفة قائد المزامرة لما سئل عنه قال ان « ذمته عامرة بالواجب
وغيره لجانب المخزن » (40) .

23 - 27 : محمد بن الزراطي وعبد السلام بن أحمد الحريري ومزين
(أو المكي) بن الطيب الحريري ومحمد بن عمر الحريري ومحمد بن الجيلالي
الحاحي : سمسارة أو خلطاء لا يعرف لمن كانوا يعملون .

34 . هي خالية من التاريخ ومن التوقيع وفيها من السمسارة ذوو الارقام : 3 - 4 - 5 - 7 - 15 - 17 - ايضا .

35 . في قائمة 15 مارس 1886 أنه محمد بن العربي الشاهد ، وهو خطأ .

36 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 19 دجنبر 1891 ، محفظة المغرب الولايات المتحدة .

37 . رسالة ليويس الى الطريس في 23 حجة 1304/12 شتنبر 1887 ، المحفظة نفسها .

38 . دعاوي كوب ، النقطة السادسة ، ورسالة ماثيوز الى بركاش في 1 جمادى الثانية
1298 / فاتح ماي 1881 .

39 . رسالة ليويس الى الطريس في 9 يبرابر 1888 ، محفظة المغرب أمريكا .

40 . رسالة الحاج عبد السلام بن المعطي الى محمد بن سلامة خليفة عامل السدار
البيضاء في 10 قعدة 1305 / 19 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 13 .

ج - من قائمة سماسرة مديونة 69 / 45 الغفل (41) :

28 - 29 : الشيهب بن العربي الجداوي وابراهيم بن الطاهر المجاطي :
سمساران لجون كوب .

30 - 34 : الحاج بوعزة بن الأدام العسري وسليمان بن محمد المديوني وأخوه علال وبوشعيب بن ملوكا المديوني والحاج عبد السلام بن بوعزة المطاعي المديوني : وكلهم سماسرة لابن عطار الوكيل القنصلي بالرباط ، وفي سنة 1888 التمس القنصل العام تعيين الحاج عبد السلام سمسارا لشركة كين وكوتس النائب عنها رفائيل ابن عطار الذي جعل مقر القنصلية مركزاً للشركة المذكورة (42) ، فأجابه الطريس بالانتظار حتى يتم بحث القضية (43) .

ح - من قائمة 69 / 59 العامة (44)

35 - 36 : سليمان بن حجاج المحمدي وأخوه المعطي بن حجاج المحمدي وكلاهما من مديونة ، ولم يرد لمن كانا سمسارين (45) .

37 - 38 : الحاج محمد الحريزي ومحمد بن الحاج المعطي المطاعي :
ولم يرد لمن كانا سمسارين ، ويحتمل أن يكون صاحبهما من الرباط .

39 - ابن الحسن بن الحاج (46) : دون بيان التاجر .

41 . وفيها أيضا السمسار 16 أعلاه .

42 . رسالة ليويس الى الطريس في 10 يوليوز 1888 / فاتح ذي القعدة 1305 .
محفظه الولايات المتحدة المغرب .

43 . مسودة جواب الطريس في 3 قعدة / 12 يوليوز ، نفس المحفظه

44 . وفيها أيضا السمساران 4 و 21 .

45 . ولكنهما في 69 / 47 خليطان للقنصل كوب .

46 . في 69 / 49 أنه ابن الحاج أحمد الحمدوي المديوني المتمرض أو المتقعد على
15 خيمة من مديونة .

40 - 44 : اسماعيل بن الحاج الحريزي والحسن بن حمو الكريزي
والحاج بوغزة بن علي العلاوي الحريزي وحاييم بانون وابراهيم شقرون :
ولم يعرف تجارهم .

خ - من 69 / 60 الفصل (47) :

45 - 49 : الحاج بوغزة بن الحاج (48) وعبد الرحمان بن حدود
الدكالي والمكي بن العربي الزياتي وابن محمد الحريزي وبناحيم أبطاح :
سماسرة مجهولو التجار .

د - منهما معا :

50 - 57 : الحاج بوغزة بن الحاج محمد البيضاوي وبوشعيب بن
التهامي المديوني وبوشعيب بن الحسن الدكالي ويوشع بن عدي ودابيد
الترجمان وابراهيم بن مويال والحاج محمد الديبي اللوبيري ومحمد بن ادريس
(أو ابويزر) اللباري الدكالي : (49) ولا نعرف مستخدميهم .

ذ - من قائمة السماسرة الحريزين (50) :

58 - محمد بن العياشي الزنقي الحريزي سمسار المعلم طونيول
(أي أنطونيو بويين) ولعله هو محمد بن أحمد بن العياشي الصالحي الحريزي
الذي كان في 69 / 52 سمسارا لتاجر نسبه هو التدغي .

47 . وفيها أيضا ذكر السماسرة : 4 - 20 - 21 - 22 - 30 .

48 . في 69 / 49 انه ابن الحاج محمد بن الحسن المديوني حيث ورد فيها متفعدا
على 10 خيام .

49 . حولت أسماء السماسرة : 37 - 38 - 47 - 18 - 51 - 56 - 57 من مدينة
الرباط الى الدار البيضاء ، لاعتقادي أن أغلبهم من قبائل الشاوية .

50 . رقما بتطوان هو 154 / 168 ، وفيها سماسرة لاسبانيا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا
والبرازيل وأمريكا عددهم 14 ، ومنهم هذا السمسار وآخر من قبله يحمل رقم 15 ، وليس
فيها تاريخ أعتقد أنه ما بعد 1894 ، كما سيأتي مع إيطاليا (الفصل 6) .

ر – من غير ذلك :

59 – **الحاج الجيلالي بن ادريس الحريزي** طلب كوب أن يجعله سنة 1885 سمسارا لحساب ليون روفيل ، فامتنعت السلطة لأن « التاجر المذكور لم تعرف له تجارة بهذا الثغر ، ولم نعرفه أصلا » . أما الجيلالي فانه « لا تقبل حمايته ولا تسلم لكونه متبوعا » (51) .

60 – **محمد بن عيسى الحريزي** : التمسست القنصلية العامة سنة 1889 اتخاذه سمسارا لكين وكوتس (52) ، فأجيبته بالرفض « لكون التجار الغائبين عن أرض مراکش لا يستحقون السمسار » (53) .

61 – **عبد الحميد الجداوي المزامزي** : صار سنة 1883 سمسارا للترجمان ابراهيم عطية (54) .

62 – 63 : **أحمد بن الشيخ علي الجداوي المديوني ومحمد بن التهامي بن العربي المزامزي** : طلب النائب أن يتخذ سمسارين لليون واحنيش سنة 1888 ، فرفض المخزن « لكون أحمد متبوعا لجانب المخزن » . أما التاجر فلم تعرفه السلطة التي طلبت التريث حتى تبحث عن حاله (55) .

64 – **العربي بن سعيد الشبانى المذكوري** : كان سنة 1888 سمسارا لابن عطار ، مثله مثل الحاج عبد السلام بن بوعزة رقم 34 أعلاه .

51 . رسالة كوب الى بريشة فى 25 نونبر 1885 / 17 صفر 1303 ، وجواب السلطة فى اليوم نفسه ، ثم رد القنصل فى 19 صفر / 27 نونبر ، واخيرا رسالة عامل السدار البيضاء الى قائد أولاد حريز فى 20 صفر / 28 نونبر ، والكل بمجموع رقم 55 / 18 .

52 . رسالة سطوكر الى الطريس فى 6 نونبر 1889 ، محفظة المغرب أمريكا .

53 . مسودة جواب الطريس فى فاتح رجب 1307 / 21 يبرابر 1890 ، محفظة الطريس 18 .

54 . رسالة بريشة الى المعطي بن عبد الكبير فى 28 رجب 1300 / 4 يونيو 1883 ، محفظة المغرب أمريكا .

55 . رسالة ليويس الى الطريس فى 13 يوليوز 1888 / 4 قعدة 1305 ، وجواب الاخير فى 5 قعدة / 14 يوليوز بالمحفظات المذكورة ، ورسالة أحمد بن العربي الى الطريس فى 6 ربيع الاول 1306 / 10 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14 .

ولما كان العربي يشتري الجلود لشركة كين وكوتس النائب عنها ابن عطار اعتقله قائد المذاكرة ، فكتب القنصل العام طالبا الافراج عنه (56) .

هؤلاء هم المحميون وأكثرهم من اليهود ، وهؤلاء هم السماسرة وأغلبهم من المسلمين ، وجميعهم يفوق المائة شخص . وما من شك في أن هذا الرقم مرتفع جدا لا يتناسب مع مقتضيات الادارة القنصلية ودواعي التجارة .

وقد التقطتهم من طائفة من الوثائق المحلية والقنصلية السيئة الكتابة ، القليلة التحري في ضبط الأسماء والأنساب والكنى المميزة . على أنني ازاء هذا الاضطراب لم أجد مناصا من التكرار ، ولا استبعد أن يكون كتاب القوائم قد التبس عليهم الأمر فجعلوا السمسار أو المحمي خليطا .

وتدعو هذه الكثرة الغريبة من الأسماء الى تأكيد ما قيل عن جون كوب من بيعه للحماية والسمسرة والخلطة حسبما سيأتي في المبحث الموالي .

• • •

المطلب الرابع : المستوطنون

سنتحدث عن شخصين عاشا بالدار البيضاء مدة مديدة ، أولهما أنطوني بوين والآخر هو جون كوب ، مع الإشارة الى أن أمريكيا ثالثا اسمه هولان (؟) Howlan ربما كان مقيما بالمدينة في أواخر القرن الفارط .

I - أنطوني بوين : A. BOYN

أبوه من مواليد مدينة فيلاديلفيا . وقد تزوج سنة 1833 بإيطالية بمدينة طنجة وأنجب منها أولادا كانوا يقطنون بالجديدة وبالدار البيضاء حيث تردد صداهم فيهما (57) .

56 . رسالة ليويس الى الطريس في 8 اكتوبر 1888 ، المحفوظة نفسها .

57 . ميج « المغرب وأروبا » ج 2 ص 486 .

أما ابنه أنطوني أو طوني أو طونيول حسبما كان يدعى فكان مقيما بالدار البيضاء سنة 1880 (58) أو قبلها . وقد اتخذ بعض الخلطاء والسماسرة المغاربة ولاسيما من مديونة وأولاد حريز .

وكان يتقن ويتعاطى عدة حرف ، ولذلك كان يسمى المعلم طونيول . كان فلاحا واسكافيا كما كان يعرف صنعة الميكانيك . وتحدثت عنه عدة مكاتيب ولاسيما في شأن طفلة مغربية التقطها وامتنع من ردها الى أهلها ، وكان ذلك قبل سنة 1877 .

فقد ذكر القنصل كوب لعامل الدار البيضاء : «وبعد وصلني كتابك وفهمنا ما فيه ، وتذكر لنا وأن طُنِّي الماركاني عنده بنتا مسلمة تَلَفَّت لوالدها . فاعلم وأنتك لم عندك تحقيق متاع هذه الدعوة . تعرف الأب متاع البنت : هو مات في الجوع وكذلك والدتها توفيت في سيدي بليوط ... وبقيت البنت مريضة في الزنقة مطروح ، وحازها طُنِّي عمل فيها الخير ، ودفع عليها الى الطبيب سبنيول الذي مات ريال 25 ، من غير ما صيره عليها هذه مدة من شهور 14 . وداب طُنِّي يذكر وأن البنت بنته ، ولم يعطها ، وأنا كَنَشَفُ في هذه الدعوة كَنَصيب الحق متاع طني ... » (59) .

وأضاف القنصل في رسالة أخرى : « ذكرت لنا ... أن نكلف عليه حتى يدفعها لرجل يدعي أنه أبوها » ، معللا رفضه الزام الأمريكي بذلك عند ما أضاف : « انا لا نقدر نكلف على واحد من الماركان بأن يعطي شيئنا إلا اذا كلفه واحد الشرع الصافي باعطاء ذلك ، وأنا لا نقدر نعمل ذلك الا بخاطره ، واذا رضي بذلك يحتاج يقبض ما يطلب فيها ... وكن على بال : اذا تعرض له واحد عليها أو يذهب الى داره ليأخذها ووقعت فتنة فأنا بريء مما يفعله طُنِّي » (60) .

58 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 317 .

59 . رسالة كوب الى الطريس في 27 شوال 1296 / 14 أكتوبر 1879 ، محفظة بركاش . والطبيب المقصود هنا هو علي ما أظن : مانويل طوماس رود ريكيث المتوفى سنة 1877 .

60 . رسالته الى الطريس في 30 شوال / 17 أكتوبر ، المعلقة نفسها .

على أن العامل أوضح رأيه في رسالة لاحقة الى محمد بركاش يقول فيها :

« ان رجلا آفاقيا ورد لدينا متشكيا بأن بنتا له صبية صغيرة فقدما ، وبلغه عنها أنها عند نصراني هنا يسمى طني بوي من جنس الماركان . فتكلمنا في شأنها مع نائب جنسه هنا كتابة فأجابنا بغير مفيد ... بعد ما ذكرنا له أن المسلمة لا سبيل للنصراني الى حيازتها وتصييرها بنته . واذا كان عمل فيها الخير كما ذكر ، فلا ينبغي له أن يطالب بما عمل ، مع أنه لم يأذن له أحد بحيازتها ، ولم يعلم المخزن بأنها عنده . ولو كان علم بها لم يخلها عنده ساعة واحدة ... وقد فحصنا عن حال والدها فوجدناه فقيرا مملقا لا يملك دينارا ولا درهما ... » (61) .

وكان زيادة على ذلك فلاحا ويصلح أنابيب الماء . وكانت له علاقة ببعض الولاة ، وتعرض لسرقة بعض متاعه . ذهب الى القائد الشرقي المزابي ليركب له « اطرنبات في السواني ، ولما رجع من عنده ألقى الهراوين من ايلة المديوني سرقوا له من جنانه بالدار البيضاء ثلاثين خنشة من البطاطة ثمنها ثلاثون ريالا وجرحوا رباعيه وأخذوا له اجباح النحل من جنانه المذكور قيمتها سبعة عشر ريالا » (62) .

وجاء عن حرفته وتصرفاته أن « الرومي طونيو الخراز حرفة المراكاني وشلومو واحنيش الماركاناي أيضا ومعهما علي الدكالي مخزني قنصل المركان جاءوا وحاولوا اخراج شلومو بن يعقوب سويسة من رعية السلطان من حانوته ، وضربوه وخنقوا عليه وهددوه ، وأخذ له طونيو خنشتين من الدراهم : 773 ريالا » (63) . وكانت هاته الحانوت ملكا للأحباس ، وكان كل من سويسة ومسعود عمار المحمي الأمريكي يتنازعان عليها أمام القضاء (64) .

61 . رسالة الطريس الى بركاش في 7 ذي القعدة / 23 اكتوبر . ورقمها بالخزانة العامة بالرباط هو : 3 / 270 .

62 . من تقييد دعاوي القبطان كوب في 19 صفر 1297 / 1 يبرابر 1880 ، النقطة الثامنة ، محفظة بركاش .

63 . من بينة عدلية بتاريخ 26 شوال 1306 / 25 يونيو 1889 ، محفظة الطريس 16

64 . رسالة خليفة عامل الدار البيضاء الى النائب الطريس في 27 شوال / 26 يونيو بالمحفظة المذكورة .

2 - جون كوب : J. COBB

مستوطن أمريكي قديم كان قبطانا بالبحرية الأمريكية وعاش بالمغرب نحواً من أربعين سنة . فقد ولد حوالي 1827 ، لأنه كان سنة 1907 في الثمانين من عمره . وسبب استقراره بالمغرب وخاصة بالدار البيضاء أنه في سنة 1867 أصاب مركبه عطب فجنح الى الشواطئ المغربية . كان يهوى الموسيقى فاتخذ له حاكيا يردد الأغاني الأمريكية . كما كان يعرف عدة لهجات ويتكلم بسبع لغات (65) منها العربية على ما يظهر ، مما سهل عليه الاتصال بالمغاربة وعقده مع بعضهم لجملة من الصفقات المربحة .

وهو من الشخصيات الغربية الأطوار التي امتازت بكثرة الجدل وبالتعسف على المغاربة وبالتنطع على الولاة والعمال الذين كانوا يتضجرون من تصرفاته . وقد حفظت لنا الوثائق المغربية طائفة من أخباره سندل عليها من خلال هاته الدراسة .

عين قنصلا لبلاده بالدار البيضاء مدة طويلة تبتدي من 1874 الى 1887 ، ثم ابتداء من 1889 . كما كان نائبا عن البرتغال وعن فرنسا سنة 1882.

وقد انعمت عليه السلطات المخزنية بدار للسكنى صالحة لمرتبه بالحاح من ماثيوز (66) . غير أن هذا الانعام لم يدفعه الى مزيد من الحشمة لما امتنع طيلة ربع قرن من أداء وجيبة الكراء عن هري ، مع أن الأمناء بنوه له وآكروه اياه بـ 6 ٪ ابتداء من 1875 غشت II لمدة 16 سنة ، واستمر يعتمره قسرا مدة 270 شهرا الى أن آل الى ورثة كاتبه الحاج عبد القادر الباشا .

كان له ولوع بشراء العقار والفلاحة والخلطة . فقد اقتنى سنة 1881 « جنانا بازاء ثغر الدار البيضاء ، وطلب من الخليفة عبد السلام غرصية يعطي الأذن للعدول يكتبوا له ، فامتنع » (67) الخليفة من تسهيل هاته المعاملة .

65 . عبد المجيد بنجلون : « جولة في مغرب أمس - قبيل الحماية » ص 61 . بنلم ادموند هولت ، وكذلك : « جولات ... 1901 » بقلم فرانسيس ماك ناب ص 61 أيضا .

66 . رسالة ماثيوز الى برকাশ في 21 رجب 1291 / 3 شتنبر 1874 ، محفظة برকাশ .

67 . رسالة ماثيوز الى برকাশ في 9 صفر 1299 / 31 دجنبر 1881 ، المحفظة نفسها .

ورسالة السلطان الى الطريس في 29 رجب 1306 / فاتح ابريل 1889 ، محفظة الطريس 15 .

كان نشاطه متنوعا ، فكان يملك مطحنة بخارية للحبوب ويتقاضى ثمن الطحن عينا ، فجمع من ذلك ثروة طائلة (68) .

وكان فوق هذا كله تاجرا في بيع السلاح . فقد بلغ الى علم السلطان أن جماعة من المستوطنين يتعاطون هاته التجارة في بعض المراسي ، فاستفهم عن ذلك طائفة من المسؤولين ومن الأمناء مثل أميني مرسى الرباط اللذين قالوا سنة 1889 أنه « جلب لهننا مكينة القرطوس ، وصار يخدم بها قرطوس المكاحل ذات عمائر 16 ويبيعها لأهل البادية بريال 20 للألف . وتترد هاته المكاحيل للرباط برا فيشتريها من يرد عليه من القبائل ، ومنها عند زعير عدد كثير . » ولما لم ير الذي يبيعها سرا شد عضد من الولاة صار يبيعها جهرا بالسوق .

« وأمر مولانا - المؤيد بالله - أن نعلم بالواقع بطريق التحقيق :... ان ما بلغ علمه الشريف من أمر المكينة المذكورة هو واقع ، والتاجر كوب المركاني المذكور هو الذي جلبها للدار البيضاء ، وكان هو قونسص المركان بها قبل . وهو يصنع القرطوس المذكور ويبيعه بالثمن المذكور في السوق جهارا ، وذلك معروف عند الخاص والعام .

« وأما المكاحيل التي ترد لهننا برا فتزد من طنجة ، وذكر لنا أن الذي يبيعها بطنجة هو هسنير البروسي ، والذين ترد لهم للرباط هو أولاد نّهون ، وهم يبيعونها للحاج أحمد الباشي الرباطي جملة ، وهو يبيعها على يده تفصيلا ، كما ترد المكاحيل المذكورة من مكليين الحراب ليد اليهودي بنسعود ويبيعها أيضا هنا بالرباط ... » (69) .

68 . عبد المجيد بنجلون : « جولات ... - قبيل الحماية » ص 91

69 . رسالة أميني مرسى الرباط : الصديق بركاش وعبد المجيد بنشقرن الى السلطان في 4 محرم 1307 / 31 غشت 1889 ، محفوظة الرباط ، وهي التي اشرت اليها في الصفحة 458 أعلاه .

وكان موقف السلطان أن كتب الى الطريس يأمره بالاسترعاء على نواب الدول المعنية : « فنأمرك أن تكلمهم في ذلك بما يتعين ، وأعلمنا » (70).

وفضلا عن هذا كان كوب متغطرسا متعسفا . فقد اتهمه عامل مديونة سنة 1889 باحتجاز شيخ عنده وسجنه بمنزله عند ما قال : « خليفة المركان بالدار البيضاء ترامى على شيخ من أشياخ المخزن بايالتنا مديونة وقبض عليه وسجنه بداره ، فوجهت له ليسرح الشيخ ... فامتنع من تسريحه ، ولا زال مسجوننا عنده بداره » (71) .

أما المصيبة الكبرى التي كانت تأتي من جانبه فهي تجارة الحماية ، فقد اتخذ سماسرة وخطاء من أحواز الدار البيضاء ودكالة وورديغة ومن بعض الرباطيين .

وقبل سنة 1886 ندد بتصرفاته عامل أولاد حريز . فقد قال عن أولاد الشيخ الحاج العربي بوقنيطير المتوفى سنة 1885 ان أولاده : الشيخ الحاج بوشعيب والحاج علي ومحمد قتلوا خمسة إماء لأبيهم « ومثلوا بزوجته... فبلغ خبرهم لمولانا - دام علاه - فأمرنا بالقبض عليهم ، فقبضنا على الشيخ بوشعيب وأخيه الحاج علي فوجهنهم (= فوجهناهم) لحضرته الشريفة وبقي أخاهم (= أخوهم) محمد ، كان بالغرب فبلغه الخبر ، فتوجه عند الشريف الوزاني بطنجة وطلب الحماية ، فكتبنا لخدیم سيدنا السيد محمد الطريس النائب عنك ، وأخبرناه بذلك كله ، فأجاب أنه على بال منه .

« وهذه ثلاث أيام نزل في البابور بالدار البيضاء ، فكتب لنا قونص المركان من غير واسطة عامل الدار البيضاء يذكر أن محمد بن الحاج العربي بوقنيطير قدم في البابور ويده ورقة الحماية من باشدورهم ، وأنه سمسارا

70 . رسالة السلطان الطريس في 29 ربيع الأول 1307 / 24 نونبر 1889 ،
محفوظة الطريس 17 .

71 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 13 رمضان 1306 / 13 ماي 1889 ،
محفوظة الطريس 16 .

لخليفة الباشدور بطنجة (72) ، وقال انه كان أراد يوجهه مع ترجمانه ولد مناحيم (73) لدينا ، فاذا به كتب له خديم سيدنا : الحاج العربي ابريشة وأخبره بما كنا كتبنا له به من قبل من أنه مخزن ومتبوعا (= متبوع) برقاب خمسة 5 ، وسيدنا يبحث عنه . فلم يعجب القونص ' حال . . . لأن باشدور المركان (74) تبّع التجار في أهوائهم ، وصار يدفع ورقات الحماية للأشياخ وأرباب المخزن . . . » (75) .

واستمر كوب على حاله سنوات أخرى حتى قال عنه نفس العامل في رسالة ثانية ان « هذا القونص كُتب عاد الى ما كان عليه من ادخال الناس للحماية بغير موجب ولا قانون » (76) .

فلم تكن له تجارة مباحة في أغلبها ، فقد جاء في رسالة عنه وعن الحاج أحمد الباشا « الذي لا أصل لتجارته هو وجان كب » (77) أن لا شغل له غير بيع السلاح وتجارة الحماية .

وفعلا لم يرد اسمه تاجرا في عريضة التجار الأجانب بالدار البيضاء سنة 1888 أو ما يفيد أنه كان مصدرا أو مستوردا .

وفى سنة 1889 انتشر خبر فضيخته في التلاعب ببطائق الحماية بمشاركة ترجمانه ابراهام عطية وبتساهل من لدن القنصل العام ريد ليويس

72 . لعله روبرت سطوكر. ذو الخلطاء بالغرب وبدكالة .

73 . هو ابراهيم بن بناحيم عطية .

74 . هو ريد ليويس .

75 . رسالة عبد السلام بن رشيد الى بركاش فى 19 ربيع الثانى 1303 / 25 يناير 1886 ، محفظة بركاش ، الوثيقة تحمل رقم 4 / 274 .

76 . رسالة عبد السلام الى الطريس فى 6 ربيع الثانى 1307 / 30 نونبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

77 . رسالة أميني المرسى الى الطريس فى 10 قعدة 1305 / 19 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 13 .

فقد كتب يوسف روفيل المحمي الأمريكي والنائب القنصلي في أواخر سنة 1889 إلى وكيل أمريكا بجبل طارق هـ ج سبريك H. G. SPRAGUE رسالة يعلمه بأن كوب باع الحماية لعشرة أشخاص منهم محمد بوقنيطير بثمن إجمالي قدره 3400 ريال ، وجاء فيها أن « هؤلاء الناس القاطنين بالدار البيضاء قد اشتروا الحماية المراكنية في هذه الأيام من عند جن كب فيها امضاء القنصل لويز » (78) وهو ريد ليويس وسيأتي نصها كاملا أدناه .

فما كان من روبيط سطوكر إلا أن كتب إلى الطريس طالبا منه تحقيق هذه الشكاية « من غير تعطيل ، وتجيبنا فورا ليتمكن لنا الكتابة لدولتنا في أمره » (79) .

وفيما يلي أسماء المحميين والمبالغ التي دفعها كل واحد منهم :

1	- محمد بن المسعود	بريال	350
2	- التهامي بن المسعود	كذلك	250
3	- محمد ولد أحمد الدكالي	كذلك	300
4	- (المعزوزي) ولد عيشة المزكبية	كذلك	350
5	- ولد الهيادي الحريزي	كذلك	500
6	- ادريس المقواني الحريزي	كذلك	350
7	- عبد السلام بن المعلم	كذلك	250
8	- أحمد بن علال الحجاوي	كذلك	300
9	- محمد الغداوي	كذلك	350
10	- ولد بوقنيطير محمد	كذلك	400
	جملة	ريال	3400

وصدر الأمر بعزل ريد ليويس بعد شهر من الزمان ، أما كوب فلم يرد ذكر عقابه ، ولا عقاب ترجمانه .

78 . رسالة في 31 دجنبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

79 . رسالة سطوكر إلى الطريس في 3 يناير 1890 ، الوثيقة : 53 / 131 بمكتبة تطوان .

غير أن هذا القنصل عاد الى ممارسة وظيفته في عهد فليكس ماثيوز الذي أعلم المخزن في أواخر سنة 1890 برده الى النيابة بالدار البيضاء (80) .

ونذيل الكلام عنه بشكاية كان قدمها سنة 1880 الى المخزن حول نهب قبيلة زناتة لمركب كان قد جنح الى الشواطئ المغربية وعلى متنه زرع في ملك أجنب ، منهم كوب ، ونسوق نصها الكامل نظرا لاشتغالها على فوائد تاريخية عن المسغبة التي أصابت المغرب في تلك الحقبة .

وصورة الدعوى « أن مركبا كانت حرّثت بين فضالة والدار البيضاء فاشتراها هو وتسعة عشر من التجار ، وواجه معهم فيها ثمان 8 قسّمات ، قيمة القسّمات الثمانية ثمانية آلاف ريال ومئتان ريال . فنهب زناتة ما كان فيها من الحبوب وطلب أن يومر عاملهم بانصافه منهم بأداء ما ذكر من الريال له الواجب له في قسّماته » . وها هو جواب المخزن :

فقد كان بعض النواب والباشدورات تكلم في قضية هذه المركب ووقع البحث التام عن حقيقتها ، فثبت أنها غرقت كلها في البحر ، وباعها بسبب ذلك المكلف بها لجماعة بخمسمائة ريال حيث كان التوصل لما فيها عسيرا . وحتى على تقدير أن يكون خرج منها شيء ، فما خرج منها الا شيء تافه خامج مختلط بالرمل ، فكان الناس يلتقطون ذلك ليقنّاتوا به لكون المسغبة أحوجتهم لذلك .

ولما غرقت تلك المركب كتب بعض الخلّائف من الدار البيضاء وكذلك عاملها لعامل الرباط وأخبروه بذلك ، فكتب لخليفته وأكد عليه في الوقوف بنفسه . فوقف وعمل الواجب عليه مع كونه له قسمة مع التجار الذين اشتروا تلك المركب . والضعفاء والمساكين هم الذين كانوا يلتقطون ذلك من بين الرمل والتراب ، وأولئك الناس الذين التقطوا ذلك محاويج سياحين (= سياحون) في الأرض يطلبون القوت ، لكونهم كانوا يموتون

80 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 6 ربيع الاول 1308/19 نونبر 1890 ، محفظه المغرب أمريكا .

جوعا ، ولم يتركوا بلدا الا دخلوها . فلما وجدوا الحبوب هناك جلسوا يلتقطونها ويروحون لتلك الدواوير يبيتون بها .

ويمكن أن يكون الجبل منهم من ضعفاء تلك القبيلة أو غيرها ، وغاية ما كانوا يجمعون من ذلك ما يعتقدون به نفوسهم . وجل من أكل من تلك الحبوب مات . وكان ذلك هو أحد أسباب ابتداء الموت هناك . والحكام لم يقدروا على منعهم من تلقيط ذلك لكثرتهم ، لكونهم كانوا يبلغون من 4000 الى 5000 ولا يبالون ولا يسمعون كلاما ، وانما يبالون بعثق أنفسهم .

والضعفاء في كل محل اذا وجدوا شيئا رماه البحر يلتقطونه كما يقع في كل ارض وفي كل محل ، ولا سيما في هذا الوقت الصعب الشديد الذي كثر فيه الضعفاء والمحاويج حتى صار التجار والنواب يجمعون المال ويتصدقون به عليهم ولم يقصروا معهم .

وحيث سيدنا - نصره الله - لا يحب الخسارة للتجار من أي جنس كانوا ، كان أمر بركاش بفصال هذه القضية ، فأخبر أنه تفاصل مع جميع التجار الذين اشتروا تلك المركب بخمسمائة ريال لجميعهم ، على شرط أن لا يبقى لهم كلام فيما يلفظه البحر من هذه المركب في المستقبل ، وقبيل التجار المذكورون ذلك وقنعوا به .

وأنت من جملة أولئك التجار ، ونحن متحققون أنك وجنسك الفخيم لا تحبون الظلم ولا ترضونه لأحد ، فضلا عن قبيلة ، فيما اقتاتوا (= اقتات) به الضعفاء من كل ناحية ومات منهم العدد الكثير بذلك الوعيد .

وقد بينا لك ما دار في القضية وما آل اليه أمرها لتكون على بصيرة (81) .

81 . من « تقييد دعاوي الكبطان كب ، قونص المركان بالدار البيضاء الوافد على حضرة سيدنا العالية بالله في 19 من صفر 1297 والاجوبة الشريفة عنها » / فاتح يبرابر 1880 بمحظة بركاش ، النقطة الثانية عشرة .

4 : انجلترا وغيرها

تولت المملكة البريطانية تمثيل نفسها والنيابة عن غيرها كالامبراطورية النمساوية الهنغارية والمملكة الهولندية وذلك خلال فترة معينة من القرن التاسع عشر . ولذلك اختلطت أسماء محميها وسماسرة تجارها مع غيرهم في الوثائق المغربية .

ستعالج المقاطع الموالية السلك القنصلي وشؤون المحميين والسماسرة والمستوطنين من مصادر مختلفة .

* * *

أ - السلك القنصلي

1 - أشرف على الشؤون البريطانية طائفة من القناصل والوكلاء منذ منتصف القرن التاسع عشر . وكان منهم اليهودي المغربي **حليم المليح** وكيلًا قنصليًا حوالي 1854 ، أما الرسميون ، فكانوا هم :

2 - **فرانك وولدريدج** F. WOOLDRIDGE من سنة 1857 الى 1868 . وكان نائبًا قنصليًا (I) وهو من الذين نافحوا عن اليهود المغاربة ، ومن الذين كانوا يتجاسرون على السلطات المحلية (2) .

3 - **ه. ل. دوبويس** H. L. DUPUIS وهو ابن تاجر بريطاني استوطن المغرب منذ سنة 1840 . وقد اقترحه جون هي ليكون وكيلًا بمراكش

1 . أوجين هوج ومييج : «الاروبيون بالدار البيضاء في القرن التاسع عشر : 1856 - 1906» ص 92 (4) .

2 . المرجع الاخير ايضا و « الوثائق » ج 4 ، ص 314 .

سنة 1866 . ولكنه عين من 1868 الى 1872 نائبا قنصليا بمدينة السـدار البيضاء (3) .

4 - **جون لابين** J. LAPEEN - J. La Pena وقد أسندت اليه الوكالة من 1872 الى 1884 حيث « تأخر عن الخدمة لخيانة صدرت منه » (4) . وسيصير نائبا قنصليا للبرازيل .

5 - **فريدريك تشارليز ليم** : F. Ch. LAMB وناب سنة 1883 مؤقتا عن بلاده لمدة قصيرة (5) .

6 - **روبيرط ستيفن هنتر** : R. S. HUNTER ومثل بلاده رسميا من 1884 الى 1890 ، كما تولى تمثيل غيرها ، وله تقارير عن تجارة المدينة (6) .

7 - **جوج فيرنو** G. FERNAU أشرف على الشؤون البريطانية بعد هنتر (7) ، ولكن يبدو أنه كلف سنتي 1895 و 1897 بالنيابة المؤقتة عن مصالح بلاده وكذلك في فترات مختلفة .

8 - **آلان ماك لين** A. MAC LEAN وهو شقيق الكولونيل ماك لين ، وقد مثل إنجلترا في يونيو 1893 خلفا عن فيرنو (8) .

9 - **كرومي** : C. F. CROMIE وكان من غشت 1894 الى 1897 نائبا قنصليا (9) .

3 . هوج ومييج : «الاروبيون ...» ، ص 92 ، ومييج : «المغرب وأروبا» ، ج 1 ، ص 103 . وقد سلف عنه الكلام بطنجة وتطوان أنه كان نائبا قنصليا هناك .

4 . رسالة السلطان الى الطريس في 9 ربيع الاول 1306/13 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14 وكذلك «الاروبيون ...» ص 92 (1) لهوج ومييج

5 . رسالة في 23 جمادى الثانية 1300 / فاتح ماي 1883 ، محفظة المغرب إنجلترا .

6 . هوج ومييج : «الاروبيون ...» ص 92 ، ومييج : «المغرب وأروبا» 1 ، ص 123 .

7 . هوج ومييج : «الاروبيون ...» ، ص 92 .

8 . المرجع الاخير وكذلك مييج «المغرب وأروبا» ج 1 ، ص 379 (10) .

9 . المصدر الاخير ، ج 1 ، ص 95 .

أما تسيير الشؤون الهولندية وقضايا الأنبيريال ، فقد كلف به البعض من الوكلاء سالفى الاشارة ، ولو أن تلك القضايا والشؤون كانت ضعيفة لعدم وجود هولاندين ونمساويين بالمدينة .

وهكذا كان من الذين أسندت اليهم النيابة عن هولاندة سنة 1886 : هنظر سالف الذكر ، واليه وكل تدبير شؤون النمسا حتى استعفى نهائيا (10) سنة 1894 .

وفي سنة 1891 كلفت دولة الامبريال الألماني فردريك برانست برعاية مصالحها (11) الى أن خلفه سنة 1894 أوخينيو فريدريك بوطلير (12)

E. F. BUTLER

* * *

ب - المحميون القنصليون

ب 1 - كان لهولاندة سنة 1896 اثنان هما :

1 - 2 : احمد ولد الفقيه ابن عبد السلام وكان ترجمانا والحاج سماوي بن الحسين الحريري ، وكان كاتباً (13) .

ب 2 - وكان للنمسا ستة محمين قنصليين هم :

ب 2 . 1 من تقييد ابن زيدان :

1 - 4 - ابراهيم بن شطول وكان ترجمانا وبوعزة بن الجراي : كاتب ، والحاج البوح ولد بوشعيب : مستخدم وأحمد بن عبيد : عون .

10 . رسالة ساطو الى الطريس في 21 مارس 1894 ، محفظة المغرب بريطانيا . ورسالة الياس كاسيل الى الطريس في 11 شتنبر 12/1886 حجة 1303 ، محفظة الطريس 8 .

11 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس في 10 ربيع الاول 1300 / 14 اكتوبر 1891 ، محفظة المغرب النمسا .

كان هؤلاء الأربعة مستخدمين قنصليين سنة 1880 ، وكانوا « في حماية النبريال تحت رعاية النجليز » (14) . وبعد ذلك كان :

ب 2 . 2 من غيره :

5 - 6 : **دايد بن قدعون** وكان سنة 1886 ترجمانا لقنصل النمسا (15) **والحاج محمد بوبينة** وكان عونا بالقنصلية (16) سنة 1891 .

ب 3 **بريطانيا العظمى** لم أعر على أسماء محميين قنصليين لها بالدار البيضاء ، وهذا منتهى العجب . فهل ضاعت قوائمهم ، علما بأن المفوضية دأبت على ارسالها بكامل الانتظام الى السلطات المغربية ؟ والراجع أنهم هم نفس المحميين المذكورين أعلاه ، لكن في بعض الاوقات فقط .

* * *

ت - السماسرة

هم كثيرون حفظت وثائق ومراجع مختلفة أسماءهم ، وكلهم كانوا في خدمة تجار انجليزيين ومحميين ، دون رعايا هولانديين أو نمساويين .

ت I - **من تقييد ابن زيدان (1880) ومن « زمام السماسرة لتجار سلطنة اتريط ابريطن » (1879) معا :**

I - 2 . **محمد بن الغزواني والحاج علي القميري** : سمسارا جون لابين وكان الاخير محميا استثنائيا لاطاليا وفق ما سيأتي .

14 . ابن زيدان : « العز والصولة » ، ج 1 ص 320 .

15 . رسالة العربي بريشة الى الطريس في 20 رجب 1303/24 أبريل 1886 ، محفظة الطريس 8 .

16 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس (في الهاشمة 11) .

3 - 5 الحاج أحمد بن المعطي الحريزي : ظل حتى وفاته سنة 1888
سمسارا للتاجر ألكسندر كرامة **والحاج مصطفى** : (؟) وهو سمسار له
أيضا ولو لم يرد له نسب (17) **والحاج عبد القادر بن الحاج الحريزي** وهو
مثلهما لنفس التاجر كرامة KARARA

6 - 7 : **ادريس بن قدور الحريزي** (المدعو زين الله في التقيد)
وأبوه **قدور بن الطيب** : سمساران لخصوي دي نطالي : J. DE NATALI

ويبدو أن الأب كان سمسارا له قبل أن يصبح في خدمته ، أو
أنهما كانا معا يتناوبان على السمسرة له . ولما ذهب قدور الى قبيلة مديونة
اعتقله قائدها سنة 1879 ، ذاكرا أنه لا يعرف للتاجر المذكور سمسارا
بقبيلته سوى الحاج الدوح البوعمرى وارد الذكر وشيكاً . فتدخل جون هي
لدى بركاش من أجل الافراج عنه ، ولما كاتبه قال له القائد : « ... وحيث
أكدت علينا في تسريحه فاستشكل لنا أمره وظننت أنك لا علم لك بحقيقة
ما ذكرناه . ولو علمت ' لكان الجواب على اصابة الصواب ، حسبما أنت
- بحمد الله - أدري بمراجعة الكلام مع من يتكلم في القوانين والشروط
المحدودة . لكن في حق وجهك واعتنائنا بجانبك ، فها نحن أخرجته من
السجن وتركته مأمونا مع أصحابنا وفي محلنا حتى تعلم حقيقة أمره ... » (18)

غير أن التسريح لم يكن تاما حسبما يلوح ، لأن السمسار ظل موقوفا
مما أدى بالسفير الانجليزي الى المطالبة بتعويض عن حبسه قدره « ريال
في اليوم مدة سجنه ، وحلف مرارا أنه لا يرجع عن ذلك ، وهذا الطلب هين
بالنسبة لغيره » (19) .

17 . نظن أنه الحاج مصطفى بن المفتي الجزائري الذي كان سنة 1868 وقبلها من
مصدري الصوف حسبما جاء تقاييد الامينين الحاج عبد الرحمان أقصبي والحاج العربي فرج
في محرم 1286 / أبريل - ماي 1869 ، محفظة الدار البيضاء 1

18 . رسالة الميودوي بن الطيب الى بركاش في 6 ربيع الثاني 1296 / 30 مارس 1879 ،
محفظة بركاش .

19 . رسالة بركاش الى السلطان في 17 حجة 1296 / 2 دجنبر 1879 . بالمحفظة نفسها .

8 : **الحاج الدوح (20) بن محمد البوعمري المديوني** : كان سمسارا لدي نطالي أيضا ، وعن هذا السمسار أضاف قائد مديونة في رسالته الأخيرة أن للحاج الدوح «مخالطة عظيمة ، وذمته من أجل ذلك مستغرقة ، وهو نازل بقرب محلنا ولا يغيب عنا شيء من أحواله» .

9 - 10 : **بوعزة بن مينة (21)** : كان سمسارا للأخوين ليم بالدار البيضاء ، ومثله في السمسرة : **الحاج محمد بن الصغير الحريزي** الذي بقي مذكورا في زمام 1889 .

11 - 12 : **الحاج عبد الجليل بن الفواطية (22) وعلي بن الطيب (المعروف في الزمام)** : سمساران لجورج فيرنو .

13 - 14 : **الحاج بريك بن الرواين الحرودي (23) والجيلالي بن غانم (24) المجاطي المديوني** : سمساران لسانتياغو باردو : S. Pardo

وقد أصبح السمسار الأخير في خدمة جون لابين وذلك في زمام سنة 1889 ، وبعد انتحار باردو المذكور ، سنة 1882 لافلاسه في تجارته .

15 : **الحاج محمد بن الحيمر العسيلي الحريزي** : سمسار موشي برجل القاطن بمرسيلية ، لكن جاء في زمام 1889 أنه صار سمسارا للويس داصوي : L. Dassey

20 . في التقييد : الضو بن محمد ، وفي وثائق أخرى اللخ ، ولربما كانت نقطة اللخ، انما هي استدارة للشدة فوقها ، وسندل على ما وقع من التحريف في أسماء السماسرة وأنسابهم فيما سيلي من الهوامش .

21 . في الزمام بأحرف عربية : بوعزيز بن عمر ، وبأحرف لاتينية : بوعزة بن عمرو . ولعله نسب إلى جدته أو إلى أمه : مينة .

22 . في الزمام بالعربية : الحاج بن عبد الجليل ، وبأحرف لاتينية : الحاج بن الكواطية (بكاف معقودة) ، وفي التقييد الزيداني : الحاج ابن الفواطية ، دون عبد الجليل .

23 . في التقييد : الحاج بريك ، وفي الزمام : الحاج ابن الرواين الحرودي

24 . في التقييد : الجيلالي بن كنون ، وهو تحريف ظاهر

16 - 17 : الحاج ابن داود (25) الحداوي والحاج محمد البيضاوي
الحريزي : سمساران لموشي برجل أيضا .

18 : الحاج بوشعيب بن الحسن التلاوتي الحريزي : سمسار كرانط
بورجل القاطن بجبل طارق ثم صار سنة 1889 سمسارا للتاجر الايطالي
كايطانو باليسطرينو (25) .

ت 2 - من الزمام فقط :

19 : محمد بن عبد السلام الرياحي الحريزي : سمسار حاييم
كانصينو H. Cansino

ت 3 - من التقييد وحده :

20 : قلور بن محمد بن عبد السلام الرياحي : ابن الذي قبله ،
وكان أيضا سمسارا لكانصينو الذي كان سنة 1869 يستورد الخمس
والزيت (27) .

21 : عبد الفضيل بن الحاج الشامي (28) : سمسار حاييم بونطسي
ترجمان القنصلية النمساوية بطنجة

ت 4 - من قائمة سمسارة التجار سنة 1889 :

25 . في الزمام بأحرف لاتينية : ابن الضاوي

26 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 13 قعدة 11/1306 يوليوز 1889 ، محفوظة
المغرب ايطاليا .

27 . تقاييد اميني مرسى الدار البيضاء عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج في محرم
1286/ماي - أبريل 1869 ، محفوظة الدار البيضاء : ، وفيها أيضا أن خوصي دي نطالسي
المذكور سابقا كان يستورد «الخل» أو ماء الروم ، أي الخمر .

28 . لعل صواب كتابة اسمه ونسبه هو : عبد الفاضل بن الحاج الشاوي ، وليس
الشامي . وكانت له أيضا خلطة مع دومينغو أطاليا الاسباني .

22 . **الحاج المعيزي الدرنوني الحريزي** : سمسار شركة هنطير ومردوخ بوطليح .

23 - 24 . **العربي بن اليماني الحريزي** ، **ومحمد بن المعطي الحبشي** : سمساران لجورج فيرنو . وكان العامل بريشة قد اعترض سنة 1886 على تعيين العربي سمسارا له لوجود سمسارين آخرين لهذا التاجر فلا يمكن أن يتخذ ثالثا (29) . وذكر كذلك أن محمد بن المعطي كان يتعرض لدى السلطات على 15 خيمة من اخوانه .

25 - 26 . **الطيب بن غلّف وعلي بن الهجام المعروفي** : ولعلهما هما السمساران المشار اليهما مع محمد بن المعطي أعلاه على أنهما كانا في خدمة فيرنو .

27 . **الحاج الطاهر بن الهاشمي الزياني القديري** : سمسار بالدار البيضاء ليوسف العسري القاطن بطنجة . وكان من 1880 الى 1887 سمسارا لناهون المحمي الايطالي .

28 - 29 . **الحاج المكي بن الطيب الفقري** : سمسار موشي بورجل « من رعيّتهم الذي له تجارة وافرة بمراسي هاته الايالة السعيدة ، وسقط له سقف هري بمرسى ثغر الدار البيضاء ، وهو ملك له يريد اصلاحه » (30) . ولعل أباه هو : **الحاج الطيب بن الحاج الجيلالي الفقري** الذي كان سمسارا لنفس التاجر حتى 1891 حسبما سيأتي .

30 . **المكي بن المير الحريزي العباري** سمسار فونتان FONTAN وشركته بالدار البيضاء .

31 : **موشي مالتكو** : سمسار الأخوين ليم بقبيلة مزاب .

29 . رسالة العربي بريشة الى الطريس في 25 رجب 1303/29 أبريل 1886 ، محفظة المغرب بريطانيا

30 . رسالة السلطان الى الطريس في 3 جمادى الثانية 1306/4 يبرابر 1889 ، محفظة الطريس 15 .

32 : محمد بن الجيلالي القديري : سمسار حايم كانسينو بقبيلة المزامزة .

33 : بوشعيب بن بوشعيب ولد صايلا الزكراوي المديوني : سمسار نيكولوس كيو المقيم بالدار البيضاء منذ 1887 . وقد طلب التاجر في هاته السنة من الأمناء أن يبنوا له دارا وخزينا حسب قاعدة 6٪ ولكنهم حتى سنة 1890 لم يفعلوا شيئا (31) لكيو : N. Ghio

34 : عبد القادر بن الحاج عبد السلام الزيراوي : سمسار له أيضا بقبيلة أولاد زيان .

ت 5 : من وثائق أخرى :

35 : عمر بن الحاج عمر القديري : سمسار راطو بقبيلة أولاد زيان ، موالين الواد (32) .

36 - 37 : أحمد بن الجيلالي الحمدوشي : سمسار أوخينيو كيانو قبل سنة 1887 حتى طلب استبدال السمسار : محمد بن الحاج الدقراق الشاوي به (33) .

38 : الصيفي (?) بن حميش العلوي : كان قبل سنة 1889 سمسارا للتاجر لاثبين (?) حتى قتله أفراد من قبيلة الزيايدة ونهبوا أمتعته وثيرانه (34) .

31 . رسالتا كرين الى الطريس في 24 يوليوز 1887 و 29 مارس 1890 ، محفوظة المغرب بريطانيا

32 . زمام المخالطين والسماسة لتجار انجلترا بأولاد زيان رقم 57/69 ، وهو غفل من التاريخ وقد ورد فيه هو والذي قبله .

33 . رسالة كرين الى الطريس في 17 نونبر 1887 / ربيع الاول 1305 ، محفوظة المغرب بريطانيا ، وربما يكتب اسم التاجر هكذا : E. Guigliano

34 . رسالة كرين الى الطريس في 14 دجنبر 1889 / ربيع الثاني 1307 ، بنفس المحفظة ، ولعل الصيفي ولاثبين تحريفان لاسم الطيبي ولاثبين في الوثائق المخزنية .

39 : محمد بن محمد الشرقي الحجامي الحريزي : كان شلومو بن عبو الساكن بطنجة يريد تعيينه سمسارا سنة 1890 . فرفض المخزن هذا الطلب بدعوى أن « تجارته قليلة » وذلك ما لم يسلم به السفير الانجليزي (35).

40 : موسى بن زوقين : كان ابراهام بن يوسف لاريدو يريد أن يجعله سنة 1890 سمسارا له بالدار البيضاء (36) .

41 : ادريس بن صالح القريري الحريزي : اقترح سنة 1892 ليكون سمسارا لابراهيم عطية القاطن بجبل طارق (37) .

42 : الطيب بن المعطي العلاوتي الحريزي : وكان سمسارا لتاجر انجليزي لم يرد لاسمه ذكر . ولكنه صار سنة 1889 سمسارا للايطالي كايطانو باليسطرينو المتقدمة الاشارة اليه مع بوشعيب بن الحسن رقم 18 أعلاه .

43 : محمد بن عمر الهداوي (أو الحداوي) سمسار آخر لتاجر لم يرد لاسمه بيان في وثيقة دون تاريخ يحتمل أنه قبل 1889 .

44 : عبد السلام بن أحمد بن العياشي الحريزي : اقترح سنة 1894 ليكون سمسارا لابراهيم بورجل القاطن بطنجة (38) .

45 . مناحيم عطية : أريد جعله سمسارا للتاجر الانجليزي ذلكان (39) الذي حل بالدار البيضاء حوالي 1893 والتمس أن يبني له هري ودار بحسب 6% في السنة ، فوافق السلطان على ذلك بشرط ابرام العقدة معه وكمال بناء السور حول المدينة (40) .

35 . رسالة كرين الى الطريس في 25 أبريل 1890/5 رمضان 1307 ، بالمحفظة نسوا

36 . رسالة كرين الى الطريس في 17 شتنبر 1890/2 صفر 1308 ، بالمحفظة المذكورة

37 . رسالة سميث الى الطريس في 25 أكتوبر 1892 ، نفس المحفظة

38 . رسالة سطاو الى الطريس في 12 يناير 1894 ، نفس المحفظة

39 . رسالة سطاو الى الطريس في 19 أكتوبر 1893 ، نفس المحفظة ، ولعل كتابة

اسم ديلكان هي : Deal Gan/Delgan (?)

40 . رسالة السلطان الى الطريس في 3 صفر 1311/10 غشت 1893 ، محفظة

الطريس 25 .

46 : عبد الله بن المقدم الجيلالي الفقري : اقترح على المتخزن أن يكون سنة 1891 سمسارا ليونط بورجل القاطن بجبل طارق (41) .

47 — 48 : ابراهيم بن محمد الحجامي : كان قبل 1891 سمسارا للتاجرين هنظر ومردوخ بوطر الى أن طلب استبدال السمسار ببوعزة بن محمد البيدوري (42) .

49 : محمد بن علي الرامي الشاوي : اقترح سنة 1892 ليكون سمسارا لشركة التاجر الساكن بطنجة براش ماك ليود (43) : Brash Mac Leod

50 : مسعود بن بَنّاحيم الحرار : سمسار كانسينو حوالي 1882 . وكان قد وقع عليه اعتداء ونهبت أمتعته بإيالة القائد الشرقي ودوار الشيخ المعطي بوطيب الفارسي المزابي ، فطالبت السفارة بتعويض عن ذلك (44) .

هؤلاء هم السماسرة الذين عثرت عليهم وكانوا في خدمة تجار أو محمين لبريطانيا العظمى . أما هولاندة والامبراطورية النمساوية الهنغارية فلم أكد أقف لهما خلال هاته الفترة على سماسرة ولا على مستوطنين .

* * *

ث - المستوطنون

هم رعايا انجليزيون أو من المستعمرات والمحميات البريطانية ، وقدمت الكلام على أنهم كثيرون نسبيا وذكرت شيئا من أخبارهم . وأعود هنا لأتمم بعض ما سلف .

41 . رسالة وايط الى الطريس في 17 فبراير 1891 ، محفظة المغرب بريطانيا .

42 . المصدر السابق

43 . رسالة ايوان سميث في 13 شتنبر 1892/20 صفر 1310 ، محفظة المغرب بريطانيا

44 . تقييد الدعاوي التي قدمها جون هي في 25 جمادى الاولى 1299/14 أبريل 1882 ، (النفطة 14) .

1 - جون لاين :

اسمه الأول هو خوان لاينيا وهو من مواليد جبل طارق سنة 1837 .
وكان قد حل بالرباط أول الأمر ، ولكنه ما لبث أن التحق بالدار البيضاء
وظل يعيش في هاته المدينة من 1854 حتى وفاته ، وله تقارير عن التجارة
المحلية ، ولما أصبح وكيلًا قنصليًا غير اسمه تحذلقا .

وكانت دائرة نشاطه متسعة ، ولربما كان اخوان من مستوردي
السكر ومصدري الصوف حوالي 1869 ، ومنذ 1864 كان يصدر الجلود
والزيوت . وكان سنة 1878 ممثلا للشركة الانجليزية الشهيرة لويدي (45) :
LLOYD

اتخذ طائفة من السماسرة والخطاء سواء أثناء تمثيله لبلاده أو
نيابته عن دول أخرى كما سيأتي . واشتهر بدعاويه على السلطات وعلى
الخواص معا . فقد كان له سنة 1881 نزاع مع الحاج ابراهيم زنيبر السلاوي ،
وسعى سنة 1884 في سجن بوعزة بن صالح الشرقاوي المكناسي (46) من
أجل معاملات بينهما .

ومن جملة خلطائه يعقوب بن مسعود بوطبول الدمناتي في تجارة
الزيت والجلود ، وكان قد طلب من المخزن سنة 1884 الوصاية عليه لدى
القائد الجليلي الدمناتي ، لكن هذا العامل ما لبث أن سطا على بضاعته
وطارده حتى في بلاد السراغنة (47) فاستغل ذلك نائب المركان فبرح به
وشهره وسودت به الصحف في إنجلترا وفرنسا (48) .

45 . مبيج : «المغرب وأروبا» ، ج 1 ، ص 129 ، وتقاييد الامينين الحاج عبد الرحمان
أقصبي والحاج العربي فرج في محرم 1286/أبريل - ماي 1869 ، محفظة الدار البيضاء 1 .
(هذا ان كان المقصود بلفظة اخوان هو جون لاين) ، وايضا انظر رسالة الامينين الحاج المدني
الديوري ومحمد التازي الى بركاش في 15 قعدة 1280/22 أبريل 1864 ، محفظة بركاش (ان
كان أيضا هو اخوان) وكذا رسالته الى الحاج عبد الله حصار في 27 أبريل 1878 ، بالمحفظة
المذكورة .

46 . رسالة بركاش الى الحاج بوشعيب الجزولي في 27 جمادى الاولى 1298/27 أبريل
1881 ، ورسالة السلطان الى بركاش في 23 حجة 1301/14 أكتوبر 1884 ، بالمحفظة السابقة الذكر .
47 . رسالة الحاج العربي بريشة في 10 قعدة 1301/1 شتنبر 1884 ، محفظة المغرب
بريطانيا .

18 . نسخة رسالة جون هي الى الطريس في 28 دجنبر 1884 . المحفظة نفسها

2 : **أسرة ليم** عرفت في الأوساط المغربية باسم اللام ، وكان منها ثلاثة اخوة : واحد كان بالهند ، وثان كان بمقاطعة لانكشير (مانشيستر وليفربول) ، وثالث اسمه فريدريك كان بالدار البيضاء (49) وبآسفي وهو الذي تولى النيابة عن بلاده بصفة مؤقتة . ولعله كان مستعربا ويترجم للامناء (50) .

وكان أبوهم يدعى تشارليز وقد استوطن المدينة . ومن هاته الأسرة التام الذي هو طوم أي ترخيم طوماس : Tom/Thomas

الاخوة ليم كونوا شركة كبرى بالمغرب كانت لها فروع ببعض المراسي كآسفي لاستيراد المنسوجات البريطانية (51) ، وكانوا ملاكين عقارين بالجديدة وبآسفي .

3 : **جورج فيرنو** مما لا ريب فيه هو الذي كانت الوثائق المغربية تدعوه جورش أوزورش تحريفا عن جورج .

كانت له علاقات مع المخزن فاستورد سنة 1889 سمطات المكينة ودفع « حساب السمطات الى التاجر لام الانجليزي فعربه تعريبا آبين من التعريب الأول الذي كان على يد غيره » (52) .

وبعد وفاة السلطان وقعت فتنة احتل على اثرها المتمردون من الأحواز قلب المدينة ، ولم يجلوا عنها الا بعد وساطة فيرنو الذي كان « رفّادا » بينهم وبين عامل المدينة (53) .

49 . هوج ومييج : «الاروبيون . . . » ص 48.

50 . رسالة المدني التازي وعبد الكريم الغنمية الى السلطان في 9 ربيع الثاني 1307/3 دجنبر 1889 ، محفظة الدار البيضاء

51 . هنري كروز «ذكريات . . . » ص 236

52 . رسالة المدني التازي وعبد الكريم الغنمية السابقة الذكر

53 . هوج ومييج «الاروبيون . . . » ص 105

عين جورش قنصلا مرات عديدة ولربما قبل جون لايسين ، لذا يبدو أن فيرنو هذا استوطن المدينة منذ أمد قديم ، وظل يقطن بهاته الحاضرة حتى قبل الحرب العالمية الأولى ، هو وأخوه أو البعض من ذريتهما .

وكان جورج و هـ فيرنو انجليزيين ، وهما أول من وضع نظام التجزئات الأرضية سنة 1911 فارتفع ثمن الأرض بالتدريج من فرنكين الى 7 أو 8 فرنكات للمتر المربع (54) .

وكان فيرنو من الأسر الميسورة . ففي سنة 1886 كان «ز'رش يستخدم كروسة عنده معدة لركوبه هو وأهله » ثم أركب معه فيها قنصل اسبانيا وخرجا معا الى أرباض المدينة ثم رجع « وقصده بذلك أن يتعرض لهما أحد من قبل المخزن لينشأ عن ذلك ما لا يليق » . وقد اقتدى به تاجر انجليزي آخر فى استعمال هذا النوع من العربات . ولما تكلم عامل الدار البيضاء فى ذلك مع قنصل انجلترا آنذاك تطبيقا لأوامر مخزنية صدرت اليه ، أحاله على جواب سفير بلاده جون هي الذي ذكر للمخزن أن هذه « الكراريس ركن عظيم فى التجارة يصعب منع التجار منها ... » (55) .

4 : **براش ماكليوود** استوطن الدار البيضاء سنة 1884 ، ولما كان يريد اتخاذ محمد بن علي الرامي سمسارا له اعترض المخزن على ذلك ، بحجة أن هذا « التاجر بحثنا عنه فوجدناه من جملة الحوانتية ... ولا يجوز التسليم بذلك الا بعد تسليم عامله » (56) .

لكن نائب الأشغال إليوط أجاب بأن ماكليوود مقيم بالدار البيضاء وطنجة منذ 8 سنوات وأن له تجارة فيهما وبالرباط أيضا ، وأنه أعطي له سمسار بفاس ، فلماذا لم يسلم له ذلك فى غيرها ؟ (57) .

54 . هنري كروز «ذكريات . . . » ص 28

55 . رسالة الحاج العربي بريشة الى السلطان فى 27 ربيع الاول 1303/3 يناير 1886 ،
محفظة الدار البيضاء 2

56 . رسالة فى 20 صفر 1310/13 شتنبر 1892 ، بمحفظة المغرب بريطانيا

57 . رسالته فى 2 نونبر 1892/11 ربيع الثاني 1310 ، بالمحفظة نفسها

3 - أوغوستو أطلايا A. ATALAYA

يظهر من رسم اسمه أنه ليس انجليزيا ، وإنما هو من الجزيرة
الايبيرية ، ولاسيما من جبل طارق ، ولا يدري متى حل بالدار البيضاء .
وقد التمس كغيره من التجار سنة 1890 دارا وخزينا حسب رسالة السلطان
الذي قال : «التاجر النجليزي أوغستو أطلايا يريد أن يُبنى له دار وخزين
بالحومة الجديدة التي بلغ للنائب أننا نريد بناءها بالدار البيضاء . فحين
يعين المحل الأمور بتعيينه ويجعل له السور يُبنى للتاجر المذكور ذلك
من جملة غيره من التجار » (58) .

6 - ادوارد ... EDWARD (?)

هذا الاسم ينقصه النسب ، وكان صاحبه تاجرا بالمدينة منذ حوالي
سنة 1854، لأن «ضوارضو النجليزي كان يستورد السكر والآتي والقهوة» (59)

7 - انطوني بيتر (?) A. Peter

كان « أنطور بط » (= أنطوني بيتر ؟) من الذين اشتغلوا أو
اتهموا بالاشتغال بتهريب السلاح وبيعه سنة 1894 ، وكان له اتصال بأولاد
لازارو القاطنين بالجديدة الملتصقة بهم أو ببعضهم هاته التهمة . ولما استفسر
النائب الانجليزي بطنجة عنه قال ما يبريء به ساحة هذا المستوطن من
أنه كان ترجمانا للأمناء بالمرسى (60) .

ولم أقف للثلاثة الآخرين على سمسار ولا على خليط .

58 . رسالة السلطان الى الطريس في 9 شعبان 1307/31 مارس 1890 ، محفظة
الطريس 18 .

59 . رسالة أميني مرسى الدار البيضاء : محمد (فتح) بن الحاج محمد التازي وأحمد
بن الحاج محمد أفروخ الى السلطان في 21 رمضان 1270/17 يونيو 1854 ، محفظة الدار البيضاء 1

60 . رسالة ساطو الى الطريس في 8 يناير 1894/1 رجب 1311 ، محفظة المغرب
بريطانيا .

§ : اسبانيا

مثلت هاته الدولة بعدة أشخاص ، وكان لقناصلها محميون ولتجارها سماسرة ولمستوطنينها نشاط تجاري وصناعي وفلاحي .

أ - السلك القنصلي

1 . **خوسي ألباريث إي بيريث** J. Alvarez y Perez كان سنة 1863 قنصلا قبل أن ينتقل بنفس الصفة الى مدينة الصويرة ، وقد ألف كتابا عن الجنوب المغربي ، وكان صحافياً ورحالة ، جال بنواحي درعة ورأس بوجادور والساقية الحمراء حيث بنى بالعوينة براكعة أحرقها السكان على الفور (1) .

2 . **بيدرو فانطوم** (أو فانطونو) P. Fantum/Fantuno المولود بجبل طارق كما تقدم في تطوان ، وقد استوطن المغرب سنة 1856 واستخدم بقنصليات إنجلترا بآسفي سنة 1859 (حيث مثل السويد والنرويج) ثم بتطوان وبعد ذلك بالدار البيضاء وأخيرا بالصويرة التي انتقل اليها سنة 1870 .

وبالرغم من أصله الطارقي وجنسيته الانجليزية فقد مثل اسبانيا بالدار البيضاء ، وكان بها تاجرا حوالي 1855 ، وفي سنة 1868 صدر منها الصوف والجلود (2) وكان ممن خلفه بعد ذلك بقليل أو بكثير :

1 . ميج «المغرب وأروبا» ج 1 ص 60 وج 2 ص 381 ومحمد الغربي «الصحراء المغربية ...» ص 16 (نسخة مرقونة)

2 . رسالة في 27 نونبر 1865 بمحفظلة المغرب اسبانيا ، ثم رسالة فانطونو الى أميني المرسى : عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج في 18 جمادى الثانية 1285/6 أكتوبر 1868 ، محفظة الدار البيضاء I

3 . **مانويل دي نبارو** M. de Navarro عين نائبا قنصليا سنة 1878 وظل في منصبه حتى سمي سنة 1900 قنصلا بطنجة (3) .

وخلال مدة توليته كان معه آخرون منهم :

ماميرتو رونكال إي بيريث : Mamerto Roncal y Perez وهو في

نفس الوقت «أمين» وترجمان سنة 1882 ، و **خورخي بلانكو** : J. Blanco وكان ترجمانا في السنة نفسها ونائبا عن القنصل في بعض الأوقات ، و **رامون رايمودو** : R. Raimundo وكان سنة 1890 ترجمانا (4) .

ب - المحميون القنصليون والاستثنائيون

اقتطفت أسماءهم من مستندات مغربية متنوعة ، ومنها :

ب I - من التقييد الخامس لابن زيدان (1880) :

I . **العربي بن محمد بن بوعمر المديوني** : كاتب أيضا في قائمة المحميين سنة 1886 .

2 . **سعيد بن بوشعيب بن المنصر المسعودي المديوني** وكان عوناً ، ولكنه في لائحة 1881 كان «حارس صندوق مال مخزن السبنيول هنا» ، وهو أيضا في «التنبيه» (5) يوصف بأنه «مخزني لبית مال الاسبانيول ، ولا يخفى

3 . ميج «المغرب وأوروبا» ج I ص 148 ورسالة منويل الى عامل الدار البيضاء في فاتح يوليوز 14/1882 شعبان 1299 بمحظة المغرب اسبانيا ، وكذلك رسالة أخرى الى خليفة العامل في 27 يوليوز 18/1888 قعدة 1305 ، محظة الطريس 13 .

وقد تحرف اسمه في الوثائق المغربية الى دينار ، وكان «أمين» أي مراتب المحل المرسى ، ومعناه بالاسبانية ريكادادور : Recaudador

4 . رسالة في 28 يوليوز 1883 بمحظة المغرب اسبانيا ، وكذلك رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 2 شعبان 1307/24 مارس 1890 ، بمحظة الطريس 13 .

5 . عنوان هاته الوثيقة الكامل : «تنبيه على ما هو واقع بالدار البيضاء من إعطاء الحماية من بعض قناصل الاجناس على غير قانون ، موافق لما بيده من الشروط ، وبيان ما عند كل جنس من ذلك» وهي عارية من التاريخ ورقمها بمكتبة تطوان هو 138/140 ، ونسبوا محميي فرنسا وايطاليا واسبانيا ، وتاريخها هو ما قبل 1888 كما سيأتي عن سمسرة تجار فرنسا

أن بيت المال المذكور المراد به $\frac{1}{2}$ ما كان يقبض من الديوانة ، وقد كُفِيَتْ مؤونته .

وما لبث سعيد هذا أن صار سمسارا لتاجر يدعى اسطيبان Esteban أو شطبية في قائمة 1885 ، ولكن سعيدا توفي سنة 1888 «وترك 3 زوجات وأنعاما وحبوبا كانت ملكا لغيره ، وكانت له عدة أولاد» (6) .

3 - 5 . **الغندور بن محمد المديوني** : كان عوننا بالكنيسة وبالقنصلية ، **والمحجوب بن بوعبيد** : طباح وكلاهما حتى سنة 1882 ، **وعيسى بن الحاج علي الحريزي** : مخزني بكنيسة الرهبان وذكر بنفس الصفة في قائمة 1886 ، ومما يذكر أن عيسى كان سنة 1878 عوننا بتلك الكنيسة حسبما قال عامل أولاد حريز من أن «رجلا من القبيلة اسمه عيسى ولد الحاج علي الحريزي سكن الدار البيضاء ، وصار مخزنيا في دار قونص' الصبنيول بالدار البيضاء ، وهو له إخوة ثلاثة : عبد الرحمان والحاج الحسن والخليفة ووالدهم الحاج علي المذكور ، وتخلد بدمتهم مال له بال لجانب المخزن : من واجب وكلائف وسط اخوانهم ، وتعرض عليهم ومنعهم من أداء ما بدمتهم ، ولم يجد الشيخ سبيلا الى الوصول اليهم من أجل أخيه عيسى الذي تعصب عليهم ، وصار كل من لقيه بالدار البيضاء من القبيلة يجذبه للحماية ويأخذ منه عددا من الدراهم وينسبها أنها حق القونص' ويأخذها هو ، واشتغل بالشیطانة (7) في القبيلة ولم يجلس عند حده ودخل فضولا كثيرة . . . فقد وصل منه ما لا يخفى عليك من الضرر» (8) .

ب 2 - من لائحة 20 دجنبر 1881 :

6 . رسالة قاضي الدار البيضاء عبد الرحمان لوباريس الى الطريس ذي 3 قعدة 1305/12 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 13 ، وفي قائمة 17/69 أنه كان سمسارا .

7 . كذا بالأصل وصوابه : الشيطنة

8 . رسالة عبد السلام بن محمد ابن الرشيد الى محمد برকাশ في 12 جمادى الثانية 1295/13 يونيو 1878 ، محفظة برকাশ .

6 . أحمد بن الزموري المسعودي المديوني : كان قبل هذا الوقت « مخزنيا قديما بهذه الدار القنصاوية » فورث الحماية منذ ما قبل 1862 كما سيأتي في ذكر أخيه محمد ، كما أنه كان خليطا للقنصل .

7 . ابراهيم بانون المدعو حسيسو : تاجر محمي

ب 3 - من قائمة 1886 :

8 - 15 . محمد بن بوعزة بن عبد القادر الدكالي والمكي بن بوعزة المديوني المعروف وموشي بانون الملقب مير حسيسو والياهو التندغي وحاييم يمينطة و ابراهيم فينكس وشلومو بن شيمول (المدعو ابن قدعون) وشلومو بن عبو الذي كانت له أولسميه حماية أمريكية : جميع هؤلاء الأشخاص العشرة لا علاقة لهم بالعمل بالقنصلية ، وانما هم تجار محميون .

ب 4 - من قائمة 20 دجنبر 1886 :

16 . شلومو بن هاروش وهو محمي استثنائي وتاجر ويظهر أنه حل محل ابراهيم بانون حسيسو (رقم 7 أعلاه) . وقد صار سنة 1900 سمسارا لشمعون بن هاروش المحمي البرازيلي .

17 . بوشعيب بن محمد بن صالح المسعودي المديوني مخزنـي بالنيابة القنصلية أو مستخدم بالكنيسة في وثيقة أخرى (9) .

قال عامل الدار البيضاء تعقبا على قائمة 1886 ان بوشعيب هذا وذوي الأرقام 5 و 6 و 8 و 9 : «يعدم القنصل كلهم مخازنية . وهذا القدر لا تسوغه القوانين . كما أن اليهود المذكورين بعد ذلك انما يقيدهم ولم يبين لنا مراتبهم» (10) .

9 . من «بيان المخالطين لجنس الصبنيول» رقم 49/69 بمكتبة تطوان

10 . قائمة 20 دجنبر 1886 تحمل رقم 17/69 بمكتبة تطوان ، وأسفلها تعقيب العامل

في 14 ربيع الثاني 1304/10 يناير 1887 ، وهو يقصد بهم أيضا المحيين اصحاب الارقام من 10 الى 16 .

18 - 19 . محمد بن الحاج العربي الحمير الصالح الحريزي
البيضاوي مستخدم بدار القنصل (II) عوض المحمي الرابع ، ومحمد بن قاسم
المديوني مستخدم ايضا .

ب 5 - من وثائق أخرى :

20 - 21 . بوشعيب بن مسعود المسعودي المديوني وابن أخيه
محمد بن الزموري المسعودي المديوني : محميان زيادة على أحمد المذكور
تحت رقم 6 أعلاه والذي كتب عنه وعن الذين قبله قنصل اسبانيا سنة 1862
مهددا قائلا ان حامله « لم بقي لك عليهما حكما (= حكم) قط ، وهم
تحت بنديرة الصبنيول يعمهم ما يعم لجنس الصبنيول . وان بقي تقبض
منهما أحدا أو من أولادهما أحدا أو من مالهما وحرثهما وجميع من هو من
ناحيتهما فلا تلومن الا نفسك ... والضامن الذي ترك أحمد في المال الذي
لزمته له : فاياك تكلم معه أو تقبض منه فلسا واحدا . وان سمعت قبضت
منه شيئا ترجعه من غير خاطرك . وها أنا أعلمت القائد محمد الجراري بأن
السيد محمد غادي يكون عندي مخزني بباب الدار متاع القونصوا
الصبنيول» (I2) .

وبهاته الوقاحة سجل محمد «مخزنيا لخليفة قونصور الصبنيول» (I3)
سنة 1863 .

22 . ابن هليل لم يرد بيان اسمه . وكان منذ 1863 محميا . ولأجل
ذلك أو لغيره امتنع من تسديد وجيبة الكراء عن حوانيت المخزن في تلك
السنة (I4) .

11 . من «بيان المخالطين» رقم 49/69 سالف الإشارة اليه

12 . رسالة قنصل اسبانيا الى محمد ابن مشيش في 28 محرم 1279/26 يوليوز
1862 ، محفظة المغرب اسبانيا .

13 . رسالة برকাশ الى السلطان في 5 ربيع الاول 1280/20 غشت 1863 ، محفظة برকাশ .

14 . رسالة السلطان الى برকাশ في 26 ربيع الثاني 1280/10 أكتوبر 1863 ، في
«الوثائق» ج 4 ، ص 299 .

23 . اسحاق عمار الرباطي الأصل نال الحماية الاسبانية قبل حرب تطوان ولكنها نزعته عنه قبل سنة 1879 بسبب اعتدائه على مغربي مسلم من سكان الدار البيضاء . وكان من نتيجة الجروح التي لحقته أن المسلم مات .

ولما رفعت عنه الحماية لكي يسلم للقضاء لمحاكمته تخوفت الأوساط اليهودية من أن يكون في ذلك مساس بحقوق الانسان ، واكتست قضية المحاكمة قيمة بزت أهمية القتل نفسه ، فحاولت الجماعات الاسرائيلية بالخارج تبرئة ساحة القاتل ، زاعمة أن الموت لم يكن نتيجة الجروح ، وإنما كان بسبب التيفوس الذي كان منتشرا في ذلك الوقت .

ولما كانت السلطات المخزنية متصلبة في اجراء المحاكمة طلبت الهيئات اليهودية - من خلال السلك الدبلوماسي - أن يحاكم المتهم وفق قواعد النزاهة والعدل .

وها هو السلطان يقول لبركاش محتجا وأمرأ :

«فقد كتبنا لك في قضية الذمي عمار - أخي بركوم - المحتمي بالصينبول الذي قتل المسلم بالدار البيضاء ، ولم نر عنه جوابا ، مع أن هاته القضية لو كانت على مسلم لقاموا وقعدوا فيها ولكنك أنت تلزمنا فيها بما يحكمون به علينا .

« ولا ينبغي لك الأغضاء عن حقوق المسلمين . والآن فنأمرك بالكلام مع باشدور الحامي له : اما أن يعطي الحق في القضية ، واما أن يرفع يده عنه ويأتي لحضرتنا العالية بالله يقابل أولياء الدم » (15) .

وفي منتصف أكتوبر 1879 اعتقل اسحاق عمار ووجه على متن باخرة فرنسية من الدار البيضاء الى طنجة مخفورا بحارسين مغربيين (16) لاجراء

15 . رسالة السلطان الى بركاش في 7 شعبان 1296/27 يوليوز 1879 ، في «الوثائق» 1 ، ص 463

16 . «الوثائق» 5 ، ص 376

الأحكام عليه . ويظهر أنه لم يثبت عليه شيء . ولذلك أمر السلطان بعد بضعة أشهر باخلاء سبيله في يبرابر 1880 بدون كفالة مالية على ما يلوح . أما الدية فقد أوعزَ ولد مراشي الى أسرة القليل بأن لا تقبل تعويضا أو دية من عمار . وأمام هاته الحالة كتب جون هي الى بركاش يخبره بذلك ويشير عليه بأن لا يتأخر عن اصدار الأوامر بضرورة وقف هذا التدخل . وختاما صرح عمار أنه سيذهب الى أروبا لشكر أولياء نعمته (17) .

ولا يعلم ما اذا أديت الدية ولو أن الراجح أنها لم تسدد لتلبسـه وانغماس أسرة عمار في خضم الحماية . فقد تقدم أن شقيقه بركوم محمي أمريكي ومثله ابراهام الذي اكتسب الحماية الإيطالية ، مثلما نال الياهو عمار الحماية الأمريكية والإيطالية معا .

24 – 25 **علي بن محمد بن صالح المسعودي المديوني** صار عونا في محل الغندور بن محمد المذكور سابقا ، وميَّـر بوطبول الذي عين ترجمانا بالقنصلية (18) ، وقد تقدم أنه صار هو أو سميـه محميا أمريكيا سنة 1884 .

26 . **الغندور بن الحبيب المديوني** الذي كان قبل سنة 1875 « كاتباً لقنصل اسبانيا بالدار البيضاء ... وفتح ثلاثة طيقان فوق دور المسلمين أيام ولاية الجراري » (19) . وسيأتي أنه أصبح بعد ذلك سمسارا ليهودا الصائغ المحمي بفرنسا (20) .

27 – 30 . **الحاج الأحسن (أو الحسن) بن الحاج علي بوستة وبوشعيب بن الحاج بوشعيب ابن الطيب العسلي والحيمر بن الحاج العربي**

17 . رسالة جون هي الى سولزبوري في 18 يبرابر 1880 – الوثيقة 49 في كتاب «المراسلات . . . » الانجليزية ، ينظر عن قضية عمار «الوثائق» 5 ص 367 و 390 و 391 و 402 .

18 . رسالة ماميرتو رنكال الى عامل المدينة في 8 شوال 1299/23 غشت 1882 ، محفظة المغرب اسبانيا ، ورقمها بمكتبة تطوان هو 3/37

19 . رسالة السلطان الى بركاش في 3 رجب 1293/25 يوليوز 1876 ، محفظة بركاش .

20 . من «التنبيه» رقم 138/140

الصالحى وكلهم من أولاد حريز ، كانوا مستخدمين بدار النائب القنصلي ومثلهم : **عَيُّوش بن أسولين** الذى كان له فوق ذلك خلطاء بالقبيلة نفسها (21)

31 - 32 . **محمد بن محمد ابن الجيلالي الحبشي العسكري الحريزي والجيلالي بن أحمد الحبشي العسكري الحريزي (22)** وكانا مستخدمين بالقنصلية .

33 . **علال بن مَلُوك** وهو «مخزني بدار طبيب الجنس المذكور» (23) ولم يرد بيان عن تاريخ حمايته ، وهو والاثنان قبله فى ذلك سواء .

34 - 35 : **زهراء عُبَّادية** أرملة سكسو ، وكانت محمية قبل سنة 1881 هي وزوجها الهالك ، ولكنها تجنست هي والذى بعدها : **سليمان بن أذبي** (24) .

* * *

ت - السماسرة

وردت أسماءهم متفرقة فى مصادر مختلفة : تقييد ابن زيدان وقائمتي 1881 و 1886 ووثائق أخرى ، ومنها استخلص ذكرهم مع شىء من المقارنة .

ت I : من تقييد ابن زيدان (1880) وقائمتي 1881 و 1886 :

I . **الحاج أحمد بن محمد الدكالي** سمسار فرانسيسكو أطلايا

2 . **بوعزة بن الحاج الحسن الهراوي المديوني** سمسار رامون أطلايا .

كان السمسار الأخير صهرا لعامل مديونة ، وقد بنى فى صيف 1881 قصرا وبداخله دار بالساحل بأولاد جرار قرب الدعيعة على مسافة ثلاث

21 . قائمة المحميين بأولاد حريز رقم 63/69 بمكتبة تطوان ، وهي عارية من التاريخ .

22 . من قائمة مختلطة للمحميين من أولاد حريز باسبانيا وانجلترا وأمريكا وإيطاليا والبرازيل ، وهي لا تحمل تاريخا ، ورقمها بتطوان هو 168/154 .

23 . بيان المخالطين سالف الذكر 49/69

24 . رسالة قنصل اسبانيا الى العامل الطريس فى 28 محرم 1299/20 دجنبر 1881 ، محفظة المغرب اسبانيا .

ساعات من مرسى الدار البيضاء ، وكانت خلطته بأسباني «لا تجارة له» حسب تعبير العامل الطريس مما يدعو الى الارتياح فى أمرهما خشية تعاطي التهريب ، أو مخافة الآفات ، أو احتياطاً من خرق ضوابط البناء ، أو كل ذلك جميعاً .

ولهذا كله أمر السلطان بهدم الدار معللاً قراره بأنه «حيث كان البناء فى ذلك المحل لم يعهد من أحد ويحصل منه الأضرار بالمرسى من وجوه لا تخفاك ، مع كون الساحل محرماً لا يشغل ببناء ولا بنزول ولا بنحو ذلك حسبما هو معروف عند كل أحد» (25) .

3 . **محمد بن الحدّاوي (26) المديوني** كان سمساراً لرامون أطلايا ، وقد يكون هو محمد العدوي المديوني الذى كان سمساراً لفيفة الألمانى من 1881 حتى عدل عنه بعد 1884 كما تقدم .

4 . **الحاج أحمد بن الأعرابي (أو العرابي) التلاوتي الحريزي** سمسار كارلو أطلايا ، وقد صار فى وثيقة أخرى سمساراً للتاجر أضريّن (27) .

5 . **الغندور بن العسري العبدائي المديوني** كان سمساراً لكارلو أطلايا أيضاً ، وفى وثائق أخرى أنه كان خليطاً لكارلو ومتعرضاً على 15 خيمة من اخوانه (28) .

25 . رسالة السلطان الى برকাশ ورسالة الاخير الى العاهل فى 29 محرم و 7 صفر 1299/21 و 29 دجنبر 1881 ، محفظة برকাশ ، (نص الرسالة السلطانية عند ابن زيدان فى «الاتحاف» ج 2 ص 370) ، ثم رسالة الطريس الى برকাশ فى 22 صفر 1299/13 يتاير 1882 ، محفظة الحماية القنصلية ، وقد وردت اشارة الى هذا السمسار والتاجر فى «التنبية» رقم 138/140 .

26 . فى التقييد : محمد بن العداوي ، وفى قائمة 1886 : حم بن الحداوي ، ونظن صوابه هو ما ذكر أعلاه نقلاً عن قائمة سمسرة مديونة .

27 . قائمة 168/154 وقائمة 63/69 بمكتبة تطوان ، وكلاهما خاص بأولاد حريز ، وسيأتى أن تاريخ القائمة الاولى هو بعد سنة 1894 (انظر السمسارين الايطاليين رقم 24 و 42) . أما التاجر فلم أقف على ضبط كتابته ، وأظنه يسمى أندريانو Andriano

28 . قائمة 49/69 وقائمة 42/69 بمكتبة تطوان ، واسمه فى التقييد : الغندور بن العيساوي .

6 - 7 . عبد السلام بن الحاج أحمد الجروصي الزياني وكان سمسارا لدومينغو أطلايا (29) ومثله أخوه : الحسن بن الحاج أحمد الجروصي الزياني (30) .

ت 2 - من قائمة 20 دجنبر 1881 المحلية (31) :

8 - 9 : محمد بن الحاج سليمان المديوني والحاج سليمان بن محمد المديوني سمساران لخوان كيخادة ، وكان الأخير منهما سمسارا لابن عطار في قائمة سمسرة تجار أمريكا بمديونة (I5/69) .

10 - 11 : عبد الله بن الحاج علي سمسار منويل رودريغيس M. Rodriguez المدعو ولد الطبيب والحسين بن محمد سمسار أليخاندر و رامون أطلايا ، ولم أقف لهذين السمسارين على أصلهما ونسبهما .

ت 3 من قائمة 20 دجنبر 1886 المحلية (32) :

12 . المكّي بن الفاطمي الزياني الرحاوي المديوني سمسار رامون أطلايا أيضا في قائمة إيالة المديوني (33)

13 . التهامي بن الحاج قاسم الحجاجي الحريري سمسار شطبية وشركائه ، أما في لائحة سمسرة أولاد حريز فهو سمسار أضريين أو أندريانو (34) .

14 . الحاج المعطي بن الفاطمي الغريني المزامزي سمسار منويل ألباريس ، ثم صار قبل سنة 1890 سمسارا لرامون أطلايا ، وظل مدينا لهذا

29 . في التقييد : عبد السلام بن محمد الجروصي ، لكن قائمتي 1881 و 1886 تكتبانه حسبما ذكرت أعلاه .

30 . في التقييد : أحمد وفي القائمتين المذكورتين : الحسن .

31 . ذكر فيها السمسرة : 1 - 2 - 3 - 4 - 5 - 6 - 7 .

32 . ورد فيها السمسرة ذوو الارقام : 1 - 2 - 4 - 5 - 6 - 7 .

33 . رقمها هو 42/69 بمكتبة تطوان

34 . رقمها هو 63/69 بمكتبة تطوان ، ولعل صواب نسب السمسار هو الحجامي .

الأخير بـ 13 ألف بسيطة سجن من أجلها مدة طويلة ولم يفرج عنه الا بعد أن رهن لدى الغريم نحو 54 رسماً ، ولما سرح أدى لصاحبه دينه (35) .

وكان عامل المزامزة قد نعته بسوء السيرة وبيع الحماية مع القنصل الأمريكي جون كوب بقبيلة المزامزة (36) .

ت 4 - من غير ذلك :

15 . الجيلالي ولد بوعزة الهراوي المديوني : سمسار كارلو أطلايا .

16 . بوشعيب بن صائلة الزكراوي سمسار رامون أطلايا ، وكان سميّه وابنه بوشعيب سنة 1887 سمساراً لنيكولاوس ثيو الانجليزي كما تقدم.

17 . وعبد السلام بن السالمي العباسي : سمسار لمستوطن كان يدعى سانطو ... Santo

18 - 19 . الحاج محمد بن الهاشمي بن عبو العباسي ، والحاج عبد السلام بن الشاوي العيادي : سمساران لدومينكو أطلايا (37)

20 . الحاج أحمد أقشّام الحبشي القبلي الحريزي : كان سمساراً لتاجر لم يذكر له اسم (38) ولكنه كان في وثيقة أخرى خليطاً للتاجر هندريز أو أندريس (39) الذي قد يكون نسبه هو روكا : Roca

21 . بوشعيب بن الرغاي الحجامي الحريزي : كان سنة 1888 سمساراً لتاجر بالرباط (40) .

35 . رسالة دي بوتيسطاد الى الطريس في 11 محرم 1311/25 يوليوز 1893 ، ورسالة عبد الرحمان بركاش الى الطريس في 29 محرم 1311/12 غشت 1893 ، وكلاهما بمحفظه الطريس 25

36 . رسالة الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي الى الطريس في 26 جمادى الاولى 1307/18 يناير 1890 ، محفظة الطريس 17 .

37 . قائمة سمسارة مديونة رقم 42/69 بتطوان

38 . قائمة 168/154 وكذلك قائمة 63/69

39 . من «قائمة سمسارة ايالة عبد السلام ابن الرشيد قديماً» رقم 63/69

40 . قائمة 168/154

22 - 23 : عبد الرحمان بن محمد ولد الجمل وبوعزة بن الحسين وكلاهما من قبيلة مديونة كانا محميين أو سمسارين سنة 1865 لتاجر اسباني يدعى باكاسما ، وقد اتهما بقتل شخص من قبيلتهما من أولاد جرار يدعى عبد السلام بن محمد المديوني (41) .

* * *

ث - المستوطنون

عاشت بالدار البيضاء جالية اسبانية تعاطى أفرادها نشاطاً مهنياً متنوعاً ، وقد سلف القول عن طائفة منهم وعن حياتهم ، وها هو تكميل بعض ما تبقى .

I - أسرة اطلايا : ATALAYA من أقدم الأسر الاسبانية بالدار البيضاء (42) ، وكان من أبنائها وذريتها :

- فرانسيسكو اي' «پاكو» : Paco لم يكن تاجراً وإنما كان نجاراً ، وهو من مواليد سنة 1799 وتوفي سنة 1888 .

- كارلو (أو كالكو أو كالك) في الرسائل المخزنية) كان بناءً ونجاراً ، وقد استعمل معه خلطاء وسماسرة مضى الكلام عن بعضهم .

لم يكن له ولا لفرانسيسكو حوالي 1887 تجارة بالمرسى أصلاً (43) . وقد بنى كارلو طاحونتين بازاء ساقية الماء التي أمام باب الدار البيضاء ، وشرع في بناء بيوت وحوانيت بواسطة بنائين اسبانيين (44) بعد ذلك .

41 . رسالة محمد ابن مشيش الى بركاش في 28 محرم 1282/23 يونيو 1865 ، في «الوثائق» 4 ، ص 327 .

42 . ينظر عنها ميج وهوج في «الاروبيون . . .» ص 76

43 . تعقيب عامل الدار البيضاء على قائمة 20 دجنبر 1886 ورسالة العامل الطريس الى بركاش في 22 صفر 1299/13 يناير 1882 ، محفظة بركاش .

44 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 29 جمادى الاولى 1308/10 يناير 1891 ، محفظة الطريس 19 .

- **دامون المولود** بطنجة سنة 1810 كان له سماسرة لتجارته .
وكان مكتريا لدار من المخزن مبنية له حسب 6 ٪ في السنة بـ 29 ريالا في
الشهر وكان لا يؤدي الا 10 منها ، وقد امتنع من صفر 1296 / يبرابر 1878 الى
رجب 1306 / أبريل 1889 من أداء الباقي (45) ، وتقدم شيء من الحديث عنه
في معرض الكلام عن سمساره بوعزة رقم 2 أعلاه وهدم داره .

- **دومينغو** : كان تاجرا ذا سماسرة كما كان فلاحا ومربيا للمواشي ،
ولما سرق له رؤوس من البقر وعثر على بعضها عند محمد بن الحاج الدوح
البيضاوي حبس القاضي هذا الأخير مدة 10 أشهر ، ثم أفرج عنه لأن السلطات
كانت لا تعتبره من أهل السرقة ، ولما علم السلطان بذلك أمر برده الى
السجن حتى يعاد التحقيق في أمره (46) .

2 . **خوان كينخادة إي ثوتيريس** : J. Quijada Y GUTIERREZ

كان كُطيل أو كُطير تاجرا صدر سنة 1869 الصوف واستورد الخمر (47) .
وهو من قدماء المدينة ، كان له خزين «منذ عام 61 مسيحية يؤدي كراهه
بحسب 6 ٪ » ، وفي سنة 1890 طلب من الأمناء أن يبنوا له دارا فوق الخزين
المشيد عام 1861 على قاعدة الشروط المعلومة ، واتفق له أن كان يكره
لغيره بقيمة لها بال ، ولكنه لم يكن يؤدي من خلال ذلك الا 50 أوقية (48) .

3 . **خواكين أضروباو** : J. ADROBAU حل بالدار البيضاء سنة

1886 بوصفه وكيلا للبواخر واعتمر هريا ودارا كانا قد بنيا حسب 6 ٪ للتاجر

45 . رسالة السلطان الى الطريس في 29 رجب 1306 / متم مارس 1889 ، محفظة
الطريس 15 .

46 . رسالة السلطان الى الطريس في 1 قعدة 1301 / 23 غشت 1884 ، محفظة الطريس
4 ، ورسالة الطريس اليه في 27 جمادى الاولى 1305 / 10 يبرابر 1888 ، محفظة الطريس 12 .

47 . تقاييد الامينين أقصبي وفرج في سنة 1286 / 1869 ، محفظة الدار البيضاء 1

48 . رسالة السلطان الى الطريس في 14 جمادى الاولى 1308 / 26 دجنبر 1890 ، محفظة
الطريس 19 ورسالة اميني الدار البيضاء محمد هارون وادريس بن محمد برادة في 27 ربيع
الاول 1311 / 8 أكتوبر 1893 ، محفظة الطريس 25

المحمي البرتغالي ابراهيم التدغي الذي اكراهما له ولشركائه (49) ، ولما
خوطف ممثل البرتغال في ذلك قال ان التدغي ليس الوحيد الذي يفعل ذلك
فقد سبقه اليه جون كوب وجون لابين وابن جلون وغيرهما (50) ، وكانت له
شركة مع رفائيل سينطيس : R. Sintès

4 . مانويل ألباريس M. ALVAREZ

كان تاجرا كما كان فلاحا ذا ضيعة في أحواز المدينة وصفها العامل
بقوله :

«اتخذ عرصة قرب الدار البيضاء كبيرة وابتنى بها قصبة ، وفي
القصبة دار ومنزه وغرف وبنائق وأماكن ، والعرصة معمورة بالأشجار : دالية
من العنب المختلط 17.000 ، وأشجار الزيتون 540 ، والعود الرقيق ألف
واحد 1000 ، ومساحة كبيرة للخضر ، وحفر فيها ساقيتين يخرج منهما الماء
الذي يكفي العرصة بالآلة التي بالسواني .

«ومنذ قدمت لهذا الثغر المحروس بالله وأنا اختبره هل يبيعها
للمخزن ، وفي هذه الأيام أذعن لا يثار جانب المخزن فقال إنها «طلعت» عليه
بعشرين ألفا من الريال ... » (51) .

5 . أندريس روكا : Andrès Roca

تقدم أنه كان له سماسرة بأولاد حريز ، وكان تاجرا فالتمس من
الأمناء سنة 1893 أن يبنوا له دارا وخزينا بحسب 6 ٪ في السنة ، فوافق

49 . رسائل بمحافظ الطريس 16 و 22 و 24 : واحدة من السلطان الى أمناء العرسي
في 3 قعدة 1/1306 يوليوز 1889 ، وثانية من الأمناء : محمد الحلو ومصطفى جسوس وادريس
الفيلاي الى الطريس في 22 حجة 18/1309 يوليوز 1892 وثالثة من فورناري دي بوتسطاد
الى الطريس في 17 أبريل 1893

50 . رسالة كولاصو الى الطريس في 12 يبرابر 1891/3 رجب 1308 ، محفظة
المغرب البرتغال .

51 . رسالة عبد الرحمان بركاش الى السلطان في 16 محرم 1311/30 يوليوز 1893 ،
محفظة الدار البيضاء : 3

السلطان على ذلك لكن بعد كمال بناء سور المدينة وعقد الكنطرة معه ، لأن الدار البيضاء لم يبق فيها محل لبناء ذلك (52) .

6 . **ثارسيس** : Garcias y Sintes في سنة 1888 كان تاجرا ومصدرا (53) ولم أقف له على ذكر سمسار .

7 . **فاديريكو بلانكو** : F. Blanco كان سنة 1894 تاجرا مصدرا (54) .

8 . **خوسي سنخر** : J. SINGER (?) كان حوالي سنة 1879 يبيت بالأجنة (55) ولعله كان حارسا أو مهربا .

9 . **البناءؤون**

الهجرة الى المغرب كانت لدى الاسبانيين أقوى منها لدى غيرهم ، وكان أغلبهم من أهل الحرف كالفلحة والبناء والنجارة

وكان منهم من اشتغل بالبناء السري أو العلني كما أشرت الى ذلك . وكان خرقهم لضوابط البلد وعدم نيل الرخصة المسبقة سببا في أوامر السلطان بالزامهم الرضوخ للقوانين وفي منعهم من تعاطي الحرفة وحملهم على احترام قرارات السلطة الادارية (56) .

وأكثر من ذلك أنهم كانوا يزاحمون البنائين المغاربة ويستوردون لهم و«على ايديهم من إقامة البناء كالأجر والقرمود والجبس والحجر منجورا

52 . رسالة السلطان الى الطريس في 10 شعبان 1310/27 يبرابر 1893 ، محفظة الطريس 24 .

53 . عريضة تجار الدار البيضاء الى السلطان في 13 شتنبر 1888/7 محرم 1306 ، محفظة الهيئة الدبلوماسية

54 . رسالة نائب اسبانيا الى الطريس في 6 شعبان 1311/12 يبرابر 1894 ، محفظة الطريس 26 .

55 . محفظة الطريس 1

56 . رسالتا السلطان الى الطريس في 15 صفر 1311/28 غشت 1893 و 15 رمضان 1310/2 أبريل 1893 ، محفظة الطريس 24 و 25

ونحو ذلك بما فيه قوام معيشة أهل حرف ذلك من بنائين ونجارين وجباسين ،
وتكاثر ذلك حتى كادت الحرف المذكورة أن تندثر ، ولحق أهلها الضياع ،
وصار جلهم سعاة ، وكثر تشكيهم بذلك على ولايتهم ... زيادة على ما ترتب
على الأقدام على إحداث البناء من غير ضابط ولا قانون ، حسبما جاء في
رسالة السلطان الذي أضاف فيها سنة 1894 : «وعليه فنأمر أن تتكلم مع
نواب الدول في منع دخول إقامات البناء ... وعمّلتهم الذين يردون لهذا
من تعاطي حرفتهم مع وجود العملة بالبلد من أهلها ...» (57) .

57 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 شوال 1311/27 أبريل 1894 ، محفوظاً
الطريس 26 .

6 : إيطاليا

مستهل القول هنا سيكون عن القناصل ثم عن المحميين والسماصرة
وسأذيل بأخبار المستوطنين .

أ - السلك القنصلي

I - فليتشى مونتانارو : Felice MONTANARO

ناب عن إيطاليا قبل وحدتها (1860) ، اذ كان وكيلا عن مملكة
سردينيا والطوسكان وعن الأمبراطورية النمساوية الهنغارية بالدار البيضاء
حسب رسالته الى الوزير العربي بن المختار يطلب منه فيها رخصة إما
لوسق الذرة من الجديدة على يد القائد الحاج موسى واما لوسق الصوف والقمح
ويخبره بتوجيه «هدية أربع مائة مثقال كما هي عادة الوزراء قبلك» (I) .

ولا يدري من كانوا متولين بعده مباشرة ، ولكن كان منهم :

2 - بازيليو غراسينو Basilio Garassino الايطالي ، وكان
سنة 1881 يمثل بلاده (2) .

3 - جان فرانسوا هورتوس : J. F. HORTUS وذلك حوالي
1882 ومدة من السنين (3) .

I . رسالة مونتانارو الى العربي بن المختار وهي خالية من التاريخ بمحفظه المغرب
ايطاليا (مع وثائق 1305 هجرية) .

2 . رسالة سكوفاصو الى بركاش في 17 جمادى الثانية 1298 / 17 ماي 1881 ،
محفظه بركاش ، أصلها بالخزانة العامة بالرباط رقم 79/278 .

3 . رسالة الطريس الى بركاش في 14 رمضان 1299 / 30 يوليوز 1882 ، محفظه
بركاش ومبيج «المغرب وأروبا» ج 3 ص 293 (2)

4 — **كايطانو باليسطرينو** G. Ballestrino وكان سنة 1892
نائباً قنصلياً (4) .

ب — المحميون القنصليون والاستثنائيون

دونت أسماؤهم في مصادر شتى : تقييد ابن زيدان ولوائح ايطالية
سنوية : عامة ومحلية ووثائق أخرى . ومنها جميعاً سأسخرجهم .

ب أ — من تقييد ابن زيدان (1880) :

I — 3 : **الحاج الطيب بن عبد الخالق المسعودي** : كان عوناً في
كافة القوائم حتى أعفي سنة 1888 ، وأحمد بن مسعود : مستخدم ، ومسعود
الرززار (المدعو يَجْوُ البيضاوي) وكان ترجماناً في كافة الوثائق ومنها
قائمة 1894 .

أما الثمانية الموالون فقد كانوا محميين استثنائيين .

4 — II . **يحيى الصائغ** (5) **وشلومو ناهون ويشوع ابن الصائغ**
وشلومو بن زرقين وإبراهيم طوليدانو وموشي بن شطريس وكلهم تجار
والمعلم الحاج مبارك وكان وصيفاً أي عبداً لمحمد بن المصطفى الدكالي
والحاج علال (أو علي) **القرواني المحمي** منذ سنة 1875 . وقد شرح ممثل
إيطاليا سبب ذلك بقوله : «... منذ 12 سنة الذي نحن بطانجة ما حمينا أحد
من رعاية مراكشة إلا واحداً وهو بحري من الدار البيضاء... حفظ من الموت
3 بحرية طاليانيين لما اعطا روحه للخطر» (6) .

وكان القرواني هذا قد أنعمت عليه فرنسا بميدالية الشرف سنة
1881 لما انقذ ركاب السفينة «الصويرة» يوم 16 يناير .

4 . رسالة كايطانو الى أميني الدار البيضاء في 13 يناير 1892 ، محفظة المغرب ايطاليا.

5 . لا نظنه المحمي 4 ولا المحمي 19 المذكورين بطبعة صفحة 581 أعلاه ، فهو بيضاوي
على ما يلوح ، وسنعود الى قضيته مع قائد مديونة .

6 . رسالة سكوفاسو الى بركاش في 13 أبريل 1880 ، محفظة الحماية القنصلية .

ب 2 : من قائمتي 1885 و 1887 المحليتين (7) :

I2 - I5 حليم بن ابراهيم طوليدانو وابراهيم برثوم عمار والياهو عمار وكلهم تجار والحاج ادريس بن بوغزة البيضاوي وكان كاتباً بالقنصلية.

ب 3 - من القوائم السنوية الايطالية :

I6 - أبوبكر بن الحاج محمد الحجاجي الحريزي : عون سنة 1888 ورد اسمه في كافة اللوائح الايطالية (8) حتى 1894 ، وحل محل الحاج الطيب المسعودي (9) .

I7 - الحاج عبد القادر الباشا : كاتب القنصلية من سنة 1889 الى ما بعدها ، ومر بنا الكلام على أنه كان كاتباً للقنصل الأمريكي قبل هذا الوقت.

I8 - علي بن محمد بن الطاهر : مستخدم في قائمتي 1891 و 1893 أيضا .

ب 4 - من غير ذلك :

I9 - الحاج أحمد بن جابر : محمي من لدن يحيى ابن الصائغ ، وسنبين ذلك من خلال قضية ابن الصائغ مع قائد مديونة .

فقد كانت ليحيى علاقة بالسلطات يسلفها المال مثل ما فعل مع محمد ابن مشيش قائد مديونة الذي عزل من وظيفته سنة 1865 بسبب ذلك واعتقل واستصفيت أمواله كما سنري من رسالة عامل أولاد حريز محمد بن الرشيد الى محمد برثاش سنة 1866 .

7 . رقبهما بمكتبة تطوان هو 11/69 و 15/69 ، وقد ورد في الاولى اسم المحمي الثالث وفيهما معا أسماء المحمين ذوي الارقام : 1 - 3 - 6 - 7 - 8 - 9 - 11

8 . رسالة الحاج محمد الزكاري الى العربي بريشة في 9 رمضان 1305/20 ماي 1888 ، محفظة الطريس 13 ، وفيها ان اسم أبيه هو : حمو

9 . رسالة مايسا الى الزكاري في 20 ماي 1888 أيضا ، بالمحفظة نفسها .

وصورة ذلك أن التاجر المحمي الايطالي أقرضه «ثمانية مائة ريال أسلفها له حين كانت عنده المحلة السعيدة لاضطراره ، واشتكى الذمي يحيى الصائغ على باشدور دولة الطليان وطلب الخلاص منه فى ذلك أو ممن حاز متاعه ، بعد أن ذكر أن القونص فريول الافرنصيصي كان يستل لابن مشيش دينا وتخلص منه فيه وطلب الذمي يحيى المذكور التساوي معه . (IO)

«فاعلم أننا بمجرد وصول كتابك وجهته لابن مشيش ليطلع عليه ، فلما قريء عليه وعلم ما فيه ومعه نائب التاجر يحيى المذكور وتلاقى معه فأجابه وطلب الأجل حتى يقدم ابن عمه الحاج بن جابر لأنه كان خليفته ونائبا عنه على جميع متاعه من المواشي وغيرها وليقدم أيضا التاجر يحيى المذكور ويتعاسب معهما على ما حازاه من متاعه ، فانه يزعم أن ما كان عنده من المواشي غنم وبقر كان على يد الحاج بن جابر المذكور فى وسط دواره وأمام خيمته .

«ولا يعزب عن علمك أننا لما قبضنا على ابن مشيش وجدنا أقاربه كلهم متعلقين ولم يبق الا هو ، فجمعوا مواشيهم كلها ومواشي بن مشيش وجعلوها بوسط دوارهم ، فصبنهم (II) وما قربنا لأحد منهم ولا جعلت اليد على شيء من متاعهم : لا قليل ولا كثير .

«وفى غد يوم القبض عليه ورد علينا التاجر يحيى المذكور مدعيا أن جميع المواشي التى بالدوار كلها له ، وما تعرضنا له على شيء ، وطلب منا أن نوجه من يقف معه على حوز ذلك ، فوجهت معه عدلين وثلاثة من أشياخ أولاد زيان وثلاثة من أصحابنا ووقفوا معه حتى أحصوا جميع المال الذى كان بالدوار ، وعدده اثنان وخمسون مائة من الغنم ومائتان وخمسة وسبعون رأسا من البقر : بين بقرات وثيران ، وفرسان وزوج بغال : أحدها عليه شواري

IO . أرجيء الحديث فى هاته القضية عن دين فيريوه الفرنسي الى الفصل الموالي

II . هاته الكلمة لم أفهمها وصورتها فى الرسالة هى ما «حنشت» أعلاه ولعل المراد : نصبرناهم أو فطماناهم أو ما يشبه ذلك .

ممتلئاً مغطياً بغطاية لم يطلعوا على ما فيه ، والبغل الآخر عليه شواري فيه عدد من المكاحيل .

«فحاز التاجر يحيى ذلك كله وتوجه به لحوز الدار البيضاء ، ولما سمع بن مشيش بذلك ، وعلم أن التاجر يحيى حاز متاعه ، طلب منا أن نكتب للتاجر يحيى بأن يوجه اليه الحاج أحمد بن جابر ليتلقى معه ويخبره بأمر متاعه ، فكتبنا له وطلبنا منه أن يوجه الحاج أحمد المذكور في الأمان ليتلقى مع بن عمه ويسئله عن متاعه ، فأجابنا بأنه يقدم يوم الأحد الموالي لتاريخ الكتاب ، فاذا به يوم الأحد كتب لنا أيضا صحبة رقاص وأخبرنا بأن الحاج أحمد بن جابر فر ...» (I2) .

ثم يخلص ابن الرشيد الى قضية فيريوه وبعد ذلك يعود الى الموضوع فيقول :

«وأما ما ذكره التاجر يحيى أن بن مشيش عندنا بالسجن وقد استولينا على متاعه فبالله ما حزنا له من متاعه شيئاً ، وكيف يتأتى ذلك وهو كان عامل سيدنا ؟ فلا يسعنا أن نحوز متاعه وهو قائم الحياة ، وليس بمضطر : يخلصه هو وغيره ، فان متاعه كله عند اخوانه المتعلقين ، ولم يقدر أحد أن يتكلم معهم .

«ومنه : لما قبض بن مشيش وجد كبير المحلة ، القائد الجيلالي بن القطبي ، ولد الحاج أحمد بن جابر المذكور في خزانة بن مشيش خليفة عنه فقبضه وجعله تحت يده في السجن ، فقدم التاجر يحيى المذكور وسرحه زاعماً أنه في حمايته ...» (I3) .

وتقدم أن ابن جابر كان خليفة لابن مشيش لما قبض عليه إثر الواقعة أعلاه ، فاعتقل بعد ذلك على يد ابن الرشيد ، بيد أن ابن الصائغ

I2 . رسالة محمد بن الرشيد الى بركاش في 26 رمضان 1282/12 يراير 1866 ، محفوظة بركاش .

I3 . المرجع الاخير أيضا

أخرجه من السجن بواسطة صك حماية ذي تاريخ مسبق (I4) ، ولعله جعله سمسارا أو خليطا .

وابن جابر هذا كانت له صلة أيضا بقنصل إيطاليا وفرنسا بالرباط أنطوان دوكور الملقب نينو ، وقالت عنه رسالة ابن الرشيد المتقدمة ان «نين» الافرنصيصي بالرباط خرج بخزائنه وأخبيته لبلاد الزيائدة وبني وري وأولاد زيان أهل الواد وصار يدور على الدواوير ويقبض الهدايا وقد تلاقى مع الحاج أحمد بن جابر ، وأهدى له فرسا وبغلتين ، وطلب منه أن يدخل تحت حمايته ، وبلغنا أنه توجه لطانجة .

«وكذلك بن المكي السالمي من أهل الواد أهدى له فرسا وبغلة وكتب عليه مالا كثيرا» (I5) .

* * *

ت - السماسرة

هوياتهم مثبتة في طائفة من الربائد ومنها استخلصها :

ت I - من تقييد ابن زيدان :

I - 2 - الحاج بوشعيب بن محمد بن عمر المزامري وأخوه الحاج ابن داود سمساران ليحيى ابن الصايغ .

3 - الحاج الطاهر القديري : سمسار فاهون وكذلك هو في جميع القوائم ، وسلف أنه كان سمسارا ليوسف العسري المحمي الانجليزي القاطن بطنجة ، وفي سنة 1895 أصبح سمسارا لبراندت وطول الألمانين ، ولعله ابن الهاشمي الزياتي كما تقدم .

I4 . مبيج ، «المغرب وأروبا» ج 2 ص 559

I5 . رسالة ابن الرشيد سألقة الذكر

4 — **الحاج عبد الله بن الحولي الحلوفي الحريري** : سمسار لنفس التاجر في اللوائح كلها ومنها قائمة 1894 ، وكان سمساراً لمحمي أمريكي .

5 — **عبد الرحمان بن الحاج عبد الله الزياتي البضاوي** : سمسار بازيليو كراسينو .

6 — 7 . **الحاج بوشعيب بن الطيب المزايي** : سمسار كارلو مورطيو C. Morteo **والحاج بوعزة بن الحاج العربي بن مسيك الهراوي المديوني** : سمسار له في كافة القوائم أيضا ، وقد تعرض على 15 خيمة (16) .

ت 2 — من لائحة 1885 المحلية (11/69) :

8 — 9 . **ابراهيم ناهون وشلوم بن زرقين** : سمساران لاسحاق ناهون ، وظل الأخير منهما واردا في جميع القوائم ومنها زمام 1894 .

10 — **المعلم الحاج مبارك** : سمسار محمد بن المصطفى الدكالي . وسلف أن هؤلاء الثلاثة الأخيرين كانوا محميين منذ ما قبل سنة 1880 .

11 — 12 . **شلوم بن عبو وإسحاق بن زرقين** : سمساران لشلوم ناهون . وسلف القول ان الأول أوسميه ' كان محميا إسبانيا وأن الأخير كان هو أو سميته ' محميا امريكي .

13 — **يحيى السرفاطي** : سمسار يحيى الصائغ ونصت عليه وثائق السنوات الموالية ومنها قائمة 1891 ، وصار سنة 1900 محميا برازيليا .

14 — **بوعزة بن الحاج محمد الزياتي** : سمسار جيوسيبي كراسينو في جميع القوائم ، وقد أسقط من السمسرة سنة 1893 وجعل مكانه أحمد بن بوعزة الدرغوني رقم 37 .

15 — **الحاج ابراهيم بن محمد البوعزيزي المديوني** : سمسار كايطانو بليستريينو ، ولم يكن تسجيل هذا السمسار في القوائم سنة 1888

16 . سمسرة جنس الطليان من قبيلة مديونة 49/69

مطابقا للقانون بالرغم من طلب المفوضية (I7) ، اذ يؤكد «التنبيه» أن «الرجل المذكور كان مع المديوني المقبوض وتقاعد له على بعض ماله ، حسبما أخبر بذلك المديوني المتولي الآن ، والتاجر كيطانو لا تجارة له» (I8) .

ولأجل ذلك رفضت السلطات إدراج اسمه لأن هذا الشخص «من المنحاشين للمخزن وفي خدمته ، فليُنظر التاجر» غيرَه» (I9) .

فردت المفوضية الايطالية على الطريس أن لكّايطانو تجارة كبيرة في الخارج وأن «ابراهيم كان في خدمة التاجر منذ 3 سنوات وليس من المنحاشين للمخزن ، وقد أخبرك عامل مديونة بغير الحقيقة» (20) ، وهكذا لم يرد للحاج ابراهيم ذكر في وثائق السنوات الموالية .

I6 - **الغزواني بن بوعيشة الحريزي** : سمسار شلومو ناهون .

ت 3 - من لائحة 1887 المحلية (15/69) :

I7 - **محمد بن بوعبيد الفقري الحريزي** : سمسار بازيليو كراسينو في كافة القوائم الموالية ، وكان سمسارا لمحمي أمريكي وللتاجرين الألمانين براندت وطول حسبما مر بنا .

I8 - **ابراهيم أبي قاسيس الأزموري** : سمسار حايم طوليدانو في كافة القوائم أيضا (21) .

I7 . رسالة جانطيلي الى الطريس في 6 أكتوبر 1888/30 محرم 1306 ، محفوظة المغرب إيطاليا .

I8 من «السبب» رقم 138/140 المشار اليه غير ما مره

I9 . رسالة الطريس في فاتح صفر 1306/7 أكتوبر 1888 ، محفظة المغرب إيطاليا .

20 . جواب جانتيلي الى الطريس في 16 أكتوبر 1888 ، عن رسالته المذكورة آنفا ، بالمحفظة نفسها

21 . يستحسن أن نشير الى أن أسماء السماسرة السالفي الذكر توجد في الوثائق الموالية :

- ففي قائمة 11/69 : السمسار 16 الذي ورد كذلك في 138/140

- وفي قائمة 15/69 السماسرة : 7 و 17 و 18

- وفيهما معا السماسرة : 5 - 8 - 9 - 10 - 11 - 12 - 13 - 14

- وفيهما معا وفي 138/140 السماسرة : 1 - 2 - 3 - 4 - 15

ت 4 - من اللوائح الإيطالية السنوية العامة ومن غيرها :

19 - الحسن الحبشي الحريزي : سمسار لجيوسيبى كراسينو فى قائمتي 1889 و 1891 .

20 - حمو بن الحسن الزناتى سمسار كارلو مورطيو سنة 1889 وفى قائمة 1893 أيضا .

21 - الحاج أحمد بن الشافعي المزايي الحداوي : سمسار ليوسف ناهون فى قوائم 1891 و 93 و 94 وفى زمام سمسرة مديونة .

22 - أحمد بن المعطي النصري الحريزي : ويدعى أبا حماد ، وكان قبل سنة 1889 سمسارا لموسى ويحيى ابن الصائغ (22) ، وجاء اسمه فى قوائم 1891 و 93 و 94 .

23 - 24 - الطيب بن المعطي الحريزي البضاوي والحاج بوشعيب بن الأحسن التلاوتي الحريزي : سمساران لكايطانو بليسترينو ، وكانا معا سمسارين لكرايط بورجل الطارقي سنة 1889 حسبما أسلفت القول عنهما مع سمسرة بريطانيا العظمى ، ثم صارا سمسارين للتاجر الإيطالي المشار اليه أعلاه (23) .

وكان الحاج بوشعيب متعرضا على 36 خيمة من اخوانه (24) ، وقد توفي سنة 1894 وصار ابنه الحسن يقوم مقامه كما سيأتي .

25 - الحاج عبو بن الحاج محمد بن علال البوعمرى المديونسي سمسار بقبيلة مديونة لبازيليو كراسينو الذى طلب سنة 1891 أن يجعله فى خدمته (25) ، ولذلك ورد ذكره فى قائمة 1893 أيضا .

22 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 3 ماي 1889 بالمحظة المذكورة أعلاه

23 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 11 يوليوز 1889 ، بالمحظة نفسها

24 . من قائمة سمسرة أولاد حريز رقم 168/154 العارية من التاريخ ، الا أن وجود هذا المحمي المتوفى سنة 1894 يحملنا على الاعتقاد أنها وضعت قبل تلك السنة .

25 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 14 يوليوز 1891 ، محظة المغرب إيطاليا

ويحتمل أن يكون هو الحاج عبد الله بن محمد (إذ عبو ترخيم عبد الله) الذي ورد ذكره في قائمتي سمسرة مديونة الخاليتين من التاريخ سمسارا لبازيليو ثم سمسارا لتاجر محمي بالبرازيل (وهو رقم II هناك) متقعدا على 20 خيمة من اخوانه (26) .

وسياتي أنه كان سنة 1880 سمسارا للتاجر الفرنسي كنيبة .

26 - **الكبير بن الطاهر الحريري** سمسار بالدار البيضاء لكارلو مورطيو في لائحتي 1893 و 94 ، وكان هذا الشخص مطلوباً سنة 1882 لكي يكون سمسارا لتاجر محمي بالبرتغال حسبما سياتي .

27 - **الحاج عيسى بن الحسن** سمسار في لائحتي 93 و 94 لجيوسيبى كراسينو .

28 - **موشي مراجي** سمسار لابني الصايغ (27) في القائمتين الأخيرتين ، ولعله هو موشي مراتشي المحمي البرازيلي سنة 1900 والذي كان سنة 1887 تاجراً ونائباً عن شركة باكي الفرنسية ومؤسساً لجريدة لاكرونيكا .

29 - 30 : **يهودا ولد ابراهام حايوط** سمسار ابراهيم الصائغ الذي التمس سنة 1891 جعله في خدمته هو والسمسار علي بن موسى المذكوري (28) .

31 - 32 - **محمد بن قدور والمكي بن الحاج الطاهر المومني المديوني** سمساران ليعقوب ناهون خلال سنتي 1893 و 94 ، وكان الاخير سمسارا

26 . من «سمسرة مديونة لتجار جنس الطليان من ايالة القائد أحمد المديوني» ، وهما قائمتان رقميتان بمكتبة تطوان هو 49/69 و 44/69 ، وكلاهما خلو من التاريخ الذي يحتمل أن يكون بعد سنة 1889 ، ذلك أن الحاج عبد القادر الباشا مذكور فيهما على أنه كاتب للقنصل ، ولم يصبح الباشا محمياً الا في هاته السنة .

27 . من الصعب تحقيق عناوين التجار المحميين ، فالوثائق تجعلهم تارة بالدار البيضاء وتارة أخرى بغيرها ، ولسنا نعرف هوية ابني الصايغ ولا عنوانهما ولا عنوان آخرين وردوا هنا .

28 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 17 أبريل 1891/8 رمضان 1308 ، محفوظة المغرب ايطاليا .

للقنصل متفعدا على 20 خيمة (29) ، وسيأتي أنه كان عوننا بالقنصلية البرتغالية بالدار البيضاء سنة 1880 .

33 - 34 - **الظاهر بن محمد شاور (أو شاوية) الحريزي سمسار**
بقبيلته لدابيد أزولاي سنة 1893 ، ولما توفي في السنة الموالية عين مكانه شقيقه : **البصري بن محمد شاور الحريزي** (30) .

35 - 36 - **الجيلالي بن غلوي المديوني والمعطي بن أحمد الفزواني الحريزي سمساران لحايم طوليدانو** (31) .

37 - **أحمد بن بوعزة الدرنوني الحريزي سمسار لجيوسيبى كراسينو**
سنة 1894 ، جعل عوضا عن بوعزة الزباني سالف الإشارة إليه (32) .

38 - 39 - **الصغير بن عطاء الله الحريزي والحاج المجذوب بن الحاج زعروق الحارثي المديوني سمساران للحاج عبد القادر الباشا سنة**
1894 ، وكان السمسار الاخير متعرضا على 10 خيام (33) .

40 - 41 - **الحاج الهاشمي بن الظاهر المديوني والحاج عبد السلام بن بوعزة المديوني** : سمساران لناهون ، وكان الاخير منهما سمسارا لابن عطار قنصل أمريكا بالرباط قبل ذلك (34) .

42 - **الحسن بن الحاج بوشعيب التلاوتي الحريزي** : سمسار
كايطانو بليسترينو بعد وفاة أبيه سنة 1894 حسبما تقدم (35) .

29 . من قائمتي سمسارة تجار جنس الطليان 49/69 و 44/69 المشار اليهما اعلاه .

30 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 18 يبرابر 1894 ، محفظة المغرب ايطاليا

31 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 30 يناير 1893 ، بالمحظة سالف الذكر .

32 . المصدر الاخير

33 . «سمسرة تجار جنس الطليان» 49/69 ، ورد فيها أيضا السمساران 7 و 35 ، وجاء في وثائق أخرى أن زعروق هو زروق

34 . الوثيقة السابقة وكذلك 45/69 (سمسرة تجار أمريكا)

35 . رسالة كنداكالي الى الطريس في 18 يبرابر 1894 ، محفظة المغرب ايطاليا

43 — **داييد الترجمان** كان سنة 1891 سمساراً لداييد أزولاي الطنجي (36) .

44 — **الحاج بوعزة بن الأدام العسري المديوني** : كان قبل سمساراً لابن عطار قنصل أمريكا بالرباط حسبما تقدم في قائمة السماسرة (45/69) ، ولما طلبت رخصة اتخاذه سمساراً للنائب القنصلي ثاراسينو سنة 1885 رفضت السلطات قائلة : « لا تسوغ حمايته لكونه من أقارب ابن مشيش الذي كان عاملاً ، وكان معه على حالة واحدة وجالت يده في أمتعة القبيلة وواجب المخزن ، وقد تقاعد على مال منه له بال ، وأراد التستر بالحماية ليمنع من إعطائه والتوصل الى الجسارة على الولاة واذيتهم » (37) .
ومما لا شك فيه أن سمسرته ظلت مردودة ، ولم أقف على ذكره في أية قائمة سنوية عامة أو محلية .

* * *

ث — المستوطنون

لم يكن بالدار البيضاء الا عدد قليل من التجار الايطاليين ، فمنهم :

1 — **كارلو مورطيو** : الذي عاش بالجديدة مدة طويلة ثم بالدار البيضاء منذ سنة 1866 ، وقد ارتحل سنة 1889 مرة أخرى الى مدينة الجديدة حيث كان معروفاً بالجمالية الأوروبية عامة واليطالية خاصة ، ولذلك مانعت السلطات عند رحيله ، الذي لا يظهر أنه كان نهائياً ، في منحه سمسارة ، فقد كان في السنة الأخيرة يريد تأكيد جعل الحاج بوعزة ابن مسيك وحمو بن الحسن الزياتي (رقمي 7 و 20 أعلاه) سمسارين له ، وعللت هذا الرفض

36 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 18 غشت 1891 ، المحفوظة نفسها

37 . رسالتا السلطان الى بريشة ثم الى الطريس في 19 ربيع الاول و 9 جمادى الاولى 1302/6 يناير و 24 يبرابر 1885 ، محفوظات الطريس 5

بكون كارلو قد أسقط التجارة منذ سنين من مرسى الدار البيضاء وتخلي عن الهري الذي بناه له المخزن بـ 6 ٪ ، وإذن فلا موجب لسمسرتهما (38) .

2 - **ثايطانو بليسترينو** كان سنة 1892 نائبا قنصليا بعد بازيليو غراسينو آتي الذكر ، وكان يحترف التجارة ولو أن السلطات المغربية كانت ترى أن دائرة نشاطه لم تكن واسعة ، اتخذ سماسرة وخطاء وكانت له شراكة مع مورطيو واعتمر الهري الذي تركه .

ولما عين في المنصب القنصلي أنعم المخزن عليه وعلى «دولة الطليان بالهريين الكائنين بثغر الدار البيضاء اللذين كانا بيد الحاج محمد بن سعيد السلوي وبما تعلق بهما من مرافقهما بقصد بناء محل السكنى بهما لقونصوها بالثغر المذكور» (39) ، وكان ذلك سنة 1893 .

3 - أسرة غاراسينو : GARASSINO

كان منها عدة أشخاص أذكر منهم ثلاثة فقط :

- **نيكولو** (أو نيكولا) الذي كان قد اشتكى بأن قائد زناتة بوشعيب بن العربي طرده من قبيلته حوالي 1876 وشهر عليه سكيئا وشتمه ، وطلبت مفوضية بلاده عن تلك الإهانة استقدام القائد ليطلب المسامحة وفرض ذعيرة ألف ريال عليه توزع على الضعفاء من قبيلته (40) .

- **وجيوسيببي** (المدعو زوزاف أو جوزي أي يوسف ويرخم الى **بيبي** Pepe على الطريقة الإسبانية) الذي طالما طلب من الأمناء بناء

38 . رسالة أحمد بن العربي المديوني الى الطريس في 5 جمادى الثانية 1306/6
يبرابر 1889 ، محفظة الطريس 15

39 . رسالة السلطان الى الطريس والى عبد الرحمان بركاش في 2 حجة 1310/17
يونيو 1893 ، محفظة الطريس 24

40 . النقطة II من «تقييد الدعاوي الكائنة بين الليكاسيون الايطالي والمخزن الشريف التي لم يقع فيها فصال حتى الآن» وهو بامضاء سكوفاصو ولا تاريخ له بمحفظة بركاش.

دار له على القاعدة المعروفة ستة في المائة ، وحتى سنة 1888 لم يلبوا رغبته على الرغم من انصرام أكثر من ثلاث سنوات على التماسه (41) .

وفي سنة 1884 امتنع الطريس من قبول نيابته عن أخيه بازيليو في الأشغال القنصلية ، مصرأ على اعتماد نيابة هرتوس الفرنسي عن القنصل الايطالي ، دون جيوسيبي حسبما تقدم ، وكان له سماسرة أشرت اليهم سابقا (رقم 19 و 27 و 37) .

— وبازيليو : وقد رسم الكتاب اسمه في شيء من التحريف : باسيليو أو بَزِيْ بدون مد ولا لام ، هو من قدماء الجالية الايطالية بالمدينة ، وكان منذ سنة 1869 مصدرا للجلود ومستوردا للسكر والخمر (42) . تولى النيابة القنصلية مدة طويلة عن بلاده قبل سنة 1882 وكذلك عن بلجيكا وفي سنة 1892 تخلى عن هذا المنصب لعجزه وكبر سنه ، وكان يعيش في العزوبة (43) ، وفي سنة 1888 امتنع عن أداء واجب السوق فأمره وزير بلاده كانطاغالي بالوفاء بالتزامه (44) .

41 . رسالة كانطاغالي الى غريط في 4 يوليوز 1888 ، بمحظة المغرب ايطاليا

42 . تقايد الامينين الحاج عبد الرحمان أقصبي والحاج العربي فرج في محرم 1286 / 1869 ، محظة الدار البيضاء I

43 . هوج ومييج «الاروبيون . . .» ص 82

44 . رسالة كانطاكالي الى الطريس في 20 يوليوز 1888 ، بمحظة المغرب ايطاليا

7 : فرنسا

مواد هذا البحث هي - كالعادة - القناصل والمحميون والسماصرة والمستوطنون .

* * *

أ - السلك القنصلي

1 - **بروسبير فيريوه** P. Ferrieu كلف سنة 1845 بشؤون وكالة بلاده بالدار البيضاء والرباط (I) وظل حتى 1866 يمثل بلاده (2)

2 - **تيودور جيلبير** T. GILBERT وكان أول نائب قنصلي رسمي لما أحدث هذا المنصب في أكتوبر 1865 ، وكان قبل ذلك يشغل وظيفة الترجمان الثاني بمصر ثم عين بحلب ، وبعد ذلك انتقل الى المغرب سنة 1866 وهو لا يزال في طور الشباب بعد أن قضى بالمشرق أزيد من 18 سنة ، وظل بالدار البيضاء حتى سنة 1869 ، وفي يناير 1879 عين قنصلا بدمشق (3)

3 - **ماري إيرنيست فليش** M. E. FLESH عين نائبا قنصليا لمدة طويلة من 1869 الى 1877 ، وكان معارضا لسياسة إيمي داكأن اللينة ،

1 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 25 و 46 ، رسالة فيريوه في 14 أبريل 1849 ، محفظة المغرب فرنسا I ، وهوج ومبيج : «الاروبيون» ص 92 (4)

2 . المصدر الاخير ، رسالة الامينين محمد بن العربي معينو ومحمد بن عبد الرحمان الحلوي الى الحاج محمد بنيس في 15 جمادى الثانية 1282/5 نونبر 1865 ، محفظة الدار البيضاء I

3 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج I ص 114 وج 2 ص 455 (I) وج 5 ص 79 ، ومبيج وهوج : «الاروبيون» ص 92 (4) ، ولا نعرف هل جورج جيلبير وتيودور جيلبير شخص واحد .

وفى عهده سنة 1873 أدمجت الوكالتان القنصليتان للدار البيضاء والرباط.
فى بعضهما (4) .

4 - **هنري سوقيير** H. SAUVAIRE سمي وكيلا قنصلية سنة 1876 قبل أن يعود سنة 1879 الى منصبه الأول (5) ، وتقدمت ترجمته بطنجة وفيها أنه كان ترجمانا بالشرق العربي أيضا .

5 - **غوستاف مونطيل** G. MONTEL من أسرة نزحت الى طنجة سنة 1810 ، قضى حياته ترجمانا مساعدا بالنيابة القنصلية بالدار البيضاء التى أشرف فيها على الشؤون القنصلية لاسيما سنة 1870 الى أن نقل الى الصويرة سنة 1888 للعمل فى سلك الترجمة ، وفى هاته المدينة توفي سنة 1877 (6) .

6 - **شارل دومون** Ch. Dumont كلف بالنيابة القنصلية عن فرنسا وغيرها ، وفى أواخر أكتوبر 1879 وافته منيته (7) .

7 - **ج ده موفوزان** G. de Mauvoisin وهذا كان نائبا قنصلية سنة 1880 حتى 1882 بالدار البيضاء والجديدة والرباط (8) كما تقدم فى هاته المدينة الأخيرة .

8 - **جون كوب** J. COBB وهو وكيل قنصلي أمريكي ذكر اسمه حوالي 1882 بوصفه نائبا عن فرنسا وغيرها (9) .

4 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 190 (9) وهو ج ومبيج : «الاروبيون . .» ص 92 (4)

5 . المرجعان الاخيران على التوالي : ج 1 ص 165 وص 92 (4)

6 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 145 ثم رسالة شارل فيرو الى الحاج محمد الطريس فى 12 شتنبر 1888/6 محرم 1306 ، محفظة الطريس 14

7 . رسالة كرامة الى الطريس فى 27 أكتوبر 1879/11 قعدة 1296 ، ورسالة ايبي داكمان الى بركاش فى 13 شتنبر 1870 ، محفظة بركاش ، ومبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 102

8 . مبيج وهو ج : «الاروبيون . .» ص 92 (4) ، ورسالة القنصل الى بركاش فى 5 حجة 1298/29 أكتوبر 1881 ، محفظة المغرب فرنسا .

9 . رسالة الطريس الى بركاش فى 8 محرم 1300/19 نونبر 1882 ، بالمحفظة المذكورة ورسالة أورديكة الى بركاش فى 7 غشت 1882

9 - **غرافيري GRAVERI** وقد اضطلع من سنة 1883 الى سنة 1886 بالوكالة القنصلية في كل من الرباط والجديدة والدار البيضاء (10) حسبما مر بنا .

10 - **جان كولون J. COLLOMB/COLOMB** وكان من ماي 1879 الى يناير 1881 ترجمانا بطنجة ، وعين في أكتوبر 1886 الى 1897 نائبا قنصليا ، وفي غشت 1893 صار قنصلا رسميا ، وله تقارير تجارية (11) **11 - بينار PINARD** خلفه من سنة 1897 الى سنة 1901 في المهام القنصلية (12)

* * *

ب - المحميون

حفظت لنا مصادر مختلفة أسماءهم التي تلي مستخرجة منها

ب 1 - **من التقييد الخامس لابن زيدان ومن القوائم الفرنسية العامة معاً :**

1 - 3 : **الشافعي بن الطيب** : كان كاتباً في القوائم الفرنسية العامة حتى سنة 1883 ، **وابن الطالب بن محمد (13)** : عون أيضاً فيها حتى 1883 ، **والحاج محمد بن محمد الحبشي الخلفي الحريزي** : مستخدم فيها حتى 1882 .

ب 2 : **من تقييد ابن زيدان فقط :**

4 - 6 : **يوسف عميل** : ترجمان ، **ومحمد بن ابراهيم الشلح** : عون ، **ومحمد بن حمادي** : مستخدم .

10 . مبيج وهوج : «الاروبيون . . .» ص 92 (4) ورسالة القنصل الى بركاش في 27 رجب 1302/12 ماي 1885 ، بالمحظة السابقة

11 . رسالة العربي بريشة الى الطريس في 8 حجة 1303/7 شتنبر 1886 ، محظرة الطريس 8 ، ومبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 91 ، ومبيج وهوج : «الاروبيون . . .» ص 92 (4) .

12 . المصدر الاخير والصفحة المذكورة

13 . في التقييد : ابن الطاهر

ب 3 - من القوائم الفرنسية العامة وحدها :

7 - 8 : علي بن أحمد : مستخدم بدار النائب القنصلي من 1880 الى 1883 ، ومحمد بن عبد الله الحبّاري الحبشي الحريزي : مثله من 1881 الى 1882 .

ب 4 - من غير ذلك :

9 - ابن الدهان وهو من يهود المدينة ، وكان سنة 1893 وسيطا في بيع السلاح على يد أولاد لازارو المحميين الانجليزيين بالجديدة ، ومنهم كانت تصله الأسلحة عن طريق طنجة (14) حسبما سيأتي خبر ذلك في غير هذا المكان .

10 - ولد بنيس الفاسي : كان سنة 1866 سمسارا أو محميا للقنصل فيريوه كما سيأتي ، ولم يرد اسمه في الوثائق ولا اسم الذي قبله .

* * *

ت - السماسرة

أسماءهم اقتبستها أيضا من مراجع ووثائق متنوعة .

ت 1 - من التقييد الخامس ومن القوائم الفرنسية العامة معا :

1 - 2 : الحاج محمد بن عبد الله الحبشي الحسني الحريزي وعبو بن الحاج محمد بن علال البوعمرى المديوني : سمساران لألفونس كنيبة ومر بنا الكلام عن أن الثاني منهما صار سمسارا لبازيليو كراسينو الايطالي ، وسيأتي أنه كان سمسارا لتاجر محمي بالبرازيل ، كما سنرى أن السمسار رقم 56 هو أبوه الذي احترف نفس المهنة لتاجر فرنسي منذ عهد طويل سابق.

14 . رسالة عبد الخالق بنهيمه الى السلطان في 6 جمادى الاولى 1311/15 نونبر 1893 ، محفوظة عبد الخالق بنهيمه .

3 - 4 : **الحاج الرغاي بن عبد القادر المديوني** (أو الحاج عبد القادر الرغاي في وثائق أخرى) ، **والجيلالي الشطروب ولد محجوبة الزناتي** : سمساران لفليب مينار ، وفي قائمة ثلاثية غير مؤرخة للمحميين بالدار البيضاء والرباط وطنجة ذكر أن الأول سمسار كنيبة وأن الثاني سمسار ألكسندر الذي هو اسم سيريس : SERIEYS

وكانت للجيلالي الشطروب دعوى على أفراد من قبيلة الزيائدة نهبوا بضاعة تاجرهم قبل سنة 1879 وقتلوا زوجته . وقد فُض الخلاف بأداء 2000 ريال عن النهب و 2000 ريال عن الدية ، فدفع ابن حميم قائد الزيائدة 3000 وبقي الألف الآخر سدد بعد سنة 1882 (I5) .

5 - **الحاج ابن اسماعيل الحريزي** سمسار آرتوس وقد يكون تمام نسبه هو الحبشي السلهومي الذي كان بعد سنة 1886 وحتى سنة 1904 سمسارا لفيفة الألماني حسبما تقدم .

وكانت له قبل سنة 1866 دعوى نهب بايالة عبد القادر الزيراوي (I6) كل هؤلاء السابقين كانوا سمسارة ورد أسماءهم في القوائم الفرنسية من 1879 إلى 1886 .

6 - **الحاج الجزولي السالمي الزياتي** سمسار بروسبير فيريوه إلى وفاته سنة 1883 حيث شطب على اسمه في قائمة السنة الأخيرة ، وقد ترك متخلفا كثيرا وأرملة امتنع ابنه من إعطائها حقها في ارثها من زوجها الذي كان متزوجا بنت أخي العامل أحمد بن عبو المديوني ، وقال ان الهالك كان من أهل الغصب (I7) ، وكان الجزولي سمسارا له منذ ما قبل 1866 ، ولما مات خلفه ابنه محمد صاحب الرقم 34 أدناه .

I5 . القضية 9 من الدعاوي التي قدمها ورديفة (1882) ، وحاشية رسالة ده موفوازان إلى بركاش في 29 أكتوبر 1881 : المذكورة في الهامشة 8 ، محفظة بركاش

I6 . رسالة محمد الجراري إلى بركاش في 20 رمضان 1282/6 يراير 1866 ، بالمحفظة نفسها .

I7 . رسالة إلى السلطان في 11 شعبان 1306/12 أبريل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا

7 - **الحاج عبد القادر بن بوشعيب البيضاوي** : سمسار مونتيل في قوائم 1879 الى 1881 ، وفي السنة الأخيرة أو قبلها كانت جماعة من قبيلة أولاد سعيد نهبت بضاعة تاجره ، فقدم القنصل مطالبا بالتعويض (18).

8 - **محمد بن الشافعي الحارثي المديوني** : سمساره أيضا من 1879 الى 1886 .

9 - **الحاج محمد بن شريف** : سمسار دومون سنة 1880 .

ت 2 - **من التقييد الرابع لابن زيدان (19) ومن القوائم الفرنسية العامة معا :**

10 - 11 : **أحمد ولد الحاج عبد الخالق المديوني والحاج بوشعيب ولد جازية المديوني** (المدعو أيضا ولد زازية أو ولد الياهوري) ، سمساران لكنية ، وكان الثاني في خدمة مونتيل قديما .

12 - **الحاج محمد بن الحسن الزياتي الهراوي المديوني** : سمسار فيريوه الى ما بعد سنة 1888 ، فقد ادعى في السنة الأخيرة أحقيته في امتلاك كثير من العقارات بأحواز الدار البيضاء ، وبالرغم من عجزه عن الادلاء بأية حجة فقد تمكن بالحماية وحدها من السيطرة على تلك الأملاك بعد تحطيم بيوت المستضعفين واجلائهم عنها (20) .

18 . رسالة فيرو الى الطريس في 6 محرم 12/1306 شتنبر 1888 ، وحاشية رسالة ده موفوازان الى بركاش في 29 اكتوبر 1881 ، محافظة المغرب فرنسا

19 . نقلت من الرباط الى الدار البيضاء أسماء السماسرة العشرة الموالين ، لانهم من أحواز المدينة الاخيرة ، ولان نمط عيشهم أقرب الى نمط حياة أهل الشاوية منه الى غيرهم ، ثم لان الوثائق الاجنبية تدل على عناوين التجار لا على عناوين السماسرة ، حسبما سبق شرح ذلك غير ما مرة .

ومن جهة أخرى حرف تقييد ابن زيدان أسماء عدد من السماسرة فالرابع سماه «الشرب» بدون طاء ، وحرف اسم السمسار 10 الى «أحمد ولد عابد الكلاذ» وهذا التحريف ناتج عن فساد الترجمة .

20 . عبد العزيز التسماني : «الظروف العامة للصوصية في مغرب القرن التاسع عشر ومشكلة الامن بطنجة» ص 28 من «مجلة دار النيابة» العدد الاول (نقلا عن أطروحة محمد كنيب : «الحمايات القنصلية في أواخر القرن 19 وبداية القرن 20» نسخة مرقونة)

I3 — محمد بن المكي الأحرش الزياتي : سمسار مازوريل .

I4 — I5 : محمد بن الفقيه الصالحي الحريزي ومحمد بن العبد

الزياتي : سمساران لمينار ، وكان للثاني سنة 1881 دعوى نهب قمح وبهائم عند أولاد زيان (21) .

كافة السماسرة الستة أعلاه وردوا في القوائم من سنة 1879 الى 1886 .

I6 — I7 : الجيلالي ولد عمرية : سمسار مازوريل وأحمد بن

بوشعيب العبيدي الصالحي الحريزي : سمسار فيريوه ، وقد ورد اسمهما في القوائم من 1879 الى 1885 .

وكان السمسار الأخير متهما بقتل الحاج بوشعيب ابن الزيراوي (22) ، ويظهر أن ذلك كان سببا في عدم ادراجه في قائمة 1886 .

I8 — الحاج احمد بن الحاج علال المديوني : سمسار دومون سنة 1880 .

I9 — الحاج علي بن رحال : سمسار مونطي سنة 1880 و 1881 .

ت 3 من القوائم الفرنسية وحدها :

20 — صالح بن محمد الحبشي الحريزي : سمسار فيريوه من 1879 الى 1886 ، ولربما ظل معه بعد ذلك (23) .

21 — الحاج عمر بن ابراهيم : سمسار دومون سنة 1879 و 1880 .

21 . رسالة ده موفوازان الى بركاش في 5 حجة 1298/29 أكتوبر 1881 — محفظة المغرب فرنسا .

22 . رسالة عبد السلام بن رشيد في 28 ربيع الاول 1303/4 يناير 1886 ، بالمحفظة نفسها .

23 . في 168/154 أنه خليطه المتعرض على 9 خيام ، وهاته الوثيقة غير مؤرخة وتحتوي على سمسارة لتجار من مختلف الجنسيات ، ونظن أن تاريخها هو 1894 ، حسبما سلف في الفصل السادس (إيطاليا)

22 - **مخلوف بن الجيلالي الزياتي** : سمسار دوكور القنصل
بالرباط وذلك من 1882 الى 1886 .

23 - **محمد بن محمد ولد رقية** : كان سنة 1881 سمسارا لكوستاف
أنكو G. Angot

24 - **الزموري بن الرامي الشياظمي** : مثله من 1883 الى 1886 .

25 - 27 : **الثناوي (أو الغاوي) بن الحاج محمد بن عبد السلام ،
ومحمد بن محمد البيضاوي** : سمساران لبروسبير كريستول سنة 1881 ،
ومثلهما في نفس السنة : **العسولي بن الجيلالي البربوشي** أي «الواصل»
بن الجيلالي التادلي الوردغي الذي ستأتي أخباره مع صاحبه ، هؤلاء الثلاثة
حذفوا من قوائم السنة الموالية .

28 - **فيدال بيباس** : من يهود المدينة حيث كان سمسارا لفريوه
واستمر في خدمته من 1883 الى ما بعد ذلك ، وعنه قال صاحبه سنة 1892
انه في «محل ولدنا والمكلف بمعظم أمورنا كاتبنا التاجر بـدان ... اشترى
بيتا مع بقعة محاطة بالحجر ، ولما أراد إظهار ذلك بالعدول منع منه ...» ،
ثم تدخل لدى السلطات لفائدته ذاكرة أن فيدال «يريد التنازل مجانا عن
البيت والبقعة على شرط أن يبني له المخزن بنظره مكانا حسب قاعدة 6
في المائة» (24) .

29 - **الحاج التهامي بن الطيب البيضاوي** : سمسار دومون ثم
سمسار أرتوس من 1882 الى 1886 .

30 - **الحاج أحمد بن الطيب بن الأحسن الحمداوي المديوني** :
سمسار أنكو من 1883 الى 1885 .

31 - **الغندور بن محمد البيضاوي** : كان سنة 1881 سمسارا لنفس
التاجر ، وبعده أصبح سمسارا ليهودة الصائغ من 1883 الى 1886 .

24 . رسالتا بروسبير فيريوه الى الطريس في 28 شوال 1309 و 20 صفر 1310/26
ماي و 13 شتنبر 1892 ، محفظتا الطريس 22 و 23 .

أما في قائمة 49/69 وفي «التنبيه» فان اسمه هو الغندور بن محمد بن الحبيب العبدى (أي العبدائمي على ما نظن) الحمداوي المديوني ، وذكر أنه كان سمسارا للصائغ ، ونعتقد أيضا أنه هو الذي كان سنة 1875 كاتباً للقنصل الاسباني حسبما تقدم في الفصل الخامس .

32 — **بوشعيب بن الحاج الطيب الحبشي الحريزي** : كان من سنة 1882 الى 1886 سمسارا للحاج عمر بن عبد الرحمان فويتح الجزائري .

33 — **العرايبي** (أو الأعرايبي) **بن الأحرش** (أو الأطرش أو الفقيه) **الزناتي** مثله له في نفس المدة .

34 — **محمد بن الحاج الجزولي السالمي الزياتي** : سمسار فيريوه من سنة 1883 الى 1886 بعد وفاة أبيه رقم 6 أعلاه .

35 — **ميمون الباز** : كان سمسارا من سنة 1883 الى 1886 ليهودي متفرنس كان يسكن بباريس اسمه الكحيّل ، وجاء في «التنبيه» أن هذا التاجر «هو ببر النصارى ، لم نعلم له هنا تجارة ، وانما مر من هنا فتعلق به اليهودي» ميمون الباز .

36 — **الحاج عبد القادر بوعلام** : كان سمسارا لتاجر من مرسيليا يدعى ج كاريل J. Carrel

و«هذا التاجر كرير ليست له بالدار البيضاء تجارة يباشرها ، وهو ببر النصارى ، ولعله انما يوجه له ما يحتاجه لحانوته ، وما علينا الا البلاغ» حسبما جاء في «التنبيه» .

وورد في رسالة أخرى سنة 1882 عنه أن «قنصل الماركان نائب الفرنصيص كتب مخبرا أن الحاج عبد القادر بوعلام وردت له ورقة الحماية من باشدور الفرنصيص بوظيفة أنه وكيل التاجر كريل الفرنصيصي بمرسيلية ... والحامل على ذلك أن مرتبة التوكيل لم نقف عليها قط أنها توجب الحماية لصاحبها ، ولم نعرف أحدا أنه محتم بسببها كالكاتب

والسمسار وغيرهما ... وظهر لي أن قبول الحماية بالمرتبة المذكورة هو خرق عادة في ذلك ويترتب عليه الملام ... ومع ذلك فإن التاجر المذكور لا تجارة له بالدار البيضاء يستحق لها السمسار» (25) ، وسيأتي أن الحاج عبد القادر كان سنة 1880 كاتباً بالقنصلية البرتغالية .

37 - **علي بن الشيهب الحداوي المديوني** : سمسار مينار سنة 1886.

38 - **بوشعيب البيضاوي** : كان من 1879 الى 1880 سمساراً لايميل
سيفيراك E. Sévérac

39 - **الجيلالي بن أحمد الزناتي** : مثله له من سنة 1884 الى 1886 .

والظاهر أنه هو الجيلالي بن امغار الزناتي الذي كان سنة 1885 سمساراً له ، ويستفاد من رسالة القنصل أن القائد بوشعيب بن احميم الزناتي قد سجن اخوان السمسار ، واستولى على حصان كان ملكاً للتاجر المذكور ، وجاء فيها أن «العامل المذكور سجن اخوانه ، ولم يفصل شيئاً ، وأنت تعلم وأني أنا قوننصو الفرنضيص ما أطلب الا التي هي على الحق ، والعامل المذكور من قلة نيته أنكر ما ذكر ، ومن جانب هذا الشيء كل ذلك يبقى في ذمته ، ومن غير هذا واني عندي التحقيق وأن الناس سرقوا وهو ينظر ذلك ولم ينهم .

«وكذلك أيضاً كان أخذ فرساً للجيلالي بن امغار سمسار مسي سيراك حين قدم معه من هنا مثل صاحب له ، وقد كنا بعثنا لك بنسخة الخوآنة التي بقبيلة زناتة ، وكل ما يقع من السرائق من هذه القبائل كلها توجد في زناتة .

«وأما أنا فلست بتاجر مسبب ولا عندي المحميين ، وهذه مدة من سنين باش جئت وكبروا بي ببقرتين وأمنتتهما عند عون متاعي له قطع

25 . رسالة الطريس الى بركاش في 8 محرم 1300/19 نونبر 1882 ، محفظة بركاش

هنا بازاء هذا الثغر البيضوي ، وقد سرقوهم زناتة مع بهائم آخر للعون المذكور ، ثم وُجدوا في قبيلة زناتة ، وهذه مدة أيام 15 ولم يرجعوهم لنا... «الخوَّانة كايطلبون الدراهم ليرجعوهم بها ، وتحقيق آخر وأن قبيلة زناتة عامرة بالخوَّانة» (26) .

40 - **بوعزة بن محمد التلاوتي الحريري** : سمسار مینار من 1882 الى 1886 ، وكانت السلطات قد اعترضت سنة 1882 على تعيينه في هذا المنصب ، بحجة أنه «لما نهض أخانا (= أخونا) القائد للحركة السعيدة وجه عليه يأتي للحركة السلطانية ، لأنه من المعلومين لها ، فتسبب بمرض . ومهما وجهنا عليه يقل : «ها أنا في الأثر» ، الى أن نهضت المحلة السعيدة ، فتوجه للدار البيضاء خفية ، وأراد التدليس بمخالطة أحد تجار الفرائص وهو التاجر مینار .

«فكتب لنا في ذلك خديم مولانا القائد السيد الحاج محمد الطريس حول كتاب خليفة قونص الفرائص بالدار البيضاء وهو قونص المركان بها ، مضمنه أن التاجر مینار يريد المخالطة مع السيد بوعزي الحريري المذكور ، فأجبناه بأنه مخزن ومن أعيان المخزن ، وطلما (= وطالما) جالت يده فيه للمخزن ، ويعرفهم على تلك الحالة الخاص والعام ، وقررنا له حاله ، وما سلمنا له مخالطته ، وطلبنا من خديم مولانا المذكور يخاطب القونص المذكور يتكلم مع التاجر مینار بعدم مخالطة ذلك الرجل الذي هو من أعيان المخزن ، ووالده من قبله مخزن ، وخدمتهم في المخزن كشمس على علام (= علم) من حياة والدنا رحمه الله الى الآن . . . » (27)

41 - **الحاج محمد بن علي المنوغي (أو الملوغي) المزامزي** : سمسار ليهودة الصائغ من 1882 الى 1886 . وكان المخزن قد مانع في

26 . رسالة كرافيري الى بركاش في 27 رجب 1302/12 ماي 1885 ، بالمحفظة الاخيرة

27 ، رسالة محمد بن محمد بن رشيد الى بركاش في 26 رمضان 1299/11 غشت 1882 ، بالمحفظة نفسها .

ترشيحه هو والسمسار الغندور رقم 31 أعلاه ، لأن صاحبه «انما هو يهودي
طنجوي معروف في حماية الفرانصيص ، فكيف يستحق أن يتخذ سمسارين
والحماية لا تحمي ؟ » ، حسبما ورد في «التنبيه» الموالي .

ت 4 : من «التنبيه» (28) :

42 - يوشع عمّيل : كان يراد اتخاذه سمسارا لبرودو ، «وبرودو
لانعرفه أصلا أين هو ، ولا نعلم له تجارة بهذه المرسى» .

43 - يوسف بوحنا : سمسار دارمون الذي «لا تجارة له بهذه
المرسى» ، وهذا التاجر الذي كان له خلطاء بأولاد حريز «ثبت أنه يهودي
مثل يوسف بوحنا لِمَا صدر منهما من الزيغ والطيش» ، ولذلك كتب
فيرو الى قنصل فرنسا بتوبيخ السمسار والتاجر دارمون : Darmon (29)

44 - 48 : محمد بن الجيلالي الفقري (ولعله هو الحاج محمد الذي
كان سمسارا لمحمي أو تاجر يوناني سنة 1880) وعمرو بن الجيلالي الفقري
واخوهما (ولم يذكر أسمه) والحاج البكري الحبشي (وأربعتهم من أولاد
حريز) والحاج بادو الدمناطي : كان القنصل «سردهم في التقييد من غير
تبيين مراتبهم ، ولم نعرف لهم سببا للحماية» ، ولا يبدو أنهم كانوا مجرد
خلطاء .

ت 5 : من القائمة العامة للخلطاء والسماصرة المديونيين (30) :

28 . هو الوثيقة رقم 138/140 بمكتبة تطوان ، وقد ورد فيها أيضا السماصرة : 1 -
31 - 35 - 36 - 39 - 41 ، وهي خلو من التاريخ الذي نرجح أنه هو ما قبل سنة 1888 التي
توفي فيها الغندور السمسار 31 أو مات فيها يهودة الصائح ، حسبما جاء في رسالة أحمد بن
العربي الى الطريس في 10 صفر 1306/16 أكتوبر 1888 ، محفظة الطريس 14 .

29 . رسالة فيرو الى الطريس في 19 غشت 1886/19 قعدة 1303 ، محفظة الطريس 8

30 . رقم 49/69 بتطوان ، وهي عارية من التاريخ ، وفيها اشارة الى بعض السماصرة
أعلاه والى تعرضهم لدى السلطات في سبيل اخوانهم وخيامهم ، فالسمسار 8 متعرض على
40 خيمة و 10 على 10 و 11 على 10 و 30 على 15 و 31 على 40 و 37 على 15 و 49 على
25 خيمة .

49 - الحاج بوشعيب بن عبد القادر الرغاي : ولم يرد فيها بيان تاجره الذى لعله مينار ، مثلما كان أبوه السمسار رقم 3 أعلاه فى خدمته .

ت 6 : من قائمة سمسارة أولاد حريز (31) :

50 - محمد ولد الحاج عزوز الحبشي : سمسار فيريوه .

51 - محمد بن بوعزة الرحيحي الحبشي : سمسار كنيبة

ت 7 من قائمة ثلاثية فرنسية (32)

52 - يوسف بن ذباح : سمسار فيريوه

53 - الحاج الحسن بن الزبير : سمسار أرتوس

54 - محمد بن شعيب : سمسار مينار وكنيبة

55 - محمد بن الحاج اليماني الزياني : سمسار مونطي .

ت 8 من غير ذلك :

56 - الحاج محمد بن علال البوعمري : كان سنة 1867 سمسارا لتاجر

فرنسي (33) لم يذكر اسمه ، والسمسار مديوني من ايالة ابن الرشيد التي كانت تضم آنذاك ولاية محمد ابن مشيش لا سيما بعد عزله ، وقد مضى القول عن ابنه عبو (رقم 2 أعلاه) الذى كان سمسارا لآلفونس كنيبة ، ويحتمل أن يكون أبوه سمسارا لنفس التاجر أيضا .

31 . رقمها بتطوان هو 61/69 وهى خلو من التاريخ وفيها ذكر السمسار 40 أعلاه .

32 . عنوانه «بيان المحمين بايالة مراکش» وهى تشتمل على أسماء محمين وسمسارة من ثلاث مدن : طنجة والدار البيضاء والجديدة ، ولذلك أدموها «الثلاثية» ، وليس فيها رقم وليس فيها تاريخ ، ومن الذين وردوا فيها من أهل الدار البيضاء وأحوازها للسمسارة : I - 2 - 3 - 4 - 5 - 13 - 29 وكذلك السمسار رقم 6 وهو الحاج الجزولي المتوفى سنة 1883 ، وهذا يدل على أن هاته القائمة وضعت فى هاته السنة أو قبلها .

33 . رسالة الطيب بن اليماني الى بركاش فى 20 حجة 1283/25 أبريل 1867 ، محفظة بركاش .

وقد قبض على الحاج محمد سنة 1866 فطالب سفير فرنسا بالافراج عنه لأنه سمسار محمي ، وذلك في الوقت الذي كان المخزن لا يجيز انتخاب السماسرة من البوادي ، ولهذا السبب تعجب محمد الرابع في رسالته الى بركاش قائلا : «... فهم يطلبون الفصال من جهة ، ويحمون من جهة ، فكيف يجمع بين هذين الغرضين ؟ ... وعلمنا أنهم لا يخالطون غالبا الا لمن لا مروءة له» (34) .

57 - **الظاهر ولد الحاج المكي** : سمسار سيريس (35) .

58 - **احمد الحافي الحريزي** : كان سنة 1866 سمسارا لبروسبير فيريوه فاشترى له 22 مطمورة من القمح (36) .

59 - ... **ولد افراسن المديوني** : وكان منذ سنة 1862 سمسارا لأرتوس وظل في خدمته سنة 1887 ، «وفي هذه الأيام عمده اليه قائد مديونة وربطه وذعّره ... وهذا القائد صاحب خوض وشيطنة» (37) .

60 - **عبد الكريم بن الحاج محمد بن غانم المجاطي المديوني** : لما توفي والده الذي كان «عامر الذمة لجانب المخزن» أريد اتخاذه سنة 1892 سمسارا لكنيبة (38) .

61 - 62 : **الغزواني بن المعطي الرحالي الحريزي** واخوه **محمد المعروفان بأولاد الزيادة** ، كانا سمسارين ليهودي من الدار البيضاء أو

34.. رسالة السلطان الى بركاش في 6 حجة 1283/11 أبريل 1867 ، صورتها عند محمد نهليل في «رسائل شريفة» ، اللوحة 21

35 . مبيج : «المغرب واروبا» ج 2 ص 551 (8)

36 . المصدر الاخير ج 2 ص 494 (2)

37 . رسالة فيرو الى الطريس في 22 رجب 1304/16 أبريل 1887 ، محفظة الطريس 10 ولم يرد اسمه في الرسالة

38 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 9 ربيع الثاني 1310/31 أكتوبر 1892 ، محفظة الطريس 23

أحوازا يدعى دارمون ، فلم يسلم بذلك عامل أولاد حريز (39) ، وتقدم شرح قضيتهما في الفصل الأول معه برسالة بريشة الى السلطان من أن الدافع لطلبهما الحماية كان هو التماس الأمان على نفسيهما من ضغط عبد السلام ابن الرشيد .

• • •

ث - المستوطنون

I - **لوي شامونار** L. Chamonard كان سنة 1853 وكيلا في اقتناء الصوف من الدار البيضاء لدار من مدينة ليون اسمها ديغران Desgrands

2 - **لياندر پورو** Léandre PORRO وكان في نفس السنة نائبا عن دابيد وليون كوهين من مرسيليا في شراء الصوف والحبوب من الجديدة والدار البيضاء .

3 - **شارل مارتان** Ch. MARTIN كان عميلا لأشخاص من فرنسا يشتري لهم الصوف ويوجهها من الدار البيضاء الى مرسى سبت .

وقبل 1869 كان خبازا بالمدينة ، كما كانت له خلطة مع الحاج الطيب المديوني المزايي الحمري القاطن بايالة ولد حدو بعمالة مديونة لشراء الغنم لحسابه ، لكن هذا الخليط قتله محمد بن علي التعلوتي الحريزي فقدمت السلطات القنصلية دعوى بذلك (40) .

4 - 5 : **بيير وجوزيف فيريوه**: كانا الأخوان سنة 1853 وبعدها وكيلين في شراء الصوف من الدار البيضاء والجديدة والرباط لحساب

39 . رسالة محمد بن محمد بن الرشيد في 3 شوال 1303/5 يوليوز 1886 ، محفظة الطريس 8 ، ورسالة العربي بريشة الى السلطان في 18 محرم 1304/17 أكتوبر 1886 ، محفظة المغرب فرنسا .

40 . القضية 3 من «الدعوى التي عند القائد رشيد» والتي لا تحمل تاريخا ، غير أن الأحداث وقعت في حياة رشيد ابن رشيد المتوفى سنة 1869 .

البارون سييئر Seillière الباريسي (41) . وتقدم أن بيير كان نائبا
قنصليا لانجلترا وفرنسا بمدينة الرباط لمدة ما .

ولم أقف للخمسة المذكورين أعلاه على سماسرة .

6 - **پروسيير (42) فيريوه (43)** Prosper FERRIEU

كان نائبا قنصليا لبلاده حتى حدود 1866 حسبما تقدم ، وفي هاته
السنة أو قبلها كان له دَيْن على القائد محمد بن مشيش . وكنت فيما مضى
قد سقت طرفا من رسالة محمد ابن الرشيد في قضية قائد مديونة مع يحيى
ابن الصائغ المحمي الايطالي ، وبقي كلام فيها عن قضية فيريوه مع ابن
مشيش .

فقد مر بنا أن ابن الصائغ طلب أن يؤدي له القائد المذكور دينه
مساواة مع ما فعله مع القنصل الفرنسي ، وها هو جواب محمد ابن الرشيد :

41 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 25 و 46 ، حيث وردت أسماء المستوطنين
الثلاثة الاولين أيضا .

42 . بروسبير حرف الى بوسبير ، ومعلوم أن من قواعد الكتابة المخزنية جعل الحركات
على الحروف ، ولهذا وضع الاقدمون ضمة فوق الراء دون أن يمدوا الحرف الاخير ، وما
الواو في الواقع ومن حيث الشكل الهندسي الا راء مجزومة ، ومن ثمة وبفعل طول الاستعمال
والتنشيف بالرمل أو بنحوه اكملت الضمة استدارتها فصارت مع الايام جزمة وأصبحت
الراء الاولى واوا

لهذا التحريف نظائر لا في الترسل المخزني وحده بل حتى في الادب العربي القديم ،
واو بوسبير شبيهة بواو أبي الاخفش ، ويحكي أحمد أمين في «ضحى الاسلام» (ج 2 ص 273
و 284) أن أبا عمرو ابن العلاء (70 - 154 هـ) قال لأبي الاخفش (ت 177 هـ) لما أنشده
هذا البيت :

قالت قتيلة ما له قد جللت شيبا شواته ؟

«كبرت عليك رأس الراء فظننتها واوا ، وانما هي «سراته» ، قال : وما سراته ؟
قال : «سراة كل شيء ظهره» .

43 . فيريوه بالهاء هو فيريول باللام في الخط المغربي ، اذ الهاء المتطرفة أشبه
ما تكون شكلا باللام المتطرفة ، ولكثرة النسخ اشتبهت الهاء باللام فصار فيريوه بالهاء فيريولا
باللام المعركة .

ولي عودة الى فيريوه والى بروسبير أو بالأحرى الى تحليل بروسبير وشرح فيريول .

«وأما ما ادعاه من أن فريوه الافرنصيصي «تخلّص» فيما كان
«يسئله» لابن مشيش فاعلم - أيها الأخ - أن فريول لم ندفع له شيئا ، وقد
تخلّص في متاعه بحيلة ، وهى أنه لما قبض بن مشيش دخلت لداره فلم
نجدوا بها شيئا ما عدا بيتين : أحدهما كان يجلس فيه ولده مَحْمَد ، والثاني
كان فيه ذمي من سكان الدار البيضاء ، فأحصينا ما وجد فيهما ، أما الذى
كان فيه الذمي وجدنا فيه سلعته من كتان وغيره ، وزائدا على سلعته
«زَيْف» فيه أربعمئة ريال وستة وستين ريالا ، ووجدنا فى البيت الذى
كان على يد ولد بنيس الفاسي قفطان ومهاميز مذهبين وخنشة مخيطة فيها
ستمائة ريال وثمانية عشر ريالا ولا سلعة فيه ، فحزنا ذلك ودفعنه
(= دفعناه) للأمين الموجه من قبل سيدنا نصره الله لاحصاء متاع بن مشيش.

«وفى الغد قدم علينا القونص فزيوه المذكور صاخطا (= ساخطا)
ناخطا مدعيا أن ولد بنيس مع الذمي المذكور : فى حمايته ، وعندهما مال
لتجار الافرنصيص ، وطلب منا أن ندفع له المال أو يركب فى الحين
لطانجة ، فلم يسعنا [إلا] أن دفعنا له المال المذكور وشهدنا [أ]ه على
الجزولي بالعدول .

«ثم بعد ذلك ورد علينا فريوه المذكور واعترف بأن المال للقائد
محمد بن مشيش ، فأما ما وجد عند الذمي فقد حازه فى دينه الذى كان
يسئله لابن مشيش ، وأما ما وجد عند ولد بنيس فقد ذكر لنا أن تجار
الافرنصيص اقتسموه بينهم فى دين كانوا يسئلونه لأخي ولد بنيس ، وطلب
منا الملاقات مع بن مشيش فتلاقى معه وتحاسب معه على ما حازه من عند
الذمي المذكور ، ثم ادعى عليه أيضا أنه باقى له قبلكه أربعمئة ريال بخط
يده ، وقد عايناه نحن عنده ، فأجابه بن مشيش بأنه كان وضع عنده
خمسمائة من الغنم على وجه الحفظ والأمان على يد الجزولي ، فاعترف له
الجزولي بها ، وهذا هو الوجه الذى تخلص به فريول . . . » (44) ،

44 . رسالة محمد ابن الرشيد الى بركاش فى 26 رمضان 1282/12 يبرابر 1866 ،
محفوظة بركاش .

كان فيريوه يشتري الجلود ، وكان أيضا يصدر «الصوف الجزة ويقتنيها على ظهور أمهاتها» (45) لفائدة شركائه ، وفي سنة 1869 كان يستورد - فيما كان يستورد - الخمر والموز (46) ، وكان له من أجل تجارته سماسرة وخطاء مضى تعدادهم .

بروسبير اكتسب ثروة وبنى بها عقارات ، «وفي ولاية أحمد بن المعطي على الدار البيضاء بنى فريول الفرنسي 4 حوانيت وامتنع من اعطاء واجب المخزن ، وفي عام 1278 [12] بنى الذمي حسييس من حماية الصبنيول حوانيت وسلك مسلك فريول في عدم الاعطاء» (47) .

أسرة فيريوه قديمة الاستيطان بالدار البيضاء ، حل جوزيف عم بروسبير بالمدينة حوالي 1848 أو قبلها ، وقد كتب القنصل السابق بروسبير رسالة الى الطريس سنة 1888 مشيرا الى «داره القديمة التي كان بها أول قدومه لهذا الثغر السعيد ومدتها تزيد على الأربعين سنة وهي متلاشية جدا» والى الدار «الملتصقة بها التي كان بها عمنا وهي بيد الفرايلية وقد تلاشت سقوفها» (48) .

وكان أبوه بيير من الذين يناهضون الاتجار في الحماية سنة 1866 و «ضد الذين كانوا يقولون للمغربي : اجعلني أمام عدلين مالكا لأغنامك وأبقارك وخيولك الخ ... وسنكون شريكين في ربح رأس المال هذا ، وتحت مظهر امتلاكي أنا - الذي سيكون في الواقع امتلاكك أنت - ستصير محميا لي» (49) .

45 . رسالة محمد بن الحاج قاسم حصار الى السلطان في 27 شعبان 1280/6 يبرابر 1864 ، ورسالة محمد (فتح) بن الحاج محمد التازي وأحمد بن الحاج محمد أفروخ في 21 رمضان 1270/17 يونيو 1854 ، محفظة الدار البيضاء I .

46 . تقايد الأمينين أقصبي وفرج عام 1286/1868 ، محفظة الدار البيضاء I

47 . رسالة الأمين محمد التازي الى الطريس في 9 صفر 1293/6 مارس 1876 ، محفظة الطريس I

48 . رسالة بروسبير الى الطريس في 14 قعدة 1305/23 يوليوز 1888 محفظة الطريس 13

49 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 555 (2) .

وكان «التاجر فريول الرومي بالدار البيضاء ذا سيرة لا بأس بها» (50) ، وكان في سلوكه معتدلا مع المخزن ومع الناس ، وكانت له سنة 1883 معاملات من شمال الرباط الى تادلة وما وراء سطات ويستخدم معه من 30 الى 40 شخصا (51) ، وقد قام بركاش وقعد ولم يقبل سنة 1885 أن يجعل بروسبير وأرتوس ومينار وكنيبة سمسارين لكل واحد منهم في الرباط والجديدة والدار البيضاء (52) .

وقد توفي بروسبير سنة 1898 عن 74 سنة من عمره ، لأنه من مواليد 1824 ، وبالدار البيضاء تزوج وانجب طفلين أحدهما هو بروسبير — أنطوان الذي سيأتي الحديث عنه على حدة .

وكانت هاته الأسرة من الدباغين والنساجين وكانوا أيضا يصنعون الثياب (53) . ويبدو أنها تركت في اللباس الوطني واللسان المغربي أثرا لم يمح حتى الساعة : إذ الراجح أن الفرّيُول الذي يرتديه الصانع كان من مبيعات بروسبير أو مصنوعاته أو ملابسه .

7 — الفونس كنيبة : A. CANEPA

من مواليد مرسيليا سنة 1821 ، وحتى سنة 1869 كان لا يزال يعيش في العزوبة ، وكان مصدرا للتمور والحبوب والأصواف ومستوردا للزيت والنسيج والشمع والسكر والزجاج (54) .

وقد أصابه في وقت ما إفلاس في تجارته ، وكان سنة 1879 وكيلا للبواخر التجارية الفرنسية ، واتخذ خلطاء وسماسرة سبق ذكر بعضهم .

50 . رسالة السلطان الى الطريس في 4 محرم 1306/10 شتنبر 1888 ، محفوظة الطريس 14

51 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 458

52 . رسالة العربي بريشة الى الطريس في 28 ربيع الثاني 1302/14 يبرابر 1885 ، محفوظة الحماية القنصلية .

53 . ميج وأوجين هوغ : «الأوروبيون . . .» ص 17 .

54 . تقايد أقصبي وفرج عام 1286/1869 ، محفوظة الدار البيضاء 1

8 - جان فرانسوا أرتوس : J. F. HORTUS

هو من أوائل المستوطنين بالمدينة ومن التجار الذين كانوا سنة 1868 يصدرون التمور والبلغة والزراي والبباطا الرومية ويستوردون المنسوجات والشمع الخام والزيت ، وقد سبق له سنة 1864 أن اكترى مركبين لوسق الصوف من الجديدة والدار البيضاء (55) .

ولد بفرنسا سنة 1827 وحل بالدار البيضاء منذ 1855 ، وكانت له محلات تجارية بالرباط والجديدة (56) ، ويظهر أنه كان قد عاد مؤقتا الى فرنسا للراحة أو للأعمال وتفقدتها وترك الأخوين أطاليا الاسبانيين سنة 1882 نائبين عنه في تجارته (57) ولو أنه ظل حتى سنة 1884 من مصدري الصوف المغربية (58) .

وزيادة على احترافه التجارة كان نائبا قنصليا ليطاليا حسبما تقدم وقد اتخذ خلطاء وسماسرة مرت بنا أسماؤهم .

9 - شارل إتيان دومون : Ch. E. DUMONT

ولد بفرنسا سنة 1815 وتولى الوكالة القنصلية عن بلجيكا منذ 1857 ، وله ابنان يحملان اسمه شارل ، كان سنة 1866 يريد بيع داره للمخزن لكي تعطى لقنصل فرنسا ، ولما سأل السلطان عن وجه تملكه للقطعة التي بنى فيها داره أجيب بأن الأمير مولاي العباس لما كان بطنجة تدخل لدى بركاش لكي يمنح دومون تلك البقعة التي نفذت له لما كان عبد السلام السويسي عاملا على الدار البيضاء هذه مدة 6 أعوام .

55 . المصدر السابق ورسالة العربي بوشنتوف الى بركاش في 7 قعدة 1280/14 أبريل 1864 ، محفظة بركاش .

56 . ميج وأوجين هوج : «الاروبيون ...» ص 25

57 . رسالة شارل فيرو الى الطريس في 17 أبريل 1887 ، محفظة فرنسا المغرب

58 . رسالة بركاش الى السلطان في 18 ربيع الاول 1301/17 يناير 1884 ، محفظة بركاش .

انتحر سنة 1879 لافلاسه في تجارته ، وكان قبل ذلك مراسلا لجريدة «سيمافور ده مارسى» من 1865 الى 1870 ، وله مقالات عن المغرب وعن المدينة (59) .

10 - ألبان مونطيل : Albin Montel

من مواليد فرنسا سنة 1836 ، كان تاجرا له سماسرة وخطاء ، ومضى أنه كان قنصلا لبلاده ، وكان «المخزن بنى دارا بالدار البيضاء ليسكنها الذى كان كاتبها هناك بدار القونصل المسمى منطيل ، وحيث خرج منها منطيل المذكور ... وسفر لحال سبيله ، طلبها أحد الفرنسيين المسمى بير ...» أي بيير . . . Pierre (60)

* * *

الفرنسيون الخمسة السابقون ابتداء من فيريوه وزيادة فليب مينار عليهم كانوا جميعا من الموسرين ومن ذوي الخلطة مع المغاربة .

وبواسطتهم كانت الدور التجارية الفرنسية تملك عشرات الآلاف من المواشي ، وفي سنة 1870 كان لست منها نحو 20 ألف رأس : منها 15 ألفا من الأغنام ، وبين 1875 و 1877 تضاعفت الأعداد (61) ، ولكن سنوات المسغبة أودت بكثير مما يملكون .

وعلى وجه الدقة امتلكوا سنة 1870 القطعان الكثيرة والرؤوس العديدة في أحواز الدار البيضاء : مونطيل كان له 900 وأرتوس 4978 ودومون 2030 وكنيبة 2024 وفيريوه 8592 أما مينار فكان له 1965 رأسا (62) .

59 . رسالتا عبد الكريم بن زاكور وأحمد الريراكي الى الحاج محمد بنيس في 30 جمادى الاولى و 6 رجب 1283/10 أكتوبر و 14 نونبر 1866 ، محفظة الدار البيضاء ، وكذلك مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 102 .

60 . رسالة فيرو الى الطريس في 6 محرم 1306/12 شتنبر 1888 ، محفظة الطريس 14

61 . مبيج وهوج : «الأروبيون ...» ص 25 و 25 (3) .

62 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 495 (3) .

وتقدم أن ستة تجار فرنسيين كانوا يملكون بقبيلة أولاد حريز وحدها نحو 16.000 رأس تألف جلها من الأغنام وقام على رعايتها 81 مغربيا حسب سجلات الوزير الطيب بن اليماني (63) ، وهذا ما يدل على ازدهار نشاط الخلطة الفلاحية بين المغاربة والأجانب وانتشار السمسرة والحماية في البوادي والمدن على السواء .

II - ألفونس دافان : A. DAVIN

ولد بطنجة سنة 1848 وبها استخدم وتزوج ، ثم انتقل سنة 1856 الى الدار البيضاء حيث كان مستخدما ، ولم أقف له على خليط .

I2 - فرانسوا فليب كوقرال : F. P. COUVRAL

ولد بفرنسا سنة 1827 وكان كاتبا بالقنصلية ، ولم يرد له ذكر سمسار ولا خليط ، الا أنه يبدو أن كوقرال حرف الى كوركورال CORCORAL لتشابه أحرفهما اللاتينية لا سيما وأن اسمهما هو فرانسوا معا ، فاذا كان هذا الاحتمال صحيحا فقد يكون هو التاجر المنتحر سنة 1880 للافلاس (64).

I3 - جان سيريس : J. SERIEYS

ولد بفرنسا سنة 1831 ، كان تاجرا وقد صدر سنة 1869 الصوف واستورد الخمر والصابون الرومي (65) لنفسه أو لصهره مينار .

I4 - ألكسندر سيريس : A. SERIEYS

من مواليد فرنسا سنة 1838 ولعله شقيق السابق وكان يعمل مثله بدار مينار .

63 . جيرمان عياش : «جوانب ...» ص 11 ، الأرقام التي قدمها الوزير الطيب بعشرين مطابقة لما ورد في الهامشتين السابقتين .

64 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 190.

65 . تقايد أقصبي وفرج عام 1869/1286

15 - بروسبير كريستول P. CHRISTOL

من مواليد فرنسا سنة 1847 ، وقد كان سنة 1866 كاتباً بالقنصلية (66) ، كريستول هذا عقد سنة 1884 خلطة مع شخص كان شيخاً بإيالة «الخدیم المهدي الزبيري الرحماني ، اسمه العسولي بن الجيلالي البربوشي ، فرض على اخوانه مالا له بال في غيبة عامله مع جانبنا العالي بالله في الحركة وحازة منهم .

«ولما سمع برجوع عامله من الحركة توجه للدار البيضاء ولبيس على تاجر من تجار الفرنسيس اسمه بوسبير اكرسطون وبدل اسمه ونسبه وتسمى له بالواصل بن الجيلاني التادلي الورديني ...

و «لثبوت فساد وكونه من قبيلة كلها مخازنية وعساكرية لا يسوغ للتجار التعرض للمخزن على أحد منها لا بالمخالطة ولا بغيرها ، فنأمر أن تتكلم مع الباشدور يأمر التاجر المذكور بالتخلي عن مخالطته وحياسة ما تخالط معه فيه» (67) ، وقد أمر السلطان باعتقال هذا المخالط ، وظلت المسألة معلقة (68) الى ما بعد 1892 .

وكانت له أيضا دعوى على الطاهر بن الجيلالي السالمي من إيالة التريعي قبل 1882/1299 ، وقد فوصلت هاته الدعوى قبل هذا التاريخ (69) .

66 . مبيج في «المغرب وأروبا» ج 5 ص 83 وما بعدها ذكر هذا الشخص ، والأحد عشر فرنسيا قبله مع أسمائهم وحرفهم وسنوات ولادتهم وولادة ذرياتهم نقلا عن تقرير قنصلي عن المستوطنين بالدار البيضاء والجديدة سنة 1866 .

67 . رسالة السلطان الى بركاش في فاتح ربيع الاول 1301/31 دجنبر 1883 ثم رسالة بركاش الى السلطان في 9 ربيع الاول 1301/8 يناير 1884 ، محفظة بركاش وكذلك جواب السلطان لبركاش في 20 ربيع الاول/19 يناير .

68 . رسالة قنصل فرنسا الى محمد بن عبد الرحمان بريشة في 15 حجة 1309/11 يوليوز 1892 ، محفظة المغرب فرنسا .

69 . دعاوي ورديفة (القضية 2) في 27 جمادى الاولى 1299/16 أبريل 1882 ، بالمحفظة السابقة .

16 - بروسبير - أنطوان فيريوه : P. Antoine Ferrieu

أبوه بروسبير تقدمت ترجمته ، أما الابن فهو من مواليد الدار البيضاء سنة 1866 ، وكان معينا لوالده في تجارته ، وقد تولى في مطلع القرن العشرين الشؤون القنصلية بالنيابة وصار وكيلا لليونان ، وأصبح بعد احتلال الدار البيضاء مستشارا سياسيا للجنرال داماد ، وكان أحد مؤسسي الجريدة الفرنسية «لافيجي ماروكين» ، وقد خلف ذرية عاشت بالدار البيضاء حتى منتصف القرن العشرين (70) .

بروسبير أنطوان كان من كبار الملاكين ، تحدث هنري كروز عن «السور الجديد الذي بني في عهد السلطان مولاي الحسن ليكون محيطة بالحي الذي كان معدا لايواء الأوروبيين مثلما كان لليهود ملاحهم» وعن «امتعضهم من السكنى به لقلة عددهم ، فبقي الحي الجديد مهجورا الى أن صار في بداية الحماية الفرنسية مربطا للجمال فتهدمت أسواره» ثم تخلص الى ذكر حي بوسبير فقال :

«أما حي بوسبير فيدعى باسم مالك أرضه بروسبير فيريوه ذلك المغربي القديم المولود بالدار البيضاء والذي يحرف الأهالي اسمه على عادتهم في ذلك .

«وقد أكرت هاته الأرض لملاك مغربي كان به من الشرّ للربح أكثر مما كان له من اهتمام معماري . وهكذا كاد يكون للأوروبيين حيهم الخاص وأطلق اسم بوسبير على كل حي للبناء بالمغرب» (71) .

17 - فليب مينار : P. Ménard

70 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 107 وميج وهوج : «الأوروبيون ٠٠٠» ص 84 .

71 . هنري كروز : «ذكريات ٠٠٠» ص 26 و 27 وابن زيدان في «الاتحاف» ج 1 ص 431 قال انه أصبح مخيما للجيش الفرنسية بعد الاحتلال .

كان وكيلا للبواخر الفرنسية حوالي 1879 وتاجرا مصدرا وقد وسق الغراء حوالي 1868 من المرسى (72) ، وكان له سيطرة وخطاء بالدار البيضاء والعرائش والرباط سلفت الاشارة اليهم في محلها .

18 - مستوطنون آخرون :

— أ . فليب : A. PHILIP

حل بالدار البيضاء سنة 1887 وكان سنة 1911 ولربما قبلها وكيلا لشركة باكسي (73) .

— جول بيكس : J. BEX

كان سنة 1888 تاجرا بالدار البيضاء (74) ، وكان له فندق خارج المدينة في مطلع القرن العشرين (75) .

وقد طلب جول باطنوطر وزير فرنسا المفوض بطنجة سنة 1889 أن تنفذ دور وحوانيت داخل المدينة وخارجها للتجار الفرنسيين ومنهم بيكس الذي كان السفير يسعى لكي تخول له الدار التي كان يسكن بها أمين المستفاد آنذاك مع أنها — كما قال — كانت قد شيدت لتاجر فرنسي آخر قبل ذلك الوقت .

فأجيب بأن الدار البيضاء «لم يبق بها ديار ولا حوانيت غير منفذة وأن المخزن بصدد جعل سور للمحل الذي أمر بتنفيذه بازاء البلد ، متصل بسورها ليبنى فيه الدور والمخازن لتجار الأجناس ، وحيث يبنى السور للمحل يبنى ذلك لتجاركم من جملتهم» (76) .

72 . تقايد أقصبي وفرج عام 1869/1286

73 . هنري كروز : «ذكريات ٠٠٠» ص 18

74 . عريضة التجار سنة 1888 المتقدم ذكرها في الفصل الاول

75 . مبيج وهوج : «الأروبيون ٠٠٠» ص 92

76 . مطالب باطنوطر ، القضية 8 في 23 أبريل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا وكذلك

ابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 321

- ميليريو : Mellério

طلب من الأمناء سنة 1891 رخصة اقتناء قطعة أرضية لبناء دار سكناه (77) ، وكانت أسرة ميليريو من باريس استوطن بعض منها مدينة الدار البيضاء في أواخر القرن الماضي (78) .

* * *

هذا وليس في تعداد المستوطنين الفرنسيين هنا حصر تام ، فقد عثرت على آخرين لم يكن لهم شأن ، ولم أقف لهم على صدى يوجب اثباتهم وإنما هي أسماء عابرة .

- 19 - الجزائريون :

- آل فويتح جزائريون من بني واسين ولا سيما أولهم :

- الحاج عمر بن الحاج عبد الرحمان فويتح (79) ، كان له سمساران تقدم ذكرهما .

- وشقيقه عبد السلام كان سنة 1904 سمساراً لتاجر ألماني حسبما هو مذكور في محله .

- وعبد القادر فويتح كان سنة 1868 يستورد البن كما كان سنة 1864 نائبا عن الحاج المصطفى بن المفتي الجزائري (80) الذي سبق لي أن افترضت كونه سمسارا لتاجر انجليزي سنة 1880 وهو مجرد احتمال .

77 . مطالب فرنسا في 10 محرم 1309/16 غشت 1891 ، بالمحظة المذكورة .

78 . هوج ومبيج : «الأروبيون » ص 93

79 . القوائم الفرنسية سنة 1883

80 . رسالة أميني الدار البيضاء الحاج المدني الديوري ومحمد التازي الى بركاش في 15 قعدة 1280/22 أبريل 1864 وكذلك تقايد اقصابي وفرج في محرم 1286/1868 .

8 : الدول الباقية

وهي البرتغال والبرازيل وبلجيكا والسويد - والنرويج واليونان
وسياتي الكلام عنها في خمسة مطالب .

* * *

المطلب الأول : البرتغال

أ - السلك القنصلي

1 - تولى جون كوب الأمريكي تمثيل هاته الدولة سنة 1880 ،
حسبما تقدمت الاشارة اليه .

2 - بعده أسند تدبير الشؤون القنصلية سنة 1888 الى مانويل
فيرمانو غوميش M. Firmano Gomes (1) الذي كان يمثل دارا تجارية
بجزيرة ماديرا .

3 - وفي سنة 1894 كان أنطونيو كليمانتي غوميش A. C. Gomes
هو المتولى (2) .

ب - المحميون القنصليون والاستثنائيون

جاءت أسماؤهم في مصادر مختلفة ومنها استخرجهم .

1 . رسالة كولاو الى الزكاري في 9 ماي 1888 ، محفظة المغرب البرتغال وعريضة
التجار الى السلطان في 13 شتنبر 1888 .

2 . رسالة كولاو الى الطريس في 21 مارس 1894 / 14 رمضان 1311 ، بالمحفظة
نفسها .

ب I - من تقييد ابن زيدان ومن القائمة العامة (1880) معاً :

I - 6 - الحاج عبد القادر بوعلام كان كاتباً للقنصلية ثم صار وكيلاً لتاجر فرنسي من مرسيليا ، والمكي ولد الحاج الطاهر المومني المديوني عون وأصبح سنة 1893 سمساراً للقنصل ، واسحاق ابن ذراعو ترجمان كان هو أو سميّه محميا بلجيكيًا ومحمد بن بوشعيب وأبو بكر بن بوشعيب ويهوده سنائيس : وهم مستخدمون .

7 - II : موشى بوحنّة ويوسف بن سليمان الدباغ ويوسف أوحون وهارون الزثوري ونسيم الزاثوري وكلهم تجار محميون سنة 1880 .

12 - I3 : شمويل التدغي وأخوه ابراهام التدغي وكانا تاجرين منذ ما قبل 1868 يستوردان السكر وزيت الكاز والخمر ويصدران الجلود (3) .

ب 2 - من غيرهما :

14 - I5 : موشى بوطبول ويعقوب بن شطريس : وكانا سنة 1893 تاجرين (4) ، وسيأتي أن الأخير صار سنة 1900 محميا برازيليا .

16 - أحمد بن علي بن عبد الرحمان المديوني : كان سنة 1893 عوناً (5) .

17 - محمد بن الشافعي الحارثي المديوني وكان كاتباً (6) قبل سنة 1893 ، وقد مر بنا قبل أنه كان سمساراً لتاجر فرنسي .

18 - يهودة دالمار (أو يهودة البحر) : تاجر محمي (7) .

* * *

-
- 3 . تقييد الحاج العربي فرج والحاج عبد الرحمان أقصبي في محرم 1286 .
 - 4 . رسالة كولاصو الى الطريس في 16 ماي 1893 ، محفظة المغرب البرتغال
 - 5 . المصدر السابق .
 - 6 . قائمة المحمين والسماسة من مديونة رقم 41/69 بمكتبة تطوان وذكر فيها أيضا المحمي 16 ، مما يحمل على الاعتقاد أن المحمي 17 كان كاتباً سنة 1893 أو قبلها .
 - 7 . من الوثيقة 47/69 بمكتبة تطوان

ت - السماسرة

واستخلص أسماءهم من وثائق شتى

I - 2 - محمد بن الحرطاني الروداني والكبير بن الطاهر وكلاهما من قبيلة أولاد حريز ، ولما أريد جعلهما سنة 1882 سمسارين لنسيم الزاكوري رد بركاش أن عاملها كتب له «أن الأول شيخ والثاني مخالط لخليفته وجميع ما يدور بيدهما هو لجانب المخزن ... فلا سبيل لجعلهما سماسرة ولا للكتابة في شأنهما ، وأعلمناك بذلك لتخبر التاجر المذكور ليعين غيرهما ... ان كان يستحق السماسرة في التجارة الكبيرة ... في الداخل والخارج بالمرسى» (8) وتقدم أن الثاني منهما كان سمسارا سنة 1893 و 1894 لكارلو مورطيو الايطالي .

3 - المكي بن قاسم المزامزي الجداوي أراد هارون الزاكوري أن يتخذه سنة 1883 سمسارا له (9) .

4 - أحمد بن علي المعروف سمسار لموشي بوطبول منذ سنة 1872 ، وفي سنة 1893 عين شيخا بقبيلته (10) .

5 - 6 - الحاج المعطي بن الحاج بوشعيب العريبي الفقري ، والحاج أحمد بن المعطي العريبي الفقري (الذي لعله ابن السابق ، وكلاهما من أولاد حريز) : كانا منذ سنة 1890 سمسارين للنائب القنصلي مانويل فيرمانو كوميش (II) .

8 . رسالة بركاش الى ايميليو ري كولاصو في 10 جمادى الاولى 1299/30 مارس 1882 ، محفظة المغرب البرتغال .

9 . رسالة قنصل البرتغال الى الحاج العربي بريشة في 25 شعبان 1300/1 يوليو 1883 ، محفظة بركاش .

10 . رسالة كولاصو الى الطريس في 24 نونبر 1893 ، محفظة المغرب البرتغال

11 . رسالة كولاصو الى الطريس في 9 ماي 1890 ، محفظة المغرب البرتغال

7 - 8 - الحاج بوعزة بن موسى الهراوي سمسار شميل (؟) واحمد بن المحفوظ العسري المديوني سمسار ثوميش ثونسيت (I2) .

9 - 10 - الحاج الطاهر ابن التمار المديوني سمسار شمویل التدغي واحمد بن المعطي المجاطي المديوني سمسار مانويل كولاصو (I3) .

* * *

ث - المستوطنون

كانوا قليلين عددا : شخصان سنة 1882 . أما سنة 1885 فكانوا 14 شخصا (I4) ، وفي أواخر القرن بلغ عدد أفراد الجالية البرتغالية 27 نسمة حسبما أومات الى ذلك في محله .

* * *

المطلب الثاني : البرازيل

أ - السلك القنصلي وتولاه اثنان وهما اللذان عثرت عليهما :

1 - اليكساندر كرامة وذلك الى حدود 1879 أو بعدها بقليل (I5) ، وكان قنصلا لبلجيكا ونائبا عن ألمانيا سنة 1883 خاصة .

2 - جون لاين الانجليزي من 1891 حتى مطلع القرن العشرين .

* * *

ب - المحميون القنصليون والاستثنائيون

ب 1 - من تقييد ابن زيدان (1880) :

12 . قائمة السماسرة والخلطاء من مديونة رقم 49/69 بمكتبة تطوان ، وفيها ان 7 و 8 كانا على التوالي معترضين على 10 وعلى 20 خيمة .

13 . قائمة أخرى رقمها بتطوان هو 41/69 وفيها ذكر السماسرة 7 - 8 - 9 - 10

14 . مبيع وهوج «الأروبيون» ص 26

15 . رسالة اليكساندر كرامة الى الطريس في 28 حجة 1296/13 دجنبر 1879 ، محفظة المغرب البرازيل .

I - 3 : الطيب بنيس الفاسي البيضاوي : كاتب قبل 1879
والجيلالي بن الطاهر الحريزي التلاوتي : عون والحاج المكي بن علي :
مستخدم .

4 . الحاج الطيب بن عبد السلام الزياتي : كان كاتباً ، ولم تذكر
وظيفته الا في لائحة سنة 1900 حيث أن «الحاج الطيب الزياتي كان كاتباً
وتضرر في يده» .

5 - 7 : روبين نحمياش وشالوم صنانيج وموشي ازولاي وكلهم
تجار محميون وقيل انهم تجنسوا .

8 . مسعود بن شطريس : كان ترجمانا .

ب 2 - من قائمة القنصل (I6) :

9 - 10 : دايد بن يحيى بن شطريس : ترجمان ومحمد بن احمد
ابن الحسين الهراوي : عون .

11 - 14 : اسحاق بن سباط وداييد نحمياش وشمعون افالو
وهارون ازولاي وكلهم تجار محميون .

ب 3 - من غير ذلك :

15 - محمد بن الجيلالي بن الطاهر التلاوتي الحريزي : عون
بالقنصلية (I7) .

ب 4 - من قائمتي سنة 1900 العامتين (I8)

16 . تاريخها هو 13 يناير 1887 ورقمها بتطوان هو 10/69 وفيها ذكر للمحميين

I - 2 - 3 - 9 - 10 وللسماسة : I - 2 - 3 - 4 - 5

17 . من الوثيقة 168/154 بمكتبة تطوان ، وفيها أنه كان متعرضاً على 10 خيام .

18 . رقمها هو 38/69 و 39/69 بمكتبة تطوان وورد فيهما اسماء المحميين : I - 2 -

3 - 4 - 5 - 6 - 7 - 8 - 10 - 14

I6 — I8 : محمد بن العيساوي المزابي : عون ويوسف بن شطريس
ترجمان وبوشعيب بن الحاج عبد العالي الحداوي المديوني : مستخدم ،
ولكنه في قائمة أخرى كان سمسارا لتاجر لم يرد بيان اسمه (I9) .

I9 — ابراهيم بن موسى السرفاطي نال الحماية قبل I87I ، وكان
تاجرا في تصدير الصوف (20) ، وكان له سمسارة وخطاء .

20 — موشى مراتشي (أو مراجي) : تاجر محمي وكان سنة I893
و I894 سمسارا للمحميين الايطاليين ابني الصائغ الطنجيين كما تقدم (في
رقم 28 هناك) .

2I — موشى بوطبول ولعله هو نفس التاجر المحمي البرتغالي
طبق ما سلف .

22 — 5I : يعقوب بينطو ، وموشى بينطو ، وعيوش قزيز ، وعمران
قزيز ، ومركوس قزيز ، وحاييم عبّادية ، ويوسف كويهن ، وعطية كويهن
ونسيم كويهن ، وشالوم الصباغ ، ويوسف بوزاتلو ، وشلومو مركيس ،
وموشى طوليدانو ، ويحيى السرفاطي ، والعزيز الليبي ، وموشى امزلاك ،
وشالوم الشريقي ، ومناحيم افالو البرازيلي ، وداييد ابن عليل ، والياس
الباز البرازيلي ، والحبيب المعلم ، وهارون ابن سوسان ، وشمعون ابن
هاروش ، والحبيب ابن يعيش ، وليبي ديكيطو ، والياس الترجمان ،
وانريكو مالتو ، ونسيم اخواكين برويلو ، وميغيل الرواس ، و ... احنيش :
وكلهم تجار كان لهم خطاء وسمسارة .

* * *

ت - السمسارة

السمسارة انما كانوا للمحميين والمجنسين ، اذ لم يرد للمستوطنين
ذكر .

I9 . من الوثيقة 49/69 بمكتبة تطوان وفيها أنه كان متقعدا على IO خيام من مديونة .

20 . محفظة المغرب البرازيل سنة I307 .

ت 1 - من لائحة 13 يناير 1887 مع تعليق السلطة المحلية عليها :

1 - الحاج محمد بن الحاج عبد العالي الحداوي المديوني : سمسار الترجمان دابيد بن يحيى بن شطريس ، و «الترجمان انما هو صبي صغير جدا ، فلا موجب لاتخاذ السمسار» .

2 - العربي بن الحاج صالح التلاوتي الحريزي : سمسار دابيد نجمياش الذي «ليس هو هنا ، ولا ندري له تجارة بهذه الديوانة بعد سؤال الأمناء ، وكتب لقنصوه بعدم القبول» .

3 - بوشعيب بن المجذوب المديوني : سمسار شمعون أفلاو الذي «ليست له تجارة بديوانة المرسى أصلا بعد سؤال الأمناء ، وقد كتب لقنصوه بعدم قبول ذلك» . وكان أيضا سمسارا لجون لاين الأنجليزي .

4 - محمد بن أحمد بن الهاشمي الزباني : سمسار اسحاق بن سباط .

5 - سعيد بن قاسم المزامري : سمسار هارون أزولاي .

ت 2 - من قائمة سمسرة مديونة (21) :

6 - 9 : بوعزة بن أحمد الهراوي ، وبوشعيب بن عبد القادر الضرباني ، وأحمد بن محمد بن عبيد السالمي العبادي والحاج ابن الحداوي الحملي وكلهم سمسرة جون لاين وكان الأخير سمسارا متقعدا على 10 خيام في الوثيقة الموالية ، ثم في قائمة 1900 كان سمسارا لاسحاق ابن الصائغ وصنانيس .

ت 3 - من قائمة الخلاء والسمسرة من مديونة (22) :

21 . رقمها بمكتبة تطوان 40/69 وقد ورد فيها اسم السمسار الثالث أيضا .

22 . رقمها 49/69 بتطوان وجاء فيها أن السمسرة من 10 الى 14 كانوا متقعين على عدد من الخيام 10 لكل واحد و 20 للحادي عشر

١٠ - ١٤ - محمد بن العربي الهراوي المحمدي المدعو حمو والحاج عبد الله بن الحاج محمد بن علال البوعمري وبنتور بن رجال الحمداوي وأحمد بن محمد بن الحسين الهراوي وبوشعيب بن الحاج عبد العالي الحداوي وكلهم سمسرة لم يرد بيان عن أصحابهم .

ت 4 : من قائمتي سنة 1900 العامتين (23) .

١٥ - ١٦ - الحاج الطيب بن محمد العشاب العلوي الحريزي وعمر بن محمد الجاثولي الحريزي : سمساران لروبين نحماش .

١٧ - حمو بن الحاج الحريزي العباري : سمسار موسى بينطو .

١٨ - المعطي بن الحاج الحريزي العباري : سمسار يحيى السرفاطي .

١٩ - ٢٠ - محمد بن أحمد الزيانبي ومحمد بن الحاج محمد بن العربي الرحالي الحريزي : سمساران لكويهن وابن السباط

٢١ - ٢٢ - أحمد بن الحاج أحمد بن عبد القادر الجلولي الحريزي وبوستة (أو بوسنة أو أبو الشتاء) بن محمد الفقري الحريزي : سمساران لسالومون مركيس .

٢٣ - ٢٤ : الحاج عبد القادر بن الحيمر العسيلي الحريزي وعبد السلام بن أحمد بن المعلم العباري الحريزي : سمساران لموشي مراشي .

٢٥ - بوشعيب بن العربي العمري الحريزي : سمسار البيروطو بوزاڭلو .

٢٦ - الحاج محمد بن عبد القادر الحبشي الحريزي : سمسار مناحيم أفلاو البرازيلي .

٢٧ - ٢٨ : بوشعيب بن علي الحريزي والحاج ابن العربي بن الطاهر العلوي الحريزي : سمساران لماركوس الصباغ .

٢٣ . رقمها 38/69 و 39/69 ، والوثيقة الأخيرة مبتورة من نهايتها ، وفيها أن السمسار العاشر كان سنة 1900 في خدمة شلومو الصباغ .

- 29 — العربي بن الحاج محمد الحداوي المديوني : سمسار الحبيب بن يعيش .
- 30 — عباس بن بوزيان المديوني : سمسار يحيى السرفاطي .
- 31 — محمد بن محمد الحداوي البوزيري المديوني : سمسار هارون أزولاي .
- 32 . بوعزة بن المعطي الهراوي الحمري المديوني : سمسار شلومو الصباغ .
- 33 — أحمد بن عبد الرحمان المناري المزايي : سمسار نسيم كويهن
- 34 — 35 : التاغى بن محمد السقطني المزايي والحاج بن محمد السقطني المزايي : سمساران لرويين بنجو .
- 36 — محمد بن الجيلالي الصباحي المزروعى المذكوري : سمسار يوسف كويهن .
- 37 — محمد بن الحاج صالح التداوي : سمسار بأولاد حريز للعزیز الليبي .
- 38 — بوزيان بن الجيلالي المعزي المذكوري : سمسار موشى بوطبول .
- 39 — الحاج الطيب بن الحاج محمد الكروصي المذكوري : سمسار يوسف كويهن .
- 40 — الجيلالي بن المعطي برطال القرى المذكوري : سمسار موشى أمزلاك .
- 41 — ابن اسماعيل العطوانى المذكوري : سمسار جون لابين .
- 42 — 43 : الحاج أحمد بن الجيلالي بن بوشعيب كدي المذكوري والحاج الجيلالي بن بوعزة العربي المزايي : سمساران ليوسف بن شطريس .
- 44 — ابن التهامي بن بوعزة ولد كداده العلياني الزياتي : سمسار يوسف كويهن .

45 - أحمد بن الهاشمي الحمداوي المديوني : سمسار لاسحاق ابن الصايخ .

46 - 47 : الميلودي بن يعقوب العلاوي الخلفي ومحمد بن علي الحمري اللوييري : سمساران ليعقوب ابن عطار الساكن بالرباط .

48 - أبو محمد بن التهامي العربي المزامزي : سمسار ابراهيم بن موسى السرفاطي ، وكانت السلطات قد اعترضت على تعيينه لأنه كان هو أو أبوه شيخا (24) .

49 - 56 : مسعود الصبعوني : سمسار دابيد ابن عليل ، واسحاق طوليدانو : سمسار يوسف بوزاڭلو ، واسحاق أزرزار : نائب الياس الباز البرازيلي ، ودابيد عبو : نائب يوسف كويهن ، ويعقوب مامان : نائب هارون بن سوسان ، والياهو بن هاروش : نائب شلومو مركيس ، وشلومو حصار نائب ليبي دكيطو ، واسحاق دابيلة : نائب العزيز الليبي .

57 - 58 : ابراهيم دابيلة ويعقوب بن شطريس : كان الأخير من قبل ' محميا للبرتغال ، وكانا معاً نائبين لموشي أمزلاك .

59 - 63 : ابراهيم القايم : نائب الياس الترجمان ، ويعقوب الزاڭوري : نائب الحبيب المعلم وابراهيم بن حمو : نائب شلومو سنانيص وشلومو بن هاروش : نائب شمعون بن هاروش ، وكان حوالي 1886 محميا اسبانيا ، ويعقوب الشريقي : نائب انريكو مالكو .

64 - محمد بن المكي المزامزي : كان يراد سنة 1893 جعله سمسارا لاميليو كولاصو ، فأخبر قائد المزامزة أن ذمته عامرة بالكلف والديون (25) .

* * *

24 . من وثائق محفظة المغرب البرازيل سنة 1307 ولا سيما رسالة القنصل البرازيلي الى العامل في 6 رجب 1307/26 يبرابر 1890 .

25 . رسالة الحاج المعطي بن الكبير في 15 ربيع الاول 1311/26 شتنبر 1893 ، محفظة المغرب البرتغال .

المطلب الثالث : بلجيكا

أ - السلك القنصلي

I - **شارل دومون** الفرنسي تولى تدبير الشؤون القنصلية سنة 1857 ، وكان حتى سنة 1870 لا يزال يقوم بذلك (26) ، واستمر في عمله حتى انتحر في أكتوبر 1879 ، ولعله هو الذي كان يعاب عليه الإفراط في ادخال المغاربة الى الحماية (27) .

2 - **بازيليو ثراسينو الايطالي** أسندت اليه سنة 1882 الشؤون القنصلية حسبما تقدم .

3 - **أليكساندر كراوة** كان من سنة 1879 الى سنة 1884 ممثلا لبلجيكا (28) ، وقبل ذلك ناب عن البرازيل وألمانيا حسبما سلف .

4 - **كنيبة** الفرنسي قام بذلك سنة 1889 أيضا (29) ، ولم يُعرف شيء عن تولى بعده .

ب - المحميون :

ب I - **من تقييد ابن زيدان (1880)**

I - 5 : **الحاج عبد الله بن محمد المسعودي** كاتب ، **وابراهيم بن دايد عطية** : ترجمان ، **وبوشعيب بن الجيلالي بن المنصور ولد الكبيرة** ، **والحاج ادريس ولد المغراوية** ، **ومحمد بن عبو** : وثلاثتهم كانوا مستخدمين سنة 1880 بالوكالة القنصلية (30) .

26 . رسالة ايبي دكان الى بركاش في 13 شتنبر 1870 ، محفظة بركاش

27 . رسالة السلطان الى بركاش في 7 جمادى الاولى 1296/29 أبريل 1879 في «الاتحاف» لابن زيدان ج 2 ص 386 و «الوثائق» : 4 ص 454 .

28 . رسالة كراوة الى بريشة في 1 ربيع الثاني 1302/28 يناير 1885 ، وكيين :

«ألمانيا . . .» ص 39 .

29 . رسالة انسباخ الى الطريس في 25 مارس 1889 ، محفظة المغرب بلجيكا .

30 . ورد الأربعة الأولون في القوائم البلجيكية العامة لسنة 1886 و 1887 و 1889 وكانوا محيين جميعا قبل سنة 1870 ، مثلما ورد ذكر المحمي السابع فيها كلها .

ب 2 - من وثائق أخرى

6 - 7 : علي بن عبد الرحمان السالمي ، واسحاق بن ذراعو : كان الأول منهما عونا في اللوائح الألمانية لسنة 1884 ، لأن ألمانيا كانت ترعى المصالح البلجيكية ، وكان الثاني مستخدما .

8 - موشى عمار : وهو تاجر محمي في قائمتي 1887 و 1889 .

ت - السماسرة

1 - 2 : الحاج الجيلالي ولد أحمد المعلم الحباري ، ومحمد بن التهامي الحباري وكانا سنة 1889 سمسارين لموشى عمار (31) ، وكلاهما من قبيلة أولاد حريز .
* * *

المطلب الرابع : السويد والنرويج

هاتان الدولتان المتحدتان لم يكن لهما تمثيل قنصلي بالدار البيضاء ، أما المحميون والسماسرة فتستخلص أسماؤهم من القائمة العامة (32) .

أ - المحميون :

1 - 3 - موشى دريهن : ترجمان والحاج بوشعيب بن حمان : كاتب ومحمد بن العيساوي : عون .

ب - السماسرة :

1 - 2 : حسن بن عبد الحميد المزامزي وأحمد بن موسى : سمساران لايميليو دال E. DAL الموظف بالقنصلية العامة بطنجة سنة 1898
3 - ولد الحاج أحمد بن فاطمة السعيد الشداتي : وكان سمسارا له سنة 1896 من أجل «تجارته الكبيرة» (33) .
* * *

31 . رسالة أنسباخ الى الطريس في 18 دجنبر 1889/24 ربيع الثاني 1307 ، محفظة المغرب بلجيكا .

32 . رقمها بمكتبة تطوان 35/69 وتاريخها هو فاتح مارس 1898

33 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 6 يبرابر 1896 ، محفظة المغرب السويد .

المطلب الخامس : اليونان

ليس لها ته الدولة اتفاقية مع المغرب في ميدان الحماية القنصلية فهي لم تستدع ولم تحضر مؤتمر مدريد ، ومع ذلك كان لها محميون قبل سنة 1876 حتى حوالي 1884 بالدار البيضاء خاصة ، وقد مثلها لفترة ما بين فيريوه ، أما في سنة 1876 فكان نائبها القنصلي يسكن بدار بنيت له حسب قاعدة 6 ٪ وكان سنة 1876 يؤدي كراءها (34) ، ولم يرد لاسم النائب ذكر في ذلك الوقت .

وكان يقوم بالنيابة عنها سنة 1884 أليكساندر سيريس الفرنسي (35) ، وكان هناك محميون وسماسرة أورد أسماءهم ابن زيدان في التقييد الخامس سنة 1880 .

أ - المحميون

I - 6 : محمد بن أحمد كاتب والحاج الشريف الحداوي والحاج الجيلالي بن الطيب : عونان ومحمد بن محمد وأحمد بن المكي الزرهوني مستخدمان ودايد بوكرعون ترجمان .

ب - السماسرة

I - 3 : الجيلالي بن عمرو الحريزي والحاج محمد بن الجيلالي وأحمد بن بوعزة : وكلهم سماسرة لا يدرى لمن كانوا يعملون ، فهل كانوا لألكسندر سيريس ؟

34 . رسالة موسى بن أحمد الى الطريس في 23 شوال 1293/11 نونبر 1876 محفوظة الطريس I .

35 . رسالة سرييس الى الحاج العربي بريشة في 12 جمادى الاولى 1301/10 مارس 1884 ، محفظة المغرب فرنسا ،

انتهى الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث

وأوله مدينة الجديدة

استدراكات وتصويبات (الجزء الأول)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
8	6	ثلاث	ثلاثة
9	9	الهداية	الهداية
13	23	أم يهوداً	أو يهوداً
16	11	10 شتنبر 1822/2	25 غشت 1844/25 شعبان
		شعبان	
17	10	(22)	(24)
47	5	المعتصرنين	المُعَصِّرَنِين
	14	وما يزال	ولا يزال
49	13	كظفيرة	كضفيرة
61	3 - 2	فمثلوهم ... فكانوا	فمثلوها تارة بوصفهم قناصل ، ومع تجارها فكانوا
64	21	10 ، رسالة	16 ، رسالة
67	22	12 شعبان	22 شعبان
70	7	متتأنجلزا	مُنَجَّلَزَا
72	10	سورود	سوردو
75	26	برولتي (*)	بروشيبي (*)
82	25	15 أبريل	20 أبريل
83	18	22 ماي	7 مارس
90	23	غـ (أ) بـ (وي)	غـ [أ] بـ [ون]
94	23	ص 135	ص 35

(*) وكذلك في هوامش الصفحات 81 و 88 و 128

على	عن	9	97
ذكرناه	ذكرنا	13	110
وايقاد الفتن	وايقاد نار الفتن	14	
1846 أكثر «أهل اليسار	1846 ... لبيت	14 - 13	129
من اليهود - لعنهم الله -			
السفر بأولادهم زاعمين			
التوجه لبيت			
يدلون العدو على	يدلون على	15	
ص 27	ص 19	22	138
مؤلفه	مؤلفة	27	139
سيكون	سكيون	17	147
[مدن]	مدن	9	196
زلاغيا	زلاغي	20	214
2.697.720	2.697.000	10	219
التجارة	التجار	4	222
المستوطنين	المستوردين	1	228
1073 2	10732	19	
حرفة لحرفة	حرفته لحرفة	12	234
الدارج	الدراج	20	243
جميع	جمع	27	244
عتبة الحياة المغربية»	عتبة المغرب الحديث»	22	272
هي الى الآن	هي الآن	9	277
الأول	الثاني	22	320
قنيطرة	قنيطرة	20	321
أن كادت تكون فرنسا	أن كانت فرنسا	12	325
الفلاحي	الفلاحي ، فاصبح	3	349
الله لك ذهاب	الله ذهاب	27	
المنغلة	المنغلة	4	357
اسبانيا ، والتعجيل بحسم	اسبانيا ... أخيرة	16 - 15	379
القضايا الشنائية من جهة			
أخيرة			
Piat : يباط	Vial ؟ : فياط	8	380
ولا بد لك من	ولا بد من	4	381

والذود	والذوذ	18	382
علي أن أفرد	علي أفرد	9	383
ووالله - ياسيدي - لو	ووالله لو	4	395
أعاد	أفاض	20	
بأجمعه	كله	6	396
لكريم علم سيدنا	لكريم سيدنا	19	
1877	1876	25	
ونتخوف	وتخوف	4	397
22 غشت	12 شتنبر	23	398
الثانية	الأولى	17	400
لك	له	8	402
الى السلطان في 19 جمادى	الى غريط	25	
الثانية 10/1307 يبرابر			
1890 أيضا ، محفظة			
الطريس 17			
26 يوليوز	26 غشت	20	403
«الاتحاف الوجيز» ص 42	«اتحاف الملا» و 32	20	407
تحقيق مصطفى بوشعراء			
30 أبريل	2 مارس	23	409
28 غشت 1889	17 غشت 1890	20	412
1888	1887	20	413
يبرابر	أبريل	16	414
طنجة 2	طنجة 24	22	
نونبر	دجنبر	18	415
المطلب الثالث : أنواع	3 . 3 : أنواع	14	420
jachères	Jachès	28	428

استدراكات وتصويبات (الجزء الثاني)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
439	5	I243	I253
	7	I840	I84I
440	I8	I8 ماي	28 ماي
	20	ص I82	ص 482
44I	5 - 6	وخاصة... بالأفراج	وخاصة مع قنصل فرنسا. فلما أقام الجيلالي الحد على سارق وعلى قاطع طريق طالبه القنصل الفرنسي بالأفراج
445	I3	المباشرة	الأسباب المباشرة
	2I	363	365
450	3	طرافراس	طرافرس
	I4	I887	I886
	22	يبراير	مارس
452	5	I887	I889
	I8	نستولي	تستولي
453	22	20 ماي	I8 يوليوز
458	22	22 يوليوز I890	3I غشت I889
464	7	I877	I887
468	6	العمارني	العمارتي
47I	2I	23 يوليوز	20 غشت
474	4	الحجة	الحجيج

في كتابه المشار له أن جملة أولئك الناس 60 هم مستخدمون	في كتابه ... مستخدمون	I7	
وهددنا في الكتاب المشار اليه بأننا ان لم نوجه اليه غدا تاريخ دولته	وهددنا ... تاريخ بلاده	19 – 20	
عن	على	I	475
لكبيرهما عَجْرَه وبُجْرَه	لكبيرها عَجْرَه' وبُجْرَه'	2	
الحمايات	الحماية	I2	
23 شعبان	28 شعبان	I6	476
26 مارس	30 مارس	I9	
فاتح يونيو	3 ماي	2I	
7 يونيو	9 ماي	I9	478
المنادية بالصهيونية	الصهيونية	2I	
ذكر بأنه عندي في الحماية	ذكر ... الحماية	6	480
وأنا – على حسب ما هو في الورقة – يكون من 30	وأنا ... 30	7	482
وحقق عنا ما أمكننا تحقيقه له ، كما أحلناه على الأمناء في تحقيقهم له ما يمكنهم فيما شاع عنه	وحقق ... عنه	8	
جانبنا بأنني	جانبني أني	8 – 7	483
وباعلام	واعلام	I7	
5 ماي	23 أبريل	8	484
يونيو	يوليو	I9	
الكلفة	كلفة	22 و 24	
القيسي [الذي] باع	القيسي الذي باع	II	487
		I	488

الكواغيد الذي	الكواغد التي	2	
والآن حين رأيت المخزن	والآن ... الطرف	5	
غض الطرف			
واذا لم تقدم لي دعوتي	واذا ... نحتاج	8	
ونقبض متاعي عن آخره			
نحتاج			
خدامين ما كنت شافهتنا	خدامين ... السرقة	18 - 19	
به من أن هذه السرقة			
أكتوبر 1882	نونبر 1881	23	
وطلبه منك العامل	وطلب ... مع	2 - 3	489
واسترعى : تدفعه ؟ لا ،			
ويجعل بالسجن مع			
ولذك المذكور عن هذا	ولذك ... له	5 - 6	
القيسي ، فأخبرنا أن			
خليفتكم بالعرائش كان			
كتب له			
منك الآن أن	منك أن	11	
عندك أولاً يلجئنا لهذا	عندك ... السؤال	12 - 13	
السؤال			
وأما ما ذكرته من أنك	وأما ... تعرفني	14	
تعرفني			
فعليه	وعليه	17	
الشهادة من العدول يضع	الشهادة يضع	19	
كوزير الأمور البرانية	كوزير ... المركان	1	490
لحضرة السلطان مع نائب			
دولة المركان			
المكتوب الأعجمي مخالفة	المكتوب ... التي	5 - 6	
للأصول الجارية هنا التي			
ووقت كان جوازنا	ووقت جوازنا	14	

وصل	وصلنا	18	491
أشهد بها على	أشهدتها على	16	492
29 ماي	24 ماي	21	
الشرع مع ولد ، عليه ديون شرعية ، وأما أن تخرجوه من الحماية	الشرع ... الحماية	14	493
2 . «حيث كنت أخبرتنا بهذه القضية في الماضي كتبنا للمدعي	2 ... للمدعي	16	
به ... لم نجده ، ويظهر لنا أنه خَفَى نفسه من الحكم ... وعليه فالمطلوب من سيادتك أن تأمر متولين الحكومة بالبحث عنه وإخراجه أين ما كان ... و ... توجه لنا كتاب لعامل فاس بالقبض عليه ان حل بفاس	به ... بفاس	18 - 20	
المؤرخ 17 من الجاري ذكرت فيه أن عبد السلام الحلو كتب لك طالبا إسقاطه من لِسْطَة حمايتنا الخ ، اعلم بأننا لا حاجة في ذلك ، لاكن جميع الدعاوي الواقعة عليه لكونه في الحماية	المؤرخ ... حاجة	5 - 6	494
بأن الرجل ان كان عندنا نمكنك منه : لم نفهم لذلك معنى	في ذلك ... الحماية	8	
	بأن ... معنى	17 - 18	

الرجل	هذا الرجل	19	
من	عن	21	
17	13	22	
النظر ، لأنني لا قدرة	النظر ... أحداثه	2	495
لي على منعك من أحداثه			
نعم الدعاوي المبدوعة عليه	نعم ... قعدة	11 - 10	
قَبْلُ الى تاريخ عزل			
نفسه وهو يوم 12 قعدة			
كتابك بأنه	كتابك أنه	15	
كله أن نبين لك أنه	كله ... أنه	19	
حضوره لديك تعلمنا	حضوره ' تعلمنا	8	496
لكن	ولكن	20	
كتابين	كتابكم	8	497
حقية	حقيقة	16	
3 ربيع الثاني 1304/9	9 حجة 1303/8	23	
يناير 1886	شتنبر 1886		
كان عن يد القنصل	كان ... بضع	6 - 5	498
الأمريكان السابق ها هنا			
من بضع			
عندي	عند	2	500
ودفعت	فدفعت	3	
الجنوس	جنوس	19	
9 يناير 1893	10 دجنبر 1892	21	504
27 شوال	17 شوال	20	506
ربيع الثاني	ربيع الأول	21	511
وتقيم مدة اiban	وتقيم اiban	20	520
لكونك	لأنك	3	521
الأجانب وخصوصاً الذين	الأجانب الذين	5	523
منهما	منها	8	

عهده	ههده	4	526
I309	I306	I9	
II يونيو 15/I892 قعدة	II يوليو 22/I309	21 — 22	
I309			527
التسلسل	التسلسل	I8	
24 يوليو	26 يونيو	23	534
يقبلها منه المخزن	يقبلها المخزن	I5	539
للمراسي	للمراسي	I5	540
ان	اذا	I5	541
وقد تقدم	وتقدم	I	542
سَلَّم	سَلَّم	I (ع 2)	544
والزوائد عليه المضروب	والزوائد المضروب	I9 (ع I)	547
أمره متى شاء	أمره	I5 (ع 2)	548
لهم	له	8 (ع 2)	550
فلورينتينو	فلورينتينو	9	552
يونيو 1894	يوليو 1893	21	555
كمرتبة	كمرتبة	2	557
الأمر	الأمور	6	
واشارته	واستشارته	8	
ص 34	ص 134	24	
فللرعية الأجنبية أن	فللرعية أن	I4	558
I889	I886	I5	562
جثتهم	جثتهم	2	563
أفواجا أفواجا لشفر	أفواجا لشفر	4	
I889	I888	21	
26 شوال 24/I309 ماي	26 صفر ... محفظة	25	567
I892 ، محفظة			
المحلة السعيدة في	المحلة في	I6	568
فيه	معه	I8	
الأمر في ذلك الى	الأمر الى	I	569
في شيء من زمرة	في زمرة	9	570
الثانية	الأولى	I9	573
كاميليو	كاميلو	I	575

سردينيا	سيردينيا	10	578
سلفه	خلفه	15	
القعدة 16/1283 مارس	القعدة ... 1867	23	
1867			
شيء	شي	18	580
ص 186 هـ 70	ص 70	19	581
يكون من مرسى الجديدة	يكون بمرسى	9	584
(23)	طنجة (23)		
الواقع فيها في	الواقع في	18	
التجارة	التجار	12	591
ربيع الثاني 27/1306	ربيع الأول 1888...	23	599
دجنبر 1888			
على	عن	16	606
I نونبر	II نونبر	21	611
نونبر	أكتوبر	20	622
Gautsch	Gautch	16	624
نونبر	أكتوبر	23	
يناير	يونيو	17	625
أبريل	ماي	22	630
بلجيكا بلندن وعين	بلجيكا وعين	14	640
مندمجتين	مندمجتين	3	644
1884	1882	I و 18	646
الحاج عبد الرحمان الهراس	أحمد الهراس	10	
1864	1865	21	652
24 ماي	8 ماي	18	655
15 مارس	4 أبريل	19	656
1867	1886	I	661
22 يبرابر 1867	13 أكتوبر 1866	18	
22 ربيع الثاني	24 جمادى الأولى	21	678
العامة	العابة	7	683
وعمر	ومحمد	20	687
دارا صغيرة خربة	دارا خربة	14	689
في I جمادى	في جمادى	24	694

(87) . وقد	(87) ... وقد	10 — 9	697
الموالي	السابق	12	698
في ذلك كله سهل	في ذلك سهل	11	701
بين	من	16	
بأنهم	أنهم	1	702
معها	معهما	7	
شبهة ولاية من	شبهة من	8	
عاملهم كثيرا	كثيرا	13	
«من سفيان على القبيلة	من القبيلة	3	704
التهب	التهاب	4	
يبقيان عندك هناك	يبقيان هناك	10	705
ولا	ولن	14	
في 16 ربيع	في ربيع	20	
وبقائه في الرفعة فارغ	وبقائه فارغ	14	706
ص 226	ص 236	19	707
صار	وصار	12	711
اثنين	أمينين	11	712
ألف ريال ، والباقي	ألفا . والباقي	15	713
مصمودة ، ويحضرها على	مصمودة على	19	
يخوض معه في	يخوض في	21	
لما كانوا	الى ما كانوا	17	714
وغيرهم طيه	وغيرهم	18	
اثنين	أمينين	1	715
ثقتين	تقيين	2	
من تقديمك الاعلام بهاذه	من تقديم ... قبل	4	
القضية للحضرة المولوية			
قبل			
ج 4	ج 1	19	718
7 قعدة	17 قعدة	21	722
عليك	عليه	11	726
بعد تحققنا	بعد أن تحققنا	3	731
عنك	عليك	15	732
نعلم	تعلم	4	733

والكلام	وللكلام	3	737
في رجب 1220 / شتنبر -	سنة 1801 / 1221	12	742
أكتوبر 1806			
هؤلاء الضعفاء من	هؤلاء من	5	745
يهود الايالة	يهود هاته الايالة	8	
(2)	(80)	5	759
رسالة محمد السويسي الى	رسالة ... في 5	21	776
الطريس في 5			
19 يونيو	6 يونيو	19	781
6 يونيو	19 يونيو	21	
على أمر المخزن	على المخزن	15	790
واسطة خير حتى	واسطة حتى	19	791
واعترف بالعدول بأن	واعترف بأن	4	792
ثلاثة عشر رأسا ، فيها	ثلاثة عشر... عشرين	5	
اناث والباقي ذكور			
اشتراها من خمسة عشر			
ريالا الى عشرين			
له	لك	8	
جل	كل	12	
جاءت	حالت	14	837
1889	1890	25	840
من	على	9	866
تعويض	استبدال	4	869
تمثيله	تمثيله	10	870
يحيى بن الصائغ	يحيى الصائغ	12	892
» » »	« »	16	897
1880	1888	9	906
1887	1877	10	
وردت	ورد	14	909

737 - 800	TITRE VI : Les villes de Rabat et Salé
737 - 758	Chapitre 1 : Autorités, population, appendices (familles de Rabat, tableaux des protégés et censeux)
759 - 762	Chapitre 2 : Allemagne, protégés et ressortissants.
763 - 768	Chapitre 3 : U. S. A. « « «
769 - 774	Chapitre 4 : Angleterre, « « «
775 - 778	Chapitre 5 : Espagne « « «
779 - 784	Chapitre 6 : Italie, « « «
785 - 796	Chapitre 7 : France, « « «
797 - 800	Chapitre 8 : Les autres pays « « «

* * *

801 - 943	TITRE VII : Casablanca
803 - 824	Chapitre 1 : Autorités, population, tableaux des protégés et censeux.
825 - 836	Chapitre 2 : Allemagne : protégés et ressortissants.
837 - 858	Chapitre 3 : U. S. A. : « »
859 - 874	Chapitre 4 : Angleterre, Hollande, Empire Austro - Hongrois : protégés et ressortissants.
875 - 890	Chapitre 5 : Espagne : protégés et ressortissants.
891 - 904	Chapitre 6 : Italie : « « «
905 - 930	Chapitre 7 France : « « «
931 - 943	Chapitre 8 : Protégés et ressortissants du Portugal, de la Belgique, du Brésil, des Pays Scandinaves et de la Grèce.
945 -	Errata.

- 605 - 632 Chapitre 8 : La France
C. D. 605 - Personnel consulaire 612 - Protégés et
ressortissants 618 - appendice sur H. Benchimol 629.
- 633 - 648 Chapitre 9 : Les autres pays
Le Portugal 633 - Le Brésil 638 - La Belgique 639 -
Les pays scandinaves 643 - La Hollande 646.

* * *

- 649 - 736 TITRE V : Les autres villes du Nord-Ouest
- 651 - 668 Chapitre 1 : Tétouan
Autorités, population, tableaux des protégés et
censaux.
Corps consulaire, protégés et censaux des U. S. A.,
Angleterre, Espagne, Italie, Portugal, Belgique,
Empire Austro - Hongrois et France.
- 669 - 672 Chapitre 2 : Asilah (ex. Arzila)
Autorités, Corps consulaire, protégés.
- 673 - 698 Chapitre 3 : El Araïch (ex. Larache)
Autorités, population, tableaux des protégés et
censaux.
Corps consulaire, protégés et ressortissants de l'Alle-
magne, U.S.A., Angleterre, Empire Austro-Hongrois,
Hollande, Danemark, Espagne, Italie, Portugal,
Belgique, France et Suède - Norvège.
- 699 - 736 Chapitre 4 : El Qaqr El Kébir (ex. Al Kazar)
Autorités de la ville et des environs, population,
tableaux des protégés et censaux.
Corps consulaire, protégés et ressortissants de
l'Allemagne, U.S.A., Angleterre, Empire Austro -
Hongrois, Hollande, Espagne, Italie, France et
Portugal.

* * *

TABLE DES MATIERES

Pages	
435	Avant - Propos * * *
437 - 647	TITRE IV : Tanger
437 - 446	Chapitre 1er : autorités locales, populations, tableaux des protégés et censeux.
447 - 461	Chapitre 2 : l'Allemagne corps diplomatique 447 - Relations germano-marocaines 451 - Personnel de la légation 454 - Protégés et ressortissants 456.
463 - 500	Chapitre 3 : U.S.A. C.D. 463 - Protégés et ressortissants 465 - les consuls généraux 472 (J. Mac Math - W. R. Lewis - F. A. Mathews) - 2 appendices : Cas El Qaïssi 487 - Cas Lahlou 493.
501 - 550	Chapitre 4 : La Grande - Bretagne C. D. 501 - Personnel consulaire 503 - Protégés et ressortissants 505 - les ambassadeurs 513 (M.H.D. Hay - W. K. Green - Ch. E. - Smith) - appendices sur les négociations commerciales anglo-marocaines 537.
551 - 576	Chapitre 5 : L'Espagne C. D. 551 - Relations hispano-marocaines 557 - Protégés et ressortissants 571.
577 - 592	Chapitre 6 : L'Italie C. D. 577 - Personnel consulaire 578 - Protégés et ressortissants 580 - Scovasso et Cantagelli 586.
593 - 604	Chapitre 7 : L'Empire Austro-Hongrois C. D. 594 - Le Dr. Schmiedl 595 - Protégés et ressortissants 598.

AVANT - PROPOS

Dans ce second tome (ou 2eme livre) nous nous proposons d'entamer une étude plus ou moins exhaustive des motivations de la protection consuetudinaire consécutive à l'installation des étrangers au Maroc à la fin du XIX siècle.

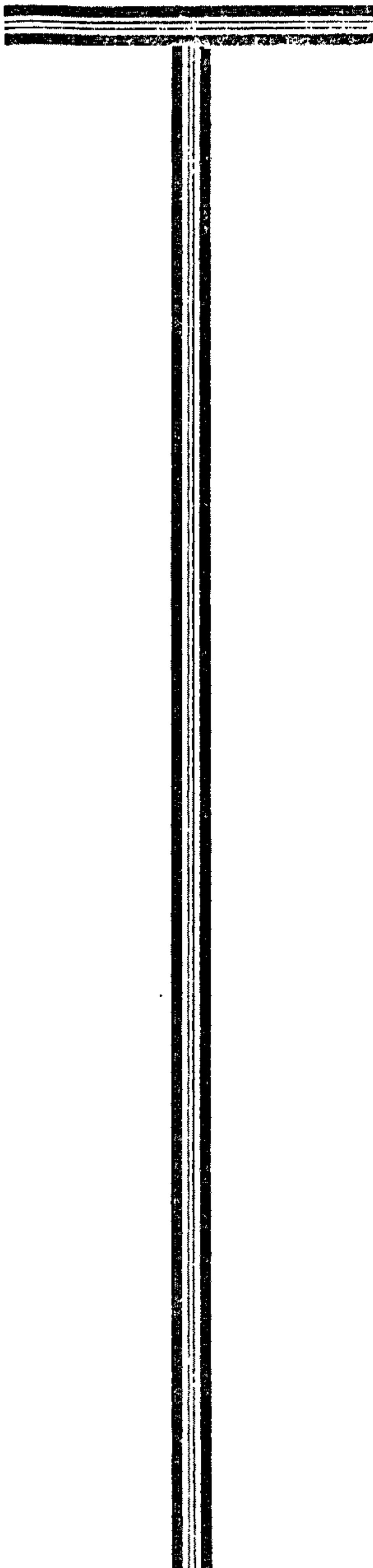
Aussi l'occasion nous sera-t-elle offerte de procéder à une réhabilitation de notre patrimoine culturel par une nouvelle lecture de documents inédits qui seront ici moins analysés que présentés. De ce fait, la correspondance makhzanienne occupe dans cet essai sa place de prédilection.

Il est évident que, malgré une terminologie rarement obsolète nécessitant un certain effort pour son intelligence, le texte marocain jouit, en principe, d'un préjugé favorable. Et, jusqu'à preuve du contraire, on ne peut que lui conférer une authenticité, soit absolue en matière scripturaire (c'est-à-dire en tant que vestige ou matériaux destinés à la reconstruction de faits historiques) soit relative en ce qui concerne son style narratif. Car on ne saurait, s'agissant de relations et de cas litigieux entre le Maroc et des pays étrangers, sous-estimer la version du partenaire, lequel peut, en l'occurrence, avoir un point de vue — sinon diamétralement opposé, du moins — nuancé.

C'est par de petites monographies locales que nous allons aborder le sujet pour lequel nous commencerons un périple qui nous mènera de Tanger à Casablanca où protecteurs et protégés abondent, en passant par les autres villes du Maroc septentrional.

Nous marquerons, cependant, des haltes pour savourer, comme le dit G. Duby, "ce bonheur très concret de palper ce qui reste de la poussière des siècles".

Mustapha BOUCHARA



IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome 2

I. Les Villes du Nord

Imprimerie Royale — RABAT
1987



IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome 2

I. Les Villes du Nord

Imprimerie Royale — RABAT

1987

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية

بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الثالث

2. باقي المدن

1408 - 1988

مطبعة المعارف الجديدة
701.06.09.15.34 - الرباط



مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية

بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الثالث

2 - باقي المدن

1408 - 1988

مطبعة المعارف الجديدة
707.08.09.13.36 الرباط



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان المؤلف

8، زنقة المدارس

سلا

(المغرب)



رقم الإيداع القانوني

1984 / 507

—

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

© 1988

فهرس المواد

الباب الثامن آزمون والجديدة 1021- 969

- الفصل الأول : الولاية والسكان وجدول المحمين والسماسة 979- 969
- الفصل الثاني : ألمانيا 982- 980
- الفصل الثالث : الولايات المتحدة 987- 983
- الفصل الرابع : إنجلترا 996- 988
- الفصل الخامس : إسبانيا 1005- 997
- الفصل السادس : إيطاليا 1008-1006
- الفصل السابع : البرتغال 1011-1009
- الفصل الثامن : فرنسا 1014-1012
- الفصل التاسع : باقي الدول 1014-1015

الباب التاسع آسفي 1058-1023

- الفصل الأول : الولاية والسكان وجدول المحمين والسماسة 1029-1023
- الفصل الثاني : الولايات المتحدة 1032-1030
- الفصل الثالث : إنجلترا 1038-1033
- الفصل الرابع : إسبانيا 1042-1039
- الفصل الخامس : إيطاليا 1044-1043
- الفصل السادس : فرنسا 1052-1045
- الفصل السابع : باقي الدول 1058-1053

الباب العاشر الصورة 1118-1059

- الفصل الأول : الولاية والسكان وجدول المحمين والسماسة 1072-1059
- الفصل الثاني : ألمانيا 1075- 1073
- الفصل الثالث : الولايات المتحدة 1077-1076
- الفصل الرابع : إنجلترا 1097- 1078

1101	1098	الفصل الخامس : إسبانيا
1103	1102	الفصل السادس : إيطاليا
1105	1104	الفصل السابع : البرازيل
1115	1106	الفصل الثامن : فرنسا
1118	1116	الفصل التاسع : باقي الدول

الباب الحادي عشر مراكش

1126	1119	الفصل الأول : الولاية والسكان وجدول المحميين والسماسة
1134	1127	الفصل الثاني : إنجلترا
1137	1135	الفصل الثالث : فرنسا
1142	1138	الفصل الرابع : باقي الدول

الباب الثاني عشر فاس

1150	1143	الفصل الأول : الولاية والسكان وجدول المحميين والسماسة
1154	1151	الفصل الثاني : الولايات المتحدة
1161	1155	الفصل الثالث : إنجلترا
1172	1162	الفصل الرابع : إسبانيا
1181	1173	الفصل الخامس : فرنسا
1184	1182	الفصل السادس : باقي الدول

الباب الثالث عشر باقي المدن وملاحق ختامية

1191	1186	الفصل الأول : مكناس — الولاية والسكان وجدول المحميين والسماسة
1202	1192	الفصل الثاني : النواحي الباقية
1210	1203	الفصل الثالث : جداول تلخيصية
1218	1211	الفصل الرابع : نصوص تاريخية
1217	1211	أ. معاهدة مدريد
1218	1217	ب. رسالة سلطانية

1304	1219	فهرس الأعلام
1315	1305	المصادر والمراجع

باسم الله الرحمن الرحيم

سنستوفي بهذا الجزء الثالث ما تيسر من الكلام عن جذور الحماية والاستيطان : تطورا وملابسة وتصنيفا وتطبيقا في الزمان والمكان. وهذا الموضوع البكر والمبتكر سنكون جميعا قد رصدنا — من دهاليز الوثائق الرسمية ومن عجمة المكاتيب والتقارير القنصلية — ظاهرة استأثرت باهتمام المخزن، لما فيها من تطاول على السيادة الوطنية ومن جسارة على الحكام ومن مس بنظرية الذمة الإسلامية للذمي والمُعاهد، واسترعت إليها أنظار السلك الدبلوماسي والقوات الضاغطة لما فيها من تعسفات وتطاولات مقصودة ومدبرة. فقد كانت الحماية سفسطة سياسية ومغالطة دبلوماسية وأداة اقتصادية. ويتعامل — اعتقده صارماً — مع النص، سعت هاته المساهمة إلى تسليط الممكن من الأضواء على هذا الحدث السياسي والاجتماعي بما قدمته من صميم التراث من أمثلة بليغة، وما راقبته من أنماط متحركة، وما سجلته من نوازل شائكة، وما دونته من عناصر إيجابية ومن جوانب مكملة هي كلها — بلا شك — ضالة منشودة للمتأملين في مصير الإنسان وفي محيطه، وحلقة مفقودة للباحثين في القانون الوضعي والشرعي وفي شتى مجالات العلوم الاجتماعية والاقتصادية.

فللكشف عن أحوال العشرات من المستوطنين وسلوك أزيد من ألفي محمي وسمسار، لزم التحلي بالصبر الجميل لتصفح العشرات من المراجع المطبوعة بغية استيعابها أو تعريبها، وإرهاق الفكر للاطلاع على الآلاف من الوثائق المخطوطة لقراءتها وتمحيصها واستبطانها وتبويبها استعداداً لتحريها والاستشهاد بها جزئياً أو كلياً. والقصد بذلك كله هو الإلمام بالكثير مما لا نزال نجهله والوقوف وجهاً لوجه أمام الواقع الذي لا نخشاه، وأمام ما همشه الأقدمون الذين تحاشوا الكلام عن اليهود والنصارى وعوام الناس، وآثروا عليه ما يدل على تناقض في الوجدان أو على سطحيات لتخليد «المجد» : إذ أن الأحداث لما اتصلت بالإنسان — مغرباً كان أو أجنبياً — لزم نبذ كل عنصرية ثقافية، وحيث أنها اكتنفت وجوده لم يكن بد من تعقب مؤثراتها هي وتتبع حركاته هو.

ولما كان العبء ثقيلاً وجب الاقتصار على المظهر الوصفي والعدول عن الجانب التأويلي، لأن تقديم المادة الخام أولى الآن من كل تنظير وتقويم وتقييم.

وبديهي أن عملاً من هذا القبيل ليس تاماً لأنه يندرج فقط في الإطار المحدد له. ولو خرج عنه لاستلزم سنوات أخرى من الاعتكاف والتفرغ والاستقصاء والاستقراء. وظاهر أن هذا البحث — مثله مثل سائر الأبحاث العلمية — متسم بالصرامة التي تدعو إلى الرتبة الجالبة للسمامة، لكن ما الحيلة ؟

ثم ما حيلتي أيضاً في تواتر التنقيحات الواردة في تصنيف ثلاثي الأطراف يتركب من نحو 1320 صفحة؟ فما يكون لها إلا أن تكون إجابة للموضوع وقتلاً منشوداً لجوانبه، بل قل : هي استدراك معرفي لا يسع المرء إلا مباركته، لا مجرد إصلاح أغلاط مطبعية هيئة عند التأمل. وما ذلك إلا لأن عناصر التأليف ليست سهلة المنال ولا رهن الإشارة، وإنما هي عزيزة في الخزانات النبيلة، بقدر ما هي ذليلة في المكتبات البخيلة. وعند الله وحده مثوبة السنوات الثمان العجاف منها والسमान التي صرفتها في مُثاقنة النص مُثاقنة التلميذ لشيخه، وأجر الأوقات الطويلة التي أنفقتها في تثقيف ذكّرني — مع الفارق — بما روي من تثقيف زهير لقصائده. وبالطبع استلزم هذا الجهد عناء آخر في تصويب أفضى إلى تسويد جديد أسلم بدوره إلى ما وجدناه من إقحام أو من تشطيب، في ميدان غميس مصدّر. حليل أثره.

وعلى كل حال ستكون هاته الأنطولوجيات الصغيرة بارزة في ستة أبواب عن باقي المدن ومنقسمة إلى فصول أولى عن رجال السلطة المحلية وتركيبية السكان ونبذة عن العمران، وفصول أخرى عن السلك القنصلي والحماة والمحامين. وهكذا حليت التأليف بما يقدم للراغبين من كشوفات مفيدة، ويفتح للباحثين من آفاق جديدة، فأدرجت في ختامه جرداً وفهرساً كاملين للأجزاء الثلاثة. فالجرد تناول البيبليوغرافيا التي تنطبق على المصادر والمراجع والمستندات المحال عليها في الهوامش. وقد حرصت أيّما حرص على إثباتها فيه، حتى ولو كانت ثانوية أو ناقلة، بحكم أنها كانت أول ما اطلعت عليه في بابه قبل أن أعثر على بعضه في موطنه. أما الفهرس فهو خاص بجميع الأعلام البشرية الواردة في الكتاب. وقد سعيت إلى كتابة أسماء الأجانب بحروف لغاتهم توخياً للوضوح، وإلى ضبط رسم الأعلام في الفهرس، فيستحسن الرجوع إليه عند الضرورة.

فعسى أن يكون هذا الكتاب برمته جواباً شافياً لبعض ما يدور في الخلد، وعسى أن يكون في هاته البادرة إغناء لخزائنا العربية وترسيخ لهويتنا الوطنية.

12 شوال 1407

سلا، في

9 يونيو 1987

استدراك وتصويب¹

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
154	3	12	112
204	13	الخدام ... مربع	الخدام : 10 آرات أو 1000 متر مربع
277	22 21	السللاوي ...	السللاوي «الإتعا ف الوجيز»، تحقيق مصطفى بوشعراء ص 40 41.
283	12	ديكّان	ديزكنس
288	21	ليفينجستون	ليفينجستون Livingstone
352	10	لامب	ليه Lamb
442	18 16	في ذلك (18) ...	في ذلك (18)، وكان أخوه عبد العزيز نائبه في الباشوية
458	11	Coblant	Coblentz
485	5	بييسي	بيلسي
564	11	Atenza .	Atienza
585	8	أنجليو	أنجيلو
653	18	57	56
636	13	عبد الوهاب ... مستخدم	عبد الوهاب بن سلام بن عيسى الكوجر ؟ مستخدم
664	3	12 — 3 — 9	11 — 3 — 8
656	2	8 — 5	7 — 5
798	1	سباط .. وكلهم	سباط .. وكلهم
828	18 17	شاول	شومو
842	7	بالرباط ... 1902.	بالرباط.
		الحريزي	المزامزي

1 . تنظر أيضا الصفحة 425 والصفحة 945 وما بعدها وكذلك فهرس الأعلام بعد ان حقق.

وكان كاتباً، والحاج ابن اسماعيل بن الحسين الحريري وكان عوناً (13)	وكان ... (13)	13 12	861
صابر الكريزي	صالح القريري	6	868
أرطورو بيتو A. Pitto	أنطوني بيتر	12	873
التهامي العربي	الفاطمي الغريني	17	884
رفائل سينطيس R. Sintès	سانطو Santo	10	885
الجدوي	الجدوي	6	899
المزامزي	المزابي	23	939
حسين	حسن	17	942
كاميلو	كاميليو	33	953

استدراك حول كتابة بعض الأسر الرباطية

أفادني صديقي الأستاذ محمد بن عزوز حكيم بمراجعة لكتابة بعض الأعلام الرباطيين
الأندلسيين أصلاً. وعليه فإن الفقرة الأخيرة من هامشة ص 758 تلغى بتمامها وتعوض بما يلي :

• من حيث الكتابة بالأحرف اللاتينية : يجوز أن تكتب هذه الأسماء كما يلي :

18 Parra. 19 Prado. 20 Barbecho. 21 Vargas. 32 Palomino. 35 Palacios. 41
Becerra. 44 Baena. 45 Perez. 46 Pedro. 62 Bono / Bueno. 104 Montoya. 165
Chamorro. 171 Chaparro. 177 Jorio / Jorro. 216 Duque. 218 Denia / Deña.
226 Diaz / Diez. 230 Rodriguez. 231 Ronda. 238 Roan / Ruano. 264 Tole-
dano. 267 Carrasco. 269 Crespo. 271 Caletto. 272 Camara. 276 Olivarez /
Livarez. 279 Lazaro. 280 Luque. 281 Ramiro / Ramero. 290 Marcelo. 298
Molin / Molina. 309 Moreno. 310 Morato. 315 Mira / Moras. 324 Ceron. 363
Farchado. 365 Flores. 379 Carrion. 380 Correa. 382 Camarada. 388 Zapata.
407 Siso. 415 Escalante. 418 Santiago.

الباب الثامن

أزمور والجديدة

1 : الولاة والسكان والعمران

كانت المدينتان موحدين إدارياً في بعض الفترات، لكن ما لبثت كل واحدة منهما أن انفصلت عن الأخرى. وسأعرض لكل حاضرة على حدة.

أ : الولاة

أ 1 : أزمور

1. كان الحاج موسى (الذي لم أقف على نسبه) عاملاً على المدينتين أو أميناً بمرسى الجديدة.

2. صار أحمد بن الطاهر السملالي الأزموري قائدا عليهما معاً، ودامت ولايته من نحو 1856 إلى حوالي 1862.

3. أحمد بن المؤذن الفرّجي قتل سنة 1873 لما كان خليفة لعامل مراکش أحمد بوستة بعد حدوث فتنة بأزمور¹. وطبعاً كان قبل ذلك مضطرباً بشؤون المدينة.
4. وبعد ذلك بقليل صار أحمد بن عمر بوستة عاملاً على مدينة أزمور منتقلاً إليها من ولاية مراکش².
5. على أن أبا الشتاء بن البغدادي الجامعي ولي على أزمور وهو في طور الشباب³. وكان سنة 1880 هو قائد هاته الحاضرة⁴.
6. بوشعيب بن المعطي الأزموري عين سنة 1889 عاملاً⁵. ولم أقف على أسماء من اضطربوا بعده بشؤون المدينة.

أ 2 : الجديدة

1. الحاج موسى كان أول أمره أميناً بالجديدة ثم صار عاملاً. وكانت وفاته بها قبل سنة 1864⁶.
2. كاتبه أحمد بن الطاهر السملالي حل محله في حدود 1856 واستمر في الحكم مدة طويلة⁷ حتى 1862 وهي السنة التي نقل فيها عاملاً على مراکش حيث توفي بعد أربع سنوات⁸.
3. محمد ابن بومهدي البوعزيزي الغنايمي الدكالي كان أولاً قائداً على قبيلتي أولاد بوعزيز وأولاد عمران⁹ ثم صار سنة 1862 أول وال على الجديدة بعد انفصالها عن أزمور. وقد وصل إليها

1. أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9، ص 129.
2. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 2، ص 419.
3. عبد الوهاب بن منصور، «أعلام ...» ج 2، ص 193.
4. رسالة أبي الشتاء إلى برّكاش في 14 ربيع الثاني 1297 / 25 مارس 1880، محفوظة برّكاش.
5. رسالتنا السلطان إليه في 20 رجب 1306 و 10 رجب 1307 / 22 مارس 1889 و 2 مارس 1890، محافظ الترتيب العام.
6. رسالة مونطانارو إلى العربي بن اختار التي قد أشرت بالدار البيضاء إلى مضمونها في ص 891 ثم رسالة برّكاش إلى السلطان في 20 صفر 1281 / 25 يوليوز 1864، محفوظة برّكاش، وحساب استفاد بالجديدة في شعبان 1281 / يناير 1865، محفوظة الجديدة 1 حيث ورد أن أولاده اليتامى كان ينفق عليهم من وفرتها، وكذلك ابن زيدان في «الإتحاف» ج 5 ص 45 ومحمد داود في «تاريخ تطوان» ج 8 ص 399.
7. رسالة محمد الخطيب إلى السلطان في 22 ربيع الثاني 1277 / 7 نونبر 1860، في «الوثائق» ج 4 ص 214.
8. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 2، ص 416.
9. رسالة برّكاش إلى ابن بومهدي في 9 رجب 1282 / 28 نونبر 1865، محفوظة برّكاش.

في 7 نونبر. وكان برادة أمين المرسي خليفة له، ويغيب علي الفضل أنه هو عبد الحفيظ بن علي نذري كان حتى سنة 1873 أمينا بمرساها¹⁰.

وقد استمرت ولاية ابن بومهدي إلى ما قبل 1867¹¹ لأنه اعتقل هو وأخوه العربي ومبارك وولده أحمد سنة 1868 وسجن بفاس لعدم امتثاله¹².

وصدرت بالعامل شكايات من السلك القنصلي، واشتهر بمخالفة أوامر السلطان : ففي سنة 1864 عيب عليه اتخاذ شركاء من التجار مثل الإنجليزي كرئيس المقيم بالصويرة¹³.

ولما كان ابن بومهدي عاملا على المدينة أواسط سنة 1862 أخبر التاجر الإنجليزي كافر السلطات المخزنية بأن هذا القائد كان يبيع للتجار الأجانب حبوب الزكوات والأعشار قبل إبانها. وكان جواب السلطان على هاته المخالفة الصادرة بمنع مثل هاته التجارة أن أمر الأمناء بخيازتها وبيعها لما يشاءون عقابا لابن بومهدي كما سيأتي.

4. ويبدو أن المدينة كانت بدون عامل بعض الوقت وأن الحاج العربي الشراط الذي كان أمينا بمرساها أصبح المتصرف في شؤونها الإدارية والمالية حسبما سيرد في ترجمة روبرط سباني.

5. وفي سنة 1876 عين محمد بن ادريس الجراري واليا على الجديدة قادما إليها من الدار البيضاء. وفي هذا الشأن خاطبه السلطان :

«إننا أعفيناك من ولاية الدار البيضاء ووليناك على الجديدة. ولم نعتلك عنها سخطا لسيرتك ولا هضما لجانب خدمتك، وإنما اقتضت المصلحة تقديم الأهم فالهم...»

أحمد الناصري صاحب «الاستقصا» عاشر الجراري أثناء خدمته بالمرسى وتعرف عليه عن كذب فوصفه بأنه «من أمثل عمال السلطان، نصره الله، وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم. قد استعمله الملوك الثلاثة : المولى عبد الرحمان وابنه سيدي محمد وابنه المولى الحسن رضي الله عنهم، فظهرت كفايته ونصيحته وحمدت سيرته وولايته»¹⁴.

10. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3، ص 58، وبيعة أهل الجديدة في «الوثائق» ج 3، ص 202 و 244.

11. رسالة الأمينين الحاج بوجنان البارودي وأحمد الزكراشي إلى بركاش في 5 قعدة 1281 / فاتح أبريل 1865، محفظة بركاش ورسالة ابن بومهدي إلى بركاش في 8 رجب 1284 / 5 نونبر 1867 في «الوثائق»، ج 4، ص 369.

12. رسالة ابن بومهدي إلى الحاج محمد بنيس في 9 جمادى الثانية 1285 / 27 شتنبر 1868 (الوثيقة 8081 م. و م) وفيها يعترف بذنبه ويبرئ ساحة أخويه وابنه لأنهم لم يكن لهم دخل في شؤون القبيلة.

13. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3، ص 30.

14. أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 150.

ونعل رجاحة عقاب الجراري ظهرت على الأنخص سنة 1879 من خلال رسالة بعثت بها إلى برنكاش مقترحا فيها أن يرفع تأديب المسلمين بالسوط. وآية ذلك أن اليهود كانوا — حسبما ذكر — يعاقبون بالسجن فقط وأن المسلمين كانوا يُزجرون به وبالجُلد أيضا، «ولا سبيل إلى حسم هذا الداء إلا بإبطال هذا القانون من أصله، مع أنه لا أصل له، أو برفع هذا التأديب بالضرب حتى عن المسلمين لتحصل المساواة»¹⁵، ذلك الجلد الذي ألغاه مولاي عبد العزيز سنة 1895 لما منع منه محتسب فاس¹⁶.

وبالرغم من هاته الحصافة اتهمه اليهود الجديديون في نفس السنة بالعسف عليهم إثر شكاية وصلت عن طريق السلك الدبلوماسي إلى السلطان الذي أمر عامله بالكف عنهم¹⁷.

وظل الجراري يباشر أمور المدينة إلى أواخر أيامه، فرفعت تظلمات من سلوكه إلى السلطان على يد «خدام أهل الجديدة» الذين كانوا وجهوا «لشريف الحضرة شكاية في 28 صفر لفارط وجددوا، بعد البحث، على ما قبض من إيالة العامل السيد محمد الجراري — من عام 1293 إلى تاريخه — على وجه الظلم والتعدي وسجن ضعفائهم، وأخذ ما لهم باطلا. وجعل معه ثلاثة خلفاء: ولده وابن عمه ووصيفا يقال له بوجمعة، واشتغلوا هنا بما لا يرضاه الله ورسوله، مع اليهود والنصارى. وقدر ما قبض من أهل البلاد وأهل النوايل وفرضة الأعياد من الغربية والاغناضرة والامنادلة يصل سيدنا بيان ذلك داخله...»¹⁸.

وللحين بعث السلطان بهاته الرسالة إلى القائد الجراري الذي أجاب عنها بعد خمسة أيام بأن هذا من تخريصات أولاد الشيخ يَسْف الفرجي «ومنهم الحاج محمد بن يسف المحتمي بإسبانيا والناظر الحاج محمد ولد الحمدونية الجديدي وغيرهم ممن ذكر، وهم في حماية السويد والبرازيل والبردقير والألمان والطلليان والنجليز والدانمارك» (وذلك لأنه كان قبض على اثنين من أولاد الشيخ يسف، القاطنين بأولاد فرج). وختم رده بأن ليس له إلا خليفة واحد هو ابنه عمر، ناعتا إياه بـ «الحزم والضبط والنباهة»¹⁹.

والأقرب إلى سيرة هذا العامل أنه لم يكن بهذا الوصف وأن ذلك ربما كان مجرد وشايات كاذبة في مجملها. فقد كان شديدا على الحميين المتغطرسين، وقد مرت بنا في الدار البيضاء

15. رسالة الجراري إلى برنكاش في 28 شوال 1296 / 15 أكتوبر 1879 في «الوثائق» ج 4، ص 480.

16. روجي له طورنو: «الحياة...» ص 45.

17. رسالة جون هي إلى سولزبوري في 13 دجنبر 1879 ورسالة السلطان إلى الجراري وكلاهما في «الوثائق» ج 5، ص 445 — 446.

18. من «خدام أهل الجديدة» إلى السلطان في 13 ربيع الثاني 1307 / 7 دجنبر 1889، محفظة الجديدة 2.

19. رسالة الجراري إلى السلطان في 18 ربيع الثاني / 12 دجنبر.

رسالته²⁰ التي أظهر فيها عميق حسرته وشدة تأسفه على ما أصاب المسلمين من التردّي في حماة الحمایات الأجنبية. وقد لا نكاد نجد مبرراً لهاته الشكوى سوى أنه كان قبل صدورّها بيضعة أشهر قد أطلع السلطان على أحوال «أولاد الشيخ يوسف السبعة المتلبسين بالحمایات، المتقلبين من دولة لأخرى، آكلي رمضان جهارا»، وعلى أن واحدا منهم وهو الحاج محمد «قتل زوجة أخيه، وفّر وذهب للحج، وذلك وقت ولاية ابن بومهدي. فلما رجع من الحج دخل لحماية النجلیز بعد أن كان سمسارا عند تاجر إنجلیزی بآسفي»²¹.

وفي 29 جمادى الأولى 1307 / 21 يناير 1890 توفى الجراري²². ومع ذلك لم يستسلم خصومه المعلومون / المجهولون فرفعوا بعد موته بيومين كتابا إلى السلطان طالبين منه الإعفاء من أهل العامل المتوفى ذاكرين أن الجديدة كانت من قبل يتصرف فيها الأمناء ثم أضيفت إلى أزمور²³.

ويفهم من هذا أن عمر كان — هو أو أحد غيره من قرابة العامل الهالك — يطمح في الولاية على المدينة، لكن السلطان لم يفعل، إذ عين بعد ذلك عددا من الأمناء للقيام بالشؤون الإدارية المحلية.

6. وكان منهم سنة 1891 محمد بن العربي برادة²⁴ الذي كان أبوه تاجرا بالسفّال²⁵. ويبدو أن عذراً ما حصل له بعد ذلك فعجز أو مرض فمات سنة 1894 بسبب ذلك²⁶.

7. وقبل ذلك سنة 1893 أسندت ولاية المدينة وأمانتها إلى الحاج عبد المجيد بن علال التازي²⁷. والدليل على بقاءه أمينا — زيادة على الولاية — أن رسائله ترد فيها كلمات السلاح والمرسى والديوانة وأنها موقعة بالاشتراك مع أمين آخر كان هو عبد الهادي زنيير.

وقد صدرت بهذا العامل شكايات إلى السلطان أواخر 1893 تخبره بما «هو عليه الحاج عبد المجيد من الترامي على الناس حتى جالت يده في أموال الضعفاء»²⁸.

8. هاته التهمة لم يكن كاتبها إلا أمين آخر هو الحاج محمد ابن يحيى الجديدى، أمين المستفاد في وقته، والذي تولى بعد ذلك بقليل أو بكثير الإشراف على الشؤون المحلية. ابن يحيى

20. ص 820.

21. رسالة الجراري إلى السلطان في 16 قعدة 1306 14 بوليوز 1889. التاجر هو مردوخ بوضير.

22. رسالة عبد الرحمان الخلو وأبي بكر بوزيد إلى السلطان في 29 جمادى الأولى 1307 21 يناير 1890.

23. رسالة «خدام أهل الجديدة» إلى السلطان في 2 جمادى الآخرة 1307 24 يناير 1890.

24. رسالة في 1 ربيع الأول 1309 5 أكتوبر 1891. والرسائل السابقة كلها بمحفظة الجديدة 2.

25. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 3، ص 371 (2).

26. رسالة في 21 رمضان 1311 28 مارس 1894. محفظة انطريس 26.

27. رسالة التازي إلى أحمد بن موسى في فاتح حجة 1310 16 يونيو 1893. محفظة الجديدة 2.

28. رسالة محمد ابن يحيى إلى السلطان في 28 صفر 1311 10 شتنبر 1893. محفظة الجديدة 2.

هذا كان قد قلب في وظائف الأمانة بمختلف الثغور التي منها العرائش. كما كان سنة 1889 ناظراً لأحباس الجديدة.

ولئن وصفه أوجين أوبان بأنه كان سنة 1902 «شبهة الحمد الذي كان يسوس بالرفق أهالي هم في غاية الاطمئنان»²⁹ فلم يكن هذا المؤلف على صواب فيما قاله، إذ يستخلص من تقرير لجنة مخزنية لتقصي الحقائق عن حالة الـ 146 معتقلاً بالجديدة في جمادى الأولى 1321 يوليو — غشت 1903 أن الحاج محمد ابن يعيى كان يحتجز «بدون سبب» أشخاصاً عددهم 26 وهو رقم يساوي سدس الـ 131 فرداً الذين سجنوا بأمره. والباقيون وهم 15 اعتقلوا بأمر خليفته أو القاضي أو المختسب أو رئيس المرسى أو شيخ اليهود أو قنصل إسبانيا³⁰. ومما لاشك فيه أن مثل هاته التعسفات كانت موجودة خارج الجديدة وبالقبائل أيضاً.

وهكذا يبدو مما سلف أن الجديدة تعاقب على تسيير شؤونها الإدارية إما أمناء محترفون وإما ولاية من الأحواز والنواحي.

ب : السكان

تضاربت الروايات في تحديد عدد سكان هاتين الحاضرتين. وسنرى من استعراض شتى التقديرات والمصادر أن أرقامهم ارتفعت باستمرار.

ب 1 : أزموور

كان فيها من السكان سنة 1872 نحو من الألف³¹. بيد أنه يستبعد أن يصل عددهم بعد ثلث من القرن إلى عشرة آلاف³² إلا إذا أدمج سكان المدينتين في بعضهما.

ب 2 : الجديدة

لم تكن المدينة تحتوي إلا على 800 شخص من المغاربة سنة 1834 منهم 300 يهودي. وقد غدوا سنة 1856 حوالي 1500 كان منهم 450 يهودياً. وبعد عشر سنوات بلغوا 4000 نسمة كان منهم 1000 يهودي. وسرعان ما انخفضت الأرقام سنة 1872 إلى 2500 نسمة كان 800 من اليهود. وشهدت سنة 1874 تصاعداً في الأرقام إلى الضعف أو إلى ما يزيد عن 5500 نسمة. ثم

29. «مغرب اليوم»، ص 76.

30. من «تقييد من سجن ومن سرح بمحروسة الجديدة وجرائمهم وتاريخ سجنهم وتحريرهم، وذلك في جمادى الأولى 1321»، يوليو — غشت 1903، محفظة الجديدة 3.

31. عبد الحيد بنجلون: «جولات ... 1872» ص 114.

32. كينيث براون: «أهل سلا» ص 48.

وت لاعداد في الارتفاع : 7000 سنة 1884 و 9000 سنة 1892 و أخيرا 10.000 سنة 1900، بل ذكر بعض الرواة أنهم في السنة الأخيرة كانوا 15 ألفا منهم 3500 يهودي و 400 أروبي، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك : 20 ألفا في مطلع القرن العشرين³³.

وبقطع النظر عن الثغرة البشرية التي وقعت سنة 1872 من جراء المجاعة والأوبئة كان عدد أهل الجديدة مرتفعا باستمرار. وقد سلف القول في موطن آخر أن سكان المدينة تضخمت أعدادهم بين سنتي 1834 و 1866 بنسبة 400 في المائة.

والجالية الأروبية بلغ عدد أفرادها بين سنتي 1856 و 1906 حوالي 750 نسمة مثلما خدمت إلى ذلك الإشارة بالدار البيضاء. وإذا أردنا مزيدا من الضبط في التواريخ والأرقام قلنا إنهم كانوا سنة 1880 حوالي 150 شخصا منهم 12 فرنسيا والباقيون من الإيطاليين والطارقيين وإسبانيين³⁴ حتى وصلوا إلى 400 شخص سنة 1900 حسبما سلف ذكره أعلاه.

ت : العمران

كانت الجديدة تدعى مازيفن حسب الجغرافي المغربي الإدريسي ثم حرفها الأروبيون إلى مازانكاو أو مازانكان. وقد انتشر فيها العمران على حساب أزموور.

خصصها السلطان مولاي عبد الرحمان للتجارة عام 1240 / 1825 بعد أن كانت حربية لا زالت على أهية التي فتحت عليها أيام السلطان سيدي محمد رحمه الله. وكانت تسمى من الفتح بالبرنجة، فلما فتحت وتهدم صورها بالميني صار الناس يسمونها «المهدومة». فأمر سلطان مولاي عبد الرحمان عامله على تاسننا ودكالة محمد بن الطيب ابن محمد ابن عبد الله ببناء سورها وترميم ما تلثم منها وسمّاها : الجديدة³⁵.

وقد بدأت أفواج الأروبيين تستوطنها شيئا فشيئا مثل بعض الإيطاليين والطارقيين. وبعد اندلاع حرب القرم بعثت دور تجارية إنجليزية طائفة من رجائها للقيام بمشتريات بالجديدة واختارتهم من أهل جبل طارق. وأثناء حرب تطوان اضطر بعضهم إلى اللجوء إلى المرسى الطارقي، ولكنهم ما لبثوا أن أثروا المّقام بالجديدة بصفة نهائية³⁶.

33. المصدر الأخير نفس الصفحة وكذلك عبد الحيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 43، و أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 76 و 78، ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 3، ص 14، و 26 و 461 و ج 4 ص 497.

34. الكونت موريس ده بيريني Périgny : «المغرب ومراكش ومراسي الجنوب» ص 241.

35. أحمد الناصري : «الاستقصاء» ج 9 ص 12.

36. المصدر السابق نفس الصفحة. وأوجين فومي : «تراسلات...» ص 154.

كان توافد الإسبانيين عليها كثيراً، وكانوا في بعضهم من أهل المهن والصنائع، ولا سيما البناء، كما اشتدت هجرة المغاربة إليها من القبائل والحواسر.

وقد تقدّمت حركة الملاحة التجارية بين 1850 و 1875 مثلاً. فبينما لم يكن تتعدى أحجام التجارة الخارجية 5 آلاف طن سنة 1850 إذا بها تصير 27 ألف طن سنة 1862 ثم بلغت سنة 1869 نحو 60 ألف طن.

وكانت مدينة الجديدة باباً أساسياً لتجارة الحوز ونواحي دكالة. فإذا تصفحنا تقرير ديزكنيس نائب قنصل بلجيكا سنة 1869 وجدنا أن أعظم البضائع المصدرة في هاته السنة الأخيرة كانت هي الحبوب والقطاني والصوف وجلود البقر ولوز مراکش وزيتها والشمع الأصفر والحناء والصمغ والكمون. أما المستوردات فكانت في نفس الفترة هي المنسوجات القطنية ونخيوط القطن والورق الكتاني والأخشاب والحديد والبن والسكر المصفى وشاي هيدسون الأخضر³⁷.

أما قيمة المبادلات فكانت سنة 1857 تبلغ 8 ملايين فرنك ولم تصل إلى 10 ملايين إلا سنة 1895. وقد نزلت إلى ثلاثة ملايين سنتي 1859 و 1883. وبالجملّة كانت كفتا التصدير والاستيراد متعادلتين خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر³⁸.

وهناك رواية أخرى عن تجارة المرسى في نهاية القرن ومطلع القرن العشرين تصديراً واستيراداً.

في الاستيراد : 4,02 ملايين فرنك سنة 1898 و 4,99 ملايين سنة 1899 و 8,25 ملايين سنة 1900 و 10,22 ملايين سنة 1901.

وفي التصدير : 5,02 ملايين سنة 1898 و 1899 و 9,67 ملايين سنة 1900 و 6,62 سنة 1901.

وكانت التجارة البريطانية تأتي في المقدمة قبل تجارة ألمانيا وفرنسا وهي على التوالي 2,60 و 3,34 و 3,68 و 6,59 للاستيراد، و 1,45 و 1,64 و 3,83 و 3,55 للتصدير وذلك لأنجلترا وبالملايين من الفرنكات³⁹.

ومن أهم التجار الأجانب بالمدينة في التصدير والاستيراد سنة 1868 كان كارلو مورطيو الإيطالي مصدراً لللوز، وبرودو الفرنسي في تصدير جلود البقر، وبورّاس الإسباني في وسبق الصوف والشمع، والفريد ريتمان الإنجليزي في تصدير العلك واستيراد الكتان، وكراة الإنجليزي

37. ميج : «وثائق التاريخ...» ص 302 و 129.

38. نفس المصدر ص 28.

39. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 78 (1).

في استيراد مرزاية، وجورج بوطير في استيراد سحر نوب. وناد الإنجليز في جلب الماركان⁴⁰. ولا يظهر أن مرسى الجديدة كانت كاملة التجهيز بالمرافق التي كانت في حاجة إليها بالنظر لحركتها العمرانية والتجارية. فقد طلب بإطنوطر وزير فرنسا المفاوض من اخزن سنة 1889 زيادة عدد الفلائك التي تحمل السلع من البر إلى البحر أو منه إليه⁴¹.

وفي المجال التجاري وضع النواب القنصليون سنة 1865 نظاما للتسويق عرضوه على بعضهم وعلى السلطة المحلية على الراجح. والمناسبة هنا متاحة لسوق نصه الكامل لما فيه من فائدة بالرغم مما يكتنفه من لحن وركاكة.

«الحمد لله

«نسخة من الفصل الذي أعطوا به قوانين الجديدة خطوط يديهم. نصه :

«كافة جميع القونصوات الذين بتغر الجديدة،

«أما بعد، اعلّموا أنه ظهر لنا أن من السداد والمصلحة القاطعة لمادة النزاع وجميع الدعاوي الكائنة بين مشتري القطاني من جميع التجار أن يكون محل خارج باب الجديدة مُزرباً معداً لبيع ذلك من أهل البادية وغيرهم الواردين من جميع الآفاق.

«فمن أتى منهم قاصداً البيع فلا بد أن يأتي المحل المذكور بما معه من أحماله ويدخله دخولا بينا. فعند ذلك يرد عليهم التجار والنوَّعريّة ويشترّون منهم بما أحبوا. ويكون ذلك بمحضر عدلين معدّين لأعطاء النفايل للبائع. فيكتبان له بما وقع به البيع في الزريبة، فلا يزيد ولا ينقص عليه.

«وأما من نقض على ما وقع به البيع في الزريبة فلا يلوم إلا نفسه. والبائع ينبغي له أن لا يدلّس في البيع. ومن دلّس بأن يظهر عربونا جيّداً والباطن بخلاف ذلك : فإن كان التدليس من جهة التراب فإنه يصفى له ولا يأخذ المشتري إلا الصافي الخالص. وإن كان من جهة الفساد فإنه يردّه ويزجر.

«ومن أتى من الآفاق بأحمال وادعى أنه مكتر فقط لبعض التجار فلا يقبل منه ذلك إلا بيمين التاجر أو يمينه. وكذا هذا الحكم يكون لمن اشترى ببعض الأسواق، فإنه لا يجوز إلا بإعطاء النفايل للتاجر، ومن خالف ما ذكر بأن تعرض لهم قبل الوصول للمحل يريد الشراء منهم مسلمين ونصارى ويهود ونوَّعريّة فإن عامله أو قونصوه يزجره بما ظهر له. فمن وافقت على هذا منكم فليضع طابعه عقب تاريخه، ومن لم يوافق فليجاوب بما ظهر له.

40. زمام الداخل والخارج بالجديدة وأزمور في شعبان 1285 / دجنبر 1868، محفظة الجديدة 1.

41. النقطة الخامسة من مطالب فرنسا في 22 شعبان 1306 / 23 أبريل 1889، محفظة فرنسا.

«وبهذا وجب الإعلام واتمام في 23 محرم عام 1282. [الأمضاءات] : قونسوا الافرانسيص التاجر اخوان، قونسوا الطليان التاجر كرلوا، قونسوا النجليز التاجر اسطوكس، قونسوا الاصينيول التاجر تحكب بطلير، قونسوا السويد التاجر بلنك، قونسوا البردقيز ميكيل دكاسطر. قونسوا المريكان التاجر افريد.

«وإن أردت النسخة — بوجهها نوجهها لك — أعلمنا»⁴².

هؤلاء القناصل والتجار ومن جاءوا بعدهم استوطنوا المدينة فكان ضم فيها وفي أزموور وقبائل دكالة وغيرها محميون وسماسرة وخلطاء وردت أسماؤهم مفصلة في كثير من الوثائق المخطوطة. والقول سيأتي بعد ذلك عنهم تباعا في فصول أخرى. لكننا سنقدم جدولين عديدين يشتملان على 117 محميا منهم 43 يهوديا، وعلى 129 سمسارا منهم 92 مسلما، وجميعهم 246 شخصا.

ج 1 — المحميون 1863 — 1900

الدول	المسلمون	اليهود	المجموع
ألمانيا	6	4	10
الولايات المتحدة	7	7	14
إنجلترا	3	2	5
إسبانيا	10	3	13
إيطاليا	5	12	17
البرتغال	12	3	15
البرازيل	5	1	6
بلجيكا	5	1	6
فرنسا	5	6	11
السويد والنرويج	5	2	7
الدانمارك	3	—	3
النمسا	2	2	4
هولاندا	6	—	6
المجاميع	74	43	117

42. تاريخ هاته الوثيقة يوافق 18 يونيو 1865، وصورتها بمحفظة برغاش، وتكتب أسماؤهم هكذا :

1. Juan (Haire ?) - 2 Carlo Morteo - 3 Octavius Stokes - 4 Jacopo Butler - 5 Tito Bianchi - 6 Miguel do Castro - 7 Alfred Redman.

ج 2 - السماسرة

1900 - 1863

الدول	المسلمون	اليهود	المجموع
ألمانيا	8	2	10
الولايات المتحدة	3	5	8
إنجلترا	33	8	41
إسبانيا	15	—	15
إيطاليا	8	9	17
البرتغال	11	7	18
البرازيل	4	—	4
النمسا	1	—	1
فرنسا	9	6	15
المجاميع	92	37	129

2 : ألمانيا

أ : السلك القنصلي

1. ألفريد ريدمان A. Redman الإنجليزي ناب وقتا ما عن المصالح الألمانية بالجديدة قبل أنصادو على ما يظهر.
2. خوان باطيسطي أنصادو J. B. ANSADO الطارقي تولى شؤون الوكالة القنصلية الألمانية¹ من سنة 1885 إلى وفاته سنة 1905.
3. ثم خلفه إيرنيست ثوسطاف دانييرغ² E. G. DANNENBERG.

ب : الحميون

كان لألمانيا طائفة من الحميين والسماصرة نصت عليهم القوائم الألمانية السنوية ولائحتان محليتان : العشارية والعامة³.

ب 1 : من القوائم السنوية⁴

- 1 - 7 : محمد بن عبد الكامل المنديلي الجديد (1881 - 1897)، ومحمد بن العكارية (81 - 82)، وشالوم عميل (82 - 97)، وكانوا كلهم أعوانا أو مستخدمين، وموشي بن حايم الرومي (84 - 97) وكان ترجمانا، ومحمد بن عبد السلام برادة (81)، وعبد السلام برادة (82 - 85)، وإبراهيم الهنتاتي (90 - 97) وكانوا على التوالي كتابا.

1 . كُتِبَ : «ألمانيا والمغرب» ص 38 (1).

2 . مرجع الأخير.

3 . العشارية قائمة تحتوي على أسماء الحميين والسماصرة مئتين وعشر دول : ألمانيا وإيطاليا وإسبانيا وروسيا وبريطانيا وفرنسا والبرتغال والبرازيل وبلجيكا والتمسك والسويد وفرنسا، وهي جزء من التاريخ الذي رُجِحَ أنه هو سنة 1881. أما العامة ففيها أسماء الحميين لثلاث عشرة دولة ولكن تاريخها هو 15 شوال 1303 27 يونيو 1886. وبهذا ساستعين طوال هذا الباب.

4 . جعدت بين هاتين القوائم تسعة مأكبر فيها هؤلاء حميون وسماصرة.

ب 2 : من العشارية⁵

8 : محمد الشيخ الفرّجي. عون

ب 3 : من العامة⁶

9 — 10 : محمد العمراني. كاتب. وإسحاق الجديد. مستخدم.

ت : السماسرة

ت 1 : من القوائم السنوية الألمانية

1 — 2 : مير بن الحزان يحيى أزولين، وعلي ولد الفرّجية⁷ سمسارن للأخوين فيكة (1881 — 1890) ثم لأنصادر (1892 — 1897) للأول، و (1892 — 1904) للثاني).

3 — 4 : الحاج عبد المالك السباعي سمسار فيكة بمدينة أزموور حتى توفي سنة 1886 وخلفه ابنه بوشعيب⁸ الذي نصت عليه قائمة 1890.

5. بوشعيب بن بوعلي الفرّجي سمسار فيكة (1897)

6 — 7 : عبد السلام بن محمد ولد الجبلي المرجاني العوني (1897) وبلال (أو بليل) بن مبارك بن أحمد الغندوري (1897 — 1904) سمسارن لدانينبيرغ.

8. يوسف كويمين (1897) سمسار قاييس و ماور القاطنين بالصويرة.

9. محمد بن موسى الجديد (1904) سمسار براندت وطول الساكنين بالدار البيضاء.

ت 2: من غيرها

10 : عبد القادر بن الحاج المحفوظ البوعمري طلبت المفوضية سنة 1894 اتخاذه سمساراً للتاجرين فيكة⁹، ويظهر أنه قبل، ولكن شطب على اسمه في قائمة 1897.

5 . ورد فيها أيضا اخسيان : 4 و 6 أعلاه .

6 . جاء فيها اسما اخمين الأول والرابع أيضا.

7 . جاء ذكر السمسارين في العشارية وجاء الثاني في العامة التي سمته : عليوات.

8 . رسالتا تيستا إلى الطريس في 9 شتنبر و 9 نونبر 1886، محفظة المغرب ألمانيا ورسالة العربي بريشة إلى الطريس في 8 محرم 1304 / 7 أكتوبر 1886، محفظة الطريس 9.

9 . رسالة طاطنباخ إلى الطريس في ثاني أبريل 1894، بمحفظة ألمانيا.

ث : المستوطنون

هم قليلو العدد، ونذكر منهم :

— كارل فيكة الذي سكن في بداية القرن العشرين بالجديدة.

— إ.ك. دانينبيرغ الذي مثل بلاده وغيرها بالجديدة بعد سنة 1908. وهو من مواليد ألمانيا سنة 1853، وينتمي إلى أسرة كانت لها دائما روابط تجارية مع المغرب.

وصل إلى طنجة في ربيع سنة 1889 للتجارة في المنسوجات ثم استوطن تطوان وبعدها عاد إلى طنجة. وقد ظفر بعقدة لبيع البارود للمخزن ف وقعت سنة 1890 على يده بوصفه وكيلًا عن دار تجارية من هامبورغ اسمها روتفيل : Rottweil.

وكان نشيطا في أعماله فجابت قوافله التجارية أطراف المغرب : الجديدة ومراكش سنة 1891، وفاس سنة 1893، ومراكش سنة 1894. وفي سنة 1895 استوطن الجديدة نهائيا حيث فتح دارا تجارية¹⁰.

10. كُتِبَ : «ألمانيا والمغرب» ص 38 (1). واستدرك هنا ما تقدم في الصفحة 459 من الجزء الثاني، فليس ريشارد دانينبيرغ هو الذي باع البارود للمخزن، ولكن البائع هو إيرنيست كُوسْطَاف دانينبيرغ. وهذا التصويب جاء من كُتِبَ، بعد الخطأ الذي وقع فيه مبيح في الجزء الرابع من «المغرب وأوروبا» ص 191. كما أنه ثبت برسالتني السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الأولى و 28 جمادى الثانية 1307 / 12 يناير و 19 يناير 1890، بمحفظه الطريس 17 حيث رسم اسمه واضحا بخروف لاتينية.

3 : الولايات المتحدة

لم يكن هاته الدولة وجود بارز بالجديدة، ومع ذلك كان لها نواب ومحميون اتخذوا ستماسرة.

أ : السلك القنصلي

1. أسرة ريدهان ولا سيما ألفريد تولت النيابة عن الولايات المتحدة وغيرها نحو من ثلاثين سنة¹ أي منذ ما قبل سنة 1865 إلى ما بعد سنة 1895. لكن آخرين كانوا مؤقتين، ومنهم :

2. مير بن بيكو كوهين حيث كان سنة 1887 نائبا مؤقتا².
3. وكان دانييل مادن D. Madden الأنجليزي ممثلا لها سنة 1893.
4. وفي السنة الموالية صار ليون روفيل هو النائب المؤقت أيضا³.
5. وظل ألفريد ريدهان سنة 1895 هو النائب الرسمي⁴ حتى وفاته.

ب : المحميون

نصت على أسمائهم طائفة من الوثائق.

ب 1 : من القائمة المحلية العامة وحدها (1886)

1 - 2 : مير بن بيكو كوهين، وأحمد بن محمد بن بوشتي الفرجي، كان الثاني عوناً، والأول كان ترجمانا ورد اسمه في جملة من المصادر، كما أنه كان من كبار التجار المرابين.

-
- 1 . عريضة القناصل في 23 محرم 1282 18 يونيو 1865. محفظة بركاش.
 - 2 . رسالة محمد الجرازي إلى الخريس في 7 قعدة 1305 16 يونيو 1888. محفظة الخريس 13. ورسالة ليويس إلى الخريس في 10 يونيو 1887. محفظة الولايات المتحدة.
 - 3 . رسالة بركاش إلى الخريس في 2 مايو 1894.
 - 4 . زمام ستماسرة لتجار الإنجليز بالجديدة سنة 1895. محفظة خضاية قنصية.

ب 2 : من العامة والعشارية معا

3 : عبد الله بن الحاج الطيب الرافعي وهو من أهل الجديدة، وكان كاتباً.

ب 3 : من العشارية فقط

4 — 5 : مسعود بن شمعون ترجمان، ومحمد بن القاسمية عون.

ب 4 : من 69 / 60 الغفل

6 : شمويل كويهن محمي لم يرد بيان عن سبب حمايته.

ب 5 : من 69 / 59 الغفل

7 — 14 : شمعون كويهن (ولعله شقيق الذي قبله)، وشمعون بن شاعيل، وإبراهيم بن دايد أويون، ودايد بن دايد أويون، وعبد الرحمان ولد سي قدور، والحاج اسماعيل بن الحاج بوشعيب، والحاج محمد بن الحاج العيساوي، والحاج سعيد بن سعيد : وكلهم لم يعرف وجه لحمايتهم، فلربما كان منهم سمسارة.

ت : السمسارة

ت 1 : من العامة والعشارية معا

1 — 2 : إسحاق موخو وموشي موخو سمساران لم يعرف لمن كانا يعملان⁵.

ت 2 : من القائمتين الغفلين 69 59 و 69 60

3 — 5 : يوسف كويهن، وعزوز بن الفرجي، وبنعاشر العوفير، ولم يعرف أصحابهم الذين يغلب على الظن أنهم تجار محميون.

ت 3 : من غيرها

6 : العباس العوفير وكان سنة 1887 سمساراً لليون روفيل⁶.

ت 4 : من 69 34 الغفل

5 . في «العامة» تحريف لا ينبغي أن يلي : «اثنان ومئتان أولاد موخو سمساران». ولذلك أرجح أن ما ذكرته أعلاه هو الصحيح.

6 . رسالة في 14 ربيع الثاني 1305 30 دجنبر 1887. محفظة أمريكا.

7 - 8 : عبد الرحمان بن المحضّر ومحمد بن المعطي الفرجي⁷ وهما من قبيلة أولاد فرج بدكالة، وكانا سنة 1883 أو قبلها سمسارين لتاجر أمريكي ربما كان مقيما بالدار البيضاء واسمه هولان⁸ Howlan وكان شريكا لشخص مقيم بنيويورك اسمه روزفيلت Roosevelt. لكن السمسارين لما سجنا من لدن السلطات المغربية في قضية جنائية تدخل قائد الأسطول الأمريكي بأوروبا الأميرال إيرل إنكليش E. English طالبا إخلاء سبيلهما بواسطة إنذار حرني سنعود إليه بعد قليل.

ث : المستوطنون

لم يذكر شيء عن وجود أمريكيين بالجديدة، غير أن قنصل أمريكا بجبل طارق أورسن سبريغ O. Sprague كان سنة 1859 يملك عقارا بالجديدة فباعه. وقد ورد أن «مستر أورسن اسبريغ قنصل الماركان بجبل طارق باع للراعية الأنجليزي المسمى فرنسيس إيموسي من جبل طارق أملاكه الكائنة خارج مدينة الجديدة، التي هي مشتملة على اثنين خزائن ودار، هاذة أربعة وثلاثين سنة»⁹.

ج : قضية الإنذار الأمريكي

لما وقع القبض على محمد بن المعطي الفرجي وعبد الرحمان بن المحضّر، بسبب اتهامهما بقتل شيخ من شيوخ دكالة سنة 1883 تدخل القنصل العام الأمريكي لفائدتهما، لكن تدخله ظل بدون جدوى، وهذا طلب ماثيوز من حكومته شد عضده، فجاء قائد الأسطول الأمريكي إلى شواطئ المغرب سنة 1885 ويده إنذار حرني يتضمن إطلاق سراحهما وإرجاع المال الذي كان بين يديهما للتاجر هولان وعزل أحد قواد دكالة.

«... سوق فيما يلي النص الكامل لهذه الوثيقة الإنذارية بما تشتمل عليه من أخطاء»¹⁰ :
أبقا الله سيادة خديم المقام العالي بالله وزير الأمور البرانية، الأجل المكرم السيد الحاج محمد الطريس.

7 . ذكر اسمها في قائمة 9 جمادى الثانية 1303 15 مارس 1886 مع شيء من التحريف. فالفرجي سمي «الفرجي» والمحضر دعي تارة «المنيدر» أو «المنيدر» تارة أخرى فيها وفي غيرها. وفي 69 34 سمي عبد السلام بدلا من عبد الرحمان.

8 . إلهاد عدي بأن هولان كان له بالدار البيضاء سمساران أصحبا من دكالة. في 27 ربيع الأول 1301 26 يناير 1884.

9 . رسالة ماثيوز إلى الطريس في 19 رمضان 1310 17 أبريل 1893. ورسالة أخرى منه إلى محمد المنفل غريظ في 20 محرم 1309 26 غشت 1891. وكلاهما بمحفظه الولايات المتحدة.

10 . أصلها بمكتبة تطون رقم 55 15.

رغاك الله، ولم يزل السؤال عنك، نطلب الله أن تكون بخير.

وبعد فقد مضت أربعة¹¹ من التاريخ الذي كنا جئنا لهذه المرساة السعيدة بقصد الطلب من مخزن مراكشة تسريح سمسرين من حمية المركان لمنسطر¹² هولان ورُسِّلت من ثغر التيرك، لأن قائد دكالة قبضهما من غير موجب. ونائبنا كرنيل فليس مطيوس ذكر لنا بأنك عاهدته وقتئذ بتسريحهما في الحين، ولأجل ذلك لم نطلب ما جئنا بضدده، وظننت أنهما يسرحان في الحين. والآن تخبرنا بأنهما انتقلا لسجن فاس بعد أن كانا بقصد التسريح في الحين، ولا زالا بالسجن. وما طلبه نائبنا المذكور من مخزن مراكشة السعيدة غير ما مرة لم يبالي به مخزن مراكشة.

وحقيقة هذه القضية هي التي سندكرها تفصيلا :

الأول : أن التاجر هولان المركاني عنده دار البيع والشراء بالدار البيضاء ونوابه، واسمه مكتوب على فسيتته على حسب مقتضى شروط مدريد، وجعل سمساريه وهما السيد محمد بن المعطي والسيد عبد الرحمان بن المحضّر، ويبد كل واحد منهما بِطَنُطِ نائبنا مطبوع بطابع المخزن. ويعلم قائدهما أنهما قبضا من التاجر هولان المذكور عددا من المال والماشية.

الثاني : في تاريخ 8 نونبر 1883 كانا هذان السمساران بالدار البيضاء ليأخذان من نائب التاجر هولان المذكور الزريعة. وفي ذلك اليوم وقع قتل شيخ دكالة، وقاتله يعرفه القائد المذكور وتركه من غير قبض. وحيث رجع السمساران لدكالة نسب لهما ذلك وقبضهما من غير أن يعلم بذلك خليفتنا بالدار البيضاء ومن غير إعمال الشرع وحضور الخليفة وقت الحكم عليهما على مقتضى شروط مدريد. ولا زالا بالسجن إلى الآن.

الثالث : أن نائبنا وجه رسوم الإثبات بأن السمسرين مظلومان وطلب تسريحهما غير ما مرة، ولم يحصل في ذلك على طائل. غير أنه تأتية الأجوبة الشريفة بأن السمسارين سيسرحان. وقد وجه نائبنا لسيادتك رسوم الإشهاد بأن وقت قتل الشيخ كان السمساران بالدار البيضاء، ومنها إلى المحل الذي قتل فيه الشيخ خمسة وسبعون ميلا.

وبعد أن طالعت الرسوم عاهدته بتسريحهما في الحين، ولم توف بما عاهدته به. وبأنشروط الخامس عشر من الشروط المعمولة مع مخزن مراكشة السعيدة أن الخسي يجري عليه ما يجري على الرعية، ولا يتصرف فيه أحد إلا نائب الدولة. وبأنشروط التاسع من شروط مدريد أن السمسار لأحد من رعية الدولة المركانية لم يقدر أحد أن يمد يده فيه من غير إخبار النائب الذي يسمع شكواه ويتأمل فيها. وحيث يثبت عليه شيء فالنائب المذكور يحوز منه متاع التاجر المذكور ويحكم عليه.

11. كذا، ولاندري ما المقصود من الأربعة، فهل هي أيام أم شهور أم أعوام ؟

12. كذا، وصوابه : لمنسطر.

ولأن فإن هذه الدعوى متينة وأن قائد دكالة قد نقض شروط مدريد، ولأجل ذلك فإنني
طائب في اسم دولتنا الفخيمة :

— الأول : تسريح السمسارين المذكورين من غير قول ولا شرط،

— الثاني : رجوع متاع التاجر المذكور الذي كان تحت أيديهما وحازد القائد من غير
موجب،

— الثالث : عزل القائد المذكور وتأديبه لنقضه للشروط وسعيه في الخوض بين الدولتين
المختبتين.

وإلا فإن لم يكن ما طلبناه لمضي عشرين يوما من تاريخه، فإنني نطلب جميع المصاريف
والخسارات والبطلان وغيره، زيادة ما طلبناه. ولا عمل يكون على شروط مدريد.

وحيث ثبت ظلم السمسارين المذكورين لدى مخزن دولتنا الفخيمة لا يقدر ولا يرضى أن
يصبر على ذلك أبدا.

ودمت بخير. والتمام في 20 ابرور عام 1885.

إرل إنكليش :

مرئط اشكودرة جنس المركان بالأربا



4 : إنجلترا

أ : السلك القنصلي

- أسندت النيابة القنصلية عن إنجلترا من 1852 إلى 1896 إلى ثلاثة أشخاص هم :
1. جون ريدمان الذي استوطن الجديدة سنة 1826 أو 1830، وعين وكيلا قنصليا لبلاده من 1852 إلى 1857. وفي هاته السنة الأخيرة صار نائبا عن هولاندة¹.
 2. أوكطافقيوس سطوكس Octavius Stokes الذي حل سنة 1857 محل جون ريدمان² كان سنة 1872 لا يزال يشغل هذا المنصب القنصلي.
 3. ألفريد ريدمان شقيق جون وهو المدعو تصغيرا فريدو. ولا يعلم متى بدأت ولايته، ولكنه كان سنة 1886 يقوم بهاته المهمة. وفي سنة 1896 توفي. وكان حينذاك ينوب عن هولاندة³ كأخيه وعن الولايات المتحدة وبلجيكا وألمانيا.

ب : المبحميون القنصليون

ب 1 : من قائمة 1886 المحلية العامة

- 1 - 4 : الحاج محمد بن الحبيب العبادي كان عوناً، وعبد الله بن العربي العبدوي وقدور بن العربي الفرجي مستخدمان ومسعود بن هارون بن شعون ترجمان.

ب 2 : من غيرها

- 5 : يحيى عميل وكان سنة 1864 ترجمانا بالقنصلية⁴، وسيأتي أنه صار محميا لإيطاليا.

1 . ميسج : «المغرب وأوروبا» ج 1، ص 158 و ج 2، ص 186 (1).

2 . المصدر السابق، ج 1، ص 169.

3 . رسالة فون بوشة إلى الطريس في 23 شتنبر 1896. محفوظة هولاندة.

4 . رسالة الأمين الحاج بوجناك البارودي والحاج احمد الزكراشي إلى برتكاش في 14 حجة 1280 / 21 ماي 1864، محفوظة برتكاش.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة سماسرة التجار سنة 1879

1 - 2 : مسعود بن قدور الفرجي ومولاي أحمد البويحياوي البوزيراري سمساران لشركة كرامة بقبيلة دكالة، وظل اسم الأول منهما مذكورا في قائمة 1889 تحت اسم مسعود بن عبد القادر، وقبل ذلك كان سمسارا ومحميا فرنسيا. وتفيد رسالة عن السمسارين أنهما كانا سنة 1881 سيئي السيرة ومن «المشتغلين بالهجوم وسفك الدماء والاغتيال»⁵.

3 - 4 : محمد بن عبد الكامل المنديلي وأخوه محمد من سكان الجديدة وكانا سمسارين لشركة كارفر Carver ثم لنائبها أنصادو في لوائح السنوات الموالية، ولكن لم يأت للثاني ذكر في غير قائمة 1879، وقد تقدم أنه صار فيما بعد عوناً بقنصلية ألمانيا دون انقطاع من 1881 إلى 1897.

5 - 6 : هارون بن بلام ومسعود بن الغزال الرومي من يهود الجديدة وكانا سمسارين لروبيرط أ. سپايني R.A. Spinay. وقد أصبح الثاني في خدمة القنصل ألفريد ريدمان سنة 1886 ثم مع الأخوة ليم في مدينة آسفي سنة 1889.

7 - 8 : الحاج بوشعيب بن يحيى ابن الهواري العبادي البوعزيزي وشلومو ابن الفيلاي سمساران بالجديدة لتشارليز بليسترينو Ch. Balestrino، ولم يأت للأول ذكر في قائمة 1889، ولكنه ورد في لائحة 1895 بوصفه سمسارا لنفس التاجر، وجاء في قائمة 1886 أنه سمسار لتاجر برتغالي وللقنصل نيطو نائب البرازيل.

9 - 10 : الحاج محمد بن الأحسن (أو الحسين)، وعلال الرثاني سمسارا دانييل مادن. وسيصير الأول سنة 1886 سمسارا لبوخول الإسباني ثم سنة 1896 لتاجر برتغالي.

11 - 12 : محمد بن ابراهيم، والحاج محمد بن الطيب الكبة الفرجي سمساران اتخذهما لازارو دي مارية Lazaro de Maria، وكان الأخير منهما سنة 1886 و 1889 في خدمة جيمس كرامة وشركته حتى استبدل غيره به سنة 1894.

13. الحاج محمد بن يوسف سمسار مردوخ بوطليز من مدينة آسفي، ولعله ابن يسف سائف الذكر مع محمد الجراي أو ابن يوسف الذي كان كاتباً للقنصل البرتغالي سنة 1865 مثلما سيرد خبره.

5 . رسالة السلطان إلى بركاش في 18 جمادى الأولى 1298 18 أبريل 1881. نفس الحفظ.

14. مير كوهن سمسار ينطوب بيرجل بالجديدة.
15. أحمد بن الحاج بوشعيب الجديدي سمسار بيطر نيطو Peter Netto ولم يذكر فيما بعد إلا في قائمة 1895 على أنه سمسار له أيضا، وكان منذ 1893 قد طلب اتخاذه⁶. وسيأتي أنه كان محميا برازيليا.
16. عبد الله المتولي سمسار بقبيلة دكالة للتاجر أنصادو.
- 17 – 18 : الحاج أحمد البوط وعبد الله بن محمد الفرجي سمساران لأنخيل داسوي A. DASSOY ولعل الأول هو الحاج أحمد اللباط المنديلي الذي كان محميا لهولاندة.
- ت 2 : من القائمة المحلية العامة⁷
19. قدور بن محمد بن بوشعيب العوي سمسار بقبيلة العونات لدانييل مادن.
- 20 – 21 : الحاج علي ابن العود والطب بن محمد الكعصي سمساران لبليسترينو بالجديدة. وبقي الثاني معه حتى استبدله سنة 1891. وهو من سكان مدينة أزموور
22. بوشعيب بن رقية الهلالي الصوري سمسار كرامة بيني هلال وأولاد بوزرارة.
- 23 – 24 : حمادي بن محمد العوي الرباطي وشلومو بن شمعون سمساران لسبيني : الأول بقبيلة العونات ويدعى أيضا حمان بن محمد، والثاني بالجديدة. وقد كان حمادي منذ ما قبل 1882 سمسارا لنفس التاجر، واشتكى جون هي بأن الشيخ الطاهر بن الحاج السبيطي من إيالة محمد بن المعطي التريعي قد سطا للسمسار على ماشيته⁸.
- 25 – 26 : الحاج عبد الكبير التلاوي من الجديدة وعلي بن محمد العبدى من مدينة أزموور سمساران لداسوي.
27. الحاج مبارك بن العربي الخمصاني من مدينة أزموور وكان سمسارا لأوكوستو بوطاير سنة 1889 ولكنه مات قبل 1895، وشطب على اسمه من قائمه تلك السنة حيث كان يعمل لفائدة ألفريد ريدمان.
- 28 : الحاج بوعزة العوي من قبيلة العونات سمسار دانييل مادن.

6 . رسالة بيدجوي إلى الضريس في 6 أبريل 1893 19 رمضان 1310. محفظة بريطانيا.

7 . ورد فيها أيضا السمساران 3 و 12.

8 . دعاوي جون هي في 25 جمادى الأولى 1299 14 أبريل 1882. القضية الأولى.

29. الحاج محمد بن البكراوي من مدينة أزموور وكان سمسارا لبليستريينو.

ت 3 : من قائمة 1889 البريطانية⁹

30. نسيم بن شمول سمسار ابراهيم يعقوب لاريدو الطنجي.

31. محمد بن محمد العمراي سمسار أنصاود بالجديدة.

32. أحمد بن بوشة الفرجي سمسار بقبيلته لألفريد ريدمان. وقد مر بنا أنه كان محميا

أمريكيا.

33. الجيلالي بن بوشعيب العوفي سمسار دانييل مادن بقبيلته، وتقدم ذكر ابن أخيه

(رقم 19 أعلاه) الذي كان سمسارا لنفس التاجر.

34. ابن العباس بن الفقيه الصدوقي الغربي سمسار بقبيلة الغربية لموشي بينطو الصوري

منذ يوليو 1881¹⁰.

35. شلومو يوسف لاريدو سمسار الاخوة ليبي القاطنين بلندن.

ت 4 : من قائمة 1895 المحلية¹¹

36. الحاج اسماعيل بن هلال الهلالي سمسار بقبيلته لجيمس كرامة. وكان قد طلب

استخدامه سنة 1893 بدلا من الحاج محمد بن الطيب الكبة سالف الذكر رقم 12. أعلاه¹².

كان الحاج اسماعيل هذا حوالي 1884 يعمل مع يبي لازارو عميل كرامة أيضا¹³.

37. الحاج محمد بن الوافي سمسار بليستريينو بدكالة، بعد أن كان التمس من المخزن منذ

1893 اتخذاه لخدمته¹⁴.

38. محمد بن الهاشمي البوعزيزي سمسار بدكالة للتاجرين بيطر نيطو ولولده بعد أن كان

يراد جعله في خدمته¹⁵ سنة 1893.

9. ورد فيها السماسرة : 1 — 3 — 12 — 19 — 20 — 22 — 23 — 24 — 25 — 26.

10. من السجلات البريطانية : F.O./ P.R.O. 653/3

11. ذكر فيها السماسرة : 3 — 7 — 15 — 22 — 23 — 24 — 25 — 26 — 31 — 32.

12. رسالة إرنيسط سطاو إلى الطريس في 8 دجنبر 29/1893 جمادى الأولى 1311، محفظة بريطانيا.

13. رسالة التازي إلى الطريس في 10 جمادى الثانية 19/1311 دجنبر 1893، محفظة الطريس 25.

14. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 21 مارس 3/1893 رمضان 1310، بمحفظة المغرب بريطانيا.

15. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 6 أبريل 19/ 1893 رمضان 1310، نفس المحفظة.

ت 5 : من وثائق أخرى

39. الحاج علي بن أحمد المنيوي الدكالي سمسار للتاجر أوغوستو بوطير سنة 1891 بمدينة أزمو¹⁶.

40. بوشعيب بن محمد الجديد سمسار شارل بليسترينو سنة 1891 مكان الطيب بن محمد الكنعني رقم 21 أعلاه¹⁷.

41. مير ولد يوسف ابن الساهل أريد اتخاذه سنة 1893 سمسارا للتجارين يعيش ويوسف أفرياط القاطنين بلندن¹⁸.

ث : المستوطنون

أسوق فيما يلي نبذة عن حياة بعض المستوطنين الأنجليز والطارقيين.

1. أسرة ريدمان كان منها أربعة إخوة، قدم أكبرهم جون إلى المغرب في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، والإخوة الآخرون كانوا هم ألفريد الذي خلف أخاه بعد مدة في النيابة عن بلاده والباقيان هما كليمنت وفريدريك¹⁹. فجون قديم الاستيطان بالجديدة إذن. وكان له ولأخيه ألفريد سمسرة وخلطاء تقدم الكلام عنهم. ويستفاد من رسالة برنكاش إلى السلطان سنة 1864 أن «باشدور دولة النجليز كان تكلم معنا سابقا مرارا بعد مرار على خزين كان بيد التاجر ريدمان بالجديدة، ذاكرة أنه كان يتصرف فيه بتصرف الملكية نحو ستة عشر سنة. وهو تحت داره الساكن بها، وهو الذي بناها فوقه قائلا : إن أصل الخزين كان مطفية في وقت البرتغيز وهو أصلحها وصيرها خزيننا، وذكر أنه صير عليها مالا كثيرا وصار يتصرف فيه المدة المذكورة إلى عام 1856 من تاريخ المسيح، ذاكرة أنه كان أنعم به عليه مولانا المقدس بالله على يد الحاج موسى في ولايته.

«وذكر أنه طلبه منه خديم سيدنا الطالب أحمد بن الطاهر السملالي بواسطة خليفته بالجديدة على وجه العارية لنزول قمح المخزن إلى أن يباع، فساعدهم ريدمان المذكور. ثم [إذا] به نزلوا فيه الكبيرت. وهو الآن لا زال مشغولا عندهم.

16. رسالة وايط إلى الطريس في 20 أبريل 1891 / 10 رمضان 1308، نفس المحفوظة.

17. رسالة وايط إلى الطريس في 23 يراير 1891 / 14 رجب 1308، نفس المحفوظة.

18. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 5 يوليوز 1893 / 20 حجة 1310، نفس المحفوظة.

19. ميبج : «المغرب وأوروبا» ج 2، ص 186 (1).

«ولما كان الباشدور المذكور يتكلم معي كنت ندافعه كل وقت بما يناسبه، إلى عام أول
كتب لنا كتابا ووجه لنا طيه نسخ شهادة جعلها بالجديدة أنه كان له ويتصرف فيه تصرف
المالك، بسبب أنه كان يكره لمن شاء بما شاء. فصرت ندور معه في الكلام على أن يستظهر
بأصل تملكه بإذن شريف أو ما يدل على ذلك بكتاب عامل. وهو لا يقبل ذلك منا محتجا
بطول التصرف...»

«فلما حلت بطنجة بالغنا معه في الكلام، مدعيا بقوله إما أن نستظهر له بموجبات عدم
تصرف التاجر المذكور تصرف الملكية في الوقت المذكور وليس هو على وجه العارية، وإلا يقع
الكتب بدفع مفاتيحه في تاريخ عشرين 20 ربيع الأول. وإذا لم يكن ذلك يكتب للتاجر المذكور
ويأذن له بفتح الخزين بيده ويخرج الكبريت منه، وبعد ذلك يطلب كراءه في هذه المدة التي
منعوه منها.

«والآن فقد أوجب الإعلام لسيدنا أعزه الله... ونحن كان تقدم الكلام عندنا مع الأمناء
الذين كانوا بالجديدة في العام الأول فأخبروني أنهم لما قدموا وجدوا ذلك الهري بيد الأمناء وبداخله
كبريت المخزن ولا يعرفون شيئا. وقد كثر الكلام بيننا في ذلك. ولا كتبت حتى خفت أن تقع منه
جسارة ويفتح بها بابا لجلب المعرة مع كونه أمرا قريبا، وخير سيدنا أعزه الله كثير. والسلام»²⁰.

وتقدم أن جون كان يصدر العلك ويستورد المنسوجات سنة 1868.

2. الاخوة كارفر أصلهم من مدينة منتشيسطر التي كانت تصدر المنسوجات المحرقة
بلفظه «كربل». هاته المصنوعات القطنية كانت لباسا للطبجية²¹.

واستيطانهم بالجديدة قديم يعود إلى ما قبل سنة 1858 حينما أكرؤا دارا لهم بالمدينة لتاجر
إسباني لمدة 50 سنة²² ابتداء من السنة الأخيرة.

وكان سفير إنجلترا وقت نيابة محمد الخطيب وولاية أحمد بن الطاهر طلب بقاعا أخذ منها
أولاد كارفر اثنتين بداخل المدينة وخارجها لبناء هرين²³.

وجاء في رسالة سلطانية أن «كربل الإنجليزي اشتكى²⁴ بأن ابن بومهدي الدكالي يبيع
الحبوب للتجار قبل إبانها ويقدمون له ثمنها، وذكر أن ذلك مخالف لما صدر به أمرنا من عدم

20. رسالة برقاش إلى السلطان في 20 صفر 1281 / 25 يوليو 1864، محفظة برقاش.

21. رسالة السلطان إلى الحاج محمد بن سعيد في 10 ربيع الثاني 1292 / 16 ماي 1875، محفظة بن سعيد.

22. من نسخة عقد الكراء في أواخر ربيع الثاني 1275 / أوائل دجنبر 1858.

23. رسالة محمد كُتون والحاج محمد الرايسي إلى الحاج محمد بنيس في 18 شوال 1287 / 11 يناير 1871،
محفظة الجديدة 1.

24. في الأصل : اشترى، من رسالة إلى برقاش في 22 محرم 1279 / 20 يوليو 1862، محفظة برقاش.

اشترى الحبوب وغيرها من أسواق البادية. فاعلم أن الخال وجدده بخضرتنا العالية بالله، فسئل عن أمرنا عما ذكر، فأنكر أن يكون باع ذلك بالبادية وادعى أنه وجه عربونها للجديدة وراء التجار كلهم فيها فلم يريدوه إلا نصرانيين : واحد نجلزي وواحد لم يعرفه وإنما يعرفه صاحبه، ويهوديا. فتفاصيل صاحبه معهم في بيعها، فظهر من هذا أن الخيانة في ابن بومهدي حيث باع الحبوب بالجديدة قبل وصولها إليها، لأن الشأن هو أن لا يبيعها إلا بعد وصولها إليها بعينها، وفي النصرانيين واليهودي حيث اشتروا ذلك منه واكتفوا بالعربون ولم يشتروها بعد وصولها للجديدة...

«وقد وقع الكلام مع ابن بومهدي بخيابة ما باعه للتجار مجانا، وأمرنا أمناء مرسى الجديدة بخيافته منه وبيعه بها لمن أراد اشتراؤه وإشهار ذلك حتى يعرف التجار أن هذه حبوب ابن بومهدي التي باعها على خلاف الأمر. هذا جزاءه هو، وجزاء من اشترى منه هو الحرمان من الشيء المشتري، وإن لم ينضبط الأمر بمثل هذا لا ينضبط».

3 . روبرت أسباني كان مقيما بالجديدة إلى ما بعد 1895. وفي سنة 1871 وقعت له حادثة لكمة أثناءها شخص يدعى العروسي من إيالة القائد الضوء البوعزيزي. وها هي نبذة عنها :

فقد كان سباني حضر في موسم كبير من المواسم المحلية. ولا يُدرى السبب الذي من أجله لطم المغربي هذا التاجر الذي ثار ثأره وثائر الأجانب معاً. وتدخل القنصل «اسطكس» وطلب من القائد زجر الضارب بمحضر المضروب وأعطاه تعويضا زيادة على أجرة الطبيب والدواء».

ولما تأزمت المسألة أكد بركاش على الحاج العربي الشراط الذي كان أمينا وربما قائدا للبلدة في «أن يقف في هاته القضية جدا ويزجر العروسي بمحضر القونص والمضروب» مع اشتراط أن «يكون ذلك بداره ويأخذ بخاطر القونص والمضروب بعد الزجر»²⁵. فأجاب الشراط أن القنصل أصر على إقامة الحد أمام باب القنصلية جهارا، فامتنع القائد الضوء²⁶.

وكان السلطان محمد الرابع مهتما بالقضية فكتب للأمناء «أولا وثانياً على قضية الأعروسي المسجون في شأن الواقع له مع التاجر سباني النجلزي، وذكر — أيده الله — أنه قدم لك الكتابة بأن الدعوى المذكورة من دعاوي المخزن وليس فيها إلا الأدب. وقد أدب المسجون بالعصا وطول السجن، ولم يبق إلا تسريحه، لا سيما والتاجر هو الذي تعدى على نفسه حيث حضر في موسم كبير من مواسم المسلمين يحضر فيه أخلاط الناس وأجلافهم، وأمرنا — أيده الله — أن

25. رسائل مختلفة بمحفظه الجديدة 1.

26. رسالة الحاج العربي الشراط إلى بركاش في 2 رمضان 1288 / 15 نوفمبر 1871، محفظة بركاش. هاته الرسالة مهمة لأنها قد تدلنا على أن الحاج العربي الشراط كان يضطلع بشؤون المدينة.

نكتب في القضية ونؤكد عليك في التماس مخرج لتسريح المسجون، لانه لا يحل التعامي على إبقائه في السجن عرضة للضياع. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء...»²⁷.

وكان سياني نائبا قنصليا للدانمارك سنة 1896 كما تقدم، وكان ممثلا لشركة هيرش وريطر الألمانية من مدينة ليبسيك سنة 1896.

4 . لازارو دي مارية طارقي على ما يظهر من رسم اسمه، وعلى كل حال ليس من الجزر البريطانية على الراجح.

وكان لابنه بيبي Pepe (أي يوسف) سماسة مر بنا تعدادهم. ولا شك أنه كانت له تجارة في التهريب وبيع السلاح. وفي سنة 1886 بنى بيبي هذا «كثورا قريبا من البحر. وكان بيده بلاد بساحل البحر بين الجديدة وتيط الجعافرة من إيالة القائد البوعزيزي لعلها كانت مرهونة لديه لأنهم كانوا يتصارفون معه»²⁸ وهو مكان صالح للتجارة المحظورة حسبها يبدو.

وفي سنة 1894 ورد أن أولاد التاجر لازارو ومنهم بيبي كانوا يستوردون السلاح من طنجة وينزلونه بمرسى آسفي والجديدة وخصوصا بنادق عيار 17 عمارة من عند شخص يدعى آرطورو بيتو A. Pitto كان ترجمانا لدى أمناء الدار البيضاء، غير أن السفير ساطو كذب ذلك²⁹.

واتهمهم عامل آسفي أيضا ببيع تلك المكاحل بعد استيرادها من طنجة. وكانوا «يجعلونها في براميل الصابون على يد ولد بوعز الريكطة حماية النجليز وعلى يد يهودي اسمه ابن الدهان من حماية الافرنسيص» بالدار البيضاء وذكر أن العدة «موجودة عند الرؤساء وبعض الأعيان وعددها 8500» وأن 16 و 13 هما عيارها³⁰.

وشاع أنهم كانوا يحملون السلاح من الجديدة إلى قبائل دكالة وعبدة³¹ وأنهم على صلة ببعض القواد. وقد توجه «بيبي» لدار القائد المصدق العوني ويده عدد من المكاحل ذات 16 عمارة، وصار يبيع فيها للعام والخاص على يد القائد المذكور. ويوم السوق حاز منه 40 مكحلة ودفعها للحاج إدريس بن عمر الشرقاوي لبيعها في بني أزمور». واستنكر الأمناء «انحياش القائد لجانب النصاري» والأعمال التي «يأبأها النفس الإسلامي» وفتح «الأبواب المغلقة»³².

27. رسالة محمد شكون إلى برغاش في 15 ربيع الثاني 1289/22 يونيو 1872، محفظة برغاش.

28. رسالة محمد الجراري إلى السلطان في 23 جمادى الآخرة 1303/29 مارس 1886، محفظة بريطانيا.

29. رسالة إرنست سطاو إلى الطريس في 8 يناير 1894، بالمحفظة نفسها.

30. رسالة عبد الخالق بنهيم إلى السلطان في 6 جمادى الأولى 1311/15 نونبر 1893، محفظة عبد الخالق بنهيم.

31. رسالة محمد بن يحيى إلى السلطان في 8 صفر 1311/21 غشت 1893، محفظة الجديدة 2.

32. رسالة الأمين أحمد ابن الدرقاوي إلى السلطان في 10 رمضان 1310/28 مارس 1893، محفظة بريطانيا.

5 . مستوطنون آخرون

— جيمس كرامة J. Carrara كان يقطن بآسفي ولكنه سكن مدة بالجديدة ولاسيما سنة 1865 حيث كانت له دار ولنائب كارفر «دار مجزية يدفع كل واحد منهما ما ينوبه في الكراء كل عام، وذلك من عهد ولاية السيد أحمد بن الطاهر هنا، وزعما أن داراهما محتاجتان للأصلاح وطلبا منا لندفع لهما المعلمين ليصلحاهما ويصلحان أهريه لهما هنا. فامتنعنا من ذلك محتجين بأن البناء ممنوع هنا بالأمر المولوي...»³³.

وكان سنة 1868 يستورد المنسوجات، وله شركة مع لازارو دي مارية سنة 1884.

— طومس Thompson لعله هو جون طومسن الذي تعاقد مع حكومة بلاده لبناء مقذ للقنصلية البريطانية بالجديدة. وقد استورد 120 برميلا من الإسمنت و 120 برميلا من الحجر الصم. لكن عند وضعها بالمرسى انكسرت وتشتت الكثير مما فيها، فطالب السلطة المحلية بتعويض عن هاته الخسارة³⁴.

— جون باتيسطي أنصادو وهو طارقي كان ينوب عن بعض الدول مثل ألمانيا حتى توفي سنة 1908. وكانت له تجارة مزدهرة.

— ك. جورج C. George استوطن المدينة حتى مات سنة 1879 أو قبلها.

— ناد (?) Nud (?) من قدماء المستوطنين، وكان سنة 1868 يستورد المنسوجات³⁵ ولم أقف له على سمسار ولا على خليط. لكن يجوز أن يكون ناد تحريف لـ Peter Netto الذي هو من أوائل التجار إقامة بالجديدة.

33. رسالة الحاج بوجنان البارودي وأحمد الركراكي في 5 قعدة 1281 / فاتح أبريل 1865، محفظة برشاش

34. رسالة هيربرت وايط إلى الطريس في 10 أكتوبر 1889 / 15 صفر 1307، محفظة بريطانيا.

35. زمام الداخل والخارج بالجديدة في 15 شعبان 1285 / فاتح دجنبر 1868، محفظة الجديدة 1

5 : إسبانيا

أ : السلك القنصلي

1. خاكوبو أليخاندررو بوطليز J.A. Butler عين سنة 1861 نائبا قنصليا لإسبانيا حتى عزل سنة 1866 من منصبه¹ لأسباب سياقي الإلزام بها.
 2. خوان هيري خلفه في هاته الوظيفة وناب عن فرنسا أيضا².
 3. ألبارس بيدريزا Alvarez Pedreira كان سنة 1870 هو المشرف على الشؤون القنصلية المحلية³.
 4. خوسي دي بيرينغئات J. de Perignal صار سنة 1877 نائبا، وله تأليف⁴.
 5. أنطونيو روطوندو A. Rotondo تولى هذا المنصب⁵ سنة 1882.
 6. غير أن نيابته لم تطل لأن فرانسيسكو باثير دي كورسي F. Baguer de Corsi أشرف على القضايا المحلية من 1883 إلى أن نقل سنة 1888 إلى نابولي⁶.
 7. غارسيا كارلوس دياث Garcia Carlos DIAZ تولى الوكالة من 1888 إلى 1893، وله تقرير عن التجارة المحلية⁷، مثل سلفه.
- وهنا تضطرب المصادر في تحديد سلسلة النواب القنصليين، ولهذا فالشخصان الآتي ذكرهما ما كانا في الغالب إلا معينين للنائب القنصلي الرسمي وهما :

-
- 1 . ميج «وثائق التاريخ...» ص 118، ورسالة بوطليز إلى ابن بومهدي في 29 غشت 1866، محفظة إسبانيا التي تضم الرسائل الثلاث الموالية؛
 - 2 . رسالة برغاش إلى ابن بومهدي في متم شعبان 1283 / 6 يناير 1867.
 - 3 . رسالة ميري إي كولوم في 21 أكتوبر 1870.
 - 4 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 154.
 - 5 . المصدر السابق ج 4، ص 402 (4).
 - 6 . نفسه ج 1 ص 67، ورسالة فرانسيسكو إلى أميني الجديدة في 10 شعبان 1301 / 5 يونيو 1884.
 - 7 . سماه ميج في «المغرب وأروبا» ج 1 تارة كارلوس غارسيا، (ص 112) وتارة أخرى كارلوس دياث (ص 100)، أي أنه ترجم له مرتين.

8. مانويل بيدايطا إي أطلايا M. Vidaita y Atalaya تولى سنة 1892 تدير الشؤون حتى نقل في السنة الأخيرة⁸.

9. إنريكي دي نونيث E. de Nuñez عين لهذا المنصب سنة 1893 بعد كارسيه كارلوس⁹.

ب : المحميون

أسمائهم واردة في وثائق مختلفة ومنها أستخرجها.

ب 1 : من اللائحة العشارية ولائحة القنصل (1880)

1. العربي العوفير الرباطي كان كاتباً حتى توفي قبل سنة 1886.
2. محمد بن الحاج الهشتوكي عون حتى سنة 1888 وهي تاريخ وفاته¹⁰. وكان في وثيقة أخرى يقوم بوظيفة «مخزني عساس على الدراهم».
- 3 - 5 : الحاج عبد السلام بلعيد عون أيضاً، وأحمد الأندلسي مستخدم وطباخ، وسأله ولد الأحمر كان طبائخاً ثم صار مستخدماً.

وعن الأخير قال عامل الجديدة : «وأما الولد الأحمر المشار اليه في زمام القونصو فهو وصيف، دون أشغال، اشتراء وهو عنده بداره وكتبه «متعلماً» تَسْتَرَا. وربما إذا عزم القونصو على الركوب في البحر يسبقه على تلك الوجهة. وكنت أطلعت العلم الشريف بذلك وأخبرته بتلك الدسيصة»¹¹.

6. يوسف الفرسى وكان ترجماناً، لكن لم يذكر اسمه في وثائق أخرى بعد ذلك ما عدا إذا كان هو يوسف ولد يحيى عميل الترجمان الوارد في قائمة 1886 المذكور فيها أيضاً الأربعة السابقون عنه. ويغلب على الظن أن يوسف الفرسى هذا هو الذي نقل لأحمد الناصري أقوال بعض المؤلفين من الأجانب مثل مانويل پاولو كاستيانوس الإسباني ولويس دي مارية البرتغالي. وكان صاحب «الاستقصا» في مقابل ذلك يشرح ليوسف ديوان إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي الأندلسي¹² على سبيل التبادل الثقافي.

8 . رسالة مانويل إلى محمد بن العربي برادة في 23 قعدة 1309 / 21 يونيو 1892، محفظة الطريس 22.
9 . رسالة العامل التازي إليه في 8 ربيع الثاني 1311 / 19 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25.
10 . رسالة محمد الجراري إلى الطريس في 7 قعدة 1305 / 16 يوليو 1888، محفظة الطريس 13.
11 . رسالة محمد الجراري إلى بركاش في 13 ربيع الأول 1297 / 24 يناير 1880، محفظة بركاش.
12 . ليثي بروننصال : «مؤرخو الشرفاء»، تعريب عبد القادر الخلاوي، ص 261.

أتم أحمد الناصري بالجديدة تأليفه حوالي 1881. إذ «ظفر من عامل الجديدة بأكياس مملوءة أوراقا كلها أعانته على تحرير أخبار الدولة الشريفة، من التوقيعات السلطانية والتقاريرات الوزارية. ثم تآقت نفس الناصري للوقوف على ما لا بد منه من التواريخ الأفرنجية ... فطلب من أحد القناصل الأروبيين الذين كانت لهم معاملات رسمية وودادية جلب بعض التواريخ في هذا الموضوع، فجلب منها ما تيسر واتخذ له ترجمانا خاصا من الترجامة الموظفين»¹³.

ولا شك أن القنصل هو دي بيرينكنات المشار إليه سابقا من أنه صاحب المؤلفات.

ب 2 : من لائحة 1886 المحلية العامة

7. يوسف ولد يحيى عميل ترجمان. ولا أدري هل هو نفس الفرنسي متقدم الذكر الذي لم يرد اسمه في لائحة 1886.

8 - 11 : محمد بن العربي الخلفي مستخدم سكناه بقبيلة بني خلف بدكالة، ومحمد السالمي كان قرابا حرفته سقي الماء للقنصل، والحاج التيباري ابن العود مستخدم بالكنيسة، والعباس العوفير صار كاتباً بالقنصلية لمدة قصيرة بعد وفاة أخيه العربي، لكن إسبانيا نزعت عنه حمايتها ليتأتى له الحضور والخصام في دعوى إرثية ولتجري عليه أحكام الشرع¹⁴. وتقدم أنه كان سمساراً لمحمي أمريكي. وسيأتي في فصل البرتغال كلام عن شقيقه الثالث بنعاشر. أما أخوهم الرابع عبد الرحمان فكان أميناً بمرسى طنجة.

ب 3 : من غيرها

12. زيد القاسمي كان محمياً قبل سنة 1866 بمدة طويلة. وذكر النائب القنصلي في رسالة احتجاج أنه «يوم تاريخ 29 من شهر غشة سنة 1866 وقع بالجديدة أن المحمي الأسبنيول زيد القاسمي أخذه وجرحوه في رأسه وضربوه وأوثقوا يده وراءه. وبهذه الحالة أدخلوه بداخل الإيالة. وعلموا جهراً أن زيد المذكور محمي من الإسبنيول مدة سنين. والولات المذكورين يخفون ذلك، وأنه في دفتر الخدام الموجه من خليفة القنصلية لدار نيابة حضرة الكتوليكية المحررة 8 أكتوبر سنة 1863»¹⁵.

13. ابن زكي (ولعله ابن زكين) وكان شيخاً لليهود بمدينة أزموور ولاه عليهم أحمد بن الطاهر السملالي سنة 1862. ولكنه مالبت أن اكتسب الحماية الإسبانية¹⁶.

13. مقدمة الجزء الأول من «الاستقصا» ص 19 و 35.

14. رسالة ديوسدادو إلى الطريس في 26 أكتوبر 1886، محفظة إسبانيا.

15. رسالة احتجاج القنصلية الإسبانية، بالتاريخ أعلاه وبمحفظة نفسها وبها رقم 94 / 286.

16. رسالة أحمد بن الطاهر إلى برنكاش في 10 حجة 1278 / 8 يونيو 1862، «الوثائق» ج 4 ص 225.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة القنصل (1880) ومن العشارية معاً

1 - 2 : الحاج بوشعيب بن الحفيان سمسار بمدينة أزموور لخوان بيرناندينو بوراس J.B. Borrás، والحاج محمد بن اسماعيل الحمري الجديد سمسار مول Moll وسنطيس Sintes. وقد ورد هذان السمساران في قائمة 1886 أيضاً ولو أن الأخير منهما سمي في العشارية : الحاج الحمري وتاجر سبيطة وفي قائمة القنصل : الحاج الحمري بن اسماعيل، وفي لائحة 1886 : الحاج محمد الحمري الجديد.

3 - 5 : بوعلام بن قاسم الرحوني سمسار بُودِلُو (أو بوطيو Botello) في العشارية أو سمسار بُيُول Pujol أو مول Moll في لائحة القنصل، والحاج التباري بن الغضفة سمسار خاكوبو في العشارية أو سمسار بوطير في قائمة القنصل، وبوشعيب بن محمد الفرجي سمسار سانس.

ت 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة

6 - 9 : الحاج محمد بن أبيه المنقاري سمسار بوراس بدكالة فخذة المناقرة، ومحمد معيزو الجديد سمسار سبينطا أو سينطيس، وكان قبل ذلك سمساراً لتاجر فرنسي كما سيأتي، والحاج محمد بن الصنهاجي الفرجي الجديد سمسار رفائل الذي هو بُيُول (أو بوخول) Pujol المقيم بأسفي، والحاج محمد بن الحسن الجديد سمسار له أيضاً بعد أن كان سمساراً لتاجر إنجليزي كما تقدم وسيأتي أنه صار سمساراً لتاجر برتغالي سنة 1896.

10 - 11 : محمد بن عبد القادر الترياوي البوعزيزي وعلي بن مسعود الرهوني الحوزي سمساران بالجديدة للتاجر إلياس ولد ثكيو. وعن السمسار الأخير جاء في رسالة محمد بن المعطي التريعي أنه هو وأخوه عبد الرحمان وأخوه الجيلالي كانوا متقعدين عن حقوق المخزن بعد أن كان أبوهم «شيخاً، ولما توفي اشتغلوا بما لا يعينهم وتقاعدوا عن أداء ما نأبهم في الواجب ولوازم الترتيب وفروا للجديدة بقصد الدخول في الحماية وأن متروك والدهم من أملاك وبلادات وأجنات ... هي في الحقيقة للجانب المخزني»¹⁷.

ت 3 : من وثائق أخرى

12. الحاج محمد بن الحاضي الدكالي سمسار فيرناندو طورالبية F. Torralba المقيم بصُنْجَة¹⁸ وذلك سنة 1887، وهو من أولاد فرج.

17. رسالتا الجراري والتريعي إلى السلطان في 7 و 9 محرم 1304 / 6 و 8 أكتوبر 1886، محافظ الترتيب العام.

18. رسالة الجراري إلى سعيد بن بوشعيب في 27 رجب 1304 / 21 أبريل 1887، محفظة الطريس 10.

13. عبد المؤمن بن الطيب الفرجي العبّاري كان فاديريكو روبيو F. Rubio الساكن ربما بطنجة يريد جعله سمساراً له بالجديدة سنة 1893. غير أن المخزن لم يسلم له بذلك لأن عبد المؤمن «كان فاراً من قبيلته لقتل روح ونهب أموال». كما أن الأمناء لم يسلموا بوجود تجارة لروبيو الذي لم يكن بها مقيماً ولا مسجلاً بمرساها¹⁹.

14. أحمد ولد الحاج الفاطمي الدكالي سمسار سينطيس Sintès المتعاطي للتجارة بالمرسى. وقد جعله سنة 1887 بدلاً من سمسار آخر كان معه قبل²⁰ لم يرد بيان اسمه.

15. الحاج العربي بن محمد سمّانة الكلالي الذويبي البوعزيزي طلب له أن يكون سمساراً لطوريس إي بيدال Torres y Vidal بمدينة أزموور سنة 1890. وقد سلم المخزن بذلك بعد أن كان قد مانع في تعيينه لكونه فاراً من الجيش. وكان يحترف مهنة البناء بالدار البيضاء ومشغولاً بما لا يعنيه²¹.

ث : المستوطنون

بعد حرب تطوان وربما قبلها حل عدد من التجار الإسبانين بالجديدة للاستقرار بها. وكانت سبع أسر قد استوطنت المدينة منها بوراس وبوخول (أوبويول) ويول Llul. قدم رفائيل بوخول إلى هاته الحاضرة سنة 1862 للتجارة في الحبوب والصوف²².

وكان آخرون يفدون على الجديدة سرا بحيث لم يسجل بالقنصلية سنة 1883 إلا عشرون شخصاً من جملة الأربعين²³. والقادمون من إسبانيا أو من شمال المغرب كان منهم من يحترفون مهنة البناء.

وفي الفقرات الموالية سأحدث عن بعضهم بادئاً بالنائب القنصلي خاكوبو بوطليز.

1. خاكوبو أليخاندررو بوطليز يستفاد من تقرير بومبي قنصل فرنسا بالضويرة سنة 1869 أن بوطليز من أصل إنجليزي وأن أباه كان نائباً قنصلياً لبريطانيا العظمى بالمغرب وأن شقيقه نحوسي كان نائباً قنصلياً بآسفي وأن أخاهما الثالث كان تاجراً بمدينة قادس.

19. رسالة إلى عبد الحميد التازي في 7 ربيع الثاني 1311 / 18 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25.

20. رسالة الجراي إلى الغسال في 21 شوال 1304 / 13 يوليوز 1887، محفظة الطريس 10.

21. رسالة قنصل إسبانيا إلى الحاج عبد الرحمان الحلو في 13 شعبان 1307 / 4 أبريل 1890 ثم رسالة للسلطان في 17 جمادى الآخرة 1308 / 28 يناير 1891، محفظة الطريس 18.

22. ميسج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 482 (5).

23. أرجين هوج وميسج : «الأوروبيون...» ص 10.

ولد خاكوبو بتطوان أو نشأ بها في صغره. ولما أحدثت إسبانيا نيابات قنصلية بمختلف الثغور سنة 1861 كان السباق إلى تمثيلها بالجديدة بعد أن اختار الجنسية الإسبانية. وبهاته المدينة تخلق بأخلاق أهلها وسائر عوائدهم. وظل من ذلك الوقت نائبا عن إسبانيا حتى عزله سنة 1866 لأسباب سياقي بيانها.

وقبل أن أعرج عليها وعلى مغامرته بنواحي سوس ووادي نون وسجنه هناك مدة ثلاث سنوات سنرى ما قالته الوثائق المغربية عن علاقته مع السلطة المحلية.

يظهر أنه عين سنة 1860 نائبا قنصليا لا سنة 1861 كما تقدم، ولكن المخزن لم يكن على علم بهذا التعيين الذي يتعلق به. فقد اشتكى سفير إسبانيا بأن «خديم مولانا الطالب أحمد بن الطاهر الزموري منع خليفته في الجديدة من تعليق سنجقهم في داره». وكان جواب النائب السلطاني أن العامل لم يمنعه و«إنما أراد خليفة الصبنيول لما يعلق السنجاق يخرجون عليه من الأبراج إحدى وعشرين من المدافع. فلم يساعده ابن الطاهر على ذلك وبقا الأمر واقفا عند ذلك وأيضا هذا الخليفة الذي بعثه نائب الصبنيول إلى الجديدة من غير كتاب فإنه عمل حاجة عن غير القانون...»²⁴. لأن الأدب كان يقتضي إعلام السلطة المخزنية بطنجة بهذا التعيين. وربما كان في احتلال إسبانيا لمدينة تطوان آنذاك مبرر لهذا الافتيات.

ولم تكد تمر سنتان على ذلك حتى اشتكى من أحمد بن الطاهر في قضية حماية ابن زكي من أن «هذا النائب المذكور دخل تحت حمايته عدد كثير من المسلمين واليهود، ومازال يقبل كل من جاء إليه. فوقع اختلال في الأمور المخزنية من أجل ذلك. ولما طلبه الخليفة بتعيين أصحابه ليكون منهم على بصيرة أجابه بأن كل من ادعى الانحياش إليه يتركه عنه»²⁵.

وحدث له شئتان مرة أخرى مع ابن بومهدي. فقد كان بوطليل يشجع أولاد ذويب وأولاد حسين من جوار الجديدة وأزمور على عصيانه²⁶. وتقدم لنا ما ذكره النائب القنصلي عن اعتقال ابن بومهدي للمحمي زيد القاسمي والاحتجاج عليه.

أما عن مغامرته بالجنوب فقد جاء في تقرير بومسي أن بوطليل قام في أبريل 1866 برحلة استكشافية فركب متنكرا متن سفينة إنجليزية إلى الصويرة. ولما فاتح قنصل بلاده بهاته المدينة لم يريد سلوكه من طريق لم يساعده بل نصحه بالذهاب بحرا إلى جزر الخالدات ومن ثم له أن يلتحق بالشاطئ الأفريقي لأن طريق البر غير مأمونة.

24. رسالة الخطيب إلى السلطان في 22 ربيع الثاني 1277 / 7/ نونبر 1860، «الوثائق» : ص 214 — 215.

25. رسالة أحمد بن الطاهر إلى برشاش في 10- حجة 1278 / 8/ يونيو 1862 في «الوثائق» 4 ص 226.

26. رسالة ابن بومهدي إلى برشاش في 25 صفر 1283 / 9/ يوليوز 1866، محفظة برشاش.

كانت الرحلة مدبرة ومهياة بدقة على ما يبدو بالرغم من تصريح قنصل إسبانيا بالصويرة من أن ذلك «كان مغامرة تجارية شخصية محضة من غير علم الحكومة التي لم تلق لها بالا».

ولا ريب أن الشيخ الحبيب بن بيروك كان على اطلاع عليها لما سافر إلى تنيرفي وإلى مدينة قادس حيث التقى بأوساط تجارية إسبانية وكان معه خاكوبو نفسه الذي تقدم أن له شقيقا بمدينة قادس يتعاطى التجارة بها. وكان المراد محاولة فتح مركز تجاري بتلك الأصقاع الجنوبية.

وبعد أسابيع قليلة من هذا السفر حملت الأخبار وصول بوطلير إلى وادي نون وحسن استقباله من لدن الأشياخ المحليين وتبودلت حمولة أو حمولات من البضائع. ثم ذهب خاكوبو ونصاري آخرون إلى تلميم وأحسنست ضيافتهم وتذاكروا في الأوقاف التي ينبغي أن تبرم لإنشاء مركز تجاري بالنواحي الشاطئية.

فماذا وقع بعد ذلك ؟ لقد شاع أن بوطلير لمّا لم ينجح في الاتفاق مع الشيخ الحبيب أراد الانصراف إلى حال سبيله، فأبقاه الأخير سجيناً عنده مع اثنين آخرين من رفقائه.

تضاربت الأقوال في مشاريع هذا المغامر، فهناك من يقول : إن الميناء الجديد سيوضع تحت الحماية الإسبانية وأن رؤساء وادي نون لا يريدون سماع حديث عن حماية إسبانية. وآخرون قالوا : إن الشيخ الحبيب أمر بحمل شحنة من الشعير ليبادل بها سلعا تأتي بها سفينة أخرى طلبها. وبين هذين القولين عن اعتقال بوطلير يبدو أن الرواية الأخيرة أقرب إلى الصواب، في نظر بومبي الذي نقل عنه خبر سياحة خاكوبو.

ومهما يكن — يضيف القنصل الفرنسي بالصويرة — فقد استقبل احتجاز بوطلير بعده التصديق ثم بعدم الاكتراث. فلا أحد يستطيع إعاراة أهمية ما لهذا النزاع الذي كان سببه تقلب في مزاج الشيخ الحبيب الذي لن يلبث أن يعقد اتفاقا جديدا مع نصاري آخرين ذهب هو بنفسه إلى إسبانيا للمناداة عليهم.

وقد اكتشف أنه كان لبوطلير جماعة من الأعوان السريين بالقنصلية الإسبانية. فمن أين كانت تأتية الأموال بين الحين والحين ؟ ثم إنه حاول أن يسترجع حريته بكل ما يستطيع فلم يفلح. ولعله طلب معونة حكومته، ولربما خاطب السلطان الذي قد يكون رد على ذلك ردا سيئا بأن بوطلير لم ينل إلا العقاب الذي يستحقه : فلماذا ذهب إلى هناك إذن ليشارك في التهريب مع نصوص وعصاة ويخلق التشويش في تجارة الإيالة ؟

ولم تقتنع المفوضية الإسبانية بهذا الجواب. ولعلها ألحت بشدة على رفع هذا الاعتقال عن رعاياها. ولربما تدخل المخزن بواسطة الم رابط الإليغي لإجراء مفاوضات مع الشيخ الحبيب الذي اشترط دفع فدية 27 ألف قرش لتحرير السجناء. ومن جهة أخرى تحمس فليبي ريثو قنصل

إسبانيا بالصورة للأفراج عن المعتقلين فأرسل من صندوق الغرامة الحربية دفعة أولى قدرها 50 ألف فرنك أو 10 آلاف قرش إلى أيت باعمران الخجورين لوادي نون. لكن وزير بلاده بطنجة تبرأ من عمله وأمره بالكف عن الخوض في هاته القضية²⁷.

وقد سرح من اعتقاله وعاد إلى المغرب وإلى الجديدة حيث كان له سنة 1880 سمسار أو أكثر. وقد يكون ممن واصلوا السكنى بالجديدة فكانت لهم أملاك حسباسياتي في فصل إيطاليا.

2 . مستوطنون آخرون

— **خوان بيرناندينو بوراس** الذي استوطن آسفي أيضا وكان شريكا لرفائيل R. Moll مول القاطن بالصورة. وكان لهما شريك ثالث هو **خوسي بيبي J. Vive** الذي حل بالجديدة سنة 1859. فكان لهاته الدار التجارية بين 1860 و 1875 شأن كبير²⁸. وكان بوراس قد استجلب الحاضرة من الخارج أي «إقامة» لبناء المقر القنصلي²⁹ فلعله كان بناء أيضا. وكان لبوراس سمسرة، وكان سنة 1868 من مصدري الصوف والشحم خاصة³⁰، وبقي يعيش بالجديدة إلى ما بعد 1894.

— **باروسو : Baroso (?)**. كان «أمينا» بمرسى الجديدة سنة 1879، وقد جاء عنه أنه وسق عبيدين إلى الخارج، فوخته حكومته على ذلك لما ذهب إلى مدريد³¹.

— **غايطانو ... Gaetano**. وسق هذا التاجر، الذي لم يرد بيان نسبه، عبدا من المرسى بترخيص من النائب القنصلي متبعا في ذلك ما فعله تاجران إنجليزيان وتاجر إيطالي قبله سنة 1879. فأمر السلطان نائبه برقاش بالتدخل لمنع ذلك في المستقبل³².

— **مانويل پويرطا M. Pueria** طلب سنة 1893 من الأمناء أن يبنوا له هريا بالجديدة فصدرت الموافقة على ذلك مبدئيا³³. ولم أقف على سمسار أو خليط للثلاثة الآخرين.

27. من تقرير أوغوست بومي قنصل فرنسا بالصورة باختصار، تاريخه 4 ماي 1869 ونصه في كتاب ميج ص 117 — 122 : «وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن 19».

28. ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 518 (2) و ص 484 (5).

29. رسالة برقاش إلى أمناء الجديدة في 10 شوال 1296 / 27 شتنبر 1879، محفظة برقاش.

30. زمام الداخل والخارج بالجديدة في 15 شعبان 1285 / فاتح دجنبر 1868، محفظة الجديدة 1.

31. رسالة السلطان إلى برقاش في 7 رمضان 1296 / 25 غشت 1879، «الوثائق» : 4 ص 465.

32. رسالة السلطان إلى برقاش في 24 شوال 1296 / 11 أكتوبر 1879، «الوثائق» : 4 ص 476.

33. رسالة محمد ابن يحيى إلى السلطان في 28 رمضان 1310 / 15 أبريل 1893، محفظة الجديدة 2.

— ثيوليمو سينطيس G. Sintès التمس سنة 1887 أن تبني له دار حسب قاعدة 6 في
مادة³⁴. ولعله هو التاجر الذي تقدم ذكر سمساره رقم 14 أعلاه.

— البناؤون : كانت الجديدة محط رجال عدد من المهاجرين الحرفيين الإسبانين
كالنجارين والبنائين والفلاحين. ومما يذكر أن السلطان حظر على الوافدين امتحان حرفهم قبل سنة
1892 وبعدها حتى يطلبوا رخصة السلطة المحلية فيما يفعلون من بناء أو إصلاح «لأن أرض
الجديدة ملك للمخزن لا لغيره». ولما كثر الترامي على أرض المدينة جعل المخزن البناء حسب
قاعدة 6%³⁵. ولكنهم قلما كانوا يلتزمون بالشروط، فأمر الحسن الأول نائبه الطريس بمساندة
عامل الجديدة في تثقيف البناء وحث الدوائر الأجنبية على الوقوف عند هذا الحد³⁶.

وكان بالجديدة أيضا بناء ان طارقيان وبناؤون إسبانيون صغار. فأجاب القنصل الإسباني
إنهم «ليسوا صغار السن بل إن واحداً منهم كان له أكثر من 25 سنة من العمر»³⁷.

34. رسالة السلطان إلى الفسال في 2 قعدة 1304 / 23 يوليوز 1887، محفظة الطريس 10.

35. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 شعبان 1309 / 6 مارس 1892، محفظة الطريس 22.

36. رسالة السلطان إلى الطريس في فاتح قعدة 1309 / 28 ماي 1892، نفس المحفظة

37. رسالة مانويل بيدايطا إلى محمد بن العربي برادة في 26 قعدة 1309 / 22 يونيو 1892، نفسها

6 : إيطاليا

أ : السلك القنصلي

الشخص الذي مثل إيطاليا هنا كان هو كارلو مورطيو متقدم الذكر بالدار البيضاء. فقد كان ينوب عنها طيلة عقود منذ سنة 1864 أو قبلها وحتى بعدها¹. وكانت رقعة نشاطه متسعة امتدت من طنجة حيث كانت له دار، إلى مراكش حيث كان له سماسة وجلطاء. ومن المرجح أن يكون له خلفاء بالجديدة لم أقف عليهم، إلا ما كان من برودو Brudo الفرنسي حوالي 1867.

ب : المحميون القنصليون والاستثنائيون

ب 1 : من القائمة العشارية

1 — 5 : الحاج محمد البركاوي كاتب، ومحمد بن ادريس عون، وقد وردا معا في جميع القوائم ومنها لائحة 1894، و العربي بن ادريس ولعله شقيق السابق، وهو عون مثله ذكر في قائمة 1886، و شلومو الأشقر ترجمان، و أحمد بن مبارك مستخدم.

6 — 7 : الحزان موسى مصلياح (وقد يكون صواب نسبه هو المسيح) وهو محمي استثنائي، و يحيى عميل زربول مثل السابق قبل معاهدة مدريد وذكر في قوائم 1886 و 89 و 96 فورث أبناه الحماية عنه. ولعله هو الترجمان بالقنصلية البريطانية المذكور فيها سنة 1864.

ب 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة

8 — 15 : إسحاق بن يحيى عميل وأخوه سعدية و ابراهيم الهنتاتي من أزموور، وسيصير كاتباً بالقنصلية الألمانية ابتداءً من 1890 كما تقدم، و شلومو بن شمعون من الجديدة

1 . رسالة مورطيو إلى ابن بومهدي في 20 حجة 1281 / 16 ماي 1865، محفظة إيطاليا.

و الحزان يعيش بورجل، وكان قبل ذلك ترجمانا بقنصلية النمسا، وروبين بورجل، و موشي بن قاسيس الأزموري و مير بن يشان من مدينة الجديدة، وجميعهم كانوا محميين استثنائيين.

16 . الجيلالي الكليم مستخدم.

ب 3 : من القوائم السنوية

17. محمد بن الحاج قاسم ترجمان مؤقت في جميع القوائم من 1889 حتى 1894.

ت : السماسرة

ت 1 : من العشارية

1. بوشعيب ابن الغميز (أو ابن القميز في قائمة 1886 المحلية) سمسار يحيى عميل.

2 : الحزان يعيش بورجل تقدم أنه كان محميا استثنائيا ثم صار سمسارا لدايد أزولاي الطنجي حتى جرد من السمسرة سنة 1888².

3 - 4 : محمد بن الفاطمي العمري العوفي سمسار كارلو مورطيو بقبيلة العونات ومثله : محمد بن العباس الهماذي البوعزيزي بقبيلة أولاد بوعزيز في جميع القوائم ومنها لائحة 1894. جميع هؤلاء السماسرة ورد ذكرهم في قائمة 1886 المحلية العامة أيضا.

5 - 7 : روبين بورجل سمسار دايد أزولاي وكان محميا استثنائيا، وموشي الدرعي سمسار يحيى عميل، وشلومو عميل سمسار يوسف طونيدانو في لائحتي 1889 و 1891.

ت 2 : من قائمة 1886 المحلية

8 - 10 : الحاج الواعدودي بن بوشعيب بوظهر سمسار كارلو مورطيو بمدينة أزمور، وأحمد بن الحاج الهاشمي الهلالي مثله له بقبيلة بني هلال وشلومو ولد موحو سمسار يحيى عميل بمدينة الجديدة.

ت 3 : من القوائم السنوية الإيطالية

11 . موشي بن قاسيس الأزموري سمسار دايد أزولاي في لوائح 1888 - 1894.

2 . رسالة جانطيلي إلى الطريس في 26 أكتوبر 1888، محفظة إيطاليا، التي وردت فيها أيضاً الرسائل المالية :

12 - 13 : إسحاق عميل وسعدية عميل سمساران لاييهما يحيى ثم لتاجر الماني، والسماصرة الثلاثة السابقون تقدم أنهم كان محمين استثنائيين.

وكان أولاد يحيى عميل زريول سنة 1891 يريدون بناء عرصة مثل مادّن الإنجليزي وبوطليز الصبنيولي اللذين لهما أملاك مجاورة لعرصة أولاد عميل. فردت السلطة على طلبهم بأن «الجديدة ممنوع إحداث البناء بها لأنها هي والدار البيضاء سواء في كون أرضها للمخزن ولا يملك أحد منها إلا الزينة فقط»³.

14 - 15 : أحمد بن المعطي سمسار كارلو مورطيو بمدينة أزمور في قوائم 1888 - 1894، والحاج بوشعيب بن القرشي سمسار له أيضا سنة 1894.

16. نسيم بن شمعون (أو بنسمحون) سمسار موشي ويحيى ابن الصائغ الطنجيين حتى سنة 1889 وفيها أسقطت حمايته⁴.

ت 4 : من غيرها

17. الحاج محمد العمري سمسار كان سنة 1891 يعمل لفائدة دايد أزوإاي⁵.

ث : المستوطنون

1. كارلو مورطيو من أشهر نزلاء الجديدة وعميد الجالية الإيطالية. كان تاجرا في تصدير الصوف والحبوب واللوز والشمع واللبطرون. وقد أسس بالجديدة معملا لصنع الماكارونية وتقطيع الشموع ونشر الخشب حسبما سبق الكلام عنه في مواطن مختلفة. اتخذ لنفسه سماصرة واشترك مع أشخاص آخرين ها هي أسماؤهم حسبما وقفت عليها في رسالة تشوبها ركافة وتعريف وجهها سنة 1865 إلى ابن بومهدي : «الشيخ امبرك الحريشي وأخواتيه : عبد القادر وعلال وبوكر وبوعلي ومبرك : لنا بذمتهم عشرة قطار من الجلد البقري...، وتشد العضود لصاحبنا ونائب حمله هارون بن الفلالي...، وبذمة الحاج أحمد بن معتوق عشرون قطار من الصوف الجزة...»⁶.

2. جيو باتيستا غاراسينو Gilo Battista Garassino كان سنة 1886 مصدرا للحبوب⁷.

3. فابريسيو بيرغونسي Fabrizio Bergonzi وكان قبل سنة 1875 عضوا في اللجنة المغربية الإيطالية المكلفة بفض دعاوي المحمين من آل الدكالي⁸.

3 . مسودة جواب إلى سفير إيطاليا في 14 صفر 1309 / 19 شتبر 1891.

4 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 3 ماي 1889.

5 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 18 غشت 1891.

6 . رسالة مورطيو إلى ابن بومهدي في 20 حجة 1281 / 16 ماي 1865.

7 . تقييد في 9 يوليوز 1886، محفظة الطريس 8

8 . رسالة بارلو كتراندي إلى برنكاش في 10 غشت 1875، محفظة برنكاش.

7 : البرتغال

أ : السلك القنصلي

1. تيتو بلانكي Tito Bianchi كان من أول النواب القنصليين عن البرتغال بالجديدة سنة 1862 على الخصوص¹.
2. محمد العليج البرتغالي أو ميغيل دو كاسترو Miguel do Castro صار سنة 1865 نائبا عن بلاده². وقد مَنَّ الله عليه بالدخول إلى الديانة الإسلامية. ولذلك عزل عن تمثيل بلاده.
3. يطر نيطو الإنجليزي مثل البرتغال بعد ذلك بقليل أو بكثير قبل سنة 1884.
4. جواو جوزي ألفار J. J. Alfara البرتغالي أسندت إليه بعده الشؤون القنصلية ولمدة طويلة .
5. ابنه جوزي بيريش ألفار قام بالأمر بعد سنة 1896.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة العامة البرتغالية (1880) ومن العشارية

- 1 — 5 : محمد بن عثمان العمراني كان كاتباً كما قام بهذا العمل بالقنصلية الألمانية، و حامد بن سعيد ابن ياسين (أو حمو بن سعيد) وكان مستخدماً، و الغندور ابن العكارية عون، و شنطوب كويهن³ ترجمان و محمد بن الجيلالي الزموري الهلالي مستخدم، ولكنه انتقل سنة 1898 إلى القنصلية السويدية حيث صار مستخدماً بها أيضاً.

1 . رسالة بلانكي إلى أحمد بن الطاهر في 26 شوال 1278 / 26 أبريل 1862، محفظة البرتغال، ومبيح في «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 486 (2) ذكر أن نسبه هو بيانكي Bianchi.

2 . رسالة دو كاسترو إلى ابن بو مهدي في فاتح يناير 1866، بالمحفظة المذكورة.

3 . الذي كان أنيد من 300 شخص تحت حمايته (مبيح : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 357).

ب 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة⁴

6 — 8 : محمد بن الطاهر الشيطمي كاتب حل محل محمد العمراني، ومحمد الربيعي الجديد مستخدم ورقاص، و الحاج بوشعيب كيبية البوعزيزي الجديد عون.

ب 3 : من قائمة 1896 المحلية

9 — 13 : موشي صباّح ترجمان، و عبد الكريم الأندلسي عون، و مير بن شمعون مستخدم، و محمد بن حميدة محمي استثنائي أو «حماية من طنجة»، و الحاج محمد بن يوسف عون.

ب 4 : من غير ذلك

14. الحاج محمد بن يوسف، ولاشك أنه غير السابق الذي لن يكون على الراجع إلا سميّه، لأن الأول كان عونا سنة 1896 وهذا كان كاتباً بالقنصلية البرتغالية سنة 1865. وعن الأخير سأل برّكاش عامل الجديدة وعن حاله و«هل هو من أهل الخيارة أم لا، وهل عليه تباعات ودعاوي لأحد. أما التباعات والدعاوي فلا علم لي بشيء ولا اشتكى به أحد أن في ذمته شيء. وأما مصارفته فمن أقبح أهل زمانه، وهو كأهل وقته. وعلى كل حال هو أسهل من صاحبه وقونصوه ومن يهودي ترجمان مع القونصو المذكور. والطيور على أجناسها تقع. وأمرهم كلهم يضر و لاينفع، والأمر لله».⁵ وقد يكون هو المذكور سمسارا لتاجر إنجليزي سنة 1879، ولعله أيضاً الحاج محمد بن يَسْف الفرجي صاحب النزاع مع العامل الجراي حسبما تقدم من أنه كان سنة 1889 محتمياً بإسبانيا.

15. بنعاشر العوفير كان قد طلب الحماية البرتغالية فلم تقبل الحكومة لأنه كان على نزاع مع شقيقه العباس ومع الحاج مصطفى جسوس في مسائل إرثية، وتبودلت في شأنه مراسلات عقيمة بين المفوضية البرتغالية والنيابة السلطانية بطنجة⁶. وتقدم أن هذا المحمي كان تاجراً بمدينة منتشيسطر عدداً من السنين وترقت عليه ديون.⁷

ت : السماسرة

ت 1 : من القائمة السنوية العامة (1880) ومن العشارية

4 . ورد فيها أيضاً المحميون: الأول والرابع والخامس.

5 . رسالة ابن بومهدي إلى برّكاش في 19 ربيع الثاني 1282 / 11 شتنبر 1865، محفظة برّكاش.

6 . بلغ عددها 21 رسالة، فقط بين 23 رجب و 10 رمضان 1304 / 17 أبريل — 2 يونيو 1887، محفظة المغرب البرتغال.

7 . ص 69 من الجزء الأول.

1 - 2 : بوشعيب بن الدكالي و محمد بن الدكالي وهما اسمان محتاجان إلى توضيح
و كانا سمسارين للقنصل ألفارة. وقد ورد الأخير منهما في العشارية هو والمحمي السابع محمد
الريعي بوصفهما سمسارين.

ت 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة

3 - 6 : محمد بن سعيد الحركاتي البوعزيزي سمسار ألفارة بقبيلته، و الحاج بوشعيب
بن يحيى ابن الهواري العبادي البوعزيزي سمسار بيسينتي كونساليش V. Gonzalez بالجديدة.
وكان قبل ذلك سمسارا للتاجر الإنجليزي نيطو، و ابراهيم الجعفري البوعزيزي سمسار ألفارة أيضا
بأولاد بوعزيز، و محمد ابن العكارية سمسار لوزير كونساليش، وهو من أولاد فرج و كان يقطن
بالجديدة.

ت 3 : من قائمة 1896 المحلية البرتغالية⁸

7 - 18 : الحاج محمد بن الحسن (= الأحسن أو الحسن) الجديدي و هارون بن
واعيش سمساران للوزير كونساليش، و الحاج الواعدودي البركاوي و عبد الله بن رحون
سمساران لمنويل كولاصو، و ابراهيم عميل و الحاج سعيد بن يوسف سمساران لخوان ألفارة،
و هارون واقنين سمسار شلومو أزנקوط، و موشي بن يوسف بن شمعون سمسار شلومو كايص،
وأخوه مسعود سمسار پاكو (أي فرانسيسكو) ألفارة، و محمد بن عبد الرحمان البوزيراري مثله في
السمنة لنفس التاجر، و إسحاق هو و حيوط بوحبوط سمساران لروين كوهين.

ث : المستوطنون

أسرة ألفارة كانت مشهورة في الأوساط البرتغالية بالجديدة. وكان لبعض أفرادها سمنة
وشراكة مع أهل المدينتين وأحوازهما. كان لجواو ألفارة ولابنه جوزي بيريش خلطة كثيرة مع المغاربة
من بدو وحضر. وقد تراميا على بحري وجندي من سلاح المدفعية وتخالطا معهما. ولهذا سجنهما
العامل الجراي سنة 1887، فتدخل النائب القنصلي ذاكرا أنهما في حمايته. ومن الذين اشتركوا
معه الحاج الطاهر بن محمد العباري الشهيبي الفرجي الذي كان شيخا وتقعده على أموال المخزن⁹.

وحتى من طنجة كان لبعض موظفي المفوضية البرتغالية خلطة مع دكالة وأولاد فرج ولا
سيما سباسطيان كيشادة¹⁰ ومانويل كولاصو حسبما سبق ذكره.

8 . رقمها بمكتبة تطوان هو 69 / 33 وتاريخها هو 17 حجة 1313 / 30 ماي 1896 وهي بإمضاء القنصل
جواو جوزي ألفارة، وفيها أن المحمين 6 و 7 كانا سمسارين، كما ورد فيها أيضا السمساران 3 و 4.

9 . رسالة الجراي إلى الحاج محمد الغسال في 28 شوال 1304 / 20 يوليوز 1887 ورسالة السلطان إلى
الطريس في 26 ربيع الثاني 1305 / 11 يناير 1888. وعن هذين الجنديين توجد وثائق كثيرة في شوال
وقعدة 1304، محفظة الطريس 10.

10 . رسالة الجراي إلى الغسال في 4 قعدة 1304 / 25 يوليوز 1887 بالمحظة المذكورة.

8 : فرنسا

أ : السلك القنصلي

1. كليمنت ريدمان كان وكيلا قنصليا لفرنسا¹ في زمن لعله ما قبل 1865.
2. خوان هيري كان في السنة الأخيرة يقوم بهذه المهمة حسبما تقدم في الفصل الخامس.
3. وقبل 1865 استوطن جوزيف برودو J. Brudo الذي هو من يهود فرنسا مدينة الجديدة² وصار نائبا قنصليا هو، أو إ. برودو E. Brudo. والراجح أن الأول منهما ناب عن بلاده آنذاك أو سنة 1884 على الأكثر³ وأن هذين الشخصين ربما كانا ذاتاً واحدة.
4. إسحاق برودو خلف أباه جوزيف بعد ذلك. وكان قد أحدث سنة 1891 خطاً بريدياً بين مراكش والجديدة فاستنكر المخزن عمله الذي كان بدون رخصة حكومية⁴.

ب : المحميون

جاء ذكر المحمين والسماسة في مصادر شتى.

ب 1 : من العشارية والقوائم السنوية الفرنسية العامة

- 1 — 5 : محمد بن أحمد (أو حمو) عون، و عبد الله بن محمد و النوني بن شمعون بورجل مستخدمان، و المعطي بن أمينة كاتب، و ابراهيم بيكوز الزناتي ترجمان، وكلهم وردوا في القوائم الفرنسية من 1879 إلى 1882.

ب 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة⁵

- 6 — 11 : مسعود بن قدور عون وكان قبل ذلك سمساراً كما سيأتي، و حكي الشلح مستخدم، و الحزان داويد كويين من يهود أزموور، و هارون بن بيكوز وسيأتي أنه هو أو سمي

1 . ميج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 186 (1).

2 . ميج : «وثائق التاريخ...» ص 85.

3 . رسالة جوزيف برودو إلى محمد الجراي في 6 ربيع الثاني 1301 / 4 يراير 1884، محفظة فرنسا.

4 . مسودة رسالة إلى نائب فرنسا في 18 جمادى الأولى 1309 / 20 دجنبر 1891، بالمحفظة نفسها.

5 . وقد ورد فيها أيضا المحميون : 3 و 4 و 5.

كان ترجمانا بالقنصلية النمساوية، و يوسف بن عدي المسفيوي، و نسيم بن شمعون الذي هو من يهود الجزائر. والأشخاص الأربعة السابقون كانوا محميين استثنائيين.

ت : السماسرة

ت 1 : من العشارية

1 — 2 : يوسف الزناتي سمسار جوزيف برودو، ومحمد الزمراي مثله، وقد وردا معا في القوائم الفرنسية من 1879 إلى 1886 وفي قائمة 1886 المحلية العامة بنفس الصفة وكذا في القائمة الثلاثية.

ت 2 : من القائمة الثلاثية الغفل (قبل سنة 1883)

3. الحاج الهاشمي بن علي سمسار بروسير فيريه من 1879 إلى 1882 ولكنه توفي وشطب على اسمه في القائمة الفرنسية العامة سنة 1883، وهذا هو ما يفيدنا بتاريخ هاته القائمة الثلاثية الغفل. وكان قبل ذلك سمساراً لكنية.

4 — 5 : الحاج علي بن مسعود الحوزي الرهوي سمسار آخر له، ومحمد معيزو الجديد سمسار مینار وكنية.

6. مسعود بن قدور الفرجي سمسارهما، وكان قبل ذلك سمساراً لتاجر إنجليزي.

ت 3 : من القوائم الفرنسية العامة⁶

7 — 8 : يوسف غبادية وهذان الزناتي سمساران لأرتوس (1879 — 1883)، وكلاهما ذكر في قائمة 1886 وهما من يهود الجديدة.

9 — 10 : مسعود الباز سمسار لفيرويه (1883 — 1886) حل محل الحاج الهاشمي بن علي رقم 3 أعلاه، وميمون البحر سمساره أيضا (1879 — 1886).

11. الحاج علي بن شعيب⁷ سمسار مینار (1882 — 1886) بالجديدة.

12. الحاج محمد ولد قاسم ولد مبارك سمسار بدكالة لجاكطي المقيم بالصويرة (1884).

6 . سأجعل بين هلالين تاريخ ورود السماسرة في القوائم.

7 . يضطرب اسم هذا السمسار في جملة من الوثائق فهو في إحداها : الحاج الفاسي بن الشيب، وهو علي بن الشريف في وثيقة أخرى، وهو في وثيقة ثالثة علي ولد عائشة، وكلهم كانوا في خدمة مینار.

13. هارون كويهن سمسار دابيد ليون كويهن المقيم بمرسيليا (1884 — 1885)
- 14 — 15 : أحمد بن الأحسن سمسار مونطيل (1880 — 1881)، ومحمد السماعيل سمسار برودو (1884).

ث : المستوطنون

- كانت الجالية الفرنسية بالجديدة ضعيفة العدد⁸. وكان من أفرادها :
- ماريوس غارسان M. Garcin وقد حل بالمدينة سنة 1834 بوصفه ممثلا لدار تجارية من مدينة مرسيليا⁹.
- جان لوي سيفيراك J.-L. Sévérac استوطن المدينة حوالي سنة 1866 ولكنه انتقل بعد ذلك إلى مدينة الرباط، وهو من مواليد سنة 1840.
- برودو جوزيف وابنه إسحاق. وقد وصل جوزيف سنة 1866 أو قبلها. وكان تاجرا، ومن تجارته تصدير جلود البقر وغيرها سنة 1865¹⁰. وهو من مواليد 1835. وأسرة برودو قديمة الاستيطان هنا منذ بداية القرن الثامن عشر¹¹.

8 . تنظر الصفحة 813، الجزء الثاني.

9 . مبيج : «وثائق التاريخ...» ص 52.

10 . نفس المصدر ص 85.

11 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 26 (7).

9 : باقي الدول

وهي بلجيكا والبرازيل والنمسا والدانمارك والسويد والنرويج وهولاندة. وسيأتي الكلام عنها في ستة مطالب.

المطلب الأول : بلجيكا

أ : السلك القنصلي

1. ر. كورول R. Cowell كان قبل 1868 نائبا قنصليا¹.
2. فليكس ديزكيس F. Desguins تولى المهام القنصلية من 1868 إلى 1878 وكان مهندسا معدنيا².
3. ألفريد ريدمان أسندت إليه هاته الوظيفة قبل 1881 وبعدها³.

ب : المحميون

ب 1 : من العشارية

1. شلومو الدرعي الرومي كان ترجمانا ورد ذكره في جميع الوثائق ومنها قائمة المحميين البلجيكين العامة سنة 1889.
2. التهامي بن بوشعيب بن علي ولد هنية البريكي الفرجي مستخدم في لائحة 1886 أيضا. وذكر سنة 1895 مع المحميين الهولاندين. وتاريخ حمايته هو والذي قبله يعود إلى 1870.

1 . ميسج: «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 337.
2 . المصدر السابق ج 1 ص 100 و «وثائق التاريخ...» ص 144.
3 . رسالة ريدمان إلى الجراي في 25 جمادى الثانية 1302 / 11 أبريل 1885، وابن زيدان : «الاتحاف» 2 ص 492، وكذلك في اللائحتين العشارية والعامة وقائمة 1886 البلجيكية.

3. سعيد بن بوشعيب بن علي ولد هنية شقيق السابق، وكان عوناً قبل سنة 1881 وهي تاريخ وفاته. وقد كان الوكيل القنصلي ريدمان «قد وجه مخزنياً له اسمه سعيد ولد هنية الفرجي البريكي ليقبض ديناً لتاجر من رعية البلجيكي على أناس من أولاد فرج، فمرض ذلك المخزني في دار له بعزيبه بأولاد فرج وتوفي. فوجه خديمنا القائد بوشعيب الفرجي واحداً من أطرافه للمحل الذي مات فيه المخزني المذكور وأخذ صندوقاً له داخله أربعمائة ريال وخمسة عشرة ريالاً قبضها من ديون التاجر. وبداخل الصندوق أيضاً أربعة أزواج دماليج وأربع سلاسل فضة وبعض حوائج الهالك.

«وكان أخ الهالك حاضراً إذ ذاك فخاف من العامل أن يقبض عليه ففر إلى الجديدة لعند خليفته المذكور وأعلمه بالواقع. فطلب من عامل الجديدة أن يكتب لعامل أولاد فرج برد ما أخذه من دار مخزنيهم المذكور. فكتب له أولاً وثانياً فلم يحصل على طائل وتهدد على الرقاص. وأخبرك الباشدور أنه كان كتب في هذه القضية لحضرتنا الشريفة. وذكرت أن هذا العامل لم يكن من حقه أن يمد يده في محمي ولو مات، لاسيما بدون حق ولا موجب... لكونه لا يبالي. وكثيراً ما يقع منه التعرض لما يفضي لكثرة الكلام، وكم شكاية دفعت إليك به...⁴».

وقالت العشارية عن سعيد ولد هنية إن له «شبهة. وسكنه بالبادية».

ب 2 : من العامة

4 — 5 : محمد ولد محمد ابن بوشة الفرجي عون، وعبد الله السالمي كان قراباً يسقي الماء للقنصل.

ب 3 : من قائمة 1889 البلجيكية العامة

6 : محمد بن الجبلي عون.

ت : السماسرة والمستوطنون

لم أقف لهم على أثر، باستثناء ديزكنيس الذي سكن المدينة مدة عشر سنوات. ولما مات قبل سنة 1887 خلف دارين إحداهما كانت كنيسة، وآلت بعض أملاكه إلى الأخوة ريدمان الانجليزين⁵.

4 . رسالة السلطان إلى برنكاش في 8 ربيع الأول 1298 / 8 يبراير 1881، محفظة برنكاش. ومن مزية الأفادات الواردة في هاته الرسالة السلطانية أنها دللتنا على تاريخ وفاة سعيد ولد هنية المذكور في العشارية أنه كان حياً قبل 1881 وبالتالي على تاريخ وضع القائمة وهو ما قبل 1881. فلو كان ميتاً لما جاء النص عليه فيها.

5 . رسالة أحمد بناني ومحمد بن الطيب الزكراشي إلى السلطان في 4 جمادى الأولى 1304 / 29 يناير 1887، محافظ الترتيب العام.

المطلب الثاني : البرازيل

أ : السلك القنصلي

لم أقف إلا على اسم شخص واحد كان يمثل هاته الدولة وهو بيطر نيظو حسبما جاء في القائمة المحلية العامة سنة 1886. ويبدو أنه كان ينوب عنها قبل ذلك وبعده.

ب : المحميون

ب 1 : من العشارية

1-4 : عبد الله بن الحاج مبارك عون، وإسحاق بن عطار ترجمان، وبوشعيب بن مسعود، وعبد الله بن أحمد بن علي مستخدمان.

ب 2 : من العامة⁶

5-6 : الجيلالي بن مسعود الرهوني الحوزي كاتب، وتقدم ذكر أخيه علي مع إسبانيا، وأحمد بن الحاج بوشعيب الجديد عون. وكان سمسارا لبيطر نيظو سنة 1879 حسبما تقدم في فصل إنجلترا، وبقي مع هذا التاجر حتى ما بعد 1895 إن كان فعلا هو المدعو الجديد.

ت : السماسرة

ت 1 : من العشارية

1-2 : الحاج بريك ابن الغميز وأحمد بن ادريس ولم يرد ذكر التاجر الذي لعله بيطر نيظو.

ت 2 : من المحلية

3-4 : محمد بن الخليفة العولي سمسار نيظو بقبيلة العونات فخذة المناقرة، وبوشعيب ابن الهواري مثله.

وقد أشرت إلى أنه هو أو سميه بوشعيب بن يحيى ابن الهواري العبدى البوعزيزي كان سمسارا لتاجر إنجليزي ولآخر برتغالي. فهل هو نفس الشخص في جميع ذلك ؟

6 . وقد ورد فيها أيضا الحميان الأولان.

المطلب الثالث : النمسا

أ : السلك القنصلي

1. دانييل مادن الأنجلزي كان هو النائب عن هاته الإمبراطورية النمساوية الهنغارية سنة 1886 في القائمة المحلية العامة. وقد استمر في هاته الوظيفة حتى اغتيال سنة 1905.
2. وكان دانييليرغ يمثل النمسا بعد سنة 1908 بالجديدة⁷.

ب : المحميون

أ : من العشارية

- 1 — 2 : الحزان يعيش بورجل وكان ترجمانا وأصبح هو أو سمييه بعد ذلك سمسارا لداييد أزولاي المحمي الإيطالي، وسعيد بن يَسَف الفرجي عون.

ب : من المحلية⁸

- 3 — 4 : الحاج محمد بن يَسَف الفرجي وكان كاتباً وتقدمت الإشارة إليه مرات متعددة في الفصل الأول والخامس والسابع. ولا شك أن المحمي قبله من أسرة واحدة، وهارون بن ييگُو الزناتي ترجمان، وتقدم أنه كان محمياً فرنسياً.

ت : السماسرة

لم يرد ذكرهم إلا ما كان من محمد بن الزموري الجديد الذي كان يعمل لفائدة الحزان يعيش المشار إليه أعلاه.

7 . كُتِبَ : «ألمانيا والمغرب» ص 38 (1).

8 . جاء فيها ذكر المحميين الأولين.

المطلب الرابع : الدائمات

أ : السلك القنصلي

1. دانييل مادن تولى أيضا الوكالة القنصلية عن هاته الدولة حسبما جاء في القائمة المحلية العامة سنة 1886.

2. وقد صار روبرط سيني سنة 1896 يقوم بهاته المهمة⁹.

ب : المحميون

1 - 3 : الحاج قاسم بن يسف الفرجي عون، والحاج اسماعيل الهلالي بواب، وأحمد بن هنية الحوزي مستخدم¹⁰. وكان أعوان الباشا هدموا مسكنه سنة 1894 لأن جميع النواويل والدور المقامة فوق أرض مخزنية قد تعرضت لهذا الإجراء بأمر حكومي. ولهذا تعرض القنصل محتجا¹¹.

المطلب الخامس : السويد والنرويج

أ : السلك القنصلي

وتعاقب عليه أربعة وكلاء هم :

1. تيتو بلانكي سنة 1865 حسبما تقدم بالفصل الأول.

2. وفي سنة 1867 كان جيمس كرامة الأنجليزي هو الوكيل¹².

3. آلت النيابة إلى يوسف لازارو دي ماريا¹³ إلى ما قبل 1886.

4. لكن في منتصفها كان خوان خوسي دي مري الإسباني هو الوكيل¹⁴.

9 . رسالة في 11 ربيع الأول 1314 / 20 غشت 1896، بمحظة الدائمات.

10. ورد ذكرهم في القائمة المحلية.

11. رسالة مادن إلى الحاج عبد المجيد التازي في 9 رمضان 1311 / 16 مارس 1894، محظة الدائمات.

12. رسالته إلى ابن بومهدي في 18 جمادى الأولى 1284 / 17 شتبر 1867، محظة السويد.

13. رسالته إلى الجراي في 26 ربيع الثاني 1302 / 12 يراير 1885، محظة الجديدة 1، وكذلك في المحلية.

14. رسالة إلياس كاسيل إلى الطريس في 15 يونيو 1886، محظة السويد.

ب : المحميون

أُتت أسماؤهم في وثائق مختلفة هي العشارية والعامة وقائمة 1898.

ب 1 : من العشارية والعامة معاً

1 - 4 : هارون النقضيم ترجمان، والحاج بوشعيب ابن دغّة الفرجي عون وعلي ابن علّو كاتب، ومحمد بن محمد العبادي مستخدم.

ب 2 : من العامة وحدها

5. محمد بووذية الجديد مستخدم

ب 3 : من القائمة السويدية العامة لسنة 1898¹⁵

6 - 7 : محمد بن الجيلالي الزموري مستخدم وكان قبل ذلك سنة 1880 و 1881 مستخدماً بالقنصلية البرتغالية، وهارون بن دايد أويون ترجمان، وكان منذ 1884 مكلفاً بالشؤون القنصلية، وكانت له معاملات مع أبنائك منتشيسطر وليقيربول، وجمع لديه رسوماً بلغ عددها 43 كانت من أجل ديونه على المغاربة¹⁶.

المطلب السادس : هولاندة

أ : السلك القنصلي

1. تولاه شارل بليسترينو الطارقي الذي حل بالجديدة سنة 1861. وقد مثل هولاندة بها طيلة عشرين سنة¹⁷.

2. وبعده من 1886 إلى 1895 كان ألفريد ريدمان هو النائب القنصلي.

15. ذكر المحميون الثلاثة الأولون فيها وورد اسم المحمي الأول والسابع في ميكروفيلم 462 (م.و.م) عن سنة 1888.

16. رسالة لاطو في 13 مارس 1884 / 15 جمادى الأولى 1301، محفظة السويد.

17. ميسج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 19.

ب : المحميون

جاءت أسماؤهم في وثيقتين هما العامة وقائمة 1898.

ب 1 : من العامة

1 - 2 : الحاج أحمد اللباط المنديلي كان عوناً كما كان مقدماً لطائفة عيساوة. ويغلب على الظن أنه هو الحاج أحمد البوط المذكور أنه سمسار لتاجر إنجليزي سنة 1879 لتقارب النسبين في الكتابة والنطق، والعربي بن حميدة كان ساكناً بأولاد فرج. ولم يرد وجه حمايته ولعله كان عوناً.

ب 2 : من قائمة 1898¹⁸

3 - 6 : التهامي بن بوشعيب ولد هنية عون، وعبد السلام بن التهامي ولد هنية كاتب، وهو ابن السابق، والرگراثي بن الجيلالي، والزموري بن محمد ابن بوسته مستخدمان¹⁹.

18. وهي بإمضاء ألفريد ريدمان بتاريخ 28 يناير 1895، محفظة الحماية القنصلية.

19. تقدم ذكر المحميين الأربعة الأخيرين مع المحميين البلجيكيين.

الباب التاسع آسفي

1 : الولاة والسكان والعمران

أ : الولاة

1. كان محمد ابن عزوز الفاسي عاملا على المدنية في العهد الرحماني وبعده بقليل¹
2. الطيب بن محمد ابن هيمة كان أول أمره أمينا منذ حوالي 1847. وقد عين لهذا المنصب نظرا «لحزمه وضبطه ومروءته»². وليس يدري متى استعمل على المدنية. لكن المحقق أنه كان واليا سنة 1862 ولربما قبلها³. واستمر في الحكم أزيد من عشرين سنة، إذ في منتصف سنة 1885 أدركته المنية⁴.

-
1. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 112 و ص 227.
 2. رسالة ابن عزوز إلى محمد بن ادريس في 22 ربيع الثاني 1263 / 9 أبريل 1847، محفظة آسفي 1.
 3. رسالة الطيب بن هيمة إلى برغاش في 18 صفر 1279 / 15 غشت 1862، محفظة برغاش وكذلك «الوثائق» ج 4 ص 267.
 4. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 9 ص 254 وكذلك رسالة عبد الخالق بن هيمة إلى محمد بن العربي الجامعي في 9 شوال 1302 / 22 يوليوز 1885، محفظة عبد الخالق.

وكانت له خلال ولايته الطويلة خلافات مع الوكلاء القنصلين حسبما سيأتي شرح ذلك في محله. كما عقد علاقات مع بعض التجار الأجانب مثل كراة الإنجليزي وجول الأطرش اليهودي السوري المتفرنس المولود بحلب والمقيم بالصويرة. وكان هذا الأخير مشتركا معه سنة 1854، فصدرا القمح مناصفة بينهما إلى مرسيليا وجنوة لما كان العامل مجرد أمين⁵.

وعن علاقته بكرة واتهامه بخرق القوانين الجمركية قال أمين المستفاد في رسالته إلى برقاش سنة 1882 : «ومن جملة الأمور التي يجب إنهاؤها لسيادتك أمر هذه العظام : فإنه بأسفي في هذه السنة المدخول فيها قليل معدوم للمسغبة التي كانت عندهم في هذا العام. ولا يدخل كثيرا بالأبواب إلا العظام. وحين نطلب أهل الحمايات والأجناس بأداء الواجب عنها يمتنعون ويقولون : «ليست في الشروط»، ويخلصون عليها الأعشار بالمرسى. وهم يقبضون من الأعراب الواردين الواجب تسع أواق للجمل. وكنا قبل هذا نتلطف معهم حتى يؤدوا شيئا تافها ونقول : «شيئا في الجملة خير من لا شيء» لأن ما مر عندهم لا يلتفتون إليه ولا يذعنون لأدائه. فلذلك نقنع منهم في الحال بما يدفعون.

«وفي هذه الأيام قد امتنع جنس الطالين وكنس الأصطرياك من الأداء بالكلية : لا ما قل ولا ما جل. على أن الذي يستخلص الحقوق هو العامل والقوانص من الناس. وهم الذين يتجرون هنا بأسفي فلا يحكمون على أنفسهم. وغيرهم تابع لهم. والعامل هو الذي يغريهم على كل ما يفعلونه ليندرج هو وشركاؤه في ذلك : لأن غالب التجار غير القوانص شركاء لابن هيمة ؛ وهذا الثغر الآسفي أمره غير منضبط كما لا يخفى عليك — حفظك الله — من أجل تجارة العامل والقوانص به.»⁶.

ويعود نفس أمين المستفاد بعد بضع سنوات ليستنكر سلوك الطيب بنهيمه وتملص التجار من الأداء فيقول في رسالة أخرى سنة 1885 عن «الواجب على القانون المقيد في التقييد بأننا شرعنا في قبضه واستقام الأمر والحمد لله.

«وقد سهوت عن شرح حال نصري هذا الثغر وأهل حمايتهم، فإنهم ليسوا كغيرهم، لأنهم هنا يستعملون الحيل كثيرا في إبطال مثل هذه الأمور، ويعملون لذلك براهين ودلائل تشهد بصدقهم حتى يظن من لا خبرة له بأحوالهم أنهم على الحق.

«وكل ذلك تعلموه من عامل البلد القائد الطيب بنهيمه. فكن — أيدك الله وسددك — على بال من هذا. ولا بد أن يتسببوا في إفساد هذا المستفاد كما أفسده قبل القائد الطيب بنهيمه، لأنه هو الذي كان امتنع من الأداء أولا عما يدخله من الحبوب هو وأولاده، فسمع بذلك

5 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 300.

6 . رسالة الحاج محمد الحساني إلى برقاش في 9 رمضان 1299 / 25 يوليوز 1882، محفظة برقاش.

الأجناس فامتنعوا من الأداء عن خبواب، وقالوا : حيث امتنع كبير من رعيتمكم من الأداء فهم أولى بذلك. وكنا أنهيينا ذلك كله لشريف علم مولانا أدام الله تأييده وعلاه...»⁷.

وجاء في رسالة سلطانية: «فقد بلغ لعلمنا الشريف أنك وجهت أولادك وأصحابك لأسواق عبدة يتسوقون لك بها القمح والشعير بقصد التجارة فيهما، فاقتدى بك جميع التجار في ذلك وانكبوا على شرائهما بتلك الأسواق حتى تضاعف ثمن العبدة بسبب ذلك، مع أن شراء ما ذكر وادخاره للتجارة فيه حرام في جميع الملل والأديان، في هذا الوقت الذي لازال أثر المسغبة فيه ظاهرا في الناس...»⁸.

وهذا أمين آخر غاب على العامل سنة 1874 تواطؤه مع أمينين سابقين من أجل التدليس والاحتيال على أخذ المكس بأبخس ثمن وعلى تقويم إصلاح السور بـ 69 ألف مثقال بدلا من 43 ألفا المقوم بها في البداية، مع أن جل السور صحيح. ولئن عزل الأمينان (اللذان لعلهما الحاج عبد الله حصار عامل الدار البيضاء فيما بعد والحاج محمد بنشقرون) وعوضا بعمر بنسعيد وعبد المجيد بنشقرون قبل ذلك ببضعة أيام⁹ فلم يمس العامل أي تدبير زجري.

فهل كان ذلك كله مجرد وشايات كاذبة ؟ ليس في المستطاع الجزم بصحته أو ببطلانه. وعلى كل حال كان الطبيب محل ثقة العامل الذي وجهه سفيرا إلى دولتي ألمانيا والبرتغال لقضاء أغراض حكومية سنة 1878.

وخلال ولايته كان ابنه محمد محتسبا بالمدينة فتوفي قبل والده بستة أشهر، ومات الطبيب سنة 1885 وفي منتصفها¹⁰.

3. وعين ابنه عبد الخالق مكانه، وليس غريبا أن يعيب عليه الأمناء ما عابوه قبلا على أبيه.

وذكر الأمين الحساني أن عبد الخالق كان سنة 1889 يتولى وحده اكتراء ضاية للملح تسمى زيمة، وأن الذين كانوا يريدون مزاحمته عليها كانوا ينالون عقابه، لأن «السفسار كان يذكر أن كل من يريد الزيادة فيها لا يزيد حتى يقدم عند القائد. فكل من ورد عليه يوصيه بعدم الزيادة...»

7 . رسالة الحاج محمد الحساني إلى برنكاش في 28 ربيع الأول 1302 / 15 يناير 1885، بالمحفوظة المذكورة.

8 . مسودة رسالة سلطانية غير مؤرخة إلى العامل، محفظة الطبيب بنهيمه.

9 . رسالة الأمين أبي بكر بن الحاج الباشا إلى موسى بن أحمد في 20 رمضان 1291 / 31 أكتوبر 1874، محفظة آسفي 1.

10 . رسالتنا عبد الخالق والحساني المذكورتان في الهامشتين 4 و 7.

لكن بعض أهل القصبة من الميسورين «لم يذهبوا عند القائد فعملوا لها ثمانية وعشرين ألف مثقال». فقصد أصحاب بنهيمه الأمين وادعوا أن البيع لا يكون «لأولئك الناس لكونهم حفاتاً عراتاً لا يملكون شيئاً. فبحثنا عنهم فوجدناهم مالفين الذمة». وأضاف الحساني أن العامل استغرب كيف أن ريع زيمة الذي كان يُباع بـ 2.000 مثقال في السنة قد صار يُباع بأكثر من 2.000 مثقال في الشهر، مشيراً إلى أن الشيخ مبارك بن أحمد الفطناسي من سكان القصبة جاء «خفية من العامل وقال لي : أقبل ذمة سكان القصبة، فأنا متكفل بهم، فأمضيتها لهم بالثمن المذكور...». وختم رسالته قائلاً إن العامل اعتقل الشيخ مبارك من أجل ذلك، ذاكراً أن له حجة على تزوير القائد¹¹.

ولم أقف على ختام هاته القضية ولا على صحة ما جاء فيها أو على فسادها. ومهما يكن، فقد كان عبد الخالق مثال العامل المطيع لاسيما لما أمره السلطان سنة 1886 بأن يلقي القبض على أخيه «الطالب عمر بنهيمه واصلاً للحضرة الشريفة ... فقبضنا عليه ووجهناه ... ومن اليوم التالي الذي سافر من هنا، وأولاده مقابلون لنا سيكون علينا وينوحون ...»¹².

ومثل ذلك فعله سنة 1892 مع أحمد بن محمد ابن هيمه الذي هو «ابن عم الخديم. وقد كان وقع منه طيش كان أنناه الخديم لشريف علم سيدنا. وذلك أن أباه كان ممن توجه مع الوالد رحمه الله لبر ألمان والبرطقيز، وكان بيده نيشانان من الجنسين. ولما توفي أبوه حمله الصبا وعدم التمييز على تعليق أحد النيشانين. وذهب عند قنصل البرطقيز وقال له : يكون منه على بال. فلما رأينا منه ذلك قصدنا ردعه وإراحته. فقبضنا عليه حتى يترى، وأنهينا ذلك لشريف علم سيدنا دام علاه. فورد عليه الأمر الشريف لتوجيهه [إلى سجن] مصباح»¹³ بمراكش.

وكان ابنه أحمد أحد معنيه أثناء ولايته التي دامت نحو من 9 سنوات أي حتى منتصف 1894 وانتهت بوفاته¹⁴.

4. شقيقه حمزة هو الذي خلفه مباشرة.

-
11. رسالة الأمين إلى السلطان في 3 محرم 1307 / 30 غشت 1889، محفظة آسفي 1.
 12. رسالة عبد الخالق إلى غريبط في 16 محرم 1304 / 15 أكتوبر 1886، محفظة عبد الخالق.
 13. رسالة عبد الخالق بنهيمه إلى السلطان في 4 جمادى الأولى 1310 / 24 نونبر 1892، بالمحفظة المذكورة.
 14. رسالة أحمد بن عبد الخالق إلى الطريس في 22 رمضان 1306 / 22 ماي 1889، محفظة الطريس 16 وكذلك رسالة قاضي آسفي عبد السلام بن الغالي الشرعي إلى السلطان في 12 شوال 1311 / 18 أبريل 1894، محفظة آسفي 2.

ب : السكان والعمران

بلغ قطان مدينة آسفي سنة 1834 حوالي 8 000 نسمة، ثم قفز هذا العدد سنة 1856 إلى 10 آلاف ثم إلى 11 ألفا سنة 1866. ولم تعرف أرقامهم بالضبط من سنة 1874 إلى 1884، ولعلها تدهورت أو استقرت في العدد الأخير، بسبب أن تلك السنوات كانت عهد مجاعة وعدوى. لكن في سنة 1892 وصل العدد إلى 12 ألفا ثم إلى 14 ألفا في نهاية القرن التاسع عشر¹⁵ ما بين مسلمين ويهود جميعا. ولم تتعد أرقام الأخيرين 2500 نسمة سنة 1834 ثم ظلت قارة في ألفين سنة 1857 و 1866 حسبما ورد في مختلف المصادر¹⁶.

بيد أن بعض الرحالة في مطلع القرن العشرين لم يقدر مجموع السكان إلا بـ 10 آلاف، منهم فقط 1 500 من اليهود لا يسكنون في حي خاص، وإنما هم موزعون على أنحاء المدينة. وهو يرى أن الجالية الأروبية كانت تشمل 150 شخصا، منهم أسرة فرنسية واحدة. وأغلب الأروبيين هنا — كما هم في غير هاته المدينة — كانوا صناعا طارقين أو إسبانيين¹⁷. وكان الأجانب قبل ذلك لا يزيدون على عدة عشرات ولا سيما من الإيطاليين كما سيأتي. أما سنة 1881 فكان عدد الكاثوليكين يبلغ نحو الخمسين فردا من الإسبانين والإيطاليين و 170 سنة 1893 و 240 سنة 1898 بينما لم يكن عدد البروتستانتين إلا قليلا يتمثل في البعثة التنصيرية الإنجليزية التي كانت لا تزال حتى بداية القرن العشرين موجودة إلى جانب البعثة الفرانسييسكانية¹⁸، وفي عدد من التجار الإنجليز والألمانيين والنمساويين.

هؤلاء جميعا أو جلهم احترفوا التجارة وتولوا مضاعفة المبادلات من تصدير واستيراد. وكانوا من أجل ذلك مكترين لأهراء ومحلات تجارية من الخواص أو من الأمناء. ومنذ سنة 1865 أو قبلها كان نحو 11 مخزنا بيد طائفة من الأجانب مثل جورج يوناط وطومسن الإنجليز وبورأس الإسباني وكذلك بيد عدد من التجار المغاربة المسلمين واليهود¹⁹.

15. كينث براون : «أهل سلا» ص 48، وعبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 108، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 26 و ج 3 ص 461 و ج 4 ص 397.

16. المصدر الأخير ج 3 ص 26.

17. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 21 — 22.

18. المصدر الأخير نفس الصفحة، ومييج : «وثائق التاريخ» ص 271.

19. رسالة الأمين عبد النبي مزور ومحمد ابن حساين إلى برقاش في 15 ربيع الأول 1282 / 8 غشت 1865، محفظة برقاش.

أما الملاحة التجارية فبلغت حركتها سنة 1853 حوالي 2.000 طن، وسنة 1873 نحو 35 ألف طن. بيد أنها تردت إلى 23 ألف طن سنة 1876، ثم ما لبثت أن ارتفعت إلى 75 ألف طن سنة 1885. وفي سنة 1904 صعدت إلى 125 ألف طن وعرفت ازدهارا شديدا²⁰.

والأصواف كانت من جملة المصدرات، ونسبتها هي 4 % سنة 1860 وصعدت إلى 25 % من مجموع الأصواف المصدرة سنة 1885. وكانت سلع أخرى توسق كالحبوب، وذلك بكميات مختلفة عبر السنوات. وفي السنوات الأخيرة والأولى من القرنين الماضي والحالي كان مجموع الاستيراد والتصدير كما يلي بملايين الفرنكات :

الاستيراد : 2,02 — 1,79 — 2,16 — 2,07 — 2,10 من سنة 1897 إلى 1901.

التصدير : 2,93 — 1,90 — 3,58 — 2,37 من سنة 1898 إلى 1901.

وكانت الغلبة للتجارة الإنجليزية على التجارتين الألمانية والفرنسية²¹ مثلما هو الحال بكافة الثغور.

كان الرواج التجاري مرتبطا بحالة المرسى وتجهيزها. ولم يكن الميناء يسمح بالقيام بكثير من المعاملات والمبادلات ولاسيما سنة 1890. إذ استفاد من تقرير ناجيار ترجمان القنصلية الفرنسية بالصويرة أن المرسى لم تحتو على أكثر من 16 معدية (بركاسة) تقاسمها المراكب الشراعية والسفن البخارية التي كانت الفرنسية منها لا تستطيع الرسو بالميناء لضعف التجهيز، بل كانت تلغي برامج وقوفها بأسفي. ومن أجل ذلك كان التجار يرسلون سلعهم إلى مرسى الجديدة أو ميناء الصويرة على ظهور الجمال. وقد استطاع هذا الترجمان الذي أوفد إلى المدينة لفض خلافات الدكتور آلاز مع السلطة ومع الخواص أن يطلب من الأمناء أن يزيّدوا في عدد المعديات لفائدة المراكب البخارية فوعده خيرا²².

هاته التجارة كانت من دواعي اتحاد القناصل والتجار محميين وسماسرة بلغ عددهم بين 1863 و 1900 نحو 152 فردا وهم على التوالي 89 للأولين (59 منهم يهود) و 63 للآخرين (47 منهم مسلمون). وهذا ما سيوضحه هذان الجدولان، لكن مع إدخال المتكررين فيهما :

20. مبيج : «وثائق التاريخ...» ص 302 — 304.

21. نفس المرجع ص 274.

22. المصدر نفسه ص 188 — 189.

ج 1 : اخصيون (1863 — 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة ²³	4	10	14
إنجلترا	2	3	5
إسبانيا ²³	1	21	22
إيطاليا ²³	1	6	7
فرنسا	7	12	19
البرتغال	5	1	6
بلجيكا	4	1	5
هولاندة	1	—	1
الدانمارك	—	1	1
السويد	4	2	6
النمسا	1	2	3
المجموع	30	59	89

ج 2 : السماسرة (1863 — 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	4	1	5
الولايات المتحدة	3	—	3
إنجلترا	23	9	32
إيطاليا	3	3	6
فرنسا	8	3	11
البرازيل	6	—	6
المجموع	47	16	63

23. لم يتأت الوقوف على أسماء ستة من المحميين الإسبانين وثلاثة من المحميين الإيطاليين ومحمي أمريكي.

2 : الولايات المتحدة

أ : السلك القنصلي

- 1 — 3. كانت أسرة ابن زكّار تتولى النيابة القنصلية بهاته المدينة. فقد كان إسحاق هو النائب سنة 1872 وبعدها، ثم أسندت إلى ابنه الأول يعقوب حتى عزل عنها حوالي سنة 1888 وبعده إلى ابنه الثاني موشى¹.
4. لكن خوان الرومي كان سنة 1887 نائباً قنصلياً² لأمريكا والبرتغال.
5. وبعد ذلك أضيفت الوكالة إلى قنصل أمريكا بالصويرة مير قرقوز.
6. وفي سنة 1890 كان شلومو أمسلّم هو الوكيل كما سيأتي.

ب : المحميون

اتخذ الوكلاء عدة مستخدمين وحما بعضاً من يهود آسفي وتجارها، وقد وردت أسماءهم في جملة من الوثائق.

ب 1 : من الوثيقة 69 / 5

- 1 — 3 : حميدو ولد الحاج علال عون سيصبح سمساراً، و موشى بن إسحاق بن زكّار ترجمان ثم صار نائباً حوالي 1888، وأخوه يعقوب وكان وكيلاً كما كان محمياً قبل سنة 1880.
- وبالرجوع إلى الوثائق المخزنة نجد أنه كان ليعقوب خلاف مع عامل المدينة الطيب بنهيمه الذي قال عنه إن «قونصو المركان بآسفي التاجر يعقوب بن إسحاق بن زكّر : أموره معنا غير

1 . رسالة الطيب بن هيمه إلى برّكاش في 18 رمضان 1297 / 24 غشت 1880، محفظة برّكاش، وكذلك القائمة المحلية العامة (1872) ورسالتا ريد ليويس إلى الطريس في 22 نونبر 1887 و 16 أكتوبر 1888، محفظة أمريكا.

2 . وثيقة بتاريخ 19 ربيع الأول 1305 / 5 دجنبر 1887 تسميه خوان الرومي أو الروسي ولعله هو الإسباني خوان ريسيو. كما توجد رسالة أخرى منه إلى أميني المرسى بتاريخ 11 ماي 1886 بوصفه وكيلاً للبرتغال.

مستقيمة ولا ماشية على القانون». ثم ذكر أن يعقوب هدم دارا «وتثاقل عن البناء وعن حمل ما تساقط من الهدم حجرا وترابا، وضيق على المارين وأرباب الحوانيت». وقد رجا الطيب من برقاش أن يعتني بهاته النازلة وأن لا يعرض عن «جوابها، فأنا في ضيق شديد من أجلها»³.

وكان ذلك سنة 1880. أما في سنة 1883 فقال العامل عنه في رسالة أخرى : «ابن زكر هذا قد جبلة الله على شراسة الأخلاق وغلظ الطبع وقبح السيرة والسريرة منذ كان ... وصار كلما أتاني يأتيني بغلظة وعنف ويستطيل علي في كلامه»⁴.

وجاء عنه سنة 1886 : «أخبر أمناء مرسى آسفي أن ابن زكر قونص المركان بهذا الثغر بلغ المنتهى في سوء المصارفة والترامي وتعدي الطور. ومن جملة ذلك شروعه في بناء هري للمخزن ... ومده اليد في ثلاث حوانيت لجانب المخزن، زاعما شراءها، وهدمه إياها بقصد إدخالها في الهري المذكور، وإغراؤه ولد الرومية على عدم أداء ما بذمته من كراء دار المخزن التي بيده»⁵.

ولما عزل عن النيابة بعد ذلك حاول ليويس رده إليها ولكنه ظل على حاله مع السبلطة المحلية. فقد قال عبد الخالق في رسالة إلى السلطان عن يعقوب بن زكار «الذي كان نائب جنس المركان هنا وعزل عنها : وقد سمع الخديم سماعا فاشيا بأنه صار الآن يطلب النيابة هنا عن جنس الفرنصيص. وهذا اليهودي المذكور لما كان نائب جنس المركان صدر منه من البهتان والفجور والتشبه في الخوض ما لا مزيد عليه. وكان الوالد — رحمه الله — قاسى معه الشدائد والمحن. وإن اقتضى نظر مولانا أن يأمر الخديم الطريس بعدم مساعدته على النيابة المذكورة، وإلا نظر مولانا أسد»⁶.

فكتب السلطان في شأنه إلى الطريس قائلا : «يعقوب بن زكر الذي كان قونص المركان بأسفي وأخر لبهتانه وخوضه وسعيه فيما يكدر الخواطر صار يحاول الآن أن يكون قونص للفرنصيص بالثغر المذكور. فاشرح لنائب الفرنصيص حاله، فالمخزن لا يقبل نيابته»⁷.

3 . رسالة ابن هيمة إلى السلطان في 18 رمضان 1297، (الهامشة الأولى).

4 . رسالة ابن هيمة إلى السلطان في 15 ربيع الثاني 1300 / 23 يناير 1883، محفظة أمريكا.

5 . رسالة السلطان إلى الطريس في 2 شوال 1303 / 4 يوليو 1886، ورسالة لمحمد بن عبد الهادي زنيير والطالب بنيس إلى السلطان في 21 محرم 1304 / 20 أكتوبر 1886، محافظ الترتيب العام.

6 . رسالة عبد الخالق إلى السلطان في 4 صفر 1309 / 9 شتبر 1891، محفظة أمريكا.

7 . رسالة السلطان إلى الطريس في 20 صفر 1309 / 25 شتبر 1891، محفظة الطريس 21.

ب 2 : من 60/ 69 و 59/ 69 الغفلين⁸

4 - 5 : عبد السلام التأمري وبناحيم عطية ولم يرد لحمايتهما وجه.

ب 3 : من القائمة المحلية العامة⁹

6 - 9 : الحاج محمد بن العربي عون، وإبراهيم بن موشي ترجمان، ومسان الصوري مستخدم. «وذكر قونصو الماركان اليهودي إسحاق بن زكر ... أن له متعلما لم يُرد بيانه».

ب 4 : من غيرها

10 - 14 : إسحاق بن زكار كان محميا ونائبا قنصليا، وتقدم ذكر ابنه، وشلومو أمسلم المركاني محمي صار سنة 1890 نائبا قنصليا،¹⁰ وإبراهيم بن داويد أوحيون، وموشي حزران وكانا تاجرين، وأحمد الكرواني وكان كاتباً.

ت : السماسرة

1. محمد بن عبد الرحمان الزمراني كان سمسارا بقبيلة عبدة وبمراكش لتاجر لم يرد بيانه. وفي سنة 1887 جرد من الحماية هو والثلاثة الذين قبله.¹¹

2 - 3 : الطيب بن أحمد الحكيمي كان سمسارا ليعقوب بن زكار¹² حوالي 1872، وحيدو بن الحاج علال كان عوناً ثم صار سمسارا.

8 . جاء فيهما ذكر المحمي الأول تارة باسم أحمد وتارة أخرى باسم حمادي. وفي غيرهما أنه سمي حميد (بتشديد الياء). وسيأتي ذكره مع السماسرة، ثم مع المحميين الفرنسيين.

9 . سيأتي تحقيق لتاريخها (1872) مع إسبانيا ورقمها هو 202/ 288.

10 . رسالة ماثيوز إلى الطريس في 13 شتير 1890، محفظة أمريكا.

11 . رسالة ريد ليويس إلى عبد الخالق بنهيم في 23 يوليوز 1887، بالمحفظة نفسها.

12 . القائمة المحلية العامة.

3 : إنجلترا

أ : السلك القنصلي

1. تولد سنة 1858 فريدريك كارستنسن F. Carstensen حتى سنة 1865 عند انتقاله إلى الصورة¹.
2. حوالي 1867 كان وليام جيمس إيلتون W. J. Elton نائبا قنصليا².
3. ليويس فورد (الجد) L. Forde أسندت إليه شؤون النيابة القنصلية مؤقتا حوالي 1869³. وكانت وفاته قبل سنة 1873.
4. أما جورج يوناظ G. Hunot فقد عين نائبا قنصليا من 1869 إلى آخر القرن الماضي. وقد وصل إلى المغرب سنة 1856. وله تقارير تجارية⁴. وكان سنة 1872 ينوب عن النمسا والدانمارك وبلجيكا حسب القائمة المحلية العامة.
5. ولربما كان طوماس يول T. Yule يمثل بلاده⁵ سنة 1878 بصفة عارضة.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية العامة

- 1 - 3 : المحجوب ابن الربي الأسفي عون، ومحمد بن علي العبدى مستخدم، و دايد بيطون الأعور طباخ.

1 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 84 و ج 2 ص 275.
2 . إشهد بتاريخ 7 ذي الحجة 1283 / 12 أبريل 1867، محفظة آسفي 1.
3 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 378 (6).
4 . المصدر الأخير ج 1 ص 123 وكذلك رسالة جون هي إلى بركاش في 9 مارس 1875، محفظة بريطانيا.
5 . رسالة القائد الحاج محمد ابن المرباط إلى السلطان في 29 جمادى الأولى 1295 / 31 ماي 1878.

4. موشي بووذين ترجمان، ولعله هو الذي وصف سنة 1864 بتعاطي الربا وأكل أموال الناس بالباطل⁶.

ب 2 : من غيرها

5. الحبيب ابن السباط من يهود آسفي، وكان ترجمانا بالوكالة القنصلية. وكان سنة 1893 «بصدد الانتقال بأولاده لبلاد الشام لُقْدُسِهِمْ ويريد أن يبيع دار سكناه للمخزن»⁷.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة السماسرة سنة 1879

1 — 2 : محمد بن علي المصلوحي سمسار جول يوناط وشركته، ومثله محمد الشرقاوي الشهلوي حتى ارتكب سنة 1882 ما أوجب نزعها منها فحاول الدخول لحماية فرنسا⁸.

3 — 4 : سعيد أزولاي والحاج محمد بن الخضر سمساران لشركة مردوخ بوظلير.

5 : الحبيب عطياس (أو عطية) سمسار إ.ج.ر. كرامة E. J. R. Carrara.

6 — 7 : الحاج المدني بن علي⁸ وأحمد بن عبو بن الهاشمي سمساران لهنري طومسن.

8 : الطيب بن حيدة ابن عدي سمسار زينو وإخوانه. لكن القائمة المحلية العامة ذكرت أنه سمسار لمن كان يدعى إنريكي أو الريكي دون بيان نسبه. فهل هو هنري طومسن سالف الذكر ؟

9 : محمد بن الطيب بن حيدة سمسار زينو مثل أبيه. وقد ورد ذكره بهاته الصفة أيضا في قائمة 1889.

10 — 11 : المحجوب ميتة سمسار إدوارد يوناط، وهذان كويين الرباطي سمسار يعقوب موشي سنانيص.

12 : الحاج الحسين الشياظمي كان سمسارا بالشياطمة لأدوارد كرامة قبل سنة 1878 وأتى اسمه في قائمة 1889. وجاء في رسالة سلطانية سنة 1878 عن الشياظمي أن «خدمنا الحاج محمد ابن المرباط الشياظمي ترامي عليه ... وأخذ له جميع ما بيده للتاجر المذكور وكشف

6 . ابن زيدان : «العرز والصولة» ج 2 ص 195.

7 . رسالة عبد الخالق بنهيمه إلى السلطان في 20 جمادى الثانية 1310 / 9 يناير 1893، محفظة عبد الخالق.

8 . رسالة السلطان إلى برقاش في 7 جمادى الأولى 1299 / 27 مارس 1882، محفظة برقاش.

8م . في رسالة لحمزة بنهيمه في 4 شعبان 1312 / فاتح مارس 1895 أن الحاج المدني تبرأ من الحماية بعد أن قضى فيها نحو العشرين سنة.

السر عن نسائه وأخذ جميع ما بداره ... فقد أمرناه بتسريح السمسار المذكور وبأن يرد عليه جميع ما حازه من متاعه ومتاع غيره وبين موجب فعله»⁹.

وقد أجاب عنها «خديم المقام العالي بالله الحاج محمد بن المرباط الأحلافي» بالإنكار التام وبجهله القضية من أصلها حتى ورد الكتاب السلطاني، واصفا السمسار بأنه «قد افترى على الله كذبا. وقد أكل أموال الناس واشتغل بالباطل وبما لا ينفعه. ومن جملته — سيدنا — رجل من إخوان الفاسد غريض الحاحي الذي برباط أبي محمد صالح. وقد قدمنا الإعلام لسيادة سيدنا — حفظه الله — أنه اشتغل بالبهتان مع التاجر طامس الصوري قنصل دولة الإنجليز بأسفي»¹⁰. وهذا الجواب بلغه الحسن الأول إلى برّكاش وأمره بأن يعلم «الباشدور بذلك ليكون على بصيرة من حقيقة القضية ولا يكون ينصت بعد لأهل الترهات والأباطيل ...»¹¹.

ت 2 : من قائمة سمسارة 1889

13 — 14 : الحاج علال ولد التهامي سمسار هنري طومسن، و بوزيد الشقوري مثله للتاجر المذكور حتى تخلى أحدهما عن الآخر سنة 1894. بوزيد هذا «من أعيان آسفي كان قد احتفى بالإنجليز. وهو الآن قد تبرأ من تلك الحماية بالعدول، ويريد ظهيرا بالتوقيع»¹².

15 — 16 : الكوش بن هو و عبد القادر بن الجيلالي سمساران لجول يوناظ بعبد.

17 — 18 : أحمد بن الجيلالي، و الجيلالي بن هو سمساران لشركة بوطلير بنفس القبيلة.

19. المعطي بن كحيله سمسار ليم Lamb وإخوانه بقبيلة عبدة.

ت 3 : من القائمة المحلية العامة مع تعليق الأمناء عليها

20 — 21 : ابراهيم ولد الحزان يعقوب ابن السباط الصوري و سعيد بن ابراهيم بن سعيد أوحنا سمساران لدابيد السروجي المحتفي بإيطاليا الذي كان بدوره ممثلا لجيمس كارطيس.

22. مخلوف الطنجراوي سمسار إباول الذي هو على الراجح پاور Power الإنجليزي الذي «سافر لجبل طارق لينظر مع من يبيع ويشترى مع أنه لم يخدم بالمرسى قط».

23. يوسف ولد إسحاق ابن ساعود سمسار التاجر اليهودي المراكشي جاكو ولد الرومية «مع أن هذا اليهودي لم يسق بالمرسى إلا مرة واحدة : وسق شيئا ضعيفا فلا يسمى تاجرا».

9 . رسالة السلطان إلى برّكاش في 23 جمادى الأخيرة 1295 / 24 يونيو 1878، محفظة برّكاش.

10. جواب ابن المرباط إلى السلطان في 29 جمادى الأخيرة 1295 / 30 يونيو 1878، بالمحفظة المذكورة.

11. رسالة السلطان إلى برّكاش في 6 رجب 1295 / 6 يوليو 1878، بالمحفظة نفسها.

12. رسالة عبد الخالق بنهيمه إلى السلطان في 20 شعبان 1311 / 26 يراير 1894، محفظة عبد الخالق.

24. عبد الرحمان الشلح سمسار زينو الذي «ذكر أنه على نية التجارة بآسفي في المستقبل».

25. هارون ولد ميمون أوحيون سمسار لنفس التاجر «مع أن هذا اليهودي لا يصلح للسمنة لكثرة جرأته».

26. علي بن الحاج محمد العليوي العبدى سمسار الريكي أو إنريكي (هنري طومسن؟).

ت 4 : من غيرها

27. محمد بن يفو السلاوي الجديدي سمسار لشركة أندروز¹³.

28. العياشي بن عمر الزمراني سمسار شركة يوناظ¹⁴.

29. الحاج التهامي بن الشرقي مثل السابق¹⁵.

30. محمد بن العياشي البوعزيزي سمسار أندروز¹⁶.

31. العربي بن ادريس الدكالي سمسار الإخوة ليم بقبيلة عبدة¹⁷.

32. مسعود أصولي سمسار مردوخ بوطليل وشركته¹⁸.

ث : المستوطنون

عاش بآسفي طائفة من الرعايا البريطانيين مشغلين بالتجارة وغيرها. وكان منهم مكثرون لمستودعات عقارية حكومية حسباً تقدم. وها هي أسماء بعضهم :

1. أ. جوردان A. Jordan الذي توفي حسب قائمة سماسة 1879 قبل هاته السنة.

13. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 21 مارس 1893 / 3 رمضان 1310، محفظة بريطانيا.

14. المصدر الأخير.

15. رسالة هيربيرت وايط في 3 أبريل 1891 / 23 شعبان 1308، بالمحفظة نفسها.

16. الرسالة الأخيرة.

17. رسالة وايط إلى الطريس في 17 أبريل 1891 / 8 رمضان 1308، بالمحفظة المذكورة.

18. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 17 يراير 1893 / 30 رجب 1310، بالمحفظة نفسها، وقد يكون أصولي تحريف أزولين أو عسولين.

2. طوماس يول من مواليد إيقوسيا سنة 1838. أقام بأسفي نائبا عن شركة التاجر الذي بعده. ولكنه رحل إلى الصويرة وكان قاطنا بها سنة 1871 على الخصوص ومشتغلا بالتجارة¹⁹.
3. ديفيد ت. بيري D.T. Perry (أو أباري في الوثائق المخزنية) كان له نشاط يمتد إلى الصويرة كذلك. وهو من مواليد إنجلترا سنة 1822. وعاش بالصويرة كذلك²⁰.

ولم أقف هؤلاء الثلاثة على سماسة.

4. ليويس فورد (أو لويز فورط عند الكتاب المغاربة) استوطن المغرب واستقر بأسفي. لكن ابنه وحفيده اللذين يحملان نفس الاسم والنسب تقدم أنهما كانا قاطنين للتجارة بالعرائش. وقد أثرى الجدد من تصدير الحبوب إلى الجيش البريطاني في حرب القرم، مما يدل على أنه حل بالمغرب قبل سنة 1856. وقد ربط صلات مع المخزن وكان له وكلاء بالجديدة والصويرة وجبل طارق، وقد نال امتيازات كثيرة. وحتى سنة 1865 كان يمثل أبناكا أجنبية بالمغرب. ولما توقفت حركته سنة 1864 سقط دخل المرسى إلى النصف²¹.

على أن السلطان قد أنعم عليه سنة 1862 بوسق القمح نظرا لتوسطه في الحصول على طرف من مبلغ الغرامة الحربية المؤداة إلى إسبانيا²².

5. أندروز W.H.C. Andrews قضى سنوات طويلا بالمغرب. وكان له سماسة حتى أفلس. في تجارته سنة 1906. وكان من الذين شاركوا في محاولة الاستقرار بأصاكا مع جيمس كارطيس²³. J. Curtis.

كانت معاملاته قوية مع المغاربة. إذ في سنة 1890 بلغ عدد غرماء شركته نحو 65 شخصا، بينما لم يكن للأخوة ليم إلا 9. أما شركة يوناط فقد كان عدد المدينين لها حوالي 80 فردا²⁴.

6. أسرة يوناط كان منها إدوارد وجول وجورج. الأخير منهم كان نائبا قنصليا. وكان لهم سماسة حسبما مر بنا في محله.

19. ميسج : «وثائق التاريخ...» ص 159.

20. نفس المصدر والصفحة وكذلك إشهاد بتاريخ 7 ذي الحجة 1283 / 12 أبريل 1867، محفظة آسفي 1.

21. ميسج «المغرب وأروبا» ج 3 ص 378 (6) وص 61 (6).

22. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 449، وكذلك رسالة سلطانية في 18 محرم 1279 / 18 يوليوز 1862، محفظة برشاش.

23. ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 62.

24. رسالة عبد الخالق بنهيمه إلى السلطان في 18 ربيع الأول 1308 / فاتح نونبر 1890، محفظة عبد الخالق.

جورج (المدعو جورش والمعتقد أنه من هاته الأسرة) ربط علاقات ربوية مع بعض القواد ولا سيما الأحسن الكركثوري أحد عمال الناحية كالحوز أوالدير. واستدان القائد له سنة 1871 بمبلغ 25 ألف ريال. ولما عرض ذلك على الكركثوري قال إن الأصل هو 4000 ريال. فلما حل أجلها ولم تؤد ضوعفت عليه بأمثالها حتى وصلت إلى القدر المذكور.

وليس يدري وجه هذا الدين. لكن قد يكون تسبيقا عن بيع حبوب الزكوات والأعشار. وكل ذلك كان ممنوعا كما هو معلوم. وألح الدائن على غريمه مطالبا بالأداء، ومشتطا بأن تؤدي القبيلة هذا الدين. وإذا بلغ ذلك لعلم السلطان كتب إلى ولي عهده مانعا هاته المعاملة وقائلا: «فقد أحسنت — أصلحك الله — في عدم مساعدة ظالم نفسه فيما طلبه من استخراج الدين — الذي تحمله — من القبيلة لأنه تحمله في شهواته، وصرفه في لذاته. والقبيلة هي التي كانت تقوم بالدفع من عندها بواجبها وهداياها، لا هو. فلم يفرض عليها ذلك؟ لا، لا»²⁵.

وسياتي بمراكش أن هذا القائد استسلف أو استدان لپول لامبير الفرنسي بمقدار آخر.

7. هنري طومسن H.J.H. THOMPSON هذا التاجر الإنجليزي عاش أكثر من ثلث قرن بمدينة آسفي حتى توفي بها سنة 1894. وقد تولى النيابة عن السويد والنرويج طيلة مقامه بالمدينة. كان يتعاطى التصدير ولا سيما للقطاني والحبوب والصوف وغيرها. وسلف تعداد بعض سماسرته. أما سنة 1866 فكان له خلطاء، منهم شريك أو صاحب أو سمسار يدعى أكراب²⁶.

وقد سعى سنة 1889 في سجن خليطه عبد القادر بن سبوعة حتى قيل إنه مات في سجنه، وأشيع أن الغريم طومسن استولى على عرصتين وعلى دار كانت في ملك الهالك. غير أن التحقيق لم يثبت صحة لهاته المقولة²⁷.

8. بوطليز أسرة كان لأفرادها سماسة بآسفي والدار البيضاء والجديدة، وكانت لهم تجارة عريضة. وكانوا جد معروفين إلى حد أن إسم الأسرة في اللسان الدارج حُرِفَ إلى باطلا.

25. رسالة السلطان إلى مولاي الحسن في متم شعبان 1288 / 13 نونبر 1871، محفظة الصورة 2.

26. من موجب عدلي في 23 جمادى الأولى 1283 / 3 أكتوبر 1866، محفظة السويد.

27. رسالتنا السلطان إلى الطريس في 3 جمادى الأولى و 6 رجب 1306 / 5 يناير و 8 مارس 1889، محفظة الطريس 16. الكلام في الرسالة الأولى يدور حول طوماس وليس طومسن. فهل هو طوماس يول؟ أم أن الكتاب حرفوا الاسم لتشابه كتابتهما ومخرجهما؟ وقد تركت الأمر على حاله حتى يتضح استقبالا.

4 : إسبانيا

أ : السلك القنصلي

1. كان خوسي بوطليز وكيلًا قنصليًا سنة 1865 وبعدها بقليل¹.
 2. وفي سنة 1878 أو قبلها أسندت هاته المهمة إلى فرانسيسكو دي غوميث² F. de Gomez.
 3. أنطونين (أو أنطولين) بيتو A. Pitto مثل بلاده سنة 1885 بمدينة آسفي³.
- ولم أقف على أسماء وكلاء آخرين، مع العلم أن أشخاصًا من «الأمناء» كانوا يراقبون دخول المرسى وينوبون أحيانًا عن الوكلاء والقناصل بآسفي وبغيرها من الثغور.

ب : المحميون والسماسة

- جاءت أسماء الأولين في مختلف الوثائق المغربية القديمة. أما السماسة فلم يرد لهم ذكر.
- ب 1 : من القائمة المحلية العامة⁴
- ومنها سأقتبس أسماءهم بنصها الخاص بهم مع تعليق السلطة عليها :
- «خليفة جنس الصبنيول الذي بآسفي كان دفع لي قبل هذا بنحو شهر ونصف زمام من في حمايته وهم :

« 1 — 12 : الحاج محمد الكاروشي، و الذمي السلاي بن يكان، و يوسف بن حم المكناسي، والذمية زهرة ييطون، واليهودي إسحاق الطنجاوي، واليهودي ابراهيم ميمران،

-
1. رسالة في 9 يراير 1867 / 4 شوال 1283 بمحفظه آسفي 1.
 2. رسالة دي غوميس في 18 يونيو 1878، محفظة برقاش.
 3. رسالة أنطونين إلى عبد الخالق بنهيمه في 12 قعدة 1302 / 23 غشت 1885، محفظة الطريس 5.
 4. سأستمر متشهدًا بها وهي غفل من التاريخ الذي سنطلع قريبًا على تحقيقه في رسالة موالية. رقم الوثيقة هو 202/ 288 بمكتبة لم أقف بعد عليها. أما عنوانها الكامل فهو «بيان أهل الحماية الذين عند خلفاء قونصوات الأجناس الذين بآسفي وتجارهم».

و اليهودي ميمون بن الحزان ابراهيم آحيون، و اليهودي نسيم الليوى، و اليهودي يوسف ولد ابراهيم الليوى، و اليهودي شمعون الكوهن، و اليهودي شلوم ولد الليوى، و اليهودي ابراهيم موشي بووذين 13

«ثم إنه كان طلب مني أن نرد له زمامه قبل وصول كلامك⁵ على الحماية، وذكر أن بشادورهم كتب له بذلك وذكر له أن لا يدفع لي زمام من في حمايته حتى يرى بعينه زمام الفرنسيس والنجليز. ثم إنه ذكر لي أناسا آخرين في حمايته، وذكر أن هؤلاء الثلاثة عشر⁶ هم رعية لجنسه. وبيان الأناس الذين عين ثانياً هم :

«13 — 18 : ترجمانه اليهودي مسعود بن عدي الأسفي، و ترجمانه في كلفة المرسى اليهودي يعقوب لبي التطواني، وذكر لي أن له مخزني وثلاثة خدامة لم يعينهم 6.
«19 — 20 : وذكر أن الأمين الصبنيولي الذي بالمرسى له متعلمان لم بينهما 2».

ويستفاد من رسالة سلطانية موجهة إلى بركاش سنة 1872 «تفاحش أمر الحماية بأسفي وكثرة المدعين لها، وخصوصا على يد قونصو الإصبنيل به كما قدمنا. وذكرت أنك تكلمت مع باشدور الإصبنيل وشرحت له حال خليفتهم المذكور مشافهة وكتابة. فأجابك عن كتابك وحصر حمايتهم بأسفي في ثلاثة عشر رجلا⁷ مع بوابة ورؤاي ومخزني وترجمان وسمسارين لبوراس. فراجعته فيهم وأجابك بأنه وجدهم في الحماية قبل إتيانه للخدمة. وتكلمت مع نائب اللنجليز في ذلك فوجه لك تقييدا فيه أربعة أناس⁸. وتكلمت مع نائب البردقيز فوعده بالكتابة لخليفته بأسفي لما ذكرت في أمر اليهودي ابن الصبّاح وفي حصر الحماية. ولم تتكلم مع غير النواب المذكورين حيث لم تكن شكاية تتعلق بهم.

«فقد حصر باشدور الإصبنيل حمايتهم بأسفي في نحو عشرين رجلا كما ترى⁹. ولا يسلم له ذلك. فإن الحماية المعول عليها هي المصرح بها في الشروط.

5. لعل الخطاب موجه إلى بركاش.

6. نلاحظ أن عدد المحمين المذكور حتى الآن هو 12 وليس 13، مما يدل على أن سهوا قد حصل للناسخ عن كتابة المحمي الثالث عشر. ولنتذكر هنا الرقم الأخير لبعيننا على تحقيق تاريخ الوثيقة من النص الموالي.

7. هذا ما يؤكد ما ذكرت في الهامشة السادسة أعلاه.

8. هم الأولون المذكورون مع المحمين الإنجليزين.

9. هذا بيت القصيد : القائمة الغفل 288 / 202 كانت موجودة قبل غشت 1872. وأرقام المحمين الإسبانيين تطابق ما في هاته الرسالة السلطانية المستشهد بها. وهذا ما يدفعني إلى القول بأن تاريخ الثانية هو 1872.

«وقوله إنه وجدهم في الحماية قبل إتيانه للخدمة فالشروط لما عقدت بقي الأمر فيها على ما كان عليه. ولم يقع فيها تبديل ولا تغيير عدا أموراً قريبة ترجع للتجارة وما يتعلق بها. فراجعها لتكون على بصيرة، والله يعينك والسلام».¹⁰

ولعل القنصل المشار إليه أعلاه هو خوصي بوطليز. وقد كان العامل ابن هيمة حازماً معه ومع غيره، وظل كذلك سنة 1879 لما ذكر لبركاش أن القنصل الإسباني (الذي قد يكون هو فرانسيسكو دي كومييس) قد «أكثر علينا من الحماية في المدينة والقبائل بدون قانون ولا طريقة. فإن القانون أن لا يحمى شخص إلا بالورقة من طنجة، وأن الحماية لا بد من بيان وجهها من الأوجه المحصورة فيها الحماية. وكادت الأحكام أن تتعطل من جهة كثرة من يريد الاحتواء به بلا قانون. وقد رام إدخال شخص في حمايته مع أنه في حماية البردقيز، وله مخالطة مع قونصو البردقيز. ثم لما أراد أن يخوض معه في الحساب لتبرأ ذمته مما عنده تعلق في الصبنيول ورام الاحتواء به. فكتب لي قونصو الصبنيول أنه نائب تاجر بقالص وأنه أثبتته بسبب ذلك في زمام حمايته، فأجبتُه بأن أموره في الأمان كسائر التجار، أما الحماية فلا سبيل له إليها إلا بعد مطالعتك وإذنك فيها. فالنظر لك في أمرها.

«وعليه فالمؤمل منك — بارك الله لنا في عمرك، وأبقى النفع بك دائماً — أن تتكلم مع بشادور جنسه بكفه عن هذه الأمور وإجرائه معنا الطريقة، وأن لا يوقعنا في العيب مع أجناس آخرين، وأن يقتصر في الحماية على القدر الذي في الشروط ويسقط الباقي...»¹¹

ب 2 : من غيرها

21 : يوسف بن يهودة الصوري كان مستخدماً عند مانطيا المراقب بالمرسى وهو الذي تأمر على هذا الأخير مع ثلاثة من يهود المدينة فسقوه السم ومات سنة 1863. فحدثت بسبب ذلك ضجة وتبدلت في شأنها مراسلات مختلفة لعقاب الجناة.¹²

22 : إسحاق بن نسيم الليوي كان محمياً سنة 1885 وتدخل قنصل إسبانيا لفائدته في قضية خلطته مع قدور بن علي البختي.¹³

10. رسالة السلطان إلى بركاش في 22 جمادى الثانية 1289 / 27 غشت 1872، محفظة الحماية القنصلية.

11. رسالة في 13 صفر 1296 / 6 يبرابر 1879، في «الوثائق» ج 4 ص 443.

12. أفردت لهاته النازلة مجموعة من المراسلات في «الوثائق» ج 4 من ص 266 إلى ص 279.

13. رسالة أنطولين بيتو إلى عبد الخالق بنهيم في 12 قعدة 1302 / 23 غشت 1885، محفظة الطريس 5.

ت : المستوطنون

1. بيرناندينو بوراس استوطن المدينة قبل 1863، وكان تاجرا وترامى على هري من أهراء الحكومة.¹⁴ وكان من نشاطه أو نشاط سميّه بيع الخمر.¹⁵ وقد ناب سنة 1867 عن الوكيل القنصلي¹⁶، وسلفت الإشارة إليه بالجديدة.

2. مانطيا Mantilla المراقب الإسباني لدخل المرسى والمقتول سنة 1863 حسبها تقدم. وكان ينوب عن الوكيل القنصلي.

3. رفائيل بوجول R. Pujol كان ينوب في التجارة عن بوراس سابق الإشارة¹⁷.

4. تيودورو دي كوياس كان في دجنبر 1863 «أمينا» بالمرسى بعد مقتل مانطيا. ثم عين سنة 1881 قنصلا بالعرائش. وفي سنة 1902 مات بطنجة. وله تأليف عن المغرب¹⁸.

5. خورخي بلانكو J. Blanco الذي كان سنة 1882 ترجمانا بالقنصلية الإسبانية بالدار البيضاء حسبها مر بنا. وقد استوطن المدينة للتجارة واشترى بعد سنة 1902 من ورثة بوزيد الشقوري المحمي الإنجليزي سابقا أرضا بالعدير بثلاثة آلاف ريال بمحضر الحاج عبد المالك الوزاني خليفة عيسى ابن عمر قائد عبدة¹⁹.

6. غييرمو يالميرة G. Yalmera كان سنة 1866 ساكنا بأسفي وغريما للمدعو ولد فنيش²⁰.

7. خوسي بوطلير الوكيل القنصلي لإسبانيا وللبرتغال وشقيق خاكوبو بوطلير القنصل الإسباني بالجديدة. وما يذكر أن سلطة المرسى كانت قد اعتقلت سنة 1886 أفرادا من أسرته وأوقفت ركاب السفينة الإنجليزية «موكادور» ورئيسها لأنهم حاولوا تهريب فتاة مغربية. إلا أن السفير البرتغالي كولاو احتج بأن الفتاة ليست أمة ولكنها حرة، وبأنها كانت مربية لبنت القنصل. وقد أفرج عن الركاب ولكن منع سفر الفتاة²¹.

14. رسالة أميني مرسى آسفي إلى برنكاش في 9 شعبان 1282 / 28 دجنبر 1865، نفس المحفظة.

15. «الوثائق» ج 4 ص 297.

16. بمحفظة آسفي 1 وثيقة في 9 يراير 1867 / 5 شوال 1283.

17. المرجع الأخير.

18. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 96.

19. رسالة بمحفظة إسبانيا بدون تاريخ لعله هو سنة 1902.

20. رسالة ميري إي كولوم إلى برنكاش في 23 يوليوز 1866، محفظة إسبانيا.

21. رسالة خوان ريثو إلى أميني المرسى الطالب بنيس ومحمد بن عبد الهادي زبير في 14 ماي 1886 / 10 شعبان 1303، محفظة البرتغال.

5 : إيطاليا

أ : السلك القنصلي :

1. كان الذي تولى تدبير الشؤون الإيطالية من أسرة غامبارو. وربما يكون اسمه هو جيوفاني باطيسا G.B. Gambaro، ولو أن القائمة المحلية العامة لم تذكر إلا نسبه وإلا أنه كان سنة 1872 ينوب عن فرنسا وعن هولاندة أيضا. وفي صيف سنة 1885 توفي بأسفي¹.
2. بعده أسندت إلى الإنجليزي إدوارد كراة².

ب : المحميون القنصليون

ب 1 : من القائمة المحلية العامة

- 1 - 2 : الحاج محمد ولد خدة عمر وكان عونا، ومريديخ الليوي وكان ترجمانا، وكلاهما من مدينة آسفي.
- 3 - 5 : «وذكر أن له ثلاثة متعلمين لم يبينهم» القنصل غامبارو

ب 2 : من القوائم الإيطالية السنوية

- 6 - 7 : شلومو عطية محمي استثنائي قبل سنة 1880 وجاء اسمه في كافة القوائم ومنها لائحة 1894، والياهو بن دايد أويون وهو ترجمان في قائمتي 1891 و 1894.

ت : السماسرة

ولم يرد ذكرهم إلا في القائمة المحلية العامة وهم مع تعقيب السلطة عليها :

1 . رسالة سكوفاصو إلى غريط في 7 أكتوبر 1886، محفظة إيطاليا، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 483 و ص 21، وكذلك تقييد الأمين محمد بن عبد الهادي زنير والطالب بنيس في 2 ربيع الأول 1304 / 29 نونبر 1886 وفيه أن باطيسا توفي قبل ذلك بنحو العام والنصف (الوثيقة 5057 م.و.م.).

2 . رسالة سكوفاصو إلى غريط في 8 أكتوبر 1886، محفظة إيطاليا.

1 — 2 : العياشي ولد بوعيشة العبدى ونسيم بن موشي خميرو سمسار أكيلي كامبارو Achille Gambaro ، شقيق الوكيل القنصلي.

3 — 4 : يهوده ليبي ولد حايم بن اسحاق سمسار دايد السروجي المقيم بالصويرة، ويهوده بن هو المجادلي مثله و «هذا اليهودي لا يصلح للسمرسة لجرأته».

5 — 6 : علي بن أحمد المصمودي سمسار التاجر الإيطالي المسمى فرانتشيسكو، دون إيضاح نسبه. و «هذا النصراني لا يستحق أن يكون له سمسارة لضعف وسقه بالمرسى»، والحسن بن محمد الأعيسى الدراوي مثله له أيضا.

ث : المستوطنون

كان عدد جالية الصاردو (أي سكان جزيرة سردينيا) 20 نسمة سنة 1810 ثم ارتفع الرقم إلى 40 سنة 1840، وفي سنة 1855 وصل إلى 80 فردا³.

غير أن هذا العدد تقلص سنة 1860 إلى 33 صارديا كانوا يطلبون رخصا لتصدير الحبوب والقطاني من مرسى آسفي⁴. ويستبعد أن يكون الأخيرون كلهم من الإيطاليين الأصليين، ولذلك يحتمل أن يكون ضمنهم تجار مغاربة محميون، ولاسيما أن هذا العدد لم يكن حتى بالدار البيضاء سنة 1860 وهي قطب الانجذاب الاستيطاني.

كانت أسرة كامبارو الجنوبية شهيرة بالمدينة. وكان الأب تيوفيلي هو العميد الذي كان له على الأقل ابنان هما الوكيل جيوفاني باتيستا وشقيقه أكيلي.

ولما توفي الوكيل سنة 1885 خلف عقارات وأملاكا، وحضر مايسا وسكوقاصو من طنجة لتصفية الإرث⁵. ومما لا ريب فيه أن هذا البيت الإيطالي كان ذائع الصيت سنة 1861 إلى حد أن «أمة غير تامة العقل تعلقت بنصراني اسمه كُنْبَرُ، بعد أن كانت مولاتها أضرت بها، فسرحتها الشرع من العتق»⁶.

ولم أقف على آخرين من أسرة كامبارو خاصة. أما فرانتشيسكو فلم أدر نسبه ولو أن له سمسارين. وجاء أن ديليبياتي⁷ Delevante قد سرق له هري كان موجودا بحي الرباط بمدينة آسفي سنة 1894.

3 . ميج : «وثائق التاريخ...» ص 270.

4 . رسالة ده كاستيون قنصل فرنسا بطنجة إلى محمد الخطيب في 2 غشت 1860، نصها عند ابن زيدان في «الأنحاف» ج 3 ص 539.

5 . رسالة سكوقاصو إلى غريط في 7 أكتوبر 1886 (الهامشة الأولى).

6 . ابن زيدان : «الأنحاف» ج 3 ص 385.

7 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 23 أبريل 1894، محفوظة إيطاليا، ولعله من يهود جبل طارق.

6 : فرنسا

أ : السلك القنصلي

1. كان كامبارو يمثل فرنسا حسب القائمة العامة، وظل كذلك حتى حوالي 1878.
2. الدكتور إ. ج. آلار E. J. Allard حل بالمدينة حوالي 1878، وكان يتوب عن بلاده حتى عزل سنة 1884 عن هذا المنصب القنصلي¹، وفق ما سيأتي.
3. ألفونس بيرطران A. Bertrand الذي كان منذ سنة 1882 قنصلا لبلاده بالصويرة تولى سنة 1885 النيابة عن فرنسا² من بعيد أو من قريب.
4. عمار كان سنة 1887 وكيلا قنصليا³.
5. وقد عهد إلى فرانسيس جاكطي F. Jacquetty حوالي 1888 بهذا المنصب⁴ ولو أنه من فرنسي الصويرة.
6. أوريليان لاکوست A. Lacoste قنصل فرنسا بالصويرة من 1886 إلى 1890 أشرف من بعيد على الشؤون القنصلية⁵.

ب : المحميون القنصليون

ب 1 : من القائمة القنصلية المحلية الفرنسية⁶ ومن القوائم السنوية معاً

ورد فيها خمسة أسماء للمحميين الفرنسيين وهم :

-
- 1 . حسب تقرير ناجيار المؤرخ في 10 يونيو 1890 حيث ذكر في «وثائق التاريخ...» لمييج ص 187 وما بعدها أنه كان وكيلا قبل ذلك ب 12 سنة.
 - 2 . رسالته إلى عبد الخالق بنهيمه في 2 صفر 1303 / 10 يونيو 1885، محفظة فرنسا.
 - 3 . من حكم للقاضي عبد السلام الشرعي في 12 حجة 1304 / 1 شتنبر 1885، محفظة آسفي 1.
 - 4 . رسالة عبد الخالق بنهيمه إلى السلطان في 22 ربيع الأول 1306 / 26 نونبر 1888، محفظة فرنسا.
 - 5 . مييج : «وثائق التاريخ...» ص 189 — 191.
 - 6 . تاريخ هاته القائمة هو 15 أبريل 1880، وعنوانها «بيان من في حماية خليفة قونصو دولة الفرنسيس بآسفي كما بخط يد القونصو من الصويرة والخليفة المذكور»، محفظة الحماية القنصلية.

1 — 5 : الحاج أحمد بن المحجوب بن ناصر كان كاتباً حتى 1882 ولكنه سيصير سمساراً، والحاج اليزيد بن الحاج المسفيوي عون ذكر بهاته الصفة في القوائم العامة، وكان كاتباً سنة 1881 و 1882، وسالومون عطية ترجمان مساعد سنة 1880 و 1881، وعبد القادر بن عبد الله المراكشي وكان طباحاً للوكيل القنصلي سنة 1881، ومخلوف أوحيون تاجر محمي.

ب 2 : من القوائم السنوية الفرنسية وحدها

6 — 7 : مولاي التهامي بن مولاي إدريس كان كاتباً بعد سنة 1882، ولعله أصبح «طالب» القنصلية لما غدا الحاج أحمد بن ناصر سمساراً، والحاج حميد بن علال المصلوحي عون سنة 1880 و 1881.

ب 3 : من غيرها

8. أحمد الكراوي كان كاتباً للقنصل⁷ في تاريخ متأخر عن سابقه من الكتاب. وقد صار سنة 1900 سمساراً لمحمي برازيلي أو لسميه.

9 — 12 : الفيلاي كان مستخدماً عند آلا ولم يرد بيان اسمه، وهارون بوكدادة، وإسحاق الليوي، ونسيم الليوي المذكور هو أو سميه مع المحمين الإسبانيين.

وكل هؤلاء اليهود الثلاثة الأسفيين كانوا مجرد تجار محمين.

13 — 18 : مردوخي ابن العيَّار، ومردوخي الليوي وهما من يهود الجزائر، والأخوة لالوز الأربعة وهم من مواليد تونس ومن يهودها.

19. محمد جفَّادة وكان سنة 1890 كاتباً قنصلياً⁸ قبل أحمد الكراوي.

ت : السماسرة

ت 1 : من القائمة القنصلية (1880) واللوائح السنوية العامة معاً

1. الحاج عبد الله بن الجيلالي الزيدي البرهومي سمسار الوكيل القنصلي في القائمة الفرنسية العامة أيضاً من 1880 إلى 1882.

7 . أ. بروشي : «السجل الذهبي...» ص 116.

8 . المحمي 9 ومن بعده وردت أسماءهم في تقرير ناجيار. وقد نزع من الحماية أصحاب الأرقام 10 و 11 و 12 سنة 1890. أما المحمي 19 محمد جفَّادة فلا أدري هل هو محمد شرادة الذي كان سنة 1890 سمساراً لتاجر ألماني وهل هما شخص واحد فقُيِّنت في النطق الفرنسي راء شرادة وحرفت الشين إلى جيم في الكتابة اللاتينية، وهذا هو ما أرجحه.

2. الحاج المختار التطواني سمسار للوكيل القنصلي الذي قد يكون هو آلا، وذلك من 1880 إلى 1881. وقد حذف اسمه من قائمة السنة الموالية.

3. الحاج عبد الله (أو عبد القادر) بن الحاج علي الزيدي البرهومي⁹ كان سنة 1883 سمسارا لآلا.

ت 2 : من القوائم الفرنسية العامة

4. الحاج أحمد بن المختار سمسار في قوائم 1882 — 1885 للتاجر ليون الإبن من مدينة مرسيليا. إلا أنه ليس يدرى هل هو أحمد بن المحجوب بن ناصر الذي تقدم أنه كان كاتباً في الرقم 1 أعلاه ؟

5. مسعود ابن الخليفة سمسار آلا من 1879 إلى 1883، وقد وصفه الطيب ابن هيمة بأنه «ظهر منه طيش كبير وتعلق بحماية قنصل فرنسا بأسفي، وذلك منذ أربع سنوات من تاريخه»¹⁰.

6. سي بوشعيب بن الحاج التهامي سمسار لإسرائيل لالوز من 1882 إلى 1884.

7 — 8 : دايد سرويلاز كان قبل سنة 1883 سمساراً له. وبعد وفاته عوضه التاجر بالسمسار الذي بعده سنة 1884 : محمد بن الطاهر (أو العربي) البويحيوي.

9. مسعود الباز وكان سنة 1881 سمساراً لإسرائيل لالوز، حتى عوض بالسمسار السابع أعلاه.

ت 3 : من غيرها

10 — 11 : الحاج أحمد بن الحسن الباب الفاسي سمسار اتخذ سنة 1887 جاكطي¹¹ الذي حاول أن يتخذ الحاج الجيلالي بوضرة سمساراً له بإيالة أحمد ابن الحافظي. لكن هذا القائد ذكر أنه شيخ وأنه تقعد على أموال المخزن فتستر بمخالطة يبيي النجليزي. وذلك ما بلغه العامل ابن هيمة لقنصل فرنسا «الذي قد صار يسير معنا سيرة غير محمودة، ومراده كثرة الكلام»¹². وكان ذلك سنة 1887.

9. أظن أنه هو السمسار الأول، فحرف اسم أبيه إلى علي بدلا من الجيلالي، واسمه هو إلى عبد القادر.
10. رسالة الطيب بنهيمه إلى السلطان في 25 صفر 1301 / 26 دجنبر 1883، محفظة الطيب بنهيمه.
11. رسالة عبد الخالق ابن هيمة إلى السلطان في 21 حجة 1304 / 10 شتنبر 1887، محفظة عبد الخالق.
12. رسالة عبد الخالق إلى غريبط في 14 جمادى الثانية 1304 / 10 مارس 1887، ومسودة رسالة مخزنية إلى عبد الخالق في 20 شوال 1304 / 12 يوليوز 1887، بالمحفظة نفسها.

ث : المستوطنون

1. أسرة لالوز من يهود تونس المهاجرين استوطنت مدينة آسفي منذ أواسط القرن التاسع عشر للتجارة والفلاحة. وأخصص هنا شيئا من الحديث عن إسرائيل لالوز (أو العلوز؟) وحالته في أواخر القرن التاسع عشر.

كان أبوه مستخدما صحيا بآسفي. وكان إسرائيل من الذين اكتسبوا جاها وثروة، فكان الوحيد الذي يشتغل بالفلاحة من يهود هاته البلاد وكان له نحو 6 عزائب بأولاد سَلْمان وبغيرها. وكانت أراضيه وعقاراته شاسعة بحيث يحتاج إلى 42 «مَطْفِية» لخزن المياه، وكان له 30 مطمورة أكبرها يسع حمولة 150 من الجمال.

كان إسرائيل من الشيوخ الميسورين. وكان يرتدي لباس المغاربة المسلمين. ويبدو أنه كان يتصرف في شؤونه بمقتضى لباقة جنسه وسط العمال والقواد المغاربة. أما ابنه فله متجر مهم بالمدينة¹³.

ولم يكن بآسفي يهود تونسيون فقط، ولكن كان ثمة آخرون من الجزائر ادعاء أو صدقا.

2. الدكتور إ. ج. آلار من مواليد فرنسا سنة 1844. وقد حل بالمدينة سنة 1878 لمزاولة الطب. لكن هاته المهنة لم تكن تُدرُّ عليه شيئا كثيرا فاستخدم بالوكالة القنصلية أصالة أو نيابة وتعيش أيضا من ريع بيع الحماية وعقود الخلطة التي كانت أفيد له من الطب والعلاج.

كان كثير الشجار مع سلطات المدينة، وكانت له نزاعات مع خلطائه بالنواحي. وتعاضمت الشكايات به وأكثر هو من التظلمات حتى أوفدت المفوضية الفرنسية مندوبا عنها في فض هاته الخلافات وكلفت بذلك شخصا لبقاً مثل ناجيار ترجمان القنصلية بالصويرة.

لكن قبل التخلص إلى تقريره يجمل بنا أن نذكر أن آلار كان ملحقا صحيا يراقب أمور «السانيدة» بالمرسى. ومن أجل ذلك وقعت له خصومة مع قبطاني المرسى «الرايس محمد بن الحاج عيسى الزيدي والرايس محمد بن قدور بونوارة. وقد كان خليفة القنصل، وصدر منه ما صدر وأخرجه البشادور الذي كان متولي بثمر طنجة من الخدمة بسبب ذلك»¹⁴.

13. أوجين أوبان: «مغرب اليوم» ص 18.

14. رسالة الطبيب بنهيمه إلى الطريس في 16 جمادى الأولى 1302/3 مارس 1885، بحفظه الطريس 5.

وفي سنة 1884 قال عامل المدينة عن الخلطة التي كانت للدكتور مع الفلاحين : «خليفة قنصل الفرنسيين ببلدنا أشاع ببلدنا هذه المخالطة الفاسدة وسعى في إذاعة الشر بدكالة وعبدية. وقد ورد أن نائب جنسه عزله وأراح الله من شره»¹⁵.

كان شره في بدّاءة لسانه وفي اتجاره بالحماية. ففي أواخر 1883 وقعت له مع الطيب بنهيم نازلة لم يرد عنها تفصيل. لكن قد يكون مردّها إلى تنطع آلا في شأن محمييه وخلطائه. فقد دخل الوكيل إلى المحكمة التي كانت بنجوار منزل العامل، فلما لم يجده فيها اقتحم دار ابن هيمه باحثا عنه قائلا : «اطلع يا الكلب ابن الكلب!». فأفرغ بذلك زوجته ووضعت بذلك مواجب عدلية¹⁶.

ونصل الآن إلى تقرير ناجيار للاستشهاد بفقرات مطولة تعريفا أو تلخيصاً، لما يحتوي عليه من إشارات تاريخية لا تخلو من فائدة. وهو مؤرخ بـ 10 يونيو 1890 ومنقسم إلى ثلاث نقاط أولاهها عن حالة المرسى. وقد اقتبست منها شيئا في الفصل الأول من هذا الباب، والثانية تتعلق بتصحيح رسوم الحماية، والثالثة بتسوية النزاعات الموجهة ضده والشكايات التي قدمها. وبالطبع سأقصر الكلام على النقطتين الأخيرتين من وثيقة ناجيار¹⁷.

2 . تصفح صكوك الحماية

«لم توضع حتى اليوم أية قائمة منتظمة للرعايا الفرنسيين القاطنين بآسفي. ولهذا استحضرت شخصا عند وصولي كل من ادعى حمايتنا فحققت صكوك حماية هؤلاء الأشخاص تحقيقا جديا ونزيها واستطعت أن أحصر عددهم في القائمة التي تصلكم طيه في الملحق الثاني...».

وهكذا نزع الحماية عن أربعة أشخاص هم : إسحاق أوحيون (60 سنة) وهو من مواليد الجزائر¹⁸، وهارون بوكدادة (46 سنة) ومن مواليد آسفي هو ونسيم اللوي (40 سنة) وكلهم كانوا يخترقون التجارة، وإسحاق اللوي (41 سنة) شقيق السابق لا مهنة له ولا مستندات لديه، وقد سجل مع المحمين. ولد بآسفي ولو ادعى أنه ولد بالجزائر.

... وباستثناء المسلم الجزائري الوحيد وأربعة من السماسرة والطلاب جفّادة الذين يبدو أن تسجيلهم كان قانونيا، فلا أجد إلا صنفين من المحمين يقتضي إدراجهم تقديم إيضاحات عنهم، وهم اليهوديان الجزائريان واليهود التونسيون والخلطاء البالغ عددهم ثمانية عشر.

15. رسالة بنهيم إلى السلطان في 5 ربيع الأول 1301 / 4 يناير 1884، محفظة فرنسا .

16. رسالة بنهيم إلى السلطان في 25 صفر 1301 / 26 دجنبر 1883، محفظة الطيب بنهيم.

17. نصها الكامل يستغرق 10 صفحات (من 187 إلى 197) من كتاب مبيج : «وثائق التاريخ...».

18. وسكنه بمراكش.

«فالسيدان مردوخي ابن العيَّار ومردوخي الليوي، اللذان هما اليهوديان الجزائريان الوحيدان في قائمتي، كانا دائما يعتبران محميين فرنسيين، سواء من لدن الوكالة القنصلية بآسفي أو من طرف قناصلنا السابقين بالصويرة.

«أما اليهود الأربعة الباقون وهم الإخوة لالوز المتأصلون من تونس فيبدون لي أكثر من السابقين خليقين بعناية سعادتكم. ولجميعهم علاقات تجارية وطيدة بفرنسا ولا سيما مع مرسيليا. وهم متمتعون في آسفي بتقدير حقيقي. ولا شيء يعاب عليهم، ولم يدفعوا في أي وقت مطالب أو شكايات بأهل البلاد بالرغم من ضخامة حركتهم...

«كان عدد الخلطاء بدائرة آسفي أزيد من 150 سنة 1882 . وفي سنة 1886 أنزل عددهم إلى 73 فردا. وأخيراً احتوت آخر لائحة قدمها السيد لاكوسط إلى المفوضية في 25 من الشهر الماضي على 40 خليطا. ومنذ ذلك الوقت خفض كثير من مواطنينا — عن طيب خاطر — عدد خلطائهم. ولما وصلت إلى آسفي استطعت أن أظفر بتخفيضات جديدة.

«وفضلا عما سبق ذكره، سوى السيد آلاز بواسطتي مصالحه مع 10 من الفلاحين من إيالتي السي عيسى بن عمر والسي ابن الحافظي. ولم يبق له بحسب الصكوك القانونية إلا 6 من جملة الثلاثين الذين كانوا له سابقا، بحيث لم تعد تحوي القائمة طيه في الساعة الراهنة إلا عددا معقولا وهو 18 خليطا في مجموع دائرة آسفي.

«ويدخل في زمرة هذا العدد خلطاء محمد بن الرُّكيك «طالب» قنصلية الصويرة ومحمد جَعَّادة «طالب» وكالة آسفي اللذين يجب عليّ أن اعترف بأنه لا يسمح لهما — بوصفهما مجرد محميين — من الاستفادة من مقتضيات الفصل التاسع من وفق مدريد.

«وباختصار تشمل القائمة طيه مواطنا فرنسيا ومسلما جزائريا ويهوديين جزائريين وأربعة من يهود تونس و «طالب» الوكالة وأربعة سماسة و 18 خليطا...

3. «تسوية الشكايات المرفوعة على السيد آلاز أوامنه

«كدت أفرد — لبحث قضايا السيد آلاز — كافة أوقات إقامتي بآسفي. وأستطيع القول إن تسوية هاته القضايا القديمة — التي لم يستطع السيد لاكوسط أن يحسمها قبل رحيله — كانت أصعب قسم في مهمتي وأقساه. فمثلا لم يرسل السي عيسى بن عمر، أحد قواد الداخل، خلطاء السيد آلاز إلى آسفي بالذات لتصفية حسابه معهم، اضطررت من أجل ذلك إلى السفر إلى عبدة صحبة السيد آلاز ورجال خدمتي، في حر شديد متحملا شديد العياء والوعشاء. إن الشكايات التي رفعها السيد آلاز أو رفعت عليه هي :

أ : «الاعتقال الموهوم لسائس السيد آلا»

«التظلم الأول الذي عرض عليّ مشروح في الرسالة طيه (الملحق الثالث) التي وجهها السيد بوسك Bosc الذي يقطن حالياً عند السيد آلا والذي ينوي الإقامة بأسفي على ما يبدو. ففي يوم 22 ماي كتب السيد بوسك رسالة إلى وكيلنا القنصلي يخبره بأنه «سمع بوشك اعتقال سائس السيد آلا. وبعد أن حققت فيها بأسفي تبين لي أن لا أحد يفكر في القبض على مستخدم السيد آلا».

ب : «شكاية الحكومة المغربية بالسيد آلا لاحتلاله اصطبلا بدون حق ولا عقد

«اشتكى القائد السيد عبد الخالق ابن هيمة لدى السيد لاكوسط في مختلف المناسبات ومنذ عدة سنوات من أن السيد آلا — الذي يحتل خارج المدينة بدون حق اصطبلا داخل ثكنة يوجد فيها مخزن للبارود — ظن بإمكانه ربط خيوله فيه دون رخصة مخزنية، كتابية أو شفاهية. وإذا كان المكان خاصاً بالجيش المخزني، وإذا لم يأذن السلطان لأي أحد من سكان أسفي باستعماله حظيرة، طلب العامل — بإلحاح — من السيد لاكوسط أن يهيب بالسيد آلا إلى إفراغه على عجل. وعلمت أن هذا الأخير كثيراً ما وعد قنصلنا بالالتزام بأوامره. وقد كرر لي العامل طلبه وألح فيه شديد الإلحاح لكي نجد حلاً نهائياً لهاته القضية.

«فاستدعيت السيد آلا إلى مكنتي بمحضر القائد بنهيمه، وناشدته الجلاء عن الإصطبل الذي يشغله دون حق ولا كراء مدة 12 سنة، وأعلمته بأنه إذا لم يرضخ لتعليماتي فسأرى نفسي مضطراً إلى أن أدفع للقائد — عن طريق القضاء — المكان الذي هو من أملاك السلطان. وأمام هذا الأمر لم يتشدد السيد آلا. وفي نفس المساء وضعت مفتاح الإصطبل بين يدي باشا أسفي الذي أتى من الغد مبادراً إلى شكري على ذلك...».

ت : تسوية خلطة السيد آلا مع خمسة فلاحين من إيالة السي عيسى بن عمر

وذكر ناجيار أنه انتقل إلى قبيلة عبدة لحل قضية مخالطة آلا مع ابن عبد الله الأكلحل وأنحجبوب العسيري وأحمد برموش وقذور العسيري ومبارك بن سليمان الذين كان العامل قد اعتقلهم والذين لم يؤدوا قط زكوات ولا أعشاراً للسلطة المحلية. ففض مشكلتهم وأديا للسيد آلا مبلغ 1003 ريالاً (5015 فرنكاً) وحل النزاع في 6 يونيو 1890.

ث : تسوية خلطة السيد الار مع خمسة فلاحين من إيالة القائد
السي الحافظي

وفي مدينة آسفي حل ناجيار مشكل الدكتور مع خمسة أفراد من إيالة أحمد ابن
الحافظي قائد قبيلة الربيعة بعبدة. وكان قد أوقع القبض عليهم وثبت أنهم لم يؤدوا الزكاة والاعشار
وسط إخوانهم، وقال إنهم كانوا عصاة للقائد. وأسفر ذلك عن دفع 3200 فرنك إلى آار وهو
ثمن الدواب والبضائع. وقد كانت رسوم الخلطة غير قانونية، جعلت تارة مع قنصل فرنسا بآسفي،
وتارة أخرى مع الفيلاي مستخدم الدكتور.

وفي الأخير حلت شكاية غريبة مفادها أن آار ادعى أن العامل منع على قرآني بالمدينة
طهي خبز الدكتور حتى «يقتله جوعا». فاستدعى العامل صاحب الفرن فأنكر. ثم اتضح أن
مستخدم آار هو مختلق هاته المقولة.

وختم المبعوث كلامه بأنه أسدى للدكتور آار نصائحه في شأن سلوكه في المستقبل.
هاته جوانب من قضية آار أوردتها للفائدة على ما فيها من طول.



7 : باقي الدول

وهي البرتغال والبرازيل وبلجيكا والنمسا وهولاندة والدانمارك والسويد والنرويج وألمانيا وذلك في 8 مطالب لا تحتوي إلا على قليل من المحميين والمستوطنين.

المطلب الأول : البرتغال

أ : السلك القنصلي

1. في سنة 1866 كان كُشْطُ نائبا عن البرتغال¹.
2. وربما كان إسحاق بن زاكار المحمي الأمريكي قد ناب سنة 1883 عن البرتغال².
3. وفي سنة 1886 كان إدجان ريسيو (أو على الأصح خوان ريشو J. Rizzo الإسباني على ما يظهر) قد كلف بتمثيل هاته الدولة³ بالنيابة عن :
4. خوصي بوطليز الإسباني الذي كلف فعلا بذلك في نفس السنة⁴.

1 . رسالة طومسن قنصل السويد إلى ابن بومهدي في 11 شتنبر 1866 محفظة السويد. وكُشْط هو تحريف أوغوستو Augusto الذي لم أقف على نسبه.

2 . رسالة الطيب ابن هيمة إلى السلطان في 15 ربيع الثاني 1300 / 23 يراير 1883، محفظة أمريكا.

3 . رسالة ريسيو إلى أميني المرسى الطالب بنيس ومحمد بن عبد الهادي زبير في 11 ماي 1886 / 11 شعبان 1303، محفظة البرتغال.

4 . رسالة كولاصو إلى الطريس في 19 يونيو 1886 / 17 رمضان 1303، بالمحفظة نفسها.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية العامة

1 - 2 : محمد بن علي الجبلي كان عوناً، ويهودة ابن الصباح التطواني ترجمان في القائمة البرتغالية العامة لسنة 1880.

ب 2 : من القائمة البرتغالية العامة (1880)

3 - 6 : محمد ولد الناصر عون، وسيد المكي بن الفقيه مستخدم هو والذي بعده : الحاج محمد الشقوري، وعلال الحكيم الذي كان كاتباً والتبس اسمه على المسؤولين ولا سيما — على ما يظهر — مع الطبيب بن أحمد الحكيمي المحمي الأمريكي، فرفع عامل آسفي هذا الغموض سنة 1883 وقال إن «علال الحكيم ليس في حماية ابن زكر، بل في حماية البردقيز»⁵. وما ذلك إلا لأن هذا اليهودي المحمي الأمريكي كان ينوب عن البرتغال أيضاً.

المطلب الثاني : البرازيل

حوالي 1892 كان فادريكو يمثل هاته الدولة⁶. ولعله هو فريدريك كيلنير النمساوي. ولم يكن هنا محميون وإنما سماسة وردت أسماؤهم في قوائم سنة 1900 العامة⁷ وهم :

1 - 6 : عزوز بن عبد الله المحياني المرودي سمسار ليعقوب بينطو، وصالح بن بومهدي اليزالفي العياشي سمسار ميثيل الرأس، وعبد الله بن قدور المحياوي سمسار موشي بوطبول، وأحمد بن علي الورغالي المحياني سمسار جون لابين الإنجليزي وكلهم من قبيلة عبدة، والحاج المكي بن حميد سمسار خوان راطو J. Ratto قنصل البرازيل بالصويرة، والراجح أنه هو الحاج المكي بن حيمود الذي كان سمساراً لتاجر ألماني كما سيأتي، والحاج علال الرحامي سمسار بآسفي لروين بنجو القاطن بطنجة.

5 . رسالة الطبيب بنهيمه إلى السلطان المذكورة في الهامشة الثانية أعلاه.

6 . رسالة عبد الخالق إلى الطريس في 21 جمادى الأولى 1310 / 11 دجنبر 1892، محفظة الطريس 23.

7 . أرقام هاته القوائم الثلاث بمكتبة تطوان هي 38/69 / و 39/69 و 40/69.

المطلب الثالث : بلجيكا

أ : السلك القنصلي

1. وفي سنة 1867 ناب دوزد عن بلجيكا أكثر من عشرين سنة⁸.
2. حوالي 1872 كان جورج يوناط الإنجليزي هو المكلف بالمصالح البلجيكية حسبما يبدو من القائمة المحلية العامة.

ب : المحميون القنصليون

- ب 1 : من القائمة البلجيكية العامة (1886)
- 1 - 3 : هارون الشريقي ترجمان والحاج المهدي الغالي عون، والطاهر بن الطاهر مستخدم.
- هؤلاء الثلاثة كانوا محميين منذ سنة 1870. وقد ورد الأولان منهم أيضا في قائمة 1889 بنفس الصفة.
- 4 . مبارك ولد السحبحلي الجبلي مستخدم منذ 1884 وذكر في قائمة 1889.
- ب 2 : من لائحة 1889
5. محمد بن علي مستخدم، عين مكان الطاهر بن الطاهر سالفه الإشارة إليه.

المطلب الرابع : النمسا

أ : السلك القنصلي

- 1 . ناب عن الإمبراطورية النمساوية الهنغارية حوالي 1872 حسب القائمة المحلية العامة ممثل إنجلترا الذي كان هو جورج يوناط.

8 . رسالة الطيب بنهيمه إلى برنكاش في 4 شوال 1283 / 9 يراير 1867، محفظة برنكاش، ورسالة أحمد الحساني إلى الطريس في 16 قعدة 1306 / 14 يوليوز 1889، محفظة الطريس 16. دورد هو تحريف إدواردو بالإسبانية في كتابة المغاربة، والمقصود به إدوارد كراة E. Carrara الطارقي.

2. وحوالي 1888 كان فريدريك كيلنر F. Kellner وكيلًا قنصليًا لبلاده⁹. وظل كذلك أمدا طويلا. وخلف ذرية وتأليفاً.

أما الرعايا النمساويون فكان من أبرزهم فريدريك كيلنر الذي استوطن آسفي سنة 1870. وكان ملاكا لعقارات فلاحية كانت من الشساعة بحيث لا يستطيع حراثتها¹⁰.

وإلى جانب الفلاحة كان تاجرا يصدر الحبوب إلى جزيرة ماديرة تارة، وإلى مرسى لندن تارة أخرى. وكان له بميناء آسفي ثلاثة أهراء. لكن دخله كان سنة 1888 ضعيفا¹¹. ومن جملة نشاطه تصدير الزيوت، إذ طلب من الأمناء سنة 1891 أن يزيدوا له هريا آخر لخزنها لفائدة شركته¹² بحسب 6%. ولعل ضائقة مالية حلت به سنة 1891 فباع طرفا من أملاكه لبعض اليهود¹³. وكانت له في نفس السنة ضائقة أخرى، إذ اشتكى من القائد عبد الخالق بنهيمه الذي كان يسيء معاملته¹⁴ على ما قال.

ب : المحميون

وكان المحميون ثلاثة ورد ذكرهم في القائمة النمساوية المؤرخة بفتح يناير 1891، وهم : مولاي التهامي تكديمات وكان كاتباً، ومبارك بن الخليفة وكان عوناً، ويعقوب بن مسعود ابن زكار المتقدم ذكره مع المحمين الأمريكيين، وكان ترجماناً.

المطلب الخامس : هولاندة

أ : السلك القنصلي

1. ج ب . غامبارو الإيطالي كان هو النائب عن هولاندة سنة 1872 حسبما جاء في القائمة المحلية العامة.

2. جورج يوناط الإنجليزي كان سنة 1875 ممثلاً لهاته الدولة¹⁵.

3. إدوارد كرامة تولى ذلك بعده ولاسيما سنة 1886.

9 . رسالة محمد عواد وبناصر الحلو إلى الطريس في 24 شوال 1305 / 4 يوليوز 1888، محفظة الطريس 13.

10 . مبيج : المغرب وأروبا ج 4 ص 372 (9).

11 . رسالة الأمين عواد والحلو المتقدم ذكرها (هـ 9).

12 . رسالة مخزنية إلى ممثل الأسطرياكو في 25 صفر 1309 / 30 شتنبر 1891، محفظة الطريس 21.

13 . رسالة بوليسلافسكي إلى الطريس أيضا في 25 صفر 1309 / 30 شتنبر 1891، محفظة النمسا.

14 . رسالة الطريس إلى السلطان في 18 رمضان 1308 / 27 أبريل 1891، بنفس المحفظة.

15 . رسالة جون هي إلى برقاش في 9 مارس 1875، محفظة بريطانيا.

ب : المحميون

شخص واحد ورد في قائمة 24 مارس 1896 العامة هو ادحمان بن الحسائي الذي كان عوناً.

المطلب السادس : الدانمارك

يبدو أن جورج يوناط كان هو الذي ناب عن هاته الدولة سنة 1872 وفق ما يستفاد من القائمة المحلية العامة.

والمحميون كان منهم واحد فقط ورد في نفس القائمة وهو مسعود بهضوض الذي كان ترجمانا. أما السماسرة والرعايا فلم يرد لهم ذكر.

المطلب السابع : السويد والنرويج

أ : السلك القنصلي

1. بيدرو فانطون الإسباني مثل هاتين الدولتين¹⁶ سنة 1859.
2. لكن الذي ناب عنهما أكثر من ثلاثين سنة ومنذ ما قبل 1863 كان هو التاجر الإنجليزي هنري ج هـ طومسن¹⁷ H.J.H. Thompson حتى سنة 1894 حيث توفي¹⁸.

ب : المحميون القنصليون

لم يرد لهم ذكر إلا في قائمة سنة 1888 ، لكن جاءت أسماءهم في وثائق شتى.

ب 1 : من وثائق مختلفة

- 1 — 2 : ابراهام شلومو كان سنة 1884 ترجمانا¹⁹ ، و ابراهام بن ميمران المسفاوي

16 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 204 (1).

17 . رسالة السلطان إلى بركاش في 22 ربيع الأول 1280 / 6 شتنبر 1863 ، محفظة بركاش.

18 . رسالة محمد بن البدوي إلى السلطان في 4 رمضان 1311 / 11 مارس 1894 ، محفظة آسفي 2.

19 . رسالة وايط إلى بركاش في 7 جمادى الأولى 1301 / 5 مارس 1884 ، محفظة السويد.

وقد احترف سنة 1892 نفس الوظيفة²⁰، ومر بنا أنه كان محتفيا بإسبانيا، وقد ورد اسمه في قائمة 1888 السويدية.

ب 2 : من قائمة 1888

3 - 6 : الحاج محمد الشقوري كان كاتباً، وتقدم ذكره مع البرتغال، والحاج الحسائي (?) بن علي حارس، وحمو بن صالح، و الحسن الشيطمي ولعلهما كانا عونين²¹.

المطلب الثامن : ألمانيا

في سنة 1893 كان النائب القنصلي هو كارل فرانك²² K. Frank.

ولم أقف على أسماء محمين قنصليين، لكن كان هناك خمسة من السماسرة ورد ذكرهم في مختلف القوائم السنوية الألمانية، وهم :

1. الحاج المكي بن حيمود سمسار كارل فرانك سنة 1897، وتقدم ذكره مع البرازيل.

2. التهامي بن محمد الزاهي كان سنة 1897 سمساراً للتاجرين الألمانين المقيمين بالصويرة : فايس وماور²³. وكان هذا التاجران قد طلبا سنة 1892 من الامناء بناء دار وخزين بأسفي لعزمهما على الاستقرار بهاته المدينة²⁴ في ذلك الوقت.

3 - 4 : سلام أوحيون المسفيوي ومحمد شرادة كانا سنة 1904 سمسارين لهما أيضا. وتقدم ذكر شرادة مع المحمين الفرنسيين.

5. الشرقي بن محمد بن صالح المسفيوي وكان سنة 1904 سمساراً للتاجر الألماني المقيم بالصويرة باب²⁵ W. Jaap.

ومن جهة أخرى ذكرت المصادر أن محطة للأرصاد الجوية أنشئت بأسفي قبل سنة 1890 وكان الغرض منها تقديم إفادات للبواخر التجارية. أما المشرف عليها فاسمه فيرنير شرادر²⁶ Werner Schrader.

20 . رسالة طاطنباخ إلى الطريس في 11 أبريل 1892، بالمحفظه نفسها.

21 . ميكروفيلم السويد الترويج (1888)، بمديرية الوثائق الملكية، الوثيقة 462.

22 . رسالة هنكل إلى الطريس في 15 شتنبر 1893 / 4 ربيع الأول 1311، محفظة ألمانيا.

23 . من قائمة 1897.

24 . رسالة محمد غريبط إلى الطريس في 12 صفر 1310 / 5 شتنبر 1892، محفظة الطريس 23.

25 . ورد الثلاثة الأخيرون في قائمة 1904.

26 . مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 195 (1).

الباب العاشر

الصورة

1 : الولاية والسكان وال عمران

أ : الولاية

1. كان الحاج عبد الخالق أشعاش سنة 1246 / 1830 عاملا على المدينة¹.
2. وفي سنة 1249 / 1833 كان العامل هو علال الزمراي².
3. ولعل عمر ابن رزوق تولى أواخر عام 1260 / 1844 الشؤون المحلية³.
4. والحاج العربي الطريس كان سنة 1842 أمينا ثم صار عاملا حتى 1853 وهي سنة وفاته⁴.
5. وفي سنة 1270 / 1854 استعمل الحاج محمد بريشة قائدا. وكان «صليبا حازما شديد الوطأة والاعتساف والغلو والإفراط وخصوصا في إقامة الحدود على المخمرين»⁵.

-
- 1 . محمد بن سعيد الصديقي : «إيقاظ السريرة، لتاريخ الصورة» ص 64.
 - 2 . المرجع الأخير.
 - 3 . رسالته إلى محمد بن ادريس العمراوي في 18 حجة 1260 / 29 دجنبر 1844، محفظة الصورة 1.
 - 4 . محمد الصديقي : «إيقاظ ...» ص 68.
 - 5 . نفس المصدر ص 76 ومبيح : «وثائق التاريخ...» ص 49 ورسالة بريشة إلى السلطان في 29 جمادى الأولى 1270 / 29 مارس 1854 (8447 م.و.م).

6. تولى الحاج محمد بن عبد السلام ابن زاكور عام 1274 / 1857 العمالة والأمانة ولكنه نكب في السنة نفسها⁶.

7. وإلى الحاج عبد الكريم بن الحاج أحمد الرزني أسندت سنة 1859 أمور الصويرة⁷.

8. الحاج عبد القادر العطار أنيطت به شؤون المدينة⁸ سنة 1860.

9. والمهدي بن بوعزة ابن المشاوري البخاري أحد كبراء الجيش عين عاملا على الصويرة سنة 1862. وكانت له أجرة مثقال يأخذها يوميا من وفر المستفاد. ولكنه عزل في قضية مسعود الشياظمي التي سيأتي الحديث عنها. ولربما كان عجزه عن الخدمة وطعنه في السن سببا آخر في تنحيته. وقد نفذ له السلطان معاشا من ثلث «الفتوحات» المعين صرفها على الضعفاء والمساكين بضريح سيدي مكحول، بعد أن كان سنة 1887 قد التمسها⁹.

10. وقد وزع السلطان صلاحية العامل بينه وبين الحاج محمد بن الحاج مبارك أملاح الذي سمي نائبا لبركاش في الشؤون القنصلية «ليباشر الكلام مع خلفاء القوائص» الذين يرفعون إليه القضايا «كما يرفعون هم أمورهم لكبرائهم الذين بطنجة»¹⁰. وما لبث أملاح أن عزل ثم صار أمينا، ولكنه نكب طبق ما سيأتي ذلك مشروحا في نهاية هذا الفصل.

11. وفي سنة 1863 كان علي بن أحمد بن عبد الصادق واليا على ما يحتمل¹¹.

12. ويبدو أن محمد بن عبد العزيز ولي سنة 1284 / 1867 لمدة وجيزة¹².

13. غير أن الحاج عمارة بن الحاج محمد ابن عبد الصادق المسكني عين في بداية 1285، أواسط ماي 1868 عاملا حتى توفي في بداية 1883 بداء عضال بحيث قضى في الولاية أكثر من 15 سنة¹³.

6. محمد الصديقي : «إيقاظ ...» ص 79.

7. نفس المرجع ص 81 وابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 375 و«الوثائق» : 2 ص 371.

8. محمد الصديقي : «إيقاظ...» ص 83 ومحمد داود «تاريخ تطوان» ج 5 ص 388.

9. محمد الصديقي : «إيقاظ» ص 86 و 87، ورسائله إلى أحمد بن موسى في 24 رمضان 1304 / 16 يونيو 1887، محافظ الترتيب العام.

10. رسالة السلطان إلى بركاش في 17 رمضان 1279 / 8 مارس 1863، محفظة الصويرة 1.

11. العباس بن ابراهيم «الإعلام» ج 8 ص 151.

12. محمد الصديقي : «إيقاظ ...» ص 91.

13. نفس المرجع ص 93 و 97.

ولما استعمل على المدينة بادر عامل اسفي إلى تهنتته : «فالولاية عليك مباركة مسعودة. أعانك الله عليها»¹⁴.

ووردت عليه التهاني من أعضاء السلك القنصلي. وإذ كان حديث عهد بمنصبه كتب إلى السلطان يخبره بذلك، فأجابه مستشهدا بعبارات رسالة العامل من أنهم طلبوا «تعيين وقت لهم يردون عليك فيه للتهنئة، فشاورت من لهم خبرة بمثل ذلك، فأشاروا عليك بمساعدتهم، ووردوا عليك واحدا بعد واحد. ولما تكاملوا وجه لك الكلام أول قادم منهم عليك يستفهم عن الوقت الذي تأتية لرد الأقدام¹⁵... وقالوا : «إنه قانون لا بد منه.» فاستأشرت (= فاستشرت) الأمناء فأشاروا عليك بمساعدته... وذكرت أنهم طلبوا منك القدوم في الأعياد لتقدم عليهم في أعيادهم وقالوا : «إنها العادة مع الولاة قبلك». وأعلمتنا لنكون على بصيرة في ذلك كله.

«فاعلم أننا سألنا البعض ممن لهم اطلاع على القانون في ذلك، فأجاب بأنه لم يُعهد من عمال الحاضرة القدوم لقناصي الأجناس في الأعياد. وعليه فلا تكن تقدم عليهم في الأعياد، وحتى إن كان يفعل ذلك من تقدمك من الولاة كالمهدي بن المشاوري فلا تعتد به في ذلك، فإنك أرفع منه درجة وأعلى مرتبة¹⁶».

ومع هؤلاء القناصل كانت له مذاكرة أخرى في الشؤون الصحية سنة 1868، فلَقَّنه برثكاش ما يخاطبه بهم في هذا الشأن : «وهؤلاء النواب الذين يتكلمون في هذا الأمر هم أصحاب السنيذة لأجل قوانين البحر وليس هم نواب من قبل دولهم فيها، وإنما هم نواب من قبل سيدنا أعزه الله عن أمور السنيذة...»¹⁷.

والواقع أن الحاج عمارة إن كان أعلى مرتبة من المهدي ابن المشاوري الذي ربما كانت فيه غفلة والذي أفضى الأمر به إلى العزل ثم إلى الاستجداء من فتوحات سيدي مكحول، فإنه كان قد خيب الظن فيه من الوجهة الأخلاقية. فهذا الدكتور ليرد يذكر عنه أنه كان سنة 1872 يتقاضى دولارا واحدا في اليوم، ولكنه كان يقطع من أجرة الجنود نصيب الأسد¹⁸. ومحمد بن سعيد الصديقي ينعتة بأن «سيرته كانت غير مرضية»¹⁹.

14. رسالته إلى الحاج عمارة في 24 محرم 1285 / 17 ماي 1868، محفظة الطيب بنهيمه.

15. عبارة عامة تعني رد الزيارة البروتوكولية.

16. رسالته إلى الحاج عمارة في 29 صفر 1285 / 21 يونيو 1868، محفظة الصورة 2.

17. رسالة برثكاش إلى الحاج عمارة في 10 جمادى الأولى 1285 / 29 غشت 1868، نفس المحفظة.

18. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 52.

19. محمد الصديقي : «إيقاظ...» ص 97.

ولما وردت أخباره إلى السلطان استفهم أمناء المرسى هل حقا أنه «ترامى على جميع أهل السوق هناك من المسلمين ووظف عليهم خمسمائة مئقال ولم يكفه ذلك ورامهم بأكثر منه؟»²⁰.

وكانت تربطه علاقات ببعض المستوطنين، فقد «استسلف» من غريس الإنجليزي سنة 1873 مائة ريال ثمن شعر باعه له أيام الغلاء، حسب رسالة السلطان إلى العامل المستفهمة²¹.

إلا أن ابن عبد الصادق كان ضابطا حازما، ولو أنه كان شبه أُمي حسبما يظهر من تعاليقه على الرسائل المخزنية التي كان يتولى الإجابة عنها كاتبه حسن بن أحمد.

14. وكان الركراكي الداوولالي سنة 1872 عاملا على حاحة وقائدا لحامية أكادير²². وقد عين واليا على الصويرة بعد وفاة سلفه واستمر إلى 1895 في هذا المنصب مدة 12 سنة²³. وقد انتقل بعد ذلك إلى نواحي سوس فنجدته بعد 9 سنوات ضمن عمال هواره وهشتوكة²⁴.

وكان من معينيه كاتب هو ابن الحاج حمو مئقال الذي كان «يدعي أنه في حماية النجلير». وقد لبس على العامل حتى جعل له تنفيذة بمستفاد الصويرة. وكانت يده هي الجائلة في رواتب الجيش السعيد والمشاهرة حتى ملك من الأصول والمال من ذلك ما يشهد به كل واحد من الناس هنا، ولا يُظهر إلا مئة النصارى عليه»²⁵.

15. وكان أمين المرسى إدريس بن الحاج محمد ابن زاكور عاملا بعده حتى 1896. 16. صار الحاج علي ابن الحاج التطواني سنة 1896 عاملا على المدينة. وقد ظل يتولى هذا المنصب حتى توفي بعد سنتين. وكان في العهد الحسني أمين الداخل بالقصر السلطاني، وسبق له أن قضى مدة 25 سنة في التجارة بمرسيليا وجبل طارق وجنوة²⁶.

17. عباس بن إبراهيم الجراوي كان سنة 1898 و 1899 عاملا²⁷.

18. وكان محمد بن عبد السلام بريشة عاملا²⁸ سنة 1900.

20. نفس المرجع والصفحة وردت فيه رسالة السلطان إلى الأمناء في 2 صفر 1293 / 28/ يربير 1876.

21. رسالة السلطان إليه في 29 صفر 1290 / 28/ أبريل 1873، محفظة الحاج عمارة.

22. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 485، ومحمد الصديقي : «إيقاظ...» ص 117.

23. المرجع الأخير.

24. رسالة إلى مولاي عبد الحفيظ في 8 رمضان 1321 / 28/ نونبر 1904، محافظ الترتيب العام .

25. رسالتا بوشعيب الأزموري إلى الحاجب في 6 جمادى الثانية و 14 رجب 1312 / 5/ دجنبر 1894 و 11 يناير 1895.

26. مبيع : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 406 (5)، وابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 515، ومحمد الصديقي «إيقاظ...» ص 133.

27. رسالته إلى السلطان في 12 رمضان 1316 / 24/ يناير 1899، محفظة الترتيب العام 1316.

28. قائمة المحميين البرازيليين سنة 1900.

- 19 . محمد بن عبد النبي بنجلون المراكشي قلد الولاية بعد سلفه مباشرة على ما يلوح.
وكان محبا لأهل العلم كثير المعروف والمسكنة. وفي سنة 1318 / 1901 توفي ودفن بفاس²⁹.
20 . وخلفه عياد بن أحمد المنهجي سنة 1902 على الصويرة³⁰.

وإذا بحثنا أصول العمال السابقين الذين اضطلعوا بشؤون الصويرة طيلة 70 سنة ألفيناهم من غير أهل البلد : الأول والرابع والخامس والسابع والثامن والسادس عشر والثامن عشر تطوانيون، بينما كان التاسع والثالث عشر والرابع عشر والسابع عشر والعشرون من الضباط أو من الوصفان، في حين أن السادس والخامس عشر من أهل فاس.

ب : السكان والعمران

كان عدد قطان هذا الشجر الجنوبي خلال القرن التاسع عشر 10 آلاف سنة 1834 و 14 ألفا سنة 1856 و 16 ألفا سنة 1866 و 17.500 سنة 1874 و 20 ألفا سنة 1884 و 21 ألفا سنة 1892. أما سنة 1900 فكانوا إما 25 ألفا وإما 22 ألفا بحسب التقديرات³¹ طبعا.

فقد قدرهم الرحالة أرثور ليزد سنة 1872 بـ 15 ألفا من المسلمين و 6 آلاف من اليهود و 150 من الأروبيين. وهذا قريب مما قيل من أن سكان الصويرة من اليهود كانوا سنة 1834 و 1856 و 1866 يبلغون على التوالي 3500 و 4000 و 6500 نسمة³².

ولم تكد تعرف بالمدينة أولية ولا أولوية، بمعنى أنه لم تكن فيها نخبة ثقافية أو حضرية محلية. ولذلك كثر فيها العمال المعينون من آفاق مختلفة حسبها مر بنا، وذلك بخلاف مدن أخرى حيث كان الولاة من أهل البلد.

ومع ذلك لم تضرب الهجرة إليها داخليا وخارجيا أرقاما قياسية كبيرة خلال الثلث الثاني من القرن التاسع عشر. فالمعدل كان هو 60%، مثلما كان بطنجة³³.

وقد دخل الرحالة أوجين أوبان الصويرة من جملة المدن التي زارها في مطلع القرن العشرين فرأى أن أعداد السكان لم تتجاوز 25 ألفا، أغلبهم نزح إليها من سوس. بعد أن أوصدت أنغادير

29. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 7 ص 131.

30. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 10 ورسالة عياد المنهجي إلى عبد الكريم بنسليمان في 13 قعدة 1318 / 4 مارس 1901 محافظ الترتيب العام.

31. ميسج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 14 و ص 461 و ج 4 ص 397.

32. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 47 وكذلك المرجع الأخير.

33. ميسج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 26 و 23.

في وجه التجارة الخارجية. وكانت الصورة أعظم مدينة بالمغرب تحتوي على اليهود الذين كانوا يبلغون 10 آلاف منهم ألفان من الميسورين وكانوا يقطنون بالملاح.

أما الأوروبيون فكانوا نحو 300 نسمة، 100 إسبانيون و 50 طارقيون أغلبهم صناع، والباقيون ينتمون إلى إنجلترا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا وفرنسا. وكانوا يسكنون بالقصبتين القديمة والجديدة معا³⁴.

وفي سنة 1885 كان الكاثوليكيون من الأوروبيين نحواً من 50 نسمة ولكن أرقامهم تصاعدت سنة 1896 إلى 140 نفراً³⁵ زيادة على البروتستانتين وأهل المستعمرات والمحميات.

وبتصفح وثيقة بريطانية في أواخر القرن الماضي عن النازحين إلى الصورة نجد أن حوالي 50 شخصاً من الرعايا العثمانيين من مسلمين ويهود ونصارى حلوا بالمدينة إقامة أو عبوراً مؤقتاً بين غشت 1883 وغشت 1893، قادمين من مناطق كانت تحت السيادة التركية وحتى من أوروبا وإفريقيا، فكان جلهم من اليهود (45 شخصاً) وكان أقلهم من المسلمين وكلهم وفدوا من بلدان مثل الشام وتونس ومصر والعراق وفلسطين وتركيا والجزائر وإسبانيا والبرتغال واليونان ويوغوسلافيا ورومانيا وجبل طارق. ومنهم من رسوا بالصورة قادمين من النواحي المغربية حاملين بطائق رسمية. ولقلة عدد الشرقيين سأورد هنا أسماءهم : عبد الله بن مصطفى ومحمد بن عبد الرحمان وابنه عبد العزيز (من بغداد) وكانا يسكنان بسكساوة وحسن اصطيفان اللطيف وهو من المنصرين وزكرياء ابن الغزال (من لبنان) وعبد الرحمان بن محمد (من تونس). أما من إسطنبول فكان صالح بن عبد الله³⁶.

وكان من الأجانب من يشتغل بالتجارة في مدينة كانت الحالة فيها سنة 1884 هي بعض ما وصفها به قنصل فرنسا ماوون، ونجمله فيما يلي :

— بالصورة دور مبنية بالحجر تتألف من طبقة وبها من 5 إلى 8 حجرات. ثمن الإيجار السنوي كان يتراوح بين 1000 و 1800 فرنك بالقصبة الجديدة. وكان يقل في القصبة الجديدة عن ذلك بين 30 و 40 في المائة.

— المدينة هادئة، والحرائق فيها قليلة الشبوب، والسرقات والنهب أقل من مكان آخر.

— يمنع بمقتضى قرار 3 مارس 1881 على كل فرنسي أن يقابل القائد دون ترخيص من القنصل.

34. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 2 و ص 5.

35. ميسج : «وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن 19» ص 271.

36. من الوثيقة البريطانية 3 / 653 / F.O / P. R. O.

— المواد الغذائية تأتي من الداخل، وهي وفيرة بقطع النظر عن السمك. وينبغي أن تستورد من أوروبا كل الأقوات اللازمة «التي يحتاج إليها مغارتنا» مثل الخمر والكحول ولحم الخنزير والجبين الخ...

— بواخر شركة باكي وشركة فورود تحمل البضائع والمسافرين وترسو مرتين في الشهر.
— لا وجود لمؤسسات بنكية. البيوعات تتم نقدا ناضا. وهناك محاولات للبيع بالنسيئة، لكن لا يسفر عنها إلا خيبة الظن نظرا لسوء نية السكان.

— الزيوت وجلود المعز وريش النعام مواد تكاد تكون حكرة للفرنسيين بمفردهم. ومنتوج ريش النعام يتراوح بين 7 و 8 آلاف فرنك في السنة. وتأتي به القوافل كل أربعة أشهر من نمبوكتو.

— ثمن الذهب بين 2625 و 2885 فرنكا للكيلو.

— المنسوجات القطنية تجلب من مدينة مانتشيسطر. والمطلوب منها مصنوعات و. كراهم وشركته W. Graham. ولا تترك أثمان بيع النسيج أي ربح للتجار.

— الأرز لا يستهلك إلا في سنوات الشدة. ويصدر إلى المغرب شاي هيستون Hyston الإنجليزي. أما السكر الفرنسي فإن آخر ما وصل منه من مرسيليا كان في قوالب من 3 كيلوات بثمان 61 فرنكا لمائة كيلو.

— يتقاضى الأمناء 10% عن كل هاته البضائع المستوردة. أما المصدرة فتؤدي عنها جميع الواجبات. غير أن تصدير العملة لا يدفع عنه أي مكس ولا توسق إلا في عهود الضيق³⁷.

والآن سنلم إلاما طفيفا بحركة الملاحة التجارية. فقد كانت تبلغ في حجمها سنة 1875 30 ألف طن. في التصدير والاستيراد غلبت التجارة البريطانية تجارة جميع البلدان الأخرى حسبها سيأتي، وذلك بملايين الفرنكات. فقد وصلت في السوق والجلب إلى 4,8 ملايين سنة 1883 في أقلها، وبلغت في أكثرها سنة 1865 نحو 14,8 مليونا.

تجارة بلجيكا في الاتجاهين لم تتعد 400 ألف فرنك سنة 1868 مع تقلص إلى الصفر سنة 1871. وأقل من ذلك كان للتجارة البرتغالية : 240 ألف فرنك سنة 1874 وتردت إلى 20 ألف فرنك سنة 1880. وكانت قيمة تجارة فرنسا 62 ألف فرنك سنة 1871 وانهارت سنة 1880 إلى 28 ألفا. وإسبانيا وصلت مبادلاتها إلى القمة بالصويرة أي إلى 540 ألف فرنك سنة 1861 وهوت إلى الصفر سنة 1868، ولكنها لم تتجاوز 120 ألف فرنك³⁸ سنة 1880.

37. ميبج : «وثائق التاريخ...» من ص 173 إلى 176 بتلخيص.

38. نفس المرجع من ص 275 إلى ص 279 وكذلك ص 289.

وفي بداية القرن الحالي ونهاية الماضي كان مجمل أرقام التجارة الأجنبية كما يلي :

الإستيراد : 6,46 و 5,97 و 6,38 و 7,82 من 1898 إلى 1901.

التصدير : 7,57 و 8,36 و 10,78 و 7,52 من 1898 إلى 1901، وذلك بملايين الفرنكات. وكانت إنجلترا تأتي دائما في المقدمة وبنصف المقادير جلبا ووسقا³⁹.

وفي الختام لا بأس من النظر في حصيلة تجارة بعض المواد :

كانت قيمة الصمغ المغربي المصدر من 1846 إلى 1874 كما يلي :

1846 : 706.950 فرنكا (الحد الأقصى)

1855 : 8.525 فرنكا (الحد الأدنى)

1856 : 35.935 فرنكا

1866 : 151.880 فرنكا

1874 : 124.411 فرنكا

وهاته الأرقام إنما هي مأخوذة ومقتبسة عن طريق السِّبَر في شأن تجارة العلك، دون العلك السوداني والعلك العراقي⁴⁰.

وكانت قيمة تصدير جلود المعز من الصويرة بين سنتي 1846 و 1883 كما يلي :

السنة	القيمة	الوحدات	الملاحظات
1846	604.675	489.780	-
1848	218.615	328.020	الحد الأدنى
1856	752.100	426.276	-
1866	2.181.250	1.048.444	-
1874	3.786.460	1.135.956	الحد الأقصى
1876	1.812.625	797.500	-
1883	1.118.750	539.664	-

39. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 6.

40. ميج : «وثائق التاريخ» ص 229 و 230.

وقد اقتبست الأرقام الدالة فقط، وكل ذلك مقيّم بالفرنكات⁴¹.
 وكان هذا عن تصدير الصمغ وجلود المعز من ثغر الصويرة. أما حركة الجلب فمن
 المستحسن الاستدلال ببعض الأرقام عن المنسوجات والسكر مثلاً.
 كانت قيمة المنسوجات القطنية المستوردة بين سنتي 1846 و 1885 تتمثل في الأعداد
 المالية المقتبسة عشارياً⁴² أي كل عشر سنوات :

1846	:	1.234.520	فرنكا
1850	:	691.420	فرنكا (الحد الأدنى)
1856	:	3.172.500	فرنك
1866	:	3.645.256	فرنكا
1870	:	3.882.050	فرنكا (الحد الأقصى)
1876	:	3.207.725	فرنكا
1885	:	2.717.500	فرنك

وبعبارة أخرى استوردت من البيسّات 50 ألفاً سنة 1847 و 450 ألفاً سنة 1856 و 152
 ألفاً سنة 1864. أما سنة 1877 فكانت البيسّات القطنية المجلوبة تتجاوز 500 ألف⁴³.

وكانت قيمة السكر المستورد 500 ألف فرنك سنة 1855 وبلغت سنة 1895 نحو أربعة
 ملايين فرنك. وبشكل آخر كانت تجارة السكر المستورد إلى مرسى الصويرة بين 1846 و 1896
 بالفرنكات وبالكيلوات حسباً سيأتي مقتبساً عن طريق السبر⁴⁴ :

41. نفس المرجع ص 232 و 233.

42. نفس المصدر ص 231 و 232.

43. المرجع نفسه ص 292.

44. نفس المرجع ص 241 و 242 و ص 293.

السنة	القيمة	الوزن	الملاحظات
1846	187.100	168.372	-
1852	40.514	25.106	الحد الأدنى
1856	235.200	331.362	-
1866	759.751	809.189	-
1876	553.946	616.559	-
1886	1.073.520	1.410.000	-
1895	1.802.178	3.574.506	الحد الأقصى
1896	1.457.064	2.939.106	-

اقتضت هاته الحركة من الروجان الاقتصادي نشاطا عمرانيا سلفت الإشارة إليه في تقرير ماوون الفرنسي، وستراد إفادات أخرى من الوثائق المخزنية ولاسيما في حركة البناء. ولم تقع تحت اليد عناصر تكشف حالة المرسى وتجهيزها.

وقد خلق توافد الأجانب على المدينة للسلطة وللأمناء مشاكل متعددة مثل الأمن والإيواء. فقد كانوا سنة 1867 يلحون في طلب الأهراء حتى أن «البناء هنا بهذا الثغر الصوري عظم أمره ولاسيما بالقصبة الجديدة التي وقف عليها الحاج الطيب بوجيدة. ولا يمكننا أن ننقص من صائره، بل يزيد لعلو الحيطان واحتياجه إلى اللوح والخشب. وأربابه الطالبون للدور في غاية من الإلحاح على لسان قنصواتهم. وهذا دأبهم...»

«وقد اشترت نحو الثمانية آلاف مثقال من اللوح بقصد البناء، زيادة على ما هو في القائمة...»⁴⁵ وكان البائع للخشب المذكور هو هومز Humes الإنجليزي⁴⁶.

أما بعد ذلك ولا سيما سنة 1870 فقد كان البناء ممنوعا عليهم، ولا يصح لهم امتلاك العقار. وكان الأمناء يبنون لهم أحيانا بحسب قاعدة 6% في السنة أي باعتبار هاته النسبة من مجموع تكاليف التشييد. كما كان المخزن يحرم البناء كقول أحد الأمناء : «ورد على شأن بناء القصبة الجديدة أمر شريف بأن لا يُساعد أحد منهم إلى (= إلا) إذا استلزم بمدة ثمنية (= ثمانية) أعوام أو عشر...»⁴⁷.

45. رسالة محمد التازي وعبد الكريم التازي إلى الحاج محمد بنيس في 17 صفر 1284 / 20 يونيو 1867.

46. حساب مستفاد الصورة في حجة 1283 / غشت 1866، محفظة الصورة 1.

47. رسالة العياشي بنيس إلى الحاج محمد بنيس في 4 محرم 1287 / 6 أبريل 1870، محفظة الصورة 2.

وفضلا عن ذلك كانت الصورة منطلقا للمغامرين والطارئين والجواسيس إلى سوس والجنوب المغربي. وستأتي أخبار عن ذلك في محلها.

ت : تعداد المحميين والسماصرة

كان تقاطر الأجانب على هذا الثغر الصوري كثيرا. وقد اتخذوا، لتجارتهم أو لخدمتهم القنصلية أو لهما معا، مساعدين من المغاربة كان مجموعهم 219 شخصا، مع اعتبار المتكررة أسماءهم والمنزوعين من الحماية، من سنة 1863 إلى سنة 1900 في بعض الحالات.

ومن هذا العدد كان 140 محميا (أكثرهم يهود : 123) وكان 77 سمسارا (منهم 66 يهوديا). وستأتي في الجدولين أعدادهم وفي الفصول المقبلة أسماءهم.

وسنلاحظ في النهاية جملة من الحقائق :

1. كان نحو 87,20 % من المحميين والسماصرة يهودا أي 189 شخصا من أصل 217، بينما المسلمون ليسوا إلا 12,80 % أي 28 فردا.

2. جميع المحميين والسماصرة البرازيليين عينوا سنة 1900 أو قبلها بقليل، ومنهم من ادعى له التجنس أو زعمه لنفسه.

3. جل المحميين الفرنسيين يتألفون من العنصر اليهودي، وكانت حماية أغلبهم استثنائية فقط، كما كانت وراثية أو ادعوها لهم سنة 1864 أي بعد تسوية 19 غشت 1863 المبرمة مع المغرب وقبل معاهدة مدريد. ولن نجد أثرا لوراثة الحماية بعد 1880 في كافة القوائم.

4. إنجلترا كانت هي الدولة التي جندت أوفر نصيب من السماصرة في كافة الثغور المغربية (هنا : 37 شخصا) مما يدل على أنها كانت دائما تعنى بالتجارة لا بالحماية في حد ذاتها. أما محميوها فأغلبهم من اليهود الذين كانت مساقط رؤوس بعضهم خارج أرض المغرب.

5. الدول الأخرى لم يكن لهما محميون ولا سماصرة كثيرون حسبما سنشاهده في هاته البيانات الواردة في الجدولين المواليين :

ج 1 : المحميون (1863 - 1900)

المدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	6	3	9
الولايات المتحدة	1	15	16
إنجلترا	1	22	23
إسبانيا	2	3	5
إيطاليا	—	5	5
فرنسا	7	46	53
البرتغال	—	5	5
البرازيل	—	17	17
بلجيكا	—	2	2
النمسا	—	4	4
السويد	—	1	1
المجموع	17	123	140

ج 2 : السماسرة (1863 - 1900)

المدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	1	9	10
الولايات المتحدة	—	1	1
إنجلترا	10	27	37
فرنسا	—	9	9
البرتغال	—	2	2
البرازيل	—	18	18
المجموع	11	66	77

وقبل الخوض في أسماء انحميين والمستوطنين سنخرج قليلاً على قضية أملاح.

ث : نازلة الحاج محمد بن الحاج مبارك أملاح الجديري

تقدم أنه عين سنة 1862 «باشادورا على الصورة وأسفي والجديدة تحت نظر باشادور طنجة»⁴⁸ أي أنه كان مندوباً إقليمياً للنائب السلطاني في الشؤون القنصلية، «وذلك ليباشر الكلام مع خلفاء القوائص... ويرفع لبركاش ما يشكل بينه وبين الخلفاء، كما يرفعون هم أمورهم لكبرائهم الذين بطنجة» حسب عبارة السلطان في رسالته المشار إليها سالفاً.

هذا النوع من اللامركزية الإدارية فريد في التاريخ الإداري المغربي. وقد تكرر بعد ذلك بسنوات لما عين الحاج محمد الصفار نائباً للطريس بمدينة الجديدة سنة 1893.

وقد أخفقت هاته التجربة لتداخل السلط والصلاحيات بين المهدي ابن المشاوري عامل الصورة والحاج أماد أي الحاج محمد أملاح نائب المندوب السلطاني. وقضى رحيل الصفار سنة 1894 على المحاولة الثانية في مهدها.

ولم يدم تعيين أملاح في هذا المنصب المستحدث إلا 15 شهراً. ولا ندري هل كان من دواعي تنحية الحاج أماد عنه تدخل ممثل فرنسا لما امتنع نائب بركاش من إعطاء دار لسكنى الطبيب الفرنسي لوران تيفنان L. Thévenin، فتأسف الوزير ابن اليماني على إقالة أملاح⁴⁹.

وهو على كل حال أعفي، ولكنه عين أميناً واستمر في منصبه حتى سنة 1870 فعزل ونكب واستصفيت أمواله. ذلك أن حسابه كان يحتوي على ثغرات. فلم يعد محمد الرابع يثق بأرقام الأمناء وخصوصاً بما يقبضونه عما يعشر من البضائع، وصار الأمناء يتساهلون مع التجار في الأداء ويوسعون عليهم فيه بدون إذن ولا قانون⁵⁰. وظهرت فضيحة سنراها من بعض جوانبها في رسائل أمناء الصورة التي ساقطت أسماء أمناء كانوا يدلسون حتى أمر السلطان أن تجمع الدراهم في صندوق ويعطى لكل أمين مفتاح.

وفي هاته الأثناء كان الحاج محمد أملاح هو أمين القبض بالقصبة الجديدة. ولما بلغ لعلم السلطان تفاحش السطو على أموال الدولة استدعى الأمناء كلهم وفي ضمنهم الحاج محمد أملاح.

48. محمد بن سعيد الصديقي : «إيقاظ...» ص 103.

49. رسالة ابن اليماني إلى بركاش في 13 حجة 1279/فاتح يونيو 1863، محفظة بركاش.

50. رسالتا العياشي بنيس إلى الحاج محمد بنيس في 24 و 25 رمضان 1287/18 و 19 دجنبر 1870، محفظة الصورة 2، وفيها وردت الرسائل الموالية.

وجاءت التقارير مؤكدة وجود هذا التلاعب الخطير. فكان رد السلطان أن «قام وقعد وظهر لسيادته مالا يخطر ببال» حسب رسالة أمينين آخرين. وواصلت هاته الرسالة الكلام عن ذلك مستخلصة أن حاصل كلام محمد الرابع هو أن «العهدة في ذلك على الجميع (= جميع) من خدم معه، لأنهم يد واحدة وتلزمهم العقوبة وغرم ما ضاع كله. وما كان أعنف (?) اعتقادك أن كل من خدم هنا يفرط هذا التفريط العظيم حتى وقعت هاته «الحَنَزَة» التي لا يغسلها ماء، وأن أمر مولانا صدر ببيع أصول أملاح وسلعه وأثاثه وجميع أموره ببيع المرطيليو والمطرقة فورا ووكّل أخاه الحبيب على البيع. ونحن نقبضوا (= نقبض) الثمن مما عليه....

«فاعلم حفظك الله أن ... ها نحن شرعنا في بيع ما وكل أخاه على بيعه ... إلا أن الديار الذي (= التي) ذكر أنهم (= أنها) بالقصبة ... وجدناهم (= وجدناها) ليسوا (= ليست) له : منهم (= منها) ثلاثة لأخوات زوجته ودار لزوجته. وكلهم امتنعوا من إعطائهم. وداره التي هي ملكه ها نحن دفعناها للسمسار...»⁵¹. وكان «تحت يده مال له بال»⁵² وهو نحو 30 ألف ريال أي دخل شهر كامل لمرسى الصورة حسب تقدير أحد الأمناء.

وانتهى الأمر بإلقاء القبض عليه بأمر سلطاني، ولكنه في أواخر 1871 أفرج عنه⁵³. ولعل التسريح كان بعد أداء ما تخلد بدمته وبيع أصوله ومنها منزله الذي قيل عنه : «وأما دار أملاح فإنها تساوي الآن أحد عشر ألف مثقال ومائة مثقال»، اشتراها «رجل يقال له الحاج أحمد ابن مولود صاحب نصراني نجلزي اسمه پاري»⁵⁴ أي Perry . وهذا تدليس آخر من لدن المسؤولين والمحامين، لأن التقويم الشرعي أظهر أنها كانت تساوي 42.594 مثقالا⁵⁵ بدلا من 11.100 مثقال المذكورة سابقا.

51. رسالة عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج إلى الحاج محمد بنيس في 3 ربيع الأول 1287 / 3 يونيو 1870. وقد حاولنا تصحيح الأخطاء بين هلالين.

52. رسالة عبد الرحمان بن الحسن إلى الحاج محمد بنيس في 25 رمضان 1287 / 19 دجنبر 1870.

53. رسالة العياشي بنيس إلى الحاج محمد بنيس في 4 حجة 1287 / 25 يراير 1871.

54. رسالة العربي فرج وعبد الرحمان أقصبي إلى الحاج محمد بنيس في 23 رمضان 1288 / 6 دجنبر 1871.

55. تقويم في 20 حجة 1288 / فاتح مارس 1872.

2 : ألمانيا

أ : السلك القنصلي

1. تولى تيودور بروثير T. Braüer النيابة سنة 1874 إلى أواخر 1884 حين توفي¹.
2. وقد خلفه في هذا المنصب بهرنده. ب. نوسكه P.H.B. Nüske من ذلك الوقت إلى سنة 1892 وهي تاريخ وفاته².
3. وآخر وكيل قنصلي كان هو هينريخ فون ماور H. von Maur الذي أسندت إليه بعد ذلك النيابة القنصلية³.

ب : المحميون

- جاءت أسماءهم وأسماء السماسرة في القوائم السنوية الألمانية⁴.
- 1 — 2 : مير بن يوسف بن ليبي بن الفساخي، ومبارك بن داود بن الشليح الطبالي الشياظمي وهما على التوالي ترجمان وعون (1881 — 1895).
 3. المكي بن محمد بن الحسين الشياظمي مستخدم (1881 — 1885).
 - 4 — 5 : حاييم ساسبورطاس مستخدم (1881 — 1882) وقد عرض بالهاشمي بن علال الفقري (1882 — 1885) الذي كان سنة 1880⁵ سمسارا.

1 . رسالة برثكاش إلى الحاج عمارة في 9 ربيع الأول 1292 / 15 أبريل 1875، و «الوثائق» ج 3 ص 425، ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 316، وبير كين «ألمانيا والمغرب...» ص 25 (5).

2 . رسالة فيير إلى الطريس في 27 يناير 1885، محفظة ألمانيا، وكذلك مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 149.

3 . المصدر الأخير ج 1 ص 140، وكين : «ألمانيا والمغرب...» ص 57.

4 . سأجعل بين هلالين تاريخ النص على أسماء المحميين والسماسرة في القوائم السنوية.

5 . رسالة فيير إلى برثكاش في 2 يونيو 1882، ورسالة برثكاش إلى الحاج عمارة في 17 شعبان 1297 / 23 يوليوز 1880، محفظة ألمانيا.

6 — 8 : المحجوب بن أحمد بن حرايل الزيدي (1885 — 1892)، و مبارك بن التهامي الشياظمي (1890) وأحمد بن التهامي المسكالي الشياظمي (1892)، وكانوا مستخدمين كما كان الأخير قبل ذلك سمسارا.

9. إسحاق الصبغوني ترجمان (1897) عين بدلا من مير بن يوسف المحمي الأول، ولكنه سيصير بعد ذلك سمسارا.

ت : السماسرة

1. مسعود صَبَّاح سمسار بروثير (1881 — 1885).

2 — 4 : أحمد بن التهامي المسكالي الشياظمي سمسار بهرند نوسكه (1882 — 1885) ثم صار سنة 1892 عوناً كما تقدم، وشالوم فريجة سمساره أيضا (1890 — 1892)، وكان قد اتهم سنة 1886 اتخاذه سمساراً⁶، إلا أنه في سنة 1875 لم يكن محمياً⁷، وإسحاق الصبغوني سمسار ثالث له (1892)، وفي سنة 1895 صار سمساراً للتاجر فايس Weiss وشريكه الوكيل القنصلي ماور إلى أن عين ترجمانا حسبما مر بنا أعلاه.

5 — 7 : يعيش عمار بن أمزيل سمسار للتاجرين ماور و فايس (1890)، وكانا قد اتهما منذ سنة 1887 جعله في خدمتهما⁸، وهارون بن شالوم الصبغوني وهذان بن إسحاق الصوري الحرار سمساران لهما كذلك (1904).

8 — 9 : يوسف المليح وحيم لبي الصوري سمساران لقيلهلم ياب (1904).

ث : المستوطنون

1. تيودور بروثير ولد سنة 1840 بمدينة ليسيك، واستقر بمدينة الصويرة سنة 1863، فكان في ذلك الوقت أقدم مستوطن ألماني بالمغرب. وكان شريكا للتاجر الإنجليزي جيمس كارطيس حتى انفصلا سنة 1871، فصار مندوبا عن عدد من الشركات التجارية من ألمانيا

6 . رسالة تيستا إلى الطريس في 18 شتنبر 1886، بالمحفوظة الأخيرة.

7 . قائمة 8 ربيع الأول 1292 / 14 ماي 1875 تذكره ضمن رعايا السلطان هو والمحمي الأول.

8 . رسالة تيستا إلى الطريس في 29 يناير 1887، محفظة ألمانيا.

وفرنسا وإنجلترا، وكان تاجرا بالصويرة له سماسرة وخلطاء. وظل منذ سنة 1874 وكيلا قنصليا حتى توفي سنة 1884 إثر كبوة جواده⁹.

2. بهرنه نوسكه ولي المنصب القنصلي في بداية سنة 1885 بعد وفاة خلفه، حتى توفي بدوره سنة 1892. وكان تاجرا ذا سماسرة وخلطاء وخلف عددا من التقارير التجارية¹⁰.

3. ماور وهو من مواليد مدينة شتوتكارت، كان وكيلا قنصليا، واستوطن الصويرة سنة 1883 وكانت له معرفة بالمغرب واتخذ سماسرة، ونشر تقارير تجارية، وكان تاجرا وشريكا للتاجر فيس¹¹. ومن جملة ما كانا يصدرانه إلى الخارج زيت الزيتون المتأصلة من معاصر آيت مخند، بقبيلة نكنافة قرب الصويرة، ولا سيما سنة 1894¹².

4. فيلهلم ياب W.Jaap تاجر ألماني ولد سنة 1859 بهامبورغ ووصل إلى الصويرة في نونبر 1889 ممثلا لدور تجارية ألمانية ثم استقل عنها في بداية سنة 1892. وفي سنة 1903 غادر المغرب إلى مسقط رأسه، وكان له سماسرة¹³.

5. ماركس تاجر اتخذ سماسرة وكان يدير شركة تجارية ألمانية.

6. غوستاف شونفيلد G. Shonfield كان سنة 1890 ممثلا لشركات الملاحة الألمانية¹⁴.

9 . كئين : «ألمانيا والمغرب» ص 25 (5)، ومييج «المغرب وأروبا» ج 3 ص 316 .

10. المرجع الأخير ج 1 ص 149.

11. المرجع نفسه ج 1 ص 140.

12. رسالة طاطنباخ إلى الطريس في 30 مارس 1894، محفظة ألمانيا.

13. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 124، وكئين : «ألمانيا والمغرب» ص 150 (2).

14. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 194 (3).

3 : الولايات المتحدة

أ : السلك القنصلي

1. أسندت النيابة — ولا سيما حوالي سنة 1867 وقبلها — إلى ابراهام قرقوز¹.
2. وتولاها بعده ابنه مير وخصوصا سنة 1887.

ب : المحميون

نصت على أسمائهم قوائم ووثائق مختلفة قلما بينت أوجه حمايتهم.

ب 1 : من القائمة المحلية العامة ومن القائمة الأمريكية 69/3 معا

- 1 — 2 : مير بن ابراهام قرقوز محمي كان يتولى النيابة عن أمريكا، وكان يريد إضفاء الحماية على 21 شخصا سنة 1886، فأجابه العامل بأنه لا يعترف بالحماية لأحد غيره²، وهارون قرقوز شقيق السابق وكان محميا استثنائيا هو والإثنان اللذان بعده.

ب 2 : من قائمة 69/3 وحدها

- 3 — 5 : دايد قرقوز ودينار أوحنا وإسحاق قورباط³.

ب 3 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود⁴

-
- 1 . رسالة ماك ماث إلى السلطان في 11 يونيو 1868، وكذلك «بيان حساب الدين الذي على مسعود الشيطمي من لدن قرقوز خليفة جنس المركان بالشر المذكور» بتاريخ 13 يونيو 1867، محفظة أمريكا.
 - 2 . رسالته إلى الرجراجي الداوبلاي في 13 رجب 1303 / 17 أبريل 1886، محفظة الطريس 8.
 - 3 . الرسالة الأخيرة نصت على المحمين ذوي الأرقام 3 — 4 — 6 — 7.
 - 4 . أصل هاته الوثيقة بمحفظة الحماية القنصلية وهي مؤرخة في 8 ربيع الأول 1292 / 14 ماي 1875 وتعد بمثابة جواب موجه إلى الحاج عمارة من شخص ربما كان شيخا ليهود المدينة. ومما جاء فيها : «وها ما أمرت عليه مرقوما أسفله يوافي سيادتكم وأنت على وفق مرادك، لتعلم منه ما هو من حكامتكم وما هو من حمية سائر الأجناس، وكل ذلك مبينا على حقيقته : المسمين رب بوبليك آيت الأربعين بالصويرة» (والمقصود مجلس أعيان اليهود بالصويرة). ثم ساقّت الرسالة أسماء 47 شخصا مقسمين إلى صنفين: الأول فيه 23 من =

6 — 8 : حايم قرقوز، وشمعون مليحة قرقوز، وهدان بن زمول (أو شيمول)⁵.

ب 4 : من القائمة 59/ 69 الأمريكية⁶

9 — 11 : نبطالي بن مسعود أفرياط، والياهو بن سوسان ومسعود بن مسعود.

ب 5 : منها ومن 60/ 69 أيضا⁷

12 — 13 : يونة قوريات، ويعيش بن مسعود.

ب 6 : من غير ذلك

14. ابراهام قرقوز المراكشي كان نائبا قنصليا بالصويرة واشتهر بعلاقته مع مسعود الشيطمي⁸.

15 — 16 : إسحاق عمار، ومبارك فائدة محميان سنة 1887 وكان الأخير عوناً⁹.

ت : السماسرة

كان دايد الطنجي سمساراً لتاجر لم يرد له اسم في القائمتين 59/ 69 و 60/ 69. أما المستوطنون فلم أقف لهم علي خبر، إلا أن بعضاً من تجار الصويرة من اليهود كانوا يتاجرون مع الولايات المتحدة

المحميين الواردة أسماؤهم فيما بعد (8 لأنجلترا و 5 للولايات المتحدة و 3 لإيطاليا و 2 لكل من النمسا وإسبانيا والبرتغال وواحد لفرنسا) و 24 من غير المحميين ومن «حكومة السلطان أعزه الله». وندرج فيما يلي أسماء الصنف الأخير : 1 إسحاق بن مساس، 2 مسان ساسپورتاس، 3 إسحاق الليوى الروداني، 4 شلومو بن ربيعة الصياغ، 5 إسحاق بن الزيزون، 6 هني بن باروخ، 7 — 8 داويد ومخلوف ابنا مسعود أفرياط، 9 الحزان هارون أوحنا، 10 — 11 مسعود وأخوه شمعون خنافو، 12 هارون خنافو (صهر عقوق)، 13 شمعون عطار، 14 شلومو بن مسعود، 15 الحزان دايد كويهن (صاحب عكان قرقوز)، 16 إسحاق بن يعقوب أفرياط، 17 ابراهام بن حيم الناهوري، 18 يعقوب بن جودي (ولم أقف على حمايتهم)، 19 يشوع بن اليسع، 20 موسي الناهوري (وسيصيران السمسارين رقم 28 و 31 لأنجلترا) 21 مير بن الفساخي، 22 شلومو فريجة (سيكون ميير المحمي الأول لألمانيا، وفريجة السمسار الثالث لها)، 23 هارون بوغانيم (وسنجداه محميا برازيليا تحت رقم 1)، 24 ومير بن سمانة (محمي برازيلي رقم 11).

5 . جاء اسم المحمي الأول والثاني في هاته القائمة أيضا.

6 . ورد فيها أيضا اسم المحميين 1 — 2 — 3 — 4.

7 . تكررت فيها أسماء المحميين الأربعة الأولين.

8 . ستأتي تفاصيل هاته القضية في الفصل الرابع.

9 . رسالة ميير قرقوز إلى الرجراجي الداوبلاي في 18 أكتوبر 1887، محفظة الحماية القنصلية.

4 : إنجلترا

أ : السلك القنصلي

1. فريدريك كارستنسن F. Carstensen الابن انتقل من آسفي إلى الصويرة نائبا قنصليا سنة 1865 حتى توفي بها بعد 8 سنوات¹.
2. وليام غريس W.Grace عين سنة 1873 نائبا قنصليا بعد وفاة سلفه. وهو من مواليد إنجلترا سنة 1820، لكن مدته لم تطل إذ مات في شتنبر 1874 وله تقارير تجارية². ومع ذلك كان نائبا للقنصل كارستنسن ولا سيما منذ 1867 مثلما سيأتي.
3. روبرط هي R. Hay ابن السفير جون عين لتمثيل بلاده بالصويرة، وظل بها حتى سنة 1879 حيث انتقل قنصلا إلى ستوكهولم³.
4. وفي هذا التاريخ خلفه تشارليز ألفريد بايطون Ch. A. Payton الذي وصل إلى الصويرة سنة 1877. وقد عين سنة 1893 قنصلا بجنوة. وهو صاحب مقالات نشرها باسم مستعار هو سارسيل Sarcelle، كما أنه حرر تقارير تجارية⁴. ويبدو أن مهمته انتهت بالصويرة قبل 1885.
5. وذلك أن ر.ل.ن. جونستون R.L.N. Johnston سمي نائبا قنصليا من 1885 إلى 1900، وهو من مواليد إنجلترا سنة 1854. وقد أدركته الوفاة بهاته المدينة سنة 1918. وكان يحترف التجارة والإقراض، لأنه فتح بالصويرة فرعا للبنك الإنجليزي المصري سنة 1890. وكان ينشر مقالات عن المغرب الذي كان يعرفه، بعضها كتبها بمفرده تحت اسم م. مورتمر Madges Mortmer، والبعض الآخر حرر باشتراك مع مواطنه ج. كُوون G. Cowan⁵.
6. وفي مطلع القرن العشرين أسندت النيابة إلى جورج بروم G. Broome.

1 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 275 و ج 1 ص 84. ولا ينبغي أن يخلط مع أبيه الحامل مثله نفس الاسم والنسب.

2 . المرجع ذاته ج 1 ص 116.

3 . نفس المصدر ج 1 ص 120 و ج 3 ص 206 (6).

4 . نفس المصدر ج 1 ص 152.

5 . المرجع السابق ج 1 ص 125 و ج 4 ص 260 (9).

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود⁶

1 — 5 : موسى المسيح الذي ورد اسمه أيضا في قائمة سنة 1890. وكان تاجرا بالرباط والدار البيضاء قبل سنة 1865. وبعدها اغترب إلى لندن ثم عاد إلى الصويرة سنة 1868، ويمين فريريج، وابراهيم بيطون، ويعقوب بن سامويل السرفاطي، وموسي ابن الدهان، وهؤلاء جميعا ولدوا بجبل طارق سنة 1841 و 1827 و 1848 و 1828 و 1836 على التتابع⁷.

6 — 8 : فرايم بن يهودة السرفاطي، وهامي (أو حايي) ابن جودة (أو يهودة)، وموشي كوهين، وكلهم بثلاثتهم من مواليد الصويرة.

ب 2 : من قائمة المحمين والسماسة⁸ سنة 1884

9 — 17 : هارون أفرياط وكان تاجرا بمدينة مانتشيسطر، وموشي ينطو وهو طارقي المولد، ويوسف أفرياط، ويوسف الحيرش، وابراهيم بن شالوم فراشي، وحاييم الليوي يولي المولود بإنجلترا سنة 1837 و ف الزاكوري، والأخوان عطية (ولم يرد اسمهما في الوثيقة)، والمحميون السابق ذكرهم كانوا تجارا وصدرت حمايتهم إما لمولد بعضهم خارج المغرب، وإما لنشاطهم التجاري.

18. يوسف الليوي يولي المولود بجبل طارق سنة 1860 كان تاجرا محميا.

ب 3 : من قائمة سماسة التجار لسنة 1879.

19. دانييل أ. كوهن وهو من مواليد بطوان سنة 1834 وكان تاجرا محميا.

ب 4 : من غير ذلك

20. عكان بن مريم الذي كان قبل سنة 1867 ترجمانا «وأُخِرَ لما كان عليه من الشيطنة»⁹ ولكنه أعيد إلى سابق منصبه بعد ذلك.

6 . تقدمت الإشارة إليها في الفصل الثالث.

7 . تواريخ الولادة المذكورة هنا مثبتة في قائمة القنصل كارستنسن، وهي مقتبسة من تقريره المعنون «الرعايا الإنجليزيون بالصويرة في 30 يناير 1871»، ف.و. / F.O. 250. وأسستين بها طوال هذا الفصل. وقد أورد نصها مبيج في «وثائق التاريخ...» من ص 159 إلى ص 163.

8 . هاته اللائحة عبارة عن وثيقة كانت تنقح بانتظام حتى سنة 1890. وتاريخ تحريرها هو 24 شتنبر 1884. ورقمها هو : F.O./P.R.O. 635/3.

9 . رسالة السلطان إلى برقاش في 19 شعبان 1284/16 دجنبر 1867، محفظة إنجلترا.

21. بيڭو (ولم يرد له اسم) وكان سنة 1870 ترجمانا فاشتكى الحاج عمارة¹⁰ من تدخله في الأحكام ومن تصرفات القنصل كارستنسن.

22. عكّان بن حو ترجمان من 1870 إلى 1884 بالقنصلية¹¹.

23. الحاج أحمد بن الحاج إبراهيم البويحيوي وقيل عنه إنه كان كاتباً عند النائب القنصلي غريس. ولما لم يقبل المخزن حمايته فر إلى سوس، فاستصفت أملاكه أو حيزت بالعرض من طوماس پول الإنجليزي بحيث أن داراً منها كانت سنة 1881 مكرأة لقنصل ألمانيا¹² بروثير.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة سنة 1879 البريطانية

1 — 3 : ابراهام كوين سمسار جيمس كارتيس، ويعقوب حاييم قرقوز سمسار شركة شاتلورث Shuttleworth وكان سنة 1893 مطلوباً ليكون سمساراً ليوسف يولي، ويوسف بن اليسع (أو ليشاع) سمسار م.ل. بينير.

ت 2 : من قائمة سنة 1889 والقائمة البريطانية 635/3 معا

4 — 7 : شلومو ابن اليسع طارقي ولد سنة 1851، وكان منذ يوليو 1881 سمساراً لموشي بينطو، ومردوخي بن سعود سمسار يوسف الحيرش وفي غشت 1887 صار سمساراً للزاثوري وشركته، ويعيش سوسة سمسار بقبيلة آيت داود لابراهيم ييطون منذ 1884، والحسين بن الحاج عدي سمسار بقبيلة حاحة لجون غريس.

والسماسرة الأربعة الآخرون أسقطوا من قائمة 635/3 سنة 1890 أو قبلها.

8 — 9 : محمد الحراثي سمسار جون غريس بحاحة، والحاج أحمد بن ميلود كان منذ 1885 سمساراً ليول يوناط وشركته Y. Hunot.

10 — 11 : ابراهام بوغانم وحسان بوطبول سمساران ليوسف راطو منذ 1881 بالنسبة للأول وسنة 1884 للثاني.

10. رسالته إلى برّكاش في 27 جمادى الثانية 1287 / 24 شتنبر 1870، محفظة الحاج عمارة.
11. رسالة الزكراكي إلى الطريس في 10 صفر 1306 / 16 أكتوبر 1888، محفظة الطريس 14، ورسالة كارستنسن إلى أحمد بن داود في 29 غشت 1870، محفظة بريطانيا.
12. رسالة ادريس بنيس والعربي فرج إلى برّكاش في 25 رجب 1298 / 23 يونيو 1881، محفظة برّكاش.

12 — 13 : مردوخي سويسه سمسار جورج بروم منذ سنة 1885، ومردوخي ل بانون سمسار يوسف راطو منذ أبريل 1886.

14 — 16 : نبطالي بن مسعود أفرياط وشلومو بن يعقوب أفرياط سمساران ليوسف أفرياط منذ شتنبر 1888، وابراهيم روزيلو مثل سالفه، ولكنه صار سنة 1889 سمسارا لابراهيم فراشي.

17. عباس بن محمد القطيب سمسار بقبيلة مسكالة لشركة يوناط منذ سنة 1884.

ت 3 : من وثيقة 635/3 البريطانية وحدها

18 — 23 : مسعود أبطان سمسار ابراهيم بيطون منذ 1881، واسحاق بن ابراهيم الليوي سمسار شركة شاتلوورث منذ 1885 ثم أصبح سمسارا ليوسف الحيرش، وأحمد بن الحسن الما....(?) العبدى (?) سمسار موشي بينطو منذ 1884، ويعيش دينار سمسار الأخوين عطية منذ 1885، والحبيب بن الحاج أحمد الرحالي سمسار هـ. نيكولا ص دامونطي منذ أبريل 1886، ويوسف ميمران سمسار الزاڭوري ويوسف الحيرش وشركتهما منذ يوليوز 1886 وقد جرد السماسرة الستة الآخرون من الحماية قبل سنة 1890.

24 — 28 : حاييم حزقيال أبو العافية سمسار مانويل راطو منذ نونبر 1889، وسلام سوسنة سمسار يوسف الليوي يولي منذ نونبر 1889، وحاييم الصابوني سمسار هارون أفرياط منذ نونبر 1889، وسالمون الليوي سمسار ابراهيم فراشي منذ 1890، ويشوع بن اليسع كان سنة 1884 سمسارا ليعقوب السرفاطي.

ت 4 : من وثائق أخرى

29. الحاج محمد الشكور كان سنة 1881 سمساراً ليوسف راطو، وذلك حين اشتكى القنصل البريطاني بأن خليفة الباشا الذي كان مصحوباً بالحاج الطاهر الجراري استولى على حصان كان في ملك السمسار¹³.

30. مسعود بن عبد القادر التلاوي ادعى أنه كان سمساراً لجون دامونطي سنة 1868. لكن المخزن رفض هاته المقولة لأنه كان متبوعاً. وستأتي نازلته على حدة.

31. موسى الناهوري كان قبل سنة 1893 سمساراً لتاجر فرنسي ثم طلب له أن يتخذ سمساراً لابراهيم بيطون¹⁴.

13. رسالة قنصل إنجلترا إلى بركاش في 6 مارس 1881، ثم رسالة جون هي إلى بركاش في 14 مارس أيضاً، محفظة الحماية القنصلية.

14. رسالة ساطو إلى الطريس في 8 دجنبر 1893، محفظة بريطانيا.

32. موشي إسرائيل ابن زاكور أريد له أن يصبح سنة 1891 سمسارا لابراهيم بن شالوم فراشي¹⁵.

33. نسيم بن يوسف أفرياط التمتست المفوضية البريطانية أن تجعله سنة 1893 سمسارا لأرثور كولمان¹⁶.

34. نفظالي ساسپورتاس طلب جون كريس سنة 1893 جعله سمسارا له بالصويرة¹⁷.

35. حاييم بن يعقوب قرقوز اقترح سنة 1893 سمسارا ليوسف يولي¹⁸.

36 — 37 : الحاج محمد (أحمدان) بوشیخة الصوري، والجيلالي بن علي الصوري كانا سمسارين لجيمس كارطيس حوالي 1883 بالنواحي السوسية¹⁹. وسيرد البعض من أخبارهما.

ث : المستوطنون

توافدت على الصويرة طائفة من الرعايا ومن المحميين البريطانيين الطارئين ولا سيما في الثلث الأخير من القرن الماضي. مثلاً في سنة 1871 كانت بالمدينة جالية تألفت من 172 شخصاً من صغار وكبار. وقد ولد 64 منهم بجبل طارق و 52 بالصويرة و 46 بإيقوسيا وإنجلترا، ومنهم البحار علي أدولفوس بن قاسم الذي ذكرت سابقاً أنه هو علي ورصاص، والباقون من مواليد تطوان وآسفي²⁰. إلا أن عدد المستوطنين سقط سنة 1891 إلى 114، منهم 45 من المسيحيين، والآخرين يهود طارقيون وإسبانيون متجنسون²¹ أو محميون.

وإذا أضفنا إليهم 55 من الرعايا العثمانيين نزلوا بهذا الثغر بين 1883 و 1893 وأغلبهم لاجئون أو عابرون²² أصبحت الجالية البريطانية أضخم عدداً من أية جالية أخرى.

ومن البريطانيين — محميين ورعايا — من كان لا يزال يعيش بها قبيل الحرب العالمية الأولى. وسنعرض لطائفة من المستوطنين في الفقرات الموالية :

15. رسالة وابط إلى الطريس في 8 شتنبر 1891، بالمحفظة المذكورة.

16. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 21 مارس 1893، بها أيضاً.

17. رسالة وابط إلى الطريس في 12 غشت 1893، بها أيضاً، ورسالة الرثراثي إلى الطريس في 22 رمضان 1310/9 أبريل 1893، محفظة الطريس 24.

18. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 10 أبريل 1893، محفظة بريطانيا.

19. ابن زيدان : «الأنحاف» ج 2 ص 382.

20. ميسج : «وثائق التاريخ...» ص 249 و ص 159 — 163.

21. هوج وميسج : «الأروبيون...» ص 10.

22. من الوثيقة البريطانية ف أ / ب.ر.أ. F.O/P.R.O. 635/3.

1. جورج بروم هو من مواليد إنجلترا سنة 1841، ربط علاقات تجارية مع المغاربة، منهم الحاج أحمد بوهلال الرباطي الذي كان تاجراً بالصويرة والذي لما مات سنة 1886 استمر في نزاع مع ورثته، لأنه كان بيده رسوم رهن ثلاثة أرباع منزل الهالك بالرباط.

وكان جورج ممثلاً لأبنائك مانتشيسنتر وليقربول بالمدينة²³ التي حل بها قبل سنة 1871 ونجده ضمن الرعايا البريطانيين في هاته السنة.

وكان قد أفلس مؤقتاً في تجارته سنة 1879، وتقدم اسم سماسرته وظل يقطن بالمدينة حتى مطلع القرن العشرين حيث مثل بلاده بها، وكان سنة 1892 يملك مطحنة بالمدينة.

2. جوزيف كريسپو J. Crespo طارق ومن مواليد 1828. اتجر بالصويرة منذ حوالي 1866 حتى توفي هنا حوالي 1879، ولم أقف له على سماسرة. وكانت له روابط تجارية مع شركة فرنسية سنة 1866. وفي سنة 1871 امتنع من أداء ما عليه من ديون لدى الأمانة²⁴.

3. جون دامونطي J. Damonte ولد بجبل طارق سنة 1831. كان يحترف التجارة ومنها استيراد الأقوات، إذ في سنة 1869 جلب مقادير من الأرز²⁵. وكان يدعى في الوثائق المخزنية ادجان المالطي. وقد ناب لفترة ما عن القنصل وليام كريس. وهو الذي حمى مسعود التلاوي.

4. موس ل. بينير Moss L. Penyer ولد بإنجلترا سنة 1834. وكان له سماسرة سنة 1879 وهي السنة التي أفلس فيها في تجارته. وهو من جملة الذين كانوا قاطنين بالصويرة سنة 1871. كان من الذين يصدرن بعض البضائع المغربية كالحلفاء التي اختزنها سنة 1872 في هري من أهراء الحكومة. لكن هاته المادة اشتعلت فيها النيران فهدم الهري. وبسبب ذلك طالبت الحكومة بتعويض عن هاته الخسارة التي لحقت ببعض أملاكها. فرد على ذلك السفير جون هي بأن «هدم البناء كان بحكم الله ومقداره»²⁶.

وكان قضية الحريق هاته شغلت بال السلك الدبلوماسي بطنجة فكتب كولاصو إلى قنصل بلاده بالصويرة يدعو تجار البرتغال إلى أن «يعتنوا بالدور والمخازن التي يكترونها من الحكومة حتى لا يقع فيها حريق»²⁷. وقد حذر بركاش مختلف الأمانة ونواب الدول من خزن الحلفاء²⁸.

23. رسالة كثرين إلى الطريس في 28 نونبر 1887، ورسالة مخزنية إلى سفير إنجلترا في 9 شوال 1303 / 11 يوليوز 1886، محفظة بريطانيا.

24. رسالة الحاج بوجنان البارودي إلى الحاج محمد بنيس في متم صفر 1283 / 13 يوليوز 1866، ورسالة العربي فرج وعبدالرحمان أقصبي إليه في 9 رجب 1288 / 24 شتنبر 1871، محفظة الصويرة 1.

25. منفيشطة السفينة ليدي هافلڤيل L. Havelvel الواردة للصويرة في 30 نونبر 1869.

26. رسالة جون هي إلى بركاش في 14 مارس 1972، محفظة بركاش.

27. رسالة كولاصو في 21 مارس 1872، نفس المحفظة.

28. رسالته إلى مصطفى جسوس ومحمد بن العربي القباج في 9 ربيع الأول 1289 / 17 ماي 1872، أيضا.

5. أسرة تكريس من أقدم من استوطنوا المغرب، بحيث استدان أحد أفرادها قبل سنة 1825 وتوفي ونشأ خلاف بين المخزن وورثته وحيز مال الغريم لجانب الحكومة وتفوصل فيه مع أخيه²⁹. أما وليام تكريس فقد استوطن الصويرة قبل 1849 حيث كان من مستوردي منسوج الكيكة³⁰.

وهو من مواليد إنجلترا سنة 1820، وتولى النيابة عن بلاده حسبها سلف. اتجر بالمدينة واتخذ له شركاء وسماسة. وفي سنة 1871 وقع في ضائقة مالية لم يستطع معها أداء ما عليه من الواجبات التي كان الأمناء يطالبونه بها. لكن الحاج محمد أملاح وسع عليه فيها وضمنه في جميع السلع المستوردة لأخيه الحاج محمد سككت الذي كان تاجرا³¹.

وفي سنة 1873 وسع عليه السلطان أيضا في تسديد 40.485 مثقالا كان يماطل في أدائها للخزينة³²، مما يدل على أنه كان له اتصال بالدوائر الحكومية.

وفي نفس السنة اشتكى إلى السلطان مطالبا الحاج عمارة بأداء دين له عليه قدره مائة ريال، ومشيرا إلى أن العامل سرح من السجن مستخدمه الحسين مع أنه سرق له 570 ريالاً³³.

6. جون تكريس عاش بالصويرة قبل 1871. وكان له سماسة. وهو من مواليد إنجلترا سنة 1835.

7. آرثور كولمان A. Coleman ولد سنة 1838 بإنجلترا. ولما حل بالمدينة قبل 1867 سكن بدار الحاج أحمد بن إبراهيم البويحيماوي الذي قبل أن يفر إلى سوس من غرمائه سلمها رهينة لشركة بيري Perry³⁴. وكان له سماسة سلف ذكرهم.

8. ج. كُوون G. Cowan أقام بالصويرة مدة 25 سنة. وكان لا يزال بها سنة 1914. وقد ألف كتابا عن الجنوب المغربي باشتراك مع القنصل جونستن³⁵. ولم أقف له على سماسة.

9. يوسف لويس راطو J.L. Ratto ولد بجبل طارق سنة 1850. وأسرة الراطو مشهورة بالصويرة، وكان منها أفراد عديدون. كان تاجرا له سماسة. وفي سنة 1894 نال ظهيرا بالتوقيع

29. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 110 — 121 — 123 — 199.

30. رسالة العربي الطريس إلى السلطان في 23 جمادى الأولى 1265 / 16 أبريل 1849، محفظة الصويرة 1.

31. رسالة عبد الرحمان أقصبي إلى الحاج محمد بنيس، ثم رسالته صحبة الحاج العربي فرج إليه في 3 ربيع الأول و 9 رجب 1288 / 23 ماي و 24 شتنبر 1871، نفس المحفظة.

32. «الوثائق» : 3 ص 397.

33. رسالة السلطان إلى الحاج عمارة في 29 صفر 1290 / 28 أبريل 1873، محفظة الحاج عمارة.

34. رسالة وليام تكريس إلى الأمناء في 18 محرم 1284 / 23 ماي 1867، محفظة الصويرة 1.

35. ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 94.

والاحترام³⁶. وكان ينوب عن بعض الدول مثل البرازيل. وهو المدعو بيبي الراطو.

10. لورينسو كلافيريسو L. Claveresso طارقي أيضا من مواليد سنة 1833. سبق له أن استوطن آسفي حوالي 1862. ولكنه عاش بالصويرة سنة 1871. ولم أقف له على سيطرة.

11. جيمس كارطيس J. Curtis ولد بجاجة بأندونيسيا سنة 1846 وحل بالصويرة قبل سنة 1863.

وهو تاجر ومغامر بسوس. وكان يحترف التجارة بكافة أنواعها : السكر والحبوب والزيوت التي استورد لها سنة 1863 طواني من الحديد لحزنها وأحاط بها براميل كبيرة وصنع نواله خشبية شاغلا بذلك الطريق العام ولا سيما المصلى، ومتراميا على العقار العمومي³⁷.

كانت له كما سيأتي مشاكل عديدة مع الحكومة والسلطة والأمناء. ففي سنة 1865 بدأ ينعت بالتهريب وبالسطو على العقار. وقد أمر السلطان بقطع الماء — من ساقية الصويرة — على العراصي التي أحدثها التجار الأجانب واليهود. غير أن كارطيس كان قد شرع قبل ذلك «في البناء وظهر تشييد بنائه من المدينة. وكروسته كل يوم حاملة للجير والحجارة. وبنائه في العرصة على غاية الجهد والازدياد. وبلغنا أنه بنى صهريجاً عظيماً عده للماء. وهو يروم استعطاف خاطر سيدنا أيده الله في تسريح الماء له ولجميع العراصي بخراج يجعله لبيت المال....

»ثم إن التجار أكثروا المبيت بهذه العراصي خارج البلد، ولا نكير لهم على ذلك. ومبيتهم بالعراصي لا يخل (= لا يخلو) من فائدة تحصل لهم.

«والفائدة عندهم أنه لا حائل لهم ولا عسة تردهم عن نزول شيء من المراكب لهذه العراصي أو وسق شيء من هذه العراصي للمراكب. وغير خاف عنك أن الروم الآن جعلوا أصحابهم من الصويرة إلى واد نون فما وراء ذلك. وعراصيم جعلوها حيلة وشبكة في محل مرور القفل (= القوافل) الواردة بالسلع للصويرة، من زيت وسمن وعسل وقمح وقطنية وريش وشمع وعنبر وجلد وكركدان وغير ذلك من السلع الواردة لهم، بحيث إذا أرادوا وسقها ليلاً أو نزول شيء من المركب فلا مانع لهم ... وفي أمس تاريخه خرجت فلوكتان ليلاً من المراكب لناحية العراصي ولم يجدوا بها أنيساً إلا رجلاً واحداً كان عساساً على الجلد ينشره خارج باب السبع. فلما عاين الفلوكتان ... هبط النصرى للبر وضربوه بخشبة في رأسه...»³⁸.

36. ظهر في 18 قعدة 1311 / 23 ماي 1894، محفظة الطريس 26.

37. «الوثائق» : 4 ص 254 — 255.

38. رسالة عمر بن عمرو إلى الحاج محمد بنيس في 7 ربيع الثاني 1282/30 غشت 1865، محفظة الصويرة 1.

ومن مواد تجارته أنه كان سنة 1867 يبيع السلاح للمخزن³⁹.

وكان كارطيس أيضا وكيلًا لبعض السفن التجارية القادمة إلى الصويرة. إلا أنه كان سنة 1872 مماطلا وممتنعا من تسديد الواجبات الجمركية⁴⁰.

قبل سنة 1880 بدأ يسافر إلى وادي نون. وقد جعل نفسه تحت حماية الحسين بن هاشم قائد أڭلو بقبائل آيت باعمران للتجارة في الأقوات مع أهل سوس، فبني بأركسيس مكانا كان حتى سنة 1886 لا يزال أثره قائما، إلا أنه اعتقل وسلم إلى الوكيل القنصلي رويبرط هي⁴¹.

وفي بداية 1883 كانت له مغامرة أخرى مع صديقه أندروز التاجر بأسفي إلى نواحي سوس بمرسى أركسيس حيث أنزلا القمح والشعير وصارا يبيعانها بالطلق⁴².

ولما حلا بسوس وأنزلا فيه القوت شرع كارطيس «في بيعه لفساد تلکم القبائل، وكتبنا لك في شأنه سالفا. وقد وقع القبض عليه الآن هو ونصراني آخر على يد ابن عمنا مولاي الكبير بن محمد ابن سليمان ووصيفنا الطالب بوغزى السريفي أحد خلائف سوس وخدمنا القائد محمد بن الطاهر الديلمي قائد الأرحى. فأمرناهم بدفعه لعامل تزيت يوجهه لخليفة أكادير يوصله لعامل السويرة يمكنه بيد قونصوهم، بعد أخذ خط يده بتوصله به والاسترعاء عليهم بأنهم إن عادوا لمثل ذلك فأصيبوا في أموالهم أو نفوسهم فذكرهم على رؤوسهم، وخسارتهم بهم خاصة، ومصيبتهم عليهم قاصرة...»⁴³.

وهكذا احتاط السلطان في حفظ كارطيس من الأذى. ويبدو أنه كان قد تعرض للخطر ولم ينج منه إلا لَمَّا أظهر لآيت باعمران جوازاً كان في الواقع مزورا حسباً سياقي.

ولما كان ممثلا لشركة سوس Soos Company راودته نفسه العودة إلى هناك مرة أخرى فوجه إلى أهل تلك النواحي، مع «صاحبيه الحاج محمد بوشیخة الصويري والجيلالي بن علي الصويري كتابا لقبيلة صَبُونَا وَمَسْتِي بأن يشدوا عضده ويقفوا في كلمتهم معه ويحفظوا ما تركه بالزريبة المدورة بالحجر التي كان جعلها بمرسى أركسيس حتى يقدم عليهم بحرا.

«فقبض عليهما وأحصي ما بتلك الزريبة ووجه لحضرتنا الشريفة زمامه الواصلة إليك نسخة

39. رسالة كرتيس إلى الطيب بن اليماني في 12 قعدة 1283 / 18 مارس 1867، كناشة الطيب بن اليماني.

40. رسالة عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج إلى الحاج محمد بنيس في 12 قعدة 1288 / 23 يناير 1872، محفظة الصويرة 2.

41. ميسج : «وثائق التاريخ...» ص 180.

42. روجرز : «تاريخ العلاقات...» ص 261.

43. رسالة السلطان إلى برثكاش في 12 جمادى الأولى 1300 / 21 مارس 1883، محفظة برثكاش.

منه طيه، فأمرناه بتوجيه المسجونين المذكورين لأخيـنا مولاي عثمان يجعلهما بالسجن، وبحيازة ما تضمنه الزمام المذكور على وجه الكـطربـنض...»⁴⁴.

وقد حثت شركة سوس البريطانية السفير جون هي على التدخل لفائدة عميلها، مستظهرة «بأن إنزال كرطيس القوت بمرسى أركسيس كان بموافقة وصيفنا بوعزة السريفي، وأن المتوجه من حضرتنا الشريفة لتلكم النواحي عام أول لم يتعرض لكون تلك التجارة مخالفة للقانون وقال لكـرتيس : «كن مطمئن البال، إن سلعتك في أمان». وظهر لدولته أن الحق لكـرتيس فيما ضاع له هناك حيث أنزله على الوجه المذكور، وأن الحاج حمدان والجيلالي نائبي كبانيتهم — اللذين وجهتهما لسوس يقبضان ديونهما وقبض عليهما — لا دَرَك عليهما يوجب قبضهما حيث هما عند أمر الكبانية، وأنه يطلب تسريحهما. فلم تقبل منه ذلك وأجبتـه بما شرحتـه...

«أما خروج كـرتيس بمرسى أركسيس وإنزاله القوت بها فلم يكن بموافقة بوعزة السريفي قطعاً، وإنما كان بموافقة فُسَاد قبيـلة آيت بوعمران كالسباعي وأضرابه. وبنفس خروجه ووضعه القوت بها طير لنا الأعلام بذلك السريفي، فأمرناه بالاحتـيال عليه وقبضه وتوجيهه للصـورة على يد عامل أكـثـادير.

«لما علم أعيان آيت بوعمران وكبرائهم بخروجه توجهوا لعنده وطالبوه بإذننا الشريف له فيه، فاستظهر لهم بكتاب مزور، بأننا أذننا له في جلب القوت وبيعه لتلك القبائل. فسكتوا عنه وبحثوا في ذلك الكتاب فآلفوه مزورا وهما بالفتك به وبمن معه. فخشي السريفي من درك ذلك، لتأكيدنا عليه في عدم تركهم يمسونه بسوء. وارتكب السياسة في مدافعة مكرهم، بالنداء في القبيلة بترك التعرض له وعدم مسه بسوء. فظنوا أن ذلك بإذننا وتأخروا عن الإيقاع به وبمن معه. فأصدرنا أمرنا الشريف له ولقبيلة آيت بوعمران بالضرب على أيدي أولائك الفُسَاد ... ووجهنا من حضرتنا الشريفة الموجه المشار إليه وأمرناه بالاحتـيال عليه حتى يحصله. ولما سمع بقـدومه فر للبابور حتى يذهب ويرجع للبر. فكان من جملة احتـيال الموجه حتى حصله قوله : كن مطمئن البال...

«والحاصل فادعاء كـرتيس موافقة السريفي له على إنزال القوت بأركسيس وإشارة الموجه له بما ذكر واضح البطلان، لا يحتاج إلى بحث ولا إلى إقامة دليل وبرهان. ومراده بالادعاء بذلك ستر خرقه للشروط بالخروج للمرسى المذكورة وتعاطيه التجارة بغير إذن المخزن والتليس على الكبانية وتغطية تضييعه لمتاعها ببيعه بالطلق لأناس بلغت فيهم الفاقة والخصاصة حدها...

«وأما المذكوران فهما اللذان حثا كرطيس على التوجه لسواحل سوس وطمعاه ودلياه بـغـرور ... وهذا موجب القبض عليهما ... وعلى كل حال فقد قبلنا شفاعـة الباشادور في

44. رسالة السلطان إلى برْكَاش في 10 رمضان 1300 / 15 يوليوز 1883، في «الأنحاف» ج 2 ص 382.

تسريحهما على شرط ضمانته أن لا يعودا لما كانا عليه من إدخال الكطربنض والخوض في أمر المعادن...⁴⁵.

ومع ذلك لم يَزْعَوْ كرتيس عن قضايا سوس والتجارة مع أهلها. وهاته نسخة رسالة مشوهة التركيب وجهها سنة 1887 إلى أعيان قبيلة صَبُونًا يحرضهم على العصيان ويعددهم ويمنيهم :

«الحمد لله وحده

«أصحابنا آيت رعين متاع اصْنَبِي كافة كبيرا وصغيرا.

«السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا.

«وبعد فقد رجعنا من مراكش للصورة ووجدنا وقع لجاج في بر النصارا على قبال بلاد سوس وكذلك الغرب جميعا. وهذا أمر كبير غاية بين النصارا.

«وأنا أردت نقدم لبر النصارا عند أصحابنا لتكلم معهم في الوقوف والخزم. ومن بر النصارا نقدم لحضرتكم في البحر إن شاء الله. وأنتم اقفوا (كذا) في الكلمة التي جعلتم معنا وقوف الرجال. ونحن كذا لك. ولا تسمعوا [وا] كلام أحد. وَرَدُّ [وا] بالكم مع حوائج الكبانية الذي تركنا في بلادكم. ولا تقصروا في الوقوف. لأنه كايين البعض من الناس ويقولوا إليكم تتنوا (= شتتوا ؟) حوائجنا وفرقوهم. وذلك إن وقع تكون عليهم حجة. وأنتم [إن] حضيتم حوائج الكبانية لم تكون عليهم سبة ولا فلفة. وتكون المرصة خدامة امسقم. والسلام. في 14 من مايه عام 1887⁴⁶».

ج : قضية مسعود بن عبد القادر الشياظمي التلاوي

هذا الرجل كان خليفة لأبيه ثم لشقيقه بوجمة في إيالة الشياظمة. فلما توفيا استولى على أموال الدولة وأموال الخواص، وذهب متسترا إلى قنصل إنجلترا بالصويرة وليام كريس فحماء بوصفه سمساراً له. ولم يقبل المخزن هاته الحماية لأن صاحبها — لما كان متبوعاً — فر لاجئاً بالأضرحة من مدينة لأخرى : آسفي ومراكش والصويرة وجبل طارق وطنجة وأخيرا هرب إلى سوس واستوطن تارودانت.

بدأت حوادثها قبل سنة 1866. وقد تدخل فيها قنصل إسبانيا بالصويرة، كما تدخل فيها القنصل العام للولايات المتحدة بطنجة بسبب محمية ابراهام قرقرز الذي ذهب ضحية احتيال مسعود عليه. وكان الذي حمى الشياظمي هو قنصل بريطانيا، الأمر الذي أدى بسفير المملكة

45. رسالته إلى برتغاش في 7 ربيع الثاني 1301 / 5 يراير 1884، في «الأنحاف» ج 2 ص 385 و 386.

46. رسالة بمحفظه بريطانيا.

المتحدة إلى أن يتفاوض ويكتب السلطات المخزنية. وتمخضت القضية عن عزل عامل الصورة بسبب غفلته على الراجح، وتنحية عدد من العدول لتورطهم.

وسأتناول هاته النازلة من خلال الوثائق المتبادلة أولاً بأول. وفي بعضها تطويل وتكرار، وفي الآخر اقتضاب واختصار. ولكنني سأقتصر على الاستشهاد بما هو لازم لقضاء الحاجة.

1 : الطيب بن اليماني بوعشرين كتب إلى محمد برّكاش رسالة يقول فيها :

«كنا قد منا لك الكتابة عن الأمر الشريف بالكلام في شأن ولد التلاوي الذي فر للصورة واحتمى بقونص النجليز بعد أن تقاعد على مال له بال، وصار يدخل ويخرج من غير مبالاة بأحد ... فإنه لا يخفاك أن في الشروط أن لا يدخل في الحماية من هو متعلق بالخدمة المخزنية.

«هذا وقد تعرف العمال للنصارى الذين بالمرسى ورغبتهم في مخالطتهم ليجدوهم عند العزل أو الموت، فيدعوا أن لهم عليهم ديناً كثيراً. وقصدهم أن يفوتوا ما بيدهم من متاع بيت المال لعند النصارى...»⁴⁷.

2 : جواب برّكاش عليها مكتوب في طرة الرسالة نفسها بدون تاريخ. وها هو نصه :
«وبعد فقد علمت ما ذكر أعلاه. أما باشدور النجليز إلى الآن لم يأت جوابه في شأن التلاوي... إلا أنني أريد [أن] أسألك عن هذا الرجل هل كان متولياً : عاملاً أم خليفة أو لا ؟ ولعله لما كتبت في شأنه لم أذكر أنه كان متولياً...»⁴⁸.

3 : وهاته نسخة من رسالة عامل الشياظمة عمر الحنشوي إلى السلطان في 11 رجب 1283 / 19 نونبر 1866. وهي طويلة وسأقتطف فقرات كبيرة منها زيادة في التوضيح :

«ينهى لكريم علم مولانا أن الفاسد مسعود ولد عبد القادر التلاوي أخا بوجمعة، الذي هرب من مراكشة بمال بيت مال المسلمين الذي ترك عنده بوجمعة المذكور واحتمى بالنصرى بدولة النجليز، فإنه هو وصهره الحاج أحمد بن الحاج ابراهيم، الذي يزعم الآن أنه كاتب عند قونصو النجليز بالشعر الصويري حرسه الله، قد اشتغلا بمن يتسوق من قبيلة الشياظمة للصورة ويحرضانهم على الفساد ويأمرانهم بمنع الوظائف السلطانية المرة بعد المرة. وأخبرنا بذلك ولم نصدق أحداً عليه حتى ثبت عندنا ذلك بالتواتر الفاشي.

«وأخبرنا أيضاً بأنه — أي مسعود — يتكاتب مع أخيه ابراهيم الذي بمكناسة الزيتون — عمرها الله — ويقول له : «أقدم لحضرتنا للسورة ولا عليك في الأهل الذين هنالك معك». وها هو أنعم لهم بالقدوم عليهم للصورة عن قريب.

47. من رسالته في 28 ربيع الثاني 1283 / 9 شتنبر 1866، محفظة برّكاش.

48. محفظة برّكاش أيضاً.

«وأعلمنا سيدنا ليكون منه على بال. وكيف لا وهو أتى ببال له قدر وبال، وتقاعد عليه، واشترى منه دورا هنا بالثغر الصوري؟ فمن جملة ما اشتراه دارين بداخل قصبة الصويرة بقرب دار سيدنا — أعزه الله — بثمانية آلاف مثقال، وهدمهما وصير عليهما مالا كثيرا، وجعلهما دارا واحدة، وبنا وشيد، وأعلا بناءه على دار سيدنا وأصعد. ولم يجد من يقول له فيما فعله : لِمَ؟ وظهر بيده مال عريض، ولا يخرج إلا الذهب. وها هو يبذر فيه ويرشي به النصاري : قونصو النجليز وقونصو الصبنيول.

«وسبب الاتصال بينه وبين قونصو الصبنيول هو النصاري إدجان الدُمُتِي النجليزي ملاطفه وملاطف صهره الحاج أحمد المذكور.

«وفي مغيبنا بمراكشة حرض مسعود المذكور قونصو الصبنيول على حوز عرصة في جانبنا بداخل الصويرة، وحازها بحيلة من يد يهودي كان رباعا بها عن إذننا. وحيث حللنا بالبلد سمعنا بذلك، فوجهنا للقائد المهدي ابن المشاوري ليخرج منها اليهودي. فتعرض له قونصو الصبنيول وقال له : «العرصة تحت يدي واليهودي فيها عن إذني. وأنا صيرت عليها دراهم، ولا أخرج منها بوجه» ومنعنا منها. ونحن لم نأذن له في حوزها ولا في تصيير شيء عليها. وتعصب عليها بإغراء من مسعود وصهره. ولم يقبل معنا فيها كلاما ولا شرعا، ولا قانونا ولا عرفا ولا طبعاً...»

«وكذلك قونص النجليز ترامي على فندق هنا من الأملاك المتخلفة عن القائد بوجمة المنسوبة لبيت المال التي تحت أيدينا من جانب سيدنا أعزه الله. وأدعى بأن الفندق المذكور لكتابه الحاج أحمد، صهر بوجمة المذكور، قد اشتراه من بوجمة قيد حياته، واستظهر بكتابة عليه بخط بوجمة... وكتب لنا القونصو المذكور النجليزي على أن نوجه وكيلنا عنا ليعمل الشرع مع كاتبه في الفندق... وطلب من القاضي تثقيف الفندق فقال له : «حتى يثبت الموجب» ولم يساعده. وذهب للقائد فقال له : النظر للشرع. وهذا أجابنا القاضي والقائد.

«وبعد هذا كله ترامي القونصو النجليزي على الفندق، وأخرج منه البهائم التي وجد به وثقفه وسمره بالواح. وقال إنه يحوزه لصاحبه الحاج أحمد، وضرب على يد الجميع، واستقل برأيه، وحكم لنفسه، ولم يتعرض له أحد. والآن النظر لسيدنا. لأن القونصو النجليزي المذكور ذاك دأبه وعادته في كل شيء. وفضوله كثيرة معنا ولا مع غيرنا، وتراميه على جانبنا أكثر، لأجل الجاسوس الحاج أحمد ومسعود...»

«وقبل تاريخه بعشرين يوما كتب لنا قونصو النجليز المذكور على شأن مسعود ولد عبد القادر المذكور بأنه أراد أن يخرج لبلدهم برباعة وخُدام وعبيد يحرقون له بالبادية... فأجبت أنه لا ملك لهم وإنما الأملاك لسيدنا...»⁴⁹.

49. الرسالة تحمل رقما لا أعرف مصدره وهو : 411/ 67.

4 : وفي نفس المعنى وفي ذات السنة جاءت رسالة ابن المشاوري تلخص القضية حسبها ذكرها عمر الحنشوي. وتضيف أن عدلين أحدهما حاحي والآخر شياظمي عرّفا بخط بوجمة وبيعه الفندق للحاج أحمد ابن ابراهيم البويحياوي.

فلما تكلم القنصل الإنجليزي مع العامل في ذلك «قلت له : إن الفندق لا سبيل لي عليه. فتكلم مع القاضي في ذلك. فلما رآ القاضي خط يد بوجمة المتضمن البيع بحث في العدول الذين عرّفوه. فالشياظمي رجع في شهادته، والحاحي بقي...»⁵⁰.

5 : الوثيقة الخامسة هي الرسالة البليغة التي وجهها محمد الرابع إلى برّكاش بعد حوالي سنة من بدء القضية. وتاريخها هو 18 ربيع الثاني 1284 / 19 غشت 1867. وقد بدأها العاهل بشيء من اللوم على برّكاش، وختمها بطرح جديد لمسألة مسعود التلاوي :

«وبعد فإنك متوجه على بركة الله لهذه الوجهة التي عينت لها، ولم ندر هل استحضرت قضاياك العويصة المتعددة وأعددت لها حججك الواضحة البينة لتكون مستعدا للمحاجة فيها، وطلب الحق والقانون إن تلاقيت مع نواب الأجناس هناك، أم لم تستحضر شيئا من ذلك، وعرضك أن تتوجه خالي الذهن من ذلك، متفرغا منها حتى تتلاقى معهم كذلك، ويلقوا عليك من الحجج ما يعمر ذهنك، ويثقل ظهرك، على عاداتهم في التعلق بالأمور الواهية، وتصحيح الحجج المتلاشية، فتذهب خفيفا وتتوب مثقلا. ولذا أردنا تنبيهك لقضايا شنيعة وقعت بهذه الإيالة لتنظر في رتق خرقها وتدارك أمرها معهم حتى تحسم مادة فسادها، وإن كانت كلها مرت على يدك وتداولها ذهنك، مخافة أن تكون نسيته أو أهملتها.

«فمن جعلتها قضية مسعود ولد عبد القادر التلاوي الذي مكث الزمان الطويل في الحرمات، وهو مطالب بالأموال الثقيلة التي احتجتها وخان فيها مدة ولاية والده ومدة ولاية أخيه وبعد موته، مما هو من حقوق الناس ومال بيت المال. وكان يتلوى هاكذا وهاكذا، ولم يوجد في تلك المدة من يقول إنه في حمايته أو متعلق به. حتى إذا وجد فلتة ركب برأسه وذهب إلى الصورة، فوجد نائب النجليز هناك، فحماه ومنعه من المخزن على وجه الخرق للقانون والخروج عن الحد، مع أن المتعلق بالخدمة لا يدخل تحت حماية أحد. ومع هذا فلم يكف عن فساد، بل صار يفعل بفساده ما أراد ويعطي العدة والبارود للفساد من قبيلته، ويغريهم على الخروج على العامل، وإيقاد نار الفتنة، متجاهرا بذلك من غير استتار ولا استخفاء. فهل هذا الفعل من القانون ؟ وهل الصبر على مثل هذا من الحق ؟ وهل يستقيم حكم لأحد مع بقاء هذا على حاله ؟

«ومن جملة موبقاته أنه تلاقى برجل من امتوكة على يد اليهودي قرقوز، وغره على أنه يصرف له عدة ريال بالضبطون حتى حاز منه ثمانية آلاف ريال، وتقاعد له عليها، ومنعه منها، ولم يدعن

50. رسالته في 11 رجب 1283 / 19 نونبر 1866، محفظة برّكاش.

لحكم حاكم ولا لأمر أمر. ولعل القضية تكون وصلتك بأبسط من هذا. فكيف يسوغ السكوت على مثل هذا؟...⁵¹.

6 : وهذا موجب عدلي بتاريخ 19 رمضان 1284 / 14 يناير 1868. وهو يحتوي على شهادة تلقاها أربعة من العدول لم يظهر لي منهم إلا عمر بن مسعود الزمراني ومحمد بن ماشي العلوي المدغري. أما القاضي فهو محمد بن عبد الواحد الدويري الذي كان قاضيا بمراكش وآسفي والذي توفي سنة 1302 بمدينة فاس⁵². وهو الذي خاطب عليها. ولعل هاته الوثيقة حررت بمدينة مراكش، وبإيعاز من القائد عمر الخنشوي خصم مسعود، واقتصر فيها عدول أربعة (لا عدلان فقط) على السماع الفاشي. وها هو نص هذه البيعة :

«يعرف كاتبه — أمنه الله وغفر ذنبه — مسعود ولد القائد عبد القادر الشيطمي التلاوي الكائن بثمر السويرة حرسها الله المعرفة الكافية الشرعية، ويشهد مع ذلك أن مسعود المذكور توصل بكثير من المال، الذي له قدر وبال، من مال الجنب العالي بالله، المجموع تحت يد أخيه القائد بوجمة العامل من قبل الجنب المذكور على القبيلة المذكورة، لما تقرر من أقوال المذهب المالكي أن ما تحصل عند العامل أيام ولايته من المال فهو لبيت مال المسلمين.

«وأنه دخل ثغر السويرة واحتفى به، وصار يفسد ويبيذ الأموال المذكورة واشتغل بالخوض مع الخائضين، وبالفتنة مع الفاتنين، ولا ينتهي ولا يبالي بأحد، لما هو عليه من الاحتفاء هنالك . وأداه الزيغ والفساد إلى الدخول مع القائمين على القائد عمر الشيطمي من القبيلة بالمراسلات وتوجيه البرود والرصاص لهم وتحريضه إياهم على ضرب عامل السلطان نصره الله.

«كل ذلك في علمه بالسماع الفاشي المستفيض على السنة أهل العدل وغيرهم...»⁵³. وهاته حجة تدين مسعود وتجعل وزره كبيرا. ولذلك تكررت أوامر الخزن بتوقيفه حيثما وجد.

7 : ومن ذلك رسالة محمد بركاش إلى الحاج محمد بن سعيد عامل سلا مؤرخة في 24 شوال 18/1284 يبرير 1868 تتعقب التلاوي وتعطي أوصافه. قال بركاش على الأخص :
«... ابحث عنه، إن ظفرت به فلا تفلته. وإياك أن تتركه يسافر برا أو بحرا. وأوصي عليه الأمناء ألا يركب في البحر، بل أصحاب الوادي أن لا يتركونه يجاوز للعدوة الأخرى. ورد بالك إليه ولا بد. وأعلمنا بما تحصل عندك.

51. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 386، وصورتها عند محمد نهيل في «رسائل مخزنية» ص 34.

52. ابن ابراهيم : «الاعلام...» ج 7 ص 52 — 53 .

53. تاريخ المکتوب هو 19 رمضان 1284/14 يناير 1868، محفظة بركاش.

«وَصِفَتْهُ : عربي اللون، رقيق الأطراف، خفيف نبات اللحية، ربعة القد...⁵⁴»
8 : أضواء جديدة جاءت في رسالة السلطان إلى بركاش في 20 قعدة 1284 / 14 مارس

: 1868

«وصلنا كتابك أخبرت فيه أن مسعود التلاوي فر ليلا بعد ما أوصيت عليه حراس المرسى» وأنت «تكلمت مع الباشدور في تثقيفه فامتنع. ثم تبين بعد البحث عنه أنه بمحل الكرنطينة من جبل طارق. فكتبت للحاج سعيد كُسوس في رجوعه، كما كتبت لحاكم البلد في ذلك أيضا، ولا زلت في انتظار جوابهما.

«ونبهت على الكتب لعامل الصورة بما طُيِّرَت الكتب له به من تثقيف أملاكه وجعل العسة على داره ومحل تصرفاته حتى لا يقع في شيء منها تفويت إن تعذر رجوعه، لما ادعاه عليه قونصو المركان أنه أخذ لخليفته بالصورة 8500 من الريال، وصار يطلب المخزن به، ذاكرا أنه لا كلام له مع النجليز، لما أجبت أنه حمايته غير مقبولة عندنا ودار بينك وبينه في ذلك ماسطرته.

«وذكرت أنك لما شرعت في الكلام مع باشدور النجليز في حماية مسعود المذكور استشعر من ذلك زوال حمايته، فحصل له من الخوف ما حصل، بعد أن وعده الباشدور بالتشفع فيه لدى جانبنا العالي بالله تعالى وتوجيهه لحضرتنا السعيدة في الأمان.

«فزعم أن معظم خوفه من العامل وطلب إبقاءه بطنجة، فساعده الباشدور.

«وأنت لما استظهرت عليه بما وجهناه لك من البيانات عارضك بالبينة التي وجهت شاهدة بمسكنته وعدم خوضه. فتحيرت فيما وقع للشهود والقضاة في التعارض المشار إليه وأشكل عليك الأمر. فحصل ما يتعلق بمسعود هذا أنه ليس في الحماية، وأنا لا نقبل حمايته، وأنه كان أولا بأسفي مدة فما ادعى حمايته ولا كانت له. وانتقل لمراكشة وسكن بها مدة فما ادعى شيئا من ذلك ولا كان له.

«وكان يطالب بمال المخزن فما وجد مدفعا لما طوِّب به لظهوره وشهرته. ثم ذهب للصورة مختفيا هاربا، فادعى أنه في الحماية وعضده بيس قونص النجليز، ومنع من الكلام معه في القضايا التي كان متبوعا بها التي كان من جملتها المال الذي ادعى عليه به قرقوز وتعرض عليه.

«وعليه فذكر المال المدعى به عليه هو على الذي تعرض عليه. وأما أملاكه وما هو ظاهر فهو لبيت المال لا له. وما ليس له لا يخلص منه ما هو للناس، وإنما يخلصون من المال الذي ادعى عليه به أو من عند الذي تعرض عليه.

«وللمخزن على مسعود موجبات واضحة ظاهرة بأن ما عنده هو لبيت المال خاصة، لكون والده كان قبل الولاية فقيرا لا يملك قليلا ولا كثيرا وإنما اكتسبه بعد الولاية.

54. محفظة بركاش، رقم 10 / 412.

«وما ذكره الباشدور في شأنه من أن أناسا شهدوا له بما ذكره من المسكنة فإننا نسلك في قضيته من هذه الحيثية مسلك الحق والشرعية... فليكن من هذا الوجه هنيئاً... والسلام، 20 قعدة عام 1284.

«ومن تمامه. واعلم أن ما استصعبه الباشدور — من القبض على مسعود لما ذكر — عرفناه. ونحن لا نأمر بقبضه ولا نستحسنه ولا نحب لأمرين :

1 : أحدهما أنه حيث تعلق بجنسهم، فلا نحب أن نخفر لهم ذمة محبتهم في جانبنا العالي بالله.

2 : ثانيها أنه حيث تظلم فلا نحب إلا أن نبحث في حجته حتى يظهر ظهوراً بيناً كون الحق له أو عليه فيما نسب إليه.

«فلا بد أجب الباشدور بهذا كله، ووجه مسعود لحضرتنا العالية [بالله] تعالى في أمان الله ورسوله. ولا يكون له إلا الحق، ولا يخش[ى] من العامل بحول الله وقوته. صح به»⁵⁵.

سأترك القضية مؤقتاً من حيث ارتباطه بالحماية البريطانية، مشيراً إلى أن الاستدراك الأخير في الرسالة السالفة سيكون مفتاحاً لتوضيح جوانب من نازلة الشيطمي، ومنتقلاً إلى علاقته بابراهيم قرقوز مع التذكير بأصل قضيته معه :

9 : رسالة الطيب بن اليماني إلى برقاش في 27 ذي الحجة 1284/20 أبريل 1868 تمدنا بعناصر الموضوع. وهي وثيقة طويلة نفتبس منها : «ورد ... كتابك المتضمن لما دار بينك وبين نائب جنس المركان فيما يدعيه خليفته بالصورة على مسعود الشيطمي 8500 من الريال ...

«وأشرت برفع القضية للصورة ليتحقق أمرها لكون الموجبات المشار إليها لم يتم أمرها عندك، وعندهم في قانونهم أنها تامة، وأشرت بالبحث في تصحيحها، ومطالبة قرقوز بالحلف في التوراة ... وصار ذلك كله ببال سيدنا أيده الله.

«فأمرني نصره الله بأن أجيبك ... وذلك أنه لما مات أخوه ورد على عاسفي واستجار بسيدي أبي محمد صالح ... فأمر سيدنا بالتضييق عليه. ثم فر من هناك وقدم لمراكش واستجار بضريح سيدي محمد بن سليمان الجزولي ... حتى تشكى منه المقدم البركة السيد محمد التلموذي وطلب تطهير ذلك المحل المطهر منه. فأمر سيدنا بالتضييق عليه ثانياً ... ففر مختفياً للصورة ولحق بالتاجر جان المالطي، فكتب ولد سيدنا وخليفته سيدي حسن ... لقائد الصورة بالقبض عليه. فتوجه لدار أنكريش النجليزي خليفة قونصو النجليز لغيبته عن الصورة، فتلاقى به

55. هاته الرسالة السلطانية من وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات. وبها رقم هو : 1674.

وتكلم معه وقال له : «إن الأمر ورد بالقبض على مسعود المذكور». فقال : «إنه في الحماية». فأخرج جان المذكور كتاب بashedور النجليز وعليه طابعه، متضمنا أن مسعود المذكور سمسار جان. فكتب العامل بهذا إلى الجانب العالي بالله. ولما رجع القونصو للصويرة عظم أمر مسعود. وصار القونصو يكتب له في شأنه ويقول له : «إياك أن تتكلم معه أو تمسه بسوء»، وتعرض عليه، فلم يجد العامل سبيلا لقبضه.

«وبقي على هذا إلى أن وقع بينه وبين خليفة المركان ما وقع في شأن المال الذي ادعى به عليه، وأقام عليه موجبات بذلك. فذهب لطنجة، والعامل إذ ذاك لازال ممنوعا منه.

«وحيث كان قونصو الصويرة مانعا للعامل من الكلام مع مسعود، فإن القونصو هو الذي يطالب بمال بيت المال الذي احتجته وأخذ في تبذيره وصرفه في شهواته وأغراضه مع كونه مالا له بال، لأنه حاز مال أبيه ومال أخيه وزاد عليه ما أخذه للقبيلة حين خلافته. وحتى مال اليهودي هو الذي يطالب به لأنه منع العامل منه ؛ وحيث طلب قونصو المركان الحق في مال اليهودي، فسيدنا أيده الله يطلب الحق في مال بيت المال وفي مال اليهودي...

«وما سكت سيدنا عن طلبه منذ كان بالصويرة إلى أن ذهب لطنجة ومنها هرب لجبل طارق وهرب منه لسوس واحترم بسيدي أحمد أموسي حيث لا يتوصل إليه...»⁵⁶.

10 : وبعث جيس ماك ماث برسالة طويلة إلى السلطان في 11 يونيو 1868. وذكر فيها «أن الحجج التي توجهت لوزيركم بطنجة سيدي محمد برقاش وزير الأمور البرانية وجهنها لمخزننا وتُصَفحت أمامه، وسطروها بدار الشرع وحققوها ووجدوها متمومة على وجه الحق. وظهر منها أن التاجر ابراهيم قرقوز يتخلص في العدد المطلوب مع مصاريفه وخسرانه. ونحن مخبراً من عند وزير سيدنا بطنجة أن الشيطمي المذكور له أملاك عديدة بالصويرة تُوفي بالعدد الذي نطلبه... وهذه الأملاك المذكورة هي الآن تحت يد المخزن سيدنا، ومخزننا يتعجب في عدم بيعها.

«فعلى هذا أمرني مخزننا بتوجيه هذا المسطور للحضرة المولوية، طالبا من سيدنا [أن] يأمر ببيع الأملاك عن قريب ونتخلص في مطلوبنا...»⁵⁷.

11 : آخر رسالة هي من السلطان إلى برقاش في 28 ربيع الأول 1285/19 يوليو 1868.

«وبعد وصلنا كتابك شرحت فيه ما دار بينك وبين قونصو المركان أولا وثانيا في قضية مسعود التلاوي وقرقوز المراكشي وما أبداه فيها من التشديد والتجريح والجسارة، وأنتك أجبته بما قدمناه لك من أن ما وجب على مسعود لقرقوز ينفذ له ولا يضيع فيه، فلم يقنع بذلك وطلب ما

56. محفظة برقاش.

57. محفظة المغرب الولايات المتحدة.

بنيف على الثلاثة آلاف ريال خسارة، زيادة على العدد 8500 المطلوب أولاً، فاسكتّه وسكنته بما كتبت له به... فيها نحن أمرنا لبراهيم قرقوز بما ذكرت...»⁵⁸.

هاته من القضايا الشائكة بين المخزن والسلوك الدبلوماسي التي لم أقف على نهايتها. فقد انتهى الأمر بمسعود إلى الفرار إلى تارودانت والإقامة بها بأهله قبل غشت 1868، إذ أمر السلطان بـ«تسريح آل مسعود الشياظمي التلاوي وتوجيههم لرودانة فامتثلت أمره الشريف بذلك...»⁵⁹.

وبما لا شك فيه أن السلطان قد شعر بأن في قضيته تزيّداً بعد أن تظلم بواسطة وزير بريطانيا حسبما جاء في الوثيقة الثامنة أعلاه. ثم لا ريب أن يكون مسعود قد أدى ما عليه، وإلا لما سمح السلطان له بالإقامة بسوس وضم أهله إليه. فهل كان الشياظمي مظلوماً؟ وهل افترى عليه الخنشوي وتحامل عليه وسود صحيفته لدى السلطان؟ قد يكون بعض ذلك صحيحاً، وذلك لا يمنع مسعود من أن يكون قطعاً ظالماً لنفسه.

وآخر ما أذكر عنه أن الشيخ البشير بن إبراهيم الوادوني اتهمه بالاستيلاء على رسومه وكتانيشه وطلب استردادها منه، فأمر السلطان بإلزامه ردها له⁶⁰.

ونختاماً انعكست على الولاة نازلته : فقبل يونيو 1868 عُزل المهدي ابن المشاوري «في نازلة الشياظمي المذكور ورجع محله الحاج عمارة بن عبد الصادق. وكذلك القاضي، ورجع مكانه الفقيه السيد الحاج علال بن عبد الصادق وعزل جميع العدول المنتصبين للشهادة، ومن جملتهم العدلان اللذان كانا يخدمان مع السيد الحسن جتّون بالقصبة الجديدة وهما سيدي الهادي بن مولاي الطايح القادري ومولاي علي بن بلة الشياظمي»⁶¹.

والعزل شمل أيضاً اثنين من العدول الأربعة الذين كانوا بالصويرة، وهما علي التّاني والحاج حمو «بسبب شهادتهما بخيانة مسعود الشياظمي، والأمر بخلاف ذلك»⁶² وهما بلا ريب العدلان المشار إليهما في الوثيقة الرابعة من هاته النازلة.

58. محفظة برّكاش.

59. رسالة برّكاش إلى الحاج عمارة في 9 جمادى الأولى 1285 / 28 غشت 1868، محفظة الصورة 2.

60. رسالة السلطان إلى ابنه، مولاي الحسن في 14 جمادى الأولى 1285 / 2 شتنبر 1868.

61. رسالة عبد الكريم التازي ومحمد التازي إلى الحاج محمد بنيس في 10 صفر 1285 / 2 يونيو 1868.

62. نفس الرسالة السابقة، وكلاهما بمحفظة الصورة 2.

وكان القاضي المعزول هو الحاج عبد القادر بن أحمد الزمراني الصومعي⁶³ السوري مولداً ووفاة (1247 — 1830 / 1309 — 1892) ودفن الزاوية الدرقاوية. فقد كان سنة 1281 / 1864 نائبا عن قاضي الصويرة الحسن المزميري، وإثر إعفائه دخل مراكزه بعد ذلك بسنوات ولا سيما سنة 1307 / 1890 حيث ظل نحو العامين يتعاطى الفتوى قبل أن يموت. وكان العدل علي التتاني أحد أشياخ القاضي المُقال⁶⁴.

63. الصديقي : «إيقاظ...» ص 118، وقد خصص للنازلة حديثا ابتداء من ص 98.

64. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 8 ص 469.

5 : إسبانيا

أ : السلك القنصلي

1. في سنة 1861 كان إدواردو بيرديكي E. Verdegay وكيلا¹.
2. ونجد سنة 1869 أن سالبادور ريثو Salvador Rizzo كان يشغل هاته الوظيفة².
3. وأسندت إلى خوسي ألبارث إي بيريث J.A.Y. Perez مهمة التوكيل قبل سنة 1874 وبعدها. وقد ألف كتابا عن الجنوب المغربي³. وسرد كلام عنه وعن علاقته بالسلاطين.
4. فرانسيسكو بونتي F. Puente كلف سنة 1875 بهذا المنصب⁴ بالنيابة عن سلفه.
5. وفي يناير 1879 عين أدولفو ريبادينيرا A. Rivadeneira لتمثيل بلاده بهاته المدينة⁵.
6. واضطلع فرانسيسكو لوثانو مونيوث F. Lozano Muñoz بهاته الأشغال سنة 1881 وبقي كذلك حتى سنة 1884⁶.
7. وابتداءً من سنة 1884 عين أنطونيو فيرو كروث A. Fierro Cruz لتمثيل بلاده حتى سنة 1892 حيث توفي بالصورة⁷.
8. لويس ماريناس L. Marinas كان سنة 1893 قنصلا⁸.

-
- 1 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 384 (1).
 - 2 . ميسج : «وثائق التاريخ...» ص 119.
 - 3 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 60، ورسالة خوسي إلى الحاج عمارة في 8 جمادى الأولى 1291 / 23 يونيو 1874، محفظة إسبانيا.
 - 4 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 156.
 - 5 . رسالة ديوسدادو إلى برقاش في 11 يناير 1879، محفظة إسبانيا.
 - 6 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 210 (5)، ورسالة في 18 جمادى الثانية 1301 / 15 أبريل 1884.
 - 7 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 107 وج 4 ص 207 (4).
 - 8 . مجلة دار النيابة، العدد السابع، ص 76.

9. خوصي ميرابانت إي پاسكوال J. Mirabent y Pascual كان وكيلا قنصليا⁹ ولعله جاء بعد الذي قبله مباشرة.

وهكذا كان لأسبانيا تمثيل قنصلي يزيد عن الحاجة، لعدم تطابقه مع أعداد الحميين القليلين. وربما كان سبب ذلك شدة عناية هاته الدولة بقضايا الجنوب.

ب : الحميون

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

1 — 2 : حاييم بن مساس، ومردوخي أفيلال وهما من يهود المدينة. ولم يرد بيان وجه حمايتهما. ولعلهما كانا مستخدمين بالوكالة القنصلية أو مجرد تاجرين.

ب 2 : من غيرها

3. سعدية كويهن كان سنة 1878 ترجمانا قنصليا وأشد الحميين الإسبانين «تجبرا وجسارة». وهو الذي يقوي جانبهم ويدخل في «أسواق» ليست له، وينسب ذلك للقنصل. وفي كل وقت ليس لنا شغل سوى دعاويه... لا تجارة عنده يتجر بها، ولا منفعة له إلا ممن منه يطلب الحق...¹⁰. وكان هو الذي أنزل بداره سنة 1885 المغامر النمساوي ثايلينغ Gayling المتسمي بالحاج عبد الكريم باي¹¹.

4. الحاج عبد الله الجراري الباعمراني كان ممن صاحبوا قنصلا إسبانيا في رحلته إلى سوس¹². وكان «جاسوسا في تلك النواحي بين مسلميها وليخبر بأفعالهم وماهم عليه. وحيث بلغ لتلك النواحي جعل نفسه زاهدا يخبرهم بالمغيبات ويأمرهم باتباع... ويأتيهم من البحر، إلى غير ذلك مما يقوي جانب الإصبنول الذي هو متعلق به. والآن حصل منه الضرر الكبير بالضويرة لكثرة تعاطيه الفضول، والتقدم لأناس، ويحملهم على الانخياش في زمريتهم. وحيث كان الإصبنول

9 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 143.

10. رسالة الحاج عمارة إلى موسى بن أحمد في 18 جمادى الأولى 1295 / 20 ماي 1878، ورسالته إلى بركاش في 10 شعبان 1295 / 9 غشت 1878، في «الوثائق» ج 5 ص 93 و 101.

11. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 ربيع الأول 1303 / 10 دجنبر 1885، محفظة الطريس 6.

12. من عيوب الوثائق المخزنية خلوها في بعض الأحيان من ذكر أسماء الأشخاص الأجانب حتى ولو كانت محرفة. وإذا تحدث عنهم كان ذلك بعدم اكتراث. ولذلك لم أقف على هوية القنصل المذكور. فهل كان هو فرانسيسكو بوييتي ؟ لم يرد عنه أنه رحل إلى سوس. بقي خوصي ألبارث الذي كتب عن الجنوب بعض التأليف. ولا شك أنه رحل إلى سوس، وذلك ما يحمل على الاعتقاد أن الكلام عن هذا الحمي والذي قبله والذي بعده كان عما قبل سنة 1878، وأن بوييتي كان مجرد نائب في غيبة ألبارث عن الصويرة.

بسوس جعل لهم علامة ليروها من البحر وليطمئنوا بذلك. وتلاقى معهم وركب حينئذ في البابور الذي كانوا به. وقد أظهر الغلظة والفضول غاية...». وهو «يتعرض لمن يعرفه ومن لا يعرفه من أهل سوس، ويتلبس عليهم ويأخذ متاعهم ولم يراقب فيهم إلا ولا ذمة...»¹³.

5. الحاج ادريس بن الحاج محمد الحريشي كان كاتباً للقنصل. وهو «لم يقف عند حده. فكثيراً ما يدخل في الفضول التي لا تناسبه ويبحث عنها ويتعاطاها، كما يشهد بذلك الخاص والعام. ولا وجدنا طريقاً مع قونصوه المقوى به. وقد أطلقه في الأسواق على التشاجر والدخول فيما ليس له في الدعاوى، حيث أنه في هذه الأيام يشتري عدداً من البقر ويتولى ذبح ذلك ويبيعه في سباط الجزارين كنظرده للجميع، ولا وجد المحتسب ولا الناس الحق معه.

«ومن جملة أموره أنه أخبرنا أنه يحس على أمور المسلمين وأمور الثغر السعيد، وأن المدافع وأمور الأبراج قيدهم مع ما فيهم من غير شعور أحد. وهو الذي كان مع هذا القونص حين سافر لسوس هو وترجمانه. وقد حصل منه ضرر كثير...».

وقد بلغ «من الطيش غايته من قبل. وللقونص المذكور أيضاً مسلماً آخر قد اتخذه جاسوساً...» — هنا الكلام عن الجراري — «... وقت ذهاب القونص المذكور لنواحي آيت بعمران... وليست لهما شهرة بدار القونص يتفعلان منها ولا حرفة يشتغلان بها. فخرج كل منهما في باب من التعرض لمتاع الناس ظلماً وتعدياً: فالكاتب عمل جزارا وصار ينسب جل ما يدخل في سوق الجزارين لنفسه، وقصده بذلك تضييع ما يجب في استفاد المخزن من ذلك. وتشكى أمين المستفادات بذلك المرة بعد المرة. فإذا بالقونص المذكور ساعده وصدقه، فأغراه على ذبح ما يذبح بغير إمام ويبيع بغير سعر المحتسب. ولا زال على هذه الحالة إلى الآن.

«ثم إنه لم يكفيه (= يكفه) فعله المذكور بل كان يبالي في السب والكلام الخارج عن القياس...». و «الكاتب المذكور عمل عدداً من الجزارين نوابه في الحرفة المذكورة، وصاروا يمتنعون من أداء الحقوق الواجبة عليهم لغيرهم، حتى أن الجزار المذكور وأصحابه [صاروا] حاملين السلاح ليلاً ونهاراً، ويقولون بأن القونص المذكور أمرهم بحمل السلاح ليضربون كل من تجاسر عليهم أو كلمهم...»، وهو «يخرج ليلاً يدور بأزقة البلاد حمقاً منه...»¹⁴.

ولما بلغ خبر هؤلاء المحمين الثلاثة وخبر النائب القنصلي إلى علم السلطان أمر برشاش بالمحادثة في ذلك مع نائب إسبانيا الذي أعلمه بأنه «كتب لقونصوه يأمر الحريشي بالوقوف عندما حد له. فإن عاد لمثل ذلك يزيله من الحماية»¹⁵.

13. وثيقتا الهامشة 10 أعلاه.

14. المصدر الأخير أيضاً.

15. رسالة برشاش إلى موسى بن أحمد في 14 ذي الحجة 1295 / 9 دجنبر 1878، محفظة إسبانيا.

والجدير بالذكر أن الحريشي عين سنة 1874 كاتباً بالقنصلية¹⁶ وذلك في الوقت الذي كان خوسي ألبارث يفكر في رحلة إلى الأصقاع السوسية.

ت : السماسرة والمستوطنون

السماسرة لا أثر لهم بهاته المدينة. أما المستوطنون فكان منهم :

1. رفائيل مول R. Moll الذي استوطن الصورة بعد حرب تطوان واشترك في التجارة مع بورأس القاطن بآسفي¹⁷.
2. ديغو كراسكو Diego Carasco الذي كان سنة 1866 ساكناً بالصورة¹⁸.
3. الطبيب خواكين كورطيس J. Cortes الذي كان بطنجة سنة 1891. وبعد عامين انتقل إلى الصورة بوصفه ملحقاً في أمور المحجر الوقائي¹⁹.
4. كريستوبال بينطيث C. Benitez الذي كان ترجماناً للقنصلية، وقد رافق أوسكار لنس في دجنبر 1879 في رحلته إلى السنغال، مروراً بالصورة²⁰.

16. رسالة خوسي ألبارث إلى الحاج عمارة في 8 جمادى الأولى 1291 / 23 يونيو 1874، بالمحظة نفسها.
17. ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 482 (5) ورسالة ميري إي كولوم إلى برنكاش في 23 يوليوز 1866.
18. محظظة إسبانيا، وفيها الرسالة الأخيرة أيضاً.
19. رسالة أمين التعيش إلى الطريس في 28 ربيع الأول 1311 / 9 أكتوبر 1893، محظظة الطريس 25.
20. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 72.

6 : إيطاليا

أ : السلك القنصلي

1. أنطونيو بوليلي A. Bolelli تولى سنة 1875 النيابة عن إيطاليا¹ والبرتغال.
2. وأسندت بعد ذلك إلى شقيقه كارلوس بوليلي.
3. دايد السروجي كلف سنة 1886 خاصة بهاته الوظيفة².

ب : المحميون القنصليون

كانت مصالح إيطاليا ضعيفة بهاته المدينة، وكان محميوها قليلي العدد في المصادر.

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

- 1—3 : دايد السروجي، وشلومو بن يامين عقوكة محميان لم يردا مع ذلك في أية وثيقة إيطالية سنوية، وعمران المليح ورد في كافة القوائم ومنها قائمة 1894.

ب 2 : من القوائم السنوية الإيطالية

- 4—5 : موشي خنافو ترجمان منذ 1881³، وذكر في القوائم ابتداءً من 1889 هو والذي بعده سعيد وانيم الذي كان عوناً بالوكالة القنصلية.

1 . رسالته إلى الحاج عمارة في 19 صفر 1292 / 27 مارس 1875، محفظة إيطاليا.

2 . رسالة بنفس المحفظة بتاريخ 22 رمضان 1303 / 24 يونيو 1886.

3 . رسالة المفوضية إلى بركاش في 17 غشت 1881، بنفس المحفظة.

ت : السماسرة والمستوطنون

لا وجود لسماسرة في هاته الفترة، إلا أنه كان ثمة مستوطنون. ومنهم :

1. **فيكتوريو لومبروزو** V. Lumbroso ولم يرد متى استوطن المدينة، ولكنه كان يعيش بها حتى سنة 1914 وقبلها بكثير : إذ في سنة 1889 طلب من الأمناء أن يبنوا له هرياً وداراً حسب قاعدة 6 في المائة فلم يفعلوا. وفي سنة 1892 طلب منهم أن يخولوه دار كايطانو بوليلي المتوفى⁴.
2. **أسرة بوليلي** وقد اشتهر منها : كايطانو المتوفى حوالي 1892. وكانت له معصرة بجانب دار العامل الرجراجي يقطر فيها الخمر. ومنذ عهد المهدي ابن المشاوري فتح فيها سراجم. وبعد وفاته أغلق العامل الدار وحاز مفاتيحها، لأنها كانت من أملاك المخزن. وقد عاش في العزوبة ولم يكن له وارث⁵. وهو من أقدم المستوطنين، قضى بالمدينة أزيد من 40 سنة هو والأخوان :⁶
- **أنطونيو** وكان نائباً قنصلياً وتاجراً قبل سنة 1869، لأنه كان يستورد سلعا كالكتان⁷ وناب عن بلاده وعن البرتغال.
- **وكارلوص** المتوفى سنة 1880 وشقيق السابق، وكان له دين على الحاج محمد حميدوش السوسي البهاري المدعو أكرام الذي لما توفي امتنع ورثته من أداء 900 ريال⁸.
- كان الأخوان بوليلي سنة 1845 رعييتين من رعايا القاتيكان وقد احتميا بفرنسا⁹. ولعلهما اعتنقا بعد ذلك الجنسية الإيطالية.

4 . رسالة أميني المرسى محمد بن عبد الله بنونة والعربي بن المهدي بنونة في 29 ربيع الأول 1307 / 23 نونبر 1889، ومسودة رسالة في 28 محرم 1310 / 22 غشت 1893، بنفس المحفظة.

5 . رسالة الرثراثي إلى السلطان في 28 ذي الحجة 1309 / 24 يوليوز 1892، محفظة الصورة 4.

6 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 111.

7 . منفيشة البابر ليدي هافلجيل في 30 نونبر 1869، محفظة الصورة 1.

8 . رسالة كايطانو إلى الحاج عمارة في 17 أكتوبر 1880، ورسالة أبي بكر بناني إلى السلطان في 27 محرم 1299 / 19 دجنبر 1881، محفظة إيطاليا.

9 . ميسج : «وثائق التاريخ...» ص 25.

7 : البرازيل

أ : السلك القنصلي

تولاه منذ 1893 يوسف راطو الطارقي¹. وكان حتى سنة 1900 لا يزال كذلك.

ب : المحميون

كلهم من يهود المدينة، ووردت أسماءهم وذكر السماسرة والخلطاء والوكلاء في وثيقتين رسميتين². ومنهما سأقتبس بزيادة تعليق السلطة أو الأمناء عليهما :

1 — 4 : هارون بورغانم، ودايد كايصة وكانا معينين للوكيل القنصلي، وهارون المليح ترجمان، وإسحاق الصراف وكان مقيما بالبرازيل وله وكيل بالصورة.

5 — 11 : جواو نيبو مسينو (؟)، وپاولينو حواسبا، وروزند سيلبا ريبيرو، وإسحاق شقيرة، ونسيم اللوي، ويعقوب اللوي، ومير بن سمانة³ وكلهم تجار محميون. أما الباقيون فقد ادعوا التجنس أو زعم لهم ذلك. وهم :

12 — 17 : موسى كوين، وهارون حروش، وإبراهيم شالوم بينطو، والياهو فريجة، و... فونة بنصور (أو أبي سرور)، ويوسف بن شمعين بن توتو الصوري «الذي كانت له مخالطة مع الجزارة ولا شيء له في الموضوعات والموسقات، وليست له تجارة ظاهرة بالبلد» حسبما جاء في طرة إحدى القائمتين. أما في غيرهما فقد كان يتردد بين حماية البردقيز والانجليز، «وقد تقوى

1 . رسالة كولاصو إلى الطريس في 18 نونبر 1893، محفظة البرازيل.

2 . أولاهما تحمل رقم 69/ 46 بمكتبة تطوان ولا تاريخ لها، والأخرى مؤرخة في 2 يوليوز 1900 ومرسلة إلى عامل الصورة محمد بن عبد السلام بريشة. وخطهما واحد مما يحمل على الاعتقاد بتزامن كتابتهما.

3 . لم يكن المحمي الأول والحادي عشر محمين سنة 1875 حسبما ورد في قائمة أعيان اليهود.

بذلك وبالف في الظلم والتعدي والتجاسر على الحكام والتطاول على جميع من يخالطه». وكان أيضا يسب المحتسب فكان القنصل يدافع عنه⁴. وأكثر هؤلاء كان لهم سماسة وخطباء ووكلاء.

ت : السماسرة والمستوطنون

فأما المستوطنون فقد يكون المحميون 5 و 6 و 7 منهم، إلا إذا كانوا يهودا مغاربة أو متجنسين. أما السماسرة فهم :

1 — 3 : مير بن حاييم، ويهودة بن حاييم، وعمار بن القايم الشرقي العبدى وكلهم كانوا في خدمة يوسف راطو الوكيل القنصلي.

4 — 7 : نسيم الشرقي، وابراهيم فرجة سمساران ليوسف بن شمعين بن توتو الصوري، ومير بن سوسان سمسار هارون حروش الصوري، وموسى أويون ابن العالية سمسار يوسف حروش القاطن بمراكش. وكان باقي السماسرة في خدمة تجار ساكنين بطنجة أو غيرها وهم :

8 — 18 : يعيش كويين، وإسحاق بن مسعود كويين سمساران لمركيس الصباغ، ويهودة أمزلگ وكان صاحب معصرة وسمسارا لنسيم ابن السباط، وداويد القرني سمسار الياهو بن لولو، ويعقوب الكسلاسي سمسار الياهو النقاوة، وداويد بن إسحاق بن الصباغ سمسار ابراهيم أويون، وإسحاق بن الحزان كويين سمسار إسحاق بن الصباغ، وحماد الصياغ سمسار الياهو بن شمعون، ويوسف وعقنين سمسار ابراهيم بن إيوا، ومسعود أزتكوض (أو أريكوض) سمسار فرتونة الدهان، وموشى أويون سمسار روين بنجو.

4 . رسالة الرثراشي إلى الطريس في 28 محرم 1307 / 24 شتبر 1889، محفظة 3/74 تطوان.

8 : فرنسا

أ : السلك القنصلي

1. من أول قناصل فرنسا ماري مونج Marey Monge الذي غرق بناحية أزمو¹ أواسط القرن التاسع عشر.
2. وبعد مدة كان هوري Huret نائبا قنصليا² قبل أن ينتقل إلى الجديدة سنة 1865.
3. أوغوست بومي A. Beaumier عين قنصلا سنة 1865، وظل كذلك حتى 1876³.
4. لوي — ألبر له ري L. Albert Le Ree سمي خلفا له، ووصل إلى المدينة في يوليو 1876. ولكن مقامه لم يطل إذ في سنة 1877 عين قنصلا بالدامارك⁴.
5. أ. ده فو A. de Vaulx عين قنصلا⁵ سنة 1878.
6. أمبرواز ماوون A. Mahon كان قنصلا سنة 1880، وله تقارير تجارية، وقد أوصى برثكاش عليه الحاج عمارة لكي يجربه مجرى القناصل من التوقيير والاحترام⁶.
7. ألفونس بيرطران A. Bertrand خلف ماوون بعد مستين، ولكنه حصل سنة 1885 من حكومته على ترخيص ليتفرغ لنفسه⁷.

-
- 1 . رسالة ده شاسطو إلى السلطان بدون تاريخ، محفظة فرنسا.
 - 2 . قائمة المحمين في 26 يناير 1864، وذكر جاك كايي في «النوادر المغربية» ص 75 أن إسم القنصل هو Huet بدون راء، ونظن أن الصواب هو ما صححت، فقد سلف أن جول (أو خوان) هيري كان قنصلا لإسبانيا وفرنسا بالجديدة حوالي 1865، وعليه فتكون المسألة تحريفا في النسخ.
 - 3 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 70.
 - 4 . نفس المصدر ص 133.
 - 5 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 173 و ج 2 ص 31 (1).
 - 6 . رسالة برثكاش إلى الحاج عمارة في 2 صفر 1297 / 15 يناير 1880، محفظة الحاج عمارة، وكذلك ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 137.
 - 7 . المصدر الأخير ج 1 ص 75.

8. أوريليان لاكوسط Aurélien Lacoste حل محله 1885⁸.

9. ف. أكتوني F. Hugonnet تولى بعده سنة 1891 أو قبلها بقليل⁹.

10. وعاد بيرطران سنة 1892 فكان سنة 1896 لايزال قنصلا¹⁰.

ب : المحميون

ب 1 : من قائمة 26 يناير 1864 القنصلية المحلية

1 — 29 : دايد أوحنا وزوجته : لونا، وابراهيم قرقوز وابناه سالمون وموشي، وساؤول كوهين صولال، ومردوخي عطية وزوجته : ميم وابناهما عزوز ويامنة، ويعقوب المليح وزوجته : حسية وابناهما ابراهيم وحاييم، والحزان موشي بينظر وزوجته : ستريا وابناهما يعقوب والعالية، وإلياس بن سعدون وزوجته : مسعودة وأبناؤهما سلطانة وزهرة ومسعود، وابراهيم الليوي وكان ترجمانا للدكتور تيقنان وسميحة زوجته وأبناؤهما ميشال ونحمان وسيميون وسلطانة. وهؤلاء جميعا كانوا محيين استثنائيين.

30. ابراهيم بن أحمد عون ورد في القوائم من 1880 إلى 1883، وقيل عنه إنه كان محميا منذ 45 سنة أي سنة 1836.

31 — 37 : يعقوب الليوي طباح، والجيلالي بن الجيلالي عون، وابراهيم بن شلوم مستخدم، وميمون الصباحي عامل، ومحمد بن أحمد خادم موشي قرقوز، وبلعيد العيساوي خادم سالومون قرقوز، ودايد عطية خادم ساؤول كوهين صولال.

ب 2 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

38. إسحاق بن يعيش الليوي ولم يرد وجهه لحمايته.

ب 3 : من قائمة 10 يناير 1881

39 — 41 : الحاج عمارة بن الجيلالي مستخدم بالقنصلية منذ سنتين¹¹، ويشوع بن

8 . أيضا ج 1 ص 127.

9 . أيضا ج 4 ص 195 (4)، 196 (5).

10 . من جواب إلى باشدور فرنسا في 15 شوال 1309 / 13 ماي 1892، محفظة فرنسا، وكذلك «مجلة دار النيابة»، العدد السابع، ص 76.

11 . من تقييد دعاوي أورديكة في 27 جمادى الأولى 1299 / 16 أبريل 1882، النقطة الثامنة المتعلقة بنهب قبيلة إيدا وكرض لعزيبه، محفظة فرنسا.

سوسان الليوي ترجمان القنصلية إلى اللغة العبرانية منذ 14 سنة، ومحمد بن الرُّكَيْك المسفوي كاتب القنصلية منذ 15 سنة حتى توفي قبل سنة 1892، ونزعت منه الدار التي كان يسكن بها، وأعطيت لآغا العسكر بالصويرة¹². وقد وردت أسماء المحميين الثلاثة الأخيرين في القوائم الفرنسية العامة من سنة 1880 إلى 1883.

ب 4 : من القائمة الفرنسية العامة لسنة 1883

42 — 44 : علال بن الحاج عبد الله الأقاوي مستخدم عين مكان الحاج عمارة رقم 39 أعلاه، وإبراهيم قورباط ترجمان القنصلية منذ سنة 1880، ودابيد الشورقي تاجر محمي.

ب 5 : من غير ذلك

45. يوسف ديلبياتي كان سنة 1869 ترجمانا بالقنصلية¹³.

46 — 51 : إسحاق بن شالوم، والياهو حاشويل وعزار حاشويل وعزار بن فرايم وعزار بن يعقوب بن فرايم وشالوم بن مخلوف، والسته الأخيرون لم يرد عن حمايتهم بيان¹⁴.
52 — 53 : شلومو أفرياط، ويوسف الترجمان وكانا سنة 1889 أو قبلها محميين¹⁵.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة 10 يناير 1881

1 — 2 : إسحاق سويسة سمسار جاكطي منذ 11 سنة، وورد ذكره في القوائم من 1880 إلى سنة 1884، ويوسف بن حايم سمسار موني Monier منذ 6 سنوات ثم صار سمسارا لجاكطي.

ت 2 : من القائمة الفرنسية العامة لسنة 1883

3 — 9 : يامين اللوكاشي سمسار جاكطي وظل معه حتى سنة 1888 على الأقل¹⁶، وسالومون ملؤل سمسار برونشوينغ وريكير وشركتهما، ثم لإيريني بران Irénée Brun ومسعود الشورقي وسالومون الشورقي سمساران لدابيد الشورقي من 1881 إلى 1884، وموسى الناهوري

12. رسالة عمر لوبارس إلى السلطان في 22 محرم 1310 / 16 غشت 1892، محفظة الصويرة 4.

13. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 561.

14. تقييد في محرم 1281 / يونيو 1864، محفظة برغاش.

15. مطالب فرنسا في 17 شعبان 1306 / 18 أبريل 1889، محفظة فرنسا.

16. رسالة أمناء الصويرة في 8 جمادى الأولى 1305 / 22 يناير 1888، محفظة فرنسا.

سمسار موشي قرقوز حتى 1884، وكان سنة 1882 مراسلا للقنصل، ويعقوب بن حاييم قرقوز وكان سمساراً للبنك طرانزاطلانطيك، وميير أزنكوط سمسار ليون Lion الإبن من مرسيليا، وكان سنة 1885 لا يزال في خدمته¹⁷.

ث : المستوطنون

1. أوغوست بومي هذا القنصل المستعرب من مواليد مرسيليا سنة 1823، وقد مات في 30 يناير 1876 بمدينة بوردو. عين أولا أميناً للسرا ثم ترجمانا بالمفوضية الفرنسية بطنجة سنة 1845، ثم صار ترجمانا بالقنصلية بالصويرة سنة 1846. وفي سنة 1854 سمي نائبا قنصليا بالرباط حتى سنة 1865. ومن 1858 إلى 1860 انقطع عن العمل. وخلال ذلك أتم ترجمة «الأنيس المطرب بروض القرطاس» لعلي ابن أبي زرع، ونشر عمله سنة 1860 بعنوان «تاريخ ملوك المغرب : Histoire des Souverains du Maroc». وابتداءً من 1865 عين قنصلا بالصويرة¹⁸.

وهكذا قضى بالمغرب حوالي 30 سنة ألف فيها عشر دراسات خلال مقامه بالصويرة وحدها. وكان في كل رحلة يضع خرائط وتقارير يوجهها إلى رؤسائه يعلمهم بالأحوال المحلية.

وبحكم وظيفته كان يحمي مواطنيه، ومنهم العالم النباقي بالانسا Balansa الذي وقع عليه اعتداء سنة 1867 بأحواز مراكش. وفي غشت 1851 وفد عليه ثلاثة من المغاربة بلحاهم البيضاء، طالين حماية بلاده، و«معربين» على باب داره.

وكانت له سياحات في نواحي الغرب في سنوات 1855 و 1857 و 1863. وفي سنة 1868 قضى زهاء ثلاثة أسابيع بمراكش حيث كان الوقت مصادفا لزواج الأمير مولاي الحسن. وفي سنة 1867 زار قبيلة حاحة واستضافه قائدها مدة أسبوع ووضع رهن إشارته بيتا مؤثقا على الطريقة الأروبية. ولما كان بالرباط عقد أوامر الصداقة مع الأمين محمد بن زاكور الذي كان يطلعه على دخائل نفسه¹⁹.

كما ارتبط بعلاقة مع الأمين الحاج العربي الشراط سنة 1865. لما كان بالصويرة. وكأنه ضاق بوجوده بها، وعزم على الرحيل «لأننا في بلاد تشبه الصخر لم يصلنا خبر، ولا شغل عندنا. وشغل هنا بيس فعله ! وعلى هذا سنطلب من الله تعالى أن ينقلنا من هاذا الشغل إلى أحسن منه. وإذا كتب الله الانتقال من هنا، ليس يضرني شيئا (= شيء) في خاطري وبهمني سوى فراق

17. ميج : «وثائق التاريخ...» ص 250.

18. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 70، وذاك كايي : «النوادر المغربية» ص 42 — 47 باختصار.

19. المصدر الأخير.

المغرب، وما فيه من أهل محبتنا...»، وخصوصا الأمين الحاج العربي الشراط «الذي هو رجل خير، ونعم الرجل، صاحب مروءة مع الخاص والعام. وليس أتا قط مثله لهذا الثغر، على ما ظهر لنا في خدمته وكثرة نصيحته للحضرة الشريفة، ولا وجدنا صبرا على فراقه، لما رأينا من كمال عقله وحسن سيرته...»²⁰.

وكان يقضي أغراضا ويوجه «حوائج للحضرة الشريفة»، ولا سيما سنة 1865 لما كان نائبا لبلاده بالرباط²¹.

وخلال وجوده بالصويرة سنة 1866، كانت له مراسلات مع كريميوه Crémieux رئيس الاتحاد الإسرائيلي. وكان له عطف على يهود المدينة من أجل تنظيف الملاح وإصلاحه²².

ومن تأليفه التي نشرتها «المجلة الجغرافية» بباريس «خط المسير من الصويرة إلى مراكش ومن مراكش إلى آسفي» وذلك سنة 1868، و «خط المسير من طنجة إلى الصويرة» سنة 1876، وعنوانهما الأصلي هو :²³ Itinéraire de Mogador à Maroc et de Maroc à Saffi. و

Itinéraire de Tanger à Mogador.

وتقدم بتطوان ذكر بعض أخباره. إلا أنني أود أن أختم الكلام عنه بقصة لجسارته تجاءت في رسالتين سنة 1868. فقد كان قد طلب من الحاج عمارة أن يجلد رجلين لكونهما سبّاه، فامتنع العامل.

قال بومسي : «وبعد فإننا تكلمنا معك لتتصرف الأحكام على الناس الذي قلت لهم يقبضون الرجل الذي خطا عليّ. فأجبتني أنني ضربت أحدهم وعنده شهود. فقلت لك : «أنا خليفة سلطان افرانصيص، ومن كان خليفة السلطان لا يتخالط مع أحد بالكذب»، وطلبت منك «تربية» أولاءها الناس مرتين وأنت تعارضني وتقول : لا بد من الشهود. فعلى هذا جعلت برطصتوا الأول على الناس الذي قلت لهم يقبضون الرجل ولم قبضوه، وكان وقع لي مثل هذا مع رجل آخر وأعلمتك به ... والثاني حين قلت لك : تتصرف الأحكام على أولاء الناس، قلت : «لا بد من الشهود الذي هو ضدًا لما في الشروط التي بين الدولتين. والسلام».

وجاء في جواب العامل : «ورد علي كتابك تقول فيه وأنت تكلمت معي في شأن رجل سبّك، وأمرت المخازنية بالقبض عليه ويدخلونه للسجن ولم يقبضوه إلى آخر ما ذكرت.

20. رسالة أوكوست بومسي إلى الحاج محمد بنيس في 18 صفر 1282 / 23 يوليوز 1865، محفظة الصويرة 1. الرسالة مختومة بطابع صغير مستدير وبداخله «أوكست بومسي، لطف الله به».

21. رسالة الطيب بن اليماني إلى الحاج محمد بنيس في 14 محرم 1282 / 9 يونيو 1865، محفظة طنجة 1.

22. مبيج : «وثائق التاريخ...» ص 75.

23. الدكتور فيسجيرير : «على عتبة المغرب الحديث» ص 100.

«فاعلم بأن المخازنية لم يكن عندهم إذن بالقبض على الرجل الذي ذكرت لهم، لأنهم مأمورون أن لا يتجاوز أحد حده. وما ذكرت لي من الضرب لأحدهم بخمسمائة [جلدة] والآخر بنصفها فإني لا نقدر أن نضربهم ذلك العدد الذي ذكرت ويكون سبب خروج روحه على يدي والتربية ... ما أنا جالس في محل الأحكام إلا لمثلها، فلا يقدر أحد أن يتجاسر عليك فتكفي التربية والعقوبة لهم بدخولهم للسجن يومين ... وكان من حقلك تخبرني وتعلمني بما فعلوه، ولا تقبض أنت على أحد بنفسك ولا تضربه، لأنك إن ضربته ربما يغلبه الدم ويرد على نفسه ويضربك ضربة تضر بك وأنت قونص كبير ...»

2. ألفونس بيرطران ولد سنة 1842 وكان سنة 1866 مستكثبا بالاسكندرية، وعمل بزنجبار وبغداد وحلب. وفي سنة 1882 عين قنصلا بالصويرة. وقد انقطع عن العمل سنة 1885 ليتفرغ لبعض شؤونه. وفي سنة 1888 و 1889 كان يوجه مقالات لجريدة «ريبوليك» الفرنسية²⁵.

كان مستعربا مثل بومبي. وقد وجه سنة 1884 بوصفه «قونصول بالصويرة وآسفي ومراكش» إلى محمد بن أحمد بن داود عامل المدينة الأخيرة رسالة يؤاخذ فيه على سوء الاستقبال وقلة العناية اللذين لقيهما منه، فقال في رسالة طافحة بالأغلاط النحوية واللغوية :

«اعلم بأن في الوقت الذي عزمت على القدوم لمراكش الذي هو من وظائف المخزنية أخذت مكاتب التوصية والشد من عامل الصويرة. لجميع العمال الذين نمر عليهم بالطريق. وكان من جملة المكاتب المشار لها كتاباً برسمك. وانتهزت الفرصة في توجيهه إليك مع كاتبنا السيد محمد الرثيك قبل أن ندخل مراكش. وقبل أن نتكلم في الصعوبة التي وقعت على محل نزولنا هنائي، أحقق وأن المواضع التي جزناها استقبلنا أهلها الولاية بالبادية خير مما قابلتنا به أنت عامل المدينة، لكونك ما قمت بواجب الضيافة الإسلامية. وثبت عندنا بأن خوفك الكثير من الحضرة الشريفة منعك من مقابلتنا بجميع ما نستحقه من الإكرام والاعتناء.

«وسامحنا إن قلنا بأنك غالطا. لأن المحبة، التي انعقدت من جلالة الحضرة الشريفة والجمهورية الإفريقية، معلومة بهذا المقدار حتى لا تسمح لكم بهذه الخيالات التي تعرض لكم وتخطر ببالكم. وأخذت من ذلك البرهان مثل ما يساوي كحجة نحتج بها.

«وهذه المسائل التي اشتكى بك منها : مع كوني معروفا قونصول بالصويرة وآسفي ومراكش ولم تعرف لي هاته المرتبة. ولما أخبرتك بأنني نريد أن نسلم عليك على القاعدة، أجبت

24. رسالة بومبي إليه في 11 ربيع الثاني 1285/1 غشت 1868 وجوابه إليه في 12 ربيع الثاني/2 غشت (الوثيقتان 8723 و 8724 م.و.م).

25. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 75.

بأنك تقابلني بالفرح إن قدمت عندك. غير أنك لم تقدر أن ترد لي السلام الواجب للمرتبة. فالحالة هذه يتضح منها بأنك أنزلتني بمرتبة ليست مرضية.

«وقبل هذا، طلبت منك أن أتزّه بجنانات البلد حيث أنها نزّهة فريدة في مراکش، وأظهرت بأنك قبلت اشتهائي، ووجهت مخزناً مع صاحبنا ليسهل دخولنا للمامونية. فكانت النتيجة بعدم المقصود. وفي الأخير طلبت مني زوجة التاجر جكتني أن نتفرج في أرباب الطرب وشيخة البلد، فساعدتها. لأن اللهو ما هو يعجبني قط، لأنني رأيته أنواعاً بمصر وبغداد ونواحيها. وذلك أعجب ما يرى من المضحك بهذه النواحي. وبالغت في تعويق مطلبنا حتى أنك قبضت على المخزني صاحب مول الضرور، زيادة في المكر والتشديد، حيث تكلم مع الشيخة والمغنيين على الإتيان عندنا بإذن مول الضرور.

«ومن هذه المقابلة، نبين لك تماماً بأنني لست راضياً. وسأخبر اللكسنيون بطنجة بتقديم الشكاية عليك. وآخر الأمر كان أملنا أن نجلس هنائي شهراً. ولا يكن مع عدم اعتنائكم وقيامكم بالواجب في حقنا، ترانا بعد يومين نرجع للصويرة إن شاء الله، والسلام.

«15 ربيع الثاني عام 1301 / 13 يراير 1884»

وفعلاً وصلت شكايته إلى طنجة فأجاب عنها ابن داود برسالة منه إلى السلطان بأنه لم يكن عنده إذن باستقباله لا من المخزن ولا من «الباشدور» برغاش «وإلى الآن وحتى الآن لم يوافني شيء من ذلك من قبل الباشدور، ولو تمسكت به لزال عني الإشكال، وإنما ورد عليّ كتاب عامل الصويرة بالإتزال وفق ما فعلت... في دار» حيث «... أنزلته في محل ولد أبيه... كما وجب عليّ أن أطلب من سيادته العلية إن اقتضاه النظر السديد أن ينعم عليّ وصيفه ببيان ضابط ومنهاج يكون العمل عليه فيمن يأتي لهذه الحضرة من أكابر الروم... إذ المأذون من الجانبين مأمون...»²⁶.

3. ماورون هذا نسبه. أما اسمه فتارة أوجين Eugène، وتارة أخرى أمبرواز Ambroise بحسب المصادر التي وفقت عليها، حتى ليس يعرف هل هما شخص واحد أم شخصان.

وتقدم أنه كان قنصلاً لبلاده. وكانت له اتصالات مع السلطات المحلية بسوس، ومنهم الحسين أوهاشم. فقد طلب من هذا الأخير تزويده بأخبار الناحية والترخيص له بوسق البضائع. فرد عليه بأنه لا يستطيع الموافقة على خروج السلع إلا عن إذن السلطان.

26. رسالة محمد بن داود إلى السلطان في 19 ربيع الثاني 1301 / 17 يراير 1884.

وقد بذل محاولات لاستخدام عمال مغاربة لمد أشغال السكك الحديدية بالسنتغال²⁷. وقد جاء في رسالة إلى عامل الصورة :

«قونص الفرنضيص بالصورة أخبرك بورود الأمر عليه من مخزنه بالبحث عن نحو الخمسمائة أو الستائة من المسلمين للخدمة بسينكان، وطلب منك ... أن تساعد على النداء في أسواق المدينة على من يريد الخدمة في المحل المذكور، فأجبت بأن لا بد من استئذان الحضرة الشريفة في ذلك. فقد أطلعنا بذلك شريف علم مولانا، فأجاب بأن استخدام المسلمين من أرض المغرب في بلادهم غير معهود ولا معتاد»²⁸.

4. هنري لپروه H. Lepreux كان سنة 1885 نائبا عن شركة پاكي²⁹. ولم أقف له على سمسار، ولكنه كان فلاحا كما سنرى : إذ في سنة 1891 «عمد إلى بقعة من العراصي المحروقة بباب مراكشة من ثغر الصورة، وصار يغرز الخشب فيها بقصد جعلها عرصه. ووقع الكلام معه في ذلك، فأجاب بأن تلك البقعة هي لليهودي إسحاق بن الحزان ابراهيم قرياط الصويري، وأنه اكتراها منه على أن يتصرف فيها مدة خمسين سنة ...». لكن هذا اليهودي أجاب بأن لا شيء له في الملك المذكور، لأن بينه وبين العرصه 3 قطع أخرى. «... وقد أمرني مولانا بإعلامك بذلك، لتلزم هنري المذكور بالتخلي عن العرصه المذكورة»³⁰.

5. فرانسيس جاكطي استوطن الصورة منذ سنة 1868، وكان وقته لا يزال شابا. وقد مر ذكر سماسرته بآسفي وبالصورة. وستأتي أسماء آخرين بمراكش كانوا في خدمته. وبالمدينة الأخيرة كان سنة 1867 يحاول بناء معصرة للزيتون باشتراك مع فو Faux فعارضت السلطة مشروعهما³¹ وكانت وفاته حوالي 1899.

6. باقي المستوطنين : كادت الجالية الفرنسية تكون منعدمة سنة 1865، إلا ما كان من بعض الموظفين بالقنصلية، من كتاب وتراجمة. ومن الأخيين :

— إدوار غاسلان E. Gasselín الذي كان سنة 1872 ترجمانا³².

— غوستاف مونطيل G. Montel الذي عين ترجمانا سنة 1880 حتى توفي بها سنة 1887³³.

27. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 371، و : «التاريخ» ص 171.

28. رسالة محمد بن العربي إلى الحاج عمارة في 16/ 1299 شتنبر 1882، محفظة الحاج عمارة.

29. رسالته إلى الطريس في 24 شعبان 1302 ربيع 1885، محفظة الطريس 12.

30. نسخة رسالة إلى باشادور فرنسا في 28 : 5/ 1308 يوليوز 1891، محفظة الصورة 4.

31. جاك كاكي : «النوادر المغربية» ص 47.

32. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 94.

33. نفس المرجع ج 1 ص 145.

— ناجيار Naggiar عين خلفا عن سلفه، ثم في سنة 1899 غادر هذا المنصب ليشغل وظيفة نائب قنصلي بمدينة العرائش³⁴.

وفي بداية القرن العشرين صار عدد المحميين والمجنسين الفرنسيين (من يهود ومن مسلمين جزائريين)، لا يتعدى الستين. وقد وضعت الحكومة طوع بنان القنصلية منزلا ليكون مقرا لها، ومركزا للبريد الفرنسي. وكان به كاتب جزائري و«طالب» مغربي وشاب سوري متجنس يشرف على المكتب البريدي³⁵. وقد رأينا قبل هذا أن أعداد المحميين كانت كثيرة نسبيا سنة 1864 ولا سيما من اليهود. ومن الأطباء أشير مرة أخرى إلى :

— الدكتور لوران تيفنان L. Thévenin مات هنا بالكوليرا حسبما تقدم الكلام عنه.

— والدكتور أوليف Ollive استوطنها سنة 1873 ومكث فيها ثماني سنوات³⁶.

— والدكتور طيري ميگ Théry - Mieg الذي كان يباشر عمله بالمدينة سنة 1883.

أما التجار فقد كانت دار إميل إيرلانجي E. Erlanger ممثلة سنة 1867 بالصورة. وفي سنة 1882 كان بانشيرلي Pincherlé ينوب عن دار ليون المرسيلية³⁷.

وفي مطلع القرن العشرين، كانت داران تجاريتان ممثلتين هنا، فنان روير بول R. Boule عن إحداهما. وكان بورجو وروتمان Borgeaud/Reutman شريكين في متجر مقره الأساسي بالجزائر³⁸.

— أسرة الأطرش ومنها ثلاثة أشقاء من مواليد مدينة حلب، وهم يهود مجنسون فرنسيون. وقد استوطنوا الصورة سنة 1855 بحيث كانوا الرعايا الفرنسيين الوحيدين بها في تلك السنة.

أحدهم اسمه جول، والثاني هو جاك. وكان لهما منذ 1853 شركة مع تجار من مرسيليا مثل سالاقي Salavy الأب، ومثل بوميي Beaumier. وزيادة على ذلك كان لهما ارتباط بعامل مراكش أحمد بوسته³⁹.

أما الثالث وهو إميل فكان رعية مسجلا بقنصلية النمسا بحلب، ولكنه طلب الجنسية الفرنسية سنة 1859 ونالها سنة 1868 وبقي كذلك حتى سنة 1889 التي هي تاريخ وفاته⁴⁰.

34. أيضا ج 1 ص 147.

35. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 6 — 7.

36. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 150.

37. الدكتور مارسي : «المغرب» ص 113.

38. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 6.

39. ميج : «وثائق التاريخ...» ص 47 — 52 — 53.

40. ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 511 (7).

- **پروفه Proveux** كان سنة 1870 تاجرا على الراجح بالصويرة⁴¹. لم أقف له على سمسار، إلا أنه كان مهندسا يعيش بالصويرة قبل الحرب العالمية الأولى.
- **بيير أندريه P. Andrieu** وكان عميلا لجالوزو وحاول شراء لوز أركان وعصر زيتها⁴².
- **هوبر جرو H. Giraud** أقام أولا بمراكش حوالي 1882، ونجده من جملة الفرنسيين بالصويرة سنة 1889. وكان من أنصار التدخل الفرنسي بالمغرب⁴³. ولم يكن في الغالب تاجرا، فلم أعثر له على سمسار خلال إقامته بالصويرة التي دامت خمس سنوات.
- **لانييل Lagnel** طلب سنة 1882 من الأمناء أن يبنوا له أهراء ودارا بالجديدة وبالصويرة⁴⁴. وقد سكن بمراكش سنة 1892 وبنى بها معصرة للزيت.
- **جوسار Jaussard** كانت له معصرة زيت باعها فيما بعد لـ **كازنوق Cazeneuve** الذي أسس فندقا بالصويرة. إلا أن جوسار قد يكون اسمه هو جوسو الذي كان سنة 1891 يريد الرحيل إلى مراكش، مثله في ذلك مثل تاجر فرنسي آخر اسمه فالطير Walter ... (دون وضوح نسبه)، اقتداءً بالتاجر ماور الألماني⁴⁵.

41. رسالة إيمي داکان إلى برکاش في 11 شتنبر 1870، محفظة برکاش.

42. جواب مخزني إلى سفير فرنسا في 24 ربيع الأول 1305 / 10 دجنبر 1887، محفظة فرنسا.

43. ميبج «المغرب وأروبا» ج 1 ص 114، وهنري ده لا مارتينيير : «ذكریات عن المغرب» ص 272.

44. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 322.

45. رسالة في 7 ربيع الثاني 1309 / 10 نونبر 1891، محفظة فرنسا.

9 : باقي الدول

المطلب الأول : البرتغال

أ : السلك القنصلي

- 1 . أنطونيو بولبي الإيطالي كان سنة 1875 نائبا عن هاته الدولة¹.
2. أخوه كارلوس تولى تمثيل البرتغال² حتى وفاته سنة 1880.
3. غايطانو بولبي أشرف على هاته الشؤون بعده حتى سنة 1892.
4. فأسندت إلى دايد كايصا (أو كابصير) الذي لعله هو الذي «أكثر علينا من الحماية حتى بلغ حدا لم يبلغه أحد غيره من قونصوات الأجناس»³.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

- 1 — 2 : يهودة الصباغ، ويوسف بن هني الزاڭوري ولم يرد وجه لهما.

ب 2 : من القائمة البرتغالية العامة سنة 1880

- 3 — 4 : هارون مور يوسف حتى مات قبل هذا التاريخ، وأرملته وجول مور يوسف.

1. رسالة أنطونيو إلى الحاج عمارة في 19 صفر 1292/27 مارس 1875، محفظة إيطاليا.
2. رسالة أبي بكر بناني إلى السلطان في 27 محرم 1299/19 دجنبر 1881، ورسالة أنطونيو إلى الحاج عمارة في 7 أكتوبر 1880، نفس المحفظة.
3. رسالة كايصا إلى الرُّكْرَاكِي في 18 حجة 1310/3 يوليوز 1893، محفظة البرتغال ورسالة الرُّكْرَاكِي إلى الطريس في 16 ربيع الثاني 1311/27 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25 .

ب 3 : من غيرهما

5. يوسف بن شمعين بن توتو، وقد تقدمت الإشارة إليه مع البرازيل.

ت : السماسرة

اثنان وقفت على اسمهما : يوسف عطية وكان في قائمة 1880 البرتغالية سمسارا لدار تجارية بالبرتغال منذ 1863، ومير الليوي يولي وكان سنة 1893 سمسارا لشخص لم يرد بيانه⁴.

المطلب الثاني : بلجيكا

قام تشارليز بايطون الإنجليزي سنة 1881 برعاية مصالح هاته المملكة، وكان قبله وليام كريس يمثل هاته الدولة⁵.

ومن المحمين كان اثنان : مسعود أوحيون وكان ترجمانا منذ سنة 1880 ورود في قائمة 1886 البلجيكية بنفس الصفة، وموشي بن شالوم أوحيون وهو ترجمان في قائمة 1889.

المطلب الثالث : النمسا

أ : السلك القنصلي

1 . الحزان يوسف المليح كان نائبا قنصليا حتى وفاته سنة 1886 بمدينة لندن.

2. روبين المليح ابن السابق وتولى بعده هذا المنصب القنصلي⁶.

ب : المحميون

1 — 4 : يوسف المليح سالف الذكر، وكان من كبار الأغنياء ولعب دورا هاما في تأييد

4 . رسالة الزكراكي إلى الطريس في 16 ربيع الثاني 1311 / 27 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25.
5 . رسالة بايطون إلى برقاش في 12 يوليوز 1881، محفظة برقاش، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 337.
6 . رسالة برقاش إلى الحاج عمارة في 22 رمضان 1285 / 6 يناير 1869، محفظة النمسا، ومسودة رسالة سلطانية إلى أمين المستفاد في 12 شوال 1302 / 25 يوليوز 1885، محفظة الصويرة 3، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 441 (3).

الطائفة اليهودية بالصويرة⁷، وروبين المليح، وأخوه هارون وذكرنا في القائمة المحلية لأعيان اليهود،
وابراهيم الشرقي وكان سنة 1882 محميا⁸.

المطلب الرابع : السويد والنرويج

لم أجد لهما محمين ولا سماسرة ولا مستوطنين سوى أن ابراهيم سورين بوكان دي
طيركسون كان سنة 1887 نائبا⁹. ولربما كان هو المحمي الوحيد إن كان أصله مغربيا.

ولم يرد شيء عن مستوطنين من هاته الدول الخمس، كما لم أقف في المصادر على أثر
للدانمارك وهولاندة بهاته المدينة.

7. المرجع الأخير.

8. رسالة جون هي إلى برغاش في 16 شعبان 1299 / 3 يوليوز 1882، محفظة النمسا.

9. رسالة إلياس كاسيل إلى الطريس في 15 يراير 1887، محفظة السويد.

الباب الحادي عشر

مراكش

1 : الولاية والسكان

أ : الولاية

أ 1 : ولاية المدينة

1. وجه مولاي عبد الرحمان ابن عمه مولاي مبارك بن علي عاملا إلى مراكش. لكنه «أساء السيرة في أهلها، وفتح فاه لأكل الحرام، واستولت عليه بطانة سوء. فتكررت به الشكايات إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه ينهاه ويشنع عليه. فكف من غربه بعض الكف... ولكنه عزله بعد حين...»¹.

2. فولى أخاه المأمون بن هشام على المدينة². ولم يرد تاريخ مضبوط لولاية الأخيرين بدءا ونختاما، مثلما لم يأت شيء عن وقت إسناد الأمر إلى العمال الثلاثة الآتي ذكرهم، وهم :

3. ابن عبد الصادق³. ولعل اسمه هو علي بن أحمد الذي كان عامل الصويرة.

1 . محمد أكنسوس : «الجيش» ج 2 ص 6 — 8.

2 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 10.

3 . محمد أكنسوس : «الجيش...» ج 2 ص 20.

4. والعربي الهذاجي الذي ثار عليه أهل البلد بسبب رجل إسباني كان يقطر الحشيش، فاشتكى به المراكشيون إليه، فلم يُزل شكواهم، فعزلوه وولوا مكانه القائد قاسم الرحماني، ولما ورد مولاي عبد الرحمان إلى مراكش عزل قاسما المذكور وسجنه، وغرب كثيرا من أهل مراكش لفاس⁴.

5. ومحمد بن زروال الرحماني الذي انتهى الأمر بعزله⁵.

6. أحمد بن عمر بن بوستة المراكشي لم أقف على تاريخ ابتداء ولايته، إلا أنه كان سنة 1856 عاملا⁶، واستمر كذلك حتى اعتقل في يونيو 1863 فخلفه الجيلالي بن حمو⁷ آتي الذكر، إلا أنه أعيد إلى سالف منصبه. وكان رجلا خيرا مكرما لأهل العلم. وتوفي بفاس سنة 1875 وبها دفن⁸. وسلف القول إنه نُقل سنة 1873 إلى ولاية مدينة آزمور.

7. الجيلالي بن حمو البخاري المنجم الحمزاوي استعمل بعده على مراكش إذن، أو فقط على القصبة على الراجح، لأن ابن الطاهر كان في نفس السنة عاملا. وكان الجيلالي قبل ذلك قائدا للمشور في العهدين الرحماني والمحمدي⁹. وكان من ضباط الجيش وباشاواته، وتقلب في عدة مناصب إدارية بمختلف المدن كطنجة حسبما سبق الكلام عن ذلك.

8. أحمد بن الطاهر السملالي الآزموري الذي ولي على مراكش من عام 1279 / 1862 إلى حين وفاته سنة 1284 / 1867. وسلف القول إنه كان عاملا على الجديدة.

كان ابن الطاهر قبل ولايته الأولى ينسخ الكتب «محبة في العلم...» وكان فقيها متضلعا نبيها، ذا سمعة حسن، مهيبا وقورا، جميلا في الهيئة والملبس، رفيع الهمة ذا شعبة حسنة. وله خط رائق وإنشاء فائق¹⁰.

ربط علاقات مع التاجر الفرنسي لامبير Lambert الذي كان يترجم له الجرائد لمعرفة أسعار المنسوجات القطنية وغيرها. لأن أحمد كان يتعاطى التجارة والتصدير¹¹.

9. أحمد ابن داوود عين عاملا بعد وفاة ابن الطاهر مباشرة¹² سنة 1867.

4 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 10 ص 164.

5 . نفس المرجع ج 2 ص 418.

6 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 56.

7 . خوان بالديراما مارتينيث : «خواكين غائيل، رحالة المغرب» ص 22، طبعة تطوان، 1954.

8 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 2 ص 419.

9 . نفس المرجع أيضا.

10 . المصدر ذاته ص 416.

11 . مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 29.

12 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 2 ص 416. ولم يترجم هذا المؤلف لآل ابن داوود بشيء.

كان آل ابن داود سيئي السيرة. وكان أحمد ممن أثاروا نقمة الناس عليهم ولا سيما الصناع. وبسببه عُزل قاضي مراكش محمد بن عبد الواحد الدويري سنة 1289 / 1872. وصورة ذلك حسبما ذكره العباس ابن ابراهيم أن الدويري تضامن في السنة المذكورة «مع أهل مراكش في ثورتهم على عاملها أحمد بن داود في يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية من العام المذكور، لكونه كان يسير فيهم سيرة غير حميدة، حيث كان خليفته صالح الأقرع الذي استعمل صاحب الدور أحمد الباز، وصل أن وظف عليها أداء مئة مثقال في اليوم يأخذونها من البغايا. فأدى بهم الحال أنهم يرشون المرأة الصينة بالخمر، إذا كانت مارة بالطريق وينسبون لها للبغاء، ويودعونها في السجن ويأخذون منها حليها، حتى انقطع خروجها. ثم انتقل الأمر بعد ذلك لغيرهن. فيأخذون العبد ويقولون له : إنك كنت مع فلانة وأخذت لها كذا.

«فبسبب ذلك قام علال بن الحسن المراكشي الخراز، وذهب مع جماعة إلى ضريح الشيخ ابن العريف، واتفقوا على رفع هذا المنكر. ولم يقصدوا نزع العامل. ثم وجه العامل لهم مولاي الشريف الهبيل وسالماً الجزع ليكفوهم. فتغلط عليهم الشريف المذكور، فصرحوا بعدم قبول ولايته عليهم. ثم احترموا بضريح الشيخ أبي العباس السبتي. ثم اجتمع معهم المحتسب مولاي أحمد بن عامر والناظر الصبان وأضربهما خفية من أعيان مراكش وعضدوهم.

«ثم في الغد صاروا يغلقون الحوانيت، واجتمعوا واختاروا علال المذكور عاملاً عليهم مع مولاي الغالي، ووافقهم المترجم¹³. ودام الأمر على ذلك أربعة أشهر واستقامت الأحوال.

«ثم وجهوا وفداً منهم يشتكي للسلطان، ويبين له حقيقة الحال. وقدموا على السلطان بتادلة متصلين مما فرط منهم. فأعرض السلطان عنهم ولم يسمع منهم كلاماً ولا قبل لهم عذراً، بعد أن أمر برفعهم للسجن، فرجعوا مخفقين. فقام علال المذكور وأمر الشريف مولاي أحمد بن الكبير أن يكتب كتاباً على لسان السلطان ليقرأ على أهل مراكش : وأن السلطان أنزلهم وفرح بهم. فقرأ ذلك على الناس أحمد بوضربة.

«ثم أسرع السلطان السير إلى مراكش، وتقدم إليها وهو غضبان على أهلها. وكانوا مظلومين — فيما قيل¹⁴ — إلا أنه لبس على السلطان في أمرهم. فلما شارف المدينة يوم السبت فاتح شعبان من العام المذكور خرجوا إليه بالعلماء والقراء وصبيان المكاتب، وتلقوا له بباب أحمر على العادة، متشفعين فلم يقف لهم. وكان ابنه وخليفته المولى الحسن حاضراً يومئذ. فتقدم إلى أهل مراكش ورَّق لهم، وقال لهم قولاً جميلاً، وأخبر الواشي السلطان أنهم أرادوا أن يضربوه، فترك

13. المترجم هنا هو محمد الدويري قاضي مراكش المعزول سنة 1872.

14. هاته الجملة الاعتراضية زيادة من أحمد الناصري في «الاستقصاء» ج 9 ص 123.

منزل. وأصلح الأحوال مولاي العباس بن مولاي عبد الرحمان. ثم قبض على مولاي أحمد بن عامر وعزل المترجم»¹⁵ الذي هو محمد بن عبد الواحد الدويري كما هو معلوم.

جانب من هاته الواقعة الخطيرة، التي تعمدت نقلها لما فيها من إشارات بليغة عن الحالة بمراكش، رواه ابن زيدان. وهو أنه قبل 3 جمادى الثانية 1289 / 8 غشت 1872 كان عامل «مد يد العداء في بعض الخرازين. فقام الدباغون في وجه الشرطين، وكثر الهرج وانتقدت نيران الفتن بينهما واجتمع الغوغاء ومن في قلبه مرض من طاعة المخزن، وانضم إلى صعاليك الدباغين. واجتمع الأعيان والعلماء وأهل المروءة والفضل للمفاوضة في كيفية التوصل لتسكين الهيعة...

«فاتفق رأيهم بعد أخذ ورد على أن تلك الفتنة لا تنحسم مادتها إلا بإلزام العامل المكث بقعر بيته، وعدم العود للمداخلة في شيء من الأشياء إلى أن يقدم السلطان»¹⁶.

قال آرثور ليرد الذي زار مراكش سنة 1872 إنه تعرض لتسمم من لدن ابن داوود، وأن إبراهيم الجراوي عامل المنشية هو الذي اعتقل أحمد ابن داوود في شهر أكتوبر من نفس السنة¹⁷ أي عند مقدم السلطان إلى مراكش. ولم يلبث العامل إلا مدة يسيرة حتى توفي «وتخلصت قائمة من قوب»¹⁸ أي فرخ من بيضة. وكان ذلك في رمضان 1289 / أكتوبر 1872.

10. سجن أحمد، ولكن ابنه محمد هو الذي خلفه من بعده، وبقي في هذا المنصب حتى سنة 1887 حيث توفي في بدايتها¹⁹.

11. العباس بن أحمد بن داوود ولي سنة 1887 بعد أخيه ولكنه عزل سنة 1901 / 1318 من منصبه²⁰ ونكب وسجن بمكناس. وكان في سنة 1892 قد أصيب بمرض في عينيه فذهب إلى أوروبا للتداوي مع أربعة من أصحابه²¹.

ونتساءل هل كان آل ابن داوود مظلومين ؟ لقد اتفقت المصادر على أن أحمد كان ظالماً. وتقدم في الصورة أن ابنه محمد كان كثير الخشية من السلطان، فوصفه بذلك قنصل فرنسا بـ «بيطران». لكن لماذا استعمل السلطان الابن بعد وفاة الأب أحمد ؟ صاحب «الاستقصا» أورد

15. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 52 — 53 (نقلا عن «سلوة الأنفاس» ج 1 ص 256).

16. «الإتحاف» ج 2 ص 121.

17. عبد المجيد بنجلون : «جولات 1872» ص 72 و 84.

18. أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 123.

19. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 2 ص 416.

20. المصدر الأخير أيضاً.

21. رسالة السلطان إلى الطريس في 12 شعبان 1309 / 12 مارس 1892، محفظة الطريس 22.

خبر ثورة أهل مراکش على أحمد ابن داوود وسكت عن مناهضة علال بن الحسن الخراز للعامل. ولما وصل إلى عبارة «وكانوا مظلومين» التي أوردها ابن ابراهيم نقلا عن «سلوة الأنفاس» أقحم بعدها لفظتي «فيما قيل»، مما يدل على أنه كان لا يصدق ما كان يقال عن ابن داوود، أو أنه كان يخشى أن يقول ما لا يقال، وهو الذي عاش في تلك الحقبة.

سر ذلك سنراه قريبا. غير أن الأجانب من المؤلفين والرحالة أصروا على إدانة أسرة ابن داود. قال فيسجيرير «إن أهل الورع بمراكش كانوا يغيضون الباشا ابن داود، لأنه كان إباحيا ومخمرا وآكلا لرمضان»²² ولا شك أنه يقصد العباس.

وفي سنة 1901 قالت فرانسيس ماك ناب عنه أيضا : كان «ابن داوود مكروها لما عرف عنه من قسوة متناهية. فقد كان يرسل جواسيسه لمعرفة مكاسب الناس، لتلفيق التهم ضدهم بعد ذلك، ومصادرة ما يملكون، وإرسالهم إلى السجن. وكانت أخته زوجة ابا احمد. ولذلك كدس ثروته دون رقيب ولا عتيد. وقيل إن ابن داود أودع أمواله في مصارف أروبية، أو في مكان سري. وصورة ذلك أنه كان يجمع أمواله بمساعدة عبد أو عبيدين، وينقلها إلى المكان المقصود. حتى إذا حقق هدفه، قتل العبد أو العبيدين ليعود إلى منزله وحده، فلا يعرف أي إنسان مقر المال سوى صاحبه»²³ حسب المؤلفة التي أوردت هذا الجزاء السنيماي.

وهذا في رأيي هو السبب في سكوت الناصري فقد كان يخشى على نفسه نقمة الحاجب ابا احمد، صهر العامل العباس، ولو أنه ذكر مع ذلك تخلص القائبة من قوبها.

12. عبد الحميد الرحامي استعمل على المدينة²⁴ من عام 1318 إلى سنة 1320 (1901 — 1903).

أ 2 : ولاية المقاطعات

هؤلاء هم عمال المدينة. وينبغي أن يضاف إليهم ولاية المقاطعات البلدية :

• ابراهيم بن سعيد الجراوي الذي كان قائداً لقصبة المنشية وباشا للجيش أيام مولاي عبد الرحمان وسيدي محمد حتى سنة 1874 حين أدركته الوفاة²⁵.

• وأحمد أومالك الذي كان سنة 1872 وبعد سنة 1889 عاملا على الملاح²⁶.

22. «على عتبة المغرب الحديث» ص 73.

23. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1901» ص 83 و 84.

24. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 2 ص 416.

25. محمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 2 ص 63، وأحمد الناصري «الاستقصا» ج 9 ص 146.

26. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 ربيع الأول 1307 / 31 أكتوبر 1889، محفظة الطريس 17.

• والحاج محمد ويده السوسي الذي تولى بعده شؤون الملاح، ولا سيما سنة 1892²⁷.

• ومحمد بن عبد الكبير الدمناقي الذي كان أبوه محتسبا بدمنات. ولما توفي هاجر إلى مراكش وصار «شرطيا مع عامل القصبة القائد ابراهيم بن سعيد الجراوي. ثم إن كاتبه غاب في بعض الأوقات. فاحتاج إلى كتب بطاقة، فسأل هل في أصحابه من يحسن الكتابة. فعينوا له المترجم، فجعله كاتباً... وتزوج بربيبة القائد المذكور البتول. ثم بعد موتها تزوج ببنته. ثم تنقلت به الأحوال، فصار كاتباً مع السيد أحمد حين كان حاجباً، وولاه صائر مطبخ المخزن. ثم صار كاتباً بالبنيقة الكبرى ثم في بنيقة وزارة الحرب واستعمل نائباً عن وزيرها. ومنها ولي باشا على القصبة وأعمالها، ونال بذلك دنيا عريضة وبنى دوراً متعددة وتأنل أموالاً وأصولاً...

«ثم لما بويع المولى عبد الحفيظ بمراكش جعله وزيراً كبيراً. ولكن حسبه كتابة المكاتب في التهنيئات وأجوبة الناس. ولم يكن له كبير أمر في الحل والعقد. وكان مرجع ذلك إلى غيره. ثم لما حل بفاس عزله وعدد عليه أمورا كان ارتكبها في حال ولايته، منها التدليس في أمر بعض العمال الذين كانوا ينحاشون إليه كعامل دمنات أبلأغ. ثم جعله وزيراً للمظالم فكان أمره فيها كالحالة السابقة بل أذون. ثم أخره عنها وجعله أمين الصائر.

«ثم في عام ثمانية وعشرين طلب الإعفاء والتوجه لمراكش فسعد على ذلك»²⁸.

وفي أوائل 1911 أدركته الوفاة، بعد أن تقلب في الوظائف المتنوعة : شرطي وكاتب وعامل ووزير مع ما تبع ذلك من دنيا عريضة وتأنل أموال وأصول وبناء دور متعددة.

ب : السكان

لم يرد لعددهم تحديد. لكن أرثور ليرد قدرهم سنة 1872 بـ 55 ألف نسمة²⁹، وهو رقم لم يكد يتغير حتى في نهاية القرن التاسع عشر : بين 50 و 60 ألفاً³⁰. على أن هناك من بالغ فزعم أن عدد أهل مراكش تراوح منذ قرن من الزمان بين 500 و 600 ألف. غير أن كمهم انخفض في الربع الأخير من القرن الماضي إلى الخمس³¹ أي 100 ألف نسمة.

وليس عندنا بيان عن نسبة اليهود بالقياس إلى مجموع السكان. ولعلها لم تتجاوز العشر

27. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 265.

28. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 176 — 177.

29. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 98.

30. براون : «أهل سلا» ص 48، وأوبان : «مغرب اليوم» ص 37، ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 24.

31. عبد الله العمراني : «سفارة فرنسية لدى جلالة الحسن الأول» في «دعوة الحق» مارس 1972 ص 39.

منهم، كما هو الحال في كثير من المدن المغربية. وكان العنصر الأوروبي لا يتعدى العشرات القليلة ولاسيما في أواخر القرن التاسع عشر³².

فكيف كانت تشكيلة السكان ؟ يرى ليرد أن أهل مراكش كانوا خليطاً من المغاربة والجزائريين والتونسيين والمصريين والصحراويين والزنوج. ويستند في ذلك إلى تقديرات لامبير الذي كان يرى أن عدد الرجال هو 16500 في مثله للنساء. لكن اليهود لم يكونوا سنة 1870 إلا 1200 نسمة، مناصفة بين الرجال والنساء، فيكون المجموع عنده هو 34200 نسمة. وهكذا يفصلهم ليرد حسب أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، نقلاً عن لامبير وخصوصاً السكان العاملين من الذكور البالغين : 1200 من الملاكين والمزارعين، 150 من العلماء والعدول، 800 من الطلاب، 100 من تجار الجملة، 500 من تجار المنسوجات والفخار، 300 من تجار الزرابي، 1000 من أصحاب الدكاكين، 800 من النساجين، 350 من النجارين، 1500 من الشراطين والخرازين، 2500 من البنائين، 600 من أصحاب الأرحية، 400 من الموظفين المخزنين، 2000 من الوصفان السلطانيين، 2000 من الجنود، 500 من المخازنية، 1500 من المتسولين³³.

ولم يكن بمراكش سلك قنصلي لعدم موافقة المخزن على نصبه بالمدن الداخلية كمراكش وفاس ومكناس حسبما تقدم وحسبما سيأتي، لكن كان بها محميون وسماسة عددهم جميعاً 57 منهم 37 يهودياً و 20 مسلماً مثلما سيرد في الجدولين المواليين :

ج 1 : المحميون (1863 - 1900)

الجميع	اليهود	المسلمون	الدول
5	2	3	إنجلترا
1	1	—	إسبانيا
9	6	3	فرنسا
3	3	—	البرازيل
18	12	6	المجموع

32. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 45.

33. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872، ص 98.

ج 2 : السماسرة (1863 - 1900)

الجدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	2	7	9
إنجلترا	3	5	8
إيطاليا	4	4	8
فرنسا	3	8	11
البرازيل	2	1	3
المجموع	14	25	39



2 : إنجلترا

أ : السلك القنصلي

لم يأت في المصادر الأجنبية والمغربية أن هاته الدولة كان لها في هاته الفترة قناصل أو وكلاء بمراكش، ولو أن محاولة كانت لنصبهم، إذ كان سفير بريطانيا قد طلب سنة 1866 اتخاذ دوبيس Dupuis قنصلا¹. وفي سنة 1892 التمس إيوان سميث تعيين نواب قنصلين بمدن الداخل ومنها مراكش. فكتب السلطان إلى عامل الملاح الحاج محمد ويده يحذره من هاته المحاولة لتعيين أحد اليهود المرشحين، ومن تعليق السنجق، ويأمره بنزعه «بلطافة حتى لا يقع فيه تمزيق ولا كسر»². وفي عهد جون هي كان أبوبكر الغنجاوي يدعي أنه وكيل لانجلترا.

ب : الحميون

لم ترد أسماءهم مجتمعة في قائمة سنوية رسمية، وإنما جاءت مشتتة في وثائق ومصادر شتى :

1. أبوبكر الغنجاوي ولم أقف على تاريخ دخوله للحماية.
2. جاكو ولد الرومية وكان محميا. سنة 1880 وكان يسكن بالملاح³.
3. حاييم ناهون الذي لا أعلم أنه مراكشي. إلا أنه كان سنة 1888 محميا ومسجوناً بهاته المدينة «لاشتغاله بتزوير كتب على الطريس، ورسوم على أهل البادية، لأكل أموالهم بالباطل». ولم يفرج عنه إلا بشفاعة كثرين فيه، وإلا على شرط أن يبارح أرض المغرب⁴.

1 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 103.

2 . رسالة السلطان إلى ويده في 4 محرم 1310 / 29 يوليوز 1892، محفظة بريطانيا.

3 . رسالة السلطان إلى برنكاش في 29 شوال 1297 / 4 أكتوبر 1880، في «الوثائق» ج 4 ص 512.

4 . رسالة السلطان إلى الطريس في 1 جمادى الأولى 1305 / 15 يناير 1888، محفظة الطريس 12 ومسودة جواب المخزن إلى الباشدور في 22 جمادى الأولى 1305 / 5 يناير 1888، محفظة بريطانيا.

4. محمد بن الطيب الحسناوي وكان محميا سنة 1862، وقد تجاسر على محتسب مراكش⁵.

5. الحاج محمد بن سعيد المصلوحي طلب لنفسه الحماية الإنجليزية سنة 1893. فلما لم تخول له التمسها من فرنسا. لكن المفوضية البريطانية تراجعت ومنحتها له حتى لا يطلبها من فرنسا. وحتى سنة 1895 لم يسلم المخزن حمايته، بل كتب السلطان إلى الطريس وعامل طنجة وأمناء المرسى لمنعه من ركوب البحر إن أراد التوجه إلى الخارج⁶. وكان المصلوحي من كبار الأغنياء بنواحي مراكش، وكان الصحافي البريطاني والطر هاريس W. B. Harris ضالعا في حمايته وحماية الزاوية وأهلها.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة سنة 1879

1. المختار الورزازي كان سمسارا لشركة كارفر داربيشر.

ت 2 : من قائمة السماسرة سنة 1889

2 — 4 : إسحاق ملول سمسار أرتور كولمان القاطن بالصويرة، وداويد بن الشماع كان منذ سنة 1884 سمسارا لعكان بن هو ترجمان القنصلية بالصويرة، وظل هذا السمسار القاطن بمدينة تارودانت وارد الإسم في القوائم السنوية ومنها اللائحة 635/3 البريطانية حتى ما بعد سنة 1890، وشلومو بن الحزان ساسي سمسار بمراكش لعكان بن هو أيضا.

ت 3 : من القائمة البريطانية 653/ 3

5 — 6 : إسحاق بن سعود كان سنة 1883 سمسارا لحايم اللبوي يولي. ولكنه أسقط من الحماية بعد ذلك، والحاج رحون العبدى كان سمسارا لبونيتش S.J. Bonich سنة 1884 وقد نزع من السمسرة من بعد ذلك.

ت 4 : من غيرها

7. دايد أزولاي كان سنة 1894 سمسارا لشركة جيمس كراة⁷. وذكر أيضا في قائمة سماسرة التجار الأنجليزين بالجديدة سنة 1895.

5 . محمد نهيل : «رسائل شريفة» اللوحة 14، رسالة في 3 جمادى الثانية 1279 / 26 نونبر 1862.

6 . روجرز : «تاريخ...» ص 298 ورسائل في 12 حجة 1312 / 6-6-1895.

7 . رسالة سطاو إلى الطريس في 3 أبريل 1894، محفظة بريطانيا.

8. مولاي أحمد بن التهامي العلمي كان سنة 1893 نائبا عن روبرط سبيني التاجر الجديدة والوكيل عن دار التجارة الألمانية هيرشة وريختر. وقد امتنع مولاي أحمد عن أداء دين للتاجر الإنجليزي المذكور⁸. ولم يرد له ذكر في القوائم السنوية.

ث : المستوطنون

1. أرتيسيا فيرلي A. Fairlie المهندس الذي ظل سنوات في خدمة السلطان، وأشرف سنة 1863 على بناء مصنع تصفية السكر وتنظيف القطن وأحدث آلة بخارية⁹. وكان عمله داخلا في الاتفاق¹⁰ الذي عقده محمد الدكالي مع جون كلاركسن ثي J. Clarkson Gay .
2. مانويل بونيتش M. Bonich كان يريد الاستقرار بمراكش سنة 1890 للتجارة¹¹ بعد أن طلب له ذلك كثرين من السلطات المخزنية. ولم أقف على غيرهما.

ج : نازلة الغنجاوي

- كان أبوبكر بن الحاج البشير الغنجاوي عميلا لبريطانيا العظمى طيلة عقود مديدة، وغنياً وتاجرا في مواد شتى، وقامت عليه ضجعات كبيرة لدى الأوساط الشعبية والدوائر المخزنية العليا. وسرى شيئا من ذلك كله في سياق الحديث.
- كان محميا لإنجلترا، لكن اسمه لم يكتب في أية قائمة من وثائق المحمين¹² لسبب ظاهر واحد هو أنه كان مخبرا، وله اتصالات بالأوساط الحكومية، وكان يقوم على رأس شبكة من العملاء المرتشين، وكانت إفاداته صحيحة بحيث لا يعترها تزيف.
- وهذا إيوان سميث يصفه سنة 1891 في رسالة إلى اللورد سولزبوري : «جاء ذلك المغربي المرموق، وكيل بريطانيا بالقصر السلطاني إلى طنجة بهدف زيارتي ... وهو رجل ذو هيئة رائعة أقرب إلى تمثال براهما الهندي منه إلى مغربي من المناطق البربرية. وهو على ذكاء حاد. ويؤكد لي سير جون هي أنه بامتداد السنوات الطويلة التي تعامل خلالها مع الرجل لم يقدم له معلومة زائفة أو ضارة بالمصالح البريطانية...»¹³.

8 . رسالة إلى الطريس في 12 جمادى الثانية 1311 / 21 دجنبر 1893، محفظة الطريس 25.

9 . عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872»، ص 87 وهنري ده لا مارتينيير : «ذكرات عن المغرب» ص 149.

10 . نشر هذا الاتفاق ومجموعة من الرسائل في «الإتحاف» لابن زيدان ج 3 ص 556 وما بعدها.

11 . رسالة كثرين إلى الطريس في 15 يراير 1890 / 24 جمادى الثانية 1307، محفظة بريطانيا.

12 . ميج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 68. وفعلنا لم أقف على اسمه في أية واحدة منها، وهذا أمر منطقي.

13 . روجرز : «تاريخ ...» ص 284.

من أين كانت تأتيه هاته المعلومات الثابتة ؟ هل كان له عملاء في مختلف المستويات ؟ نعم. فمن هم ؟ هذا هو السؤال، إذ لا سبيل إلى الإحاطة بذلك كله وإنما إلى إشارات أسوقها.

كان له أصدقاء أو كانت له معاملات معهم. ومن هنا كانت تتسرب الأخبار، وليس من هنا فقط بل ومن غير ذلك، ولن نتحدث عن ماك كلين «الحراب»، فذلك شيء آخر.

فالتهامي بن المهدي المزوار المكناسي المتوفى عام 1892 كان مخبرا لبريطانيا¹⁴. وكان كاتباً خاصاً لوزير الخارجية غريط الذي كان مديناً للغنجاوي بمقادير من المال.

والطاهر بن محمد بنجلون المراكشي الذي كان كاتباً للوزير محمد بن العربي بن المختار الجامعي كان أحد أصدقاء الغنجاوي¹⁵. ونعلم أن محمد بن العربي كان وزيرا للحرب ثم صار سنة 1879 حاجبا سلطانيا¹⁶ وأن الطاهر بنجلون هذا المتوفى عام 1881 كان «خليفة الوزير محمد الجامعي، وشجى في حلق الفقيه الكاتب محمد الصنهاجي»¹⁷.

ومحمد بن علي الصنهاجي الذي استوزر سنة 1886 حتى توفي سنة 1892 كان متهافنا على السلطة، وكان «كاتباً في الديوان الشريف ثم ناب في الوزارة ثم استقل بها. وكان يلهج في كل أحواله بالوزارة ويدعو الله لنفسه بها في كل مجلس....فناها بعد مدة قليلة»¹⁸.

هاته الأحوال من التنافس على الرئاسة والنزاعات الداخلية والصدقات الحميمة والانغماس في الشهوة وقبض الهدايا «والطَّمْع» كانت من أدنى الأمور التي كان الغنجاوي يخبر بها الدوائر الإنجليزية، في عهد جون هي ومن بعده من السفراء، عبر قنوات من الوشاة والعملاء.

فكان أمر الغنجاوي كأمر بعض «الشركات» الوهمية في التصدير والاستيراد التي تبيع الأخبار تحت شعار «التجارة». وكان «يروج بمراكش السلع الإنجليزية، كما كان جاسوساً نشيطاً يزود السفارة والقنصليات الإنجليزية يوميا بمعلومات عما يروج بمراكش وقصرها الملكي»¹⁹.

وكان من جملة شركائه هيري Perry القاطن بآسفي، التي توجه إليها الغنجاوي سنة 1872 «بقصد أعمال الحساب مع نواب الكبائية المذكورة ويده رسم فيه شراء دار بارود مراكش بين

14. ميسج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 69 (5).

15. نفس المرجع ص 67 (5).

16. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 214.

17. نفس المصدر ج 3 ص 265.

18. نفس المرجع أيضا ج 7 ص 72.

19. عبد الوهاب بن منصور : «الوثائق» ج 4 ص 401 (1).

بإني الدباغ والخميس بين أولياء بألف مثقال... ثم لما علمنا أن هذا الغنجوي من أهل الحماية تعين أخذ هذا المحل منه لجانب المخزن، فكتبنا لأمناء آسفي بميازته منه بما في رسمه²⁰.
ولربما كان أميا أو شبهه. فكان له كتاب ومراسلون يمدونه بما هو محتاج إليه.

ومن أول المشاكل التي ورد الحديث عنه فيها خلافه مع أحمد أو مالك باشا الجيش السوسي بالمدينة الذي اتهم الغنجاري سنة 1872 بتزوير المكاتيب عليه. وجاء في وثيقة بهذا التاريخ: «وعندنا شهادات بأنه يستكتب كتابا يكتبون له مكاتب، تارة ينزل خط يده أسفلها، وتارة يأذن لهم بذلك. وقد ظهر أن ذلك كان حيلة منه للإلنكار عندما يُحتاج إليه في بعضها، كهذه البطاقة التي كانت جوابا منه وأنكرها ونسبها للعامل، كما هي عادته في تزوير الخطوط المختلفة التي لا يشبه بعضها بعضا، وعرف بذلك منذ ثلاث سنين. كما عرف بأنه يستكتب أناسا في مأربه. فإذا ظهر ما لا يناسبه، أنكر وحلف، وتكرر ذلك عليه مرارا.

«والحاصل فقد كشف الحال أن هذا الأمر مستعمل، أرادوا به عزل العامل فلبسوا عليه بذلك. وهذا من الأمور التي لا ينبغي السكوت عنها، لما فيها من إفساد المحبة المؤسسة بين دولتين عظيمتين، على يد سمسار ظهر تلويته وتلويه في الأمور التي لا يناسبه الدخول فيها. لأنه ليس من أهل المروءة، وإنما هو من أوباش الناس... فلا يخفى عليك ما يرتكبه جل السماسرة: يظلمون ويتظلمون...»²¹. ولم يعرف شيء عن سبب التزوير وأصل الشكاية «بنداء العامل في الأسواق بما ذكروا، وهي ابتداء القيل والقال في هذه النازلة»²² التي حدثت قبل سنة 1872.

والسلطان وصفه بالدناءة: «... وانظر ما صدر من السلطوط الغنجاري في جانب عامل مراكش بسبب اعتماده على بعض تجار النجليز... ولولا ذلك ما قدر أن يتكلم بكلمة قبيحة في صاحب العامل، فضلا عن العامل نفسه...»²³.

وكان الغنجاري لزم حده بعد هذه النازلة وهذا الحزم السلطاني، ولكنه دأب على مد الأجانب بقيم الإفادات في صمت ونباهة. حتى إذا انصرم عهد جون هي صديق المغرب ورامي المحمي وتدهورت العلاقات بين السفارة وبين المخزن، على يد ثجرين ثم على يد إيوان سميث، عاد الكلام مرة أخرى عن الغنجاري سنة 1889 في الوثائق المغربية.

إذ عمدت السلطة إلى وضع عقل على فندقه الكائن بسقاية «اشرب وشوف» من حومة أمصفتح وطبع على حوانيته بالتسمير²⁴. وكان ذلك في الغالب صادرا عن القضاء،

20. رسالة السلطان إلى ابنه مولاي الحسن في 23 قعدة 1288 / 3 يراير 1872 (الوثيقة 7282، م.و.م).

21. مسودة رسالة برشكاش إلى جون هي في 13 صفر 1289 / 22 أبريل 1872، محفظة برشكاش.

22. رسالة السلطان إلى برشكاش في 13 صفر أيضا، نفس المحفظة.

23. رسالة السلطان إلى برشكاش في 22 صفر 1289 / فاتح ماي 1872، في «الوثائق» ج 4 ص 401.

24. من موجب عدلي في 12 شوال 1306 / 11 يونيو 1889، محفظة الطريس 16.

للدعاوي التي ربما أقيمت عليه. وكان في ذلك نكاية به، فصار السكان يعيرونه به. ولكنه اتهم بدوره البعض منهم بالهجوم على منزله ونهب شيء من متاعه. واشتكى بذلك لدى السفارة البريطانية. وبالمقابل وضعت مجموعة من البيئات العدلية يشهد أصحابها — وهم من أهل مسفيوة — بأنه لم يقع له أي نهب²⁵.

وأصر الغنجاوي على حصوله وعلى أن خصومه كان يحركون الشعب عليه، وسمى بعضهم وكلهم من مراكش : محمد بن الحاج المهدي بنكيران ومحمد بن الحاج عبد الرحمان القلعي ولا سيما الغالي بن المفضل بنونة الفاسي الذي اتهمه الغنجاوي بالسطو على متاعه.

فهل كان النزاع بين الغنجاوي وبينهم ذا دوافع اقتصادية وتجارية اصطبغت بلون سياسي المقصود منه التنافس على امتلاك الأسواق الداخلية واستقطاب السلع الخارجية أكثر منه خلافا مع مجرد عميل ؟ لم يرد إيضاح عن ذلك.

ومهما يكن، فقد جاء في موجب عدلي أن الغالي بنونة «من أهل الفضل والدين»، وأنه كان «مشتغلا بأمر تجارته» وأنه مما لا يناسب «جانبه النقي أن يرمى بنهب أو غصب أو بما فيه مَعْرَة» وأن الشهود «يعلمونه كان مسافرا عن مراكش وقت تثقيف حوانيت الغنجاوي»²⁶.

كل ذلك لم يقل من غرب أبي بكر الذي شد الرحال إلى طنجة بعد بضعة أيام، شاكيا لدى ممثل إنجلترا. ولم يقبل الحسن الأول مبدأ تظلمه، ولم يأبه له، ذاكرا أنه لا حق له فيه لأن «نائب النجليز قد أخرجه من الحماية وقت تشكي الطرنباطي منه، ورده بعد ذلك»²⁷.

ولما وصل إلى طنجة أطلق لسانه وصار «يشيع هنا، مع المنحاشين له من اليهود وغيرهم من الأجلاف، أن نازلته رفعت لدولة النجليز. ووافق الحال كون مراكب حرية للإنجليز كانت ذاهبة إلى الهند، فمرت بأطرافنا لاستراحة خدامها. فجعل هو وحزبه يشيع أنها وردت في نازلته، وتكلمت في شأنه بعض الكوازيط... والشائع بالمغرب عند الخاص والعام كون بوبكر نائبا عن دولة الإنجليز لدى الأعتاب الشريفة... وله محلات بمراكش مشغولة بما لا يعني...» وأنه «يتجر في الإماء والعبيد.... ويتعاطى الربا على غير منهج...»²⁸.

ومرت بضعة أيام فاستدعى باشا مراكش 17 شخصا ممن كانوا يضمرون العداء للغنجاوي، واستفسرهم عن سبب هاته البغضاء²⁹ التي كان أمرها ظاهرا.

25. بينة في 14 حجة 1306 / 11 غشت 1889، نفس المحفظة.

26. بينة أخرى في 14 حجة أيضا، نفس المحفظة.

27. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 حجة 1306 / 22 غشت 1889، نفس المحفظة.

28. رسالة الطريس إلى السلطان في فاتح محرم 1307 / 28 غشت 1889، محفظة الطريس 17.

29. وثيقة في محفظة الطريس 17 في 9 محرم 1307 / 5 شتبر 1889.

ومن غير شك أن الغنجاوي استمر في موقفه الذي اتخذته سنة 1889 خاصة لما توفي
ثجرين وعين إيوان سميث. وكأنه عاد إلى القذف بأشد ما يكون في عهد السفير الهالك. ولربما وجه
القدح والشم إلى المخزن ودوائره العليا سنة 1892. ولهذا حاول الطريس الاستعانة بالصحافي
بودجيت ميكين B. Meakin صاحب جريدة «الطائمز أوف مراكو»، وطلب من «الرومي ميكين
الجوازطي الانجليزي إشهار مساويء الغنجاوي والتشنيع عليه بجرائمه وفجوره. ولم يأل جهدا في
ذلك، بما أضر بالغنجاوي ولاح منه لوائح المحاقد. إلا أنه اضطر إلى شهادة أعيان مراكشة بما كان
عليه الغنجاوي هنالك من نصب المحال للفساد. وهذا ضروري عند أهل مراكشة، وشهادة من
عامل رباط الفتح — مع غيره إن أمكن — بما هو معلوم هنالك من كون الغنجاوي باع واشترى
هناك في الرقيق وطالبه الولات وقثذ بواجب المخزن في ذلك فأى، وكان ذلك على يد العامل الآن.

«والحجة منه إثبات بيعه وشرائه في الرقيق. ولا كبير مشقة في هذا على المخزن. وقد أعلم
مكين المذكور — حسبما قدمه كتابة منه مع كتابنا للأعتاب الشريفة، صحة رقاص خاص، ولم
نزل في انتظار جوابه — أنه إن توصل بالشهادة الثابتة بما ذكر، حصل المطلوب في الغنجاوي،
ولأحقه هو ذك أداء عدد من الدراهم، حسبما بين ذلك في كتابه للأعتاب الشريفة الموجه مع
الرقااص المذكور، وأنه إن لم ينقذه المخزن من ذلك بالشهادتين المذكورتين مع الرقااص المذكور أدى
ذلك ورجع به على المخزن لكونه الطالب لثبت ذلك من غير حجة. ولا يخفكم ما في ذلك من
المعرة والرجوع عن النتيجة المطلوبة، بعد أن قارت الحصول...»³⁰.

كان أبو بكر إذن نخاسا بالرباط ومراكش، وتاجرا مرايبا على غير منهج. وكان له حوانيت
عددها 19 بمراكش سنة 1889.

غير أن الذي ألب عليه الناس هو علاقته الوطيدة بالأجانب، ولا سيما إسكانه المنصرين
بداره، وهذا اتهام خطير ألقى عليه، فأشارت إليه الأصابع بالسوء وباللوم.

وصورته أن «ثلاثة نصارى وردوا لمراكشة وسكنوا بدار للغنجاوي واشتغلوا بقلب اعتقاد
الناس والسعي في تبديل دينهم»³¹. ولئن كان من الثابت أن هؤلاء المنصرين هم كلارك Clark
ونيرن Nairn وزوجته فقد كان مجرد إيواء الممسحين كافيا للقليل والقال.

وفي أواخر العهد الحسني استقال الغنجاوي من منصبه لأسباب صحية، أيام إيرنيست
ساطاو، وفي مقابل ذلك حولت له الحماية البريطانية بصفة شخصية³².

30. رسالة الطريس إلى غريبط في 28 محرم 1310 / 22 غشت 1892، محفظة الطريس 23.

31. من تقييد غفل بمحفظة الطريس 66. وأوقن أن تاريخه هو ما بعد سنة 1890.

32. روجرز : «تاريخ...» ص 295.

ثم انهمك في تجارته وأراح غيره واستراح لنفسه. ولما زاره أوجين أوبان، قال عنه :
«كان أبو بكر الغنجاوي أعظم رأسمالي بمراكش. وكان يملك عددا من المنازل والفنادق.
واشتهر — فضلا عن ذلك — بأنه يدخر مبالغ كبيرة بأبنائك إنجلترا.

«كان شيخا عاديا، يخلق لحيته وشاربه، على خلاف عادة المسلمين. وكانت مخايل الذكاء
الوقاد بادية على وجهه الأمرط، المتهذلة بشرته. فإذا رأيته في فندقه جالسا على الأرض بين أوراقه
الطافحة من صناديقه العديدة وبقايا الأثاث الأروبي رأيت رجلا أعمال مغربيا داهية مكارا.

«وقد قدم لنا شايًا في أوان فضية مذهبة أهدتها له الحكومة البريطانية، تقديرا للخدمات
الطويلة التي أسداها لها المحمي الإنجليزي. ويبدو للناظر كأنه رجل مسن، سمح القلب، راض عن
المكانة التي عرف كيف يصنعها لنفسه — لأن أباه كان مجرد أمين للجزايرين — يقضي بقية عمره
في سعادة هادئة، وسط حشد من الزنجيات المحظيات»³³.

33. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 43.

3 : فرنسا

أ : السلك القنصلي

جعلت قنصلية فرنسا بالصويرة لها مراسلين أو وكلاء قنصليين بمراكش. وكان منهم :

1. موشي سويسة وذلك من سنة 1873 إلى ما بعد سنة 1883 وورد اسمه في القائمة الفرنسية العامة لهاته السنة الأخيرة.

2. عمر الرجراجي وكان سنة 1888 يشغل هذا المنصب¹.

3 — 4 : يوشع بن سوسان، ومخلوف بن مسعود بن موحو اللذان قاما بالأمر بعد ذلك². وجاء اسم مخلوف في قائمتي 1881 و 1882.

5. أحمد رزنة التلمساني الذي كان سنة 1893 مراسلا. وكان محميا لشقيق الكونط دويني سفير فرنسا بطنجة. وكان نائب فرنسا يروم جعله وكيلا سنة 1893 فرفض المخزن³.

6. عمر المجاد وكان في مطلع القرن العشرين وكيلا لقنصل فرنسا بالصويرة وكان ملاكا غنيا يتمتع بسمعة طيبة في المدينة حسبما قاله أويان⁴.

ب : المحميون

هم الستة السابقون في الذكر، ويضاف إليهم :

7 — 9 : حاييم قرقوز وكان سنة 1883 محميا وهو وأولاده⁵، وورد في قائمة السنة الأخيرة هو ومن بعده : موشي قرقوز، ومخلوف أويان وهو تاجر محمي ذو سماسة.

1 . رسالة فيرو إلى الطريس في 7 حجة 1305 / 15 غشت 1888، محفظة الطريس 13.

2 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 304.

3 . المرجع نفسه ورسالة إلى نائب فرنسا في 20 شعبان 1310 / 9 مارس 1893 وأخرى إلى محمد ويده في 6 صفر 1311 / 19 غشت 1893.

4 . أوجين أويان «مغرب اليوم» ص 44.

5 . رسالة بيرطران إلى الرجراجي في 18 حجة 1300 / 20 أكتوبر 1883، محفظة فرنسا.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة 10 يناير 1881

1 — 3 : فرايم حاشويل سمسار جاكطي منذ 1873، وشلومو بن ساسي والحاج الطاهر بن الجيلالي بن المير سمساران لمونيي Monier منذ 1876 وكلهم أتوا في قائمتي 1880 و 1881.

ت 2 : من القوائم الفرنسية العامة

4. مردوخي الترجمان سمسار برونشويغ من 1881 حتى 1883.
5. موشي سويسة سمسار جاكطي من 1880 إلى 1884. وتقدم أنه كان مراسلا ومحاميا.
6. يوسف بن ساسي سمسار الدكتور آلا القاطن بآسفي، من 1880 إلى 1883.
7. محمد بن الصغير كركر سمسار موشي قرقوز سنة 1883.
8. حاييم قرقوز ممثل لبنك طرانزاطلانتيك بمراكش من 1882 إلى 1884.
9. الفقيه أحمد بن المعطي الدراوي سمسار جاكطي من 1880 إلى 1884.
- 10 — 11 : يعقوب وإسحاق أويون سمساران لمخلف أويون (1880 — 1881).

ت 3 : من غيرها

12. محمد برادة سمسار برونشويغ في مطلع القرن العشرين. ويقول أوجين أوبان عنه إنه فاسي كان «يحتل مكانة مرموقة بين التجار المسلمين بمراكش. وكانت دكاكينه مشرفة على بهو جميل، ومزخرفة بالجبس حتى السقف. وكانت منسوجات الحرير الفرنسية، وأقمشة الصوف الألمانية، وأثواب القطن الإنجليزية، منسقة فيها أحسن تنسيق.

«وبعد تناول العشاء بمنزل السيد محمد برادة تفضل بإدخالنا إلى «مصرية» بالطابق الأول حيث نظم لنا فيها سهرة موسيقية. وكان ثلاثة رجال يغنون، بمصاحبة كمنجة وعود وطّر، بينما كانت سبع نسوة يطربن ويرقصن ويغنين»⁶.

ث : المستوطنون

منهم پوز. لامبير P.Lambert أول مستوطن فرنسي بمراكش منذ سنة 1612. وقد أقام بالمغرب عشرين سنة. إذ حل به سنة 1853، وسكن بمراكش 6 سنوات ابتداء من مارس 1864، كما أقام بالجديدة وبآسفي ثم انتقل إلى طنجة سنة 1869 بوصفه كاتباً بالمفوضية.

6 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 44.

كان معينا لقنصل فرنسا بالصويرة وللمفوضية الفرنسية بطنجة وخصوصا أنه كان مستعربا. التمس له قنصل فرنسا أوبي Huet⁷ منزلا لسكناه بمراكش، لكن دون جدوى. غير أن ناظر الأحباس أكراه في النهاية خمس حوانيت. وقد واجهه السكان المسلمون واليهود بالعداء، بل ومنعوه حتى من استخدام ميزان خاص. وقد طلب تعويضا قدره 280 ألف فرنك ذهبي، بسبب أن الولاة رفضوا منحه سكنى انتظرها مدة شهر، وبالطبع أهمل هذا المطلب.

كان تاجرا وعميلا لدار سير. وقامت تجارته على استيراد السكر والمنسوجات القطنية وتصدير اللوز والزيت والقطن وجلود المعز. وكان إلى ذلك وكيلًا لدور تجارية إنجليزية وإسبانية وإيطالية.

كان له إلمام باللهجة المغربية الدارجة يتحدثها بذلاقة، ويرتدي اللباس المغربي وينسجم مع العوائد والتقاليد المحلية. وضع تأليفا عن مراكش وخريطة للمدينة سنة 1867، وإلى جانبها قرية «الحارة» المخصصة للمجذومين. وقد حرر أبحاثا نشرها في المجلات الجغرافية بإنجلترا وفرنسا. وقدمنا من قبل تصنيفه لسكان المدينة من حيث أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية.

في بداية 1867 استحسن القنصل بومسي الخدمات التي أسداها لبلاده، لأنه كان يطلعه على الأحوال بدقة. وتوطدت علاقاته ببعض الأجانب والمغاربة. وقد كلف سنة 1870 بمراقبة نشاط «المغامر» الألماني فيتسشتاين Wetzstein، فاتخذة إيمي داكان لأجل ذلك كاتبًا بالمفوضية. غير أنه لاحظ أن تقاريره كانت مشوبة باختلاقات فعزله عن منصبه.

وكان له شجار مع محمد بن الطيب الحسناوي المحمي الإنجليزي حتى تسابا سبا فادحا. كما أنه عقد صداقة مع بعض الولاة كأحمد بن الطاهر الأزموري عامل مراكش والجديدة. واستدان له بعض الشخصيات مثل مولاي أحمد شقيق السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ومثل أحد الأشراف وكذلك عامل آخر من قواد النواحي⁸، لا شك أنه الأحسن الكركوري الذي كان حوالي 1871 مدينا «من قبل باول الفرنسي بما قدره 25 ألف ريال»⁹ مثلما كان نفس الكركوري مدينا لجورش الإنجليزي.

7 . كذا كتبه جاك كايي، وربما كان صوابه : هوري Huret حسبما سلف ذكره بالجديدة والصويرة.
8 . بيير كتيين : «ألمانيا والمغرب» ص 19 (1)، ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 129 و ج 3 ص 138 (3) و ص 179 (4)، وعبد الحميد بنجلون : «جولات... 1872» ص 87، و جاك كايي : «النواجر المغربية» ص 75 — 78 باختصار.
9 . رسالة السلطان إلى ابنه مولاي الحسن في مئة شعبان 1288 13 نونبر 1871، محفوظة بالصويرة 2.

4 : باقي الدول

المطلب الأول : البرازيل

نصت قائمة سنة 1900 البرازيلية العامة على ثلاثة من المحمين الاستثنائيين، وهم :

1 - 3 : يوسف حروش، ويهودة عزران، وإسحاق بينطور.

كما ورد فيها ثلاثة من السماسرة هم :

1 - 3 : إسماعيل بن مبارك الخلوي السرخيني سمسار شالوم عبادية بالسراغنة، والحاج أحمد بن بوبكر السرخيني سمسار بنفس القبيلة لمناجم أفلالو، وإبراهيم بن شطريس وكان سمساراً بمراكش لمير بن سمانة الصوري.

المطلب الثاني : إيطاليا

لم أقف لهاته الدولة على مراسل قنصلي ولا على اسم مستوطن، وإنما كان بمراكش بعض السماسرة والشركاء لتجار خارج المدينة. ومن هؤلاء :

أ : من القوائم الإيطالية السنوية (1889 - 1894)

1 - 2 : ينطوب الديان كان قبل سنة 1880 محمياً¹ ثم صار سمساراً لدايد السروجي الصوري، ومثله إسحاق بينطور.

3. محمد بن عبد العزيز برادة سمسار فيطوريو لومبروزو القاطن بالصويرة الذي كان طلب سنة 1891 جعله في خدمته² فورد فعلاً اسمه في قائمة سنة 1893.

1 . رسالة سكوفاصو إلى برنكاش في 9 دجنر 1880، محفظة برنكاش.

2 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 22 يونيو 1891، محفظة إيطاليا.

ب : من غيرها

وقبل ذلك سنة 1864 كان آخرون وهم :

4. إسحاق بن شعشوع سمسار شلومو ناهون الطنجي³.

5. محمد النجار سمسار كارلو مورطيو في اشتراء الليطرون من مراكش⁴.

6 — 8 : «بَرَكَ (= مبارك...?)» صاحبنا وفي حميتنا وعبد الهاني (= الهادي ؟) التطواني صهر سيدي أحمد بن ادريس، فإنه صاحبنا وإلينا، وكذلك الدم (= الذمي) كُدَعُون، يشتري لنا نصيب من الحب القطنية⁵، وكانوا في خدمة مورطيو⁶.

المطلب الثالث : إسبانيا

مير عمار كان سنة 1874 مراسلا لقنصلية اسبانيا بمراكش⁷ وكان بذلك هو المحمي الإسباني الوحيد بهاته المدينة.

غير أن إسبانيا رامت في سنة 1884 اتخاذ ترجمانها بطنجة أنيبال رينالدي A. Rinaldy قنصلا بمراكش، والتمست إسكانه بهاته المدينة، إلا أن هذا المطلب رفض⁸. هذا ولم يكن لإسبانيا تجار يقتضون سماسة، ولكن كان ثمة بعض المستوطنين بمراكش. ومنهم :

1. دييغو كراسكو D. Carrasco الذي اتهم سنة 1868 بالتعدي على الناس والترامي على كمنطردة الطرقة (أي التبغ) بمراكش⁹ وقد يكون هو الذي كان يقطر الحشيش واشتكى منه أهل المدينة حتى عزل العامل العربي الهداجي بسببه حسبما تقدم في الفصل الأول.

2. كان شخص آخر اسمه بيبي (يوسف، دون بيان نسبه) قاطنا بملاح مراكش في نفس السنة، وكان مشغولا ببيع الخمر للمسلمين ومروجا للعملة الفاسدة. وقد صدر الأمر باعتقاله ومصادرة ما كان عنده من طوابع. وقبل ذلك كان قد فر إلى الصويرة¹⁰.

3 . رسالة مورطيو إلى أحمد بن الطاهر في 20 غشت 1864 / 16 ربيع الأول 1281، بالمخفظة نفسها.

4 . رسالة مورطيو إلى أحمد بن الطاهر في 13 يوليوز 1864 / 8 صفر 1281، بالمخفظة المذكورة.

5 . رسالتنا مورطيو إلى أحمد بن الطاهر في جمادى الأولى 1281 / أكتوبر 1864، (وفي الرسالة طمس تاريخ اليوم) و 12 ربيع الثاني 1282 / 4 شتنبر 1865، بالمخفظة أيضا.

6 . كان السادس سنة 1864 في خدمة مورطيو والباقيان سنة 1865، وربما كانوا جميعا مجرد خلطاء له.

7 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 304.

8 . ابن زيدان : «الإنحاف» ج 2 ص 337.

9 . «الوثائق» ج 4 ص 376.

10 . نفس المصدر ص 371 و 373.

3. إسباني آخر هو خايمي طوري J. Torre. وقد جاء هذا الرجل الصناعي سنة 1891 إلى مراكش ومنها انتقل إلى فاس والتزم «الفيريكنتي» في برشلونة بما أجابته به الحضرة الشريفة عما طلبه من استخدام فابريكات السكر والقطن والقرطاس الكائنات بمراكش ... بأنه يفعل ذلك وصائره على نفسه في الذهب والإياب، ولا يطالب باستخدام تلك الفيريكات على يده، بل يكون النظر في ذلك للحضرة الشريفة في استخدامها وعدم استخدامها على يده»¹¹.

إلا أن «المخزن لم ير مصلحة في استخدامها الآن» وأنعم السلطان عليه ببغلة بسريحتها، وبألف ريال في مقابل صائره¹². وبعد هاته الصلة بشهور استخبر الطريس عن أمر خايمي فظهر له أنه إنما كان «من جملة الجواسيس وأصحاب الدسائس»¹³.

المطلب الرابع : بلجيكا

من المستوطنين : مورلين رومبيرغ M. Romberg الذي كان مصورا ورساما ومهندسا وسائحا ومقيما بالمغرب ومراكش عدة سنوات. وكان سنة 1887 مرافقا لسفارة البارون ويطنال لدى السلطان¹⁴.

ومنذ ذلك التاريخ أو قبله، كان يسبح في أرجاء المغرب. فقد التمس له أنساب رخصة السياحة بمدن كالرباط وفاس ومكناس والجديدة ومراكش التي جابها، فأكرمت السلطات وفادته سنة 1891، لأنه كان في ضيافة المخزن¹⁵. وكان بصحبته الصحافي الفرنسي غوفار Goffart.

وكانا متكررين بلباس المغاربة المسلمين، وخصوصا لما دخلا إلى ضريح أبي العباس السبتي¹⁶. لكن بعض المسلمين أخرجهما منه. وربما وقعت مشادة بين الأجنبيين وبين أهل الحي أدت إلى إصابة غوفار بجرح على يد شخص يدعى عمر الدمناتي. فاشتكى نائب فرنسا من ذلك وأجيب¹⁷.

11. مسودة رسالة في 28 أكتوبر 1891 / 24 ربيع الأول 1309، ورسالة غريبط إلى الطريس في ميم ربيع الأول 1309 / 3 نونبر 1891، محفظة الطريس 21.

12. رسالة السلطان إلى الطريس في 29 جمادى الأولى 1310 / 19 دجنبر 1892، محفظة الطريس 23.

13. رسالة الطريس إلى السلطان في 16 رجب 1310 / 3 يراير 1893، نفس المحفظة.

14. ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 162.

15. رسالة مخزنية في ميم شوال 1308 / 7 يونيو 1891، محفظة بلجيكا.

16. رسالة أنساب إلى الطريس في 9 يوليوز 1891 / 2 حجة 1308، بالمحفظة المذكورة.

17. نسخة مما أجيب به سؤار في 9 ربيع الثاني 1309 / 12 نونبر 1891، محفظة فرنسا.

أما رومبيرغ فلعل أمتعة ضاعت له، فطالب بتعويض عما خسره في رحلته. وظلت القضية معلقة الحل إلى أن سويت سنة 1893 بإنعام السلطان عليه بخمسمائة ريال¹⁸.

المطلب الخامس : ألمانيا

لم يكن بمراكش سلك قنصلي ولا محميون قنصليون ولكن كان سماسة وردت أسماؤهم في القوائم السنوية الألمانية على وجه أخص، وهم :

- 1 — 2 : روبين سوسنة وكان سنة 1881 سمسارا لبروثير قنصل ألمانيا بالصويرة حتى جرد سنة 1885 من الحماية¹⁹، وميمون بن ليفي بن الفساخي سمساره أيضا (1881 — 1885).
3. الحزان إسرائيل بن أبي خزر سمسار بهرند نوسكة المقيم بالصويرة (1885 — 1895).
- 4 — 5 : موشي عزران سمسار ماركس وشركته بالصويرة (1895 — 1897) ومثله نسيم قورباط (1904).

6. مير بوطبول سمسار هيسنير المقيم بطنجة (1904).
7. أحمد بن الحاج الفاطمي البوعزيزي سمسار كارل فيكه المقيم بالجديدة (1904).
8. اسماعيل بن الحاج بن إسماعيل الحريري²⁰ سمسار للتاجرين براندت وطول (1904).
9. أما سامويل قرقوز فقد كان سنة 1890 وكيلًا لدار تجارية من مدينة ليسيك يمثلها هيرشة وريختر²¹. ولم يرد له ذكر في القوائم الألمانية.
- ومن جهة أخرى كان لدار وولر (?) Waller (?) المستوطنة مدينة برلين معاملات مع بعض المغاربة المسلمين بمراكش مثل آل بنيس وآل عمور وآل الشرايبي بحيث تخلدت بدمتهم سنة 1890 بعض الديون²².

أما المستوطنون فلا حديث عنهم سوى أن أرثور منسل A. Menzel المولود بألمانيا سنة 1867 سكن هنا بضعة شهور من سنة 1901، وكان المطلوب منه أن يكون عينًا لحكومته، إلا أنه في

18. رسالة في 21 رمضان 1308/30 يونيو 1891، ورسالة السلطان إلى الطريس في 2 حجة 1310/17 يونيو 1893، محفظة الطريس 24.

19. رسالة قبيلير إلى بركاش في 31 مارس 1885، محفظة المغرب ألمانيا.

20. يظهر أن إثبات هذا السمسار هنا سبق قلم من كتاب القوائم، لأن أصله من الدار البيضاء.

21. رسالة لسفير ألمانيا في 23 ربيع الثاني 1308/6 دجنبر 1890، بالمحفظة الأخيرة.

22. رسائل بمحفظة المغرب ألمانيا سنة 1890.

مارس 1902 طرده السلطان عبد العزيز من المدينة لشراسة طبعه حسبها قيل²³

أما الدول الباقية فلم أقف على شيء عنها سوى الولايات المتحدة حيث روت المصادر المغربية أن أمريكيا اسمه دزمونط Desmond كان يعيش بمراكش سنة 1891 بوصفه ممثلا لشركة كين سطرلينج وكوتس المتأصلة من مدينة فيلاديلفيا²⁴

23. بيمر كمين : «ألمانيا والمغرب» ص 487 (2) و 625.

24. رسالة ماثيوز إلى الطريس في 10 رجب 1308 / 19 يراير 1891، محفظة الولايات المتحدة.

الباب الثاني عشر

فاس

1 : الولاية والسكان والعمران

أ : الولاية

1. لما بويغ مولاي عبد الرحمان أسند قبل سنة 1238 / 1823 فاس الجديد إلى بوجمعة بن سالم الذي كان قبل ذلك وصيفه وبوابه على الدار الكبرى، ولكنه عزله عن الولاية بعد مدة يسيرة.

2. فولى على المدينة ابن عمه محمد بن الطيب بن محمد بن عبد الله. وبعد مدة أخرى عينه عاملا على بلاد تامسنا ودكالة، فلبث هناك إلى أن نقله إلى الولاية بالمغرب الشرقي¹ ثم طالب بالملك لنفسه.

3. الطيب الوديني البخاري كان سنة 1830 من عمال فاس². وكان السلطان قبل ذلك استعمله قائدا على بني زروال سنة 1241 / 1824 وكذلك على تارودانت³.

1 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 7، ومحمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 2 ص 3، وابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 227.

2 . أكنسوس : «الجيش...» ج 2 ص 17، والناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 33.

3 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 22 و 225 و 228،

كان سيء التصرف، فعزل «لسيئة اجترحها، وفتنة اقتدحها. قيل إنه عبث بنسوة بعض الأعيان، وأطاع فيهن داعي العصيان. فاستجار أزواجهن بمن له كلمة مسموعة، وأُسرة مجموعة، من الشرفاء الطاهرين أهل العدو، وأثاروا ما لهم من نجدة ونخوة، فخرجوا عن طاعته، وتمثلوا على الفتك به، وأعلنوا بعد صلاة الجمعة بحرم مولانا إدريس، نور الله مضجعه، بلعن القائد وسبه...»

وقد «خشي السلطان مولانا عبد الرحمن أن يتسع الخرق بسببه، فأطفأ النار بحبسه، وسد ثلثة الهيعة برأسه، وحمل إلى سجن المدينة، بهيئة مهينة، وولى على فاس القائد الأحمر...»⁴.

وليس يدري متى أُخرج من السجن. وعلى كل حال لما ثار أهل الرباط على الحاج محمد السويسي في بداية عام 1261/ 1845 بعث إليهم السلطان الوديني «يتولى عليهم، ويقبض على أهل الفساد منهم. فأفحشوا عليه، وطرده من البلد مع العشي»⁵.

4. بعد سجن الوديني، عين على أهل فاس القائد الأحمر «فأذاقهم البلاء الأكبر، والوبال الأمر، ونفى بعض أولئك الشرفاء إلى مرسى الصويرة، جزاء فعلتهم الخطيرة...»⁶.

وتطابقت هاته الواقعة الصادرة عن جيش الأوداية مع استيلاء فرنسا على القطر الجزائري عام 1246/ 1830. ويفهم من السياق أن السلطان استعمل القائد الأحمر⁷ في منتصف 1247/ 1831، من أجل القضاء على بؤرة الفتن. فقتل هذا العامل شخصيات عديدة من رؤساء الأوداية ومن أهل فاس، وسُجن آخرون من نفس المدينة⁸.

5. في سنة 1843 كان فَرَجِي البخاري عاملاً⁹ بإحدى مقاطعات فاس.

6. وكان محمد بن الطيب البيّاز الأنصاري الفاسي عاملاً. لكن علينا أن نتحدث عنه. كان من مبايعي إبراهيم بن يزيد سنة 1821. وكان ضالعا في مغامرات الأوداية. ولأجل ذلك بقي سجينا بالشعر الصويري حتى أفرج عنه السلطان، الذي بدا له أنه كان بريئا، فعينه أمينا بمرسى

4. ابن زبدان : «الإتحاف» ج 4 ص 249 نقلا عن «فواصل الجمان». وفي «الموسوعة المغربية...» ج 2 ص 144 أن تأليفا وضع عن مثالب الوديني المتولى أواخر العشرة الخامسة من القرن الثالث عشر.

5. أحمد الناصري : «الاستقصاء» ج 9 ص 55.

6. ابن زبدان : «الإتحاف» ج 4 ص 249.

7. لا نعلم هوية القائد الأحمر. فهل هو الأحمر العروي المؤلّى على فاس سنة 1247/ 1831 (كما في «الإتحاف» ج 5 ص 31) ؟ أم هو محمد بن سالم الأحمر قائد قبيلة بني مالك بن رباح المقتول أمام دوائر الحاج عبد القادر الجزائري بقصبة سلوان سنة 1260/ 1844 («الإتحاف» ج 5 ص 61) ؟

8. ابن زبدان : «الإتحاف» ج 5 ص 32.

9. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 403 و 405.

طنجة ثم عاملا على فاس، وكان «صاحب مروءة وجد في الأمور»¹⁰.
 وكان البياز أحد مفاوضي الكولونيل ده لارو de la Rüe سنة 1836.
 أما تاريخ استعماله على فاس فتضطرب فيه المصادر. فقد يكون قد ولي مرتين واعتقل مرتين. كان سنة 1254/ 1838 واليا على المدينة¹¹ وظل إلى حين اعتقاله سنة 1844 بأمر سلطاني في رواية أولى¹²، بينما جاء في رواية أخرى أن البياز أُخّر سنة 1264/ 1848 عن ولاية فاس «لا لرية ونقيصة، وإنما لأنه طعن في السن، وضعف عن مباشرة الأحكام»¹³.
 7. علال الشامي ولي بعده مباشرة¹⁴، هذا الرجل الذي تقلب في وظائف أخرى بهاته المدينة التي كان أمينا بها وناظرا للأحباس. ويلوح أنه إنما كان عاملا مؤقتا، ريثما يعين :
 8. محمد بن الطالب الهتيفي الذي ولي قبل سنة 1851 على هاته الحاضرة. وذكر العباس ابن ابراهيم في ترجمة التاودي السقاط أن هذا الأخير صار سنة 1260/ 1844 كاتباً مع هذا العامل أي بعد سنوات من اعتقال البياز¹⁵.
 واستمر ابن الطالب إلى ما بعد سنة 1276/ 1859 عاملا على المدينة، أو لربما على بعض أحوازها¹⁶. وقبل ذلك كان قائدا على قبيلته السوسية وعلى غيرها، وذكر عنه مؤلف «فواصل الجمان» أنه «خرج عن الطاعة، بقبيلة نتيقة، وتمنع واعصوب، وقتل وغصب»¹⁷.
 9. إدريس بن عبد الرحمان السراج كان أول أمره خليفة للعامل السابق ذكره. ثم صار عاملاً على فاس البالي. ويظهر أنه تولى العمالة بعده سنة 1863 أو قبلها بقليل¹⁸، ولبت في هاته الوظيفة إلى سنة 1874، أي بعد هدوء «عَيطة» محمد بن المدني بنيس. ولما حدثت تلك الهيعة عزل سنة 1874 ووجه مُعَرَّباً ومكبلاً إلى مراکش صحبة ولده الذي ربما كان له ضلع في تلك الحوادث¹⁹.

-
10. المرجع الأخير ج 5 ص 160 — 171 — 228، والناصري : «الاستقصا» ج 8 ص 154 و ج 9 ص 11.
 11. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 314 و 376 و 422.
 12. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 6 ص 329.
 13. محمد أكنسوس : «الجيش...» ج 2 ص 31.
 14. نفس المرجع والصفحة.
 15. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 6 ص 328.
 16. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 416.
 17. محمد غريبط : «فواصل الجمان» ص 210.
 18. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 8 ص 539، ورسالة السلطان إلى الحاج محمد بنيس في 5 محرم 1280/ 22 يونيو 1863، في ص 104 من «اختصار الأخبار...» لمحمد بن قاسم الأنصاري.
 19. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 571 و ج 2 ص 111. وولده المذكور قد يكون هو المفضل الذي كان سنة 1316 محتسبا لمدينة فاس.

غير أن السلطان كان بهما رحيمًا، فقال عنهما لخليفته بمراكش : «واجعل لهما مؤونة يومية، واستوص بهما خيرا. وكن تصرفهما فيما يناسب من وجوه النفع ... وادفع للطالب إدريس السراج مفتاح ربيعة سيدي أبي العباس»²⁰.

10. ولما أعفي السراج أسندت العمالة مدة قليلة إلى الجيلالي بن حمو المنجم البخاري الذي سبق أن تقلب في وظائف سامية في قيادة المشور والولاية على تافيلالت وعلى قبائل زرهون وعلى مدينة مراكش إلى أن انتقل إلى طنجة وتوفي بها²¹. وبفاس نفذ له السلطان بلاد المخزن المعروفة ببلد بنيس الكائنة خارج باب عجيسة لينتفع بخرثها كل سنة²².

11. الحاج عبد الله بن أحمد بن مبارك البخاري عين عاملا على فاس سنة 1876 أو قبلها²³. وكان من قبل علافا كبيرا (وزيرا للحرب). وفي سنة 1887 أدركته الوفاة²⁴.

12. واستُعمل أبو الشتاء بن محمد ابن البغدادي الجامعي على فاس البالي بعد وفاة سلفه. ومر بنا في آزمور أنه كان سنة 1880 عاملا عليها، وقد انتقل بعد ذلك إلى العمالة بالمغرب الشرقي، مرتين حسبما يظهر. كان أبو الشتاء أحد القواد الحربيين، وكان مرموقا عند السلطان الذي عينه سفيراً إلى إيطاليا سنة 1885، وكان من أحسن الولاة كفاءة وخبرة.

ويقال إنه كان صديقا للكونط طاطنباخ وذا عواطف وميول إلى ألمانيا²⁵. وبعكس ذلك كان مع سفير إنجلترا إيوان سميث حسبما سيأتي بيانه، وكذلك مع فرنسي الجزائر، فكان معهم صلب المراس بحيث طالبوا السلطان بعزله عن ولاية المغرب الشرقي²⁶.

وفي بداية سنة 1887 استقدم من وجدة لتولي عمالة فاس. وسنعرف السر في بعض خلافاته مع السلطات الفرنسية من رسالة السلطان إلى الطريس، ولا سيما في قضايا الحماية.

قال العاهل إنه عينه «على فاس لنجدته وذكائه، وحزمه ودهائه، وكونه ممن حنكتهم التجارب، وعرفوا الأمور وعرفتهم، ومن الراسخين في خدمتنا الشريفة، العارفين بأدابها. وعهدنا إليه أن يحسن السيرة مع الرعية، ويستوصي خيرا بها وبالمحتمين، ويعاملهم بالجميل، ويقف معهم على مقتضى الشروط والقوانين الذي بيناه له.

20. عبد الوهاب بن منصور : «الوثائق» ج 3 ص 330.

21. «الوثائق» ج 3 ص 90 (1).

22. ظهير في 24 رمضان 1291 / 4 نونبر 1874، محفظة الجيلالي بن حمو.

23. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 36، ورسالة السلطان إليه في 14 جمادى الثانية 1293 / 7 يوليوز 1876.

24. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 جمادى الأولى 1304 / 28 يناير 1887، محفظة الطريس 9.

25. بير كين : «ألمانيا والمغرب...» ص 208 (4).

26. المرجع نفسه.

«فنأمرك أن تعلم النواب بذلك، وتكلمهم بأن يأمرؤا أهل حمايتهم بفاس بأن يعاملوه بمقتضى تلك السيرة المحمودة والعهدة المألوفة المشكورة من الجد والمفيد... وأن يقفوا عند حدهم، ويتركوا ما هم عليه من التلصص والتعصب والتغاضي والترامي على الناس والامتناع من إعطاء الحقوق الواجبة عليهم، وأن لا يحموا غيرهم من أرباب الحرف كالجزارة والرحوية ونحوهم من رعايا الناس، ويتركوا التعرض عليهم، ومنعهم من الحقوق اللازمة لهم، لكون المحمي لا يحمي غيره، كما يتركون ارتكاب الأمور الشنيعة التي تنفرها الطبائع، وتأبأها الشرائع...»

«كما نأمرك أن تنبه بأشدور الفرنضيص على الخرق الواقع بفاس من قبائل الترك وأهل تلمسان : فقد صار القدماء السكني منهم من عهد الدول السالفة يدعون أنهم من الإيالة الجزائرية ويمتنعون من الدخول تحت أعراف البلد وأحكام ولايتها، بسبب مكث الجبل منهم بالإيالة المذكورة الخمسة أشهر والسته والإتيان بالثطُرُزسيون لفاس والاستقرار بها والامتناع من الدخول تحت حكم شريعتها وأعرافها والتجاسر على ولايتها والترامي على الناس بالباطل...»²⁷.

وظل واليا إلى سنة 1893 حين توفي²⁸.

13. وسمي علي بن الجيلالي بن بنعيسى الراشدي اليوسفي عاملا على المدينة بعد وفاة ابن البغدادي²⁹. وكان قبل ذلك قائدا لتارودانت. ولئن اشتهر بالحزم والنزاهة وحسن التدبير³⁰، فلقد نعته مولاي عمر بالتراخي وبالإهمال وتدخل ولديه في أمور المخزن وبالرشوة³¹.

ولعل هذا هو ما حمل العاهل على إسناد ولاية العرائش إليه في أواخر عهده. فلما مات مولاي الحسن وآلت الوصاية إلى أحمد بن موسى نكبه كما نكب الجامعيين وغيرهم، فصادر أمواله، وسجن أفراد أسرته، واستقدمه من العرائش للبطش به. لكنه كان وقته طريح الفراش فمات في الطريق إليه ودفن بالرباط³² في بداية سنة 1895.

14. وقد خلفه قائد المشور إدريس بن العلام³³.

هذا عن ولاية المدينة. أما عمال الملاح والاحواز فكان منهم الحاج سعيد بن فرجي البخاري الذي كان قبل سنة 1880 عاملا على فاس الجديد وعلى الملاح. لكنه عزل من منصبه وعوض بالعربي ولد أبًا محمد الشرقي.

27. رسالته إلى الطريس في 3 جمادى الأولى 1304 / 28 يناير 1887.

28. عبد الوهاب بن منصور : «أعلام...» ج 2 ص 193، ورسالة أحمد بن الحاج محمد الحلو إلى الطريس في 23 رمضان 1310 / 10 أبريل 1893، محفظة الطريس 24.

29. ظهير في 19 رمضان 1310 / 6 أبريل 1893، محفظة فاس 4.

30. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 222 (1).

31. رسالته إلى أبيه في 4 شوال 1311 / 10 أبريل 1894، محفظة فاس 4.

32. ابن زيدان : «العز والصولة...» ج 2 ص 222 (1).

33. رسالة غريبط إلى الطريس في 26 محرم 1312 / 30 يوليوز 1894.

وفي سنة 1902 كان عبد الرحمان بن عبد الصادق من عمال فاس³⁴.

وأشير في الختام إلى أن محمد بن عبد الكريم الشركي كان عاملاً على أحواز فاس في عهود سابقة، وإلى أن المدينة كانت منقسمة إلى مقاطعات إدارية مثل فاس البالي وفاس الجديد والملاح وغيرها كما سياتي في المطلب الموالي، وأن المؤرخين قلما يبينون اسم المقاطعة المولى عليها العامل.

ب : السكان والعمران

تضاربت التقديرات في إحصاء عدد السكان. فهم في سنة 1866 مائة ألف نسمة، وهم قبل سنة 1857 يتراوحون بين 40 و 88 ألفاً³⁵. وبينما كان عددهم سنة 1900 هو 95 ألفاً³⁶ إذا بهم يبلغون سنة 1905 في فاس البالي وحده نحواً من 75 ألفاً³⁷.

غير أن له طورنو الذي وضع تصانيف عن فاس اعترف بهاته الأرقام المتعارضة : فمن قائل إنهم كانوا في نهاية القرن الماضي 75 ألفاً حسباً مر بنا، ومن آخر يزعم أنهم بلغوا 150 ألفاً، فالصعوبة مصدرها انعدام الإحصاء. كانت المدينة منقسمة إلى عدة أجزاء يسكنها نحو من 104.700 نسمة في مطلع القرن العشرين ها هو تفصيلهم (دون قصبة فيلالة) :

— المدينة (أو فاس البالي) 81.000

— فاس الجديد 15.700

— الملاح 8.000

ويضاف إلى ذلك نحو من 20 ألفاً، فيصير مجموع المغاربة نحواً من 125 ألف نسمة، فنقترب إذن من الأرقام السابقة ذكراً.

أما الأجانب فقد كانت عدتهم 6 أشخاص سنة 1889، وأزيد من 20 سنة 1903، وسيصيرون سنة 1909 قرابة 64 شخصاً. كانت فاس الجديد والمدينة عبارة عن عالمين³⁸ ولم تكن الحاضرة منقسمة إلى المقاطعات الثلاث المشار إليها أعلاه، إذ ينبغي أن تضاف إليها قصبة فيلالة³⁹ التي يبدو أنها كانت تضم العشرين ألفاً المذكورين سابقاً.

34. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 270.

35. ميسج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 24.

36. كنيث براون : «أهل سلا» ص 48، وأوجين أوبان «مغرب اليوم» ص 268.

37. هنري كايار : «فاس، مدينة إسلامية» ص 108.

38. روجي له طورنو : «الحياة اليومية بفاس سنة 1900» ص 18 و 19 و 186.

39. كانت تسمى أيضاً قصبة النوار حسباً جاء عند محمد المنوني في مجلة «دار النيابة» العدد الثامن ص 22.

وإلى هذا وذاك كان لقصبة فيلالة نظامها الخاص، فكانت عالماً آخر : فلم يكن يقبل فيها إلا الفيلاليون الأصلاء الذين كانوا، لتصرف شؤونهم، يختارون كل سنة جماعة تتألف من 12 فرداً. وكانت لها أموالها ومواردها التي لا مدخل للدولة فيها⁴⁰.

ونجد شيئاً من التنظيم المحلي دخل على المدينة. فحوالي سنة 1870 كانت حومة الخففة قد أسست خلية صغيرة قوامها 86 داراً، تنتمي إلى 5 بيوتات فاسية. وكانت لها شرطتها الخاصة التي ترصد المدخل الوحيد كيلا يتسرب إليها البرانيون. فقد كان يخشى أن يُنزلوا بهذا الحي المنعزل أسوأ الضربات. وفي العهد العزيزي فقط عين لهاته الحومة رئيس يعززه عشرة من الشرطين⁴¹.

مثل هاته الحرية في التصرف الإداري لوحظت بملاح فاس. فكانت لليهود في صدر القرن العشرين «خونطتهم» المتألفة من 7 أشخاص : أربعة منهم حزانون والثلاثة الباقون علمانيون، وكانوا جميعاً منتخبين، ولهم شيخ يتولى حفظ الأمن. وكان الملاح بأسره إلى نظر عامل فاس الجديد⁴². وكان في وقت ما يحكمه عامل خاص به.

وطبعاً لم يكن بفاس سلك قنصلي حتى أواخر العهد الحسني. ولكن كان بالمدينة بعض المستوطنين من الأجانب وعدد من المحميين والسماصرة والخلطاء مجموعهم 96 فرداً. فكان عدد المحميين 68 وعدد السماصرة 28 حسبما سيرد في الجدولين المواليين :

40. روجي له طورنو : «الحياة ...» ص 72 و 76.

41. نفس المؤلف ص 52.

42. المرجع السابق ص 74.

ج 1 : المحميون (1863 - 1900)

المدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة	10	17	27
إنجلترا	2	3	5
إسبانيا	8	1	9
فرنسا	5	19	24
البرتغال	—	1	1
بلجيكا	—	1	1
النمسا	—	—	1
المجاميع	25	43	68

ج 2 : السماسرة (1863 - 1900)

المدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	1	1	2
الولايات المتحدة	4	1	5
إنجلترا	5	2	7
إسبانيا	—	1	1
فرنسا	7	4	11
إيطاليا	—	1	1
البرتغال	1	—	1
المجاميع	18	10	28

2 : الولايات المتحدة

أ : السلك القنصلي

لم يأذن المخزن لأية دولة بجعل وكيل قنصلي بالمدن الداخلية، ولكنه في أواخر العهد الحسيني غرض الطرف عن اتخاذ مراسلين للقنصليات المستقرة بالمدن الشاطئية. وهكذا فإن :

1. يوسف بن الأزرع كان قبل سنة 1886 مراسلا قنصليا حتى عزل سنة 1888 عن هاته الوظيفة¹ غير أنه أعيد إليها بعد ذلك.
2. والحاج أحمد بن الحاج محمد المراكشي الفاسي تولى بعده² لكن لمدة قصيرة.
3. وفي سنة 1892 جرت محاولة أمريكية وبرتغالية لتعيين الإسباني فليبي ريشو R. Rizzo. فلم يرتض المخزن الذي لم يساعد قبل على قبول قنصل لإنجلترا بهاته المدينة³.

ب : المحميون

كان أكثر المحميين من اليهود وتُستخلص أسماءهم وأسماء السماسرة من جملة من الوثائق.

ب 1 : من القائمة العامة للمحميين اليهود⁴

- 1 — 7 : شلومو الصراف وموشي بن عمور ومسعود بنسيمحون وأخواه شمويل ويهودة وأسير الليبي وإبراهيم بن شيمول (صهر من كان يدعى هليل).

1 . رسالته إلى الطريس في 22 شوال 1303 / 24 يوليوز 1886، محفظة الطريس 8 ثم رسالة بوشتي بن البغدادي إلى الطريس في 12 محرم 1306 / 18 شتنبر 1888، محفظة الطريس 14.

2 . رسالة عبد السلام المقرئ إلى السلطان في 7 محرم 1306 / 13 شتنبر 1888، محفظة الحماية القنصلية.

3 . رسالة ماثيوز إلى غريبط في 13 جمادى الأولى 1310 / 3 دجنبر 1892، وجوابا المخزن إليه في 19 رجب 1310 / 5 يراير 1893، وإلى سفير فرنسا في فاتح شعبان 1310 / 18 يراير 1893.

4 . القائمة المذكورة عبارة عن رسالة للعربي ولد آبا محمد الشرقي في 10 ربيع الأول 1297 / 22 مارس 1880 بمحظة الحماية القنصلية، وتحتوي على أسماء 29 شخصا كلهم يهود، منهم 16 محميون لفرنسا و 8 محميون للولايات المتحدة ومحمي واحد لكل من إنجلترا والبرتغال والتمسا وبلجيكا وإسبانيا.

8. يوسف بن الأزرع⁵ الذي كان مراسلا. غير أنه كان يتنقل بين الحمایات. ففي سنة 1889 أصبح سمسارا لمحمي إنجليزي⁶ ثم لمحمي إيطالي⁷.

ب 2 : من القائمة 69 / 8 الأمريكية الغفل⁸

9 — 10 : ميمون بن سوسان ومردوخي الصراف.

11. محمد القندوسي الفاسي الذي كان محميا منذ سنة 1880 وقيل عنه إن «ولد القندوسي الفاسي صار يحرث العذير السلطاني ويحرض إخوانه على الطيش والعصيان»، فأمر السلطان نائبه برکاش بإعلام ممثل أمريكا بذلك ليزدجر⁹ : كل الأشخاص السابقين في الذكر كانوا محميين استثنائيين لا علاقة لهم بالعمل بالقنصلية باستثناء الثامن منهم.

ب 3 : من غير ذلك

12 — 25 : إبراهيم مورسيانو وشلومو مورسيانو والياهو الحياي ويوشع بن خليفة وموشي بن خليفة ومسعود بوطبول والياهو الدرعي ومحمد بن محمد الفئاسي وعبد المالك بن عبد الواحد الجباري والمكي بن أحمد الحناي وأحمد بن ادريس التازي وعبد الرحمان بن أحمد الحسبات والمفضل بن عبد الغني القباچ ومحمد بن محمد البلغشي الفيلاي وكانوا جميعا محميين للتاجر ورث Würth . وكان قائد فاس قد ألقى القبض على المحمي الأخير منهم سنة 1898 وهدد بالحبس المحميين الذين قبله. ونصت رسالة القنصل العام الأمريكي على أنهم جميعا «كانوا خدامين متاع التاجر ورث بفاس تحت حمية الدولة المركان»¹⁰. ويظهر أن هؤلاء ليسوا محميين بالمعنى المعروف وإنما كانوا خلطاء، لجواز اتخاذ هذا العدد الكثير من الشركاء.

26. الحاج أحمد بن الحاج محمد المراكشي الفاسي الذي تقدم أنه كان نائبا. كان للحاج أحمد ارتباطات بتجار أمريكيين، لكنه حيث كان محميا ونائبا فقد طلب منه سنة 1889 القدوم إلى طنجة، فامتنع وتعلل بمرض وقال : «أنا لست حمية الأركان، أنا رعية السلطان». لكن بعد أيام و«بعد تبرئه من الحماية المراكنية جاء نصراني مركاني إلى فاس وطلب إحضاره إلى طنجة

5 . ورد هو والمحميان الأول والثاني في القائمتين الأمريكيتين 59/ 69 و 60/ 69 أيضا.

6 . قائمة سماسة التجار الإنجليز سنة 1889.

7 . القوائم السنوية الإيطالية.

8 . وهي بتوقيع مانيوز وفيها 6 من المحميين منهم 1 — 2 — 8.

9 . رسالة حميدة بن المكي المختاري إلى السلطان ورسالة العاهل إلى برکاش في 20 شعبان 1297 / 28 يوليوز 1880، محفظة برکاش.

10. رسالة ثوميري إلى الطريس في 31 غشت 1898 / 13 ربيع الأول 1316، رقم 63/ 69 بتطوان.

لفصال دعواه عليه، وطبع على دار سلعته بالديوان من حومة فاس، وهدد أهله بحيث قالت إحدى القوابل : إن زوجته ومستولدتيه قد أسقطن أحماهن هلعاً¹¹.

ولعل هذا كان سبباً في تأخيره عن النيابة وإسنادها إلى يوسف بن الأزعر من جديد.
27. عبد السلام بن محمد الحلو كان محمياً¹².

ت : السماسرة والمستوطنون

لم يرد شيء عن المستوطنين، لكن كان ثمة بعض السماسرة

ت 1 : من القائمة 59/ 69

1 - 2 : أحمد (أو محمد) القندوسي والحاج محمد بن أحمد شلال كانا سمسارين لأيون بيرديكاريس، وكانت بين شلال والقبطان ش ج روليسون Ch. J. Rolleston ترجمان المفوضية البريطانية بطنجة خلافت، إذ اتهمه الضابط المذكور بأنه «افترى عليه وفضحه كتابة زورا ويطلب أن يدعي عليه»¹³.

وكان شلال سنة 1886 سمساراً للتاجر الأمريكي صورنان¹⁴.

وقد تلبس شلال بالحماية البرتغالية فذكر نائب البرتغال بطنجة أنه كان سمساراً لأخيه منويل جيسوس كولاصو منذ يناير 1887¹⁵.

وكانت لشلال أيضاً دعاوى أخرى مع بيرديكاريس الذي سجنه سنة 1886 «مدة يومين بداره بالمعادي بطنجة بعد أن كان رجلاً رومياً قد استدريجه من فاس إلى طنجة لكي يشهد شهادة الكذب في فليكس ماطيوس»¹⁶ ولكنه امتنع. كانت دعاوي شلال مع غرمائه كثيرة، ويظهر منها أنه كان قد أفلس. وجاء أن «ورثة المرحوم شلال قالوا : لم يبق من تركته سوى 800 ريال مع سدس داره، وهذا الأخير حازه الأمين الحاج عبد السلام المقرئ»¹⁷.

11. رسالة المراكشي إلى ابن البغدادي في 12 جمادى الثانية 1306 / 13 يراير 1889، ورسالة السلطان إلى الطريس في 25 جمادى الثانية / 26 يراير، محفظة الطريس 15.

12. تقدم ذكر واقعه في الصفحة 493 وما بعدها من هذا الكتاب.

13. رسالة وابط إلى الغسال في 20 يونيو 1887 / 28 رمضان 1304، محفظة بريطانيا.

14. قائمة 9 جمادى الثانية 1303 / 15 مارس 1886.

15. رسالة كولاصو إلى الطريس في فاتح أكتوبر 1887، محفظة البرتغال.

16. من شهادة شلال أمام عدلين في 7 حجة 1303 / 6 شتير 1886، محفظة الطريس 8.

17. وثيقة بمحفظة الطريس 66، بدون تاريخ.

ت 2 : من غيرها

3 - 4 : الحاج علال وأبوه الحاج عبد الغني بن الحاج محمد عمور كانا سنة 1888 وكيلىن عن عبد السلام عمور المحمي رقم 27 أعلاه وهو عم الأول وشقيق الثاني¹⁸.

5. شلومو الصراف وكانت القنصلية العامة قد طلبت سنة 1887 اتخاذه سمسارا للتاجرين كوتس وكين سطرلينج، فلم يقبل المخزن هذا الطلب لأنه «رجل من أهل الخوض في هذه الإيالة، مشغول بمعاملة أهل القبائل والجبال بالرعى الفادحة، ويده قدر وافر من الرسوم المشهودة من غير استقامة... وعليه فلا يمكننا قبول حمايته بوجه من الوجوه...»¹⁹.

وتقدم ذكر هذا السمسار مع المحمين تحت رقم 1.

18. رسالة ليويس إلى ابن البغدادي في 9 يراير 1888 / 26 جمادى الأولى 1305، محفظة أمريكا.

19. رسالة ليويس إلى المخزن في 15 يوليوز 1887، وجواب المخزن عنها في 27 شوال 1304 / 19 يوليوز 1887، وهناك رسائل أخرى عنه بالعربية والإنجليزية بمحفظة الولايات المتحدة.

3 : إنجلترا

أ : السلك القنصلي

لم يكن لهاته الدولة من ممثل قنصلي إلا بعد سنة 1896 حينما رفع الحظر على ماكليوود.

ب : المحميون

- 1 . يعقوب بن زيمرة ورد ذكره في قائمة اليهود المحمين سنة 1880.
- 2 . أحمد القصري كان سنة 1893 من المحمين¹، وذلك بمقتضى معاهدة مدريد. وكان لا يزال كذلك سنة 1911. ومثله في ذلك :
- 3 . المكي ابن زاكور وهو من المحمين سنة 1894. وجاء في المصادر أنه أكرى لماكليوود عرصة «وكانت له رحي يستخدم بها غيره. ثم إن الرحوي معتمرها سرق لبعض الناس من دقيقه جلّه إعلانا. فاستدعيته لدي فادبته ... فإذا بابن زاكور دخل عليّ فضا (= فظا) متكلما بكلام فاحش ... طالبا تخلية سبيل الرحوي... مدعيا أنه يخالط له. فأجبتّه بأن لا تخالطة عندنا في الجِرَف أصلا، وإنما هي تكون في الحرث والماشية، في البادية خاصة...»².
- 4 — 5 : شمويل القنقي وابنه ابراهام وكانا سنة 1893. من المحمين حسبما سيأتي.

ت : السماسرة

- ت 1 : من تقييد ابن زيدان وقائمة سماسرة التجار الإنجليز
- 1 . عبد الكريم بن عبد الغني سمسار لويس فورد الإبن القاطن بالعرائش.
- ت 2 : من قائمة السماسرة سنة 1889
- 2 : يوسف بن الأززع سمسار ابراهام يعقوب لاريدو، وكان قَبْلُ محميا أمريكيا.

1 . رسالة علي الراشدي إلى السلطان في 27 جمادى الأولى 1311 / 6 دجنبر 1893، محفظة فاس 2.
2 . رسالة محمد الشامي إلى السلطان في 13 رمضان 1311 / 20 مارس 1894، أيضا.

ت 3 : من غيرهما

3. إسحاق بن يعقوب السرفاطي كان سنة 1886 سمسارا لإبراهيم لايدو أيضا³.
4. الحاج عبد الرحمان القصري الذي استوطن الجديدة ثم انتقل إلى فاس سنة 1890. وكان نائبا عن هرمان سمسون وليبوك⁴. وكانت له معاملة مع تاجر نمساوي.
5. محمد جسوس كان سنة 1889 سمسارا لتاجر إنجليزي كودينغتون Coddington⁵.
- 6 — 7 : محمد بن الحاج محمد مزور كان سمسارا لشركة كارفر سنة 1890، بعد وفاة الحاج المكي بن عبد الله الذي كان تاجرا بنجل طارق وبلندن⁶.

ث : المستوطنون

لن نتحدث هنا إلا عن ماكليود. أما بقية الإنجليز فقد كانوا منصرين بروتيستانتين سيرة الحديث عن بعضهم من خلال هذا المطلب.

1. ماك إيفر ماك ليود J. Mac Iver Mac Leod كان أول أمره تاجرا بطنجة. وكان قبل استيطانه فاس يريد أن يوجه نجيب كسباني ليفتح بها سنة 1889 دارا تجارية⁷.

ومنذ أواخر السنة المذكورة كان يتردد على فاس حيث كان يقيم بالمدينة شهرا ويغيب شهرا ثم يعود إليها⁸. هذا الأيقوسي هو من مدينة غلاسكو. ولما قدم إلى طنجة أسس مع براش Brash ماك ليود سنة 1886 مركزا تجاريا بهاته المدينة⁹ ثم رحل هو إلى فاس ليقطن بها سنة 1890. وبعد مدة يسيرة حاول إيوان سميث جعله نائبا قنصليا بالمدينة، لما زارها في صيف سنة 1892.

ولتحقيق ذلك، رفع العلم فوق الدار التي كان يقيم بها. ولما رحل استودع الراية عند ماكليود فحدثت الأزمة. وذلك أنه «لما ورد بashedور النجليز إلى فاس وضع سنجقا بالمكان

3 . رسالة هي إلى الطريس في 2 ماي 1886 / 28 رجب 1303، محفظة بريطانيا.

4 . رسالة وابط في 22 ماي 1890 / 2 شوال 1307، أيضا.

5 . رسالة تخرين إلى الطريس في 31 يوليوز 1889 / 3 حجة 1306، أيضا.

6 . رسالة تخرين إلى الطريس في 14 أبريل 1890 / 22 شعبان 1307، أيضا. أنظر عن المكي ص 71 — 315 — 508.

7 . رسالة تخرين إلى الطريس في 19 غشت 1889 / 22 حجة 1306، نفس المحفظة.

8 . رسالة بوشتي ابن البغدادي إلى الطريس في 25 حجة 1307 / 12 غشت 1890، محفظة الطريس 18.

9 . ميسج : المغرب وأروبا، ج 4 ص 306 (2).

النازل فيه ثم أنزله يوم 20 قعدة 1309 (= 16 يونيو 1892) ودفعه لتاجر من جنسه اسمه مكلاود بقصد أن ينصبه بمحل سكناه» فوق هيجان واحتجاج بالمدينة. وحاول العامل تسكين الروعة فذهب لدار السفير وجعل عليها الحراسة. فأطلق هذا الأخير «لسانه بأن العامل جعل العسة عليه كأنه مسجون، وصار يتلوى ويتلون ويتنطع راميا العامل بما لم يصدر منه...»¹⁰.

ووصف هذا الاضطراب الذي حدث بالمدينة بأن القنصل المزعوم «ترصد وقت صلاة الجمعة الغير المتصلة الفروط»¹¹، وشيخ أنه سيطلع السنجق في ذلك الوقت. فهال المخزن والناس الأمر، حتى ماج بعضهم في بعض. وما سكتناهم إلا بمشقة، وتأخرت الصلاة عن موعدها...»¹².

كان سميث يرى أن معاهدة 9 دجنبر 1856 تبيح لبلاده تعيين قنصل، وكان المخزن يذهب إلى عكس ذلك. وأول الطرفان نصوص الاتفاقية حسب اجتهادهما. ومرد هذا الخلاف إلى سوء تحرير المعاهدة. فالنص العربي يذكر في فصله الثالث عبارة «الرعايا المستقرين بالمراسي» ثلاث مرات، بينما تنص النسخة الإنجليزية على عبارة in the dominions أي بإيالة السلطان¹³.

وسرى ذلك من فهم المخزن للفصلين الثالث والرابع. قال الطريس لسميث : «إن تعيين القنصل يكون في المحال التي بها التجارة في وقت السكينة ... لا في وقت التشويش». ثم أخبره بأنه «تواتر بالمدينة ما يصدر منكم كالحماية بغير قانون، وما شاع على لسان أصحابك من الكلام المنافي للمحبة»، وأن تعليق السنجق «إن كان المراد به إيقاد نار الفتنة، فإن المخزن لا يأذن في تعليقه ويفعل ما يتعين عليه من حيازته من يد من يريد تعليقه. على أن الذي يفهم من الشرط الرابع المذكور أن السنجق والفسيئة إنما يكونان بالمراسي لا بالمدن الداخلية»¹⁴.

ومهما يكن، فقد استمر ماكليود مقيما بفاس ولو لم يعترف به رسميا وكيلا لبلاده. غير أن العامل الراشدي بدر منه ما يزكي وجوده قنصلا إنجليزيا. ولا ندري هل صدر ذلك عن غفلة منه أم كان تساهلا فرض عليه من الدوائر المخزنية العليا : إذ في شتنبر 1893 بدأ يرفع إليه دعاوي التجار «ليفاصلها على يده، ولم يدر ما في ذلك من إثبات تَقْنُصُوات التي لا زال المخزن لم يقبلها ولم يسلمها لدولته». لذلك أمره العاهل بالكف عن ذلك، وبعرض الأمور الهينة على ابنه، والأمور المشككة على الطريس¹⁵. ولم يغفل المخزن مطلقا عن ماكليود ونشاطه التجاري والقنصلي وعلاقته

10. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 قعدة 1309 / 18 يونيو 1892، محفظة الطريس 22.

11. أي الجمعة فاتح يوليوز 1892 / 5 ذي الحجة 1309.

12. رسالة السلطان إلى الطريس في منتصف ذي الحجة 1309 / 11 يوليوز 1892، محفظة الطريس 22.

13. ينظر في ذلك «الوثائق» ج 2 ص 158 — 159 — 176.

14. رسالة الطريس إلى سميث في 15 حجة 1309 / 11 يوليوز 1892، محفظة بريطانيا.

15. رسالة السلطان إلى الراشدي في 9 ربيع الثاني 1311 / 20 أكتوبر 1893، نفس المحفظة.

بأهنيات التنصيرية البروتستانتية. ثم جاءت رسالة تقرير إلى الراشدي من أجل إهماله شؤون عمالته، وخصوصاً تجسس هذا التاجر على الأخبار والتقاطها¹⁶.

فرد عليها بأنه «ورد علينا كتاب شريف بالبحث عن جاسوس من النصارى اسمه مكلود، والتأكد على التنقيب عن أحوال غيره من النصارى الذين يدعون تعاظمي الطب ومرادهم خلافه... وما وجد إلا ثلاث نصرانيات من جنس النجليز يدعون الطبيبات¹⁷.

«أما الجاسوس المذكور... فلم يوجد له خبر... وأما النصراني النازل بعرضة جنون الوارد الكتاب الشريف في شأنه أيضاً¹⁸... بأنه يجتمع في جل الأيام مع النصرانيات المذكورات... وكذلك يجتمع معهم مكلاو في بعض الأحيان، وغرضهم واحد....

«وأما الصبيان الذين يُقرئهم النازل بعرضة جنون، فقد قبضت على بعض آبائهم... وأرسلت لصاحب عرضة الحاج محمد كُتون وكلمته في إدخال النصراني لها. فاستظهر بشهادة مضمناها أنه باع غلة خريفها لرجل يسمى أحمد القصري من أهل حماية النجليز، وشرط عليه أن لا يدخلها حماية ولا نصراني. فنقض الشرط وأنزل النصراني المذكور بها. وهذا وصفه في التجسس والشيطنة والوقاحة والمروق من الإسلام والدين والقساوة والغلظة...»¹⁹.

كان مكليود قاطناً بدار أحد المحميين سنة 1894 وهو المكّي بن زاكور الذي أكراد عرضة حسبما تقدم. ولعلها كانت بمنأى عن سكنى المسلمين. فإذا كانت على هذا الوصف فهي صالحة لتكون وكراً للجواسيس أو للغرباء الذين كان المخزن ساعياً إلى مراقبة نشاطهم.

وفي هذا المعنى بعث السلطان رسائل إلى ولاية المدينة منهم العامل الراشدي (الذي أطلعنا قبل على نتف من جوابه). ومنهم أيضاً المحتسب محمد الشامي الذي قال في رسالته²⁰ جواباً عما «بلغ للعلم الشريف الأسماء من ظهور نصراني نجليزي هنا بعرضة ابن جلون²¹ يحاول تعليم الصبيان، ونصراني آخر يدعى الطب عند بيتين برجة الزرع، في فاس العليا، ونصرانيتين تزعمان الطب... ونصراني آخر يسمى مكلود يتجسس على الأخبار الخ...

16. مسودة رسالة في 9 جمادى الأولى 1311 / 18 نونبر 1893، نفس المحفظة.

17. عفا الله عن الكتاب. كانوا في الغالب لا يحشمون أنفسهم عناء البحث عن أسماء هؤلاء الغرباء أو الضيوف. ولولا الرجوع إلى ما كتبه المؤلفون الأجانب لما عرفنا هوية هاته المنصرات وهن هيردمان E. Herdman وفليشر Fletcher وجينينجز Jeannings.

18. هو جون إدواردز J. Edwards.

19. رسالة الراشدي إلى السلطان في 27 جمادى الأولى 1311 / 6 دجنبر 1893، محفظة فاس 2.

20. رسالته إلى السلطان في 8 جمادى الثانية 1311 / 17 دجنبر 1893، نفس المحفظة.

21. سبق أن سميت العرضة باسم كُتون، فهل كان ذلك خطأ من الكاتب ؟

«وأما النصرانيان فقد كان وجودهما قبل التاريخ بما ينيف على الخمس سنين²²
«وقد بحثت على من هو هنا من النصارى منهم، فألفت زائداً على ما تضمنه الضيف:
الشريف ممن قيد طرته :

- « — صاحب بوسطة النجليز بحومة الطالعة 2
« — صاحب بوسطة الفرنسيين بقبيل الناقص 2
« — معلمان مواجنية صينيول²³ بخانوت بالصفارين 3
« — طبيب صينيولي بحومة العيون²⁴ 1
« — ذميان فرنساويان يتجران بدار من حومة درب الطويل 2
« — صاحب المدرسة الإفرنجية بالملاح 1
« — ألماني نازل عند عمر برادة 1

«12

وسنحاول في مكان آخر أن نقف على أسماء بعض هؤلاء المستوطنين. هذا ولم يعترف
للإنجليزين بفتح وكالة قنصلية إلا سنة 1896. وظل ماكليود مقيماً بفاس نحواً من عشرين سنة
أي إلى سنة 1911 أو بعدها²⁵.

2. مستوطنون آخرون

تقدم ذكر بعض الإنجليزين من أعضاء البعثات التنصيرية، وبقي أن نشير إلى أن طبيباً
اسمه ماكثات أي سامويل ماكث S. Mac Math كان سنة 1893 ماراً عابراً بمدينة فاس. وكان
يصحبه شخص يدعى مركاص، وكانا يريدان التفرج على الفيل المهدي للسلطان سنة 1891 من
لدى الملكة الإنجليزية، واما الدخول لباب المشور بأبي التخصيصات حيث كان الحيوان محروساً في
هري.

22. هما اثنان ممن ذكرنا في الهامشة 17 أعلاه. أما الطبيب فهو د. ت. تشرشر D. T. Churcher الذي كان
يسكن بعرضة الخلو (رسالة الراشدي إلى الطريس في فاتح محرم 1312 / 5 يوليوز 1894).

23. ذكر روجي له طورنو في ص 161 من «فاس قبل الحماية» أن خمسة من الإسبانين كانوا يقطنون بفاس
سنة 1896 منهم مواكيني واحد وصاحب حانة لبيع الخمر بالملاح وطبيب يهودي لعل اسمه هو كورطيس
الذي كان معالجا للأسنان لفائدة المسلمين واليهود حسبما هو عند بيير كيين في «ألمانيا والمغرب» ص 165
(6). ونلاحظ أن رسالة المحتسب اقتضت على «معلمان مواجنية» فهل الثالث هو صاحب الحانة ؟

24. بالأصل : العفون.

25. موريس له شكلي : «حولية مغربية — 1911» ص 125 وكذلك منتسخ من ظهير بتاريخ 14 جمادى الأولى
1330 / 31 ماي 1912 بالوثائق الملكية رقم 6646.

لكن الحراس منعهما من الدخول. فما كان منهما إلا أن ضرباهم ضربا موجعا بالخرزتين اللتين كانتا بأيديهما وسباهما سبا فظيعا ومزقا أثواب بعضهم، وكان ذلك في 14 غشت 1893. أما في اليوم الذي قبله فقد حاول ذميان متزيان بزي النصارى الدخول لرؤية الفيل. فلما حيل بينهما وبين الحيوان ضربا الحراس. وكان اليهوديان المحميان هما شمويل القنقي وولده ابراهام. ولكن كان يبدو أن في هاته الرواية مبالغة حسب رسالة ذكرت أن اليهوديين برانيان وليسا فاسيين²⁶، فلقد قال الخليفة مولاي عمر إن العلماء أفتوا في هاته الإهانة التي لحقت الحراس، ذاكرين «بأن ما صدر ثمة خصوصا بالمحل العالي المقدار موجب لنقض العهد»²⁷.

ج : هدية الفيل ستوك Stoke

كان الفيل هدية من ملكة إنجلترا إلى السلطان الذي وجه القائد محمد بن الطاهر البخاري والمهندس الحسين بن خلوق الأودي وهاري ماكلين ليبحثوا عن طريق سهلة لمرور الفيل من طنجة إلى مدينة الرباط التي كان من المقرر أن يحل بها²⁸، وذلك لأن المواصلات كانت صعبة، فلا قناطر ولا جسور بين المدن الشاطئية والمدن الداخلية.

وكان الذي رافق الحيوان هو القبطان إنكليفيلد Englefield نائب حاكم جبل طارق، فزاد «بورود الفيل المذكور تصحيحات وتبittات من كان يجهل ذلك، وتشيدا لتلك المحبة، وتأكيذا لرعايتها، وتبيننا لفخامة دولتكم وضخامتها : أن الهدايا على قدر مهديها. وحصل به لحضرتنا الشريفة من السرور والنشاط، ما يحق به الاعتبار. وصادف وروده جل عمال القبائل مجتمعين، بالمحل الذي كنا به بمحلتنا السعيدة مخيمين، في اليوم من محرم التاسع والعشرين²⁹. فحضرنا ساعة دفع الخليفة المذكور له في هيئته الجليلة، وحليته الجميلة. كما حضر لذلك الرؤساء والأعيان وكبراء الديوان.... لكونه تحفة غريبة، وخلقة عجيبة، لم تعهد عند أهل هذا القطر، في هذا العصر.

«حتى أن فقهاء حضرتنا الشريفة وأدباءها جعلوا في محاسن الفيل، ومشهده الجليل، قصائد فائقة، وأشعارا رائقة، وتآليف متناسقة. وها البعض من ذلك يصل جنابكم الفخيم. والباقي حيث يكمل يوجه لكم، لتعرفوا منها ما حصل من مظاهر الفرح العميم»³⁰.

26. رسالة السلطان إلى الض... في 11 صفر 1311 / 24 غشت 1893، محفظة فاس 2، وموجب عدلي في 25 صفر 1311 / 7 سبتمبر 1893، محفظة الطريس 25.

27. رسالته إلى الطريس في 5 ربيع الأول 1311 / 16 شتبر 1893، محفظة الطريس 25.

28. رسالة السلطان إلى الحاج محمد بنسعيد في 28 قعدة 1308 / 5 يوليوز 1891، محفظة بنسعيد.

29. موافق 4 شتبر 1891. وقد وصل الفيل إلى طنجة في غشت 1891 (روجرز : «تاريخ...» ص 283).

30. رسالة السلطان إلى الملكة في 25 ربيع الثاني 1309 / 28 نونبر 1891، في «الإتحاف» ج 2 ص 356.

لم يكن مقدم الفيل مهرجانا شعبيا فقط ترأسه السلطان بنفسه، بل كان أيضا مظهرة أدبية تبارى فيها جملة من الفقهاء والمتأدبين فوضعوا عن الفيل تأليف مختلفة. وهم أربعة :

أولهم أحمد بن عبد الواحد ابن المؤاز، وله رسالة عنوانها «الفائس الإبريزية، في هدية الفيل الوافد من فخامة الحضرة النجليزية»، وثانيهم محمد بن علي الدكالي، وله «السراج الوهاج، والكوكب المنير، من سنا صاحب التاج، مولانا الحسن الأمير»³¹.

وثالثهم قاضي مكناس خليل بن صالح الخالدي. وقد صنف مقامة فيها بعض الإسفاف. فوصف الفيل بما لا يكاد ينعت به مثل «أسنانه تبلغ ثلاثمائة سن في الاستيعاب، كأنه طود علاه سحاب». وكان هذا المؤلف ينظم ما هو «ساقط الوزن، غير مرتبط بمعنى ولا قافية» وكان يدعى النحوي، ولو أنه لا يعرف النحو فقد مكث ثلاثين سنة يقرأ ألفيه ابن مالك³².

ورابعهم الطاهر بن أحمد البلغيشي برسالة عنوان بدايتها : «الدرر السنية...»³³.

رواية أولى تجعل للفيل مروضا هنديا واحدا كان موظفا بالبريد الإنجليزي بفاس ولكنه عاد إلى بلاده لما مات الفيل بداء مجهول³⁴. وهناك رواية أخرى تذكر أن ترويضه وكل إلى سائسين هنديين أنعم عليهما السلطان بمائتي ريال وبالنزاد والمركوب، ثم جعلهما رهن إشارة السفير. ومما لا شك فيه أن وفاة الفيل في أواخر 1893 كانت لعدم موافقة هواء المغرب³⁵.

ولما مات الفيل أراح واستراح. وقيل إنه كان عبثا على السكان وفرض عليهم مكس لإطعامه³⁶ فاستراحوا لوفاته. وكان يعبث بالأشجار والحقول.

ويحكى عنه أن جماعة من الفلاحين قوامها أربعمائة شخص كانت متبرمة من الأضرار التي خلفها الحيوان الاستوائي في حقولهم، فالتجأوا إلى السلطان شاكين³⁷.

31. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 357.

32. نفس المصدر، وكذلك ج 3 ص 26، وأيضا العباس ابن ابراهيم في «الأعلام» ج 3 ص 221.

33. محمد بن تاويت : «بين إنجلترا والدولة العلوية» في «دعوة الحق» العدد السابع، السنة العاشرة، ص 80 — 82. وقد نشر خالد بن الصغير نص التأليف بمجلة دار النيابة العدد 12 ص 44 بعنوان : «مخطوط جديد حول هدية الفيل من الملكة فكتوريا إلى السلطان مولاي الحسن».

34. هنري ده لا مارتينيير : «ذكريات...» ص 198.

35. رسالة السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الثانية 1311 / 29 دجنبر 1893، محفظة الطريس 25.

36. روجي له طورنو : «الحياة...» ص 70 و 309.

37. الأخوان طارو في كتابهما : «فاس أو بورجوازيو الإسلام» ص 278.

4 : إسبانيا

أ : السلك القنصلي

1. عمر برادة كان قبل سنة 1882 وبعدها بأعوام وكيلا لإسبانيا. وسيرد عنه حديث خاص.

2. وفي سنة 1891 طلبت أن تجعل فليبي ريثو إي راميرث F. Rizzo y Ramirez نائبا قنصليا. وكان ريثو مستعربا وأستاذا للغة العربية، فهو الذي ترجم معاهدة الصلح في حرب تطوان. وكان سنة 1862 موظفا بالجمارك بطنجة، لكنه عزل بسبب اختلاس الأموال وأعيد إلى منصبه بوصفه قنصلا بمدينة شاطئية، ثم أعفي أيضا. وكانت له دسائس في قضايا متنوعة¹، فقد أوفدته الجمعية الجغرافية التجارية الإسبانية في شهر يوليوز 1886 لاستكشاف نواحي بوجادور والرأس الأبيض. وفي سنة 1892 حاول كولاو وماثيوز أن يتخذاه وكيلا قنصليا لبلديهما². فلم ترتض السلطات ذلك³، وهذا يدل على أنه كان مستوطنا فاس في تلك المدة.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية لليهود المحمين (1880)

1. ابراهام ابن النائم

ب 2 : من تقييد ابن زيدان

2. محمد برادة وكان قاطنا بمدينة إشبيلية لمدة طويلة.

1 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 466 ومبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 306 (9).

2 . المرجع الأخير.

3 . جواب مخزني في 19 رجب 1310 / 5 يراير 1893، محفظة أمريكا.

3. عمر بن ادريس برادة وهو محمي منذ ما قبل 1876، وهو والذين من بعده صدرت الوصاية عليهم إلى السلطات المحلية⁴ سنة 1878 وهم :

4 _ 9: الطاهر بوشحوم من الزاوية الإدريسية، والغالي العراقي، وبركة بن علي، وبوجمة ابن عمه، وحمادي ولد خذا العماري الزرهوني، ومحمد بن قاسم العماري الزرهوني. وهذا المحمي الأخير وردت عنه طائفة من المراسلات، أذكر مضمن بعضها حالا، وأرجيء ما بقي منها إلى الحديث عن عمر برادة.

كان بيدرو أورطيس دي سوكاسطي P.O. de Sugasti نائب الوزير المفوض بطنجة قد كتب إلى عامل فاس سنة 1878، طالبا منه توقيع المحميين الثامن والتاسع «مراعاة له، وأن نعطيهم كتابا لشيخهم (= لشيخهما) بالإيصاء عليهما... وكان شيخهما حاضرا. فبحثناه عنهما، فذكر قضية : هي أن والد محمد ولد قاسم كان مقدما على أيتام، وتوفي واحتوى ولده محمد هذا على ما لهم. وقاموا الآن يطلبون ما لهم عند قاضي مكناس الفقيه العلامة سيدي أحمد بن سودة، وقدم على الأيتام أقاربهم، جريا على القانون الشرعي. ولما طالبوه بأداء ما لهم امتنع من إعطاء الحق لأربابه، وجعل يتنصل ويلتمس وزرا وحصنا من ذلك، ولم يعرف أن الحق أحق أن يتبع... والحاصل أن القضية عند الشرع، ولا سبيل إلى الخروج عنه عند كل أحد. وعليه فنحب أن تكلم من كتب لنا في ذلك حتى يرجع ذلك الزرهوني المزخرف لإعمال الشرع»⁵.

ت : السماسرة والمستوطنون

كان ميمون بونطي سمسارا لتاجر لم يرد بيانه، كما سكن قلة من الإسبانين بفاس منهم :

1. أنطونيو إسيخو A. Espejo الذي استوطن فاسا مدة عشرين سنة حتى قتل قرب وادي سبو قبل سنة 1887، فنهبت أمتعته. وجمعتها ستون ريالاً دفعها له طبيب هناك ليصحب بها أدوية. وقد أمر عاملا فاس وبني مالك بالبحث عن الفُعال⁶.

2. خواكين رودريكيث J. Rodriguez كان مقيما بفاس حوالي 1887 فطالب بتعويض عن البقرات الست التي نهبت له⁷ مما يدل على العمل الذي كان يقوم به. وجاء عنه سنة 1891 أنه كان مصحوبا بعبد الله بن عبد الرحمان العليج ليضال بجان إسيخو الذي قتله أفراد

4 . عبد الرحمان ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 311.

5 . رسالة عبد الله بن أحمد إلى برنكاش في 22 ربيع الأول 1295 / 26 مارس 1878، محفظة برنكاش.

6 . مسودة رسالة مخزنية في 18 شعبان 1304 / 12 ماي 1887، محفظة الطريس 10.

7 . رسالة السلطان إلى الطريس في 12 ربيع الثاني 1305 / 28 دجنبر 1887، محفظة الطريس 11.

من حجاوة، قرب وادي سبو منذ 5 سنوات. وقد وقف على قبره بإيالة ابن أبا محمد الشرقي بفاس الجديد. وكان فكرة قد التمس من الطريس شد عضد خواكين ليتقاضى دين صاحبه المقتول⁸. فأجيب بأن الدعوى قد فوصلت بالإبراء التام⁹.

3. خاكوب كويطة J. Guitta تقدم بالقصر الكبير أنه كان بها أول أمره سنة 1887. وقد انتقل إلى السكنى بملاح فاس وبقي يعيش بالمدينة مدة طويلة فوصف في كتابه الطاعون الذي حل بفاس سنة 1901، فأنقذ من الوباء 2062 من اليهود، وهو سدس سكان المدينة¹⁰.

وجاء في رسالة سلطانية أن «نصرانيا اصبنيليا اكرى حانتوتا للأحباس قرب جامع الحمراء من أحد أهل الذمة، وصار يتعاطى فيها الطب». وكانت تلك الحانتوت مكررة لليهودي طراف، فقلبت العقدة على الطبيب الإسباني¹¹. وفي رسالة أخرى أن طبيبيا اعتمر حانتوتا بسوق الطرافين من فاس الجديد سنة 1893، وصار يتعاطى الطب بها، وأعطى الدواء لرجل حجوي من سكان فاس الجديد. ولما استعمله سقط لسانه، وصار لا يتكلم إلا بالإشارة، ولم يزل على ذلك حتى مات. ولذلك أصدر السلطان أمرا باعتقاله¹². وعليه فيجوز أن يكون هذا الطبيب هو خاكوب كويطة، لأنه كان بسوق الطرافين، وأن يكون هو الساكن بحومة العيون.

4. إسبانيون آخرون : فرانسيسكو ... الهالك سنة 1880، والذي لم يأت بيان عن نسبه، والطبيب الروسي رودريغيس كراكوف R. Krakoff الذي كان قاطنا بالقصر الكبير سنة 1881.

ث : عمر بن ادريس برادة

كان هذا الرجل شخصا غريب الأطوار خللت الوثائق المغربية ذكره. وسنحاول في هذا المبحث أن نستجلي شخصيته، وفي ضمن ذلك سنعرف عددا من الإفادات التاريخية عنه وعن غيره أيضا. فمن هو ؟

هو فاسي أقام طويلا بمدينة إشبيلية، وهناك تزوج بإسبانية واكتسب الجنسية الإسبانية وقد وصفه رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بأنه «مشف حاد الذكاء وذو طبع جيد وممتاز».

-
- 8 . رسالة فكرة إلى الطريس في ميم ماي 1891 / 22 شوال 1308، محفظة الطريس 20.
 - 9 . رسالة مخزنية إلى سفير إسبانيا في 4 ربيع الثاني 1309 / 7 نونبر 1891، محفظة الطريس 21.
 - 10 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 117.
 - 11 . رسالة السلطان إلى ابنه مولاي عمر في 7 محرم 1311 / 21 يوليوز 1893، محفظة فاس 2.
 - 12 . رسالة السلطان إلى الطريس في 15 صفر 1311 / 28 غشت 1893، محفظة إسبانيا.

كان له أبناء : خوليو وكان طبيبا بتطوان، وسالبادور وقد هاجر إلى البرازيل، وكان ابنه ألفونسو لا يختلف في شيء عن الإسبانيين. وكان عمر يمثل الدولة الإسبانية بفاس¹³.

فما هي مهنته ؟ يفهم من بعض المصادر أنه كان وكيلًا شرعيًا. ولما كان مثقفًا كان مراسلًا لجريدة «المغرب» الأسبوعية التي كانت أول جريدة مطبوعة بالعربية سنة 1889 بمدينة طنجة¹⁴.

ومما عيب عليه مخالطته الأجانب والغرباء. فكان يضيف الإسبانيين والألمانيين وغيرهم. وبذلك واخذه الخليفة السلطاني سنة 1887 واتهمه بالجاسوسية. إذ كان أنزل بداره، الواقعة بسبع لويات، اثنين من الفرنسيين ثم نقلهما لغرسة ابن زاكور¹⁵، بيني مسافر، بطرف حومة الكدّان «ومقصودهم غير التجارة، لأنهما كلما وردا عليه، لا يتكلمون إلا في أمور المخزن والحرب والعسكر والسلاح»¹⁶. ومن هذا نستشف أيضًا أنه كان غنيا يتعاطى التجارة. وسيأتي مع التماسا بفاس أنه كانت له معاملات تجارية مع كيلنر.

ولما مات فرانسيسكو كلف برادة بالوقوف على الأمتعة التي تركها الهالك، وانتدب لحيازتها كراكوف «الطبيب الموسكوي... وطلب باشدور الصبنيول حيازة الحوائج المذكورة من النصراني المذكور. بالعدل ومحضر عمر برادة، ويوجه ذلك إلينا لندفعه بيد الباشدور...»¹⁷.

ومن الآن سنعرض لوثائق متعددة تناولت مواضيع شتى، ومن جملتها علاقة برادة مع المخزن ومع العموم. وسنجد فيها طائفة من الإشارات المفيدة إلى وقائع تاريخية مختلفة.

ورد الحديث عن دعاو أربع كانت للرعايا الإسبانيين على الناس. وتحت اليد رسالتان تحملان تاريخًا واحدًا، هو 25 شوال 1299 / 9 شتنبر 1882: إحداها من مولاي إسماعيل، والأخرى من السلطان وهي طويلة، وكلتاها موجهة إلى محمد بركاش، وهما معا تتعرضان لنفس القضايا في نوع من التناقض في الرواية والتأويل.

ونقدم النص الكامل للرسالة السلطانية في المتن وسنقارن في الحواشي بينها وبين ما ورد في رسالة الخليفة، التي يبدو أنها من تحرير كاتبه الحاج صالح. قالت رسالة مولاي الحسن :
«وصل كتابك بأن باشدور إسبانيا أخبرك بورود شكايات 3 ثلاث عليه من فاس، وهي :

13. ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 304 (9).

14. إشارة إلى مراسلي هاته الجريدة ببعض المدن موجودة في محفظة الطريس 16.

15. هو المكّي ابن زاكور، سالف الذكر مع المحميين الإنجليزين.

16. رسالة مولاي إسماعيل إلى السلطان في 15 شعبان 1304 / 9 ماي 1887، محفظة فرنسا.

17. نسخة من رسالة بركاش إلى مولاي إسماعيل في 6 شوال 1299 / 21 غشت 1882، محفظة بركاش.

«1. أن نصرانيا من جنس الموسك خرج لوادي فاس للفرجة في لعب الخيل يوم السبت الرابع من شهر تاريخه» أي 20 غشت 1882 «فضربه الصبيان بالحجارة ضربا مؤلما ألزمه الفراش. ولم يظهر أثر في ذلك من جانب المخزن. وتكلم عليه الباشدور لكونه هو نائب الموسك.

«2. وأن يهوديا سمسارا¹⁸ كان متوجها من مكناس لفاس. فمر في المحل المذكور يوم الأحد الخامس من شهر تاريخه فضرِب وجُرح حتى فر وترك برذونه وحوائجه وأمتعته وأمور سفره ولازم داره خوفا على نفسه.

«3. وأن عمر برادة ملازم داره أيضا خوفا على نفسه لكون كاتب مولاي إسماعيل أمر بضربه ومنعه من حقه في دعوى كانت عنده.

«وذكر لك الباشدور أن السبب في وقوع ذلك هو تواني الولاة في القبض على الفاعلين في قضية الصبنيولي الهالك¹⁹. وطلب ما هو مبين في كتابيه اللذين وجهت. فكتب لمولاي إسماعيل بالقبض على الفاعلين ورد ما ضاع لليهودي السمسار المذكور، وأخبرته بأن الباشدور أذن لهذا اليهودي ولبرادة في الخروج من محليهما، أينما شأوا من غير خوف، وجعل ذرك ما يقع لهما على المخزن، وأكدت عليه في رد البال لهذا الأمر، وطلبت إصدار أمرنا الشريف بالوقوف على ساق الجد في إجراء الأحكام على أهل الزينغ وبقبض من فعلوا ما ذكر بالمذكور، ورد ما ضاع للسمسار المشار إليه.

«4. وذكرت أنك تخبّرت، من خارج، أن جماعة من اليهود ضربوا وجرحوا في السادس من شهر تاريخه، ولم يقع انتصاف من الفاعلين. وإذا لم يقع يدخل الغير مع الباشدور المذكور في الكلام في ذلك.

«وأنه دار بينك وبين الباشدور في هذه القضايا ما شرحت، وأشرت بجعل دواء نافع لما طلبه فيها، لكون الحجة في ذلك كله على الولاة لعدم إظهارهم [السطوة] المخزنية.

«1. أما الواقع بالنصراني الموسكوي²⁰، فقد كتبوا لنا فيه بمجرد وقوعه واعتذروا عن عدم التعجيل بالقبض على الفعال بفراغ المحل من الجيش والعسكر وكثرة القيل والقال في جانب المخزن من أهل الإرجاف وسفلة الناس بما لا يعني، وطيشهم وتشوفهم للفساد. فأمسكوا عن مد اليد في الفاعلين، خشية أن تنشأ عنه الفتنة من أولائك المرجفين، ويفضي الأمر إلى ما هو أعظم.

18. هو ميمون بونطي.

19. هو فرانسيسكو المشار إليه سابقا.

20. في رسالة الخليفة : «ومع ذلك فقد ادعى بما ادعى به، ووقع الصلح معه بمائة ريال على يد الحاج عبد السلام المقرئ، وحازها ودفع خط يده بأنه أبرأ في هذه الدعوى، كما تصلك نسخة معروفة من خطه طيه».

«إذ لا يخفاك أن أهل المغرب مجانين لا يبالون ولا يتفكرون في عواقب ما يفعلون، مع غيبة المخزن بسوس. ويتسع الخرق ويلومهم المخزن على عدم التأني في قبضهم. إذ لم يكن عندهم علم وقتئذ نحلولنا بمراكش.

«وهذا الذي اعتذروا به هو الذي كان سببا في إزعاجنا للرجوع، وطينا للمسائف طيا، وقطعنا للمفاوز في أقرب مدة. ومع هذا فلم نقبل منهم ذلك، وألزمناهم القبض على الفُعال وكل من فيه رائحة فعل ما ذكر بالمدكورين، ووخناهم على تراخيهم وتوعدناهم. وحيث نكون هناك بحول الله يقع البحث في ذلك. وإن وُجد مخالفا لقولهم يعاقبون²¹.

2. «وأما الواقع باليهودي السمسار²²، فقد ذكر مولاي اسماعيل أنه لما وقع ذلك به وبالموسكوي المذكور أحضر وصيفنا الج سعيد بن فرجي وخليفة ولد أبا محمد الشرقي، وأمرهما بأن يعين كل واحد منهما كبيرا من قبله ومعه طائفة من المخازنية، ويتوجهون لمحل لعب الخيل وغيره مما يجتمع فيه الناس، بقصد القبض على من يقع منه شيء من ذلك. وبأن الصبيان الفاعلين ذلك بالنصراني واليهودي المذكورين لم يُعرفوا بأعيانهم فيقع القبض عليهم، لكون جميع صبيان أهل فاس كانوا في ذلك المحل يتفرجون في لعب الخيل على عادتهم في أيام الأعياد، وأنه ءأخذ في البحث عنهم. فأمرناه — هو ووصيفنا المذكور وولد ابّ محمد — بالجد في البحث والتنقيب عن الفعال منهم والقبض عليهم. وإن لم يعرفوا بأعيانهم، يقبضون على جماعة من رعاة الناس الذين يتهمون بمثل ذلك. على أن النصراني المذكور قد خالف القانون المعتاد بعدم إصحابه كتابك للعامل بالتنبيه عليه، ويتوجهه للملعب بدون مخزني. وكذلك اليهودي السمسار بسفره من مكناس منفردا بدون مخزني.

«وللحذر من مثل هذا طالما استرعينا عليهم بأن لا يسافروا إلا مع صاحب عامل البلد. فأبوا إلا التفرير بأنفسهم وأمتعتهم، والسعي بذلك فيما يكدر الخواطر.

«وقد كلفنا مولاي اسماعيل بالفصال مع هذا اليهودي فيما ضاع له. وما تفاصيل به معه فيه يلزم الحاضرين في فرجة لعب الخيل بأدائه له. لأن مثل هذه الدعوى هي التي يفصلها المخزن من عنده حتى يقبض ما فاصلها به من الرعية لا ما يطلبه الطليان²³. وحتى إن كان عنده مثل هذه، فيُدلى بها، ويُفصل فيها. فتنبه!

21. ما ورد في هاته الفقرة واللتين قبلها جاء في رسالة السلطان إلى بركاش في 9 ذي القعدة 1299 / 22 شتنبر 1882 عند ابن زيدان في «الإتحاف» ج 2 ص 372، مع اختلاف يسير في اللفظ.

22. في رسالة الخليفة: «وأما ميمون بونطي فلم يضع له شيء. وقد أمرنا عاملي فاس العليا بالبحث عن ذلك. فذكرنا أنهما تقصيا البحث غاية ... فجميع من سألاه يخبر أنه ما ضاع له شيء ولو قلامة ظفر. ولو كان ضاع له شيء لا شتكى في الحين علينا أو على العاملين».

23. لفظة الطليان هنا ما هي إلا سبق قلم، إذ المقصود: الإسبان.

3. وأما ما تشكى به برادة²⁴ من الحاج الصالح الذي طلب في شأنه الباشدور ما طلب، فإن الحاج الصالح ليس بمكلف من قبل المخزن، وإنما كان مؤدباً لأخينا مولاي إسماعيل، تركه معه سيدنا رحمه الله. وإذا كان يأخذ بيده في أموره، فمنه إليه.

«على أن الأخ المذكور كتب أولاً في ذلك، وبين وجه التعرض لذلك المتنصر. وهو كونه ورد مع النصراني الصبنيولي الهالك²⁵ لباب دار المخزن في الزوال، بعد ذهاب القواد والمخازنية منها لمأهلهم، وراما الدخول لها فممنعهما البوابة. فمد برادة يده في أحدهم ومزق له ثيابه وأطلق لسانه حسبما قدمناه لك. وكان من حقلك أن تحاججهم به.

4. وأما ما تخبرت به عن الجماعة من يهود فاس²⁶، فقد بلغنا وقوعه والإشهاد على أولئك اليهود بأنه لم ينهب لهم شيء، وأمرنا عامل فاس بالبحث عن الفاعلين، والقبض عليهم

24. رسالة الخليفة : «وأما دعوى عمر برادة على الكاتب فهي افتراء وكذب. فإن الكاتب لم يأمر بضربه ولم يُعرف بذلك، ولا عهد منه مع أضعف الناس، فضلاً عن أهل الحماية.

«ودليل افتراءه أنه ذكر أنه يخاف أن يخرج، مع أنه يروج داخل المدينة وخارجها. وما تخلف عن الخروج يوماً واحداً. ولو كان ما قال حقاً لا يشتكى على عامل المدينة. ولا كنه لما صدر منه بالأبواب السعيدة ما ذكرناه، وسمع باستعمال الموجب، مؤه بهذا الكلام ليقابل دعوى بدعوى.

«وأما قوله إن الكاتب منعه حقه في دعوى له، فاعلم أنه لم تكن له دعوى في هذا الوقت باعتبارنا الشريفة. نعم، كانت له دعوى قبل بنحو خمس سنين. كان يشتكي عليها. ثم ورد مولانا هذه الحضرة فصار يشتكي عليه بمحضرة السعيدة ولم ندر مثاله.

25. المتهم في قضية الإسباني الهالك كان هو محمد بن قاسم ومن معه. وفي ذلك قالت رسالة الخليفة ورسالة سلطانية أخرى عنه وعن مشاجرة برادة مع الحراس ما يلي :

أ — رسالة الخليفة : «... أما قضية محمد بن قاسم ومن معه المقبوضين على قضية الصبنيولي فقد قدمنا لك حقيقة ذلك فيما كان يصدر منه ووجهنا لك المواجه بذلك ولم نجب عنها.

«ثم صبيحة ذلك اليوم جاء هو وعمر برادة للباب السعيد. ولو كان بالنصراني ما ذكر، ما قدر على المجيء راجلاً من الملاح إلى دار المخزن. ثم لما جاء وجدنا الكتاب والمشاورية انصرفوا. فراما الدخول كرهاً، فممنعهما الباب قائلاً : «ليس هنا أحد وليس الوقت وقت شكوى». فمد برادة يده في الباب ومزق ثيابه وأطلق لسانه بكلام تتحاشى الأذان عن سماعه. وقد وجهنا مواجب ذلك للحضرة العالية بالله. ولو علمنا — أو علم الولاة — أن أحداً ضرب النصراني أو جرحه لقبض بسرعة. إذ الأحكام نائمة بوجود مولانا أعزه الله. فلا حجة على الولاة في عدم ظهور السطوة المخزنية.

ب — رسالة سلطانية أخرى في 9 ذي القعدة 1299 / 22 شتنبر 1882 تحدثت عن محمد بن قاسم ومن معه. ونصها في «الإتحاف» ج 2 ص 371. وفيها أن إسبانيا طالبت بعزل عامل فاس وعقوبتهما بأداء عشرين ألف ريال، وأن الخليفة قبض على الجناة مع عشرة آخرين.

26. رسالة الخليفة مولاي إسماعيل : «وأما ما بلغك مما وقع باليهود فالأمر بخلافه. لأنهم وردوا شاكين من إيذاء الصبيان لهم بالمدينة وعينوا محلين. فكتبنا لعامل المدينة ووجهنا اليهود الشاكين، وأمرنا بالكلام مع أرباب الأسواق بأن يكونوا منهم على بال، وأن من وقع منه شيء في سوقه فعهدته عليه : إما أن يأتوا بالفاعل أو يقبضوا فيه. فقبض العامل على رجلين من سوقين وقع فيهما ذلك. كما أمرنا عامل فاس العليا بذلك وزدناهما أن يكون كل واحد منهما يوجه مكلفاً وطائفة من أعوانه لأماكن اجتماع الناس كلعب الخيل ليحرسوا اليهود وغيرهم، وتكون المهدة عليهم فيما يقع.

وزجرهم وتكليف أهل الأسواق برد البال لليهود، وكف من يريد إذايتهم ومد اليد فيهم، وجعل درك ما ينشأ لهم من الإذاية على أهل تلك الأسواق.

«فقرر ذلك للمتكلم فيه، واستعمل ما عندك من التلطف والسياسة في مباشرة أمر هذه القضايا 3 مع الباشدور، حتى تخرجها على وجه جميل، لا مَعْرَة فيه على جانب المخزن، كما هو المعتاد منك فيما هو أعظم منها، والله يعينك ويسددك.

«هذا وقد جدد الكتب لمولاي إسماعيل ولولة فاس بما يتعين في ذلك. والله يكفينا جميع المهمات، ءامين ! وما يؤيد ما اعتذر به ولولة فاس ما فعله بنو حسن ونحوهم من نبذ كلام الولة والخلائف وعدم إنصاتهم إليهم وجعل أشياخ الربيع²⁷. وهو من أعظم الحجج، والسلام».

كانت رسالة الخليفة من تحرير كاتبه الحاج صالح بن الحاج المعطي التادلي (1244 — 1307) الذي كان مؤدبا للخليفة مولاي إسماعيل كما كان شيخه ووزيره²⁸ سنوات عديدة.

واستمرار هذا الخلاف بين الحاج صالح وبين برادة كان من شأنه دوام التقولات في جانب المخزن والإساءة إلى التقارب المغربي الإسباني. وبادر العامل لإصلاح ذات البين فقال للخليفة :

«فقد أحضرنا عمر برادة، وكلمناه ثانيا فيما يوصل لفصل القضايا الأربع التي كتب فيها مولانا حتى تنحسم مادة الكلام فيها. فأما ما كان من قضيته المتعلقة بالفقيه السيد الحاج صالح التادلي قال الأمر فيها إلى المسامحة. ووافق الحال ورود كتاب عليه من ثغر طنجة متضمنا لموافقة على أعمال الصلح في هذه القضية إن ارتضاه. وأما قضية النصراني الطبيب. فأشار عمر المذكور فيها بأنه لا بد من إحضار ورقة إبرائه التي لدى سيادتك بالأعتاب الشريفة وعرضها على من يترجمها ممن له معرفة بذلك هنا ل يتمم الكلام فيها.

«وأما قضية النصراني الذي هلك قبل وصوله لطنجة فقال : لا بد من الإمهال فيها ...

«وأما قضية الذمي المدعي ما ادعى نهبه له بباب الساكنة، فصاحبها الذمي المذكور ليس

= «وأما الصبنيولي الذي مات بالطريق فقد كتبنا لك بأنه خرج صحيحا. وها رسم بذلك يصلك طيه. ولو علمنا أن به جرحا أو مرضا ما وجهناه ولقبضنا على الفاعلين به ذلك حيننا. وقد بلغنا أنه لما وصل ميتا كشف عن جسده فلم يوجد به أثر ضرب ولا جرح».

27. الإشارة إلى ما فعله بنو حسن وردت في رسالة السلطان إلى بركاش في «الإتحاف» ج 2 ص 372. وها نصها : «...حتى أن بني حسن والبرابر جعلوا أشياخ الربيع وألفوا خلائف عماهم، ولم يلتفتوا إليهم، وهموا بالمكنر بهم، فأمسك الولة بسبب ذلك عن القبض على الفاعلين المشار إليهم، خشية أن تنشأ عنه الفتنة من أولئك المرجفين ويفضي الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك لكون أهل المغرب مجانين» الخ...

28. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 360.

بخاضر الآن هنا. وحين يأتي من سفره يروج الكلام فيها...»²⁹.

وتمت المصالحة على أحسن وجه، فكتب الخليفة لبركاش يعلمه «بالقضايا التي اشتكى بها نائب الإصبيول، ومن جملتها قضية الكاتب مع عمر برادة... فسأخ عمر حسبما تقف عليه في كتابه لنائب الجنس المذكور الواصل طيه. فادفعه لمن هو له. وقد وجهه مفتوحا»³⁰.

وها هو النص الكامل لرسالة برادة إلى خوسي ديوسدادو :

«بدر البدور، وصدر الصدور، الوزير الأعظم، والملاذ الأفخم، سنيور ضون تحصي ديوس دَضُوا. لا زائد على السؤال عن أحوالكم، أدام الله لكم البقاء.

«وبعد، فقد كنا كتبنا لكم بالأمر الذي وقع بيني وبين الفقيه الحاج صالح، وزير مولانا إسماعيل، حيث كان أمر البوايين بعدم دخولي وبضربي وبطردي عن ساحتهم وأخرجوني، مع كوني جئت طالبا للحق.

«وكنا أعلمناكم بالقضية. ثم بعد ذلك دخل في القضية الباشا الأبعد، والطالع الأسعد، سيدي عبد الله بن أحمد، وطلب مني الصلح والمسامحة فيما صدر من الفقيه الحاج صالح، رعيا لجنابه وجناب الخليفة مولانا إسماعيل. فأجبتني إلى ما طلب مني وسأحت في حقي، لكونه — أي الباشا — لا يقابلنا إلا بالأمور المستحسنة، ولأن مرادي أن لا يقع ملاق بين الدولتين، وأن لا يحصل على يدنا شتتان، وأن لا تكون لي دعوة بالحضرة الإصبيولية. فهذه أمور أوجبت لنا الصلح والمسامحة.

«وأعلمناكم بهذا لتسمحوا كما سمحنا، حيث صار حقي حقا لكم. فسامحوا بآرك الله فيكم، والسلام. في 10 قعدة الحرام سنة 1299، الموافقة 25 شتنبر عام 1882.

«محبكم : عمر بن ادريس برادة، وفقه الله. Aomar Barrada. Fèz»³¹.

وجاءت رسالة الخليفة إلى السلطان لتخبره بنفس ما ورد في كتاب العامل ولتتطرق إلى قضاياها الأربع. ولكنها أوضحت أن قضية الطبيب الروسي قد فوصلت على يد الأمين المقرري، وأن اليهودي غائب في دعوى له على المساعدة والمختارين من قبيلة بني حسن³².

وانصرفت مدة طويلة. حتى إذا كنا في سنة 1888 برزت اتهامات أخرى في حق عمر الذي اتهم بأنه قتل مريضة تطببت عنده حسبما جاء في رسالة سلطانية: «عمر برادة قتل والدته

29. رسالة عبد الله بن أحمد إلى مولاي إسماعيل في 9 قعدة 1299 / 22 شتنبر 1882، محفظة فاس 2.

30. رسالة مولاي إسماعيل إلى بركاش في 13 قعدة / 26 شتنبر، محفظة بركاش.

31. صورتها بمحفظة إسبانيا.

32. رسالة الخليفة إلى السلطان في 18 ذي القعدة 1299 / فاتح أكتوبر 1882، نفس المحفظة.

نصيبين نيتيين ونادي خاج محمد بن خاج أحمد الزيدي التلمساني حيث عهد إلى ظهرها وشقة وصار يقطع منه اللحم إلى أن ظهرت كلالها وماتت بسبب ذلك. وعائين أطباء من فاس ذلك. وفر واحترمه بالزاوية الصقلية³³. وقد أمر السلطان باعتقاله عند خروجه من الحرم المذكور.

فهل كان عمر طبيبا؟ أم أن العلاج كان على يد أطباء آخرين مثل ابنه الطبيب بتطوان؟ شيء يحتمل ولا يحتمل معا. جاء في رسالة عامل فاس أن «امرأة كانت تشتكي بعلة قاتلة، وكانت تتردد إليه للأخذ بيدها لدى الأطباء. فماتت منها بداره»³⁴. وكان اسمها هو فاطمة بنت أحمد النكادي التلمساني، زوجة الزاوي المذكور. ولما كانت الهالكة وزوجها جزائريين تركت المسألة إلى التخاصم لدى القضاء.

ونفى وزير اسبانيا ما وقع نفيا تاما وطلب «رفع اليد العادية» عن برادة، فقال :

«وبعد، فقد وصلنا كتابكم تاريخ أمس التاريخ في القضية النازلة بالسيد عمر برادة مع المرأة المتوفاة بفاس. فالواجب علينا قبل كل شيء نعلمكم أن — بحسب الخبر الذي عندنا — السيد عمر المذكور ما مس المرأة المذكورة وما أعطاها حتى دواء ولا علاج أبداً. ولكن إن كان الواقع بخلاف ذلك، ها أنا موجود لنسمع وكيل البنيتين متاع المرأة المذكورة ولإعطاء الحق الواجب. ولذلك فليحضر، لدى دار نيابتنا هذه، الوكيل المذكور وليصحب معه الإثبات والرسوم المؤسس عليها شكايته. وكما في علمكم السيد عمر برادة هو ناثراليزادو³⁵ صينيولي، ولا تجري عليه إلا الشريعة الصينيولية، ولا يحكموا عليه إلا حكامنا فقط. وبسبب ذلك، الوكيل المذكور يجب عليه أن يحضر لدينا. وحيثما يقع ذلك نرجوكم تكتبوا على عمر برادة وتوصوا عامل فاس عليه كي يمنع الهجوم عليه ويوقره ويجعل الناس يوقروه كأحد من رعية الصينيول»³⁶.

ويظهر أن الستار أسدل على هاته القضية نهائيا. غير أنه بعد ثلاث سنوات عاد الكلام من جديد عن برادة وعما اهتمته به امرأة أخرى من أنه سلبها مال زوجها الطاهر برادة ابن عمه. جاء في رسالة لغريط «أن زينب بنت حمان الأودي اشتكت أن عمر راودها عن بيع واجبها في الأماكن المتخلفة عن زوجها ابن عمه الطاهر. فباعته له ذلك كرها، ودفع لها بعض الدراهم مع خط يده وشهد عليها بالعدول وقبضها بداره إلى بين العشائين وأمرها بالخروج.

«ولما وصلت لباب الدار قبض عليها متعلمه بوشتا وخنقها، وسلبها عمر الدراهم التي دفع لها مع خط اليد. وبعد ذلك ألحت عليه في رد ذلك لها. فوعدها برادة، على شرط أن تشهد

33. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 جمادى الأولى 1305 / 24 يناير 1888، محفظة الطريس 12.

34. رسالة بوشتي ابن البغدادي إلى الطريس في 26 جمادى الأولى 1305 / 9 يراير 1888، نفس المحفظة.

35. أي مجنس باللغة الإسبانية naturalizado.

36. رسالة ديوسدادو إلى الزكاري في 21 يراير 1888 رقم 36 / 33 مكتبة تطوان.

بالعدول أن النصراني التاجر خَيم الصبنيولي³⁷ النازل عنده هو الذي سلبها ما ذكر. واعترفت بذلك أمام عدلين. ولم يُرد لها شيئاً، وذهب لمحل سكناها واحتوى لها على جميع حوائجها»³⁸. هاته جوانب من سيرة عمر برادة، الذي لم يعد — حسبها يلوح — يمثل إسبانيا بفاس، فطلبت أن تجعل مكانه فليبي ريثو، وفق ما تقدم في بداية هذا الفصل.

37. هو خايي طوري الذي تقدم بمراكش أنه من رجال الصناعة والذي اتهمه الطريس بالجناسوسية.
38. رسالة غريبط إلى الطريس في 9 ربيع الثاني 1309 / 12 نونبر 1891، محفظة الطريس 21.

5 : فرنسا

أ : السلك القنصلي

1. شارل إيكار كان حوالي سنة 1878 قنصلا متنقلا، وسيأتي طرف من أخباره.
2. المختار الوجدي التلمساني صار حوالي سنة 1880 وكيلا لفرنسا بفاس¹.
3. الحاج حمادي بن عبد القادر الوجدي الجزائري تولى الوكالة بهاته المدينة حيث كان بها مولده²، وكان لا يزال وكيلا حتى سنة 1893.
4. ده مارسيلي de Marcilly رغبت فرنسا في تعيينه قنصلا أو وكيلا عنها سنة 1892، بعد محاولة إنجلترا نصب قنصليتها بالمدينة. وكان قاطنا بفاس قبل هذا التاريخ بمدة طويلة. ولذلك التمس أن يخوله المخزن دارا ومكانا لعمله ولتعلق الراية الفرنسية³. فأجابت السلطات المخزنية أن له أن يتخذ فقط حانوتا لنفسه. وفي سنة 1894 طلب غريط من الطريس أن يدعوا نائب فرنسا إلى تأخير الحديث في الموضوع، لكن ده مارسيلي صار وكيلا في أواخر السنة المذكورة⁴.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية لليهود المحميين (1880)

- 1 — 16 : دايد بن حجوط، وسعدية بن ماريانو، وابنه حاييم، والياهو بن شلومو بن عمور، ومخلوف ابن المسلم وأبوه، ويعقوب الليبي، وشاويل بن شطريت، وميمون بن

1 . «الوثائق» ج 4 ص 493.

2 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 304.

3 . رسالة دويني إلى غريط في 2 حجة 1309 / 28 يونيو 1892، محفظة فرنسا.

4 . رسالة غريط إلى الطريس في 14 حجة 1311 / 18 يونيو 1894، محفظة الطريس 26 وكذلك روجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 161.

مامان، وميمون بن سوسان، وبنيامين بن زازون، ويمين كويين، والياهو ييطون وأخوه مسعود، وإسحاق بن ميمران، والحزان يعقوب بن هارون كويين الذي كان متطاولا على الولاية⁵. وكان هؤلاء جميعا محميين استثنائيين.

ب 2 : من غيرها

17. الحبيب بن علي الدسولي كان كاتباً في القائمة العامة سنة 1883.
18. أسير الليبي ولم يرد لحمايته من تاريخ⁶.
19. أبي قاسيس كان من يهود الجزائر، وتستر بالحماية، لأنه كان سكيرا ومشاكسا⁷.
20. التهامي بوجنان كان سنة 1880 مستخدماً.
21. الحاج علي بوطالب الحشمي الذي كان سنة 1885 ترجمانا لوكيل فرنسا بفاس⁸.
22. شلومو عطية، من يهود الجزائر، اغتيل بأحواز فاس سنة 1885، وكان مرايبا⁹.
23. الحسن بن الطيب الوزالي، المولود بفاس سنة 1865، وكان من كبار الملاكين¹⁰.
24. محمد ماني الصنهاجي كان من سرّاد الحديث بالحضرة الشريفة وأصبح هو وإخوانه سنة 1893 محميين ولكن اختزن لم يسوغ ذلك¹¹.

ومما يذكر عن هذا المحمي «الفقيه العلامة المفتي النوازي» أنه صاحب تأليف عنوانه «البشارة التي تسر الناظرين، في حديث : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين». والغريب أنه لم يعد ظاهرا على الحق، فخالف جملة وتفصيلا ما جاء في هذا التصنيف، وأتى فيه بهراء إلى حد أن ذكر قاضي مكناس أحمد بن سودة بأن «كتاب ماني لم يسعه مراجعة أحاديثه المنقولة فيه في مواطنها. وأما تصرفاته فهي لا تخلو عن نظر»¹². وذلك يعني بلا ريب تلبسه بالحماية. وقد توفي فجأة في بداية سنة 1914.

5 . «الوثائق» : 5 ص 107.

6 . ذكر في وثيقة عارية من التاريخ بمحفظه فرنسا.

7 . «الوثائق» : 4 ص 497.

8 . رسالة إلى الطريس في 6 صفر 1305 / 24 أكتوبر 1887، محفظة الطريس 11.

9 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 456 (6).

10 . أ. بروشي : «الكتاب الذهبي ...» ص 64.

11 . رسالة مخزنية إلى الحاج حمادي في 5 ربيع الأول 1311 / 16 شتنبر 1893.

12 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 212.

ت : السماسرة

ت 1 : من القوائم الفرنسية العامة

1 - 3 : الحاج ادريس برادة سمسار إيرنيست أسطير E. Aster، وعبد السلام الصفراوي سمسار ليون كويين، والحاج ادريس السلاوي سمسار بنسيمحون.

4 - 5 : يعقوب بنسيمحون ومخلوف بنسيمحون سمساران لمسعود بن يلوز.

6. الحاج الخياط بن زكري سمسار قيطالي Vitally.

كافة التجار كانوا في مرسيليا، وهؤلاء السماسرة كانوا شركاء لهم من 1882 إلى 1885 على الأقل¹³. ولربما استمروا في خدمتهم بعد ذلك.

7. الحاج محمد الصبايحي سمسار بنسيمحون سنة 1884 حتى عدل عنه سنة 1885.

8. مسعود بنسيمحون كان قبل سنة 1883 نائبا عن البنك طرانزاطلانطيك.

ت 2 : من غيرها

9 - 11 : يوسف بنسيمحون والحاج علال بن زاكور وكانا سمسارين لتجار من مرسيليا¹⁴ لم تذكر أسماءهم، و عبد العزيز الكتاني سمسار بنسيمحون سنة 1882 و 1883 قبل عدوله عن الحاج محمد الصبايحي¹⁵. وكان نائب بنسيمحون هو إيريك ثوان E. Goin (?) القاطن بطنجة. وسنفرد كلاما عن الكتاني في خاتمة هذا الفصل.

ث : المستوطنون

كانوا جد قليلين في هذا الوقت. ومنهم :

1. الأخوان هنري وجوزيف روبيك Robic اللذان أسسا مصنعا للمشروبات سنة 1894.

2. جان فاباريس J. Fabarès كان مديرا للبريد الفرنسي بين فاس وطنجة سنة 1892، ولعب دورا في الكواليس بين سنتي 1895 و 1907. وكانت تربطه علاقات مع أعضاء المخزن ورجال الأعمال. وكان مكانه بدرب المشرم، قرب باب الجيسة¹⁵.

13. ميج : «وثائق التاريخ» ص 250.

14. ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 449 (2 و 3).

15. ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 247، وروجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 161.

3. ليون بيرون L. Pierron طبيب للعيون طلب من المخزن رخصة للعمل وحانوتاً بفاس¹⁶.

4. جورج برونشويك (?) G. Brunshwig أغلب الظن أنه هو الذي كانت تدعوه الوثائق المخزنية برونزويك أو زويكه. فإذا كان هو الشخص المعني، فقد استوطن طنجة زمناً ثم رحل إلى فاس. وكانت له روابط تجارية وطيدة مع المخزن، وصلة بدوائر الاتحاد الإسرائيلي، لأنه كان يهودياً. ويرجح أنه هو الذي كان مديراً للمدرسة التي شيدها الاتحاد لأبناء اليهود بملاح فاس.

وجاء عنه في رسالة المحتسب سنة 1892 : «ذمي اسمه زويكه من حماية الفرنضيص يتجر بدار لورثة ابن المدني بنيس بدرب الطويل من فاس اكترها من الحاج الخياط ابن زكري بما يقرب العام، وترتب له في تجارته بذمة التجار وغيرهم نحو مائة وعشرين ألف ريال، وذهب للعامل للمفاصلة، وصار يحضر كل يوم للفصال مع من قيد طرته¹⁷ من المسلمين والنصارى. وفي حضور النصارين¹⁸ بدعة مضرة يعسر ردها»¹⁹.

ومن كانت له علاقة به الأمين الحاج محمد كُتون الذي استدان له سنة 1888 بـ 42 ألف فرنك²⁰ وعثمان بن جلون. فكتب برونشويكه إلى المحتسب وإلى العامل مطالباً بدينه²¹.

وقد سلف شيء من الكلام عنه بطنجة، وظل ساكناً بفاس حتى قبيل معاهدة الحماية²².

5. شارل إيكار ch. Hecquard كان شارلو قنصلاً متنقلاً. وحوالي سنة 1878 كان مقيماً بفاس وكذلك سنة 1881، وفي الوقت نفسه كان ترجماناً بالمفوضية بطنجة. وعند انعقاد مؤتمر مدريد كان من معيني الأدميرال جوريس ممثل فرنسا فيه. وكانت له قرابة بمدير جريدة «الكالينسي El Calpense» الإسبانية ذات الميول الفرنسية. إلا أن أساليبه في العمل لم تكن سليمة²³.

وصفه الحاجب فقال : «شارل إكار لا يخفأك خبثه وفرط طيشه وشدة ثقله»²⁴. وبركاش

16. رسالته في 9 يراير 1883.

17. المقيدون في الطرة هم : الحاج محمد القباج المدعو الفرنساوي والحاج محمد بنعيش والطاهر ابن الامين الذي سيصير محمياً بريطانيا وماك إفير ماكليود وجان فابريس المشار إليه أعلاه.

18. هما الشخصان الأخيران المذكوران في الهامشة السالفة.

19. رسالة المحتسب إلى السلطان في 20 جمادى الأولى 1311 / 29 نونبر 1893، محفظة فاس 2.

20. رسالة فيرو في 5 جمادى الثانية 1305 / 18 يراير 1888، محفظة فرنسا.

21. رسالته إليهما في 24 جمادى الثانية 1311 / 2 يناير 1894، نفس المحفظة.

22. موريس له قنكي : «حولية مغربية — 1911» ص 192.

23. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 71 (5) و ص 69 (6).

24. رسالته إلى عبد الله بن أحمد في 28 رمضان 1297 / 3 شتبر 1880، محفظة فرنسا.

اشتكى منه إلى السلطان طالبا من الله «أن يكفيننا شره»، وذلك لما كان ينوب عن ده قيرنوي الذي كان يقضي عطلة السنوية خارج المغرب²⁵. فرد : «وابتهلت إلى الله تعالى أن يكفيننا أمره، اللهم آمين، وكذلك أمر غيره، ما في علمنا وما لم نعلم»²⁶.

وكأنه كان يعرف ذلك، ويدرك أنه مقلق للراحة وأن أعضاء المخزن معرضون عن تلبية طلباته. ومن أجل ذلك كتب إلى برّكاش متمنيا أن يأتي «الجواب الشريف شافيا مبرئا للعلل، فلم يجاوبني» الوزير محمد بن العربي «جوابا تاما يحصل منه على طائل. فأجوبته كلها ناقصة لا تحصل منهم (= منها) فائدة، مع أني متحقق بمحبة سيدنا لنا.

«ومن جملة عدم اعتناء الوزير بنا وإهماله لنا أننا وجهنا رجلا من أصحابنا لحضرة سيدنا اسمه التهامي بوجنان بمكاتيب للفقير الوزير ومكاتيب للفقير السيد أحمد بن موسى.... فإذا به قبضه الوزير وسجنه بلا سبب يوجب سجنه، وخرج عن العادة : فإن الرقاص لا يسجن ولا يضرب.

«ثم كتبنا في شأنه يسرّحه ويصلح خاطره. فأجابنا عن شيء آخر وألغى الجواب عن التهامي المذكور، وطواني في الإهمال كأنني لست من أحبائه سيدنا مع أني من أخص أحبائه... حتى أن بعض أشغاله وردت علي وولدي مريضا (= مريض) حتى توفي ولم ألق له بالاً...

«وعليه فنطلب منك أن ترفع هذه لحضرة سيدنا العالية بالله...»²⁷.

وبعد أن رزى بفقد ولده، حدثت له إصابة يوم 7 أبريل 1881 فتكسرت رجله، وذلك أن «نائب الفرنسيس شارل إكار تلاقى بسيدنا نصره الله في الساعة التاسعة من تاريخه، وهو يوم الخميس السابع من جمادى الأولى. ولما خرج من عند سيدنا أمر — أيده الله — بأن يتوجه لأثدال بقصد الفرجة وطرد الكسل وجلب النشاط اعتناء به، فتوجه له.

«ولما دخل إليه ركض فرسه وغار على نعامة من النعام الذي (= التي) به. فعثر به الفرس في ساقية الماء، فسقط من ظهره. فتعلق بالفرس لينهض من الساقية فضربه على عظم ساقه اليمنى فكسره. وذلك في الساعة العاشرة من اليوم المذكور. وبنفس وقوع ذلك له أنهيناه لسيدنا نصره الله. فوقع منه موقعه وتأسفنا عليه غاية، نحن وجميع أعيان الحضرة المولوية. وفي الحين وجه له سيدنا أعزه الله طبيبين يجعلان له الجبيرة والمخفة لحمله محل نزوله بالمدينة. وتوجهنا نحن وكبراء الحضرة الشريفة حتى حمل لمحله وسليناه وصبرناه وأنهضنا رقاصا في الحين لعامل رباط الفتح بأن

25. رسالته إلى السلطان في 29 رمضان 1297 / 4 شتبر 1880، نفس المحفظة.

26. رسالته إلى برّكاش في 8 شوال 1297 / 13 شتبر 1880، نفس المحفظة.

27. رسالته إلى برّكاش في 20 شوال 1297 / 25 شتبر 1880، محفظة برّكاش.

يوحنا صبيب مرقصيصي الذي به²⁸ محصورة سعيدة بنقص معجزة حوته تدر باستوجيه عليه.

«وسيدنا أيده الله لا يقصر في المبرة به والاعتناء بشأنه حتى ينتعش ويذهب داؤه، لأنه ضيف جنابه العالي بالله ومرسول دولة من أخص الدول المحبين عند سيادته»²⁹.

ويبدو أن أثر تلك الكبوة ظل مشهورا، لأن الحديث عنها كان لا يزال مستمرا سنة 1886 في رسالة مخزنية تتكلم عن «خليفة الفرنصيص إكار الذي انكسر من رجله سابقا»³⁰.

هذا ولما كان إيكار مستعربا كان يضع علامته بالعربية. وكان السفير الفرنسي بطنجة يقدح في هذا التوقيع ولا يعتمد «فاحتج عليه بأن تلك العلامة بها كان يتصارف نيابة عن دولته فيما هو أعظم وأهم من الدعاوي في مدة خلافته كلها...»³¹.

وأخيرا نصل إلى تصرفاته. فقد ورد في رسالة جون هي إلى الحاج محمد الزبدي سنة 1881 : «فقد أخبرنا بوجه السر أن ترجمان الفريصيص الذي هو الآن بالحضرة الشريفة خاطب بأن يسلف من جهة دولة الفرنصيص عددا من المال ليجعل بها سكة النحاس بافرانصة. لكن السلطان لم يقبل ذلك... الظاهر لنا أن هذه الإشارة ليس من جهة دولة الفرنصيص، وإنما هي من كُتّانية للفرنصيص الذين يريدون يسلفوا المال لكي يربحوا في هذه الفذلكة...»

«وصل خبر هنا أن ترجمان الفرنصيص سائر يبيع الحمية ليهود مكناس... فاذا ذكر للسلطان أيده الله يجعل جهده ليفضح هؤلاء الناس الذين يطلبون الحمية... فهو قد خرق الشروط ويستوجب العزل من دولة الفرنصيص بأن تصدر الشكاية به.

«فلا بد أن السيد محمد برّكاش أن توجد منه «زعامة» ليفضح هذا... فقد سمعنا أن الترجمان الفرنصيص ذكر بأنه محب على وجه السر لدى البريزدنت ولغيره من كبار الفرنصيص. فهذا هذيان وإفك...»³².

ج : عبد العزيز الكتاني

كان سمسارا لشخص من طنجة يدعى إيريك كوان، النائب عن ابن سيمحون من مرسيليا. وكان أورديكة قد طلب سنة 1882 جعله في هذا المنصب التجاري مثلما التمس اتخاذ

28. هو الدكتور لينارس.

29. رسالة محمد بن العربي إلى برّكاش في 7 جمادى الثانية 1298 / 7 ماي 1881، محفظة برّكاش.

30. رسالة أبي بكر الحباسي إلى الطريس في 24 حجة 1303 / 23 شتنبر 1886، رقم 71 / 122 بتطوان.

31. رسالة السلطان إلى برّكاش في 28 شعبان 1300 / 4 يوليوز 1883، محفظة برّكاش.

32. عبد الرحمان ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 448 و 449.

حاج الخياط ابن زكري سمسارا رودونفو بيدل R. Vidal إلباني النائب بطنجة عن قاضي³³. ومع أن المخزن اعترض على هذا التعيين³⁴، فلا شك أنه سلمه بعد ذلك، وفي الأخير تحول الكتاني إلى الحماية الألمانية كما سيأتي. وقد تحدثت رسالة عن عبد العزيز أو عزوز الكتاني الذي كان سنة 1869 من مستوردي السكر وحبوب البن من طنجة³⁵ والذي ادعى سنة 1881 أن بضائع قد سرقت بدار سلعته، ومن جملتها 40 صندوقاً من الشاي. فطالب سفير فرنسا بأداء ما سرق له منها، وذكرت رسالة أن «أحد البيّاتين هنا قبض على صندوق أتاي من تلك السرقة بيد السيد محمد بن عبد القادر برادة. ولما قبضت عليه سرحته. وأردت رفع القضية للشرع...»

«فاعلم رعاك الله أن هذه النازلة حين وقوعها رفعت إلينا وادعى بها الشريف على السيد محمد المذكور. واستقصي في البحث عليه فلم يوجد. وأحضر والده المذكور وألزم إحضار ولده المدعى عليه، فعجز عن حضوره وأدلى برسوم تتضمن براءته في ولده وإبعاده عنه. فلم نقبل ذلك منه وقبضنا عليه. ثم بعد أن مكث في السجن مدة، ورد من تصدى للكلام في قضيته، مريداً استخلاصه من سجنه. فلم نلتفت إليه، ولا سمعنا له قولاً، وأبقينا الرجل في السجن إلى أن أخذ هذا المتصدي في الدعوى مع الشريف المذكور لدى القاضي، حتى أخرج حكمه بتسريحه وسرح على يد الشرع.

«وأما المقبوض بيده الصندوق، فلم يظفر به أولاً حتى يسرح، وإنما قبض على والده. وكان من أمره ما ذكر. وأما القول بأن عامل البلد عارف بأهل التهم من غيرهم فمعرفته متعلقة بمن بلغه خبره لا غير. وأما الاطلاع على أحوال الجميع من الصالح والطالح، فليس ذلك من كسب الإنسان لأن هذا مصرّ كبير حاوي لخلق كثير من الصالحاء والطلحاء...»³⁶.

وهكذا فر محمد برادة الذي توجهت إليه الظنون. لكن الدعوى ستبقى حيث هي. وجاء في رسالة سلطانية أن الحاج عبد القادر المقبوض في شأن ولده «أقام وكيلاً عنه، واستدعي الكتاني للقاضي المذكور، وقيد عليه المقال بأنه سجن موكله من غير موجب شرعي وطال سجنه ولحقه الضياع. فأجابه الكتاني بأن الذي سجنه هو العامل، فجعل الوكيل موجبا بأن موكله ليس من أهل التهمة، وعين ثلاثة من الضمان منصفين. وخير الكتاني فيهم، فاختر أحدهم وضمن له حضور موكله متى شاء. ولما رضي الكتاني بالضامن، وكان الولد المتهم بالسرقة كبيراً ليس تحت

33. رسالة أورديكة إلى برقاش في 17 محرم 1300 / 28 نونبر 1882، محفظة برقاش.

34. جواب برقاش إلى أورديكة في 24 محرم 1300 / 5 دجنبر 1882، نفس المحفظة.

35. مستفاد طنجة في جمادى الثانية 1286 / شتنبر 1869، محفظة طنجة 1.

36. رسالة عبد الله بن أحمد إلى برقاش في 24 رجب 1299 / 11 يونيو 1882، محفظة برقاش.

حضانة أبيه، ولا جاريا عليه إنفاقه ولا سكناه معه، سرح القاضي مولاي محمد والده»³⁷.

ثم جاء في دفتر الشكايات الفرنسية في 9 مارس 1883 أن عزوز ذكر أن ما سرق له من دار سلعته قدره «ثلاث وخمسون مائة ريال وخمسة وأربعون ريالا لكون ذلك ليس للكتاني، وإنما هو لتاجر افرانصيصي بمرسيلية... فأجابت الحضرة الشريفة بأن عامل فاس كان قد أجاب عن هذه الدعوى... وثبت عنده أن الكتاني أقر للناس بأن برادة لم يسرق له إلا صندوقا من الأتاي، وأنه حازه ووجه نسخة من شهادتهم بإقراره بذلك...»³⁸.

وآلت القضية إلى نوع من المراضاة. فقالت رسالة للسلطان، مفيضة في اعتبارات قانونية وسياسية، إن بركاش عمل «الصلح مع باشدور الفرانصيص في سرقة الكتاني بثلاثة آلاف ريال... والصلح مشروع. فأما ما اعتذر به على امتناعه من حيازة مواجب الكتاني، وعرضها على الشرع مع مواجب العامل من كون ذلك مخالفا لشروطهم، فمُسَلَّم إن كان آخذا بشروطهم، لأنها تضمنت أن المخزن هو الذي يحكم في دعاويهم مطلقا على وجه الحق، سواء كان الشاكي من رعيتهما أو من رعيتهما، لا الشرع؛ وغير مسلَّم إن كان آخذا بشروط النجليز والصينيول، لأنها تضمنت أن الشاكي إن كان من رعيتهما والمشتكى به من رعيتهما يحكم فيها المخزن لا الشرع. وعلى كلا شروطهم وشروط من ذكر فالحكم في هذه الدعوى للمخزن أو للقاضي.

«وقد فعل المخزن ما يقتضيه الحق من سماع من المدعي والمدعى عليه... حتى ثبت عنده بطلانها. ومع ثبوتها عنده، تُثَبَّت متى أدلى المدعى عليهم ببراءتهم منها بمواجب صحيحة، عدولها ثقات مبرزون من حاضرة المغرب، مخاطبا عليها قاضي قضاته. لأن الدعاوى إن كانت جَلِيَّة فلا يحتاج المخزن في الحكم فيها لمواجب. وإذا كانت خَفِيَّة كدعاوى اللطخ وما يرجع لتعمير الذم وإفراغها، فيحتاج في الحكم فيها إلى ذلك، احترازا من الوقوع في الظلم المحرم في جميع الملل.

«سيما وهذا المحل الواقع فيه السرقة ليس من المحال المخوفة التي يُحْمَل على أهلها ولا يسمع لهم كالتبائل المعروفين بالعداء، بل محل أمن وراحة وسكينة وهناء وحضارة وتمدن، وأهله معروفون بالديانة والصدق والأمانة والمروءة والثمرة والتحاشي عن الأمور الدميمة المخلة بالمروءة.

«فإذا، يتعين سماع قولهم والنظر في دعواهم. وأحرى في هذا الوقت الذي عمت فيه البلوى بما لا يكاد يخفى عليك ولا على الباشدور من أكل المقارضين أموال التجار، إما سفها وإما اضطرارا بالمسغبة، وادعائهم على الناس بالباطل. وكَم من مقارض مقبوض عندهم على مثل ذلك !

37. رسالة السلطان إلى بركاش في 3 محرم 1300 / 14 نونبر 1882، نفس المحفظة.

38. النقطة الثانية من «بيان الدعاوى التي تكلم فيها نائب الدولة الفرنسوية الفخيمة المعتبر مونفري الوافد على الحضرة العالية بالله، في 29 ربيع الثاني عام 1300، وأجوبة الحضرة الشريفة عنها» محفظة فرنسا.

«وهذه السيرة التي أريد إحدائها الآن في الدعاوي تؤذن بأن كل مقارض أكل أموال تاجره وتستتر بالحماية وبادعاء الباطل يقبل ادعاؤه من غير بحث ولا إحضار موجب، ويجعل دركه على المخزن كالخياط ابن زكري والمحدث عنه»

وحيث ألزم جوار الكتاني غرم ما ضاع له أضافت رسالة السلطان : «فها نحن أمرنا عامل فاس بإلزام المتهمين أداء الثلاثة آلاف ريال وتوجيهها لك. وإن كانوا ظالمين ولا محالة يؤدونها ويسكتون، وإن كانوا مظلومين فيؤدونها ويطلبون حقهم. والسلام»³⁹.

ويبدو من هاته الرسالة أن أمره قد أرهق السلطان، فحاول التخلص من القضية، ولكنه تدارك ذلك حينما قال لبركاش إن أهل فاس المجاورين «لحل عزوز الكتاني الذي زعم سرقة بأداء الثلاثة آلاف ريال الواقع بها الفصال على يدك في دعواه بذلك. ذكروا أنه لم يسرق له شيء وطلبوا إعمال الحق معه في ذلك بطنجة على يدك.

«وهاهم يردون عليك والمقصود في ذلك هو تحقيق القضية وإشهارها حتى يظهر الحق من الباطل»⁴⁰.

كان السلطان يعلم أنه يتحایل في دعاويه : «عزوز الكتاني الذي كان زعم من قبل سرقة خزين سلعته بزقة حجامه صار يخالط من يريد التستر فيه من فساد الزراينة، ويدعي الشركة معهم في الحرث والماشية والزيت وغير ذلك ليتوصل للادعاء بنظير ما ادعاه بزقة حجامه ويجعل هذا رأس ماله...» ولذلك أمر بإلغاء دعاويه مع الزراينة⁴¹.

39. رسالته إلى بركاش في 28 شعبان 1300 / 4 يوليوز 1883، نفس المحفظة.
40. رسالته إلى بركاش في 7 ربيع الثاني 1301 / 5 يراير 1884، نفس المحفظة.
41. رسالته إلى الطريس في 28 رمضان 1301 / 22 يوليوز 1884، محفظة الطريس 4.

6 : باقي الدول

أولاً : ألمانيا

أ : السلك القنصلي

لم يكن لها سلك قنصلي ولا محميون في أواخر القرن التاسع عشر، ولكن كان ثمة بعض السماسرة والمستوطنين. وعلينا أن نشير إلى أن الحاج محمد بن زاكور تولى لبضعة أشهر من سنة 1903 تسيير الوكالة القنصلية. وكان تاجراً أغرق أسواق فاس بالبضائع الألمانية. وكان أيضاً متهما بقتل بعض الأشراف فتابعته السلطات المغربية، مما أحدث خلافات بين المخزن والمفوضية¹.

ب : السماسرة

1. عبد العزيز الكتاني طلب له سنة 1884 أن يكون سمساراً للتاجرين هيسنير ويواخيمسون. لكن اسمه لم يرد في أية قائمة سنوية ألمانية، فلم تثبت حمايته لأنه استدان لهذين التاجرين بألفي ريال، فطالب سفير ألمانيا بتطبيق حجز تحفظي على أملاكه يسبق الحجز الذي طلبه ضده سالومون البحر المحمي الإنجليزي من أجل 500 ريال².

2. يودة بن دايد العلوف ورد اسمه في القائمة الألمانية لسنة 1897 بوصفه سمساراً للتاجر ريختر.

ت : المستوطنون

1. ريختر Richter وقد أنشأ سنة 1895 داراً تجارية كان يعمل بها شخصان ألمانان³.

1 . كُتِبَ : «ألمانيا» ص 403.
2 . رسالة فيبر إلى بركاش في 7 يراير 1884 ورسالة تيستا إلى الطريس في 3 دجنبر 1885 وموجب تبرئة الكتاني في 17 جمادى الأولى 1303 / 21 يراير 1886، محفظة الطريس 7.
3 . روجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 161.

2. الدكتور هوغو (?) فيندل Hugo Vendel كان مقيما بفاس سنة 1885 وكان يدعى الطبيب فندل⁴. وكان سنة 1887 يعمل في صناعة المصارين ويستخدم معه بفندق بفاس عدة عمال ذكور، وانتقل إلى الملاح فصار يستخدم معه النساء⁵. وكان من قبل مستخدما بأحد الفنادق بالدار البيضاء⁶.

3. ألفريد روست A. W. Rost ألماني استوطن فاسا في ماي 1892 بوصفه عميلا لشركة سويسرية بطنجة يمثلها فورت Würth، ولكنها عزلته لأنه كان كثير الشجار مع السكان وغريب الأطوار ومضرا بمصالح ألمانيا زيادة على كون تلك الدار السويسرية عرفت بتجارة السلاح⁷.

وفي سنة 1893 اشتكت السلطات المخزنية من نشاطه. فقد «توجه إلى زمور وباع في تلك القبيلة عددا من المكاحل واشترى عددا من الغنم والبقر ورجع لفاس وأخذ في بيع ذلك»⁸.

4. على أنه لما بدأت التجارة الألمانية تغزو المغرب عقد إ.ك. داننبرغ E.G. Dannenberg معاملات مع بعض تجار فاس قبل سنة 1894. وكان من زبائنه من آل بنيس محمد وأخوه الحاج عبد الكريم بن العربي ومحمد بن الحاج إدريس، ومحمد بن الحاج المفضل، ومحمد بن عبد الوهاب، وأحمد بنشقرون ومحمد بن أحمد بنشقرون وأحمد بن الخياط. وكانوا جميعا مدينين له من أجل سلع اشتروها منه ثم تقاعدوا له عن ثمنها. ولذلك أمر السلطان عامله بإجراء اللازم في ذلك⁹.

ثانيا : ايطاليا

1. الحاج عبد النبي بن الحاج إدريس بناني كان يراد جعله وكيلا قنصليا بإشارة من محمد القباچ. فرد الخزن على طلب كانطاغالي بأن الحاج عبد النبي ليس مسجلا في زمام الخمسين¹⁰. وفعلا لم يرد له ذكر في أية قائمة سنوية إيطالية.

2. يوسف بن الأزرق صار سمسارا لداييد أزولاي إلى أن نزع من الحماية¹¹.

-
- 4 . رسالة السلطان إلى الطريس في 15 ربيع الأول 1303 / 22 دجنبر 1885، محفظة الطريس 6.
- 5 . رسالة عامل فاس إلى الطريس في 24 جمادى الأولى 1304 / 20 مارس 1887، محفظة الطريس 9.
- 6 . كنين : «ألمانيا ...» ص 60.
- 7 . كنين : «ألمانيا ...» ص 403.
- 8 . رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رمضان 1310 / 9 أبريل 1893، محفظة الطريس 24.
- 9 . رسالة السلطان إلى علي الراشدي في 15 شوال 1311 / 21 أبريل 1894، محفظة ألمانيا.
- 10 . رسالة كانطاغالي إلى بوشتي ابن البغدادي في 11 غشت 1888، وجواب الطريس إلى كانطاغالي في 13 غشت، محفظة ايطاليا.
- 11 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 4 يوليوز 1890 / 16 قعدة 1307، نفس المحفظة.

ثالثا : البرتغال

1. مسعود بن البحر محمي في قائمة المحميين اليهود سنة 1880.
2. وكان الحاج محمد بن أحمد شلال في خدمة مانويل خيسوس كولاڤو المقيم بطنجة. وكان قبل ذلك سمساراً لبرديكاريس حتى تنازعا وحذف من قوائم المحميين. وقد وقع له إفلاس، وكانت عليه دعاو كثيرة¹².

رابعا : بلجيكا

لها محمي واحد في القائمة المحلية سنة 1880 : يوسف بنسيمحون.

خامساً : النمسا

- وفي نفس القائمة ذكر محمي للنمسا هو إسحاق يعقوب.
- وكان لكارليس كيلنير Charles Kellner القاطن بفيينا شركة مع أهل فاس مثل عبد الرحمان بن حمادي بناني وأخيه حمادي وعبد الرحمان القصري وعمر برادة¹³ وذلك سنة 1890.
- وهناك مستوطن أو سائح نمساوي اسمه كاردنيت (?) Gardinet كان يقطن بفاس سنة 1893. وقد ورد عنه أنه كان تاجرا في السلاح بمشاركة الألماني رُوست سالف الذكر¹⁴.
- ولما بلغ الخبر إلى السلطة المحلية، رامت طرده، فأعلنت قنصل النمسا بوليسلافسكي الذي قال في جوابه : «لا مانع من إخراج مُسَيَّ كَرْدِينِيْث، أحد رعية أنكريا، من فاس، إن ثبت ارتكابه للأفعال التي ذكرتموها في كتابكم ثبوتا قطعيا....»¹⁵.

12. رسالة كولاڤو إلى الطريس في فاتح أكتوبر 1887، محفظة البرتغال.

13. رسالة بوليسلافسكي إلى الطريس في 11 ربيع الثاني 1308 / 24 نونبر 1890، محفظة النمسا.

14. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رمضان 1310 / 9 أبريل 1893، محفظة الطريس 24.

15. جواب بوليسلافسكي في 5 ماي 1893 / 18 شوال 1310، محفظة النمسا.

الباب الثالث عشر

باقي المدن وملاحق ختامية

سينقسم هذا الباب إلى جملة من الفصول :

— الأول عن مكناس،

— والثاني عن النواحي المتبقية كوزان والريف والقصابي،

— والثالث سيكون مخصصا لجداول عامة للمحميين والسماصرة،

— أما الرابع فسأدرج فيه نص معاهدة مدريد التي يسعى هذا الكتاب إلى تبين الأحوال التي اكتنفت تطبيقها، وبعدها رسالة لمولاي الحسن حول استثناء الحماية.

وعلي أن أعترف بأنني أغفلت الكلام عن مدن أخرى مثل سلا ووجدة وتازة التي اضطلعت بأدوار شتى في تاريخ المغرب، والتي ليست على شرطي في الحماية والاستيطان، إذ ليس فيها محميون ولا مستوطنون. ومثل هذا يقال عن سوس: فلم تكن مرسى أكادير مفتوحة للتجارة ولا للاستيطان الأجنبي، غير أن رودانة كانت تحتوي على قليل من المحميين سبق الحديث عنهم وعن غيرهم بدمنات وقبيلتي ورديفة والسراغنة.

1 : مكناس

المطلب الأول : الولاية والسكان

أ : الولاية

1. بعد حمدان الصريدي ومحمد بن الشاهد¹، ولي علي مكناس محمد بن العواد الكبير الخلطي البوجنوني. وكان ذلك في فاتح شعبان 1256 / 28 شتنبر 1840.

إلا أن هذا الباشا الذي كان أحد الضباط أحدث في الجيش البخاري سنة 1842 «أمورا شنيعة، من بيع المراتب والخطط، وتوليها غير أهلها... وإلزامهم المغارم، زيادة على خيانة الرواتب الشهرية، والغفلة عن تفقد الأسلحة والعدة والخيول... وتصدي لأرث كل من حانت منيته من المخازنية، وحياسة متروكه، وبيع أصله، ومنع ورثته.

«وأما أهل مكناسة فقد سار فيهم سيرة جور وعسف، وأذاقهم عذاب ظلم وخسف، بجعل حيل ونصب حبالات وأساليب لاستخلاص الأموال ومصادرة ذوي الأغراض. وأفضى به الحال إلى جعل ديار مخصصات للفساد، وتوظيف خراج على الفاسدات في كل شهر. ولم يكفه ذلك كله... ولما تفاحش أمره، وفشا في الرعية شره، قبضنا عليه ووجهناه لفاس بكبله...»².

2. «... فشرح الله صدرنا لتولية قائد مشورنا السعيد القائد الجيلالي بن بوعزة [البخاري]، إما بلوناه من نصحه ومحبه، وعلمناه من دينه ومروءته»³.

3. الجيلالي بن العواد كان حوالي سنة 1848/1264 عاملا على مكناس⁴ وربما كان أيضا مجرد قائد بالجيش آنذاك. إلا أنه كان سنة 1847/1263 «قائد فتنة لازال لم يغسل عارها،

1 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 77.

2 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 49 و 50.

3 . نفس المرجع.

4 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 227.

وسبب محنة أصلاه [الله] نارها، مع خبث لسانه، وعدم إحسانه»⁵.

4. الحاج المجذوب بن محمد ابن الغنيمي صار عاملا سنة 1274 / 1860 أو قبلها⁶ حتى أدركته الوفاة.

5. وحينئذ ولي على المدينة محمد (فتح) بن أحمد خنشيش وكان من قبل قائد مائة على فرقة من الجيش البخاري بقصبة ثمارة⁷.

6. وبعده استعمل ابنه ادريس خنشيش على مكناس. ولم يعرف متى صار عاملا، إلا أنه كان يشغل هذا المنصب سنة 1290 / 1873 عند ارتقاء الحسن الأول إلى العرش⁸. وفي منتصف سنة 1879 عزله السلطان⁹.

7. وولي مكانه هو بن الجيلالي التروثي السرخيني الذي استمر باشا على المدينة سنين عديدة، وكانت وفاته أوائل عام 1318 / 1900 بمدينة تارودانت¹⁰.

ب : السكان

لم أقف على تفاصيل وافية عن تطور عدد سكان مكناس، عبر عقود القرن التاسع عشر، سوى أنهم بلغوا 50 ألفا سنة 1866 حسبما جاء في مصدر أجنبي¹¹. ويستغرب هذا المصدر أن يرد أهل مكناس إلى 20 ألفا فقط في أواخر القرن¹² سنة 1900.

ومع العلم بأن الأرقام ليست إلا تقديرات، حسبما عرفناه سابقاً، ينبغي أن أعيد إلى الذاكرة أن الثابت في الروايات هو أن اليهود كانوا يمثلون نحو العشر من سكان المدن، وأن مكناس والصويرة كانتا على الدوام تحتويان على طائفة وفيرة من اليهود بالمقارنة مع غيرها. وإذا عرفنا أن أحد المنصرين عاش سنوات طويلة بمكناس ابتداءً من سنة 1896، وأنه ذكر أن أعداد اليهود

5 . نفس المرجع ص 83.

6 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 117.

7 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 571.

8 . «الوثائق» ج 3 ص 144.

9 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 196.

10 . نفس المرجع أيضاً وكذلك محمد المنوني : «مقيدة عن نشاط دراسات الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر» في «المناهل»، العدد 30، ص 53 و 74.

11 . ميسج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 14 وكنيث براون : «أهل سلا» ص 48.

12 . المرجع الأخير.

كانت تتراوح بين 5 و 6 آلاف نسمة¹³، جاز لنا أن نعتقد أن العدد الحقيقي كان هو 50 ألفا في نهاية القرن التاسع عشر، وليس 20 ألفا.

لم تكن مكناس مقرا للقناصل ولا للمستوطنين من الأجانب في القرن التاسع عشر، لكن كان فيها قلة من المحميين والسماصرة. وستأتي أسماؤهم مفصلة.

المطلب الثاني : المحميون من مختلف الدول

أ : الولايات المتحدة الأمريكية

أ 1 : من إسهاد عدلي¹⁴

1 — 3 : ميمون بن هارون بن اللوري، وسمويل ابن اللوري، وسمويل بن شلوم بن هروش وكانوا سنة 1879 محميين استثنائيين.

أ 2 : من قائمة أمريكية غفل

4 : الحزان شلوم عمار محمي، وقد خوله السلطان ظهير التوقير سنة 1885، ثم عينه سنة 1889 قاضيا بالملاح¹⁵.

أ 3 : من القائمتين 59/ 69 و 60/ 69 الأمريكيتين¹⁶

5 — 7 : مسعود عمار، وميمون عمار، وإسحاق عمار وربما هم بثلاثتهم أبناء المحمي الرابع.

أ 4 : من 59/ 69

8: شلومو أفرياط

أ 5 : من غير ذلك

9: رفائيل المكناسي في سنة 1876 كان ماثيوز يريد اتخاذه محميا¹⁷، لكن في سنة

13. ميسج : «البعثات البروتستانتية ...» ص 166.

14. من استفسار عدلي بمجلس حمو بن الجيلالي في أوائل 1297 / منتصف يناير 1879، وقد ورد فيه والاثان اللذان بعده، بمحفظه الحماية القنصلية.

15. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 138 و 140.

16. ورد فيهما اسم المحمي الرابع أيضا.

17. رسالة موسى بن أحمد إلى إدريس بن محمد في 13 جمادى الثانية 1294 / 25 يونيو 1876.

1888 صدر ظهير أسدل التوقير والاحترام على الحزان رفائيل عمار المكناسي¹⁸. ولم يدر هل هذان الإسمان ينطبقان على شخص واحد.

ب : إسبانيا

وكان لها محمي واحد من أعيان مكناس هو الحاج السعيد بن الحاج الطيب غريط المدعو «كسكاس». وقد تلبس بالحماية منذ ما قبل سنة 1874 حسبما سيأتي شرحه.

كان أبوه ناظرا للأحباس سنة 1857 ثم قلد خطة الحسبة قبل سنة 1864 وظل كذلك حتى أواخر 1874 لما عزله السلطان¹⁹. أما الإبن فاحتفى بإسبانيا لأنه اتهم بقتل امرأة تحت السياط وفق ما سيرد في الختام. كان تاجرا بالعرائش التي منها أخذ صك الحماية على الأرجح. وكان نشاطه قائما على التجارة في المنسوجات وغيرها، وكانت له معاملات مع يهوديين من العرائش هما شلومو النظام وشلومو بن يهودة الصراف²⁰.

ولما قدم ممثل إسبانيا إلى بركاش قائمة الخمين سنة 1876 لم يتفطن لاسم السعيد الوارد فيها. فلامه السلطان قائلا : «إنه متلبس بالخدمة... وكان في الخدمة هو ووالده سابقا، بل كان هو المتصرف في ذلك كله. وأما والده فكان كالحيال. وما أصاب والده ما أصابه إلا من جهته. ولا زال ملطخا بحقوق الناس من أكل أموال وغيرها. وعليه دعاوى شرعية ومخزنية. وإنما سرح من السجن للمحاسبة مع شركائه من التجار والفصال معهم. فكيف تسوخ لهم حماية مثل هذا»²¹! فقد كان العاهل منشغلا بهاته الحماية التي تلبس بها غريط، فقال الحاجب لبركاش : «فقد كتبنا لك في شأن قضية السعيد غريط. وإلى الآن لم يرد علينا جوابك عنها. فلا بد أعلمنا بما فعلته فيها، فإن سيدنا نصره الله متشوق لذلك. وكن تحيينا عما نكتب لك به من مثلها من القضايا والأغراض ليطمئن البال بوصول المكاتيب إليك ويكون سيدنا على بصيرة فيما تجيب به»²².

فاعتذر بركاش عن ذلك، ذاكرا أن «سبب تأخير بعض الأجوبة هو كون الوقت مستغرقا كله في الخدمة، لأن اليوم بأجمعه نستغرقه في الملاقات مع الترجمانات والنواب وغيرهم... والليل نقطع منه في مباشرة الكتابة نحو الست ساعات تزيد أو تنقص إلا قليلا.

18. ظهير في فاتح جمادى الأولى 1305 / 15 يناير 1888، محفظة الحماية القنصلية.

19. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 155 و ج 5 ص 123 و «العز والصولة» ج 2 ص 68.

20. من رسم عدلي في 9 رجب 1301 / 5 ماي 1884، محفظة الطريس 2.

21. رسالة السلطان إلى بركاش في 17 رمضان 1293 / 6 أكتوبر 1876، محفظة بركاش.

22. رسالة موسى بن أحمد إلى بركاش في فاتح ذي الحجة 1293 / 18 دجنبر 1876، نفس المحفظة.

«على أن جميع الأوامر الشريفة التي ترد علينا يقع الشروع في مباشرتها وقت ورودها. ولم من أمر صفا أمره ولم نجد السبيل للجواب عنه في وقته.

«وها أنا قد أجبت سيدنا أعزه الله عن قضية [غريط حسبها تقف على ذلك] وقدمت الجواب عنها على ما هو ءاكّد من بعض المكاتيب... ولو وجدت الفراغ إلى الأعلام بها قبل لقدمت مكانها الكتابة في شأن زيادة الكاتب الذي أمره عندي من أهم الأمور، لأجل الإعانة على [ما نحن بصدده]. لكن أقدم الأهم فالأهم...»²³.

ومرت أعوام فرام السعيدى حماية فرنسا له سنة 1883. وجاءت رسالة مخزنية لتوضيح سبب تلبس غريط بالحماية الإسبانية قبل ذلك، ولترفض كل معاملة له مع تجار فرنسيين، ناصحة بعدم مخالطته لهم. وذلك لأن الحاج السعيدى كان «خليفة عن والده في مدة ولاية خطة الحسبة بمكناس، واشتغل بالتراعى على الناس، والحيف عليهم، وأكل أموالهم بالباطل، وإذايتهم بالضرب المؤلم، حتى أنه قتل امرأة تحت العصى تسمى بالحمارية... وكان السبب في عزل والده عن الخطة المذكورة»²⁴.

غير أن قضيته انتهت سنة 1888 بتعيينه ناظرا لبعض أحباس مكناس وأميننا «في أمر البحراوية... من جناتنا السعيدة التي بمكناس»²⁵، مما يدل على الرضا عنه.

ت : البرازيل

وصار شقيقه عبد السلام بن الحاج الطيب غريط سنة 1899 محميا وسمسارا لتاجر محمي بالبرازيل اسمه عمران مراشي²⁶.

ث : إيطاليا

يعقوب أوحنا كان سمسارا لإسحاق ناهون في القائمة الإيطالية العامة لسنة 1894.

23. مسودة رسالة برّكاش في 20 حجة 1293 / 6 يناير 1877، محفظة برّكاش. وما ورد بين معقوفتين مشطب عليه في الأصل.

24. رسالة إلى نائب فرنسا في 24 صفر 1301 / 26 دجنبر 1883. صورتها عند محمد نهيل في «رسائل مخزنية» اللوحة 28..

25. رسالتنا السلطان إلى حمو بن الجيلالي وإلى أحمد بن سودة قاضي مكناس في 24 و 25 رمضان 1305 / 30 و 31 مارس 1888، محافظ الترتيب العام.

26. تسكّرة الحماية في 17 صفر 1317 / 27 يونيو 1899، مكتبة تطوان رقم 69 / 37.

ج : فرنسا

كان لها محميان اثنان وسمسار واحد. أما الأولان فهما : مير بن موشى كوهن الذي هجم على محتسب مكناس وأغلظ له القول وسبه وسب أصحابه، وكان المحتسب هو المختار بادو²⁷، وشامويل ابن اللوري وكانا محمين²⁸. وكان السمسار هو يعقوب أوحنا الذي كان نائبا عن البنك طرازاطلانتيك، بحسب القوائم الفرنسية العامة من سنة 1882 إلى سنة 1884. وسلف أنه كان سمسارا لمحمي إيطالي.

ح : بلجيكا

حاييم بوطبول كان محميا في القائمة البلجيكية العامة سنة 1889.

وما يذكر أن شركة بلجيكية «كادت أن تنشئ بين فاس ومكناس خطا حديديا في أواخر القرن التاسع عشر. فقد أهدى أحد رجال الصناعة من مدينة مونس إلى السلطان مولاي الحسن قطارا حديديا متألفا من قاطرة صغيرة وساحبة، مع كيلومتريين من السكة. وقد وضع كل ذلك في حديقة أمّكّال بمكناس سنة 1888 بإذن السلطان الذي كان حاضرا لتدشين هذه الطريق الصغيرة. لكن عندما اقترح عليه إحداث سكة حديدية كبيرة بين مكناس وفاس أعرض عن ذلك لأنه رأى فيه بدعة ضالة. ولا عجب في ذلك مادام إنشاء أول قطار بخاري بفرنسا قد خلق بلبلة شديدة واحتجاجات كبرى. إذ لم يكن رجال الدولة يؤمنون بنجاح هذه البدعة، كما كان الفلاحون يخافون منها على سلامة مواشيهم»²⁹ بفرنسا، وحتى بغيرها.

27. ابن زيدان : «الإنحاف» ج 2 ص 368 و 197.

28. الاستفسار العدلي (الهامشة 14) .

29. إرنست لفيك : «رحلتنا المغربية» ص 48.

2 : النواحي الباقية

أسوق هنا أسماء عدد من السماسرة والمحميين بمدن ونواحي أخرى.

أ. كان لأحد المحميين بالولايات المتحدة سمسار بوزان اسمه يودة الحداد. وقد ورد اسمه في قائمتي 59/ 69 و 60/ 69 من وثائق مكتبة تطوان. وكان ذلك حوالي سنة 1891.

ب. وكان لإيطاليا بوزان ثلاثة سماسرة هم مسعود أزولاي ودانييل أزولاي ويوسف أزولاي. وكانوا في خدمة إسحاق شلومو ناهون حسب جميع القوائم السنوية الإيطالية.

ت. وكان لفرنسا محمي مشهور هو الحاج عبد السلام الوزاني. وسيرد عنه ملحق خاص.

ولنفس البلد كان خمسة من السماسرة أتى ذكرهم في القوائم الفرنسية العامة وهم :

1 — 2 : مسعود حقي، وداود (أو دودو) بن إسرائيل وكانا سمسارين بقرية الأقصاني في خدمة بنسيمحون وذلك سنة 1884 و 1885.

3 — 4 : أما الحاج محمد بن هو (أو ابن أحمد) خمليش القلعي، والكزنائي القلعي فكانا سمسارين بقبيلة قلعية، يبيعان السلع لتجار من الجزائر.

5. بريك بن محمد مضيقة (?) كان سمسارا بالشراردة للحاج علي بوطالب الحشمي.

وذلك ما يجعل عدد المحميين بمكناس والأماكن الأخرى 14 شخصا، وعدد السماسرة بها 12. وهذا ما يلخصه هذا الجدولان المواليان باعتبار المتكررين منهم:

ث : جدولا المحميين والسماسة بمكناس وغيرها (1863 – 1900)

ث 1 : المحميون

الجدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة	—	9	9
إسبانيا	1	—	1
بلجيكا	—	1	1
فرنسا	1	2	3
المجموع	2	12	14

ث 2 : السماسة

الجدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة	—	1	1
إيطاليا	—	4	4
البرازيل	1	—	1
فرنسا	3	3	6
المجموع	4	8	12

ج : نازلة الحاج عبد السلام الوزاني

كان من بابه أن يدرج بطنجة حيث كان يعيش في بعض الأوقات، أو بالعرائش التي كانت وزان تابعة لها إداريا، من حيث أن هاته المدينة الأخيرة مسقط رأسه، ومن حيث كونها «دار الضمانة». وإذا فاتي ذلك أتيت به هنا بموطن الأشراف الوزانيين.

فمن هو هذا الرجل ؟ وكيف تلبس بالحماية ؟ وما هي خلفيات التجائه إلى إسبانيا أولا، ثم إلى فرنسا ثانيا ؟

الحاج عبد السلام بن الحاج العربي بن علي الوزاني المملحي من مواليد عام 1252 / 1836. وقد توفي في 7 ربيع الأول 1310 / 29 شتنبر 1892 بطنجة ودفن بزاوية جده¹.

تزوج بأكثر من واحدة، وخلف ذرية منهم. وقد طلق جميع زوجاته لما اتخذ إيميلي كين Emelie Keene حليمة فرزق منها بابنين : علي وأحمد. وقد ولدت بلندن سنة 1849 وتوفيت سنة 1934. كانت وصيفة ومربية بطنجة عند أيون بيرديكاريس. وهي ابنة أحد محافظي السجون. تزوجت «الشريفة» أو «السنيرة» بالحاج عبد السلام في 13 يناير 1873 بمهر قدره 1000 ريال، والتزم زوجها أن يدفع لها 5000 ريال ناجزة، و 300 ريال في السنة، وأن لا يتزوج غيرها وأن لا يطلقها دون مسوغ، وإلا أدى لها تعويضا قدره 4000 ريال².

ذلك هو الشريف وهاته هي الشريفة. فكيف آل أمر من كان حاميا للناس بدار ضمانته إلى أن يلتمس الحماية لنفسه ولذويه ولزوايته ؟ وكيف صار الراعي تحت الذمة ؟ وكيف غدا المسلم تحت كفالة النصراني ؟ فقبل أن نبحت في شيء من ذلك طرفاً من الوثائق المخزنية، لا بأس بالرجوع إلى ما كتب في المصادر العربية والعجمية المطبوعة.

«كان ذاه جاه عظيم، وقدر فخيم، وكرم عميم. عرض له تحول وانتقال من وزان، لأسباب اقتضاها الحال، فسكن بطنجة إلى أن توفي بها» ولم يزد ابن ابراهيم شيئا³.

وذكر العروي أن الحاج عبد السلام كان «سيدا مطلقا بوزان، مالكا لأراض شاسعة، يقوم على خدمتها أناس كانت وضعيتهم القانونية أشبه ما كانت بحالة العبيد... وكان متمتعا بنفوذ عظيم في جميع نواحي الريف على مقربة من طنجة حيث كان يقيم كثيرا.

1 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 8 ص 490.

2 . ميسج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 105، وجاك كاي : «النوادر المغربية» ص 95 — 97، وروجرز : «تاريخ...» ص 249، وعبد المجيد بنجلون : «جولات ... قبل الحماية» ص 96.

3 . «الإعلام» ج 8 ص 490.

«ولما أصبح محميا فرنسيا سلم لمفوضية فرنسا جميع ظهائر التوقيع التي كانت في حوزته ... وطبيعي أن ينشأ عن ذلك التفكير بأن الزاوية إمارة دينية... وقد اضطلع ميشو — بيلير بدور عظيم في نشر هاته النظرية وتأويلها ... حتى قيل إن الحاج عبد السلام خليفة السلطان بالشمال وبتوات»⁴.

ومن هاته الحظوة بالمحتد وبالجاه وبالمال كانت القبائل المجاورة تغار، لأسباب كانت بلا شك تدركها هي قبل غيرها مثل بني مستارة الذين كانوا يهاجمون زاويته وعزائبه. السلطان كان هو حاميه وحامي غيره. ولما أبدى الحاج عبد السلام تطرفا... طفق نفوذه يتلاشى في البلاط، وغدا كل شيء ينفقد آنذاك ابتداء من «الزيارات».

وإذ لم يكن بوسعه العيش بدون سند سلطة سياسية، فقد حاول أن يعثر في الميدان الجزائري على ما أعوزه بالمغرب. وقد نجح في ذلك، لأن سياسة فرنسا كانت مطابقة لسياسته. فبعد أن كان واسطة إدارية للسلطان، أصبح وسيلة للسياسة الفرنسية لنفس الأسباب ولذات الظروف. فإذا الذي كان حاميا للناس من سطوة المخزن قد غدا محميا للدولة الأجنبية هي نصرانية قبل كل شيء. فاستغل السلطان ذلك للحط من شأنه، ورماء العلماء بالخيانة، وتنكرت له أسرته بفاس. وأخيرا عامله المخزن معاملة المارق، ومعنى ذلك إهدار دمه. وأفضت به هاته الحالة إلى العيش بالقطر الجزائري، وانتهت أيامه يخربها الخمر وبترصدها الجنون⁵.

ومهما يكن من أمره، فقد «عرفت فرنسا كيف تستعمل حق الحماية لأغراض سياسية. فمنحت وزارة الخارجية في يناير 1884 حمايتها لشريف وزان، تمهيدا لعملها بالمغرب والجزائر. أجل، لم يكن عبد السلام — الذي كان يقدر في الحضارة الغربية حق القدر المدافع والنساء والكحول — شخصية يسوغ تحويلها اعتمادا واسعا. لكن زواجه بإنجليزية وإدمانه على شرب الخمر حدّا بعض الشيء من سمعته. وظل رئيسا روحيا للطريقة الطيبية⁶ التي كانت تبسط نفوذها لا على المغرب الشمالي فحسب، ولكن حتى على الجبال الوهرانية ولا سيما وأنه — من ذرية إدريس الثاني — كان صالحا لمقام معارض يمكن نصبه على العرش متى اقتضى الحال...»⁷.

الواقع أن الحماية التي أسبغت عليه لم تكن وليدة اللحظة وإنما كانت مدبرة أثناء حرب تطوان. وقد تدخل مغامرون مثل رولفس G. Rohlfis الألماني في أن تمنحها له إسبانيا⁸. ولهذا لم

4 . عبد الله العروي : «الأصول...» ص 133 و 143.

5 . نفس المصدر ص 145 و 146.

6 . الزاوية الطيبية بالجزائر نسبة إلى الطيب بن محمد بن مولاي عبد الله الشريف هي نفس الطريقة التهامية بالمغرب. فالتهامي والطيب كانا شقيقين.

7 . شارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة...» ص 32.

8 . مبيج : «وثائق التاريخ...» ج 5 ص 66.

يحرك عبد السلام ساكنا، ولم يقدم للجيش المغربي متطوعين ولا مددا، لأنه كان يتوقع انتصاراً إسبانياً، يقيه انتقام هاته الدولة التي كانت متاخمة لمنطقة نفوذه⁹.

وفي السنوات السابقة لمؤتمر مدريد، تبرأت إسبانيا من حمايتها إياه، بعد أن تحسنت العلاقات التي كانت بينها وبين المغرب. إذ تنصل وزير خارجيتها في أكتوبر 1879 من المؤامرة التي كان يدبرها قائد موقع سبتة للإطاحة بحكم مولاي الحسن فعزل عامل سبتة وسائر الموظفين المدنيين والعسكريين المشاركين في المؤامرات، واتخذت تدابير مستعجلة لإحباطها¹⁰.

على أن أوردنيغة هو الذي أعطى للحماية بعدها السياسي الأول سنة 1884. وكان مدفوعاً بقوة اقتصادية ضاغطة. فعمد إلى توزيع بطائق الاحتماء على أصحاب الحاج عبد السلام توزيعاً واسعاً، حتى قال السلطان أن لا وجود لمعاهدة مدريد في ذهن السفير الفرنسي.

وخاض الخائضون في تدبير المكائد مثل الكونت ده شافانياك والمقاول الفرنسي بطنجة جول جالوزو الذي أبرم مع الوزاني سنة 1888 مضاربة كبرى، فاشترى منه أراضي شاسعة كانت ملكاً للزاوية ولم تكن ملكاً للشريف¹¹، فسطا على ما ليس له، وفوته تفويتاً محرماً.

لكن كيف توصل هو نفسه إلى ما كان يعد من ملكه الشخصي ؟ كانت له ولأصحابه طريقة من طرق التحايل والترامي ها هو تلخيصها :

إذ أراد أحد بيع عقاره، فإنه يستدعى إلى «دار الضمانة»، ويشهد عليه عدلان بكونه يبيع الأرض الفلانية للشريف الفلاني، ثم يتقاضى أمام عدلين ثمن الأرض. وعند اجتيازه الممر، بين صحن الدار وبابها، يكون أعوان الشريف وزبائنته له في الانتظار، فيخيرونه بين رد المقدار المالي وبين تعذيبه ونعته بين الناس بالخروج عن طاعة الشرفاء الذين سيصبون عليه سخطهم — الأبدى الذي يحمل أبعاداً دنيوية ودينية — إن هو تمسك بأخذ المقدار المالي. وعندما لا يكون أمام البائع من خيار سوى إرجاع المال، فإن أكف الضراعة ترفع بأن يحفظه الله ويرعاه ويبارك في رزقه الخ... وبذلك تمكنت الزاوية من احتكار مساحات كبيرة من الأراضي وإدخالها في إطار «عزيبها» أو أراضيها التي ستبلغ سنة 1930 نحو 5000 هكتار في قبيلة سفيان الشرقية¹² وحدها.

والسطو كان هم أيضاً على مياه العيون سنة 1902، بينما كان لأهل وزان ماء الآبار فقط¹³.

9 . عمر الخالدي : «نموذج من الإقطاع الجهوي» في «دراسات عربية» العدد 8، يونيو 1980، ص 74.

10 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 79.

11 . عبد الله العروي : «الأصول» ص 254. ومبيج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 243 (11).

12 . عمر الخالدي : «نموذج ...» ص 69 و 76.

13 . أسهب أوبان في الحديث عن الزاوية الوزانية في كتابه «مغرب اليوم» ص 459 — 487.

بعد هاته النقول المجلوبة من المصادر المطبوعة، ترى ماذا ورد في الوثائق المخطوطة؟¹⁴.
لقد جاء في رسالة لأميني طنجة أن السلطان أمر سنة 1873 بجعل العسة على الشريف عبد السلام بن الحاج العربي ليتلاً يركب البحر¹⁵. ولم يرد بيان واضح عن سبب هذا الإجراء السلطاني.

وكانت قضيته تدعى «نازلة وزان»، وكان السلطان يسمي الحاج عبد السلام «المتنصر» تارة، و«المحتمي»، إطلاقاً دون تحديد تارة أخرى. وقد امتلأت عزائبه بعدد من «المتعلقين» والعزابة من قبائل الخلط وطلق وجباله. وكان هؤلاء — أو على الأصح البعض من كبارهم — لا يكادون يقدمون دعماً في الضراء، ولا مساهمة في السراء، ولا يفوقون نبالا في سبيل الله.

قال بركاش متحدثاً عن أورديكة الذي وصل إلى باريس سنة 1884، أثناء جلبة احتماء الحاج عبد السلام : «لما وصل باشدور الفرنضيص لباريز، وكثر الهرج بافرانصة وتزايد الكلام القبيح في الجواريط، وساءنا ذلك مع ما وصلنا بالأمس من النائب الحاج محمد الطريس مما دار في نازلة وزان وغيرها، تعين علينا النهوض لباريز، وإن كنا لازلنا لم نتم الدواء هنا بمرسيلية...»¹⁶.

ومما جاء في رسالة مخزنة عنه : «وصل كتابك بأن باشدور الفرنضيص كتب لك بما في كتابه الذي وجهت من أن الحاج عبد السلام ولد السيد الحاج العربي الوزاني طلب من دولته الدخول في حمايتها، فقبلت مطلبه، حيث صدرت منه الخدمة لها بتوسطه في هدنة حدود إيالتها، اعتماداً على ما تضمنه الشرط السادس عشر من وفق مدريد من تسويغ حماية من صدرت منه خدمة عظيمة لدولة من دول الأجناس، ودار بينك وبينه في ذلك ما شرحته، وطلب منك الجواب فتوقفت فيه : حيث ذكر أن طلبهم شرعي، وتخوفت مما عسى أن يقع من المتصرف في الزاوية. فكتبت له بما في النسخة التي وجهت، وذكرت أن معاملته لو بقيت جارية على مقتضى عمل من قبله من دون خرق للعوائد ولا هضم للجانب لم يقع شيء من هذا. وصار ذلك بالبال.

«فأما ما ذكره الباشدور من أن طلبهم شرعي، فإن كان مبنيًا على الشرط المذكور فهو صحيح، لأن الشرط أملك، والمؤمنون عند أقوالها، والوفاء بالعهود واجب شرعاً لما فيها من درء المفاسد وجلب المصالح.

14. عن الزاوية والمتعلقين بها والحاج عبد السلام تنظر عدة وثائق بمحفوظة فرنسا. ومنها رسائل من ربيع الثاني إلى جمادى الأخيرة 1304 / يناير — مارس 1887، وهناك رسالة سلطانية إلى بركاش في 20 جمادى الأولى 1301 / 18 مارس 1884، وأخرى من السلطان إلى الطريس في 21 رمضان 1301 / 15 يوليوز 1884 تبين سياسة الحسن الأول من الوزاني ومن عزائبه ومن فرنسا، بمحفوظة الطريس 3 و 4.

15. رسالة الغسال ومحمد التازي إلى الحاج محمد بنيس في 24 صفر 1290 / 23 أبريل 1873 (8700 م.و.م).

16. رسالته إلى السلطان في 11 رجب 1301 / 7 ماي 1884، محفظة بركاش. وقد تقدمت في ص 397.

«لاكن اعتمادهم في حماية المذكور على هذا الشرط ليس بمسلّم. لأن وساطته في هدنة الحدود التي اعتمدوا عليها ليست من قبَل نفسه حتى تعد من خدمته ويجزى عليها بهذا الجزاء، بل المخزن هو الذي كلفه بذلك وجعله واسطة فيه، وصير عليه مالا له بال في ذهابه وإيابه لذلك، زيادة على ما جازاه به المخزن.

«فالمنزلة للمخزن لا له. وقد استخدمه المخزن في ذلك وغيره بداخل الإيالة كما كان يستخدم أسلافه فيه، حتى أن والده السيد الحاج العربي رحمه الله كان «يمرك» مع سيدنا قدسه الله. ولأجل ذلك أسدل عليهم المخزن جلايب الوقار والاحترام، والتنويه والإعظام، وجعل لهم الظهائر بذلك، وحرر أصحابهم ومن تعلق بهم مراعاة لخدمتهم. وكذلك غيرهم من كبراء زوايا المغرب كشرقاوة وآيت بناصر : يستخدمهم المخزن في ذلك. والوجاهة التي حصلت لهم إنما اكتسبوها بصرف المخزن لهم في ذلك. والحاصل فجميع كبراء زوايا المغرب من خدام المخزن، العريقين في خدمته، الراسخين القدم فيها لاتسوغ حمايتهم»¹⁷.

وانتهى الأمر بالصمت عن حماية الحاج عبد السلام، ولو أنه كان من نتائجها عزل أورديكة وتعويضه بفيرو الذي وجد أمامه هاته المعضلة، فلم يجد لها حلا حتى داهمه الموت.

وظلت القضية معلقة حتى توفي الوزاني. وحينئذ أراد الطريس استمالة أبنائه، واستجلاب أكبرهم العربي، ولا سيما أن «الأجانب كانت لهم أهمية كبيرة بجلبه ... لما يرون في ذلك من مصالحهم المهمة. وقد قضى عمره معهم كما قدر الله تبارك وتعالى».

وأضاف النائب أن الحاج عبد السلام «خلف أولاداً شبانا مطية الجهل. وأكبرهم السيد العربي لانسمع عنه وعن أحواله إلا خيرا. فإن رءا مولانا أعزه الله أن ينقذهم من متوقع تلك المخالطة باستجلابه وانحياشه هو وإخوته للجانب الشريف ... كان خيرا. فقد بلغنا أن ذوي الأغراض قصدوا لاستجلابهم بأنواع الإحسان والتعظيم. ومن ذلك السواح الفرنسي صاوي صاحب نازلة الشيخ بن زوينة¹⁸ توجه قرب التاريخ إليهم. ومكانته من دولتهم مكيئة»¹⁹.

فأجابه السلطان : «فلا نكره لهم خيرا، إن وفقهم الله. فلتسنع في ذلك عسى الله أن يجعل هدايتهم على يدك، والسلام»²⁰.

ولم ينجح الطريس في مسعاه، لأن العربي ظل على ولائه لفرنسا. فكان من الذين مهدوا السبيل لضياح توات سنة 1900. وتدل على ذلك رسالته إلى محمد أو سالم قائد هاته الواحة

17. مسودة رسالة سلطانية بدون تاريخ بمحفظه برنكاش. ويبدو أنها مرسلة إلى هذا الأخير.

18. هو هنري ده لا مارتنيير الذي كان مرسلا من المصالح الاستعمارية بالجزائر.

19. رسالة السلطان إلى الطريس في 27 ربيع الأول 1310 / 19 أكتوبر 1892، محفظة الطريس 23.

20. جواب السلطان في 6 ربيع الثاني 1310 / 28 أكتوبر 1892، نفس المحفظة.

بتاريخ 5 شوال 1311 / 11 أبريل 1894. وفيها يلح عليه في الاستسلام لمطالب الفرنسيين الذين كانوا عازمين على إرسال عدد من الفرق العسكرية لاحتلال تلك المنطقة. ومما قاله العربي إنه «لم يرد الفرنسيين عن تحقيق مشروعهم الرامي إلى مواجهة جهاتكم سوى التقدير والمراعاة لشخصي، لكونهم يعرفون بأن أهل توات خدام وعبيد لأسرتي وبأنكم لا تسمعون لآراء أحد غيري... وللا فسيصيب روعي كدر... لأنني أعطيت وعددي للفرنسيين بحضوركم إلى مدينة الجزائر. فلا توقفوا إذن اتفاقنا، ولا تخالفوا الرأي الذي لدي فيكم»²¹.

وقبل أن أنهى الكلام عن الحاج عبد السلام أشير إلى أن زوجته إيميلي كانت قد اتفقت مع إايوان سميث على نزع الحماية الفرنسية عن ولديها، ولكن ذلك لم يقع²².

وأختم نازلة وزان بوثيقة عن الخلاف الذي طرأ بشأن مقدم الزاوية عبد الجبار الوزاني.

فمن هو ؟ عبد الجبار بن محمد بن عبد الجبار الوزاني «كريم سخي، وسري مرضي، له في المكارم باع طويل، وفي مفاخر الشيم الذكر الجميل.

«تولى ولاية وزان منذ أزمان، وبقي فيها مدة إلى أن تخلى عنها لأسباب اقتضاها الحال، ونفسه بذلك طيبة»، إذ في سنة 1884 رحل عبد الجبار من وزان²³ أي أنه عزل عن الزاوية.

الوثيقة التي سأعرض نصها الكامل تناولت الخلاف بين أولاد الحاج عبد السلام وبين عبد الجبار الوزاني مقدم الزاوية. وهي تشتمل على 15 فصلا. كما أنها تحتوي في النهاية على ثلاثة فصول، اثنان منها يتعلقان بمحمد وحمو القلعي الذي تقدم أنه كان سمسارا بالريف. أما الثالث فيختص بقضية أحمد ولد الحاج علي العرائشي الذي ادعى الحماية من لدن فرنسا، لكن المخزن لم يسلمها. ولعل ذلك لأنه كان متوليا.

ووجه إدراج كافة هاته الفصول في هاته النوازل الثلاث التي استغرقت 18 فصلا، هو مراعاة وحدة الوثيقة والاستفادة من مقتضى سياقها.

السداد كان بين المخزن وبين ممثل فرنسا، الذي لعله شارل فيرو، من أجل حل هاته المشاكل. والمعروف أن هذا الأخير كان يسعى لحل قضية الحاج عبد السلام الوزاني. غير أن ضغوطا وقعت عليه أدت إلى إرجاء البحث في الملف المغربي الفرنسي حتى توفي دون الوصول إلى حل.

21. عمر الخالدي : «نموذج ...» ص 74 — 75 (نقلا عن أطروحة الهاشمي ابن الراضي : «شرفاء وزان والمخزن وفرنسا 1850 — 1912»). رسالة العربي يبدو أنها مترجمة عن الفرنسية وأن أصلها عربي.

22. حسبما أورده محمد كنيب نقلا عن وثائق وزارة الحربية الفرنسية.

23. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 8 ص 28 و ج 2 441.

الوثيقة لا تحمل تاريخاً²⁴، ورقمها بتطوان هو 32/ 67. وها هو نصها :

الحمد لله

[1] قضية الحاج عبد السلام الوزاني، اشتملت على خمسة عشر 15 فصلا :

الفصل الأول : التلقي الذي ذكر الباشدور — أنه وقع من أجل أهل وزان واليهود كلهم لنائبه وقونسوه — إنما وقع من أصدقاء المشكو به. ولذا أريد من الباشدور إعادة توجيه من يحقق ذلك، من قبله ومن قبل الحضرة الشريفة.

الفصل الثاني : ما تشكى به الذين تلقوا لمن ذكر — من ظلم السيد عبد الجبار لهم وأكله أمتعتهم — لم يُعهد منه. ومن فعل به شيئا من ذلك يقيد شكواه ويأتي بها، وينظر حينئذ هل تفاصيل أولا. وإلا كانت دعاويهم أدعياء.

الفصل الثالث : ما ذكره أولاد الحاج عبد السلام — من أن صاحب السيد عبد الجبار لو لم يسبهم بإشارته ما ضربوه ولا سجنوه — مردود عليهم بالانتصاف لأنفسهم، مع كون الحكام منصوبين لرد المظالم. فما لهم لم يرفعوا ذلك للحضرة الشريفة أو لبعض الحكام كبركاش ونحوه ؟ فتصرفهم لأنفسهم افتيات منهم على جانب المخزن، وغرض وشهوة نفسية فيمن أوقعوا بهم ذلك حتى أتلفوا مهجتهم.

الفصل الرابع : ما ذكره — من أنهم سرحوا صاحب السيد عبد الجبار المذكور، وبعد تسريحه وجه له السيد عبد الجبار شربة فيها السم فمات بسببه، وأن زوجته شهدت بذلك — مخالف للواقع، بدليل أن أهل القتل لم يتشكوا من السيد عبد الجبار، وإنما تشكوا من أولاد الحاج عبد السلام. وشهادة زوجة القتل — بأن السيد عبد الجبار هو الذي قتله بما ذكر — توجه للحضرة الشريفة وينظر فيها بطريق الحق والفصل.

الفصل الخامس : حماية الحاج عبد السلام — التي ذكر الباشدور أنها قديمة، إلا أنه لم يستظهر بها — لم يعهد إعطاؤها لمثله. وهل هي مسلمة بقوانينهم ؟ فإن سلمتها القوانين — مع كونه هو وأسلافه عندهم ظهائر الخدمة والتحرير والتوقير والتعظيم — فتقصر عليه وحده فقط، دون غيره كالأصحاب ونحوهم.

الفصل السادس : السيد عبد الجبار — الذي أشار الباشدور بعزله وتولية غيره من الشرفاء — لم يكن عاملا كما قدم للباشدور، وإنما هو مقدم يحول بين الشرفاء وبين العامل في الأمور الصغار، صونا لعرض الشرفاء من وقوع العوام فيه.

24. يدل الفصل الثالث من نازلة وزان على أنها وضعت في عهد بركاش حوالي 1885.

الفصل السابع : العامل على وزان في الحقيقة هو والي العرائش، لا المقدم المذكور.

الفصل الثامن : الحضرة الشريفة بصدد إصدار الأمر لعامل العرائش بأن يقدم بنفسه لوزان، ويقيد جميع أملاك الزاوية وعزبانها وكل ما يحسب عليها، ويجعل على الجميع ناظرا من قبل المخزن.

الفصل التاسع : الناظر الذي يجعل على أملاك الزاوية وعزبانها يكون مشرفا عليه مقدم الزاوية والعامل، على قاعدة أحباس الأدارسة بزرهون.

الفصل العاشر : عامل العرائش يحد عزبان الشرفاء : كل شريف شريف، لا فرق بين السيد عبد الجبار ولا بين الحاج عبد السلام وغيره، ويقصرهم في ذلك على المعروف لأمثالهم من الشرفاء أهل النسبة الذين لهم العزائب في القبائل كالدسول والحيائنة والبرانس وغيرهم من القبائل. ومازاد على ذلك من الأخلاط كل يدفع لعامله.

الفصل الحادي عشر : الأحكام على عوام وزان وعزائبهم كلها ترجع لعامل العرائش، ويجعل خليفة عنه بوزان من أهل الجدد.

الفصل الثاني عشر : الدعاوى الصغار التي للشرفاء فيما بينهم ترجع للسيد عبد الجبار، والكبار للعامل، على قاعدة النقباء بفاس وغيرها.

الفصل الثالث عشر : إن لم يصالح السيد عبد الجبار مع ابن عمه المتظلم، ولارفع ما بينهم من التناقض والشحناء، أو لم يُجعل لهما تأويل، وكان لا بد من عزل السيد عبد الجبار، فينقل أولاد الحاج عبد السلام الذين نشأت عليهم الفتنة بوزان. لأن بقاءهم به مع كون غير السيد عبد الجبار متوليا عليه لا تنقطع معه مادة الفساد بين الشرفاء وأصحابهم، لجرأة المذكورين. وحينئذ يعزل السيد عبد الجبار ويجعل غيره نقيبا على الشرفاء على ذلك المنوال، لاكن بعد خروج أولاد الحاج عبد السلام من وزان للعلة المذكورة.

الفصل الرابع عشر : صلح الحاج عبد السلام مع السيد عبد الجبار — إن وقع — لا تسقط معه : 1 تولية عامل العرائش على وزان، 2 ولا جعل الناظر على أحباس الزاوية، 3 ولا حصر أهل العزائب والأصحاب.

الفصل الخامس عشر : أولاد الحاج عبد السلام يتخلون عن المدعى عليهم بقتل الشريف السيد العربي بن السيد علال بن الطيب الوزاني وهم المسمون بطرته²⁵، ويتركونهم يأتون لمقابلة

25. جاء في الطرة أن أسماء المتهمين بالقتل هم :

سيدي الهاشمي، وسيدي محمد وسيدي العربي، ولدا سيدي عبد الله ابن التهامي بن علي، ومحمد ولد المدني.

خصمهم بمجلس الشرع وبالحضرة الشريفة. كما يتخلون أيضا عن المسمين بطرته²⁶، الذين يدعي عليهم الشريف السيد أحمد بن المكّي الوزاني بالهجم على داره، ويتركونهم يأتون لمقابلة خصمهم لدى الشرع وبالحضرة الشريفة.

[2] قضية محمد أحمّ القلمي اشتملت على فصلين :

الفصل الأول : ما ذكره الباشدور — من أنه لا يوافق على ما هو عليه محمد أحمّ المذكور بقبيلته من السعي في الفساد — هو الظن به والمعروف من العقلاء أمثاله الساعين في الخير. جُزِيَ خيرا على ذلك.

الفصل الثاني : ما أشار إليه الباشدور — من أنه يوجه عليه وترد له بلاده بالثمن الذي بيعت به ويؤدي ثمنها للمشتريين لها ولا يحصل له ضرر — نظر سديد. فليوجه عليه، ويرد له بلاده بالثمن الذي بيعت به، ولا يحصل له ضرر. نعم، يُرد ليد المخزن حتى يفاصل ما ترتب عليه بوجه جميل، حسبما كان وقع معه الاتفاق عليه، ولا يلحقه ضيم ولا هضم، مراعاة له. وحتى إن وقع منه شيء بعد يوجب تربيته يُعلم به الباشدور. وحينئذ ينظر فيه.

[3] قضية أحمد ولد الحاج علي العرائشي اشتملت على فصل واحد :

ما صرح به الباشدور — من أنه لا حماية له عندهم — دليل على ذكائه ورجحان عقله. لأن هذا الإنسان في خدمة المخزن خلفا عن سلف لا تسوغ حمايته. وقد صدق بذلك قوله في بعض مكاتيبه الواردة على الحضرة الشريفة. فمن الآن وفيما يُستقبل، فلا يكون يعطي حماية إلا بشرطها وقانونها. جزي خيرا على ذلك.

26. أما المتهمون بالهجم فهم:

الشريف السيد الطيب بن عبد الجليل الوزاني، والتهامي الزمراني، وعلال ولد حجلافة، وعليو بن حسون، والطيب بن خمسون، وحيدو ولد العبودة، ومحمد ولد الصواف، ومحمد ولد عبد السلام البقالي.

3 : جداول تلخيصية *

أعود لأجمل هنا ما فصلته في الأبواب السابقة من أعداد المحميين والسماصرة. وقد وضعت لذلك ستة جداول منها جدولان عامان (ص 1204-1207) ميزت فيهما بين المسلمين واليهود، منطلقا من 1863 وهي سنة إبرام بيكالار للترضية المعروفة بين فرنسا والمغرب، ومنتها إلى سنة 1900.

وقد راعيت في الجدولين المذكورين التكرار الوارد في الأسماء، فلم أحذفه من الأعداد. بل تركته على حاله ولو تنقل هؤلاء من حماية دولة إلى حماية دولة أخرى أو من حماية سياسية أو إدارية إلى حماية تجارية. وسنلاحظ وفرة الحماية الاستثنائية عند اليهود المنحاشين للدولتين الأمريكيتين اللتين كان لهما مستوطنون جد قليلين، لا يتطابقون مطلقا مع عدد السماصرة والخلطاء.

وسنرى أن جل الوكلاء التجاريين كانوا في خدمة الإنجليز والطارقين واليهود. وسيثير انتباهنا خلو تطوان من كل سمسار، والدار البيضاء من كل محمي بريطاني. وسنجد فقط بالمدينة الأخيرة محميين وسماصرة لليونان التي لم تستدع لمؤتمر مدريد ولم تشارك فيه.

وزيدة القول اصطبغ بلون الحماية والسماصرة 2061 شخصا، ذكرت هوياتهم في محلها. وها هي أعدادهم ملخصة أثناء الفترة المقصودة :

ج 1 : الأعداد والنسب

الجميع	المسلمون اليهود				الفئة
	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
1154	53,73	621	46,27	533	المحميون
907	28,00	254	72,00	653	السماصرة
2061	40,87	875	59,13	1186	المجاميع

* هذا الفصل والذي بعده ينطبقان على الأبواب السابقة جميعها. وقد أدرجت هنا لأختم بهما الكلام عن الحماية والاستيطان.

ج 2 : تلخيص جداول الخميين، بحسب الانتاء والموطن والنسبة المئوية

(1863 - 1900)

النسبة النسبة (الدول)	الجميع	مكتاس وغيرها	فاس	مراكش	الصورة	آسفي	الجديدة وأزور	الدار البيضاء والأحواز	سلا والرباط	القصر والغرب	المراكش	تطوان	طنجة وأصيلة	الدول
17,67	204	9.—	17.10	—	15.1	10.4	7.7	28.10	5.3	4.1	9.2	8.3	31.20	الولايات المتحدة
17,50	202	2.1	19.5	6.3	46.7	12.7	6.5	2.8	3.9	2.—	—	4.3	16.36	فرنسا
11,78	136	—1	1.8	1.—	3.2	21.1	3.10	14.21	2.5	—	8.3	2.11	—19	إسبانيا
9,28	107	—	3.2	2.3	22.1	3.2	2.3	—	—4	—	2.1	1.3	9.44	إنجلترا
9,19	105	—	—	3.—	17.—	—	1.5	29.22	7.—	—	—	—	21.—	البرازيل
8,83	102	—	1.—	—	5.—	1.5	3.12	12.6	10.—	—2	4.1	4.5	9.22	البرتغال
8,67	100	1.—	—	—	5.—	6.1	12.5	10.9	2.4	—	1.1	2.1	29.11	إيطاليا

5,10	59	—	—	—	3.6	—	4.6	1.6	—5	—	2.6	—	5.15	ألمانيا
4,15	48	1.—	1.—	—	2.—	1.4	1.5	3.5	1.1	—	3.3	1.2	3.11	بلجيكا
3,45	40	—	1.—	—	4.—	1.2	2.2	2.4	2.—	1.—	1.3	3.3	5.5	الأنيبال
2,08	24	—	—	—	—	2.4	2.5	—3	—	—	—	—	3.5	السويد والنرويج
1,20	13	—	—	—	—	—1	—6	—2	—	—	1.1	—	—2	هولاندا
0,60	7	—	—	—	—	1.—	—3	—	—	—	1.—	—	1.1	الدانمارك
0,50	6	—	—	—	—	—	—	1.5	—	—	—	—	—	اليونان
533	621	13.2	43.25	12.6	122.17	58.31	43.74	102.101	32.31	7.3	32.21	25.31	132.191	م = مسلمون ي = يهود
1154	15	68	18	139	89	117	203	63	10	53	56	323	البحر	النسبة (الدين)
1,30	5,90	1,56	12,05	7,72	10,13	17,64	5,46	0,86	4,60	4,86	28,03			

ج 3 : تلخيص جداول السماسرة، بحسب الانتشاء والموطن والنسبة المئوية

(1900 - 1863)

النسبة (الدول)	الجميع	مكناش وغيرها	فاس	مراكش	الصويرة	آسفي	آزور والجديدة	الدار البيضاء والأحواز	سلا والرباط	القصر والغرب	المراكش	طنجة وأصيلة	الدول
25,19	229	—	2.5	5.3	27.10	9.23	8.33	4.46	5.3	3.21	5.6	6.5	إنجلترا
20,46	186	3.3	4.7	8.3	9.—	3.8	6.9	5.57	1.15	3.10	2.13	7.10	فرنسا
12,98	118	1.—	1.4	—	1.—	—3	3.5	10.54	—	1.1	1.25	7.1	الولايات المتحدة
10,56	96	4.—	1.—	4.4	—	3.3	9.8	9.35	2.3	3.8	—	3.—	إيطاليا
10,56	96	—1	—	1.2	18.—	—6	—4	15.49	—	—	—	—	البرازيل
8,30	74	—	1.1	7.2	9.1	1.4	2.8	2.29	—	1.2	—	4.—	ألمانيا
4,62	42	—	1.—	—	—	—	—15	—23	—2	—1	—	—	إسبانيا

البرتغال	1.2	---	3	1	10	7.11	---	2	---	---	---	---	38	4,18
بلجيكا	---	---	8	---	2	---	---	---	---	---	---	---	10	1,10
الأنيبال	1	---	1.2	1.1	---	1	---	---	---	---	---	---	7	0,77
السويد والنرويج	---	---	---	---	3	---	---	---	---	---	---	---	3	0,33
اليونان	---	---	---	---	3	---	---	---	---	---	---	---	3	0,33
هولاندة	---	---	2	---	---	---	---	---	---	---	---	---	2	0,22
م = مسلمون ي = يهود	19.28	8.44	12.58	8.26	45.311	37.92	16.47	66.11	25.14	10.18	8.4	653	254	
الجموع	57	52	70	34	356	129	63	77	39	28	12	907		
النسبة (المدن)	5,17	5,72	7,70	3,74	39,16	14,19	6,93	8,60	4,29	3,08	1,32			

ومما يستحسن ذكره أن هاته الأرقام في الجدول الأول ليست إلا جد طفيفة وقليلة، بالنظر
 لجموع السكان (بضعة الملايين). غير أن نسبة المحميين والسماسة كانت أقوى عند اليهود منها
 عند المسلمين بالنسبة لجموع الطائفتين. وحتى لو أضفنا الخلطاء (وكان أكثرهم من المسلمين)
 لظلت النسبة هي هي.

الجدولان التخليصيان العامان السابقان لست أعني بهما إحصاء جميع المحميين
 والسماسة، لكن فقط الذين وقفت على أسمائهم. وبديهي أن هؤلاء جميعا لم يتزامنوا تزامنا تاما.
 وإنما كانوا يعوضون، وقليل منهم من ظلوا محميين خلال هاته الفترة كلها : فمنهم من مات ومنهم
 من عزل ومنهم من استقال، بحيث أن عدد المحميين والسماسة لم يتجاوز بضع المئات في كل سنة
 على أكبر تقدير.

وبعد هاته التوضيحات الضرورية عن الجدولين المذكورين لن يفوتني أن أسوق هنا أيضا
 على سبيل الاستثناس جدولين آخرين : أولهما لسماسة التجار الألمان بين سنتي 1901 و
 1903، وثانيهما جدول عام للخلطاء والمحميين والسماسة سنة 1905.

ج 4 : سماسة التجار الألمان¹

كان عددهم 35 شخصا سنة 1899 غير أنه بدأ يتكاثر قليلا بعد ذلك :

المدينة	1901	1902	1903
طنجة	8	8	8
العرائش	1	1	1
الرباط	2	2	2
الدار البيضاء	13	12	16
الجديدة	8	7	6
آسفي	2	4	4
الصويرة	4	4	7
مراكش	1	2	4
فاس	2	2	2
الجميع	41	42	50

1 ثكنين : ألمانيا والمغرب» ص 499 (1).

ج 5 : أعداد المحميين والسماصرة والخلطاء سنة 1905

بعث أحمد الطريس إلى والده الحاج محمد بتاريخ 11 جمادى الأولى 1323 / 14 يوليوز 1905 رسالة ضمنها جدولاً عاماً² لأعداد المحميين والخلطاء لرعايا الدول الموقعة على معاهدة مدريد، باستثناء البرازيل والدانمارك ولكن بإضافة روسيا.

تقييد بيان ما عند كل جنس بلسطته

[الدول]	المتوظفون	المحميون	السماسر	المخالطون
الاسطرياك	33	00	00	049
البلجيك	45	00	05	074
الصينيول	70	12	64	342
المريكان	14	04	15	121
الفرنسيس	19	07	64	375
الانجليز	24	05	83	777
الطليان	36	14	43	318
البرطقال	23	11	14	286
الروسيا	11	00	00	000
هولاندة	11	00	02	008
السويد				
والنرويج	17	00	02	012
الألمان	38	02	43	499
[الجميع]	341	55	335	2861

2 . أفادني بهما صديقي محمد بن عزوز حكيه مشكوراً.

ج 6 : فئات المحمين بالدار البيضاء³

سنة 1899 / 1317

وهذا آخر جدول أقدمه ملخصا لأصناف المحمين سنة 1899 بالدار البيضاء من لدن دول معاهدة مدريد، لكن سنعجب من أنه يخلو من أعداد المحمين لكل من فرنسا وبلجيكا والنمسا :

الدولة	المحميون	السماسة	الخلطاء	الجنسون	المجموع
إنجلترا	6	26	236	—	268
البرازيل	5	46	103	—	154
البرتغال	8	11	124	—	143
ألمانيا	5	8	124	—	137
إيطاليا	6	29	91	—	126
إسبانيا	14	20	71	5	110
الولايات المتحدة	6	6	42	—	54
السويد والنرويج	5	2	14	—	21
هولاندة	2	—	2	—	4
الدانمارك	3	—	—	—	3
المجاميع	60	148	807	5	1020

3 . صورته بمديرية الوثائق الملكية، محفظة الحماية القنصلية 2، وهو يقع في 55 صفحة تتضمن جميع أسماء المحمين والتجار.

4 : نصوص تاريخية

أ. وفق مدريد

كانت هاته المعاهدة هي المرجع الدولي في قضية الحماية القنصلية. إلا أن تطبيقها من لدن ممثلي بعض الدول كان تعسفياً.

وقد رأيت أن أضرم نصها العربي إلى صلب الموضوع واجعل أمامه الترجمة الرسمية الفرنسية، بغية توضيح ما غمض من المعاني وما عسر من التراكيب العربية العتيقة، ولكنني حذفت من النصين الحثثات والمقتضيات.

Convention de Madrid
(3 juillet 1880)

معاهدة مدريد
(3 يوليوز 1880)

ARTICLE 1

Les conditions dans lesquelles la protection peut être accordée sont celles qui sont stipulées dans les Traités britannique et espagnol avec le Gouvernement marocain et dans la Convention survenue entre ce Gouvernement, la France et d'autres Puissances en 1863, sauf les modifications qui y sont apportées par la présente Convention.

ARTICLE 2

Les Représentants étrangers Chefs de Mission, pourront choisir leurs interprètes et employés parmi les sujets marocains ou autres.

Ces protégés ne seront soumis à aucun droit, impôt ou taxe quelconque, en dehors de ce qui est stipulé aux articles 12 et 13.

ARTICLE 3

Les Consuls, Vice-Consuls ou Agents consulaires Chefs de poste qui résident dans les Etats du Sultan du Maroc ne pourront choisir qu'un interprète, un soldat et deux domestiques parmi les sujets du Sultan, à moins qu'ils n'aient besoin d'un secrétaire indigène.

Ces protégés ne seront soumis non plus à aucun droit, impôt ou taxe quelconque, en dehors de ce qui est stipulé aux articles 12 et 13.

الفصل الأول

والشروط التي تقبل بها الحماية هي المقررة في شروط التّجليز والصّبنيول مع دولة المغرب والوفوق الواقع بينها وبين الفرنسيين والأجناس الأخر عام 1863 سوى التراتيب التي ستقع في هذا الوفاق.

الفصل الثاني

ونواب الأجناس يمكن لهم أن يختاروا ترجماناتهم وخدامهم من المسلمين أو غيرهم. وهؤلاء محميون لا يُلزمهم رؤساء المحل جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك سوى ما هو مقرر في الفصل الثاني عشر والثالث عشر.

الفصل الثالث

والقناصل وبن قنصلات والأخنطس قنصلات الذين هم رؤساء المستقرين في إيالة سلطان المغرب لا يمكنهم أن يختاروا سوى ترجمان واحد ومخزني واحد ومتعلمين من رعية السلطان، إلا إذا احتاجوا كاتباً عربياً. وهؤلاء لايلزمهم حتى جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك سوى ما رتب في الفصل الثاني عشر والثالث عشر.

ARTICLE 4

Si un Représentant nomme un sujet du Sultan à un poste d'Agent consulaire dans une ville de la côte, cet Agent sera respecté et honoré, ainsi que sa famille habitant sous le même toit, laquelle, comme lui-même, ne sera soumise à aucun droit, impôt ou taxe quelconque en dehors de ce qui est stipulé aux articles 12 et 13 ; mais il n'aura pas le droit de protéger d'autres sujets du Sultan en dehors de sa famille.

Il pourra, toutefois, pour l'exercice de ses fonctions, avoir un soldat protégé.

Les Gérants des Vice-Consulats, sujets du Sultan, jouiront, pendant l'exercice de leurs fonctions, des mêmes droits que les Agents consulaires sujets du Sultan.

ARTICLE 5

Le Gouvernement marocain reconnaît aux Ministres, Chargés d'Affaires, et autres Représentants le droit, qui leur est accordé par les Traités, de choisir les personnes qu'ils emploient, soit à leur service personnel, soit à celui de leurs Gouvernements, à moins toutefois que ce ne soient des Cheiks ou autres employés du Gouvernement marocain, tels que les soldats de ligne ou de cavalerie, en dehors de Maghaznias préposés à leur garde. De même ils ne pourront employer aucun sujet marocain sous le coup de poursuites.

Il reste entendu que les procès civils engagés avant la protection se termineront devant les Tribunaux qui en auront entamé la procédure. L'exécution de la sentence ne rencontrera pas d'empêchement. Toutefois, l'Autorité locale marocaine aura soin de communiquer immédiatement la sentence rendue à la Légation, Consulat ou Agence consulaire dont relève le protégé.

Quant aux ex-protégés qui auraient un procès commencé avant que la protection eût cessé pour eux, leur affaire sera jugée par le Tribunal qui en était saisi.

Le droit de protection ne pourra être exercé à l'égard des personnes poursuivies pour un délit ou un crime avant qu'elles n'aient été jugées par les Autorités du pays, et qu'elles n'aient, s'il y a lieu, accompli leur peine.

الفصل الرابع

إذا نائب من نواب الأجناس عين، واحداً من رعية السلطان أختط قنصل بإحدى المراسي، هذا الأختط يكون هو وعياله الساكنون بداره موقرين محترمين ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك سوى ما اشترط في الفصل الثاني عشر والثالث عشر. ولاكن لا يقدر أن يحمي أحداً من رعية السلطان إلا عياله فقط. وله الحق ليكون عنده مخزني محمي. والبيس قنصلات من رعية هذه الأيالة يتصرفون في وقت خدمتهم في الحقوق مثل الحقوق التي للأختط قنصلات من رعية السلطان.

الفصل الخامس

الدولة المراكشية اعترفت للباشدورات والمينسطورس ونواب الأجناس بالخصوصية التي عندهم على مقتضى الشروط من اختيار الأناس لخدمتهم الخاصة أو لخدمة دولهم، دون الأشياء أو غيرهم من الخدام للدولة المراكشية مثل العسكر والمخازنية، إلا ما يحتاجون من المخازنية لحراستهم. ولاكن لا يقدر أن يستخدمون حتى واحداً من رعية مراكش عليه دعوى. ومعلوم أن الدعاوى الشرعية المبدية قبل الحماية تتم أمام المجالس التي بدئت فيها، ولا يجدون مانعاً في وفاء الحكومة. نعم الولاية المراكشية يجب أن يخبروا حيناً بالحكم الصادر للكنسيونيس والقنصلات أو الأختط قنصلات الذين كان منهم ذلك المحمي. والمحميون الذين تنحوا من الحماية وعليهم دعوى مبدية قبل خروجهم من الحماية فدعواهم يكون الحكم فيها في المجلس الذي بدئت به. ولا تعطى الحماية للأناس الذين عليهم دعوى جريمة قبل أن يحكم عليهم ولاية البلد ويوفى الحكم الواقع عليهم.

الفصل السادس

ARTICLE 6

La protection s'étend sur la famille du protégé. Sa demeure est respectée.

Il est entendu que la famille ne se compose que de la femme, des enfants et des parents mineurs qui habitent sous le même toit.

La protection n'est pas héréditaire. Une seule exception déjà établie par la Convention de 1863, et qui ne saurait créer un précédent, est maintenue en faveur de la famille Benchimol.

Cependant, si le Sultan du Maroc accordait une autre exception, chacune des Puissances contractantes aurait le droit de réclamer une concession semblable.

أهل المحمي داخلون في الحماية أيضاً، وله التوقير والاحترام في داره. ومعلوم أن الأهل يشمل الزوجة والعيال والأقارب من صغار السن الساكنين تحت سقف داره. والحماية لا تورث سوى استثناء واحد في شأن أهل بَن شيمول من حيث هو مقرر في وفق 1863. وهذا الاستثناء لا تفتح الأبواب. نعم إذا حضرة سلطان المغرب أنعمت باستثناء آخر فجميع الدول المجتمعين بالمجلس لهم الحق في طلب مثل ذلك.

الفصل السابع

ARTICLE 7

Les Représentants étrangers informeront par écrit le Ministre des Affaires Etrangères du Sultan du choix qu'ils auront fait d'un employé.

Ils communiqueront chaque année au dit Ministre une liste nominative des personnes qu'ils protègent ou qui sont protégées par leurs Agents dans les Etats du Sultan du Maroc.

Cette liste sera transmise aux Autorités locales, qui ne considéreront comme protégés que ceux qui y sont inscrits.

نواب الأجناس يخبرون كتابة لوزير الأمور الخارجية من حضرة السلطان حين يختارون متوظفاً. ويدفعون في كل سنة، للوزير المذكور، تقييداً اسماً من الأناس المحميين عندهم أو من المحميين الذين يحمون الأخنطس في إيالة المغرب. وهذا التقييد يوجه لولاة البلد، ولا يحسبون محمياً سوى ما هو مذكور فيه.

الفصل الثامن

ARTICLE 8

Les Agents consulaires remettront chaque année à l'Autorité du pays qu'ils habitent une liste, revêtue de leur sceau, des personnes qu'ils protègent. Cette Autorité la transmettra au Ministre des Affaires Etrangères, afin que, si elle n'est pas conforme aux Règlements, les Représentants à Tanger en soient informés.

L'Officier consulaire sera tenu d'annoncer immédiatement les changements survenus dans le personnel protégé de son Consulat.

والأخنطس يُمكنون في كل سنة لولاة البلد الذين هم ساكنون بها تقييداً مع طابعهم من الأناس المحميين عندهم. والولاة المراكشية يبعثونها لوزير الأمور البرانية ليطلع عليها وينظر هل هي غير موافقة مع الترتيب ليخبر نواب الأجناس المستقرين بطنجة. والفسيال القنصلية يجب عليهم يخبرون في الحين بجميع التبديل الذي يقع في الأناس المحميين من قنصلاتهم.

الفصل التاسع

ARTICLE 9

Les domestiques, fermiers et autres employés indigènes des secrétaires et interprètes indigènes ne jouissent pas de la protection. Il en est de même pour les employés ou domestiques marocains des sujets étrangers.

Toutefois, les Autorités locales ne pourront arrêter un employé ou domestique d'un fonctionnaire indigène au service d'une Légation ou d'un Consulat, ou d'un sujet ou protégé étranger, sans en avoir prévenu l'Autorité dont il dépend.

Si un sujet marocain au service d'un sujet étranger venait à tuer quelqu'un, à le blesser ou à violer son domicile, il serait immédiatement arrêté, mais l'Autorité diplomatique ou consulaire sous laquelle il est placé serait avertie sans retard.

المتعلمون والفلاحة أو المتوظفون الآخرون من رعية مراكش الذين هم في خدمة كتاب العربية والترجمات المراكشيين ما لهم حماية. وكذلك المتعلمون والخدام لرعية الأجnas. لكن فولاة المسلمين لا يقبضون متعلما أو خادماً — لأحد في خدمة اللكسيون أو القنصلات أو رعية الأجnas أو محمي — دون إعلام لحاكم جنسه. وإذا يوجد أحد من رعية هذه الإيالة في خدمة أحد من رعايا الأجnas قتل أحداً أو جرحه أو هجم عليه فيقبض في الحين ويقع الإعلام لنائب دبلمتك أو لقنصل جنسه عاجلاً.

الفصل العاشر

ARTICLE 10

Il n'est rien changé à la situation des censaux telle qu'elle a été établie par les Traités et par la Convention de 1863, sauf ce qui est stipulé, relativement aux impôts, dans les articles suivants.

لايقع تبديل في شيء من أمر السماسرة مما هو مقرر في الشروط وفي وفق 1863 إلا ما يترتب في شأن الوظائف في الفصول التي ستأتي بعد.

ARTICLE 11

Le droit de propriété au Maroc est reconnu pour tous les étrangers.

L'achat de propriétés devra être effectué avec le consentement préalable du Gouvernement, et les titres de ces propriétés seront soumis aux formes prescrites par les lois du pays.

Toute question qui pourrait surgir sur ce droit sera décidée d'après ces mêmes lois, avec l'appel au Ministre des Affaires Etrangères stipulé dans les traités.

الفصل الحادي عشر

حقوق الأملاك العقارية لرعية الأجnas بالمغرب معروف[ة]، وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية، ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة في شريعة البلد، وجميع النوازل التي تقع في هذه الحقوق يحكم فيها على مقتضى شرع البلد، ولهم رفعها لوزير الأمور البرانية كما هو مقرر في الشروط.

الفصل الثاني عشر

ARTICLE 12

Les étrangers et les protégés propriétaires ou locataires de terrains cultivés, ainsi que les censaux adonnés à l'agriculture, paieront l'impôt agricole. Ils remettront chaque année à leur Consul la note exacte de ce qu'ils possèdent, en acquittant entre ses mains le montant de l'impôt.

Celui qui fera une fausse déclaration paiera, à titre d'amende, le double de l'impôt qu'il aurait dû régulièrement verser pour les biens non déclarés. En cas de récidive cette amende sera doublée.

La nature, le mode, la date et la quotité de cet impôt seront l'objet d'un Règlement spécial entre les Représentants des Puissances et le Ministre des Affaires Etrangères de Sa Majesté Shériffienne.

ARTICLE 13

• Les étrangers, les protégés et les censaux propriétaires de bêtes de somme paieront la taxe dite des portes. La quotité et le mode de perception de cette taxe, commune aux étrangers et aux indigènes, seront également l'objet d'un Règlement spécial entre les Représentants des Puissances et le Ministre des Affaires Etrangères de Sa Majesté Shériffienne.

La dite taxe ne pourra être augmentée sans un nouvel accord avec les Représentants des Puissances.

ARTICLE 14

La médiation des interprètes, secrétaires indigènes ou soldats des différentes Légations ou Consuls, lorsqu'il s'agira de personnes non placées sous la protection de la Légation ou du Consulat, ne sera admise qu'autant qu'ils seront porteurs d'un document signé par le Chef de Mission ou par l'Autorité Consulaire.

رعية الأجناس والمحميون الذين لهم الملكية في الأرضين أو يكونون اكثروها، والسماسة الذين تكون عندهم الفلاحة يدفعون الزكاة والأعشار. وفي كل سنة يدفعون لقونصوهم تقييداً صحيحاً بما يملكونه، ويدفعون بيده ما يجب عليهم من الزكاة والأعشار. والذي يشهد بالزور يؤدي — ذعية مرتين — الأعشار الواجب [ة] عليه شرعاً في هذا الشيء الذي سكت عنه. وإذا وقع منه هذا مرة أخرى فتنى له الذعية المذكورة. والوجه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الأمور الخارجية للحضرة الشريفة.

الفصل الثالث عشر

رعية الأجناس والمحميون والسماسة الذين عندهم بهائم الحمل يؤدون ما وجب في الأبواب. والقدر وكيفية قبض هذا الواجب تكون واحدة لرعية الأجناس ورعية السلطان، ويكون في ذلك ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس بطنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة. وهذا القدر لا يزداد فيه إلا باتفاق جديد مع نواب الأجناس.

الفصل الرابع عشر

لاقبل توسط الترجمات وكتاب العربية والمخازنية الذين هم لبعض اللكسيونيس والقونصوات في أمور الناس الذين لم يستحقوا الحماية من اللكسيونيس والقونصوات إلا اذا جلبوا بيدهم رسماً بخط يد نواب الأجناس أو القونصوات.

ARTICLE 15

Tout sujet marocain naturalisé à l'étranger, qui reviendra au Maroc, devra, après un temps de séjour égal à celui qui lui aura été régulièrement nécessaire pour obtenir la naturalisation, opter entre sa soumission entière aux lois de l'Empire et l'obligation de quitter le Maroc, à moins qu'il ne soit constaté que la naturalisation étrangère a été obtenue avec l'assentiment du Gouvernement marocain.

La naturalisation étrangère, acquise jusqu'à ce jour par des sujets marocains suivant les règles établies par les lois de chaque pays, leur est maintenue, pour tous ses effets, sans restriction aucune.

ARTICLE 16

Aucune protection irrégulière ni officieuse ne pourra être accordée à l'avenir. Les Autorités marocaines ne reconnaîtront jamais d'autres protections, quelle que soit leur nature, que celles qui sont expressément arrêtées dans cette Convention.

Cependant, l'exercice du droit consuetudinaire de protection sera réservé aux seuls cas où il s'agirait de récompenser des services signalés rendus par un marocain à une Puissance étrangère, ou pour d'autres motifs tout-à-fait exceptionnels. La nature des services et l'intention de les récompenser par la protection seront préalablement notifiées au Ministre des Affaires Etrangères à Tanger, afin qu'il puisse, au besoin, présenter ses observations; la résolution définitive restera néanmoins réservée au Gouvernement auquel le service aura été rendu. Le nombre de ces protégés ne pourra dépasser celui de douze par Puissance, qui reste fixé comme maximum, à moins d'obtenir l'assentiment du Sultan.

La situation des protégés qui ont obtenu la protection en vertu de la coutume désormais réglée par la présente disposition sera, sans limitation du nombre pour les protégés actuels de cette catégorie, identique pour eux et pour leurs familles, à celle qui est établie pour les autres protégés.

جميع الرعية المراكشية الذين أخذوا النطرنيز من الأجناس ورجعوا للمغرب واجب عليهم بعد مدة من استقرارهم فيه قدر المدة التي احتاجوها شرعاً للحاق هذا النطرنيز أن يختاروا إما أن يدخلوا [دخولا] تاماً تحت حكم شريعة الإيالة أو يلزم عليهم الخروج من المغرب، إلا إذا ثبت أن هذا النطرنيز لحقه بإذن الدولة المراكشية. والنطرنيز الذي لحقه الرعية المراكشية إلى الآن على مقتضى الشرائع الجارية في كل بلد يبقى مستحفظاً في كل وجه من غير نقص.

الفصل السادس عشر

حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لاتعطي في المستقبل. والولاية المراكشية لا يعرفون أبداً حماية أخرى من أي وجه كان دون هذه الحماية الخاصة التي اتفق عليها في هذا الوقف. ولكن إجراء حق حماية كُنُسْتِدِينِير وهي الحماية المعتادة تستحفظ في صورة واحدة لتكون جزاء لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشي لأحدى دول الأجناس أو لأسباب أخر غريبة الوقوع. وكيفية هذه الخدمة ونية جزائهم بالحماية يقدم الأعلام بها لوزير الأمور الخارجية بطنجة ليتمكن عند الاحتياج أن يعرض مراعاته. والفصال المتمم تستحفظه الدولة التي وقعت لها الخدمة. وعدد هؤلاء المحميين لا يمكن أن يتجاوز اثني عشر لكل جنس، وهذا العدد المعين هو الأعلى، إلا إذا لحقوا قبولا من الحضرة الشريفة. وحالة المحميين الذين عندهم الحماية على مقتضى العوائد التي أصلحت في هذا الفصل يكون من دون نقص من عدد المحميين من هذا الصنف الكائن الآن لهم ولعياهم وعلى السواء مثل الحالة المقررة للمحميين الآخرين.

الفصل السابع عشر

ARTICLE 17

Le droit au traitement de la Nation la plus favorisée est reconnu par le Maroc à toutes les Puissances représentées à la Conférence de Madrid.

دولة المغرب اعترفت لجميع الأجناس التي نوابها حاضرون في هذا المجلس ليجرى ضم جميع التفضيل الذي ينعم به جنس من الأجناس.

ARTICLE 18

La présente Convention sera ratifiée. Les ratifications seront échangées à Tanger dans le plus bref délai possible.

Par consentement exceptionnel des Hautes Parties contractantes, les dispositions de la présente Convention entreront en vigueur à partir du jour de la signature à Madrid.

En foi de quoi les Plénipotentiaires respectifs ont signé la présente Convention, et y ont apposé le sceau de leurs armes.

Fait à Madrid, en treize exemplaires, le trois Juillet mil huit cent quatre-vingt.

الفصل الثامن عشر

وهذا الوفق سيثبت، والشبكات يتبدلون بضجة في مدة عن قريب. يمكن أن يكون — وبرضى مستثنى من الأجناس المتفقة — ترتيبه يجري من يوم ختمه بمدير. ولشوت ذلك المفوضون المذكورون وضعوا خطوط يدهم في هذا الوفق وضعبوا بضابعم وجعلوا ثلاث عشرة نسخة.

وحرر بمدير في 3 يلية عام 1880، الموافق

24 من رجب عام 1297.

ب. رسالة السلطان مولاي الحسن

حول تفاحش الحماية بقبيلة مديونة سنة 1894 *

الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

(الطابع السلطاني الكبير)

خديمنا الأرضي الحاج محمد بن العربي الطريس،
وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فغير خاف عليك أن التجار لم يتمشوا في اتخاذهم السماسرة من الرعية على مقتضى الشروط الذي هو اتخاذ من كان منهم ذا تجارة متسعة سمسارين، ومتوسطة سمساراً واحداً، وصار

* أصلها بمكتبة تطوان، ويوافق تاريخها 30 أبريل 1894. ولما استشهدت بطرف منها في الصفحتين 423 و 821 تسرب إليها بعض التحريف. فها هو النص كاملاً أعلاه، فليراجع ما عداه.

كل واحد منهم يتخذ ثمانية فأكثر، وحتى من لا تجارة له أصلاً صار يتخذهم ويتعيش فيهم، ولا يتحرى في أخذهم خدام المخزن كالأشياخ ونحوهم، بل يأخذهم منهم، وإذا وقع معه الكلام فيهم يزعم أنهم ليسوا في خدمة المخزن. وكل سمسار تنحاش لخيمته العشرون خيمة من إخوانه فأكثر، فيتعرض عليها للعامل إذا طالبها بأداء الـ [كُلف] والملازم الترتيبية والحقوق المترتبة عليها ويحميها، مع أن المحمي لا يحمي غيره.

كما لم يتمشوا أيضاً — هم والمحميون — على مقتضى الشروط في اتخاذ المخالطين، وصار الواحد منهم يتخذ الخمسين والستين مخالطاً، وكل مخالط ينحاش إليه العدد الكثير من خيام إخوانه فيتعرض عليهم للعامل ويغريهم على عدم إعطاء الواجب، والقيام بالكلف، وعلى عدم إعطاء حقوق الناس المترتبة عليهم، ويحميهم مع أنه لاهمية له هو فضلاً عن أن يحمي غيره. وهو بنفسه إن امتنع من القيام بما ذكر مع إخوانه أو استوجب الأحكام يلزمه المخزن القيام بها ويجريها عليه بعد الإعلام وفق الشروط.

وقد اتسع الخرق بهذا على العمال، وانحلت به عُرى أحكامهم، وحصل الضرر لقبائلهم من عدم قيامهم معهم بذلك، ولسائر الناس بعدم توصلهم منهم بحقوقهم، وصاروا فوضى بتعصب التجار وتعرضهم لعمالهم عليهم، ومن مد اليد منهم فيهم يدعون عليه بالباطل.

ومن جملة القبائل الذي (= التي) وقع فيها هذا الخرق الفظيع وتفاحش أمره قبيلة مديونة، فقد كادت أن تكون كلها سماسرة ومخالطين بدون شرط ولا قانون حسبما تقف عليه — في زمامات السماسرة والمخالطين منها والخيام المنحاشين هم الممتنعين من أداء ما ذكر — طيه. وملخصه 62 اثنان وستون سمساراً، و 202 مائتا مخالط ومخالطان، وإحدى عشرة مائة خيمة وست وستون خيمة منحاشة كلها لأولئك السماسرة والمخالطين وما وقع منهم التعرض عليها.

وعليه فنأمر أن تكلم نواب الدول بما يتعين في ذلك وتقف في رفق هذا الخرق وخصوصاً الذين من قبلهم التجار المتخذون السماسرة والمخالطين من القبيلة المذكورة، وتجري أمرهم معهم على مقتضى الشروط : من إلزام التاجر الذي تجارته متسعة الاقتصار على سمسارين فقط والتخلي عما عداهما، والذي تجارته متوسطة الاقتصار على سمسار واحد والتخلي عما سواه، والاقتصار على اتخاذ المخالطين أو ثلاثة ممن تسوِّغ الشروط حمايتهم ومخالطتهم، والذين ليسوا في خدمة المخزن ولا تباعة عليهم، وإلزام السمسار الاقتصار على خيمته وعدم التعرض على غيرها لكون المحمي لا يحمي غيره. وكذلك المخالط : فإن المخزن بصدد إجراء الأحكام على الخيام المنحاشين إليهم المتقاعدين عن أداء الحقوق. ومن تعرض منهم عليهم وعمته الصفقة معهم فمصيبتُهُ على نفسه، وذنبه على رأسه.

وما جعلته معهم في ذلك طير لنا الإعلام به.

والسلام، في 24 من شوال عام 1311.

فهرس الأعلام *

— الألف AEIOU —

- أبارودي : عبد السلام 622
 " العربي 455 — 478
 إبراهيم بن سهل 998
 " بن الحاج علي (الحاج) 89
 " بن يزيد 1144
 " بن أحمد 1107
 أبعر : الحاج أحمد بن علي 653 — 660 —
 664 — 668
 أبعر : أم كلثوم وعبد الرحمان 660
 أوبيلو إي كناليس : فليبي F. Ovilo y
 170 Canalis — 557 — 570
 أبلوند : عبد السلام 688
 أبلأغ 1124
 أنسور : نونة 1104
 " إسحاق 599 — 799
 " هارون 507
 أيطان : مسعود 1081
 أبطاح : بناحيم 847
 " يمين 841
 إيسل : كارل Carl Adalbert Apel 600
 الأبيض : محمد بن محمد بن قدور 101
 إيتيان Etienne 610
- أجانا : الطاهر 111
 أكراب 1038
 أكريل Agrell 644
 أكرناي : محمد بن الحسن 467
 أكواروني إي سوليس : رفائيل R. Acquaroni Y
 776 Solis — 777 — 779
 أكيليرا بليغيثويلو : خ J. Aguilira Pleguezuelo
 383 — 386
 أوكوني : F. Hugonnet 1107
 إيكن Igen 825
 أحديد : عبد القادر الريفي 599
 أحرضان : الحاج أحمد 78
 " عبد الكريم 517
 " عبد السلام 393 — 397 — 398
 — 411 — 553 — 625
 الأحرش : أبو عمرو بن الحاج أحمد 68 — 69
 " الحاج محمد 68
 " محمد بن المكي الزباني 911
 " الميلودي بن محمد بن المكي 842
 أحمد المنصور السعدي 42 — 85
 أحمد بن مولاي عبد الرحمان 132 — 1137
 أحمد بن إدريس 1017
 أحمد بن بوعزة 943
 أحمد بن الحاج بوشعيب 990 — 1017

• الخط المائل يعني تتابع أرقام الصفحات.
 • المزدوجتان تكرر العلم المفهرس.
 • الفهرسة اجتهدية فيمن ليس له علم مميز.

الأحلامي : الحاج محمد بن	أحمد بن الجيلالي 1035
المرباط 1033 — 1035	أحمد بن حدو 721
أحلوي : الحاج محمد 572	أحمد بن الأحسن 1014
الأحمر 1144	أحمد بن احساين 572
” محمد بن سالم 420 — 1144	أحمد بن الكبير (مولاي) 1121
أحنيش 936	أحمد بن موسى 942
أدامس 470 Adams	أحمد بن موسى (الحاج) 467
ادحمان بن الحساني 1057	أحمد بن مبارك 1006
الإدريسي : محمد بن الهاشمي 182 — 975	أحمد بن المعطي 1008
إدريس بن المهدي (مولاي) 74	أحمد بن مسعود 892
إدريس الأول 38 — 1144 — 1195	أحمد بن مولود (الحاج) 1072 — 1080
أدراق : أحمد وعبد الرحمان 179	أحمد بن معتوق (الحاج) 1008
” محمد 177	أحمد بن المختار (الحاج) 1047
” عبد الوهاب بن أحمد 178 — 185	أحمد بن منصور (الحاج) 788
إدوارد السابع 414	أحمد بن ناصر 838
إدواردز : ج J. Edwards 1158	أحمد بن علي (الحاج) 697
أدروباو : خواكين J. Adrobau 818 — 887	أحمد بن علي (أو بو علي) 506
أرميخو : لايبكا (دي) LaVega de	أحمد بن العياشي 620
386 Armijo	أحمد بن عبد الله 582
أورصاص : علي أديفوس 65 — 66 — 1082	أحمد بن عامر (مولاي) 1121 — 1122
أوردية : لاديسلاس L. Ordéga 285 —	أحمد بن عزوز (الحاج) 670
379 — 491 — 523 — 608 — 615 — 731	أحمد بن عبيد 861
— 906 — 909 — 927 — 1107 — 1178	أحمد بن الفقيه 622
1196 — 1198	أحمد بن الشعير 506
أيركان : جول J. Erekman 20 — 164	
أروباس : إسحاق وحاييم ومردوخ وعزار 637	

1109 مير
 1011 شلومو
 أزولين : مسعود 1105 — 1036
 981 مير بن يحيى
 أزولاي : حسان بن دايد 1128
 901 — 782 — 581 — 280 دايد
 902 — 1007 — 1018 — 1183
 1192 دانيال ومسعود ويوسف
 1152 موشي بن عمور
 935 — 666 موشي
 1034 سعيد
 685 شلومو
 935 — 818 هارون
 309 يهودا
 688 شماعة
 الأطرش : جاك 697 — 698 — 1114
 1114 إميل
 1024 — 1114 جول
 أطلايا : أليخاندرامون 884 A.R. Atalaya
 873 أوغوستو
 887 — 884 — 865 — 818 دومينكو
 887 — 885 — 883 رامون
 886 — 885 — 883 — 817 كارلو
 886 فرانسيسكو
 886 أطوي : إبراهيم
 111 محمد بن عبد الواحد
 564 M. Atienza مارية
 31 أكاد : أحمد
 572 أكيري : محمد

697 إيرفاتو
 281 Irvine إيرفين
 281 Armour أرمور
 600 Armstrong أرمسترونغ
 1114 E. Erlanger إيرلانجي : إميل
 572 أزام : أحمد ومحمد بن سلام
 468 عبد السلام بن العربي
 970 — 1062 الأزموري : بوشعيب بن المعطي
 572 أزكود : الحاج الحسن
 776 — 114 الأزرق : الحاج أحمد
 17 — 16 الأزرق : رشيد
 66 — الحاج الطالب
 508 — 314 محمد
 70 — 66 محمد بن الحاج حمادي
 782 — 776 — 117
 111 الأزرق : محمد بن عبد الواحد
 116 عبد الحي بن محمد
 129 — 108 — 83 أزطوط : بوسلهام بن علي
 633 — 514 — 439 — 391 — 381 —
 645 — 673 — 675 — 702/699 — 704 — 705
 698 أزطوط : محمد العرائشي
 419 عبد السلام
 510 أزكوط
 619 دايد وموشي وشالوم
 468 إبراهيم بن يودة
 466 ساسون

- أثغسوس : محمد 20 — 21 — 81 — 138 —
 191 — 374 — 439 — 707 — 1119 —
 1123 — 1143 — 1145
 أكعبون : عبد السلام بن الحسين أكرنّاي 468
 إيكار : شارل Ch. Heequard 614 — 736 —
 1173 — 1178/1176
 آلار : جوزيف J. Allard 169 — 349 —
 352 — 1028 — 1136
 آلار 625 Allard
 التكيلد : بيتي Betty Altgeld 1045 — 1052
 ألبارس:ريكاردو R. Alvarez 510 — 573
 " مانويل 510 — 818 — 884 — 888
 " إي بيرث خوصي 875 — 1098 —
 1099 — 1101
 الألفي : الحسين بن هاشم 1086 — 1112
 ألفارة : جوزي بيرش J. Peres Alfarrá 1009 —
 1011
 " جواو جوزي 1009 — 1011
 " فرانسيسكو 1011
 ألبا لويس L. Oliva 563 — 564
 أوليف Ollive 1114
 إيلطون : وليام جيمس W. J. Elton 769 —
 1033
 إيلطون : وليام صامويل 769
 إيلويس : أوجين E. Helouis 616 — 621 —
 625
 إيليوط : س C. N. Eliot 504 — 512 —
 872
 إيلي 75
 إلياس ولد كيو 1000
 الأمراني : الحاج عبد المالك 128
 أمزلاك : ابراهام 800
 " موشي 936 — 949 — 940
 " يهودة 1105
 أمّلاح : الحاج محمد بن مبارك الجديري 1060
 — 1071 — 1084
 أملاح : الحبيب 1072
 إميليانو : أوخينيو E. Emiliano 509
 أمين : أحمد 920
 إيموسي : يوسف 683 — 686 — 719 — 723
 إيموسي : فرانسيس 985
 أفسلم : ابراهام 841
 " إسحاق 684
 " شلومو 1030 — 1032
 " يعقوب 693
 أمقيشد : إدريس بن عبد السلام 567 — 570
 — 672
 أمقيشد : محمد 509
 " محمد بن العربي 571
 " الحاج محمد 669
 " العباس 440
 الأنجوري : محمد 507
 أنجيلي Angéli 87
 أنكو : كوستاف G. Angot 818 — 912
 إنكليش : إيرل E. English 985 — 987
 إنكلفيلد Englefield 1160
 إنكراهام : د ه D. H. Ingraham 483
 أندريس Andrés 585 — 638
 — 1222 —

أندري 281 André

أندريانو 884 — 883 Andriano

أندريوه : بيير 628 — 627 P. Andrieu
— 1115

أندروز : و ه س 1036 W. H. C. Andrews —
1037 — 1086

الأندلسي : أحمد 998

” الحاج أحمد 116

” عبد الكريم 1010

الأنطاكي : داود بن عمر 176

أنكارلو 644 Ankarloo

إنكة 835 — 830 Enke

أنصادو : خ ب 980 — 218 J. B. Ansado —
981 — 989 — 991 — 996

الأنصاري : محمد بن القاسم السبتى 1145

أنسباخ : إدوارد 641 — 602 E. Anspach —
1140 — 942 — 941 — 727 —

أونسيا : ه (دي) 554 H. de Uncilla

إيصايلا الثانية 25

إيصايلا الكاثوليكية 394

الأعيسى : الحسن بن محمد الدراوي 1044

أفروخ : أحمد بن الحاج محمد 922 — 873

أفروخ : الحاج محمد 108

أفرياط : إسحاق بن يعقوب وداويد ومخلوف 1077

” نسيم بن يوسف 1082

” نفطالي بن مسعود 1081 — 1077

” شلومو بن يعقوب 1081

” شلومو 1088 — 1108

” هارون 69 — 1079 — 1081

” يعيش ويوسف 69 — 73 — 992

— 1079 — 1081

أفلالو : مناحيم 938 — 936 — 84 — 70 —
1138 —

أفلالو : موشي 599

أفلالو : شمعون 937 — 935

” يوسف 582

” مردوخي 1099

الأفغاني : جمال الدين 130

أوفرار 72 Ouvrard

أقبلي : يعقوب 798

أقلعي : محمد (أو الحاج أحمد) 507
” سعيد 621

أقصبي : الحاج عبد الرحمان 863 — 805

— 865 — 870 — 875 — 887 — 904

— 922 — 923 — 926 — 929 — 930

— 932 — 1072 — 1083 — 1084

— 1086

أخشام : الحاج أحمد الحبشي الحريري 885

الأوقاوي : علال بن الحاج عبد الله 1168

إسبري 172 Esbry

إسبانيا : كارلوس 551 C. España

إسبيخو : أنطونيو 1163 A. Espejo

أستير : أ 1175 E. Aster

إسترنو : إدواردو 574 E. Estreno

إسرائيل : إسحاق 78

” مسان 79

إسحاق 1049 — 1136 "	" موسى 781 — 794
الياهو بن دايد 984 — 1043 "	" هارون 58
دايد بن دايد 984 "	اسحاق الجديد 981
مخلوف 1046 — 1135 — 1136 "	" يعقوب 1184
مسعود وموشي بن شالوم 1117 "	إسطنبول Esteban 877 — 884
موشي بن العالية 1105 "	إسماعيل باشا 95
ميمون بن ابراهام 1040 "	إسماعيل بن الشريف (السلطان مولاي) 15
سلام 1058 "	— 176 — 178 — 747
سالمون 788 "	إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمان (الأمير)
هارون بن ميمون 1036 "	416 — 1165/1170
هارون بن دايد 1020 "	إسماعيل بن الحاج بوشعيب (الحاج) 984
يعقوب 1136 "	أشعب 477
يوسف 932 "	أشعاش : الحاج عبد الرحمان 742 — 743
أوبان : أوجين E. Aubin (L. Descos) 33 — 65	" الحاج عبد القادر بن محمد 381
— 71 — 74 — 88 — 169 — 676	— 651 — 652 — 660
— 698 — 704 — 706 — 708 — 734	أشعاش : محمد بن عبد الرحمان 62 — 78
— 974 — 976 — 1027 — 1048 — 1063	— 391 — 651 — 663 — 666 — 700
— 1064 — 1066 — 1124 — 1125	أشعاش : الحاج عبد الخالق 1059
— 1134 — 1136 — 1196	الأشقر : شلومو 1006
الأودي : خليل بن محمد 114	إيشي Iché 736
" محمد 118	أوحلون : مسعود بن موسى 655
" محمد بن الشرقي 787 — 793	أوحنا : ابراهام 787
" عبد الرحمان 776	" دايد وزوجته لونا 1107
" الحاج علال 741	" دينار 1076
أودونيل O'Donnel 552	" سعيد بن ابراهام بن سعيد 1035
الأوراوي : إسماعيل وعبد القادر وعمرو 788	" هارون 1077
أومالك : أحمد 1123 — 1131	" يعقوب 1190 — 1191
أوسالم : محمد 1198	أوحيون : ابراهام 639 — 1105
أوسكار الثاني 134	" ابراهام بن دايد 984 — 1032
أوسعيد : عبد السلام 415 — 416	

إيوان سميث : تشارليز Ch. Evan-Smith : 197
 453 — 454 — 501 — 502 — 504
 513 — 526 — 530 — 535 — 537
 567 — 721 — 722 — 771 — 868
 869 — 1127 — 1129 — 1131
 1133 — 1146 — 1156 — 1157
 1199 —

إيهرنوف : ج م (دي) J. M. d'Ehrenhoff : 644
 إيهرنوف : سليم دي 190 — 645
 أوهوسفيك : بول رطر (فون) P. R. V.
 Ohmocevic : 594 — 597
 إيونغ Ewing : 282
 أيوب : عبد السلام 622

— ابن ، بن —

ابن الأشهب : قاسم 270
 ابن إيوا : ابراهام 369 — 1105
 ابن أبي خزر : إسرائيل 1141
 ابن أبي زرع : علي 1109
 ابن البحر : مسعود 1182
 " ميمون 636 — 1013
 " شلومو 636
 " سالمون 722 — 1182
 " يهودة 932
 ابن البكراري : الحاج محمد 991
 ابن بلام : هارون 989
 ابن بوزيان : الحاج محمد بن الحسن 116
 " الحاج عبد الرحمان 111
 ابن بوعزة : إدريس بن عبد الواحد 412
 ابن البدوي : محمد 1057
 ابن بيروك : الحبيب 1003
 ابن البغا : الحاج المنصور 727
 ابن التاج : شالوم 369
 ابن تاويت : محمد 1161

ابن ابراهيم : الحاج محمد 113
 " الحاج أبو بكر 112
 " محمد بن علي 721
 " العباس السملالي 69 — 70 — 90
 97 — 99 — 101 — 102 — 106
 127 — 128 — 137/139 — 176/181
 367 — 373 — 380 — 400 — 405
 416 — 970 — 1023 — 1060 — 1063
 1092 — 1097 — 1120 — 1122/1124
 1130 — 1145 — 1161 — 1169
 1174 — 1194
 ابن الأثير : عز الدين 244 — 272
 ابن الأحروش : محمد 96
 ابن الأزراع : يوسف 1151/1153 — 1155
 1183 —
 ابن الأمين : الطاهر 317 — 1176
 ابن أمينة : المعطي 1012
 ابن أمزيل : يعيش عمار 1074
 ابن إسرائيل : دايد (أو دودو) 1192
 ابن أسولين : عيوش 882

- ابن التمار : الحاج الطاهر المديوني 934
- ابن توتو : يوسف بن شمعين الصوري 1104
- 1105 — 1117
- ابن ثابت : الحسن بن محمد 81
- ابن جودة : هامي 1079
- ابن جودة : يعقوب 1077
- ابن جلول : الحاج الطالب، التلمساني 80
- بنجلون : أحمد بن أبي النصر 117
- ” إدريس وابنه الهادي 88 — 317
- ” بناصر 315
- ” الحاج التهامي 113
- ” الحاج الطالب 68 — 81 — 888
- ” الطاهر بن محمد 1130
- ” الحاج محمد بن محمد والحاج محمد بن أحمد 114
- بنجلون : الحاج محمد بن الطاهر 111
- ” محمد بن عبد النبي 1063
- ” محمد بن المفضل 452 — 478 — 638
- بنجلون : المفضل 75
- ” الحاج عبد الكريم 74 — 366
- ” عبد المجيد 51 — 65 — 183 — 289
- 311 — 404 — 443 — 812 — 852
- 853 — 974 — 975 — 1027 — 1061
- 1063 — 1122/1125 — 1129 — 1137
- 1194 —
- بنجلون : عبد العزيز بن الحاج عبد القادر 88
- ” الحاج عبد القادر 88 — 112
- ” عثمان 1176
- ابن الجائزة : أحمد بن الطيب 700
- ابن جابر : الحاج أحمد 893 — 896
- ابن الجليل : الجليلي السلاوي 599
- ابن الجليلي 476
- ابن الكناوي : ابراهيم بن محمد 419
- ” الحاج محمد الأمين 751
- ابن الحاج : الحاج علي التطواني 74 — 77
- 1062 —
- ابن الحاج : محمد بن محمد 652
- ابن حامد 688
- ابن حمان : الحاج بوشعيب 942
- ابن الحافظي : أحمد 1047 — 1050
- 1052 —
- ابن الحاضي : الحاج محمد، الدكالي 1000
- ابن الحمدونية : الحاج محمد 972
- ابن حميد : الحاج المكي 1054 — 1058
- ابن حميدة : الحاج أحمد 112
- ابن حميم : بوشعيب الزناتي 909 — 914
- ابن همو : ابراهيم 940
- ابن همو : إسحاق 1011
- ” ميمون 668
- ” شمویل 639
- ” يوسف 842
- ” يوسف المكناسي 1039
- ابن الحفيان : الحاج بوشعيب 1000
- ابن الحسن : عبد الرحمان 1072
- ابن حسان : هارون 89
- ابن حسون : أحمد 101

ابن حساين : محمد 1027

ابن حايم : مير ويهودة 1105

” يوسف 1108

بنحيون : 467

ابن حيدة : محمد بن الطيب 1032

ابن خدة 791

ابن الخضر : قاسم 707

ابن الخضير : الحاج محمد 1034

ابن خضراء : عثمان 134

ابن خلدون : عبد الرحمان 321 — 609

ابن الخليفة : مبارك 1056.

ابن خمسون : الطيب 1202

ابن الخياط : أحمد 1183

ابن الدباغ 814

ابن دحمان : العربي 415

ابن دلاك : استير 581

ابن دلاك : حايم 646

ابن دغة : الحاج بوشعيب، الفرجي 1020

ابن داود : أحمد 22 — 278 — 1080

— 1120 — 1123

ابن داود : محمد بن أحمد 1111 — 1112 —

1122

ابن داود : العباس بن أحمد 1122 — 1123

ابن الديان : ابراهيم 716

” شاعو 715

” شلومو 468

” يودا 725

ابن ذباح : يوسف 917

ابن ذراعو : إسحاق 932 — 942

ابن راجع : الحاج بنعيسى 759 — 770

” الحاج محمد 760

ابن الرثيك : محمد 1050 — 1108 — 1111

ابن رجال : الحاج علي 911

ابن رزوق : عمر 1059

ابن الرموش : سلام بن دامية 682

ابن الراضي : الهاشمي 1199

ابن الرشيد : محمد بن عثمان، الحريري 803

— 808 — 893 — 895 — 920 — 921

ابن الرشيد : محمد بن محمد 915 — 919

” عبد السلام 365 — 371 — 412

— 451 — 452 — 806 — 809 — 810

— 855 — 877 — 911 — 919

ابن الزراطي : محمد 845

ابن زرقين : إسحاق 467 — 477 — 489 —

639 — 819 — 839 — 845 — 897

ابن زرقين : حايم بن موشي 685

” موشي 868

” شالوم 897

” شلومو 681 — 892

ابن زاكور : الحاج محمد 1182

” إدريس بن الحاج محمد 1062

” محمد بن قاسم 178

” الحاج محمد بن عبد السلام 1060

” محمد 803 — 1109

” المكي 1155 — 1158 — 1165

” موشي إسرائيل 1082

679 — 674 — 673 — 669 — 663 —
 704 — 703/701 — 685 — 684 —
 770 — 744 — 742 — 719 — 716 —
 787 — 786 — 781 — 779 — 776 —
 838 — 827 — 826 — 800/798 —
 862 — 861 — 850 — 842 — 840 —
 896 — 892 — 883 — 882 — 876 —
 934 — 932 — 928 — 910 — 907 —
 1023 — 1015 — 970 — 943 — 941 —
 1060 — 1044 — 1037 — 1034 —
 — 1092 — 1087 — 1082 — 1062 —
 1129 — 1124 — 1122 — 1120 — 1115
 1147 — 1144 — 1143 — 1139 —
 1167 — 1163 — 1160 — 1155 —
 1191 — 1189 — 1186 — 1178 —

ابن زوينة (الشيخ) 1198

ابن زازون : بنيامين 1174

ابن الزيزون : إسحاق 1077

ابن طاطا : يوسف 656

ابن الطالب : إبراهيم 114

” عبد الكريم 59

ابن الطاهر : (أو ابن الطالب) بن محمد 907

بنطولية : موشي وابنه شمويل 666

ابن طوير الجنة : أحمد 77 — 106 — 138

ابن الطويل : إلياس 64 — 679 — 682

845 — 843 — 842 —

ابن الطويل : كلارة وشلومو 681

” مريم الباز 468

ابن الكاس : المكى بن علي ابن القرش

العبدائمي المديوني 829 — 835

” عبد الكريم 687 — 744 — 803 —
 925 —

ابن زاكور : الحاج علال 1175

ابن زاكار : إسحاق 477 — 1028 — 1030

1054 — 1053 — 1032 —

ابن زاكار : موشي بن إسحاق 1030

” يعقوب 1030 — 1032 — 1056

ابن زاكار 477

ابن زكري : الحاج الخياط 74 — 1175

1181 — 1179 — 1176 —

ابن زكين : 999 — 1002

” بنعبو 761

ابن زيمرة : يعقوب 1155

ابن الزاوية : الحسن، الدكالي 685 — 729

ابن الزيراوي : الحاج بوشعيب 911

ابن زينة : إدريس 574

ابن زيدان : عبد الرحمان، العلوي 17/15 —

71 — 69 — 64 — 60 — 58 — 41 — 23

83 — 80/78 — 76 — 74 — 72 —

136 — 132 — 108 — 102/100 —

185 — 180 — 179 — 177 — 137 —

267 — 226 — 222 — 215 — 210 —

320 — 291 — 289 — 283 — 273 —

370 — 368/365 — 360 — 332 —

383 — 379 — 378 — 374 — 372 —

414 — 412/409 — 394 — 392 —

507 — 505 — 445 — 441/439 —

565 — 561 — 557 — 518 — 508 —

634 — 598 — 590 — 587 — 577 —

660 — 658 — 655 — 647 — 643 —

379 — 350 — 292 — 273 — 177 —
408 — 393 — 387/383 — 380 —
556 — 513 — 449 — 429 — 411 —
608 — 606 — 587 — 571 — 569 —
1146 — 1130 — 970 — 713 — 696 —
1196 — 1147 —

ابن المنصار : أحمد 782

ابن المفتي : الحاج المصطفى 863 — 930

ابن مساس : إسحاق 1077

” حاييم 1099

ابن مسيك : الحاج بوعزة 897 — 902

ابن المشاوري : المهدي بن بوعزة البخاري

1060 — 1061 — 1071 — 1090 — 1091

— 1096 — 1103

ابن مشيش : محمد بن محمد 921

” محمد 808 — 879 — 886 — 893

— 894 — 917 — 920 — 921

ابن موحو : مخلوف بن مسعود 1135

” موشي وإسحاق 984

” شلومو 1007

ابن المواز : أحمد بن عبد الواحد 1161

” عبد الواحد 529

ابن موسى : أحمد بن إدريس 116

ابن مويال : ابراهيم 843 — 847

” شلومو 720

ابن مينة : بوعزة 864

ابن المير : الحاج الطاهر بن الجيلالي 1136

ابن ناصر : أحمد بن المحجوب 1046 — 1047

ابن الكاهية : يحيى 30

بنكران : الحاج أحمد 115

” محمد 88 — 314

” محمد بن الحاج المهدي، 1132

” الحاج العربي 83 — 115

” عزوز 68

ابن كحيلة : المعطي 1035

ابن لولو : الياهو 639 — 1105

ابن اللويري : ميمون بن هارون 1188

ابن اللويري : شامويل 1188 — 1191

ابن المؤذن : محمد بن أحمد، السرغيني 370

— 372 — 635 — 641

ابن المؤذن : أحمد، الفرجي 970

ابن ماشي : محمد، العلوي المدغري 1092

ابن أمغار : الجيلالي بن أحمد، الزناتي 914

ابن المحضّر : عبد الرحمان 985 — 987

ابن مخلوف : شالوم 1108

ابن المرباط 512

ابن مزيت : محمد بن علال، الحريزي 829

ابن مامان : ميمون 1178

” يعقوب 940

ابن ميمران : ابراهيم المسفاوي 1039 — 1055

— 1057

ابن ميمران : يوسف 1081

” إسحاق 1174

ابن مالك : محمد 1161

ابن منصور : عبد الوهاب 22 — 38

— 99 — 180 — 127 — 128 — 130

— 277/275 — 272 — 183 — 181 — 179

347 — 343 — 337

ابن عبد الصادق 1119

” الحاج علال 1096

” علي بن أحمد 1060

ابن عبد السلام : المكي 398

” أحمد ولد الفقيه 861

ابن العبد : محمد، الزياتي 911

ابن عبو : أحمد، المديوني 909

” دايد 940

” شلومو 508 — 868

” شالوم 897

ابن عدي : يوشع 847

” يوسف المسفيوي 1013

” يساخر 656

” مسعود 1040

” الطيب بن حيدة وابنه محمد 1034

ابن عزوز : محمد 1023

” عبد الرحمان وابنه محمد 69

ابن عزازي : محمد 506

ابن عطار : إسحاق 1017

” حاييم 763 — 766 — 797

” رفائيل 765 — 767 — 846 — 848

849 — 884 — 901

ابن عطار : موشي 763 — 779 — 797

799

” يعقوب 763 — 765 — 797 — 798

— 800 — 940

ابن الناي : ابراهام 1162

ابن الصائغ 281 — 900

” ابراهام 582

” إسحاق 639 — 937 — 940

” موشي غ 581 — 899 — 1008

” سالومون 678

” شامويل 764

” يحيى 808 — 897/892 — 899

920

ابن الصائغ : يحيى غ 581 — 725 — 1008

” يعقوب بن سعيد 786 — 788

” يعقوب 841

” يشوع 892

” يوسف 764

ابن الصباح : مركيس 639 — 1105

” مسعود 1074

” موشي 1010

” يهودة 1040 — 1054

” إسحاق وابنه داويد 1105

ابن الصغير : خالد 1161

بنصولي : عيوش بن يهودة 680 — 716

ابن عبد الخالق : محمد 116 — 385

ابن عبد الله : الأكحل 1051

بنعبد الله : أحمد 73

” محمد 402 — 413

” المكي 71 — 315 — 508 — 1156

” عبد العزيز 34 — 40 — 42 — 45

61 — 87 — 95 — 96 — 100 — 101

106 — 107 — 125 — 126 — 137 — 138

— 162 — 163 — 165 — 170 — 178

ابن فرايم : عزار بن يعقوب 1108
 ابن الفساخي : مير 1073 — 1074 — 1077
 " ميمون بن ليبي 1141
 ابن الفقيه : المكي 1054
 ابن الفيلاي : شلومو 989
 " هارون 1008
 ابن قدعون : شلومو 818 — 862 — 878
 " دايد 862
 ابن قدور 664
 ابن القرشي 707
 ابن القطي : الجيلالي 895
 ابن قصو : عبد المالك 116
 ابن قاسم : ميري Mary Ben Kacem 66
 ابن قاسيس : إسحاق بن مسعود 468
 " مناحيم ج 467 — 468 — 498
 " مسعود بن بناحيم 466 — 468 — 680
 — 682
 ابن قاسيس : مسعود 798
 " موشي بن مسعود 679 — 680
 " موشي الآزموري 1007
 " شمويل 841
 " يودة بن يوسف 468
 ابن الساهل : مير ولد يوسف 992
 ابن السباط : ابراهام بن يعقوب 1035
 " ابراهام إسحاق 656
 " إسحاق 818 — 935 — 937 — 938
 ابن السباط : الحبيب 1034
 " نسيم 639 — 1105
 ابن سبوعة : عبد القادر 1038

ابن عطار : يوسف 797
 ابن العكارية : محمد 1011
 " محمد 980
 " الغندور 1009
 ابن العلاء : أبو عمرو 920
 ابن العلام : إدريس 1147
 بنعلي : إدريس 70 — 71 — 75 — 76 — 80
 — 88 — 96 — 278 — 307 — 309 — 318
 — 354
 ابن عليل : إسحاق 664
 " دايد 936 — 940
 " موشي 598
 " شلومو 800
 " يهودة 58 — 79 — 82 — 83
 بنعمرو : عمر، الأوسي 1085
 ابن العواد : الجيلالي ومحمد البوجنوني 1186
 ابن عودة : محمد بن عبد السلام 703 — 731
 " عبد الكريم بن عبد السلام 702
 " عبد السلام 700 — 702 — 705
 ابن العود : الحاج علي 990
 " الحاج التيباري 999
 ابن العيار : مردوخي 1046 — 1050
 ابن عمرو : موشي 843
 ابن الغزال : زكرياء 1064
 ابن الغضفة : الحاج التيباري 1000
 ابن الغميز : بوشعيب 1007
 " بريك 1017
 ابن الغنيمي : الحاج المجذوب بن محمد 1187
 ابن الغواطية : الحاج عبد الجليل 864

الحاج محمد بن محمد 59 — 68 — 77
— 131 — 376/374 — 398 — 537 —
— 742/740 — 773 — 776 — 791 — 792 —
— 797 — 798 — 903 — 993 — 1092 —
1160

بنسعيد : عبد الله 740 — 741
الحاج العربي 374 — 375 — 378 —
— 405 — 415 — 537 — 740 — 741 —
786

بنسعيد : عمر 741 — 687 — 1025
ابن سعيد : يعقوب 841

سامويل 765 — 798
شلومو 764

ابن سودة : أحمد 1163 — 1174 — 1190
عبد السلام 244 — 272

ابن سوسان : هارون 936 — 940
ميمون 1152 — 1174

مير 1105
يوشع 1135
الياهو 1077
ابن سينا : علي 178

بن سالوم : حايم 84
إسحاق 1108

ابن الشاهد : محمد 1186
ابن الشريف : علي 1013
بنشرفة : عبد اللطيف 333

بن شطريس : ابراهيم 1139
داييد بن يحيى 935 — 937
مخلوف 684
مسعود 935
موشي 662 — 818 — 892

ابن سلامة : محمد بن محمد 805 — 845

ابن سلكة : الحاج محمد 113

ابن ساسي : شلومو 1128 — 1136

يوسف 1136

بنسليمان : محمد بن محمد 416 — 417 —
499 — 419

بنسليمان : عبد الكريم 134 — 416 — 1063

بنسيمحون 323 — 623 — 1175 — 1178
— 1192

بنسيمحون : مخلوف ويعقوب 1175

مسعود 1151 — 1175

يهودة 1151

يوسف 1175 — 1184

ابن سمعون : الحاج أحمد المكناسي 118

ابن سموط : عبد السلام 620

ابن سمانة : مير 1077 — 1104 — 1138

ابن سعدون : إلياس وزهرة ومسعود ومسعودة
وسلطانة 1107

بنسعود 853

ابن سعود : إلياس 771

مردوخي 1080

مسعود وشلومو 1077

إسحاق 1128

يوسف بن إسحاق 1035

يعيش 762 — 1077

بنسعيد : محمد 107 — 197 — 806

الحاج محمد بن الهاشمي 107

"الحاج عبد الخالق 508
 "عبد المجيد 774 — 853 — 1025
 "عبد القادر بن العربي 177 — 179
 "الحاج عبد السلام 123
 ابن الشواف : محمد بن الحاج محمد 844
 ابن الشيب : الحاج الشريف 1013
 بنهيمه : الطيب بن محمد 365 — 371 — 449
 — 1023 — 1025 — 1030 — 1031 —
 1041 — 1045 — 1047 — 1049 — 1053
 — 1055 — 1061
 بنهيمه : عبد الخالق بن الطيب 908 — 995 —
 1023 — 1025 — 1026 — 1031 — 1032
 — 1034 — 1035 — 1037 — 1039 —
 1041 — 1045 — 1047 — 1051 — 1054
 بنهيمه : أحمد بن عبد الخالق وأحمد بن محمد
 وعمر بن الطيب 1026
 بنهيمه : حمزة 1026 — 1034
 ابن هاروش : ابراهام 468
 "صمويل بن شلوم 1188
 "شلومو 818 — 878 — 940
 "شمويل 840
 "شمعون 878 — 936 — 940
 "الياهو 940
 ابن الهاشمي : أحمد 787
 "أحمد بن عبو 1034
 ابن هليل 815 — 879
 ابن الوليد : بيدال 662
 ابن واعيش : هارون 1011
 ابن الوافي : الحاج محمد 991
 ابن ياسين : حامد بن سعيد 1009
 ابن يثكان : السلاسي 1039

"شاويل 1173
 "يعقوب بن سليمان 932 — 940
 "يوسف 936 — 939
 ابن شطون : إسحاق 671 — 672
 "ابراهام 861
 ابن الشماع : دايد 1128
 ابن شمعون : مسعود بن هارون 984 — 988
 "مسعود وموشي ابني يوسف 1011
 "نسيم 1008 — 1013
 "شلومو 990 — 1006
 "الياهو 639 — 1105
 ابن شيمول : إسحاق 631
 "ابراهام 1151
 "حاييم 351 — 455 — 510 — 511 —
 605 — 606 — 611 — 620 — 629/631 —
 667 — 726 — 729 — 788
 ابن شيمول : رفائيل 729
 "دايد وشلومو 620
 "موشي 618
 "نسيم 991
 "هدان 1077
 ابن شعشوع : إسحاق 1139
 ابن شاعيل : شلومو 984
 بنشقرون : أحمد 1183
 "محمد بن عبد الخالق 111
 "محمد بن محمد 1183
 "الحاج محمد، بوشوكة 393
 "الحاج محمد 1025
 "الحاج محمد بن العباس 209
 "المكي 80 — 317
 "المهدي بن الطيب 81

ابن يَسْف : الفرجي الحاج محمد 972 — 973 —
989 — 1010 — 1018

ابن يسف : الفرجي الحاج قاسم 1019
" الفرجي سعيد 1018

ابن يوسف : الحاج محمد 1010
" الحاج سعيد 1011

ابن اليسع : شلومو ويوسف 1080
" يشوع 1077 — 1081

ابن يشان : مير 1007

ابن يشو : اسرائيل 666

ابن يحيى : الحاج الحسين ومحمد 112
" محمد 506 — 658

" الحاج محمد 973 — 974 — 995

1004

" عبد السلام 761 — 794

ابن يلوز : مسعود 1175

بنيسبي : يوسف 799

بنيعيش : الحبيب 936 — 939

" موشي 725

" الحاج محمد 1176

— أبو ، بو —

بودرهم : يهودة 655

بودميعة : علي بن محمد 19

بورنكة : عبد السلام 506

بورجل : ابراهام 868

بورجل : ثكرانط 865 — 899

" مير 716

" النويني بن شمعون 1012

بورحيل : زبيدة 334

بورزامة : محمد العمري 707 — 742 — 792

" المفضل بن العياشي وعبد الرحمان 771

أبو زكري 237

بوزوبع : محمد بن إدريس 114

بوزيد : أبو بكر بن محمد 973

بوزيد : ليلي 326

بوزيان : عبد السلام 415 — 416 — 602

بوطالب 71 — 508

أبو الألفش 920

أبو بكر الصديق 23

أباخاي : المعطي الشاوي الزباني 783 — 787

بويينة : الحاج محمد 862

بوكدادة : هارون 1046 — 1049 — 1099

بوجمة 490 — 506 — 1163

" (وصيف محمد الجراري) 992

" عبد الرحمان 507

" بن سالم 1143

بوجنان : التهامي 1174 — 1177

بوجيدة : الحاج الطيب 1068

بوحبوط 787

" حيوط 1011

" دايد 800

بوحارة 25 — 569 — 702 — 706

بوحن : يوسف 916 — 932

بوطبول : حسان 1080

” حاييم 1191

” مسعود وموشي 1154

” موشي 932 — 933 — 936 — 939

” ميمون 840

” ميير 840 — 881 — 1141

” سارة 620

” يعقوب بن مسعود الدمنائي 870

” يوسف 693

بوطيو Botello 1000

بوطهر : الحاج الواعدودي بن بوشعيب 1007

بوكرعون : دايد 943

بوكسكاس : عبد السلام 642

بوكوابس 487 — 488 — 490

بولنوار 790

بلعيد : الحاج عبد السلام 998

بومسلك 68

بونوارة : محمد بن قدور 1048

بوضرية : أحمد 284 — 1121

بوضرة : الحاج الجيلالي 1047

أبو عبد الله الشريف 114

بوعبيد ولد الحاج موسى 770

بوعود ولد الحاج قاسم بن محمد 620

بوعزة بن الجراري 861

” بن الشرقي 696

بوعلام : الحاج عبد القادر 913 — 914 — 932

أبو العافية : حاييم حزقييل 1081

بوعسل : محمد 415

أبو العسل : محمد 98

بوعشرين : إدريس بن الطيب 127

” الطيب بن اليماني 350 — 416 — 787

917 — 926 — 1071 — 1086 — 1089

1094 — 1110

أبو العيش : محمد، الحريري 844.

بوعيشة : العياشي ولد 1044

بوغالب بن الحاج عبد القادر 692.

بوغانم : ابراهام 1080.

” هارون 1077 — 1104.

بوقبة 714.

أبي قاسيس : ابراهام، الأزموري 898.

” راشيل 466

” سلطانة 621.

بوقنيطير : محمد والحاج العربي 486 — 854.

” الحاج علي والحاج بوشعيب، الحريري

854

أبي سرور : مردوخي 89 — 630.

بوستة : أحمد بن عمر 970 — 1114 —

1120

” الحاج الأحسن بن الحاج علي 881

بوسلهام : بن الجلاي 696

” بن ريان 637

” بن الحاج الطيب 730

” بن الحاج المعطي 725

بوشة : فون 647 — 988

بوشتي 636 — 1171

بوشحوم : الطاهر 1163

- بوشنتوف : محمد العربي 407 — 507 — 613 — 924 —
 بوشعراء : مصطفى بن أحمد 243 — 348 — 389 — 741 — 747 —
 بوشعيب بن الحاج التهامي 1047
 بوشعيب بن الدكالي 1011
 بوشعيب بن محمد الجديد 992
 بوشعيب بن السنوي 839
 بوشعيب الجديد 786
 بوشعيب بن مسعود 1017
 بوشعيب بن القرشي (الحاج) 1008
 بوشيغة : الحاج محمد 1082 — 1086 — 1087
 بوهو : 701
 بوهلال : الحاج أحمد 76
 " عبد المجيد 76 — 1083
 " الحاج محمد، المكناسي 119
 بو وذينة : محمد الجديد 1020
 بو وذنين : موشي 1034
 " ابراهام بن موشي 1040

— الباء B و V الاسبانية —

- بيباس : فيدال 912
 بجة : أحمد بن عمر 79 — 82
 " عمر 79
 بيكو 1080
 البحراوي : محمد المنصور 722
 البخاري : أحمد بن موسى 109 — 132 — 163 — 416 — 610 — 621 — 805 — 973 — 1051 — 1062 — 1124 — 1124/ — 1147 — 1177 —
 البخاري : محمد بن الطاهر 1160
 " محمد 385
 " محمد بن موسى بن أحمد 380
 " محمد بن عبد الله بن أحمد 368
 " محمد بن أحمد 416
 " المختار بن عبد الله 457
 " موسى بن أحمد 396 — 943 — 1025 — 1099/ 1100 — 1188/ 1189 —
 البخاري : عبد الله بن أحمد بن مبارك 499 — 1146 — 1163 — 1170 — 1176 — 179
 البخاري : فرجي 42 — 1144
 " الحاج سعيد بن فرجي 1147 — 1167
 البختي : قدور بن علي 1041
 بادو : المختار 1191
 البدوي : مفتاح بن بوسلهام 723
 بيدايطا إي أطلايا : مانويل M. Vidaita y 998 Atalaya
 باركلي : جودسن J. Barclay 464 — 484 — 763 — 983
 باركس : كرومويل (?) C. Burks 771 — 774
 البارودي : الحاج بوجنان 393 — 517 — 971 — 988 — 996 — 1083
 البروشي : العسولي بن الجليلي 912 — 927 — 1236 —

— 995/ 992 — 989 — 988 — 972/ 970
 — 1008 — 1004 — 1002 — 999/ 997
 1023 — 1022 — 1021 — 1016 — 1010
 — 1035/ 1031 — 1030 — 1027 —
 — 1060 — 1057 — 1055 — 1042/1040
 — 1081/1079 — 1073 — 1071 — 1061
 — 1096/ 1091 — 1089/ 1086 — 1083
 — 1115 — 1112 — 1106 — 1102/ 1099
 1138 — 1131 — 1127 — 1118 — 1117
 — 1165 — 1163 — 1151 — 1141 —
 — 1178/ 1176 — 1170/ 1169 — 1167
 — 1197 — 1190/ 1189 — 1182/ 1180
 1200

بركاش : المكي 670 — 795

” الصديق 760 — 761 — 774 — 794

853 —

بركاش : العباس 398

” عبد المجيد 760 — 774 — 806 —

807 — 888 — 903

بركاش : عبد العزيز 807

البردعي : وهبة عزوز 117

بردوكر 798

برطال : الجيلالي بن المعطي القرني 939

بركة بن علي 1163

برموش : أحمد 1049

البركاري : الحاج الواعدودي 1011

” الحاج محمد 1006

بركوم : ابراهيم مسعود عمار 839

برادة : الحاج أبوبكر 103

” أحمد بن محمد و الحاج الخياط 111

باروسو : خوصي 564J. Barroso — 1004

بارطولدي 613 Bartholdi

بارشيلو 664 Barcelo

بارشيلون : ابراهيم 781

بارار : بيتر 769 P. Barrow

بركاش : الحاج محمد 365 — 395/393 — 398

” محمد بن عبد الرحمان 68 — 69 — 79

— 169 — 170 — 173 — 190 — 194 —

— 196 — 285 — 362 — 367 — 369 — 378 —

— 379 — 386 — 393/391 — 398/395 —

400 — 401 — 407 — 409 — 411 — 413 —

— 415 — 417 — 418 — 440 — 441 —

— 448 — 451 — 457 — 466 — 473 —

— 482/480 — 487 — 488 — 493/490 —

507 — 518 — 520 — 553 — 555 — 556 —

— 561 — 562 — 575 — 578 — 581 —

587 — 588 — 601 — 606 — 607 — 613 —

— 614 — 618 — 619 — 628 — 641 —

652 — 660 — 661 — 666 — 669 — 678 —

— 679 — 692/688 — 703 — 709 — 711 —

— 712 — 715 — 718 — 720 — 736 —

742 — 745 — 763 — 765 — 766 — 769 —

— 770 — 772 — 775 — 781/779 — 786 —

— 788 — 790 — 792 — 793 — 806/803 —

— 808 — 809 — 815 — 820 — 830 —

834 — 838 — 839 — 845 — 851 — 852 —

— 855 — 858 — 863 — 870 — 877 —

— 881/879 — 883 — 886 — 891 — 893 —

— 895 — 906 — 906 — 907 — 911/909 —

914 — 915 — 917 — 918 — 923 — 924 —

— 927 — 927 — 930 — 933 — 941 —

براندت : فريدريك F. Brandt 818 —
— 829/827 — 834 — 835 — 861 — 896 —
898 — 981 — 1141

برونير : تيودور T. Bratier 460 — 1073 —
1080 — 1141

براون : كينيث K. L. Brown 670 — 675 —
739 — 749 — 1124 — 1148 — 1187

برودو : إسحاق Brudo 916 — 1012 —
1014

” جوزيف J. 1014/1012

برودهارست Broadhurst 65

بروزو : لوسيان L. Bruzeaud 627

بروك : آرثر A. Brooke 20

” فون V. Bruck 825

بروم : جورج G. Broome 280 — 323 —
463 — 1078 — 1081 — 1083

برونو : لوي L. Brunot 272

بران : إيريني Irénée Brun 729 — 1108

برونشويغ : Brunshwig 623 — 667 —
1108 — 1136 — 1176

بروشي : أ A. Brochier 75 — 81 — 88 —
128 — 698 — 1046 — 1174

بروي : فيكتور V. de Breuille 131 —
141 — 144

برويلو : نسيم خواكين 936

بريز Breeze 173

بريطل : المكي والهاشمي 79

بريشة : محمد بن عبد السلام 1062 — 1104

” الحاج بلال بن علي وعبد الحي والحاج
الطيب بن العيساوي وعبد السلام بن زيد ومحمد
بن ادريس 113

برادة : الحاج ادريس بن محمد 695 — 806 —
831 — 887 — 1175

برادة : خوليو بن عمر وأخوه ألفونسو 1165
” الطاهر 1171

” محمد 78

” محمد بن أحمد 112

” الحاج بن الطيب 107

” محمد بن المدني ومحمد وعبد الرحمان

118

” محمد بن عبد القادر 1162 —

1179/ 1180

برادة : محمد بن عبد العزيز 1136 — 1138

” محمد بن عبد السلام 980

” محمد بن العربي 33 — 89 — 316 —

402 — 973 — 998 — 1005

برادة : العباس بن محمد والحاج غلال 114

” الحاج عبد الحفيظ بن علي 83 — 971

” الحاج عبد القادر 1179

” عبد السلام 980

” الحاج العربي 89

” عمر بن ادريس 78 — 1159 —

1162/ 1166 — 1168/ 1172 — 1184

برادة : سالبادور بن عمر 78 — 84 — 1165

برقوق : الحاج أحمد 115

” الحاج قاسم 112

براهما 1129

برام : إيميل E. Brame 727

باكاسما 886
 بيبي : خوصي 1004 J. Vive
 بيكلار : ليون فليب L.Ph. Beclard 605 —
 664 — 612
 بيكس : جول J. Bex 929 — 818
 بالانسا Balansa 1109 — 148
 بالانسي : يودا 772 Y. Balansi
 بليسترينو : ثايطانو 818 G. Balestreno —
 901 — 899/897 — 892 — 868 — 865
 903
 بليسترينو : شارل Ch. 818 — 992/989 —
 1020
 بالديراما مارتنيث : خ J. Valderrama Martinez —
 1120
 بلانكو : خوصي 876 J. Blanco
 " خورخي 1042 J.
 " فادريكو 889 F.
 بلانكي : تيتو T. Blanchi 1009 — 978 —
 1019
 بلانديان Blandin 696
 بلونديل Blondel 614
 بلكبير : عبد الصمد 130
 البلغيثي : أحمد بن المامون 89 — 102 — 419
 " الحبيب 102
 " الطاهر بن أحمد 1161
 " محمد بن محمد الفيلاي 1152
 بلوط : المكّي بن المهدي 82
 بلقاسم : حسن 803
 بنجو : إسحاق 84 — 639
 " برشيدة وشالوم 639

" الحاج محمد 1059
 " محمد بن عبد الرحمان 806 — 927
 " عبد الكريم 69 — 100 — 126 — 172
 — 222 — 369/366 — 379 — 383/381 —
 397 — 402 — 409 — 410 — 560.
 بريشة : عبد القادر 803
 " العربي 132 — 366 — 372 — 400 —
 410 — 695 — 805 — 806 — 811 — 825 —
 826 — 843 — 848 — 855 — 862 —
 866 — 870 — 872 — 893 — 902 — 907 —
 919 — 923 — 933 — 941 — 943 —
 981
 بيرطران : ألفونس A. Bertrand 615 — 1045 —
 1107 — 1111 — 1122 — 1135 —
 بيرنابي : بيدال 574 V. Bernabe
 الباز : أحمد 1121
 " إلياس 84 — 936 — 940
 " دايد 840
 " مسعود 1013 — 1047
 " ميمون 913
 البالي : محمد الزعري 787
 الباش : فرانسيسكو 103
 الباشا : أبو بكر بن الحاج 1025
 " الحاج أحمد بن عبد الله 766 — 782
 — 838 — 853 — 855
 الباشا : الحاج محمد بن عبد الله 779 — 780
 " الحاج عبد القادر 766 — 840/838 —
 852 — 893 — 900 — 901.
 الباشا : الحاج الهاشمي 760 — 766.
 البنزاز : محمد الأمين 172 — 560 — 575

بنونة : الحاج إدريس 77
 " الحسين 92
 " محمد، التطواني 457
 " محمد 313
 " محمد بن عبد الله والي بن المهدي
 1103
 " الحاج محمد 83
 " الحاج عبد السلام 111
 " الحاج العربي 112
 " الغالي بن المفضل 1132
 بينيبيث : كريستوبال 1101 C. Benetez
 بونيتش : مانويل 1129
 " س ج 1128
 بنيس : إدريس بن محمد 1080
 " الطالب 1031 — 1042 — 1043 —
 1053
 بنيس : الطيب 935
 " محمد 313
 " محمد بن أحمد 75 — 316
 " محمد بن الحاج إدريس ومحمد بن الحاج
 المفضل و محمد بن الحاج عبد الوهاب و محمد
 بن الحاج العربي 1183
 بنيس : الحاج محمد بن المدني 22 — 24 — 75
 — 80 — 131 — 170 — 278 — 380 —
 392 — 411 — 466 — 687 — 744 — 751 —
 — 803 — 804 — 905 — 925 — 971 —
 993 — 1068 — 1071 — 1072 —
 1083/ 1086 — 1096 — 1141 — 1145 —
 1197 —
 بنيس : الحاج عبد الكريم بن العربي 67 —
 1183

" روبين 614 — 639 — 1054 — 1105
 بنالي : أبو بكر 89 — 1103 — 1116
 " الحاج أحمد 221 — 509 — 553
 " أحمد بن الطاهر 728 — 1016
 " حمادي بن حمادي وأخوه عبد الرحمان
 1184
 بنالي : حميد 733
 " حميدو 318
 " الزبير والطيب وعلي بن الطيب 313
 " الطاهر بن المليح 83
 " محمد 66 — 75
 " محمد بن عبد السلام والحاج سعود 113
 " محمد بن العياشي 75 — 100
 " محمد بن الطاهر 735
 " محمد بن عبد القادر 66 — 508
 " عبد الرحمان 581
 " سميرس : عبد الرحمان 70 — 315
 " الحاج عبد النبي بن الحاج إدريس 1183
 " عبد السلام 100
 " الحاج عبد السلام 118
 " الحاج عبد العلي 117
 البنالي : محمد بن عبد السلام 127
 " الحاج محمد بن إدريس 117
 " عبد الرحمان بن جاد الله 113
 بانون : ابراهيم وموشي 878
 " حاييم 847
 " دايد 843
 " مردوخي ل 1081
 بنونة : أحمد بن علال والحاج علال 116
 " الحاج أحمد بن محمد ومحمد بن إدريس
 وعبد السلام بن إدريس ومحمد بن علال 117

البورجهاوي : الهاشمي 707 — 792
 بورجو 1114 Borgeaud
 بوريل 50 Burel
 بورك : د. ن 464 D. N Burke
 بوزاڭلو : ألبيرطو 938
 " إسحاق وجميلة وحاييم 581
 " مسعود 467
 " يوسف 936 — 940
 البوزيراري : محمد بن عبد الرحمان 1011
 بوزيو 381 — 579 Bosio
 البوط : الحاج أحمد 990 — 1021
 بوطليز 352 Butler
 " أوغوستو 990
 " أوخينيو 861
 " خاكوبو 978 — 990 — 992 — 997
 — 1000 / 1003 — 1042
 بوطليز : خوصي 1001 — 1037 — 1039 —
 1041 — 1042 — 1053
 بوطليز : مردوخ 818 — 866 — 869 — 973
 — 989 — 1034 — 1036 — 1038
 بوطيرون 615 — 631 A. Boutiron
 البوكيلي : ابراهيم 269
 " عبد الله بن ابراهيم 268
 بول : روبير 1114 R. Boule
 بوليلي : أنطونيو وكارلوص 1102 A. C Bolelli —
 1103 — 1116
 بوليلي : غايطانو 1103 G — 1116
 بولينير : ده لا 614 de la Boulinière

" عبد الوهاب بن محمد 681 — 719
 " العربي 182 — 313
 " العياشي 1060 — 1071 — 1072
 " ولد 908 — 921
 بنيامين بن زازون 1174
 البصري : التهامي 678
 بيسو : دايد 798
 البعبوشي : محمد بن الحبشي الحباسي 726
 البعقي : محمد بن علي 178
 بغداد بن حيمر 723.
 البقالي : أحمد بن محمد وحسن بن أحمد 116
 " الطاهر بن محمد 112
 " الحاج محمد بن التهامي 64
 " محمد بن المختار 735
 " محمد بن عبد السلام 1202
 " الحاج المفضل 111
 " عبد الله بن التهامي وأخوه الحاج محمد
 63
 " عبد السلام 713
 البقاش : العربي 582
 البقيوي : محمد الطنجي 621
 بيسمارك : فون أوطو 447 v. O. Bismarck — 450
 البشاري : أحمد 467
 البشير بن أحمد 31
 بهضوض : مسعود 1057
 البوح : ولد بوشعيب (الحاج) 861
 البوتوي : العربي، التطواني 620
 بوراس : خ ب 976 J. B. Borrass — 1000
 1000 — 1027 — 1040 — 1042 — 1101

البوحياني : الحاج أحمد بن الحاج إبراهيم 1080
— 1084 — 1089 / 1091

البوحياني : مولاي أحمد البوزيراري 989
” محمد بن الطاهر 1047

البياز : محمد بن الطيب 1144 — 1145
بيانكوني Bianconi 282

البياني : بدر الدين وتاج الدين وعبد الرحمان
ويوسف 125

بيتي Betti 172
بيدال : رودولفو R. Vidal 1179
البيدوري : بويزة بن محمد الحريري 869

بيرجل : روبين 1007
” موشي 864 / 866
” سالومون 323
” ينطوب 990

” يعيش 1007 — 1018
بيرغونسي : فابريسيو F. Bergonzi 1006 —
1008

بيردينگي : ادواردو E. Verdegay 1098

البيطار : عبد الرزاق 126

البيطاروري : محمد المكي 367 — 395 — 397
— 401 — 407 — 408

بيطون : ابراهام 1079 / 1081
” دايد الأعور 1033

” زهرة 1039

” الياهو ومسعود 1174

بيلو : مسعود (أو موشي) 467

البيضاوي : الحاج ادريس بن بويزة 893

” الحاج بويزة بن الحاج محمد 847
” بوشعيب 914

بوليسليفسكي : كارل K. R. V. Boleslewski
594 — 597 — 599 — 600 — 602 — 663

— 665 — 861 — 862 — 1056 — 1184

بومبي : أوغوست A. Beaumier 89 — 124
— 375 — 379 — 393 — 606 — 657
— 785 — 790 — 814 — 1004/1001
— 1106 — 1111/1109 — 1114 — 1137

بونفوس : مارك M. Bonnefous 45 — 46 —
210 — 343

بونيلي : كاميلو C. Bonelli 575

بوني Bonnei 729

البوعزيزي : أحمد بن الفاطمي 1141

” محمد بن العياشي 1036

” محمد بن الهاشمي 991

” الضوء 994

” عبد القادر بن الحاج المحفوظ 981

” الحاج ابراهيم بن محمد 897 — 898

البوعمري : الحاج البوح 863

” الحاج الدوح 864

” الحاج محمد بن علل 917 — 918

” الحاج عبو بن الحاج محمد 899 — 908

” الحاج عبد الله بن محمد 900 — 938

بوفيسي Bouvier 100

بوسك Bosc 1051

البوشيخي : قدور بن حمزة 374

البواب : الحاج أحمد بن الحسن 1047

بوا : شارل Ch. Bois 174

البوير : قاسم 623

بوين : أنطوني A. Boyn 847 — 849 — 851

” الحاج عمر 831
 بايي : خوان بلانكو ديل 551 J. B. del Valle
 بيبي : ولد 1112
 بياأورتيا : ب. ر. دي W. R. de Villa
 556 Urrutia

” الحاج التهامي بن الطيب 912
 ” محمد بن الحاج الدوح 887
 ” محمد بن محمد 912
 ” الحاج عبد القادر بن بوشعيب 910
 ” الحاج عزوز 839

— الپاء الفارسية P. —

پاٹنوتر : جول 486 — 610 J. Patenôtre
 625 — 627 — 628 — 630 — 667
 695/698 — 730 — 819 — 929 — 976
 پاٹنوتر : لوي 602 — 616
 پاٹريشيرو : رامون 693 R. Patricio
 پاٹشوت إي أتشبال : أدولفو A. Patxot y
 552 Achaval

پايطون : تشارلز 1078 Ch. A. Payton
 1117
 بيدريرا : ألباريس 997 Pedreira Alvarez
 بيدرو 814 Pedro
 پيبي 1047 — 1139 Pepe

پيليسي 373 — 381 — 785 Pélissier
 بينز : شارل 319 — 1080 Ch Penz
 1083

بينير : موس ل 323 — 1080 M. L. Penyer
 1083 —

بيرديكاريس : أيون 352 — 420 I. Perdicaris
 469 — 470 — 483 — 486 — 498
 510 — 579 — 717 — 732 — 1153
 1184 — 1194

پالاميرا : أنطونيو 662 A. Palamera ?

پالانسي : كولان ده 617 C. de Palaney

پاكي : نيكولا 217 — 323 — 584 N. Paquet
 622 — 630 — 696 — 900 — 929
 1065 — 1113

پاكو 1011 Paco

پاردو : سانتياغو 235 — 864 S. Pardo

پارينطي : ابراهام 655 — 656 — 665
 ” إسحاق ابن ابراهام 665
 ” موسى 466 — 598
 ” شلومو 508
 ” يعقوب 79
 ” ابن يعقوب 72

پارينزو 323 Parisot

پارك : تاد 151 Tad Park

پارطريدج : فرانك 464 F. C. Partridge

پاسكولي 617 — 666 Pascoly

پاسكون : بول 210 — 215 — 334 P. Pascon
 340 —

- 997 J. de Perignat (دي) خوصي : پيرگنات
— 999
- 975 M. de Périgny (ده) موريس : پيرني
— 1072 — 1037 D. T. Perry د.ت. : پيري
1130 — 1084
- 660 — 599 پيرا
— 352 — 281 A. Petri اكيلى : پيتري
762 — 585/583
- 625 — 624 — 511 Petri/Pietri پيتري
616 — 380 E. Piat : ايميل : پياط
925 Pierre پير
- 1176 L. Pierron : ليون
623 — 469 ابراهيم : بيمينطة
" حايم 878
" رفائيل 509
- 907 Pinard بينار
1114 Pincherlé : پانشيرلي
1107 — 1104 ابراهيم شالوم : بينطو
" اسحاق 1138
" داويد شالوم 639
" سالومون 772
" موشى 936 — 938
" موشى ويعقوب والعالية وستريا 1107
" يعقوب 936 — 1054 — 1081/1079
— 1107
- 1039 — 1037 A. Pitto : انطولين : بيتو
" ارطورو A. Pitto 873 — 995
" بليسي : موريس 485
" بونطي : اسحاق 688
" حايم القصري 630 — 726
" حايم 598 — 718 — 799 — 865
" دايد 688
" ميمون 1163 — 1166 — 1167
" يهودا 800
- J. de Vismes de (ده) فيم : ج. ده : بونطيرو
505 Ponthieu
- 919 L. Porro : لياندر : پورو
F. de Potestad (دي) فورناري : پوطيسطاد
888 — 885 — 555 — 554
- 1035 Powell/Power (او باول) : پاور
174 Préfol : پريفول
1115 Proveux : بروقوه
— 1098 — 775 F. Puente ف : پوينطي
1099
- 1005 — 1004 M. Puerta : مانويل : پويرطا
— 1000 — 989 R. Pujol : رفائيل : پوخول
1042 — 1001
- O. du Puigaudeau (دو) : اوديت : پويغودو
41

— التاء والثاء Th - T. —

التازي : الحاج المدني 71 — 312 — 815 —
871 — 930.

التازي : عبد الكريم 1068 — 1096.
" الحاج عبد المجيد بن علال 33 — 695
— 973 — 998 — 1001 — 1019.

التازي : عبد العزيز 115.
" الحاج عبد الغني بن الطيب 108.

التازي : الحاج عبد السلام بن محمد (مونا)
71 — 80 — 115.

التازي : عبد الهادي 71 — 86 — 89 — 93
— 108 — 129 — 137 — 177 — 179 —
223 — 365 — 368 — 399 — 414 — 641 —
— 816.

التازي : الحاج عبد الواحد بن محمد 95 —
110/108 — 123.

التازي : الحاج عبد الوهاب بن أحمد 69 —
113 — 315 — 318.

التازي : العربي السلاوي 107.
" الشيخ 71.

التامري : عبد السلام 1032.

التاوازي : الحاج عبد المالك بن علي 119.
تايتاي : الحاج أحمد 385.

التباع : محمد جمال الدين 309.

التجموعتي : الحاج العباس 92.

التجاني : أحمد 210 — 272.

التدغي 847.

" ابراهام 888 — 932.

العادلوي : أحمد 642.

" محمد بن الحاج صالح الحرزي 939.

" الحاج عبد الرحمان بن احمد 115.

" الحاج عبد الكبير 990.

التادلي : إبراهيم بن محمد 130 — 135.

" الحاج صالح بن الحاج المعطي 1165 —

1166 — 1168 — 1170.

التازي : أحمد 66.

" أحمد بن إدريس 1152.

" الحاج أبوبكر ومحمد بن حرازم 112.

" الحاج إدريس والحاج محمد بن محمد

111.

" إدريس 312 — 313.

" إدريس بن عبد الوهاب 117.

" الحاج البشير 113 — 129.

" محمد بن المكي 318.

" محمد بن الطاهر 77.

" محمد بن المدني 312.

" محمد بن المعطي 75 — 80 — 314 —

315.

التازي : الحاج محمد بن محمد (مونا) 73 —

80 — 399 — 402 — 811 — 815 — 816 —

— 870 — 922 — 930.

التازي : محمد بن عبد الكبير 689 — 1068

— 1096.

التازي : محمد بن الحاج محمد 873 — 922

— 1197.

- التلاوي : عبد القادر 1088.
- التلاوي : أحمد بن التهامي 171 — 674 — 699 — 700 — 723 — 735.
- التلاوي : التهامي بن محمد بن عبد السلام 673.
- التلاوي : المكي بن محمد 699 — 700.
- التلاوي (أو التلاوتي) :
- الحاج بوشعيب بن الأحسن 865 — 868 — 899.
- الحسن بن الحاج بوشعيب 901.
- التمساني : محمد 419.
- التمودي : محمد 1094.
- البشير 30.
- عبد الرحمان 133.
- التمناري 21.
- التملي : محمد بن الطيب 100.
- الحاج محمد بن العربي 469.
- التمسماني : أحمد 636.
- محمد 621.
- التناني : علي 1096 — 1097.
- التلاوتي الحريري :
- الحاج أحمد بن العراقي 883.
- بوعزة بن محمد 915.
- الجيلالي بن الطاهر 935.
- الطيب بن المعطي 868 — 899.
- محمد بن الجيلالي 935.
- محمد بن علي 919.
- العربي بن الحاج صالح 937.
- تشارليستون : إدموند 498 E. Charleston.
- شامويل 685 — 818 — 932 — 934.
- الياهر 818 — 878.
- التراب : الحاج قاسم بن علي 116.
- الترجمان 323 — 684.
- إلياس 936 — 940.
- داييد 847 — 902.
- روين 716.
- مردوخي 1136.
- يوسف 1108.
- تركي : علي بن محمد 93 — 94.
- التركي : صالح بن عبد الله 151.
- التركزي : محمد بن التلاميذ 134.
- التروكي : حمو بن الجيلالي، السرغيني 711 — 1187 — 1188 — 1190.
- ترينيداد : خوان طوليدانو J. T. Trinidad 512.
- الترياوي : محمد بن عبد القادر، البوعزيزي 1000.
- التريعي : بوسلهام بن الجيلالي ولد زروال 730.
- محمد بن المعطي 927 — 990 — 1000.
- التزوطي : الحسن بن غانم 707.
- الطواني : الحاج المختار 1047.
- الحاج عبد السلام بن محمد 112.
- عبد الهادي 1139.
- التلاوي : إبراهيم 1089.
- بوجمة بن عبد القادر 1088 — 1090 — 1092/1096.
- التلاوي : مسعود 1060 — 1076 — 1077 — 1081 — 1088.

توفنيل 374 Thouvenil —
 التوفيق : أحمد 159 — 164 — 210 — 265
 — 272 — 277 — 278 — 336 — 342
 تورسان 281 Toussaint — 627 — 628
 تير : أدولف 607 A. Thiers
 تيسي : جوليو 580 J. Tessi
 تيسو : شارل 448 J. ch Tissot — 606 — 607
 تيستا : شارل 130 ch. Testa — 142 —
 449 — 450 — 459 — 711 — 826 / 828
 — 831 — 981 — 1074
 تيقنان : لوران 168 L. Thévenin — 1071 —
 1107 — 1114
 الثوري : عبد الكبير 599

تشرشر : د ت 173 D.T. Churcher —
 1159
 التهامي بن بوعزة 693
 ” بن الزباني (الحاج) 793
 ” بن المسعود 856
 ” بن الشرقي (الحاج) 1036
 ” بن علي (مولاي) 844
 التواتي : عبد الكريم 93
 التوزاني : محمد 620
 ” عبد الكريم 467
 ” عبد الله 620
 ” الحاج عبد السلام 680
 التونسي : الحاج أحمد 182
 ” بوسلهام 719

— الجيم J.G. —

الجامعي : الحاج محمد 115
 ” بوشتي بن محمد بن البغدادي 67 —
 370 — 397 — 970 — 1146 — 1147 —
 1151 — 1154 — 1156 — 1171 — 1183
 الجامعي : العباس بن محمد بن العربي 570
 ” العربي بن المختار 78 — 108 — 601 —
 891 — 970
 الجباري : عبد المالك بن عبد الواحد 1152
 جبرو داركوز : ريل 719
 جبور : أحمد 660
 الجبوري محمد 786
 الجيلي : أحمد 507
 ” محمد ورحمة 636

جؤذر 189
 جاكبي : ليون 191 L. Jacquet
 جاكسون : جيمس غري J. Gray Jackson —
 50
 جاكطي : فرانسيس 281 F. Jacquetty —
 352 — 1013 — 1045 — 1047 — 1108 —
 1112 — 1113 — 1136
 جاكو ولد الرومية 1031 — 1035 — 1127
 جالوزر : جول 281 J. Jaluzot — 352 —
 610 — 627 — 628 — 1115 — 1196
 الجامعي : محمد بن العربي بن المختار 451 —
 609 — 817 — 1023 — 1113 — 1130 —
 1177 — 1178

جوريس : Jaurès 394 — 1176
الجزع : سالم 1121
الجزار : منصور بن مسعود 678
الجزولي : الحاج بوشعيب 870
جوزيف الثاني 25
جلول 620
الجلولي : أحمد بن الحاج أحمد بن عبد القادر
الحريري 938
الجلولي : إدريس بن عبد القادر 844
" عمر بن محمد 938
جوليان : شارل أندري Ch. A. Julien 571 —
581 — 611 — 629 — 1195
جيلبير : تيودور T. Gilbert 905
الجيلالي بن الجيلالي 1107
" بن حمو 1035
" بن الطيب (الحاج) 943
" بن عبد الرحمان 788
" بن علي 1082 — 1086 — 1087
جحاف : لطف الله بن أحمد 97 — 99.
جونستن : R.L.N. Johnston 1078 — 1084
جينينغ Jeanning 1158
جوسار Jaussard 281 — 1115
الجعفري البوعزيزي : ابراهيم 1011
جفادة : محمد 1046 — 1049 — 1050
جواكين 671
جواو : إدريس السعيد 506
جياناطيلي : أ. جاناطيلي Gentile A. Gianatelli 455
500 — 579 — 584 — 898 — 1007

محمد بن 1016
" محمد بن علي 1054
جيجودي Gigoudet 624
الجداي : ابراهيم بن قاسم بن الهاشمي 843
" أحمد بن الشافعي 899
" حسين بن عبد الحميد 842 — 942
" المكّي بن قاسم 933
" محمد بن العربي 845
" عبد الحميد 848
" سعيد بن قاسم 937
" الشيب بن العربي 846
" عبد الفاضل بن الحاج الشافعي 865
الجراري : محمد بن ادريس 476 — 804 —
805 — 814 — 820 — 879 — 881 — 909
— 973/971 — 983 — 995 — 998 —
1000 — 1001 — 1010/1012 — 1015 —
1019
الجراري : الحاج الطاهر 1081
" المهدي 524 — 793
" عباس بن عبد الله 99 — 138
" عبد الله بن العباس 103 — 132 —
137 — 408
الجراري : عمر بن محمد 1972 — 973
" الحاج عبد الله الباعمراني 1099 —
1100
الجريري : أحمد 743
جيرو : هوبر H. Giraud 1115
جورج : ك C. George 996
جردان : محمد 457
جوردان : أ. A. Jordan 1036

— الجيم المعقودة Gu —

- الغباص : محمد بن محمد 412 — 595 — 703
- غوتش : شارل Ch. Gautsch 624 — 625
- ” ويليام ديفيد W.D. Gooch 772
- الغداري : محمد 707 — 708 — 725
- كديمات : مولاي التهامي بن إدريس 1046 — 1056
- كعدون : 1139
- كودار : ليون L. Godard 61 — 347 — 391
- كوديث : تيودور لوكاس L. T. Godet 168 — 772
- الكربي القرشي : الحاج محمد والحاج العربي 721
- الكربي السفياي : بوعزة بن العياشي 722
- الكروري : الأحسن 1038 — 1137
- كاردنيت (?) 1184
- كراسينو : 930 Garassino
- ” باسيليو Basilio 891 — 900/897 — 903 — 904 — 908 — 941
- كراسينو : جيوسيبي J 897 — 901/899 — 903 — 904
- كراسينو : جيو باطستا G. B. 1006 — 1008
- كراسينو : G شاطانو 902
- ” L لويس 169
- ” نيكولو N 903
- كارسيا : دومينغو D. Garcia 385
- ” خوان بلانكو J. Blanco 573
- ” إي سينطيس Garcia y Sintès 818 — 889
- كارسان : ماريوس M. Garcin 1014
- كراندي : باولو P. Grande (?) 579 — 1008
- كرانط : ي س U. S. Grant 464 — 481 — 491
- كرافيري : Gravéri 786 — 907 — 915
- كراهام : ويليام W. Graham 65 — 509 — 1065
- الكرابي : ابراهيم بن سعيد 1122/1124
- ” البتول ربيعة ابراهيم بن سعيد 1124
- ” أحمد 1046
- ” عباس بن ابراهيم 1062
- كرو : فالانطان V. Gros 696 — 788
- كرواش : محمد ولد التهامي 620
- كروندمان Grundmann 829 — 835
- الكروصي : التهامي بن الحسن 831
- ” حمو 838
- ” الحسن بن الحاج أحمد الزباني 884
- ” الحاج الطيب بن الحاج محمد 939
- ” محمد بن عيسى 839
- ” عبد السلام بن الحاج أحمد 884
- 884
- الكرواني : أحمد 1032
- ” محمد وميمون 72 — 439

172 Gamir **گامير**
 M. **گودفروا دمومبين** : موريس
 272 — 210 Gaudfroi-Demombynes
 460 J. P. **گومبرت** Gumpert ج. ب.
 464 S.R. Gummeré **گوميرى** : س. ر.
 1152
 A. C. Gomès **گوميش** : أنطونيو كليمانتي
 818 — 931
 M. Firmando Gomès **گوميش** : مانويل فيرماندو
 931 — 933
 F. de Gomez **گوميث** : فرانسيسكو (دي)
 1041
الكناري بن الحاج محمد بن عبد السلام 912
گونصيت : گوميش G. Gonseth 934
گوتیکا (?) : شارل Ch. Gutiga 617
گون : حسن 1096
الحاج محمد 993 — 995 — 1158
 1176
گون : عبد الله 273
الگوني : الحاج محمد 111
گونصاليث L. Gonzalez **لويس** 1011
فرنسيسكو F. 555
بيسينتي V. 1011
القميصي : الطيب بن محمد 990 — 992
گوف Gauffe 216
گوفار Goffart 1140
گوفيون : إيدمون ومارت E. et M. Gouvion
 365 — 398

گرويلمان : ف F. Gruelmann 835
گريرو Guerrero 690
گري : ده de Gray 615
گريگوريوس السابع 388
گرين : وليام كربي W. Kirby Green 66
 513 — 510 — 502 — 501 — 422 — 67
 602 — 527 — 525 — 524 — 522 —
 868 — 867 — 774 — 723/719 — 657
 1083 — 1129 — 1131 — 1133
گريف Grieve 173
گريفي : جول J. Grévy 379 — 609
گريس Grace **جون** J. 1080 — 1082
 1084
وليام W 1062 — 1080/1078
 1084 — 1088 — 1094 — 1117
غيرفن Guirven 770 — 774
گاطيل : خواكين J. Gatel 1120
الكلمي الدكالي : عبد السلام 646
گاليسيا : كانديدو C. Galicia 555 — 559
گلاسفورد Glasford 65
گلوفر : ريتشارد R. Glover 366
الکوجر : عبد الوهاب بن سلام بن عيسى 636
گوليج : فون V. Güllich 447/449
غليوم الأول 365 — 447 — 448 — 452
گامبارو Gambaro **أكلي وتيوفيلي** A. T. 1044
جيوثاني باطيسا G. B. 1043 — 1045
 1056 —
گامبياتي : أ. **گاليطي** A. Galleti Gambiagi
 580 — 591

٦٢٥ Gaiffe **غيف**
 ١١١٣ E. Gasselin **كاسلان** : إدوار
 ٦١٤ de Gaspary **كاسباري** : ده
 جسوس : الحاج حدو وأحمد وأبو بكر ٦٧
 " محمد ٣١٤ — ١١٥٢
 " مصطفى ٨٠٦ — ٨٨٨ — ١٠١٠ — ١٠٨٣
 " الحاج قاسم ٤١٩
 " الحاج سعيد ٨٣ — ٦٦١ — ١٠٩٣
 ٧٢٤ E. Gallego **كاليكو** : إنريكي
 " خوصي J. ٦٩١
 ١١٤٨ H. Gaillard **كاليار** : هنري
 ١٠٠٤ Gaetano **كايطانو**
 ١٠٩٩ Gayling **كاي لينغ**
 ١٠٠٧ **الكاييم** : الجيلالي

١١٧٨ — ١١٧٥ E. Goin (?) **غوان** : إيريك
 ٨٦٧ E. Guigliano (?) **غيانو** : أوخينيو
 ٨٨٥ — ٨٦٧ N. Ghio **غيو** : نيكولا ورس
 ٨١٤ — ١٧١ Guiol **غيول**
 ٣٣٦ — ٣٣٠ A. Guillaume **غيوم** : ألبير
 ٣٤٧ — ٣٤٢ — ٣٤٠
 ١٦٨ Guivara **غيبارا**
 ٧٧٢ E. Guillevéro **غيبيرو** : أخينيو
 ١١٦٤ — ١٧٢ J. Guitta **غويطة** : خاكوبو
 ٣٥٦ — ٣٠٥ — ٢٨٣ P. Guillen **غيلن** : بيير
 ٦٤٠ — ٥٩٠ — ٥٣٠ — ٥١٢ — ٤٤٩ —
 ٨٢٥ — ٧٧٠ — ٧٦٠ — ٦٤٧ — ٦٤٥ — ٦٤٤
 ٩٨٢ — ٩٨٠ — ٩٤١ — ٨٣٦ — ٨٣٤/٨٣٢ —
 ١١٣٧ — ١٠٧٥ — ١٠٧٣ — ١٠١٨ —
 ١١٨٣ — ١١٨٢ — ١١٥٩ — ١١٤٦ — ١١٤٢
 ١٦٨ Guien **غين**

— الحاء —

١٠٨ **الحبابي** : الحاج محمد
 " الحاج المدني ٨٩
 " الحاج عبد الغني ١١٨
 " الحاج عبد السلام ١١٢
 الجباري الحريري : الحاج الجيلالي ولد أحمد
 المعلم ومحمد بن التهامي ٩٤٢
 الحباسي : أبو بكر بن محمد ٦٩٨ — ٧٠٣ —
 ٧٠٦ — ٧٠٩ — ٧٢٤ — ٧٢٩ — ٧٣٦
 الحباسي : محمد بن الحاج ٧٠٤ — ٧٠٥ —
 ١١٧٨
 الحبشي : بوشعيب بن الحاج الطيب ٩١٣
 " الحاج البكري الحريري ٩١٦
 " الحاج ابن اسماعيل السلهومي ٨٣٠ —
 ٩٠٩
 " الجيلالي بن أحمد العسكري الحريري
 ٨٨٢
 " الحسن الحريري ٨٩٩
 " الحاج خريش بن الحاج ٨٣٩
 الحبشي : محمد بن محمد بن الجيلالي
 العسكري ٨٨٢
 " الحاج محمد بن محمد الخلفي ٩٠٧
 " الحاج محمد الجباري ٩٠٨
 " محمد ولد الحاج عزوز الحريري ٩١٧
 " الحاج محمد بن عبد القادر الحريري
 ٩٣٨

الحدادي : محمد البوزيري والعربي بن الحاج
محمد المديوني 939.

الحدادي : الحاج محمد بن الحاج عبد العلي
937.

” علي بن الشيب المديوني 914.
” الحاج الشريف المديوني 943.

الحارثي : أبو عمرو 107.
” محمد بن علي السفياني 472.
” التهامي بن محمد بن الشافعي الأحدي
826.

” الحاج المحجوب بن زوعروق 901.
” محمد بن الشافعي 910 — 932.
” عباس بن الحاج بوشعيب 827.

حركات : إبراهيم 288 — 362.

الحركاتي : محمد بن سعيد البوعزيزي 1011.

الحراثي : محمد 1080.

الحرار : مسعود بن بناحيم 869.
” هذان بن إسحاق 1074.

الحراق : محمد التطواني 62
” الحاج محمد الهواري الطليقي 697

الحرودي : الحاج بريك بن الروين 864.

حروش : هارون 1104 — 1105.
” يوسف 1105 — 1138 — 1192.

الحريزي : الحاج أحمد بن المعطي وعبد
القادر بن الحاج 863

الحريزي : إسماعيل بن الحاج إسماعيل 1141.
” إسماعيل بن الحاج البصلي 847.

الحريزي : بوشعيب بن علي 938.
” بوشعيب بن محمد 809 — 810.

” محمد بن المعطي الحريزي 866.
” صالح بن محمد الحريزي 911.

الحبيط : عبد الرحمان 506.

الحاتمية 736.

الحجاجي : أبو بكر بن الحاج محمد 893.
” محمد بن سحنون السفياني 726.

الحجامي : إبراهيم بن محمد الحريزي 869.
” بوشعيب بن الرغاي 885.
” التهامي بن الحاج قاسم 884.
” محمد بن محمد الشرقي 868.

الحجاوي : أحمد بن علل 856.

حجوط : عبد السلام 506.
” دايد بن 1173.

الحجوي : محمد بن الحسن 49 — 62 —
101.

حجلافة : علل ولد 1202.

الحاحي : محمد بن الجيلالي 845.
” غريض 1035.

الحداد : الحاج أحمد 652.
” الحاج المدني 113.
” يودا 1081.

” يوسف 729 — 1079.

حدادو : المهدي بن محمد 133.

الحدادي : محمد بن إبراهيم البيضاوي 826 —
827.

الحدادي : أحمد بن الشيخ علي 848.
” الحاج بنداد المديوني 865.

” محمد بن عمر 868.

” بوشعيب بن الحاج عبد العلي 936.

الحريزي : ابن محمد 847.
" الجليلي بن عمرو الفقري الحسناوي

943.

" الحاج الجليلي بن إدريس 848.
" الحاج علي وأبناؤه الحسين وعبد الرحمن

وعيسى 877.

الحريزي : علال بن ملوك 882.

" الكبير بن الطاهر 900 — 933.

" الحاج محمد 846.

" محمد بن عيسى 848.

" الحاج محمد، البضاوي 865.

" الحاج محمد بن الصغير الغفيري 864

" مزين بن الطيب ومحمد بن عمر 845.

" الحاج مسعود بن الغزواني 844.

" الصغير بن عطاء الله 901.

" عبد السلام بن أحمد 845

" عبد السلام بن أحمد بن العياشي 868

" علي بن الحسين 809.

" العربي بن اليماني 866.

" الغزواني بن بوعيشة 898.

" الحاج ابن اسماعيل بن الحسين 861.

" المعطي بن أحمد بن الغزواني 901.

الحريشي : أبو بكر وأبو علي ومبارك وعبد

القادر وعلال 1008.

الحريشي : الحاج إدريس 1100 — 1101.

" الحاج محمد 111.

" الحاج محمد 94.

" محمد بن العياشي 118.

حزران : موشي 1032

حَكَم : أبوبكر بن علي 764.

حكيم : محمد بن عزوز 29 — 31 — 968

— 1209.

الحكيم : إبراهيم 182.

" محمد بن عبد الكبير 111.

" علال 1054.

الحكيمي : الطيب بن أحمد 1032 — 1054.

الحلو : أحمد بن الحاج محمد 1147.

" إدريس 314.

" بناصر 316 — 1056.

" الحاج الطالب 67.

" محمد بن أحمد 111.

" الحاج محمد بن قاسم 104 — 109.

" الحاج محمد وأخوه الحاج المهدي 74.

" الحاج محمد 888.

" عبد الرحمان 973 — 1001.

" عبد السلام بن محمد 420 — 464 —

487 — 493 / 500 — 1153.

الحلو : الحاج عبد السلام 499.

الحلوي : الحاج ابن العربي بن الطاهر 938.

" محمد بن علي ولد غنو 843.

" الحاج عبد الله بن الحولي 897.

" الحاج علي بن الحولي 843 — 845.

الحلوي : محمد بن الحاج عبد الرحمان 804

— 806 — 905.

الحلوي : عبد الواحد 67.

حليمة بنت عيسى وحليمة أرملة القائد،

مصطفى 596.

حليوة : شلومو 685.

حمادي : عبد القادر 642.

الحمدي : الحاج ابن الحداوي 937.

" محمد بن العيساوي 942.

الحمداوي : أحمد بن الطيب المديوني 912.

" أحمد بن الهاشمي 940.

حصار : إدريس وأخوه بنعاش 761.
 " الحاج محمد 77 — 402 — 413.
 " محمد بن الحاج قاسم 804 — 922.
 " الحاج عبد الله بن الحاج قاسم 804 —
 805 — 870 — 1025.
 حصار : العربي 107.
 " شلومو 940.
 الحافي : أحمد 918.
 الحضري : الجيلالي 638.
 الحضرمي : محمد باصلاح 98.
 الحضيكي (الشيخ) 180..
 الحفياني (الحاج) 723.
 الحقي (أو اللحكي) : العربي 79.
 حقي (أو حكي) : مسعود 1012 — 1192.
 الحسابات : عبد الرحمان بن أحمد 1052.
 الحسن (السلطان مولاي) 22 — 26 — 29 —
 31 — 63 — 81 — 99 — 101 — 108 —
 127 — 130 — 132 — 133 — 136 — 141 —
 147 — 166 — 169 — 172 — 174 —
 181 — 194 — 196 — 203 — 214 — 216 —
 217 — 221 — 266 — 267 — 277 —
 282 — 284 — 289 — 294 — 295 — 307 —
 310 — 327 — 352 — 361/363 — 266 —
 370/368 — 372 — 374 — 380 —
 386/384 — 395 — 396 — 402 — 408 —
 420 — 422 — 440 — 453 — 517 — 524 —
 568 — 570 — 591 — 608 — 609 —
 615 — 632 — 640 — 669 — 703 — 731 —
 740 — 741 — 807 — 817 — 821 —
 928 — 971 — 1005 — 1035 — 1038 —

" بور بن رحال 938.
 " ابن الحسن بن أحمد 846.
 الحمدوشي : أحمد بن الجيلالي 867.
 حمودة (الباي) 136.
 الحموشي : علي البغدادي 729.
 حميدوش : الحاج محمد البهاري أكرام 1103.
 حميدة بن محمد بن العربي 620.
 حميدو بن العربي 507.
 " حميدو ولد علال 1030 — 1032.
 الحمري : الحاج الطيب المزاي المديوني 919.
 الحمري : الحاج محمد بن اسماعيل 1000.
 الحمارية 1190
 الحمزاوي : الجيلالي بن حمو البخاري 441
 — 457 — 619 — 1120 — 1146.
 حميزو : نسيم بن موشي 1044.
 حمو (الحاج) 1096.
 " بن صالح 1058.
 الحمام : عبد السلام الانجري 24 — 442 —
 534 — 551 — 557 — 568/565 — 570 —
 638.
 حمان : إدريس 506.
 الحناني : المكي بن أحمد 1152.
 حنتيت : محمد الطنجي 728 — 735.
 الحنش : الحاج إدريس بن علي 138.
 الحنشوي : عمر 1089 — 1091 —
 1092 — 1096.
 الحمياني : عبد السلام ولد 506.

- الحشمي : الحاج علي بوطالب 131 — 788 —
1174 — 1192 .
- حشويل : الياهو 1108 .
- ” فرايم 1136 .
- حواسبا : پاولينو 1104 .
- الحواشي : محمد بن الحاج وعبد السلام 681 .
- الحياي : الياهو 1152 .
- حيوط : يهودا بن ابراهام 900 .
- الحيرش : يوسف 1080 .
- حية : الحاج قدور ولد 620 .
- الخاء —
- الخراز : علال بن الحسين 1121 — 1123 .
- الخراط : إسحاق 692 .
- ” مخلوف 688 .
- ” سليمان 686 .
- ” يوسف ولد مريدخ 671 .
- خرخور : عبد الغفار 667
- خورخي 1184 .
- الخطابي : محمد العربي 176/181 .
- الخطيب : محمد 662 .
- ” محمد بن عبد الله 74 — 83 — 360
- 393/391 — 408 — 418 — 439 — 515
- 634 — 970 — 993 — 1002 — 1044 .
- الخطيب : عبد اللطيف 79 — 392 .
- الخالدي : عمر 210 — 1191 — 1196 .
- ” خليل بن صالح 1161 .
- الخلادي : عبد القادر 734 — 998 .
- 1094 — 1109 — 1121 — 1124 — 1131
- 1132 — 1137 — 1147 — 1161 —
- 1165 — 1187 — 1191 — 1195/1197 .
- الحسن الثاني (ص ج) 181 — 383 —
1094 .
- الحسن بيه 131 .
- ” بن غانم 792 .
- ” بن الزبير (الحاج) 917 .
- حسن : إبراهيم شحاتة 504 .
- ” بن أحمد 1062 .
- حسان : ابراهام 661 — 663 .
- ” سالفادور ويشوع 663 .
- الحسانبي : التهامي وسلام ومحمد 636 .
- ” أحمد 1055 .
- ” محمد بن العربي 766 .
- ” الحاج محمد 1024 — 1026 .
- ” بن علي (الحاج) 1058 .
- الحسناوي : أحمد بن الطاهر وبوعزة بن المعطي
وعلي الخطاطي 725 .
- الحسناوي : الحاج بوشعيب بن العربي 681 .
- ” العربي بن ادريس المالكي 727 .
- ” محمد بن الطيب 1128 — 1137 .
- الحسنبي : الحاج عبد القادر بن محيي الدين،
الجزائري 24 — 92 — 131 — 1144 .
- حسون : الحاج عبد العلي 786 .
- الحسين : 636
- ” بن محمد 457 .
- ” بن محمد 884 .
- ” بن الحاج عدي 1080 .

- الخططي : الحاج بوسلهام 722.
 " حمادي بن حسون 681.
 الخلفي : أحمد بن الطاهر 686.
 " محمد بن العربي 999.
 الخلفي : بوسلهام بن علي السفياي 727.
 " بوسلهام بن الفقيه النظام 696.
 " الحاج محمد بن الأحمر 726.
 " الحاج محمد بن منصور 697.
 المحمدي : سعيد بن عبد الله 136.
 الخلوفي : إسماعيل بن مبارك السرخيني 1138.
 خلوق : عبد العزيز التسماني 412 — 560 — 910.
 الخمار : أحمد بن الحاج محمد بن حمو 682.
 الخمال : محمد العربي 452 — 478 — 638.
 خيمينيث : خوصي J. Jimenez 171 — 723.
 الحمصاني : الحاج مبارك بن العربي 990.
 خنافو : مسعود وشمعون وهارون 1077.
 " موشي 1102.
 الخنشوشي : الحاج بوسلهام بن الجيلالي 682.
 " الحاج بوسلهام بن الكدير 720.
 " بوسلهام بن العربي 725.
 " محمد بن العربي بن الكدير 721.
 خنشيش : إدريس بن محمد 1187 — 1187.
 " محمد بن أحمد 1187.
 الحضاري : علي بن بوسلهام الطليقي 682.
 الحضاري : عبد الرحمن ومحمد بن بوسلهام 681.
 خواكين 690.
 خوان 472 — 660.
 الخياطي : العربي وولده الحسن 720.

— الدال D —

- الدباغ : أبو القاسم بن مسعود وأحمد 128.
 " الطاهر بن مسعود ومحمد وصالح 127.
 " محمد بن عبد الرحمن 69.
 " مسعود بن الطيب وأخوه محمد 127.
 " يوسف بن سليمان 932.
 دايلة : ابراهام وإسحاق 940.
 دوبي : جورج G. Duby 436 — 960.
 دويني : جول J. d'Aubigny 531 — 611 — 617 — 624 — 687 — 696 — 697 — 733 — 734 — 795 — 1173.
 دوبيرت : أدولف A. Dobbert 172 — 836.
 دوبويس : هـ ل H. L. Dupuis 503 — 657 — 859 — 1127.
 داغراصا : جوزي ولويس J., L. Dagraça 152 — 798.
 الدثاجي : الحاج ابراهيم ولد الخروبية (او الحريلية) السفياي 681 — 685.
 ديغولي Dégoulet 323.
 ديگران Desgrands 919.
 ديزيكنيز : فليكس F. Desguins 283 — 976 — 1015 — 1016.
 دوغلاس : جيمس J. Douglas 501.

606 — 379 — 375 — 190 Aymé d'Aquin
— 905 — 630 — 613 — 612 — 607 —
906 — 1137 — 1115 — 941 —

دكاز : جاك J. Decazes 283 .

الدكالي : الحاج أحمد بن الجيلالي 589 — 457 —
590 .

الدكالي : المصطفى 74 — 284 — 309 —
589 .

” محمد بن المصطفى 79 — 581 — 589 —
— 892 — 1129 .

الدكالي : محمد بن الجيلالي الرباطي 746 .

الدكالي : الحاج محمد بن علي السلاوي 791 .
” محمد بن علي السلاوي 277 — 407 —
741 — 747 — 1161 .

الدكالي : الحاج أحمد 620 .

” الحاج أحمد بن محمد 882 .

” أحمد ولد الفاطمي 1001 .

” بوشعيب بن الحسن 847 .

” الحاج محمد بن قاسم 1013 .

” محمد بن بوعزة 878 .

” عبد الرحمان بن حدو 847 .

” عبد الله 621 .

” عبد السلام 507 .

” العربي بن إدريس 1036 .

” علي 839 — 851 .

” علي الحسيني 616 — 621 .

” علي بن سعيد وعلال 696 .

دوكور : أنطوان A. Ducors 375 — 746 —

779 — 782 — 785/783 — 795 — 896 —

912 .

دوكور : إيميلي 795

الدحداح : رشيد 373 .

دادون محمد 508 .

داريشاير : كارفر C. Darbshire 319 — 325 —

— 584 — 670 — 971 — 989 — 993 —

996 — 1156

دارمون 810 — 916 .

الدرأوي : أحمد بن المعطي 1136 .

” الحاج صالح بن محمد 114 .

” الحاج عبد الله 623 .

” عمر 117 .

الدردب : عبد الكريم 636 .

الدرنوني : أحمد بن بوعزة الحريري 897 — 901 .

” الحاج محمد المعيزي الحريري 866 .

الدرعي : أحمد بن صالح الكتاوي 180/178 .

” مخلوف 508 .

” مسعود 830 .

” موشي 1007 .

” فرتونة 696 .

” الياهو 1152 .

” يعقوب 841 .

الدرقاوي : محمد 571 .

” عبد القادر بن محمد 682 .

” العربي 838 .

” مولاي العربي 105 .

الدرقاوية : عائشة 506 .

درومون : إيداور E. Drumont 629 .

دريهم : موشي 942 .

ديزموند Desmond 1140 .

ديطري Destrée 375 — 613 .

داكان : إيمي، لوي فيكتور L.V. Le Baron

ديكيطو : لبي 936 — 940.
 دال إيميليو E. Dale 646 — 942.
 دالوين : إيرنيست E. Daluin 190 — 640 — 644.
 دالوين : 644 — 664.
 الدليرو : أحمد بن محمد 399.
 الديمي : الحسين 30.
 " محمد بن الطاهر 1086.
 ديلگان (?) Deal Gan 868.
 ديليانتى 1044.
 " يوسف 1108.
 داماد D'Amade 928.
 دامونطي : نيكولاس N. Damonte 1081.
 " جون 1081 — 1083 — 1090 — 1095.
 دماشي Demachy 625.
 الدمناتي 570.
 " عمر 1140.
 " الحاج بادو 916.
 " الجيلالي 870.
 " محمد بن عبد الكبير 1124.
 دومون : شارل إتيان Ch. E. Dumont 323 — 814 — 906 — 910 — 912 — 924 — 925 — 941.
 الديموسي : الحاج محمد بن عيسى الفحصي 624.
 دانيبيرغ : إغ E. G. Dannenberg 459 — 980 — 982 — 1018 — 1183.
 دانيبيرغ : رشارد R 459 — 982.
 دافان : أدولف A. Davin 626.
 " ألفونس A. 623 — 926.
 " ليون L. 626 — 627.
 " فانسان V. 510 — 511 — 615 — 624 — 626.
 دينار : يعيش 1081.
 دينية : أبو بكر بن محمد 806.
 الدقاق : محمد الدغمي 126.
 " محمد بن الحاج الشاوي 867.
 داسوي : نيكولاس N. Dasoy 323 — 510 — 864 — 990.
 الدسولي : محمد بن علي 114.
 " الحبيب بن علي 1174.
 الدهان : فرتونة 639 — 1105.
 " مسعودة 457.
 " موشي 1079.
 " ميمون 442 — 581.
 " يوسف 771 — 798.
 " ابن 908 — 995.
 داوجو : فرانسيسكو 797 — 800.
 داود : محمد 18 — 42 — 43 — 62 — 72 — 78 — 82 — 83 — 92 — 162 — 215 — 273 — 305 — 320 — 324 — 360 — 368 — 373 — 391 — 392 — 405 — 411 — 439 — 440 — 464 — 506 — 562 — 652 — 653 — 660 — 662 — 665 — 673 — 700 — 730 — 742 — 743 — 785 — 970 — 1060 — 1084 — 1144 — 1145.
 الداودي : محمد 786.
 " محمد بن قدور 900.

دونكان : ألكساندر ب. ط. A. B. T. 683 Duncan

الدويري : محمد بن عبد الواحد 1092 — 1121 — 1122

دياث : غارسيا كارلوس G.C. Diaz 997 — 998

الديوري : الحاج المدني 870.
" الحاج العربي 581.

— الراء R —

روجرز : ب. ج. P. G. Rogers 58 — 82 — 190 — 289 — 366 — 512 — 514 — 517 — 519 — 521 — 531 — 533 — 1086 — 1128 — 1129 — 1133 — 1160 — 1194

الروثي : الجيلالي السفياني 24 — 702.
الرحالي : محمد بن المعطي ولد الزيادة وأخوه
الغزواني 810 — 918.

الرحالي : محمد بن الحاج محمد بن العربي 938.
" العربي بن الشرقي الرحالي 828.

الرحالي : محمد بن قاسم المجذوبي 829.
" الحبيب بن الحاج أحمد الزناتي 1081.

الرحاحوي : المكّي بن الفاطمي الزناتي 884.

الرحماني : محمد، السلاوي 107.

" محمد بن زروال 1120.

" عبد الحميد 370 — 1123.

" العربي بن عبو 568.

" الحاج علال 1054.

" قاسم 1120.

الرحموني : بوعلام بن قاسم 1060.

الرحوي : محمد 765.

— 1259 —

الرايس : الحاج التهامي 111.

" الحاج محمد 993.

رايت : ريتشارد R. Whright 326.

الرباط (أسر) 754/758.

الريعي : محمد الجديد 1010 — 1011.

روبسن : ج. ت. J.T. Robson 464.

روبيرتز : س. ه. S.H. Roberts 173.

روبيك Robie 280 — 1175.

روبلدو : روميرو R. Robledo 172.
روينو Robino 710.

رويوف F. Rubio 1001.

روتشايلد سالومون S. Rothschild 595.

روتمان Reutman 1114.

الرتثاني : علال 989.

الرتثاخي : أحمد بن الحاج 103 — 744 — 803 — 925 — 971 — 988 — 996.

الرتثاخي : عمر 1135.

" بن الجيلالي 1021.

روك Rugg (أو Rog) 68 — 69.

روزيري : اللورد Rosebery 289 — 533 —
.534

روزند سيلفا : ريبيرو Rosende R. Silva
.1104

روزيليو : ابراهام .1081

روزقيلت 985 — 986 .

ريشو : خوان J. Rizzo 1030 — 1042
" سالبادور S. Rizzo .1098

" إي راميريش : فيليبي 1003 — 1028 —
.1139 — 1151 — 1162 — 1172 .

ريگيرا : رامون فيرنانديث دي لا R. F. de la
.659 Reguera

الركطة : ولد بوعزة 995

ريگين : رامون خيسناير دي لا R.J. de la
775 Reguen

ريزر : ماكس M. Rizer .641

راطو : خ. ل. J.L Ratto 867 — 1080 —
.1081 — 1084 — 1086 — 1104 — 1105 .

راطو : خوان J. .1054
" مانويل M. .1081

روطونديو : أنطونيو A. Rotondo .997

روطفيل Rottweil .982

الركينة : أحمد .706

روكا : أندريس A. Roca 885 — 888 .

ريكا Ricka .457

ريكار : بروسبير P. Ricard 210 — 272 .

ريكاردو Ricardo الأعرج .724

ريكير Rickert .1108

الرحيحي : محمد بن بوعزة الحريزي .917

الرحيوي : الحسين بن محمد الزياتي 826-830

ريختر Richter 830 — 840 — 995 — 1129
— 1141 — 1182 .

الروداني : محمد بن ابراهيم .181
" محمد بن عبد الله .215

الروداني : محمد بن الخرطاني الحريزي .933

رودريغيث : مانويل طوماس M.T. Rodriguez
.884 — 850 — 168

رودريغيث : خوان 1163 — 1164 .

رودياس : الحاج محمد .793

ريد ريتشارد R. Reade .326

ريد بيلوز : طوماس T. Pellowes Reade
.503

ريدجوي : ايرنيست E. Ridgeway 73 — 502
— 535 — 684 — 729 — 991 — 992 —
1036 — 1082 .

ريدمان : ألفريد A. Redman 976 — 978 —
980 — 983 — 992/988 — 1015 — 1016 —
1021 .

ريدمان : جون J. .993

" كليمانت C. .992 — 1012

" فريدريك F. .992

رزنة : أحمد التلمساني .1135

الرزني : الحاج محمد 59 — 83 — 108 —
.117

الرزني : الحاج عبد الكريم 92 — 1060 .
" عبد القادر .399

" محمد بن عبو بن عبد المالك 439.
 " الحاج محمد 113.
 " الحاج محمد بن عمرو 468.
 " الحاج عمر بن عبد الله 115.
 " عبد الرحمان بن عبد الصادق 442 —
 470 — 635 — 664 — 1148.
 رفائيل 75.
 ريبادينيرا : أ A. Rivadencira 1098.
 ريفير : بول لوي P. L. Rivière 272.
 الرقيق : الحاج محمد بن أحمد 92.
 الروحاح : عمران 693 — 726.
 رويث Ruiz 573.
 روست أ. A.W.Rost 1183 — 1184.
 روسي Roussy 323.
 الرواس : ميكيل 936 — 1054.
 الراشدي : علي بن الجليلي اليوسفي 674 —
 1147 — 1155 — 1157 — 1158 — 1183.
 الرومي : سالم 840.
 ري : جول J. Rey 600.
 " بول تيوفيل P.T. Rey 626.
 الرسموكي : الحاج سعيد 86.
 رشيد بن عثمان 808.
 الرشيد بن الشريف (السلطان) 86.
 روفيل : ليون 682 — 841 — 843/845 —
 848 — 983 — 984.
 روفيل : يوسف 837 — 841 — 843 —
 856.
 " يهودة 841.

رولانجي Rolinger 169.
 روليسطن : تشارليز ج Ch. J Rolleston 498 —
 1153.
 رولفس G. Rohlf's 1195.
 ريلي Riley 283.
 الرموش : بوسلهام بن المصطفى 679 — 692 —
 703 — 704 — 713 — 718 — 724 —
 726.
 روميرغ : موريلين M. Romberg 1140 —
 1141.
 الرميقي : الحاج المصطفى بن علي الخلوفي 724 —
 728.
 رونكال إي بيرث : ماميرتو M. Roncal y Perez 876 —
 881.
 رينالدي : أنييال A. Rinaldy 556 — 1139.
 رينو : هـ. ج H. G. Renaud 159 — 174 —
 327.
 رينو : بيليسي ده Pélissier de Reynaud 612 —
 618.
 رينيري : فوساتي F. Reyneri 579.
 راغون : محمد 689.
 الرغاوي : عائشة 770.
 الرغاي : الحاج بوشعيب بن عبد القادر
 المديوني 909 — 917.
 الرغيف : سلام 621.
 الرافعي : الحاج بوسلهام 725.
 " عبد الله بن الحاج الطيب 984.
 الريفي : الجليلي بن بوشعيب 622.
 " محمد 506.

الرومي : مسعود بن الغزال 989.

” موشي بن حاييم 980.

” شلومو، الدرعي 1015.

الرياحي : الحاج الجيلالي بن محمد المالك 681

— 682.

الرياحي : محمد بن عبد السلام الحرزي 865.

” الحاج قدور بن محمد بن عبد السلام

المراحي الحرزي 829 — 865.

الريحاني : الطيب 269.

ريمون : A. Raymond 96.

ريمونديو : Ramondo R. 876.

الريسوني : أحمد 469 — 735.

” محمد المنتصر 273.

الرهوني : الجيلالي بن مسعود الحوزي 1000 —

1017.

” عبد الرحمان بن مسعود وأبوه 1000.

” علي بن مسعود 1000 — 1013.

— الزاي Z —

الزرزار : مسعود 892.

” إسحاق 940.

الزريزر : يعيش 583.

الزركلي : خير الدين 92 — 93 — 101 —

113 — 127/125 — 136 — 373 — 614.

زرناط : عبد الرحمان 115.

الزرهوني : أحمد بن المكي 943.

” إدريس بن سليمان 114.

الزرايين : حنينة بنت، وسلطانة بنت 457.

الزيراوي : عبد الله بن علي 703.

” عبد القادر 909.

” عبد القادر بن الحاج عبد السلام 867.

الزريع : عبد الكريم 107.

الزكراوي : بوشعيب بن صائلة 885.

” بوشعيب بن بوشعيب 867 — 885

زكي : مبارك 73 — 372 — 373.

الزكي : الحاج عبد القادر 786.

الزمراني : التهامي 1202.

” محمد 317.

الزبادي : عبد المجيد 179.

الزبدي : الحاج محمد بن الطاهر 22 — 366

— 370 — 371 — 381 — 383 — 395 —

408 — 411 — 579 — 613 — 641 — 743

— 744 — 1178.

الزبيري : المهدي الرحامي 927.

الزنجاري : الحاج محمد 102 — 412 — 452

— 467 — 475 — 476 — 630 — 655 —

656 — 669 — 670 — 672 — 721 — 723

— 724 — 893 — 931 — 1071.

الزاغوري 776.

” ابراهيم 818.

” حاييم 819.

” نسيم 818 — 932 — 933.

” ف. 1079 — 1081.

” هارون 932 — 933.

” الياهو 814.

” يعقوب 940.

” يوسف بن هني 1116.

زرديق : عبد الكريم 667.

الزوكي : رامون 466 — 477.
 " يعقوب 468.
 الزودي : عبد الرحمان 400 — 402 — 413.
 زيتونة : محمد بن عبد الله 93.
 زيد بن ثابت 202.
 الزيدي : أحمد بن العظمية 727.
 " المحجوب بن أحمد بن حراجل 1074.
 " محمد بن الحاج عيسى 1046.
 " الحاج عبد الله بن الجيلالي البرهومي
 1040 — 1045.
 الزيداني : ابراهيم 845.
 " أحمد 179.
 الزيزون 441 — 637.
 الزيلاشي : رحمة وأحمد 636 — 637.
 " محمد 572.
 زين الله : قدور بن الطيب وابنه إدريس
 الحريزي 863.
 زينو (الإخوة) 1034 — 1036.
 الزايدي : الحاج محمد بن الحاج التلمساني
 1171.
 الزيادي : الميلودي بن محمد الطالبي 826.
 " عثمان 117.
 الزَيَّاني : أبو القاسم 20.
 الزَيَّاني : بوعزة بن الحاج محمد 897 —
 901.
 " حمو بن الحاج الحسن 902.
 " الحاج الطيب بن عبد السلام 935.
 " محمد بن أحمد بن الهاشمي 937 —
 938.

" محمد 1013.
 " محمد بن عبد الرحمان 1032.
 " الحاج صالح بن محمد 115.
 " الحاج عبد القادر بن أحمد 1097.
 " علال 1059.
 " عمر بن مسعود 1092.
 " العياشي بن عمر 1036.
 زَمَامَة : عبد القادر 77 — 106 — 244 —
 271.
 الزموري بن محمد بن بوسته 1021.
 الزموري : محمد بن الجيلالي 1020.
 " الحاج محمد 114 و 116.
 " الحاج موسى 115.
 " المقروط 792.
 الزناتي : ابراهيم بن بيكو 1012.
 " حمو بن الحسين 899.
 " العراقي بن الأحرش 913.
 " هدان ويوسف 1013.
 " هارون بن بيكو 1012 — 1018.
 " بوشعيب بن العربي 903.
 زنير : الحاج إبراهيم 870.
 " محمد بن عبد الهادي 681 — 719 —
 973 — 1031 — 1042 — 1043 — 1053.
 زنير : محمد (العامل) 739.
 " الحاج عبد الله بن عبد الله 741.
 " الحاج علي بن أحمد 106/103.
 الزفني : الطيب 729.
 الزفري : الطاهر 699.
 الزاهي : التهامي بن محمد 1056.
 الزهاني : عبد الرحمان وأبوه بوعزة 777.

” عبد الرحمان بن الحاج عبد الله
البيضاوي 897.

الزّياني : عمر بن أحمد 760.
” سعيد بن بوسلهام 727.

الزّياني : محمد بن الحاج 697.

” محمد بن الحاج اليماني 917.

” محمد بن علي المالكي 727.

” مخلوف بن الجيلالي 912.

” المكي بن العربي 847.

— الطاء T. —

— 144 — 143 — 132 — 109 — 102

— 381 — 380 — 372 — 370 — 172/170

— 400/397 — 391 — 389 — 386/383

— 420/415 — 413/411 — 405/403

— 444 — 442 — 441 — 423 — 422

— 465 — 461/455 — 453 — 451/449

484/482 — 479/476 — 474 — 472/468

509 — 504 — 502 — 499/495 — 493 —

— 532/529 — 525/520 — 514 — 512 —

— 558/555 — 553 — 537 — 535

— 580 — 575 — 574 — 570/563

597 — 596 — 594 — 591 — 586/582

— 609 — 603 — 602 — 600 — 599 —

629 — 627 — 625 — 621 — 617 — 611

— 641 — 640 — 637 — 635 — 634 —

— 672/669 — 665 — 664 — 661 — 659

— 687 — 685 — 684 — 682/679 — 674

703 — 698 — 695 — 692 — 690 — 689

— 716 — 711 — 707 — 706 — 704 —

— 741 — 735/733 — 731 — 728/718

— 774 — 771 — 764 — 763 — 761/759

— 795/793 — 791 — 782/780 — 777

— 816 — 811/809 — 807/805 — 799

— 839 — 838 — 835 — 831/826 — 817

— 857/854 — 852/848 — 846/841

الطباي : مبارك بن داود بن الشليح الشياظمي
1073.

طوبعيليم : ساوول 656 — 655.

طحان : زهير 273.

طارق بن زياد 24.

طارو : جان وجيروم J. et J. Tharaud 236 —
290 — 319 — 321 — 1161.

الطرابلسي : الحسن السلاوي 107.
” المدني ظافر 133.

الطرباطي 1132.

طرافرس Travers 828 — 450.

طورالبا : فيرناندو F. Torralba 574 —
1000.

طوري : خايي J. Torre 1172 — 1140.

طورسو Torso 690.

طرايدانو : مصطفى بن مسعود 780.

طيري Terry 1114 — 173.

طيري ميج Thery-Mieg 168.

الطريس : أحمد 1209.

” الحاج محمد بن الحاج العربي 33 — 29 —
83 — 77 — 73 — 67 — 66 — 63 —

طامو 694.

طامس 1036.

طول : هنريش H. Toel 829/827 — 818 — 834 — 835 — 896 — 898 — 981 — 1141.

طوليدو : مانويل ألباريس دي M.A. de Toledo 555.

طوليدانو : ابراهام 469 — 892.

” إسحاق 940 — 1038.

” بينحاس 323 — 459 — 460.

” الحبيب 623.

” حاييم 893 — 898 — 901.

” رفائيل 581 — 725.

” مخلوف 623 — 1039.

” موشي 581 — 800 — 936.

” مير 725.

” شمويل 323 — 781.

” يشوع 581.

” يوسف 469 — 582/581 — 1007.

طومسن : هـ. ج. هـ. H.J.H. Thompson 996 — 1027 — 1034 — 1036 — 1038 — 1053 — 1057.

طومسن : ريتشاردسن R. 168.

طوماس 394.

الطنجي : دايد 1077.

الطنجاوي : الحاج عبد السلام 117.

” إسحاق 1039.

” مخلوف 1035.

طونيس : هـ. H. Tönnies 759 — 761.

— 876 — 873 — 870/ 865 — 862/ 860 — 904/ 898 — 891/ 885 — 883 — 882 — 916/ 914 — 912 — 910 — 907 — 906 — 943 — 941 — 934/ 931 — 925/ 922 — 991 — 988 — 985 — 983 — 981 — 992 — 1011 — 1009/ 1007 — 998 — 992 — 1032 — 1030/1028 — 1026 — 1019 — 1056 — 1053 — 1048 — 1044 — 1038 — 1083/1080 — 1075/1073 — 1058 — 1099 — 1113 — 1105 — 1104 — 1101 — 1123 — 1122 — 1118/ 1116 — 1135 — 1133 — 1132 — 1129/ 1127 — 1147 — 1146 — 1142 — 1140 — 1138 — 1157 — 1156 — 1152 — 1151 — 1164 — 1163 — 1161 — 1159 — 1184/ 1181 — 1178 — 1174/ 1171 — 1198 — 1197.

الطريس : الحاج العربي 645 — 1059 — 1084.

طوريس إي بيدال : 1001 Torres y Vidal.

طاطاتي : دي 687 de Tatani.

طاطنباخ : فون ثراف von Graaf 461 — 460 — 457 — 450 Tattenbach — 828 — 761 — 760 — 685 — 646 — 602 — 942 — 836 — 835 — 831 — 829 — 981 — 1058 — 1075 — 1146.

الطالبي : الحاج أحمد 741 — 761 — 789.

طالني : ده H.de Tallenay 613 — 612.

طوطال : 65 — 68 — 69 Tootal.

طوطي 172 Totier.

طايبي : بول P. Taillet 615 .
 طاييلور : ف F. Taylor 280 .
 طيريكسون : ابراهام سورين دي 1118 .

طفتكين بن عبد الله 270 .
 الطغرائي : مؤيد الدين 399 .
 الطاهر بن الطاهر 1055 .
 " ولد الحاج المكي 918 .

— الكاف C. K. Q. —

الكثيري : الحاج بوسلهام 681 .
 " عبد القادر 682 .
 " علي بن عمر 88 — 89 .
 الكحاك : الحاج محمد بن الحاج محمد 181 .
 الكحلون : محمد بن أحمد الملوحي 457 .
 الكحيل : موشي 913 .
 كاخادة إي غوتيريث : خوان J. Quijada y
 Gutierrez 884 — 887 .
 كودينغتون Coddington 66 — 1156 .
 كيدنفيلت : ماكس Max Quedenfelt 832 .
 كدي : الحاج أحمد بن الجيلالي بن بوشعيب
 المذكوري 939 .
 الكرودوي : أحمد 20 — 380 — 385 —
 419 .
 " الحاج محمد 385 .
 كرامة A. Karara أليكساندر 825 — 863 —
 906 — 934 — 941 — 976 — 989 —
 1022 .
 كرامة : إ ج ر E. J. R. 1024 — 1034 —
 1043 — 1055 — 1056 .
 كرامة : جيمس J. 989/991 — 996 .
 الكرطي : العربي بن بوسلهام 700 .

الكبة : الحاج محمد بن الطيب الفرجي 989
 — 991 .
 كيبنة : الحاج بوشعيب البوعزيزي 1010 .
 الكبير بن مولاي سليمان (مولاي) 1086 .
 كايص : شلومو 1011 .
 كايصا : دايد 1104 — 1116 .
 كروب : جون J. Cobb 350 — 486 —
 837/840 — 843/846 — 848/858 — 885 —
 — 888 — 906 — 931 .
 كايا إي موليناري Cavilla y Molinari 511 .
 الكتاني : حفيظ 761 .
 " الحسن 80 .
 " الحسين والغالي 317 .
 " محمد ابراهيم 128 .
 " محمد الباقر ومحمد بن عبد الكبير 104 .
 " محمد بن جعفر 166 .
 " عبد الكبير 139 .
 " عبد العزيز 1175 — 1182/1178 .
 " عزوز 147 .
 كوتس Coates 469 — 842 — 846 — 848 —
 — 849 — 1142 — 1154 .
 كيتلر : ج ده G. de Kettler 451 .

- محمد بن حماد 721 .
- كارطيس : جيمس J. Curtis 1035 — 971 — 1037 — 1080 — 1074 — 1082 — 1084 — 1088 .
- كورطيس خواكين J. Cortes 1101 — 170 — 1159 .
- كركر محمد الصغير 1136 .
- كراكشو : محمد 761 .
- كراكة Krake 836 — 171 .
- كراكوف رودريكيث R. Krakof 171 — 1164 — 1165 .
- كارلطن : إدموند E. Carleton 687 .
- '' إدوارت Edward Carleton 718 — 717 .
- هارى Harry 471 — 679 .
- كاريل : ج J. Carrel 913 .
- كارلوس الثالث 16 — 23 .
- كارنو سادي م.ف M.F. Carnot-Sadi 380 .
- الكاروشي : الحاج محمد 1039 .
- كارو يوسف 719 .
- كارامان أ. ده A. de Caraman 51 — 50 .
- كارستنسن : فريدريك F. Carstensen 503 — 515 — 1033 — 1078 — 1080 .
- كراسكو D. Carrasco دييغو 1101 — 1139 .
- كير : ر R.L. Kerr 168 .
- كيسروب : موشي 764 — 763 .
- كروب Krupp 459 — 635 .
- كروز : هنري H. Croze 872 — 871 — 197 — 928 — 929 .
- كرومي س. ف C.L. Cromie 860 .
- كروسكوسطوف ف. Crusestott 645 .
- كورسي : ف باثجير دي E. Baguer de Corsi 997 .
- كورونيل أ. ده A. de Couronnel 613 .
- الكريزي أحمد بن صابر وقاسم بن عبد الحميد الجداوي اندروسي 842 .
- إدريس بن صابر الخريزي 868 .
- الكريزي : الحسن بن حمو اندروسي 847 .
- كريميو : أدولف A. Crémieux 1101 — 611 .
- '' Crémieu 794 .
- كريسبو جوزيف J.Crespo 1083 .
- كريسطول : پروسبير Christol 912 — 917 .
- كاز : ألدوق ده de Cazes 409 .
- كازنوف Cazeneuve 1115 — 281 .
- كوزمير (?) Cosme 671 .
- كاليميريو : أ. م دي A. M. de Calimerio 638 .
- كلارك Clark 1133 .
- كلاركسن غي : جون J. Clarkson Gay 1129 .
- كلارامبو ج G. Clarambeaux 727 — 694 .
- كلافاريسو : لورينسو L. Clavaresso 1085 .
- كليفلند : كروفر S.G. Cleveland 485 — 484 .
- كولاصو : جورج جوزيف J.J. Colaço 633 .
- كولاصو : إيميليو ري E. Rey Colaço 602 — 635 — 633 — 940 .

كنال : جوزيف J. Canal 20 .
 كائي : جاك J. Cagne 21 .
 كنيبة : ألفونس A. Canépa 818 — 900 —
 908 — 910 — 917 — 918 — 923 — 925 —
 941 — 1013 .
 كونطي : ج J. Conte 686 — 687 —
 996 .
 الكنسوسي : الحاج عيسى بن محمد 116 .
 الكضاضي : عبد الله بن أحمد 179 .
 كوقرال : فرانسوا فيليب F.P. Couvral 323 —
 926 .
 كسباني : نجيب 1156 .
 الكسلاسي : يعقوب 1105 .
 كاستيليناردو : أدولفو A. Castillenardo 578 —
 579 — 586 — 588 .
 كاسطر : هنري ده H. de Castries 34 .
 كاسطرو : إدواردو دي E. de Castro 723 .
 " ميكيل دو M. do Castro (أو محمد
 العليج البرتغالي) 978 — 1009 .
 كاسطيكس Castex 170 .
 كاسطيو Castillo 575 .
 كاسطيون : ده de Castillon 577 — 605 —
 1044 .
 كاسطيانوس : مانويل M.P. Castillanos 998 .
 كسكاس : حاييم 506 .
 كاسيانوس : ج سبيريدان G.S. Cassianos 615 .
 كاسيل : فيكتور إلياس V.E. Cassel —
 461 — 602 — 647/645 — 684 — 691 —
 861 — 1019 — 1118 .

كولاصو : جوزي دانييل J. D. 190 — 441 —
 472 — 510 — 575 — 633 — 634 —
 639/637 — 664 — 693 — 726 — 888 —
 931 — 932 — 1042 — 1053 — 1083 —
 1104 — 1153 — 1162 — 1184 .
 كولاصو : مانويل M. 1011 — 1153 —
 1184 .
 كولمان : أرثور A. Coleman 1082 —
 1084 — 1128 .
 كولون : ج J. Collomb / Colomb 907 .
 كيلب : يامين 694 .
 كيلنير : فريديريك F. Kellner 352 — 1056 .
 " كارليس 1165 — 1184 .
 كيلو إبراهيم 694 .
 كاميو : لودوفيك ده L. de Campou 276 .
 الكاملي : أحمد بن محمد 90 .
 كمان : عبد السلام بن عبد الخالق 116 .
 كانوكي 594 .
 الكانوني العبدى : محمد 133 — 135 —
 310 .
 كنيب : محمد 622 — 662 — 671 —
 717 — 910 — 1199 .
 كانطاغالي : روميو R. Cantagalli 442 —
 579/577 — 580 — 583 — 585 —
 586 — 592/590 — 602 — 707 — 725 —
 746 — 781 — 782 — 865 — 902/899 —
 904 — 1008 — 1044 — 1138 — 1183 .
 كانصينو : حاييم 818 — 865 — 867 —
 869 .

سينطو 468. "
 شنطوب 1009. "
 شالوم 507. "
 شلومو 798. "
 شمویل 984. "
 شمعون 984 — 1040. "
 هدان 1034. "
 هارون 1014. "
 يمين ويعقوب بن هارون 1174. "
 يعقوب 468. "
 يعقوب بن دايد 660. "
 يعيش 1105. "
 يهودة بن ميمون 623. "
 يوسف 818 — 936 — 939 — 940. "
 — 981 — 984.
كوهين : يوسف بن اسحاق 826.
كول R. Cowell 686 — 687 — 1015.
كواندرو : روجي R. Coindreau 319 — 326.
كوون : ج G. Cowan 1078 — 1084.
كوياس : إدواردو دي E. de Cuivas 688 — 691.
 مانويل دي M. 690. "
 تيودورو دي T. 659 — 687 — 775. "
 1042.
 كاي Cail 625.
كايي : جاك J. Caillé 15/13 — 26 — 387 — 385/383 — 380 — 275 — 50 — 388 — 403 — 473 — 479 — 486 — 491 — 496 — 578 — 591 — 610 — 657 — 732 — 744 — 1106 — 1109 — 1113 — 1137 — 1194.
كين : إيميلي E. Keene 1194 — 1199.

كيشادة : سيباسطيان S. Queixada 635 — 1011.
الكوش بن حمو 1035.
 عبد السلام 694. "
الكوهن : محمد 508.
 محمد المفضل 73. "
 الحاج محمد بن العباس 115. "
 الحاج محمد بن قاسم 118. "
كوهين : ابراهام 1080.
 إسحاق 508 — 621 — 655 — 710. "
 إسحاق بن مسعود 1105. "
 بناحيم 468. "
 حايم 583. "
 دايد و ليون 323 — 623 — 919. "
 دابيد 1077. "
 دابيد بن شلوم 664. "
 دابيد بن كوهين 729 — 1014. "
 داويد 1092. "
 دانييل أ. 1079. "
 روبين 1011. "
 ليون 1175. "
 ليفي 480 — 509 — 597. "
 مسعود 798. "
 ميير 990. "
 ميير بن موشي 1191. "
 ميير بن بيگور 983. "
 موشي 688 — 1079 — 1104. "
 نسيم 936 — 939. "
 عطية 819 — 936. "
 فريخة 506. "
 سعدية 1098. "

— السلام 1. —

- لا أما : إدواردو دي 687 E. de la Ama .
- اللبادي : أحمد بن محمد 657 .
- أحمد بن العربي 660 .
- الخاج محمد 397 — 402 — 417 .
- عبد الكريم بن أحمد 660 — 665 .
- اللبار : الخاج محمد بن أحمد 118 .
- عبد القادر 112 .
- عبد السلام 685 .
- اللباري : محمد بن إدريس الدكائي 847 .
- اللباط : خاج أحمد المنديلي 990 — 1021 .
- لابين : جون J. Lapeen 151 — 350 — 804 — 818 — 860 — 862 — 864 — 870 .
- لوبيريس : عبد الرحمان 877 .
- عسر 1108 .
- لوباريلو : أنجيلو A. Lubarello 585 .
- اللوبيري : محمد بن علي الخسري 940 .
- اللوبيري : الخاج محمد المديني 847 .
- ليوك (?) Liebock 1156 .
- لبيل : رولان R. Lebel 607 — 610 .
- بلان : أندري A. Le Blanc 20 .
- لبروه : هنري H. Lepreux 1113 .
- الليبي : أسير 841 — 1151 — 1174 .
- حاييم الصوري 1074 .
- موشي 508 .
- العزير 936 — 939 — 940 .
- مالمون 664 .
- يعقوب 1040 — 1173 .
- يهودة بن حاييم بن اسحاق 1044 .
- يولي (الإخوة) 73 .
- لوتغاندو : لويس إي ألدانا دي L. y Aldana 690 de Lugando .
- لوثانو مونيوت : فرانسيسكو F. Lozano Munoz 554 — 555 — 687 — 1098 .
- لوجي : فيلار هـ. H. de Lugier-Villard 613 .
- لغلي : موريس M. Le Glay 1159 — 1176 .
- اللوكاشي : يامين 1108 .
- لودفيك فيل Ludvic-Ville 283 .
- لوديريتز : دو de Luderitz 456 .
- لري : لوي ألير L.A. Le Ree 1106 .
- لريش Leriche 617 .
- لارو : دو de La Rue 1144 .
- لاريدو : ابراهيم 467 .
- إبراهيم بن مردوخ 582 .
- إبراهيم بن يعقوب 507 — 991 — 1155 .
- إبراهيم بن يوسف 868 .
- إبراهيم الرياضي 507 — 770 .
- اسحاق ويعقوب 461 .
- مردوخي وشلومو 581 .
- موشي 73 — 323 — 508 .
- شلومو بن يوسف 991 .
- يونة 718 .

1115 — 626 — 616 — 608 — 586 —
— 1129 — 1161 — 1137 — 1198.

لامبير : پل P. Lambert 1038 — 1120 —
1125 — 1136.

لومبروزو : فيطوريو V. Lombroso 1103 —
1138.

ليم (الإخوة) Lamb 352 — 864 — 871 —
— 989 — 1035 — 1037.

ليم : فريدريك 860.

لانينا : إدواردو دي E. de la Nina 775.

لاندو Landau 623.

لانديريك : ي هينتر فان J. Heintz van
461 Landeryck.

لانييل Lagnel 280 — 1115.

لونج : جيمس ده J. de Long 463.

لونوي : A. Lannoy 326.

ليناريس : فيدينان L. Linarès 141 — 168 —
— 174 — 531 — 532 — 567 — 667 —
1178.

لينز : أوسكار Oscar Lenz 87 — 192 —
1101.

اللفميش : اخاج عبد الرحمان 585 — 638.

ليقي - بروقنصال : إقاريست
998 E. Lévy-Provençal.

ليفيك : إيرنيست E. Levesque 1191.

ليفينجستون : ديفيد D. Livingstone 288.

لسور Lesourd 613.

ليسييس : فيدينان ده E. de Lesseps 189.

لاروش : جورج ده G. de Laroche 698.

لوي : لويس ده Louis 695 — 698.

كامي : كاميل ده Camille 352 — 378 —
695 — 697 — 730.

لاورينسو Lorenzo 690.

ليرتشوندي : حوسي L. Lerchundi 381 —
385 — 386 — 389.

لي : هنري وجوزيف J. Lee 65H.

ليرد : آرثور A. Leard 51 — 65 — 289 —
443 — 812 — 1061 — 1063 — 1122 —
1124 — 1125.

لازاريف : جيورجيو G. Lazarev 354.

لاطو (?) Lato 646 — 1020.

لطفی : عبد الحميد 480.

اللطيف : حسن مصطفىان 1064.

له طورنو : روجي R. Le Tourneau 39 — 42 —
197 — 217 — 231 — 233 — 272 —
293 — 296 — 972 — 1148 — 1149 —
1159 — 1161 — 1173 — 1175.

لكير : رني R. Leclerc 162 — 163 — 180 —
310.

لاكوسط : أوريليان A. Lacoste 1045 —
1050 — 1051 — 1107.

لالوز (الإخوة) 1046 — 1048 — 1050 —
" إسرائيل 1047 — 1048.

لوكهيد : ريفي Lockheade Revie 280.

لامارتيشير : هنري ده H. de La Martinière 50 —
69 — 130 — 132 — 191 — 366 —
372 — 394 — 403 — 404 — 485 — 515.

لوسيونى : جوزيف J. Luccioni 210 — 333.

له شاطولي : ألفريد A. Le Châtelier 734.

لوي : دروان ده Drouen de Lhuis 378 — 376.

لوي فيليب 16 — 17 — 651.

اللؤند Lloyd 870.

الليوي : إسحاق 1046 — 1049.

” إسحاق بن ابراهام 1081

” إسحاق الروداني 1077

” إسحاق بن نسيم 1041

” مريدخ 1043 — 1046 — 1050

” نسيم 1040 — 1046 — 1040 1104

” ابراهام وسيميون وميشال ونحمان ويعيش

وسلطانة وسميحة 1107

الليوي : سالومون 1081.

” شلوم ولد، ويوسف ولد ابراهام 1040

الليوي : يعقوب 1104 — 1107

ليويس : ويليام ريد W. Reed Lewis 422

464 — 465 — 467 — 469

484 — 480/478 — 476 — 474/472 —

679 — 656 — 655 — 531 — 498 —

837 — 766 — 716 — 682 — 680 —

855 — 849 — 848 — 846/842 —

1154 — 1032/1030 — 856 —

ليون Lion 696 — 730 — 1047 — 1109 —

1114

ليوطي : هـ H. Lyautey 21

ليون الثالث عشر (البابا) 372 — 383

386 — 388 — 389 — 403 — 404

— الميم M. —

مبارك 1108 — 1139

” بن علي (مولاي) 1119

” بن سليمان 1051

المتولي : عبد الله 990

ميتة : المنحجوب 1034

مئقال : ولد الحاج حمو 1062

مائيوز : جاسبار G. Mathews 464 — 485

634 — 717

مائيوز : فليكس أ. F. A. 64 — 86 — 163

364 — 394 — 464 — 466 — 467

469 — 470 — 472 — 473

488/479 — 490 — 498/492 — 500

508 — 510 — 598 — 602 — 634

المجدوني : التهامي 457

” الحاج محمد بن علي بن التهامي 827

المجداد : عمر 1135

المجدالي : يهودة بن حمو 1044

المجدولي : الحاج علي بن عبد الكريم 115

المجاطي : إبراهيم بن الطاهر 846

” ابن علي بن الطيب 826

” أحمد بن المعطي 934

محمد بن الأحسن (الحاج) 989 — 1000
— 1011

محمد ولد حدو 620

محمد بن مخلوف 643

محمد ولد / بن خليفة 506 — 684

محمد بن الزموري الجديد 1018

محمد بن الطيب (الأمير) 975 — 1143

محمد بن محمد 943

محمد بن المسعود 856

محمد بن موسى الجديد 981

محمد ولد المهدي 506

محمد ولد الناصر 1054

محمد بن عبو 941

محمد بن علي 1055

محمد بن العربي (الحاج) 1032

محمد بن الحاج العيسوي (الحاج) 984

محمد بن عمارة (الحاج) 623

محمد بن عمرو 620

محمد بن عبد العزيز 1060

محمد بن عبد الرحمان (البغدادي) 151 —

1064

محمد بن الغزواني 807

محمد بن غريب 686

محمد بن غانم 112

محمد بن الفاسي (الحاج) 707

محمد بن القاسمية 984

محمد بن الحاج قاسم 1007 — 1013

” التهامي بن غانم 864

” التهامي بن بوشعيب 843

” محمد بن المعطي بن الرازي 828

” عبد الكريم بن الحاج محمد بن غانم 918

النجوطي العسري : مسعود 837 — 840

— 844

مجيرس : مويس M. Migers 170 — 573

محمد بن عبد الرحمان (السلطان) 18 — 99

— 101 — 108 — 127 — 215 — 266

— 271 — 327 — 337 — 343 — 362

— 363 — 366 — 376 — 378 — 391

— 393 — 400 — 408 — 448 — 464

— 472 — 517 — 701 — 740 — 790

— 803 — 918 — 971 — 994 — 1036

— 1060 — 1071 — 1072 — 1091

— 1095 — 1121 — 1123 — 1131

— 1137

محمد بن عبد الله (السلطان) 16/13 — 20

— 23 — 26 — 93 — 177 — 213 — 220

— 266 — 291 — 326 — 975

محمد بن إبراهيم 989

محمد بن أحمد 943 — 1012 — 1107

محمد ولد أحمد الدكالي 856

محمد بن إدريس 1006

محمد بن بوشعيب 932

محمد بن الجيلالي (الحاج) 943

محمد بن حمادي 907

محمد بن حميدة 1010

محمد بن الحسن 643

مادن : دانيل D. Madden 983 — 989 —
 1008/991 — 1018 — 1019
 المديوني : أحمد بن العربي 806/808 — 829 —
 844 — 848 — 854 — 876 — 886 — 900
 — 903 — 916 — 918
 المديوني : الحاج أحمد بن الرغاي 829
 " الحاج أحمد ولد عبد الخالق 910
 " الحاج أحمد بن الحاج علال 911
 " أحمد بن علي بن عبد الرحمان 932
 " بوعزة بن الحسن 886
 " بوشعيب بن التهامي 847
 " بوشعيب بن المجذوب 937
 " بوشعيب بن ملوكا 846
 " الجيلالي بن غلوي 901
 " الحاج محمد بن الهاشمي بن عبو
 العباسي 885.
 المديوني : محمد بن الحدادي (أو العدادي) 83
 " محمد بن الحاج سليمان 884
 " الميلودي بن الطيب 863
 " عباس بن بوزيان 939.
 " الحاج عبد السلام بن بوعزة المطايع
 846 — 848 — 901
 " عبد السلام بن محمد 886
 " العربي بن محمد بن بوعمر 876
 " علال بن محمد 846
 " الحاج الهاشمي بن الطاهر 901.
 " ولد فرانس 1918
 مودنة 58
 المذكوري : علي بن موسى 900
 المرباط : الحاج أحمد 506

محمد بن الحاج قاسم 643
 محمد بن القيسي 678
 محمد بن سعود 507
 محمد سعيد 621
 محمد بن سليمان (الحاج) 115
 محمد بن شعيب 917
 محمد بن شريف (الحاج) 910
 محمد بن الشرقية 622
 محمد بن يحيى 506 — 658
 محمد (القاضي مولاي) 1180
 محمود بن عبد الرحمان 114
 محبوبة : عبد العزيز 739
 المحجوب بن الريفي 1033
 المحجوب بن بوعبيد 877.
 المحروكي : أحمد بن الحاج دحمان 830
 المحرزي : عبد الوهاب بن بوعزة 771
 المحمدي : محمد «حمو» بن العربي 938
 المحمدي : سليمان والمعطي بن حجاج 846
 المحياني : أحمد بن عبد الله الورغاني 1054
 " عزوز بن عبد الله المرودي 1054
 المحياوي : عبد الله بن قدور العبدى 1054
 المختاري : حميدة بن المكي 707 — 727 —
 777 — 1152
 مخلوف بن المسلم وأبوه 1173
 " محمد بن محمد 93 — 101 — 137 —
 989
 المدلي بن علي (الحاج) 1034.

” محمد بن أحمد ورحمة 572

ميرابنت إي پاسكوال : خوصي J. Mirabent و
Pascual 659 — 688 — 1099.

موري : خوان دي J. de Morbe 659 — 1019

مارتان : أ ج ب A.J.P. Martin 807.

مارتان : شارل Ch. Martin 919

مارتينو : جيوسيبي دي J. de Martino 577

مارتينيث Martinez 694

موريت Moret 386

المرجاني : عبد السلام بن محمد ولد الجبلي
981.

المرخاوي : الحاج أبو بكر 116.

المريد : أحمد بن عبد الحميد 177.

مورير Maurer 171 — 667.

موريرو : خوان J. Morero 585 — 638.

مورينو : العباس 268.

” شيمي 621.

المريني : محمد بن الحاج المكي 794.

ماريث : بالييرو V. Marez 690.

مارطوس Martos 561 — 562

مورطيو : كارلو C. Morteo 281 — 352 —

897 — 899 — 900 — 902 — 903 — 933

976 — 978 — 1006 — 1008 — 1037

— 1039.

ماركس Marx 1074 — 1075 — 1141.

مركيس : سالومون 938.

” شلومو 936 — 940.

مركاص 1159.

المراكشي 350.

” الحاج أحمد 111

” الحاج أحمد بن الحاج محمد

1151/1152

” حسين وأبود عبد الكريم 102

” حسين بن عمر 118

” محمد بن أحمد 115

” محمد بن محمد 116

” محمد شمس الدين بن الكبير 807

” عبد القادر بن عبد الله 1046

” عبد السلام 80 — 317

” علي بن ابراهيم وابنه عبد المالك 176

ماريناس : لويس L. Marinas 1098

المزاني : المناري أحمد بن عبد الرحمان 939

” الحاج بوشعيب بن الضيب 897

” الشرقي 851 — 869

المزامري : الحاج بنداد بن محمد بن عمر

وأخوه الحاج بوشعيب 896

المزامري : محمد بن علي المنوغي 915.

” محمد بن التهامي بن العربي 848

” محمد بن المكي 940

” الحاج المعطي بن عبد الكبير 365 —

380 — 452 — 616 — 806 — 808 — 843

— 845 — 848 — 885 — 940

المزامري : الحاج عبد السلام بن الحاج المعطي

845

” عبد الكبير بن المديني 371

المزروعي : الحاج بن الحاج الجيلالي 830

” محمد بن الجيلالي الصباحي وبوزيان بن

الجيلالي المعيزي 939

المزميري : الحسن 1097

— 1275 —

- المزوار : التهامي بن المهدي 1130
 مَزُور : محمد وعمر 75
 " محمد بن الحاج محمد 73 — 1156
 " محمد بن عبد النبي 112
 " عبد النبي 1027
 مازوريل : فيكتور V. Mazurel 596 — 729
 — 736 — 788 — 792 — 911
 موزبورغر : بيطرس P. Meusbarger 416
 — 600 — 601 — 718
 ميراندو 511 Mirando
 المرغيثي : محمد بن سعيد 178
 مارسيل : الحاج بناصر 76
 مارسيلي ده de Marcilly 1173
 مورسي : مگالي Magali Morsi 644
 مارسى أ. A. Marcet 1137
 مارسيانو : إبراهيم 696 — 1152
 " حاييم بن سعدية وأبوه 1173
 " شلومو 1152
 مراتشي : موشي 900 — 936 — 938
 " نيطر 799
 " عمران 1190
 مارشال : ليون L. Marchal 341
 ماريا دي : يوسف لازارو J. Lazaro de Maria
 873 — 918 — 989 — 991 — 995
 — 996 — 1019
 ماريا (دي) : لويز L. 998
 مور يوسف : ابراهيم 686
 " جمول 1116
 " مخلوف الخنوسي 688
 مسعود 678
 " هارون 1116
 ميري إي كولوم : فرانسيسكو دي باولا F. de
 552 — 448 — 190 Paula Merry y Colom
 659 — 590 — 571 — 562 — 553 —
 1101 — 1042 — 997 — 690 —
 ماطوس : أنطونيو ده A. de Mattos 78
 ماطياس 573 Matias
 مطيطة : إسحاق 679
 " مير 684
 ماطيوس : هـ H. Mateos 509 — 770 — 773
 المطاعي : محمد بن الحاج المعطي 846
 ماك لين : ألان A. Mac Lean 197 — 294
 — 860 —
 ماك لين : هاري H. 294 — 295 — 350
 1130 — 869 — 860 — 853 — 478 —
 — 1160 —
 ماك ليود : براش Brash Mac Leod 869
 — 872 — 1156
 " ماك إيفر Mac Iver Mac Leod 533
 — 534 — 722 — 1155 — 1158 — 1176
 ماك ماث : جيس J. Mac Math 190
 473 — 472 — 466 — 464 — 463 —
 — 481 — 1076 — 1095
 ماك ماث : سامويل 173 — 1159
 ماك ناب : فرانسيس F. Mac Nab 65
 — 182 — 852 — 1123
 ماكينطوش : جون J. Mackintosh 509

المكناسي : الحاج فضول 113
" الحاج محمد بن عبد الله وأخوه الجليلي

114

المكاوي : محمد الحكيم 181

" عبد السلام 115

المكودي : الحاج محمد 115

مكوار : الطاهر 313

" محمد 92

المكي بن علي (الحاج) 935

ميكين : بودجيت B. Meakin 40 — 280

— 1133

ميكو : الحاج المهدي 67

مالكو : إنريكو 936 — 940

ملحمة : منصور 351 — 454 — 455

— 579 — 635 — 642 — 703 — 711

— 830 — 840

المليح : حاييم 803 — 859

" روبين بن يوسف 1117 — 1118

" عمران 1102

" شالوم 799

" يعقوب وحسية وابناها ابراهيم وحاييم

1107

المليح : يوسف بن داود 798

" يوسف 72 — 1074 — 1117

" هارون بن يوسف 1104 — 1118

الميلادي : الحاج علي 103

ميلود (الحاج) 235

ماليريو Mallerio 930

ملول : إسحاق 1128

" سالومون 1108

" شلومو 720

مالوسي G. Malmusi 590

الملش : محمد بن عبد السلام بن حمو 679

المالقي : بنعاشر 695

ملين : الحاج أحمد 793

مول : رفائيل R. Moll 1000 — 1004

مولينارس Molinaris 584

الملياني : الصديق بن علي 467

موليراس : أوغوست A. Moulières 50 — 89

— 164

مصباح : الحاج محمد 621

المصري : محمد 465 — 477 — 479

مصطفى : أحمد عبد الرحيم 99

المصلوحي : الحاج حميد بن علال 1046

" الحاج محمد بن سعيد 1128

" محمد 658

" محمد بن علي 1034

المصمودي : محمد بن عبد الله أو مالك 456

— 703 — 711 — 712 — 714

المصمودي : عبد الرحمان 571

" علي بن أحمد 1044

المصري : عبد السلام 599

" عبد القادر وأرملته 619

مضيفة (?) : بريك بن محمد 1192

المعتوغي : محمد 707

المعزوزي : محمد 32

" ولد عيشة المزكبية 856

موج : جول J. Monge 381 — 613
 " ماري Marey Monge 1106
 المنديلي : محمد بن عبد الكامل وأخوه محمد
 980 — 989
 منديث : Mendez 562
 مندوثا : بيسينتي V. Mendoza 281 — 662
 " منويل 661
 منسل : أرثور A. Menzel 1141
 المنوزي : إبراهيم بن علي 765
 مانطيا Mantilla 1041 — 1042
 مونطنارو : فيليتيشي F. Montanaro 282 —
 891 — 970
 مونطيل : ألبان Albin Montel 910 — 911 —
 917 — 925
 مونطيل : ثوسطاف G. 906 — 1014 —
 1113
 مونطي : شارل Ch. Monteil 86 — 87
 مونطيفيوري : موسى M. Montefiori 745
 مونكادا Moncada 172
 مونبي Monier 1108 — 1136
 المنصور : محمد 138
 المنوفي : محمد بن عبد الهادي 60 —
 68/66 — 74 — 76 — 77 — 93 — 94 —
 102 — 104 — 109/107 — 127 — 132 —
 135 — 136 — 138 — 181 — 197 — 210 —
 273 — 412 — 415 — 1148 — 1187
 مونو : تيوفيل Th. Monod 616
 مونيللا : جون J. Monella 646

معيزو : محمد الجديدي 1000 — 1013
 المعطي بن مبارك 760 — 770
 المعروفي : أحمد بن علي 933
 " المكّي بن بوعزة المديوني 878
 " علي بن الطيب المجام 864 — 866
 المعلم : الحبيب 936 — 940
 " الحسن 636
 " الحاج مبارك 892 — 897
 " مبارك السلاوي 780
 المعموري : عبد القادر 794
 معينو : أحمد 107 — 172 — 371 — 410
 " محمد بن العربي 804 — 905
 " العربي بن محمد 741
 معاوية بن أبي سفيان 24
 المغراوي بن بوشعيب 788
 " محمد بن بوشعيب الزناتي 780
 المقرّي : الحاج محمد 123 — 535
 " عبد السلام 1151 — 1153 — 1166
 1170 —
 مقنين : مير 72
 المقواني : إدريس الحريزي 856
 المنهبي : المهدي 569 — 761
 " عياد بن أحمد 1063
 مان : فريدريك جيمس F. J. Mann 465
 مونيل : بايلان ده Baylin de Monbel 611
 المنجرة : أبو بكر بن الطيب 115
 " محمد 114
 " علي بن بوبكر 116

مسينو : جوار نيبو 1104
 ماسنونا 280 Masnona
 ماسينيون : لوي 277 L. Massignon
 مسعود بن قدور 1012
 المسعودي : أحمد 703
 " أحمد بن الزموري 878 — 879
 " الحاج أحمد بن عبد الله المديوني 830
 " بوشعيب بن مسعود 879
 " الحاج الطيب بن عبد الخالق 892 — 893
 " محمد بن الزموري 878
 " عبد الله الزواغي المديوني 843
 " الحاج عبد الله 1
 " علي بن محمد بن صالح 881
 " سعيد بن بوشعيب بن المنصر 876 —
 877
 المسفيوي : علي بن محمد 379 — 440
 " الشرقي بن محمد بن صالح 1056
 " الحاج اليزيد بن الحاج 1056
 المسيح : موشي 70 — 1006 — 1079.
 موسى (العامل الحاج) 891 — 969 — 970
 992 —
 المشرفي : العربي بن عبد السلام 181
 ماشان : أم كلثوم، زوجة 660
 مشيشو : عمران بن يعقوب بن يفلح 679 —
 696
 " ابراهيم بن يفلح 681.
 المهدي بن الحسن 118.
 " بن إسماعيل (مولاي) 412

المنصوري : الحاج بنمصور بن علا 696
 " محمد 682 — 694
 " محمد بن بوسلهام 720
 المنيعي : العربي 476
 مونفري 614 — 1180 Monfrai
 المنقاري : الحاج محمد بن أبيه 1000
 مانيسمان 471 — 836 Mannesmann
 المنيوي : الحاج علي بن أحمد الدكالي 992
 المامون بن هشام (الأمير) 1119
 المومني : الطاهر بن البشير 33
 " المكّي بن الحاج الطاهر المديوني 900 —
 932
 مينار : فليب 471 — 696 — 698 P. Ménard
 — 789 — 909 — 911 — 914 — 915 —
 917 — 923 — 925 — 928 — 1013
 المفرج : محمد 621
 موفوازان : ج ده 786 — 786 G. de Mauvoisin
 793 — 906 — 911/909
 المسكنيني : الحاج عمارة بن عبد الصادق
 1060/1062 — 1073 — 1076 — 1080 —
 1084 — 1096 — 1098 — 1099 —
 1101/1103 — 1106 — 1110 — 1113 —
 1116 — 1117
 المسكالي : أحمد بن التهامي الشياظمي 1074
 ماسكاريناس : دومينكو 685 D. Mascarenhas
 — 686 — 729
 المسيكك : محمد 725
 مسلمة بن محمد بن عبد الله (مولاي) 136
 المسلماني : العربي بن يوسف 651

529/526 — 523 — 522 — 519 —
 556 — 554 — 551 — 533/531 —
 575 — 571 — 567 — 562/560 —
 586 — 583 — 582 — 580/578 —
 603 — 595 — 594 — 589 — 587 —
 625 — 622 — 617/608 — 606 —
 640 — 634 — 633 — 631 — 627 —
 659 — 658 — 645 — 644 — 641 —
 675 — 667 — 666 — 664 — 661 —
 694 — 692 — 689 — 686 — 683 —
 723 — 717 — 698 — 697 — 695 —
 759 — 749 — 747 — 736 — 734 —
 785 — 775 — 772 — 769 — 764 —
 809 — 803 — 797 — 789 — 787 —
 833 — 825 — 819 — 813 — 812 —
 871 — 870 — 860 — 859 — 849 —
 896 — 891 — 886 — 876 — 875 —
 930/922 — 920 — 918 — 907/904 —
 982 — 976 — 975 — 971 — 934 —
 1004 — 1001 — 997 — 992 — 988 —
 1015 — 1014 — 1012 — 1009 —
 1028 — 1027 — 1024 — 1020 —
 1049 — 1045/1042 — 1037 — 1033 —
 1073 — 1066/1062 — 1059/1056 —
 1082 — 1079 — 1078 — 1075 —
 1099 — 1098 — 1086 — 1084 —
 1111/1108 — 1106 — 1103 — 1101 —
 1120 — 1117 — 1115 — 1113 —
 1130 — 1129 — 1127 — 1124 —
 1140 — 1139 — 1137 — 1135 —
 1164 — 1162 — 1156 — 1148 —
 1188 — 1187 — 1176/1173 —
 1196/1194 —
 — 1280 —

المهداوي : محمد بن منصور 652 — 659
 666 — 665 —
 ماو 185 Maw
 ماور : هـ فون H. von Maur 833 — 981 —
 1075/1073 — 1058 — 1115
 ماون : أ A. Mahon 87 — 1064 — 1068
 1106 — 1107 — 1112
 مايسا : فليثي F. Maissa 580 — 586
 590 — 893 — 1044
 الميسوري : أحمد بن إدريس 136
 ميشو بيلير : إدوار E. Michaux-Bellaire 90
 296 — 297 — 623 — 728 — 734
 736 — 1195
 ميشو بيلير : دانييل 735
 — ميج : جان لوي J. L. Miège 33 — 45
 52 — 58 — 60 — 66/64 — 72/68
 74 — 77 — 78 — 82/80 — 89/86
 91 — 92 — 94 — 130 — 134/132
 140 — 141 — 147 — 150/148
 152 — 164/158 — 166 — 174/169
 191 — 197 — 210 — 215 — 216
 218 — 222/220 — 227/224 — 267
 272 — 278 — 279 — 283 — 285
 293 — 295 — 300 — 305/303
 306 — 323 — 325 — 327 — 347
 350 — 353 — 356 — 366/363
 374 — 375 — 379 — 386 — 392
 399 — 400 — 409 — 420 — 440
 443 — 449 — 450 — 453 — 454
 456 — 459 — 460 — 470 — 471
 479 — 480 — 483 — 486 — 501
 503/505 — 514 — 515 — 518

— النون N. —

- ناپوليون بوناپارت 136 N. Bonaparte
 ناپوليون الثالث 372 — 376 — 378 — 379
 — 394
- النجار : محمد 1139
 " العربي 636
- النجاجي : أحمد بن منصور 348
 " أحمد بن علي 788
- ناجيار : Naggiar 695 — 1028 — 1045
 — 1046 — 1048 — 1049 — 1051
 — 1114
- النكادي : فاطمة بن أحمد التلمساني 1171
- نحمياش : دايد 935 — 937
 " روبين 935 — 938
- ناد Ned, Nead 976 — 996
- نوريس : هـ ت 138 H. T. Norris
- نيرن : كوثيرت 1133 C. Nairn
- نوط : هـ 172 H. Nott
- نطالي : خوصي دي 865/863 J. de Natali
- نيطو : رامون 573 R. Nieto
 " بيطر 989 — 991 — 996 P. Netto
 — 1009 — 1011 — 1017
- نيطو : موشي 991
- نوطسل : 829 — 835 Nutzel
- النظام : شلومو 1189
- النظيفي : محمد بن إبراهيم 180
- نيكولاص 170 Nicolas
- نيكولسن 535 Nicholson
- نول : رامون 659 R. Nol
- نونيث : إنريكي دي 999 E. de Nufiez
- النصري : أحمد بن المعطي الحريري 899
- الناصر بن علناس الحمادي 388
- الناصري : أحمد بن خالد 20 — 22 — 24 —
 — 31 — 62 — 92 — 108 — 136 — 156 —
 — 158 — 163/159 — 165 — 166 — 177 —
 — 273 — 292 — 300 — 374 — 375 — 559 —
 — 702 — 739 — 744 — 970 — 971 —
 — 975 — 998 — 999 — 1119 — 1121 —
 — 1123 — 1143 — 1145
- النيفر : محمد 137
- نابارو : مانويل دي 876 M. de Navarro
- نوبلا : مانويل 505 — 573 M. Novella
 — 720
- النقاوة : الياهو 639 — 1105
- النقضم : هارون 1020
- نوسكة : بـ هـ ب P. H. B. Nüske
 — 1073/1075 — 1141
- نهلل : محمد 169 — 378 — 464 — 524 —
 — 561 — 562 — 918 — 1092 — 1128 —
 — 1190
- الناهوري : موشي 1077
- " إبراهيم بن حاييم 1077 — 1081 —
 — 1108

ناهون : ابراهام 581 — 897

” إسحاق 509 — 581 — 583 — 657

— 725 — 780 — 781 — 794 — 818 —

897 — 1190

ناهون : حاييم غ 581

” حاييم 1127

” مناحيم 581 — 666

” موشي 583 — 745

” شلوم 897

” شلومو 466 — 658 — 892 — 898

— 1192

ناهون : هلال بن 666

” هليل 468 — 667

” يعقوب 581 — 900

” يودة 468

” يوسف 581 — 583 — 899

النوينو : عبد السلام 457

” فطوم بنت 621

نويمان : فرانس F. Neumann 153 — 352 —

— 361 — 825 — 830/827 — 834/832 —

845

— الصاد S. —

الصاديقي : محمد بن سعيد 74 — 160 —

— 163 — 215 — 216 — 1059 — 1062 —

1071 — 1097

الصريدي : حمان 673 — 1186

الصراف : إسحاق 84 — 1104

” مردوخي 1152

” شلومو 1151 — 1154 — 1189

صالح الأقرع 1121

” بن عبد الله 1064

الصالحني : الحيمر بن الحاج العربي 881

” محمد بن الحاج العربي الحيمر 879.

” محمد بن الفقيه الحريري 911

” الرنقي : محمد بن أحمد بن العياشي

847

الصالحني : أحمد بن بوشعيب العبيدي 911

صالحية : محمد عيسى 273

صالح : أحمد بن الحاج محمد 665

” العربي 660

صورنان Sornen 1153

الصباحي : ميمون 1107

الصبايحي : الحاج محمد 1175

الصبيحي : الحاج الطيب 105 — 741

الصبان 1121

” أحمد بن إدريس 118

” عبد الله 660

الصابونجي : أحمد 760

الصابوني : حاييم 1081

الصبعوني : إسحاق وهارون بن شالوم 1074

” مسعود 940

” ماركوس 938

” شالوم 936

” شلومو 938 — 939 — 1077

” يهودة 1116

الصحراوي : الحاج محمد بن علي 118

الصدوقي الغربي : ابن العباس بن الفقيه 991

الصفاعي 707
 الصقلي : أحمد 314
 " بناصر وحمزة 316
 " جعفر 81
 " عبد السلام 315
 الصواف : محمد ولد 1202
 الصويري : موسى 646
 " يوسف بن يهودة 1041
 " مسان 1032
 الصايغ : إبراهيم 900
 " بينحاس 622
 " رفائيل 728
 " موثي بن خليفة 694 — 1045
 1047 — 1052
 الصايغ : يهودة 323 — 619 — 881 — 2
 913 — 915
 الصايغ : يوشع بن خليفة 1152
 الصياغ : حمامو 1105
 " شلومو بن ربيعة 1077

— الضاد —

الضرباني : بوشعيب بن عبد القادر 937
 ضواردو (إدوارد) Edward 873
 الضعيف : محمد بن عبد السلام 742 — 743

— العين —

العبوي : الحاج عبد الرحمان بن المجاهد 844
 العبادي : الحاج بوشعيب بن يحيى بن الحواري
 البوعزيزي 989 — 1011 — 1017
 العبادي : الحاج محمد بن الحبيب 998
 " محمد بن محمد 1020
 عبادية : حاييم 936
 " زهراء 882
 " شالوم 639 — 1138
 " يوسف 1013
 العبدى : أحمد بن الحاج 1081

المجذوب 237	الحاج رحمون 1128
عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم 139	محمد بن علي 1033
عبد الكريم بن عزوز 636	محمد بن يفو السلاوي الجديد 1036
بن عبد الغني 1155	عبد الله بن العربي 988
عبد الكافي : أبوبكر 41 — 46	علي بن محمد 990
عبد الله بن أحمد بن علي 1017	عيسى بن عمر 33 — 1042 — 1050
بن إسماعيل (السلطان) 179	عبد القادر بن الجيلالي 1035
بن حمّد 237	العبدائي : بوشعيب بن الحاج مسعود بن عمر المديوني 827
بن رحمون 1011	العبدائي : الحاج مسعود بن عمر المديوني 830
بن الحاج مبارك 1017	الغندور بن محمد بن الحبيب المديوني
بن محمد 1012	877 — 881 — 912 — 913 — 916
بن مصطفى البغدادي 151 — 1064	العبدائي : الغندور بن العسري 883
بن الحاج علي 884	العبدلاوي : الملودي 722
ولد الحاج القرشي 686	عبدّه : محمد 130 — 135
بن يحيى 698	عبد الحفيظ (السلطان مولاي) 332 — 515
عبد العزيز (السلطان مولاي) 104 — 133 — 414	1062 — 1164
عبد العزيز بن محمد البغدادي 151 — 1064	عبد الرحمان بن هشام (السلطان مولاي) 16
عبد القادر بن سعيد 117	17 — 59 — 62 — 72 — 76 — 83/78 — 90
عبد السلام بن إبراهيم 681	94 — 129 — 138 — 180 — 215 — 220
بن داود 506	268 — 271 — 275 — 277 — 284
بن محمد 678	289 — 290 — 324 — 367 — 381
بن قدور وعبد السلام بن علي 642	393 — 407 — 514 — 515 — 569 — 571
بن عيسى 468	578 — 589 — 633 — 651 — 702
بن الحاج سعيد 506	704 — 744 — 803 — 971 — 975
العباري : الحريزي حمو والمعطي بن الحاج 938	1119 — 1120 — 1123 — 1143 — 1144
الحاج الطاهر بن محمد الشهبي الفرجي 1011	عبد الرحمان بن حادر 507
العباري : عبد المومن بن الطيب الفرجي 1001	بن محمد 1064
	بن محمد البغدادي 151
	بن العياشي 636
	ولد السي قدور 984

” عبد السلام بن أحمد بن المعلم 856 —

938

العلية : دايد بن داحة 840

العباس بن مولاي عبد الرحمان (الأمير) 368

— 440 — 924 — 1122

العباسي : أحمد بن محمد 178 — 179

” علي باي أو Badia y Lublich, Domingo

674

” عبد السلام بن السالمي 885

عبو : إسحاق 129 — 159 — 630

عثمان بن محمد (الأمير) 1087

العثماني : السلطان عبد الحميد 130

— 133/135

العثماني : السلطان عبد العزيز 131

العاجي : عبد الرحمان 366 — 374 — 562

عدة : عبد الكريم 660

” محمد 708

العدلاي : الجيلالي 268 — 271

العدلوني : محمد بن محمد 112

” محمد بن علي بن محمد 106

عديّل : الحاج محمد بن محمد 112

” عبد الله 223

العرائشي : المكي 674

” أحمد ولد الحاج علي 1199 — 1202

” الحاج محمد بن علي 669 — 673

” عبد الرحمان بن أحمد 118

” الحاج عبد السلام 113

” الحاج علي بن محمد 673

” قاسم بن محمد 467

عرابي : أحمد 101

العربي 487 — 488

” بن إدريس 1006

” بن بلال 743

” بن المسيح 706

العربي : أبو محمد بن التهامي المزامزي 940

” الحاج الجيلالي بن بوعزة المزامزي 939

” المعطي بن التهامي المزامزي 884.

العربي : الحاج المعطي بن الحاج بوشعيب وابنه

الحاج أحمد الفقري 933.

العريفي : محمد بن علي بن الرامي 869 — 872

” سليمان بن علي بن الرامي 828

العروود : حمان بن الفقيه 664

العراقي : عبد القادر بن محمد 88

” الغالي 1163

العروسي 994

عروة بن أحمد بن الحسين 31

العروي : الأحمر 114

” عبد الله 20 — 30 — 36 — 37

— 40 — 41 — 49 — 51 — 62/60 — 80

— 91 — 102 — 132 — 159 — 164

— 166 — 173 — 194 — 196/199

— 210 — 215 — 220 — 224 — 307

— 337 — 340 — 343 — 346 — 359

— 361 — 363 — 373 — 381 — 414

— 454 — 518/516 — 534 — 560

— 571 — 587 — 608 — 834 — 1195

— 1196

عزران : موشي 1141

” يهودة 1138

" عبد القادر (سيدي قدور) 180
 " عبد السلام بن محمد 101 — 181
 " عبد السلام بن محمد بن الفقيه السلاوي
 76
 " أشراف 561
 العلوف : إبراهيم 1147
 " يودة بن دايد 1182
 العلوي : أبو النصر 111
 " محمد بن أحمد بن الكبير 113
 " عبد الرحمان بن الفضيل 116
 العلوي : الطيب بن حميش الخريزي 867
 " الحاج الطيب بن العشاب الخريزي 938
 " محمد بن المعطي الخريزي 781
 العلوي : أحمد بن المفضل الخريزي 830
 " الحاج بوعزة بن علي الخريزي 847
 " الميلودي بن يعكوب الخاليفي الخريزي
 940
 عليلو بن حسون 1202
 العليوي : علي بن الحاج محمد العبدوي 1036
 العلياني : ابن التهامي بن بوعزة ولد كدادة 939
 علي بن أحمد 908
 " بن بوعزة 667
 " بن محمد بن الطاهر 893
 " بن المكي 696
 " بن علو 1020
 " بن عيسى 707
 " بن شعيب (الحاج) 1013
 عمر بن مولاي الحسن (الأمير) 598 — 1047
 — 1160 — 1164

" بن عزوز 696
 " بن الفرجي 984
 العزيزي : الطاهر 623
 " قاسم بن عمر السفيناني 722
 العطار : أحمد بن إبراهيم 178
 " حسن بن محمد 106
 " الحاج عبد القادر 660 — 1060
 " محمد بن الحاج عبد القادر 660
 " الحاج قاسم 115
 " شمعون 1077
 العطواني : الحاج ابن إسماعيل المذكوري 939
 عطية : إبراهيم 868
 " إبراهيم بن دايد 941
 " إبراهيم مناحيم 839 — 842 — 843
 — 848 — 855
 عطية : بناحيم 1032
 " الحبيب 1032 — 1034
 " عزوز بن مردوخي ودايد ومردوخي وميم
 ويامنة 1107
 عطية : مناحيم 842 — 843 — 868
 " سالومون 1046
 " شلومو 1043 — 1174
 " يوسف 1117
 عكان بن حمو 1080 — 1128
 " بن مريم 1079
 العليج : عبد الرحمان J. de Saully 195
 " عبد الله بن عبد الرحمان 1163
 العلمي : أحمد بن محمد 806
 " أحمد بن التهامي 1129
 " مروان 510

عمر معن خليل 244 — 272
 " بن ابراهيم (الحاج) 911
 العمري : الحاج محمد 1008
 العمري : أحمد بن الدرقاوي الخليلي 995
 " بوشعيب بن العربي الحريري 938
 " محمد بن الفاضلي العوفي 1007
 " العربي 725
 — 1168
 عمارة بن الجليلي (الحاج) 1107 — 1108
 العمارتي : إدريس ومحمد 684
 " الحاج أحمد 506 — 514 — 647
 " الحسن 509
 " محمد 507
 " الحاج محمد أبيها 598
 " الحاج مسعود 468
 " الحاج عبد الله 507
 " الحاج عبد السلام 582
 " العربي بن الحاج عبد الله 647
 " الحاج علي 506
 عمّور : محمد بن عبد النبي وأبوه 118
 " عبد السلام بن الحاج محمد 468
 " الحاج علاء بن عبد الغني وأبوه 1154
 " الياهو بن شلومو 1173
 " شلومو بن موشي 829 — 942
 عميل : ابراهيم 688 — 1011
 " يوسف 907
 " يروشع 916
 عميل زربول : سعدية بن يحيى وأخوه إسحاق
 1006 — 1008
 عميل زربول : شالوم السمان 980

العمراوي : الحاج إدريس بن إدريس 73
 — 181 — 368 — 372 — 373 — 381
 — 506 — 606 — 612 — 785
 العمراوي : محمد بن إدريس 108 — 368
 — 381 — 468 — 645 — 702 — 1023
 — 1059
 العمراني : محمد 981
 " محمد بن محمد 991
 " الحاج محمد بن مبارك 118
 " محمد بن عثمان 1009
 " محمد بن علي ولد رزين 99
 " عبد الله 515 — 557 — 615 —
 1124
 " العياشي 689
 " علي بن سلام 720
 العامري : الجليلي بن العربي السعيد 827
 عمّار : ابراهيم 839 — 881 — 893
 — 1044
 عمّار : إسحاق الرباطي 880 — 1077
 " برثوم 881
 " رفائيل المكناسي 1188 — 1189
 " مسعود 841 — 851
 " إسحاق وميمون ومير المكناسيون 1118

- ” يوسف بن يحيى 998 — 999
 ” شلومو 1007
 ” يحيى 988 — 1008/1006
 العاصمي : بن عيسى بن الحاج الجيلالي 722
 ” العربي بن الحاج الجيلالي 723
 العقالي : بوسلهام بن الحاج 682
 العوفير : عبد الرحمان 999
 ” بنعاش 69 — 984 — 999 — 1010
 ” محمد بن الحاج عمر 760 — 799
 ” العباس 476 — 984 — 999
 — 1010
 ” العربي 998 — 999
 العقباني 780
 عقوقة : شلومو بن يامين 1077 — 1102
 العسري : إسحاق 841
 ” يوسف 508 — 685 — 686 — 721
 — 866 — 896
 العسري : مسعود 839 — 840 — 842
 ” المديوني : بوعزة بن الإدام 846 — 902
 العسري : الجيلالي 458
 ” المحجوب وقدر 1051
 ” عبد الرحمان 98
 ” عبد الله 457
 عسولين : سالومون 620
 ” يونس 624
 العسيلي : بوشعيب بن الحاج بوشعيب 881
 ” الحاج محمد بن الحيمر الحريري 864
 ” الحاج عبد القادر بن الحيمر 938
 عشاش : بلقاسم 137
 عواد : الحاج الطيب بن أحمد 137
 ” محمد 1056
 العوامي : الحاج محمد بن عمرو 466 — 498
 ” عبد السلام بن عمرو 466 — 467
 العوني : الجيلالي بن بوشعيب 991
 ” حمادي بن محمد الرباطي والحاج بوعزة
 وقدر بن محمد بن بوشعيب 990
 العولي : محمد بن الخليفة 1017
 ” المصدق 995
 العياشي : صالح بن بر مهدي اليزالفي 1054
 العيادي : الحاج عبد السلام بن الشاوي 885
 العيمي : عبد الرحمان بن المكي 452
 — 478 — 638
 غيسى بن الحسن (الحاج) 900
 العيساوي : بلعيد 1107
 العياشي : محمد 637
 ” محمد 19 — 750
 ” اليزيد بن محمد 637
 ” بن الحاج مبارك 621
 ” بن الهاشمي بن عبد الله 458
 عياش : جيرمان 20 — 215 — 350 — 524
 — 560 — 834 — 926
 عيوش : الحاج إدريس 117
 ” محمد 76 — 316

” عبد السلام بن الحاج الطيب 1190.
 ” الحاج السعيد بن الحاج الطيب 96
 — 1189 — 1190.

الغداوي محمد 856.

الغري 816:

” أحمد 106 — 787.

” محمد بن أحمد 48 — 87/85 — 198.

” محمد بن مصطفى 875.

” مصطفى 136 — 408.

” المعطي بن عبد الله 419.

” عبد السلام بن عمور 671.

الغرابي: الحاج عبد الرحمان 113.

الغرناطي: الحاج عبد الواحد 117.

غرَيط : محمد بن محمد 416 — 532 —
 1145.

غرَيط : محمد المفضل 63 — 100 —

— 400 — 380 — 332 — 171 — 143/141

419 — 417 — 415 — 412 — 410 — 402

475 — 474 — 468/466 — 458 — 455 —

— 520 — 512 — 509 — 478 — 477 —

— 564 — 563 — 532/530 — 523 — 521

601 — 591 — 585 — 584 — 582 — 574

— 625 — 616 — 615 — 611 — 610 —

— 730 — 681 — 667 — 640 — 631/629

— 1043 — 1026 — 985 — 904 — 777

1133 — 1130 — 1058 — 1047 — 1044

— 1173/1171 — 1151 — 1147 — 1140 —

غرَيط : محمد بن الهادي 180.

” الحاج الطيب 1189

” المفضل 529.

غرصية : عبد السلام 66 — 852.

غرضون : شلوم 665

الغريسي : الحاج عبد القادر 114.

الغزواني : محمد 770.

غزَّيل : ليون 64 — 716.

غالب بن مساعد 98.

غلاب : عبد الكريم 91 — 311.

غَلَف : الطيب بن الحاج بوعزة المديوني 866

الغالي : الحاج المهدي 1055.

الغالي (مولاي). 1121.

الغيلاسي (أو القيلاسي) ولد محمد 724.

الغماري البقالي 655.

” اختار 620.

” الجيلالي بن يشو المالكي 682.

الغجراوي : أبو بكر بن الحاج البشير 532 —

1127 — 1134/1129.

الغندوري : بلال بن مبارك بن أحمد 981.

غنام : بناصر بن أحمد 410 — 411.

الغناني البوعزيزي : محمد بن بومهدي 970 —

971 — 973 — 993 — 994 — 997 —

1002 — 1006 — 1010/1008 — 1019 —

1051 — 1053.

الغناني : العربي ومبارك وأحمد بن محمد 971.

- الغنمية : الحاج عبد الكريم 476 — 871 .
الغنيمي : الحاج محمد 782 .
غفور بن بوعزة 686 .
الغفيالي : الحاج أحمد 656 .
" محمد 653 .
الفسال : الحسن بن محمد 414 .

— الفاء F و PH —

- فاباريس : جان J. Fabarès 1175 —
1176 .
فابا : يوسف 685 — 721 — 722 .
الفتوح : أحمد بن عبد الله 507 .
" علي 467 — 572 — 598 .
فكيرة : فرانسيسكو وفائيل 554 F.R. Figuera
— 558 — 563 — 564 — 574 — 602 —
689 — 691 — 1164 .
فُرج : أحمد 793 .
" عبد الخالق 80 — 392 .
" الحاج عبد اللطيف 744 .
" الحاج العربي 805 — 863 — 865 —
870 — 875 — 887 — 904 — 922 — 923 —
— 926 — 929 — 930 — 932 — 1072 —
1080 — 1083 — 1084 — 1086 .
الفرجي : أحمد بن محمد بن بوشنة 983 .
" أحمد بن المؤذن 970 .
" بوشعيب 1000 — 1016 .
" بوشعيب بن بو علي ومحمد 981 .
" سعيد بن بوشعيب والحاج محمد بن
الصنهاجي 1000
الفرجي : محمد بن محمد بن بوشنة 1016
" العربي بن حميدة 1021
- فورد : ليويس 678 — 683 — 684 — 686 —
— 687 — 717 — 721 .
فورد : نيويس (الجد) 683 — 1033 —
1037 — 1155 .
فوري : ويليام W. Furrey 67 .
فورت : تيودور T. Furth 352 — 627 .
فورتونة Fortuna 573 .
فورود Forwood 1065 .
الفارسي : المعطي المزاني 869 .
فرانك : كارل K. Frank 1058 .
فرانكون : E. Francon 729 .

فيرنو : هـ 872
 فيرو : نوي شارل 124 L. Ch Feraud —
 610 — 609 — 607 — 601 — 141 — 130
 — 817 — 732 — 628 — 627 — 616 —
 925 — 924 — 918 — 916 — 910 — 906
 — 1199 — 1198 — 1176 — 1135 —
 فيريود Ferrieu J. جوزيف 785 — 919 — 922
 — 808 — 353 — 45 P " " " " " " " " " " " "
 — 905 — 895 — 894 — 838 — 818
 918 — 917 — 913 908
 فيريود : بروسبير أنطوان P.A. 923 — 928
 — 919 — 814 — 147 Pierre " " " " " "
 943 — 922 — 920
 فيرو كروث : أنطونيو 1098 A. Fierro Cruz
 الفطناسي : مبارك بن أحمد 1026
 الفكاك : محمد بن الحاج محمد النسياني 509
 فوكو : شارل دد Ch. de Foucauld 40 — 90
 630 — 347 — 346 — 339 — 217
 فيكة : هـ H. Ficke 153 — 825 — 827
 909 — 883 — 836 834 — 831 — 830
 فيكة : كارل K. 153 — 829 — 832 — 982
 — 1141 —
 الفلاق : وند 714
 فولكي 789 Paulquier
 فلوريش : المعطي 268 — 271
 فلي : ماري إرنست M. E. Flesh 905
 فليشر 1158 Fletcher
 الفيلاي 1046 — 1052
 " " إدريس 806 — 888

فرانيسكو 1044 — 1164 — 1166.
 فراشي : إبراهيم بن شلوم 1079 — 1082.
 " " موشي 693.
 " " شلوم 468.
 فروخت Frucht 600.
 الفروطي : النكي بن النقيه أبو حصبي 729.
 فروسط : جون J. Frost 508 — 759
 770 — 771 — 797 — 798.
 فروسط : روبرط كيرتون R. Kirton 771.
 الفرسي : يوسف 998
 " " داويد 1105
 فرشية : يوسف وند 671
 فريحة : إبراهيم 1105
 " " شلوم 1077
 " " شلوم 1074
 " " أياهو 1104
 فريحة بنت اليسع 620
 فريحة : أملة 581
 فيريوس : سامويل 722
 " " تين 1079
 " " يعقوب 686 — 719 — 721
 فريزار Frézar 172
 فريش : ر ج R. J. Frisch 362 — 513 — 514
 فيرلي : أليس Fairlie 1129 A.
 فيرنو : جورج G. Fernau 280 — 352
 807 — 809 — 817 — 818 — 860 — 864
 — 866 — 871 — 872

الفاسي : أحمد 98
" محمد أبو عبد الله 93
" محمد 96 — 99 — 134 — 182 —

593

" عبد الرحمان 273
" عبد الرحمان بن عبد القادر 177
" عبد الكبير 366 — 372
" عبد القادر بن عبد الرحمان 93
" علال 37 — 362
" علال بن عبد الله 182

الفشتالي : أحمد بن محمد الغول 177 — 178
فو 1113 Faux

الفوتي : الحاج عمر 90
فوت : إدوارد كيلبورن E. Kilbourne Foote
465

فومي : أوجين E. Fumey 35 — 36 — 94 —
108 — 285 — 332 — 362 — 617 — 675
— 975

فويتج : عبد القادر 930
" الحاج عبد السلام بن عبد الرحمان 830
— 930

فويتج : الحاج عمر بن عبد الرحمان 913 —
930
فوينطيس : ميثيل دي M. de Fuentès 222 —
410
فايدة : مبارك 1077

" محمد الحبيب 127

" محمد بن عبد السلام 117

فيليب أ. Philip. 929

فيليس : دينيس 480 Dennis Philips

الفناسي : محمد بن محمد 1152

فنجيرو : الحاج علال العمراني 116

فندل : هوغو 1183 — 172 H. Vendel

فانطون : مبيدرو 660 — 658 P. Fantun —
1057 — 875

فونطان 866 Fontán

فينيكس : ابراهام 878

فنيكيوس : يهودة 637

الفضلي : محمد بن عبد الله 704

الفضالي : المكي 844

فاففي 624 — 623 Favier

الفقاي : الحاج عبد العزيز 267

الفقري : بوسونة بن محمد الحريري 938
" الحاج الطبيب بن الحاج الجيلالي وولده
الحاج المكي الحريري 866

الفقري : محمد بن بوعبيد 828 — 898

" الحاج محمد بن الجيلالي 867 — 916

" عبد الله بن المقدم الجيلالي 869

" عمر بن الجيلالي 916

" الهاشمي بن علال الحريري 1073

الفاء v الأروية —

فورينو : كراكولي ده (?) 580 C. de Vorino
قوطني 624 Vautrai
فيردينوا : الكساندر ده 190 A. de Verdinois
— 578

قارلي : كرومويل 469 C. O. Varley

قاليري 323 Valéry

قو : أ ده 1106 A. de Vaulx

فيلروش : بيت ده (أو القائد الحاج عبد الكريم
أغا الهوغ) 627 Billette de Villeroche
فينانزي : ج 579 G. Vinanzi
قيال : أ 485 A. Vial 486 — 533 — 554
634 —

فيرنوبي : أ ده 608 A. de Vernouillet — 609
1177 — 611 —
فيطالي 1175 Vitally — 1179
فيكتوريا (الملكة) 515 — 1160 — 1161

— القاء الجرمانية W —

فيتشتاين 456 Wetzstein
فيزنبرغ 456 Wesenberg
فيطنال 640 Whetnall 641 — 664 —
1140 .
فيكرت 830 Weikert — 835 .
فينتزل أوطو 460 O. Wentzel
فيايس 833 Weiss 981 — 1058 —
1074 — 1075 .
فيسجيربر 71 Weisgerber 149 — 1110 —
1123 —

قالطير 1115 Walter
قوربك : هيرمان 813 H. Worbeck — 835
قورت : طوماس 1152 T. Würth — 1183 .
1183 .
قورت : هيرمان وبول 600 .
فورمان 459 Woermann
قالدهاوزن : فون 450 von Waldthausen —
451 .
فيبير : تيودور 449 T. Weber — 451 —
454 — 678 — 711 — 759 — 827 — 830 —
1074 — 1141 — 1182 .

— القاف —

” الهادي بن الطايح 1096 .
قدور بن بوبكر (الحاج) 572 .
” بن عمر بن قاسم 457 .
قويدر : حسين بن علي 101 .
القدميري : الحاج الطاهر بن الهاشمي الزباني
المديني 829 — 866 — 896 .
القدميري : محمد بن العباس 114 .
” الحاج علي 862 .
” عمر بن الحاج عمر 867 .
قرقوز : ابراهيم 1074 — 1076 — 1088 —
1091 — 1093 — 1095 — 1096 .

قبا : محمد بن الجيلالي البوشي 681 .
القبا : أحمد «بابا» وأخوه الطاهر 90 .
” محمد 79 .
” الحاج محمد «الفرنصاوي» 75 — 89 —
476 — 1176 — 1183 .
القبا : محمد بن العباس 315 .
” محمد بن العربي 1083 .
” المفضل بن عبد الغني 1152 .
” عبد الله بن العباس 128 .
قش السلجوقي 270 .
القادري : محمد بن الطيب 177 .

- قرقوز : حاييم بن يعقوب 1077 — 1082 — 1135 — 1136.
- قرقوز : دابيد 1076.
- ” موشي بن ابراهام 1107 — 1110 — 1135 — 1136.
- قرقوز : مير بن ابراهام 1030 — 1076 — 1077.
- قرقوز : عكان وشمعون مليحة 1077 .
- ” سامويل 1141.
- ” سالومون بن ابراهام 1107.
- ” هارون 1076.
- ” يعقوب بن حاييم 1080 — 1109.
- القرشي : محمد بن سلام 664.
- ” عبد الله بن عزوز 180..
- القرواني : الحاج علي 892.
- القروري : أحمد 89.
- قورباط : ابراهام بن شلومو 623 — 1057 — 1108.
- قورباط : إسحاق 468.
- ” إسحاق بن ابراهام 1076 — 1113.
- ” نسيم 1141.
- ” يهودة بن شلومو 469 — 623.
- ” يونة 1077.
- قزير : ابراهام 639.
- ” مردوخ 581.
- ” مركوس وعيوش 936.
- ” عمران 468 — 936.
- ” شلومو 638.
- قطب : محمد 291 — 292.
- القطيب : عباس بن محمد 1081.
- القلعي : محمد بن الحاج عبد الرحمان 1132.
- ” الكزنائي 1192.
- ” ميمون 560.
- ” الحاج محمد بن حمو خميلش 623 — 1192 — 1199 — 1202.
- القلعي : عبد القادر بن الحاج علال 135.
- قنجاع : محمد بن الطيب 661.
- القندوسي : أحمد 117 — 470 — 1152 — 1153.
- القنقي : شمويل وأبود ابراهام 1155 — 1160.
- القصري : أحمد 1155 — 1158.
- ” حسونة 94 — 136.
- ” الحاج عبد الرحمان 1156 — 1184.
- ” عبد السلام 786.
- ” عمار 520.
- القاسمي : زيد 999 — 1002.
- قشوشو : عبد السلام بن محمد 656.
- القايم : ابراهام 940.
- القياني : محمد بن ابراهيم 100.
- قيسومة : أحمد والتهامي الطليقي 681.
- ” محمد بن عبد السلام 682.
- القيسي : محمد 487 / 894 — 500.

— السين S —

سؤار ف 617 F. Souhart — 697 — 1144. السبتي : محمد بن المدني 118.

- سبريغ اورسن O.Sprague 82 — 985 .
 " هـ ر ج 856 .
- السيطي : الظاهر بن الحاج 990 .
 سيني : ر. أ. R. A. Spinney 971 — 989 —
 990 — 994 — 995 — 1019 — 1129 .
 السباعي 1087 .
- " أحمد شكري 310 .
 " بوشعيب بن الحاج عبد الملك وأبوه
 981 .
 " محمد بن أحمد بن اختار 96 — 99 .
 سيبيا : محمد بن سام 799 .
 السكيري : الغازي 742 .
 سيگور دوبرون Ségur-Dupeyron 174 .
 ساكاسطا : ماضيوس M. Sagasta 386 —
 394 .
 سوكاسطي : بيدرو أوبطيث دي P.O. de
 555 — 1163 Sugasti .
 الساحلي : أحمد 728 — 735 .
 السحيجلي : مبارك بن محمد الجبلي 1055 .
 السدراتي : الحاج محمد 375 — 376 .
 سيريرا : خ J. Cervira 281 .
 السراج : إدريس بن عبد القادر 1145 —
 1146 .
 " المفضل 1145 .
 السروجي : دايد 1035 — 1044 — 1102 —
 1138 .
 سورديو Sourdeau 72 .
 السرغيني : الحاج أحمد بن بوبكر 1138 .
- السرقي : بوغزة 1086 — 1087 .
 سرويلاز : دايد 1047 .
 السريوت : محمد بن عبد السلام 674 —
 691 .
 " عبد السلام 488 .
 سراثة : سالومون وسيمحة 639 .
 سطوكس : أ. O. Stokes 978 — 988 —
 994 .
 سطرانوس Strauss 169 .
 السرفاطي : ابراهيم بن موشي 936 — 940 —
 1032 .
 " إسحاق بن يعقوب 1156 .
 " دايد 468 .
 " فرايم بن يهودة 1079 .
 " يعقوب 726 .
 " يعقوب بن سامويل 1079 — 1081 .
 " يحيى 818 — 897 — 936 — 938 —
 939 .
 سيروس : Serruys (?) 597 — 641 .
 سروية Serruya 281 .
 سريا شاعر 718 .
 سيريس : ألكساندر A. Serieyz 695 — 698 —
 818 — 909 — 926 — 943 .
 سيريس : جان ديزيري J. Désiré 698 —
 926 .
 سطرنا : بناحيم 643 .
 سطوكر : روبرط R. Stalker 465 — 479 —
 484 — 848 — 855 — 856 .
 سطرلينغ : كين K. Sterling 469 — 842 —
 846 — 848 — 849 — 1142 — 1154 .

" سيد مصطفى 99.
 السالمي : أحمد بن محمد بن عبيد العبادي
 937.
 السالمي : الحاج الجزولي الزياتي 909 — 917 —
 921
 " الطاهر بن الجيلالي الزياتي 927.
 " محمد بن الحاج الجزولي الزياتي 909 —
 913.
 " محمد الزياتي 999.
 " عبد الله الزياتي 1016.
 " علي بن عبد الرحمان الزياتي 942.
 " ابن المكي 896
 السلمي : أحمد بن محمد بن الحاج
 حمدون 181.
 سلام بن الديلال 507.
 سلامة : ابراهيم وعيوش 469
 سلومان : روبرط 458 Rob M. Sloman
 سالمون 734 Salmon
 السولامي : ابراهيم 92 — 128
 سلافي 1114 Salavy
 السلاوي : أحمد الخضر 652
 " الحاج إدريس 1175
 " حمان 715
 " حمزة بن الحسين 114
 " محمد 570
 " محمد بن أحمد الخضر 652 — 655 —
 656 — 661 — 663/665
 السلاوي : عبد السلام 493 — 669 — 702
 سليمان (السلطان مولاي) 16 — 20 — 22 — 62
 — 97 — 136 — 220 — 271 — 277 —
 326 — 514

ساطاو : إرنست ميسون 503 E. M. Satow
 — 510 — 511 — 535 — 716 — 722 —
 861 — 868 — 873 — 991 — 995 —
 1081 — 1128 — 1133.
 سكت : الحاج محمد 1084.
 سكوپ : و ب 465 W.P. Scott
 سكيرج : الحاج الجيلالي 117.
 " الزبير 412.
 " عبد الخالق بن عبد السلام 658.
 سكرفاسو : سليفانو 163 S. Scovasso
 — 394 — 395 — 496 — 498 — 581/577 —
 583 — 587/585 — 589 — 590 — 608 —
 634 — 744 — 746 — 781 — 782 — 891 —
 — 892 — 903 — 1043 — 1044 — 1138.
 سكسو : ابراهيم 351 — 455 — 510 —
 642 — 727.
 سكسو : إسحاق 457.
 " دايد 507.
 " هارون 776 — 779 — 780.
 " يعقوب 642.
 " يوسف 509.
 سوليفريس : فرانسيسكو 555 F. Solivires
 سيلبا 283 Silva
 " بيطرو 283 Pietro Silva
 سيلبانا 561 Sylvana
 سالديرن فون 142 V. Saldern — 450 —
 451.
 سولزبورري : روبرط سيسيل R.C. Salisbury
 — 516 — 534 — 881 — 972 — 1129.
 سالم ولد الأحمر 998.

سليمان بن أزي

السليماني محمد الشريف 113

” محمد بن محمد 91 — 92

” محمد 92

سيمحة : حبية 642

سومرز : و. W. Summers 353 — 653

السملالي : ابراهيم 132

” أحمد بن الطاهر 969 — 970 — 992

— 993 — 996 — 1002 — 1009 —

1120 — 1137 — 1139

السماعلي : محمد 1014

سمانة : الحاج العربي بن محمد 1001

سيمبسون : هيرمان 1156 H. Simpson

سانطو Santo 691 .

سانس : فلورينتينو 552 F. SAENZ — 689 —

690 — 723

سان شافري : ألفريد ده A. de Saint Chaffray

785

السانية : عبد الرحمان بن أحمد 468

السنوسي : ابراهيم 131 — 132

” عبد الله 137

” عمر 94 — 133 — 134

سوندت Sundt 281 — 627

سينارو : سيبيرو 170 Severo Ccnaro

سينجر Singer 279

سينخير : خوصي 889 J. Singer

سينطيس : غيليرمو 1001 G. Sintés — 1005

” رفائيل 885 R. — 888

السعدي : عبد الرحمان 198

سعادة : يوسف 460

سعود : الحاج أحمد 620

سعيد : الخديوي محمد 102

” بن مسعود 688

” بن سعيد (الحاج) 984

السعيددي : بوشعيب 805

” محمد 663

” عبد المالك بن علي 379

” عبد السلام 564 — 568

” العربي 82 — 439

” عزوز الريفى 506

” عمرو بن محمد 643

” عياد بن محمد 457

سايدرا : لوسيو دي 687 L. de Saavedra — 688

سوفير : هنري 614 H. Sauvaire — 906

سيفيز 664 Cevez

سيفيراك : ايميل 914 E. Séverac

” ج لوي 280 J. L. — 789 — 1014

السفياني : بوسلهام بن دحيم 732

” الجليلي بن أحمد وعلي بن الجليلي 718

” الحاج الكمالي 681

” محمد بن الحاج 727

” المكى بن بوسلهام 472

السقاط : الحاج العربي 112

” التاودي 1145

السقطني : التاغي بن محمد والحاج بن محمد

المزاي 939

- ساسى : محمد بن الحسن 795.
- ساسبورطاس : حاييم 1073
- ” مسان 1077
- ” نفظالي 1082
- ساسطري : إديلاردو 720 Adelardo Sastre
- السهلي : الطاهر 786
- سوسنة : روبين 1141
- ” سلام ومردوخي 1081
- ” يعيش 1080
- لسوسي : الحاج ابراهيم 88
- ” الحاج أحمد بن الحسن 118
- ” الحسن 63
- ” المعلم الحسن 511
- ” الحسن بن ابراهيم 508
- ” الحاج حسن بن محمد 117
- ” الحسن بن الحاج علي 826
- ” محمد 169.
- ” محمد 621 — 643.
- ” الحاج محمد 582.
- ” محمد المختار 21 — 86 — 91 — 127 — 215.
- السوسي : الحاج عبد الرحمان بن محمد 118.
- ” الحاج علي 468.
- ” الحاج سعيد بن حسن 114.
- ” الهاشمي 620.
- سويسة : إسحاق 1108.
- ” موشي 1135 — 1136.
- ” شلومو بن يعقوب 851.
- السويسى : موحا 667.
- ” الحاج محمد بن ابراهيم 742.
- ” الحاج محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم 22 — 743 — 744.
- السويسى : محمد ابن السابق 744 — 746 — 758 — 767 — 776 — 777 — 779 — 782 — 783 — 787 — 790 — 791 — 794 — 800 — 1114.
- السويسى : عبد السلام، شقيق السابق 368 — 766 — 765 — 745 — 744 — 763 — 616 — 769 — 772 — 782/779 — 785 — 787 — 790 — 803 — 808 — 924.
- السويسى : عبد الله 743 — 744.
- السيار أحمد 457.
- سير ده 216 — 920 — 1137 de Seillière.

— الشين Sh, Ch —

- الشباني محمد الحسناوي 710.
- ” العربي بن سعيد المذكوري 848 — 849.
- شودت ي J. Schaudt 283.
- الشرايبي : محمد 314.
- شروتر : دانييل D. Schroeter 151.
- الشركي : أحمد بن الحاج محمد 507.
- شوباخ ي J. Schubach 460.
- الشتوكي المعطي 838.
- ” عمر 63.

- ” محمد بن عبد الكريم 59 — 376/374 — 378 — 740 — 1148.
- الشركي : محمد ولد ابا محمد 674 — 684 — 690 — 699 — 703 — 717.
- الشركي : عبد القادر بن أحمد وأخوه قاسم 113.
- ” العربي ولد ابا محمد 417 — 1147 — 1151 — 1164 — 1167.
- شرادة : محمد 1046 — 1058.
- شرادر : فيرنر W. Schrader 1058.
- الشيرازي : جلال الدين 270.
- الشراط : الحاج العربي 971 — 994 — 1109 — 1110.
- شارل : ر. R. Charles 210 — 272 — 326.
- شارم : كابريل G. Charmes 39.
- الشروني : أحمد بن العربي 720.
- الشرعي : عبد السلام بن الغالي 137 — 1026 — 1045.
- الشرفي : عبد الرحمان بن محمد 67.
- الشرقي : بن محمد بن صالح 1058.
- ” أحمد 620 — 729.
- ” الحاج محمد 94.
- الشرقاوي : بوعزة بن صالح المكناسي 870.
- ” الحاج الجيلالي 114.
- ” الحاج إدريس بن عمر 995.
- ” محمد بن البصير 787.
- ” محمد بن محمد وقاسم بن محمد 115.
- الشورافي : دايد ومسعود وسالمون 1108.
- الشريفي 79.
- ” ابراهام 1118.
- ” مسعود 646.
- ” نسيم وعمار بن الياهو العبدى 1105.
- ” شالوم 936.
- ” هارون 1055.
- ” يعقوب 940.
- شاطلورث Shuttelworth 282 — 1080 — 1081.
- الشطروب : الجيلالي ولد محجوبة الزناتي 909.
- الشكور : الحاج محمد 1081.
- ” الطيب 682.
- ” محمد بن ابراهيم 907.
- ” عبد الرحمان 1036.
- شلال : الحاج محمد بن أحمد 420 — 470 — 476 — 1153 — 1184.
- شولتز : فالتر W. Schultz 829 — 835.
- شيلي Cheli 661.
- الشامي محمد 366 — 1155.
- ” علال 1145.
- شامونار ل L. Chamonard 919.
- شماعو : محمد بن أحمد 41 — 272.
- شميدل M. Schmeidl 171 — 352 — 442 — 467 — 510 — 597/594 — 665 — 667.
- شنك Schenck 450 — 835.
- شونفيلد : غوستاف G. Shonfield 1075.
- الشنقيطي : أحمد الأمين 134.
- ” محمد 117.
- شاقانيك ده de Chavagnac 282 — 623 — 729 — 1196.

الشاوي : أحمد بن المعطي 803 — 922.

” الحاج أحمد 118.

” الحاج محمد 112 — 442 — 572.

” محمد بن يحيى 764.

الشواطي : أحمد 467.

” محمد بن حميدو 467 — 596.

شهبون : أحمد 102.

الشهابي : بشير 373.

الشهلاوي : محمد الشرقاوي 1034.

الشياطمي : أحمد بن بوشعيب 828.

” الحسن 1058.

” الحاج الحسين 1034.

” الزموري بن الرامي 912.

” مبارك بن التهامي 1074.

” الحاج محمد 582.

” محمد بن الطاهر 1010.

” المكّي بن محمد بن الحسين 1073.

” علي بن بلة 1096.

شيفر س C. Schefer 375 — 613.

الشافعي : العربي 729.

” بن الطيب 907.

شقرون أبو عمرو السلاوي 107.

” ابراهام 847.

الشقوري : بوزيد 1035 — 1042.

” الحاج محمد 1054 — 1058.

شقيقة : اسحاق 1104.

شاسطر : إيدم ده 645 E. de Chateau —

1106.

شوسطر Shuster 65 — 319.

شاور : البصري بن محمد والطاهر بن محمد

الحريزي 901.

الشاوئي : الحاج عمر بن محمد 115.

الشاوش : أحمد بن عبد السلام 708.

” الحاج عبد السلام بن محمد 350 —

421 — 470 — 703 — 708 — 728 — 730

— 732 — 733.

— الهاء H —

الهاروشي : عبد الله بن محمد الخياط 93.

هوري : ج J. Huret 978 — 997 — 1012

— 1106 — 1137.

هورتوس : جان فرانسوا J.F. Hortus 787 —

788 — 891 — 904 — 909 — 912 — 917

— 918 — 925/923 — 1013.

هاريس : والطرب W.B. Harris 515 —

1128.

الهبري : بوعزة 24.

الهيل : مولاي الشريف 1121.

هوج : أوجين E. Hughes 172 — 689 —

812 — 819 — 859 — 860 — 871 — 886

— 904/907 — 923/925 — 928/930 —

1001 — 1082.

الهداجي : العربي 1120 — 1139:

- الهراس: الحاج عبد الرحمان 646.
- هارون: الحاج محمد 399 — 806 — 831 — 887.
- الهراري: الحاج بوعزة بن الحاج محمد بن الحسن 830 — 847 — 882 — 887.
- الهراري: بوعزة بن أحمد 937.
- ” بوعزة بن العربي الحمدي 939
- ” الحاج بوعزة بن موسى 934.
- ” بوشعيب بن الفقيه محمد الحدادي 828.
- الهراري: الجليلي بن بوعزة 885.
- ” محمد بن أحمد بن الحسن 935.
- ” الحاج محمد بن الحسن الزياتي 910.
- هروش: أحمد 693.
- هيرشة Hirsch 830 — 840 — 995 — 1129 — 1141.
- هيردمان: إيماء E. Herdman 293 — 1158.
- هنازة Haase 829 — 835.
- هاكة: أوطو O. Hacke 830 — 835 — 836.
- هوكر Hooker 184.
- هليل 1151.
- هولت: ج إدموند G.E Holt 404 — 852.
- الهاللي: أحمد وسعيد بن العروسي 741.
- ” أحمد بن الحاج الهاشمي 1007.
- ” الحاج إسماعيل بن هلال 991 — 1019.
- ” بوشعيب بن رقية 990.
- ” محمد بن الجليلي الأزموري 1009.
- ” عبد الرحمان بن المعطي 742.
- هيل: قالانتين V. Hell 600.
- هيلينوس Helenus 283.
- الهمادي: محمد بن العباس البوعزيزي 1007.
- هومز Humes 1068.
- الهمسائي: علي بن التهامي 798.
- هيمسو: تگرابرغ أف G. A Hemsö 50 — 577.
- الھنتاتي: ابراهام 980 — 1006.
- الھنتيفي: محمد بن الطالب 1145.
- هنري Henri 312 — 511.
- هنطر: ر س R. S. Hunter 818 — 860 — 861 — 869.
- هنكل Henckell 451 — 1058.
- هانسن: إ. أ. E.A. Hansen 759 — 763 — 829.
- هني بن باروخ 1077.
- الھنية: أحمد 506.
- الهاشمي بن علي (الحاج) 1013.
- الھشتوكي: محمد بن الحاج 998.
- هوهنقارت: ج فون J.V. Hohenwart 595.
- هولان Howlan 849 — 985 — 986.
- الھواري: أحمد 128.
- ” محمد 92.
- ” محمد بن بوسلهام 696.
- ” فضول بن محمد 678.
- هي: إ. و. أ. دروموند W: Auriol Drummond.
- ..501 Hay

هي : جيمس ده قيم J. de Vismes 501 —
503 — 657.

هي : كريكتور Gregor 511.

” روبرط R. 381 — 501 — 1078 —
1086.

” طوماس T. 501 — 514.

” فرانك F. 501 — 656.

هاينز Haynes 83.

هيس ج J. Hess 364.

هيسنير إدوارد E. Haessner 153 — 458 —
459 — 710 — 774 — 829 — 853 —
1141 — 1182.

هي : جون John 49 — 51 — 67 — 68 —
83 — 163 — 166 — 190 — 227 — 289 —
345 — 352 — 391 — 394 — 454 —
490 — 491 — 501 — 502 — 504/ 506 —
508 — 509 — 511 — 513/ 517 —
519/ 522 — 524 — 526 — 527 — 532 —
562 — 586 — 594 — 598 — 608 —
609 — 647 — 720 — 721 — 769/ 771 —
803 — 859 — 863 — 869 — 870 —
872 — 881 — 972 — 990 — 1033 —
1056 — 1081 — 1083 — 1087 — 1118 —
1127 — 1130 — 1131 — 1156 —
1178.

— الواء OI . W —

” عبد القادر بن عبد الكريم 101.

الورزازي : المختار 1128.

الوزاني : أحمد 134.

” أحمد بن المكي 1202.

” أحمد بن الشريف 116.

” الحاج جمعة الشاواني 118.

” أحمد بن الحاج عبد السلام وأخوه علي
1194.

الوزاني : التهامي بن محمد بن عبد الله 1195.

الوزاني : الحسن بن الطيب 1174.

” الطيب بن عبد الجليل 1202.

” الطيب بن عبد الله 1195.

” الحاج محمد 132.

” محمد بن عبد الله بن التهامي وأخوه

العربي 1201.

” عبد الجبار بن محمد 1099/ 1201.

الوجددي : الحاج حمادي بن عبد القادر 1173 —
1174.

الوجددي : المختار التلمساني 1173.

واحنيش : ليون 841 — 848.

” شلومو 839 — 851.

الوادنوي : البشير بن ابراهيم 1096.

الوديبي : الحاج علال 741.

” علي 568.

” الحسين بن خلوق 1160 — 1172.

وود Wood 170 — 471 — 717.

الوديبي : الطيب البخاري 744 — 1143.

وورث ط T. T. Worth 66.

وارن : ف F. Warren 282.

الورديفي : محمد وقدور 789.

ولد العبودة : حميدو 1202.

ولد العبودية : محمد بن الطيب بن العربي المديوني 827 — 845.

ولد عمرية : الجيلالي 911.

ولد عائشة : علي 1013.

ولد فنيش 1042.

ولد هنية : أحمد الحوزي 1092.

” التهامي بن بوشعيب بن علي البريكي الفرجي 1015 — 1021.

ولد هنية : عبد السلام بن التهامي 1021.

” سعيد بن بوشعيب بن علي 1016.

ولد الهيادي الحريزي 856.

وولدريدج : فرانك F. Wooldridge 769 — 785 — 791 — 859.

وولر (?) Wholler 1141.

الوليد بن زيدان السعدي 176.

ومزيان : محمد 582.

وانيم : سعيد 1102.

وانينو : أندريا Andrea Guanino 691/693 = 695 — 724 — 728 — 777.

وانينو : ألفريدو A. 724 — 725.

” اليساندرو A. 684 — 692 — 693 — 725.

الوافي : علي الشريف 237.

الواقي : الحاج قدور 138.

واقنين : هارون 1011.

وعقنين : يوسف 1105.

وهارون : عبد الرحمان 581.

” عبد الله بن عبد السلام 182.

” الحاج عبد المالك 1042.

” الحاج عبد السلام بن الحاج العربي 360 — 379 — 397 — 398 — 421 — 608 — 610 — 615 — 626/628 — 711 — 854 — 1192 — 1201/1194.

الوزاني : الحاج العربي 701 — 1198.

” العربي بن الحاج عبد السلام 1198 — 1199.

الوزاني : العربي بن علال بن الطيب 1201.

” الهاشمي 1201.

الوزاني : عمر 134.

واطربوري : جون J. Waterbury 23.

الوكيلي : محمد التهامي 191.

ولد إدريس : محمد 620.

ولد التهامي : الحاج علال 1035.

ولد الجمل : عبد الرحمان بن محمد المديوني 886.

ولد جازية (أو ولد الياهوري) : الحاج بوشعيب المديوني 910.

ولد حدو 919.

ولد حسيسو 817.

ولد خدة عمر : الحاج محمد 1043.

ولد رقية : محمد بن محمد 912.

ولد الكبيرة : بوشعيب بن الجيلالي بن المنصور 941.

ولد المديني : محمد 1201.

ولد مراشي 881.

ولد المغراوية : الحاج إدريس 941.

— 669 — 645 — 510 — 509 — 504 —
 — 996 — 992 — 869 — 722 — 670
 .1156 — 1153 — 1082 — 1057 — 1036
 وابط : هوراس H. 504 — 524 — 774 .
 الويلاني : محمد بن إدريس 114 .

الوهراني : محمد بن عبد اللطيف 666 .
 ” قدور 507 .

ويدة : الحاج محمد بن ابراهيم السوسي 534 —
 .1135 — 1127 — 1124

وايط : هيربرت إدموند H.E. White 66 — 73

— الياء I. J. Y —

يوناط : إدوارد E. Hunot 1037 — 1034
 ” جورج G. 1027 — 1033 — 1037
 — 1038 — 1057/1055 — 1137
 يوناط : جول 1034 — 1035 — 1137
 — 1080

ياناش R. Jannasch 832

يانغوس : إدواردو روميا E. R. Yangos 552
 — 554

اليقوي : عبد الرحمان بن أحمد 420 — 470
 — 486 — 717 — 734/730

اليعشي : بوغزة 792

” محمد بن الحسن وابنه التهامي 707 .

يسمور : ابراهيم اليزدثي 24 .

اليوسفي : الجيلالي والعربي وعلي بن أحمد 719 .
 ” الحاج عبد الله 786 .

يواخيمسون Joachimshon 153 — 458 —
 .1182 — 774 — 710 — 459

ياب : فيلهلم W. Jaap 1058 — 1074
 — 1074

ياجرشيد : شارل Ch. Jagerschmidt 79
 — 392 — 578 — 744

يحيى : جلال 528

اليحياوي : أحمد 114

” محمد والغازي بن العامري 707

يزر 815

يزرور : محمد 111

اليازغي : الحاج الجيلالي 119
 ” الحاج العربي 116

يالميرة : غيليرمو G. Yalmera 1042

يول : طوماس T. Yule 1033 — 1037
 — 1038 — 1080

يول : Llul 1001

يولي : حاييم الليوي 1079 — 1128
 ” مير الليوي 1117

” يوسف الليوي 1079/1082

المصادر والمراجع

أولاً : أهم المصادر العربية

محمد بن أحمد أكنسوس السوسي : « الجيش العرمم الخماسي، في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي »، جزآن، المطبعة الحجرية بفاس، 1336 / 1918.

أحمد أمين : « ضحى الإسلام » الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة 1935.

عبد المجيد بنجلون :

أ — « جولات في مغرب أمس : 1872 » (تلخيص رحلة الدكتور أرثور ليرد إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، 1974.

ب — « جولات في مغرب أمس : 1901 » (تلخيص رحلة فرانسيس ماك ناب إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

ت — « جولات في مغرب أمس : قبل الحماية » (تلخيص كتاب جورج إدموند هولت) طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

عبد الرحمان بن خلدون : « المقدمة »، طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة.

عبد الرحمان بن زيدان العلوي :

أ — « إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس » مختلف الأجزاء، طبعة الرباط 1929 — 1933.

ب — « العز والصولة، في معالم نظم الدولة »، جزآن، المطبعة الملكية، 1961 و 1962.

عبد الوهاب بنمنصور :

أ — « قبائل المغرب »، الجزء الأول، المطبعة الملكية بالرباط، 1968.

ب — « مشكلة الحماية القنصلية، من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880 »، نفس المطبعة، 1977.

ت — « أعلام المغرب العربي » مختلف الأجزاء، نفس المطبعة، 1979 — 1986.

ج — « مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان »، نفس المطبعة، 1980.
عبد العزيز بن عبد الله :

أ — « معطيات الحضارة المغربية »، جزآن طبعة الرباط 1963/1960

ب — « الطب والأطباء بالمغرب »، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1960.

ت — « علماءنا والتبادل الفكري بين الشرق والغرب »، في « دعوة الحق »، دجنبر 1960.

ث — « الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية »، جزآن، مطبعة فضالة، 1975.

ج — « معلمة الصحراء »، الملحق الأول، 1976، نفس المطبعة.

ح — « الرحلات الحجازية وصلت بين شقي العروبة »، في « دعوة الحق » ماي 1978.

خ — « مصر والمغرب الأقصى عبر التاريخ » نفس المجلة، ماي 1983.

عبد السلام بنسودة : « حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس »، في مجلة « دعوة الحق »،
يونيو 1971 وأبريل 1972.

عبد اللطيف بنشريف : « الحيازات الفلاحية بالمغرب : بنيتها وخصائصها »، في « مجلة
جغرافية المغرب »، السلسلة الجديدة، العدد الخامس، 1981.

خوصي أنجيليرا بليغيثويلو : « وثائق تتعلق بالسفارة المغربية إلى البابا ليون الثالث عشر :
1887 — 1888 » تعريب مجلة « تطوان »، العدد الثاني 1957.

بول پاسكون : « شركة عقارية رعوية » في مجلة « البحث العلمي » العدد 24، يناير/أبريل
1975، ترجمة زبيدة بورحيل.

عبد الهادي التازي :

أ — « جامع القرويين »، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، بيروت، 1972.

ب — « المغاربة والقدس » دعوة الحق، غشت 1981

ت — « رسائل مخزنية »، القسم الأول، طبعة الرباط، 1979.

ث — « الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة والتدخل الدبلوماسي » في مجلة « البحث
العلمي »، العدد 25 و 26 و 27.

ج — « سفارة عن السلطان مولاي عبد العزيز إلى لندن »، نفس المجلة، عدد 29 — 30.

ح — « تقرير الكولونيل ماثيوز عن التجارة مع تمبوكتو »، نفس المجلة والعدد.

عبد الكريم التواقي : « أهمية علاقات الدولة العلوية بتونس في بناء وحدة المغرب العربي »، مجلة
« دعوة الحق »، يراير — مارس 1967.

أحمد التوفيق : « مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر = إينولتان 1850 — 1912 » جزءان، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1978.

عباس الجراري : « القصيدة »، طبعة الرباط، 1970.

عبد الله بن العباس الجراري : « من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا » جزءان، الرباط، 1971.

عبد الله غنون : « خطة الحسبة »، في « مجلة كلية الشريعة »، العدد الثالث، ماي 1978.

محمد بن الحسن الحجوي : « الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي »، الربع الرابع، طبعة فاس، 1926.

إبراهيم حركات : « تحريف التاريخ : أهم مظاهره وأساليبه » في « دعوة الحق » ماي 1977.

محمد ابن عزوز حكيم : « السيادة المغربية، في الأقاليم الصحراوية، من خلال الوثائق المخزنية » الجزء الأول، الدار البيضاء، 1981.

محمد العربي الخطابي : « فهارس الخزانة الملكية — المجلد الثاني في الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات »، طبعة الدار البيضاء، 1982.

عبد اللطيف الخطيب : « شارل جاجرشميد وعلاقات المغرب بفرنسا وإسبانيا »، في مجلة « تطوان »، العدد السابع، 1962.

عمر الخالدي : « من تاريخ المغرب المعاصر : نموذج عن الإقطاع الجهوي » في مجلة « دراسات عربية »، بيروت، العدد الثامن، يونيو 1980.

عبد القادر الخلافي : « المؤرخ الاجتماعي ميشو بيلار بطنجة والقصر الكبير وسلا : 1884 — 1930 » « دعوة الحق » نونبر 1971 وأبريل 1972.

عبد العزيز التلمساني خلو : « ارتسامات حاج طنجي في مغرب القرن التاسع عشر : أهمية رحلة الحسن الغسال الحجازية » في ملحق « العلم » 27 نونبر 1981.

محمد بن علي الدكالي السلاوي : « الإتحاف الوجيز »، تحقيق مصطفى بوشعراء، المعارف الجديدة، 1986.

محمد داود :

أ — « تاريخ تطوان » 8 أجزاء ولا سيما ج 4 و 5 و 6 و 8، طبعات تطوان والرباط.

ب — « مختصر تاريخ تطوان » طبعة تطوان 1955.

ب. ج روجرز : P. G. Rogers « تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى سنة 1900 »، تعريب يونان ليب رزق، الدار البيضاء، 1981.

محمد المنتصر الريسولي : « الحسبة في الإسلام »، في مجلة « دعوة الحق »، يوليو 1975.
خير الدين الزركلي : « الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين » مختلف الأجزاء، الطبعة الثانية، 1954 / 1959.

مبارك زكي : « من أدب الرحلات : تحفة الملك العزيز، بمملكة باريز، للكاتب الأديب الحاج إدريس العمرابي »، في مجلة « البحث العلمي » العدد 31، أكتوبر 1980.

عبد القادر زمامة :

أ — « القيسرية وأخواتها »، في « دعوة الحق »، ماي 1968.

ب — « أسماء الحرف المعروفة بمدينة فاس »، القسم الأول في مجلة « اللسان العربي » العدد الرابع، غشت 1966 والقسم الثاني بالمجلد السابع من نفس المجلة، الجزء الأول، يناير 1970، مطبعة فضالة.

ث — « رحلة من القرن 13 هـ / 19 م : رحلة المنى والمكة لجامعها ومنشئها الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة »، في مجلة « البحث العلمي » العدد 28.

زهير طحان : « عندما كان المحتسب مسؤول النظافة »، في مجلة « العربي »، يناير 1978.
محمد الكانولي : « آسفي وما إليه قديما وحديثا »، طبعة القاهرة، 1353 هـ.

محمد ابراهيم الكتاني : « القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالة المغاربة »، في « دعوة الحق »، غشت 1981.

محمد الباقر الكتاني : « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد »، طبعة الرباط، 1962.

جاك كايي : « السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا »، تعريب مجلة « تطوان »، العدد السادس، 1961.

إيقاريس لفي — بروفنصال : E. Lévy-Provençal « مؤرخو الشرفاء »، تعريب عبد القادر الخلادي، طبعة الرباط، 1977.

محمد المنولي :

أ — « مظاهر يقظة المغرب الحديث » الجزء الأول، طبعة الرباط 1973.

ب — « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي » في « دعوة الحق »، يناير 1968.

ت — « خطة الحسبة » في « المناهل » العدد 16، سنة 1979

ث — « ملامح الحركة الأدبية في العصر العلوي الثاني »، أيضا، مارس 1973.

ج — « مقيدة عن نشاط دراسة الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر » في « المناهل » العدد 30.

محمد بن محمد مخلوف : « شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية » الجزء الثاني، طبعة القاهرة، 1349 هـ / 1930.

أحمد عبد الرحيم مصطفى : « عند ما هب العرب لصد الفرنسيين عن مصر » في مجلة « العربي »، العدد 250، شتنبر 1979.

أحمد معينو : « السفير المغربي القدير السيد عبد الكريم بريشة التطواني »، في « دعوة الحق »، أبريل 1971.

أحمد بن خالد الناصري : « كتاب الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى »، مختلف الأجزاء، طبعة الدار البيضاء 1954 / 1956.

محمد الصديقي : « إيقاظ السريرة، لتاريخ الصورة »، طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

محمد عيسى صالحية : « المحتسب وقانون الدفاع الاجتماعي » في مجلة « العربي »، يناير 1983.

محمد بن عبد السلام الضعيف : « تاريخ الدولة السعيدة » مصور الخزانة الصبيحية، بسلا.
أبو بكر عبد الكافي :

أ — « القلنسوة وتقاليدها لبسها عند العرب »، في مجلة « الفكر » التونسية، أبريل 1980.
ب — « العمامة وتقاليدها لبسها عند العرب »، نفس المجلة، يوليوز 1980.
معن خليل عمر : « لباب الأنساب لابن الأثير ومعطياته الاجتماعية » في « المناهل »، العدد 21، يوليوز 1981.

عبد الله العمراني :

أ — « سير نجون د. هاي وجهوده الدبلوماسية في الحرب الستينية بين المغرب وإسبانيا » في مجلة « البيئة »، العددان السادس والسابع، أكتوبر ونونبر 1962.

ب — « سفارة لدى جلالة الحسن الأول » (تلخيص كتاب رحلة الدكتور أ. ماري) في « دعوة الحق »، ماي 1972.

ت — « القرآن الكريم في مجال الطبع والترجمة والنشر »، القسم الأول نفس المجلة، أكتوبر 1973.

بلقاسم بن العربي عشاش : « تاريخ بيوتات سلا » مخطوط الخزانة العلمية الصبيحية، بسلا.
جيرمان عياش :

أ — « جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860 »، طبعة الرباط، 1959.

ب — « الشعور الوطني في مغرب القرن التاسع عشر »، في ملحق « العلم » 12 يراير 1982، تعريب عبد العزيز التسماني خلوق ومحمد الأمين البزاز.

ت — « ردود الفعل المغربية أمام الاحتلال الإسباني والفرنسي » في « مجلة دار النيابة » العدد الخامس، تعريب محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز التسماني خلوق.

محمد بن أحمد الغري : « الحكم المغربي في السودان الغربي : نشأته وآثاره » (نسخة مرقونة). مصطفى الغري :

أ — « أبو حامد المكي البيضاوري وأثره في ميداني العلم والأدب »، في « دعوة الحق »، مارس 1965.

ب — « أبو إسحاق إبراهيم التادلي من خلال أقواله »، نفس المجلة، دجنبر 1967. محمد غريط : « فواصل الجمان، في أنباء وزراء وكتاب الزمان »، طبعة فاس، 1929. عبد الكريم غلاب : « المجتمع التقليدي بفاس في مواجهة تحديات العصر »، في « المناهل » العدد 12.

محمد الفاسي :

أ — « تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى »، في « دعوة الحق »، يوليوز 1960. ب — « البربرية شقيقة العربية »، في مجلة « البحث العلمي » يناير 1969.

ت — « مشاركة المغرب في الجهاد المصري للحملة الفرنسية »، في « دعوة الحق » مارس 1974.

عبد الرحمان الفاسي : « خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين »، في مجلة « المناهل »، يوليوز 1980 ومارس ويوليوز 1981 ومارس 1982.

حليمة فرحات : « قائمة المخطوطات العربية في مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط »، مجلة « كلية الآداب والعلوم الإنسانية » العدد السابع، 1980.

محمد بن الطيب القادري : « نشر المثاني، في أخبار القرن الحادي عشر والثاني »، الجزء الثاني، طبعة الرباط، 1982، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق.

محمد قطب : « شبهات حول الإسلام »، الطبعة الحادية عشر، بيروت، 1979.

أحمد شكرى السباعي : « فكرة عن تطور التجارة في المغرب » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد »، العدد السابع، 1980.

محمد السليماني : « اللسان المغرب، عن تهافت الأجنبي حول المغرب »، طبعة الرباط، 1971.

العباس بن ابراهيم السملالي : « الإعلام، بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام »، مختلف الأجزاء، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية بالرباط، 1974 — 1983.

إبراهيم السولامي : « الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية : 1912 — 1956 » طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ (1974 ؟).

محمد المختار السوسي : « إيلغ قديما وحديثا »، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية بالرباط، 1966.

عبد الله السوسي : « تاريخ رباط الفتح »، طبعة الرباط، 1979.

محمد بن أحمد شماعو : « المجتمع المغربي كما عرفته من خلال خمسين سنة : 1350 — 1400 »، طبعة الرباط، 1980.

وزارة الشؤون الثقافية : « فاس، كشف المراجع الببليوغرافية للتراث الثقافي »، طبعة الرباط، دون تاريخ (1981 ؟).

جلال يحيى : « المغرب الكبير » الجزء الثالث، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966.

ثانياً : الرائد المخطوطة (مكاتيب ورسائل وتقاييد)

أ — مديرية الوثائق الملكية (الرباط)

أ 1. محافظ الترتيب الخاص : محمد بركاش — الحاج محمد الطريس — الحاج عبد الكريم بريشة — الحاج محمد الزبدي — الحاج محمد بن المدني بنيس — الحاج محمد بن محمد بنسعيد — عبد الله بنسعيد — عبد الله بن أحمد البخاري — الطيب بنهيمه — عبد الخالق بنهيمه — الحاج عمارة بن عبد الصادق — بوسلهام بن علي أزطوط — الجيلالي بن حمو — طرف من كناشة الطيب بن اليماني بوعشرين — بعض محافظ الحسن الأول.

أ 2. محافظ المدن الداخلية والشاطئية

أ 3. محافظ العلاقات الدولية

أ 4. المحافظ العامة : الحماية القنصلية — الهيئة الدبلوماسية — الحدود — الصحراء — التراجم — المكوس والضرائب — التجارة — الترتيب العام — تقاييد الأمناء.

ب — الخزانة الحسنية : كنانيش المكاتيب الصادرة والواردة — مكاتيب الطابع الشريف — سجلات الصدارة العظمى.

ت — مكتبة تطوان

ث — الخزانة العامة بالرباط.

- ج — الخزانة الصيحية بسلا
 ح — وزارة الخارجية : ملف الصحراء أمام محكمة العدل
 خ — مستندات خارجية : بريطانية وأمريكية وألمانية وفرنسية.
 د — وثائق الحاج العربي بنسعيد.
 ذ — وثائق محمد بن عزوز حكيم.

ثالثاً : المجلات والجرائد

1. بالعربية

أعداد من مجلة البحث العلمي — البينة — المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد —
 المناهل — الوثائق — دار النيابة — دعوة الحق — رسالة المغرب — مجلة كلية الآداب والعلوم
 الإنسانية بالرباط — الباحث (المغربية) — الثقافة الجديدة — تطوان — دراسات عربية (بيروت)
 — مجلة جمعية تاريخ المغرب — مجلة جغرافية المغرب (السلسلة الجديدة) — مجلة كلية الشريعة
 — العربي (الكويت) — الفكر (تونس).

أعداد من جريدة « المغرب » (طنجة) — الأنباء — العلم.

2. بغير العربية : Quelques numéros de Revues et périodiques :

Les Africains (Paris) - Les Archives Marocaines (Tanger et Rabat) - Al Moghrib Al Aksa (Tanger)
 - Etudes Marocaines (Rabat) - L'Express (Paris) - Hespéris-Tamuda (Rabat) L'Opinion (Rabat) -
 Réveil du Maroc (Tanger) - The Times of Morocco (Tanger) - Revue géographique du Maroc
 (Rabat) - Revue du Monde Musulman (Paris). La Revue des Deux-Mondes (Paris)

رابعاً : المراجع العجمية Sources et Bibliographies

Js. D. ABBOU : "Musulmans andalous et judéo-espagnols", Casablanca, 1953.

Abdelaziz Amine, Jean Brignon, Brahim Boutaleb, Guy Martinet et Bernard Rosenberger :
 "Histoire du Maroc", Paris et Casablanca, 1967.

Anonyme : "Paul Cambon, ambassadeur", Paris, 1937.

Catherine Aubin : "Le commandeur des croyants. La monarchie marocaine et son élite" Pairs,
 1975. V.J. Waterbury.

Eugène Aubin (alias Léon Descos) : "Le Maroc d'aujourd'hui", Paris, 1904.

Germain Ayache : "La crise des relations germano-marocaines : 1894 - 1897", in Hespéris-
 Tamuda vol. VI, 1965, pp. 159 - 204.

Driss Benali : "Un exemple de transition : Fès au 19^e siècle" in "la Revue juridique, politique et économique" vol VIII, 1980, Rabat, pp 97 - 126.

Mohamed Amine El Bezzaz : "La Chronique scandaleuse du pèlerinage marocain à la Mecque au XIX^{ème} siècle", in "Hespéris-Tamuda ", vol XX XXI, 1982, pp. 319 - 331.

Marc Bonnefous : "La palmeraie de Figuig", Rabat, 1952.

A. Brochier : "Le livre d'or du Maroc - Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines du Maroc : 1934 - 1935", Casablanca, s.d. (après 1935 ?).

Kenneth L. Brown : "People of Salé : Tradition and change in a moroccan city : 1830 - 1930", Cambridge, 1976.

Louis Brunot : "Au seuil de la vie marocaine", Casablanca, 1950.

Raymond Charles : "L'Ame musulmane", Paris, 1958.

Jacques Caillé :

a) "Sur les rapports du Maroc avec le Saint-Siège", in Hespéris-Tamuda, vol X, 1969 pp. 71 - 94.

b) "La mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808", Paris, 1953.

c) "Les accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed ben Abdellah : 1757 - 1790", Paris, 1960.

d) "La petite histoire du Maroc", troisième série : 1850-1894, Casablanca et Rabat, 1954.

e) "Charles Jagerschmidt, chargé d'affaires de France au Maroc : 1820 - 1894" Paris - S.D.

H. G. Cattenoz : "Les tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne", 2^{ème} édition, Rabat, 1954.

Roger Coindreau et Charles Penz : "Terres lointaines du Maroc". Paris, 1949.

Henri Croze : "Souvenirs du vieux Maroc", Paris, 1952.

Foreign Office : "Correspondence relative of the conference held at Madrid in 1880, respecting the right of protection of moorish subjects by the diplomatic and consular representatives of foreign powers in Morocco", London, 1880.

R. J. Frisch : "Le Maroc. Géographie. Organisation. Politique", Paris, 1895.

Eugène Fumey : "Choix de correspondances marocaines", 1^{ère} partie, Paris, 1903.

Mohamed El Gharbi : "La question du Sahara Occidental Marocain devant la loi internationale", ministère des Affaires Etrangères, Rabat, 1974 (étude en stencil).

Henri Gaillard : "Fès, une ville de l'Islam", Paris, 1905.

Maurice Gaudefroy - Demombynes : "Les institutions musulmanes", Paris, 1931.

Albert Guillaume :

a) "L'évolution économique de la société rurale marocaine", Paris, 1955.

b) "La propriété collective au Maroc", Rabat, 1960.

Pierre Guillen : "L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905", Paris, 1967.

Marthe et Edmond Gouvion : "Kitab A'yan Al Maghrib l'Akça", Paris, 1939.

Jean Hess : "La question du Maroc", Paris, 1903.

Georges Edmund Holt : "Morocco the Bizarre : or life in Sunset Land", 1914, Arabic summarization, see : عبد المجيد بنجلون «ت»

Eugène Hughes et J. L. Miège : "Les européens à Casablanca au XIX siècle : 1856 - 1906", Tanger, 1954.

Charles-André Julien : "Le Maroc face aux impérialismes : 1415 - 1956", Paris, 1978.

Mohamed Kenbib :

a) "Les protections étrangères au Maroc au XIX - début du XX siècle" (thèse de doctorat soutenue devant l'Université de Paris VII, en juin 1980).

b) "Contrebande d'armes et "anarchie" dans le Maroc précolonial" in : مجلة دار النباهة العدد الرابع 1984

Abdellah Laroui : "Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)", Paris, 1977.

Rachid Lazrak : "Le Contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne", Casablanca, 1974.

Henri de la Martinière :

a) "Le règne de Moulay El Hassan", in "la Revue des Deux - Mondes", vol cxx, septembre 1894.

b) "Souvenir du Maroc. Voyages et missions 1882 - 1918", Paris, 1918.

Arthur Leared : "Morocco and the Moors, being an Account of travels, with a general description of the country and its people", London, 1876. Arabic summarization, see :

عبد المجيد بنجلون «أ»

Roland Lebel : "Les voyageurs français au Maroc", Paris, 1936.

Maurice Le Glay : "Chronique marocaine. 1911", Paris, 1933.

Roger le Tourneau : "La vie quotidienne à Fès en 1900", Paris, 1965.

Ernest Levesque : "Notre tour du Maroc", Paris,

Rémy Lillet : "La bibliothèque de Georges Duby", in "L'Express", du 27 - 7 - 1984.

Abdelhamid Lotfi : "Les relations maroco-américaines au 19^{ème} siècle", in "L'Opinion", Rabat, 27 décembre 1981.

Joseph Luccioni : "Les fondations pieuses "habous" au Maroc, depuis les origines jusqu'en 1956", Imprimerie Royale, Rabat, 1982.

Mohamed El Maazouzi : "L'Algérie et les étapes successives de l'amputation territoriale du Maroc", Casablanca, 1976.

Frances Mac Nab (Fraser, Agnes) : "A Ride in Morocco among bilievers and traders", 1902, London, Arabic summarization, see : عبد المجيد بنجلون «ب»

A. Marcet : "Le Maroc, voyage d'une mission française a la cour du sultan", Paris, 1885.

Léon Marchal : "Précis de la législation financière marocaine", Rabat, 1931.

A. J. P. Martin : "Quatre siècles de l'histoire du Maroc. Au Sahara de 1505 à 1902. Au Maroc de 1894 à 1912" - Paris, 1923.

A. Ménard (agent consulaire de France à Tanger) : "Rapports sur le dossier politique et commercial de la "Marokko Mannesmann Co", des 8 juillet, 18 septembre, 15 et 30 décembre 1916 (dactylographiés en : 24, 48, 19, 17 pages).

Jean - Louis Miège :

a) "Le Maroc et l'Europe : 1830 - 1894"

a 1 — Tome I : "Sources. bibliographies".

a 2 — Tome II : "L'ouverture"

a 3 — Tome III : "Les difficultés", Paris, 1961

a 4 — Tome IV : "Vers la crise", Paris, 1964.

b) "Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle", Paris, 1969.

c) "Journaux et journalistes à Tanger au XIX siècle", in Hespéris, 1.2. 1954.

d) "Les missions protestantes au Maroc : 1875 - 1905" in Hespéris, vol 42, année 1955.

e) "Hassan Ier et la crise marocaine au XIX siècle" in "Les Africains" Tome III, Paris, 1978.

Edouard Michaux - Bellaire : "Région des Doukkala", Tome 1, "Les Doukkala", série des "Villes et tribus du Maroc", in "Les Archives Marocaines", vol X, Paris, 1932.

Magali Morsi : "North Africa : 1800 - 1900. A survey from the Nile Valley to the Atlantic", Longman group limited, 1984.

Mohamed Nehlil : "Lettres chérifiennes", Paris, 1915.

Paul Odinet : "Le Maroc disparu. Anecdotes sur la vie intime de Moulay Hafid, de Moulay Abdelaziz et de Rissouni". Traduction en français du "Morocco that was" de W.B. Harris, Paris, 1929.

Paul Pascon : "Le Haouz de Marrakech", Tome II, Tanger, 1977.

Maurice de Périgny : "Au Maroc, Marrakech et ports du Sud", Paris, 1918.

José Aguilera Pleguezuelo : "Varios documentos referentes a la embajada marroquí al Papa León XIII : 1887 - 1888". V. : **خروصي اكليرا بليغيثويلو**

Quai (le) d'Orsay :

a) "Documents diplomatiques. Questions de la protection diplomatique et consulaire au Maroc", Paris, 1880.

b) "Archives du Ministère des Affaires Etrangères. Etat numérique de la correspondance politique : 1871 - 1896", Paris, 1961.

Prosper Ricard : "Le Maroc. Les guides bleus", 3^e. édition, Paris, 1925.

P. - Louis Rivière : "Ce que furent les corporations de métiers au Maroc", in "Etudes Marocaines", pp. 129 - 145, Paris, 1928.

P.G. Rogers : "A history of the anglo-moroccan relations to 1900", London. Arabic translation, see : **ب ج روجرز**

Ahmed Sefrioui : "La boîte à merveille", Paris, 1954.

Jean et Jérôme Tharaud : "Fès ou les bourgeois de l'Islam", Paris, 1930.

John Waterbury : "The Commander of faithful. The moroccan political elite", London, 1970. French translation by Catherine Aubin, Paris, 1975.

Ducas F. Weisgerber : "Au seuil du Maroc moderne", Rabat, 1947.



تصنيف وتصوير

النشر العربي الإفريقي

6، شارع الفضيلة الحي الصناعي — الرباط —

**Achevé d'imprimer sur les presses
de l'Imprimerie El maârif Al jadida — Rabat**

☎: 707-08/09/15/38

MAROC

Ch. 6 : L'Italie	1102
Ch. 7 : Le Brésil	1104
Ch. 8 : La France	1106
Ch. 9 : Les Autres pays	1116
Titre XI : Marrakech	1119
Chapitre 1 ^{er} : Autorités locales, populations et tableaux	1119
Ch. 2 : La Grande-Bretagne : C. C., protégés et ressortissants " " " "	1127
Ch. 3 : La France	1135
Ch. 4 : Les Autres pays	1138
Titre XII : Fès	1143
Chapitre 1 ^{er} : Autorités locales, populations et tableaux	1149
Ch. 2 : U.S.A : C.C., protégés et ressortissants	1151
Ch. 3 : La Grande-Bretagne	1155
Ch. 4 : L'Espagne	1162
Ch. 5 : La France	1173
Ch. 9 : Les Autres pays	1182
Titre XIII : Autres localités et appendices.....	1185
Chapitre 1 ^{er} Meknès : autorités, populations et tableaux	1186
Ch. 2 : Autres localités	1192
Ch. 3 : Tableaux récapitulatifs	1203
Ch. 4 : Textes historiques	1211
A. Convention de Madrid (1880)	1211
B. Lettre sultaniennne	1217
Index alphabétique	1219
Bibliographies et sources	1305

Table de Matières

(Tome III)

Titre VIII : Azemmour et El Jadida (ex-Mazagan) 969

Chapitre 1 ^{er} : Autorités locales, populations et tableaux de protégés et de censeux	969
Ch. 2 : L'Allemagne : Corps consulaire, protégés et ressortissants	980
Ch. 3 : U.S.A. " " " "	983
Ch. 4 : La Grande-Bretagne " " " "	988
Ch. 5 : L'Espagne " " " "	997
Ch. 6 : L'Italie " " " "	1006
Ch. 7 : Le Portugal " " " "	1009
Ch. 8 : La France " " " "	1012
Ch. 9 : Les Autres pays " " " "	1015

Titre IX : Safi 1023

Chapitre 1 ^{er} : Autorités locales, populations et tableaux	1023
Ch. 2 : U.S.A. corps consulaire, protégés et ressortissants	1030
Ch. 3 : La Grande-Bretagne	1033
Ch. 4 : L'Espagne " " " "	1039
Ch. 5 : L'Italie " " " "	1043
Ch. 6 : La France " " " "	1045
Ch. 7 : Les Autres pays " " " "	1053

Titre X : Es-Sawira (ex-Mogador) 1059

Chapitre 1 ^{er} : Autorités locales, populations et tableaux	1059
Ch. 2 : L'Allemagne : Corps consulaire, protégés et ressortissants	1073
Ch. 3 : U.S.A. " " " "	1076
Ch. 4 : La Grande-Bretagne " " " "	1078
Ch. 5 : L'Espagne " " " "	1098

Adresse de l'Auteur
8,Zenkat al-Madaris
Salé (Maroc)

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome III

2. Les Villes Restantes

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome III



2. Les Villes Restantes



1988

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية

بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

...

الجزء الرابع

الهجرة من المغرب وإليه

١٤٢٢

1410 - 1989

الاستيطان والحماية

بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الرابع



الهجرة من المغرب وإليه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تجسس على الخزانة الصيحية بسلا

تقرر باتفاق مع الفاضل الأستاذ الحاج عبد الله الصبيحي
أن يصور جميع ما عندي من الوثائق الواردة ذكرها في الأجزاء
الأربعة من هذا الكتاب، وأن ترتب بحسب الصفحات المتضمنة
لها نصاً أو اقتباساً، وذلك بقصد أن تجعل رهن إشارة الباحثين
رواد الخزانة.

عنوان المؤلف :
8، زنقة المدارس، سلا (المغرب)

رقم الایداع القانونی 1984/507

جميع الحقوق محفوظة
1989

مطبعة المعارف الجديدة
947-08/09/15/38 الرباط

فهرس المواد

المغرب في الكتابات الأجنبية	1325 - 1330
القسم الأول : الهجرة من المغرب	1331 - 1396
الباب الرابع عشر : البعثات التعليمية بالخارج	1331 - 1396
الفصل الأول : المؤسسات التعليمية	1331 - 1340
الفصل الثاني : المتعلمون	1341 - 1396
القسم الثاني : الهجرة إلى المغرب	1397 - 1548
الباب الخامس عشر : حركات التنصير والهداية	1397 - 1452
الفصل الأول : الهيئات التنصيرية	1397 - 1400
الفصل الثاني : المنصرون	1401 - 1428
الفصل الثالث : النشاط التنصيري	1429 - 1440
الفصل الرابع : المهتدون	1441 - 1452
الباب السادس عشر : العلوج والحراية	1453 - 1472
الفصل الأول : العلوج	1453 - 1460
الفصل الثاني : الحراية (أعضاء البعثات العسكرية)	1461 - 1472
الباب السابع عشر : صحافة طنجة	1473 - 1492
الفصل الأول : الصحافة الأجنبية	1473 - 1481
الفصل الثاني : وقع هاته الصحافة	1482 - 1492

الباب الثامن عشر : العملاء والرحالة والمؤلفون	1493 - 1548
الفصل الأول : من أقطار إسلامية	1493 - 1497
الفصل الثاني : من ألمانيا	1498 - 1507
الفصل الثالث : من إنجلترا	1508 - 1516
الفصل الرابع : من إسبانيا	1517 - 1520
الفصل الخامس : من فرنسا	1521 - 1539
الفصل السادس : من أقطار أخرى	1540 - 1548
القسم الثالث : ملاحق وذيول	1549 - 1607
1. المغاربة في الخارج (ذيل الجزء الأول).....	1549 - 1569
2. استدراكات وتنقيحات جديدة	1570 - 1574
3. فهرس الأعلام	1575 - 1597
4. المراجع والمصادر	1598 - 1603
5. فهرس مواد الأجزاء السابقة	1604 - 1607
6. فهرس المواد بالفرنسية	1608



تاريخ المغرب في الكتابات الأجنبية

رب سائل يقول : متى يجوز الركون إلى صحة ما كتبه الأجانب المستوطنون والرحالة العابرون عن المغرب في العهود الماضية ؟ وما هي شروط الاعتماد عليهم ؟ ومن هم هؤلاء المستوطنون الذين قدر لهم أن يكونوا شهودا محظوظين وراصدين للتطورات والتفاعلات التي طرأت على المجتمع المغربي في وقتهم ؟

في الحق أن أسئلة من هذا النوع أثارت جدلا في الأوساط العلمية الوطنية، وأن الإجابة عنها تقتضي أن تكون علمية ودقيقة في الصدور والورود، لا يشوبها شعور بمركب الاستعلاء ولا إحساس بنقيصة الاستخذاء.

نحن نعلم أن كثيرا من الأجانب أقاموا ببلادنا ابتداء من القرن الماضي، وتجولوا بربوعه الدانية منها والقاصية، وحرروا في ذلك تأليف ومقالات ومذكرات وتقارير نشرت بشتى اللغات، تختلف قيمتها باختلاف قدر أصحابها، فكانوا تارة يبررون بها طروحاتهم إن كانوا مبعوثين من الهيئات التي كلفتهم بها، وكانوا تارة أخرى يرضون بكتاباتهم هواجسهم ويسكنون بها همومهم إن جاءوا لأغراض شخصية.

فهم على كل حال تحدثوا - ضمن ما تحدثوا به - عن المغرب، ولئن كان الكثير منهم أجنب في نظر القانون، فإن بعضهم كانوا فعليا مغاربة بحكم الإقامة المستديمة : فهنا ولدوا، وهنا ماتوا، وهنا عاشوا، وهنا ربحوا، وهنا أفلسوا. وليس من المبالغة أن أقول إن فيهم من لم يعدم الحكم الصائب، والرأي الثاقب، فكتبوا لذويهم بالأمس ما نفتقر إليه نحن اليوم بالذات. كما أنه لا مغالاة إن ذكرت أن أعمالهم لبنة من اللبنات التي تشيد في صرح تاريخ المغرب يجل بنا أن نتبناها ونضيفها إلى ما هو عندنا من رصيد مخطوط لانزال مع الأسف نجهل أهميته وحدوده. عملهم الثقافي مكسب مشترك إذن في معرفتنا، ومصدر ثمين لتاريخنا لا يصح الاعراض عنه ولا التفريط فيه.

ومن المفارقة أن لا يطلع المغاربة عليه وعلى غيره من تراثنا إلا بعد انصرام قرن من الزمان.

وقبل أن أشرح مضمون هذا الجزء الرابع الذي بين أيدينا، يتعين أن نعرف - هنا ولو بإيجاز - بإنتاج الأجانب وبمقاصدهم منه وبالموقف المأمول من كتاباتهم.

1. وفرة الانتاج

التأليف الأجنبية - أوروبية كانت أو أمريكية - وفيرة عن البلدان العربية والأفريقية والآسيوية. فلقد عني أصحابها بالمشرق والمغرب على السواء، فبلغ مجموع ما كتبوه عن الشرق الأدنى من سنة 1800 إلى سنة 1950 ستين ألف كتاب بالغرب¹ ما بين إنجليزي وفرنسي. ومن غير شك أن للمغرب نصيبا فيه.

1. إدوارد سعيد : «الاستشراق...» ص 216 من الترجمة العربية.

إما إذا اقتصرنا على ما وضع بالفرنسية في القرن التاسع عشر وجدنا أنه حتى سنة 1892 وصلت أعداد «نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية : Bulletin du Comité de l'Afrique Française» إلى 2243 عددا في كل منها مقال أو بحث عن المغرب² ما بين غث وسمين، ومن منظورات وزوايا مختلفة.

وتفيد فهرسة روبير براون R. Brown في نفس السنة أيضا أن 2062 كتابا صنف عن المغرب. أما الكتبي الباريسي بول كوتنر P. Guthner فقد فهرس سنة 1914 لنحو 2235 تأليفا عن بلادنا³.

ناهيك بكتابات أخرى بعدها وقبلها بلغات شتى صدرت بالمجلات والنشرات الغربية لتحليل الاحاطة بها جميعا في مختلف الميادين، وبرسائل وتقارير موجودة بالخارج في المؤسسات الثقافية والسياسية والاقتصادية المتخصصة، وبدراسات وضعها جامعيون مقتدرون تحرروا من هموم السياسة، ونشطت عقولهم من أوهام الأجيال السابقة لهم، فدخلوا طوراً جديداً بالبحث العلمي خصصت فيه الكراسي الجامعية. ولما صارت الجغرافية علماً مساعداً للتاريخ أصبحت روايات المستكشفين المغامرين ثقل - بفعل النمو الحاصل في المواصلات والمعرفة - وحلت محلها أخبار الجغرافية الطبيعية والانسانية والمونوغرافيات الجهوية والقبلية، وأخذت الرؤى تنجلي وتتضح⁴.

2. مقاصد المؤلفين

لما كان المغرب آخر معقل إسلامي وإفريقي سقط في مخالب الاستعمار، بعد أن ظل ردحا طويلا من الدهر يعيش في الاستقلال، صارت الأطماع الأجنبية تتجه صوبه من لدن الدول المتنافسة التي كانت خلافاتها عليه فيما بينها مؤجلة لساعة الاحتلال. فكانت عزلة ذات جانبية خاصة بحيث غدا سرا من الأسرار. وهذا ما حدا بأهل أوروبا وحكوماتها وجمعياتها الجغرافية والعلمية وغرفها التجارية إلى أن تعمل على فتح أبوابه لها ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر، فتقاطر عليه الرحالة وعشاق المجهول، ودب إليه دبيب أموال الشركات والدور الاقتصادية، وهب إليه عملاء الدول ورجالها وضباطها وقناصلها ونوابها وأطبائها من أجل الإقامة به أو السفر إليه. وهكذا كتبوا يصفون ما شاهدوه ودونوا عنه وعن الشرق أيضا ما تزرخر به اليوم المؤلفات والمكتبات. وكانت كتاباتهم تتخذ سمة حضارية وعمرانية، أو صبغة سياسية وعسكرية، أو طابعا علميا ومعرفيا، أو صفة رومانسية وأدبية.

وكان من جملة من عنوا بأمره المستشرقون، ولو أن أعمالهم اهتمت بالشرق أكثر من المغرب. وتختلف دوافع الأنكلوساكسونيين عن حوافز زملائهم الفرنسيين الذين كانوا «يبحثون عن حقيقة علمية، بقدر ما كانوا يبحثون عن حقيقة غريبة ومدهشة، لكنها رغم ذلك ذات جاذبية خاصة». وكان الرحالة الفرنسي «مفعم النفس بإحساس بالضياح الحاد في الشرق، فقد جاء ثمة إلى مكان لم يكن لفرنسا فيه - بخلاف بريطانيا - أي حضور من حيث السيادة..»

2. جان إيس : «قضية المغرب» ص 28.

3. عبد العزيز بنعبد لله : «معطيات...» ج 1 ص 95.

4. دانييل نوردمان : «علم الجغرافية الفرنسية والتوسع الكولونيالي بإفريقيا الشمالية في القرن التاسع عشر» في ندوة الجامعة الصيفية بالمحمدية، يوليو 1987.

وكان كل رحالة أو مقيم أروبي في الشرق... مضطرا إلى أن يحمي نفسه من التأثيرات المقلقة... ففي الشرق كان المرء يواجه فجأة قذما يفوق التخيل، وجمالا لا إنسانيا، ومساكنات لا نهائية...»⁵.

هذا هو الوجه الرومانسي الذي كان يطبع كتابات الأدباء والمستشرقين، يصح على المغرب كما يصدق على المشرق والبلدان القاصية.

أما باقي المقاصد السياسية والاقتصادية والعلمية والطبيعية فلا يزال طرف منها شبه مجهول ولا سيما ما يتصل بالمجتمع المغربي، ولو أن خطوطها الكبرى أصبحت جد معروفة الآن من لدن المتخصصين والباحثين.

3. ما هو البديل عن هاته الكتابات ؟

كان طرف من هذا الانتاج الأجنبي من عمل مأجورين لا يخلو من تحامل ومن خلفيات إيديولوجية، وهذا أمر ثابت لا ينكره أحد دعا إلى الحذر من كتاباتهم. فهل يرفض كله رفضا مطلقا لهاته العلة ؟

وكان جانب آخر من هاته التأليف صادرا عن رحالة لا يعرفون المغرب وأهله جيدا، مكتفين بزيارة بعض الثغور كطنجة والصويرة فيسألون أروبييها عما يدور ويروج⁶. فهل نعرض عما فعلوه ودونوه لهذا السبب أيضا؟

إلا أنه كانت هناك تأليف جيدة في غاية من الضبط والدقة كتبها من يعرفون الشاذة والفاذة، وصدروا فيها عن علم وتجربة بعد أن احتكوا بالأوساط الرسمية والشعبية، فهل نحكم عليها كلها بحكم واحد بدافع من الشوفينية أو التعصب لمجرد كونها صادرة عن الأجانب حتى ولو كانوا نزهاء وعلماء، خلاف الصنفين السابقين من العملاء والجهال؟

ولنفرض أننا رفضنا الانتاج الأجنبي جملة وتفصيلا فهل نكتفي في كتابة تاريخ المستوطنين المندمج مع تاريخ المغرب أيضا بمؤلفات مغربية هي غير موجودة بالفعل، في حين أن الأجانب هم أعرف الناس بأحوالهم ؟ وما هو السبيل إلى ملء الثغرات الشاغرة في تاريخ المغرب اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا دون الاستعانة بما كتبوه ؟

الواقع أننا لا نجد في المؤلفات المغربية المخطوطة والمطبوعة النادرة حسا لجوانب كثيرة - وكثيرة جدا - من هموم الباحثين اليوم ذوي المقاييس العلمية والرؤى المستجدة.

فما هو البديل إذن ؟ يذهب العلامة محمد جسوس إلى أنه يجب التعامل مع الانتاج الأجنبي بأدوات النقد المعروفة ومناقشته بالمنهجية العلمية، وأنه لا يمكن تجاهله تجاهلا مطلقا، وأنه لا يجوز الاستغناء عنه إلا إذ غطت الكتابات الوطنية جميع المساحات التي شغلتها الكتابات الأجنبية وأنه لا ينبغي التفكير في إصدار حكم سلبي أو إيجابي عليها. فالمعرفة لا تنتقل من النور إلى الظلام، وكتابة التاريخ لا تكون باللوگوماشيا (السفسطة) ولا بالهاجيوغرافيا (كتب المناقب) وإنما تكون بالمستندات والنصوص والآثار⁷.

5. إدوارد سعيد : «الاستشراق...» ص 182 - 185.

6. بيير كيين : «تاريخ المغرب والمصادر الأروبية» في «البحث العلمي» العدد العاشر، ص 109.

7. «شواهد من الماضي» إعداد الزميل عبد الحفيظ الرفاعي، جلسة 1986-7-29.

فكتابات الأجانب إذن مكسب نستأنس ببعضه ونصحح جزئياته ونضمه إلينا، لأنه منا وفينا وضدنا ومعنا، ولأنه مصدر ثمين من مصادر التاريخ، فلولا لظلت معلوماتنا مبتورة.

ولسنا نلوم مؤرخينا وإخباريينا على أنهم لم يتنبهوا إلى هاته الجوانب الخفية فيدون أخبار المستوطنين، لأننا لو فعلنا ذلك لتجنينا عليهم في أمر لا قبل لهم به، وإنما ننتحل المعاذير لحالتهم وذهنيتهم ولجهلهم، فقد كانوا بحاجة إلى الوعي الكامل بضرورة هاته الأعمال.

وفيما يرجع لتاريخ المغرب وحضارته فإن ذوينا قد قصرنا في عملهم، إذ كانوا يُرخّون⁸ وكانوا لا يؤرخون إلا من منظورهم العتيق. كان الكثير منهم يعمدون إلى المبالغة بالتأكيدات المجانية ويغلفون ملقهم بألفاظ رنانة ونعوت زاهية مطبوعة بالتناقض الوجداني الذي يسعى إلى التضليل بإخفاء الحقيقة الكاملة، وإظهار الجانب الحسن والتعظيم على الجانب السيء⁹. يتحدثون عن المفاخر ويصمتون عن عكسها، إما عادة وإما خوفا وإما تزلقا وإما كل ذلك جميعا، مثلما تبجح الغربيون بشعارات الحرية التي نادوا بها وتسترأوا على نقائضها من استعمار واستغلال.

فلئن أخل الآباء والأجداد رحمهم الله فإن القادرين من أحفادهم سيلحقهم الاثم الكبير إذا لم يكتبوا تكفيرا عن خطأ من سبقهم، متحلين بما وهبهم الله من حاسة النقد والوعي وسلامة الخطاب.

ونحمد الله على أن للمغرب ثروة من وثائق محزنة ومكاتب شخصية ورسوم وآثار تنتظر من يستنطقها ويتجشم المثبطات المعنوية والعراقيل المادية في سبيل الوصول إليها بالخزانات والمكتبات العمومية والخصوصية بالداخل وبالخارج. وعسى أن يجدوا فيها الترحيب الواجب من أهلها الذين يتعين عليهم - بالنظر لجسامة ما تحت أيديهم - الإقلاع عن الشكوك الصادرة عن بعضهم، فالمغرب والمعرفة للجميع.

وقد أثلج الله الصدور بهذا العدد الهائل من المذكرات والرسائل والأطروحات التي تحرر وتناقش منذ عهد بعيد في رحاب الجامعات ومدرجات الكليات والتي تشرف نهضة المغرب الحالية. فيها وبأمثالها من الأعمال الجادة نستطيع أن نكتب اليوم وغدا صفحات جديدة من الدراسات التي يأخذ بعضها برقاب بعض، وتكمل الواحدة ما نقص من الأخرى، سواء ما جاء منها في المخطوط أو في المرقون أو في المطبوع.

4. موضوع هذا التأليف

لا ضير إذن إذا تسلح الباحثون بسلاح المعرفة وتزودوا بزاد النقد واتصفوا بالجدية لكي يعيدوا كتابة التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقانوني لبلادنا، مازجين بين التراث الوطني والانتاج الأجنبي لسد هاته الذلم الواسعة التي نشكو منها.

ومن هذا المبدأ ينطلق هذا الجزء الرابع لتدوين تاريخ القرن التاسع عشر المغربي، مع إطلالة قصيرة على صدر القرن الموالي له. فقد اعتكفت فيه على قراءة النص العربي المخطوط وتقدمه، وعلى تعريب المستند الأجنبي ما وسعتني القراءة والترجمة. غير أنني - إذ

8. الحكم هو للأستاذ العلامة محمد عزيز الحبابي خلال مذكرتي معه. والفعل هو أرخ يرخ : بالغ. وأرخ العجين : كثر ماءه.

9. محمد عابد الجابري : «الخطاب العربي المعاصر» ص 19.

أفعل ما أفعل في هاته المساهمة المتواضعة - لا أخرج عن حسن الطوية، باجتهاد شخصي سيكون الوقت كاملا لمن يشاء نقده وتكميله - في هذا الميدان الذي هو الهجرة من المغرب وإليه. فلا يكاد يخفى على أحد أن استيطان الأجانب بالمغرب كانت له أبعاد ثقافية وعقائدية وإعلامية وسياسية وعسكرية سنعرف طرفا من ملامحها في هذا الكتاب الذي قسمته إلى ثلاثة أقسام وجمعته في خمسة أبواب ترتب وتنسق مع سابقاتها.

ففي الباب الرابع عشر سأقرأ نصوصا وسأعرب أخرى في موضوع البعثات الطلابية إلى الخارج، وهو جانب مهم لم يتعرض له أحد - فيما أعلم - بما ينبغي من البحث الشامل المستوعب، فستتبع المئات من المتعلمين والطلبة والعمال والجنود إلى حيث تعلموا مدة تختلف بين الشهور القليلة والسنوات الطويلة بأروبا وأمريكا ومصر، وسنعرف بعض أحوالهم في المهجر وما كانوا يتعلمونه وسنقرأ نتفا من آثارهم وارتساماتهم عن الأوضاع داخليا وخارجيا.

وسيكون هذا الباب هو القسم الأول من هذا الكتاب. أما القسم الثاني المجزأ إلى فصول فيحتوي على أربعة أبواب : الباب الخامس عشر عن التنصير والهداية، وسندرك في فصوله الثلاثة الأولى مدى الجهد العاثر الذي بذله هنا منصفون بروتستانتيون إنجليزيون وأمريكيون طيلة ثلاثين سنة، بالتنصير والمداواة والتعليم، وسيكون مستندنا في ذلك مذكراتهم ومؤلفاتهم وما كتب عنهم، وعدد غير قليل من الوثائق المغربية. أما الفصل الأخير المتعلق بمن اعتنقوا الاسلام بالمغرب فلن يخلو من عناصر مفيدة مستقاة كلها تقريبا من التراث المغربي المخطوط. وكل هاته الفصول ستلقي أنوارا كاشفة على ما جهلناه على الدوام.

والباب السادس عشر عنوانه العلوج والحراية وهو يتسم بالجدة والطرافة، تحدثت فيه عن العلوج الذين كانوا مستخدمين بالجيش أو بالقصور السلطانية ممن أسلموا أو ممن بقوا على نصرانيتهم، أما الحراية فهم أعضاء البعثات العسكرية الأجنبية الذين كانوا يدرّبون الجنود أو يسهرون على إنجازات عمرانية وعسكرية.

أما الباب السابع عشر فهو عن صحافة طنجة تلك الكوازيط التي تطاول بعضها وأفحش القول في المغرب والمغاربة والسلوك الدبلوماسي وأعضاء المخزن الذي سنعلم مواقفه منها بمكائيبه وتحذيراته.

وأخيرا فإن الباب الثامن عشر وضعته عن العملاء والرحالة والمؤلفين، ولولا أن له جوانب محدودة الأثر ما كنت أدرجته هنا. فسنشاهد فيه المغامرين بجوسون خلال الديار، والرحالة يطوفون سرا أو علانية بأرجائه، ثم يدونون ويؤلفون ويحكمون أحكاما لا يصح إطلاقا التعامي عن ذكرها، وسيكون مفيدا أن نعرف أخبارهم التي سقت قليلها عن الوثائق المغربية وعربت الكثير منها عن المصادر الأجنبية.

وبهذا كله أكون قد أفرغت جعبتي من حصيلة آثار هذا الاستيطان، بعد أن خصصت الجزء الأول للمعطيات العامة، والجزأين الثاني والثالث للمونوغرافيات المحلية.

على أنني جعلت في القسم الثالث ذيو لا اتخذتها تارة أولى توسعا وتوضيحا، وتارة أخرى مراجعة وتنقيح. ففي أولها حملتني وحدة الموضوع على إدراج كلام جديد عن المغتربين جاء على عقان، وأقبل في أوانه لما اشتمل عليه من فوائد جلية. ولما لم يكن المرء معصوما من زلله، حرصت على تعهد الأحداث المروية في هذا الكتاب، ثم رأيتني بعد للأواء مثقلا

بجذازات من التقاييد، ورزَم من الربائد تصلح عناصر للتصحيح والمراجعة، جمعت شواردها من زُكام الوثائق التي لا يفتأ ينسخ بعضها بعضاً، ومن خام المصادر التي لم أكن قبل على بينة منها، فأتيت بها في ذيل استدراكي. وكلا الملحقين ما هما في الواقع إلا تأليف جديد، وطُنت نفسي على إخراجها، خشية ضياعه، فما تدري نفس ماذا تكسب غداً.

أما الملحقان المواليان لهما فهما مما اعتيد الاتيان بهما عقب كل كتاب : فهرس الأعلام الذي هو مفتاح للأحداث المرتبطة بأسماء أصحابها، وجرّد للمصادر والمراجع التي استأنست بها أو استندت عليها.

وما كان لي من شعار في هذا التصنيف برمته سوى أن أنقل النصوص على نمة أصحابها، وأن أحكيها على وجهها وعلاتها، إذ حاكي الكفر ليس بكافر، ثم رويتها بإسنادها، لأن من أسند لك فقد حمّلك، على حدّ تعبير أهل الحديث. وهكذا حملت من المنسي أو المطوي مدداً حسبي أن طلبته واستخرجته، ومن المعرب والمعجم تراثاً كفاني أن اكتشفته وقرأته ووعيته وفهمته، «فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» كما جاء في الحديث النبوي حول تنضير وجه الرواة.

هذا وإنّي لأحمد الله تعالى حقّ حمده : أن جلع علي من رداء العافية ما يسر لي سبيل الوفاء بعهد قطعته لِرَبْع حَبْل هذا الكتاب، وأتاني من العلم نصيباً أعبد به، وملاً قلبي كفافاً وعفافاً أستغني بهما عن خلقه، ورزقني من الذرية الصالحة من يدعو لي ليوم مَنْ لا ظل إلا ظله. فهو سبحانه شارح صدري، ومالك أمري، وحال عقدة نفسي، ومُجري مداد طرسي، لحكمة اقتضاها، ولعلة ارتضاها.

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

سلا 25 شعبان 1409

3 أبريل 1989

البعثات الطلابية إلى الخارج

① المؤسسات التعليمية

ينقسم هذا الفصل الأول إلى مطلبين : أولهما خاص بمدارس التكوين خارج طنجة كفاس والعدوتين، وثانيهما بمدارس طنجة : كمدرسة اللغات ومدرسة التطبيب. وستتاح لنا الفرصة لمعرفة البعض من طلبة مجموع هاته المؤسسات داخل المغرب.

المطلب الأول : مدارس التكوين خارج طنجة

أحدثت بالمغرب ضيلة القرن التاسع عشر مؤسسات علمية لتلقين المواد العلمية المجردة والفنون العسكرية وتعليم اللغات.

فبفاس أنشأ مولاي عبد الرحمان سنة 1844 مدرسة للمهندسين كان موقعها بفاس الجديد جوار القصر الملكي. وكانت الدراسة قد ابتدأت فيها تلك السنة، وكانت لاتزال مستمرة سنة 1879 على وجه أخص. ومن المواد التي كانت تلقن فيها الحساب والهندسة والتوقيت والتنجيم. فمن درس التوقيت صار موقتا، ومن درس الهندسة كان مهندسا. وبين عام 1870 و 1873 كان عددهم متراوحا بين 44 و 58 طالبا¹.

وفي عهد ابنه سيدي محمد تأسست مدارس أخرى بمختلف المدن، وجاء مولاي الحسن ليزيد من بنسائها، فأحدث مثلا بالجديدة مدرسة للمدفعية، ومدارس أخرى بغيرها كآسفي والصويرة حيث كان ملحقا بمدرسة المدينة الأخيرة خمسون من الطلبة الثبان. ومن مجموع هاته المدارس كان ينتخب من سيتعلم بأروبا².

ويتعين اللجوء إلى عدد من الرسائل والتفايد والمذكرات لادراك أحوال هاته المدارس ومحاولة معرفة أسماء بعض طلبتها.

1. محمد المنوني : «مظاهر يقظة المغرب الحديث» ج 1 ص 143 و 144، طبعة لبنان التي اعتمدها في هذا الكتاب.

2. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 230 (9).

فقبل سنة 1876 أحدثت مدارس أخرى ببعض المدن كالعدوتين وأسفي والصويرة. فعن طلبة المدينة الأخيرة جاء في رسالة السلطان إلى عاملها : «وصلنا كتابك وصحبته طلبية الحساب الذين وجهت بقصد اختبارهم عملاً بأمرنا الشريف، فوجد أثر النجابة لائحا على الستة المذكورين بالطرة [وهم : 1. أحمد بن محمد الضماني، 2. وعمر بن علال بادوش، 3. ومحمد بن المدني، 4. والمهدي بن ابراهيم، 5. وأحمد بن حمو، 6. ومحمد بن عبد الرحمان التيت] ويليهم الثلاثة المذكورون إثرهم [7. محمد بن عبد الله، 8. وعلال بن قاسم، 9. ومحمد بن محمد بن خضرة] حيث أمرنا باختبارهم. وما عداهم حشو لا يقبل التعليم. وعليه فسرّحهم لحال سبيلهم، وعين بدلهم ممن فيه قابلية التعليم، ووجه العشرين الباقيين هناك بقصد اختبارهم»³.

ويستفاد من رسالة سلطانية بعدها إليه أن طرفاً من أبناء الصويرة كانوا يتعلمون الهندسة : «فيرد عليك طلبية الحساب من أهل الصويرة الذين يقرؤون الهندسة. رددناهم لبلادهم بعد قضاء الغرض منهم. فليلزموا عملهم في القراءة، وكن تتفقدهم المرة بعد المرة، وتؤكد عليهم في الملازمة...»⁴.

ولئن كانت الرسالة السابقة لا تفيدنا بعدد الطلبة سنة 1876، فقد جاء في أخرى بعدها بست سنوات أنهم تجاوزوا الأربعين الذين أمر السلطان عامل المدينة بتوجيههم إليه : «فنامرك أن توجه... طلبة الهندسة الذين هناك وعددهم أحد وأربعون...»⁵.

أما عن التعليم العسكري فقد أحدثت مدارس بالعدوتين سنة 1875، وعليها أن نعرف من خلال الوثائق أسباب إنشاء هاته المدارس، وكيفية التعليم فيها، وشروط اختيار الطلبة للتعليم بها، بعد أن استفدنا من رسائل إلى عامل الصويرة أن جميع الطلبة كانت تجرى عليهم امتحانات قبل تعلمهم بها.

قال السلطان لعامل سلا : «فغير خاف أن من جملة الأمور الجهادية الأكيدة التي يتعين التنبيه لها ومزيد الاهتمام بشأنها ما يتعلق بأمر المراكب البحرية وتعلم رياستها. وقد شرح الله صدرنا لأحياء ما كان أسسه أسلافنا قدسهم الله بثغر العدوتين من علم ذلك، لما بلغنا من أنه كاد أن ينقطع هنالك لعدم من يتعاهده تعلما وتعلما وخدمة.

»وعليه فنامرك أن تختار عدة من صغار الأولاد من طائفة البحرية بذلك الثغر المحروس بعناية الله، وانتخبهم ممن تعلم فطنتهم ونجابتهم، وكلف الزعتري بمباشرة تعليمهم ما ذكر، بجعل مثال مركب في البر على صورة قريبة بصواريه وما يحتاج إليه من جميع الآلات المعروفة له، ويعرفهم أسماء تلك الآلات، ويعلمهم كيفية تصرفهم في حساب الكارطة، وكيف يستخرجون منها مسافة السفر بحرا، إلى غير ذلك مما يتوقفون عليه ويوصلهم لمعرفة ذلك وتحصيله...»⁶.

ولم يرد فيها شيء عن عدد الطلبة وأسمائهم، لكن يستخلص من غيرها سلوكهم من أن بعضهم أخذ يتراخي وأن المدرسة كان ينفق عليها - وعلى غيرها - من مال الأوقاف حسبما تشهد

3. رسالته في 23 صفر 1293/20 مارس 1876، «الوثائق» : 3 ص 457.

4. رسالته في 9 جمادى الثانية / 2 يوليوز، «الوثائق» : 3 ص 458.

5. رسالته في 23 محرم 1300/4 جنبر 1882، (م و م) الترتيب العام.

6. رسالته في 1 محرم 1292/7 يراير 1875، وثائق آل بنسعيد.

به الرسالة الموالية إلى العامل من الناظرين - ناظري الأوقاف بالعدوتين - اللذين أخبرا «أن الطلبة الذين يتعلمون الحساب والهندسة هناك : بعضهم صار يتكاسل ويعطل بعض الأيام من القراءة، وبعضهم امتنع من التعليم بالكلية. وقد أمرهم (= أمرهما) مولانا أيده الله بأن لا يعطوا الراتب إلا لمن لازم القراءة، ومن عطل يوم- [أ] يسقط عنه راتب ذلك اليوم، ومن امتنع من التعليم يقطع عنه بالكلية وينظر غيره» ويعين بدله⁷.

ومرت سنوات حتى إذا كنا في سنة 1884 وجدنا أن التعليم العسكري بدأ يزدهر ويتقدم فصار الطلبة يقصدون طنجة من بعض المدن للتعليم على بعض المهندسين الأجانب. فمن ذلك أن السلطان أمر عامل سلا بأن يوجه خمسة عشر من صغار الطلبة النجباء للأخذ عن المهندس الفرنسي لوبلان A. Le Blanc، وعامل الصويرة بتوجيه عشرة من الطبعية للتعليم عليه أيضاً⁸.

غير أنه في سنة 1891 لم يبق بسلا «ممن يحسن علم تطبجيت إلا عبد الله فنيش»⁹. وكان العامل قد التمس من السلطان أن يأذن له بتعيين عشرين ولدا للتعليم على فنيش، وأن «يكون له ولهم الراتب الشهري كما بالرباط». فأمر العاهل الأمناء «بأن يرتبوا لهم وله راتباً كما بالرباط»¹⁰.

وكانت بالرباط والدار البيضاء مدارس أواخر القرن التاسع عشر لم أقف على شيء عنها سوى أن بعض ضباط البعثة العسكرية الفرنسية كانوا يدربون المتعلمين فيها. ومع أن مدرستين كانتا بالجديدة وبأسفي، فلم يرد في الوثائق التي بين يدي بيان عنهما.

ومما لا ريب فيه أن هاته المدارس كانت بمثابة ثكنات معدة لتعليم أفراد الحاميات العسكرية بها، من متعلمين كبار السن لم يكونوا أهلاً للتعليم بالخارج.

وقد استمر إنشاء المدارس التي كانت تقليدية المناهج حسبما سبق وصفه. وكان السلطان مع ذلك يحاول تجديد الدم فيها، فكان يعين بعض المتخرجين من المدارس الأجنبية بالخارج للتعليم بها مثلاً فعل عندما أرسل أحد المتخرجين بإيطاليا وهو العربي السللاوي (أي حركات) لتدريب الجنود بالجديدة.

المطلب الثاني : مدارس طنجة

وبهاته المدينة كانت مدارس إعدادية تتضمن تعليم العلوم العسكرية والبحرية والعقلية واللغات والطب. وكان سبب اختيار المدينة مقراً لهذا التعليم وجود المفوضيات وموظفيها بها، فهم في الغالب هم الذين كانوا يعلمون بتلك المدارس العصرية.

-
7. رسالة موسى بن أحمد إلى الحاج محمد بنسعيد في 23 شوال 1293/11 نونبر 1876، وثائق آل بنسعيد.
 8. رسالته إليه في 13 ربيع الثاني 1301/11 يبرابر 1884، وثائق آل بنسعيد، وكذلك رسالة الركراكي إلى محمد بن العربي بن المختار في 19 جمادى الأولى/17 مارس، الترتيب العام.
 9. عبد الله بن محمد بن العربي فنيش المتوفى سنة 1897/1314 بسلا كان مجاهداً ومن رؤساء البحر اللامعين، ترجمته في «الاتحاف الوجيز» لابن علي ص 65 و 184.
 10. رسالة السلطان إليه في 15 جمادى الأولى 1309/17 دجنبر 1891، وثائق آل بنسعيد.

ويمكن أن نميز بين هاته المدارس. فكانت هناك واحدة للتدريس وأخرى لتعليم اللغات ومبادئ العلوم العسكرية والرياضية، وكانت بها أيضا خلايا لتعليم الصناعة الحديثة لبعض المغاربة، وسنتحدث عن ذلك بشيء من الاختصار.

1. مدرسة الطبيب الاسبانية

في سنة 1887 أنشأت إسبانيا «مدرسة بطنجة بقصد تعلم علم الطب الجراحي بها لمن أراد تحلمه» و«كلف الحكيم الذي سمي... وأمرته بإعلام حضرتنا الشريفة لأمر بتوجيه من يتعلم بها ذلك من رعيّتنا ليكونوا أطباء في العسكر»¹¹. ولم يكن الحكيم إلا الطبيب العسكري الاسباني فليبي أوبيلو إي كناليس F. Ovilo y Canalis.

وكانت هاته المدرسة مضافة إلى المستشفى الاسباني، ولم تكن تخرج أطباء حقيقيين. وكان يتعلم فيها شبان مغاربة وإسبانيون. وفي سنة 1891 كلف السلطان الطبيب أوبيلو بتعليم ممرضين عسكريين من المغاربة بها¹².

ولم أقف على مدة التعلم بها، غير أن طلبتها المغاربة لم يكونوا سنة 1893 يتجاوزون ستة أفراد¹³ ومثلهم سنة 1897. وكان المخزن قد اعتاد أن ينعم عليهم بإنعامات ولاسيما بالكسوة على حد ما قال السلطان للطريس : «وصل كتابك بطلب الانعام على متعلمي الطب الستة الذين هنالك بطنجة عند الطبيب أبيل الصبنيولي بالكسوة المعتادة لهم كل سنة في هذا الابان، وصار بالبال. فقد أنعمنا عليهم بها...»¹⁴ أي على الطلبة الذين لم تأت في الرسالة أسماؤهم. ولئن كانت الدراسة بها قد اتصلت إلى حوالي 1900 فلم نعرف من الناجحين الستة إلا اثنين فقط، وكان أحد الاثنين هو أحمد بن الحاج عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التسماني الطنجي المتوفى سنة 1928 بفاس والذي كان يدرس الطب بأروبا¹⁵ أي بإيطاليا حتى مرض هناك وعوض بولد التونسي¹⁶. وعن مؤونته جاء في رسالة سلطانية سنة 1900 ما نصه : «أخبر الطالب عبد الرحمان التسماني الوارد على شريف أعتابنا بأنه أكبر الطلبة الذين كانوا يتعلمون الطب في أسبطار الصبنيول هنالك بطنجة بإذن سيدنا المقدس، وأنه هو أكثرهم تحصيلًا في التعلم... غير أنه لا يقبض الآن في مؤونته اليومية إلا ما كان يقبضه أول تعيينه للتعلم وهو نصف بسيطة...»¹⁷.

وفي وثيقة بعدها بنحو الست سنوات أن هذا الطنجي كان «ممن تنجّب في علوم الطب والتشريح، وهو أحد المتعلمين المعيّنين قبل من قبل جانب المخزن لقراءة ما ذكر لدى بعض أطباء الصبنيول بثغر طنجة المحروس، وببده إجازات الأطباء بذلك، وهذه مدة وهو ملازم لمباشرة علاج المرضى هن العسكر السعيد في اسم خليفة الطبيب فمي الفرنساوي...»¹⁸

-
11. رسالة السلطان إلى الطريس في 2 جمادى الثانية 1304/26 يراير 1887، تطوان 55/5.
 12. ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 219 (4).
 13. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 حجة 1310/10 يوليوز 1893، تطوان 131/11.
 14. رسالته في 5 شوال 1314/9 مارس 1897، تطوان 107/15.
 15. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 256.
 16. رسالة مخزنية غير مؤرخة إلى نائب إيطاليا، محفظة إيطاليا .
 17. رسالة السلطان إلى الطريس في 4 جمادى الأولى 1318/30 غشت 1900، تطوان 94/18.
 18. رسالة الطريس إلى الكباش في 22 شعبان 1324/11 أكتوبر 1906، نصها في الكناش 2720 ك ص 192/191.

Fumey. ثم طلب له الطريس من الكباص الذي كان وزيرا للحرب أن يدرجه في قائمة الجيش لأهمية مهنته¹⁹. وثاني متعلم ناجح على ما يظهر كان هو محمد بن أحمد بوزيان الكرات الذي كان يسكن سنة 1896 بدار حبسية طلب الطريس من السلطان إقراره عليها «رعيا لمسكنته وخدمته في جملة الجيش السعيد»²⁰.

2. أما مدرسة اللغات بطنجة فكانت مثل مدرسة الممرضين تعد الطلاب للعمل بالبحرية وبالجيش وبالمخزن أيضا. ومن المواد التي كانت تلقن - زيادة على اللغات التي منها العربية - الحساب والهندسة والجغرافية والمواد الدينية. وكانت تسمى المدرسة الحسنية²¹ التي كانت بجانبها بطنجة ولاسيما سنة 1906 مدرسة علمية²².

وعن مدرسة الألسن التي تعيننا هنا سيدور الكلام. فقد أنشئت في حدود سنة 1874/1291، وكانت الدراسة تستغرق فيها سنتين كما وقع للبعثة الأولى التي اتجهت إلى أوروبا ولاسيما إنجلترا التي مكث الطلاب - استعدادا للالتحاق بها - سنتين بطنجة يتعلمون فيها من 1874 إلى 1876 اللغة الأجنبية ومبادئ الحساب والعلوم²³، غير أن متعلمي الأفواج التي انطلقت بعد الخمسة عشر طالبا من الفوج الأول صاروا يمكثون فيها ست سنوات أو تزيد، ولاسيما أنهم كانوا صغار السن. وقد يكون منهم من لم يتعلم المواد العلمية في مدارس أخرى. فمن هم تلامذة الأفواج التي كانت تدرس بها ؟ سنعلم أسماءهم عندما نصل إليهم عند الحديث عن أوفدوا إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا وبلجيكا.

وسيكون علينا أن نستخلص أسماءهم من طائفة من الوثائق المتضاربة التي تنقطع سلسلتها عني وتعتورها ثغرات كبيرة. ولن نقف إلا على أسماء تلامذة من الرباط وسلا. أفلم يكن في المدرسة غير أبناء العدوتين ؟ شيء لا يمكن الجزم به.

وهناك صعوبة في التمييز بين من أعدوا لتعلم اللغة ثم التفسير إلى مدارس أوروبا من جهة أولى، وبين من نودي عليهم ليتعلموا اللغة بطنجة فقط ربما لكي يصبحوا تراجمة المخزن من جهة ثانية، وبين من وجهوا للتعلم العسكري عند ضباط أجانب وعلى متن السفن من جهة ثالثة.

ففي سنة 1875 التحقت البعثة التعليمية الأولى بطنجة، وكانت متألفة من 15 طالبا يدرسون اللغة الأجنبية ثم يتدربون بسفن الدول بنسبة ثلاثة لكل واحدة منها²⁴. والظاهر أن هذا

19. نفسه ص 203 حيث رسالة الطريس إليه في 15 رمضان 2/1324 نونبر 1906.

20. رسالته في 13 ربيع الثاني 21/1314 شتنبر 1896، الترتيب العام.

21. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 147.

22. أوصاف هاته المدرسة وردت في الكناش 2720 ك بالخزانة العامة ص 194/195، وهي تدل على أنها غير المدرسة الحسنية لتعليم اللغات وعلى أنها كانت تدرس فيها مواد «العلم الشريف» أي غير اللغة والرياضيات.

23. عبد الغني سكيرج : «مذكرة الزبير سكيرج 1850 - 1932» في «دار النيابة» العدد 8 ص 28.

24. رسالة السلطان إلى الجيلالي بن حمو في 25 رجب 27/1292 غشت 1875، «الوثائق» : 3 ص 442.

التعلم - الحربي منه واللساني - استغرق سنتين نودي بعدهما سنة 1877 على فوج آخر، مثلما هو وارد في هاته الرسالة السلطانية إلى عامل سلا :

«فنامرك أن تعين خمسة من أولاد أعيان خدامنا أهل سلا يكون سنهم من الخمسة عشر سنة إلى الثمانية عشر، واخترهما (= واخترهم) من النجابة والفتنة بمكان وممن يعرف الكتابة. وإن كانوا من الذين كانوا عينوا سابقا لتعلم علم البحر وكانوا يتعاطونه فهو أولى. وحين تعينهم أعلمنا لنأمرهم بتوجيههم لبر النصارى بقصد تعلم علم البحر والرياسة، وذلك بعد أن يتعلموا ما يكفيهم في ذلك من اللسان بطنجة. وقد كتبنا لخديمتنا الطالب عبد السلام السويسي بتعيين مثلهم من خدامنا أهل رباط الفتاح»²⁵. ولابد أن تكون مثل هاته الرسالة قد وصلت لعمال مدن أخرى كالعرائش وطنجة، لكن هذا لم يتيسر الوقوف عليه الآن.

وإلى جانب هؤلاء طلب السلطان بعد شهرين من العامل المذكور، ومن غيرد على وجه الاحتمال، أن يعين «عشرة من صغار الطبقية أهل الذكاء والفتنة والصحة في الجسم» وأن يوجههم «لطنجة بقصد التعلم على طبخية من النجليز أمرنا بجليهم للتعليم هناك واستخدام المدافع الكبار الجديدة التي أمرنا بجليها لمراسينا السعيدة، ليجدهم ورودها عازفين باستخدامها ماهرين فيه إن شاء الله. وقد أمرنا أمناء العدوتين بتزويدهم وكراء البهائم لهم، ولعامل طنجة وأمنائها بأن ينزلوهم وينفذوا لهم مؤونتهم»²⁶. وكان المقصود بهم التعلم العسكري واللساني. ولم يرد بيان عن تعيين شبان صغار من أهل سلا، ولربما تكون مدن أخرى أرسلتهم من أجل هذا الغرض.

وكان المنسق لعملية تعيين المتعلمين وتدريبهم لأرسالهم إلى أوروبا هو الحاج محمد بجل النائب السلطاني. فقد عثرت على مجموعة من الرسائل كتبها في الموضوع إلى مختلف السلطات.

ففي إحداها ذكر أسماء شبان من سلا وجهوا سنة 1885 للتعلم بطنجة وهم : 1. محمد بريتيل، 2. وعبد الله بريتيل، 3. وأبو بكر [بن الحاج عبد القادر] شماعو، 4. وأخوه محمد، 5. ومحمد بن العربي اعمار، 6. ومحمد المكنسي، 7. والشاب عبد الله التيال (وهو الذي سيوجه إلى إيطاليا وسيموت هنالك). وكان هؤلاء يتعلمون اللغة الطاليانية، ثم طلب في هاته الرسالة من الطريس أن يبين له عدد المتعلمين السلويين والرباطيين بطنجة. وختم كلامه بقوله : «واعلم أن الأناس المشار إليهم كلهم صغار السن ومن طلبة القراءان، وجلهم خرجوا من المكاتب. فنحباك أن تنظر لهم دارا للنزولهم، وامرأة تكون تباشر مأكولهم وغيرد لعدم قدرتهم على القيام بشئونهم، والأمناء يصيرون ما يجب في ذلك كما يصير على من كان قبلهم»²⁷.

ويدلنا سياق هاته الرسالة الأخيرة على أن طلبة كانوا توجهوا من سلا ومن الرباط قبل هاته البعثة من السبعة السلويين. وتركيبها رسالة أخرى من السلطان إلى عامل سلا بعدها

25. رسالته في 10 رمضان 18/1294 شتنبر 1877، وثائق آل بنسعيد.

26. رسالته في 23 فعدة / 29 نونبر، وثائق آل بنسعيد.

27. رسالته إلى الطريس في 25 فعدة 5/1302 شتنبر 1885، تطوان 186/70.

بقليل تقول : «وصل جوابك بدفعك للخديم الحاج محمد بركاش من عينه لك من بحرية سلا ورياسها للخدمة ببابور جانبنا العالي بالله²⁸، وبدل المتعلمين السبعة الذين كانوا توجهوا لطنجة بقصد تعلم اللسان بها ليتوجهوا للتعلم ببلاد الطليان، ولم توجد فيهم قابلية...»²⁹.

ولما كتب طلبة اللسان إلى العامل يلتزمون تجديد الكسوة المتلاشية، بعث هذا الأخير سنة 1886 برسالة في الموضوع إلى السلطان الذي أجابه بقوله : «وصل كتابك بطلب الطلبة - الموجهين من هناك أولا لطنجة بقصد تعلم اللغة - الكسوة لتلاشي المنعم عليهم بها حين التوجه» وقال إنه أمر الأمناء بإكسائهم³⁰.

وفي موضوع الكسوة أيضا كانت الرسائل لا تفتأ متبادلة بين المفوضيات والمخزن. فمن ذلك أن نائب إيطاليا كتب إلى غريط سنة 1891 ذاكرة أن متعلمي «اللغة الايطالية بطنجة بقصد توجيههم لايطاليا لاتمام قراءتهم فهم تقريبا عريانيين. هذا نحو عام ونصف قبل قدومهم لطنجة قبضوا كسوة للواحد من عامل الرباط، ومن ذلك الوقت لم يقبض [وا] كسوة أخرى... المطلوب منك تطلع بذلك علم الحضرة الشريفة... بإصدار الأمر للأمناء أن يكسوا عاجلا المتعلمين... إن هذه المتعلمين في طنجة : للقراءات فقط، ولا يمكن لهم جعل شغل آخر ليكسوا أنفسهم بمالهم...»³¹.

فأجابه غريط بعد ذلك بأن الأمر صدر إلى الأمناء بطنجة لاكسائهم³².

وبخصوص أعداد الطلبة جاء في رسالة لبركاش الابن أسماء 15 طالبا : 8 من فوج 1885 و 7 كانوا وجهوا إلى طنجة لتعلم اللغة الايطالية خلال سنة 1886، وهم : 1. محمد العوفير، 2. محمد الشيحاني، 3. محمد الريفي، 4. وعبد الكريم بوهلال، 5. والمكي كيليطو، 6. وقدور بن عبد السلام، 7. والتهامي بن يوسف³³.

وكان هؤلاء السبعة تكملة للعدد 15 من المتعلمين الرباطيين. لكن بعد أقل من شهر وقع التبديل في أسمائهم، إذ حذف الثلاثة الآخرون المذكورون في الرسالة السابقة، وزيد عليهم واحد من أهل سلا وهو محمد القجيري (الذي سيذهب إلى إيطاليا ثم يموت بها قبل رجوعه بقليل) وأربعة من الرباطيين هم : بوعزة اللحاني، وإبراهيم غالب، ومحمد بن التهامي الدكالي، والغازي الزعري. ويفسر بركاش أسباب التغيير بكثرة التشفع لاعفاء بعض الطلبة من الدراسة حين يقول للطريس : «فقد وجهنا لك بالأمس صحيفة البابور تسعة 9 نفر من الأولاد المتعلمين : سبعة منهم تنتم العدد 15 المعين قبل، واثنان : أحدهما من الرباط والآخر من سلا هما اللذان طلب باشدور الطليان زيادتهما أخيرا. وأسماء الجميع مقيدة بالطرة، ولا عمل على البعض من الأسماء المقيدة في الكتاب الذي صحبوه معهم، لأنه وقع التبديل في ذلك. وهؤلاء المتعلمون هم غاية ما تيسر في الوقت مع طول انقضاء، وكل من توفرت فيه الشروط لا يسمح به أهله. ولا

28. في مسودة رسالة إلى أمناء مرسى طنجة في 15 ذي الحجة 1302 أن عدد البحرية من أهل الرباط وسلا كان تسعة عشر، أمروا بدفع الكسوة لهم وللسبعة المتعلمين الايطالية من أهل سلا.

29. رسالته في 15 حجة / 25 شتنبر، وثائق آل بنسعيد.

30. رسالته في 28 جمادى الأولى 1303/12 يبرابر 1886، وثائق آل بنسعيد.

31. رسالة كانطاغالي إليه في فاتح يونيو 1891، محفظة إيطاليا 3.

32. جواب مخزني إليه في 7 حجة 1308/14 يوليوز 1891، نفسها.

33. رسالة الحاج محمد بركاش إلى الطريس في 16 رمضان 1303/18 يونيو 1886، نطوان 88/71.

يخفاك كثرة الشفعاء الذين يتعين قبول شفاعتهم. الحاصل انتخب منهم اثنين لباشدور الطليان، والباقون تنمة العدد المعين قبل... ونحبك أن تتكلم مع المكلفين بتعليم الأولاد بأن يبينوا لك من لا يقبل التعليم لترده ونوجه بدله»³⁴.

ويتجلى من رسالة سلطانية بعدها بأربعة أشهر أنه وقع النقص من الطلبة الرباطيين والسلويين الذين كان سن طرف منهم كبيرا فأرجعوا وعوضوا بغيرهم : «فقد أخبر باشدور الطليان أن المتعلمين الاثني عشر من أهل الرباط وسلا لم توجد فيهم قابلية للتعلم لكبر سنهم، فكلفناه بتوجيه نائبه لك بقصد انتخاب أربعة من أنجب ولدان أهل سلا الذين سنهم من الاثني عشرة سنة إلى الثلاث عشرة سنة. فإذا وجهه لك فنامرك أن تحضر له عددا منهم من السن المذكور لينتخب منهم الأربعة. وحيث ينتخبهم أبهم تحت يدك ووجه لنا زمام أساميهام لنامرك بما يكون فيهم.

«وقد كتبنا لعامل الرباط بأن يحضر له عددا من أنجب ولدانها من السن المذكور لينتخب منهم ستة»³⁵.

وطراً شيء من الفتور على تعلم اللغاب بسبب موت رجل كان يقدم خدمات لهؤلاء المتعلمين ويحرص على أن تنجح هاته الخطوة من التعليم بالمدرسة الحسنية، وأعني بذلك وفاة الحاج محمد بركاش في أواخر غشت 1886 بعد مرض دام أسبوعاً³⁶.

وبعد وفاته أسندت هاته المهمة لأمين الأمناء محمد التازي الرباطي، فذكرت رسالة الأخير إلى الطريس أن عدد المتعلمين من العدوتين تزايد فصار 32 في بداية سنة 1887 وقال : «فقد ورد اثنان من المتعلمين 16 أهل الرباط الذين يتعلمون اللسان العجمي هناك متشكين بأن المتعلمين 16 من أهل سلا نفذت لهم الكسوة وما يكفيهم من المال كل يوم، مع المتعلمة التي تباشر تنظيف محلهم، فأنهينا أمرهم لسيادة سيدنا أيده الله فأمر دام علاه بالكتب لأمناء المرسى بتنفيذ ما ذكر...»³⁷.

ومن المناسب أن أذكر أن اللغات التي كانت تدرس بطنجة هي الألمانية والانجليزية ولو أن عدد طلابهما كان قليلاً، وأن تعليمهما لم يستمر إلا مدة محدودة. وأما الإسبانية فلم أف على شيء حول تعليمها، بينما كانت كل من اللغة الإيطالية واللغة الفرنسية (التي كانت تصلح للأفواج المتوجهة فيما بعد إلى بلجيكا وفرنسا) متواصلة منذ حوالي 1881. ولن نجد في قائمة 24 قعدة 14/1305 غشت 1887 إلا أسماء ثلاثة وعشرين متعلماً سبقت الإشارة إليهم ممن كانوا لا يزالون بالمدرسة. فمن أهل الرباط 12 طالباً : فزيادة على محمد العوفير وبوعزة اللحياني ومحمد الشيحاني والغازي الزعري ومحمد بن التهامي الدكالي الخ... نجد كلا من بوبكر يعكوب، ومحمد بيرو، والحاج محمد الغريسي، وأحمد التوزاني، وأحمد بن المختار، وكذلك المكي بن مبارك، ومحمد الشرقاوي البهالي اللذين سيكونان عضوين في بعثة إلى إيطاليا. أما من سلا فكانوا 11 طالباً هم المعطي الزلداني، (أو الزرداني)، وحجي الحصيني،

34. رسالته في 11 شوال 1303/1304 يوليوز 1886، نطوان 99/71.

35. رسالة السلطان إلى الحاج محمد بن سعيد في 9 صفر 7/1304 نونبر 1886، وثائق آل بن سعيد.

36. م. بوشعراء : «الاستيطان والحماية» ج 1 ص 398.

37. رسالته في 19 جمادى الأولى 1304/1305 يبرابر 1887، نطوان 36/35.

والمدني المصلوحي، وبوعزة بن بنعاشر العشاب، والحاج المدني كلزيم، وعبد الله بريطل (الذي أشرت إلى وجوده بها سنة 1885)، وبوبكر بن الحسن بن مريدة، وعمر الطرابلسي، وعبد العزيز الأبيض، ومحمد الزواوي، ومحمد بن إدريس الطنجاوي³⁸. ولن يتوجه أحد من هؤلاء السلاويين إلى الخارج لعدم الوقوف على اثر لهم فيه.

وأضيف في هذا الباب أنه أمام أسماء عشرة من الثلاثة والعشرين السابق ذكرهم كتبت عبارات تفيد غيابهم بالرباط أو بسلا لربما لصلة الرحم. ولم يكن عدد المتعلمين مستقرا في رقم مضبوط عبر السنوات.

وقد تجلّى من تفتيش أجري سنة 1888 أن هاته المدرسة التي كانت تعلم فيها الإيطالية كان تلقن فيها أيضا اللغة العربية، وكان بها 15 متعلما منهم من لا يعرف قواعد اللغة العربية، وكان أربعة منهم لا يعرفون القراءة والكتابة، بينما كانت قريحة اثنين منهم وقادة. وسبب جهل بعضهم أنهم أدخلوا صغار السن وقد قسموا إلى ثلاث مراتب³⁹.

وقبل هاته الرسالة جاء في أخرى أن «جماعة من أهل العدوتين هذه مدة من سبعة أعوام وهم يتعلمون اللسان الفرنسي والطلّاني بطنجة على يد يهوديين منها، ولم تظهر في أحدهم نتيجة. وعليه فنأمر أن ترددهم لبلادهم... وقد أمرنا الأمناء بقطع المنونة عنهم وعن اليهوديين اللذين يعلمانهم»⁴⁰ واللذين كانا بلا ريب من موظفي المفوضيتين المعنيتين.

ووصل مع ذلك تعليم الإيطالية ولاسيما سنة 1895، وتذكر الوثائق «أن هنالك بطنجة معلما طليانيا منصوبا لتعليم اللسان، وأنه يقبض على ذلك من ديوانة الثغر المذكور مائة وخمسين بسيطة مرتبا شهريا من قبل التعليم، وأن المحل الذي يتعاطى فيه ذلك صار يعرف هنالك بمدرسة الطليان...»⁴¹.

وفي أواسط سنة 1900 لم يكن عدد المتعلمين يتجاوز بضعة أفراد كان ينوي إرسالهم إلى حال سبيلهم، وتقرر بالفعل ذلك ونستشفه من رسالة سلطانية إلى الطريس : «وصل جوابك بأن السبب في تأخير تنفيذ ما تقدم من توجيه اثنين من المتعلمين إلى إيطاليا هو الأمر الوارد عليك بتوجيه كل المتعلمين السبعة الذين كانوا هنالك إلى حال سبيله، ففعلت»⁴². وكان الطالبان اللذان اختيرا إلى إيطاليا سنة 1900 هما الطنجيان الصديق وأخوه المختار التونسي حسبما سيرد ذلك محله.

38. أصلها بمكتبة تطوان 12/141 وعنوانها : «بيان المتعلمين للسان : فرانصيص وطلّيان».

39. جواب مخزني إلى كانطاغالي في 16 فعدة 25/1305 يوليوز 1888، محفظة إيطاليا 2.

40. رسالة السلطان إلى الطريس في 8 فعدة 17/1305 يوليوز 1888 تطوان 132/6 ومثلها رسالة سلطانية إليه في 8 حجة / 16 غشت، تطوان 144/6.

41. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 صفر 4/1313 غشت 1895، تطوان 26/14.

42. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 محرم 15/1318 ماي 1900 تطوان 9/18.

وقبل أن أختتم هذا الفصل لابد أن أشير إلى أن بادرة أخرى ظهرت سنة 1906 بطنجة إلا وهي أن المخزن كان قد اقترح عليه أن يعلم أربعة من الشبان المغاربة صناعة الحرير على يد مهندس إنجليزي. وقد تشفع مسؤول مخزني لكي يعين ضمنهم إدريس بن عبد السلام عمور⁴³ الذي نعلم أنه سيصير فيما بعد محتسبا لمدينة سلا ثم قائدا بسيدي بنور بقبيلة دكالة حيث سيموت سنة 1943 هناك⁴⁴.

ولم أقف على ما يثبت دخول هذا الاقتراح حيز التنفيذ.

هذا كل ما جمعته عن هؤلاء الطلاب بمختلف المدارس العسكرية واللغوية والطبية من الذين كانوا يدرسون بها طيلة عقود من القرن التاسع عشر.

ومن الآن سننطلق مع هؤلاء الطلبة الكدار منهم والصغار عسى أن نعرف بعض أحوالهم في مهاجرهم وبعد رجوعهم ما أسعفتنا بذلك النصوص المستقرة.

43. رسالة إدريس البوكيلي إلى أحمد الطريس في 5 صفر 1324/31 مارس 1906، الترتيب العام.

44. محمد بن علي الدكالي : «الاتحاف الوجيز» الملحق الأول من إعدادي، ص 178.

② المتعلمون بالخارج

هاجرت طوائف من المغاربة لتلقي مختلف العلوم بالخارج خلال القرن التاسع عشر. وكان أغلبهم قد أوفدوا للتدريب بأوروبا وقليل منهم في مصر والولايات المتحدة. وإليهم سأعرض هنا لمعرفة أسمائهم والظروف التي عاشوها خارج وطنهم والشروط المفروضة لاختيارهم، وذلك ضمن تسعة مطالب وخاتمة، تليها مذكرة أحمد الجبلي الطالب بإيطاليا.

المطلب الأول : مصر

وجه المخزن ست بعثات طلابية إلى الديار المصرية لتلقي علوم الصناعة الحربية والعصرية¹. إلا أنه يحتمل أن يكون منهم من سافر على نفقة أسرته، سواء ممن سترد هنا أسماؤهم أو الذين لم أقف عليها. ولئن لم تنص المصادر المستقراة على هوية جميعهم، فلا بد من ذكر من عثرت عليهم منهم. وكانوا يتألفون من عدة أفواج :

البعثة الأولى تركبت من ثلاثة أفراد لم يرد أنهم تعلموا الفنون العسكرية، وقد توجهوا حوالي سنة 1859/1276، وكان منهم : 1 - 2 : الحاج محمد بنكيران (الذي لم أقف على أخباره) وأحمد شهبون وكلاهما من فاس²، وكان الأخير منهما قد تلقى علوما كثيرة، وله تصنيف سماه «كتاب الجغرافية المغربية» ألفه سنة 1898 بفاس³.

3. وأما ثالثهم فلم يرد له ذكر مخصوص، ولعله هو الحاج عبد القادر بن علال بن محمد القليعي الذي كان مهندسا وذا معرفة بالعلوم الرياضية والذي رحل من مسقط رأسه أسفي في منتصف القرن التاسع عشر إلى الشرق، فلم يعثر له بعد ذلك على أثر بالبلدان المشرقية⁴ التي قد تكون هي مصر.

4 - 7 : وقد تألفت البعثة الثانية من ثلاثة أفراد لتعليم صناعة البارود أي التبرديج ومن شخص واحد كان يتعلم بالمطابع ورد قبلهم بقليل، حسبما يستفاد من رسالة الخديوي إلى السلطان سنة 1867 حين قال :

«وقد سررت بورود مُشرِّفكم الكريم، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجنب الفخيم، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم... وقد أرسلنا الموماً إليه إلى دار الطباعة، وأكدنا على مأمورها بإراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة، والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها، وتوقيفه على كيفية إدارة آلاتها، وسائر كفاياتها.

1 . محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 251 وص 156.

2 . أيضا.

3 . نفسه وكذلك ابن زيدان : «العز والنسوة» ج 2 ص 161.

4 . محمد الكانوني : «أسفى وما إليه» ج 1 ص 130، وم بوشعراء : «الاستيطان» ج 1 ص 135.

«ثم ورد مشرفكم على يد الثلاثة المتعلمين في صناعة البارود، المراد تعليمهم صناعة التبرديج ورعايتهم حتى يتحصلوا على الغرض المقصود، فأرسلناهم إلى الباشا وكيل ديوان الجهادية المصرية في الحال، وأوصيناه برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم لتلك الصنعة من الأعمال والأشغال... والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام...»⁵.

ولم ترد أسماء الباروديين في المصادر، لكن متعلم الطباعة كان هو :

8. عبد القادر بن عبد الكريم الخيرانى الوردى الشفشاونى ابن قاضى شفشاون. وقد توجه إلى مصر لهذا الغرض سنة 1866، غير أنه لم يعد فمات سنة 1895/1313 هنالك⁶. وثمة آخران تدربا على الطباعة بها وهما :

9. 10 : الطيب بن محمد الأزرق الفاسى ومحمد الهفروكى المراكشى اللذان تعلمتا قبل سنة 1869 وأجاز لهما عبد القادر الوردى⁷، مما يدل على أنهما وردا بعده.

11. 12 : البعثة الثالثة توجهت بعد هؤلاء ربما بقليل من الزمن. وقد تألفت من نجارين اثنين لم يأت لهما اسم في المصادر. غير أنه في سنة 1867 كان لا يزال يصرف عليهم وعلى الباروديين ومتعلم الطباعة المذكورين سابقا من أموال الدولة لتعلم البارود والنجارة والطباعة⁸.

ولربما يكون ضمن النجارين :

13. الحاج محمد بن الهاشمى بنسعيد السلاوى الذى عاش بالاسكندرية أواخر القرن الماضى، ثم لما رجع أخذ يعلم جماعة من الرباطيين والسلاويين النجارة الرقيقة، وكانت له معاملات مع أروبيى طنجة وجبل طارق⁹.

14. 43 : أما البعثة الرابعة فلم أقف على أسماء أفرادها الثلاثين الذين كانوا بصدد التوجه إلى مصر سنة 1867/1283. وكان من المفروض أن يختاروا من أهل الرباط وسلا والصويرة وفاس حسبما جاء في رسالة سلطانية إلى عامل سلا أن «هذه الخطط الجهادية من علم البحر وتطبيعية ضعفت في الغرب حتى كادت أن تفقد. وقد اعتنى بها ملوك الاسلام في هذا الوقت فانتفعوا بها انتفاعا بيّنا وأدركوا منها ما لم يدركه غيرهم.

«وقد بلغ إسماعيل باشا اهتمامنا بالأمور الجهادية حيث وجهنا له من يتعلم عمل البارود وغيره على الكيفية المعروفة عندهم. فأجاب بأنه اعتنى بأمرهم وطلب تكليفه بما يتعلق بهذا الأمر بالوقوف فيه. غير أنه طلب أن يكون المتعلمون صغارا نجباء، لأنهم أقبل للتعليم وأسرع نجابة من الكبار، فاقضى نظرنا تعيين ثلاثين من الأولاد الصغار النجباء وتربيتهم بحضرتنا

5 . «مجلة المغرب» عدد يبرابر مارس 1936 ص 18 بعنوان «بين خديوي مصر وسلطان المغرب» حيث رسالة إسماعيل باشا إلى سيدي محمد بن عبد الرحمان في شوال 1283/يبرابر مارس 1867، نقلا عن كتاب «الأثار الفكرية» لعبد الله فكرى، ص 54 المطبوع بالقاهرة.

6 . م بوشعراء : «الاستيطان والحماية...» ج 1 ص 101.

7 . محمد المنونى : «مظاهر...» ج 1 ص 312 و 313.

8 . «أوثائق» ج 2 ص 430 و 432.

9 . مصطفى بوشعراء : «الاستيطان» ج 1 ص 107.

الشريفة في تعلم ما لا بد منه من مقدمات ذلك من حساب وتوقيت وهندسة وشبه ذلك ثم نوجههم بعد مصر، وأردنا انتدابهم من أولاد الجيش البخاري وأهل فاس وأهل العدوتين وأهل الصويرة.

«فنأمر أن تنتخب من أولاد خدامنا أهل سلا الصغار ثلاثة، وقد أمرنا عامل الرباط بانتخاب ثلاثة من أولاد الرباط ليكون ثلاثة طبجية وثلاثة بحرية، وليكن سنهم من أربع عشرة سنة إلى خمس عشرة ممن يعرف الكتابة والقراءة، وظهرت عليهم مخائل النجابة والذكاء والفطنة. وعدهم وأهلهم بالاحسان التام من جانبنا العالي بالله في حال التعلم، زيادة على ما يترقبونه من إحراز المزية والمرتبة العلية لمن برع منهم فيما عين له. وحين تعينونهم وجهوهم لحضرتنا الشريفة، بعد أن يدفع لهم الأمان ما يتزودون به ويكثروا لهم ما يركبون عليه، واصلين لحضرتنا العالية بالله. فأطلعهم على كتابنا هذا ليعلموا (= ليعملوا) بمقتضاه»¹⁰.

وإذا كنا لا نعرف أسماء من عين من مدن أخرى غير سلا فإن عامل هاته الحاضرة قد رشح ثلاثة من أهلها ارتضاهم السلطان في جوابه وهم :

44 . 46 المكي بن أحمد الزواوي المؤقت، ومحمد بن المعطي السفياي، ومحمد بن المختار معنينو¹¹.

ولم أقف على مصير هاته البعثة، فهل كتب لها أن ترحل إلى مصر ؟ وهل تعلمت بالمغرب تعلمًا كافيًا ؟ غير أنها حتى ولو توجه أفرادها بعد سنة 1867 بمدة قصيرة نسبيًا، فما كان لهم أن يسافروا قبل انتهاء المدة المفروضة (بضع سنوات) لتعلمهم بمدرسة المهندسين بفاس أو غيرها «وتربيتهم بحضرتنا الشريفة» حسبما جاء في رسالة السلطان.

والبعثة الخامسة عينت سنة 1875، وكان طلبتها من الكثرة بحيث قسموا إلى ثلاث مراتب : أولى وثانية وثالثة بالنسبة إلى المنحة المخولة لهم. وكان ضمنها صانعان اثنان، وذلك في 28 رجب 1292/30 ماي 1875¹².

هذا ولم يأت بيان عن أسمائهم جميعًا، إلا أنه يجوز أن نجعل ضمنهم :

47 . : عبد السلام بن محمد بن أحمد العلمي الذي تعلم الطب وحضر تشریح 1600 جثة من موتى الحرب أثناء ثورة أحمد عرابي سنة 1882. وقد عاد بعد ذلك إلى المغرب وأخذ يباشر العلاج بالقصر السلطاني وبدكان بفاس التي توفي بها سنة 1906، وقد خلف تآليف عديدة¹³.

10. رسالته في 5 حجة 1283/10 أبريل 1867، وثائق آل بنسعيد.

11. رسالته إلى العامل في 10 محرم 1284/14 ماي 1867، وثائق آل بنسعيد.

12. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 158.

13. ص 159 من المصدر الأخير أيضا لمحمد المنوني الذي تظن لجعل العلمي ضمن البعثة الخامسة وليس الأولى التي عده ابن زيدان منها. وله ترجمة عند العباس بن ابراهيم في «الاعلام» ج 8 ص 491.

أما الصانعان فلم يأت ذكر لاسمهما. بيد أنه يمكن أن يكون الحاج محمد بن الهاشمي بنسعيد رقم 13 من جملة هذين الصانعين، على أكثر تقدير.

والبعثة السادسة والأخيرة في القرن التاسع عشر لم يرد أي توضيح عن أفرادها ونوع تعلمهم، وينبغي أن نفترض من حيث التوقيت أن أحمد بن الحاج الرگراگي الرباطي أحد أفرادها. فقد كان يشتغل بأحد مطابع مصر سنة 1904، ولما عاد بعد عشر سنوات وظف في مناصب مخزنية حتى توفي سنة 1955 بالرباط. وقد كان أدبيا، وله تأليف عن الصويرة¹⁴ التي عين فيها.

وسواء كان هذا الطالب ضمن بعثة رسمية بما يتضمن ذلك من منحة وصلة من الدولة أو كان مجرد مهاجر على نفقته في طلب العلم، فالمهم هو أنه كان بمصر، فالأحوال التي غادر فيها المغرب سنة 1904 لم تكن مناسبة لأداء المخزن لنفقات سفره وتعلمه.

المطلب الثاني : الولايات المتحدة

في سنة 1885 سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية متعلمان اثنان للتدرب بمعمل وينتشيستر Winchester، وكان يقودهما الترجمان كارلطن E. Carleton الانجليزي الأصل¹⁵.

ولئن لم يرد لاسمهما ذكر في المصادر التي تحت اليد ولا توضيح كاف عن المدينة التي توجد مدن عديدة بهذا الاسم في كثير من الولايات الأمريكية، فقد جاء شيء من الكلام عن نوع العمل الذي ذهبا لتعلمه : «وصل كتابك وبطيه زمام الصائر على المتعلمين - اللذين كانا توجها لبلاذ المركان على يد مكليين يتعلمان حل المكاحل ومسحها وتزديجها، ووردا على حضرتنا الشريفة برباط الفتح - تضمن خمسمائة وأربعة وخمسين ريالاً وسبعة وثمانين سنطيميا، وطلبت أمرنا الشريف للأمناء بدفع العدة المذكورة لكاتب باشدور النجليز المتولي قبضها منه، فقد أمرناهم بدفعها له على يدك، وكتابتنا لهم بذلك يصلك طيه»¹⁶. والغالب أن تدريبهما كان قصير المدة التي لم تتجاوز بعض الأشهر.

المطلب الثالث : أروبا

قصدتها جماعة من المغاربة، سواء كانوا طلبة أو صناعا أو جنودا للتعلم في القرن التاسع عشر. وسيأتي بيان البلدان التي توجهوا إليها. بيد أن بعض المصادر لا تبين الأقطار التي تعلم فيها بعضهم ببر النصراري أو بلاد الروم (أروبا)، فلم أجد بدا من إدراجهم في هذا المطلب على انفراد. وكان منهم :

14. عبد الله الجراري : «من أعلام الفكر المعاصر...» ج 1 ص 9.

15. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 96.

16. رسالة السلطان إلى الطريس في 23 حجة 1302/3 أكتوبر 1885، تطوان 161/3.

1. أحمد (المدعو حيدة) بن عبد الله بن المهدي بن عبد السلام كراو الأسفي المتوفى عام 1875/1293. وكان رابع أربعة وجهوا لدراسة الهندسة وما إليها في عهد مولاي عبد الرحمان¹⁷.

وفي عهد ابنه قصد آخرون «بلاد الروم، فتعلموا ما يكفي من ذلك وما يحتاج إليه من علم الهندسة وكيفية حرب النظام»¹⁸، ولم يعرف عددهم ولا أسماؤهم أيضا.

غير أن البعثات إلى أوروبا لم تزدهر إلا في عهد مولاي الحسن، وكانت هاته الظاهرة من أبرز ميزات عصره، وكان الغالب عليها التكوين العسكري¹⁹ والتكوين البحري كما سيأتي.

2. المصطفى بن عبد السلام الرّؤدي الطنجي درس الطب بأوروبا وكان طبيبا²⁰. ولم يرد شيء عن تاريخ سفره ولا عن البلد الذي تعلم فيه.

وممن تعلم الطب وشبهه بأوروبا كذلك:

3. أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التمساني الطنجي المتوفى بفاس عام 1928/1347. وكان قد استوطن هاته المدينة حيث كان يعالج الناس²¹. وتقدم أنه كان يتعلم بطنجة بمدرسة الممرضين وأنه عين بالجيش. ولعله تعلم بإيطاليا حسبما سيشار إليه في المطلب السابع.

4. 5 : محمد اللواح²² الطنجي والمختار عمور²³ المتوفى بسلا أواسط القرن العشرين، وهما متأخران - على ما يظهر - عن السابقين.

6- 35 : أما تعليم البحرية بالخارج فكان أول الاصلاحات التي أدخلت على الجهاز الأسطولي. وقد اشدت العزم على تعليم صغار المغاربة وناشئة الجيش، وقوي إرسالهم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في عهد مولاي الحسن الذي قال سنة 1881 في إحدى رسائله : «اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس لتعلم ترايسيت والمكينة وعلم البحر، وأن يفرقوا على نواب بابورات النجليز والفرنسيص والصبنيول والألمان والطلليان، وعددهم ستة لكل جنس، واثنان من الستة المذكورين يخصصون بتعلم ترايسيت والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس مميني ذكر، وأربعة لتعلم علم البحر وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين، ويكون صائريهم على جانب المخزن... إذ المقصود هو تعلمهم...»²⁴. جميع هؤلاء ثلاثون متعلما للعلوم البحرية.

17. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 166.

18. نفسه.

19. المصدر نفسه

20. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 308.

21. نفسه ج 1 ص 256.

22. أيضا ج 1 ص 296 (6).

23. كذلك.

24. رسالته إلى برকাশ في 10 رجب 1299/28 ماي 1881، نصها في «رسائل شريفة» لمحمد نهيل،

القسم الأول، اللوحة 59، وابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 148 - 149.

غير أن عدد من تدريبوا على الفنون العسكرية وشبهها سيكون فيما بعد أكثر من ذلك، فيجب أن ندخل في الحساب من تعلموا ببلجيكا وجبل طارق، سواء كانوا طلبة أو صناعا أو جنودا. إذ تعلم بأروبا بين 1878 و 1894 مئات من الشبان المغاربة²⁵. وهذا ما سيرد في المطالب الموالية بشيء من التفصيل جهد الطاقة.

المطلب الرابع : ألمانيا

أفواج تعلمت بألمانيا كان منها الطلاب وكان منها الجنود، فالفوج الأول تتركب من ثلاثة أفراد عينوا سنة 1874/1291 للتعلم بها²⁶ بعد أن لقنوا اللغة ومبادئ العلوم بطنجة نحو السنتين ثم ذهبوا إلى ألمانيا. وأسمائهم هي :

1 . 2 : الميلودي بن محمد الزيادي الطالب، والحسين بن الحاج خلوق الوديعي اللذان لما عادا إلى المغرب حوالي 1886 عينا مدة قليلة ترجمانيين للمهندس فاكنر Wagner عميل كروب. وقد جاء هذا المهندس مرافقا للمهندس روطنبورغ الألماني، حسبما ورد في رسالة سلطانية من أن «الحسين والميلودي اللذين كانا يتعلمان ببلاد الألمان فرغا من تعريب الأوراق التي جعلها المهندس الألماني في شأن المحال التي انتخبها بمرسى العدوتين ومرسى الصويرة لبناء أبراج المدافع»²⁷.

وتقلب الحسين بعد ذلك في وظائف بالجيش، منها أنه سمي قائدا عسكريا لطرفاية عند انسحاب ماكينزي منها، بينما عاد الميلودي إلى ألمانيا لتتيمم دراسته ببرلين مدة ثماني سنوات ابتداء من 1888، ثم لما أب عين سنة 1896 كاتباً بالقنصلية الألمانية بالدار البيضاء²⁸. وظل يشغل هذا المنصب إلى سنة 1903 حتى سمي معلما للعربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين حيث توفي في نفس السنة²⁹.

غير أن المخزن كان قد اعترض على تعيينه موظفا بالقنصلية ومحميا لألمانيا. وجاء في مسودة جواب إلى الوزير المفوض : «فقد وصل جوابك أيها المحب في شأن ما يرومه الميلودي الزيادي العسكري، أحد طلبة اللسان الألماني، عند جانب المخزن... من التلبس بالحماية، ذاكرة أن إبطال حمايته متعذر حيث كان بموافقتكم، وأن الحماية المذكورة مبنية على مقتضى الفصل السادس عشر من شروط مدريد، لا على مقتضى الفصل الخامس...»

«فأمرني أعزه الله أن أجيبك بأن العسكر الذي يوجهه المخزن بقصد التعليم : إذا كان ذلك التعليم يخرجهم عن طاعة مخزنه بعدم جري الأحكام عليه وصيرورت[ه] حماية... يختل بذلك النظام العسكري... ويكون فعل المخزن في ذلك التعليم وبدل ما يصيره عليه من

25. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 97.

26. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 151.

27. رسالته إلى الطريس في 2 ربيع الأول 1304 / 29 نونبر 1886، تطوان 11/5.

28. مصطفى بوشعراء : «الاستيطان» ج 2 ص 826.

29. ببيركيين : «ألمانيا والمغرب» ص 523 وص 524 (1) وص 867 (3) وص 26.

باب العبث الذي ينزه عنه أفعال العقلاء... وأما المكافأة التي احتجبت بها... فليست بحماية، وإنما تقتضي التمييز لرتبته فيما تعلمه... وإلا كان نقصا للحقوق وانحرافا عن طريق الإنصاف»³⁰.

3. عبد السلام بن عبد الرحمان التسولي تعلم بمدرسة كلاوسثال Klausthal ببرلين وتخرج منها مهندسا، ولكنه عين ترجمانا بأحد المراكب الألمانية بالرباط³¹ في صدر القرن العشرين، وكان الطالب قبل أن يدخل إليها قد استأذن بواسطة فيبير السلطان الذي كان قد مانع في تعلمه المعادن، وذلك أن التسولي أشار «أن قصده بهذه العلوم حتى يقدر يوم ما أن يقدم خدمته لمنفعة وطنه، ويجازي الحضرة الشريفة أيدها الله بالدعاء لما أنعمت عليه بخيراتها ليتعلم...»³².

وأجاب العاهل السفير بعد شهور «بأن أحد الطلبة 3 الذين يتعلمون ببلادهم ظهرت نجابته في تعلمه ويستأذن في تعلم علوم الهندسة أو علوم المعادن، وصار بالبال. فتعلمهم علم البحر والمعادن أحب إلينا. نعم إن اقتضى نظره تعلم ما ذكر فيزاد له من يتعلمون علم البحر...»³³.

وانصرفت خمس سنوات تعلم خلالها، ولكنه لما أبطأ عن الرجوع كتب الطريس سنة 1888 يعلم بهذا التأخر السلطان الذي أجابه : «وصل كتابك بأن أحد المتعلمين ببلاد الألمان اسمه عبد السلام... هذه مدة وهو بالبلاد المذكورة، وبلغك أنه تمهر فيما توجه لتعلمه وظهرت نجابته، ولم يبق في مكثه هناك إلا زيادة الصائر، وصار بالبال. فحيث حصل ما توجه لأجله فوجه عليه، وحيث يرد وجهه لحضرتنا الشريفة»³⁴.

وأخيرا وبعد 6 أشهر رجع فوجهه الطريس إلى غريط، لأنه «ورد يوم تاريخه، وصادف الموجبة فأزعجناه للسفر، وما هو يرد عليكم لتطلعوا بأمره العلم الشريف...»³⁵.

ويظهر أنه سئل عن نوع العلوم التي تلقاها فقال في رسالة ملحونة وبخطه إنها : «1. علم الحساب والجبر والمقابلة، 2. أصول الهندسة، 3. مساحة المثلثات، 4. حل الجبر، 5. علم الهندسة المساحية، 6. علم الطبعة وهو أصل القوة الكهربائية أي إيكطريك، 7. ثم علم الكمية المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والقزدير والرصاص والحديد والكبريت إلى آخره... وغاية أكثر اجتهادي في هذه العلم السبعة كان علم الكمية، وبها أقدر نفتش الأرض على معادنها، ونبين ما فيها من المعادن النافعة كالمذكورين فوق. والآن إنني أترجى العقاهر والحوامض من طنجة لنجرب هاذا في حضرة العالية بالله، والسلام، وفي 21 من ربيع الثاني عام 1306. «خديمكم : عبد السلام بن عبد الرحمان التسولي، لطف الله به»³⁶.

30. جواب في 19 حجة 1313/30 ماي 1896، تطوان 80/51، وهناك رسالة سلطانية إني الطريس في 17 حجة / 28 ماي في الموضوع أيضا.

31. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 86 و ص 867 (3).

32. رسالة فيبير إلى برقاش في 15 مارس 1883، الترتيب العام.

33. رسالته إلى برقاش في 23 شوال 1300/27 غشت 1883، محفظة التعلم بالخارج.

34. رسالته إليه في 12 حجة 1305/20 غشت 1888، تطوان 148/6.

35. رسالته إلى غريط في 12 ربيع الثاني 1306/15 دجنبر 1888، محفظة ألمانيا.

36. تاريخها يطابق 25 دجنبر 1888، محفظة التعلم بالخارج.

وأذيل الحديث عنه بأنه دخلت على اسمه ونسبه عدة تحريفات بالعربية واللاتينية. فبالعربية كتب اسمه أزود، وكان ضمن المتنورين بمدينة العرائش التي ورد في مجلة «المصباح» التطوانية أنه كان له فيها. هو والمهندس علي السوسي «المتخرج من جامعات إيطاليا» والمهندس إدريس الشراذي «المتخرج من جامعات إنجلترا» - دور في إيقاظ الشعور الوطني بها³⁷. إلا أن يكون أزود هو الزاودي، لكن لم أقف على زوادي عرائشي.

أما باللاتينية فاسمه تصحف إلى بوسلام، فكتبت العين ألفا لخلو الألمانية منها، ورسم نسبه Zuli لأن حرف Z ينطق بالألمانية تس. وكان التسولي سنة 1891 معلما للعربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين³⁸.

وقبل أن أنهى الكلام عن أعضاء الفوج الأول لابد أن أشير إلى أن أنطوان كون A. Kühne(?) كان هو المكلف بالطلبة الثلاثة أعلاه وبمن بعدهم، والساھر على نجاحهم ببرلين في دراستهم. فقال فيبير لبرگاش في رسالة مشحونة بالتحريف والركاكة : «وكنا قد قدمنا أنطون كون ليكون قنصل، لأنه رجل من الأغنياء والمعتبرين ومعروف بين الذوات. وقد جعلناه لمعاونتنا بملاحظة الطلبة الثلاثة، وهو عمال يلاحظ ما يلزمهم لأجل نجاحهم في العلوم حتى يوم ما يحصل نتيجة من خدماتهم بدار المخزن، لأن ملاحظة الوزارة البرانية في برلين هي في الأمور المهمة، لأن الطلبة لا يمكنهم يلتجوا إليها كل وقت بما يلزمهم، ولكن يقدروا دائما يطلبوا من القنصل ما يحتاجون إليه. وليس خافي علمكم... كون هذا الانسان من الأغنياء كما تقدم، فلا يطلب دولة الجنا ب العالي شيء لا من دراهم ولا غيره... فلهذا أقدم مسيو أنطون المذكور لكونه رجل أمين وأثيق به جدا، وعلى الخصوص لأجل المستقبل، لأن لا أعرف كم من السنين أبقى في وظيفتي هنا، ولا أي وقت أترك الخدمة نظرا لتقدمي في السن، ولا أعلم أيضا إن كان من يتولى بعدي يعرف كفاية عوائد العرب كما أنا أعرفها...»³⁹.

واستعدادا لارسال أفواج أخرى سافر الحاج محمد برگاش أواخر سنة 1884 إلى ألمانيا مصحوبا برسالة اعتماد سلطانية إلى القيصر غليوم الأول جاء فيها : «إن المحبة والصحة والصدقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل أوجبت توجيه أشخاص نجباء أخيار من هذه الايالة لبلادكم الرفيعة المصونة بقصد الزيادة في تنقيح ذكائهم وتهذيب أخلاقهم بآداب السياسات العلانية والعلوم العسكرية والطبجية...»⁴⁰.

وتألف هذا الوفد من 24 شخصا للتدرب بمدينة إيسن غربي ألمانيا الاتحادية أو جنوبها الغربي بمدينة أولم. وكان منهم 9 طلبة ها هي أسماؤهم :

- 4 - 5 : أحمد بن القايد والعربي بن الصديق، ولم يأت بيان عن مسقط رأسهما.
- 6 - 8 : محمد الدردب ومحمد بن الفقيه بيوض ومحمد الفيلالي وهم من طنجة.

37. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 256، نقلا عن «المصباح» العدد الأول، مارس 1951، ص 63، بعنوان «علمائنا المنسيون».

38. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 523.

39. رسالته في 6 مارس 1882، الوثيقة 2115 (م و م).

40. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 154 (1) وكذلك مسودة رسالة الاعتماد في 24 محرم 1302/13 نونبر 1884، محفظة ألمانيا.

9 - 12 : محمد سباطة وأحمد الشديد وهما من الرباط، وأحمد بن محمد الحجام وهو من سلا مثله مثل : محمد بن الحاج محمد النجار⁴¹ المعروف بُولان الذي كان مولده في حدود 1863 ووفاته في حدود 1943.

تدرب بطنجة وتعلم اللغات ثم التحق بمدينة أولم Ulm بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية، وبعد ذلك بمعامل كروب. وعند أوبته عين برتبة مقدم للطبجية بطنجة ففُضي هناك نحوًا من 12 سنة. وأخيرًا استعفى ورجع إلى مسقط رأسه واشتغل بالفلاحة إلى أن وافاه أجله⁴². ويظهر أنه أعجب بما تعلم هناك، فلما سُئل قال : «النصارى كانوا يعلمون لعقل، والمسلمين كانوا خفيوه».

وعاد الأخير إلى المغرب فلبثًا بطنجة مدة ثم ذهب إلى سلا لصلة الرحم، وطالت على ما يبدو إقامتهما بها حتى انقطعت عنهما المؤونة، فكتب العامل إلى السلطان يتشفع لارجاعها لهما، مجيبًا عن رسالته إليه بتوجيههما له :

«وصل للعبد الخديم الكتاب الشريف وفيه أمرني أن أوجه الطبجيين محمد بن محمد النجار وأحمد بن محمد الحجام اللذين كانا يتعلمان ببلاد البروس وظهرت نجابتهما في حرفتهما. ومن لدن وردا من هناك انقطعت عليهما المؤونة التي كانا يقبضانها بطنجة من جملة الطبجية التي بها. فيطلبان من سيدنا أن يأمر بردها لهما...»⁴³.

فأجابه العاهل أن الطبجيين - اللذين توجهوا بالفعل إلى العاصمة - «قد وصلا، والعادة في ذلك أن من توجه لصلة رحمه فتسقط عنه المؤونة»⁴⁴.

هذا عن الطلبة، أما الجنود فكان عددهم خمسة عشر هم :

13 - 27 : السباعي البرطاعي، وأحمد الرحمانى، ومحمد القصري، وابن ميلود المكناسي، ومحمد العوني، وأحمد الحمري، ومبارك العبدى، ومحمد الداودي، والعربي المكناسي، ومحمد السوسي، ومحمد المسفيوي، وسعيد [بن قدور] الحمري، ومحمد بن الحاج الهشتوكي، ومحمد الوعدودي، وابن أبي شعيب الدكالي⁴⁵.

وقد وصلوا إلى ألمانيا في مارس 1885، فكتب سفيرها إلى بركاش «معلمًا بوصول المتعلمين المشار إليهم، وأنه عين لهم المعلم، ومحل التعلم مع تمام الاعتناء، وبين ما يلزمهم لصائرتهم في كل شهر، وقدره 303 ريال، وقد كُتب ولدنا - حسبما عنده من التكليف بذلك - لأمناء مرسى طنجة بأن يكونوا يدفعوا العدة المذكورة في كل شهر...»⁴⁶. وبعد شهرين تقريبًا عاد إلى المغرب عدد من المدفعيين لم ترد أسمائهم في المصادر. فهل كانوا ضمن فوج آخر

41. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 153.

42. نقلت ترجمته عن ابنه صديقي محمد، وهي التي جعلتها في الملحق الأول من «الاتحاف الوجيز» لمحمد بن علي ص 173.

43. جوابه في 20 شعبان 1305/2 ماي 1888، الوثيقة 11.348 (م و م) عن كتابه بإرسالهما إلى العاصمة المؤرخ في 6 شعبان / 18 أبريل، وثائق آل بنسعيد.

44. جوابه للعامل في 2 رمضان 1305/13 ماي 1888، وثائق آل بنسعيد.

45. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 153 - 154.

46. رسالة النائب بركاش إلى السلطان في 14 جمادى الأولى 1302 / فاتح مارس 1885، محفظة بركاش.

أنهى تدريبه ؟ ومهما يكن فقد كتب الحاج محمد بركاش إلى السلطان يخبره «بأن الطبقية الذين كانوا بقصد التعلم عند التاجر كروب بألمانيا واردون في الأثر بعد بذل المجهود في تعليمهم، فقد وردوا قبل تاريخه بأيام أقاموها للاستراحة من سفر البحر، وها هم يصلون حضرة مولانا العالية بالله صحبتته»⁴⁷.

ومن استقراء رسالة أخرى تبين أن عدد الجنود المتدربين لم يكن خمسة عشر، وإنما ثلاثة عشر في صيف سنة 1885، استلزم الصائر عليهم نحو 3000 فرنك (نحو 600 ريال) من أجل شهرين. وهكذا جاء في رسالة فيبير إلى الطريس أن بورجرس Burgers أحد رجال الأبنك ببرلين «المكلف على لوازم ومصاريف الثلاثة عشر شخص من عساكر حضرة السلطان نصره الله... يتشكى من الأمناء هذه المرة الثالثة، ولم يرسلوا له الدراهم الموجبة إلا بعد مراجعتهم مرارا. والبنكر أخبرني أنه أرسل أخيرا كتاب للأمناء مع الحساب تاريخ 6 شهر الفارط، وبه يطلب منهم إرسال دراهم، ويطلب له الآن نحو ثلاثة آلاف فرنك وكسور، فلم أرسلوا له ولا جاوبوه على كتابه. فهذا أمر غير لائق، لأن ذلك البنكر لم قبل هذه الكلفة إلا على طلبنا منه... فيحصل من هذا السبب تكدير الخواطر وتوقيف علم العساكر. ومؤكد أن الحضرة الشريفة لا تقبل ذلك. فيلزم أن تجعلوا أحد البنكرية في باريس أم في غير محل أن يدفع بلحين ما هو واجب إلى مسني كون وبرجرس في برلين، لأن يعز عليه - إن حين لزوم الدراهم إلى العسكرية - يحتاج أن يساعها...»⁴⁸.

هاته الرسالة على أخطائها مفهومة، وتدل على حدوث تأخير في أداء المصاريف.

على أنه يفهم من رسائل أخرى أن مدة تدريب الجنود والمدفعيين بمعامل كروب لم تكن طويلة، مما سهل إيفاد مجموعة صغيرة منهم، مثل التي رجعت في نهاية يوليو من 1885 عندما قررت الحكومة الألمانية أن ترد الجنود «الذين كانوا توجهوا إلى برلين بقصد علم العسكرية» لأنهم «الآن حصلوا المقصود والمراد بجميع علوم حركات العسكرية» ولأنهم «أتقنوا هذا الفن ويقدرنا يعلمون الآخرين...»⁴⁹، وكذلك قبولها تعليم 16 من الجنود ببرلين في صيف السنة نفسها⁵⁰. وهكذا استمر إرسالهم على ما يظهر، ولو لم أقف على أسماء الستة عشر ولا على أسماء الآخرين المحتملين بعدهم، سوى :

28. الحاج محمد زنيير السلاوي المدعو «الباش» الذي كان مدفعيا ورشح سنة 1889 للتعلم عند كروب. ولما عاد بعد التدريب عين بمدفعية طنجة، وكان حاضرا أثناء استرجاع طرفاية من يد الانجليز⁵¹. ولم يرد بيان عن المدة التي قضاها بألمانيا ولا عمن رافقه من الجنود أو المدفعيين، إن كانوا فعلا قد عينوا معه. ويظهر لي أن هذا الطبقي هو شقيق الحاج علي بن أحمد بن عبد القادر الذي مكث بمصر بضعا وعشرين سنة، والذي كان من رجال الدعوة الوطنية الأولين.

47. رسالته في 8 شعبان / 23 ماي، محفظة التعلم بالخارج.

48. رسالته في 9 يونيو 1885، نطوان 18/48.

49. رسالة منصور ملحمة إلى الطريس في فلتح شنتبر 1885، محفظة ألمانيا.

50. رسالة فيبير إلى الطريس في 11 يونيو 1885، نطوان 18/48..

51. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 1 ص 380 ورسالة السلطان إلى الحاج محمد بن سعيد في 15 شوال

14/1306 يونيو 1889، وثائق آل بن سعيد.

وهناك طلبة ومتعلمون غيرهم لم أَعثر على أسمائهم في المصادر المخطوطة المغربية، ولا على تاريخ تعلم بعضهم ومكانه : لكن كيين ذكر بعضهم ممن كانوا يدرسون اللهجة المغربية الدارجة للالمانيين ببرلين بمعهد اللغات الشرقية المحدث سنة 1887. وكان أول من اختير منهم هو «أبو سلام» أي عبد السلام التيسولي الذي وظف المعهد سنة 1891. أما الآخرون فهم :

29. الجبلاي بن البشير تعلم هناك وصار سنة 1896 مدرسا للعربية⁵².
30. الجبلاي الشرقاوي عين سنة 1899 إلى 1903 حتى عوضه الميلودي الرباطي المتعلم الأول. وكان الشرقاوي قد التمس نيل الجنسية الألمانية، وعاد سنة 1903 إلى المغرب وصار كاتباً للقتصل الألماني بالدار البيضاء⁵³.
31. أبو بكر عين مدرسا سنة 1904 بدلا من الميلودي الرباطي المتوفى في السنة قبلها، وصار سنة 1905 يعينه في التعليم الأستاذ الألماني الدكتور ليبيرت Lippert⁵⁴.
وهو أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب الذي اقترح ليكون ترجمانا للوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء⁵⁵، ولكنه لم يُقبل.

وقد ولد بقسنطينة حوالي 1870 من أب مغربي، تعلم العربية والفرنسية بعاصمة الجزائر، وتجول ببعض بلدان المشرق واستقر مدة بالعاصمة العثمانية، وهناك اتصل بزعماء الأتراك، ثم ساح بأروبا وأقام بألمانيا مدة وتزوج هناك من إحدى الفتيات ومكث ببرلين بضع سنوات، ثم عاد إلى المغرب واستوطن بطنجة وأنشأ جريدة «إظهار الحق» الأسبوعية وتعاطى مهنة المحاماة، وكان مندوبا للمخزن في شركة التبغ بطنجة.

ولما اندلعت الحرب العظمى اعتقلت السلطات الفرنسية بعض الألمانيين المقيمين بالمغرب وجماعة من محبيهم وعمالهم، فكان أبو بكر وزوجته الألمانية ممن مسهم هذا الاجراء، فنفي إلى سلا حيث فرضت عليه الإقامة الاجبارية، وبقي بها مدة تعرف على بعض رجالها مثل الحاج عبد اللطيف بن الهاشمي الصبيحي. وبانتهاء الحرب رجع إلى طنجة ومكث بها حتى توفي في 21 أبريل 1930. امتاز أبو بكر العلوي بثقافة جيدة فكان يحسن الفرنسية والألمانية ويحفظ غرر الشعر العربي ويجيد الضرب على العود⁵⁶.

المطلب الخامس : إنجلترا

استقبلت طلابا وعمالا بمدارسها ومصانعها، وكان أولهم ثلاثة طلبة من أهل فاس تعلموا - أو تعلم بعضهم - بمدرسة المهندسين بالمدينة المذكورة، وفي سنة 1874/1291 رشحوا

52. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 523.

53. أيضا.

54. كذلك.

55. الورقة 24 من كناش مكاتيب المندوبية السعيدة رقم 2720 ك (خ ع).

56. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 313، وله ترجمة بقلم الحاج أبي بكر الصبيحي بكناشته بالخرانة الصبيحية بسلا.

لدراسة بطنجة حيث لقنوا مبادئ اللغة الانجليزية طيلة سنتين إلى حدود سنة 1876 حيث يمموا وجههم شطر مدينة لندن للالتحاق بمدرسة المهندسين كاطان Royal Engineers of Chathan، ومكثوا فيها خمس سنوات، وبعدها رجعوا إلى المغرب. وما هي أسماؤهم :

1 - 3 : محمد بن محمد الغياص المتوفى بالحجاز سنة 1353/1933، وقد تقلب في وظائف سامية منها وزارة الحرب والنيابة السلطانية بطنجة والصدارة العظمى، والحاج إدريس بن عبد الواحد بن بوعزة الذي كلف بمهام مختلفة منها توليه قيادة مدفعية طنجة، والزبير بن عبد الوهاب سكيرج⁵⁷ المولود بفاس سنة 1266/1850 والمتوفى سنة 1352/1932 بتطوان. وقد عهد إليه بمناصب متنوعة في الداخل والخارج وخلف بعض الآثار⁵⁸.

أدى المخزن نفقات تعلمهم، منها 160 جنيها سنة 1879 واعتني بتعليمهم حسبما جاء في رسالة جون هي إلى الصدر الأعظم محمد بن العربي، حيث قال إن السلطان أهدى لمدير المدرسة عددا من السكاكين ومائة جنية، وأن «كبير الهندسة في كاطان ظهر له أنه من المهمات لتعلمهم وتحضيرهم أن يتجهوا ينظروا الأبراج الكبار في بلادنا وفابركات المخزن في صنعة البارود والمدافع وءالة الحرب الصغيرة مثل المكاحيل ونحو ذلك، وأيضا ينظروا محل استقرار المحلة من العسكر الكبيرة في بلادنا في كيفية تحركهم في حال تحربهم، فهذا كله زيادة في معرفتهم وتفقههم مثل قراءته في الكنائش...»⁵⁹.

وقد عادوا إلى المغرب في بداية سنة 1880، «فقد تعلموا واستوفوا المقصود... في هذه المدة إلقية التي غيّرهم يستحق ضعفها، وقد مدحهم لا في القابلية والفهم والنجابة ولا في المروءة ومقابلة ما كانوا بصدده، وقد وردوا الآن...»⁶⁰ من الخارج، ثم وجهوا إلى الصدر الأعظم لكي يقدمهم للسلطان حيث «وصلوا وأنهيت أمرهم لمولانا نصره الله، وأمر أعزه الله بنزولهم وبالإيصال عليهم، ولا يروا إلا ما يسرهم...»⁶¹.

4. محمد بن الحبيب الفيلالي المكناسي المتوفى بمراكش سنة 1916 تعلم صناعة الميكانيك بإنجلترا⁶² بمدرسة وفي تاريخ لم أقف عليهما.

وهناك فضلا عنهم عمال دور السلاح المغربية الذين أرسلوا عدة مرات إلى إنجلترا وخصوصا سنة 1884 لتعلم صناعة الأسلحة⁶³. ويحتمل أن يكون هذا الطالب الرابع منهم.

57. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 150 وكذلك «الوثائق» : 3 ص 494.

58. عبد الغني سكيرج : «مذكرة الزبير سكيرج» في «مجلة دار النيابة» العدد 8 ص 28 وما بعدها، ومحمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 246.

59. رسالته في فاتح يناير 1880 في «الوثائق» 6 : ص 26 - 27.

60. رسالة بركاش إلى السلطان في فاتح ربيع الأول 12/1297 يراير 1880، الوثيقة 9929 (م و م).

61. رسالة محمد بن العربي إلى بركاش في 15 جمادى الأولى 25/1297 أبريل 1880، الترتيب العام.

62. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 252.

63. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 97 (1).

المطلب السادس : إسبانيا وجبل طارق

أوفدت عدة أفواج : واحد إلى نواحي مدريد، وأفواج أخرى إلى جبل طارق. والفوج الأول الذي أمر بإرسال أفرادهِ إلى إسبانيا سنة 1874/1291 تألف من ثلاثة طلاب هم :

1 - 3 : أحمد بن الحاج العباس بنشقرُون وهو من فاس، ومحمد الشدادي، وعبد السلام الفاسي⁶⁴ وهما من الرباط⁶⁵ تعلموا بأكاديمية المهندسين بوادي الحجرة Guadalajara⁶⁶ شرقي مدريد. وقد قضوا في دراستهم كلها 9 سنوات، فتعلموا بطنجة مدة سنتين اللغة الأسبانية ومبادئ العلوم والتحقوا بإسبانيا سنة 1876، ثم رجعوا إلى المغرب في صيف سنة 1884. وعن ذلك جاء في رسالة السلطان إلى الطريس : «وصل كتابك بأن الطلبة الثلاثة المسمين بطرته الذين كانوا يتعلمون بمدريد وردوا بعد تحصيلهم ما توجهوا لتعلمه... فقد وصلوا»⁶⁷.

أما جبل طارق فقد سافرت إليه أفواج كثيرة من الجنود وقليل من الطلبة ابتداء من ربيع الثاني 1293 / أبريل 1876.

وكانت الدفعة الأولى متركبة من 25 فردا : 21 جنديا و 4 ضباط كانوا في مرافقتهم وهم : القائد علال بن بلأ المراكشي، والقائد بناصر بن عبد الرحمان، والمقدم الأول المختار بن ناصر المراكشي، والمقدم الثاني العربي بن التاودي السقاط الفاسي. وكانوا جميعا قد أوفدوا بقصد التعلم. كان هذا الأخير الذي التحق بهم «تعلق باله بتعلم علم الطب فوجهناه زائدا على العدد 24 الذي توجه بفصد السفر إلى جبل طارق، فيصير جميعهم خمسة وعشرين 25 عسكريا»⁶⁸.

وبعد أن قضى 12 من هذا الفوج نحو السنة عادوا إلى المغرب، وبقي 13 يواصلون تدريبهم هناك، وأضيف إليهم فوج آخر من المتعلمين تألف من 85 شخصا : 70 من الجنود و 10 من الطبجية لم تذكر أسمائهم و 5 من الطلاب الذين كانوا أطباء بالجيش وهم : أحمد الزواقي العلوي المراكشي، ومحمد «حمان» الجامعي، وإدريس بن المكي الشراذي، والجيلالي بن التهامي الشراذي، والجيلالي بن العربي البخاري.

والدفعة الثالثة اشتملت على 170 جنديا لم ترد أسمائهم، وكان علي رأسهم القائد محمد الزروالي، وصلوا إلى هناك بعد مغادرة أفراد بقية الفوج الأول ومجموع أعضاء الفوج الثاني. وبقي معهم الحاج علي المومني الذي ربما جاء خلفا عن القائد علال بن بلأ الذي لعله توفي هناك. وكان مجموع من تعلم بجبل طارق 280 متعلما⁶⁹ حسب ابن زيدان الذي لم يحط بالعدد الحقيقي، ولم يسم جميع أفراد البعثات المتعددة، مقتصرًا على ذكر أسماء القليل من الضباط والطلبة.

64. لقيه الحسين الزعري بالرباط سنة 1899 ونعته بالفاسي في مذكرته، وقال له إنه كان يتعلم بمدريد، فهو إذن عبد السلام الفاسي أصلا، الرباطي منشأ.

65. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 151.

66. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 96.

67. رسالته في 22 شوال 1301 / 15 غشت 1884، تطوان 2 / 153.

68. رسالة موسى بن أحمد إلى عامل فاس في 3 رجب 1293/25 يوليوز 1876 في «الوثائق» : 3 ص 459.

69. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 467 و «العز والصولة» ج 2 ص 152 و 153.

والحاصل أن مجموع من تعلم بجبل طارق بين سنتي 1873 و 1877 بلغ 425 كان من مدربيهم الكولونيل كيمرون Cameron⁷¹، بمعنى أن فوجا رابعا أو أكثر تركب من 145 جنديا أو متعلما قد تلقى هنالك تدريبا.

المطلب السابع : إيطاليا

استقبلت إيطاليا عدة أفواج من الطلبة أظنها - لاضطراب المصادر - خمسة. وتركب الفوج الأول من ثلاثة هم :

1 - 3 المختار بن الطاهر الرغاي البخاري، وعبد السلام بن الجيلالي عينوش ومحمد بن أحمد بناني الفاسي⁷². وقد التحقوا بأكاديمية مودينا العسكرية وأقاموا هنالك سبعة أعوام ابتداء من سنة 1876/1293. ثم لما رجعوا أواخر سنة 1882 اقترح سكواصو على الوزير محمد بن العربي الجامعي أن ينتظموا في الأسلاك المخزنية ليتولوا تدريب الجنود⁷³.

ونذكر برغاش في رسالته إلى السلطان أن «الطلبة الثلاثة الذين كانوا يتعلمون ببلاد إيطالية... : قد تعلموا ما توجهوا بصدد تعلمه ووردوا بإجازة كبير المدرسة وشهادات بأنهم استوفوا الغرض، وكل واحد منهم ماهر عن الآخر في فن. ولما وصلوا لطنجة طلبوا منا صلة رحمهم... لكونهم ذكروا أنهم هذه سبع سنين وهم غائبون عن بلادهم، فساعدناهم لذلك بشرط أن يتركوا هنا بطنجة جميع الكتب وءالات التعلم التي وردوا بها... فقبلوا ذلك، وهم بصدد التوجه غدا إن شاء الله...»⁷⁴.

وقد أنعم السلطان على مدير مدرسة مودينا بمكين مذهب⁷⁵ جزاء له.

وفي سنة 1911 تلبس المختار بالحماية الإسبانية فأصبح كاتباً للقائد العسكري الإسباني بالقصر الكبير. وعلى ذلك احتج المخزن في رسالتين إلى السفير الإسباني «في شأن المختار الرغاي الذي انتظم في خدمة جنودكم بالقصر، وبينا لكم حاله، وأنه رجل من الجيش المخزني خلفا عن سلف، وأن جانب المخزن كان صير عليه أموالا في تعليمه في المدارس الأوروبية ثم استخدمه بصفة مهندس مدة. ولما نظمت قوة القصر وجه إليها بصفة علاف للعسكر السعيد...» وأن «جانب المخزن الشريف بلغه ذلك وساءه غاية، وأنه لا يسلم - بحال - حماية

70. رسالته إلى برغاش في 1 جمادى الثانية 1294/13 يونيو 1877، محفظة جبل طارق.

71. ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 225 (9).

72. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 150، وقال محمد المنوني في «مظاهر...» ج 1 ص 146 إنه محمد العلمي الشهير بيناني الذي كان يدرس بمدرسة المهندسين بفاس، ولعل الآخرين كانا من طلابها أيضا.

73. رسالته إليه في 18 و 21 يناير و 14 يوليوز 1883، الوثائق 14107 و 101 و 108 (م و م)

74. رسالته في 7 شوال 1299/22 غشت 1882، الترتيب العام.

75. رسالته إلى برغاش في 21 محرم 1300 / 2 جنبر 1882، خ ع بالرباط.

من هو متوظف في الخدمة المخزنية، خصوصا هذا الرجل الذي زاد على ذلك بالخوض وتكدير الخواطر...»⁷⁶.

والفوج الثاني تألف من قرابة خمسة عشر طالبا التحق أكثرهم بالمعهد الدولي بطورينو، ثم انتقل أغلبهم إلى أكاديمية ليفورنو البحرية⁷⁷، وبعض أعضاء هذا الفوج تعلموا بطنجة عدة سنوات مبادئ اللغة الإيطالية. وبدأ الحديث يدور حول تسفيرهم ابتداء من أواخر سنة 1887. وهذا ما تفيد به رسالة سلطانية إلى الطريس: «وصل كتابك بورود المتعلمين عليك المعينين من الرباط وسلا والعرائش للتوجه لبلاد الطليان للتعلم بها، وزيادتك عليهم المتعلم الذي ذكرت، لمعرفته باللسان الطلياني وفطنته ونجابته ليترجم لهم ويأخذ بأيديهم، وسفره لبلاد الطليان في مركبه الذي ذكرت...»⁷⁸. ولئن كانت هاته الوثيقة لا تفيدنا إلا بحدوث السفر، فلا نعرف منها أسماء الطلبة ولا عددهم ولا اسم المرافق لهم.

وهناك قرب هذا التاريخ رسالة سلطانية أخرى إلى النائب السلطاني تخبرنا بالعدد وهو 15 طالبا وبنفقات السفر إلى طورينو عبر جنوة: «وصل كتابك بأن نائب الطليان كتب لك... أن مُرتَّب المتعلمين الخمسة عشر الواجب لهم في كل سنة هو 37.500 سبعة وثلاثون ألفا وخمسمائة من البسيطة بحساب ألفين وخمسمائة من البسيطة لكل واحد منهم، وطلبه إصدار أمرنا الشريف للأمناء بدفعه لهم مع صائر سفرهم من جنوة لتؤرين محل التعلم، الذي لازالوا في انتظار ورود بيانه عليهم...»

«أما مُرتَّب المتعلمين السنوي المذكور فقد أصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى طنجة بأن يدفعوه للنائب على يدك، وبعد مضي السنة يدفعون له راتب سنة أخرى... وبأن يدفعوا له على يدك صائر سفرهم لمحل التعلم حيث يرد بيانه عليه»⁷⁹.

هاته الرسالة تتعلق بالفوج الثاني الذي كان ضمنه محمد بن علي ابن طوجة الرباطي أتى الذكر حيث قال في مذكرته إنه سافر مع الوفد من الرباط إلى طنجة في محرم 1305/ شتنبر - أكتوبر 1887 حيث مكثوا شهرين بها إلى أن استقلوا في نونبر الفركاطة أوفونداتوري Affondatore ووصلوا إلى طورينو حيث تعلموا ثم التحقوا سنة 1892 بالأكاديمية البحرية بمدينة ليفورنو. وكان عمره حين سافر 11 سنة، وقضى بإيطاليا 11 سنة أخرى. أما رجوعه فكان يوم 4 يونيو 1897 على متن الفركاطة لينطو Lepanto⁸⁰.

والفوج الثالث سافر بعد الثاني بسنة وكان من بين أعضائه الحسين الزعري الذي لم يرحل مع رفاقه إلا أواخر سنة 1888، وعلينا أن نستعين بمذكرته ومذكرة الجبلي. قال الزعري: «غادر [الوفد الثالث] طنجة آخر المحرم 1306/ أواخر شتنبر 1888، ونذكر أن مجموع الطلبة 24 فردا من الفوج الثاني والثالث (لكنه لن يسمي لنا إلا 21 فقط)، وكانت أعمارهم تتراوح بين 13 و16 سنة، وهم 10 من الرباط و5 من سلا و4 من العرائش و2 من فاس،

76. رسالتان في 19 و25 رجب 1329/16 و22 يوليوز 1911، الترتيب العام.

77. ميج: «المغرب وأروبا» ج 3 ص 222.

78. رسالته في 17 ربيع الأول 1305/3 دجنبر 1887، تطوان 35/6.

79. رسالته في 18 ربيع الثاني 1305/3 يناير 1888، تطوان 46/6.

80. نقل لي هاته المعلومات وغيرها من كناشة ابن طوجة ابن أخيه صديقي عبد الحق بنطوجة.

فوصلوا إلى جنوة ثم إلى طورينو⁸¹ ثم رجع الكثير منهم إلى المغرب قبل سنة 1897. ولم يرد في تقييده تمييز لتاريخ سفر هؤلاء الواحد والعشرين من الطلبة.

وقبل أن أدخل في التفاصيل عن أسمائهم وأحوالهم أشير إلى تلميح ورد في رسالة أخرى سنة 1891 حول العزم على سفر سبعة من المتعلمين إلى إيطاليا : «طلب نائب الطلاب تفسير المتعلمين السبعة لغة الطلاب بطنجة لايطاليا يكملون بها التعلم، فأصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى طنجة بأن يجروهم مجرى غيرهم من المتعلمين...»⁸². فقلعه يعني فوجا رابعا. فهل سافر أعضاؤه في الواقع ؟ وهل إذا أضفنا هؤلاء السبعة إلى عدد الطلبة الواحد والعشرين الذين جاءت أسماءهم في المذكرة سنحصل على عدد الطلبة الكلي الذي سنجده في النهاية بزيادة طلبة آخرين عليهم سنقف على أسمائهم ؟ هذا محتمل جدا، وبذلك سنفترض عدد هاته الدفعة الرابعة سبعة أفراد، وعدد أفراد الدفعة الخامسة من تبقى من المجموع.

وأن لنا أن نستعرض أسماءهم من مصادر مختلفة، مع بيان نوع تخصص الكثير منهم من مذكرة الزعري وبتعبيره أيضا :

4 - 5 : مصطفى الحلو، ومحمد القباچ (قانون التجارة والحساب)، وهما من فاس.

6. علي السوسي وهو من العرائش وكان في مدرسة المشاة بمودينا بعد أن تعلم بطورينو.

7. محمد التدلاوي وهو رباطي تعلم بطورينو ثم بمدرسة المشاة بمودينا. وقد أنهى حياته فلاحا ببلاد السراغنة.

8. محمد بن الوزاع وهو رباطي تعلم مثل سابقه بطورينو ثم بمودينا. وقال أحمد الجبلي العيدوني في مذكرته أنه من أقاربه وأنه غادر المغرب إلى مدينة ساو.باولو بالبرازيل منذ سنة 1902، فلم يعد من هنالك بعد ذلك.

9 . محمد بنقمر العبّاري المولود بالرباط سنة 1877 والمتوفى سنة 1958 وجه إلى إيطاليا سنة 1891 وقضى خمسة أعوام بمدرسة طورينو وانتقل سنة 1896 إلى مدرسة الخيالة بمدينة مودينا، فتخرج منها سنة 1898 برتبة ضابط. وفي السنة بعدها رافق بعثة إلى ألمانيا لشراء تجهيزات عسكرية من معامل كروب. وفي سنة 1907 عين قائدا لطابور الخيالة بطنجة.

81. هاته المذكرة منشورة في «دعوة الحق» عدد نونبر 1968 ص 143 - 148 بعنوان : «مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة» وهي من تلخيص الحاج أحمد معنيو. وينبغي مراجعة أصلها لمزيد من التثبت في الأسماء والأحداث والتواريخ، فلربما ارتكب صاحبها أو صدر من ملخصها سبق قلم أو سهو في نقل التفاصيل التي نحن محتاجون إليها. فيتعين الاحتراز من بعض المعلومات الواردة فيها.

على أنني كنت قد رجوت من أستاذنا الفاضل الحاج أحمد معنيو أن يطلعني على أصول مذكرة كل من ابن الكعاب والزعري فوعدني خيرا. ولما رأيت أن في ذلك إرهاقا لصحته عدلت عن تكرار طلبي، مكفيا منه بما كتبه عنهما ولو على حالته .

82. رسالة السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الأولى 1309/22 دجنبر 1891، تطوان 81/10.

ومن سنة 1924 إلى 1941 صار قائدا لقبيلة الخلوط بعرباوة حتى رجع إلى مسقط رأسه حيث كانت وفاته. وكانت له معرفة بعدة لغات أوروبية⁸³.

10. أحمد بن محمد بن عبد الله العيدوني المولود يوم 13 صفر 1283 / 27 يونيو 1866 بمدينة الرباط التي توفي بها يوم 6 نونبر 1936.

وقد خلف مذكرة سيأتي نصها بالفرنسية ثم معربا في ملحق بآخر هذا الفصل. فقد اشتملت على فوائد عن حياته ودراسته بإيطاليا وفيها إنه كان ضمن بعثة خرجت من طنجة يوم 24 نونبر 1887 (8 ربيع الأول 1305)، فوصلت إلى جنوة يوم 27 منه على ظهر الجواله الإيطالية «غاريبالدي». وللغد التحق بالمعهد الدولي بمدينة طورينو حيث تلقى التعليم الأولي والثانوي، وفي أكتوبر 1891 دخل لمدرسة تكوين ضباط المشاة بمدينة مودينا. وبعد سنة نجح في مباراة الدخول للأكاديمية العسكرية لضباط المدفعية بمدينة طورينو ومكث فيها ثلاث سنوات (أكتوبر 1892 - 15 يوليوز 1895)، وتخرج ضابطا وأرسل للتدرب ببعض المناطق الجبلية بإيطاليا.

وكانت عودته إلى المغرب سنة 1896 حيث عين لشغل مناصب عسكرية. وفي 13 مارس 1902 قدم استقالته من الجيش ونال ظهيرا يسمح له بفتح مدرسة ليعلّم فيها للأطفال المغاربة الرياضيات واللغات الأجنبية بمدينة الرباط التي كان قاضيها معرقلا لجهوده بسبب التعصب، ولربما أيضا لأنه كان قبل ذلك تزوج من فتاة أجنبية من نبلاء روسيا.

ونذكر لي ابنه الدكتور الحاج أحمد الجبلي أن أباه مولاي أحمد لما انقطع عن العمل مع المخزن أخذ يشتغل بالفلاحة، وأنه كان ممن سجن في قضية الظهير البربري سنة 1930 بسجن العلو بالرباط حيث حرر مذكرته.

والحاصل أن مولاي أحمد كان طالبا مجدا في دروسه.

وعن اجتهاده قال مالموسي إنه «رجع أخيرا من إيطاليا لكونه [هـ] تم تعلمه هناك» وأنه «يسافر في هذا النهار من طنجة متوجها لمراكش بقصد الامتثال لدى المخزن السعيد... فإن السيد أحمد الجبلي تعلم علم الطبجية، وتعلم أيضا العلوم المتعلقة بخدمة طبجية الأجنال والأبراج. إن هذا الشاب ظهر منه دائما مدة إقامته بإيطاليا التمشي على أحسن السيرة والولعة بالتعلم على وجه خاص، وقد استفاد بالتعلم... هذا وحيث السيد أحمد الجبلي قد امتاز بإيطالية لأجل ما ذكر وقد تعلم أمور حربية مهمة فلا شك عندي بأن سيادتكم توصي به خيرا المخزن السعيد...»⁸⁴.

فكتب الحاجب عنه إلى الطريس «لما ظهر فيه من النجابة في اللغة الطليانية وقلمها وفي اللسان الفرنسي كذلك، وكونه في المرتبة الأولى من مراتب الطبجية...»⁸⁵.

83. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 189. و قد استفدت تفاصيل أخرى عن حياته من دفتره العسكري الذي بحوزة صديقي الكولونيل مصطفى بنعمر الذي ذكر لي أن أصل أسرته من الشاوية، قبيلة أولاد حريز، فرقة العبارة.

84. رسالة مالموسي إلى الطريس في 5 مارس 1896 تطوان 95/57

85. رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس في 20 شوال 1313/4 أبريل 1896، تطوان 86/202 وكذلك تطوان 32/24.

11. عبد الله التيال السلاوي تعلم بطورينو، وكان من أنجب الطلاب، غير أنه مات بإيطاليا بعد مرض أصابه حسبما قاله الزعري الذي لم يحدد تاريخ وفاته ونوع تخصصه وتخصص من بعده :

12. محمد بن الحاج محمد القجيري الذي سافر إلى إيطاليا سنة 1888 فدرس بالمعهد الدولي الإيطالي بطورينو. ولما أنهى دراسته وعول على الرجوع عاجلته المنية ربما في صيف 1897، حين رجع في 4 يونيو الطلاب الذين كان ضمنهم محمد بن طوجة. وكان قد كتب إلى أبيه يعلمه بنجاحه وبقرّب أوبته، طالبا منه أن يقتني له جلابة وبلغة وملابس يحملها بعد عودته، وذلك في رسالة متوجة باسم مدرسته⁸⁶. ويبدو من مذكرة الزعري أنه كان منصرف الهمة إلى التسطير والتوريق، فلربما تعلم صناعة السلاح. وكلا الطالبين السلاويين كانا ممن تعلم اللغة الإيطالية بطنجة⁸⁷.

13. العربي بن محمد حركات قال الزعري إنه كان منصرف الهمة إلى النحو والشعر، ولو لم يورد تخصصه الذي اعتقد أنه كان تدريب الجند. إذ لما عاد سنة 1897 عين لتعليم جنود المدفعية بالجديدة، لكن اشتكى بـ «الطالب العربي السلاوي» لتقصيره في العمل وشجاره مع رئيس المرسى⁸⁸. وقد توفي في العشرينيات من القرن الرابع عشر الهجري.

14. 15 محمد ابن جيئي من سلا ومحمد ابن العياشي من الرباط كانا عضوين في الوفد⁸⁹ لم يرد لهما ذكر عند الزعري.

16. 21 فضول بن صالح ومصطفى الودي ومحمد البورجالي العرائشيون، ووظف الأولان بمعمل السلاح بفاس، وأحمد أحرسان وهو طنجي، والتهامي مبيركو وهو رباطي، ومحمد بن أحسن بن محمد بن اسماعيل⁹⁰ وهو سلاوي وكانوا كلهم يتدربون على

86. هذا ما ذكره لي صديقي الصيدلي عبد الله بن أحمد القجيري الذي قال لي إنه رأى بعضا من رسائله المتوجة باسم المدرسة والتي ضاعت لأسرته فيما بعد.

87. رسالتا الحاج محمد برقاش إلى الطريس في 25 قعدة 5/1302 شتنبر 1885 و3 رمضان 5/1303 يونيو 1886، كلتاهما بالمحفظتين 186/70 و82/71 بتطوان.

88. جواب السلطان إلى أمين المستفاد في 10 رجب 5/1315 جنبر 1897، الترتيب العام. وينتمي العربي إلى أسرة من العلماء السلاويين المشهورين، فقد كان أبوه محمد بن بناصر شاعرا وفقهيا، وتوفي بسلا عام 1898، ومثل ذلك كان أخوه محمد المتوفى في أواسط القرن العشرين. وللعربي ولأبيه ترجمة عند الجراري في «من أعلام...» ج 2 ص 368 ثم ص 106.

وكان العربي في أواخر أيامه إماما بأحد مساجد العكاري بالرباط، ومع ذلك لم يفتأ يطلع الصحف الأجنبية.

89. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 467 - 468.

90. يقال إن أباه الأحسن ابن اسماعيل، الذي لما كان له كتاب، ألح عليه العامل فوهبه ابنه للتعلم، لأن أي أب لم يكن يريد توجيه ابنه إلى الخارج، لكن حكى لي ابن أخيه التاجر بالحرارين بسلا أنه سمع أن عمه كان شرس الطبع لاسيما وأن أمه كانت قد توفيت وتزوج أبوه غيرها. فما كان من أبيه إلا أن تخلص منه فدفعه للتعلم بالخارج. هذا وقد أصبح أبوه الأحسن سنة 1901 إماما بالمركب «البشير» ثم صار عدلا بسلا.

صناعة السلاح والماكينات. وقد وظف أربعة منهم حسب رسالة السلطان : «وصل كتابك بأن المتعلمين الستة الذين كانوا يتعلمون بإيطاليا علم الماكينات ورد منهم الأربعة الذين سميت وتوجهوا لأعتابنا الشريفة، والاثنان الباقيان في الأثر يردان، وصار بالبال. فقد وصل الأربعة واستخدموا بالفبركة السعيدة هنا⁹¹» فهؤلاء إذن عادوا قبل غيرهم إلى المغرب سنة 1892.

22. **المكي بن مبارك** وهو رباطي جاء اسمه في رسالتين سلطانيتين سنة 1895 إلى الطريس : «نأمرك أن توجه لحضرتنا الشريفة المكي ابن مبارك الرباطي، أحد الطلبة الذين كانوا توجهوا في الرفقة الثانية لإيطاليا بقصد التعلم»⁹².

وجاء في رسالة أخرى بعدها أن المكي «وصل ونظم في سلك طلبة الألسن»⁹³. فهل كان يعلمها ؟ أم كان ترجمانا بدار النيابة ؟

هذا وكان أغلب هؤلاء السابق ذكرهم من الفوج الثاني والثالث ممن كانوا يدرسون بالمعهد الدولي بطورينو، وكانت السفارة متتبعة لأحوالهم، فكتب كانطاغالي سنة 1889 إلى غريط يخبره بأنه كتب «في شأن الأولاد الذين يتعلمون بإيطاليا لكبير المدرسة بتورين طالباً منه يخبرنا عاجلاً : هل ينبغي ردّ - من الأولاد المشار إليهم - من ليس فيهم قبولية للتعليم وإبدالهم بمن أحسن منهم في العقل. وما قد ورد علينا أمس تاريخه الجواب عن ذلك عن كبير المدرسة المذكورة، وقال لنا بأنه عن قريب يكون امتحان الأولاد فيما تعلموه، وإذا أظهر من هذا الامتحان أن البعض فيهم لم يتعلم على الوجه المطلوب وثبت بذلك عدم قبوليتهم للتعليم فيعجل لنا بأسمائهم لنعلمك بهم...»⁹⁴.

ويظهر أنهم كانوا مجدين، لعدم الوقوف على دليل حول استبدال غيرهم بهم. وحول مصاريف التعليم بطورينو طلب السفير من الطريس أن يوجه 9375 فرنكا عن الثلاثة أشهر الأولى من سنة 1890 ليعت بها لمدير المدرسة المذكورة⁹⁵.

23 24 : **المختار التونسي وأخوه الصديق**⁹⁶ هذان الطالبان طنجيان عينا للتعلم في منتصف سنة 1897 علوما بمدينة ليفورنو. وقد وردت الإشارة إليهما في مجموعة من الوثائق التي استشهد بها تباعاً.

قال الحاجب للطريس سنة 1897 عنهما أو عن غيرهما مثل المتعلم التسماني رقم 30 : «من جملة مطالب الطالبان ... طلبهم توجيه المتعلمين السبعة - الذين كانوا يتعلمون اللسان الطلياني بطنجة - إلى بلاد لطالية بقصد تعلم الصناعة البحرية... وحيث بالغ في الإلحاح ساعد على توجيه اثنين عوضاً عن الاثنين المتوفيين بلطاية، على أن يجعل تاويل سري لاستقدام المتعلمين الباقيين الآن بلطاية بعد نحو ثلاثة أشهر...»⁹⁷.

91. رسالته إلى الطريس في 10 رمضان 1309/10 مارس 1892، تطوان 127/10.

92. رسالته إلى الطريس في 2 جمادى الثانية 1313/20 نونبر 1895، تطوان 102/14.

93. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 رمضان 1313/27 يراير 1896، تطوان 145/14.

94. رسالته في 4 ماي 1889، وأخرى قبلها في 15 أبريل، وكلتاهما بمحفظه إيطاليا 2.

95. رسالة كانطاغالي إليه في 29 يناير 1890، محفظة إيطاليا 3.

96. هما شقيقان كما في «مظاهر...» للمنوني ج 2 ص 296، ويسمى عنده أحدهما : الصادق.

97. رسالته في 7 صفر 1315/8 يوليوز 1897، تطوان 15/24.

وبعد عدة أشهر راج حديث عن إرسالهما، فقد طلب النائب الإيطالي «تنفيذ تجهيز سفرهما وركوبهما بحرا واصلين للطالية»⁹⁸، ولعلمهما المختار والصدیق.

فعلى الرغم من إلحاح جانطيلي ومع وجود موافقة الحاجب على إرسال الطالبين الطنجيين فإنهما لم يوجها إلا بعد سنتين. وكان سبب هذا التأخير في التنفيذ هو بعض ما قدمته في الفصل الأول وذكره السلطان للطريس : «وصل جوابك بأن السبب في تأخير تنفيذ ما تقدم من توجيه اثنين من المتعلمين إلى إيطاليا هو الأمر الوارد عليك بتوجيه كل من المتعلمين السبعة الذين كانوا هنالك إلى حال سبيله... ففعلت....»⁹⁹.

فمنها يبدو أن المخزن بدأ يساوره شيء من الشك في فعالية التعليم بطنجة. وأخيرا انتهى الأمر باختيار اثنين فقط¹⁰⁰ من النجباء الطنجيين الصغار في السن بلا ريب، فوجها إلى إيطاليا بعد ذلك وسرح الخمسة الباقون.

على أن صغرهما كان مدعاة لخوف السلطان عليهما، بعد ما أشيع عنهما - حقا أو باطلا - من ميلان قلبهما لغير الاسلام، فقال للطريس :

«فقد بلغ علمنا الشريف أن الصبيين اللذين توجهتا للتعليم بإيطاليا صغيران لا يميزان بين ما يضر وينفع، وربما يخشى عليهما من تمكن شعائر غير الاسلام في قلوبهما وأشرئباب قلبهما لذلك حين صادف قلبا خاليا، بحيث إن رجعا يعسر محو ذلك من باطنهما، مع أنه كان ينبغي التنبه لمثل هذا وتوجيه من يومن عليه في التمسك بدينه.

«وعليه فنامرك أن تنظر فيما يمكن به تدارك ذلك كتوجيه من يناسب لملازمتها وكفهما عن تعاطي ما يفسد عقيدتهما ويحضرهما على عدم نبذ شعائر الاسلام كالصلاة والصيام مدة إقامتهما ثمة. وأعلم بما تقتضيه المصلحة ويمكن»¹⁰¹.

وقد لبث الطالبان أزيد من ست سنوات، وكان المخزن يدفع عنهما مبالغ من المال على يد المفوضية الإيطالية : 5 آلاف ليرة عن سنة 1905 أمر أمناء مرسى طنجة بدفعها¹⁰² ومثلها طوالب به عن «متعلمين بإيطاليا : أحدهما الصدیق والآخر المختار التونسي...»¹⁰³ سنة 1907.

98. رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس في فاتح رمضان 1315/24 يناير 1898، تطوان 128/24 و 131/24 وهي بتاريخ الأخرى موجهة إلى أمناء مرسى طنجة بالتنفيذ.

99. رسالته في 25 محرم 1318/15 ماي 1900، تطوان 5/18.

100. هناك التباس صدر في مذكرة الزعري الذي رجع إلى المغرب سنة 1898. فقد جاء في الصفحة 146 من «دعوة الحق» أنه لم يبق بعده من أعضاء البعثة سوى طالبين من طنجة هما قاسم والتمسماني الواردين فيما بعد في حين مات الطالبان التبال والقجيري رقم 11 و 12. فهل هما الطنجيان اللذان أعلن عنهما في بداية المذكرة فلم يسم إلا واحداً من الثلاثة وهو أحمد أحرضان ؟ (مثلما سها عن ذكر كل من المكي بن مبارك ومحمد بن العياشي الرباطيين ومحمد بن حيمي السلوي أصحاب الأرقام 14 و 15 و 22).

101. رسالته في 18 جمادى الثانية 1318/13 أكتوبر 1900، تطوان 120/18.

102. رسالة إلى الطريس في 27 ربيع الأول 1324/21 ماي 1900، كناش مكاتيب الطابع الشريف 1695 د (خ ع) ص 5.

103. رسالة الطريس إلى عبد الكريم بنسليمان في 5 محرم 1325/18 يناير 1907، كناش مكاتيب النيابة السعيدة 2720 كاف ص 261 (خ ع).

وأخر ما أسوقه عنهما رسالة سلطانية إلى النائب تشيد باجتهادهما ونجاحهما في العلوم البحرية ليفورنو على الراجح : «وصل كتابك وطيه نسخة ما كتب لك به نائب الطليان في شأن المختار والصدیق الموجهين بأمرنا الشريف للتعلم عندهم بأنهما أدخلتا في المرتبة الثالثة من التعلم، وزيد لهما على الثلاث سنين سنة رابعة لاكمال ما وجها لأجله، وأنه عين لهما مهندس خاص بتعليمهما مع ما تتحمله المدرسة من الصوائر لذلك، اعتناء بجانب المخزن إلخ، وطلبت إعانة والديهما بصلة لفقرهما، وصار بالبال.

«وعليه فنأمرك أن تجيب النائب المذكور باستحسان ما أشار إليه وتجاوزيه عن الاعتناء بالمناسب. وقد أنعمنا على كل واحد من الوالدين المذكورين بثلاثين ريالاً إعانة. وكتابنا الشريف للأمناء هناك بتنفيذها لهما على يدك يصلك طيه¹⁰⁴».

25. محمد بن الحاج علي ابن طوَجَّة المولود في 20 جمادى الأولى 1292/24 يونيو 1875 بالرباط الذي توفي فيه يوم 26 ربيع الثاني 1365/29 ماي 1946، وبعد رجوعه تقلب في عدة مناصب بالجيش والبحرية وسافر إلى تركيا واليابان في مهمات رسمية. ولما حلت في مارس 1929 طوابير الشرطة التي كان أحد ضباطها عاد إلى مسقط رأسه مشغلاً بالتجارة في المصنوعات التقليدية حتى وافته منيته.

26. 29. علي البورجالي من العرائش، ومحمد بن علي بن سالم، ومحمد الباشا، ومحمد البوهالي الشرقاوي، وهم من الرباط، وكل الخمسة الآخرين كانوا يدرسون بأكاديمية طورينو ثم انتقلوا لتعلم الملاحة البحرية بمدرسة ليفورنو الواقعة بالجنوب الغربي من إيطاليا، ومنها تخرجوا ضباطاً وعادوا إلى المغرب سنة 1897 ووظفوا رؤساء بمختلف المراسي بعد ذلك.

وجاء عنهم أن «الطلبة الخمسة الذين كانوا يتعلمون علم الرياسة البحرية ببلاد الطليان من أهل الرباط والعرائش ووردوا لحضرتنا الشريفة قد أصبحوا معهم إجازات شاهدة لهم بتحصيل ذلك العلم والتقدم فيه والبلوغ إلى الدرجة التي يحصل بها الاستغناء عن غيرهم في الخدمة البحرية، وهنا نسخ منها تصلك بطيه.

«فنأمرك بعرضها على ذوي المهارة في العلم المذكور ليطلعوها ويتأملوا فصولها ليجيبوا عن أهلها هل بلغوا إلى الدرجة التي يقدرون معها على مقابلة الخدمة البحرية استقلالاً، ويحصل الاستغناء بهم فيها عن غيرهم أم لا. وما أجابوك به وثبت عندك من حقيقة ذلك طير به الاعلام لحضرتنا الشريفة»¹⁰⁵.

وها نص نسخة منها كانت بيد محمد بن سالم، عربت في 12 صفر 1315 عن اللغة الإيطالية طبعاً :

«يشهد له وزير البحر الذي اسمه ماركيزي، الواضع اسمه أسفل الشهادة،

«بأنه يعرف علم الجبر والمقابلة، وعلم المساحة أي معرفة الأبعاد ومعرفة البقعة وما فيها من الذروع والأشبار ، والتصريف بعلم اللوغاريتم أي أنساب الأعداد في المساحات وجميع

104. رسالته في 15 حجة 1324/30 يناير 1907، نصها في الكناش 1695 د (خ ع) ص 83.

105. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 صفر 1315/11 يوليوز 1897، تطوان 14/16.

العمليات الحسابية، ويحسن اللغة الطليانية، ويعرف مبادئ اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ويعرف كيفية السفر في البحر، ويعرف التاريخ الأورباوي وأهمه تاريخ الطليان، ويعرف علم الجغرافية أي معرفة أرض كل دولة وحدودها وفي أي محل هي من الكرة الأرضية، ويعرف علم التنجيم المتوقف عليه علم البحر وعلم حرب السفن والمراكب في البحر، وكيفية صنع السفن، والطروبيدو (= الطوربيدو) أي مينة البحر، ومبادئ علم الكمية (= الكيمياء) أي معرفة ما في بعض المواد من الأجزاء المترتبة من تلك المواد والعناصر، ومعرفة الجو : من تغيير الهواء وصفاته وجودته، والرياح وتغيير بعض الأجسام»¹⁰⁶.

وبالطبع كانت لرفاقه الآخرين مثل هاته الشهادة¹⁰⁷ حسبما تقدم.

استمر تعلمهم بالخارج تسع سنوات استلزم صوائر من الميزانية العامة. ولأجله مثلا كتب النائب الايطالي مطالباً المخزن بدفع ما «صير على المتعلمين الخمسة الواردين من عندهم... في ضروريات قدومهم، زيادة على الصائر المعتاد الذي يوجه لهم عند رأس الثلاثة أشهر، وقدره خمسة آلاف واثنان وأربعون من الفرنك وأربعة عشر سنطيمًا»¹⁰⁸ أصدر المخزن الأمر بأدائها.

ولا مناص للحكومة من استخدامهم بعد أن ظلوا نحو السنة في طي النسيان، فقال السلطان للطريس عن الأربعة الأولين منهم بأنه «لا يناسب إبقاؤهم مهملين، إذ ربما يثول بهم ذلك إلى نسيان ما تعلموه.

«وعليه فما نحن أمرنا عاملي الرباط والعرائش بتوجيههم إليك ليستخدموا رؤساء... وما نحن أمرنا خدامنا أمناء مرسى طنجة المحروسة بتنفيذ ثلاث بساسيط لكل منهم في اليوم مئونة لهم...»¹⁰⁹.

وأجري خامسهم محمد البوهالي الشرقاوي مجراهم بعد ثلاثة أشهر¹¹⁰ مستخدماً في البابورات المخزنية، وطلب الطريس أن تجعل أجرة 25 ريالاً في الشهر لكل واحد منهم، ذاكراً أن الأربعة الأولين مستخدمون الآن في البابورات¹¹¹.

ومما يذكر عن محمد ابن سالم أنه كان موظفاً بفركاطة مغربية، إلا أنها توقفت الخدمة بها فذهب إلى السلطان مطالباً براتب فأنعم عليه به، ثم ورد أمر بالنقص من الرواتب بنسبة الثلث فالتمس مراجعة حالته فعين بمراكب الجر بالعدوتين¹¹².

106. تطوان 8/45.

107. لمحمد بن طوجة نقايد في الهيئة والتوقيت بالمحافظة 8/45 بتطوان، وله تأليف مصور بالخزانة الصبيحية بسلا في 121 صفحة في الموضوع أيضاً.

108. رسالة الحاجب إلى الطريس في 10 ربيع الأول 1315/9 غشت 1897، تطوان 32/24 وأخرى مثلها في 18 ربيع الأول، تطوان 119/153.

109. رسالته في 24 ربيع الأول 1316/13 غشت 1898، تطوان 32/17.

110. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 جمادى الأولى 1316/13 أكتوبر 1898، تطوان 46/17.

111. رسالته إلى السلطان في فاتح جمادى الأولى 1316/17 شتنبر 1898، الترتيب العام.

112. رسالة ابن سالم إلى عبد الكريم بن سليمان في 22 ربيع الثاني 1322/6 يوليوز 1904، الترتيب العام.

وكان كل من ابن طوجة وابن سالم لا يزالان رئيسين بحريين سنة 1906 منذ تعيينهما سنة 1898 لقيادة «البشير»¹¹³. وفي سنة 1907 أصبح الأخير منهما رئيسا لمرسى طنجة¹¹⁴. غير أنه أعفي سنة 1908، ولما أمر بالرجوع إلى بلده قال إنه متأهل بطنجة ولا شغل له بالرباط. وكان يتقاضى ثلاثة أرباع الريال يوميا فاقترح له الكباص ضعفها¹¹⁵.

هؤلاء هم أعضاء الفوج الثاني وأعضاء الفوج الثالث بزيادة الزعري عليهم، وكانوا قد رحلوا في أوقات متقاربة¹¹⁶ وتلاههم الفوج الرابع وكان فيه اثنان هما رقم 23 و 24 أعلاه. لكن هناك آخران هما :

30. ولد التسماني تعلم الطب بإيطاليا¹¹⁷ وأظن أنه هو أحمد بن الحاج عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التسماني الطنجي الذي سبق له أن تعلم بطنجة. غير أنه لما مرض بالخارج عوض بأحد الاخوة : الصديق أو المختار التونسي المذكورين سابقا¹¹⁸.

31. قاسم كان يتعلم بإيطاليا ورجع منها سنة 1896 عبر جبل طارق حيث أدى قنصلها 23 بسيطة عن سفره إلى المغرب¹¹⁹. ولم يرد اسمه ولا نسبه في المصادر ولا مكان تعلمه ونوعه. فهل هو نفس السابق المنسوب إلى جده الأعلى : قاسم ؟

وأيا كان الأمر فهما طنجيان مثل الطنجيين الصديق والمختار التونسي، وكانوا جميعا صفارا، ولربما تعنيهم أو تعني بعضهم هاته الرسالة التي بعث بها الطريس إلى السلطان سنة 1906 : «إن هؤلاء المتعلمين صبيان صفار، وءاباؤهم فقراء مساكين، طالبين من مولانا إعانتهم بما تجود به العواطف السنية...»¹²⁰.

32. الحاج الحسين بن محمد الزعري العروسي السلاوي ولد في 10 حجة 1293/27 دجنبر 1876 بمدينة سلا التي توفي بها سنة 1956، حسبما جاء في كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي.

113. رسالة أحمد الطريس إلى عبد الكريم بن سليمان في 16 محرم 1324/12 مارس 1906، كناش مكاتب النيابة السعيدة 2720 ك ص 78 (خ ع).

114. رسالة الطريس إلى ابن سليمان في 27 جمادى الثانية 1325/8 يوليوز 1907، نفس الكناش ص 343.

115. رسالة الجباص إلى السلطان في 9 شوال 1326/4 نونبر 1908، في نفس الكناش الجزء الثاني 2721 ك ص 14 مكرر.

116. كان سفر ابن طوجة في نونبر 1887 على متن أفونداتوري وسفر أحمد الجبلي في أواخر نونبر 1887 أيضا على متن كاريبالدي. أما رحيل الزعري فكان على متن سفينة أخرى في شهر شتنبر 1888. وللأسف لم يذكر أي واحد منهم أسماء زفاه أثناء السفر.

117. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 189.

118. مسودة رسالة غير مؤرخة موجهة لثائب إيطاليا بمحظة إيطاليا 5.

119. رسالة مالموسي إلى الطريس في 7 ماي 1896، تطوان 107/57.

120. رسالته في 28 شوال 1324/15 دجنبر 1906، ص 228 من الكناش 2720 ك (خ ع).

121. أمزج عناصر ترجمته من مذكرته ومما رواه لي ابنه الدكتور ابريس الزعري وعمما سمعته عنه من غيره.

تلقي دراسته الابتدائية بكتاب قراءتي على العادة. غير أننا لا ندرى أين تعلم اللغة الإيطالية¹²² فهو لم يشر إلى ذلك في تقييده، مقتصرًا على القول إنه وصل إلى طنجة في شتنبر 1888.

ومهما يكن فقد سافر ضمن الفوج الثالث أواخر شتنبر 1888 وامتنى متن باخرة إيطالية اسمها «ضونضولو : Dondolo» رست بميناء جنوة، ولغد استقلوا القطار إلى طورينو حيث المعهد الدولي الإيطالي : Instuto Internazionale Italiano وبتلك المدرسة التقى بعدد من الطلاب الأوروبيين والطلاب الأفارقة مثل الأمير أحمد فؤاد الذي سيصبح ملكا لمصر.

وبطورينو بدأ أعضاء البعثة يتعلمون اللغة العربية بواسطة مدرس لبناني سماه ماركوس، والإيطالية على يد أستاذ إيطالي، وقال إنهم بعد دراستهم ثلاث سنوات وزعوا إلى فئات ثلاث : فئة دراسة تربية الجنود وتدريبهم، وفئة دراسة علوم البحار، وفئة دراسة صناعة السلاح، ثم أخذ يعدد أسماء الطلبة الذين استحضر منهم واحدا وعشرين وبين نوع تخصص الكثير منهم.

وبعد أن قضت البعثة ثماني سنوات رجع أفرادها برتبة ضابط إلى أرض الوطن، وتأخر الزعري قليلا للانخراط في مدرسة اللغات بطورينو إلى أن نال شهادة بتحصيلها سنة 1898، وكان ينوي الانتقال إلى فلورنسة لتتيمم تعلم اللغات ولاسيما الألمانية ودراسة القانون. غير أن أمرا مؤكدا ورد عليه بالرجوع إلى المغرب، إذ استقدمه الطريس من مالموسي الذي كتب بذلك يوم 10 شتنبر 1898 إلى إيطاليا¹²³، فكانت عودته إلى طنجة في نونبر 1898، بعد غياب دام أكثر من العشر سنوات.

وكان رجوعه أيضا بالحاح من أبيه، إذ جاء في رسالة سلطانية أن الحسين بن محمد الزعري كان «وجه لأرض الطليان لتعلم آلة الحرب والفابريكات واللسان وغير ذلك، من جملة من كان توجه بقصد ذلك لبعض الأجناس. وهذه مدة من نحو اثني عشر عاما وهو هنالك. وقد طلب والده من علي جانبنا التوجيه عليه لصلة رحمه به. وعليه فإن حصل الغرض المقصود فليأت، والسلام»¹²⁴.

وكان يتكلم عدة لغات : اللغة الإيطالية والفرنسية والإسبانية والانجليزية والبرتغالية والألمانية ويتقن بعضها. ولما فتح مدرسة لتعليم اللغة بالرباط بعد رجوعه بمدة قامت عليه ضجة يروى أنه حُبس بسببها، ولم يفرج عنه إلا بشفاعه سفير ألمانيا. رجع إلى المغرب وتقلب في وظائف متنوعة مع الحاجب ومع العلاف ومع الكباش وبمرسى الرباط، واستخدم ترجمانا للمهندس الألماني روطنبورغ لبناء برج الرباط. وفي سنة 1909 ذهب إلى الصويرة لقيادة الطابور الثامن للشرطة المغربية حسب البعض من صور رسائله التي عندي.

122. الذين وقفت على أسمائهم من بعثة المتعلمين اللغة الإيطالية هم أصحاب الأرقام 11 و 12 و 22، فأين تعلم باقي أعضاء الارسالية ؟ وهل ضاعَت النصوص المتعلقة بتعلمهم بالعاصمة الدبلوماسية ؟

123. رسالته إلى الطريس بالتاريخ أعلاه، تطوان 168/57.

124. رسالة السلطان إلى الطريس في فاتح ربيع الثاني 19/1316 غشت 1898، تطوان 33/17.

ومن سنة 1912 إلى سنة 1929 عين خليفة لعامل سلا، ثم قائدا بسيدي بطاش قبيلة كفيان بزعرير إلى حدود 1939 حيث أعفي من منصبه. وقضى بقية حياته ترجمانا بالمصالح البلدية إلى حين وفاته.

ويحكي لي الذين عاشروه أنه كان رحمه الله مثال النزاهة والاستقامة ودمائة الأخلاق. ولا أزال أتذكر صورته في حدود الأربعينيات وهو خارج من بلدية المدينة : رُبِع في القد، أبيض اللون المُشْرَب بسمرة قليلة، لباسا جلابة وطربوشا بالرزة، وأمام عينه نظارتان، وتحت إبطه بعض الجرائد التي كان يشتريها بعدة لغات من دكان البازار الموجود اليوم عن يمين مبنى العمالة بخي الرمل بسلا، القريب من داري التي أقطن بها.

المطلب الثامن : بلجيكا

توجه إليها أكثر من ستين متعلما فيما بين سنتي 1884 و 1888، وكانوا ينقسمون إلى عدة دفعات¹²⁵.

وإعدادا لذلك يمّم الحاج محمد برگاش في أوائل يونيو 1884 وجهه شطر بلجيكا¹²⁶، قبل أن تصل الدفعة الأولى المحدد سفرها بيوم 11 شعبان 1301/6 يونيو 1884 إلى مدينة سيران : Séraing¹²⁷ من ضواحي لياج وجنوب غربها.

وهكذا حل المتعلمون الأولون بها يوم 22 شعبان/17 يونيو. وبغية تأطيرهم والترجمة لهم عين طالبان من الفوج الأول إلى فرنسا قبل ذلك التاريخ بنحو الخمس سنوات وهما الطاهر بن الحاج الودي ومحمد بن الكعاب الشرقي.

تركبت الدفعة الأولى من 11 متعلما ها هي أسماؤهم وحرفهم ومساقط رؤوسهم وأعمارهم نقلا عن تقييد ابن الكعاب، وعن رسالة مخزنية تفيد أنهم كانوا نوابا لمعلمين زنايديين

125. استقيت عناصر هذا المطلب من عدة مراجع :

أ. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 468، ولم يذكر فيه إلا 9 أفراد.

ب. مقال للحاج أحمد معنينو نشر بمجلة «البحث العلمي» في العدد 25 ص 220 وما بعدها. ومزيتة أنه يورد - نقلا عن كناشة محمد بن الكعاب - تفاصيل مفيدة عن أسماء أفراد الدفعات الأربع الأولى وما تعلموه وأعمارهم ومساقط رؤوسهم، ويتعلق بـ 37 متعلما فقط..

ت. تقييد لابن زيدان في «العز والصولة» ج 2 ص 157 وما بعدها، وهو يجعل عدد المتعلمين الكلي 62، ويورد الصنائع التي تعلموها بالخارج والأماكن التي عینوا بها بعد رجوعهم، ويستفاد منه أنهم عادوا جميعا قبل متم ربيع الأول 1305/16 دجنبر 1888.

ث. «مظاهر يقظة المغرب الحديث» لمحمد المنوني الجزء الأول ص 172 وما بعدها.

ج. تقييد خنو من التاريخ أصله بمديرية الوثائق الملكية، محفظة التعلم بالخارج وعنوانه «المتعلمون ببلاد البلجيك» ولا يحتوي إلا على أسماء 52 متعلما.

ح. موجب إبراء بنفس المديرية مؤرخ في متم رجب 1303/4 ماي 1886، وفيه أسماء 25 منهم. وتتميز جميع هاته المراجع بخصائص متنوعة، غير أنها مضطربة فيما بينها أحيانا، فعمدت إلى إعادة صياغتها على ضوء ما تقدم.

126. رسالة محمد بن العربي إلى الطريس في 9 شعبان 1301/4 يونيو 1884، تطوان 111/34.

127. رسالته إليه أيضا في 26 شعبان/21 يونيو، تطوان 117/34.

وجعابيين وحدادين، وأنه صدر أمر بأن يدفع لكل واحد منهم 50 أوقية في الشهر إلى حين عودتهم من سفرهم¹²⁸ :

1 . 11 : محمد (المنقري أو) المنظري (20 - 30 سنة)، وأحمد (أو محمد) الجندي (18 سنة)، وأدريس بن وُحُود (18 سنة)، وعلي (أو علال) بن قدور الرياني الحياتي (19 سنة)، ومحمد بن علي (30 سنة) الذي لم يلبث أن أصبح سنة 1885 مستخدماً بمركب بلجيكي ونائباً لرئيسه¹²⁹، ومحمد الحميدي الصفريوي (22 سنة) وكانوا جميعاً حدادين، وعبد الرحمان البغدادي (20 سنة) وكان سيفاً، ومحمد بن ميمون (26 سنة) وكان زنايدياً، والحسن (أجندى أو) الجندي (25 - 30 سنة) وكان مجامرياً، وتسعتهم كانوا من فاس أو من نواحيها، وحمدان بن أحمد المشطون الكراوي (27 - 35 سنة) وهو من مكناس وكان حداداً وسرايرياً، ومحمد (أو عمر) الودودي (22 سنة) وهو من الدار البيضاء وكان حداداً.

والدفعة الثانية كان قوامها 9 أعضاء لعلهم وصلوا إلى بلجيكا في تاريخ مقارب لورود من قبلهم، وأسمائهم هي :

12 . 20 : أحمد بن علي العليج (18 سنة)، ومحمد الودغيري (25 سنة)، وحمد (أو محمد) بن التهامي (18 سنة) وكلهم سرايريون، أولهم من مكناس والأخرا من فاس، ومحمد بن الحفيان (18 - 20 سنة) ومحمد بن الحساين (20 سنة) وهما من مكناس، ومحمد (الموزن أو) ابن الموزن (18 سنة) وهو من فاس، وجميعهم زنايديون، وحمدان بن عبد الله المراكشي (26 - 30 سنة)، والمعطي بن إبراهيم السوسي (20 - 25 سنة) وهما من مراكش، وعبد الله بن حماد الزموري (22 - 30 سنة) وهو من مكناس، وثلاثتهم حدادون.

والدفعة الثالثة عددها 7 أشخاص حلوا بصيران كذلك يوم 16 يوليوز 1884، وكانوا يتدربون على حركة بابور البر أو حركة الماكينات. وفيما يلي بيان أسمائهم :

21 . 27 : محمد بن العباس أمّان (30 سنة)، ومحمد بن رزوق (25 سنة)، والعرفاوي بن الحاج حميدة (25 سنة) والعباس بن المصطفى (17 سنة)، وسالم بن إبراهيم (20 سنة) وبنعيسى بن الرواين (18 سنة)، والعرفاوي بن عمرو (40 سنة) الذي مرض ورجع إلى المغرب¹³⁰ وكلهم من مكناس بحسب ابن الكعاب الذي قال إنهم من القسمة الثالثة من الفرض المكناسي. فهل كان آخرون من غير هاته المدينة يتدربون ؟

وهناك دفعة رابعة تألفت من 10 أشخاص التحقوا بمدينة لييج لتعلم حركة الماكينات أيضاً فوصلوا إليها يوم 7 شعبان 1302/24 مارس 1885. وفيما يلي أسمائهم دون أن يبين التقييد حرفهم :

128. رسالة السلطان إلى عبد الله بن أحمد في 7 شعبان 1301/2 يونيو 1884 وهي نصف الأول والثاني والخامس والسادس والسابع بالترتيب العام.

129. رسالة محمد ابن الكعاب إلى الطريس في 4 حجة 1302/14 شتنبر 1885، تطوان 126/75.

130. «المتعلمون ببلاد البلجيك» التي لم يرد فيها ذكر للمتعلمين 41 - 42 - 43 - 44.

28 - 37 : ادريس بن محمد زولو¹³¹ الصفار (45 سنة)، وأحمد بن موسى (31 سنة) وكلاهما من فاس، والعرفاوي بن الطاهر البخاري (21 سنة)، ومحمد بن الحاج حمادي (24 سنة)، والمختار بن المكي البطاحي (24 سنة) وثلاثتهم من مكناس، والمكي بن الحاج الجيلالي بريتيل (22 سنة)، والحاج عبد القادر الركاني (20 سنة) وهما خرازان من مدينة الرباط جاءا في قف لاحق، تعويضا عن كل من المعلم الحسين بن محمد (40 سنة)، ومن الجيلالي بن الحاج (36 سنة) اللذين لم توجد فيهما قابلية فردا إلى المغرب¹³²، والجيلالي بن مبارك (22 سنة) المدعو بركة، والثلاثة الآخرون من مكناس.

ابن الكعاب لم يورد إلا أسماء هؤلاء، غير أن ابن زيدان أتى بأخرى يوجد طرف منهم في وثيقة «المتعلمون ببلاد البلجك».

ويظهر لي أن بعثتين أخريين وجهتا إلى بلجيكا سنة 1886 أو بعدها بقليل، وتألفت أولاهما من 18 صانعا والثانية من 7 صناع، وذلك باعتبار أن وفاة الحاج محمد بن محمد بركاش كانت في غشت 1886، فعين السلطان بدله في هاته المهمة وهو أمين الأمناء محمد النازي حسبما تقدم.

وهكذا تألفت الدفعة الخامسة المرسلّة على يد بركاش الابن من 17 عضوا ها هي أسماؤهم :

38 - 51 : محمد حيات البخاري، والمحجوب البزيوي، والحاج ابن جبارة البخاري، وأحمد بن الحسن، وأحمد المراكشي، وعبد السلام الوديني، والمعلم محمد المكناسي، والمكي بن عبد السلام ولد العنبر، والحسن الخلطي، والعباس بن قاسم، ومحمد بن العربي، وإدريس ابن الحداد البخاري، وأحمد بن صالح، وبوسلهام بن حمو.

52 - 55 : عبد القادر بن الميلودي، وبنعيسى بن محمد البخاري، وعبد النبي البوحنلي البخاري، ومحمد بن الرامي البخاري، وكلهم بزيادة المتعلم 66 عليهم ردوا إلى المغرب لعدم ظهور نجابة عليهم .

أما الدفعة السادسة فتركبت من 7 أفراد هم :

56 - 62 : المعلمان : الحاج محمد بن محمد التاغزوتي الوكيل، وإدريس بن الطيب الكيسي، وكانا سنة 1884 زنايديين¹³³ ومحمد بن ميمون، وعبد السلام العلمي، وإدريس بن الحاج العربي الفيلاي الجعايبي، وأخوه أحمد، والحاج محمد لفيتة

131. هناك رسالة لمحمد بن العربي بن المختار إلى الطريس في 18 رمضان 12/1301 يوليوز 1884، تطوان 120/34 تذكر أن المعلم زولو سافر مع جماعة من المتعلمين إلى بلجيكا قبل هذا التاريخ.

132. في الوثيقة «المتعلمون ببلاد البلجك» أن أحد المرشدين هو الجيلالي بركة الموالى، بينما في مذكرة ابن الكعاب أنه هو الجيلالي بن الحاج، وهو الأصوب في المصدر السابق، لأن الأخير كبير السن، مما يقلل من قابليته للتعلم. وقد ورد الخبر عن رجوع المتعلمين 35 و 36 دون ذكر اسمهما في رسالة أميني مرسى الجديدة إلى السلطان في 10 شعبان 14/1303 ماي 1886، الترتيب العام.

133. رسالة محمد بن العربي إلى عبد الله بن أحمد في 13 جمادى الأولى 11/1301 مارس 1884.

وثمة آخرون ذكروا في «المتعلمون ببلاد البلجك» إلا أن يكونوا تكرارا لبعض السابقين. وعلى كل حال ها هي أسماؤهم :

63 - 66 : ادريس بن خليفة، ومحمد بن العباس، وأمان العباسي (ما لم يكن هو صاحب الرقم 21 أعلاه) والحاج الصالح بن العباس الذي رد لعدم نجابته مع المتعلمين 52 و53 و54 و55.

ويبدو أن هؤلاء الخمسة المردودين لقابليتهم الضعيفة رجعوا سنة 1887، فقد جاء في رسالة لمحمد الغسال إلى السلطان لم تذكر أسماءهم ولا عددهم «أن المتعلمين الذين كانوا ببلاد البلجيك بقصد تعلم الصنائع السلاحية وردوا لطنجة أمس تاريخه، فسألناهم عن موجب القدوم، فأجابوا بأنهم حصلوا ما كانوا بصدده، واختبارهم يحقق جوابهم، وقد أنزلناهم ورتبنا لهم المئونة»¹³⁴. ولعل رجوعهم المبكر هذا إنما هو دليل على فشلهم في التعلم.

وهذا الرجوع يماثله رجوع آخر وقع قبل ذلك سنة 1886 ولم يتضح سببه. ففي رسالة للحاج محمد بركاش إشارة إلى «المتعلمين الذين كانوا بالبلجيكة ووردوا لأجل ما وقع بها من الفتنة، فقد وصلوا...»¹³⁵ تلك الفتنة التي لم يرد عنها تفصيل.

وهناك طلب آخر للرجوع صدر من السفارة البلجيكية سنة 1887 : «فقد كنت تكلمت معنا بأن المتعلمين الذين يتعلمون ببلاد البلجيكة حصلوا المراد مما كانوا يتعلمونه وطلبوا الرجوع للحضرة الشريفة. ونحن لا يمكننا الآن في رجوعهم حتى يكون بأيديهم أسارط فكلس»¹³⁶ من المعلمين الذين علموهم، وإذا تمكنوا منه وتحققت به، فإننا ساعدنا على الكتابة لهم بالسفر لهذه الجهة، وكلف ابن الكعاب بأن يحقق جميع الحسابات التي تصيرت على هؤلاء المتعلمين، كل حاجة مميزة وحدها، ويأتي في يده بزمائها ليكون البيان تحت يده إذا سئل عنه»¹³⁷.

وبخصوص أحوال جميع المتعلمين ببلجيكا فقد قطعت هناك يد المتعلم السادس وكاد يموت، بينما مات ثمة أو بالمغرب ربما قبل سنة 1888 كل من المتعلمين ذوي الأرقام 26 و42 و60 و61.

وفيما يتعلق بحياتهم هنالك وتقاضيتهم مؤونتهم وقبضتهم لكسوتهم ومعاملة البلجيكين إياهم جاء في موجب إبراء صدر من 25 منهم في حق الحاج محمد بركاش وفي حق أوجين سادوان مؤرخ بتمم رجب 4/1303 ماي 1886 ومشهود به أمام عدلين رباطيين هما محمد بن محمد كديرة ومحمد المعطي بن عبد الله الغربي وعليه خطاب قاضي الرباط أن المتعلمين الخمسة والعشرين أصحاب الأرقام من 1 إلى 10 ومن 12 إلى 14 ومن 16 إلى 26 ورقم 31 «كانوا في كل أربعة عشر يوما يتوصلون بما فضل عن مؤونتهم في المدة السابقة... وأنهم قبضوا الكسوة مرة واحدة، والكل على يد الأمين الأبر، الوجيه الأظهر السيد الحاج محمد

134. رسالته في 5 رمضان 28/1304 ماي 1887، الترتيب العام.

135. رسالته إلى الطريس في 24 رجب 18/1303 أبريل 1886، تطوان 67/71.

136. صوابها : اسارطفيكدس (حرفت الدال لاما لتشابهها) ورسمهما بالحروف اللاتينية هو : Certificados ومعناها : الشهادات.

137. رسالة مخزنية إلى سكسو في 11 شعبان 5/1304 ماي 1887، تطوان 121/61.

بركاش، وأبرءوا من تجب براءته من ذلك بالابراء التام، مع اعترافهم بأن المكلف بتعليمهم وهو سدوان راييس الفابريكة - وكذا خليفته - كان يربهم غاية البرور ويحسن إليهم كما يحسن الوالد بأولاده، مع الترفه في مطعمهم ومسكنهم، وكان لكل واحد منهم ناموسية مستقلة بفراشها، مع نظافة المسكن وحسنه، إشهادا تاما...»¹³⁸.

ولئن لم نعرف دواعي وضع هذا الموجب فإنه يدلنا على الأقل على حسن المعاملة التي لقيها متعلمونا بالخارج، وعلى أنهم عادوا إلى المغرب قبل تاريخ الموجب أي أواسط سنة 1886، وأن أغلبهم من الدفعات الثلاث الأولى.

والحاصل أن جميع هؤلاء المتعلمين كانوا يتدربون بمعامل شركة كوكريل Cockrill التي كان مديرها هو أوجين سادوان E. Sadoine والتي كان لها مراسلون بالمغرب سنة 1886 مثل القبطان هوهنهوفن S. C Hohenhoven¹³⁹، وكذلك القبطان هاينوس Haynus. وكانت مصاريف التعلم تؤدي عنهم بانتظام. فقد طالبت المفوضية بأداء 14.000 فرنك عن تعليمهم سنة 1886 لتدفع لشركة كوكريل¹⁴⁰. ونفس المقدار طلب عن سنة 1887 فامتنع أمناء مرسى طنجة من دفع الـ 14.000 فرنك التي ربما لم يكن لهم إذن بصرفها من السلطان، غير أنهم دفعوها بعد ذلك لما تحاسب الأمناء مع المفوضية البلجيكية على «مؤنة المتعلمين ببلادهم المنفذة لهم على أيديهم، وعلى ثمن كسوتهم، وكراء محل تعلمهم، وشهرية معلمهم، والحوائج والمكينات التي يخدمون بها، كل حاجة ومكينة باسمها وثمرتها على حدتها، وفق أمرنا الشريف بمحضر الطالب محمد بن الكعاب، لكونه على بال من سائر الصائر وتفصيله، فخرج مذكرا على المخزن من قبل ما ذكر كله 15، 797، 29 تسعة وعشرون ألف فرنك وسبعمائة وسبعة وتسعون فرنكا وخمسة عشر سنطيمًا... فقد أمرناهم بأن يؤدوا لترجمان البلجك المدرك المذكور...»¹⁴¹.

المطلب التاسع : فرنسا

قصدت الديار الفرنسية أعداد قليلة من المغاربة لم يعرف من أسمائهم إلا 15 من أفراد الفوج الأول والثاني من الطلبة، دون العمال. كان الفوج الأول متألفا من طلاب ثلاثة بارحوا المغرب سنة 1880 وهم :

1. 3 : قاسم بن محمد الودي، والظاهر بن الحاج محمد بن عبد السلام بن الحاج الودي، ومحمد بن محمد بن علي ابن الكعاب الشرقي¹⁴². وكانوا قد عينوا في فاتح شعبان 13/1291 شتنبر 1874 للذهاب إلى طنجة بقصد تعلم اللغة¹⁴³ قبل مغادرتهم للمغرب.

138. الموجب المذكور موجود بمحفظه التعلم بالخارج.

139. رسالته إلى الطريس في 2 يوليوز 1886.

140. رسالة ابراهام سكسو إلى الطريس في 4 نونبر 1886، تطوان 41/61.

141. رسالتنا السلطان إلى الطريس في 4 جمادى الثانية و 4 قعدة 1304/28 يراير و 25 يوليوز 1887، تطوان 59/5 و 110/5 وكذلك رسالة سلطانية إلى الغسال في 6 رمضان 1304/29 ماي 1887، تطوان 101/5.

142. ابن زيدان «العز والصولة» ج 2 ص 151.

143. الطاهر الودي : «الاستبصار...» الورقة 83، وفيها أن تاريخ التحاقهم بطنجة كان هو فاتح شعبان 1292 وليس 1291 كما هو عند أحمد معنيو في «ترجمة مختصرة...» ص 223.

وبعد قضاء ست سنوات ونصف بها حيث درسوا - زيادة على اللغة الفرنسية - مبادئ العلوم الرياضية واللغة العربية والجغرافية وعلوم الدين سافروا إلى باريس لاتمام تعلم اللغة الفرنسية والعلوم الرياضية والعسكرية والانسانية طيلة أربع سنوات ونصف. ثم جاءهم الأمر بالسفر إلى بلجيكا ابتداء من 22 شعبان 1301/17 يونيو 1884 بقصد الوقوف بيد أفواج من الصناع المغاربة فالتحقوا بها¹⁴⁴. غير أن النصوص تقول إن الأخيرين مكثا هناك إلى حدود سنة 1887، بينما رجع أولهم مبكرا على ما يظهر.

وقبل أن أتحدث عن الطاهر وابن الكعاب دون قاسم، أشير إلى أن محمد بركاش كان يرى أن تعلمهم بفرنسا كان غالي الثمن وأنهم لم يصلحوا إلا ليكونوا تراجمة للوفود والطلاب، وهو رأي سنطلع عليه فيما بعد، ولو أنه قاس عليهم.

ولد محمد ابن الكعاب الشرقي بفاس سنة 1274/1857 وتوفي بها في 17 رجب 1324/6 شتنبر 1906، بعد أن أصيب بالشلل مدة عامين. وقد دخل الكتاب القرآني وتعلم مبادئ العلوم بفاس ثم وجه إلى طنجة وله من العمر 17 سنة. وبعد أن أقام بفرنسا كما تقدم انتقل إلى بلجيكا، وكان يسكن بمدينة صيران برقم 17 من زنقة سان مارتان. وهكذا مكث في التعلم والتأطير بالخارج نحو من سبع سنوات، غير أنه تجول بأروبا في إطار البعثات والسفارات التي كان ترجمانا للمكلفين بها. ومن جملة العواصم التي زارها مدينة موسكو. ولما عاد إلى المغرب نهائيا عين مهندسا وترجمانا بالمكينة بفاس¹⁴⁵.

أما الطاهر الودي فهو من مواليد فاس سنة 1861، وكانت وفاته بها سنة 1365/1945. وقد انتظم في سلك المتعلمين بطنجة وعمره 13 سنة. ولما تعلم بها انتقل إلى باريس ثم إلى مدينة لياج ببلجيكا حيث قضى ثلاث سنوات، فكان «أحد ثلاثة كبراء على تعلم خمسين رجول سفارة مغربية لتعليم المناريب الجهادية : المدفع والمكاحل والقرطوس والسكة الآتي تشتت في الفبركة السعيدة...»¹⁴⁶.

وبعد عودته عين بمصنعي السلاح والسكة بفاس، واستخدم فيهما طيلة ثلاثين سنة حتى عطلتا، وذلك بصفته أمينا وترجمانا ومهندسا. وكانت سكناه بدرب ابن زيان رقم 22 بفاس. كما أنه كان ترجمانا لبعض السفارات المغربية إلى الخارج¹⁴⁷.

وقد خلف بعض التأليف، منها رحلة سياسية مع صورة الدنيا أهداها لمولاي الحسن¹⁴⁸. لكن أطول عمل له هو كتابه المخطوط ذو العنوان الواسع، بدايته : «الاستبصار، في عجائب الأمصار...»¹⁴⁹.

144. أحمد معنيو : «ترجمة مختصرة...» ص 223.

145. نفس المرجع.

146. الورقة 83 من كتابه «الاستبصار...»

147. ورقات مختلفة من هذا المخطوط الأخير .

148. نفسه، الورقة 96 وكذلك محمد المنوني في «مظاهر...» ج 1 ص 248.

149. تفضل صديقي الأستاذ عمر آفا فأطلعني على نسختين مصورتين منه : واحدة قصيرة لعبد السلام ابن سودة وهي في 68 ورقة، فرغ من كتابتها يوم 29 حجة 1348/28 ماي 1932، والأخرى مطولة في 211 ورقة حجمها 430 x 200 في بعض الأحيان، وهي في ملك أستاذنا محمد المنوني. ومنها سأقتبس ما سيرد في هذا المبحث.

هذا المصنف مرتب نوعا ما، وفيه استطرادات نافعة، غير أنه تتخلله اضطرابات في التواريخ الهجرية وفي تطابقها مع الميلادية. وهو مكتوب بلغة دارجة في أغلبها وبخط بدائي، وبه أيضا أخطاء لغوية ونحوية وصرفية («المغريب» بدل : المغرب، و«حكمو» مكان : حكموا). وللظاهر قصور في الترجمة («ليزيل» عوض : الجزر)، ويستعمل صاحبه ألفاظا في غير موضعها («غيور» محل : حسود). وهو مع ذلك لا يخلو من إفادات قيمة ترتبط بوقائع في تاريخ المغرب ينبغي مراقبة صحتها.

والكتاب مقسم إلى أبواب وبه معلومات متجاوزة الآن عن تاريخ أوروبا وجغرافية العالم وعملة الكثير من الدول، وختامه رسائل وجهها باسم «قوم المغرب» إلى ملك إنجلترا نيابة عن نحو المائة من العلماء والتجار والفلاحين من فاس ومكناس، وذلك ما بين 7 نونبر 1932 و22 شتنبر 1936، وتستغرق 60 صفحة منه (من الورقة 151 إلى الورقة الختامية 211). وهاته الرسائل تتحدث عن ظروف المغرب وتنتقد نظام الحماية الفرنسية والمسؤولين عنه، بلهجة اندفاعية معززة مع ذلك بالأرقام والحجج.

ونجد في الكتاب ارتسامات للظاهر عن الأحوال التي خاضها هو، والأحوال التي كانت سائدة بالمغرب قبل بسط الحماية عليه، وهو لا يخفي اتهاماته لرجال المخزن الحفيظي في تردي الأوضاع، إذ كان عزيزي الهوى يتمنى في رسائله من إنجلترا أن ترجع السلطان إلى عرشه.

وحيث أن التأليف بهذا الوصف فلنستشهد ببعض مما جاء فيه عن أحوال المغرب أثناء قسط من حياة المؤلف. غير أنه يجب أن نحترز قليلا من بعض ما ورد في هذا المخطوط الطريف ذي الأغلاط البينة : لغة ونحو وصرفا وترجمة.

فمن حالة المكيبة قال إن السلطان عبد الحفيظ «دخل الفبركة الحسنية، فسلطنا عن غفلتها المناريب الحربية. قلنا : «في الشهر مائة وأربع وأربعين مكحلة، ومائتين وعشرين ألف قرطوس عامرة، وخدمتها مائتين». فقال [...] : «الفبركة التي لا تصنع له خمسمائة مكحلة في النهار، ومائة مليون مليون قرطاس عامرة يرُجّعها أروى». فقال حاجبه المفلس مبارك الكرسي : عندهم بمراكش إذا بات يخدم معلم بالرّيار والمُنارة تصبح بيده مكحلة تامة مثل هذه عمل المكيبة . فغيّرونا بأقوالهما المُقيّنة، وكسانا العزق وجوئنا بأنف وقلق : «هذا معمل الصّح والصدق»... فحضر رجول له خبرة فقال : «هد المناريب الحربية بالكثرة صناعة سبعين ألف خدّمة في الفبركة البروسية». فأفرج عنّا بهذه الكلمة....»¹⁵⁰. وقال أيضا عن طرده من مصنع السلاح وتكبته :

«خرّجوننا من المعاميل الجهادية وطوفونا ستة شهور على أسجان المغرب والوطان الجزائرية ضلما وعدوة لمعرفتهم بنا ناصح للأمة المسلمة»¹⁵¹.

وسجن سنة 1916 فقال :

«الادارة الحربية الفرنسية حكما عليّ بسجن ستة شهور وستمائة وثلاثين فرنك دعيّة على عدم ردّ بالي على خدام أخذ شي بناديق رصاص في دار السلاح بفاس كنت فيها

150. «الاستبصار...»، الورقتان 91 و92 من المخطوطة المنونية.

151. الورقة 38.

أمين ومهندس مَكِينَا سَتِي مدة ثلاثين سنة من أيام السلطان المولى الحسن وأيام والي عهده كلها : السلطان المولى عبد العزيز»¹⁵².

وهو يشرح شيئا من هذا ويتهم غيره فيقول :

«واستولت فرنسا بالسياسة على الايالة المغربية واشتغلت دائرتها الحربية بخراب الفبركة. فاعترضناهم عن المفسدة بقولنا لهم : في المغرب كله فبركة واحدة، فألتركوها على حالتها مُتَجِيف الأثرات المهمة، فطوفونا ستة شهور على أسجان المغرب والوطن الجزائرية، وسرحونا بدعيرة بعنا فيها من واجبنا في الدار مع الوارتين إحد عشرة. وهذا المصيبة على عدم رد بالي على خدام أخذ شيء من الرصاص، فحكم رؤساء الحرب ضلما وغدوة، ببئعة المنافقين المغاربة منهم المخاديع الغيور (?) العلاف الجامعي الصغير. بمحضري قال لجسوس طبيب فرنسوي بها : مُتَلِيف الأخبار عنكم السي الطاهر بن الحاج جاء من الأرض الفرنسية قام بها وبأرض البلجيك سبع سنة، وناصيح سلطان الأمة المسلمة المغربية.

«فبهاده النصيحة نهينا عمر التازي واسطة سلاف فرنسا، ولا نحضر على تراجع شروط سلافها، فيه فرنسا تأخذ الأرض المغربية، ونهينا وزير الخارجية عبد الكريم بن سلمان عن طلب الجنوس مُتَمَر في شأن مطالب فرنسا في مُتَمَر فاس في منتزه الوزير غرنيط بالوزيرية...»¹⁵³ من حي المخفية.

وهو يتحدث عن المعارضين للمتعلمين بالخارج فيقول متذكرا سنة 1888 :

«وفي عام 1305 بفاس رَعِيْتُ بعين القلب وزراء وكتاب وأمناء دائرة النفاق، كفار بالرزة والشاشية، حين قالو لأمير المسلمين : كنا بِبَرّ التصاري سنين، جئنا منها حمور متنصرين، وتصدرو لنا الأعادي الموروتين إلى هَذ الساعة. وفي ذلك الزمان بطلو لنا إنشاء دار السلاح السعيدة، ما نتجت إلا بتداول السفارة الناصحة الطالليانية مدة تسع وعشرين سنة من عام 1305 إلى عام 1334»¹⁵⁴.

ويعود إلى المسؤولين ولاسيما المهدي المنبهي فيقول عن تلاعبه :

«وبعد وفات الوزير الناصح له حماد جاءت الديون للافرنج على المغرب بلا ميعاد. أولها في سفارة المهدي المنبهي إلى بلد الانكليز. نشء بمدينة لوندرة بانكا مُنْهِيَّة نُزْل فيها أربعة عشر مليون ريال ذهب (بيرة ولويز) لأنه مدة ثمانية سنة : عمال المغرب مُلَاقَتُهُمْ مع الوزير حماد بكيوس الذهب الألوف المتتلفة، رفدها المنبهي من دار الوزير المرحوم... يُبْنِكُهَا لقضايا أموره الحربية. لآكن الضالَم المنبهي بَنَكُهَا لنفسه بلوندرة العَصِيْمَة الانكليزية، وخرَج على السلطان المولى عبد العزيز أموال كثيرة لمعاميل لوندرة اشترى منها أوان الزجاج... وشَرَى المنبهي أشياء غريبة والحيوانات الوحشية.... فأمر السلطان بقدومه عاجلا بقصد القبض عليه، أخبره بذلك منافق من الكتاب المخادعين العباس الفاسي ببطاقة في طي بُرَاة السلطان من

152. الورقتان 157 و 158.

153. نفسه، الورقة 97.

154. نفسه، الورقة 96.

حين عمل حماية ثابتة مسلّمة من شروط مدريد مع مُولّي الحسن... فصادف الضالم المنبهي تلك الوجبة للحماية...»¹⁵⁵.

ثم في مكان آخر يقول عن استنجد أهل تمبوكتو بالسلطان مولاي الحسن سنة 1892 : إن فرنسا «احتلت تمكتو باب السودان، كان فيها كبير تلك الناحية العلامة الامام السي الحاج عمر الفونتي يخطب بالسلطان المولى الحسن، فتسلطت عليه عساكير فرنسا طلعت من سينيغال بالسفون... فاستغاث الامام المذكور بالسلطان مولي الحسن كان بفاس، فاستشار مع غشاشين المسلمين، الوزراء الخائنين، منهم محمد الصنهاجي (صدر أعظم) وفضول غرنيط (الخارجية) واعلي المسفيوي (العدلية) وعبد السلام التازي (المالية) والعلاف الكبير الجامعي الصغير (الحرب) وعبد السلام المقرري (الأملاك)، فاتفق رأي المنافقين يضحكون على لبسين الأزرق المُتَلَمِّمة، لَزَمُوا السلطان يعطي بالصُدّة عن هذه الاعانة... مع أن هذه الاغاثة واجبة على كل من ولاه الله أمر الأمة المسلمة... فقاتل عساكرها المجاهيد الحاج عمر بالسيوف ومكاحيل بوشقر... قتلوا الحاج عمر ورجاله في المعركة... وعجبوا بسكانها عاجزين القدرة، عدتهم سبعة آلاف ومائتين واثنين وعشرين عام 1310، يوافق سنة 1892»¹⁵⁶.

وإذا كان الودي يلوم أروبيي المغرب فهو قد وصف البلجيكين والفرنسيين بداخل بلادهم ومعاملتهم معه، إذ قال إن الكاثوليكين الفرنسيين «يحبون المعاشرة، ولأفين، علي البراني دين. فقد كنا عندهم في عين كبيرة : كوننا من الأمة المحمدية، رهبان وعامة يراعوننا المُرَاعاة التامة حين نضرونا نصلي كل يوم الأوقات الخمسة، ونصوم شهر رمضان في بلادهم تلك الأعوام السبعة. وحين صَفَرْنَا عنهم، بالبكاء كانت المفارقة : رجال وشبان وصبيان، ذكور وإناث، بكرات ونسوة...»، وكان في نفس الوقت ينتقد البروتستانتين الذين يقولون بـ «نفي الخاليق بالكلية، لعنهم الله»¹⁵⁷.

ويقول عن إقامته ببلجيكا ومشاهدته عدالة المحاكم فيها التي انتصفت لحق عامل مغربي :

«حين كنت في أرض بلجيكا بأمر السلطان المولى الحسن سنة 1884 يوافق عام 1302، بالأعوان وقفوني في المحكمة الشرعية. فقال القاضي أوقف شاهد يدي اليمنى للسماء وأقول : «والله إني رعيت بعيني الخدام البلجيكى ضرب الخدام المغربي العباس»¹⁵⁸ بالعصا لجبهته حتى سال الدم، كما يرى الضربة القاضي والعدول والأعوان والحراس». وشهود بلجيكيون آخرون شهدو بما شهدت أنا. فحكم القاضي على الخدام البلجيكى بسجن شهر ومائة فرنك دعية. ومن بعد ثلاث أيام دفعو لي اثنين فرنك : كوني ترجمان وشاهد، ودفعو لكل واحد من الشهود فرنك واحد. بهذا عندهم عادة محكمتهم، فيها صندوق مال الدعاير بقصد العطاء المذكور للشهود الذين تركو أشغالهم وجاءو بالتزيم للشهادة : لا بد لهم من هذا الفائدة»¹⁵⁹.

155. المصدر نفسه، حاشية الورقات 96 - 97 - 98.

156. الورقة 57 و58 منه.

157. هامشة الورقتين 52 و53 منه.

158. لا ندري سبب هذا الشجار الواقع مع عامل مغربي اسمه العباس. وعندنا ببلجيكا عباسان : العباس بن قاسم رقم 47، والعباس بن المصطفى رقم 24 المذكوران في مكانهما.

159. «الاستبصار...» الورقة 18 من نسخة ابن سودة، والورقة 25 من النسخة المنونية.

هذا ما جمعته عن أعضاء الفوج الأول الذين لما غادروا فرنسا إلى بلجيكا فكر السلطان في توجيه فوج آخر أوفر عددا. ففي غشت 1884 خاطب في ذلك الكومندان له فالوا Le Vallois الذي نقل الطلب الى وزارة الحربية الفرنسية. ولم يقع الاتفاق النهائي عليه إلا في شهر مارس 1885، وحينئذ صح العزم على إيفاد بعثة من اثني عشر متعلما إلى مدرسة الهندسة بمدينة مونبولي جنوب فرنسا¹⁶⁰.

والواقع أن عدد الطلاب المقترح كان أربعة وعشرين - وفق ما سيأتي قريبا في رسالة النائب برغاش - لتلقي علوم وصناعات متنوعة. ولربما كان التخفيض في العدد إلى النصف بإشارة من برغاش لأسباب سنلّم ببعضها حالا. قال للسلطان¹⁶¹.

«وصلنا كتابه الشريف، أسماء الله، وطيه تقييد ما أشار به الكمندار الفرنسي الذي بالحضرة الشريفة، من توجيه عدد من المتعلمين 24 لافرانسا يتعلمون بها العلوم المبينة بالتقييد المذكور، لكونها غير العلوم التي وجه المتعلمون لتعلمها ببلادات الأجناس، وأمرني سيدنا أعزه الله بامعان النظر في ذلك والتأمل فيه والجواب بما ظهر لي فيه وعن كل فصل من فصول التقييد المشار إليه.

«فيعلم مولانا، أدام الله علاه، أننا تأملنا فيما أشار به المذكور، فلم يظهر فيه سوى الصائر من غير كبير نفع يعود منه، إذ نحن في غنى عن جميع ذلك.

«أما تَجَرَّتْ وَتَحَدَّتْ وَتَسَرَّجَتْ (أي صنعة البرادع) فكلها موجودة بأرضنا على وفق ما يستعمل فيها في جميع ما يُتوقف عليه.

«وأما تَطَبَّجَتْ فالألمان جُهينة خبرها كما يعترف له بذلك جميع الأجناس حتى الفرنسيين.

«وأما صنعة البرود فهذه الايالة من يصنعه على أحسن ما يكون، لأن جودته إنما هي بزيادة الدق وتصفية الملح والتشجير.

«وأما خفر الآبار ومعرفة مضان المياه فهذه الايالة من يتقن عمل ذلك في أسرع ما يتأتى للبشر كما هو شهير.

«وأما علم الرسم والتصوير وتسوية الطرق فالمنهدسون كلهم يعرفون ذلك. وبهذه الايالة السعيدة كثير ممن يتقنه كالذين تعلموا ببلاد النجليز والطلتيان والصبنيول والألمان، وإن دُفع لهم من يعلمونه يكثر العالمون به.

«وأما علم الكلام بالتلكراف وبالمرءة وبالحرّافيات فالسلك ليس في هذه الايالة المحروسة. وبالمرءة قد تعلمه إدريس بن عبد الواحد، وبالحرّافيات ليس فيه كبير علم : إذ مضمّنه إنما هو إشارات باصطلاحات تكون بين المَحَلَّتَيْنِ بالألوان مثلا على ما يتفقان عليه. وحتى إن دعت الحاجة لهذا فلا يبعد تعلمه ولو بجبل طارق في زمن يسير.

160. جاك كايي : «المغاربة في مدرسة الهندسة بمونبولي : 1885 - 1888» في مجلة «هيمبيريس»، المجلد 41، سنة 1954، ص 131 وما يليها.

161. رسالته في 14 جمادى الأولى 1302 / فاتح مارس 1885، الترتيب العام.

«وعلى كل حال فالكفيل بهذه العلوم والصنائع وغيرها هو جنس الألمان مع قلة الصائتر هناك. فينظر سيدنا أعزه الله - في غير هذا صُخبته - ما كتب لنا به باشدور الألمان في شأن العساكرية 13 الذين توجهوا للتعلم في برلين، وكم يلزم في صائترهم الشهري مما هو نحو النصف من صائتر المتعلمين 3 الذين بافرانسا هذه نحو الست سنين. ولما كنا هناك توسمنا فيهم عدم النتيجة، ولم يحصلوا سوى معرفة اللسان التي صلحوا بها لجعلهم ترجمانات للأناس الذين توجهوا للتعلم بالبلجيكية، بخلاف الذين تعلموا ببلاد النجليز والطلليان والصبنيول، فكلهم تعلموا ووردوا وينتفع بهم، وكذلك الذين ببلاد الألمان. وما أُرُوودهم إلا ما كلفوا به من مقابلة الطبعية والعساكرية الذين توجهوا لهالك...».

هذا تقييم أولي لمشروع التعلم بالخارج صدر من مسؤول مخزني لا يمكننا مناقشته لافتقادنا الآن عناصر البحث فيه. ولئن كان يفهم منه بعض الميل إلى الألمان، فإن السلطان ارتأى ألا يأخذ برأي برغاش فيما بعد عندما سيطلب - كما سيأتي - إيفاد أناس - لكن بدون جدوى - لتعلم الكهرباء مثلا، ولو أن نظر النائب السلطاني فيما يخص تعلم الحرف الموجودة بالمغرب وجيه وله مبرراته النسبية فقط، فقد كان الأولى أن يدخل تطوير ولو محدود على الصناعة التقليدية.

ومهما يكن فقد تقرر أن يوجه إلى فرنسا سنة 1885/1302 وفد من 12 متعلما عادوا إلى المغرب سنة 1888. وحيث أنهم لم يتعلموا اللغة الفرنسية من قبل فقد كان برفقتهم مسلم من أصل برتغالي هو محمد العليج أو ميغل دو كاسترو الذي هو - في نظر كايي - رجل جد ونزاهة وإخلاص. ولما شعر بأن الطلبة قد تعلموا ما فيه الكفاية عاد إلى المغرب، ولو أن رواية تقول إنه كان علي خلاف مع الكولونيل شيري Chéry المدير الثاني لمدرسة المهندسين بمونبولي¹⁶². وقبل أن أسوق أسماء هؤلاء المتعلمين الاثني عشر¹⁶³ لآبأس من ذكر الظروف التي ساقها جاك كايي عنهم. قال : في يوم 24 يونيو 1885 امتطى الطلبة متن الباخرة الحربية «لاريطوز : L'Aréthuse» ووضعوا تحت إمرة «الأمين الترجمان» دو كاسترو الذي كان يعرف الفرنسية نطقا وكتابة.

وفي هاته الباخرة ركب سفير مغربي أوفد إلى الديار الفرنسية وهو عامل وجدة عبد المالك بن علي السعيد الذي كان مرفوقا بكاتب وخمسة قواد وعدة أعوان وبقاضي فاس وابنه¹⁶⁴ وشارل فيرو وحاييم بن شيمول¹⁶⁵.

وقد أمر السلطان الطريس بأن يقف مع السفارة : «فيرد عليه صحبته الخديم عبد الملك السعيد المعين للسفارة لدولة الفرنضيص ومعه الكاتب الطالب عبد الواحد ابن المواز المعين للتوجه معه»¹⁶⁶ وبأن ينظر «للخديم عبد المالك السعيد ترجمانا من طنجة عارفا باللسان

162. جاك كايي : «المغاربة...».

163. نقلا عن المصدر الأخير وكذلك عن ابن زيدان في «العز والصولة» ج 2 ص 154.

164. لم يسمهما كايي هنا وإنما في قصاصة تحت يدي من جريدة فرنسية لم أقف على اسمها وتاريخها، فقال إن قاضي فاس هو عبد الواحد المواني وابنه أحمد. والصحيح أن عبد الواحد ابن المواز الحسني كان قاضيا لمراكش ولم يكن قاضيا لفاس.

165. جاك كايي : «المغاربة...».

166. رسالته في 21 شعبان 1302/5 يونيو 1885، تطوان 110/3.

الفرنصوي يترجم له بباريز»¹⁶⁷. واقتضى الأمر أن يكون ترجمانه هو شارل فيرو نفسه الذي «لم يقصر في الوقوف مع سفير جانبنا العالي بالله لدى دولته، وفي المبرة به والتنويه والاعتناء بشأنه، وأظهر ما لا مزيد عليه من المحبة في جانبنا الشريف، ووعد بالوقوف في تصفية المطالب التي صاحبها معه السفير...»¹⁶⁸.

وكانت الغاية من هاته السفارة تبليغ تحيات السلطان ومحبته للحكومة الفرنسية، وحل بعض مشاكل الحدود، والاحتجاج على الاسراف في منح بطائق الحماية والتجنيس إلى المغاربة، حسب كايي الذي أضاف :

وصلت السفينة إلى مرسى طولون يوم 27 يونيو. وبينما يمم السعيدى وجهه ضوب العاصمة صحبة حاشيته قصد المتعلمون جنوب فرنسا إلى مدينة مونبولي التي وصلوا إليها عشية اليوم الموالي، فوجدوا في استقبالهم مدير المدرسة الكولونيل ريونديل Riondel الذي اعتنى بهم.

وبعد أقل من شهر التحق بهم السعيدى يوم 20 يوليو بعد انتهاء سفارته فمكث معهم يومين ونصفا. وبعد أن استخبر عن أحوالهم ودعهم وودعوه فركب متن القطار إلى مرسيليا في طريقه إلى المغرب على ظهر السفينة «لا ريطوز» التي حملته إلى طنجة.
فمن هؤلاء المتعلمون ؟ وما هي أحوالهم ؟ لنبدأ بالطلبة الخمسة :

4. محمد بن عبد الرحمان المراكشي كان أبوه من أصل فرنسي فأسلم وحسن إسلامه وعاش بالمغرب وفيه مات في حدود سنة 1879. وكان قبل ذلك ضابطا في الهندسة العسكرية وخلف آثارا عمرانية وعلم بعض المغاربة الرياضيات والعلوم الحربية، اسمه الأصلي قبل الاسلام هو جوزيف ده سولتي J. de Saulty.

أما ابنه محمد هذا الطالب فقد ولد بمراكش سنة 1862، وكان ممن اختير للتعلم بفرنسا مع هاته البعثة الثانية، وبعد تعلمه رجع مدة إلى المغرب.
غير أنه كان مخبرا للمفوضية الفرنسية، وكانت مراسلاته معها موجودة بقصر فانسين بفرنسا حتى اختفت منه¹⁶⁹.

ولما كان يتعلم هنالك سنة 1888 طلب اكتساب الجنسية الفرنسية التي أباه عليه شارل فيرو، لأن ذلك كان مضرا بالبعثة كلها وتنشأ عنه تخرصات وأقاويل. ولكنه مع ذلك نالها بالفعل قبل سنة 1896 حسب رسالة سلطانية إلى الطريس في فقرة لانجد أبلغ منها تعبيراً عن حالته : فهو قد تفرنس، وبدنه تعرض للتهديد بالقتل، ورفيقه قتل، فنتج عن ذلك قبض تعويض مالي. قالت الرسالة إن نائب فرنسا «أجيب عن دعوى رعيته محمد دوسلطي - بما وقع له من

167 رسالته إليه أيضا في 24 شعبان / 8 يونيو، تطوان 113/3.

168 رسالة السلطان إلى الطريس في 2 محرم 11/1303 أكتوبر 1885، تطوان 2/4.

169. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 26 وج 4 ص 96 (3) وكذلك هنري ده لامارتنيير : «نكريات...» ص 196.

التهديد بالقتل بوادي سالم من بلاد الغربية، إيالة عامل طنجة، ونجا بنفسه بعد قتل رفيقه سلام¹⁷⁰ بالبارود - بتنفيذ العدة التي قيدوها في معاوضة ذلك، وقدرها خمسة آلاف ريال»¹⁷¹.

ويظهر أنه منغمرا في خدمة المصالح الفرنسية. فكان قبل ذلك مقيما بمدينة مغنية بوصفه تاجرا وبها ولد له طفل في 14 ماي 1896 أسماه جوزيف هنري بن محمد بن عبد الرحمان الحاج (= العلي) المراكشي دسولتي : Dessaulty. ولم تنقطع صلته بالمغرب الذي عاد إليه سنة 1912، ولما وصل إلى مراكش أسره أحمد الهبة وأسر معه جماعة من الفرنسيين.

وعلى كل حال كان محمد من أنجب الطلاب بفرنسا.

5 - 6 : صالح بن محمد التلاوي¹⁷² وعبد الله (عند كاي : علام) بن العربي بن مالك الودي.

7. علل بن محمد البخاري التروكي كان أسود اللون وقليل الذكاء، فنصح الترجمان برده إلى المغرب. فلما لم تقبل إشارته اقترح أن يدخل للتعلم مع جيش المشاة.

8. محمد بن سعيد القرقور السوسي أصابه مرض هناك لازم الفراش من أجله شهرين. ولما عوفي منه استطاع بذكائه واجتهاده استدراك ما فاته من دروسه.

غير أنه نكب في أواخر أيامه، فقال عنه الطاهر الودي كلاما يشبه التشفي فيه : أما محمد «بن سعيد القرقور، فهو الآن في زقاق فاس يدور»¹⁷³. ولم يأت بتوضيح لا عن هاته النكبة ولا عن زمنها، ولربما يقصد عزله من منصب مخزني. فاستقرأ الوثائق الراجعة لذلك العهد يفيد أن القرقور كان قد عين سنة 1911 عاملا على الصويرة بعد عبد السلام الفشار وقبل أحمد السعيد، وأنه مكث في الولاية هناك نحو من عشرة أشهر حتى أقي، وكانت قد تراكت عليه ديون¹⁷⁴ بسبب البطء في تنفيذ أجرته على ما يظهر من إحدى رسائله إلى الكباص. ولكنه ظل أحد قواد الجيش ولاسيما سنة 1918.

أما الصانع السبعة فهم :

9 - 10 : محمد بن رحمان (عند ابن زيدان : بن عبد الرحمان) وأحمد بن عبد الرحمان (نسبه عند كاي : القلعي) وكلاهما من تطوان كانا حديثي عهد بالانخراط بالجيش

170. هل هو سلام الرغيف الذي كان سنة 1891 عونا بالمفوضية بطنجة؟ انظر م. بوشعراء : «الاستيطان...» ج 2 ص 621.

171. رسالته في 16 جمادى الأولى 1314/23 أكتوبر 1896، تطوان 30/20.

172. في ص 250 من «مظاهر...» لمحمد المنوني الجزء الأول إشارة إلى بعض أعمال صالح هذا، نقلا عن رسالة سلطانية في 29 ربيع الثاني 1302/15 يراير 1885 تقول إنه أحد المتعلمين ببلجيكا. والواقع أن صالح هذا - إن كان المتعلم أعلاه هو المقصود فيها - قد تعلم كما نرى بفرنسا التي لم يعد منها إلا سنة 1888، ولم أقف على ما يفيد تعلمه ببلجيكا قبل فرنسا. وأظن ذلك سبق قلم من كاتب الرسالة المذكورة، أو كلاما عن صالح آخر لا نعرفه.

173. «الاستبصار...» الورقة 93.

174. رسالة القرقور إلى الكباص في 4 رجب 1329/1 يوليوز 1911 ورسالة أحمد السعيد إلى الكباص في 28 جمادى الأولى 1330/15 ماي 1912، وكلاهما بمحافظ الترتيب العام.

كمدفعيين، بعد أن كانا من قبل إسكافيين، وكانا معا أميين، قليلي الحظ من النباهة، لا يسايران ما يتلقيناه من الدروس. ولأجله أشار الترجمان بردهما إلى المغرب لأن اختيار السلطات إياهما لم يكن موفقا. غير أنهما التمسا البقاء فلم يرجعا، واستخدما في صناعة السروج والبُرود والجلد وغيرها من الأشغال اليدوية.

11 - 12 محمد بن أحمد الحسّاني (الأصيلي عند ابن زيدان) وعمر (فقط عند كايي) بن محمد المسفيوي واصلا تعلمهما حتى رجعا إلى المغرب.

13 : محمد الهواري المسفيوي قضى مدة بالمستشفى لدمل أصابه في إسته، وكان يعالج أكثر مما يتعلم. وفي أواسط سنة 1886 ارتأى طبيبه المعالج إعفائه من كل دراسة ومن كل عمل يدوي نظرا لضعف بنيته ومرضه. وكان محمد الممنون يفكر في رده فطلب تسفيره من الكولونيل ريونديل ثم من الكولونيل شيري الذي خلفه بعد وفاته في إدارة المدرسة. غير أن ذلك لم يقع، لأن صحته تحسنت حالتها حسبا جاء في رسالة الترجمان إلى فيرو في 6 يناير 1888. ومع ذلك كان يمضي أوقاته طول النهار متسكعا بالطرقات، وكان يظل أحيانا بالشوارع حتى منتصف الليل. وكانت أمنيته الوحيدة أن يعود إلى بلاده، فقبل طلبه ورجع في بداية السنة، بعد أن كان التمس من الطبيب شهادة تثبت أنه مصاب بمرض في الصدر¹⁷⁵، لكنه كان مريضا في دماغه بدليل تلك الغيبات الطويلة في الشوارع ثم بدليل هاته الرسالة السلطانية التي لم تسمه والتي تذكر أنه عولج من اضطراب في مخه. قالت إن «أحد المتعلمين بباريز اختل مزاجه ورده المكلف بهم لطنجة على يد باشدور الفرنصيص»¹⁷⁶، مما يعني أنه نقل إلى مستشفى الأمراض العقلية بالعاصمة الفرنسية التي لم يكن يتعلم فيها، خلاف ما يفهم من الرسالة الأخيرة.

14 - 15 : العربي بن الحاج عبد السلام وهو من الجديدة ومحمد بن عبد الرحمان

(عند كايي : الزواني أي الزواوي كما سيأتي) وهو من أسفي : كانا سييء السيرة بالمرّة، أدب أولهما بالحبس في المدرسة للشجار والسرفه والعريضة، وعوقب الآخر به فيها أربع مرات للعصيان والعريضة والتمارض والعدوان على العفاف، فتقرر بموافقة المخزن ردهما منذ بداية أبريل 1886، فسافرا إلى مرسيليا يوم 6 ماي للعودة إلى الوطن¹⁷⁷. وكان محمد الممنون قد كتب إلى الحاجب يخبره بسوء سيرتهما : «يعلم سيادتك أن اثنتاني (= اثنين) من الطبقجية أهل المراصي... الأول منهم يسمى العربي بن [الحـ] عبد السلام الجديد، والثاني سي محمد بن عبد الرحمن الزواوي المسفيوي فقد وصل خبارهم للبشدر فرنصيص للطنجة في شأن قبح فعلهما أعزك الله، وأرسل عليهم، فهم يركبُ البحر في تاريخ هذا الكتاب من مرسيلية...»¹⁷⁸ غير أنهما استخدما في الأغراض المخزنية، وعين ثانيهما للعمل بمنجم الرصاص بسوس وهذه بالديناميت¹⁷⁹.

175. جاك كايي : «المغاربة...».

176. رسالة السلطان إلى الحاج محمد الزكاري في 27 جمادى الثانية 1305/10 يراير 1888، بتطوان 87/6.

177. جاك كايي : «المغاربة...».

178. رسالته في 2 شعبان 1303/6 ماي 1886، محفظة فرنسا 5.

179. ابن زيدان : «العز والصولة...» ج 2 ص 155.

على أن جاك كايي لم يفدنا إلا بالعقوبات التي نالها المتعلمان الأخيران اللذان رجعا إلى المغرب سنة 1886. أما بعدها فجاء في تقرير إلى المخزن عنوانه «كفاية الجنايات...»¹⁸⁰ بيان التعزيرات التي صدرت في حق ثمانية من باقي المتعلمين بفرنسا سجنوا بحبس المدرسة. وها هو ملخصه:

عوقب رابعهم محمد المراكشي 8 مرات لمدة 65 يوما لخبث سيرته وتكاسله والاضراب عن الدراسة والمبيت خارج المدرسة والشجار مع الطلبة. وحبس خامسهم صالح مرتين طيلة 9 أيام للتأخر ليلا بالمدينة ومخالفة قوانين الانضباط.

وأدب سادسهم الودي أربع مرات مدة 20 يوما للمبيت بالمدينة وخبث السيرة والاضراب عن الخدمة.

وكان حظ السابع علال التروكي السجن مرتين ستة أيام للخصام والعصيان.

وثامنهم القرقور حبس 7 مرات لأكثر من 21 يوما بسبب اللغيب والخصام مع الطلبة والعصيان والتزوير عن بعض المدرسين.

أما التاسع ابن دحمان فلم يسجن إلا مرة واحدة طيلة 15 يوما لخبث سيرته وتهدهه على الترجمان.

والحادي عشر الحساني الزيلاوي سجن 3 مرات عدة أيام لخبث السيرة والشجار وضرب بعض رفاقه.

وأخيرا عزز عمر المسفيوي المتعلم الثاني عشر بالحبس مرتين مدة 12 يوما لخبث السيرة والاضراب عن الخدمة.

ولم يسلم من العقاب إلا المتعلم محمد الهواري الثالث عشر المريض، والمتعلم العاشر أحمد القلعي. ولئن كانت هاته التأديبات تفرض عادة في مثل هاته المؤسسات الداخلية فلن تمس مصيرهم الإداري بشيء، لأنها كانت هينة.

وتحدث كايي عن أحوال الطلبة وظروف عيشهم فقال إنهم كانوا يأكلون بالمطعم المدرسي بفرنك في اليوم، ولما طلبوا تحضير طعامهم بأنفسهم سمح لهم بذلك.

وكانت قضية لباسهم مثار مراسلات متعددة. فقد وصلوا إلى فرنسا بزي مغربي فأعطاهم الكولونيل ريونديل بلوزة وسراويل وسباطا أدى المخزن ثمن ذلك فيما بعد وهو 176,04 فرنكا. وفي بداية سنة 1886 خولت لهم البسة وأحذية أخرى بمبلغ 35,40 فرنكا لكل واحد منهم. ولم يكونوا يحملون شاشية الكيبي ولكن الطربوش. وهكذا سدد المخزن من

180. عنوانه الكامل : «كفاية الجنايات الصادرة من الطلبة والطبجية المتعلمين ببلاد افرانصيص، وكيف عوقبوا عليها بالسجن باذن الكرونيل المكلف الافرانصيصي، وذلك بمبيلي، بلاد افرانصة» وهو خلو من التاريخ، واصله بمديرية الوثائق الملكية، محفظة التعلم بالخارج.

أجل الكسوة 290،37 فرنكا سنة 1886 و 535،10 فرنكا سنة 1887، وأنعم على كل واحد منهم بمونة فرنكين في اليوم، وعلى المترجمان بست فرنكات يوميا¹⁸¹.

وفي ذلك تقول رسالة مخزنية سنة 1885 «بأن المتعلمين 12 الموجهين مع الخديم السعيد لباريز لم يلزم في سفرهم معه بحرا شيء، وجعل لكل واحد منهم في مئونته خمسا 2 ريال، وللمترجمان ريال وخمس ريال، فاجتمع في مئونة ستة 6 أشهر بحساب ذلك خمسة آلاف وأربعمائة من الفرنك.... فقد أمرنا الأمناء...» بدفعها¹⁸².

وهكذا كان المخزن يدفع الصوائر كل ستة أشهر مسبقا : يوم 25 يونيو ويوم 25 دجنبر. والدفعة الأولى سددها السفير السعيد في عين المكان. ومع ذلك كان يقع التأخير. ففي رسالة لهذا السفير حث على توجيه المؤونة بعد أن كان فيرو قد جدد له الكلام في شأنها على لسان وزير خارجية بلاده. قال السعيد متأثرا : «لأن سيدنا لا يرضى بعسكره يبقون ضياعا بالجوع حتى يرفعون شكايتهم لوزير أمور البرانية بدولة الفرنسية»¹⁸³ على حد تعبير السعيد المفهوم ولو مع لحنه. فأرسلت المنحة فعلا بعد ذلك وأمر السلطان نائبه بأن يوجه «للمتعلمين بافرانسة مئونة خمسة أشهر أخرى على يد الباشدور، وذلك عند انصرام الخمسة أشهر الأولى التي وجهت لهم مئونتها. وكتابتنا للأمناء بمرسى طنجة بذلك يصلك طيه»¹⁸⁴.

أما عن تعليمهم فقد كانوا يتدربون مثل نظرائهم الفرنسيين : كالمه بالبارود وتحصين القناطر وحفر الخنادق ومسح الأرض إلخ. وكانوا في الصباح يتعلمون الفرنسية والحساب والهيئة والجغرافية والكيمياء والفيزياء، وكان المترجمان يتولى تبليغ ذلك لهم نقلا عن مدربيهم. وابتداء من ماي 1886 لم يصبح عددهم إلا عشرة بعد رد اثنين منهم إلى المغرب حسبما مر بنا أعلاه، وكانوا في العشي يتلقون دروسا تطبيقية، وكان اثنان منهم - كلما كان الجو ممطرا لا يسمح بالخروج والتفريح - يتعلمان دروسا في التلغراف الجوي مع الطلبة الفرنسيين. وقسم المتعلمون إلى ثلاث مجموعات : الأولى كان فيها الرابع والخامس والسادس والثامن، وفي الثانية جعل السابع والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر. وبقي كل من التاسع والعاشر وحدهما، فقد كانا أميين. وكانت النقط المخولة لهم جيدة وتفوق المعدل : 15 حتى 19 من 20 في بعض الأحيان، وكان الكثير منهم مجتهدا في دروسه، بعد أن كان بعضهم ناقص المستوى في البداية.

كانوا كلهم يجهلون الفرنسية جهلا مطلقا فطلب المترجمان إرجاعهم بعد ثلاثة أشهر من مقامهم، إذ لم تكن قد تحددت من قبل مدة دراستهم. غير أن فيرو لم يقبل، إذ كان بواسطتهم يريد أن «يخلب أبصار الطلاب ويظهرهم بعظمة فرنسا وحالة حضارتها». فوق اتفاق لتمديد أجل تعلمهم، ووضعت سنة 1887 برامج كانت مفيدة لهم.

181. جاك كايي : «المتعلمون...».

182. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 قعدة 1302/21 غشت 1885، تطوان 146/3.

183. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 شوال 1302/7 غشت 1885، تطوان 27/128.

184. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 محرم 1303/15 أكتوبر 1885، تطوان 4/4.

حتى إذا أقيمت سنة 1888 كان المغاربة قد تعلموا ما كان يتوخى منهم، فكتب فيرو يسترجعهم من غريط. ثم إن الضباط الفرنسيين لاحظوا لدى المتعلمين شدة اشتياقهم لوطنهم ونوعا من فتور الهمة في الدراسة والتحصيل بعد غربة استمرت نحو من ثلاث سنوات، فكتب المسؤول عنهم الى وزير فرنسا بطنجة يوم 27 يونيو أن أن الأوان للمخزن لاستردادهم والافادة من تعلمهم، معبرا عن خوفه من فساد أخلاقهم بطول مقامهم. وقد استلزم رجوعهم عدة شهور من المفاوضات. وفي شهر دجنبر 1888 قبل المخزن رجوع المتعلمين التسعة الباقين بعدة عودة المتعلم الثالث عشر المريض، فتوجهوا إلى مرسيليا ثم وصلوا إلى طنجة يوم 16 منه، فاستقبلهم الطريس، شاكرا المكلف بالأشغال بوتيرون Boutiron (لأن الوزير فيرو كان قد توفي يوم 19 نونبر السابق)، ومنوها بحسن عناية فرنسا بهم.

وكان غريط قد كتب في شهر نونبر 1888 إلى فيرو موافقا على رجوعهم وطالبا أن يمدد مقام أربعة أو خمسة منهم بعض الوقت لتعلم الكهرباء لتسيير الآلات المهداة من قبل إلى السلطان، لكن طلبه وصل متأخرا إلى الحكومة الفرنسية بعد أن كان المتعلمون قد غادروا مونيولي. وأعادت الحكومة المغربية الكرة فاختار الكولونيل أربعة من أنجب طلاب المدرسة. وقال كايي إنه بالرغم من أبحاثه لم يعثر على وثيقة تدل على تطبيق هذا التدريب المقترح.

ومن جهة أخرى بدأ الحديث يدور في شهر يونيو 1888 عن تبديل الفوج الراجع بوفد آخر يتألف من خمسة عشر طالبا يتدربون لا بمدينة مونيولي ولكن بفيرساي من ضواحي باريس. وظهر لفيرو أن يطلب من القبطان جول إيركمان أن يتولى تعليمهم بعد أن غادر قيادة البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، فقبل اقتراحه وعبر عن رغبته في أن يكسى الطلبة كساء جيدا، وأن يختاروا من أفضل البيوتات، لكن هذا المشروع لم يتحقق، حسب جاك كايي الذي ختم بحثه بهاته الفقرة الموالية :

والظاهر أن مكوثهم بفرنسا أسفر عن نتائج جيدة لم يحسن المخزن استغلالها. وتدل التقارير والمراسلات المتبادلة بين المدرسة والمفوضية الفرنسية من جهة أولى، وبين الترجمان محمد العلي والمفوضية والمدرسة من جهة أخرى على أن الكثير من هؤلاء المتعلمين كانوا مجدين في أعمالهم¹⁸⁵.

وقبل أن أعرض لما جاء في مصادر مغربية أشير إلى أن أفواجا من صناع معامل السلاح المغربية قد تدربت منذ سنة 1884 بفرنسا وإنجلترا¹⁸⁶ دون أن أقف على أعدادهم ولا على أسمائهم.

وسأفسح المجال لتفاصيل أخرى لم ترد في المصادر الأوروبية بما ينبغي من التوسع وسأسوقها من الوثائق المخزنية.

ففيما يرجع لأسماء الطلبة الأربعة الذين اقترحوا لتعلم الكهرباء جاء في مسودة جواب مخزني إلى سفير فرنسا: «وصلنا كتابك بأن الطلبة الذين تحققت نجابتهم من الذين كانوا بافرانسة يتعلمون هم الأربعة الذين سميتهم بطرة كتابك، وهم الذين يصلحون لتعلم ضوء

185. جاك كايي : «المتعلمون...» شيء من الاختصار، وقد خللت دراسة باقتباسات من الوثائق المغربية.

186. «المغرب وأروبا» ج 4 ص 97 (1).

الكهربية، وطلبت توجيههم مع الذين ينتخبون من الرباط وسلا والعرائش صحبة البرطقيزي ليترجم لهم...»¹⁸⁷.

وفي طرة المسودة المذكورة أربعة أسماء هي : صالح وابن سعيد والحساني (وهم على التوالي المتعلمون الخامس والثامن والحادي عشر) وأبلّاح الذي لم أعرفه والذي أحاول أن أعثر عليه من بين الطلبة والصناع الستة الباقيين بفرنسا إلى حين رجوعهم جميعا مع المتعلمين الثلاثة السابق ذكرهم. فليس أبلّاح هو المتعلم السابع ولا التاسع ولا العاشر لأنهم أميون وقليلو الذكاء، وليس هو المتعلم الرابع محمد بن عبد الرحمان المراكشي ولا السادس عبد الله الودي. وإنما أرجح أن أبلّاح هو عمر بن محمد المسفيوي المتعلم الثاني عشر الذي لا يدل نسبه القبلي هذا أو البلدي على تخصيص وإنما على تعميم. ولما ساق كايي اسمه لم يورد معه نسبه، فتعين أن أميل إلى أنه هو نفسه، إذ لو كان الطالب الرابع أبلّاح المقترح في المسودة هو صاحب رقم 4 أو رقم 6 من أعضاء الفوج الثاني لكتب اسمه واضحا في الطرة : المراكشي أو الودي.

ومهما يكن فقد قر عزم السلطان على توجيه الطلاب واختيار أربعة من أهل الرباط، فكتب رسالتين إلى كل من عامل المدينة وأميني مرسى العدوتين بإيفادهم إليه بقصد الاختبار بالعاصمة¹⁸⁸

وفضلا عن هؤلاء الأربعة المقترحين في المسودة جاءت من قبل إشارات في مسودتين أخريين يفهم منهما أن النية كان قد عقدت على توجيه 15 طالبا من أهل العدوتين والعرائش لتعلم المدفعية بفيرساي. فلنستشهد ببعض ما رود فيهما لمعرفة ذلك، ولو مع التكرار.

قالت إحداها :

«وبعد فقد أنهيت لشريف علم مولانا نصره الله ما أرايته دولتك الفخيمة من رد المتعلمين الذين ببلاذكم لهذا حيث كملوا أربع سنين وحصلوا ما توجهوا لتعلمه، وتوجيه خمسة عشر متعلما بدلا عنهم يتعلمون علم تطبجيت ويتوجه معهم البردقيزي الذي كان مع المتعلمين الذين بصدد الرجوع من بلاذكم ليكون يترجم للخمسة عشر الذين يتوجهون لها.

«فأمرني أعزه الله بالكتابة لك بأن تجيب دولتك المحبة بأن ترد المتعلمين الذين حصلوا ما توجهوا لتعلمه، وبأنه دام تأييده. لا يكره أن يبقى أربعة منهم أو خمسة ببلاذكم يتعلمون بها علم ضوء الكهربية ليكونوا يباشرون بها فنارات الضوء المذكور التي كنتم أتحفتم بها حضرته الشريفة وغيرها، لكونهم تدربوا وتعلموا اللسان، فيمكن أن يتعلموا علم الضوء المذكور في أقرب مدة، بخلاف الذين يتوجهون من هنا فلا يتعلمون ذلك في مدة قريبة، حيث لم يتدربوا ولم يعرفوا اللسان، إن جاء ذلك على خاطر الدولة المحبة. وإلا فيرجعون كلهم للمضرة الشريفة. وحيث يتوجه الخمسة عشر متعلما لقراءة علم تطبجيت يتعلم الكل علم الضوء المذكور، فإن سيدنا أعزه الله قد أصدر أمره الشريف بانتخابهم وتوجيههم لك على يد النائب السيد الحاج محمد الطريس، لتوجههم لبلاذكم على يدك بقصد ما ذكر. ودمت بخير»¹⁸⁹.

187. مسودة جواب إلى باطنوطر في 8 شعبان 1306/9 أبريل 1889، الترتيب العام.

188. تاريخهما 8 شعبان 1306/9 أبريل 1889، ورقمهما هو 11.702 و 11.703 (م و م).

189. تاريخ المسودة في 19 صفر 1306/15 أكتوبر 1888، محفظة التعلم بالخارج.

وجاء في المسودة الأخرى :

«وصلنا كتابك بأن من ظهرت نجابتهم من المتعلمين بباريز¹⁹⁰ الذين استفهمت عنهم الحضرة الشريفة لتردهم لها يتعلمون ضوء الكهربية هم الأربعة المسمون بطرة كتابك، وطلبت توجيه المتعلمين الذين ينتخبون من الرباط وسلا والعرائش لطنجة صحبة البردقيزي كستر لتوجيههم لافرانسة يتعلمون علم تطبجيت، وأطلعت بكتابك شريف علم مولانا وصار نصره الله على بال من جميع ما ذكرته فيه.

«وأمرني-أيده الله- أن نجيبك عن ذلك بأن الأربعة المشار إليهم الذين يردون لباريز بقصد تعلم علم ضوء الكهربية قد صدر الأمر بتوجيههم للحضرة الشريفة ليوجهون (= ليوجهوا) لك منها لطنجة لتوجيههم لباريز على يدك بقصد ذلك، وبأن الذين يتعلمون علم تطبجيت قد صدر الأمر لعمال المدن المذكورة بتوجيههم للحضرة الشريفة ليختبروا من جهة السن والقابلية وسلامة الأعضاء. وحينئذ يوجهون لك صحبة البردقيزي المذكور على يدك بقصد تعلم تطبجيت»¹⁹¹.

ونستخلص من الوثيقتين الأخيرتين أن المذكرات كانت لا تزال جارية سنة 1889 لايفاد أربعة لتعلم الكهرباء إن أمكن، وإلا فيتعلمه البعض من الخمسة عشر المنوي توجيههم إلى فيرساي. وبديهي أن هذا المشروع لم ير النور لأسباب لا تزال مجهولة. ولعل التراجع كان من قبل الحكومة الفرنسية وحدها.

خاتمة

هاته عجلة عن مجموع المتعلمين¹⁹² أردت بها الكشف عن جوانب من العلاقات الثقافية بين المغرب والدول العربية والأجنبية، ولزمني من أجلها استقراء واستقصاء يفيدان حتما في قراءة متأنية لتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر.

إن هاته الدراسة المستقاة أساسا من وثائق مخزنية أبرزت جوانب مشروع الإصلاح الذي لو قدر له الاستمرار لقلب الأوضاع نظريا.

وهذا يدعونا إلى التوقف قليلا لطرح طائفة من الأفكار والاستنتاجات المتواضعة بشأن هذا التعلم بالخارج.

190. عبارة «المتعلمين بباريز» لا محل لها هنا، وهي تدخل الالتباس في وجود بعثة ثالثة لم ترسل إلى فرنسا بالفعل لتعلم المدفعية بفيرساي لعدم دليل على ذلك لحد الآن في المصادر الأجنبية والمغربية على السواء. وصوابها عبارة «المتعلمين بمونبولي»، فالعبارة الأولى المغلوطة أو من سبق القلم تبرهن على أن أهل المخزن لا يعرفون مكان التعلم، ولا يعنون به.

191. المسودة بتاريخ 14 جمادى الثانية 1306/15 يناير 1889، الوثيقة 11.674 (م و م).

192. كانوا يوصفون بـ «المتعلمين» بضم الميم الأولى وفتح التاء، تمييزا لهم عن متعلمي الصناعة بفتح الميم وسكون التاء. كما كانوا ينعنون بالطلبة، سواء في الوثائق المخزنية أو على لسان الناس.

فقد ظهر جليا من خلال ما قرأناه من نصوص، فسحت لها المجال ونقبت عنها تنقيبا مرهقا للنفس، أن الأقبال على هذا التعليم لم يلق ما يكفي من التجاوب لدى الهيئات الغنية والأوليكرشية الحاكمة، وأن الذين انتخبوا لتلقي هذا التدريب كانوا منتمين لطبقات شعبية فقيرة أو متوسطة الحال من أبناء البلديين سكان بعض المدن أو من الأفاقيين المتبلدين.

ومن الحق أن نعترف بأن اختيار المتدربين للتعليم بطنجة وبخارجها لم يكن قط بالاكراه، وإنما كان بالتراضي بين الحكومة والآباء لتوجيه الشبان العازبين. وقليل جدا من الآباء من كانوا يرغبون في ذلك مثل الحاج عبد الرحمان بن إدريس الطنجي الذي علم السلطان سنة 1886 أن له «ولدا طالبا بلغ مبلغ الرجال، وطلب من جانبنا العالي بالله انتظامه في جملة من يتوجه بقصد التعلم عند بعض الأجnas، فساعدناه على ذلك»¹⁹³.

فهاته الحالة شاذة وليس قياسية، فقد كان بعض الآباء في الواقع كثيري الضراعة لاعفاء أبنائهم من التعلم ببلاد النصارى، حسبما ذكره الحاج محمد بركاش في الفصل الأول، بل كانوا يتحايلون لإبطال هاته الدراسة فيعمدون إلى تزويج أبنائهم في سن مبكر حتى يستكملوا العذر الشرعي بوجوب بقائهم إلى جانبهم لضرورة الاتفاق على الأسرة¹⁹⁴.

وإذ نظرنا إلى مجموع المستفيدين من هذا التعليم ألفيناهم نحو 600 متدرب : 425 جنديا وضابطا بجبل طارق، و65 من الصناع ببلجيكا، ونحو 30 بكل من ألمانيا وإيطاليا، والعشرات بمصر، و15 بفرنسا، وأعداد قليلة بإنجلترا وإسبانيا والولايات المتحدة.

بيد أن مدة التدريب لم تتعد الشهور القليلة ولا تكاد إلا نادرا تتجاوز بضع سنوات بإيطاليا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا ومصر. وهكذا اغترب المتدربون بعض الوقت وتحملوا تضحيات بالصبر على فراق الأهل والأحباب، أو بالوفاة في بلاد المهجر، وزج ببعضهم زجا في عالم غريب عنهم، سرعان ما ألفوه، أو عوملوا بالاهمال عند الرجوع فانتظروا عدة شهور لتعيينهم في وظائف جديدة. وأكثر من هذا أنهم كانوا يتهمون بالجهل والتنصر مثلما رواه الطاهر ابن الحاج، أو بميلان قلوبهم لغير الاسلام حسبما أشيع عن طالبين طنجيين بإيطاليا. على أن منهم من وضعوا في مناصبهم الحقيقية، بينما كان قليل منهم قد تسلقوا الهرم الإداري فأُسندت إليهم مناصب وزارية كالغباص.

وكان التعليم بالخارج عسكريا في جوهره، إلا أننا نشك في أن برامجه كانت صادرة عن سياسة مصممة ومعقنة، ونرجح كثيرا أنه كان مطبوعا بالارتجال سواء في مصير خريجيه أو في مطابقة دروسه لاحتياجات البلاد غير العسكرية، فكان السلطان يستقبل بين الحين والحين سفراء الدول وبعض ضباطها، فيعرض عليهم أو يعرضون عليه استعدادهم لتعليم أفواج من الطلبة ببلدانهم ولتلقى فنون حربية وصناعية، يقبل السلطان بعضها ويرفض بعضها، بعد استشارة من تجب استشارتهم في ذلك.

ولا مبالغة إن قلت إن السلطان كان وحده، بحكم اتصالاته بالديبلوماسيين، مقتنعا بضرورة قطع هاته الخطوة الجديدة في ميدان التنظيم، وأن الكثير من رجال حاشيته كانوا لا

193. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 محرم 1304/24 أكتوبر 1886، تطوان 5/5.

194. الرواية هي للمرحوم محمد بن رضوان بلامين السلاوي.

يؤمنون بها إلا على مضض، مثلما كان العلماء لا يكاد يعنيه أمرها¹⁹⁵، فما من أحد من هؤلاء وضع كتابا يدعو به إلى مسايرة العصر وتجديد الدم في الإدارة والجيش، وإنما كانوا ينظرون إلى الحرب نظرة أهل القرون الوسطى، فيعتبرونها كرا وفرا على مثال حرب عنترة بن شداد، غير مستخلصين الدروس والعبر من فضيحة يسلي ولا من موقعة وادي راس، ولا يدرون أن الحرب تنظيم مدروس وسترراتيجية علمية يتولى إعدادها وتخطيطها ضباط محنكون ورجال محترفون.

ومهما يكن فالحاصل أن هاته البادرة المتواضعة - الخجولة لأنها لم تستمر طويلا - كلفت أموالا باهظة أداها مولاي الحسن من الميزانية العامة، لأن المهم في رأيه أن يتعلم المغاربة. وكانت - والحق يقال - جديرة بالتنويه والاكبار، وكان خريا بالشعب أن يدعمها بتأييده لخلق مغرب عصري.

ولئن تزامنت مع نهضة مصر في عهد إسماعيل باشا، ومع نهضة اليابان في عهد الامبراطور ميحي موتسو هيتو الذي توفي سنة 1912، بعد حكم دام 50 سنة أدخل أثناءه إصلاحات هيكلية على جهاز الدولة، وبعد أن عُمر - مثل السلطان المغربي - ستين سنة، فلم تكتب لخطوتنا نفس النتيجة. إذ بينما انطلق اليابان ولم يتوقف إذا بالجسم المغربي يصاب بالعياء، فمنذ سنة 1889 لم يبق بأروبا إلا القليل من المتعلمين بإيطاليا سنة 1907. وهكذا توقف هذا المد الثقافي والحضاري قبل وفاة السلطان التي كانت نكبة للمغرب ونقمة على المغاربة، وفرصة مواتية - ولربما خطة مبيتة - من لدن الخصوم المتربصين به الدوائر.

هنا نتساءل : ترى لو امتد الأجل بمولاي الحسن عشرة أو عشرين سنة أخرى ماذا كان سيقع ؟ إذن لانطلق المغرب من عقالة نظريا فقط، ولربما تقوى حتى كسب مغارك حربية مثلما ربح اليابانيون حربهم مع الصين سنة 1896. غير أن هذا الاحتمال الوهمي لا يجوز اعتماده إلا إذا ألغيت الاعتبارات الجيوسياسية المعاصرة له : أي إلا إذا نسينا - وليس من حقنا هذا النسيان - التهافت الخارجي على المغرب الذي ليس موقعه هو موقع اليابان ولا عقلية أبنائه السادرين أو العاصين كنفسية الياباني المنضبط الحازم الدؤوب. كان الأوروبيون قد زرعوا طوابيرهم الخامسة (الحماية القنصلية)، وكانوا يحتلون ثغورا بالشمال منذ عهد قديم، وسيجتاحون مواقع بالشرق وبالجنوب. ولم يكن للمغرب سبيل إلى ردهم، ولا حتى إلى قمع حركة تمردية قام بها أبو حمارة : الجيلالي الزرهوني الذي بث الشقاق في أطرافه وجر إلى نفقات ثقيلة، والذي كان بالذات أحد المتعلمين على يد الضباط الفرنسيين¹⁹⁶، ولو لم يكن أحد هؤلاء المتعلمين بالخارج.

هذا تقييم مؤقت لحصيلة هاته الدراسة بالخارج التي كانت في الواقع خطوة أولى لم تلها تنظيمات لتجديد هياكل الدولة وإصلاحات إدارية واقتصادية ودستورية تحمي كيان البلاد من الشرور والهوان.

فما من نهضة إلا وكان العلم - كل العلم - حجر زاويتها.

195. يستثنى منهم من نكرم المنوني في «مظاهر...» ج 1 ص 335، وما بعدها.
196. عبد الوهاب بن منصور : «أعلام المغرب العربي» ج 1 ص 304.



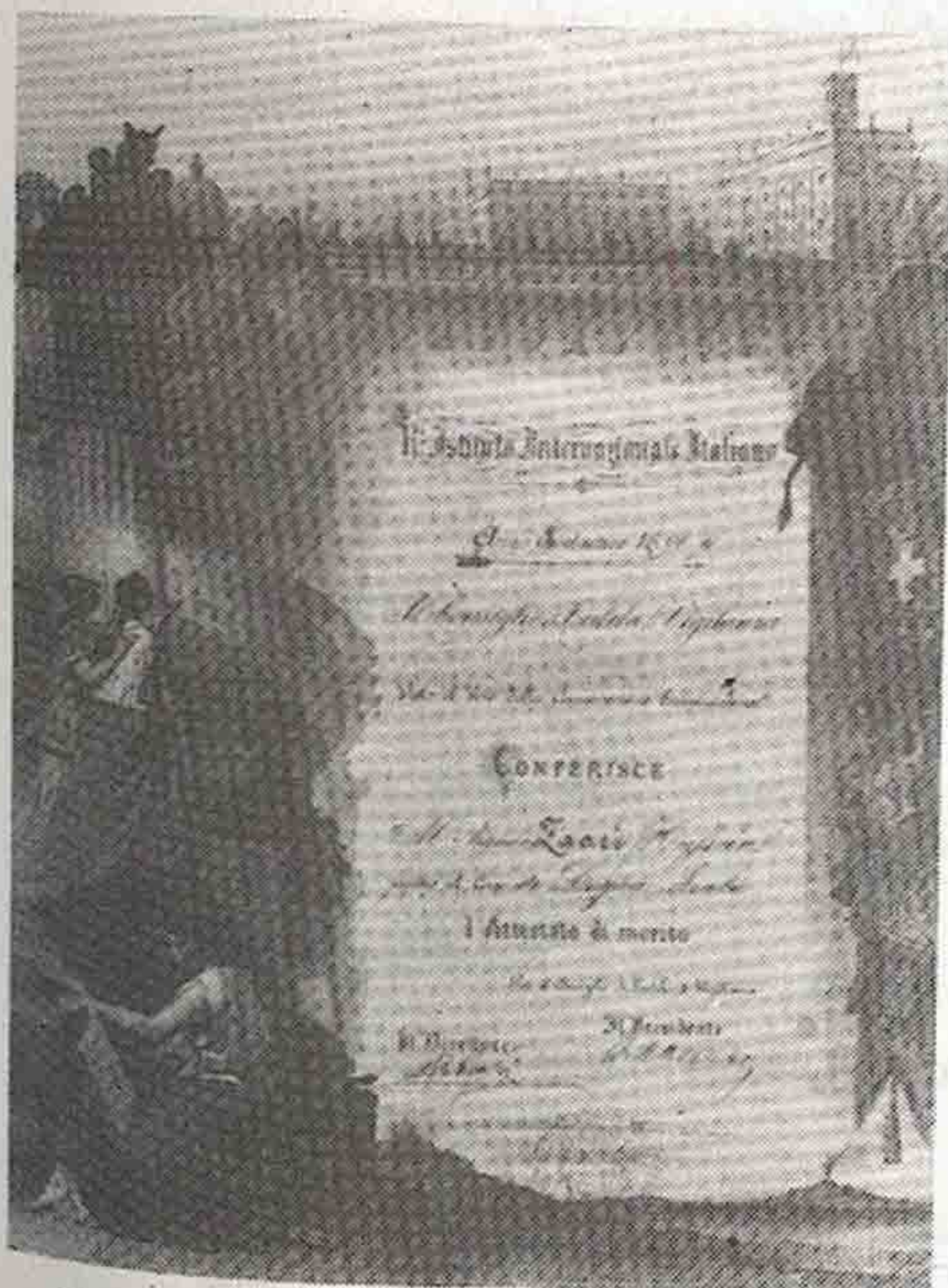
أحمد الجبلي العيدوني



أبو بكر بن عبد الوهاب
(وثائق الخزانة الصيحية)



الحسين الزعري



شهادة للحسين الزعري من المعهد الدولي الايطالي
(الخزانة الصيحية)



شهادة للحسين الزعري من طورينو في تعلم اللغات
(الخزانة الصيحية)

ملحق

ذكریات لأحمد الجبلي العیدونی الطالب بإيطاليا (1887-1896)

هاته الوثيقة الحاملة رقم 13 في خزانة أحمد الجبلي هي الوحيدة التي بقيت من مخططاته، وروی له ابنه الفاضل الحاج أحمد بن مولاي أحمد الجبلي العیدونی الطبيب اليوم بالرباط أن أباه كتبها وهو في السجن العلو بالرباط عندما كان معتقلا في قضية الظهير البربري. كتبها بالفرنسية سنة 1930، وكانت تتخللها أغلاط نحوية ولغوية أصلحتها بين معقوفتين دون أن أخل بالمعنى العام، كما أن فيها تشطيا وإقحاما لكلمات لم أتمكن من قراءتها فتركت مكانا فارغا.

وقد صورها لي ابنه الدكتور الحاج أحمد وأذن لي بنشرها، ففعلت لما تشتمل عليه من إفادات مختلفة. فها هو نصها الفرنسي متبوعا بالتعريب الذي قمت به.

Mémoires de Moulay Ahmed Djebli El Aydouni, étudiant en Italie (1887 - 1896) — N° 13

Mon origine depuis mon grand-père, le Chérif El Housseini Elaydouni Elâami Edrissi Sidi Abdullah Ben Abdelouahab Djebli, dont les aïeux sont les descendants directs du huitième fils du Sultan Moulay Driss, le fondateur du Maroc et de la ville de Fez.

Le huitième fils de Moulay Driss s'appelait Sidi Hamza et il fut le dernier sultan drissite de la région de Sijelmasa et du Tafillalet

Sur l'arbre généalogique, qui témoigne de l'origine de mes ancêtres, je suis le dernier de notre famille qui y est inscrit ; et mon inscription, qui est déjà portée sur ledit arbre généalogique, avait été homologuée :

I par le Cadi de Mekenès Sidi Mohammed Ben Abdesslem Ettahiri et en la présence de deux de ses adouls.

II par le Medjeouar, chef des Chorfes Drissites de Mekenès, dénommé Sidi M'Chiche, en la présence de deux adouls du Cadi de Mekenès

III par le Cadi de Fez, Lafki Lâraki, en la présence de deux de ses adouls.

IV par le Medjeouar, chef des Chorfas Drisstes de Fez, dénommé Moulay Taybi El Badraoui, en la présence de deux adouls du Cadi de Fez.

Toutes ces formalités se trouvent facilement sur les registres des copies des deux cadis de Mekenès et de Fez.

Mon grand-père, Sidi Abdellah Elaydouni Elâlami, était né dans son pays de la montagne des Kh'mas chez les Béni 'Arous, en l'année 1173, mais mon père et moi nous sommes de naissance [Rbatis]

Mon grand-père, savant éminent (sous le titre de Ousztad Hamzaoui) était descendu de la montagne pour s'établir à Rabat en l'année 1243 et il y avait ouvert deux écoles coraniques, dans la rue Souika. La première école consistait d'un premier étage situé sur la mosquée connue sous le nom de Djama Korja, en face des vendeurs du poisson frais, dans cette même rue Souika, et la deuxième école se trouvait vis-à-vis de la première, dans un local formant 1^{er} étage situé au-dessus des boutiques de ces mêmes vendeurs du poisson.

Parmi les élèves [Rbatis] qui avaient [tiré] profit de l'enseignement de mon grand-père on peut mentionner : Sy Abdessalem Ronda, père de notre distingué Ministre de la Justice Chérifienne S.E. Sy Mohammed Ronda; le grand père, père et oncle du distingué Ministre des biens Habous, S.E. Sy Méhammed Molin; ainsi que d'autres élèves [appartenant à de] différentes familles des notables de Rabat comme : Souissi, Bacha, Palafredje, Bennani, Moréno, Fredje, Regragui, Ghannam etc, en plus d'un pauvre vieillard vivant encore aujourd'hui à Rabat, comptant de sa vie normale déjà 103 années sans être empêché de fumer tout le temps des cigarettes, et il s'appelle Hazzi [Ezzouaghi] demeurant chez son frère El Arby rue Souika à Rabat.

Après avoir organisé ses écoles, le grand-père épousa Lalla Fatma Bent Lafki Echelh, Ben Sidi Ali Ennacery et de cette union était venu au monde, le 15 Hedja 1245, mon père Sidi Mohammed Ben Abdellah Elaydouni Elâlami.

L'année 1269 le grand-père avait décidé de son voyage à la Mecque et s'accompagna de son fils Sidi Mohammed, mais la mort l'avait [surpris] dans la ville sainte du prophète et il y fut enterré par ce même son fils le 14 du Hedja 1269 dans sa 96^e année de la vie utile. Désorienté par la mort de son père, Sidi Mohammed vagabonda dans l'Orient et en Egypte pendant trois années consécutives et ne retourna au Maroc qu'au commencement de l'année 1273, après avoir acquis quatre fois le titre qualificatif du Hadje. De retour à Rabat Sidi El Hadj Mohammed Elaydouni Elâlami organisa sa vie se liant en mariage à Lalla Khadija Bent Sidi Ali Zelzim [Chorfas Drissites] et de cette union plusieurs filles et garçons virent la lumière du jour et parmi ces derniers moi-même né à Rabat le 13 Safar 1283.

Dans l'étude et dans le savoir en général la vie de mon père n'était pas moins brillante de celle de son père Sidi Elhadje Abdellah, et dans les dernières années de sa vie, mon père avait acquis la vénération, poussée

jusqu'à la sainteté même, et près de tout le monde marocain, qui l'avait connu même en dehors de la ville de Rabat. Et il avait été bien regretté quand il avait rendu son dernier soupir, entouré de l'affection de sa nombreuse famille et de sa nombreuse descendance au moment où il accomplissait son centième anniversaire, moins quatre mois de sa vie heureuse, à cinq heures du matin du jeudi 12 Rébia 1^{er} de l'année 1345, correspondant au 1^{er} octobre 1925

"MA VIE"

Me voici arrivé au monde et à Rabat le 13 Safar 1283 et déjà à l'école. Mon frère avait 18 mois de plus de mon âge et nous n'étions pas eu arrivés des élèves éveillés de notre classe. Malheureusement, un jour du jeudi, que tous les écoliers sont en liberté et s'amusaient sur la plage, on avait eu la folle idée de représenter la guerre, on se partagea en deux partis adverses et on [commença] la bataille. Une pierre partie du but de ma fronde, blessa dans sa tête un écolier de mon âge et de ma classe, ses parents portèrent plainte au pacha de Rabat, Sy Mohammed Souissi et mon père alors reçut la convocation pour répondre de mon méfait ; et quoique cette menace [n'eût] pas eu de suite, grâce à la générosité des parents du camarade blessé, qui avaient retiré leur plainte, qu'en même mon père, malgré sa bonté envers moi et mon frère, avait décidé de me punir, pour quelque temps. Il m'avait fait quitter l'école et me confia à un [vieux] Chérif de Mostaganem, sabottier, pour me faire apprendre ce métier

Mais la providence avait bien [mieux pensé] pour moi et pour mon avenir; le Sultan du Maroc, Moulay El Hassan, avait décidé d'envoyer, pour s'instruire en Italie, des enfants marocains, et me voici parmi les quinze choisis et déjà à bord du croiseur italien Garibaldi, en route pour l'Italie le 24 Novembre 1887. En débarquant, à Gênes, l'après-midi du 27 Novembre 1887, nous fûmes reçus sur le quai par le représentant désigné pour guider notre instruction, un nommé Agostino de Grossi, le directeur lui-même de l'institut où nous devons commencer nos études. Et le 28 Novembre nous arrivâmes à Turin au sein du collège international, via Saluzzo N° 55.

De [toutes parts] des fêtes en l'honneur de notre arrivée et dans toutes les classes; beaucoup de joie mêlée en même temps à la simple curiosité de voir des enfants marocains, et nous nous vîmes entourés des Bulgares, des Arméniens, des Serbes, des Monténégrins, des [Japonais], des Egyptiens et surtout des Abbessiniens et même plusieurs princes : le prince Ahmed Fouad, l'actuel roi de l'Egypte, le prince du Monténégro, frère de l'actuelle Reine de l'Italie, le frère de Ménélik et de Rass Alula 1^{er}, tenus en ôtages, après la bataille de Pogali (?) en 1885 et la défaite du Général Baratieri.

Pour mon instruction on m'avait confié à des bons professeurs, et je n'avais pas perdu mon temps. Après ma cinquième année des études, je rentrai, à l'école des Officiers de l'Infanterie à Modène (Octobre 1891).

J'aimais les mathématiques et le sort m'avait favorisé dans cette même matière, je tentai en conséquent mon examen d'admission à l'académie militaire des Officiers de l'artillerie et du Génie à Turin, et ayant été [reçu] par une moyenne de 17,75/20 de faire savoir, ma joie était à son [comble], car en voyant le prince Ahmed Fouad, sorti officier d'artillerie de cette même académie, une voix d'espérance [m'encouragea] à suivre la même carrière. Trois années d'études dans cette académie (Octobre 1892-15 Juillet 1895) et j'étais en uniforme pour prêter service :

I^e Au 29^e régiment de l'artillerie de forteresse dont le siège principal [est] à Turin, mais j'étais détaché au fort Bramafou à Bardonneche.

II^e Au 17^e régiment de l'artillerie de la campagne à Novare.

III^e Près de la 10^e Brigade de l'artillerie de la côte, Batterie de Saint Bénigne à Gênes.

Rentré au Maroc et [Ayant] pris service au Makhzen de [Moulay] Abdulaziz, sous le titre de Mohandis, j'avais pris part à la campagne de guerre du Makhzen contre la Chaouia et le Tadla (1897) et étais blessé plusieurs fois. Dans cette même campagne de guerre de la Chaouia et du Tadla, j'avais [rempli] deux missions topographiques pour le Makhzen, la première dans les régions de la Chaouia et du Tadla, sous la protection de Moulay Hafid, qui campait alors en Kalif, et en tant que chef d'une troupe du Sultan Abdulaziz au Kasba Tadla (1897), une deuxième mission dans le Maroc en général 1898-99.

En 1900 j'étais chef de la mission militaire chérifienne, désigné par le Makhzen de Sa Majesté Moulay Abdulaziz comme officier d'artillerie pour aller en Allemagne chez Frédéric [Krupp] à [Essen] pour vérifier et prouver sur les champs du tir à Meppen et accepter des canons et des munitions que le Makhzen de Sa Majesté avait achetés à l'usine [Krupp]. Ma mission était ainsi composée : Moi-même Officier d'artillerie, et trois autres officiers [sortant] de l'Ecole de l'Infanterie et de la cavalerie de Modène (Italie) dont :

I^e le lieutenant de la cavalerie Mohammed Ben Omar de Rabat, ancien caïd du Tabor de la police chérifienne à Tanger (Urbaine).

II^e Le lieutenant de l'Infanterie Sy Mohammed Tadlaoui de Rabat, simple cultivateur à présent au pays des Sraghna.

III^e Le lieutenant de l'Infanterie Sy Mohammed Ben Elouazzâe de Rabat (mon cousin germain) au San Paolo du Brésil dès 1902.

IV^e Un administrateur trésorier de la mission dénommé Sy Ahmed Médina de Tétouan.

En 1901 j'avais préparé et dessiné, pour le Makhzen, la 1^{ère} carte du Maroc, faite par un Marocain, qui avait été imprimée par l'ordre de S.E. le ministre de la Guerre de S.M. le Sultan. Et le 21 Novembre 1901 j'arrivais à bord du croiseur français, Duchayla, en face du port d'Alger, comme membre faisant partie de la mission chérifienne pour la délimitation de la frontière algéro-marocaine, ayant à son chef Sy M'hammed Elguebbas, ministre de la Guerre de S.M. le Sultan Abdulaziz. Et blessé par accident entre Colombe Béchar et Ouakda, le 13 Mars 1902, j'avais décidé de démissionner. Sa Majesté, alors, m'assigna une

petite pension et un dahir au Cadi et au pacha de Rabat m'autorisant d'ouvrir une école à Rabat même, pour enseigner aux enfants marocains les langues étrangères et les mathématiques. Mais les barrières fanatiques que le cadi de Rabat m'avait soulevées pour empêcher l'ouverture de cette école à Rabat, me décidèrent à [mieux] penser et d'organiser ma vie. J'avais épousé une noble russe, instruite, diplômée du 1^{er} prix du conservatoire de [Moscou], fille du noble Alexis Nikalaïwich Bezroukoff, quatre fois maire de la ville de Voronège (pendant 16 ans) où il vit à présent sa 88^e année. Elle m'a rendu [l'heureux] père de trois enfants dont un est avocat, les [deux autres] suivent les classes du Lycée. A la fortune et au bonheur qui m'avaient [sourit] et [accompagné] tout le temps depuis mon mariage, s'ajoutent les grandes satisfactions morales que mes enfants ne cessent pas de me donner, par les accomplissements de leurs devoirs, comme si cela leur était imposé par un pouvoir suprême, par Dieu Lui-Même, qui veut me récompenser pour avoir fait mon devoir, moi aussi, envers mon père, pour lui avoir évité, pendant les 25 dernières années de sa vie, de se procurer à sa vie, pour lui avoir consacré mes visites tous les jours, tant de matin que de soir, et d'avoir éprouvé à son égard non pas seulement cette tendresse naturelle qui s'inspire de l'âme d'un fils vers l'auteur de ses jours, mais encore le grand respect, respect très particulier et qui est dû à l'égard d'un homme qui [atteint] le centième anniversaire de sa vie [heureuse] représentant pour ainsi dire une autre époque lointaine, plus belle, meilleure, la vie du savoir, la vie philosophe, la vie simple et naturelle.

Celle-ci est ma vie documentée, différente de celle que mes ennemis avaient soufflée à la presse massiste et autres presses marocaines. Il a suffi de dire que Djebli est en prison pour que mes ennemis [pensassent] décidément profitable le moment de l'accabler d'injures. On me considéra déchu et c'est la période de libellés misérables et qui ne peuvent qu'être soutenus par des indigènes qui font la cour à la Résidence pour un emploi ou pour un avancement et qui sont jaloux de mon origine et de ma vie indépendante et par aussi des Européens qui jalourent mon bonheur, ma situation et qui sentent en [eux-mêmes] ma supériorité intellectuelle et morale. Ils peuvent donc se permettre le luxe dans cette occasion de ma prison, aussi on m'appelle le petit rifain, le petit rifain qui a le ton de parler couramment cinq langues européennes et d'écrire et lire couramment et sept, en plus de parler tous les dialectes arabes de l'Afrique du Nord ainsi que le langage

spécial aux Juifs et trois dialectes italiens : le sicilien, le napolitain et le piémontais, en plus de l'honneur

grade d'officier sortant d'une des plus importantes académies de l'Europe, de l'académie italienne à Turin et de quoi il ne faut pas s'étonner. Voici ce que l'histoire nous rapporte du plus grand homme du monde en devant qui j'ai une figure à une plume d'oiseau sur la masse de l'océan.

Après Waterloo : à l'empereur déchu le coup de pied de l'âne est donné de [tous les côtés], on lui conteste jusqu'à son nom et on soutient qu'il ne s'appelait pas Napoléon mais « Nicolas » et le ne Paris [de] 1815 appelle l'empereur Maximilien et non plus Napoléon, pour faire la cour aux Bourbons. Si l'Echo du Maroc et le Soir Marocain du 30 Avril 1931 avaient désiré présenter au public marocain et française un petit et simple rifain, leur acte dépend uniquement de leurs devoirs [saints] qui les obligent à faire autour du trésor qui chaque mois leur paie la subvention. Auraient-ils, avec ça, assez pour payer la diffamation?

Il est dit [cependant] :

Les blessures par le fer et par le feu peuvent guérir dans un jour, mais les blessures causées par nos langues ne guérissent jamais.

تعريب مذكرة

أحمد الجبلي العيدوني الرباطي، الطالب بإيطاليا (1887 - 1896)

أصلي منذ جدي الشريف الحسيني العيدوني الإدريسي : سيدي عبد الله بن عبد الوهاب الجبلي، الذي أجداده منتمون للذرية المباشرة لثامن أبناء السلطان مولاي إدريس مؤسس المغرب ومدينة فاس.

إن ثامن أبناء مولاي إدريس يسمى سيدي حمزة، وكان آخر السلاطين الأدارسة بناحية سجلماسة وتافيلالت.

إنني آخر من سجل من أسرتنا في عمود النسب الذي يدل على أصل أجدادي. وتسجيلي مصادق عليه من لدن :

1. قاضي مكناس سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري بحضور اثنين من عدوله.

2. المزوار نقيب الشرفاء الأدراسة بمكناس المسمى سيدي مشيش، بمحضر عدلين من عدول قاضي مكناس.

3. قاضي فاس الفقيه العراقي بمحضر اثنين من عدوله.

4. المزوار نقيب الشرفاء الأدراسة بفاس المسمى مولاي الطيب البدرائي، بحضور اثنين من عدول قاضي فاس.

جميع هاته التسجيلات تسهل قراءتها في سجل النظائر عند قاضي مكناس وفاس.

ولد جدي سيدي عبد الله العيدوني العلمي ببلده بجبل الأخماس عند بني عروس سنة 1173، ولكنني ولدت أنا. وأبي بالرباط.

نزل جدي العالم الرفيع (المعروف باسم الأستاذ الحمزاوي) من الجبل ليستوطن الرباط سنة 1243، وبها فتح كُتَّابين بزَنْقَة السويقة. كان الأول منهما متركبا من طبقة واحدة تقع بمسجد قوريا، أمام حوانيت الحوَّاتَة، بزَنْقَة السويقة هاته، وكان الآخر يقع أمام الأول في مكان متركب من طبقة واحدة فوق حوانيت هؤلاء الحوَّاتَة أنفسهم.

وممن تتلمذوا على جدي وأخذوا عنه من أهل الرباط يمكن أن نذكر : سي عبد السلام الروندة، والد وزير العدلية الشريفة الممتاز معالي السي محمد الروندة، وجد وزير الأحباس الممتاز السي محمد ملين وأبوه وعمه، وكذلك تلاميذ آخرون ينتمون لمختلف بيوتات الرباط مثل : السويسي، والباشا، وبلافريج، وبناني، ومورينو، وفرج، والركراكي، وغنام الخ زيادة على شيخ مسكين لا يزال يعيش اليوم بالرباط وعمره 103 سنة دون أن يتوقف طوال الوقت عن تدخين السجائر ويسمى خجي الزواغي الساكن عند أخيه العربي بزَنْقَة السويقة بالرباط.

وبعد أن نظم جدي كتابيه تزوج بلَآلَ فاطمة بنت الفقيه الشلح بن سيدي علي الناصري، فولد له منها أبي سيدي محمد بن عبد الله العيدوني العلمي يوم 15 من ذي الحجة عام 1245.

وفي سنة 1269 قرر جدي الحج إلى مكة ورافقه ولده سيدي محمد، لكن المنية عاجلته بالمدينة المنورة، وتولى ابنه هذا دفنه فيها يوم 14 من ذي الحجة 1269 عن السادسة والتسعين من عمره. وقد أربك الموت سيدي محمد فهام ثلاث سنوات متوالية بالمشرق وبمصر، ولم يعد إلى المغرب إلا في مستهل سنة 1273، بعد أن حج أربع مرات. وعندما رجع الحاج محمد العيدوني العلمي إلى الرباط نظم حياته فتزوج بلَآلَ خديجة بنت سيدي الحاج علي جلزيم (شرفاء أدارسة)، ومن هذا الزواج ولد له عدة بنات وأولاد، ومن هؤلاء كنت أنا المولود بالرباط يوم 13 صفر 1283.

لم تكن حياة أبي أقل شأنا في العلم والتحصيل بصفة عامة من أبيه الحاج عبد الله، وقد نال أبي في السنوات الأخيرة من عمره الاحترام الذي وصل إلى التقديس من لدن جميع المغاربة بالرباط وحتى من خارجه، وتأسفوا على فراقه يوم أن لفظ نفسه الأخير وهو بين أسرته العديدة ونزيرته الكثيرة في الوقت الذي اكمل مائة سنة إلا أربعة أشهر من حياته السعيدة، وذلك في الخامسة صباحا من يوم الخميس 12 ربيع الأول 1345، الموافق فاتح أكتوبر 1925.

«حياتي»

وها أنا قد ولدت بالرباط يوم 13 صفر 1283 وبالكتاب القرآني، كان أخي يكبرني بـ 18 شهرا ولم تكن في فصلنا تلميذين نبيهين. ولسوء الحظ وذات يوم خميس كان فيه التلاميذ أحرارا يلعبون بالشاطيء خطرت لنا الفكرة الطائشة لتمثيل الحرب. فتقاسمنا إلى فريقين متنافسين وبدأت المعركة. فخرجت حجرة من مقلاعي وجرحت رأس تلميذ من أترابي ومن فصلي، فاشتكى أهله على باشا الرباط السي محمد السويسي، ووصل الاستدعاء إلى أبي لجيب عن سوء فعلي. ومع أن هذا التهديد لم يكن له من خطر لتسامح أهالي الصديق المجروح الذين سحبوا شكائهم، ففي نفس الوقت قرر أبي علي الرغم من طيبوبته معي ومع أخي أن يعاقبني لبعض الوقت، فأخرجني من الكتاب، ودفعني إلى خراز مسن من شرفاء مستغانم ليعلمني هاته الصنعة. لكن العناية الالهية فكرت جيدا في وفي مستقبلي، فقد قرر السلطان مولاي الحسن أن يوجه للتعليم بإيطاليا أطفالا مغاربة، وها أنا ذا قد انتخبت ضمن الخمسة عشر المختارين، وها أنا ذا على متن الجواله الايطالية غاريالدي في طريقها إلى إيطاليا يوم 24 نونبر 1887. وعند وصولنا إلى جنوة يوم 27 نونبر 1887 استقبلنا بالرصيف من لدن النائب المعين لتولي تعليمنا وهو المسمى أغوستينو دي غروسي، نفس مدير المعهد الذي سنبدا فيه دراستنا، وفي يوم 28 نونبر وصلنا إلى طورينو في رحاب الكوليج الدولي بزقة سالودزو، رقم 55.

وأقيمت حفلات على شرف مقدمنا في كل مكان وفي كل الأقسام، أفراح كثيرة تمتزج في نفس الوقت بالتطلع لمشاهدة أطفال مغاربة، وكنا محاطين بتلاميذ بلغاريين وأرمينيين وسربيين ومونطينيغريين ويابانيين ومصريين وخصوصا حبشيين، وفي نفس الوقت بعدة أمراء : الأمير أحمد فؤاد، ملك مصر الحالي، وأمير مونطينيغرو، شقيق ملكة إيطاليا الحالية، وشقيق مينيليك ورأس أبولا الأول اللذين احتفظ بهما رهينتين بعد معركة بوغالي سنة 1885 وبعد انهزام الجنرال باراطيري.

ولتلمي عهد بي إلى أساتذة طبيين فلم أضع وقتي. فبعد سنتي الخامسة من الدراسة دخلت إلى مدرسة ضباط المشاة بمدينة مودينا (أكتوبر 1891).

وكنت شغوقا بالرياضيات وواتاني الخط في هاته المادة نفسها ، فحاولت تبعا لذلك أن أخوض امتحان قبولي في الأكاديمية العسكرية لضباط المدفعية والهندسة الحربية بطورينو، ولما نجحت بمعدل 17,75 من 20 كم كان فرحي عظيما، لأنني لما رأيت الأمير أحمد فؤاد قد تخرج ضابط مدفعية من نفس هاته الأكاديمية، شجعني صوت الأمل لمتابعة نفس التخصص . وبعد ثلاث سنوات من الدراسة في هاته الأكاديمية (أكتوبر 1892 - 15 يوليوز 1895) كنت مرتديا الكسوة ومستعدا لكي أخدم في :

1. الفصيلة 29 من مدفعية الأبراج التي كان مقرها الأساسي بطورينو، لكنني انتدبت للعمل في برج برامافو، بمقاطعة باردونيكا.

2. الفصيلة 17 للمدفعية بنوفاري.

3. الفرقة 10 من مدفعية الشاطئ، وحدة سان بنينو بجنوة.

ولما أثبت إلى المغرب واستخدمت في مخزن عبد العزيز بصفتي مهندسا شاركت في الحملات الحربية للمخزن ضد الشاوية وتادلة (1897)، فأصبحت بجراح عدة مرات. ففي هاته الحملة الحربية بالشاوية وتادلة قمت للمخزن بمهمتين طبوغرافيتين : الأولى بنواحي الشاوية وتادلة تحت حماية مولاي حفيظ الذي كان مخيما في ذلك الوقت بوصفه خليفة، وفي نفس الوقت بقائد لجند السلطان عبد العزيز بقصبة تادلة (1897)، والثانية في المغرب بصفتي جنرالا سنة 1898 و1899.

وفي سنة 1900 كنت رئيس وفد عسكري مغربي عيني مخزن جلالة مولاي عبد العزيز بوصفي ضابط مدفعية للذهاب إلى ألمانيا عند فريديك كروب بإيسن لكي نختبر ونقبل في مكان الاطلاق بميين مدافع وذخائر كان مخزن صاحب الجلالة قد اشتراها من معمل كروب. وكانت بعثتي متركبة كما يلي : مني بوصفي ضابط مدفعية ومن ثلاثة ضباط آخرين متخرجين من مدرسة المشاة والخيالة بمودينا (إيطاليا) ومنهم :

1. ليوتنان. الخيالة محمد بنعمر الرباطي (قائد طابور البوليس الشريف بمدينة طنجة).

2. ليوتنان المشاة السي محمد التداوي الرباطي، وهو اليوم مجرد فلاح ببلاد السراغنة.

3. ليوتنان المشاة السي محمد بن الوزاع الرباطي (من أقرب أقاربي) الموجود بالبرازيل بمدينة سان باولو منذ سنة 1902.

4. أمين صائر الوفد المسمى السي أحمد مدينة التطواني.

وفي سنة 1901 أعدت ورسمت للمخزن أول خريطة للمغرب وضعها مغربي طبعت بأمر معالي وزير الحربية لجلالة السلطان. وفي 21 نونبر 1901 وصلت على متن الجواله الفرنسية دوشايل إلى مرسى الجزائر بصفتي عضوا في اللجنة المغربية لتخطيط الحدود المغربية الجزائرية، وكان على رأسها السيد محمد الكباص وزير الحربية لجلالة السلطان عبد العزيز. ولما أصبت عرضا بجراح بين كولومب بشار ووگدة يوم 13 مارس 1902 قررت أن أستقيل، فأنعم علي صاحب الجلالة بجراية صغيرة وبظهير إلى قاضي الرباط وعاملها يأذن لي بفتح مدرسة بالرباط نفسه لتعليم الرياضيات واللغات الأجنبية للأطفال المغاربة. لكن حواجز التعصب التي أقامها القاضي للحيلة دون فتح المدرسة بالرباط حملتني على التروي وعلى تنظيم حياتي. فقد كنت تزوجت بنبيلة روسية مثقفة وحاملة لديبلوم الجائزة الأولى للمعهد الموسيقي بموسكو، وهي كريمة النبيل أليكسيس نيكالافيتش بيزروكوف الذي كان طيلة 16 سنة عمدة لمدينة فورونيج حيث يعيش اليوم. في الثامنة والثمانين من عمره. فقد جعلتني الأب السعيد لثلاثة أطفال، واحد منهم محام بمراكش، والآخران يتابعان دروسهما بالليسي. فإلى جانب الحظ والسعادة اللذين ابتسما لي ورافقاني طوال الوقت منذ زواجي يُضاف

الرضى المعنوي الكبير على اجتهد أولادي الذين لم ينفكوا يبذلونه للقيام بواجباتهم، كما لو أن هذا فرض عليهم من لدن قوة عليا، من الله تعالى الذي يريد أن يجازيني على أن قمت - أنا أيضا - بواجبي إزاء أبي لأنني جنبته، خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة من عمره، أن يتكلف بحياته، ولأنني كنت أزوره كل يوم صباح مساء، ولأنني شعرت إزاءه لا فقط بهذا الحنان الطبيعي الصادر من نفس ولد على والده، ولكن أيضا بالاحترام، وبالاحترام الخاص الواجب لرجل بلغ المائة سنة من عمر سعيد، ويمثل في الجملة عهدا آخر بعيدا، أجمل، وأفضل، حياة المعرفة والحياة الفلسفية والحياة البسيطة والطبيعية.

هاته حياتي موثقة ومختلفة عن الحياة التي لقنها أعدائي لصحافة ماس وغيرها من الصحف المغربية. فيكفي أن يقال إن الجبلي في السجن لكي ينتهز أعدائي الوقت انتهازا جليا لصب شتائمهم علي، فيعتبرونني مقضيا علي، وهو وقت التخرصات البتيسة التي لا يمكن أن تؤيد إلا من بعض الأهالي المتملقين للقامة [العامة] من أجل منصب أو من أجل ترقية -الذين يغارون من أصلي ومن حياتي المستقلة، وكذلك من لدن أروبيين يحسدونني على سعادتي ومكانتي، ويشعرون في أنفسهم بتفوقي الفكري والأخلاقي، مبتهجين بمناسبة سجنني. ولهذا يسمونني الريفى الصغير، ذلك الريفى الصغير الذي له قدرة التحدث بطلاقة بخمس لغات أروبية، والذي يكتب ويقرأ بطلاقة سبعا، زيادة على نطقه بجميع لهجات الشمال الإفريقي، وكذلك باللغة الخاصة باليهود، وبثلاث لهجات إيطالية : الصقلية والنابوليطانية والبيمونطية زيادة على شرف

رتبة ضابط خريج واحدة من أهم أكاديميات أوروبا والأكاديمية الإيطالية بطورينو وما لا ينبغي التعجب منه. وهذا ما يفيدنا به التاريخ عن أعظم رجل في العالم، لي أمامه صورة على ريشة فوق كتلة المحيط .

بعد معركة واطيرلو تكال للامبراطور المخلوع رفسات حمار من كل جهة، ينكرون عليه حتى اسمه، ويدعون أنه لا يسمى نابوليون ولكن نيكولا الباريسي سنة 1815 ينادي على الامبراطور ماكسيميليان وليس على نابليون نزلفا لأسرة بوربون الملكية. فإذا كانت جريدة ليكو دو ماروك ، وجريدة لسوار ماروكان في عدد 30 أبريل 1931 راغبتين في أن تقدما للقراء المغاربة والفرنسيين ريفيا صغيرا وبسيطا، فإن عملهما رهين فقط بواجباتهما المقدسة التي تفرض عليهما أن تقوما به حول الخزينة العامة التي تؤدي لهما إعانة شهرية. فهل مع هذا يكون لهما ما يكفي لدفع تعويض عن القذف ؟ ويقال مع ذلك : إن الجراح بالحديد وبالنار تندمل ذات يوم، لكن الجروح باللسان لن تلتئم أبدا.

التنصير والهداية

في الربع الرابع من القرن التاسع عشر وفدت على المغرب طوائف بروتستانتية انجليزية وأمريكية، راغبة في قلب اعتقاد الكاثوليكين وتنصير اليهود والمسلمين. وهذا باب سنعالجه في عدد من الفصول والمباحث وبشيء من الاختصار والتركيز، سيكون الفصل الأول جردا للطوائف المسيحية.

وثانيها سيحصى فيه المرسلون من شتى الهيئات والجنسيات في المراكز المقيمين بها. وثالثها سيعرض لنشاط المبعوثين من تطبيب وتعليم وتنصير.

أما الفصل الرابع فسيناول الوجه الآخر، وهو عمن هداهم الله بهدي الاسلام. ولا بد أن يكون هذا الموضوع شيقا في هاته الفترة التي يجتاز فيها العالم الاسلامي مرحلة من الصحوة، ويشق الطريق إلى أصالته واسترداد مجده.

إلا أن الصعوبة الكبرى في تناوله على الوجه المرغوب هي في ندرة المؤلفات العربية، وصمتها المحزن عن هاته الظاهرة التي بدأت تتسلط عليه منذ عهد بعيد.

ولاريب أن يكون فيما سيأتي - استنادا إلى مراجع مختلفة عربية وعجمية، وإلى مصادر التراث المغربي العربي القليلة - حافز على تسليط ما يستطاع من أنوار. ومع ذلك سيبقى فضل السبق لبحث شيخي جان لوي مبيج عن البعثات التنصيرية من سنة 1875 إلى 1905 وبحث دينيس فليس عن الارشاليات الأمريكية بالمغرب من خلال المصادر الأجنبية.

① هيئات المنصرين

عرفت البلدان الاسلامية (ومنها المغرب) بمنح الحرية الدينية لغير المسلمين مقابل تأدية جزية لم تكن باهظة القدر، يدفعها - خاصة - اليهود الذين كانت أعدادهم تفوق أعداد النصارى بكثير. والنصارى كانوا دائما غير مغاربة. وقد عادت البعثات الفرنسية لبلاد المغرب بعد حرب تطوان : سنة 1860 بهاته المدينة، وسنة 1868 بالدار البيضاء وبالصويرة، وسنة 1869 بالجديدة، وسنة 1880 بالعرائش وبأسفي، وسنة 1890 بالرباط¹ التي كان يوجد بها أيضا قس بروتستانتي إنجليزي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حسبما سنقف عليه.

ولا يجوز أن ننسى أن أثر الحملة الصليبية كان لا يزال حيا في النفوس، ولا سيما أثناء حرب تطوان عندما حُوّل مسجد بهاته المدينة إلى كنيسة.

1. جان لوي مبيج : «البعثات البروتستانتية بالمغرب : 1875-1905» في «نمودا» المجلد 42 ص 153.

الفرائلية (أي الاخوان) الكاثوليكيون الفرنسيون كانوا مدعمن من طرف الحكومة الاسبانية، وكان نشاطهم محصورا في مدن الشمال القريبة من اسبانيا. وقد اشتهر من الاسبانيين غلاة خطيرون مثل كابريال ماورا كاماثو : G. Maura Gamazo الذي كان ينادي بدعم النفوذ الاجنبي في المغرب بمختلف الوسائل. ومما قاله في بداية القرن العشرين : «... لكي نتسرب إلى المغرب بسلام، يتعين - أولا - تجريد أهله من الاسلام»².

كان الكاثوليكيون، ولاسيما الاسبانيون، لا يقصدون إلا إلى محافظة الاسارى من النصرى على عقيدتهم يوم كان هؤلاء سجناء بالمغرب إثر عمليات الجهاد القرصني، أو يوم كانوا مستخدمين بالجيش أو بالادارة أو بالقصور السلطانية، مع بقائهم على ديانتهم. ولم يكن مراد الكاثوليكين في القرن الماضي تمسيح المغاربة، ولهذا لم يكن لا المخزن ولا العلماء يرون في وجودهم خطرا ما على العقيدة.

ومثل هذا لم يكن في نية الفرنسيين وخصوصا في هذا الوقت بالذات. ولم تكن محاولات شارل ده فوكو ذات بال على الاطلاق، لانه مر سائحا بالمغرب، ولو أنه بعد ذلك اتخذ ديرا بالجنوب الجزائري. وكانت مساعي الكاردينال لافيجري لا ترمي إلى ذلك في المغرب، ولو أنه أرسل «الآباء البيض» متوغلين بأقاصي الصحراء لتنصير أهلها وفتح المدارس في أواسط القرن التاسع عشر. ولم تكن تأليف ألفريد له شاطوليي إلا فاضحة لنشاط البروتستانتين بأقطار المشرق العربي والقارتين الآسيوية والأفريقية.

وعلى النقيض من ذلك كانت جهود البروتستانتين. فقد كان الانجليزيون منهم قسا ميثوديين منشقين عن الكنيسة الانجليكانية. وكانوا نشيطين وذوي جرأة، ومنهم من كان متنطعا. كانت لهم هيئاتهم المتنوعة، ووسائلهم المادية والبشرية الحديثة، وخططهم النفسانية.

وكانوا يجدون ما يحتاجون إليه من دعم رسمي من حكومات بلادهم، ومن تأييد سافر أو مستقر، ولاسيما في نهاية القرن الفارط، بعد أن كان نشاطهم منعما قبل سنة 1875.

ويتعين في هذا الفصل إثبات أسماء هاته الهيئات والطوائف. لكن ينبغي قبل ذلك الإشارة إلى أنها لم تكن ترمي في بداية أمرها إلا إلى تنصير اليهود دون المسلمين. وبعد ذلك راودت الاسبانيين والمسلمين عن ديانتهم.

1. لندن دجويس سوسايطي : London Jew's Society. لما استوطن يهود من تجار الصويرة مدينتي لندن ومانتشيسطر في الثلث الأول من القرن الماضي، صاروا يفكرون بعد تنصيرهم في تأسيس جمعية لهذا الغرض. فبدأت أعمالها بالصويرة وأسست هاته الجمعية التي أسميها «لج» باختصار.

ولا يظهر أنها كانت ذات نفوذ في الأوساط اليهودية لا بالصويرة، ولا بتطوان، وذلك عندما حاول يهودي صابىء أن ينصر يهود هاته المدينة الأخيرة سنة 1858. وكانت النتيجة

2. عبد الله العروي : «الاصول...» ص 258 (نقلا عن كتاب ماورا : «القضية المغربية...» ص 197).

أن أهين واحتقر ودمرت النسخ التي كان يحملها من الانجيل، وسرعان ما عدل عن مسعاه.³
غير أن استقرار كينسبورغ بالصويرة سنة 1875 دفعه إلى بذل نشاط ملحوظ في هذا الباب لم ينته بعد رحيله عنها، لما أحدثه عمله من رفض من لدن الأوساط اليهودية خاصة ورفعها شكوى به لدى السلطات المغربية.

هذا ولم يتعد عدد أفرادها أصابع اليد، ولم تكن لها إلا محطة واحدة، وبالصويرة خاصة.

2. **بريتيش أند فورين بايبل سوسايتي : British and Foreign Bible Society**
تأسست «بريتيش» على يد وليام ماكينطوش بمدينة طنجة سنة 1882. وكانت لها محطة واحدة وخمسة منصرين وأعوان. ولم تكن هي - ولا سابقتها - تتعاطى العلاج، وإنما كانتا مقتصرتين على تنصير المغاربة وتفسير الانجيل بطنجة وأحوازها.

3. **نورث أفريكا ميشن : North Africa Mission**، استوطنت المغرب سنة 1883 وكانت لها فروع بعدد من الأقطار العربية، فلقد أسست بالجزائر سنة 1879 محطات كان يشتغل فيها أربعة عشر منصرًا، وأنشأت سنة 1885 محطات بتونس اشتملت على ثمانية وثلاثين مبعوثًا، كما أنها وجهت إلى طرابلس أربعة منصرين سنة 1888، وإلى مصر ثلاثة عشر مرسلًا سنة 1890، بينما كان لها مركز بشمال الجزيرة العربية سنة 1886.

أما بالمغرب فكان لها سنة 1900 خمسون من الأفراد، منهم سبعة وثلاثون منصرًا، واتخذت أربع محطات : واحدة بتطوان، وثانية بطنجة، وثالثة بالدار البيضاء، ورابعة بفاس وصفرو، وذلك بين سنتي 1891 و1900. وارتفع بسرعة عدد الأعوان والمرضى والأطباء والمتجولين : كان لها سنة 1886 ستة أفراد، صاروا 14 سنة 1889، ثم 16 سنة 1891 ليصبحوا 37 شخصًا سنة 1900. وهكذا كان لها وحدها نحو النصف من مجموع أعضاء الهيئات الباقية (50 من أصل 98). وقد جعلت منطقة نفوذها هو شمال المغرب، حسبما يدل عليه اسمها الذي هو أيضا عنوان صحيفتها.

4. **سودرن مروكو ميشن : Southern Morocco Mission**. «سودرن» ثاني هيئة بروتستانتية بالمغرب بعد نورث أفريكا، من حيث الأعداد والتجهيز والمحطات.

وكانت الدار البيضاء هي الحد الفاصل بين «منطقة نفوذها» ومنطقة «نفوذ» التي قبلها. لأنها اختصت بالجنوب حسبما يدل عليه اسمها. وكانت لها صحيفتها «ذ. ريپر : The Reaper» (أو الحصاد).

وتأسست بالصويرة سنة 1888 على يد جون أنديرسون J. Anderson الذي كتب بجريدة «ذ. ريپر» مقالات عن المغرب، مشيدا بثروته وبسكانه وبأهميته المستقبلية. فوردت عليه اكتتابات ووفد عليه متطوعون لمشروعه التنصيري.

وقد خلا الجو لهيأة سودرن. بعد رحيل كينسبورغ واستقالة بولندوين من هيئة نورث ثم مبارحتهما معا أرض المغرب، لكي تنشأ النواة الأولى لوجودها بالصويرة أولاً، ثم ببقية مدن

3. ميج : «البعثات...» من ص 154 إلى 166 ثم ص 190

الجنوب ثانيا. وكان القصد من إرسال كوثيرت نيرن إلى هاته المدينة هو بحث إمكانية الاستيطان ومد خطوطه وقنواته.

وفي سنة 1889 كانت لها أربع محطات ضمت تسعة منصرين، ثم صاروا اثني عشر سنة 1891، وارتفع عددهم إلى ستة عشر (منهم 8 بالصويرة و4 بأسفي و2 بالجديدة) إلى أن بلغوا تسعة عشر سنة 1900. وكانت لها أيضا مدارسها ومستوصفاتهما.

وكانت سنة 1892 تنوي إحداث محطات أخرى : واحدة بطرفاية (وذلك بإيعاز محتمل من دونالد ماكينزي)، وثانية بدمناات لكن لم يأت عنها خبر، وثالثة بأزمور.

والظاهر أن الخلافات الحادة التي حدثت بين السفراء البريطانيين والمخزن في شأنهم، والمصاعب المالية للانفاق على المؤسسات التنصيرية كانت حائلة دون بلوغ مقاصدها.

5. سينطربول مروكو ميشن : Central Morocco Mission أسس الدكتور روبرط كير هيئة أسماها «انكلند بريسبيطريان تشورتش هاوز: England Presbyterian Church House، سرعان ما حولها في مارس سنة 1886 إلى «سينطربول». غير أن أعوانها كانوا قليلين لم يتجاوز عددهم ثلاثة أشخاص منزوين في محطة واحدة فقط.

6. ميلدمي ميشن تونز : لجويس Mildmay Mission to the Jews. في خريف سنة 1886 وفد على طنجة يعقوب هـمبيليون لاقامة فرع لهيأة «ميلدمي». وكان همها تحويل اعتقاد اليهود الطنجيين. وكانت لها محطة واحدة ضمت ثلاثة أفراد كانوا متطبيين.

الهيئات السالفة ذكرا كانت كلها إنجليزية ومن إيقوسيا خاصة. لكن كانت بالمغرب جمعيات متنوعة من الولايات المتحدة، ونشاطها كان ضئيلا ومحدودا في الزمان وفي المكان.

7. غوسبل يونيون ميشن : Gospel Union Mission. محور هاته الجمعيات كان هو غوسبل. وكان ج. فيشر يرأس إحداها بولاية كينزيس. وقد اتخذت لها محطات بمختلف المدن الشمالية : كالقصر الكبير وطنجة وفاس. لكن محطة مكناس كانت هي الأولى إنشاء، إذ كان مؤسسها يهوديا ألمانيا ورد عليها سنة 1895. بيد أن وزنها كان خفيفا.

وهكذا انضوى تحت لواء هاته الطوائف السبع حتى سنة 1900 حوالي 98 شخصا جلهم نساء. وكان لجميع هاته البعثات 19 محطة منبئة في 12 مدينة³. وباستثناء الهيئات الثلاثة والرابعة والسابعة لم يكن سائرهما إلا مجرد جمعيات ضعيفة الشأن. لكنها جميعها كانت مزودة بالمال وبالأطر وبالتجهيز وبالتخطيط حتى انتهى أمرها حوالي 1905.

إذ في مؤتمر ناشفيل المنعقد بالولايات المتحدة سنة 1906 كان المؤتمر يفتكرون ويبحثون «في رسم خطة تنصير العالم في ظرف 25 سنة»⁴، وذلك هو الوقت الذي انحسر فيه نشاط هؤلاء المنصرين بالمغرب انحسارا بينا.

وسنرى في الفصل الموالي أسماء هؤلاء المنصرين تبعا لانتماءاتهم ولمواطن سكنهم، إلا أن أعدادهم ستكون نحو من 160 شخصا، ما بين موفدين ومساعدين وأعوان ومروجين.

4. ألفريد له شاطولي : «الغارة على العالم الاسلامي»، الترجمة العربية ص 86، النقطة الثانية.

② أعضاء البعثات

سنتعرض طوال هذا الفصل لنتف من تراجم أعضاء البعثات التنصيرية على اختلاف هيئاتهم. وسيكون الحديث عنهم مركزا على المدينة التي كانوا في الغالب ساكنين فيها.

المطلب الأول : طنجة

أ. من هيئة «نورث»

اشترت هاته البعثة منزلا فسيحا بحي مرشان جعلته محطة لها، استقر فيه أول أفرادها قدوما إلى طنجة في صيف سنة 1884. وكانت لها أيضا كنيسة ضيقة بطنجة، غير أنه في نهاية سنة 1894 طلب سفير بريطانيا العظمى من المخزن تنفيذ بقعة مجاورة لداره قدر مساحتها ثلاثون قدما من الجهة الشرقية ليزيدها في كنيستهم لصغرها. فعلق السلطان موافقته على إجراء بحث في الموضوع¹.

وكان من دعائها في هاته المحطة من سيرد ذكرهم في تراجم جد مختصرة :

1. إ. ف بولدوين : E. F. Baldwin استوطن المغرب منذ سنة 1870 صحبة بناته وإخوته. وكان له ولزوجته معرفة بالطب، ونشر دراسات بمختلف الجرائد. ولكنه رحل في النهاية إلى الصويرة ومنها إلى الشام حسبما سيأتي.

2. كيندريكس : Kendriks كانت من أول الوافدات، حلت بالمدينة سنة 1887، وتجولت بالمغرب صحبة بولدوين بعد استئذان المخزن².

3. إيما هيردمان : E. Herdman حلت هاته الأيرلاندية هنا سنة 1885. وكانت ممرضة نشيطة. وسنجدها بأصيلة وبالعرائش وبالجديدة وأخيرا بفاس. ولأشك أنها هي والتي قبلها كانتا سنة 1888 مقيمتين بمدشر العوامة بالفحص في خزانة تظللان فيها وتبيتان بها ومعهما رجل صحراوي براني. فاسترعى المخزن عليهما، بناء على شكاية أهل المدشر³.

4. تولوك : Tulloch من مواليد إيقوسيا، وصلت إلى المدينة في يناير سنة 1884، ولكنها ماتت في أواخر 1886 بداء الكوليرا. وتخليدا لذكراها أطلقت البعثة اسمها على مصحتها. التي كانت تدعى قبل «هوب هاوز»⁴.

5. برايور : Pryor أقام بطنجة منذ بداية سنة 1886، إلا أن سوء حالته دعاه إلى العودة إلى بلاده⁵.

1. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 رجب 1312/31 دجنبر 1894، تطوان 53/13.

2. جواب إلى فريدريك جيمس مان في 13 غشت 1887، محفظة المغرب بريطانيا.

3. استرعاء مخزني في 12 شوال 1305/22 يونيو 1888، تطوان 35/46.

4. مييج : «البعثات...» ص 173 (1)

5. نفس المرجع ص 177

6. جاي : Jay وصلت إلى هذا الثغر في يبرابر 1886 ومكثت فيه إلى سنة 1898. ولكنها أقامت بين هاته المدة بمدن أخرى مثل فاس سنة 1890 والدار البيضاء من 1891 إلى 1892، وبعد ذلك رجعت إلى طنجة. ولها مقالات نشرت بها بجريدة البعثة. وبهاته المدينة اتخذت سنة 1892 مدرسة لتعليم البنات استمرت مفتوحة سنة 1900 أي بعد رحيلها⁶.

7. الدكتور تشرتشر : T.G. Churcher ورد هذا الطبيب في بداية سنة 1885 إلى طنجة حيث تعلم اللغة العربية. ولم يصبح رئيسا للمستشفى البروتستانتي إلا سنة 1887. وكانت له جولات بمدن مختلفة دون عنها بعض الأبحاث، ولاسيما عن الدار البيضاء وفاس وطنجة. وكان مقيما بفاس من أكتوبر 1892 إلى ماي 1894 حيث كان يداوي المرضى⁷.

8 - 9 : ن هـ بطريك : N.H. Patrick حل هو وزوجته سنة 1884 وغادر المدينة سنة 1898، وخلف دراسات عن إسبانيي المدينة الذين كان يحاول استمالتهم إلى البروتستانتية⁸.

10. جون إيدواردز : J.J. Edwards استوطن طنجة من سنة 1890 إلى 1892، ولكنه كان يرحل إلى مدن أخرى، فقد أقام بتطوان سنة 1889 وبفاس سنتي 1893 و1894 وغادرها إلى الدار البيضاء حيث عاش بها إلى سنة 1897، وبعد ذلك رجع إلى طنجة. وفي سنة 1902 رحل نهائيا إلى بلاده. وكانت له مقالات⁹.

11 - 12 : إي بارنارد : E.U. Barnard سكن هنا صحبة زوجته منذ نهاية سنة 1891. وله دراسات نشرت بمجلة البعثة¹⁰.

13. دينيسون : Denison وردت في أواخر سنة 1893 ومكثت هنا حتى نهاية سنة 1895 ثم رحلت إلى فاس. ولها تقارير نشرت بصحف الهيئة¹¹. وقد تكون هي وغيرها قد أقامت بمدشر المنار سنة 1895، فاسترعى المخزن على المفوضية التي أجابت «بأنهن عندهم بالمدشر المذكور عدد من الأصحاب، وهم الذين استدعوهن للاقامة بالمحل المذكور. وقد كن قدمن للمحل المذكور مرارا، ويقابلهن أهل المدشر المذكور بالاحسان والترحيب. وحيث تركن بوسط المدشر بين ظهراي أصحابهن فلا يمكن أن يكن في الخطر ثمة...»¹².

14. براون : Brown فتحت سنة 1892 مدرسة لتعليم صغار الاسبانيين بطنجة. وقد أدت الخلافات التي حدثت بين المفوضتين الاسبانية والانجليزية إلى إصاها¹³.

-
6. أيضا ص 158 وكذلك «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 124
 7. المصدر الأخير ج 1 ص 89 وكذلك «البعثات...» ص 157
 8. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 151.
 9. المصدر الأخير ج 1 ص 104 وهوج ومبيج : «الاوروبيون...» ص 95.
 10. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 69.
 11. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 99.
 12. رسالة وايط إلى الطريس في 23 يوليوز 29/1895 محرم 1313، تطوان 31/45.
 13. مبيج : «البعثات...» ص 177.

15. إ. ل. هميلتون : E.L. Hamilton عاش بطنجة من سنة 1888 إلى سنة 1896. وخلف أبحاثا نشرت بصحافة البعثة¹⁴.

16. 20 : آخرون. منهم مرتدان إلى الملة البروتستانتية من الاسبانيين وهما بلانكو Blanco وفيتشيو Vecchio. ومنهم أيضا أطباء مثل الدكتور طيري Terry والطبيبة بريز Breeze والدكتور روبرتز Roberts. وقد تعاقبوا على الاشراف على مستشفى «نورث» بعد أن رحل الدكتور تشرتشر إلى فاس¹⁵. وأما الأنسة كوبين فقد سكنت بطنجة ثلاث سنوات، قبل أن ترحل إلى فاس سنة 1892 حيث سجندها هناك.

ب - من طوائف بروتستانتية أخرى

21. يعقوب همبيليون : J. Hambillion مر بنا أنه وفد على طنجة في خريف سنة 1886 بوصفه ممثلا لهيأة ميلدي، بقصد توزيع أناجيل على يهود شمال إفريقيا. وكان قبل ذلك قد باع جميع ممتلكاته بلندن ليستقر بالمغرب بنية عدم الرجوع، ثم أخذ يجول في أنحاء البلاد. وكانت وفاته سنة 1888 حائلا دون إتمام مقصده¹⁶.

22. دريسلر : Dressler بعد وفاة همبيليون واصل دريسلر نفس المهمة لدى يهود طنجة وفاس ومراكش ودمنات. لكنه رحل عن المغرب سنة 1891. وله أبحاث عن اليهود نشرت في شتى المجلات¹⁷.

23. ويلكيمسون : Wilkimson هو الذي تحمل هاته الاعباء بعده إلى أن تنازل عنها في الاخير¹⁸.

24. 25 : بلوم Blum وسيمويلس Samuels، وهما من طائفة ميلدي. وكان بلوم متعارفا مع سوزرن، ونشر سنة 1896 تأليفا عن رحلته من طنجة إلى مكناس¹⁹.

26. 27 : الدكتور روتشا Rocha والمرضة سيت سميث Set Smith. استأنف هذا الطبيب نشاط الهيأة سنة 1895 بمعونة الممرضة المذكورة²⁰.

28. ابراهام بنعليل كان يتعاون معهم في الأعمال العلاجية، ولو أنه من هيأة «لج». وهو من يهود طنجة التي ولد فيها سنة 1826 وتوفي سنة 1900. وقد تنصر، وله تقارير²¹.

29. ث ارمسترونغ : TH. Armstrong ضابط بحري كانت له اتصالات وثيقة مع البعثات التنصيرية. قام بجولات الى مختلف ربوع المغرب : إلى الرباط سنة 1887 وإلى الجنوب سنة 1888 ثم إلى غيرهما.

14. ميج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 118.

15. ميج : «البعثات...» ص 172 و 173 (1)

16. نفس المرجع ص 159.

17. المرجع السابق ص 102.

18. أيضا وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 162.

19. المصدر الأخير ج 1 ص 77 ثم «البعثات» ص 160 و 192.

20. المصدر الأخير ص 160.

21. أيضا، وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 72.

وكان ينشر مقالات بجريدة «ذ. ريبير»، ولاسيما عن رحلته من الجديدة إلى مراكش، وهو ينتمي إلى هيئة ميلدمي²². وبطنجة أقام طويلا، فكان له دور في تصريف شؤون الأجانب للشؤون الصحية سنة 1884 حيث كان رئيسا لأحدى لجانها.

هؤلاء الذين تقدم الحديث عنهم ارتبطوا بهيئة ميلدمي. لكن بقي آخرون ولاسيما من بعثة «بريطيش». ومن أعضائها البارزين :

30. ويليام ماكينطوش : W. Mackintosh الذي ورد إلى طنجة في أواخر سنة 1882 قادما من سوريا. وكان مستعربا ممتازا، وكان يعرف مشاكل التنصير بالاقطار العربية، لأنه عاش بمصر والشام مدة مديدة. توفي سنة 1900 بطنجة، وخلف دراسات نشرتها المجلات البروتيسانتية²³.

31. 32 : عيسى فرح وزوجته كانا من أعوان ماكينطوش المنتمي الى بريطيش، وهو شامي دخل للنصرانية.

33. جورج بارو : G. Barrow منصر بريطاني مات سنة 1881 وقد وصف طنجة في كتاب أصدره²⁴.

وأخيرا أشير إلى أن بيدجر من هيئة سوزرن أقام بطنجة سنة 1890.

على أن أغلب هؤلاء السابقي الذكر كانوا من جنسية بريطانية ومن البروتيسانتيين. أما الأمريكيون فقد أقاموا بطنجة أو مروا بها إلى مدن أخرى حيث سيأتي عنهم الحديث.

ت : الفرانسيكانيون

34. ف. كاريخال بيدال : F. Carpajal Vidal عاش هذا الإسباني بطنجة من سنة 1883 إلى وفاته بها سنة 1898. وكان رئيسا للكنيسة الكاثوليكية بالجديدة²⁵.

35. خوسي ليرتشوندي : J. Lerchundi من مواليد إسبانيا سنة 1836، وكانت وفاته بطنجة سنة 1896. وكان كبير الرهبان بالمغرب حيث كان وروده عليه سنة 1862 بعد حرب تطوان²⁶.

وحيث أنه كان مستعربا فقد كانت له اتصالات بالدوائر المخزنية العليا، فرافق الطريس إلى روما سنة 1888 لمقابلة البابا وتهنئته، وشارك أيضا في سفارة أخرى إلى إسبانيا. زد على ذلك أنه كان على اتصال بأعيان مغاربة كان يتراسل معهم ويتسمى في المراسلات بيوسف الجندي²⁷. وكان من المتحمسين لتنصير المغاربة ولاسيما بالصحراء الجنوبية²⁸.

22. ميج «المغرب وأوربا» ج 1 ص 63.

23. ميج : «البعثات...» ص 155 - 156 و«المغرب وأوربا» ج 1 ص 137.

24. المرجع الأخير ج 1 ص 79

25. المرجع الأخير ج 1 ص 84.

26. ميج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 133 وج 4 ص 312 (7).

27. تنظر تلك المراسلات بمجلة دار النيابة بالعدد المثنى 16/15 ص 50 وما بعدها.

28. محمد مصطفى الغربي : «الصحراء...» ص 18 (نسخة مرقونة).

وختاما كانت أعداد النصارى بطنجة نحواً من 300 شخص سنة 1836 منهم 49 بروتستانتيا، والباقيون كانوا كاثوليكين²⁹. غير أن الأرقام ارتفعت إلى 600 نسمة. وبينما كانت بالمدينة كنيسة كاثوليكيان حيث كانت تقام الطقوس، كان البروتستانتون يتعبدون بمقر المفوضية البريطانية³⁰. ولم يفتح المعبد البروتستانتي إلا في مارس 1885³¹.

المطلب الثاني : تطوان

أ. الكاثوليكون

1. **خوسي ماريا راموس مارتينيث J.M.R. Martinez** وهو أحد الرهبان الاسبانيين، وصل الى المغرب سنة 1890 وبه توفي سنة 1930، وكان رئيسا للطائفة هنا وكذلك بمدينة آسفي³².

ب. البروتستانتون

2. **بولطن : Bolton** ورث هاته المنصة على المدينة سنة 1888، وفتحت بها مدرسة للتعليم. ولها تقارير نشرت بمجلة البعثة³³.

3. **و. ت. بولطن : W.T. Bolton** وصل إلى المغرب صحبة زوجته سنة 1897. وله مقالات صدرت بمجلة نورث أفريكا³⁴. ولعل التي قبله من أقاربه.

4. **ف.م. بينكس : F.M. Banks** حلت بتطوان سنة 1893. ولها أبحاث صدرت بنفس المجلة³⁵.

5. **6 : مينسينك وزوجته جيل Minsink / Jill** قطن بتطوان وبطنجة من سنة 1889 إلى سنة 1897، ونشر هو سنة 1896 تقارير في «نورث أفريكا»³⁶.

هذا وإن الخمسة الآخرين كانوا ينتسبون لطائفة نورث. لكن المنصر :

7. **ويليام ميلر : W. Miller** كان من نفس البعثة في الأصل. وقد وصل إلى المغرب صحبة زوجته سنة 1893، واستوطن تطوان. وبعد وفاة ماكينطوش بطنجة سنة 1900 سار على نهجه. وفي سنة 1901 رحل إلى مراكش بالتعاون مع بعثة سونرن. وله تأليف³⁷. أما :

29. ميج : «المغرب وأوربا» ج 5 ص 248.

30. عبد المجيد بنجلون : «جولات... 1872» ص 19.

31. «البعثات...» ص 166 (4) ورسالة جون هي إلى الطريس في 11 مارس 1885/23 جمادى الأولى 1302، تطوان 11/42.

32. ميج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 157.

33. نفس المرجع ج 1 ص 77.

34. أيضا ج 1، ص 78.

35. كذلك ج 1 ص 68.

36. المرجع الأخير ج 1 ص 142 وكذلك «البعثات...» ص 158.

37. المصدران الأخيران ج 1 ص 143 وص 156 على التوالي.

8. ويليام سومرز : W. Summers فهو من بعثة «بريطيش» وقد عاش بتطوان ثلاث سنوات ابتداء من سنة 1889، فقدّر سكانها بـ 30 ألفاً³⁸. وكانت له سياحات إلى نواح مختلفة : فدخل الرباط سنة 1880 ومراكش وشيشاوة سنة 1881 والدار البيضاء سنة 1890 والصويرة وأحوازها سنة 1891. وفي سنة 1892 غادر المغرب قاصدا الاسكندرية³⁹.

المطلب الثالث : أصيلة والعرائش والقصر الكبير

أ. البروتستانتيون

الدكتور روتشا المذكور بطنجة استوطن أصيلة سنة 1896، وكان يسكن بالملاح. وبالقصر الكبير كان منصرفون أمريكيون من هيئة غوسبل يعيشون بالمدينة في آخر القرن. وهم :

1 - 4 : هيربيرت ب إلسن : H. P. Elson وهو من كندا وصل إلى المدينة في نونبر 1896 ورحل عن المغرب سنة 1901، ووصل معه أيضا كلينطن ريد : Clinton Reed الذي لبث حتى سافر سنة 1902 في إجازة مرض إلى الولايات المتحدة التي رجع منها سنة 1904 ومعه امرأتان هما : إليزابيث ف طايرن : E. V. Tyron وأ. بيل مارشال : A. Belle Marshall.

أما العرائش فقد استوطنها بعض الأمريكيين مثل روكافيلير الذي سيرد لمكناس قادما منها سنة 1898 إلى أن غادر المغرب نهائيا سنة 1900 لينفصل بعد سنتين عن غوسبل. وأشير إلى الأمريكيين سيتجمعون بالعرائش سنة 1902 عند مصرع كوبر بفاس حتى لا يلحقهم أذى، وسيستوطنون هنا بعض الوقت بأمر من سلطات بلادهم⁴⁰. ومن حياة نورث فقد سلف أن هيردمان رحلت إليها وإلى أصيلة سنة 1887. وكانت معها :

5. كونسطنس كيلي : C. Caley التي لم يطل مقامها بالمدينتين، إذ توفيت في أواخر سنة 1888 بالعرائش، وتركت تقارير نشرت بجريدة البعثة⁴¹، ولما رحلت هيردمان إلى الجديدة ثم إلى فاس ألغيت المحطة.

الوثائق المغربية تحدثت عن حلولهما، ولو لم تسمهما باللفظ، ذاكرة أن امرأتين إنجليزيتين قدما لمدشر أهل الخميس من قبيلة الساحل، وأنها كانتا سنة 1887 تعيشان بخزانة قرب مدينة العرائش⁴².

38. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 402 (3).

39. المصدر الأخير ج 1 ص 169 وكذلك «البعثات» ص 158 و 159.

40. فليس : «الارسالية...» ص 10 و 14.

41. مبيج : «البعثات» ص 159 و 157.

42. رسالة في 27 شوال 1304/19 يوليوز 1887، محفظة المغرب بريطانيا.

وفي آخر القرن التاسع عشر كانت بعثة بروتستانتية إنجليزية متألّفة من رجلين وثلاث نسوة تسعى لتأليف قلوب بعض المسلمين بتقديم الشاي إليهم وتوزيع نسخ من الانجيل عليهم. وكان عملها عبثاً، لما عرف عن مثل هذا المسعى في كافة الاقطار الاسلامية⁴³. ولم يرد بيان عن حياة هؤلاء المنصرين ولا عن أسمائهم سوى طبيب إنجليزي كان سنة 1899 مقيماً بالعرائش اسمه ستيفن⁴⁴ Steven الذي سيرد ذكره بالرباط.

ب. الكاثوليكيون

6 - 9 : رهبان آخرون كان أربعة من القسس يعيشون بالعرائش سنة 1863، أتى ذكرهم في وثائق مغربية على الرغم من النقصان الوارد في أسمائهم أو أنسابهم وهم : بابون Pavón وخوان... Juan وروسيتي Rosete ونيكولاص... Nicolas⁴⁵.

10. خوسي ماريا بايصال ماكارينوس : J. M. Païsal Magarinos كان من سنة 1893 إلى 1896 يشغل منصب كاتب خوسي ليرتشوندي⁴⁶.

11. فرانسيسكو ماريا سيريرا طاماريت : F. M. Cervera Tamarit وهو من الرهبان الذين وفدوا على المغرب قادمين من إسبانيا. استوطن المدينة من سنة 1880 إلى سنة 1891، وصار سنة 1896 أسقفاً مكان ليرتشوندي المتوفى. وفي سنة 1926 توفي بدوره⁴⁷.

المطلب الرابع : الرباط

أ. الكاثوليكيون

قبل سنة 1834/1249 نزل بالرباط فرأيلية إسبانيون ونالوا ظهير التوقير والاحترام، حسبما جاء في وثيقة مغربية قالت إنهم سكنوا بدار اشتروها من الانجليزي مورغان MORGAN. ثم في سنة 1868 وفد على المدينة رهبان إسبانيون، وكان يصحبهم طبيب لعلاجهم، ومهندس معماري لبناء ديرهم، وكانوا ممتطين ظهر مركب برتغالي صغير، ألقي بهم في الشاطئ، فنجوا من الغرق وسلم المركب. ولما دخلوا إلى المدينة وجدوا بها عدوى الكوليرا. وقد تأسست بعثة رسمية بالمدينة سنة 1891 بإشراف كارباخال Carpajal بإضافة راهبين⁴⁸.

ب. البروتستانتيون

تحدثت الوثائق المخزنية عن نزول طبيب إنجليزي يدعى روبرت كير R. L. KERR صحبة منصرات من نفس الجنسية وآخرين من أهل الشام سيأتي ذكرهم.

43. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 92.

44. موجب عدلي في 4 صفر 1317 / 14 يونيو 1899، تطوان 179/117.

45. تقييد في 19 جمادى الثانية 1280 / فاتح دجنبر 1863، محفظة العرائش 1.

46. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 151.

47. نفس المرجع ج 1 ص 87.

48. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 5 ص 114.

1. كان الدكتور كير منتميا إلى إنجلترا بريسبيطيريان تشورتش هاوز، واستوطن الرباط بأهله في مارس 1886، غير أنه كان يرحل بين الحين والحين إلى كل من فاس ومكناس وصفرو وقبائل الغرب. وبالرباط تعلم اللغة العربية على يد علج ايقوسي اسمه أبو القاسم (أو عبد القاسم) كرانند : Grand أو كراننت : Grant. وفي سنة 1894 انفصل عن هاته الهيئة وأسس بعثة سينطربول.

وكان يفحص المرضى ويزورهم ويعالجهم، وكان بمستوصفه أربعة أسرة لاستقبال المرضى الأفارقة، كما كان يربي الحمام الزاجل لتطير الاخبار إلى غير هاته المدينة⁴⁹.

وعن سلوكه ذكرت رسالة لعامل الرباط سنة 1891 - ولو أنها لم تسمه كعادة الوثائق المغربية - أن «الطبيب الإنجليزي الساكن هنا كثر طيشه، حتى بلغ منه أنه هجم علي في داري، وواجهني بالكلام الشنيع العنيف، وتهدد علي بعصاه وعلى أصحابي، وما منعني منه إلا غض الطرف عنه في تلك الحالة... وذلك بسبب رجل سحرروي هنا هجم علي دار لرجل رباطي حين خرج منها أهله لقضاء ضرورياتهم وجعل عليها مفاتيح وسرق منها عدة حوائج...»

«والسحرروي المذكور عند الطبيب المذكور بداره متعصبا عليه... وسيرته لا تحمد لها عاقبة...»⁵⁰. كان الطبيب «المتعاطي للدين الجديد» ساكنا بباب سوق الغزل. وكان الصحراوي قرابه يسقي له الماء⁵¹.

واستمر كير - الذي وصف بالداهية - مواصلا عمله بالمدينة زهاء ربع قرن، حتى ألف كتابا بعنوان «المغرب بعد خمس وعشرين سنة» طبع بمدينة لندن سنة 1912. ولئن كان يرافقه في البداية ثمانية أشخاص، فإنهم لم يصبحوا سنة 1900 الا ثلاثة فقط⁵². وكانت نيته منصرفة إلى قلب اعتقاد المغاربة من المسلمين واليهود معا.

وفيما يلي أسماء أعوانه ورفقائه، ثم ما ذكرته عنهم الرائد المغربية :

2. 3 : أسرة من الشاميين كانت معينة للدكتور كير. ولم تعرف الأسرة المتألفة من شخصين متصرين كانا في السنوات الاولى من وصوله يلجان بيوت بعض الرباطيين.

4. ماك ميلار : Mac Millar كانت من أول المنصرات ورودا معه.

5. 6 : ابراهام Abraham وكراهام Graham، وهما منصرتان أو ممرضتان كانتا تعملان معه.

7. ستيفن : STEVEN. وهو من جملة مساعدي الدكتور كير⁵³.

ويضاف إليهم ديفيد ميوير الذي سكن بالمدينة سنة 1890، وجاء لاعانة كير⁵⁴.

49. نفس المصدر ج 1 ص 127 وكذلك «البعثات» ص 160 - 161 - 174 - 182.

50. رسالة محمد السويدي إلى الطريس في 8 ربيع الأول 12/1309 أكتوبر 1891، تطوان 19/75.

51. رسالة السلطان إلى الطريس في 27 ربيع الأول 31/1309 أكتوبر 1891 تطوان 58/10.

52. ميج : «البعثات...» ص 161.

53. نفس المرجع ص 190 - 191.

54. ميج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 146 و«البعثات» ص 163.

ولننظر الآن إلى ما قالته الرسائل المغربية عن المرسلين. جاء في رسالة سلطانية أن قاضي الرباط أخبر بأن «بعض نصارى النجليز وردوا للرباط، زاعمين أنهم اتخذوا ديناً جديداً، وحازوا داراً مجاورة لدور المسلمين بقصد السكنى بها، ومعهم نصرانيتان تقرأن على دينهما، وشرعوا في هدم الدار التي نزلوا بها وبنائها، وفتحوا لها باباً للمحج الكبير، وسموها باسم المدرسة في لغتهم، وأشاعوا أنهم يرتبون لمن أتى يتعلم عندهم عشرة مثاقيل، وفتحوا بأعلا الدار سراجهم يتكشفون منها على سطوح المسلمين وعلى دار المخزن، وإذا صعد أحدهم لسطح الدار المذكورة تكشف على ديار جيرانها. والنصرانيتان المذكورتان صارتا تطلعان يوم الجمعة إلى مقابر المسلمين بالعلو، حيث تجتمع النساء زائرات القبور، وتقرآن عليهن أوراقاً بيدهما وتفسران لهن دين النصارى⁵⁵ وتزينان لهن الحرية، وأن النصارى الذين معهما سخرة، وأن أهل البلاد أنفوا من فعل هؤلاء النصارى وارتاعوا له خوفاً أن يفضي إلى ما هو أعظم.

«وذكر أن بعض الحراية الذين هناك سكن بين ديار المسلمين واشتغل بما لا يليق، وأحدهم اكترى أروى واتخذها للفساد، وتشكى أهل الحومة بطلوعه فوق سطحها، ولم يجدوا سبيلاً لإخراجه ولا لكف إذايته، وأن النساء كثرت خدمتهن بديار اليهود والنصارى وطلق غير واحد زوجته لأجل ذلك.

«ووردت نصرانيتان نجليزيتان لفاس واشتغلتا بمثل ما فعلت الوردتان للرباط...»⁵⁶ حيث أمور الذين لا يسمع السكوت على نقضها، وتجب المبادرة شرعاً للضرب على يد من رآه...

«فأمر أن تعرف نائب النجليز ونائب الفرنسيس بذلك وتكلمهما بكف النصرانيات والحراية عما ذكر...»⁵⁷.

وألح مولاي الحسن على الطريس في كتاب آخر وجهه إليه في اليوم الموالي بأن «تسترعي علي النجليز بأن يخرج النصارى والنصرانيتين المشار إليهم من هذه الأيالة. وإلا فإن وقع لهم آفات من أهل البلد، فيكون دركهم على أنفسهم. لأن أهل البلد لهم الحق في المدافعة عن أعراضهم وعن دينهم بكل ما أمكنهم...»⁵⁸.

وبعد شهر أجاب وابط : «... فالجواب عن كل ما ذكرتموه هو أن نعلم سيادتكم باننا لا نفوت الوقت في إصدار الأمر لخليفة اكريت ابريطن بالرباط في تنبيه المحدث عنهم بأنه يجب رفع كل ما عسى أن يقع به الخصام في قضية فتحهم السراجم بدارهم للشرع، مع الامتثال لما حكم به. وبمقتضى ما كنتم طلبتموه منا مشافهة أمرنا الخليفة المذكور بأن يطالب النساء المذكورات بالتخلي عن دخول مقابر المسلمين وعن التكلم في شأن الدين مع من لا يريد أن يقبل كلامهن ثمة. وما ذكرتموه من أن النساء بالرباط وبفاس يردن أن يفسدن النساء على أزواجهن: وادعيتهم من اشتغالهن في أمر الدين فلنا اليقين بأن الخبر الواصل لجنايبكم غير محقق وصادر ممن لا يعرف صفة شغل هؤلاء النساء ولا مراد له بمعرفتها...

55. مثل هاته الإشارة وردت عند مبيج في «البعثات...» ص 185.

56. سيرد اسمهما بفاس.

57. رسالته إلى الطريس في 19 شوال 1308/28 ماي 1891 تطوان 93/9.

58. رسالته إلى الطريس في 20 شوال / 29 ماي، تطوان 94/9.

«والحاصل نؤكد على سيادتكم أشد التأكيد بأن دولة اكريت ابريطن تجعل الدرك على دولة السلطان، وتطلب منه المعاوضة التامة في كل فضاة عست أن تقع على رعية اكريط ابريطن من أهل هاته البلاد، لاسيما حيث يعرفون من ولاتهم الرأي الذي بينتموه في كتابكم، فيكون كافيا لهم في تشويقهم في ارتكاب الفضاة، وقد واعدتموهم بعدم العقوبة في ذلك»⁵⁹.

فرد عليه الطريس برسالة في 4 ذي القعدة اجابه عنها وايط باخرى جاء فيها مايلي : «توصلنا بكتاب من خليفة اكريط ابريطن بالرباط... فقد استغرب الخليفة برفع هذه الشكاية لنا فيما يتعلق منها بالرباط...ولما ورد عليه كتابنا قدم لدى عامل البلدة وسأله : هل رفع له شكاية مثل هذه ؟ وأجابه : كلا، وبأن من كتاب الخليفة [يظهر] أن الناس المشار إليهم لم يهدموا دارهم وإنما اصلاحوها (= أصلحوها) فقط، وأن السراجم التي فتحوها لا يتكشفون منها [على] ديار الجيران، فأبدلوا غاية مجهودهم في ذلك حتى أنه [هم] بنوا ستارة دارهم ليلا يطلع منه على ديار غيرهم. وجميع ذلك وقع بمعرفة وإذن رب الدار وعامل البلدة.

«وما أتهم به على نسائهم في شأن تكلمهن مع نساء المسلمين أنكر : فواحدة منهن فقط عارفة باللسان العربي، وهي دائمة على غاية الحكم والنظر فيما تتكلم به مع صاحباتها من المسلمين...»⁶⁰.

المطلب الخامس : الدار البيضاء

أ. الكاثوليكيون

كانت لهؤلاء بعثة فرانسيسكانية مع كنيسة اتخذوها للعبادة حوالي سنة 1877، ولم أقف على أسماء رهبانهم.

ب. البروتستانتيون

الانجليزيون أسسوا سنة 1881 بعثة بدأت تباشر نشاطها بعد ذلك بسنتين. وكانت المدينة حسبما مر بنا هي الحد الفاصل بين نشاط سونرن ونشاط نورث أفريكا. إلا أنه كان ثمة منصورون آخرون من بعثة بريطيش. وفي سنة 1894 كانت محطة نورث أفريكا أشد المحطات نشاطا بالدار البيضاء⁶¹. وها هي أسماء بعض أعضاء الارساليات الانجليزية :

1. الدكتور ج. كريف : G. Grieve وصل إلى الدار البيضاء في أبريل 1891 أو 1892، وبها مات سنة 1906. وعن نشاطه حرر تقارير مختلفة⁶². وكان من الذين استخدموا العلاج الطبي لأغراض تنصيرية. فقد كان يبني سياسته على الجانب العلاجي لينتقل منه إلى الجانب الأخلاقي ثم إلى الجانب العقائدي⁶³. وقد اشتكى به سنة 1898 لامتناعه من أداء واجب ما يخرج من الأبواب⁶⁴.

59. رسالته إلى الطريس في 1 يوليوز 1891/24 فعدة 1308، تطوان 29/43.

60. رسالته في 24 يوليوز / 17 حجة، تطوان 41/43.

61. مبيج وهوج : «الأوروبيون بالدار البيضاء» ص 96 (4) وكذلك «البعثات...» لمبيج ص 158 و 159.

62. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 117.

63. نفس المرجع ج 4 ص 320 (5) وكذلك «البعثات....» ص 172.

64. رسالة إلى قنصل إنجلترا بالدار البيضاء في 17 شعبان 1315/11 يناير 1898، محافظ الترتيب العام.

2. هـ. أ. جونسن : H. E. Jones سكن بالدار البيضاء من سنة 1872 الى 1900. وله تقارير ظهرت في جريدة «نورث أفريكا»⁶⁵.
3. تشيپمان : Chapman حلت بهذا الثغر سنة 1891. ولها دراسات نشر بصحيفة البعثة⁶⁶.
4. أرمور : Armour وصل في نونبر 1893 وكتب في مجلة «نورث أفريكا» بيانات شرح فيها ما كان يبذله بين سنتي 1895 و 1900 من نشاط بقصد الاستعمار الفلا والعمل الصناعي. وقد استوطن طنجة مدة أخرى⁶⁷.
5. الدكتور هيري نوط : H. NOTT ورد على الدار البيضاء سنة 1897. ولما طبيا. فرضت عليه مهنته التجول بداخل المغرب. وعن ذلك ألف ما نشر سنة 1898 بج «نورث أفريكا» وما كتبه سنة 1904 بجريدة «ذ. ريبير»⁶⁸.
6. سيكستون : Sexton منصرة وصلت سنة 1897 إلى المدينة⁶⁹.
7. إيما دونبر : E. Dunbar ورثت أيضا في نفس السنة⁷⁰، وتزوجت بجونس هؤلاء السبعة كانوا منتسبين إلى بعثة نورث أفريكا. أما الهيئات الأخرى فكان من 8. ميرشاك : Mirshak الذي وفد على الدار البيضاء سنة 1897 حيث ز بعض يهودها في السنة الموالية⁷¹. وهو من إرسالية بريطيش. وسبق لآخرين من نفس البعثة أن نزلوا بالمدينة مثل وليام ميلر المذكور بتطوان

المطلب السادس : أزموور والجديدة وأسفي

أ. الكاثوليكيون :

استوطن رهبان فرانسكانيون مدينة الجديدة، وكان على رأسهم خوسي مارتز وكانوا لا يزالون مقيمين بها في مطلع القرن العشرين⁷². إذ في سنة 1897 كان نائب أس قد أخبر المخزن بعزم «دولته على بناء دار وكنيسة للربان بثغر الجديدة... وطلبه الأذن ذلك للمكلفين بالثغر المذكور، وتسريح الجير والاجر وغير ذلك من «الاقامة» المحتاجة من غير أعشار في المرسى والأبواب، لادعائه أن بيد الفرايلية ظهائر شريفة بذلك...»

65. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 125.
66. نفس المرجع أيضا ص 88 وكذلك : «البعثات...» ص 159.
67. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 63 و«البعثات...» ص 178.
68. «المغرب وأوربا» ج 1 ص 149.
69. أيضا ج 1 ص 168.
70. كذلك ج 1 ص 102.
71. كذلك ج 1 ص 143.
72. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 77.
73. رسالتا الحاجب إلى الطريس في 23 ربيع الثاني و10 جمادى الثانية 1315/21 شتنبر و6 ن 1897، تطوان 55/24 و85/24، وكذلك مبيج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 313 (10).

وكانوا قد اشتروا لهذا الغرض دارا من بعض النصارى، فتوقف العامل عليهم البناء⁷⁴.
أما بأسفى فكانوا قد اشتروا سنة 1892 دارين وشرعوا في جعلهما كنيسة⁷⁵. غير أنهم
ربما وسعوها بشرائهم أرضا من المهدي ابن فضول سنة 1897 ليتخذوها مقرا للعبادة⁷⁶.

ب. البروتستانتيون

ب 1. بالجديدة :

1. أليكسيس ويلسون : A. Wilson كان أول أمره مقيما بطنجة ولاسيما حوالي سنة
1887 حيث كانت له عرصة بالصفاف قرب المستشفى الاسباني وقرب عرصة أيون
بيرديكاريس الأمريكى⁷⁷. لكنه في ماي 1891 رحل إلى الجديدة ليعمل في صفوف بعثة
سوذرن فاكتري منزلا فسيحا خارج الأسوار⁷⁸.

2. ديفيد طرين : D. Tran وفد على المدينة أيضا سنة 1891، وأخذ يباشر علاج
المرضى في مستشفى البعثة⁷⁹.

وكانت هاته الهيئة تعمل على فتح مدرسة لتعليم الصغار، لكنها لم تشرع في أشغالها إلا
سنة 1904 على يد ليرموند التي سيرد ذكرها بالصورة.

وكان ثمة غيرهم ممن قضا زما بالجديدة مثل كلارك وكيدز⁸⁰ الوارد ذكرهما في
مراكش. وكانا نشيطين جابا من خلال النوايل ودخلا إلى منازل الطبقات «الرفيعة»⁸¹.

هؤلاء جميعا كانوا منتسبين لاهية سوذرن. إلا أنه تنبغي الإشارة إلى مرور هيردمان
وريد، وهما من بعثة نورث. وكانتا قد ائترتا منزلا صغيرا بالجديدة قبل التحاقهما بفاس⁸².

ب 2. بأزمور :

كانت سوذرن تنوي فتح محطة لها بهاته المدينة سنة 1892 لولا الضائقة المالية التي
كانت تتخبط فيها. ومع ذلك رحل طوماس كلارك وزوجته من مراكش للسكن بها طيلة
سنتين⁸³ أي من 1900 إلى 1902.

74. رسالة محمد بن يحيى إلى اللبادي في 23 ربيع الثاني 1315 ورسالة محمد بن كيران وأحمد الخطيب
إليه أيضا في 25 منه / 21 و 23 شتبر 1897، تطوان 38/95 و 41/95.

75. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 محرم 1310/19 غشت 1892، تطوان 15/11، ومييج :
«المغرب وأوربا» ج 4 ص 313 (9).

76. رسالة السلطان إلى العربي بن التمار في 9 شوال 1314/13 مارس 1897، الترتيب العام.

77. رسالة ديوسدادو إلى الفسال في 19 ماي 1887/25 شعبان 1304.

78. مييج : «البعثات» ص 164 «المغرب وأوربا» ج 1 ص 176.

79. مييج : «البعثات...» ص 164.

80. أيضا وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 113.

81. مييج : «البعثات...» ص 171.

82. نفس المرجع ص 164.

83. أيضا.

ب 3. باسفي :

3: روبرط بيدجر : R. Badger وصل إلى الصويرة سنة 1889 ثم في دجنبر 1892 ورد كلارك إلى أسفي لفتح محطة لبعثته فتولى الاشراف عليها بيدجر الذي ظل مقيما بها إلى ما بعد نهاية القرن الماضي. وكان مزوجا نشيطا، وربطت زوجته صلات مع العديد من الاسر فدخلت سنة 1900 إلى 87 بيتا. وكان روبرط يوافي جريدة الهياة بمقالات عن مشاهداته وأعماله⁸⁴. وقد أقام زمنا بمدينة الجديدة أيضا.

المطلب السابع : الصويرة

أ. الهروتستانتيون

بدأ النشاط التنصيري في هاته المدينة قبل غيرها سنة 1875 على يد كينسبورغ وأصحابه، ثم أخذ يتضاعف سنة 1889 بواسطة كوثبيرت نيرن ومن معه من هياة سوذرن التي لم تكن ترى في وجودها بالمدينة إلا مرحلة من مراحلها. وكانت لا تزال موجودة بها قبيل الحرب العظمى.

ومن رواد هاته البعثة سوذرن نذكر :

1. ديفيد ميوير : D. Muir الذي وصل إلى هذا الثغر سنة 1889 وسكن به من سنة 1891 الى سنة 1897 قبل أن ينتقل إلى مراكش. وله تأليف عن الجنوب المغربي⁸⁵.

2. 3 : لوكي Lockie وأنان : Annan وقد حلت هاتان المنصرتان بالمدينة سنة 1892. وكانتا مراسلتين لصحيفة «ذ. ريز»⁸⁶.

ولاريب أنهما من النساء الانجليزيات اللواتي وردن سنة 1892 «للصويرة والرباط وفاس، واشتغلن بالوسوسة لنساء المسلمين في اعتقادهن والسعي في إفساد دينهن ورتنهن. ومن جملة سعيهن في ذلك دفعهن لكل واحدة من نساء المسلمين كنيشا متضمنا لما ذكر.

«ولما علم بذلك علماء البلد وأهل الحل والعقد منها قاموا وقعدوا، وأبرقوا وأرعدوا، وتشكوا على الحضرة الشريفة، طالبين رفع ضررهن برجوعهن لبلادهن، مسترعين بأنه لا درك عليهم إن وقع لهن آفات بسبب اشتغالهن بما ذكر، وإصدار الأمر بمعاملة من خالطتهن من نساء المسلمين بما يعامل به المرتد شرعا من استنابته ثلاثة أيام، وإن لم يتب يقتل، ذاكرين أن الانسان إنما يقاتل على دينه، وإن لم يقدر يعطي الدنيا على إبقائه عليه، إذ لولا الدين لبقى الناس أمة واحدة ولم يتفرقوا، واستدلوا بأن كل من قلب من ملة على ملة لا يحدث شيئا في دينها ويفرأ عليه، كاليهود الذين تحت [ذمة] المسلمين والنصرى، وكالنصرى مع المسلمين، والمسلمين مع النصرى في الهند ومصر ونحوهما.

84. نفس المصدر ص 164 و 171 وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 67.

85. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 146.

86. أيضا ص 134 وص 62.

«وحيث كان ورودهن لهذه الايالة بقصد ما ذكر، ولم يردن لها بقصد التطبيب ونحوه من الأمور التي لا ضرر فيها... وكان هذا الأمر الذي أحدثه من ذكر أعظم ضررا من الأحداث في القوانين، إذ لا ضرر أعظم من فساد الأديان، أصدر سيدنا نصره الله أمره الشريف للنائب السيد الحاج محمد الطريس بالكلام مع نائبكم وقتئذ في ذلك، كما أصدره للعمال بمنع نساء الرعية من مخالطتهن...»⁸⁷.

وكان عامل الصويرة قد نفذ الأوامر فاعتقل امرأتين، فكتب نائب الانجليز في ذلك إلى المخزن الذي أجابه : «وصلنا كتابك بأن عامل الصويرة سجن امرأتين مسلمتين على ذهابهما إلى دار بعض النساء النجليزيات القاطنات بالصويرة، واعتذر عن سجنهما بتوجههما بقصد الفساد... وطلبت إصدار الأمر الشريف للعامل المذكور بأن... يسرح المرأتين إن سجننا على الوجه الذي لم يمكن، وأطلعك بكتابك شريف علم مولانا... وأمرني بإجابتك بأن المذكور قبض على المسلمتين على توجههما لعند من ذكر بقصد الفساد الديني...»⁸⁸.

4. جيسي رو : Jessie Rue استوطنت هاته المدينة سنة 1893، ولكنها رحلت عنها سنة 1897 للاقامة بمراكش حيث قضت سنتين. وكانت مراسلة لصحيفة البعثة⁸⁹.

5. جون بطيرسون : J. Paterson الذي استقر بالمدينة من سنة 1890 إلى سنة 1893، وبعدها انتقل إلى مراكش حيث مات بعد سنتين⁹⁰.

6. ريد : T. W. Reid وصلت في أواخر سنة 1889 إلى الصويرة⁹¹.

7. سامويل ماك ماث : S. Mac Math في نونبر 1890 حل بالصويرة، وفي سنة 1892 انتقل إلى مراكش. وله تقارير نشرت بجريدة البعثة⁹². ويغلب على الظن إنه كان طبيا، وهو المشار إليه في قضية الفيل بفاس حيث قيل إنه ضرب الحراس المكلفين برعاية هذا الحيوان، وحدثت ضجة بفاس أوجبت نقض العهد بين المغاربة والانجليز حسبما سلف⁹³.

وكان سنة 1895 مقيما بمكناس. ولم يعرف سبب هجوم خمسة من يهود المدينة على مكناس وضربه وتمزيق ثيابه وأخذهم كابوسه⁹⁴.

8. ليرموند : Learmond استوطنت الصويرة من سنة 1894 إلى سنة 1896 ثم رحلت إلى مراكش. وفي سنة 1904 فتحت مدرسة لتعليم الصغار بالجديدة. وكانت مراسلة لجريدة البعثة⁹⁵.

87. رسالة جوابية في 23 رجب 1309/22 يراير 1892، تطوان 67/46.

88. رسالة جوابية في 29 رجب/28 يراير، تطوان 68/46.

89. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 163.

90. أيضا ج 1 ص 151.

91. مبيج : «البعثات...» ص 163 (2).

92. مبيج. «المغرب وأوربا» ج 1 ص 137.

93. بكتابي: الاستيطان... ج 3 ص 159.

94. رسالة السلطان إلى حمو بن الجيلالي في 23 محرم 1313/16 يوليوز 1895، محافظ الترتيب العام.

95. مبيج : «البعثات...» ص 177 و «المغرب وأوربا» ج 1 ص 130.

9. كيتي ماك نيب : K. Mac Nab عاشت بالصويرة في اواخر القرن. وفي 1901 أحدثت مدرسة، استمرت مفتوحة طيلة سنوات، غير أن النجاح لم يكن من نصيبها⁹⁶.

هذا عن حياة سوزرن. أما عن بعثة نورث فتقدم بطنجة أن بولدوين رحل منها إلى الصويرة في بداية سنة 1888 بعد اختلافه مع جمعيته. وقد حاول الحصول على سكن، فطلب من الأمناء أن يبنوا له دارا بحسب قاعدة في المائة⁹⁷. ولما رامت سوزرن توظيفه معها لقيت في ذلك صعوبة⁹⁸، ولم يلبث أن غادر المدينة سنة 1890 قاصدا الشام⁹⁹ الذي صار ينشر المسيحية فيه بين المسلمين. ولما زعم أنه نصر عددا منهم، بعثت الهيئة رجالا للتحقق من صحة ما ذكر، فلم يجدوا مسلما صبأ على يديه¹⁰⁰.

إلا أن ظاهرة التنصير بدأت بزعامه كينسبورغ، ومن أصحابه كان :

10. إيلي زربيب (أو جربيب) يهودي جزائري ولد بقسنطينة وورد علي الصويرة سنة 1875 مرتدا من اليهودية إلى البروتستانتية¹⁰¹. وكان مستخدما بقنصلية فرنسا هنا مدة طويلة حتى رحل، فطلب القنصل شغل الدار الواسعة التي كانت تحت يده بالقصبة الجديدة¹⁰². ولكنه عاد إلى الصويرة التي مات بها. وكان طوال الوقت ساعيا لبث الديانة النصرانية بين يهود المدينة بعد رحيل كينسبورغ وقبله، ولكنه لم يكن جريئا¹⁰³.

11 - 15 : الدهان ونور الله ومركايم Markheim وأدولف ميسكوفيتش الهنغاري A. Miscovitch الذي كان يرحل مرات إلى مكناس وفاس ويقوم بملاحهما لنشر الانجيل وتوزيعه، ومثلهم كويبيس Cuevas الذي نظنه إسبانيا، وليس فرنسيا حسبما جاء في وثيقة مغربية. وقد تنصر على يد كينسبورغ¹⁰⁴.

16. ج. ب. كرايطون كينسبورغ : J. B. Crighton Ginsburg وهو روسي المولد.

وكان كما مر بنا أول من أسس بعثة بروتستانتية بالمغرب، وبالصويرة على وجه اخص. وقد ورد على المدينة سنة 1875، بعد أن تنجلز بالزواج وبالجنسية.

وكان من الأغنياء، وكان نشيطا ومدعما من هيئة «لج»، وقد صب اهتمامه على تنصير اليهود. على أن أحبار المدينة قاموا في وجهه مشتكين به لدى السلطات. ولما نشأ خلاف بينه وبين جون هي، رام التفرنس سنة 1883، ورفع عنه السفير حماية بلاده. وأمام ضغط الأحداث، عدل عن نشاطه فرحل في أبريل 1886 إلى مدينة اسطانبول لمواصلة عمله¹⁰⁵.

96. المصدران الاخيران ص 177 - 178، وكذلك ج 1 ص 137.

97. رسالة غريط إلى الطريس في 25 شوال 1305/5 يوليوز 1888، تطوان 146/27.

98. مبيج : «البعثات...» ص 163.

99. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 68.

100. مصطفى خالدي وعمر فروخ «التبشير...» ص 43.

101. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 177 و«البعثات...» ص 155.

102. من وثيقة دون تاريخ، بمحظة المغرب فرنسا (م.و.م).

103. مبيج : «البعثات...» ص 155.

104. نفس المرجع ص 155 و 168.

105. أيضا، وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 114 وج 2 ص 468.

الخلاف أيضا كان بينه وبين يهود الصويرة الذين اشتكوا من محاولاته من أجل تنصيرهم سنة 1879 حسبما تقدم. وسنرى فيما يلي ما جاء في الوثائق المخزنية عن نشاطه.

وهكذا بعث الحزانان ابراهام بن عطار ويهودا مويال رسالة إلى الحاج عمارة، ذاكرين أن «النصراني كينجبور واثنين من أصحابه الافرانصاويين وهما جريبب وكوييس أرادوا أن يردوا اليهود عن ملتهم. ومن حين قدومهم لهذه المدينة ما وجدنا من جانبهم الراحة. ولا يخفاك أن هذه مدة من سنين وقعت لنا من جانبهم فتنة شديدة حتى تروعت المدينة».

وبعد أن قالوا إنهما صابرا واحتسبا «لئلا يقع على يدنا ما يؤدي إلى روع البلد»، أضافا : «حتى وقع ما قدره الله تعالى من الأمراض والمجاعة، فوجدوا بذلك فرصة وتقوا علينا غاية، مع أننا بذلنا المجهود في القيام بأمر الفقراء والمساكين، فصاروا يرسلون من يجلب لهم المساكين بالحيل «والطمع» الكثير، فيغيرون عليهم دينهم... واتخذوا مسجدا، وجمعوا من صبياننا ما يزيد على المائة، ونحو الستين من البنات، وصاروا يقرءونهم جهارا.

«ثم إن أولئك الناس حصل لهم غيظ شديد حملهم على أنهم في عشية يوم الجمعة الماضية¹⁰⁶ خرجوا من دارهم ومعهم نفر من المسلمين واليهود الذين ردهم إلى ملتهم بهذه المدينة السعيدة¹⁰⁷ وكلهم بعصيتهم. فعمدوا إلى من وجدوا بباب السبع القديم من رعية سيدنا المنصور بالله ورعية الأجناس، وصاروا يضربونهم حتى فتكوا بهم وجرحوا منهم، فأغاثهم الله بخليفتك وبالمخازنية... وفي ذلك الوقت لقوا يهوديا من حماية المركان وهددوه بكابوس وزعموا أنهم يقتلونه هو وعشرة من أعيان اليهود.

«وعلال [البركاوي] الذي هو من أصحابهم لقي ترجمان النجليز التاجر عكان بن حم وجرّد عليه كمية ليضربه بها. وقد ظهر لنا عجب كبير من حيث أن قونسوا الافرنصيص لازال يبحث في الدعوى إلى الآن وأن قونسوا النجليز سكت عنها.

«وعليه نحب منك، سيدي، أن تقف وقوف الجد في أخذ حقنا. ولا يخفاك أن أولئك الناس لم يكن لهم بهذه المدينة بيع ولا شراء، وليس فيهم إلا الضرر...»¹⁰⁸.

وجاء في رسالة سلطانية قبل ذلك أن تجار اليهود بمرسى الصويرة اشتكوا لدى السلطة بأن «أصحاب الدين الجديد الحادثين السكنى بالصويرة اشتغلوا بالوسوسة والخوض في دينهم وحض أولادهم ومساكينهم على إبدال دينهم بدينهم الجديد، وأعطوهم الدراهم التي لها بال على ذلك، حتى جلبوا منهم نحو المئتين، بين صبيان وصبيات، وصاروا يقرئونهم قراءتهم».

وختم العاهل رسالته بقوله : «فنأمرك أن تتكلم مع باشدور جنسهم، وأن لا تقصر معه في كل ما يبعدهم ويجليهم ويقصيتهم ويطردهم عن هذه الايالة المحروسة بالله»¹⁰⁹.

106. يوافق 21 رجب / 11 يوليوز 1879.

107. لعل المقصود بالرد إلى الملة البروتستانتية التشبه بالنصارى، لا التنصير نفسه الذي كان ضعيفا هنا.

108. عريضة في 25 رجب 1296/15 يوليوز 1879 - وقد كتبت «بإذن كافة يهود الصويرة». وبالأصل «خطوط قضاتهم الحزان ابراهام بن عطار والحزان يهودا مويال» محفوظة الحاج عمارة.

109. رسالة السلطان إلى بركاوش في 6 رجب 1296 / 16 يونيو 1879 في «الوثائق» ج 4 ص 457.

وأتمت ذلك رسالة سلطانية أخرى من أن بركاش تحادث في ذلك سنة 1879 مع سفير إنجلترا «لكون صاحب الدار الساكنين بها هناك في حمايتهم»، ومن أن محاورة جرت بين اليهود وصاحب الدار. فأجابه جون هي بأنه «رفع الحماية عن صاحب الدار لكونه من جنس الموسكو»¹¹⁰. وبعد بضع سنوات بارح كينسبورغ المغرب كما تقدم.

أما البعثة الأمريكية غوسبل فنشك كثيرا في أنها كان لها وجود بالصويرة سنة 1889، لأن نشاطها اقتصر على مدن الشمال حسبما جاء في المصادر الأجنبية. ونسوق فيما يلي نقفا طويلة من رسالة العامل إلى النائب السلطاني عن نشاط المنصرين الذين لم يرد فيها بيان عن أسمائهم، سوى ذكر تدخل ترجمان قنصل الولايات المتحدة في دعوى رفعها قنصل إنجلترا، مما يحمل على الاعتقاد بأن المقصود هم الانجليزيون وأن العامل اختلط الأمر عليه بوجود الترجمان المذكور فحسبهم أمريكيين.

قال الرجراجي : إن «النصارى الفريالية الذين في جنس الماركان قد كثر ضررهم هنا واشتدت إذايتهم لأهل البلد حتى صاروا يتعرضون لنا في الأحكام. وذلك أن قونصو النجليز بعث إلينا دعوى لنجليزي في الفوندة بأنه سرق له حوائج منها، والذي سرقها هو أحمد المراكشي السقاء... وصاروا يتغلظون علينا ويجهرون بالكلام الساقط، ومعهم ترجمان قونصو الماركان... ولما رأينا الأمر هكذا سكتنا عنه تسكينا للروعة، وأعلمناك لتأخذ في علاج هذا الضرر بما أمكنك وأجرك على الله.

«وهؤلاء النصارى كانوا خرجوا مرة للبادية بعدما لبسوا ثياب المسلمين وصاروا يدورون بالدواوير. فكتب إلينا عمال البادية يتشكون من ذلك ويتبرءون من دركهم. فكتبنا لقونصوات النصارى فيه فمنعوه من العود إلى الخروج للبادية، بعدما بالغوا في الاسترعاء عليهم. ولما قطعوا النظر من الخروج جعلوا همتهم في جلب الاذاية لأهل البلد وصاروا يطالبونهم بإبدال الدين، وذلك مما تنفر عنه جميع الملل كما لا يخفى»¹¹¹.

ب. الكاثوليكيون

كانت بالصويرة قلة من الفرانسيكانيين في عهد سابق. لكن لم يرد عن نشاطهم التنصيري شيء يذكر. وأود أن أختتم هذا المطلب بالحديث عن راهب ومؤلف إسباني، هو :

17. ف. مانويل باولو كاستيانوس : F. M. P. Castellanos المولود بإسبانيا سنة 1843 والمتوفى سنة 1911. وفد على المغرب سنة 1867 وبقي هنا حتى سنة 1876. وهو من الذين أنشأوا طائفة فرانسيسكانية بالصويرة. وله تأليف : تاريخ المغرب نشر سنة 1878 وطبع أربع مرات¹¹². وعنه نقل أحمد الناصري نقفا في كتابه «الاستقصا» قد لا تخلو من تحريف.

كان من دعاة التنصير، وكان يتمنى أن تسفر حرب تطوان «عن القيام بعمل نبيل في المغرب وتأدية رسالة مسيحية تمدينية تحثنا العناية الالهية على تأديتها حق الأداء في أول

110. «الوثائق» : 4 ص 467.

111. رسالته إلى الطريس في 29 رمضان 1306/29 ماي 1889، تطوان 84/73.

112. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 85.

وقت مناسب...» ثم قال : «إني أشعر من أعماق قلبي بأثر تهاون إسبانيا بعد معركة المغرب سنة 1860 اللامعة، فقد أضعنا ثمرة دم ومجهود الاسبانيين...وذلك تنفيذا لوصية إيسابيلا الكاثوليكية من أجل تنصير أهل المغرب»¹¹³

المطلب الثامن : مراكش

أ. الكاثوليكيون

لم يرد عنهم شيء في هاته المدينة، وعلى سبيل التذكير نشير إلى أن الراهب الايطالي سان فرانسيسكو كان قد أرسل الى المغرب أول بعثة تنصيرية في القرن الثالث عشر الميلادي، فأسست أول أسقفية كاثوليكية بمراكش. وفي بداية القرن التاسع عشر كان يوجد فندق للنصارى¹¹⁴. وقبل ذلك في القرن السابع عشر سكن هنا نيكولاس دي بيلاسكو القشتالي N. De Velasco حسب ظهير السلطان السعدي محمد الشيخ الصغير¹¹⁵.

ب. البروتستانتون

ورد مرسلون إلى هاته العاصمة من البلاد الانجليزية والأمريكية، ينتمون إلى هيئاتها التنصيرية. ومن الأمريكيين كان :

1. ريتشموند : J. Richmond وهو من هيئة غوسبل، وصل إلى الصويرة سنة 1893 وبقي فيها مدة ثم رحل إلى مراكش سنة 1894 وأقام فيها ثلاث سنوات إلى أن عاد إلى الصويرة مرة أخرى¹¹⁶.

وليست تعرف علاقته مع ديزموند التاجر الذي كان سنة 1891 يمثل بمراكش شركة كوتس وكين سطرلينج الأمريكية فكان له فيها سماسرة¹¹⁷. فهل كان ديزموند (؟) Desmond تحريفاً لريتشموند ؟

ولم يكن من الأمريكيين غيره. لكن يجوز أنه كان يتعاون مع هيئة سونرن بواسطة زوجته التي كانت هي ابنة كوثيرت نيرن أمين هاته البعثة الانجليزية التي كان من أعضائها :

2 . 4 : كوثيرت نيرن Cuthbert Nairn وزوجته وأخته جيسي JESSIE الذين وصلوا جميعا إلى الصويرة في مستهل سنة 1889 قادمين من لندن، ثم التحق بهم اخرون انتقلوا إلى جهات أخرى من الجنوب. وكانت أول المصاعب التي لقوها هي الحصول على سكن. ثم صار هو وأخته يتعلمان اللغة العربية. وفي سنة 1894 رحل هذا القس إلى مراكش صحبة أخته، وظل يقطن بها حتى اغتيل سنة 1944 بهاته المدينة¹¹⁸. وتفيد رسالة سنة 1899 أنه كان يسمى طبيبا وكلف بتسوير بقعة أرضية لدفن أموات النصارى¹¹⁹.

113. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 315.

114. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 45.

115. مجلة دار النيابة العدد الثالث ص 63، حيث أنعم عليه بسكنى في 15 شتنبر 1637.

116. مبيج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 160.

117. رسالة ماثيوز إلى الطريس في 10 رجب 1308 / 19 يراير 1891، محفظة المغرب أمريكا.

118. مبيج : «البعثات...» ص 163 و«المغرب وأوربا» ج 1 ص 147.

119. رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس في 19 صفر 1316 / 9 يوليوز 1899، تطوان 29/25.

5. جون كيدز : J. Geddes وفد على المغرب سنة 1889 وظل هنا حتى رجع إلى بلاده سنة 1903. وكان مقيما بالجديدة أيضا. وله مقالات نشرت بجريدة البعثة.
6. طوماس كلارك : T. Clark وهو ممن وردوا في نفس السنة، فاستوطن مراكش من سنة 1891 إلى 1894، والجديدة من سنة 1895 إلى 1900، وأزمور سنة 1900، قبل أن يعود إلى الجديدة. وكانت له أبحاث صدرت بمختلف الصحف البروتيسانتية¹²⁰.
7. آلن لينوكس : A. Lennox وفد على المغرب سنة 1892 ثم استوطن مراكش من سنة 1896 إلى سنة 1905. غير أنه اعتزل النشاط الديني ليصبح سنة 1906 نائبا قنصليا لبلاده بمراكش. وله تأليف¹²¹.
- 8 و 9 : الشقيقتان ماك آرثر Mac Arthur إحداهما هي كريسي Cressie التي أقامت بمراكش من سنة 1894 إلى سنة 1905 وفتحت مدرسة لم يتجاوز أطفالها عدد الأربعين. أما الأخت الأخرى فتوفيت سنة 1895 بالمدينة¹²².
10. إيليس : Ellis. وقد استوطنت من 1899 إلى 1901 هاته العاصمة¹²³.
11. طيلور : Taylor وردت سنة 1910 على المدينة¹²⁴.
12. جيمس هولدين J. Holdane وصل إلى المغرب سنة 1912 وصار سنة 1944 أمينا لهاته الهيئة بعد مصرع نيرن¹²⁵. وله تأليف، منها ما يخص المغرب. هؤلاء جميعا كانوا من بعثة سونرن. وهناك غيرهم من بعثات أخرى وهم :
13. طرينر : Trainer التي حلت بمراكش سنة 1902. وكانت مستقلة، ولكنها تعاونت مع سونرن¹²⁶.
14. هينكوك : Hancock التي استوطنت مراكش¹²⁷ سنة 1901.
15. الدكتور رودوك : Rudduck وقد استقر بزوجته بمراكش على غير انتظام بين 1897 و 1906، وفتح مستشفى صغيرا وكان متعاوننا مع سونرن¹²⁸.

المطلب التاسع : مكناس

إحدى هيئات غوسبل الأمريكية استقرت هنا في نهاية القرن الماضي. وكان من أفرادها :

120. ميبج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 113 و 89.
121. أيضا ج 1 ص 132.
122. بول باسكون: «حوز مراكش» ج 2 ص 407 (44) وميبج : «البعثات...» ص 177.
123. ميبج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 104.
124. ميبج : «البعثات...» ص 192 وبول باسكون : «حوز مراكش» ج 2 ص 407 (44).
125. ميبج : «البعثات...» ص 188.
126. المصدر الأخير ص 192، وبول باسكون «حوز مراكش» ج 2 ص 407 (44).
127. المرجع الأخير.
128. ميبج : «البعثات...» ص 174.

1. **ود روكافيلر : W. D. Rockefeller** الذي ورد صحبة زوجته إلى طنجة أواخر سنة 1895، ثم انتقلا إلى مكناس.

2. 3 : **هنري هيمر H. A. Hammer** الذي ورد على طنجة في يناير 1895 ومكث فيها شهورا ثم التحق بمكناس، ومعه ميرثا د ريتشاردز : **Martha D. Richards** التي اتخذها زوجة له، حيث فتح مستشفى صغيرا (ولو أنه لم يكن طبيا) وأخذ يستقبل كل صباح ما بين 30 و 40 شخصا فيقدم لهم النصائح والدواء وينلو عليهم سورا من الأناجيل. وفي نونبر 1896 رحل إلى فاس لنفس الغرض.

4. **أورنا سيمبسن : Orna Simpson** حلت بالمدينة حين خرج منها هيمر الذي خلفته في المستشفى، ومكثت هنا حتى غادرت المغرب في مطلع القرن.

5. **جورج ريد : G. Reed** وهو أطول منصر أمريكي إقامة بالمغرب، فقد سكن هنا نحو من 17 سنة دون عنها مذكراته. وكان وصوله إلى مكناس سنة 1897 ورحيله عن المغرب سنة 1914. ولما ورد إلى هنا لقي الصعوبة التي لقيها غيره من العامل في الترخيص له بالسكن. وكان سنة 1899 يخرج إلى القبائل البربرية، فلما احتج العامل والطريس على مخاطرته بنفسه هنالك لم يعبأ بكلامهما، بل اتهمهما بمحاولة حبسه داخل الأسوار من أجل أخطار وهمية. وكان تهوره هذا وتهور غيره من المنصرين الأمريكيين مدعاة إلى لوم المنصرين البريطانيين المجريين الذين عابوا عليهم طيشهم، كما نصحوهم بعدم مخاطبة الناس في الأماكن العمومية، لأن ضرر ذلك أكثر من نفعه¹²⁹.

6. **ألبرت نيطن : A. Nathan** وهو من مواليد هامبورغ ومن أغنياء يهود ألمانيا. وقد هاجر إلى الولايات المتحدة وتأمرك، ولما تنصر تبرأت منه أسرته وحرمته حقه في الميراث، فأصبح لا ماضي له.

وبولاية كينزاس اتصل بجورج فيشر **G. Fisher** أحد زعماء التبصير بها وعبر له عن عزمه على المشاركة في حملات جمعية غوسيل والذهاب إلى المغرب في سبيل ذلك. فغادر أمريكا عبر إنجلترا إلى طنجة بوصفه سائحا وباحثا عن أسس الاستيطان البروتستانتي. وكان وصوله صحبة هيمر وهيتي فيرنبو **Hettie Fernbaugh** مربية أولاده في يناير 1895. وصار يتعلم هو ورفيقه اللغة العربية على يد منصرين إنجليزيين. وبعد ستة أشهر عندما ظنا أنهما تعلما الكفاية منها صارا يتجولان بضواحي طنجة حاملين لنسخ من الانجيل مترجمة إلى الدارجة ومخاطبين الناس بلغة ركيكة.

وكانا قد استعانا بنصراني من الشام اسمه أمين كسباني لتعليم الوافدين من أمريكا اللغة العربية، وشرعا يعدان خططهما لفتح مراكز بالعرائش والقصر الكبير وفاس ومكناس اللتين استهوتهما لكونهما عاصمتين، فاستقر عزمهما على الاستقرار بهما.

وكانا قبل أن يخرجوا من طنجة أواسط سنة 1896 قد لقيا مصاعب في العثور على سكن لهما. كما أن نيطن كان متهما من لدن العامل ببيع الكيف تحت ستار الانجيل. ولما غادر

129. دينيس فليس : «الارسمالية...» ص 6 - 12.

المدينة ترك داره رهن إشارته، فعمدت السلطة إلى إيصاها واعتقال خادمه وسجنه في مارس 1897، مما تسبب في احتجاج ومطالبة بتعويض قدره ألف دولار.

وفي سنة 1899 انفصل نيطن عن البعثة لأسباب قد يكون مردها إلى خلافات شخصية، وانتقل إلى طنجة حيث صار مساعدا للقنصل العام ومكلفا من لدنه بالتحقيق في قضايا متنوعة ولاسيما مع قنصل أمريكا بالدار البيضاء جون كوب الذي استقال بسبب ذلك من مهامه. وظل نيطن مقيما بالمغرب وكان حتى سنة 1904 لا يزال به. وله تقارير نشرت سنة 1896 و 1897 بمجلة «غوسبل ميسيج»¹³⁰.

وإذا انتقلنا إلى المصادر المخزنية نجدها قد امتلأت بأخباره وأخبار غيره. فقد وردت فيها تفاصيل أخرى عن نشاط نيطن «الطبيب» ورفاقه وعما لاقوه من مصاعب للعثور على سكن. وتذكر بعض الرسائل المخزنية بشيء من التحديد تاريخ استقرار نيطن، وتوضح رسالة ثانية كيفية دخوله إلى المغرب، وتصف ثلاثة نشاط المنصرين عامة بمكناس.

وهكذا يستفاد من رسالة للعامل أن «النصراني المدعى طبيا من مركان المسمى مسطر نطن هذه مدة وهو مقيم بمكناس من أحد عشر شهرا. والآن صار يخرج للقبائل البربرية وحده منفردا، ولا يبالي بشيء ويدوخ الأرضين الخالية...»¹³¹.

ويبدو أن نيطن وزوجته قد حلا بمكناس في أكتوبر 1895 بوصفهما سائحين، لانه ورد في رسالتي النائب السلطاني إلى الولاية وإلى عامل المدينة أن قنصل المركان أخبر «أن هذين الروميين من سواح الجنس المذكور الحاملين لهذا بصدد التوجه لمكناسة الزيتون لغرض السياحة، وطلب كتاب الوصية بهما. وعليه فلتكن.منهما على بال...»¹³².

ومهما يكن، فانه لم يستقر هنا إلا سنة 1896 حينما أكراه أحد المحميين دارا.

وعن نشاط المنصرين سنة 1897 قال السلطان للطريس إن «بعض النصاري بملاح مكناس يدعون الطب ويعطون الدواء مجانا ولا يحسنون علاجا، وربما تأذى بعض الناس من سوء علاجهم، زيادة على العدد المنتشر منهم بالمدن والمراسي، رجالا ونساء.

«وعليه فنأمرك أن تكلم نواب الأجناس هنالك في شأنهم وتعرفهم بما يقع من الوقائع فيهم فيصيرون يدعون، مع عرضة النساء للافات، ليكون تأويل فيمن يأتي منهم بقصد التداوي، بحيث إن كان طبيا مشهودا له على مقتضى القانون فيه يكن نائب جنسه يعلمك...»¹³³.

7. ج ب ويليفر : J. P. Williver وصل إلى طنجة في 18 أكتوبر 1897،

وبعد أربعة أيام حل بمكناس، فلم يجد كالعادة مساعدة من العامل على البحث له عن سكن، فتدخل القنصل العام لفائدته. وللتغلب على هاته الصعوبة واعد كل من يكره دارا بأن يغدق

130. المصدر الأخير ص 6 - 8 - 14 - 17 وكذلك مبيج : «البعثات...» ص 165 و 166 و«المغرب وأروبا» ج 1 ص 148 و 160.

131. رسالة الجبالي بن حمو إلى الطريس في فاتح صفر 12/1314 يوليوز 1896، تطوان 16/80.

132. رسالة الطريس إلى حمو بن الجبالي في 17 ربيع الثاني 1313/6 أكتوبر 1895، تطوان 5/124 ثم رسالة أخرى إلى الولاية بتاريخه فيما يخص أمور السفر والمبيت، تطوان 6/124.

133. رسالته في 29 رجب 1314/3 يناير 1897، تطوان 81/15.

عليه حماية بلاده التي طلب وزير خارجيتها من ممثله السعي لدى المخزن لكي يرخص لجميع الأمريكيين القاطنين بالمغرب بحق الحصول على سكنى.

وبعد نحو السنتين رحل ويليفر إلى فاس لمباشرة عمله، فكان يرتاد نواحي صفرو مثل آيت موسى الذي استخدم منها دليلاً اسمه بأسو كان يرافقه ويسكن معه بالخيام وسط الدواوير. وظل مقيماً بفاس إلى أكتوبر 1902 عندما اغتيل ديفيد كوبر الذي اعتاد أن يزوره ويحتسي الشاي معه. فصدر الأمر لجميع المنصرين الأمريكيين بالانتقال إلى العرائش خشية حصول إذابة لهم¹³⁴.

والوثائق المخزنية قدمت تفاصيل مفيدة عن نشاطه وحياته بمكناس سنة 1899 فقالت : «فقد أخبر الأمين السيد بناصر غنام بأن نائب المركان طلب منه الاجتماع به. ولما تلاقى به استظهر له بعدة مكاتيب وردت عليه من طبييهم ويلبور بمكناس الذي يدعي أنه ساكن بملاح المدينة المذكورة بأولاده منذ سنين 4، وأن خليفة عامل البلد كان وعده بتيسير محل له ينتقل إليه بالمدينة المذكورة بالكراء، فلم يوف له بذلك. وبعدما أعطاه خزائن من الكيرية للنزول بها بينما يتيسر له المحل، وجه أصحابه لحيازتها منه وإطلاعهم على ما في صناديقه، ليلاً يدعي ضياع شيء، بعد سبهم زوجته وبصاقهم عليها، وجوابه له باستبعاد صدور ذلك من الخليفة المذكور، وأنه ليس من شأنه أن ينظر الديار للناس، وجواب النائب المذكور له بأنه كلما حاول هذا الطبيب تيسير محل إلا علق صاحبه الاكراء على إذن الخليفة، طالبا منه الكتب لهذا الخليفة بالوصية على الطبيب، وأن ينظر لهم محلاً للسكنى بالكراء. فأجابه بأن الكتابة في ذلك من شأن نائب المخزن، ثم اطلع على ما كتب به خليفة عامل البلد - المشار له - لك من التشكي بالطبيب وأصحابه، وكتبك بذلك لنائب الجنس، وأنه حيث لم يقبل منك كلاماً فيه كتبت للخليفة بالإيصاء عليه، وأن ينظر له محلاً بالكراء، وأنه حيث طلب منه نائب الجنس المذكور رفع القضية لجانب المخزن وعدة بالتبليغ، وأشار بالإيصاء على الطبيب المشار إليه وتيسير المحل له بالكراء. وأنهينا ما ذكر لعلم مولانا أيده الله.

«ولما وقع التأمل في كلام نائب الجنس المذكور مع ما كتب به خليفة العامل لشريف الحضره تبين أن هذا النائب إنما تكلم بمقتضى كلام الطبيب، قبل أن يطلع على الواقع في القضية. فإن هذا الخليفة كان أعلم جانب المخزن بما عليه هذا الطبيب ومن معه من الأشخاص المركانين بالملاح من قراعتهم على صبيان اليهود والمسلمين كُتبا لهم بقصد جلبهم للتدين بها، وإن كان صبيان المسلمين لا يلتفتون لاعتبار ذلك، ولورود كتاب عليه منك وآخر ذكروا له أنه من نائب المركان : بالتأكيد على أن ينظر لهم داراً بوسط المدينة، مع ما فيه من التهديد بلا قانون ولا شرط. فأني عضد ببقى للمتولي إذا صار يُكتب له بمثل هذا، مع أن الخليفة لا معرفة له بصاحب هذا الكتاب، ولا كلام له إلا معك، ولا شرط يقتضى تكليف العمال بالكراء للناس ؟

134. دينيس فليس : «الارسانية...» ص 10 - 11 - 15. هذا وإنني لأدين بالفضل للزميلة سوزن ميلر أستاذة للتاريخ بجامعة هارفارد لما قمته لي مؤخراً من مستندات أمريكية مصورة في الموضوع.

«ثم أعدت الكتابة لهذا الخليفة في شأن تيسير المحل، فوجد الحال المركاني خرج من الملاح، وصار ينتقل بخزائنه من محل إلى محل وينزل بالآماكن المخوفة، ويخالط جهلة البربر والافقيين، ويروم إفساد دينهم عليهم.

«ولما كلمه في الكف من ذلك صار يهدد بالسفر على أن يترك بعض حوائجه بغير قانون، فلم يجد بُدًا من أن جمع عليه تجارا من المسلمين واليهود وعدلين، فكلمه بمحضرهم بأنه إذا أراد السفر فليصحب معه جميع حوائجه، وإن أراد ترك البعض منها فليقيده بمحضرهم ويختم عليه بخاتمه ويجعل بمكان صَيِّن. وحيث وجده يضطرب وأجابه بالمفيد صادر يخلط في الكلام ويسعى في الخوض.

«هذا هو الواقع. وأما الخليفة فلم يعده بتيسير دار ولا غيرها. وأي ضرورة تلجئه للوعد بها أولا ثم الاخلاف ثانيا ؟ وقد أجيب الأمين المذكور بمضمن هذا ليقرر ما ذكر لنائب الجنس المذكور حتى يفهم الواقع على وجهه، ويتيقن بأن مطالبة المخزن بأن ينظر محل الكراء للناس ماكان لأحد ولا يكون قط. وأعلمناك لتكون على بال، وتستعمل حسن المدافعة لكل من يطلب منك الكتب في ذلك»¹³⁵.

الرسالة الطويلة التي تعمدت سوقها كاملة عن نشاط ولبافر وخلافه مع السلطة المحلية وتدخل النائب الأمريكي في شأنها تلقي أضواء كبيرة عن تعامل المخزن والناس مع هؤلاء المنصرين في شتى أنحاء المغرب.

ولابد أن أذكر أنه وسع نشاطه خارج المدينة حسبما جاء في رسالة أخرى بعدها بنحو السنة عنه، أو بالأحرى عن «المركاني الذي يدعي الطب هنا الذي كتبت لنا في شأنه بعدم التعرض عليه في كرائه الدار لسكناه بها، لا ظاهرا ولا باطنا. وقد أجبنا عن ذلك بالامتثال...». وقد «خرج من المدينة وضرب أخبيته بقصبة أهل تلال، وهم برابير، ولهم المصارفة مع البربر مثل جروان وزمور... ولأزال المركاني المذكور مقيما بذلك المحل، وهو مخوف، ولم يرد النهوض منه...»¹³⁶.

وخاتمة الكلام عنهم وفق ما جاء في رسالة السلطان إلى عامل مكناس أنهم ظلوا يسكنون بالمدينة الي ما بعد سنة 1906 وأنهم كانوا لا يزالون يجدون صعوبة في كراء سكن لهم. فقد ورد فيها أن «الاناس المركانيين المستوطنين بملاح مكناس طالما تشكوا من ضرر السكنى بالملاح، وأن كثيرا من الناس في المدينة يريدون أن يكروا لهم فيخشون العقوبة على ذلك. وقد ألح سفير المركان في تيسير دار لهم يسكنونها في المدينة، فأجيب بما هو المتعين من أن يكتروا لأنفسهم، والمخزن لا يمنعهم ولا يتعرض لهم...». وختم رسالته إليه بأن يشد «عضدهم فيما يكترونه لسكناهم بالمحل الذي لا مانع منه...»¹³⁷.

135. رسالة الحاجب إلى الطريس في 7 صفر 1317/17 يونيو 1899، تطوان 20/26.
136. رسالة بنعيسى بن خمو إلى الطريس في 16 محرم 1318/16 ماي 1900، تطوان 14/84.
137. رسالته إلى العامل في 7 شوال 1324/24 نونبر 1906، نصها في «كناش مكاتيب الطابع الشريف» رقم 1695 د بالخزانة العامة بالرباط ص. 57.

المطلب العاشر : فاس

أ . الكاثوليكيون

قبيل حرب تطوان طلبت اسبانيا من المخزن سنة 1859 أن يسمح لها ببناء دار للفرالية بمدينة فاس¹³⁸، التي كان يقطن بها عدد من الرهبان مثل ديكودي لوس أنخيليس Diego de Los Angeles الذي أنعم عليه مولاي اسماعيل سنة 1710 بظهير التوفير والاحترام¹³⁹.

ب . البروتستانتيون

كانت طائفة من المرسلين يسكنون بفاس، وهم من بعثة نورث وهياة غوسيل. وسنفتح الكلام عنهم، يادئا بالانجليزيين وخاتما بالأمريكيين. ومضى القول أن نورث أفريكا أوفدت الى المدينة الأنسة إيما هيردمان المذكورة بطنجة، والتي رحلت عنها وظلت متنقلة من مدينة إلى مدينة حتى حطت رحالها نهائيا بفاس سنة 1888، حيث عاشت بها تسع سنوات، وتوفيت سنة 1897. وكانت مراسلة لجريدة البعثة¹⁴⁰. وكان بهاته العاصمة آخرون مثل دينيسون وتشرشر القادمين من طنجة. أما الباقرن من هاته البعثة فهم :

1. ج. ل. ريد : J. L. Reed التي أقامت بصفرو في الصيف، وبفاس بقية المدة، وذلك من سنة 1889 الى 1896، وكانت تتعاطى التعليم، وتكاتب جريدة نورث أفريكا¹⁴¹.

ويغلب علي الظن أن ريد وهيردمان هما النصرانيتان الواردتان لفاس، والمشتغلتان بما فعلت الواردتان للرباط من قلب اعتقاد المسلمات، حسبما مر بنا في الرباط.

2. كوبيين : Copping وردت على طنجة حيث أقامت من سنة 1888 إلى سنة 1891، ثم رحلت إلى فاس سنة 1892. وفي السنة الموالية سافرت إلى الهند¹⁴².

3. جنينغز : Jeannings وصلت إلى طنجة في يبراير 1886 وانتقلت إلى فاس سنة 1889 حيث أقامت ست سنوات. وكانت في المصيف ترحل إلى صفرو التي وصفتها مرارا بجريدة البعثة¹⁴³.

4. فليتشر : Fletcher لها مقالات صدرت بنفس المجلة سنة 1892. وهي زوجة سومرز¹⁴⁴.

138. عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 288.

139. مجلة «دار النيابة» العدد الثالث ص 64 و 66، حيث ظهير اسماعيلي بتاريخ 28 جمادى الثانية 1122/24 غشت 1710.

140. مبيج : «البعثات...» ص 158 و«المغرب وأوربا» ج 1 ص 121.

141. المرجع الاخير ج 1 ص 158.

142. نفس المرجع ج 1 ص 93.

143. أيضا ج 1 ص 124.

144. كذلك ج 1 ص 109.

5. كـرئيس : Crass عاشت بفاس سنة 1895 و 1896 ثم ذهبت الى طنجة حيث مكثت سنتين¹⁴⁵.

6. ميلت : Mellet كانت سنة 1894 مقيمة بهاته المدينة¹⁴⁶.

7. ديفيد ج. كوبر : D. J. Cooper وصل صحبة زوجته الى المغرب سنة 1900، ومات مقتولا سنة 1902 بفاس¹⁴⁷.

كان قاتله يدعى الشريف العلمي الذي قيل إنه مختل الشعور. وهو من أصل بربري كان عبر عن عزمه على قتل النصراني، فخرج من قبيلته وذهب إلى فاس، ولما لقيه شدخ رأسه بحجرة غليظة لقي بها حتفه لحينه. ولما توبع بهاته الجريمة استجار بضريح مولاي إدريس، فوعده السلطان بالامان إن خرج من الحرم. غير أنه نكث عهده فأمر بقتله، إنصاتا لمستشاريه الانجليزيين وخضوعا للضغط الأجنبي عليه¹⁴⁸.

- إيدواريز : وسلف عنه الكلام بطنجة. وقد أقام بفاس سنتي 1893 و 1894. وكان هو والآنسة ريد سالفة الذكر يتعاطيان تعليم الأطفال. لكن معارضة المخزن لمشروعهما وسجن آباء التلاميذ حالا دون ذلك¹⁴⁹. وكان نازلا بعرضة كنون كما تقدم بفاس. وعن هذا تحدثت في الباب الثاني عشر أن السلطان كلف سنة 1893 عامل فاس وولاية المدينة بالبحث عن «جاسوس من النصراني اسمه مغلود، والتأكيد على التنقيب عن احوال غيره من النصراني الذين يدعون تعاطي الطب ومرادهم خلافة، من تعليم صبيان المسلمين اللغة الانجليزية وإفساد اعتقاد أبناء المسلمين ليدركوا أغراضهم الفاسدة».

ومر بنا أن علي الراشدي أجابه، ولو أنه لم يسم إدواريز : «... وأما النصراني النازل بعرضة جنون الوارد الكتاب الشريف في شأنه أيضا بأن نخصره ونسترعي عليه الخ، فقد أحضرته وسألته عن جلوسه وشغله، فتجلجج لسانه وتعلل بالطب، فتلطفت في تقريره حتى أقر أنه يعلم بعض الصبيان يأتونه خفية.

«فقلت له : «أرأيت لو ذهب أحد منا لبلادكم وجعل يقرئ أولادكم بدون إذن مخزنكم أيتركه يتعادي على فعله ؟».

«فقال : «نعم». فنهيته واسترعت عليه.

«فقال : «لا ينكف حتى يأتيه إذن باشدور دولته». فشهد عليه عدلان...»¹⁵⁰.

ولم يكن نشاط هاته البعثة مقتصرا على التعليم، بل كان التطبيب هو الأساس، سواء بفاس أو بصفرو. وهذا ما ثبت من خلال المصادر الأجنبية، حسبما هو معروف في جميع الأنحاء والجهات من العالم.

145. أيضا ج 1 ص 94.

146. أيضا ج 5 ص 209.

147. كذلك ج 1 ص 93.

148. العروي : «الاصول...» 347 ولوطورنو : «الحياة» 284 وفليس : «الارسالية» 15

149. مبيج : «البعثات...» ص 177.

150. رسالة العامل الى السلطان في 27 جمادى الاولى 1311/6 سجنبر 1893، محفظة فاس 2.

وأود هنا أن أسوق نتفا من رسائل من المخزن ومن المفوضية البريطانية تتناول شؤون إقامتهم بالمدينة وبخارجها. فعن سكانهم بفاس، ولاسيما إقامة ثلاث منصرات بها، هن : هيردمان وكوبين وريد قبل سنة 1888، جاء في رسالة عامل فاس :

«ورد علينا كتاب النائب الخديم الحاج محمد الطريس بورود نصرانيات 3 من النجليز يزعمان الطب بالكون منهم على بال، وبأن ننظر لهم محلا لنزولهم بالكراء. وهذه نحو السنة وهم بمحلهم ويروجون بالمدينة وبفاس العليا ويرجعون إليه. وكنا أوصينا عليهم مقدم الحومة برد البال. ثم إنه ورد علينا قبل تاريخه بيوم وأخبر بأنهم لم يعودوا لمحلهم، فبعثنا في أثرهم فوجدناهم باتوا بالملاح. وصبيحته سافروا بهم اليهود لمدينة صفرو»¹⁵¹.

وثمة رسالة لوايط عن الانجليزيات اللواتي طلبن منه التوصل بكتاب من الطريس إلى «مولاي اسماعيل بالاذن لهن بالسكنى في مدينة صفرو في الأشهر الثلاث الصيفية. فلا يخفى عن سيادتكم أن هاؤلاء السنيورات قد سكن بفاس هذه سنين، وليس لهن إلا السعي في الخير للفقراء، بلا نظر في الايمان ولا في غيره. ولهن معرفة كبيرة بعلم الطب، ويبدن أدويات عديدة، ويبدن مجهودهن في مباشرة المرضى من المساكين. والآن يحترمن جميع الناس مسلمين ويهود، وسخن عليهن الوقت بفاس في فصل المصيف، ولم يردن ترك أشغالهن. ولأجل ذلك يردن القدوم لمدينة صفرو التي هي أبرد هواء من فاس، وهن معروفات بصفروا، لأنهن كن هناك في أيام المصيف قبل هذا بنحو سنتين. وقد طالبهن أهل صفرو بالرجوع إليهم، فقدمن إليهم هذه مدة قريية، وتفاصلن في كراء العرصة التي كن فيها المرة الأولى...»¹⁵².

وأیضا أسوق طرفا من رسالة ثانية لوايط تقدم الاستشهاد بصدرها بالرباط : «.... فقد تحقق لدينا أن النساء اللتي بفاس توصلن باحترام وتعظيم جل المسلمين ذوي العقل والمروءة، وماذاك الا لسعيهن في الخير وتلطفهن على المرضى من الفقراء والمساكين...»¹⁵³.

وثالثة منه إلى النائب السلطاني عنهن في شكایة حول فتح المنصرين بالرباط سراجم للتكشف على الجيران. قال وايط : «حصلت لنا في هذه الأيام فرصة (= فرصة) لنتكلم في شأن هذه الشكایة مع إحدى النسوات القاطنات بفاس التي اتفقت جالسة بطنجة في هذا الوقت، وحققت لنا أن الشكایة فيما يتعلق بها وبصاحباتها لا أساس لها. ويمكننا أن نذكر أيضا أنا سمعنا غاية مدح هذه النسوة من منابيع متعددة مختلفة، لما يظهر منهن من الرشد وحسن النظر في وقوفهن بأشغالهن الخيرية.

«فالبائن لنا البيان التام أن سيادتكم غرّوها بعض الجهلاء ممن لا يسعي في الخير، الذين يعرفون أنه إن وقعت شكایتهم في المحل الحاصلة به يسهل تقليدها، وظنوا أنهم يقدرّون على إضرار من لا نية له بقدمه لهذه الايالة إلا السعي في الخير...»¹⁵⁴.

151. رسالة بوشتي بن البغدادي الى السلطان في 10 قعدة 1306/9 يونيو 1889، محافظ الترتيب العام.

152. رسالته الى الطريس في 27 يونيو 1891/20 قعدة 1308، تطوان 8/43.

153. رسالة وايط الى الطريس في فاتح يوليوز/24 قعدة، تطوان 29/43.

154. رسالته في 24 يوليوز 1891/17 حجة 1308، تطوان 41/43.

هذا وكان نشاط هؤلاء المنصرين قائما في أساسه على التطبيب في المستوصف الذي كان يشرف عليه الدكتور تشرتشر والذي تضاعف عدد زواره من 379 في يناير 1891 إلى 523 في يناير من نفس السنة، وذلك لما غيرت البعثة مقرها بفاس إلى مكان آخر بنفس المدينة «في زنقة جميلة هادئة، بحيث يستطيع الناس أن يأتوا إلينا، دون أن يراهم أحد» حسبما قالته كوبين¹⁵⁵.

8 . 12 : من حياة «غوسبل». في مستهل القرن الحالي كان يعيش بفاس مروجون من هاته البعثة، عددهم 5 أشخاص قدموا سنة 1901 من الولايات المتحدة، وهم رجلا ن : فيكتور سوانسن V. Swanson وف. س. إنيارت F. C. Enyart. أما النسوة فهن : نيلي أولسن N. Olson وإيرين وارد Irene Ward ومود كيري Maude Cary¹⁵⁶. وقد رحلوا من فاس سنة 1902 لما قتل كوبر¹⁵⁷. وعادوا مرة أخرى إليها من العرائش، وذلك ما يستفاد من رسالة قد تكون تعنيهم. إذ ذكر خليفة عامل فاس أنه استرعى وقتئذ على القنصل الفرنسي والألماني والانجليزي على «رجوع المرسلين، أي الفرائلية الامركان لفاس، وطلب منهم تقديم الاعلام بذلك لباشادواتهم بطنجة، مبينا بأن المخزن الشريف لا يكون مدرك [أ] بشيء إذا وقع على الأمر كان المذكورين ضررا ناتجا (= ضرر ناتج) عن سلوكهم... لأنه إذا وقع عليهم شيئا (= شيء) من ذلك فيصعب عليه التخلص من العاقبة...»¹⁵⁸.

المطلب الحادي عشر : مرسلون آخرون

زيادة عن الذين سبق ذكرهم ممن كانوا يقطنون بمدن معينة، هناك آخرون وردت أسمائهم أو أنسابهم دون أن أهتدي إلى تحديد مكان نشاطهم. ولعل بعضهم كانوا مجرد أعوان ومساعدين. وها من تبقى منهم، مرتبين على حسب انتماءاتهم الطائفية¹⁵⁹.

أ. البروتستانتيون :

1. من نورث أفريكا :

○ النساء : ألدريدج Aldridge، وده لاكمب de la Camp، وكراكرز Craggs، ودونيكليف Dunicleffe، وفروستيك Frustick، وكريتهيد Greathead، وهوبارد Hubbard، وليمبدن Lambden، ومارسطون Marston، وروبسون Robson، وطريجيلوس Tregillus، وفيرسينغ Versing، وواطسون Watson.

○ الرجال : لايلي Liley، ولوكهيد Lockhead. ثم لطيف (بلام مفتوحة) ولطيف (بالتصغير).

155. ميج : «البعثات....» ص 175.

156. فليس : «الارسالية» ص. 15.

157. مصرع كوبر خلف هلعاً كبيراً، فصارت السلطات تخاف عليهم من الأذى.

158. من جواب سفير ألمانيا إلى المخزن في 29 جابر 1321/3 شوال 1903 الترتيب العام.

159. ميج : «البعثات....» ص 191 - 192.

ولا ريب أن الأخيرين قدما من البلدان المشرقية كالشام، وأنهما من المتنصرة. والمرجح أن أحدهما هو حسن إصطفان اللطيف الذي حل بالصويرة قادما من طنجة سنة 1890، وكان يحمل جوازا لبنانيا، كما كان من رعايا الدولة العثمانية في ذلك الوقت¹⁶⁰.

2. من سوذرن :

○ النساء : بيسيت Bisset، وكينغ King، ولوجي Logie، وباطيرسون Patterson، وبرايور Prior، وريتشي Ritchie، وسميث Smith.

○ الرجال : ك. ميوير K. Muir، وبيطون Paton.

3. من غيرهما : بيلامي Bellamy وهو من «بريطيش»، وهوسكينز Hoskins وزوجته وكان مستقلا¹⁶¹.

هؤلاء من جنسية انجليزية. وبقي غيرهم من جنسية إسبانية على الاخص، هم :

ب. الكاثوليكيون

1. خيراردو نويّا : G. Noya قضى بالمغرب عدة سنوات من 1878 إلى 1879، ثم رجع ليقم هنا من 1887 إلى 1893. وكانت وفاته سنة 1905 بمدينة اشبيلية¹⁶².

2. أبيلينو مونيوس ميلاو : A. M. Millau تهرب سنة 1880 واستوطن المغرب من سنة 1889 إلى سنة 1927. وكان رئيسا للبعثات الكاثوليكية الاسبانية بالصويرة والجديدة وتطوان والعرائش. وله مقالات نشرت بمختلف الصحف.

3. بينيطو ساسطري ديل ريو : B. S. Delrio عاش بالمغرب من سنة 1867 إلى سنة 1878. وله أبحاث منشورة.

4. بيسينطي فراسكيت بيو : V. Frasquet Bello استوطن المغرب من سنة 1878 إلى سنة 1887. وله مقالات صدرت بمجلة «ريبيستا فرانسيسكانا».

5. مارسيلينو سيببسا : M. CIVEZZA راهب فرانسيسكاني له مقالات عن نشاط الرهبان بالمغرب.

6. ليون كودار : L. Godar راهب فرنسي ولد سنة 1825 وتوفي سنة 1863، وكان أستاذا للحفريات. وصل إلى المغرب سنة 1858، ولبث هنا حتى رحل سنة 1859، وزار بلدانا أخرى كتونس والجزائر ومصر وفلسطين، وله تأليف عن المغرب.

160. من وثائق وزارة الخارجية البريطانية، 653/3 : F.O. / P.R.O.

161. مبيج : «البعثات...» ص 191 - 192.

162. عنه وعن من بعده ينظر «المغرب وأروبا» ج 1 صفحات مختلفة.

③ النشاط التنصيري : أساليبه ونتائجه

كان أغلب المنصرين منتمين إلى بريطانيا العظمى. وكان أعضاء هاته البعثات البروتستانتية قسسا ميطوديين، وهم من أتباع الطائفة التي أنشأها بمدينة أوكسفورد القس جون ويزلي J. Wesley في القرن الثامن عشر.

ويتعين هنا استعراض هذا المسلسل التنصيري وأنواع الاشغال التي كان المرسلون يمارسونها، ضمن أربعة مطالب هي العلاج والتعليم وقلب الاعتقاد والتقاط الاخبار. ولئن كان في الاعمال الاولى نفع محسوس بالمداواة والتعليم، فقد كانت الطامة الكبرى هي في محاولة قلب اعتقاد المغاربة.

ولكن علينا أن نشير إلى جانب كان إيجابيا في أعمالهم وكتاباتهم : لقد احتكوا بمختلف طبقات المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر وصدر الذي يليه، فوصفوا لنا حياة المغاربة وخلدوا لنا البعض مما نسيه التاريخ. وأشغالهم وتآليفهم لاتزال بحاجة إلى نشر وتعريب وتحليل وتمحيص¹.

المطلب الاول : العلاج والمواساة

كانت جميع المستوصفات والمراكز الصحية البروتستانتية محتوية على أطباء وممرضين، وتقدم بيان مواقعها.

شيدت «نورث» بطنجة سنة 1886 مستشفى وأردفته بثان كان يغشاه المسلمون واليهود من المغاربة مثلما كان يفد عليه الاسبانيون. وكان مشتملا على غرفتين : واحدة للرجال وأخرى للنساء. وكان المرضى يقصدونه من المدينة ومن الأفاق البعيدة والنواحي القريبة.

وبفاس فتحت مركزا طبيا دام عدة سنوات، إلى جانب مستوصف ثانوي بصفرو.

وبتطوان تقاطر المرضى على مستشفى نفس البعثة. ومثل ذلك يقال عن العرائش والرباط والدار البيضاء بالنسبة للحياة المذكورة، وعن الصويرة والجديدة وأسفي ومراكش بالنسبة لبعثة «سوذرن» ومكناس بالنسبة لبعثة غونسبل الامريكية. وهكذا لم تخل مدينة ساحلية ولا قاعدة داخلية من أطباء وممرضين ومساعدين، نساء ورجالا، وقد تعاطوا أنواعا مختلفة من النشاط الصحي الممزوج بالتلقين الديني.

1 . سأستعين في هذا الفصل بما كتبه مبيج عن البعثات البروتستانتية، وسأدرج استشهادات ونقولا من مختلف الكتب والوثائق، مشيرا إلى أبا القاسم الحناشي قدم أطروحة عنوانها «الحركات التبشيرية بالمغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر» إلى كلية الآداب بتونس، نوقشت في يبرابر 1982، ونشر ملخصها في «المجلة التاريخية التونسية»، العدد المثنى 26/25، يونيو 1982، ص 113 - 119.

فمن حيث أنواع العلاج، بلغت الفحوص بطنجة 2.300 استشارة سنة 1886 ثم ارتفعت إلى 17.000 سنة 1892. وفي سنة 1894 كان عدد الاستشارات 40 ألفا بطنجة والرباط والدار البيضاء وفاس، ثم وصلت إلى 70 ألفا سنة 1900 بمجموع المحطات.

ومنذ فتح المراكز التنصيرية البروتستانتية قدرت الاستشارات بـ 50 ألفا بتطوان و70 ألفا بفاس و80 ألفا بمراكش و60 ألفا بطنجة و50 ألفا بالرباط، أي أزيد من 300 ألف استشارة، كما أجريت أكثر من 100 عملية جراحية بمراكش، وأزيد من 200 بطنجة سنة 1905.

وينبغي أن يضاف إلى هاته الفحوص والاستشارات والعمليات ما قدموه من تلقّيات عند طرء الأوبئة سنة 1895 و1901 و1904، أنقذت - بلا ريب - كثيرا من الأرواح من الأخطار. ولربما أخذ الناس يقبلون نوعا ما أن تجرى لهم «الجلّبات» الوقائية من الأوباء والأمراض، وكان ذلك لما صار الولاة وأعيان المخزن ينادون على الأطباء لعلاجهم. وعسى أن يكون قد دخل تطور ما على بعض العقول التي كانت تعتصم بأن «لا عدوى ولا طيرة» في الإسلام.

وخرج بعض المرسلين إلى الأسواق وإلى البوادي مثل لينوكس الذي ذهب لعلاج أحد أبناء المدني الكلاوي بتلوات، وريتشموند الذي رحل إلى إيمين تانوت بقصد علاج المرضى².

التطبيب كان مطية للتنصير من مشرق الأرض إلى مغربها حسبما ورد في مختلف الكتب. ومن المؤلفين من زاروا المغرب مثل فرانسيس ماك نيب التي ذكرت أن المنصرين كانوا يستغلون فقر المغاربة لتمسيحهم. فإذا لم ينصت المريض إلى ما يتلونه من إنجيل، فلا دواء يعطى لهم، بحيث كانت أعمالهم مغطاة كلها بستر الطب³. وقد ثبت هذا في شتى المصنفات المكتوبة عن النشاط التنصيري في البلدان الأفريقية والعربية والإسلامية والآسيوية.

وبودنا أن نعرف كيف كان يتم ذلك .

وها كيف يصف منصر صباح يوم بمراكش : أمام باب دار البعثة تقبع جماعة من الناس قبل الافتتاح. وفي الساعة الثامنة يفتح المركز، ويدخل النساء والرجال إلى الدار ليستقر كل جنس في بيت... فيعظهم القس ويرد على اعتراضات الجمهور، الذي يظل بعضه صامتا، ويخرج البعض الآخر مغضبا، مفضلا مغادرة القاعة دون دواء على أن يسمع كلام كافر، وبعد نصف ساعة يبدأ العلاج. ويجري نفس الشيء مع النساء في الغرفة الأخرى⁴.

وهكذا كان العلاج الجسماني يبدأ بالوعظ العقائدي، وبمخاطبة الضمائر قبل فحص الأبدان، في هاته الصورة التي قدمت على أنها مجرد مثال.

أما المواساة فلم تكن خالصة لوجه الله، ولكنها كانت جدية بالتنويه. ففي إبان المساعب وعند حلول الكوارث كانوا يسعفون بتقديم الاقوات والأدوية إلى المنكوبين، متى كان عندهم فيض منها. فكانت هاته المواد تأتيهم عن طريق الهبة والاكتتاب.

2 . مبيج : «البعثات...» صفحات مختلفة.

3 . عبد المجيد بنجلون : «جولات... 1901» ص 47.

4 . مبيج : «البعثات....» ص 174.

والى جانب هاته الاعمال كانوا يوزعون الخبز والالبسة على المساجين، ولاسيما سنة 1894، في كل من تطوان وطنجة. وكان فريق من القساوسة منتميا إلى جمعية هوارد Howard التي كانت تشن حملة من أجل إصلاح نظام السجون.

ومهما يكن من هوى أو مهما يكن من عطف، فقد كان وجود أطباء وطببيات إلى جانب المرضى في أوقات الحرج والالام مما خفف - نوعا ما - من الكراهية التي كان المغاربة يضمرونها لكل تاجر أجنبي كان همه الوحيد وديدنه الفريد الجشع والتهافت على الربح. وهكذا قدموا بتفانيهم المحمود صورة مغايرة عن الأجنبي الذي لا يسعى إلى ربح مادي⁵.

المطلب الثاني : التعليم

مر بنا في غير هذا المكان أن القساوسة البروتستانتيين أحدثوا مدارس في شتى المدن. وكان مقر هاته المؤسسات التعليمية في ملاح كل من فاس والصويرة وطنجة وفي أحياء شعبية أو حتى قرب النوايل (بالجديدة مثلا).

وسلف أيضا أن المخزن أبطل التعليم الذي كان يتعاطاه إيدواردز ورفيقتة الانسة ريد بمدينة فاس، وذلك بسجن أولياء التلاميذ. وذكرنا من قبل بالرباط أن المعلمين كانوا يغرون الآباء بأموال ويرتبون لهم صلات إن هم أرسلوا أبناءهم إلى هاته المدارس. كما أشرنا كذلك إلى أنهم علموا نحو من 160 طفلا من أبناء اليهود بالصويرة سنة 1879.

وبفاس كانوا يعطون للتلاميذ بليوننا في كل يوم⁶.

غير أن أعداد التلاميذ كانت دائما جد ضعيفة. فبين سنتي 1900 و 1904 كانت أرقامهم تتراوح بين 150 و 180 في مجموع المحطات.

وبمراكش فتحت كريسي ماك أثر مدرسة لم يناهز عدد أطفالها الأربعين. ومثل ذلك كان بالجديدة سنة 1904 بواسطة ليرموند. وبتطوان فتحت بولطن مؤسسة أولى لتعليم صغار الاسبانيين وثانية للأطفال الذكور المسلمين وثالثة لبنات المسلمين. وعن ذلك وعن إقبال الاطفال أو إعراضهم كتبت تقول سنة 1893 : «كان الاطفال المغاربة يغادروننا فجأة دون سبب واضح، ولم يعودوا يسلمون علينا بالمرة. والآن يرد علينا آخرون. ومن الصعوبة تعميمهم، لانه كان ثمة دائما قادمون جدد علينا»⁷.

وكيف كان التعليم ؟ سبق شيء من الحديث عنه بفاس، غير أن بالجديدة وردت عنه بعض التفاصيل في رسالة سطانية سنة 1880 تتعلق على الراجح بنشاط كينسبورغ وأصحابه، أقدمها كصورة أخرى :

«فقد بلغنا أن من بالجديدة من النصارى واليهود الذين في حميتهم استولوا على الصبيان أولاد المسلمين... وأنهم يحوزونهم قبل سنّ الاثغار، فيلقنونهم العجمية وغيرها من آدابهم

5 . أيضا ص 180 و 186.

6 . روجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 164.

7 . مبيج : «البعثات» ص 178.

ويلبسونهم شيئاً من لباسهم مثل الكبوط والنعل ونحو ذلك عدى البريطة، فينشأ الصبي عارفاً بلسانهم، متخلقا بأخلاقهم، راسخاً في زيهم، مائلاً إليهم بفطرتهم وطبعهم، وربما يأكل معهم ما لا يحل له شرعاً، حتى أن بعض الصبيان منهم يحسن العجمية أكثر من العربية، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على الدين...

«ولا يخفى أن هذه دسياسة يتوصلون بها لأغراضهم في الاستيلاء على أولاد المسلمين، وقد أغنى الله الاسلام وأهله عن إحسان الكفار إليهم... وبأي شيء يسوغ لهم ارتكاب هذا الامر العظيم في الدين؟ ونحن ما هادئناهم إلا على أن يرتفق بعضنا ببعض على الوجه المقرر في الشروط، لا على أن يُنصروا أولاد المسلمين وهم ينظرون... وقد بلغنا أنهم يقولون إن هؤولاء حُكْمُهم حُكْمُ الْمُتَعَلِّمِينَ أي الخدمة...»

«وعليه فتدارك علاج هذا الداء وتكلم مع نواب الأجناس في ذلك حتى... يسرحوا ما تحت أيديهم من المسلمين على الوجه المذكور، ويدفعونهم للمخزن والسلام»⁸.

فماذا كانوا يعلمون؟ كانوا يلقتون مبادئ الانجليزية. ولم يكن بهذا بأس، إذ على الله أن يتعلم من المهد إلى اللحد ويطلب المعرفة ولو كانت في الصين. وفوق هذا تعليم الأشياء أفضل من جهلها. وإذن ليس في التعليم من حرج إذا كان لا يطمح إلى قلب الاعتقاد.

ولما كانت مدة التعليم بهاته المدارس البروتستانتية قصيرة، فإنه يصعب استخلاص آثاره. إذ أصيبت المدارس بانتكاسة، وأغلقت بعد أن أبرمت انجلترا وفرنسا عقد المصارعة بينهما سنة 1904، فأطلقت الاولى اليد للثانية بالمغرب، وتركت الثانية للاولى أمر مصر.

كان هذا كله من أجل صغار الناشئة. أما عن الكبار من الرجال والشبان فقد فتحت بطنجة سنة 1898 مدرسة للتكوين المهني. لكن الثابت أن الكبار من الرجال أعدت لهم ضيعة لتلقي مبادئ الزراعة الحديثة. فقد اشترت هيئة «نورث» سنة 1893 أرضاً بالدار البيضاء كانت مجاورة لدار الدكتور كريف. وكان المقصود منها تعليم الفلاحة ثم تنصير أهل البوادي. إلا أن أسراب الجراد التي غزت المغرب سنة 1894 وبعدها والاحداث التي وقعت سنة 1895 كانت حائلاً دون مواصلة هذا العمل. على أن المحاولة تجددت بطنجة سنة 1898. وكان رائدها هو إيدواردز الذي غرس الدالية وأشجار الفاكهة. ولم يكن المسعى ذا جدوى، لأن صاحب المشروع بارح أرض المغرب سنة 1902 مبارحة نهائية.

وسياتي أن الكثير منهم سيغادرون هاته البلاد، بعد أن كانوا يلتقطون الاخبار ويغشون المحافل، ويبلغون ذلك إلى علم المسؤولين من أهل ملتهم. وكان التبليغ تارة مباشراً، وتارة أخرى في شكل مقالات نشرت في مختلف الصحف والمجلات. وكان لبعض المرسلين هواية الكتابة يجدون فيها تفريجاً لهم عن الكروب في الغربية، بينما كان لآخرين غيرة دينية ومغالة لنشر النصرانية بكل ثمن. وذلك ما سياتي شرح طرف منه.

8 . رسالته إلى بركاش في 11 ربيع الاول 1297/22 يراير 1880، في «الوثائق» : 6 ص 311 - 312.

المطلب الثالث : التقاط الاخبار

كانت السياسة مواكبة للتنصير، فقد كان المبعوثون مؤيدين من لدن حكوماتهم وممثلي دولهم وقناصلهم وبني جلدتهم من أجل توطئتهم بالمغرب والوصاية عليهم لدى السلطات المخزنية.

وكان السفراء البريطانيون مدافعين عن مواطنيهم منذ عهد كربي كرين⁹ الى آرثور نيكولسن. وكان ماثيوز وكومري وباركلي يشدون عضد أعضاء جمعيات غوسبل الامريكية بفاس ومكناس وغيرهما.

وسبب ذلك أولا مؤازرة بني جنسهم والتضامن معهم. وهناك دافع آخر وهو أيضا سياسي : الاخبار. لقد كانوا يطلعونهم على سير الاحوال الداخلية وينشرون في غير ما مجلة أو صحيفة تقارير ومذكرات ومقالات عن مدى ما توصلوا إليه من أنباء، ويكفي تصفح ما كتبوه لنذكر صواب ما ذكرناه، وهو ما أجمعت عليه كافة المصادر.

وكان الناس يغشون محطاتهم ولاسيما مستوصفاتهم، وكان المرسلون يلجون الدور في كل مدينة ولاسيما بمراكش وآسفي وغيرهما حسبما مر بنا. وكانوا إلى هذا وذاك يعقدون اجتماعات ومحاورات مع مختلف الشخصيات، وكانت لهم اتصالات مع دوائر حكومية. وكان لهم مستخدمون في أماكنهم ومأجورون في أعمالهم. وكان البعض منهم يتكلم لغة البلاد بعد تعلمها ويعرف العوائد المحلية والقواعد المغربية.

مثلا الدكتور كير بالرباط كان يربي الحمام الزاجل لتطهير الاخبار. وكانت محطة فاس تعمل في الخفاء دون بهرجة. وكان نيرن مخبرا جيدا له صلة بأعضاء المخزن حتى اعترف ساطاو بأنه كان يوافيه «بأنباء مفيدة عن حالة القضايا». كما أن لينوكس الايقوسي كان على أوثق اتصال بالحراب الايقوسي ماك لين الذي قدمه سنة 1900 إلى السلطان مولاي عبد العزيز، فصار أحد جلسائه لبعض الوقت. وكان نقالا للاخبار قبل أن يغدو وكلا قنصليا¹⁰.

وقريب من هذا يقال عن بقية القناصل الانجليزيين وغير الانجليزيين : ماك ليود كانت له روابط متعددة بفاس، وكان يحمي «الطبيبات» والمنصرين. وكانت الحكومة البريطانية بواسطة سفرائها تقدم لهم العون اللازم. فلئن كان جون هي لم يؤيد كينسبورغ بالصويرة، فإن كرين وإيوان سميث كانا كثيري الصخب وشديدي الشنآن مع السلطات المخزنية.

وفي شهر دجنبر 1890 لما انتقل نيرن وكلارك من الصويرة واكتريا منزلا بمراكش من الغنجاوي، ثارت زوبعة لدى السكان ضد استقرار النصاري، ولدى مفوضتي ألمانيا وفرنسا بطنجة. ولاخماها نصح ماك لين حكومته بسحب المنصرين أو دعوتهما إلى تخفيف نشاطهما

9 . المرجع الاخير ص 180 و«المغرب وأوروبا» ج 4، ص 152.

10 . مبيج : «البعثات...» ص 182 - 183.

على الأقل. لكن كرين الذي كان ورعا آزرهما وشد عضدهما، لانه كان مقتنعا بأن المصلحة الدينية والسياسية تقتضي أن يبقيا بمراكش. وعلى هذا النهج سار خلفه إيوان سميث ثم ساطاو. ولئن كان نشاط المرسلين ودورهم السياسي هو ما يضطلع به كافة الوطنيين المحبين لبلادهم، فقد كان هو نفس الدور الذي كان يقوم به غيرهم من قناصل وتجار. إذ لم يكن أي أوربي في مغرب القرن التاسع عشر يضمن على حكومة بلاده بالاطار التي بلغت إلى علمه وبقاؤها بالدسائس التي كانت تحاك¹¹.

وزيادة على ذلك قالت فرانسيس ماك نيب عن علاقة المنصرين الامريكيين بالقنصلية العامة إن هاته الأخيرة كانت تسعى لجعلهم «نوعا من مصالحها الخارجية» وأنها كانت تستخدمهم في مآربها السياسية وأنهم كانوا يقومون بنشاط اقتصادي ويقدمون تقاريرهم إلى الحكومة ورجال الاعمال¹².

وفضلا عن التأييد المعنوي والسياسي، كانوا يجدون مساعدة مادية من لدن المكتتبين والمتطوعين في سبيل نشر ديانة المسيح ومذهب البروتيسانتيين. كانت الهيئات تتفق في المعدل على كل منصر بين 80 و 120 جنيها في السنة (بين 2000 و 3000 فرنك ذهبي). وكانوا يتقاضون أجورهم عينا لا نقدا. وكانت هاته الاموال لا تكاد تغطي إلا نحو 30 في المائة من مجموع المصاريف : سواء في توزيع الاناجيل والادوية أو في سبيل فتح المحطات والمستوصفات والمدارس. ولعل الخصاص كانت تكمله الحكومة نفسها.

ولئن كان المنظر الامريكي جورج فيشر قنوعا ماديا فإنه كان متحمسا عقائديا. كتب إلى وزارة خارجية بلاده يلومها على التقصير في موازنة الامريكيين لدى السلطات المغربية لكي يحصلوا على دور للسكن، وقال إن على العلم الامريكي أن يرفرف عاليا في الاراضي القاصية حماية للعقيدة، مذكرا بأن منظمته كوسبل لم تطالب قط بتعويض عن الفظاعات التي ارتكبت في حق المنصرين بأرجاء العالم¹³.

وسواء كان المبعوثون منطلقين عن حسن طوية نبيلة أو عن سوء نية رذيلة، فقد سافروا على حساب الهيئات إلى جهات مختلفة من العالم بوصفهم سياحا يبذرون الاموال¹⁴ في شرق الارض ومغربها، ويشتمون الاخبار ويندسون في المجامع، إلى أن كان ماكان من رحيلهم.

لقد بارح الكثير منهم أرض المغرب في بداية العقد الاول من القرن العشرين، وذلك لما أيقنوا أن أعمالهم كانت عبثا، وأن الحصيلة النهائية كانت صفرا. فقد أخفقوا في تنصير المسلمين واليهود إخفاقا لا توازيه الجهود المصروفة والاموال المبذولة. وسيتجلى الفشل في نهاية النهايات التي كانت هي محاولة قلب الاعتقاد.

11. نفس المصدر ص 163 . 164.

12. فيليبس : «الرسالية...» ص 17.

13. أيضا ص 18

14. مصطفى خالدي وعمر فروخ : «التبشير والاستعمار...» ص 35.

المطلب الرابع : التنصير

كانت الوسيلة هي العلاج والتعليم، والغاية هي قلب الديانة. وسنعرض إلى الوسائل المستعملة وإلى المواقف المتخذة منهم، وسنختم باستعراض نتائج التنصير¹⁵.

كان للهيئات السبع أزيد من 160 مروجاً من أطباء وممرضين ومساعدين، تجولوا بمختلف المدن والقرى لبث تعاليم الانجيل في القلوب. وما كان أغناهم عن ذلك ! فالمسلمون لا يحتاجون لمن يقول لهم إن المسيح عليه السلام رسول الله فهم لا يؤمنون بصلبه ولا بالتثليث الذي يدعو إليه النصارى، لأن الاسلام توحيد وليس شركاً.

وقبل الخوض في نتائج هاته الحركة التنصيرية وأسباب فشلها وبيان المواقف المتخذة من الدعاة المروجين، سنتوقف قليلاً للكلام عن توزيع الاناجيل.

4 . 1 : ترجمة الانجيل وتوزيعه ونشره

كان بعض القسس يعرفون اللغة العربية، وكان لقليل منهم إلمام باللهجات البربرية. وقد حاول ماكينطوش بطنجة أن يترجم إلى اللهجة الريفية نص الاناجيل، كما سعى نيرن وميويير في نقلها بمراكش إلى اللسان السوسي سنة 1903، على يد ققيه من أهل تارودانت.

وساح الكثير من هؤلاء بأطراف المغرب، وتعاونت الهيئات فيما بينها، وعقد أعضاؤها اجتماعات وتجمعات مشتركة، وغشوا من الدور «الرفيعة» نحو 1500 منزل، وفتحت لهم بمراكش أزيد من مائة دار، وبأسفي 87 منزلاً. لقد تجول لينوكس من «سوذرن» صحبة الدكتور نوط من «نورث» بأنحاء المغرب سنة 1894، مروراً بتادلة. وطاف سومرز بأطراف البلاد حتى بلغ سوس سنة 1904. وكان هو وماكينطوش يتجولان معاً، تالين سوراً من الانجيل وموزعين نسخاً منه، بعوض أو بمجان.

لكن «بريطيش» كانت أقوى الهيئات تحملاً وغيره من أجل التنصير، فلم تكد تتعاطى نشاطاً غيره. ففي سنة 1884 وزع أعضاؤها 109 نسخ، وفي سنة 1885 وزعوا 788 إنجيلاً. والحقيقة أن النسخ المسلمة إلى الناس كانت بالآلاف المؤلفة. وفي سنة 1896 كان معدل التوزيع بمراكش وحدها 1000 كتاب في الشهر على يد «سوذرن». وفي ظرف 15 سنة كان مجموع ما بيع أو وزع عدداً ضخماً¹⁶.

بهاته الأساليب كانوا متلهين، وفي قلب الاعتقاد كانوا ضالعين. ترى ماهو موقف الشعب والعلماء منهم ؟ وماهي التدابير التي اتخذها المخزن للرد عليهم ولزجرهم ؟

15. استعملت لفظة «التنصير» مستعياً بها عن كلمة «التبشير» التي كانت واردة في المصنفات العربية على لسان العرب المتنصرين. وقد فضلها اليوم كثير من المؤلفين المغاربة والمشاركة، لأن التبشير عبارة فيها انحراف مسموم دخيل على الاسلام، إلا أن يكون بالعذاب الاليم، عن طريق المجاز القرآني.

16. يرجع في هذا كله الى صفحات مختلفة من «البعثات...».

4 . 2 : المواقف المتخذة

لا نعلم شيئاً عن رأي عامة الشعب منهم، ولو أننا نعرف أن المغاربة لم يذوبوا في هذا الاتون العقائدي، على الرغم من شتى الاغراءات.

أما العلماء وحماة الشريعة فلم نر شيئاً منهم في هذا المجال للرد عليهم باستثناء احتجاج قاضي الرباط على ضرب النواقيس¹⁷ سنة 1891. وسبب ذلك، فيما نظن، أن الفقهاء والوعاظ المسلمين لم يشعروا في وقت من الاوقات بخطر هاته الحركة التنصيرية على اعتقاد المغاربة. وإن دل صمتهم على شيء، فإنما يدل على أن هاته الجهود المبذولة من لدن المروجين البروتستانتيين باءت جميعها بالفشل الذريع، حسبما سنقف عليه وشيكاً.

حقاً ألف بعض العلماء عن المحميين من «أهل باسبور» تصانيف كثيرة، مثل العربي المشرفي والمأمون بن عمر الكتاني ومحمد بن ابراهيم السباعي، فوصفوا المحميين بالعصيان، دون المروق من الدين. فما بالك لو بدل المسلمون عقيدتهم ؟ إذن لكانت ضجة ما بعدها من ضجة، أكثر وأقوى من تلك التي قامت من أجل المحميين، وهم أهون شأنًا من الممسحين. فالصمت هذا برهان على أن المبعوثين لم يجدوا صدى لدى عامة الشعب وخاصته على السواء.

ولعل الحكومة - وعلى رأسها السلطان - قد كفتهم جميعاً مؤونة هذا الامر، بمواقفها التي قدمت طرفاً منها. فقد قرأنا بمراكش أن السلطان قال عن نشاطهم وعن ردة فعل المسلمين منهم سنة 1891 : «إن أهل البلد لهم الحق في المدافعة عن أعراضهم وعن دينهم بكل ما أمكنهم». وتلونا بالصويرة شيئاً من التراث المتعلق بنشاط كينسبورغ وأصحابه المتحمسين، والعنف الذي مارسوه على مختلف الطبقات. كما علمنا من قبل أن الحكومة كانت تمنع في إكراء دور لسكناهم وتأمّر بعدم مخالطتهم وبكف الصبيان والنساء عن غشيان محطاتهم ومدارسهم.

وإذا أردنا أن نعرف موقف السلطات منهم وما اتخذته من قرارات تتعلق بالحد من نشاط هؤلاء المروجين، وجب علينا أن نستقصي أخبار ذلك من ربائنا ورسائل المخزن التي لا تذكر المنصرين باللفظ، ولكن بالكناية والتلميح. الوثائق المغربية لم تستقرأ بعد، وما استشهدت به منها إنما وقع تحت اليد بالصدفة

ونسوق النص الكامل من إحدى هاته الوثائق، وسنبين الوجه الداعي لكتابتها :

«الحمد لله،

«لما كان ترجمان الصبنيول هنا ذكر أن دولته أمرته أن يعرّف بالمحبة التي بين الجانبين، وأن تلك المحبة تقتضي أن يكون يعلمها المخزن - بالامور التي يرتكبها الغير هنا، ولا حق له في ارتكابها لخروجها عن القوانين والشروط - على وجه السر، لتقف في أمرها وتفعل فيه ما تقتضيه المحبة.

«وعليه، فاعلم نائبها - على وجه السر - بالنصرانيتين صاحبتا (= صاحبتَي) الدين الجديد الواردتين للرباط وما اشتغلنا به، وبالنصرانيتين الواردتين لفاس وما اشتغلنا به،

17. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 314 (8).

وبالنصرى الذي ورودوا للرباط مع النصرانيين المشار إليهما، واتخاذهم دارا بالرباط، وهدمهم لها، وشروعهم في بنائها، وجعلهم بها سراجم يتكشفون منها على دور المسلمين، وعلى دار المخزن، وكذلك من سطحها.

«وأكد عليه في إعلام دولته به عاجلا، واستيشارها (= استشارتها) فيما يكون في رفع ضرر أولئك النصرانيات من الرباط ومن فاس. وما أشارت به في ذلك يعلمك به.

«وقد ورد نصارى 3 من النجليز لمراكشة وسكنوا بدار للغنجوي، واشتغلوا بقلب اعتقاد الناس والسعي في تبديل دينهم. فأعلم النائب المذكور بذلك، وكذلك بأحد الحراية الذين يعلمون عسكر الرباط، الذي اتخذ أروى مفسقة وصار يتكشف على دور المسلمين من سطح بيت بها»¹⁸.

ويفهم مما تقدم أن أصحاب الدين الجديد هم البروتستانتيون الانجليزيون، وأن أصحاب الدين القديم هم الكاثوليكيون الاسبانيون. وكان بين الطائفتين خلاف أشبه ما يكون بما بين الشيعة وأهل السنة من المسلمين.

4 . 3 : النتائج الهزيلة

لم يكن المغاربة ولا الاسبانيون براضين عن هذا النشاط البروتستانتي، ولذا لزم التعاون بين البلدين. ولعل هذا كان من أسباب تحرير هذا التقييد الذي لا نستشف منه خطرا داهما على العقيدة الاسلامية، وإنما كان الشعور بالقلق منتابا للأوساط الاسبانية أكثر مما كان يصيب الأوساط المغربية.

وذلك أن التنصير مس الجالية الاسبانية مسا خفيفا. ففي طنجة وتطوان تمسح منها العشرات على يد بعثة «نورث» سنة 1889 بواسطة بنطريك، وقبله سنة 1885 بواسطة الأنسة هيردمان. ولم يتعد الصابئون الاسبانيون أربعين شخصا سنة 1900. ونشأ بين المفوضية الاسبانية والمفوضية الانجليزية خلاف كان من الحدة بحيث هددت السلطات القنصلية الرعايا الاسبانيين بالطرد من المغرب، إن هم أصروا على موقفهم¹⁹.

البعثات وجهت اهتمامها أيضا إلى المغاربة. فقد نصروا اليهود بشتى المدن : عدة أشخاص بطنجة وثلاثة بالرباط وأربعة بالدار البيضاء وعشرة بالصويرة²⁰.

لكن لم ترد أسماء الجميع، ولا نعرف إلا اثنين من الثلاثة من المسلمين الذين ارتدوا بكل من فاس وطنجة ومراكش، مثل كيليرمو بن سليمان بن الحاج سليمان وابن فاطمة مفتاح. وكان تنصره قد حدث سنة 1878 بطنجة²¹. وبفاس تنصر على يد الأمريكيين شاب مغربي متملق كان يحترف التجارة اسمه إدريس وأعلن أمام الملا عن رده وأخذ يأكل الطعام جهارا

18. تقييد عار من القاريخ، تطوان 21/141.

19. ميبج : «البعثات...» ص 171 و 172.

20. ما ذكر بهاته المدينة من ارتداد المئات من اليهود والمسلمين فيه نظر. إذ المقصود في نظرنا هو التشبه بالنصارى وغشيان مدارسهم، لا التنصر العقائدي. وذلك أن الحزائين كانا من جيل، واليهود المنصرين من جيل آخر. فكان هناك صراع بين الاجيال.

21. ميبج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 315 (2).

في شهر رمضان. فكان جواب أهل البلد أن رجموه وضربوه ودمروا دكانه ومتاعه. غير أنه ظل صابرا محتسبا مما أثار إعجاب الأمريكيين الذين حملوه في شهر أكتوبر 1899 إلى اجتماعهم السنوي بالعرائش حيث تحدث إليه بعضهم بالعربية ليتأكد من صحة نصرانيته. ثم عمّده هيمر ونيطن، مصرحين بأنه أول صابئ على يدهما، فكان ذلك مشجعا للمنصرين الموجودين وقته بالمغرب. غير أن هذا التنصير لم يكن حقيقيا. فقد قال جورج س ريد الذي عاش بالمغرب طويلا إنهم لم يلقوا «أي تشجيع بتنصير واحد ثابت»²².

وقريب من ذلك ما صدر بمجلة «نورث أفريكا» من أن أحمد الكوماطي التونسي الذي سمى نفسه عبد المسيح بولس قد تنصر سنة 1895 أو قبلها، فنشرت رسالته بالعربية إلى أحد المنظرين البروتستانتين وهو كليني Glenny وبعدها ترجمتها إلى الإنجليزية²³.

وعلى الجملة لم يتجاوز عدد من ارتدوا من المغاربة ثلاثين شخصا في هاته الفترة التي هي ثلاثون سنة، أي أن معدل الصابئين هو مغربي واحد كل سنة، أو مسلم واحد كل عشر سنوات.

ومع ذلك يجوز شيء من التأويل الذي يصدق على المسلمين واليهود معا ونعني به التغرّب والتشبه بالنصارى في مآكلهم وملبسهم ولغتهم، لا التمهّد بالعقيدة وممارسة الشعائر بالمحطة أو بالمعبد.

على أنه لا عبرة بما قيل عن تنصر أحد أعضاء أسرة بنيس سنة 1841 بمدينة طنجة، وعن تأديب العامل إياه وثناء السلطان على الوالي. لأن ذلك إن وقع فإنما وقع عن طريق المجاز، أي التشبه بالنصارى حسبما وصفت سابقا. وعلى ذلك علق محمد داود قائلا : إن ذلك كان من قبيل اختلال في عقل بنيس، أو احتيالا منه لقضاء مآربه، أو وقوعا في غرام نصرانية، أو من إغراء بعض المنصرين²⁴ الذين لم يكونوا حاضرين هنا في هذا الوقت بالذات. ولئن أوردت المصادر أن أربعة من أهل فاس تنصروا بانجلترا²⁵ فلا يعدو أن يكونوا قد ارتدوا أو فعلوا ذلك، إما على مثال بنيس أو لغرض تجاري أو بزواج من إنجليزية أو بتأثير أجنبي عليهم.

4 . 4 : أسباب هذا الفشل

كان المبعوثون يعقدون روابط صداقة مع أعضاء البعثات، وكان بعض الولاة والقضاة وثلاماء يجادلونهم في أمور العقيدة²⁶، في منطق لا تتكافأ مقاييسه : بين تفتح عقل وانغلاق ذهن.

ولئن تسلط النفوذ الأجنبي على المغاربة، فلقد كان ذا صبغة سياسية وتجارية، ولم يكن قط عقائديا بالتنصير و«قلب الشاشية». وإذن فشلوا فشلا تاما. فما هي أسباب ذلك ؟

22. دينيس فليس : «الأرسالية» ص 1 و 13.

23. في عدد شتنبر 1895 ص 106 و 107، وقد أمدني بصورتها صديقي الاستاذ محمد أبو طالب.

24. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 344.

25. ميج : «المغرب واوروبا» ج 4 ص 406 (3).

26. عبد الله العروي : «الاصول....» ص 210 .

يمكن أن نعزو بعض ذلك إلى جهلهم بنفسية الشعب المغربي وبتاريخ البلاد، فارتكبوا أخطاء فاحشة. ومن تلك الاغلاط أنهم كانوا يوزعون على النساء تلك الكنانيش، مثلما تقدم بالصورة وبالرباط وبغيرهما. النساء كن أميات مثل الرجال الذين كانوا شرعا أوصياء وقوامين عليهن.

ومن هاته الأخطاء البسيكولوجية الفاحشة أنهم كانوا يراودون حتى الحجاج عن العقيدة الإسلامية. ففي سنة 1891 فتحت بعثة «نورث» بطنجة مكانا لبيت فيه المسافرون والمنقطعون. وكان من هؤلاء حجاج مسلمون كانوا يمضون فيه بعض الوقت ريثما تصل السفينة التي تقلهم إلى الديار المقدسة، وكان يحرس المكان مغربي متنصر. فكان يدخل عليهم واعظ من البروتستانتين يتلو عليهم سورا من الانجيل. ولما علم المخزن بهاته المحاولة المقصودة لفتنة المسلمين أمر بإغلاق المحل. غير أنهم فتحوه مرة أخرى سنة 1893 بمكان يقع بالطريق المؤدية إلى فاس.

وحاصله أن المغاربة المسلمين لم يذوبوا في هاته البوتقة الجديدة، بل صمدوا لها صمودا صامتا ليس فيه صخب ولا جلبة : لقد أعرضوا عن كلام المنصرين وكفى. أنفقت الاموال الطائلة من أجل العلاج والتعليم بهدف التنصير. وكان أصحابها يظنون أنهم سيرفعون من شأن هذه الامة إن بدلوا اعتقادها. وهذا أيضا خطأ كبير لم يشعروا به في البداية وإنما في النهاية. كان أمين مال هيئة «سوذرن» أول من شعر بتفاهة عمل البعثات في مجال التنصير. فقال كوثيرت نيرن سنة 1898 : إن تسع سنوات من العمل الدؤوب المضني قد انصرفت دون التيقن بقلب اعتقاد شخص واحد. وبلغ من القنوط المبلغ الذي وصل إليه أصدقاؤه بالخارج، وأخذ الشك يساور قلوب سائر البعثات مثل «نورث أفريكا» و«سينطرول». وبدأ الجميع ينحون باللائمة على ضعف الوسائل المجعولة رهن إشارة المنصرين بالمغرب مثل المدارس والمصحات ويقارنون بينها وبين الامكانيات القوية التي سخرت لزملائهم بمصر والشام وفلسطين²⁷.

مرت على ذلك الشعور ثلاث سنوات، وجاءت فرانسيس ماك نيب في جولة سنة 1901، وسألت أحد القسس، فأجابها أنه بعد أن بذل صادق الجهد من أجل نشر المسيحية بالمغرب أقنع عن ذلك تمام الاقلاع. ثم ذكر لها أن العائق الاساسي يكمن في طبيعة الشعب نفسه... فطابع الاسلام يخيم على حياة الطفل قبل أن يولد ويظل عالقا به مادام على قيد الحياة. ولما سألت أحد أصدقائها عما إذا كان من الممكن تحويل مسلم إلى مسيحي، أجابها بصراحة أنه لا يعتقد ذلك. ثم أضاف قائلا : إذا أردت أن تفعل ذلك فما هو السبيل : عليك أن تحرق جميع كتبهم، ويجب أن تتلقفهم في مستهل حياتهم، وتعصري كل الدماء التي تجري في عروقهم، وتطحني عظامهم. فإذا استطعت بعد ذلك أن تعيدهم إلى الحياة، كان في مقدورك أن تحولهم إلى مسيحيين²⁸.

وذلك أن الاسلام عاصم من غيره : فالمسلم يولد مسلما، ويلقنه أهله الشهادتين في الاسباع الاولى من ولادته، بالأذان في أذنيه. وعندما تحين منيته وخروجه من الدنيا، لابد أن

27. ميبج : «البعثات...» ص 184 - 185.

28. عبد المجيد بنجلون «جولات ... 1901»، ص 44

يلقن الشهادتين، فهو لا يمرق من دينه مادام أصيلاً. والذين خرجوا من ديانته هم الذين ينقصهم عنصر الأصالة، مثلما حدث بأمريكا وبإفريقيا حيث الوثينة المتنوعة.

وانقضت بضع سنوات فخف طنين التنصير، لانه كان مواكبا للسياسة. ولن نجد للبعثات وجودا رسميا في المغرب بعد سنة 1905.

وخارج المغرب استولى اليأس على طائفة من المنصرين. فالقس الأمريكي المستشرق سامويل زويمر S. Zwemer المتوفى عام 1952 اعترف في مؤتمر لوكنهو Lucknow بالهند سنة 1911 بأن في جزيرة العرب وإيران وتركستان وأفغانستان وطرابلس والمغرب سدودا في وجه «التبشير»²⁹.

هذا ولم تنعقد ببلادنا مؤتمرات مثل التي نظمت بأقطار الشرق الاسلامي ومدنه، مثل القدس والقاهرة واسطنبول وحلوان ولبنان والعراق وبلدان آسيوية وأوروبية وأمريكية. وسبب ذلك واضح لان التجربة البروتستانتية بالمغرب كانت فاشلة. وذلك ما شهدت به الكتب والمقالات والتقارير واليوميات المكتوبة والمطبوعة.

وإن من المرسلين من تجشم الصعاب والمخاطر، ومنهم من ساح في العالم على نفقة هيأته، ومنهم من مات طريح الفراش، ومنهم من مات الموت الزؤام (كوبر بفاس ونيرن بمراكش)، ومنهم من عدل نهائيا عن عمله أو صوب وجهه نحو التجارة والعمل القنصلي (لينوكس بمراكش ونيطن بطنجة) ومنهم من رجع إلى وطنه يائسا أو مريضا.

هذا كله عن البروتستانتين. أما الكاثوليكيون فلم يرد عنهم شيء في هذه الفترة التي لم يكونوا يعنون فيها بتنصير غيرهم.

29. عمر فروخ ومصطفى خالدي : «التبشير والاستعمار...» ص 170.

④ المهتدون

لئن كانت الهيئات البروتستانتية قد أنفقت كما رأينا أموالا باهظة لصد المسلمين واليهود - من أهل المغرب خاصة، ومن سكان إفريقيا وآسيا وأمريكا عامة - عن ديانتهم فإن المسلمين لم يدفعوا - ولاسيما في العصور الماضية القريبة - قرشا واحدا لحمل غيرهم على الاسلام واستمالتهم إليه.

فقد جاء في مختلف المصادر أن أشخاصا دخلوا طواعية الى الدين الاسلامي في القرن التاسع عشر. أما قبله فقد ثبت أن آخرين - سموا علوجا - أسلموا كذلك وحسن إسلامهم أو تظاهروا به لأسباب شتى سيأتي بعضها مبسوطا.

وسنختم الكلام هنا عن القضايا الاعتقادية بسوق أسماء طائفة ممن شرح الله صدرهم فمّن عليهم بالاسلام. وسنقف في هذا الفصل الأخير على عدد من المنتمين لمختلف الأوطان ولاسيما من وقع إسلامهم بالمغرب، وعلى أسماء بعض اليهود ممن أسلموا وتحدثت عنهم بشيء من التطويل المصادر المخزنية التي سنفسح مجالا عريضا للاستشهاد بمضامينها. فإذا كنا عاجزين في بعض الأحيان عن معرفة خلفياتها فإن ذلك لا يعني ترك الكلام عنها ولاسيما أن لها اتصالا بتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر.

1. **عبد الله كويليام : W. A. Quilliam** الشيخ عبد الله من مواليد مدينة ليفربول الانجليزية. وكان سبب إسلامه سنة 1884 أن نصحه الأطباء بإمضاء فترة راحة بجبل طارق، فلما وصل إليها ركب سفينة إلى طنجة فرأى بعض المسلمين بها يتوضأون ثم يصلون، فاقترب من أحدهم واستفسره فشرح له مبادئ الاسلام، وما خرج من طنجة حتى استسلم للاسلام وآمن به. ولما رجع إلى إنجلترا أخذ يدعو إلى الديانة المحمدية، وفي سنة 1891 أنشأ معهدا إسلاميا ضم 30 منخرطا ثم أسس مسجدا يسع 150 مصليا، وفي سنة 1900 تولى رئاسة الطائفة الاسلامية ببلاده. على أنه كان خلال ذلك مضايقا من رجال الكنيسة ومن الصحافة، فكتب مقالات وألقى محاضرات للتبشير بالدين الاسلامي، واشتهر صيته في أوساط إنجليزية وأوروبية¹.

كما أنه كان يخرج جريدة أسبوعية باللغة الانجليزية بمدينة ليفربول عنوانها : «ذكريسنت (الهِلال)» : The Crescent». وكان يُصدّرها بالحمدلة وبعبارة إنجليزية هي : With - wich - is - incorporated - the liver².

واستمر داعيا إلى الاسلام معينا للمسلمين في العالم على قضاء فرائضه ومناسكه. فمن ذلك أنه وجه سنة 1906 رسالة إلى الطريس يلتمس منه فيها مساعدة مسلمي إفريقيا على

1 . مبيج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 406 (3)، وكذلك أنور الجندي في : «أفاق جديدة للدعوة الاسلامية في عالم الغرب» ص 133 وغيرها، حيث أشار فيها الى إسلام متقنين آخرين مثل الدكتور عبد الكريم جيزمانوس الروماني وخالد شيلدريك الانجليزي.

2 . صورة العدد 280 منها المؤرخ في 25 ماي 1898 توجد بتطوان 289/109.

أداء مناسك الحج بالتدخل لدى شركات البواخر من أجل نقلهم إلى الديار المقدسة. وجاء في ترجمتها العربية على الخصوص قوله :

«من عبّيد ربه عبد الله كُولِيم، شيخ الاسلام بالجزر البريطانية لنائب الحضرة الشريفة بطنجة من المملكة المغربية.

«ينهي خديمكم لكريم علم سيادتكم أن كثيرا من المسلمين الذين هم من مستعمرات الدولة الانجليزية البريطانية كإقليم نيكيرزية ولاكوص وصيرليون واشنطي³ وغيرها من شواطئ غرب إفريقيا، المشتمل عددهم على الملايين من المسلمين : كثير منهم لهم الرغبة الشديدة في أداء فريضة الحج... وكثيرا ما يرسلوننا في بلوغ مرادهم، وجلهم يرتكب مشاق الاسفار... فإن منهم من لا يتأتى له الرجوع لارضه... وقد كتبوا لي أحيانا ومرات متكاثرة طالبين أن نأخذ بيدهم في الكلام مع بعض كبانية البابورات لحملهم من غرب إفريقيا واصلين لجدة...»

«فالعرض من هذا أن نعرفنا سيادتكم : هل توجد بابورات لحمل الحجاج من مرسى طنجة أو غيرها من المراسي الموافقة بالمملكة المغربية في هذه السنة القابلة ؟ وهل هنالك من له رغبة في ذلك من الكبانيات ؟ ولايمكنني أن نعرفك بالعدد اللازم على ذلك في هذه السنة، بل يحتمل أن يكون عددهم ما بين المائة إلى المائتين. نعم إن أمكنني أن نجعل اتفاقا... فإني أقدم بنفسني من هنا في أحد المراكب المتوجهة لغرب إفريقيا بقصد مصاحبة الحجاج من محالهم المذكورة إلى مرسى طنجة... على أني أخشى أن لا يتيسر لي جمع الحجاج في هذه السنة، والعزم قوي عليه إن عشت في السنة القابلة.

«وهؤلاء المسلمون من غرب إفريقيا أناس أخيار ظرفاء، غير أنه لا يحسن اللغة العربية منهم إلا القليل، والكثير منهم يتكلم باللغة الانجليزية أو بلغة أهل إفريقيا الغربية...»⁴.

2. ماكس ريختر : M. Richter ألماني كان يعيش أواخر القرن الماضي بفاس خاصة للتجارة، وكان له شركاء فيها وفي الفلاحة بعدد من النواحي المغربية. وفي بداية القرن العشرين كان يتولى النيابة القنصلية لبلاده بالمدينة المذكورة، وفي سنة 1906 «كان رغب في دين الاسلام وتنصل من دينه، فأنعمنا عليه بظهيرنا الشريف بتوقيره واحترامه وتوفير عزائبه وأصحابه»⁵.

على أن ماكس كان كثير الخلاف مع السلطات المغربية، وكان يعرف العربية وعوائد المغاربة ويمثل مصالح أبيه كوسطاف هو وأخوه هانس المقيم بأسفي. وقد ادعى اعتناق الاسلام، فكان عينا للمصالح الالمانية وأذنا لها⁶.

3 . لعل المقصود : شيندي المدينة الواقعة شمال الخرطوم بالسودان.

4 . رسالته إلى الطريس في 28 جمادى الأولى 1324/20 يوليوز 1906 تطوان 33/141.

5 . رسالة السلطان إلى الحباي في 25 صفر 1324/20 أبريل 1906، نصها في ص 2 من كناش مكاتيب الطابع الشريف رقم 1695 د بالخزانة العامة بالرباط.

6 . كيين «ألمانيا والمغرب...» ص 441.

3. ويليام سامويل إيلتون : W. S. Elton إنجليزي استوطنت أسرته المغرب منذ 1835، وتولى العمل بالنيابة القنصلية بأسفي سنة 1856. وفي سنة 1858 دخل إلى الدين الاسلامي. وكانت وفاته هو وأبوه جيمس في غشت 1869 بمدينة آسفي⁷.

4. خوان ابن أندريس : Juan Andres إسباني ذكر عنه العربي بن أحمد اليملاحي قاضي العرائش سنة 1888 أنه «في يوم تاريخه حضر لدينا الرومي المسمى باخوان ابن أندريس الصبنيولي العرائشي مقرا بالله ربا، وبالاسلام ديننا، من غير ضغط عليه ولا إكراه، اختيارا منه دون ضرورة، وألزم نفسه القيام بأداء الكلف الشرعية، ما ظهر منها وما بطن، إلى أن يلقي الله سبحانه، محبة منه في الاسلام والدين المحمدي.... وأن نائب الصبنيول بالعرائش أنف من ذلك وأراد قبضه حين وقع ما وقع من هذا الرجل»⁸.

وفي نفس اليوم أيضا كتب محمد السُربوت إلى الطريس ملتصقا منه الوقوف «في قضية الرومي الصبنيولي العرائشي ودخوله رغبة منه في الاسلام، نريد من كمال الاحسان أن تبالغ الجهد في دفع المكاره عن هذا الرجل، رعا لما اتصف به، لان النصرى أرادوا أخذه نكاية فيه وفيما انتسب إليه، وليس لهم عليه حق ثابت...». وزاد قائلا إن النائب القنصلي دي كويباس Cuevas أرسل «عددا من النصرى واليهود لآخراج ذلك الرجل من الحرم ومن الحمام كرها. إلا أن بعض الناس من العقلاء أطفئوا إضرام هذه الفتنة بوجه مستحسن...»⁹.

ويظهر أن سبب دخوله للاسلام أنه كانت «عليه دعوى وحكم عليه قونصوه بالعرائش أن يخرج منها هو وأمه، فدخل النصراني في الاسلام بسبب ذلك على يد قاضي البلد وخليفة عاملها، فكتب القونص للخليفة المذكور بأن يسلمه إليه... ثم كتب لك القاضي والخليفة مُبهمين عنك حقيقة القضية، جازمين أن لادعوى على النصراني المذكور ولا تباعة لاحد....»

«فالذي في الفصل السابع والعشرين من شروط الصبنيول أن من كان في خدمتهم... وهرب يُرد ولا يُقبل... فقد أمرنا عامل العرائش... بدفعه للقونص ليفاصل الدعوى التي عليه ويخلي سبيله، حيث لا موجب لرده لهم، عملا بمقتضى الشروط»¹⁰.

5. أيوب سبيريدون : شامي تلقى تدريبه بالكوليج الأمريكي ببירות، واستقر بجزيرة لانزاروتي (جزر الكناريا) للتجارة هناك. وقد اعتنق الاسلام وتزوج بمغربية. كما أنه شارك سنة 1888 في رحلة البارون الكولونيل لاهور البلجيكي. وسمى مكان نزول ماكينزي بطرفاية دار سبيرة¹¹. فقد كان اسمه عند الصحراويين هو محمد صابر أو محمد سبيرة، وكان أحد أتباع الشيخ محمد المصطفى ماء العينين، وكانت له صلوات معه. أما زوجته فكانت تسمى السالكة بنت الفويضل من قبيلة العروسيين ومن قرية قريبة من رأس بوجادور.

كان يتحدث بالعربية وبالفرنسية. ولمعرفته باللغة الانجليزية كان عميلا لماكينزي بالجنوب المغربي وترجمانا للشركة الانجليزية المسماة «وست أفريكان كومباني». ولمعرفته

7 . مبيج : «المغرب وأوربا» ج 2 ص 336 (1) وج 1 ص 104.

8 . رسالته إلى الطريس في 27 قعدة 5/1305 غشت 1888. تطوان 140/72.

9 . رسالته في 27 قعدة 5 غشت، تطوان 138/72.

10 . رسالة السلطان إلى الطريس في 16 حجة 24/1305 غشت 1888، تطوان 154/6.

11 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 307.

أيضا باللغة الإسبانية كان مستوطنا بجزر الخالدات. وقد قام بدور عظيم في اعتقال بحارة إسبانيين برأس بوجادور للتجارة مع أهل الصحراء. وصورة ذلك أنه في شهر يوليو 1892 اشترك مع جهاز سفن من جزر الخالدات للتجارة بالصحراء، وزعم له أن له نفوذا لدى السكان. فشنت سفينة يكوود Ycod بالسلع، وصعد على متنها بحارة إسبانيون. ولما نزل أعضاء الطاقم وخطوا بضائعهم برأس بوجادور في غشت 1892، أوعز سبيرة إلى الرّحل من قبيلة زوجته العروسيين باعتقال البحارة الذين كان على رأسهم مانويل بيالبا M. Villalba، وذلك لكي يسترد أمواله من شريكه. وهكذا نُصب لهم كمين سقطوا فيه، بعد الهجوم عليهم وهروب طرف منهم. ووقع في الأسر ستة إسبانيين، فسلمهم سبيرة إلى ماء العينين الذي لم يفرج عنهم إلا في مارس سنة 1893.

وقد أمر السلطان دحمان بن بيروك بالتفاوض مع ماء العينين لاختلاء سبيلهم. وكلفت الحكومة الإسبانية أحد ضباطها وهو خوان كونساليث J. Gonzalez بإجراء المفاوضة أيضا. وبعد ثمانية أشهر من الاعتقال، أفرج عنهم مقابل فدية مالية زاد عليها السلطان هداياه إلى المرابط¹².

6. عبد الله بن الحاج محمد بن عبد الصادق كان من يهود الصويرة، لكن الله منّ عليه باعتناق الاسلام قبل البلوغ على يد الباشا ابن عبد الصادق. وكان أميناً وحافظاً للقرآن وعلوم الدين، وتوفي سنة 1861 بمدينة الصويرة¹³.

7. سليم بن عبد الله البغدادي ورد في سنة 1894 «على الاعتاب الشريفة، وذكر أنه كان على دين اليهودية وأتى راغبا في الاسلام، رافضا ديانة الكفر، وقد عُرِضت عليه أركان الاسلام ونطق بالشهادتين»¹⁴ ووضع موجب بذلك.

8. فريحة بنت عمران ينطوب كانت من يهود الدار البيضاء وأشهدت أنها نبذت دين اليهودية ودخلت في دين الاسلام¹⁵.

9. يسو بن حنينية كان من ملاح مراكش وقد أشهد أنه رفض دين اليهودية ودخل في الاسلام، ناطقا بالشهادتين، بعد أن سردت عليه دعائمه وقبلها راضيا¹⁶.

10. الحاج سعيد الاسلامي: ورد في رسالة سلطانية سنة 1871 : «وصلنا كتابك في شأن الحاج سعيد الممنون عليه بالاسلام الشريف المدعي أنه كان يقبض خمس عشرة أوقية في الشهر من جملة الاسلاميين فقطعت عنه، أخبرت فيه أنك سألت ابن شقرون، فأجاب بأنه كان يقبضها على يده من جملة المحاجير حتى سافر، فإن رجع لسكنى مراكشة فحكمه حكم المحاجير الذين بها : يقبض ما يقبضونه»¹⁷.

12. محمد مصطفى الغربي : «الصحراء...» نسخة مرقونة ص 20 و 78 و 79 و 82.

13. محمد بن سعيد الصديقي : «إيقاظ السريرة...» ص 86.

14. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 499

15. موجب في 9 رجب 1296/29 يونيو 1879، تطوان 10/110.

16. موجب عدلي في متم فعدة 2/1314 ماي 1897، الترنيب العام.

17. رسالة السلطان إلى ابنه مولاي الحسن في 16 شوال 1288/29 دجنبر 1871، الوثيقة 7227 (م.و.م).

11. إسلام يهود من الريف: كتب البشير بن سناح الشرقي عامل قسبة جنادة قرب مليلية إلى الطريس يخبره أن كبير طائفة اليهود اشتكى، بأن عدداً من يهود الريف أسلموا قهراً، فكتب لعامل تمسيمان للتوضيح فأجابه بالاثبات¹⁸، ولم ترد إيضاحات في هاته القضية. لكن رسالة بعدها بقليل موجهة إلى الطريس تحدثت عن يهودية أسلمت هناك و«طلب حزان اليهود رجوعها إلى دينها. وعليه، فاعلم، سيدي، أنها أسلمت قبل إسلام هؤلاء اليهود بكثير، واختارت الإسلام بشروطه، وتزوج بها رجل مسلم، وإلى الآن لازالت في الإسلام قائلة: لا ترجع لليهودية ولو أذيق جميع أنواع العذاب...»¹⁹.

12. عبد النبي الإسلامي: في رسالة لعمر التازي سنة 1906 أن عبد النبي الإسلامي الذي ورد مع أمة هرب ودخل للحرم. فأمر السلطان بتعيين من يترصد له حتى يخرج من الحرم ويوجه مكبلاً²⁰.

13. إسلام يهودي من الدار البيضاء: طلب ممثل فرنسا من السلطات المخزنية «رد اليهودي الذي أسلم بالرباط لوالده لكونه لازال دون بلوغ»²¹. وكان لا يزال لم يرجع إلى أبيه الذي كان مقيماً بالدار البيضاء²².

14. إسلام يهودي من فاس: جاء في رسالة عامل المدينة أن «يهودياً أمتن الله عليه بالإسلام ورفض دين عبدة الأصنام فأسلم على يد الفقيه القاضي السيد حميد بناني، وطلب منا توجيهه لأعتاب مولانا الشريفة... وها هو يرد صحبته...»²³. وكانت الرسالة موجهة إلى الوزير محمد بن العربي الذي أجابه بأن السلطان «دعا له بزيادة الهداية والتوفيق... وبالأحسان إليه ومعاملته بما يعامل به غيره من نظائره»²⁴. ولم يرد له اسم في الرسالتين.

15. نصراني أسلم بفاس: تحدثت رسالة سلطانية عن «المُخرج من النصرانية إلى الدين الغير المقبول غيره من مبتغيه»²⁵ دون أن تذكر له أسماً وأصلاً.

16. إسلام نصراني من إسبانيا: ورد في رسالة السلطان إلى ابنه أن «القاضي السيد حميد بناني وجه لك رجلاً من نصرى اشبيلية يدعي أنه أسلم بالريف وأنه عرضت عليه فرائض الإسلام، ونطق بالشهادة، فحررها كما ينبغي حسبما في الرسم الذي وجهته، وأنزلته عند وصيفنا الحاج سعيد بن فرجي حتى تجاب بما يكون عليه العمل فيه، وصار بالبال. فأمرك أن يوجهه وأصلاً لحضرتنا الشريفة مع رفقة مأمونة»²⁶.

18. رسالته في 6 فعدة 1315/29 مارس 1898، تطوان 194/81.

19. رسالته في 17 فعدة 1315/9 أبريل 1898، تطوان 206/81.

20. رسالته إلى أحمد الطريس في 3 ربيع الثاني 1324/27 ماي 1906، تطوان 16/89.

21. المطلب العاشر من تقييد مطالب أوجين إلويس في 10 محرم 1309/16 غشت 1891، محفظة فرنسا.

22. رسالة أوجين إلويس إلى غريظ في 12 صفر 17/شنتبر، نفس المحفظة.

23. رسالة عبد الله بن أحمد إلى ابن المختار في 29 حجة 1301/20 أكتوبر 1884، الترتيب العام.

24. جوابه إلى عامل فاس في 29 حجة 1301/20 أكتوبر، نفس المحفظة.

25. رسالة السلطان إلى عبد الله بن أحمد في 11 جمادى الأولى 1303/15 يناير 1886، الترتيب العام.

26. رسالته إلى مولاي عمر في فاتح ربيع الثاني 1311/12 أكتوبر 1893، الترتيب العام.

17. إسلام يهودية فاسية: جاء في رسالة إدريس بن العلام أن ذمية من ملاح فاس لم يذكر اسمها وردت عليه «وأعلنت بكلمة الشهادة ودخلت في دين الله عن رضى منها. وقد وجهتها لدى القاضي واستنطقها بذلك بمحضر العدول وعرض عليها قواعد الاسلام فقبلت ورضيت والتزمت القيام بها...»²⁷.

18. زوجة محمد بناني يهودية طنجية أسلمت فتدخل نائب البرازيل في شأنها ووقعت مكاتبات عنها بين السلطة المحلية والنيابة السلطانية بطنجة سنة 1897 وقبلها.

وأسوق فيما يلي نص رسالة عبد المجيد بنشقرون خليفة عامل فاس إلى محمد اللبادي نائب الطريس : «وصل كتابك بأنك قدمت لنا مرارا متعددة شكاية المرأة الممنون عليها بالاسلام زوجة السيد محمد بناني بأنه فر عنها وبقيت ضائعة. ومنذ سافر ما وصلها بشيء، زيادة على ما تحملت عليه بعدة دراهم ثمن سلع من عند تجار الأجانب هناكم، طائبا ان نحضر الرجل المذكور ونلزمه أحد أمرين : إما أداء ما تكلفت به عنه وقيامه بنفقتها، وإما ان يفارقها بعد أن يؤدي ما ذكر، وإن امتنع يوجه لطنجة، ذاكرا أن نائب دولة البراسيل لح عليكم في شأنها.

«أما قولكم : قدمتم لنا مرارا شكاية المرأة، فمعاذ الله أن يتقدم لنا منكم شيء في القضية ولم نجبكم. نعم، خديم سيدنا السيد الحاج محمد الطريس كان كتب في شأنها وأجبناه بعدم زوجها...»

«وأما ما طلبتم من إلزام أحد الأمرين للرجل، فالرجل عديم مملق، حرفته الآن السؤال. وإلزامه أداء ما ذكر من المحال : يؤدي لسجنه وضياعه، وإن سجن بقي عرضة للضياع، فتعين توجيهه لطنجة وفق ما طلبتم، ارتكابا لآخف الضررين. على أن الرجل لم يجد ما يكرى به ولا ما يتزود به، فأدينا له ذلك من عندنا.

«وأما قولكم إن نائب دولة البراسيل تكلم معكم في شأن المرأة، فقد يُشكل ذلك، إذ المرأة ممنون عليها بالاسلام فلا معنى لكلام الأجانب في شأنها. وها الرجل يصلكم مصفدا... والنظر لكم»²⁸.

19. عبد السلام بن برغوم: ورد في رسالة لعامل الصويرة أن عبد السلام بن بركوم الصويري «الممنون عليه بالاسلام... اشتغل بمساوىء تنزه الساحة الشريفة عن شرحها» كانت رسالة قبلها قد عدتها²⁹.

20. شمعون بن ساسي: جاء في رسالة عامل الصويرة محمد الحاج أن شمعون بن ساسي شاب يهودي كان بالصويرة «فأسلم، وبقي مدة ثم ارتد، ورجع للصويرة فسجن بها أيام ولاية الحاج علي بن الحاج رحمه الله وبقي بالسجن فتضرر من أجل ذلك...»

27. رسالته إلى الحاجب في 8 صفر 1313 / فاتح يوليوز 1895، الترتيب العام.

28. رسالته في فاتح شعبان 1314 / 5 يناير 1897، تطوان 106/92.

29. رسالة الزكراكي إلى السلطان في 6 رمضان 1304 / 29 ماي 1887 وبعدها رسالة سلطانية إليه في 15 رمضان / 7 يونيو، الترتيب العام.

«فلتعلم أن اليهودي المذكور كان بالشياطمة بملاح خميس مَسْكَالَة المعلوم، وكان مغرما بمرافقة المسلمين مع بله، فأدى به ذلك إلى أن أسلم على يد بعض الشياطينة أهل المحل وأشهد عليه ذلك بعدولهم، ثم ندم في الحال وقدم أمه للصويرة فارتد. فعند ذلك قبض عليه القاضي مولاي أحمد البلغيثي وتشدد في أمره...»³⁰.

وكانت رسالة من قبل قد أثارت مسألة تسريح شمعون بن ساسي من السجن³¹.

وإضافة إلى ذلك هناك رسالة قبلها تتحدث عنه دون التصريح باسمه. ولعل الاستشهاد بنصها سيزيد المسألة توضيحا، إذ تضيف أن شابا آخر لم يذكر اسمه قد أسلم أيضا في ذلك الوقت. قالت رسالة الحاجب إلى أحمد بن المأمون البلغيثي :

«وصلنا كتابك ذاكرة فيه أنك قدمت الاعلام بإسلام الولد المراهق إلخ، وبأثر ذلك أسلم بعده آخر من العشرين عاما على يد الخديم ولد خبّان المسكالي بالشياطمة. وبعد أن أشهد عليه بالاسلام وجهه للصويرة، فاتصل بتلامذة الشيخ سيدي ماء العينين فأكرموه وأجلّوه وكذا غيرهم من المسلمين، وبقي نحو الشهر وتغيب بحارة اليهود ثم خرج مرتدا مجاهرا بدين اليهودية متعنتا على المسلمين، ولم يتقدم ذلك الفعل هناك من غيره أصلا، حتى أن من أسلم ثم ارتد يسافر من البلد ولا يرجع أبدا.

«وأنك قبضت عليه وأودعته السجن بعد استقصاء حاله وتحقق عدم مخالطته للأجانب، وأقر لديك برجوعه لدين اليهودية ووجهت موجب إسلامه وارتداده طي كتابك.

«وصار بالبال بعد إطلاع العلم الشريف بذلك. فأمر أعزه الله بعرضه على الشرع بحضرته الشريفة فعرض عليه، فأجاب بمطالعة موجب الارتداد المذكور فألفاه متضمنا للاشهاد بإقراره بالرجوع لدين اليهودية، ولم يقع فيه تنصيص على السبب الذي هو روح المسئلة، وهو أن يقال له : «ما السبب الذي دعاك إلى الاسلام أولا ؟ وما عذرك في الرجوع عنه ؟»، فإن أقر بأن إسلامه أولا إنما هو رغبة في الدين، وليس لضيق ولا خوف على نفس أو مال وأن رجوعه اختيار حادث له فيشهد عليه العدول بذلك ثم يحذر ويستتاب في السجن ثلاثة أيام ويخوف بالعقاب ويبشر بالثواب الآخروي إن عاد للإسلام، فإن تاب [فذاك]، وإلا يسترعى عليه ويُعلم القاضي به الجنب الشريف ليؤمر بحكم الشرع فيه. وإن أقر للعدول بأن إسلامه لضيق أو خوف في سفر أو للتحصن من غرامة وأشبه في قوله فهذا يستتاب أيضا، فإن تاب فذاك، وإلا فحسبه الأدب، وإن لم ينفع أدب فيه يترك لحاله....

«وأنهينا ذلك لسيدنا أيده الله فأمر أن نجيبك به...»³².

21. بنت نسيم بن شطريس يهودية من أزموور أسلمت فتعرض عليها جماعة من اليهود. وقد جاءت قصة إسلامها مفصلة في عدد من الوثائق :

أ. ففي رسالة قاضي أزموور العربي بن المقدم المنيعي أن «ذمية من ملاح الثغر الأزمووري حرسه الله قد من الله عليها بشرح صدرها للإسلام، ولم يمكنها إظهاره وسط اليهود،

30. رسالته إلى الطريس في 17 شعبان 1319/29 نونبر 1901، تطوان 219/84.

31. رسالة محمد بريشة إلى الطريس في 16 حجة 1317/17 أبريل 1900. تطوان 204/83.

32. رسالته في 28 جمادى الثانية 1315/24 نونبر 1897، الترتيب العام.

خوفا من مكرهم، فخرجت من بينهم خفية قرب عشاء ليلة الثلاثاء المتصلة الفروط» أي يوم الاثنين 27 يناير 1896 «قاصدة دارنا أو دار الخليفة السيد الجلالى ولد [الحاج] الوعدودي. فلما كانت بأثناء الطريق خشيت لحاق اليهود فمرت بدار السيد محمد بن نَعوم الأزموري... فدخلتها لما هو مقرر عند أهل بلده من مروءته وديانته، وصاحت وسط الدار بأنها مسلمة، وأعلنت بالشهادتين، وطلبت إبلاغ شأنها لنا وللخليفة، فلم يسعه إلا الإبلاغ وقتئذ.

«وبفور الاعلام وجهت لها عدلين خيرين مرضيين فاستفهماها لدى حضورها بين يديهما عن السبب. فأجابت بلسان طلق أنها رابعة في دين الاسلام من غير ضغط ولا إكراه، ونطقت بالشهادتين مرارا. فعرضا عليها قواعد الاسلام فقبلتها ورضيت بها والزمته نفسها حسبما تضمنه الرسم طيه.

«فحينئذ حملت الشفقة الاسلامية الطالب المذكور على أن كساها بما يناسب وامتحنها باليمين بأنها ما دخلت في دين الاسلام خوفا من عقوبة دنيوية ولا طمعا في شيء عدى الاسلام. فكلف بها من النساء من يباشر تعليمها الغسل فاغتسلت بنية رفض الكفر، وطابت نفسها بذلك.

«فلم يفجا إلا أن ورد اليهودي شمعون بن عزيز ساكن الجديدة حرسها الله في زمرة من اليهود ساكنيها ومعهم ثلاثة نفر من المسلمين حاملي السلاح والمكاحل ذوات العمانر، فوقفوا بباب دار الخليفة المذكور في جملة بعض يهود ازمور، فالان لهم القول وبشهم وجعل يبين لهم حقيقة الواقع. فقام شمعون المذكور وقعد، وأبرق وأرعد، وأغلظ الكلام وتطاول وسب الخليفة ووالده والدين وشهروا ذوو السلاح 3 المشار إليهم أسلحتهم بباب دار الخليفة، وأطلق لسانه في أهل البلد على رؤوس الأشهاد منهم ومن التجار المقيمين هنا من البلدان بمرىء من الجميع ومسمع، فأخذت الغيرة الاسلامية من أهل البلد مأخذها ووقع فيهم ذلك موقعا حتى كادت قيامتهم أن تقوم مع اليهود لولا... اللطاف الخفية. ومع ذلك ما واجهوا اليهود بقبيح، ولا شافهوهم بلفظ صريح... نعم جعلوا بذلك بيئة متضمنة رفع شكواهم... ليلا يقع من صعاليكهم ما لا يرضاه مولانا...»¹³

ب. رساله الخليفة الجلالى إلى أبيه الوعدودي قائد أزمور¹⁴ تقص نفس القصة وتسمى هاته الاسلامية بنت الزيزونة، وتذكر أن شمعون بن عزيز جاء هو ومن معه مهديين الخليفة عشية الاربعاء 13 شعبان / 29 يناير.

ت. وهناك موجب يحكي ما وقع يوم 13 شعبان وينص على أسماء أصحاب شمعون وعلى أسماء الشهود وعددهم 24، منهم 5 تجار ووجهاء من أصل فاسي، والباقيون من أهل المدينة وأحوازها¹⁵.

ث. وبعد أربعة أشهر تقريبا وردت تفاصيل في رسالة السلطان عن أسماء اليهود المتعرضين وعددهم خمسة وكلهم يدعون حماية الاجانب لهم وهم : شمعون بن عزيز وصهره شلوم بن العطار (البرازيل) وابراهيم بن يحيى زريول عميل (البرتغال) وهارون بن بيكو

13. رسالته إلى أحمد بن موسى في 1-4 شعبان 1313/30 يناير 1896، الوثيقة 642 (م و م).

14. تاريخها هو 14 شعبان/30 يناير أيضا، الترتيب العام.

15. تاريخ الموجب 13 شعبان/29 يناير، نطوان 187/110.

الزناتي (ترجمان قنصلية النمسا) وولد مير بن بيكو الزناتي (ابن أخي انساب)، وجميعهم من أهل الجديدة. ولم ترد أسماء المسلمين الثلاثة المسلحين.

وتضيف الوثيقة قائلة : «فقد أطلع علمنا الشريف الخديم الودودي الازموري بما كتبت به لخليفته من تأكيدك عليه في توجيه المرأة بنت نسيم بن شطريس التي ادعى نائب البرطقيز أن بعض آل ازمور حازها من أهلها غصبا، ليتضح لك أمرها بالمشافهة....» وأن «اليهودي ابن عزيز... تصدى للجسارة على الدين والمخزن، والمركان يقول : ترجمانه، والبرازيل يقول : حمايته...»

«وبعد ما أصدرنا أمرنا الشريف لعامل الجديدة بتحقيق حماية اليهود المذكورين أو عدمها، وإن كانوا مخالطين فيكتب لقناصل من خالطهم بحيازة ما تحت يدهم ليُجرى عليهم الحكم الشرعي؛ فكتب لهم بما تملك نسخة منه مع أجوبتهم الغير المطابقة للسؤال على عاداتهم. لکن قد تضمنت الأقرار بتوجههم من الجديدة لازمور، وكفى بها حجة قائمة عليهم، حيث توجهوا من مدينة لها مخزن مستقل، متحزبين متسلحين لمدينة أخرى لها مخزن مستقل أيضا متلصحين عليه. فلا خرق ولا جسارة فوق هذا لا من جهة الدين، ولا من جهة المخزن المنوط به أركان الديانة ومعالمها ! وحتى لو فرض لهم الكلام في قضية خارجة عن هذا الموضوع كله فلا سبيل لهم للكلام فيها مع غير مخزنهم، بل كلامهم مقصور على قنصل حمايتهم. وكلام القنصل يكون مع عامل الجديدة، وكلام عامل الجديدة مع عامل ازمور. وهذا أمر الدين لا مدخل فيه للأجناس.

«فنأمرك أن تكلم كل واحد من نوابهم في هذه الخوارق الصادرة من حماياتهم وما يجيب به قناصلهم، مما لا يجر السكوت عليه إلا لتقويتهم وإعانتهم على فعلهم. ولا يخفى ما فيه من فساد النظام للمخزن... فقد وقع للقاضي وللعامل من هضم الجانب بسبب جسارة هؤلاء ما لا مزيد عليه...»³⁶.

ج . وأذكر في الختام أن مقدم رسالة القاضي المنيعي إلى الدوائر المخزنية قد اقترح في مُحولها معاقبة المسلمين الجديدين الذين كانوا حاملين للبنادق ذات 16 عمارة والبحث عنهم، وأن يؤمر القاضي برد «البال للممنون عليها بالاسلام المذكورة وأن يوصي عليها الرجل الذي هي عنده... إلى أن يزوجهما على يده لمن يحسن معها السيرة، وأن يُنعم عليها بمتقال في اليوم من مستفاد ازمور تتعاون به إلى أن تتزوج...».

22. إسلام يهودية جديدة وزوجها وأولادها: في شهر يونيو 1898 أسلم يهودي وزوجته وأولاده على يد قاضيها الحاج علي عواد. وتناولت ذلك أربع رسائل لم تذكر أسماءهم، أقتطف منها ما يدخل في الموضوع، ولا سيما اعتراض اليهود عليهم.

أ . كتب الحاجب رسالة إلى محمد فرج أمين مستفاد الجديدة يقول فيها خاصة : «وصل كتابك في شأن اليهودي الذي أسلم هو وزوجته على يد القاضي بأن اليهود هناك حاولوا إفساد ذلك حيث لا رئيس عليهم من قبل المخزن يردعهم عن تهوؤهم وأخرجوا المسلمين من محلهم وأخفوهما ولم يوقف لهم على خبر، وعلمنا ما نشأ عن ذلك من الفتنة، وتساهل العامل»

36. رسالته إلى الطريس في 1 حجة 1313/14 ماي 1896.

أي الحاج محمد بن يحيى الجديدي «في تسكينها، بعد أن راجعه القاضي في ذلك، ولم يلق لذلك بالاً، وتبين» أن العامل «مائل لمساعدة اليهود لكونه قبض منهم الرشوة، وأنك وجهت له وللأمناء والقاضي بالاسترعاء ليُجري الأحكام على اليهود ويلزمهم إحضار الداخلين في الاسلام ويقبض على رعوس الفتنة، ويكتب لقنصل المحمي منهم... ثم بعد ذلك لم يقبض إلا على اثني عشر نفراً، وصار بالبال...»

«فقد... وجه مولانا... كاتبه محمد ابن سليمان للوقوف على هذه الدعوى وتحقيقها وبيان ما أنتجه التحقيق فيها»³⁷.

ب . وكان فرج هذا قد كتب قبل ذلك رسالة إلى أخيه أحمد محتسب الدار البيضاء بعد أن ظهر أن المحتجزين قد غادروا الجديدة في اتجاه الدار البيضاء أو غيرها، وبعد أن عين ابن سليمان للتحقيق في القضية. وما هو طرف من جواب المحتسب على رسالة أخيه :

«وبعد فقد ورد علينا الأعر كتابك... مخبراً فيه بأن قبل تاريخه من الله تعالى على يهودي وزوجته وثلاثة أولادهم صغار بدخولهم إلى دين الاسلام... فإذا به اجتمعوا اليهود وقتئذ ودخلوا عليهم ليلاً للمحل الذي كانوا فيه وأخرجوهم غصبا وأخفوهم... وبلغكم أنهم توجهوا لأزمور. وقد كتبتُ لعامله بالبحث عليهم وأن يتفهم. وحين وقع البحث عليهم هناك أخبروه بأنهم قطعوا الواد وتوجهوا لهذا الثغر البيضاء ومعهم رجل ويهودي. وعليه طلبت منا الوقوف بالبحث في ذلك.

«فاعلم رعاك الله أن ساعة وصول كتابك تلاقينا مع العامل، وعرفناه بالقضية، ووجهنا أعواناً وأصحاب الدور للوقوف بالابواب يراعوهم، وقد بحثنا من دخل في هذا اليوم فخيرنا بأن لم يدخل أحداً على الابواب، عدى يهودي لابسا جلابية بيضاء بائنة ومعه رامتان... وقد تركنا الأعوان وأصحاب الدور بالابواب ليراقبوهم...»³⁸.

ت . بعد ثلاثة أيام أجاب الأمين فرج أخاه المحتسب برسالة مليئة أيضاً بالأغلاط التي سأتركها على حالها لوضوح المعنى، قائلاً : «وصل جوابك... عن قضية المرأة وأولادها الذي من الله عليهما بالاسلام، وأشرحنا لك الواقع في أمرهما إلى أن غيبوهم اليهود... وأعلمتكم... لتمنعهم من يدي اليهود لأنهم أرادوا أن يرُدُّهم كرها عن الاسلام، وقد صنعوا هذه الحيلة ليتوصلوا بأغراضهم...»

«فليكن في عام سيادتكم أن أمس التاريخ ظهر خبر وهم أنهم بقصة القائد الحاج المعطي بسطات، وتحقق أمرهم هناك، واقتضت المصلحة في ذلك أن القائد السيد أبو بكر بن بوزيد... هو الذي يكتب لعامل سطات عن هذه القضية، لما ظهر من عامل الجديدة من الخيانة فيها، ويحضر على عامل سطات أن يمنعهما من أيدي اليهود ويجعلهما تحت يديه ويعلم بهما ليتوجه من أصحابهما على يد الشرع...»³⁹.

37. رسالته في 22 محرم 1316/12 يونيو 1898، الترتيب العام.

38. رسالته في 4 ربيع الأول/23 يوليو، الترتيب العام.

39. رسالته في 7 ربيع الأول/26 يوليو، الترتيب العام.

ث . وهذا نص تقرير المفتش محمد ابن سليمان :

«فقد بحثت عن الطرق الموصلة إلى حقيقة ما احتج به الفقيه السيد علي عواد على عامل الجديدة من تساهله في أمر اليهودية التي أسلمت هي وأولادها وزوجها ثم غيبها اليهود، فثبت بأن الجديد حلف للأمناء وفرج وابن شقرون بأنه لم يطلع على الهيئة الواقعة ليلا حيث غيبت اليهودية ومن معها إلى سابعة الصباح، فراجعت الأمين فرج بأن يتدارك الأمر بالمتعين، فكتب للقناصل وأجابوا بما لا ينهض تصريحاً بالتصرف عليهم، وقبض على اثني عشر يهودياً، فيهم من لم يحضر للفعلة. فماج اليهود بعضهم في بعض وطلبوا من العامل سبب السجن، فسكتهم بأن ما فعله عن نظر الشرع، فقال القاضي إنه لم يأذن في سجن، فسرّحهم العامل، وكثر الكلام بأنه قبض المال الذي صدقه القاضي ولم نعثر على حقيقة في ذلك، إلا ما «قلد» القاضي فيه الأمين فرج من كونه سمع من رجل استكتمه أن اليهود لما تكلموا مع بُرودُ نائب الفرنسيس - لأنه يهودي - في شأن المساجين قال لهم : ولأي شيء قبض المال ؟»

«وقد تحقّق أن اليهودية سافرت عدى الزوج قبل رجوعي من دكالة بيومين، وتوجه فرج بنفسه لأزمور وطلب من الحاج الوعدودي التنقيب عنها، فتبين أنها عبرت الوادي مختفية بين النساء، فكتب فرج لأخيه المحتسب بالدار البيضاء ليجت من صحة توجهها لسلطات، فأجابه بأنه كلم العامل ابن بوزيد في ذلك، فكتب لعمال قصبة الشاوية لينفروا عن أمرها، ولازال لم يرد منه جواب لهذا التاريخ. أما زوجها فبقي بالجديدة أياماً، وتكلمت مع القاضي في شأنه اثر سفر ابن الحمدونية، فقال : لافائدة في سجنه الآن حتى تحصل زوجته، وقد تحقّق تغيبه من الجديدة.

«ولاشك - أسعدك الله - أن القاضي والأمين فرج أظهر كل منهما في كلامه مع العامل هيئة التآمر عليه، ولم يعاملوه معاملة الأكفاء، زيادة على ما يشافه به القاضي من تنقيصه، وربما حلف لي أنه كافر في الوقت الذي ورد عليّ مع أولاد ابن يسف... وحقيقة القلوب عند علام الغيوب، وعلى المحبة والسلام»⁴⁰.

23. نصراني من توات تحدثت سلطانية أن «القائد إدريس بن الكوري أعلم جنابنا الشريف أن نصرانيا ورد على الخديم ابن عمر المراكشي لتوات بقصد الاسلام ومعه ثمانمائة ريال وبعض من العدة، فأصدرنا الأمر لهما بأن يوجهاه بمتاعه في أمن واصلا لعامل وجدة. ثم إن وجده عامل وجدة أسلم يوجهه بمتاعه لعننا مولاي عرفة، وإن كان لازال على نصرانيته يوجهه لعامل الحدادة بكلعية....»⁴¹.

ولم يرد إيضاح آخر عن إسمه أو عن دوافع رغبته في الاسلام.

24. الممنون عليهم بمراكش: جاء في رسالة إلى السلطان من عامل مراكش سنة 1850 أن «طائفة ممن من الله عليهم [م] بالاسلام الشريف القاطنين بهذه الحضرة المراكشية... من الذكور والاناث يشكون حالتهم... مما حل بهم من قلة ذات اليد وشدة غلاء الاسعار.... حتى أن ثمانية منهم بين الكبار والصغار ماتوا جوعاً...».

40. رسالته إلى الحاجب في 17 ربيع الاول/5 غشت، الترتيب العام.

41. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رجب 1315/17 دجنبر 1897، تطوان 46/16.

وبأسفل الرسالة وبمحولها أيضا أسماؤهم ذكورا وإناثا، ثم أُمِرَ من الوزير الطبيب بن اليماني على لسان السلطان بتنفيذ 50 أوقية لكل متزوج و 25 لكل أعزب. وجميعهم 20 رجلا متزوجا و 32 امرأة متزوجة و 10 من العزاب⁴².

غير أنني أشك كثيرا في أنهم كانوا قبل ذلك غير مسلمين، لأن أسماءهم هي أسماء الرجال والنساء المسلمين المعتادة. وسبب إدراج ذلك هنا هو أن عبارة «المننون عليهم بالاسلام» تطلق عادة على الذين خرجوا من دين ودخلوا لدين الاسلام. لكن يمكن أن تؤول هاته العبارة إلى القصد بالاستعطاف، لأن الله من على الناس بالاسلام وبغيره من النعم والفضائل كصحة البدن وسلامة العقول والنجدة والمبرة. ولهذا يجوز أن يكونوا مسلمين منذ نشأتهم. فيما أنهم من الامة الاسلامية وجب الاحسان إليهم وإغاثتهم.

25. إسلام يهودية طنجية: ورد في رسالة قاضي المدينة محمد بن محمد زويتن إلى السلطان سنة 1901 «أنه فيما سلف، أنعم الله بالاسلام على بنت من كبراء أهل الكتاب بذا الثغر... فارتجت البلد لاسلامها وتعلق كبراء الملة الاسرائيلية ببعض نواب الاجانب. ومن جملة من تكلم منهم في شأنها مع نائب الأمور الشريفة هنا نائب النجليز ونائب الألمان وغيرهما. وبعدها راموا خوضا وتعرضا لم يحصلوا على طائل فأسلموها... فكثر منهم التنتطع والاصغاء لما تقابل به لكونها ذات قدر ومنصب في قومها، فافتضى نظراً أعيان البلد أن يسلكوا بها مسلك العادة لديهم في تجهيز الابكار، سرورا بالاسلام وعزته، وحبورا بما أظهره الله من شعيرة الدين وسطوته. فكان يوم زفافها كبيرا... شهيرا. غير أن ما طابت به نفوسهم مما جمعوا لتجهيزها لم يَفِ بما صيّر حسبا بالرسم الموجه طيه. فرفعت القضية لدينا، فافتضى النظر أن يكون أداء تلك البقية من وفر الاحباس، لما نص عليه غير واحد من علماء المذهب... من أن فاضل الاحباس يصرف في المصالح العامة، لأن لوجوه الخير وسبل البر مدخلا في الاحباس، وما هو لله لابس أن يستعان ببعضه على بعض، فاستنفاد الزائد في سبيل الخير أنفع للمحبس وأنمي لأجره... وتحقق المصلحة هنا ظاهر من وجوه، وقد أخبر النظائر هنا أنهم رفعوا ذلك لشريف الاعتبار، وما نحن أنهيناه لعلم مولانا الشريف مع بسط القضية...»⁴³.

42. رسالة أحمد بوسته إلى السلطان في 21 جمادى الآخرة 1266/4 ماي 1850، الوثيقة 5451 (م و م).

43. رسالته في 18 فعدة 1318/8 مارس 1901، محفظة طنجة 7.

العلوج والحراية

يتجزأ هذا الباب إلى فصلين عن العلوج والحراية. وعنهم سيدور الكلام.
فالعلوج هم النصاري الذين كانوا إما أسارى بالمغرب، وإما ممن أدوا خدمات مختلفة للسلطين في شتى العهود. لكن منهم من اعتنق الديانة الإسلامية، ومنهم من بقي على نصرانيته. وكان معنى العلج أيضا الكافر.
والحراية أو أعضاء البعثات العسكرية الذين استوطنوا المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانوا مدربين للطواوير المغربية وفي نفس الوقت أرصادا لدولهم.

① العلوج

استخدم سلاطين المغرب عددا من الأجانب في شؤون عسكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية وعمرانية، وكانت طائفة منهم قد سقطوا في قبضة المجاهدين وحملوا في سفن القراصنة، يوم كانت حركة الجهاد البحري نشيطة. على أن بعضا منهم وفدوا على المغرب فارين أو راغبين.

كان المرابطون أول من استعانوا بالعلوج، ومنهم واحد إسباني من نبلاء مدينة برشلونة اسمه ريبيرطير Reverter، وكان من أسارى علي بن تاشفين بعد حملته سنة 1138، وجعل بعد ذلك على قيادة الجيش. ثم كان ابنه علي بن ريبيرطير من قواد الجيش المرابطي. وقد أسلم، غير أن مصرعه كان ببلاد غمارة سنة 1187م، وثمة علج آخر هو يحيى بن كونسالفو ابن أخت الفونسو. وكان حتى سنة 1226 لا يزال حيا.

ولم تخل بلاطات الموحدين والمرينيين من العلوج، كان منهم أوربيون، وكان منهم أيضا أتراك مسلمون في عهد السعديين. وفي العهد العلوي برز آخرون نستعرض أسماءهم :

1 . ريبيردا Ripperda وهو إسباني استخدمه مولاي عبد الله بن إسماعيل، ولعب دورا كبيرا في نصرته سنة 1732. وكان يعرف العربية، واعتنق الاسلام أو تظاهر به، ثم حاول أن ينشئ دينا جديدا مزيجا من الاسلام والنصرانية معا، ولكنه نكب سنة 1737 وسجن بمدينة تطوان.

1 . خوسي أليمانتي: «الكثائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة» ترجمة أحمد مدينة، في «دعوة الحق» ماي 1978، ص 36 - 37.

وفي عهد ابنه سيدي محمد كان عدد الفنيين الأروبيين من بلاد السويد والدانمرك كثيرا. وليس في الوسع إحصاؤهم ولا ذكر أسمائهم التي غفل التاريخ عنها، ولكننا سنشير إلى طائفة منهم عملوا في الميادين المختلفة، فكان منهم المهندس والضابط والبناء والنجار والطلاء والبستاني والترجمان، فقد كانوا من الوفرة بحيث بلغوا نحو 1800 إيبيري و250 فرنسيا، وكانوا من الفارين من الجيش أو من بلدانهم.

2. بواسلان Boisselin الفرنسي كان على رأس 250 علجا من بلاده. وكان هو الحارس المفضل لدى سيدي محمد بن عبد الله.

3. عمر العليج وهو ربان اسكوتلاندي أسلم. وكان يقود سفينة قرصانية اسمها «سنبوك» وكان عدد بحارتها 124، ومدافعها 16 وحدة². ولم أقف على اسمه الأصلي ونسبه.

4. كورنو Cornut مهندس فرنسي اعتنق الإسلام، وقد كلف بتحضير تصميم لبناء مدينة الصويرة التي اتخذها محمد بن عبد الله ثغرا وفتحها في وجه الملاحة التجارية وأسكن بها الجوالي الأروبية، بعد أن أغلق مرسى أكادير في وجه التجار الأجانب الذين كانوا يتعاطون فيها التهريب.

5. سيرياركي بيطروبيلي Cyriarque Petrobelli وهو من مدينة ترييستا.

6. بيطرو موتي دي بيطرا سانطا Pietro Muti de Pietra Santa الأسباني أو الإيطالي.

7. فراتشيسكو كيايبي F. Chiappe وهو إيطالي من مدينة جنوة³ ولا نشك أن هؤلاء السابق ذكرهم كان يلقبون أو يتسمون بأسماء إسلامية.

8. العربي قادوس وأصله من الأعلاج الأسبانيين. وكان وزيرا في عهد محمد بن عبد الله. ولما مات السلطان عذب قادوس في عهد مولاي اليزيد⁴.

9. أبو نافع وهو من ذرية علوج مراکش الذين استخدمهم السعديون. وكان على خزانة سيدي محمد. ولكنه قتل في عهد مولاي عبد الرحمان. وحتى سنة 1837/1254 كان لا يزال حيا⁵. وكان هذا العليج من أهل القرن الثامن عشر والتاسع عشر. لكن عدد العلوج أخذ

2. ابن زيدان «الأنحاف» ج 3 ص 261.

3. عن هؤلاء العلوج ينظر هنري دد لامارتنيير: «ذكريات عن المغرب» ص 182. وعبد الله العمراني: «أروبيون في خدمة العرش العلوي» في «دعوة الحق» مارس 1973 ص 36 وما بعدها. كما يراجع أحمد الناصري في «الاستقصا» ج 5 ص 57 و80 و83 و86 و ج 6 ص 4 و ج 7 ص 114، حيث أورد إشارات خفيفة إليهم.

4. ابن زيدان: «الأنحاف» ج 3 ص 183 و337 وكذلك العباس ابن إبراهيم: «الأعلام» ج 16 ص 17.

5. المرجع الأخير ج 1 ص 233.

يتناقص في القرن الماضي، وأكثرهم بقي على نصرانيته. ولأجلهم كان القسس يفدون على المغرب لإقامة شعائهم لمصلحة العلوج ومصلحة الأسارى في انتظار خلاصهم بفدية أو بمبادلة مع الأسارى المسلمين في بلاد النصارى.

وكان السلاطين العلويون يعينون لهم أماكن سكنهم، التي كانت في الغالب بمدن الشمال مثل طنجة والعرائش، أو بتغور الجنوب كالصويرة. ولربما أسكنت طائفة منهم بقرية أكوراي، جنوبي مكناس.

وتختلف المراجع أشد الاختلاف في ضبط أعدادهم، ولا سيما في القرن التاسع عشر. كانوا في رواية أولى 500 شخص، اعتنق الإسلام منهم 200 فقط، وكانوا في رواية ثانية 600 عالج ما بين إسباني وفرنسي فروا من وطنهم ودخلوا كلهم إلى الدين الإسلامي. لكن مصدرا ثالثا رفع أعدادهم إلى 2500 عالج سنة 1846، اعتمادا على الروايات الإسبانية التي كانت تبالغ في ذلك، لأسباب سياسية ودينية.

غير أن عدد الأعالج لم يكن إلا أقل من الرواية الأخيرة بكثير. ففي سنة 1852 جمع ولي العهد 400 عالج بقصد استخدامهم في الجيش. وفي سنة 1861 لم يكن عددهم إلا ما بين 240 و300، وذلك بكافة نواحي المغرب⁶.

ولو رجعنا إلى صلب المراسلات المغربية لوجدنا أن عددهم المعروف كان أدنى من ذلك بكثير. ففي سنة 1828 أمر مولاي عبد الرحمان عامل تطوان بأن يحصي العلوج بمدينة، مع توضيح أسمائهم وكنائهم وبلدانهم الأصلية وبيان نوع صناعاتهم، وبإكساء من أسلموا منهم، وذلك بقصد توظيفهم بالجيش. فلم يجد العامل أكثر من ستة أفراد⁷. وإن صدور الأمر بإحصائهم ليدل على كل حال على وفرة عددهم. وبشيء من التمهيط والمقارنة مع من كانوا بتلك المدينة، نستبين أن عدد الأعالج كان فقط نحو المئات القليلة.

ولنشرع في استعراض أسمائهم في القرن التاسع عشر:

10. سعيد العالج كان عارفا بالرمي⁸ أثناء حصار مولاي سليمان لمدينة فاس سنة 1820.

11. أحمد بن سليمان أو انطونيو بيلوتي دي إيمانويل: A. Piloti de Emanuel وهو إسباني كان سنة 1822 قائدا للطبجية. وكان قد فر من مدينة مليلية وتزوج بيهودية أسلمت بمدينة فاس كما أسلم هو نفسه، غير أنه أعدم سنة 1825 بها⁹ لسبب لم أقف عليه.

12. محمد العالج أو أنخيل بيريث A. Perez إسباني ولد بمدينة مرسية، وكان سنة 1846 طبيبا لمولاي عبد الرحمان وفي خدمة نجله الأكبر. إلا أنه كان جاسوسا يترصد الأخبار لفائدة ميزونوف Maisoneuve.

6 ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 122

7 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 136 - 140.

8 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 8 ص 154.

9 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 121 - 123 حيث الإشارة إلى العلوج من 3 إلى 23 و من 25 إلى

33 و من 35 إلى 39 وورد أيضا ذكر رقم 15 في ج 2 ص 161 (5) ورقم 38 في ج 3 ص 226.

13. لوبيث إي إيسبيلا : L. y Espela إسباني عمل بالمغرب واكتسب صيتا حسنا فيه ثم رجع سنة 1836 إلى إسبانيا.
14. عبد الله الطبيب أو كلود ريفيير : C. Rivière وهو فرنسي من مدينة ليون تمرد بالجيش الفرنسي والتحق بالمغرب، وتمتع بسمعة جيدة بفاس وخارجها حتى توفي سنة 1836 بها.
15. كاربونيل : P. Carbonnel عالج فرنسي ومغامر أيضا كان في خدمة الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، وتوفي سنة 1840 بطنجة .
16. سانطياكو : Santiago عالج توفي سنة 1841 بمدينة آسفي. ولم يرد نسبه ولا أصله الذي قد يكون إسبانيا.
17. القائد إدريس أو فرانسيسكو سيكور : F. Segur عالج كان يعمل بالقصر السلطاني، والغالب أنه إسباني.
- 18 - 20 : جان باردي J. Bardy وجان بيدي J. Bidé وجوزيف طوکار J. Tocquard كانوا بطنجة سنة 1842 وتوفوا بها. والراجح أنهم فرنسيون.
21. عبد الرحمان العليج أو جوزيف ده سوتلي : J. de Sautly ولد بفرنسا سنة 1808 حيث كان أبوه صباغا. وكان أول أمره ضابطا بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1832، غير أنه فر منه بعد ذلك إلى تونس ومنها إلى المغرب الذي لما وصل إليه أكرمه السلطان ثم استخدمه في الأغراض المخزنية. ومن ذلك أن مولاي عبد الرحمان أمر بوسلهم بن علي سنة 1842 بمنحه صلة : «حامله عبد الرحمان العليج ادفع له عشرين ريالاً واجعل له كسوة تناسبه، ملفاً وكتاناً، وحيث يكمل عمله في الماء أعلمنا به»¹⁰. وكان عبد الرحمان أشهر العلوج في القرن التاسع عشر حتى توفي سنة 1879 ودفن بفاس.
22. أوتشويا إي ديلكاسو : E. Ochoya y Delgado إسباني فر من مليلية وكان من 1848 إلى 1865 يعمل بالجيش المغربي.
23. خوان رامون إي سانتشيث : J. R. y Sanchez انخرط بالجيش المغربي وعمل فيه طيلة 14 سنة حتى وفاته سنة 1866 بمكناس.
24. عبد القادر العليج وكان «طبيباً ماهراً أدركناه ورأيناه... جاء من بلاد الروم ومن الله عليه بالاسلام. وكان في أول أمره لم يعرف، فكان يبيع شراب القهوة، ثم أراد الانتقال من فاس طلباً للمعاش... ثم اشتهر أمره في الطب ثم أصابه العمى فعالج نفسه أشهراً فرد الله عليه بصرد...»¹¹. وكانت وفاته بفاس سنة 1270/1854، ولم يرد بيان عن اسمه الأصلي ولا بلاءه الذي ينتمي إليه.
- 25 - 26 : كابريل ليننس G. Leynens وباسيل Basil وكانا سنة 1851 بطنجة.

10. رسالته في 3 جمادى الثانية 1258/12 يوليو 1842، محفوظة بوسلهم 2، ولعبد الرحمان ترجمة بقلم

هنري ده لمارتينيير عنها انعباس ابن ابراهيم في «الاعلام» ج 2 ص 454.

11. صفحات من «المفاخر العنية» لمحمد المتونفي في «المناهل» العدد 36 ص 398 - 399.

27. محمد العلي الفرنسي أو البارون ده سان جوليان : de Saint - Julien كان محاميا بفرنسا، إلا أنه أصبح طبيبا لمولاي عبد الرحمان ووزرائه، التجأ إلى المغرب سنة 1854 ولم يغادره إلا بعد عشر سنوات. ولم يصح اعتناقه الاسلام خلاف ما كان يعتقد.

28 - 31 : عبد الله فيرير A. Ferrer وعبد الله برانكو A. Barranco وأنطونيو أرانكورين A. Arranguren وعلي إيكليسياس A. Iglesias وكانوا حوالي 1861 موسيقيين بالقصر السلطاني، وورد ذكر رابعهم سنة 1873 أثناء إخماد فتنة فاس أي ثورة الدباغين أو عيطة ابن المدني بنيس.

32 - 33 : فرومان كوسط Froment Coste وفرانسوا جيلان F. Gelin علجان فرنسيان توفي أولهما سنة 1856 والآخر سنة 1859 بمدينة الرباط.

34. محمد العلي البردقيزي أو محمد الممنون أو ميكيل دو كاسترو سابقا : Miguel do Castro أشهر من قدم خدمات جلى للإدارة المغربية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وترددت بعض أصدائه في الوثائق المخزنية.

كان أول أمره ترجمانا للنائب القنصلي لبلاده بالجديدة ثم صار بدوره نائبا حوالي 1865. وفي سنة 1868 أسلم بمدينة الصويرة، وكان سبب ذلك غرامه بامرأة مغربية أراد أن يتزوجها، ولكنها بعد ذلك هجرته للتزوج بأحد تراجمة المفوضية الفرنسية. فامتلا قلبه غما ويأسا وقرر أن يعيش في خدمة القصر الملكي¹².

وكان إسلامه سببا في عزله من منصبه القنصلي، فحاول سفير البرتغال كولا صو التشجيع عليه وطالب بتسليمه إليه، فكتب إلى بركاش الذي أخبر السلطان بذلك سنة 1868 فأجابه «في شأن النصراني البرطقيزي الذي أسلم بالصويرة، فذكرت أن كبيرهم بطنجة تكلم معك في أمره، فأجبت به بما قدمناه لك من عدم تمكينهم منه ونبهت على ما كان عليه هذا النصراني بالجديدة من الاشتغال بالفساد ومخالطة أهله والدخول للسجون وتسريح من وجب عليه الحق إلى غير ذلك مما وقعت الشكوى به لدولته فعزل من الخدمة. فكان عزله بسبب ما أظهره من الاسلام.

«وأنه إن قبل وقرب وتكلم معه يظهر لهم أن ما اشتكى به أولا سفسطة وعمل بيد، ويرجع اللوم على كبيره، وأشرت بأن يجري مجرى أمثاله من العلوج ويذهب حيث شاء ليظهر ما يبطنه. فها نحن أمرنا الأمانة بأن يكسوه كسوة تستره ويدفعوا له ما يجعله بيده، ويذهب حيث شاء»¹³.

وكان إلى جانب معرفته بلغة بلاده الأصلية يحسن العربية والفرنسية. فقد قدم للقبطان إيركمان رئيس البعثة العسكرية الفرنسية خدمات كبيرة سنة 1878. وكان له اتصال بالمخزن الذي عهد إليه بمرافقة المتعلمين المغاربة إلى فرنسا سنة 1884، فكان رجل جد وتقان وإخلاص في عمله.

12. كايي : «المغاربة بمدرسة الهندسة» ص 133.

13. رسالة السلطان إلى بركاش في 28 صفر 1285/20 يونيو 1868 : في «الاتحاف» ج 3 ص 390.

وظل عقوداً طويلة في خدمة المخزن، فكان يتقاضى من أمين المستفاد ثمان أواق في اليوم بأمر مولاي الحسن إلى الأمين المذكور حسبما قال سنة 1896 للحاجب في إحدى رسائله. كما أنه كان سنة 1899 يعمل مع أمناء البنيقة بمراكش بمشاهدة قدرها ثلاثون مثقالاً فطلب الزيادة فيها والتساوي مع مولاي عبد الله الحرار المراكشي المتقاضي 40 مثقالاً ومولاي علي بن مسعود المنفذة له 45 مثقالاً في الشهر¹⁴.

ومن وظائفه سنة 1895 أنه كان علافاً على العسكر بمراكش وأحد أمناء الصائر به¹⁵. ولم أقف على أكثر من هذا من أخباره. والغريب أنه مع إسلامه وجديته لم يكن يستحق إلا التسمية بالعلاج من طرف أناس يدعون أنهم أحرار الفكر¹⁶ مع أن من معاني هاته الكلمة الكافر عموماً.

لكن لم يخطر ببال أحد أن يقرأ بعضاً من رسائله ليجد فيها أنه كان يدعو نفسه محمد الممنون¹⁷ أي الممنون عليه بالإسلام وأنه كان يجد غضاضة في وصفه بالعلاج، فهو فيها لا ينتسب إلى البرتغال ولا يريد أن ينبز بالعلاج أي المارق من الدين، لأن في ذلك خطأ من قدره. فهل كان ذلك صادراً عن عنصرية أو عن عدم مبالاة؟ لا ندري، ولو أننا نعلم أن أسر العلاج كانت ولا تزال موجودة بالمغرب، ولعل أصلهم أن آباءهم الأولين كانوا من علوج الترك أو من علوج أوروبا حتى أسلموا واندمجوا في المجتمع المغربي.

35. ألفونس ليفير A. Lefevbre علج فرنسي توفي سنة 1869 بتطوان.

36. عبد الله العلج أو R. Schneitmadel : ريشار شنيتمادل ألماني كان قبل سنة 1871 مستخدماً بالقصر السلطاني بعد هروبه من اللقيف الأجنبي والتحاقه بالمغرب واعتناقه الإسلام أو التظاهر به. كان مستخدماً في مصانع مراكش، إلا أن السفارة الألمانية لم ترد الدخول في مذكرات معه¹⁸ سنة 1877.

والواقع أنه كان سنة 1868 من المكلفين بعصر السكر بمعمل أكداً بنفس المدينة وكذلك بمعمل القطن. وقد صنع كيراً كبيراً «عجيب الصنع، غريب الشكل». وكان «معلم الفبركات قد عيل صبره، واستببطاً الجواب، وطلب الأذن للتوجه لثغر الصويرة بقصد المقام بها حتى يرد الجواب الشريف بالاحتياج إليه أو الأذن بركوبه... فأجاب بأنه أبى إلا ما عزم عليه من التوجه فأذن له، وحيز خط يده بما ذكر».

كان له ترجمان ومسكن، كما كانت تصرف له مؤونة قطعت عنه بعد ذلك، ففر سنة 1871، تاركا المعمل و«كل مسألة يخصها حاجة قد أخفاها العلج المذكور، لما تقاشح مع

14. رسالتاه إلى الحاجب في 3 رجب 1314/8 دجنبر 1896 و 8 فعدة 1316/20 مارس 1899، الترتيب العام.

15. رسالته إلى الحاجب كذلك في 10 صفر 1313/2 غشت 1895، الترتيب العام.

16. جان ماري السالمي : «موقف الأوروبيين من سياسة الإصلاحات بالمغرب قبيل الحماية» في «ندوة الإصلاح والمجتمع في القرن التاسع عشر» ص 437.

17. رسالته إلى الحاجب في 2 شعبان 1303/6 ماي 1886، محافظ المغرب فرنسا.

18. بيير كيبن : «ألمانيا...» ص 26 (1).

القائد إبراهيم» عامل القصبة «على المؤونة وعزم على الفرار» حتى «وقع في الفابريكة تفریط». فأمر مولاي الحسن بالاحتياط «عليه حتى يظفر به، ويؤمر برد ما أخفاه».

أما عن خيانتة لبعض آلاتها، فقد قيل تارة إن عمالها هم الذين ارتكبوا ذلك، وذكر تارة أخرى أن فقدانها ثبت على يد عبد الرحمان العليج¹⁹ المذكور سابقا.

37. جول شابلوز J. Chabloz. عالج من أصل سويسري عاش بمكناس وأسلم سنة 1870 بها.

38. كرينيار Grignard مدرب عسكري من أصل بلجيكي وظفه مولاي الحسن لتسيير معمل القراطوس بمراكش، وقد اعتنق الاسلام ومات سنة 1878 بالطاعون.

39. عبد الله العليج الصبنيولي كان يعيش بفاس سنة 1881 وشهد جماعة من أهل المدينة بأنهم «سمعوا أنه مسلم، ومنذ عرفوه وهو لايس لباس المسلمين ويقول إنه مسلم»²⁰ ولم أفق على اسمه الأصلي.

40. عبد الكريم العليج طلب سنة 1880 من عامل فاس تعيين محل مناسب لنزوله «لأنه من عملة شريف الحضرة»²¹. ولم يأت بيان آخر عنه.

41. أبو القاسم كرائت : Grant عالج من أصل إيقوسي كان يعيش بالمغرب وتزوج بمغربية مسلمة ولدت له ثلاثة أطفال ومات خلال سفره إلى مرسيليا سنة 1888، ونشأ عن جنسية أطفاله خلاف بين الحكومتين المغربية والانجليزية. وكان يعرف العربية التي علمها للدكتور كير بمدينة الرباط²²، كما أنه كان قبل ذلك في خدمة العالم النباتي الفرنسي إيرنيست كوسون E. Cosson الذي كان يهتم بنباتات المغرب. وكان يرافقه مغربي من الصويرة اسمه ابراهيم المريبط²³.

42. 44 : ثلاثة علوج لم تعرف أسماؤهم ولا جنسياتهم وفدوا على الحاج العربي القندوسي سنة 1886 «ذاكرين أنهم أسلموا وأن لكل واحد منهم صنعة، وقد وردوا قاصدين أعتاب سيدنا الشريفة... وحيث وصلوا لدينا أحضرنا من ترجم عنهم... فأنزلناهم عند الباشا سعيد وأردنا توجيههم لحضرة سيدنا الشريفة، فورد الحاج حمّ البليشكي وطلب بقاءهم معه يباشرون في الفابريكة السعيدة لأن لهم خبرة بصنعتها وأكد في ذلك فساعدناه...»²⁴. وقد يكون أصلهم فرنسيا إذا كان القندوسي أحد المسؤولين بالقناسة بشرق المغرب.

45. عبد القادر العليج الاسباني كان سنة 1891 يحاول أن ينشيء بمراكش مكنية السلاح المشتراة بتجهيزها من شركة وينتشيستر أرم وكانت أجزاؤها قد وصلت الى مرسى الجديدة فركبها، غير أنها كانت تنتج قرطاسا ردينا بثمن باهظ²⁵.

19. ابن زيدان : «الأتحاف» ج 3 ص 556 و 560.

20. موجب عدلي في 17 محرم 1299/8 دجنبر 1881، الترتيب العام.

21. رسالة الحاجب إلى عبد الله بن أحمد في 16 جمادى الثانية 1297/26 ماي 1880، الترتيب العام.

22. ميج : «البعثات البيروتية...» ص 160 (5).

23. ميج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 295 (2).

24. رسالة مولاي اسماعيل إلى السلطان في 7 رجب 1303/11 أبريل 1886، الترتيب العام.

25. ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 124.

46 - 47 : علجان. في سنة 1894 أخبر قاضي فاس حميد بن محمد بناني أنه أتى إليه «صاحب الباشا السيد علي الراشدي بعلاجين اثنين قائلا بأنهما أتيا مسلمين، وأنه رفعهما للحضرة العالية بالله، فأمرت برفعهما للقاضي ليتلقى العدول منهما إسلامهما، فأرسلت إلى السيد عمر برادة لكونه يعرف اللسان، فأتى وقال إنه اختبرهما فلم يعرف إلا إنسانا²⁶ واحدا يقال له ألما²⁷... فافتضى النظر تأخير أمرهما حتى يقدم المخزن، وإنهما يبقيان عند السيد عمر المذكور.... ولا يدفع ذلك من إكسائهما ترغيبا لهما في الاسلام. ونحب أن تكسوهما أنت ليكون ثواب ذلك في صحيفتك....»²⁸.

48. عبد القادر العليج الفرنسي كان يعمل بالمغرب سنة 1899، وكان قد طلب الاعانة لكي يتزوج²⁹.

49. عبد الله العليج الألماني ورد ذكره سنة 1907 بوصفه معلما³⁰ ولم يرد بيان آخر

عنه.

26. في الأصل : لسانا

27. هل هو ليفي أولمان L. Ulman الألماني الموصوف بالعلامة في كتاب أنور الجندي : «آفاق جديدة...» ص 206 ؟

28. رسالة القاضي إلى مولاي عمر في فاتح محرم 1312/5 يوليوز 1894، الترتيب العام.

29. رسالته إلى الحاجب في 15 فعدة 1316/27 مارس 1899، الترتيب العام.

30. رسالة قنصل ألمانيا بالرباط إلى الحاج الطيب الصبيحي في 24 فعدة 1324/9 يناير 1907

② الحراية

لئن استعان السلاطين بالاعلاج في تسيير بعض دواليب الادارة، فإن الحسن الاول لم يسلك في ذلك نفس المسلك. كان يرى أن استخدامهم على هاته الطريقة غير كاف، وأن فيهم طائفة من المارقين أو الهاربين من بلدانهم عامة، ومن الجيش خاصة.

كان السلطان مدعوا إلى تطوير الجيش ومطالباً بإصلاح أجهزته، والافضل له أن يبحث عن مدربين وحرابين للطوابير. فهو في الوقت الذي ارتضى البعثات العسكرية الاجنبية أوفد طلاباً لتعلم الفنون الحربية بالخارج، ثم إنه كان يريد ضماناً حكومتهم لهم، فطلبهم رسمياً منها للوفاء بما يريده من تجديد وعصرنة. كان الحرابون أنواعاً : منهم المدربون ومنهم المهندسون ومنهم الاطباء ومنهم الضباط، ولكني جمعتهم في لفظة الحراية، لانهم كانوا جميعاً من أهل الحرب والجندية. وكان لبعضهم أيضاً دور آخر في الاخبار والاستطلاع والتأليف، أفادونا به قليلاً أو كثيراً عن أحوال المغرب والمغاربة.

ولا خفاء أن هؤلاء الحرابين قد أدخلوا شيئاً من التجديد على المحلات : في أجهزتها وفي تقنياتها وفي أساليبها. فإذا نظرنا إلى الجيش المغربي أواخر القرن التاسع عشر، وجدنا أنه تطور تطوراً ملموساً، بقدر الحاجة إليه في طمأننة القلوب وحفظ الرقاب. وشتان بين مدفعية سنة 1825 قبيل معركة يسلي حيث كانت لمولاي عبد الرحمان 16 بطارية من النوع العتيق فارتفع عددها إلى 50 بطارية مدفعية قبيل حرب تطوان، سرعان ما قفزت إلى 150 سنة 1883.

أما عدد الجند بالضبط ما بين محترف ومتطوع فلم ترد عنه أرقام كافية. كان الجيش مقسماً إلى طوابير، ومن مجموعها تتكون المحلات السلطانية أو الاميرية، زيادة على الادالات (الحاميات) المرابطة بالتغور وبالقصبات. والطوابير انقسمت إلى فصائل أو أرحية ألف جندي، ثم إلى أرحية المائة ثم إلى «ربايح» الخمسة والعشرين جندياً، على رأسها مقدم الرباعة ثم قواد المائة وقواد الرحي.

لعب الجيش البخاري، الذي بلغ تعداداه 150 ألفاً في العهد الاسماعيلي، دوراً كبيراً¹ وعتت قبائل الكيش من وداية وشراردة تقدم للسلاطين ما يحتاجون من إمداد ومن وحدات لا نعرف عددها.

على أن معامل أوربا ومؤسساتها لم تفتأ تزود المغرب بالأسلحة المتنوعة، وكان كروب الألماني من أهم الممدين بها من مصنعه بمدينة إيسن. وكانت فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وبلجيكا تصنع منها بعض ما يفتقر إليه المخزن، وأسهمت ورشات أورلاندو الايطالية ورسانات ليفربول² في صنع السفن والمراكب لحكومة المغرب.

1 «تاريخ المغرب» ص 315.

2 ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 190 و 206.

3 «تاريخ المغرب» ص 316.

وكانت شركة فورج وشانطيه ده لاميديطيراني Forges et chantiers de la Méditerranée الفرنسية تباع له المدافع لمنافسة كروب⁴. ومثلها في بيع السلاح الثقيل والخفيف شركة وينتشيستر آرم Winchester Arm الانجليزية. ومن باعة السلاح اشتهر أشخاص من بلدان أخرى مثل النمساوي كارل أدالبيرت آبل Carl Adalbert Apel من مدينة فيينا الذي كان سنة 1889 يريد أن يبيع للمخزن مدافع أرمسترونغ⁵ Armstong. ومن السويسريين كان فريطرز مارتي Fritz Marti يملك بمدينة فينيطيرطور Winterthur مصنعا للسلاح ولاسيما للبنادق التي عرضها سنة 1893 على المخزن بثمن 9 فرنكات ونصف للواحدة، وكانت له مراكز في ميلانو وباريس ولندن⁶... والبنادق تنوعت أصنافها. ولا يظهر أن مكاحل بوشنر الحجرية كان لها وجود بارز في وقتنا هذا الذي نتحدث عنه، لأنها كانت عتيقة. لكن كانت ثمة بنادق عصرية نوعا ما للصيد أو للحرب، فمنها «بوزكروم» ذو القندق المتحرك و«بوحفرة» أي هنري مارتيني Henry Martini ومارتيني كرا Martini Gras وشاسبو Chassepot والكومبلي أي كوبلينز Coblentz البلجيكية وبنادق ليل Lebel الفرنسية وهيرسطلال Herstal البلجيكية وريمينتون Remington الأمريكية.

لقد استفاد المغرب من الحراية، فتوطد الأمن بالبلاد، ولكنه خسر من بعض الوجوه. فقد كانوا في الغالب أرسادا، وأدى المخزن لهم أجورا عالية مقابل خدمات كانت في جملتها زهيدة⁷. قاموا بدور خطير فكانوا يبحثون عن مواطن الضعف في هذا المجتمع⁸.

هاته البعثات انتمت إلى ألمانيا وإسبانيا وإنجلترا وإيطاليا وفرنسا. وعنها سيأتي الحديث متتابعاً في خمسة مطالب. أما بلجيكا فلم تكن لها بعثة، ولو أنها كانت ذات طموح. ودولة البرتغال طلبت سنة 1889 أن تجعل لها بعثة عسكرية لتدريب الجيش⁹، وباء طلبها برفض السلطان.

المطلب الأول : ألمانيا

كانت لها بعثة عسكرية قليلة العدد لم يرد من أسماء أعضائها إلا المهندس روطنبورغ. وكانت ألمانيا قد التمسست إنشاء مدرسة للطبجية بالرباط، غير أن السلطان أبي وكلفها بإنجاز أشغال تحصين الأبراج¹⁰ على يد فالطر روطنبورغ : W. Rottenburg الذي ولد بمدينة دانتسينغ سنة 1851، وهو مهندس مدني وملازم من الهندسة العسكرية سابقا وقبطان في الجيش الاحتياطي. وصفته المصادر بأنه كان ذكيا ومتقفا ومحبا لكنه كان دساسا، وكان في خدمة كروب أحد أعمدة النفوذ الألماني السياسي منه والتجاري.

4 . مييج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 104 (6).

5 . رسالة الدكتور فروخت B. Frucht في 18 ماي 1889/18 رمضان 1306

6 . رسالة مارتي إلى وزير الحرب المغربي في نونبر 1893/ربيع الثاني 1310، (م.و.م).

7 . هنري ده لامارنيير : «عهد مولاي الحسن» في «لأفرو دي دد موند» 1894 ص 404.

8 . «تاريخ المغرب» ص 139.

9 . مييج : «المغرب واروبا» ج 2 ص 24 (4).

10 . كايي : «نواذر الرباط» (او نوزيخ الرباط) ص 201 وما بعدها.

ووصل إلى المغرب والتحق بمكناس في ماي 1888 حيث أبرمت معه عقدة استخدامه. وكان أول عمل عهد به إليه هو أن يبني بالرباط البرج الألماني أو البرج الكبير (التابع اليوم لمقر الجمعية الخيرية بالعكاري)، المسمى أيضا برج هيرفي Hervé. بدأت الأشغال الكبرى فيه في شهر يونيو وانتهت في خريف 1889 دون أن يتم فيه باقي التجهيزات والمرافق¹¹ التي مكث يكملها عدة سنوات.

كان من المقرر أن يشيد عدة حصون يعينها له المخزن ويعينه فيها مهندسون ألمان وبناؤون وعملة مغاربة، مقابل أجرة بلغت في بعض الأوقات 1500 فرنك في الشهر، فضلا عن منحه دارا للسكنى وأداء المخزن مصاريف سفره وتنقله داخل المغرب وتقديم المواد الضرورية للتشييد، مما عد بالملايين¹². وكانت مصاريف السفر والتعويضات التي سددت له تقدر بـ 13.863 ريالاً عن ثلاث سنوات وثلاثة أشهر لأنه كان يعمل بالآلة¹³.

ولما انتهى من الأشغال الكبرى بالرباط في انتظار التجهيزات أمر ببناء ثلاثة أبراج للمدافع الكبار بتطوان، كان منها برج خبطة، وكانت أشغاله هنا وهناك متعذرة إما بسوء أحوال الجو، وإما بطبيعة الأرض، وإما بفقدان المواد، وإما بعجز الميزانية العامة، وإما بتكاسله وإخلاله للراحة التي كان يقضي طرفا منها بطنجة. وظل منهمكا في أعماله طيلة 13 سنة، وأدت له الحكومة المغربية كافة المصاريف الباهظة التي كان يطلبها، لكن تكاسله كان مقصودا، لأنه كان يريد أن يحصل على امتياز لبناء برج بمدينة سلا، فلم يوافق المخزن على ذلك¹⁴.

وتحت يدي رسالة مخزنية طويلة ولكنها مفيدة جدا كما سنرى وهي من السلطان إلى الطريس :

«أخبر باشدور الألمان أن المهندس رطنبورك المستخدم ببرج الرباط وجه له تقييدا بأن الاتفاق كان وقع بين المخزن وباشدورهم السابق على أن المدة التي يتم فيها بناء البرج هي خمسمائة يوم سالمة من المطر، بستين معلما وما يكفيهم من الخدمة كل يوم إن كانت أجزاء الحديد موجودة ؛ وأنه قد ظهر له الآن أن تنجيز البناء في المدة المذكورة بعيد، من حيث أن الخدمة لم تكن بالعدد المذكور من المعلمين من شتتبر إلى مارس إلا في مائة وستين يوما، ولأن المعلمين الذين يُجاء بهم إليه صغار جدا ولا معرفة لهم بخدمة البرج، حتى أنهم اتلفوا البرصلانة، ولكون «إقامة» الحديد لازالت لم ترد عليه مع وعده بها مرارا؛ وأن المخزن لا غرض له في تعجيل خدمة البرج لعدم [وجود] ما يُصير عليه ؛ وأن وجه الفرق بين تقويم المهندس البناء المذكور بستة عشر ألف ريال أولا، وتقويمه ذلك ثانيا بثمانين ألف ريال هو أن التقويم الأول كان بطلب الأمين فرج، فقط بتقريب من غير تدقيق، وثانيا كان بتدقيق واعتبار أمور صعب مع الزيادة الواقعة في أثمان «الاقامة» وتحويل صرف السكة ؛ وأن المخزن إن شك في جودة عمل مهندسهم المذكور فيحكم المخزن في علمه أحد مهندسي الأجناس ؛ وأن

11. نفسه وكذلك «النواذر المغربية» السلسلة الثالثة ص 92 وكيلن : «المانيا والمغرب» ص 161 - 163.

12. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 109.

13. رسالة كروب في 18 شتنبر 13/1891 صفر 1309، الترنيب العام.

14. جاك كايي : «نواذر الرباط» ص 201 وما بعدها.

الأمين المذكور يُظهر له أنه مكلف بالنظر في خدمة المهندس مع كونه لا يمكنه ذلك إلا بعد درس علوم الهندسة، ولا يسوغ له البحث في خدمة مهندسيهم ؛ وأن المهندس لا لوم عليه في التقويم الأول لطلب فرج منه إياه بتقريب حسبا بنسخة من كتابه واصله إليك طيه.

«وعليه فنامرك أن تستوعبها وأن تجيبه :

«عن أيام 500 مدة البناء بأنه معلوم أن ما يُعدُّ منها هو أيام الخدمة، وأما أيام البطالة فلا يعد منها، إلا ما وقعت البطالة فيه من غير موجب،

«وعن الستين معلما بأن الاذن فيهم عند الأمين المذكور، وإن لم يكمل عددهم في يوم يطالب به الأمين، وإن لم يكمله له يُعلم المخزن ولا يسكت، والأيام محسوبة عليه،

«وعن كون المعلمين صغارا لا معرفة لهم بخدمة البرج بأن من وُجَّه منهم كذا لا يقبله ويطالب الأمين بإبداله، لأن الأمين حسبه أن يوجه له المنتصبين للخطه بالبلد،

«وعن إتلاف البرصلانة بأن العهدة عليه لأنه هو الذي يعرف من يصلح لخدمتها ومن لا يصلح،

«وعن أجزاء الحديد بأنه لا توقف لعمل البناء عليها، وهي عند المخزن بحسب التيسير،

«وعن قوله : «وُعد بها مرارا» بأنه لم يوعدها قط، وليراجع ما عنده في هذا الموضوع ليظهر له،

«وعن قوله : «إن المخزن لا غرض له في تعجيل خدمة البرج لعدم وجود ما يصير [عليه]» بأن حرص المخزن على إتمامه ظاهر، ومن حرصه عليه حصره المدة في الأيام 500 المتقدمة حيث رءا البرج وُجد وبقيت الأعوام تمضي والخدمة به لم تنقطع، وأي تعذر وقع له من قبل الصائر، ودراهمه موفرة عند أمناء المرسى ؟

«وعن الفرق الذي ذكره في شأن تقويمي المهندس بما ذكر أعلاه بأن التقويم الاول الذي زعم أنه «بطلب الامين فرج، فقط بتقريب من غير تدقيق» بأن الامين لم يומר بطلبه منه إلا بعد الاتفاق عليه مع الباشدور السابق، وبأن المهندس لا يُعذر فيه لكونه ماهرا، والتقريب لا يزيد بخمسة أضعاف كما زاد بها تقويمه الثاني على تقويمه الاول، وبأن تقويمه الثاني بثمانين ألف ريال لا إذن له فيه من المخزن ولا فائدة فيه، لان المدار على الصائر،

«وعن قوله : إن شك المخزن في عدم جودة عمل المهندس فيحكم فيه مهندس آخر من الاجناس، بأن ذلك الشك لم يخطر ببال المخزن ولا تلفظ بكلمة تفهمه، وإنما مراد المخزن المبادرة بإتمام البرج، وبأن المخزن كلما تكلم على ذلك يُقابل بالنقيض والمجادلة بما لم يقله لا صراحة ولا إشارة،

«وعما أخبر به في شأن الامين من أنه يظهر التكليف بالنظر في عمل المهندس الخ، بأن ذلك مجرد فهم من المهندس وتكلم منه في الامين المذكور، مع كونه صرف جل عمره في البناءات وعارفا بها وبلوازمها.

«وعلى كل حال فما نحن أمرنا الامين المذكور بتيسير كل ما يتوقف عليه المهندس المذكور من «الاقامة» والعَمَلَة، وجددنا الامر للامين الزكاري بتعجيل الاقامة الحديدية المأمور بجلبها، والسلام»¹⁵.

وفي شهر شتنبر 1901 انتهى العمل ببرج الرباط وحضر مولاي عبد العزيز حفلة تدشينه. ولم أقف على نشاطه بعد ذلك، ويروي الحسين الزعري الذي كان أحد تراجمة روطبنورغ في وقت ما أنه لم يبن إلا قلعة واحدة من جملة التسع المقررة، وأنه كان يتراسل مع أحد أصدقائه بالدار البيضاء بواسطة الحمام الزاجل ثم يرسل الاخبار إلى الخارج.¹⁶

وبخصوص عمله بالرباط جاء في رسالة عبد الخالق فرج أن أحد أهل الرباط المسمى أحمد بابا التونسي الموصوف بالمرباط المجذوب شتم زوجة المهندس الالماني وبصق عليها فاعتقله عامل الرباط¹⁷ دون أن يرد سبب لذلك فيها.

ومهما يكن فقد استمر مقيما بالمغرب حتى توفي في 26 مارس 1906 بمدينة الرباط.

المطلب الثاني : انجلترا

اشتملت بعثتها العسكرية على عدة أفراد كانوا يقومون بأشغال لاصلاح أبراج طنجة وبنائها وتحسينها، بينما كان لماك لين ولأخيه آلن نوع آخر من الخدمة. وأسوق أسماءهم الآن :

1 . 2 : دونالد Donald وماثيوز ماك هو M. Mac Haugh كلفهما

السلطان سنة 1878 بالعمل بمدفعية طنجة لمدة عشر سنوات مجددة، وظل ماك هو مقيما بها طيلة عقد من الزمان، وكانا مشغولين بإصلاح الابراج والاسوار¹⁸.

3 . إيدوارد سيلبا : E. Silva وهو مهندس طارقي قام بترميم أبراج طنجة أيضا ونصب بها مدافع كبارا مستوردة من معامل أرمسطرونغ بوصفه كبيرا للمهندسين، وذلك من 1881 إلى 1891 حين استقال من منصبه¹⁹.

كان يدعي القائد سيلبا، وهو واضع تصميم المدينة. ومن جملة أشغاله أنه ركب ميزانا بالمرسي، وقام بأشغال ببرجي الريشة الأول والثاني وبرج النعامة وبرج طبانة، وحفرت لها أساسات وردمت بالتراب سنة 1881 لتتصب هناك فيما بعد ستة مدافع²⁰.

15. رسالته في 21 صفر 1318/20 يونيو 1900، تطوان 35/18.

16. «مذكرة طالب» في «دعوة الحق» العدد 1 السنة 12، ص 147.

17. رسالة عبد الخالق فرج إلى الطريس في 19 صفر 1318/18 نونبر 1900، تطوان 47/84.

18. ميبج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 227 وابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 461.

19. المصدر الاخير ج 2 ص 471 و 488.

20. رسالتنا سيلبا إلى الحاج محمد الزبدي في 3 رجب 1298/فاتح يونيو 1881، الترتيب العام.

وكان الزبير سكيرج ترجمانا له، وكان سيلبة يعمل «بأبراج طنجة بأجرة قدرها ألف ريال في السنة، داخلا فيها جميع المصاريف عدى مصاريف سفره فيما يرجع لخدمتنا الشريفة وذكر سفير إنجلترا أن أجرة سيلبة لا تعطاه كما تعطى لضونال...»²¹.

ومن أجل عمله هذا كان المخزن يمدّه بالمعلمين، ولأسيما أربعة من أمهرهم من بنائي تطوان والصويرة وأسفي ومراكش لبناء أسوار طنجة والاطلاع على كيفية بناء الأساسات والجدران والتدرب على ذلك، ثم أضيف إليهم اثنان من الرباط وفاس²².

4- 5 : الميجور أوكيلفي O'Gilvy وهو ضابط إيرلاندي كان مساعدا لهيري ماك لين، وألن ماكلين شقيق السابق، وكان حرابا قبل أن يغدو قنصلا لبلاده بالدار البيضاء سنة 1894.

6. هيري أوبري ده فير ماك لين : Harry Aubrey de Vere Mac Lean وهو إيقوسي ومن مواليد 15 يونيو 1848، وكانت وفاته بطنجة في يناير 1920. كان أول أمره ضابطا صغيرا برتبة ملازم بحامية جبل طارق، غير أنه استقال سنة 1876 لعلاقة غرامية مع إسبانية تزوجها بعد ذلك. وفي مارس 1877 أصبح أول ضابط نظامي أجنبي في خدمة السلطان²³، وصار يدعى «القائد» ماك لين أو «الكروني» (تحريفا لرتبة الكولونيل). ولما مات الحاجب رقي نفسه إلى درجة الجنرال.

تعلم العربية وكان يقوم أحيانا بالترجمة بين المخزن والأجانب، وألف بصعوبة كبرى طابورا من الجيش المغربي. وكان يقوم على الأبواب مثل سائر الموظفين مرتديا لباسا مغربيا أو مازجا بينه وبين لباسه الوطني. وكانت زوجته وبناته يرتدين الحائك ويتلثمن ويحتجب²⁴.

وكانت سكناه بفاس في عرصة كانت تدعى عرصة الكروني وتقع بين وادي الزيتون وباب الحمراء. أما بالخارج فكانت إقامته بمدينة كيو Kew بحي تشورتش هاوز.

عاش في رغد من العيش وجمع بسرعة أموالا طائلة، وكلفته ملكيته بمدينة نورفوك Norfolk أزيد من 350 ألف فرنك ذهبي. وكانت له خلطة مع المغاربة في الفلاحة وتربية المواشي التي كانت رؤوسها عديدة²⁵.

كما كان تاجرا في السلاح، إذ في غشت 1889 كان يشتري المكاحل من طنجة وغيرها ويوجهها إلى اليهودي ابن سعود بالرباط بقصد بيعها²⁶. كما أنه كان يطمع في اكتراء البابور «الحسني» بخمسمائة ريال في السنة لمدة تتراوح بين 5 و 10 سنوات²⁷.

-
21. مسودة رسالة سلطانية إلى بركاش في متم صفر 1298/31 يناير 1881، محفظة طنجة 3.
 22. مسودة رسالة السلطان إلى الطريس وعبد الصادق بن أحمد وعبد السلام أحرسان وأمناء طنجة في 12 شوال 1302/25 يوليو 1885، محفظة طنجة 5.
 23. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 231 (5).
 24. نفسه ج 4 ص 69 وأوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 160.
 25. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 342 (8).
 26. رسالة أميني مرسى العدوتين في 4 محرم 1307/31 غشت 1889.
 27. رسالة ماك لين إلى الطريس في 7 يونيو 1889.

ومع أنه كان حرابيا فقد كان يقوم بأغراض سلطانية متعددة ثم بمفاوضات في الكواليس، منها مثلا أنه كلف سنة 1907 برّد أحمد الريسوني إلى الشرعية بعد عزله عن ولاية الفحص، غير أن وساطته أفضت إلى أسره نحو 8 أشهر من لدن الريسوني الذي لم يفرّج عنه إلا يوم 7 يناير 1908 وبعد أداء فدية قدرها 20 ألف جنيه استرليني²⁸، وعن إساره نظمت قصيدة نشرتها مجلة «العالم الاسلامي» سنة 1908²⁹.

خلال العهد العريزي وقبله كان دوره عظيما في توطيد النفوذ البريطاني بالقصر الملكي الذي امتلأ بعدد من العملاء مثل والطير هاريس والدكتور إيكبيرت فيردون Egbert Verdon الأوسترالي.

وكان ماك لين نصف جاسوس ونصف مغامر مثل جيمسون Jameson وسيسيل ده رودس Cecil de Rhodes ولورينس «العربي» Laurance وكيمل Campbell وكوردون Gordon ممن كانت الحكومة البريطانية تتبرأ تارة وتزكّيهم تارة أخرى بحسب الظروف. كانت له حظوة عند الحاجب، وكان يقدم للعاهل الصغير مخترعات أوروبية لتلهيته بها³⁰. ولسنا بحاجة إلى البرهنة عن الخدمة التي أسداها خلال 45 سنة من حياته بالمغرب لبلاده ولنفسه معا، فقد كان عينا لا تنام. ومما يدل على ذلك أنه هو الذي أطلع الحكومة البريطانية على موت مولاي الحسن، فعرفته قبل أن يعرفه المغاربة. فإنه ما علم بموته، حتى بعث رقاصا إلى أخيه بالدار البيضاء يعلمه بالحادث، وهذا بعث رقاصا إلى الرباط قطع المسافة الفاصلة بين المدينتين في أقل من ست ساعات، فأعطى الرسالة لباخرة انجليزية حملتها في الحين إلى السفارة الانجليزية، وهاته أبرقت بخبر الحادث إلى وزارة الخارجية. فعلمت الحكومة الانجليزية بموت السلطان قبل أن تعلم به حتى الحاشية المرافقة لموكب الملك الهالت.

السلطان بلا شك كان شاعرا به وبأخطار هؤلاء الحرابية. فهل كان مدربا ؟ كان أكثر من ذلك. والحق أنه ألف فصائل من الجيش المغربي، لكنه كان يلقي معارضة. قابل مهنته بمنتهى الجد والحزم، ولكنه كان يصادف دوما مقاومة ومعاكسة من طرف الضباط القدماء الذين لم يالفوا الأساليب الجديدة، والذين تعودوا الرشوة والعبث بالسلطة. وكان حريصا على إدخال تطورات على الجيش المخزني والادارة المغربية... ثم انقلب دوره إلى مستشار دبلوماسي للسلطان، فكان يزود مولاي الحسن بما يروج بين الدول الأوروبية في شأن المغرب³¹.

وكان مولاي الحسن قبل وفاته يريد «الاستغناء عن الحرابية، لتعلم العسكر بما فيه كفاية، ولم تبق فائدة لأفامتهم بانمغرب. وللمخزن أن يردهم لبلادهم متى شاءوا، وذلك على يد دولهم. وقد وقع الكلام في ذلك مع الفرنسيين والصينيين». وزاد السلطان إلى الطريس : «فنامرك أن تتكلم مع نائب الانجليز لياشر الكلام مع دولته في أمر رجوع مكّين لبلادهم، عند رجوع غيره من الحرابية لبلادهم، لكونهم علفوا أمر رجوعهم على رجوعه»³².

28. شارل اندري جوليان : «المغرب في مواجهة...» ص 40.

29. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 454.

30. بونوا - ميشان : «ليبوطي الافريقي» ص 437.

31. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 152 (1).

32. رسالته في 7 جمادى الأولى 1309/9 دجنبر 1891 (م.و.م.).

المطلب الثالث : إسبانيا

قبل سنة 1890 عينت إسبانيا بعثة عسكرية إلى فاس لأشغال الهندسة وتكوين اختصاصيين مغاربة في بناء الطرق. وكانت متألّفة من ثلاثة ضباط يستبدل غيرهم بهم، وهاهي أسماء بعضهم :

1 . 2 : الكومندان بيلارضي : Velarde وتروخيو : Trujillo عاش أولهما بفاس سنة 1891 إلى أن عوضه الضابط الثاني سنة 1892.

3 . إدواردو كانيساريس إي مويانا : E. Canizares y Moyana الذي أقام بالمغرب بعد سابقه مدة ثلاث سنوات. وله تأليف.

4 . بنانسيو ألبارس كابريرا : B. A. Cabrera كومندان ورئيس البعثة من 1890 إلى 1901، وقد أصدر تأليفين صغيرين سنة 1892 عن المغرب، وكان ينشر مقالاته الصحفية باسم «عبد الله».

5 . خوسي بايخو : J. Vallejo وكان سنة 1890 قبطانا من الهندسة العسكرية.

وعنه وعن الذي قبله تحدثت رسالة سلطانية إلى الملك ألفونسو الثالث عشر سنة 1889 مرحبة بهما : «ومهما ظهر ما يناسبهما من الخدمة المذكورة يستخدمان فيه بحول الله. وحيث يتممان عنهما فيه يرجعان لبلادهما كغيرهما من الفسيالات المستخدمين بحضرتنا الشريفة»³³.

لكن لما وصل الكومندان وخليفته إلى مكناس قادمين من طنجة سنة 1891 «نزع منهما دواب حمل الأثقال، وتركوا في زاوية الإهمال، فغادرا مكناس مغضبين دون إذن المخزن»³⁴.

6 . الدكتور خواكين كورطيس إي بايونا : J. Cortès y Bayona أضيف سنة 1891 إلى البعثة³⁵.

على أن من أغراض سفارة عبد الحميد الرحماني إلى إسبانيا سنة 1891 كان مطالبة هاته الدولة بسحب بعثتها من المغرب، إذ لما «طلب الآن للحراية الصبنيوليين الذين بالحضرة الشريفة في التوجه لحالهم لتعلم العسكر مافيه كفاية، أجابت عنه الدولة المحبة بأنها تساعد على ذلك بمجرد سفر غيرهم من الحراية الذين هم بالحضرة الشريفة من أجناس آخرين»³⁶.

33. ابن زيدان : «العز والصونة» ج 2 ص 208.

34. رسالة النطريس إلى غريظ في 14 ربيع الأول 1309 8 أكتوبر 1891 (د.و.م).

35. ينظر عن البعثة مبيح : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 59 و 83 و ج 4 ص 230 (3) وص 102 (7).

36. ابن زيدان : «الانحاف» ج 2 ص 340.

المطلب الرابع : إيطاليا

اقتصرت مهمة البعثة الإيطالية على تسيير الماكينة أي مصنع السلاح ثم ضرب السكة بفاس. وكان عدد أفرادها قليلا.

فلم يكن المخزن يرى من خلاص إلا بنجديد صناعته السلاحية على الأقل، فقد اشترى من الخارج أسلحة ومدافع لتقوية الثغور. وهكذا عهد بهذا المصنع إلى اختصاصيين وضباط إيطاليين سنة 1888 لبناء المعمل وتسييره.

ولهذه الغاية عينت قطعة أرضية تقع بين باب السبع وباب الساكمة بفاس الجديد، وكانت قريبة من ماء وادي فاس ليسهل دوران محركاتها التي استوردت سنة 1890 من إيطاليا.

كانت مردوديتها دون المستوى، وكانت تدلج الأسلحة وتنتج البارود وتصنع 5 مكاحل بوحفرة أي مارتيني هنري في اليوم أو 36 في الأسبوع أو 144 في الشهر، وتخرج من القراض ما بين 220 ألفا و300 ألف في الشهر كذلك، واستمر وجودها إلى قبيل عام 1916/1334.

كان مستخدموها يتألفون من مهندسين ومن ميكانيكيين إيطاليين ويشرفون على عدد من الأطر المغربية المتخرجة من معامل أوروبا وتحت إمرتهم أزيد من 300 من الحرفيين من أهل فاس ومكناس ومراكش والرباط وسلا من صانعي السلاح والحدادين وحتى الحمالين عبأهم السلطان لهذا الغرض. لكن أجورهم كانت زهيدة : بسطة حسنة في اليوم، زيادة على الصلات الهزيلة من بلغة وكسوة ومال. وكانت هاته الاجرة لا تسمح لهم بالجد في العمل، ولذلك كانوا يبحثون عن تكملة تعينهم.

أوقات العمل في الصباح كانت من الثامنة إلى الثانية عشرة، وفي المساء من الثالثة إلى السادسة.

كانت هاته المحاولة لخلق صناعة حكومية جديدة بالتقوية، لكنها لم تترك أثرا كبيرا لدى صناع فاس الذين لم يتعودوا هذا النوع من العمل المستمر المضبوط³⁷.

فمن هم هؤلاء المهندسون والمسؤولون الإيطاليون ؟ كان منهم :

1. **نوطاري Notari** وهو الذي خطط لبنائها سنة 1888 وانتهى سنة 1891 من تركيب آلاتها³⁸. وسيعود إلى الماكينة بعد ذلك بوصفه رئيسا للمعمل.

2. **كريكوريو بريكولي : G. Bregoli** وهو ليونتان كولونيل كان رئيس للبعثة الإيطالية. وحل بفاس سنة 1888 صحبة الميكانيكيين فيراررا وقالطا. وظل في عمله حتى أعفي سنة

37. زوجي لوطورنو «الحياة اليومية بفاس» ص 101-102 وابن زيدان : «التعريف والصون» ج 2 ص 151 و«الأنحاف» ج 2 ص 340 و499، وأوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 351 والتأخر ابن الحاج : «الاستبصار...» الورقة 91 و92.

38. ابن زيدان في «الأنحاف» ج 2 ص 430 يدعو نوطارا.

1895 منه، بسبب خلاف كان بينه وبين المخزن حول تزوير الفاتورات التي كان يجعل لنفسه نصيبا فيها يقسمه مع بعض المسؤولين المغاربة الكبار من حاشية السلطان.

3. فالطا : Falta ماجور من سلاح المدفعية سكن بفاس سنة 1888 ثم في السنة الموالية نقل إلى العرائش لخلاف كان بينه وبين بريكولي متهما إياه بتدليس الفاتورات.

4. فيرارا : Ferrara وهو ماجور أيضا وصل إلى فاس سنة 1888 وظل هناك سنوات أخرى، وكان ميكانيكيا مثل الذي قبله³⁹.

غير أنه كان له دور في الأخبار وعاب عليه المخزن أنه عين للحضور في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 بوصفه مستشارا : «فرارة الطلياني المستخدم بالفبريكة السعيدة بلغ عنه أنه عين للحضور مع مندوبهم في المؤتمر، وأن الكمندان الفرنسي المتوجه من الأعتاب الشريفة يظهر من توجهه أن القصد به هو الحضور بالمؤتمر أيضا. ولا يخفى ما في حضور المذكورين بالمؤتمر، مع كونهما في خدمة المخزن. نعم، لا ينبغي الاقدام على الكلام في ذلك قبل التثبت واليقين» حسب رسالة عبد الكريم ابن سليمان إلى الطريس التي ختمها بأنه إن صح ذلك فإن المخزن سيستغني عنهما⁴⁰.

5. أدلير إيزنشيپتز : Adler Eisenschitz أصله من مدينة ميلانو كان سنة 1889 مساعدا لبريكولي وميكانيكيا ثانيا⁴¹.

6 - 8 : طرونيلي وبابوني وكارل دارا وهم أطر عليا وفدوا على المغرب بعد وفاة مولاي الحسن⁴².

وفي الختام أشير إلى أن السلطان قد أوصى بصنع مركب بورشة الاخوة أورلاندو من مدينة ليفورنو، ولكن لم يسلم إلى المغرب إلا سنة 1899. وكان اسمه «البشير» أو «بشير الاسلام، بخوافق الأعلام». وكان قائده في بعض الأوقات هو ميتزنر Mietzner الألماني، وتكون طاقمه من نحو مائة من المغاربة والأجانب، وكان جهازه اثني عشر مدفعا⁴³. وثمنه الاجمالي بلغ 192.857 فرنكا وسدد بمشاهرات بواسطة أشخاص مثل ليم Lamb الانجليزي أو مؤسسات مثل شركة باكي أو بنك الكريدي ليوني الفرنسيين⁴⁴.

المطلب الخامس : فرنسا

تألفت البعثة العسكرية من عدد من الضباط كانوا في أغلب أوقاتهم يدرّبون الجنود المغاربة في بعض المدن أو يسافرون مع الحركات السلطانية. قدم الأفراد الأولون من الجزائر سنة 1877، وكانت أسماؤهم هي :

39. عن السابقين ينظر «المغرب وأروبا» ج 4 ص 99-100.

40. رسالته في 14 قعدة 10/1323 يناير 1906، تطوان 167/35.

41. رسالة بريكولي إلى غريط في 22 قعدة 12/1307 يوليوز 1889، (م.و.م).

42. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 499.

43. أيضا ص 503 - 508 وفيسجيربير : «على عتبة...» ص 90 ومحمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 88، طبعة لبنان.

44. رسائل كثيرة بمحافظ إيطاليا للمغرب (م.و.م).

1 - 3 : القبطان بايرن Payern وكان رئيسا لها مدة سنتين، والليوتنان جورني Journée وكان مساعدا له، والكومندان جول إيركمان J. Erckmann الذي تولى سنة 1879 رئاسة البعثة إلى أن عزل سنة 1883.

وايركمان من مواليد سطراسبورغ سنة 1830 وكانت وفاته بباريس سنة 1901. ويبدو أن السلطان قد استحسنه لصفاته العسكرية وجديته في عمله ومعرفته باللغة العربية. وكان أحد معارضي سياسة أورديكة خلال سفارته إلى مراكش سنة 1882 فكان جزاؤه العزل. وكان يكتب في بعض الصحف مقالات عن المغرب، وله تأليف شهير عنوانه : «المغرب الحديث : Le Maroc Moderne» نشر بباريس سنة 1885 في نحو 300 صفحة. إلا أن فصولا حذفت منه قبل الطبع. والمخطوط الكامل يوجد في أرشيف وزارة الحرب الفرنسية تحت رقم 19، وهو قيم فيما يتعلق بالجيش والبلاد وتاريخ المغرب في أواخر القرن التاسع عشر⁴⁵.

4 - 5 : وقد خلفه سنة 1883 الكومندان له قالوا : Le Vallois حتى استقال سنة 1885 احتجاجا على سياسة شارل فيرو، وتولى بعده الكومندان فيكتور ده بروي : V. de Breuille المولود سنة 1841. وقد أنهى حياته العسكرية برتبة عقيد، فانتقل سنة 1889 إلى الجزائر حيث عين قائدا لدائرة العين الصفراء، وكانت له مميزات خاصة، كما كان يرسل بعض الصحف⁴⁶.

6 - 7 : كوشمي Cauchemez كومندان ولد سنة 1844 وقضى معظم حياته بالجزائر وتونس. وقد وصل سنة 1889 إلى فاس لتولي رئاسة البعثة، ورفي إلى درجة كولونيل سنة 1897، ثم صار قائدا للوحدات الصحراوية بالجزائر، وخلفه سنة 1892 شلومبيرجي : Schlumberger⁴⁷.

8. شمييت : Schmitt كان عضوا بالبعثة برتبة قبطان ثم كومندان حتى اغتيل سنة 1887 بوادي بهت من نواحي زمور الشلح على إثر تهور صدر منه من أجل الصيد بالنهر، فطلبت فرنسا دية عن مصرعه رفضها المخزن في البداية ثم دفعها بعد إلحاح شديد، وكان قدرها هو 100 ألف فرنك.

وقد طالب السلطان منذ سنة 1886 بسحب الحراة الفرنسيين وغيرهم، وأخذ يلح في ذلك بعد مقتل شمييت وإقالة إيركمان ولاسيما في يوليو 1889، وكان جواب فرنسا هو الرفض. وفي دجنبر 1892 طلب السلطان تحويل البعثة العسكرية إلى بعثة تقنية تكلف بتسيير معمل القرطوس بمراكش، فدرست الحكومة الفرنسية هذا الاقتراح، إلا أن حركة السلطان إلى تافيلالت ثم موته أجلا تنفيذه⁴⁸.

وهناك رسائل كثيرة تتحدث عن سميت «المقضي عليه ببلاد زمور»، ومنها واحدة قالت إن الكومندان ده بروي قدم على السلطان لما كان مخيما بأربعاء آيت سبير بنواحي زمور

45. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 105 وج 3 ص 228 - 229.

46. نفسه ج 4 ص 97 (6 و 7).

47. أيضا ج 4 ص 97 (8).

48. كذلك ج 4 ص 108 (3).

ضحى يوم 3 حجة 1304 وأخبره «بتوجه الكبطان اشميت الذي معه للصيادة بالمحال المخوفة» وأنه «طالما نهاء فلم ينته، وأخبره» شमित «ليلة اليوم المذكور بأنه على نية اصطياد الحوت بوادي بهت فحذره من التوجه له فلم يبال بكلامه حيث سوته الدولة معه في المرتبة»، حتى جاءه الخبر «بأن الكبطان طلع مع الوادي المذكور ءاخذا في الاصطياد إلى أن صار بينه وبين المحلة نحو الساعة ونصف... فخرج فيه ستة من زمور وانتزعوا منه الفرس والبغل وثيابه، وذهب بذلك أربعة منهم، واثنان قبضا عليه وذهبا به للغابة ومكثا معه إلى الغروب وسرحاه، ولم يدر ما فعل بالكبطان. فامرنا عمال زمور وأعيانهم بالركوب والبحث عنه، فعثروا عليه في الغد مقتولا بمحل بينه وبين المحلة ساعة ونصف وأتوا به فدفع للكمندار...»⁴⁹.

9. الدكتور فيردنان ليناريس : J. L. F. Linarès طبيب عسكري من مواليد 1850، وكانت وفاته بفرنسا سنة 1938. ألحق سنة 1877 بالبعثة وعين بوجدة حيث مكث سنة عاد بعدها إلى وهران. ومن 1880 إلى خريف 1883 عين بالرباط. وفي سنة 1888 انتدب لدى وزارة الخارجية الفرنسية التي عينته عميلا لها بالقصر السلطاني. فكان طيلة خمس سنوات طبيبا لمولاي الحسن ورافقه إلى تافيلالت، وظل بالقصر إلى سنة 1902 حيث أحيل على المعاش.

كان ليناريس مستعربا تعلم اللغة بالبيوض بالمغرب الشرقي، وكان مثقفا وذكيا أهله مهمته ليكون على علم بما يروج بالقصر وغيره. وكانت له ارتباطات شديدة بالوزراء ورجال الدولة. وقد خلف بعض المقالات والتأليف عن الطب وأحوال المغرب الذي عاش فيه سنة⁵⁰.

49. رسالة السلطان إلى الرئيس في 3 حجة 23/1304 غشت 1887، تطوان 6/20.

50. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 134 وج 4 ص 234 (6)، وجاك كايي : «النواذر...» ص 156 - 164، ونبيل : «المسافرون» ص 206 وما بعدها. وعبد القادر الخلافي : «مذكرات الدكتور ليناريس» في «دعوة الحق»، ماي 1971، ص 76.

الباب السابع عشر

صحافة طنجة

أواخر القرن التاسع عشر نشأت بشمال المغرب صحافة أجنبية اللغة والمنحى. وسأركز على جرائد طنجة في فصلين : أولهما عن تاريخها والتعريف بها وذكر البعض من أصحابها، والآخر عن أصدائها وموقفها من المخزن ومن المفاوضات وإيجابيتها وسلبيتها. ولما كانت هاته المنشورات بدعة لدى المخزن لم تدون عنها الوثائق المغربية إلا القليل. غير أن الأجانب الذين يعينهم أمرها أسهبوا في ذكرها.

① الصحافة الأجنبية

سأعرض للكوازيط الأجنبية¹ على اختلاف لغاتها ومشاربها : الإسبانية والفرنسية والانجليزية والعربية، متناولا ذلك في جملة من المطالب. ولا يعني اللسان المكتوبة به الانتماء إلى لغة البلد المعني، فلشد ما تباعد القلم عن السياسة.

المطلب الأول : بالاسبانية

كان الاسبانيون أول من بدأوا ينشرون الصحف بسبتة ومليلية وتطوان أوائل القرن الماضي وأواسطه، فأصدروا بالمدينة الأولى بين 1820 و 1873 تسع نشرات، وبالثنائية جريدة واحدة سنة 1883، كما أحدثوا أيام احتلالهم لتطوان جريدتين سنة 1860. ولن أعرض لها إطلاقا لأنها كانت تمثل المصالح الاسبانية العسكرية والسياسية، ولأنها كانت موجهة إلى إسبانيي المدن المذكورة، ولأنها أيضا لم يكن لها تأثير على المغرب والمغاربة الذين لم يكونوا يعرفون الاسبانية ولأنها أخيرا لم تعمّر طويلا.

وبخلاف ذلك كانت جرائد طنجة. فلنستعرض أسماءها وأصحابها :

1 . ينظر عنها بالأساس دراسة ميج : «الصحف والصحافيون بطنجة في القرن التاسع عشر» المنشورة في مجلة «إسبيريس» بتاريخ فاتح يبرابر 1954 ص 191 وما بعدها. و«المغرب وأروبا» ج 4 ص 323 وما بعدها والجزء الأول مواضع مختلفة. كما يستعان بالجزء الأول من «الصحافة المغربية : نشأتها ونظورها» صفحات مختلفة وهو من تأليف صديقي زين العابدين الكنانى. ومحمد المنونى : «مظاهر...» الجزء الأول، طبعة لبنان ص 358 وما يليها. وما عدا ذلك سأشير إليه في مكانه. مقتظا من الوثائق المغربية ما تحتاج إليه.

1. «المغرب الأقصى : Al Moghreb Al-Aksa» جريدة أسبوعية ظهرت يوم 28 يناير 1883 واستمرت عشر سنوات. كانت إسبانية النوى و«العماد الراسخ للمطامح الأسبانية العادلة بالمغرب» على حد زعمها.

أحدثها كريكوري. ت أبرينس : G. T. Abrines. وكان أنطونيو موليناري : A. Molinari هو المتصرف في مطابع أبرينس، وكلا الرجلين من جبل طارق، وهما عاشا بطنجة أمدا طويلا.

وكان من محرريها خوسي نوكاليس إي نوكاليس J. Nogalès y Nogalès المولود بإسبانيا سنة 1860 والمتوفى سنة 1908. وقد قضى بالمدينة سنوات طويلة.

وهناك محرر آخر هو بينحاس طوليدانو الطنجي الذي كان أيضا مراسلا لصحف إسبانية أخرى ومنتحلا اسم بيريطاس : Veritas. وكان من سنة 1886 إلى 1897 محميا ألمانيا². وله مقالات عنيفة ضد ممثل فرنسا شارل فيرو.

2. «إيل إيكو ماوريطانو : El Eco Mauritano» (أو «الصدى الموريتاني») نصف أسبوعية صدرت في يراير 1886 واستمرت إلى ما بعد سنة 1902. كانت مخصصة للاشهار التجاري، وكان صاحبها هو أوكوستين لوكارو : A. Lugaro الطارقي الذي كان تاجرا والذي كانت له منشرة لقطع الخشب. فلما أقامت السلطة حظرا عليه سنة 1888 احتج فنصل إنجلترا على ذلك³، لأنه كان منجزرا وملهما من المفوضية البريطانية.

وكان التاجر ابراهام مردوخ لاريدو الترجمان بالمفوضية الأسبانية أحد محرريها من 1885 إلى 1887.

3. «بوليطينو دي لاكامارا دي كوميرسيو دي طانخير : Boletino de la Camara de Comercio de Tanger» كانت «نشرة الغرفة التجارية الطنجية» نصف شهرية شرعت في الصدور من سنة 1887 إلى ما بعد 1902، وكانت ناطقة باسم المصالح الاقتصادية الأسبانية بطنجة.

4. «دياريو دي طانخير : Diario de Tanger» (أو «يومية طنجة») كانت يومية في بعض الأوقات وصدرت من 1889 إلى 1896. مؤسسها هو الانجليزي أدولفو فرانسيزون A. Franceron، وكانت فرنسية الميول بحيث كانت المفوضية الفرنسية تمدها بالمساعدات المالية، وكانت جريدة الاعلان والاشهار.

وفي سنة 1891 انتقلت إدارتها إلى ده كيرديك شيني (أ. فيال : A. Vial de Kerdec - Cheny) الذي وصل إلى طنجة سنة 1886، وكان مساهما في تحرير جريدة «له ريفي دو ماروك» ثم صار سنة 1889 رئيس تحريرها فمديرها سنة 1893. وقد اتخذ هذا الاسم نسبة إلى أمه - تقبة من السلطات الألمانية التي كانت تطارده بالألراس لنشاطه الوطني.

كان أ. فيال شخصا غريب الأطوار، قدم سنة 1892 أوراق اعتماده للسلطان بوصفه قنصلا لدولة فينزويلا. وكان إلى جانب ذلك ذا ماض مظلم، فقد أندس في مغامرات توسان

2. م. بوشعراء : «الاستيطان...» ج 2 ص 459.

3. رسالة احتجاج لوكارو على يد هيربيرط وايط في 19 يناير 1888.

Toussaint والحاج عبد السلام الوزاني. وكان يحترف التجارة إذ كان يمثل بطنجة شركة «فورج إي شانطويي ده لاميديطيراني» الباريسية سنة 1890، وأبرم صفقات لبيع السلاح للمغرب، وكان كلما تعاقد مع المخزن دفع رشاوي إلى الحاشية السلطانية. وكانت له روابط وثيقة برجال الدولة، استفاد منها ليكون عينا راصدة لفرنسا يوافيها بأخبار يستقيها من البلاط، وكان يقدم «نصائح» للسلطان وأخبارا متنوعة، فاضطلع بدور محسوس في إطلاع الحكومة المغربية على النوايا البريطانية أثناء نزاع إيوان سميث مع المخزن.

كان كاتباً ذا قلم سيال ومراسلاً لصحف باريسية وكتب مقالات عن أحوال المغرب الذي كان يعرفه جيداً. له مؤلفات منها كتابه : «محج الاسلام Un boulevard de l'Islam» الذي أصدره بمدريد سنة 1895 عندما غادر المغرب نهائياً والذي أدلى فيه ببيانات عن المخزن والمفوضيات الأوروبية⁴. وكان يترجم القصاصات الصحفية ويرسلها للسلطات المغربية لافادة الحاشية الملكية، مما يدل على أنه ربما كان مستغرباً.

5. «لاكرونيكا : La Cronica» (أو «الأخبار») ظهرت من سنة 1893 إلى أواخر القرن، وكانت نصف أسبوعية، أحدثها ليوبولدو أونيطو L. Onetto باسم «الدفاع عن المصالح الدولية والمحلية للآيالة المغربية». كان محرروها من اليهود المغاربة المجنسين أو المحميين حتى كانت تصف نفسها بأنها «إسبانية عبرانية»⁵.

ومن هؤلاء المحررين إسحاق لاريدو المحمي الألماني بطنجة وموشي مراحي المحمي الإيطالي ثم البرازيلي بالدار البيضاء ومسعود الشريقي الذي كان مسيرها الفعلي والذي كان منذ 1888 محمياً سويدياً⁶.

المطلب الثاني : بالفرنسية⁷

1. «له ريفي دوماروك : Le Réveil du Maroc» (أو «يقظة المغرب») أسبوعية برزت يوم 14 يوليوز 1883 واستمرت إلى مطلع القرن العشرين. كان مؤسسها هو إبراهيم ليفي كوهين المنجلز، وبعد وفاته اشتراها حاييم بنشيمول المحمي الفرنسي المشهور بإيعاز من

4 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 271 و «الصحف...» ص 197 و 200 و 227 و «الحسن الأول» ص 251.

5 . كان اليهود مساهمين بالقلم وبالمال في عدد من الصحف الطنجية والخارجية، وكانت معرفتهم بالاسبانية أقوى عندهم منها بلغة غيرها. وقد حاولوا إنشاء صحف بطنجة. أولى المحاولات صدور أسبوعية «أوي ده طانجي Oeil de Tanger» بثلاث لغات : الاسبانية والعربية والفرنسية في أربع صفحات بمعونة الحلف الاسرائيلي العالمي (الكثاني : «الصحافة...» ص 137 حيث قال إنها صدرت سنة 1834). غير أن أمينة عوشار ذكرت أن هاته الجريدة صدرت سنة 1870 (؟) واختفت سنة 1932 (دار النيابة، العدد العاشر ص 12، الجدول الأول). والمحاولة الثانية قام بها سنة 1870 يهودي نمساوي أصدر أول جريدة يهودية بطنجة (مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 122). والمحاولة الثالثة صدور جريدة بالعبرية سميت «كل إسرائيل Kol Israël» سنة 1891 و 1892 علي يد سالومون بنحيون المحمي الفرنسي (مبيج : «الصحف» ص 203).

6 . كتابي : «الاستيطان» ج 2 ص 646 و 936 و 900.

7 . ذكر الكثاني في «الصحافة...» ص 111 أن جريدة «نور - سود : Nord-sud» («أو الشمال والجنوب»)، كانت تصدر بالدار البيضاء سنة 1883.

المفوضية الفرنسية التي أنفت من أن تبقى صحف المدينة حكرا على رعايا بريطانيين. وفي سنة 1893 اشترى الجريدة ده كيرديك شيني كما تقدم، وفي سنة 1897 كان مديرها هو هنري داركور H. Darcours.

كان كوهين مغربيا صويريا ولد بنطوان سنة 1844 وتوفي بلندن سنة 1888، درس بإنجلترا وعاش فيها أمدا مديدا ثم انتقل إلى فرنسا حيث اشتغل بالتجارة، وكان إلى جانب ذلك مراسلا لعدد من الصحف بجبل طارق ولندن حيث كان يكتب في «الطايمز» اللندنية مقالات عن اليهود المغاربة، كما كان وكيلا عن الجمعيات اليهودية الأمريكية والانجليزية، وكان سائرا نشاطه بغطاء الاحسان والتعليم.

أما عن محرري الجريدة فأذكر منهم لوسيان بوكو L. Bucau المتوفى بطنجة سنة 1888. ومنهم كذلك ابراهام بيممينطة المولود بطنجة سنة 1860 والذي كان محاميا ومدرسا بمدارس الحلف الاسرائيلي بتونس قبل أن يؤوب إلى مسقط رأسه. وكان يوافي وزارة الحرب الفرنسية بمعلومات ثمينة، كما كان مراسلا لجريدة «له طان»، وجريدة «الطايمز أوف مروكو». وكان إلى جانب ذلك محميا فرنسيا⁸ وله صلات بالأوساط المخزنية. ومن مراسليها بالعرائش عبد السلام بناني⁹.

2. «له ماروك : Le Maroc» أسبوعية صدرت سنة 1893، وظلت متذبذبة بين الخفاء والظهور حتى احتجبت سنة 1905، بعد جملة من الخلافات مع المفوضية الفرنسية التي كانت تلومها على خروجها عن حدود الحشمة والوقار. مؤسسها كان هو فيكتور سيرف : V. Serph الذي ورد على المغرب سنة 1887 وتوفي بطنجة سنة 1902 حيث كان صيدليا.

المطلب الثالث : بالانجليزية

كانت «الطايمز أوف مروكو : The Times of Morocco» (أو «أزمان المغرب») الجريدة الانجليزية الوحيدة التي ظهرت بطنجة، وذلك يوم 5 يوليوز 1884، وكانت أسبوعية ومكثت تصدر حتى اندمجت سنة 1893 في جريدة «المغرب الأقصى» الاسبانية اللغة.

أنشأها ايدوارد ميكين E. Meakin وطبعها بوسائله الخاصة، وكان ابنه بادجيت Budgett معينه ثم خليفة له فيها. وهي تختلف في توجهاتها وأسلوبها عن بقية صحف طنجة.

كان إدوارد كاتباً اشتهر بكثرة الجدل، فقد دفعه شطط السلطات المغربية وتعسفات النواب الأجانب إلى إنشاء جهاز صحافي مستقل لفضح الفساد المستشري بطنجة حتى تبلغ أخباره إلى أروبا العاطفية وجمعياتها الانسانية والاحسانية لا إلى أروبا السياسية.

8 . كتابي : «الاستيطان...» ج 2 ص 623.

9 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 272 (2).

كان من قرابة جون هي وكان يتمتع بعطف السلطان. فلما «عزم مكن الجوازيطي الإنجليزي على السفر لبلاده» طلب تسريح وسق الفرس الذي أنعم عليه السلطان به، فقبل طلبه¹⁰. وكانت له مطحنة بطنجة سنة 1885، وكان تاجرا وملاكاً، لكن لما أراد أن يعقد خلطة مع الزراهرة سنة 1884 لم يسوغ المخزن له ذلك¹¹.

أما ابنه بادجيت فقد قضى بالمغرب أزيد من خمس وعشرين سنة، وكانت له صلات مع أعضاء الهيئات البروتستانتية. ولما كان صريح الرأي توترت علاقته مع مفوضية بلاده، ومع المحكمة القنصلية التي مثل أمامها غير ما مرة. وقد تعرض لضائقة مالية دفعته إلى بيع جريدته إلى أبرينس الذي أدمجها مع «المغرب الأقصى».

ومنذ سنة 1891 كان مراسلا لجريدة «مانتشيستر كوارديان» الانجليزية كتب فيها الكثير مما علمه وشاهده. وله مصنفات عديدة طبعت بلندن منها : «الايالة المغربية : The Moorish Empire (سنة 1899) و«بلاد المغاربة : The Land of the Moors (1901) و«المغاربة، وصف مستوعب : The Moors, a Comprehensive Description (1902) وغيرها.

كان لا يفتأ مسخرا قلمه للتنديد بسيرة بعض القناصل والأجانب والمحميين.

وفضلا عن مهمته الصحفية كانت له خلطة فلاحية بالجديدة. فقد جاء في رسالة السفير البريطاني إلى الطريس سنة 1890 أن «ميكين ابن محرر القازيطة المسماة «تيمز أوف مروكو» كان يريد تعيين محمد البيضاء خليطا له بالجديدة في أمور الحرث بعد أن كان متعلما له»¹²، هذا إذا كان هو الابن الوحيد لادوارد.

وهناك وثيقة مغربية تتحدث عن ميكين الذي طعن في قنصل البردقيز بالجديدة الفارة «فقدم نصراني نجليري يقال له ميكل صاحب الكوازط من سكان طنجة» ليحقق «دعوة له مع قنصل البردقيز هنا، لأعمال شرع دينهم، لأنه جعل كوازط به»¹³.

وقد ورد ذكره أيضا في وثيقة أخرى في شأن تحرير امرأة كانت في خدمته. وذلك أن «ميكين كانت عنده امرأة اسمها رابحة كانت أمة عند محمد بن الطاهر الرحماني المنصوري فأعتقها سنة 1304 فصارت حرة. وقد كان الشيخ عبد الله بن زهرة زعم أنها له، مع أن رسم التحرير قد صادق عليه قاضي فاس وقاضي طنجة، هذا إلى وجود فتوى أحد علماء فاس»¹⁴.

-
10. رسالة السلطان إلى الطريس في 18 محرم 1308/26 غشت 1890.
 11. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رمضان 1301/16 يوليوز 1884، تطوان 131/2، ورسالة عبد الله بن أحمد إلى السلطان في 26 رمضان/20 يوليوز.
 12. رسالته في 22 شتنبر 1890/8 صفر 1308، محفظة إنجلترا المغرب.
 13. رسالة محمد بن يحيى إلى المعطي بن العربي بن المختار في 26 حجة 1309/22 يوليوز 1892، محفظة الجديدة 2.
 14. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 5 ماي 1893، محفظة إنجلترا المغرب.

المطلب الرابع : بالعربية

«المغرب» أول جريدة عربية ظهرت بالمغرب، صدر العدد الأول منها يوم 14 رمضان 1306/15 ماي 1889، ولكن مجموع أعدادها لم يكد يتجاوز الثلاثين أو أقل فاختلفت من الساحة في السنة نفسها. كانت أسبوعية وفي أربع صفحات ووصفت نفسها بالاخبارية العلمية الأدبية الأسبوعية.

أنشأها المحامي الفرنسي دانيال سوران D. Saurin وكان محرراها الرئيسيان هما اللبنانيان عيسى فرج وسليم كسباني.

ولم تكن هي الصحيفة العربية المقروءة بالمغرب، فقد كانت المفوضية الفرنسية توزع «الأهرام» المصرية على الأعيان وأعضاء المخزن. كما كانت «الجوائب» اللبنانية تصل إلى المسؤولين المغاربة ولاسيما سنة 1880، فكان لأحمد فارس الشدياق ارتباط بالأساتنة واتصال غير مباشر بالمخزن.

ژد على ذلك أن بعض صحف طنجة الأجنبية كانت تنشر أحيانا مقالات وإعلانات بالعربية اجتذبا لقراء مغاربة. ولم تبدأ الصحف العربية في الظهور مثل «السعادة» و«الفجر» إلا في مطلع القرن العشرين.

وكان للجريدة الأسبوعية «المغرب» مراسلون في بعض المدن أذكر من بينهم : عمر برادة بفاس، وعبد السلام برادة بتطوان، والطيب بن عبد الله بالجديدة، ويوسف أفندي نيمرو بالرباط¹⁵. كما كان الحاج علي بوطالب مراسلا لها بطنجة. وإليه ساعرض في الفقرات الموالية، فطلالما ورد ذكره في المصنفات الأوروبية والمصادر المغربية المخطوطة، وسأبدأ بالأولى وسأختم بالأخرى :

ينتمي الحاج علي بوطالب الحشمي الجزائري إلى أسرة الحاج عبد القادر بن محيي الدين الحسني، فقد ولد بمدينة بسكرة من نواحي مستغانم وتوفي سنة 1909 بمدينة طنجة. حكمت السلطات الفرنسية عليه بالسجن لأنه سب أحد رجال الشرطة الفرنسيين فطردته بعد ذلك من الجزائر وحجزت أملاكه، فالتجأ إلى المغرب سنة 1878. كان الشيخ الحاج علي رجلا ذكيا ودساسا وعميلا لعدد من الدول الأجنبية.

عمل لفائدة ألمانيا، وسبب ذلك أن فيير لما كان قنصلا لألمانيا بدمشق تعرف على الحاج عبد القادر، وحيث أن بوطالب من قرابته استخدمه السفير الألماني بطنجة لمصلحة بلاده. وعندما قام لينس برحلة من المغرب إلى السودان وتمبوكتو سنة 1880 كان بوطالب أحد مرافقيه، وتقاضى عن أتعابه 4000 فرنك. وتذكر المصادر الفرنسية أن بوطالب هو الذي عرض على الرحالة المذكور خدماته، ولما عاد صار يقول إنه ذهب للمذاكرة مع علماء السودان في الفقه والتفسير.

15. العدد التاسع من «المغرب» الصادر في 9 يوليوز 1889 وكذلك العدد العاشر من الجريدة الذي صورته في «مظاهر...» ج 1 ص 361، طبعة لبنان، لمحمد المنوني.

وعمل أيضا لفائدة دور تجارية ألمانية. ففي سنة 1890 ترافق مع ده كيرديك شيني إلى فاس ليقتراح على المخزن شراء مدافع كروب. وفيما بين 1905 و 1906 كان في خدمة المخابرات الألمانية، ثم صار عميلا لدار مانيسمان التجارية.

أما مع العثمانيين فقد كان مرشحا لشغل منصب قنصلي أو ديبلوماسي لفائدتهم بطنجة. فقد رحل إلى الاستانة لهذا الغرض في أبريل 1885. وبعد خمسة عشر شهرا أوفد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مبعوثا إلى المغرب وصل إلى طنجة في يوليوز 1886، وكان المبعوث جزائري الأصل اسمه علي باي، فجاء هنا للتحقيق في مزاعم بوطالب عن نوايا السلطان في ربط اتصالات من جهة أولى وفي سبر أغوار نية مولاي الحسن من جهة أخرى. ولئن لم يستقبله السلطان وإنما خلع عليه ووصله بصلة مالية، فقد تبين لعلي باي أن بوطالب لم يكن صادقا الصدق كله فيما قاله، فقد كان العاهل لا يريد أن يربط علائق مع العثمانيين اقترحتها ألمانيا وعارضتها فرنسا التي كانت بالمرصاد لمنافستها وجارتها.

وفي العهد العزيزي كان السلطان ينوي توثيق روابط مع الأتراك، فالتحق بوطالب بإسطنبول في ربيع سنة 1902 آملا أن يكون هو الفائز بهذا التعيين، بيد أن الحكومة التركية أعرضت عنه ورفضت الدخول في مذكرات معه.

ويقال إن بوطالب كان عميلا لأنجلترا. لكن الثابت أنه كان يعمل لفائدة فرنسا، فقد استخدمه كل من أورديكة وده فيرنوي دون أن يعلم أن له يدا ضليعة مع ألمانيا ومخابراتها. ولم يعرف أورديكة ذلك إلا سنة 1884. وكان بوطالب قد انضم إلى دسائس هذا المفوض الفرنسي ورهطه.

وفي سنة 1891 ولما رفض سكان توات الانصياع إلى ماكان يدعوههم إليه الحاج عبد السلام الوزاني من التنصل من بيعة مولاي الحسن، فأحبط بوعمامة البوشيخي مساعي الوزاني، طلبت مفوضية فرنسا من بوطالب وساطته لدى البوشيخي لاستمالاته إليها، فكان مثال ذلك هو الفشل. ولربما كان الحاج علي قد حرص بوعمامة على الصمود، بينما كانت تعلم حكومة فرنسا أنه عميل لفائدة ألمانيا. فغادر بوطالب المغرب وقصد الجزائر للتشغيب عليها، فجمع من ذلك أموالا طائلة واتصل بالألمانيين المقيمين بالجزائر. وكان غرضه العاجل هو الحصول على تأييد العديد من الطوائف الدينية السرية في العالم الأفريقي. ولم تقطع مفوضية فرنسا علاقتها معه إلا سنة 1896، فاتهمته بتجارة الأسلحة، وفتشت منزله وسجنته لبضعة أشهر¹⁶.

لم يكن دور بوطالب هينا في الكواليس سواء سنة 1882 أو بعد وفاة السلطان¹⁷.

والوثائق المغربية المخطوطة لم تخل من ذكره والتحدث عن أحواله. فقد جاء في إحدى رسائل السلطان سنة 1885 أنه «انفصل مع الفرانصيص، ولم تبقى بينه وبينه علة، وتخالط

16. بدير كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 681 - 683.

17. المصدر الأخير ص 69 (2) و 119 و 164 و 183 و 184 (3)، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 23، وهنري ده لامارتنيير : «تكريات...» ص 113.

مع المركان وغيره وانفصل عنهم...»، وزايت الرسالة أن «أهل دار الفرنصيص بطنجة حملوه إليها رغما، وحتّموا عليه الرجوع لخدمتهم فامتنع من ذلك، ولم يقصروا في إذايته فتقلّت لعند وصيفنا الحاج سعيد جسوس بجبل طارق»¹⁸.

وفي رسالة أخرى صادرة عن قنصل فرنسا (الذي أظنه أوريليان لاكوسط) إشارة إلى أن بوطالب كان عميلا لها لدى قواد سوس سنة 1887. فقد ورد فيها أن هذا القنصل الفرنسي بالصويرة كلفه بالدخول في مذكرات مع محمد بن الحسين أوهاشم واصفا إياه بأنه «رجل عاقل ضابط في الأمور ويعرف أحكام الأشياء كلها.. ويبيد مكاتب الدولة المعلومة...»¹⁹.

والسلطات كانت تتأفف منه. فكان عامل بني مالك إدريس الحبّاسي قد اشتكى منه سنة 1895 إلى السلطان الذي قال للطريس : «إن واحدا من أهل طنجة يسمى بعلي بوطالب الفرنصيصي قد أفرط في التعرض والخوض في إيالته من غير قانون كرومي صبنيولي يسمى بالأعرج». وهو ريكاردو كونساليس - «يهودي بالعرائش في حماية البرازيل... فنأمر أن تكلم نوابهم في شأنهم ليكفّهم ويجلسوهم عند حدهم»²⁰.

وزيادة على أعماله المتنوعة كان له سنة 1907 وقبلها شراكة في الفلاحة وعزائب بقبيلة سفيان بالغرب²¹.

والخواص أيضا كانوا يتهمونه بأكثر من ذلك : فهذا محمد صادق العطار الشامي الوكيل المتجول من قبل السلطان عبد الحميد الثاني قد نسب إليه التآمر على حياته، فطلب من المخزن ضمانه له من الإذابة. ولئن لم يأت بيان عن أسباب هاته التهمة بين رجلين كانت لهما اتصالات بالأتراك، فقد يكون ذلك من باب حرب الأشباح المتعاركة في الظلام. ففي رسالة الشامي جاء أن «رجلا يدعى بحاج علي بوطالب ومعه آخران مسيحيان متحقق بنفسي أن مرادهما قتلي، فأحببت أن أعلمكم بأن تكونوا على بال، إن وقع واقع فمنهم، وأنتم الشهود على ذلك، ولذا أطلب زيادة على الخمسة وعشرين ألف فرنك ضامن الروح بحضور غدولكم إن كانوا هم الداعين لي بحضرتكم، وإن كان غيرهم فمنه الدراهم ومنهم الضامن»²².

ومهما يكن فالرجل كان غامضا يعمل في الظلام والنور معا، فكان في رسائله الكثيرة اللحن يخبر السلطان بما كانت تكتبه الصحف الأجنبية حول المغرب سنة 1888 وبما كانت تحاوله فرنسا من الهجوم على فجيج²³.

كان إذن له علاقة بالصحافة. فلما نشأت «المغرب» كتب فيها قصيدة في مدح السلطان هذا مطلعها :

هبوا بنا نحو أرض الغرب وافقدوا

من طار صيتهم في الكون وانفردوا

18. رسالته إلى الطريس في 14 جمادى الأولى 1302/فاتح مارس 1885، تطوان 54/3.

19. رسالة القنصل إلى محمد بن الحسين في متم صفر 1305/16 نونبر 1887، محفظة فرنسا.

20. رسالته في 15 صفر 1313/8 يوليوز 1895، تطوان 28/14.

21. ص 115 - 116 من كناش مكاتيب الطابع الشريف رقم 1695 د (خ ع).

22. رسالته إلى الطريس في 3 جمادى الثانية 1319/17 شتنبر 1901، الترتيب العام.

23. رسالته إلى السلطان في 1 صفر 1306/7 اكتوبر 1888، محفظة فرنسا.

ومنها عند التخلص :

هو الملك العزيز السيد الخُكم
العدل الفريد الهمام الفاتك الأسد²⁴

هذا شعره. فما هو نثره ؟ لقد كتب سنة 1889 في جريدة «المغرب» مقالا عنوانه :
«الدلالة بطنجة» ردا على مقال صدر ضده من قبل، متحدثا عن «القنصل المدعي
بالباشادورية... الذي اختاره تاجر الحمایات موضعاً لحفظ سره... وتظاهر بالنصرانية، ودعى
نفسه جورج. ولم يلبث حتى عاد فادعى بالإسلامية، وكان يتزيا... بزي علماء إسطنبول،
فلبس تلك البذلة الخضراء، واعتم بالعمامة البيضاء، لكي يخيل للبسطاء أنه شريف
مكاوي»²⁵.

التعقيب الذي عندي على هذا «الشعر» وعلى هذا «المقال» أن ما أوردته من
«القصيدة» لا يدل على وجود شاعرية على الإطلاق. فما هي إلا مجموعة كلمات ونعوت
متراسة خالية من الروح تصدق على السلطان المغربي والسلطان العثماني على السواء.

أما المقال الذي لا نعرف من المقصود به ومن هو جورج المتقلب بين النصرانية
والاسلام فلربما لا يكون من تحريره، بل أميل إلى الجزم بأنه ليس له. وحجتي على ذلك إحدى
رسائله إلى الكباص سنة 1908 المكتوبة بخط بدائي وجاف تتخللها أخطاء متعددة وركاكة
لفظية. فلنقرأ طرفاً منها ليظهر ما ذكرته :

«حفض الله مقام الوزير الخطير نائب سيدنا سيدي محمد الجباص.. وبعد فالمعروض
لسيادتك هو أني شريك في أعزيب مع إلحاج المجدوب بن إلحاج الساحلي الزياتي قاطن
برباط. وإذا بقائد التهامي ولد العايدي بن اليماني الزياتي نهب العزيب ونهب الغير كدالك.
والاعان بلغني رد للغيري، ومتاعنا لازال عنده، ولا علم لي بدالك قبل إلى أن أتى ولده
وأخبرني بدالك، لو كان لي علم بدالك لكلفت ابن عمي خالد لما كان في دار البنيض يتكلم على
دالك، وإلا نحب براك الله في عمرك ههُو ولده يقيد الدعوة لأنني الآن مسافر للغرب في يوم
التاريخ، لو كنت جالس لقدمت بنفسى، والناس فسائ في الحقوق، لأن شريكي من سكان
الرباط، وإنني في طننج لسنا ساكنين في القبيل...»²⁶.

فهل يعد من كتب هذا شاعرا وكاتبا ؟ وهل من يجهل النحو والصرف واللغة يسمى
صحافيا ومراسلا ؟ ولا يبقى هناك إلا احتمالان : إما أن غيره هو الذي كتب المقال ونظم
الشعر، وإما أن هناك سمياً له يتسمى باسمه، وهذا مستبعد جدا وغير وارد، فلم أقف على اسم
غيره.

وحاصله هاته مجموعة من الافادات عن رجل حولة، غريب الأطوار، ملأ صفحات
الأروبيين وأشارت إليه بالخير والشر سطور الوثائق المغربية.

24. محمد بن العياشي سكيج : «رياض البهجة، في أخبار طنجة» الجزء الأول الورقة 32، مصور الخزانة
الصبيحية.

25. العدد التاسع من «المغرب»، 9 يوليوز 1889.

26. في 14 رمضان 1326/10 أكتوبر 1908، الترتيب العام.

② وقع هاته الصحافة

لادراك أصداء هاته الورقات الطنجية، يتعين قبل كل شيء معرفة لغاتها والعثور على أعدادها، ثم مطالعتها. وإن أمرا من هذا القبيل - ولو أنه متجاوز الآن - سيكون عسيرا من عدة وجوه.

ومن حسن الحظ أن ميج قد تصفح بعضها وساق مقتطفات منها، ولاسيما ما صدر حوالي سنة 1885. ومن دراسته سأقتبس فقرات استأنس بها، وأضيفها إلى ما تحت يدي من وثائق مغربية. وهكذا وقفت على عدد من جريدة «الطائمز أوف مروكو» يحمل رقم 32 صدر يوم 19 يونيو 1886. وسأحاول وصفه وذكر مضامينه حتى تكون عندنا فكرة مبسطة عن مثال من هاته الجرائد الأجنبية المحلية. صفحات هذا العدد أربع، وفي كل صفحة ثلاثة أعمدة، ومقياسها 41 x 30 سنتمترا. أما ثمن العدد الواحد فكان ريالاً. وكانت الاشتراكات ترسل إلى موركان وسكوت Morgan and Scott القاطنين بلندن، رقم 12 بعمارة باطيرنوسطر Paternoster.

فما هو مضمون هذا العدد؟ يحتوي على مقالات هي :

1. «تهم باطلة : False Accusations». ولهذا المقال علاقة بالتحقيق في فضائح الأمريكي ماثيوز وكاتبه القبطان روليسطون. ويستغرق ثلاثة أعمدة من الوجه الأول وعموداً ونصفاً من الصفحة الثانية.

2. «سفارة من الملك جورج إلى السلطان مولاي إسماعيل : 1720 - 1721 : The Embassy from George of England to Muley Ismaël of Morocco; وهو الفصل الثامن ويقع في نصف عمود من الوجه الثاني.

3. «الحماية والربا : Protection and Usury» وهو تصويب نشره بالفرنسية إبراهيم بيمينطة الطنجي، رداً على مقال كتب بجريدة «إيل إمبرثيال» المدريدية. وحجمه نصف عمود بالوجه الثاني أيضاً.

4. «مغامرات إنجليزي أسر بالمغرب مدة 23 سنة من 1715 إلى 1738 : The adventures of an Englishman, twenty-three years a slave in Morocco وهو الفصل السادس عشر من هاته القصة المنشور في عمودين ونصف بالصفحتين الثالثة والرابعة.

ويتخلل جميع الصفحات ولاسيما الرابعة إشهار ودعاية تجارية.

هذا وصف مقتضب لمحتوى أحد أعداد هاته الصحف، أتيت به لمجرد الاستئناس والاستكناه. إلا أن هاته الكوازيط تطرقت في مئات الصفحات العديدة إلى الكثير من القضايا الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية. وأهم ما تناولته خاصة في سنة 1885 موضوعان :

موقفها من المخزن وموقفه منها، وموقفها من المفوضيات وموقفها منها. وسأعقب على الجميع . استنادا إلى أقوال مبيح - بوضعها في الميزان، وذلك ضمن ثلاثة مطالب أساسية.

المطلب الأول : الصحف والمخزن

لا بد من أن نلم قليلا بنظر المخزن إلى هاته الصحافة، ثم برأيها في الحكومة المغربية.

أ. نظرة المخزن إلى الصحف : الجرائد الطنجية صحف دخيلة وطفيلية، لم تكد تستأذن السلطة في الصدور ولا في الطبع، ولم تبدُ الحكومة إلا ضعيفة أمامها، لأنها كانت تخشاها وتعلم أنها انعكاس لآراء الحكومات الأجنبية، فتركت لها الحبل على الغارب، ولم تتخذ موقفا إلا بعد تحاملها على الحكومة المخزنية.

وأسوق أمثلة على ذلك من صميم الوثائق المغربية. قد جاء في رسالة بركاش إلى نائب إنجلترا سنة 1884، وهي تتحدث عن صدور «المغرب الأقصى» و«ريفي دو ماروك» و«الطائمز أوف مروكو» (التي كانت جريدة شهرية على الأقل سنة 1884) : وبعد فإن «أحدا من رعية النجليز بدأ يشهر جريدة كل جمعة باللغة الإسبانية، وتبعه آخر من رعييتكم أيضا ينشر كل جمعة جريدة باللغة الفرنسية، وزاد ثالث إنجليزي كذلك ينشر كل شهر (?) باللغة الأنجليزية» وأن المخزن لم يتعرض في البداية لهاته الجرائد، لكنه يخشى أن تكون أداة لنشر أخبار مزيفة عن المغرب¹.

ويتصل بهاته الرسالة كتاب جوابي من بركاش إلى جون هي قال فيه : «فاعلم أيها المحب أننا لما كنا كتبنا لك تاريخ 20 من المحرم وبيننا لك ما تشهره الجوازيط المشار إليها - بخلاف الصدق - من الكلام القبيح في جانب المخزن وفي جانب الولاية وكذلك في جانب نواب الأجناس المحبين الذين لهم الوقار والاحترام بهذه الايالة، حتى ظهر أن مقصود الجاعلين لتلك الجوازيط هو السعي في الخوض بين الأهالي والاجناس وتشويش الأفكار للخوض ضد الحكومة. ولأجل ذلك كنا طلبنا منع تلك الجوازيط بالكلية...

«فإذا كان لنا الحق في منع ذلك بالكلية فهو الذي طلبنا ولا نخرج عنه، وإلا أكان (= وإلا إن كان) لا حق في ذلك إلا بالشروط التي يمكن أن يتبعوها وأن لا يتبعوها فأخبرنا عن ذلك...»².

ولئن لم تطلب هاته الصحف الدخيلة اللسان والميول رخصة حكومية، فإن جريدة «المغرب» العربية اللغة، الأجنبية النفس، قد استأذنت عامل طنجة، وفق ما جاء في هاته الرسالة من الطريس إلى غريب سنة 1889 : «وبعد فإن نصارى من الشام يفقهون العربية جعلوا هنا جازيطة بعد أن استأذنوا عامل البلد، وأنهم لا يسكتون عن حقوق المخزن والتشنيع على ظلم الأجانب. وقد أخبرونا الآن أنهم يوجهون بعدد منها للأعتاب الشريفة. وقد قبضوا قيمة الاشتراك من كل من يأخذ جزيطة منها، وتمكنوا من واجب سنة من عند جميع من شارك

1 . رسالة بركاش إلى نائب إنجلترا في 20 محرم 1302/9 نونبر 1884 محافظ الترتيب العام.

2 . رسالته في 1 شعبان 1302/16 ماي 1885، صورتها عندي مأخوذة من الوثائق البريطانية.

في تلك الجريدة، ولم يصلهم إلى الآن شيء من الأعتاب الشريفة. فيطلبون صلتهم بواجب الاشتراك، وقدره مبين في كل جازطة من جوازيطهم، ولا محيد عن جوابهم بما أمكن»³.

وبعد نحو أربعين يوما جاء الجواب ومنه أقتطف هاته الفقرات. قال غريط للطريس بعد حكاية مضمون الرسالة الأولى : «... وأمرني - أيده الله - أن نجيبك عن ذلك بأن لا يكون يوجه النصارى المذكورون لحضرته الشريفة جازطة قائلا أيده الله : إن الجوازيط من باب حاطب ليل، ومن محدثات الأمور التي لم تعهد هنا، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة. والمحافظة على الصبغة - من الاستحالة بذلك ومثله كالأوراق المطبوعة بمصر التي ترد لهذا - متعينة شرعا»⁴.

هذا هو رأي المخزن فيها، ولكنه نظر ظرفي لن يلبث أن يغيره نوعا ما بعد ذلك عندما سيستعين بالصحافة الأجنبية لقضاء مناره. ولم ينفع فيه إلحاح الطريس للأخذ بنظر عيسى فرج الذي كان يشنع على سيرة النواب، مثلما جاء في رسالة النائب السلطاني، قبل ورود جواب غريط المتقدم.

قال الطريس مخبرا بأن «التاجر عيسى الرومي الشامي كبير جريدة تكتب بأطرافنا بالعربية، وكثيرا ما يتعرض فيها للثناء على الأعتاب الشريفة والتشجيع على سيرة بعض نواب الأجانب»⁵.

ويظهر لي أننا لو تتبعنا التراث المخزني المكتوب فلن نجد ما يخالف هذا الموقف المناوئ من جهة أولى، العاجز من جهة أخرى. على أن القليل من هاته الوثائق التي وقفت عليها قد يكفي لإبراز هذا الجانب.

كيف كانت الصحف تنظر إلى المخزن ؟ سنرى بعض ذلك.

ب. رأي الصحف في المخزن : قال ميج بعد تصفح هاته الجرائد ودراسة بعضها ما معناه ببعض التصرف : ليس من قبيل الصدف ولا عملا من أعمال المفوضية الانجليزية أن كانت الصحف الطنجية الأولى ملكا لليهود المنجلزين، وإنما كان تعبيرا عن ترقى حياة اجتماعية، غنية بوساطتها بين العالمين الأروبي والمغربي، وشاعرة بأهمية الصحافة، وراغبة في استخدامها لمصلحتها ومصلحة الطائفة اليهودية... وذلك من خلال ما تغنت به «ريفي دوماروك» من شعار الثورة الفرنسية : «الحرية - المساواة - الاخاء»... وما أعلنت عنه «المغرب الأقصى» من وجوب إحراز تقدم في الميدان التجاري وتجهيز مدينة طنجة بالمرافق الأساسية.

ولم تكن لحريتها من حدود، فهي لم تكلف نفسها التماس رخصة الصدور، وهي قد تحررت من كل قيد أو علاقة بالمفوضيات، وهي لم تعد تخشى المتابعات القنصلية والقضائية،

3 . رسالة الطريس إلى غريط في 13 فعدة 1306/11 يونيو 1889.

4 . رسالة غريط إلى الطريس في 22 حجة 1306/19 غشت 1889 نطوان 78/28.

5 . رسالة الطريس إلى غريط في 9 حجة 1306/6 غشت 1889.

علما منها بان كل محاولة في هذا الباب ستجر على المفوضيات نقمة «المساس بحرية التعبير» فتطاولت وتنطعت وأفحشت - أو على الأقل أفحش بعضها - القول في الحكومة المغربية «المزعومة» في نظرها⁶.

ولنعمد إلى الاستشهاد بأقوالها ولا سيما سنة 1885 : فجريدة «المغرب الأقصى» طالبت بأن «تفرض جميع الإصلاحات الضرورية في سبيل حرية النماء التجاري»⁷.

وقضايا النمو الاقتصادي و«الإصلاحات» تعنى التجار والأجانب بالدرجة الأولى، وليس البعض من الصحافيين إلا أبواقا ومزامير لهم، تحدثوا عنها واستطردوا إلى مسائل «الإصلاحات»، وفرضها بالقوة على الحكومة المغربية. وكان تدخلهم في شؤون البلاد تدخلا سافرا، وذلك ما سنطالعه في استعراض أعداد من جريدة «ريفي دو ماروك» الفرنسية اللسان والهوى بكلمات وقحة :

تناولت هاته الصحيفة مسألة إجراء الإصلاحات لإبرام معاهدات تجارية فقالت : «إن أول واجب على الدبلوماسيين المعتمدين في البلدان المتأخرة أن يكونوا حازمين، وبأن لا يفتأوا مهيين بالحكومات البدائية أن تجريها، وبأن يتدرجوا نهاته الحكومات في طريق الرقي». ثم تساءلت : «ترى هل ثمة رجال من هذا النوع بطنجة ؟» وأردفت متطاوله : «لقد حان الوقت لكي تتخلى أوروبا المتحضرة عن هذا النفاق في مراعاة الحرمة الدولية التي تقضي بالتساهل في سوء تصرف الإدارة المغربية. فإذا كانت للفظه «الحضارة» الأسبقية على كل شيء، وإذا كان التضامن الانساني ليس كلمة عابثة، فيجب على الحكومات الأوروبية منذ مدة - ومدة طويلة جدا - أن تفرض على المغرب إصلاحات إدارية واقتصادية متطابقة مع العدالة ومع رفاهية الأهالي والأجانب»⁸.

وبلغت بها الصفاقة أن كتبت تقول بضرورة «إبرام المعاهدات الجديدة تحت مراقبة التجار الأوروبيين المقيمين بجميع المدن المغربية»⁹.

وزادت في تنطعها : «إن المغرب لن تلين قناته إلا أمام القوة، وليس علينا إلا أن نلقنه درسا قاسيا عن كل انتهاك للمعاهدات، لكي نحمله على قبول الإصلاحات»¹⁰.

ثم طالبت بعد شهر «بتوظيف مستخدمين أوروبيين بالإدارات المغربية»¹¹. وأضافت في عددها الصادر بعد ذلك بأسبوع مؤكدة «حق الحكومات الأوروبية بأن تتلأفي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تطور هاته الأحوال المضرة بمصالح التجارة»¹²، وكأنها لا تنادي بأقل من حماية المغرب حماية جماعية.

6 . مبيج : «الصحف» ص 203.

7 . «المغرب الأقصى» عدد 30 - 1 - 1884.

8 . «ريفي دو ماروك» عدد 7 - 1 - 1885.

9 . أيضا عدد 28 - 1 - 1885.

10 . أيضا عدد 25 - 2 - 1885.

11 . كذلك عدد 24 - 3 - 1885.

12 . أيضا عدد 31 - 3 - 1885.

وجاءت في نفس السنة حوادث دمنا لتشد هاته الجريدة النكير على الحكومة المغربية وتتهمها بـ «الهمجية» لمصرع يهود بهاته المدينة¹³، ولتهول الظروف المحدقة بهاته القضية.

ولئن اقتبسنا شيئا من أقوال هاته الصحيفة الفرنسية سنة 1885، فلاننا نعلم أن أورديكة كان هو نائب فرنسا بطنجة، وأن يد التجار اليهود كانت تكتبها، وأن المصالح الاقتصادية والخارجية كانت من ورائها تسندها وتدعمها.

ثم إن الصحف الأخرى مثل «المغرب الأقصى» كانت تنادي بمثل نداءاتها، ولم تشذ عنها إلا «الطاييمز أوف مروكو» التي كانت جراند طنجة تصفها بالجنوح إلى الخيال والأحلام الطوبائية.

مثل هاته الحملات المغرضة لم تغب عن علم السلطات المغربية. فقد طالب الطريس بالغاء هاته الصحافة إلغاء مطلقا لاستفزازاتها وقذفها وشيوع ضررها، وذلك برسالة بعث بها إلى النواب في ربيع سنة 1885. وجددت الصحف حملاتها فكرر الطريس مطالبته بالحد من شططها وذلك بكتاب دوري أرسله إلى النواب. وما هو نصه بعد الديباجة :

«وبعد فغير خاف عنكم أن ليس لنا بإيالة مراكشة شريعة خاصة بحكم المطبعة كما بغيرها من الدول. وعلى فرض أنها لو كانت عندنا كالغير فلا قدرة لنا على إجرائها، حيث أن من يباشر أمر الجوازيط هم من رعايات الأجناس، ولا تجري عليهم أحكام هذه الايالة فيما يتعلق بخصوص أنفسهم كممثل هذه القضية. ولما رأينا فيما قبل هذه المدة تعدي الجوازيط على بعض رعايات الأجناس وهتك أعراض بعض الناس خفنا أن يزيد ذلك ويتفاحش إلى أن يصل الضرر إلى بعض النواب أنفسهم أو المتوظفين في المخزانية الذين يجب علينا بمقتضى الشرطيات توقيهم وحفظهم من تعدي الغير.

«وعليه فمن حيث لا قدرة لنا لمنع ذلك نطلب منكم إبطال الجوازيط التي تطبع بهذه الايالة على وجه البت، وإلا فما نحن نجدد الاسترعاء لئلا يُطلب منا إجراء الشروط إن صدرت إذابة من الجوازيط لبعض النواب أو غيرهم من المتوظفين في المخزانية. وعلى المحبة والسلام»¹⁴.

غير أن أعضاء السلك الدبلوماسي اختلفوا فيما بينهم في هذا المنع، وقام ليفي كوهين بتأسيس نقابة للمديرين والمححرين، مناديا بالاحتكام إلى الرأي العام الدولي.

ودخلت «الطاييمز أوف مروكو» إلى المعركة، وأنحت باللوم على شطط الأروبيين، ذاكرة أنه إذا تدخل المفوضون لمنع الصحافة فإن من شأن ذلك أن يستر فضائح النواب وتلاعباتهم وتعسفاتهم. لكن في شهر يوليوز من نفس السنة اجتمعت بطنجة لجنة لدراسة هذا المطلب المخزني، وأبدى ممثلا إيطاليا وإسبانيا موافقتهم على أن تحذف حذفًا تامًا «هاته الورقات المحررة من لدن من لا خلاق لهم ومن يقذفون ويفترون على أشخاص محترمين»،

13. أيضا عدد 3 - 2 - 1885.

14. رسالته إلى فيرو في 18 شوال 1303/20 يوليوز 1886، تطوان 26/40، ترجمتها إلى الفرنسية عند مبيج في «الصحف ...» ص 225 - 226.

بينما بادر نائب الولايات المتحدة - مؤيدا من لدن ممثل البرتغال - إلى الدفاع عن حق هاته الصحف «الثابت والطبيعي». غير أن الأغلبية اتفقت دون جدوى على ضرورة إبطال هاته الصحف.

ومنذ ذلك الوقت أخذت تحتشم شيئا ما، وحسنت تعابيرها، ففرقت بين شخص السلطان وبين حاشيته، وصارت «المغرب الأقصى» بعد اندماجها في «الطايمز أوف مراكو» تستخدم عبارة «الحكومة الشريفة المزعومة»¹⁵، ولو أنها ادعت في أحد أعدادها الصادر في يوليو 1899 أن الحاجب أبا أحمد دخل تحت الحماية الفرنسية، مما تسبب في احتجاج مخزني على النائب البريطاني جاء فيه : «عثرنا على الخريطة المسماة بـ «المغرب الأقصى» التي يطبعها أبرينس الانجليزي بطنجة بما حاصله أن الصدر الأعظم الفقيه سيدي أحمد بن موسى دخل تحت حماية الفرنسيين، وقضينا من هذا التشنيع عجب العجب من وجوه لا يسع شرحها، ولم ندر ما مستند أبرينس المذكور في هذا الاعلان الذي لا أصل له، ولا يتصور في ذهن العقلاء.

«وعليه فالمرجوا من جنابك على وجه التأكيد أن تستفهم صاحب الجريدة المذكورة عن الحامل له عن رسم ما ذكر في جناب هذا الوزير الذي يتحاشى جنابه عما نسب إليه وأن تجلسه عندما حد له وأن تجري عليه ما هو مقرر في قوانين دولتكم المعظمة...»¹⁶. هذا الادعاء نشرته أيضا جريدة «له ريفي دو ماركوك» في عددها 851 الذي قرأته، وهو مؤرخ في 20 يوليو 1899.

هذا هو ملخص الفضول الصحافي¹⁷.

وصفوة القول لم يحد المخزن عن الاحتراز من هاته الصحافة الدخيلة. ولئن ظل أعضاؤه يستقبلون الصحافيين، فإن الحكومة لم تقبل - إلا نادرا - أن تستخدم لمصلحتها هاته السلطة التي لم تفتأ ترهبها. ويستثنى من ذلك ما سبق ذكره خارج هذا الباب من استعانة الحكومة المخزنية بميكين للتشنيع على أبي بكر الغنجاوي وأضرابه، واستخدام السلطان للصحافي الفرنسي ده كيرديك شيني للرد على ما قالته أو زعمته جمعية هوارد اللندنية عن حالة السجون والمسجونين، فكلفه سنة 1893 بالدفاع عن الهيئة المخزنية على أعمدة «ريفي دو ماركوك».

ولم يزل المخزن مرتابا في أهل الصحافة، حتى ولو كانوا من المسلمين. ففي شتنبر سنة 1901 جاء رجل تركي إلى مولاي عبد العزيز يستأذنه في إنشاء جريدة باللغة العربية بمدينة مراكش. لكن السلطان منحه 2500 بسيطة للعدول عن مشروعه¹⁸.

المطلب الثاني : الصحافة ونواب الدول

لم يكد المخزن يتدخل فيما تنشره هاته الورقات الطنجية عن سيرة المفوضين الأجانب. فقد كان - عند الاقتضاء - يعترف لها بحرية التعبير، حسبما يتضح من رسالة الطريس إلى

15. في عددها يوم 17 - 10 - 1895.

16. نسخة رسالة الطريس في 13 ربيع الأول 1317 / 22 يونيو 1899، تطوان 110/46.

17. مبيج : «الصحف...» من ص 203 إلى ص 210 باختصار.

18. نفسه ص 210.

غريط عن مسألة طرفتها على ما يظهر صحيفة «ريفي دو ماروك»، ولم نفهم الكثير عنها : «وبعد فقد وافانا كتابكم وطيه تقييد مضمن كازطة للفرنسيس أمركم مولانا - دام علاه - بتوجيهه إليّ لنطلع نواب الدول الثلاثة بما ظهر لي المصلحة في مطالعتهم به من مضمونه الخ، وصرت من ذلك على بال.

«أما كلام الجوازيط وخوضهم في هاته المسألة بما قيدتموه وغيره، فنحن على بال منه. إلا أنه لا يخفى على سيادتكم أن الجوازيط لها الحرية للكلام في أمور السياسة والمخزنية التي تعرض لسائر الدول من غير معارضة معارض لها في ذلك. والكلام مع نواب الدول في هذا الشأن لا يجدي شيئاً. على أن المسألة قد بوشرت بما أخر الفرنسيين عن الخوض فيها الآن، حسبما قدمناه قريباً للعلم الشريف، وفي ذلك الكفاية. وعلى كل حال نحن على بال مما وجهته سيادتكم¹⁹».

لقد وقف المخزن إذن موقف المحايد أو المتفرج مما يروجه الصحافيون عن النواب الأجانب، وعسى أن يكون في هذا الحياد ما يلبي مطلباً مخزنياً في شكل من الأشكال.

ولننتقل إلى بعض ما كانت المطبوعات الأجنبية تنقله أو تقوله عن النواب.

أ . فرنسا : كانت «ريفي دو ماروك» و«المغرب الأقصى» سليطتي اللسان تطلقانه في النواب وفي المخزن معاً، وكان يشرف عليهما ويحررهما رعايا من اليهود المجنسين أو المحميين، بينما كانت «الطاييز أوف مروكو» هي «الجريدة الوحيدة غير الاسرائيلية بطنجة»، وذات الاستقلال الفكري، لكنها ظلت - حتى احتجاجها - تناوىء فرنسا العداء، ولم تنشر ضدها كل مقالة صادرة بإنجلترا.

كانت «ريفي» تمدح أورديكة وتقبح في فيرو، بينما كانت «المغرب الأقصى» تقف موقف الاعتدال من المفاوضات، لكن نشاط أورديكة كان يقلقها. ولما صارت ناطقة بلسان المفاوضات الاسبانية أخذت تحمل حملة شعواء على الوزير الفرنسي وعلى الحاج عبد السلام الوزاني وعلى جريدة «ريفي».

وكان ارتباط «المغرب الأقصى» بالأوساط والدوائر الاسبانية لا يكاد يخفى على أحد. ففي ماي 1886 التمسّت من السلطان أن يستعمل «أقوى وسائل القمع القاسي» في حق كل أجنبي تسول له نفسه التسرب إلى سوسي. وظلت هاته الجريدة وكذلك «إيل إيكو ماوريطانو» على عدائهما لفرنسا ولممثليها، وصارت «ريفي» بعد تولي فيرو تناصبه العداء في تعليق أصدرته سنة 1885 يدل على سوء طويتها. قالت :

«في الوقت الذي يبعد أورديكة عن طنجة، وفي الوقت الذي لا نتهم بالتحيز إليه، يطيب لنا أن ننصفه بالقول إن أوروبا استطاعت - بفضل نشاطه الحيوي وهاته الحركة من الرأي العام - أن تهتم بقضايا المغرب... فهو - يقيناً - صاحب ما اصطلاح على تسميته بالقضية المغربية. وبما أننا مدافعون عن تطور المغرب مادياً ومعنوياً، فلا يسعنا إلا أن نحیی بطل هاته القضية»²⁰.

19. رسالته في 5 رمضان 1309 / 3 أبريل 1892.

20. «ريفي» عدد 28 يناير 1885.

هاته الاشادة بنائب فرنسا المعزول لم تكن من نصيب خلفه المتحرر . فمنذ ماي 1885 استقبلته الصحف استقبالا فاترا لأنه كان قد ابتعد نهائيا عن أساليب أورديكة وسياسته. كان من أنصار «الديبلوماسية الشرقية»، وكان متأثرا بالسلطان مولاي الحسن، وكان نزيها لا يدافع عن المصالح الشخصية، إلى حد أن تحامل عليه نائب بلجيكا البارون ويطنال فادعى سنة 1886 أن عواطف فيرو لا تكاد تسلم من كراهية الساميين.

ولم تفتأ الصحف الفرنسية منددة تنديدا عنيفا بـ «ضعفه واستسلامه أمام السلطات العربية» لأنه كان مناصرا للاستقرار وشاجبا لشطط بعض اليهود والأوروبيين حتى صارت «ريفي دو ماروك» تشنع عليه، واصفة إياه بجون هي الجديد.

ولقد أحسن فيرو القول عندما صرح بأن الصحافة الأجنبية الصادرة بطنجة ماهي إلا «ناطقة بلسان الغرماء من اليهود»²¹، الذين كان منهم حليم بنشيمول مدير «ريفي»، سواء في حياة فيرو أو بعد وفاته الفجائية، التي تولى إثرها باطنوطر الذي هو الباشادور الوارد في هاته الرسالة من الطريس إلى غريط :

«وبعد فنعلم سيادتكم بأن ما كنتم كتبتم لنا به تاريخ 11 رمضان عن الأمر الشريف في شأن تنطعات ابن شمول، وكنا أنهينا الأمر لمحله بواسطة الأمين الحاج عبد الكريم ابريشة، فشافه بذلك وزير الخارجية على أنه وصله ذلك من بعض مطلق أصحابه، لا من الحضرة الشريفة ولا منا، وهي طريقة أسلم من غيرها.

«وأما طريقة الجوازيط فربما جرننا قوتها إلى كثرة البحث والمنازعة، وإن ألجا الحال إلى البيان والايضاح بينا ذلك : إذ لا بأس في إيضاح كلمات حق. ثم إن دولته بمجرد ما بلغها ذلك وجهت مختبرا من أعيان خدمة المخزن قرعوجا (?)، فوصل لأطرفنا يوم الجمعة الفارط، وخرج يوم تاريخه بقصد ملاقات الباشدور أينما أدركه.

«فلتطالع بذلك العلم الكريم، ولترد بالك لما عسى أن يبادر به الباشدور المذكور من انتهاز فرصة منكم بجواب يختلسه منكم أو مكيدة من مكائدهم تمحوا عنه ما وسم به في أمر ترجمانه، ويصير طالبا بعد أن كان مطلوبا، وتصبح سيادتكم في حيرة....»²².

ب . إسبانيا : كانت صحف إسبانيا تردد أصداء ما يصدر بطنجة حول النواب وغيرهم. ولم يسلم ممثلوها ولاسيما ديوسدادو المعتدل من ثلب الصحافيين. كانت «إيل إيكو ماوريطانو» متحاملة عليه، فألقت عليه مسؤولية فشل السلك الديبلوماسية في تأييد حرية القول وعابت عليه مساييرة رأي المخزن في منع الصحافة من الصدور. ولذلك طالبت بنقله إلى مفوضية بلاده بتركيا أو بروسيا أو بإيطاليا حيث يمكن أن يكون وجوده هناك مفيدا. وفي سنة 1888 فاتح الوزير الاسباني زميله الفرنسي فيرو، مشتكيا اليه بـ «غضب العنصر اليهودي عليه»، ولم تلبث الحملة عليه أن أنت أكلها، فعزل عن منصبه بطنجة²³، وعين بالسويد.

21. مبيج : «الصحف...» من ص 213 إلى ص 218 باختصار.

22. رسالته في 10 نوال 1306 / 9 يونيو 1889.

23. مبيج : «الصحف...» ص 215.

ت . إنجلترا : تهجمت الجرائد على جون هي وتناولته بالنقد اللاذع وربما بالتهكم الساخر . ولكنها - أو على الأقل بعضها - مالت إلى التساهل مع خلفه، بخلاف الصحف الفرنسية التي كانت قاسية على السياسة البريطانية المحافظة، وعلى ممثلي إنجلترا.

ظهر ذلك جليا في أحداث دمناات حيث قتل بعض اليهود، فاهتبلت الفرصة فكتبت في الموضوع، وتلتها صحف الخارج في لوم جون هي الذي حاول بدوره التهوين من شأنها، محملا المسؤولية لليهود أنفسهم «الذين كانوا يتقلدون السلاح والذين هم أبعد ما يكونون شبيها ببقية اليهود المسالمين بأنحاء الإيالة»، ومنتحلا في ذلك شتى الأعذار للسلطات، وراميا اليهود باحتراف الربا الفاحش وبالركون إلى التهويل المفتعل وإلى تشويه الحقائق.

والغريب أن صحف هذا الثغر التي كانت بيد رعايا بريطانيين كانت تقدح في وزير حكومة بلادها قدحا عظيما. وقبل أن يخلد جون هي إلى الراحة والمعاش، كان قد طلب من حكومة بلاده نقل مقر المفوضية إلى فاس، فتناولت جريدة «ريفي» القلم لنتهكم عليه.

وغيرت الصحف موقفها بعد إحالة الوزير على التقاعد، وجاء بعده كرين الذي لم يتخل تخليا واضحا عن سياسة سلفه، فأعرب عن عزمه على تلبية نداء تجار منشيطر وتأيد «المطامح المشروعة للتجار الأوروبيين»، وعرفت هاته الجرائد كيف تعتمد على «مساعدة السيد كرين، وزير بريطانيا العظمى الممتاز»²⁴.

أما خلفه سميث فقد كانت بعض الصحف الفرنسية النفس لا تقصر في مناصبته العداء. ده كيرديك شيني كان يهاجم المشاريع البريطانية دون هوادة في جريدته «دياريو دي طانخير» منددا برسو المراكب الحربية البريطانية مثل كوشاوك Goshawk بطنجة وثونديرير Thunderer بمرتيل وكورليو Curlew بطرفاية. ثم إن الكونت دوبييني كلفه بالتصدي لاحباط مشاريع سميث، فسبقه إلى قصر السلطان ليحذره من مغبة مطالب الوزير البريطاني المحتملة، ومرتجما له شذرات من صحف أوروبا المعادية لحكومة لندن. وظل مدة شهرين مقيما بفاس مذكيا صمود المخزن وناشرا بجريدته كل ما من شأنه الغض من عمل سميث. وكان سي فضول يطلعه بانتظام على سير المفاوضات²⁵ لكي ينشره بجريدته أو يبلغه لحكومته.

وبهذا اضطلعت الأوراق الأجنبية بدور محسوس في إثارة الرأي العام الأجنبي الدولي، وقبله الرأي العام المحلي بقصد استيفاء أغراضها التجارية والسياسية والاعلامية.

المطلب الثالث : صحف طنجة في الميزان

لا يبدو أن هاته الجرائد قد أثرت كثيرا لتغيير الأوضاع الداخلية. ولكن كانت لها جوانب ايجابية وأخرى سلبية أركز قليلا عليها.

أ . المساويء : كانت عينا رقية تنقل أخبار ما يروج بالداخل، أي داخل الطوائف المختلفة المشرب والديانة والمفوضيات الأجنبية والدوائر الاقتصادية. ولكنها - فيما أرجح - لم

24. «ريفي» عدد 9 - 2 - 1887.

25. مبيج : «الصحف...» من ص 211 إلى ص 217 باختصار.

تكن تعرف الأحوال الداخلية المغربية معرفة المتأكد الموثوق بصحة كلامه وتحليله. فقد كانت تغترف الأخبار من الداخل لتصديرها إلى الخارج، أو تبليغها إلى السلطات المخزنية. ولا أبالغ مطلقا إن قلت إن الأوساط الشعبية المغربية المسلمة وحتى اليهودية لم تتأثر بالصحافة الأجنبية اللسان العربي والعجمي. فكلا الصنفين يفترض درجة من المعرفة ومن الوعي السياسي. ثم إن الشعبي الأمي ربما كان يرى أنها أداة من أدوات النفوذ الأجنبي فلا يعبا بها، وأنها ذات مفاهيم مستوردة. زد على ذلك أن المفوضيات والسلطات المخزنية لم تكن راغبة في أن ينشر بالعربية ما يكتبه ميكين وابنه ومن هم على شاكلتهما بلغة أخرى كالانجليزية²⁶.

ولكن سبق أن أشرت إلى أن المخزن كان يترك لها حرية الكلام، وهو إذ فعل ذلك - طوعا أو كرها - كان كمن يضرب عصفورين بحجر واحد : كان تشجيعها على بعضها بعضا مما يخدم مصلحة الحكومة المغربية ويعينها على معرفة النوايا الطيبة والسيئة. وكان المخزن يعتبر أن الورقات الطنجية أجنبية في لهجتها وفي روحها، وأن أمرها هو شأن الآخرين فيما بينهم.

نادت هاته الصحف بوجوب الإصلاح لتصرف شؤون البلاد، ولاسيما لتنظيم الجانب التجاري. وكانت لها مطالب يهملها أن تقنع السلك الدبلوماسي بما سمته «شرعية» لها، ثم الضغط عليها حتى ينفذ إلى الخارج كلامها. ومع ذلك كانت مهية الجانب، وكانت قوتها في ضعف المفوضيات وتنافسها وسوء الظن ببعضها²⁷.

ويجمع الذين قرأوها أو تصفحوا بعضها على أنها تطرقت إلى مواضيع هي أحيانا أبعد ما تكون التصاقا بواقع المغرب وبحالته. فالكثير من أعمدتها طافح بالاشهار التجاري، ولكن لفائدة من ؟ ولماذا ؟

وما انفكت تدافع عن مصالح شخصية وأغراض دمية. وحيث أن بعضها كان ملكا لليهود، فلا غرابة أن تكون مدافعة عنهم²⁸ بكل وسيلة، ولاسيما بنغمة جديدة / قديمة هي التنديد بمعاداة الجنس السامي، كلما صرع يهودي أو أودي أو أذب أو هدد، سواء عن حق أو عن باطل.

وهناك جوانب أخرى تدل على درجة الدناءة والاسفاف التي بلغت اليها. كانت تتخرص وتخلق الأخبار الزائفة وتروج الأنباء المغرضة أو المثيرة. ومهما حاولت جريدا «ريفي» و«المغرب الأقصى» التنصل من هذا الافتيات، رادتين أسباب ذلك إلى انقطاع المواصلات مع المدن الداخلية، وإلى غياب مؤسسات عمومية بالمغرب غيابا تاما، وإلى الأسرار المطبقة على أعمال السلطات المحلية والمخزنية والدبلوماسية، وإلى الاعتراف بأن مهنة الصحفي بالمغرب مهنة عسيرة وشاقة²⁹، فليس في جميع ذلك ما يبرر سلوكها، ولو أن الاعذار صحيحة إلى حد ما.

كانت صحافة مأجورة وملهمة، لا حتما من الحكومات والمفوضات كما سلف ذكره، ولكن من أوساط استعمارية وتجارية أيضا.

26. مبيج : «الصحف...» ص 203.

27. نفس المرجع ص 202.

28. أيضا ص 219.

29. أيضا وكذلك «ريفي» عدد 7 - 1 - 1885.

كان البنك اليهودي بطنجة مرتبطا بمؤسسات خارجية، وكان يقدم لها العون والدعم، وكان حاييم بنشيمول أحد كبار الممولين المنتمين إلى الماسونية الدولية³⁰.

ب . المحاسن : إلا أن هناك جوانب إيجابية في أعمالها. كانت جريدة «الطايمز أوف مروكو» شديدة الاعتدال إزاء السلطات المغربية، وكان ذات رأي حصيف. وكان صاحبها يتسم بنزاهة في الرأي، أفضت به إلى عسر مادي وتضييق معنوي دفعا به إلى تفويت ملكية جريدته. ومثلها «المغرب» العربية القصيرة الأجل التي كانت تنقل الأفكار السلفية والتيارات السياسية، مثلما كانت صحف عربية مشرقية ترويها. ويستفاد من أقوال المؤلفين أن بعض الولاة والأمناء والفقهاء والشخصيات المخزنية كانوا يطالعونها بل كانوا يشتركون فيها، وكانوا يطلبون ترجمة ما صدر منها بغير العربية، ليقدّم ذلك إلى السلطان. زد على ذلك أن المفوضيات كان تسهر على توزيع صحف أجنبية كجريدتي «المبشر» و«الأخبار» اللتين تصدران بالجزائر على أهل المخزن³¹.

لم تكن جرائد طنجة - والحق يقال - متوانية في المناداة بإلغاء النخاسة في جميع المدن ومرددة الأقوال الباطلة والصحيحة المشهورة. وكانت تطالب بإصلاح نظام السجون والرفق بالمساجين. وبالنظر لهول ما ذكرته عن ذلك جمعية هوارد، فقد جمع السلطان علماء فاس وقضاتها للاستشارة معهم فيما ينبغي فعله لإصلاح هاته المؤسسات الزجرية، وكلف من يرد على بعض المغالط.

ومزية أخرى لا بد من ذكرها، وهي مناداتها بإغلاق دور الميسر والقمار وبالاكتتاب لفائدة ضحايا الأوبئة والمجاعات.

وأورد في الأخير أنها على اختلاف ميولها كانت لا تحجم عن استهجان الحماية التعسفية والتشنيع على أصحابها ولاسيما «ريفي دو ماروك» من سنة 1885 إلى 1893 و«الطايمز أوف مروكو» من 1888 إلى 1889 و«المغرب الأقصى» من سنة 1889 إلى 1893. وجاء مد خط التلغراف من طنجة إلى جبل طارق لييسر لها مباشرة أعمالها³².

هاته لمحة نقلتها عن قليل من الوثائق المغربية، وكثير من المصادر الأجنبية، وركزتها على سنة 1885. ولربما سيجد واحد أن في هاته القضية موضوعا لبحث طريف يتعدى السنة واللغة، ويملا فراغا كبيرا في خزانتنا التاريخية.

إن المصادر المخطوطة والمطبوعة لخالية من هاته الكتابات الموضوعية، ومرد ذلك إلى أن هاته المسألة كغيرها لم تكن تعنى بها لجدتها أو لبدعتها.

وخلاصة الأمر أن الصحافة الأجنبية بالمغرب لم تبلور رأيا عاما وكان دورها حتى سنة 1908 جد محدود. وقال ميرسي : «كانت صحافة فضولية وملقنة، لا تلبي مطمحا وطنيا ولا حاجة البلاد، وليست على الأخص انعكاسا للرأي العام»³³.

30. أيضا ص 221.

31. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 204.

32. ميبج : «الصحف...» ص 221.

33. نقلها عنه عبد الله العروي في «الأصول» ص 204.

العملاء والرحالة والمؤلفون

موضوع الباب الأخير من هذا التصنيف هو الحديث عن العملاء والرحالة والمؤلفين عن مغرب القرن التاسع عشر، وستتناول فصوله الستة الكلام عمن ينتسبون لأقطار إسلامية وألمانيا وإنجلترا وإسبانيا وفرنسا وبلدان أخرى.

① من أقطار إسلامية

1. محمد بن سليمان المناعي فقيه أصولي توفي عام 1830. ورد على فاس وأخذ عن علمائها مثل الشيخ التاودي. وله رسالة في الوباء ومنع الكرنطيلة¹.
2. إبراهيم بن عبد القادر الرياحي المولود بتستور بالقطر التونسي عام 1766 والمتوفى بتونس عام 1849، وهو فقيه وشاعر. ولما حدثت المجاعة بتونس عام 1216 هـ أوفده الباي حمودة إلى أقطار مختلفة كالجزائر، ثم المغرب فوصل إلى فاس عام 1218 طالباً النجدة من السلطان بالحبوب والقطاني. فأجابه مولاي سليمان إلى مطلبه ونظم في مدحه قصيدة طويلة. وكانت له مناظرة مع علماء المدينة².
3. حسونة بن محمد بن الحاج حسونة الطرابلسي وهو فقيه محدث، حل بمدينة فاس عام 1829، وتوفي سنة 1842 بمدينة إسطنبول³.
4. عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن سحنون الراشدي الحشمي الشركاوي المتوفى بمراكش سنة 1855 انتقل إلى المغرب أيام تغلب الفرنسيين على الجزائر. وكان فيها مبرزاً في كافة علوم وقته ودرس بالقرويين⁴.
5. يوسف بن بدر الدين المدني أديب ورد على السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1840، فأكرم وفادته، وحمله كتاب التعزية إلى السلطان عبد الحميد خان، فرد له الجواب في السنة الموالية⁵.

1 . محمد مخلوف : «شجرة النور....» ج 1 ص 370.
2 . عبد الوهاب بن منصور : «أعلام المغرب العربي» ج 1 ص 165 وما بعدها، وأحمد الناصري : «الاستقصا» ج 8 ص 25 و 118.
3 . عبد الهادي التازي : «صحيح الامام البخاري بخط الحافظ الصدفي» في «دعوة الحق» مارس 1973، ص 24 (33).
4 . العباس بن ابراهيم : «الاعلام» ج 8 ص 463 وما بعدها.
5 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 44.

6. محمد صالح بن خير الدين الرضوي الحسني البخاري السمرقندي المولود عام 1786 والمتوفى عام 1850 بالمدينة المنورة حل بالمغرب فورد على فاس سنة 1843، واكتسب شهرة عظيمة في الأوساط العلمية⁶.
7. محمد حسن بن حمزة ظافر خرج من المدينة عام 1805 وساح في الأرض حتى انتهى إلى المغرب الأقصى، وأخذ عن علمائه وبعض مشايخ الطرق مثل أحمد التجاني والعربي الدرقاوي. وتوفي عام 1851 بالمدينة المنورة⁷.
8. أبو محمد الحاج الداودي التلمساني تولى القضاء بتلمسان، وهاجر إلى فاس لما استولت فرنسا على الجزائر، وتوفي سنة 1854. وله تأليف⁸.
9. محمد بن علي السنوسي الخطابي الطرابلسي ولد سنة 1791 ببلاد الواسطة قرب مستغانم والتحق بفاس ومكث بالمدينة إلى سنة 1830/1245 ودرس على علمائها. وتوفي عام 1859 بواحة جغبوب قرب بنغازي. وكان لهذا الامام المجاهد أتباع كثيرون بإفريقيا والشرق الإسلامي. وله تأليف كثيرة⁹.
10. سعيد العنتري الطرابلسي جاء إلى المغرب المرة الأولى ثم رجع إلى جغبوب لدى الامام السنوسي، وعاد إليه للمرة الثانية واستوطن مراكش وفتح مدرسة بأحوازها، وبقي حتى توفي عام 1875 هناك¹⁰.
11. عبد الرحمان بن أحمد النابلسي المدني كان حنبلي المذهب، وورد على المغرب عام 1854 وأخذ عن علماء فاس والرباط والصويرة ومراكش. وعاش إلى عام 1888¹¹.
12. محمد الحرشاوي الندرومي المتوفى عام 1889 ارتحل من بلاده إلى فاس، فحضر مجالس القرويين ثم أصبح من علماء الجزائر المبرزين. وله تأليف¹².
13. محمد بن خليفة المدني المسعودي، التونسي الأصل رحل من المدينة عام 1888/1305، ودخل الجزائر وتونس وحل بفاس عام 1309 ثم رحل إلى الرباط وسكن بمراكش وتردد بين الصويرة وأسفي، وساجل شعراء المغرب وجمع أموالا طائلة من الأمناء والعمال صرفها في اقتناء الكتب التي ملأ منها 20 صندوقا حتى اتهمه البعض بأن في ذلك أيادي أجنبية. وتوفي عام 1895 غريبا بمكناس¹³.
14. علي بن ظاهر الوتري المولود عام 1844 والمتوفى بالمدينة المنورة عام 1905 قدم إلى المغرب قديمين عام 1870 و 1880. وهو من فقهاء الحنفية، ومسند المدينة المنورة، وهو ممن أحيوا موات الرواية بالمغرب وممن أنعشوها بالشرق. وقد ألقى دروسا في

6. أحمد المكناسي : «أهم مصادر التاريخ والترجمة بالمغرب» ص 81 - 83، وابن ابراهيم : «الاعلام...» ج 9 ص 301، وابن زيدان «الانحاف» ج 5 ص 109.

7. محمد مخلوف : «شجرة النور...» ج 1 ص 383.

8. نفس المصدر ج 1 ص 400.

9. نفس المرجع ج 1 ص 399 - 400.

10. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 208.

11. ابن زيدان : «الانحاف» ج 3 ص 122، وابن ابراهيم : «الاعلام» ج 8 ص 150.

12. عبد الهادي القازي : «جامع القرويين» ج 3 ص 814.

13. ابن زيدان : «الانحاف» ج 4 ص 271/272، ومحمد مخلوف : «شجرة النور...» ج 1 ص 415 وابن ابراهيم : «الاعلام» ج 7 ص 107.

الحديث وأخذ عن علماء مغاربة أجلة. وكان مناصرا للمذهب الوهابي¹⁴. وكان محل حفاوة من لدن الحاجب، إذ لما وصل إلى فاس سنة 1880 استوصى به خيرا وأنزله عند عاملها¹⁵.
15. خليل الوليدي أحد تلامذة الشيخ جمال الدين الأفغاني. وكان قاضيا بمدينة حلب، وتجول بشمال المغرب في ربيع سنة 1904، وكان دوره سياسيا أكثر منه علميا¹⁶.

16. حسن القادري البغدادي من بلاد الموصل كان فقيها حنفيا أقام بمراكش ثمانية عشر عاما ابتداء من 1299/1882. وتجول بالأصقاع السوسية¹.
وله رسالة يشرح فيها للحاجب حاله سنة 1899 جاء فيها : «إني من مدينة الزوراء، من أهل العلم بلا مرء، قد قضيت من أنواعه وطرا، وأجلت في مستودعاتها نظرا، مع مذاكرتي للطلاب، الذين هم من أولي الألباب. ثم حببت إليّ السياحة والجولان، لما فيها من الملاقات مع الاخوان، والاطلاع على خواص البلدان، فأخذت من برود الدهر جديدا، واقتنصت من العمر شريدا، فقدمت إلى هذه الأقطار، تاركا للاخوان والأوطار، مؤملا نظرة من بعض الأخيار، وهي السبب في قدومي إلى هذا الوطن، وذلك في أيام الزوح الأقدس مولاي الحسن، فرأيت الناس أكبوا على علم مختلف فيه، طالما كنت ممن ينفيه، فلم أحم حول مطاياهم، ولم أبحث عن قضاياهم، فبقيت مدة في زوايا الإهمال، وحيدا لا أهل ولا إخوان ولا عيال، ثم رأيت الزواج لي أحسن، فلعلي أتخلص من تلك الاحن، واخترت في ذلك الصويرة هي المسكن، فاتسع الخرق وضاق الخناق، ووقعت فيما لا يطاق، مع أني حنفي المذهب، فليس له في الغرب مطلب، فلست منه ولا خارجا عنه، فصرت واسطة بين أمرين فلا أدري من أي البين. فإن رجعت رجعت بخفي حنين، وإن بقيت صرت أشغل من ذات النجيين، وكلما أردت الذهاب إلى بغداد، منعني الأهل والأولاد....»

«فالمرجو من حضرتكم... شرح هذا المطلب لدا الحضرة الشريفة... فيقضي بنفقة يومية كافية لأهل الدار، من مرسى الصويرة لكونها محل القرار...»¹⁸.

17. عبد الله بن إدريس بن محمد السنوسي شقيق إبراهيم السنوسي الذي كان مقيما بالاسكندرية ورد على المغرب في أواخر سنة 1886. وكان قد صدع بوجوب إصلاح العقيدة وفتح باب الاجتهاد والأخذ برأي السلفيين. وقد استقبله مولاي الحسن بمدينة الجديدة ومنحه دارا بها.

وكان وهابيا ظاهريا ودعي إلى مناظرة مع بعض المحدثين مثل أحمد بن سودة، فاسيء استقباله ووصف بالمعتزلي، فرحل إلى المشرق، ثم عاد إلى المغرب في مطلع القرن العشرين، وتوفي عام 1350/1933 بمدينة طنجة¹⁹.

14. المرجع الأخير ج 9 ص 267 - 269 و ج 7 ص 39.
15. رسالة أحمد بن موسى إلى عبدالله بن أحمد في 21 جمادى الثانية 1297/31 ماي 1880. الترغيب العام.
16. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 208.
17. العباس ابن إبراهيم : «الاعلام» ج 3 ص 197.
18. رسالته في 7 ربيع الأول 1317/16 يوليوز 1899، الوثيقة 10038 (م و م).
19. عبد الله العروي : «الأصول» ص 208، وعبد الهادي النازي : «جامع القرويين» ج 3 ص 734 و 820.

18. محمد صادق العطار الشامي وفد على المغرب مرات منذ أواخر القرن الماضي حتى هرب منه بعد ذلك ووقعت له نزاعات مع المخزن وصار يقذف في أعضائه حسبما سيأتي طرف من ذلك.

كان محمد صادق مدير الطباعة العثمانية، ومكلفا بمهمة من لدن السلطان عبد الحميد الثاني لدى السلطات المغربية، منها سعيه لطرد جماعة من المنشقين العثمانيين المدنيين منهم والعسكريين الذين التجأوا إلى المغرب وأروبا²⁰.

يظهر أنه قدم إلى المغرب أواخر سنة 1896 فقال في رسالة يصف الحفاوة التي كان يلقاها الشيخ ماء العينين : «...وقبل تاريخه بيوم 2 قدم شيخنا العالم الفاضل، القطب الكامل الشيخ ماء العينين رضي الله عنه. وكان لقدومه يوم مشهود، خرجت العساكر والجيوش وكبار دار المخزن، والموسيقى تصدح أمامه، وحررت المخزنية، وسدت أسواق المدينة، ونزل بدار الوزير حرسه الله ومعه من التلامذة 300، وهو شيخ ياله من شيخ...!»²¹.

وقد وقفت على مجموعة من الرسائل تتعلق بنشاطه ولو أنها غير كافية لتوضيحه. فمن كتابه الأول إلى الطريس سنة 1901 أقتطف ما يلي :

«ورد على عبيدكم صاحبكم وأمرني بالتشرف لأعتابكم الجليلة، غير أنه يا أسفا لسوء حظي وجدني الحال أخذ [ت] مُسهلا حيث القصد السفر... ولقد أحببت أن أنبه سيادتكم لكلام أشاعه بعض أناس لو علموا أنفسهم لاستحيوا من خالقهم. وذلك أن أشخاصا مختلفي الأديان قدموا لمجلسكم السعيد... وقدموا لكم رسالة اسمها «النصيحة الإسلامية»، واسمها يدل على ما فيها من باب براعة الاستهلال، وأرتيكا²² سياسيا متعلقا بفرقة طاغية... فأما الأرتيك فمما يمس بحقوق جلالة مولانا السلطان عبد الحميد نصره الله، وأنا نائبه على كل طاغ وباغ أينما كان. وأما الرسالة فلا يخلوا ما فيها ما يمس بحقوق السلطان المشار إليه أو بحقوق أميرنا السلطان الجليل مولانا عبد العزيز...

«فإن كان رأيكم إلى البحث فيما يخص بالقسم الأول ومقابلتي مع رجل أظهر دعوة أو عنده ما يقول فلا أقدم لمقابلته ما لم يدفع لكم 25 ألف فرنك فرنساوي... لأنني صاحب رتبة... تقابل رتبة جنرال بالعسكر... وإن كان للقسم الثاني فقط فعلى الرأس والعين... وأمثل لحكم كل مغربي يحكم علي بحكم خيرا أو شرا...

«وعليه فأقدم وأجيبكم عن كل سؤال سؤال بحضور عدلين يقيدان، وأشرح لكم الرسالة... وتعرض على العلماء الذين هنا وفي فاس وفي مراكش بل وفي مصر. فإن وجد عبارة مشتملة على زندقة أو سفسطة وحكمتمكم على عبيدكم فأقبل تنفيذ الحكم بنفسي، وإن كان بخلاف ذلك وثبت فيها نصح وزجر وموعظة وتنبيه وتيقظ وتذكير واعتبار وإرشاد فنتعهدون لي بدفع هُنور²³ وجهي وشرفي وحق خدمتي لمولانا السلطان عبد العزيز... فمن لم يجبكم فهو فاسق زنديق...». وختم كلامه مسترعا على الحاج علي بوطالب الذي قال إنه ينوي قتله حسبما تقدم²⁴.

20. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 151 و 159.

21. رسالته إلى الطريس في 6 رجب 1314/11 دجنبر 1896، تطوان 106/80.

22. أي article أرنكل = مقال.

23. honneur : شرف

24. رسالته في 3 جمادى الأولى 1319/17 شتنبر 1901، محافظ الترتيب العام.

وللغد كتب رسالة أخرى إليه يخبره بعزمه على السفر ويطلب منه توجيه بريده القادم إليه من إسطنبول إلى عبد الكريم بنسليمان وقال إنه ذاهب لجمع ما عنده بداخل المغرب «وإني أحمد الله تعالى حيث جعل الله التوبة على يدكم عن الدخول في كل أمر ما لا يعني»²⁵.

وكان أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب وكيلا له بمراكش التي أخبر خليفة عاملها أن الوكيل المذكور حاز ثمن الزرع والحوائج التي تركها محمد صادق وقدر ذلك 306 من الريال²⁶.

وهناك إبراء آخر، فقد توصل العطار على يد الطريس بـ 156،5 ريالاً من قبل ما كان يدعي به على ماك لين وغيره²⁷.

والظاهر أنه لما غادر المغرب استوطن جبل طارق وصار يحمل على المخزن وعلى السلطان حملات شعواء ولاسيما سنة 1904. فكتب عبد الكريم بنسليمان إلى الطريس رسالة يقول فيها خاصة: «فقد قدمنا لك الكتب... بتقرير ما عليه محمد صادق الشامي القاطن الآن بجبل طارق من الاجترار على الله ورسوله برسائله المشحونة بهتك أعراض المسلمين. وقد تزايد الآن وتفاحش أعظم مما كان بأضعاف مضاعفة، وخصوصا في عرض الجنب الشريف ووزراء حضرته بما تقشعر منه الجلود، ولا يستطيع لسان أحد أن يحكي بعضه... وتوجيهه في كل بوسطى عددا من تلك الرسائل معنونة بأسامي أعيان الأشراف والعلماء وأعيان القبائل، وإغرائهم فيها على إثارة الفتن... ولا أظن أن أحدا من ضعفة الايمان يتلفظ ببعض ذلك في سالف الأعصار والأقوام. وكان الجنب الشريف قبل هذه الأيام اقتضى نظره الشريف معاملة هذا الشامي بغض الطرف وإلغاء حمقاته حتى يمل. وحيث تفاحش الأمر في الرسائل الواردة منه أخيرا لم يبق محل لاهمال أمره، وإن كان كتب قبل التاريخ بنحو ثلاثة أيام معترفا بتنقيص نفسه بما صدر منه من التقلبات... وتصريحه بالتوبة مما ذكر، وتطارحه على شريف الأعتاب في الانعام عليه بالانصاف له فيما كان يدعيه من الدعاوي الواهية بناحية مراكش. لكن لا يوثق بتطوراتاه وتلوناته هذه كلها.

«وعلى كل حال فيأمر ك سيدنا... أن تجتمع بالسيد بناصر غنام و... الحاج محمد المقرى... لكف ضرر هذا الفاجر الملعون وقطع لسانه. فإن أمكن الظفر به والقبض عليه ولو بالمفاوضة مع نواب النجليز والفرنصيص والبروص... وإلا فباستعمال سياسة لقومه لطنجة ولو في الأمان ومشافهته بأنه إن كانت توبته صحيحة فإن الجنب الشريف لا يواخذه بما تقدم صدوره منه.. لكن بعد أن يشترط عليه... أنه إن عاد للتلفظ بشيء مما فيه تجاسر... فإنه يقبض عليه أينما كان من بلدات أوروبا أو غيرها...»²⁸.

ولم أقف على نهاية هاته القضية، ولا على أسماء رحالة أو عملاء من بلدان المشرق من الذين قدموا إلى المغرب في القرن التاسع عشر أو بعده بقليل.

25. رسالته في 4 جمادى الأولى / 18 شتنبر، نفسها.

26. رسالة عبد السلام الورزازي إلى الطريس في 2 رمضان 1319 / 13 دجنبر 1901، أيضا.

27. تاريخ الأبراء هو 26 نونبر 1902 / 24 شعبان 1320، أيضا.

28. رسالته في 10 شعبان 1322 / 20 أكتوبر 1904، تطوان 159/35.

② من ألمانيا

1. هينريخ بارت : H. Barth ولد بهامبورغ سنة 1821 ونوفي سنة 1865، وتعلم اللغة العربية بمدينة لندن. وهو مستشرق ومن أعضاء الجمعيات الجغرافية الأوروبية، ورحالة جاب أقطار إفريقيا من 1850 إلى 1855.

كما أنه قام بجولات بالمغرب فوصل إلى طنجة في غشت 1845 وزار كلا من تطوان وأصيلة والعرائش وغيرها ووصل إلى تمبوكتو، ونشر عن تجارة السودان مع المغرب كتابا في أربعة أجزاء طبع سنة 1863.

ومن المدن التي دخلها مدينة الرباط سنة 1845. ولما كان يرسم باب قصبة الوادية تعرض لسب وتهديد من السكان على الرغم من ترخيص قائد المدينة له بالتصوير¹.

2. هـ كارل فريشر فون مالطسن : H. K. Freicher von Maltzan ولد بألمانيا سنة 1826 وزار الجزائر وتونس ثم حل بالمغرب فجال في المدن الريفية سنة 1858، وسافر بحرا إلى الصويرة والثغور الشاطئية الغربية. وله رحلات متعددة إلى مدينة طنجة التي كتب عنها وعن غيرها. ولما قصد مراكش تنكر في زي يهودي وصحب قافلة متوجهة إلى هناك، فسكن بالملاح نحو من شهر. وكان يريد اللقيا بالسلطان فلقبه ولقي ابنه سيدي محمد².

3. مصطفى العليج أو فريدريك كيرهاردت رولفس : F. Gerhardt Rohlfs ولد بمدينة بريمن سنة 1831 ومات سنة 1896 أو 1898. فبعد أن تعلم الطب ببلاده، دخل إلى الحياة العملية سنة 1853 وانخرط في اللقيف الأجنبي سنة 1855، ثم رحل إلى الجزائر حيث تعلم اللغة العربية ودرس تقاليد المسلمين وعاداتهم.

ولما انتهت حرب تطوان جاء إلى المغرب سنة 1861، وحاول الدخول في خدمة إسبانيا. ثم لما بلغه أن السلطان راغب في توظيف أعلاج لتنظيم جيشه قرر أن يجرب حظه، فارتدى لباس المغاربة المسلمين، وادعى اعتناق الاسلام، وتسمى بمصطفى، ثم ربط علائق مع الحاج عبد السلام الوزاني، كما دخل في خدمة السلطان بوصفه طبيبا.

غير أنه لم يلبث أن غادر طنجة سنة 1862 متنكرا، وقام بجولاته الأولى بالمدن الشاطئية حتى أكادير، ومنها التحق بسوس وتارودانت ومراكش ووحدات درعة ونافيلالت وفجيج.

وفي نونبر 1862 قام بسياحة أخرى، فقطع جبال الأطلس ووصل إلى تيديكلت ونوات، ثم التحق بطرابلس عن طريق غدامس وعين صالح. وفي هاته المرة كان مؤيدا بالجمعيتين الجغرافيتين ببرلين ولندن، وخوله مجلس شيوخ بريمن منحة عن ذلك.

1 . جاك كاني : «نوادير الرباط» ص 79 ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 69، وكين «ألمانيا...» ص 10.

المصدران الأخيران على التوالي ج 1 ص 138، ثم ص 10 و 921.

وكانت له بعد ذلك جولة أخرى بإفريقيا، من طرابلس إلى لاغوس، مرورا بالهكار وبالتشاد، وذلك من سنة 1865 إلى سنة 1867 قطع فيها 4800 كلمتر، ونال صلة من ملك بلاده قدرها 800 طالر.

وفي سنة 1871 حاول - باشتراك مع فيتسشطاين - تحريض القطر الجزائري على السلطات الفرنسية. وبعد ذلك أصبح سنة 1884 قنصلا لبلاده بزنجبار ورفض سنة 1885 أن يعين ممثلا لألمانيا بالمغرب.

كان مرموقا ببلاده وبالجامعات الأوروبية لطول باعه، ونال حظوة عند بعض ملوك أوروبا، فوشح بميدالية ذهبية جزاء عن أشغاله وتأليفه. وإلى جانب ذلك، كان مراسلا للعديد من الصحف، وله تصانيف عن البلدان التي زارها طبعت بمدينة بريمن سنة 1868 و1873. ومن كتبه «وزان، دار الضمانة». وفيه قال: «إن كل مجهود للنصرانية (أي للحضارة) كان معرقلا في البلدان المتوسطية من لدن إنجلترا، لأن تجارتها في السكر والشاي والأفيون والمنسوجات القطنية تتضرر من ذلك»³.

كان من الغلاة الاستعماريين، وكانت أفكاره متطرفة. وكان يريد من أوروبا أن تكتسح القطر المغربي⁴.

4. **رويطر : Reuter** هو رابع أربعة الألمانين الأولين الذين استوطنوا المغرب في القرن التاسع عشر. فقد حل سنة 1863 بطنجة، واشترك مع اليهودي المغربي ابن ذراعو في بناء مطحنة بخارية واستغلالها. لكنه اصطدم بعراقيل وضعتها له السلطة المحلية في ذلك، فتخاصم مع شريكه.

وفضلا عن هذا، كانت له نزاعات مع بعض موظفي المفوضيات الأجنبية، وقدمت به شكايات متعددة إلى السلطات المغربية من لدن تجار أروبيين بنفس المدينة، فمثل أمام المحاكم، وحضر في جلساتها مفوضون من ألمانيا. وفي سنة 1865 نال حماية فرنسا فخلق لها كثيرا من المشاكل، ورفض الانصياع إلى الأحكام التي أصدرها القضاء البريطاني والسويدي. وكان يطالب بفتح قنصلية ألمانية بطنجة للدفاع عن مصالح بلاده، لأن إيهرنهوف ممثل السويد لم يكن يمثل بروسيا خير تمثيل. وكان سنة 1867 يكاتب بيسمارك في الشؤون الاقتصادية⁵.

5. **فيتسشطاين Wetzstein** كان أستاذا بجامعة برلين وبمعهد الدراسات الشرقية. وصل إلى المغرب سنة 1870 «لدراسة الشعر العربي». ولما وصل صحبة ألماني آخر إلى طنجة دافع عنهما دالوين ممثل بلجيكا لدى السلطات فوصفهما بأنهما باحثان في الأدب العربي.

3 . هنري ده لامارتنيير : «نكريات...» ص 113، وبيركيين : «ألمانيا...» ص 11 و12 و18 و25 (1)، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 161 و ج 3 ص 163 (4) و ج 4 ص 16 (2).

4 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 65 وما بعدها.

5 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 14 (6) وكيين «ألمانيا...» ص 14 - 17.

والحقيقة أنه كان عميلا لبلاده، فقد كلفه بيسمارك بالتشغيب بالشرق المغربي، وجر قبائل بني يزناسن إلى الجهاد الذي كان ينادي به أولاد سيدي الشيخ. فارتاع إيمي دا كان من نشاطهما، وطلب من محمد بركاش تأييده. وفي نفس الوقت استخدم بول لامبير لتتبع حركاته، فاستظهر الأخير برسائل بركاش إلى الولاة ضد العميل الألماني. وانتهى الأمر بهجوم الريفيين على العميلين الألمانين ونهبهما، ففشلا في خطتهما. ومثل هذا الفشل كان قد لقيه بالجزائر، إذ بعد انهزام فرنسا في حربها مع ألمانيا سنة 1870 كان فيتسشطاين مرفقا لرولفس إلى الجزائر للقيام باضطرابات ضد فرنسا. وكانا مرفوقين بأحد أبناء الحاج عبد القادر بن محيي الدين، فوزعوا مناشير ضد فرنسا قرب الحدود التونسية - الجزائرية. وال الأمر إلى طردهما من تونس⁶.

6 . 7 : سبيلتس Speltz ومولر Müller ضابطان ألمانيان مبعوثان من حكومتها. غير أن فون كوليج ذكر أنهما لم يكونا من الضباط، وإنما كانا مغامرین يريدان الاندساس داخل البلاد سنة 1874، وكان يصحبهما سويسري يدعى دومينكو ساكي D. Sacchi⁷.

8 : هايبيرغ Heiberg ادعى أنه من قدماء الصحافيين. وقد حاول أن يبيع السلاح للمخزن، لكن وزير ألمانيا لم يقبل منه ذلك⁸.

9 . 10 : فريدريك نول F.C. Noll وهيرمان كريناخر H. Grenacher عالمان أولهما في الجغرافية ساحا بالمدن الشاطئية والجنوبية في صيف سنة 1871، وكتبا عن ذلك⁹.

11 . 14 : يوهانس رين J. Rein أستاذ من جامعة بون رحل إلى المغرب ونشر مشاهداته وكان يصحبه : فون كارل فريتش v. K. Fritsch وهو عالم جيولوجي ورئيس الجمعية الجغرافية بمدينة فرانكفورت. نشر تقارير عن أعماله، نقلا عن تجار الصويرة من الأوروبيين مثل بوليلي Bolelli قنصل إيطاليا وكان مع الأخير : كارل كوخ K. Koch والدكتور كيرليخ Gerlich.

وقد نزلوا جميعا بمدينة الصويرة في ماي 1872 بعد أن كان جون هي نائبا عن ألمانيا فالتمس من المخزن الوصاية بهم خيرا ليذهبوا إلى مراكش، وهيا لهم باشا الصويرة خفراء. ولما وصلوا لعاصمة الجنوب استقبلهم عامل المدينة، وقضوا أسبوعا بالأطلس الكبير ثم عادوا إلى الصويرة في أواخر يونيو، ومنها أبحروا إلى طنجة مرورا بالثغور الشاطئية.

ومما يذكر هنا أنهم لما حلوا بشيشاوة عبر لهم الولاة عن فرحهم لأن الله نصر السلطان غليوم على فرنسا التي كانت تريد فرض قانونها على جوارها. كما استغرب عامل الصويرة من انهزام فرنسا أمام بروسيا التي كانت مجهولة لديه¹⁰.

6 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 18، وكيين : «ألمانيا...» ص 17 - 18.

7 . المرجع الأخير ص 31 (4).

8 . نفس المصدر ص 32 (1).

9 . كيين : «ألمانيا...» ص 20.

10 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 111 والمصدر الأخير أيضا.

15. لودفيغ بيتش : Ludwig Pietsch صحفي رافق سفارة فيبير إلى فاس سنة 1878 التي صدر له فيها تأليف عن المغرب¹¹.

16. أدولف فون كونرينغ A. von Conring كولونيل أقام طويلا بإسبانيا، وكان عميلا لدار كروب. وصل إلى طنجة في ماي 1878 وظل بالمغرب مدة خمسة أشهر وتجول بأطرافه. وكان يريد أن يعقد مع المخزن صفقة لبيع مدافع كروب.

وصل إلى أسفي يوم 3 يوليوز فاستقبله ابن هيمة عاملها وانتظرا صدور الاذن لهما للذهاب إلى مراكش التي سافرا إليها يوم 21 منه ووصلا إلى العاصمة يوم 25 من نفس الشهر، وقدم للسلطان جهازا للتلفون وآخر للمدفعية وغيرهما. وكان برفقتهما تيتين Tietjen كاتب المفوضية وألماني آخر هو أوطو فينزل. وعلى الرغم من أن مهمته كانت دراسة الشؤون التجارية فقد زعمت صحف إسبانية أنه جاء لتطبيق الاتفاق الذي أبرمه الطبيب ابن هيمة خلال سفارته من أجل منح ألمانيا موقعا بالشاطئ الأطلسي. وقد نشر سنة 1880 بمدينة برلين كتابا عن رحلته بالمغرب انتقد فيه المخزن ودالوين وجون هي اللذين أفضل مهمته¹².

17. الدكتور أوسكار لنس Oskar Lenz رحالة وعالم جيولوجي وجغرافي ألماني أو نمساوي، ولد بليبسيك سنة 1848، وقام برحلة إلى السودان وعبر الجنوب المغربي، بعد أن تعلم اللغة العربية وعوائد المسلمين. وصل إلى طنجة في نونبر 1879 وزار كلا من تطوان وفاس ومكناس وغيرها.

ولكنه في السنة الموالية ساح بالجنوب المغربي سياحة لفائدة «الجمعية الافريقية بألمانيا» قاده إلى مراكش عن طريق فاس ومكناس والرباط، ثم صعد إلى جبال الأطلس، مارا بتارودانت وسوس والصحراء، ودامت الرحلة ثلاثة أشهر قبل الوصول إلى تمبوكتو وأندر. رافقه الحاج علي بوطالب والترجمان الأسباني كريستوبال بينيبيث C. Benitez الذي كان تعرف عليه خلال مقامه بتطوان والذي كان أحد الذين عاشوا بالمغرب منذ الصبا حتى تعلم اللغة العربية. وأثناء رحلته سمى نفسه الحكيم عمر بن علي، وكانت قافلته متركبة من 7 أشخاص و 7 جمال، وكاد يذهب ضحية اعتداء لولا لباقة ترجمانه في انقاذه¹³.

نشر لينس كتاب رحلته بعنوان «رحلة من مراكش إلى الصحراء والسودان» المطبوع سنة 1881، ذكرا فيه عيوب الادارة المغربية، ومطالبها باحتلال البلاد، وترجم الكتاب إلى عدة لغات منها الفرنسية¹⁴.

11. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 927.

12. كيين : «ألمانيا...» ص 20 و 82 و 118، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 92 و ج 4 ص 25، وهنري ده لامارتيبيير : «ذكريات...» ص 112.

13. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 132.

14. جان إيس : «قضية المغرب» ص 35.

وخلال سفره إلى الجنوب والصحراء مر بمدينة تارودانت. ولما علم السلطان بجوازه بعث بتأنيب إلى الحاج عمر بن سعيد المتوكي الذي أذن خليفته للسائح وصحبه بالتنقل في تلك النواحي. ومما جاء في رسالة السلطان : «بلغنا أن رجلا ورد لُردانة في شهر ربيع الثاني سمى نفسه علي بوطالب، وذكر أنه من أقارب الحاج عبد القادر، ومعه نصراني من دولة أليمان، وأنهما يريدان الذهاب لبلاد السودان بأمر شريف زعما أنه عندهما وأن خليفتك وجه معهما من يصحبهما حتى يخرجنا من تراب إياتك، مع معرفته ما في توجههما لتلك النواحي من المخاطرة بالنفس والمال، والغرر بهما كما لا يخفى، وأنه شاع وذاع عنهما أن تحتكما مالا له بال.

«وعليه، فهذا كله يعد من غباوة ذلك الخليفة وتهوره وبلادته... فإن خليفتك المذكور ارتكب أمرا إمرأ، وأرهق نفسه عسرا... والحاصل... فإن النصاري اليوم، منذ نزل النجليز في سواحل وادي نون، تشوفوا لهنالك... وعليه فاجعل الجواسيس والارصاد على من يرد منهم لهنالك...»¹⁵.

18. ياكوب شودت J. Schaudt تجول بالمدن الداخلية عدة سنوات. وفد على المغرب سنة 1879 واستمر في تجواله حتى سنة 1883، فزار المغرب الشرقي بحثا عن المعادن بإيعاز من هيسنير التاجر الألماني بطنجة، وحمل معه عينات من الأحجار. وكان قبل وصوله إلى المغرب مستخدما بشركة السكك الحديدية بألمانيا. ولما طرد من عمله التحق بأمريكا، ثم انخرط بالليف الأجنبي بالجزائر وهرب منه والتحق بفجيج. ثم لما حل بطنجة سنة 1879 توظف في فندق بالمدينة. وفي يناير 1880 غادرها إلى مراكش بوصفه دليلا للرسم النمساوي لدين Ladein وتجول خلال سنتين بجنوب المغرب وشماله، مدعيا اعتناق الاسلام، وأقام شهرين بزاوية درقاوة، وعاش عيشة المغامرين.

ولما عاد إلى طنجة في يناير 1883 دون قصة صغيرة عن رحلته نشرت بألمانيا بوصاية فيبير عليه. ثم شارك في رحلة كويدنفيلدت، وخلالها اختفى أثره، ولم يعد كلام عنه، ولربما قتله اللصوص¹⁶.

19. ماكس كويدنفيلدت M. Quedenfeldt ضابط صف متخصص في علوم الأنساب. ولد بألمانيا سنة 1851 وغادر الجيش سنة 1877 لأنه كان راغبا في القيام برحلة استكشافية، ومات سنة 1891 ببرلين متأثرا بالحمى التي أصابته بالمغرب. وهو رحالة جاب أقطارا مختلفة في رحلات دراسية بالجزائر وتونس وطرابلس وصقلية وآسيا الصغرى.

أما بالمغرب فقام بعدة جولات زار في أولها الريف وتطوان والأطلس الكبير، وأقام بمراكش ثلاثة أشهر، وجمع ما استطاع من معلومات عن الجيش المغربي، وذلك من أكتوبر 1880 إلى يوليو 1881. وعاد للمرة الثانية سنة 1883 ونزل بالدار البيضاء وترافق معه كارل فيكة ثم أبحرا إلى الصويرة. ورجع للمرة الثالثة سنة 1885 مكلفا من لدن أكاديمية ألمانية، وصاحب ياناش إلى وادي نون في مارس 1886 في رحلة السفينة الألمانية

15. رسالة السلطان في 16 جمادى الثانية 1297/26 ماي 1880، «الوثائق» ج 3 ص 498.

16. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 166 و ج 4 ص 26 وكذلك كيبن «ألمانيا والمغرب» ص 84

«كوطروب Gottrop». والرحلة الرابعة تجول فيها بإقليم سوس من أبريل إلى يوليو 1887. وبعد أن مكث عدة أسابيع بجزر الخالدات قصد طرفاية.

كما أنه زار المحلة الشريفة التي كانت مرابطة قرب آسفي، واندس في صفوف السلطان بفضل وساطة سعيد بن قدور الذي تعلم بألمانيا سابقا وقضى خمسة أسابيع بمراكش. وكان كلما عاد إلى بلاده يلقي محاضرات عن مشاهداته وينشر مقالات عن رحلاته¹⁷.

ولما كان بالمغرب سنة 1886 اشترى مكحلتين من صنع المغرب، فأراد وسقهما إلى بلاده من الدار البيضاء. لكن الأمناء منعه من ذلك، فالتمس تيستا من المخزن تسريحهما له، لأن منعهما ليس منصوصاً عليه¹⁸.

20. فيلهلم كوبيلت W. Kobelt عالم ورد سنة 1881 وتجول بتطوان وطنجة¹⁹.

21. شفيكر . ليرخنفلد Schweiger - Lerchenfeld زار المغرب سنة 1882 ونشر كتاب رحلته²⁰.

22. فان دريخت van Dricht مهندس طبوغرافي سمي نفسه سي مصطفى، وكان مخبرا لقنصل إسبانيا بالصويرة، كما كان سنة 1886 مخبرا لتيستا بأحوال حركة السلطان إلى سوس حيث كان مرافقا له²¹.

23. ل ه فايس L. H. Weiss كان سنة 1886 موجودا بتارودانت²².

24 - 26 : كيوم بيكمان G. Beckmann ورفيقاه : أنطوان ده ملر وهنري فنستهورف هم ثلاثة أولهم من سطاتسبرت وثانيهم من موسبورغ وثالثهم من مدينة فيسمبورغ Wissemburg. كانوا بمدينة مليلية، ولما خرجوا منها في أواخر ماي 1885 تعرض لهم عشرة أشخاص من جوار المدينة فرجموهم وأصيب واحد منهم بحجرة كسرت له سنا ثم قبضوهم وآهانوهم ونهبوا لهم ماكان تحت أيديهم من أموال وأوراق ولباس ثم سرحوهم، فاعتقلهم أناس آخرون وذهبوا بهم إلى أحد قواد الناحية الذي سجنهم أربعة أيام. وكانوا يصرحون له أنهم قاصدون مدينة طنجة، فأرسلهم تحت الحراسة إلى عامل آخر أبقاهم عنده يومين، وبعد ذلك وجههم إلى عامل فاس الذي سجنهم سبعة أيام في أروى ثم استخدمهم في بستان كبير مدة عشرين يوما، إلى أن تمكن اثنان منهم من الفرار، بينما بقي ثالثهم الذي كان معطوبا في رجله، فوصلا بشق الانفس إلى طنجة بعدما قاسياه من الجوع والحرمان حسب رسالة المفوضية التي ختمت تقول : «فالآن نطلب من جنابكم أن ترسلوا - دون تعطيل - رقاص إلى

17. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 157، وكين : «المصادر الأروبية وتاريخ المغرب» في «البحث العلمي» العدد 10 ص 108 و«ألمانيا والمغرب» ص 121.

18. رسالة تيستا إلى الطريس في 5 يوليو 1886 / 2 شوال 1303، تطوان 4/48.

19. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 127، وكين : «ألمانيا...» ص 924.

20. كين : «ألمانيا...» ص 938.

21. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 353 (2).

22. نفسه ج 4 ص 172 (7).

حكومة فاس لاجل إرسال الرجل الثالث - الذي بقي في الغرصة - في كل حفظ إلى طنجة. وإذا حصل له أدنى ضررا نجعل الدرك على المتسبب...»²³.

فما كان من الطريس إلا أن كتب إلى عامل فاس رسالة أجابه عنها بأنه كلف «مقدمي حومات فاس 18 بالمبالغة في البحث والتنقيب عن هذا النصراني وتحقيق قضيته، فبدلوا المجهود في ذلك. وغاية ما تحصل أن هؤلاء النصارى كانوا طرقوا هذه الأرض قبل كالسواح على هيئة لم يميز معها نصرانياتهم إلا النادر من الناس، وأقاموا هنا أياما قلائل يدورون في البلد ولا مقر لهم معين. وكان واحد منهم بعرضة أدخله إليها مالکها من أهل فاس ظاناً به أنه من العلوج الذين يحسنون عمل اغتراس الأشجار، فلم يجد عنده معرفة بذلك وفارقه، وسافر جميع الثلاثة من هذه الأرض دفعة أو تتابعا ولم يبق لهم هنا خبر ولا أثر...»²⁴.

27. رينولد فاكنر : Reinhold Wagner مهندس عينه ببسمارك لاجراء مباحثات مع المخزن لشراء تجهيزات عسكرية من معامل كروب من أجل التحصينات التي ينوي المخزن بناءها بالرباط والصويرة، وإبرام عقدة بذلك. أقام بالمغرب من يونيو إلى غشت 1886 فوصل إلى الرباط، ثم انتقل إلى الصويرة لوضع التصاميم. وكان مبلغ المصاريف المقدرة 30 مليوناً من الفرنكات : نصفها للأبراج والنصف الآخر للعتاد والتجهيز. وقد كلف المخزن كلا من الحسين بن خلوq والميلودي الزيادي بترجمة الوثائق والخرائط والرسوم التي بلغت نحو المائة.

كان هذا العمل تمهيدا لأشغال المهندس روطنبورغ. لكن الظاهر أن هاته المهمة فشلت لأنها أثارت حسد معامل السلاح بفرنسا فعملت على إحباطها بواسطة تاجر طنجي هو العربي بن أحمد أبارودي الذي ذهب إلى فرنسا وقابل بعض الوزراء ورجال المخابرات مدعياً أنه مكلف من لدن السلطان بالتفاوض من أجل نيل سلف مقداره 40 مليون فرنك لشراء أسلحة وإنجاز أشغال تحصينات بالثغور، فاتصل بالكولونيل ده بانج de Bange مدير شركة كاي Cail ووعده بتفضيله على كروب، والواقع أن أبارودي لم يكلف بشيء²⁵.

بلغ الخبر إلى السلطان الذي أمر بعض العمال بالقبض عليه ومنهم عامل الصويرة الذي أجاب : «وصلنا كتاب سيدنا الشريف أمرنا فيه بالبحث عن العربي أبرودي الطنجي والقبض عليه وتوجيهه أصلاً لحضرة سيدنا الشريفة في كبله.

«فيعلم سيدنا... أننا بحثنا عنه فأخبرنا بأنه كان ورد للصويرة قبل هذه الأيام في بابور وأقام بها ثلاثة أيام، وسافر في بابور آخر بقصد النزول بمرسى الجديدة ومنه يتوجه لمراكش. ولما بحثنا عن سرحه ليسافر في البحر.. أخبرنا أن رئيس المرسى هو الذي سرحه...»²⁶.

فكتب إلى عامل الجديدة بالقبض عليه إن وصل إليها من الصويرة²⁷.

23. رسالة ملحمة إلى الطريس في 23 يوليوز 1885، تطوان 25/48 حيث تصعب قراءة أسماء هؤلاء الغرباء ومواطنهم.

24. رسالة عبد الله بن أحمد إلى الطريس في 27 شوال 1302 / 9 غشت 1885، تطوان 185/70.

25. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 440 (7) وكين : «ألمانيا...» ص 160.

26. رسالة الزركراكي إلى السلطان في 10 ربيع الثاني 1304/6 يناير 1887، الترتيب العام.

27. جواب الجراري إلى السلطان في 6 جمادى الأولى 1304/31 يناير 1887، نفس المحفظة.

ومادما نتحدث عن أبارودي فلنشر إلى أنه كانت له علاقة بترجمان بأحد معامل السلاح بفرنسا اسمه أنجيلي Angeli، غير أنه أنكرها مطلقا بعد استنطاقه من لدن الطريس بعد ذلك «وحلف أمامنا باليمين التام وأن هذا الأمر لم يقع منه، ولا يذكر لا تسلف دراهم ولا شراء مدافع، وإنما هذا كله محض كذب...»²⁸ من أنجيلي الذي يبدو كأنه من رجال المخابرات.

وكان وزير فرنسا قد كتب إلى النيابة السلطانية رسالة يذكر فيها أن أبارودي قد اشتكى لديه بباريس «بالضرورة والظلم الذي وقع له مع واحد الرومي المسمى أنجلي، وكان مراده أن يحصله بحباله في شبكة عظيمة... وفي هذه الأيام بلغني خبر وأن أنجلي المذكور يريد أن يقيم الدعوى...»²⁹.

ولم أقف على ختام هذه القضية، وربما عفا عنه السلطان الذي ارتضى بعد شهور أن يكون أبارودي والأمين بريشة مشاركين بأحد معارض فرنسا³⁰. وأخيرا أشير إلى أن أبارودي صار سنة 1899 محتسبا بطنجة بعد وفاة والده³¹.

وقد سقت هاته النبذة عن هذا الضابط الألماني وأدرجت معه التاجر الطنجي لأن الحديث عن الأخير وارد في بعض الوثائق.

28. ريشارد ياناش : R. Jannasch ولد بألمانيا سنة 1845 وتوفي سنة 1919. كان من أول الألمانين الذين فتحوا باب استعمار المغرب. وقد ألف سنة 1887 كتابا عن ارتياد المركب «كوطروب» بالجنوب المغربي. وكانت حادثة هاته السفينة تحولا حاسما في تاريخ التسرب التجاري الألماني بالمغرب.

كانت السفينة سريعة وحمولتها 320 طنة، وكان تاريخ تشييدها هو سنة 1883. ياناش كان زعيم البعثة، وكان بصحبته عدد من الألمانين مثل كويدنفيلدت سالف الذكر، وفالديمار فون هوندت Waldemar von Hundt والفريد كابيسيوس A. Capesius وماكس شفيرت M. Schwert. وكان مجموع ركابها تسعة أشخاص، وكان يقودها القبطان أ. ليتشن A. Letschen.

وفي 5 يراير 1886 غادر ياناش وصحبه مرسى هامبورغ على متن «كوطروب»، وألقت السفينة مرساتها بالصويرة من 12 يراير إلى 7 مارس. وبعد أن حاول الركاب النزول بوادي نون أول مرة فأخفقوا، رجعوا بالسفينة إلى الصويرة ريثما يحصل تحسن في أحوال الجو التي منعتهم، وغادرت المرسى ووصلت إلى أسفي والجديدة والدار البيضاء حيث حملت معها كارل فيكة.

ثم رجعت ثانية إلى قرب وادي نون بحثا عن موقع بنهر الشويكة (= الشبيكة ؟). وعلى الرغم من تحذير السلطة، لم يهدل ياناش عن تأسيس مركز تجاري هناك. وكانت

28. جواب الطريس إلى فيرو في 21 رمضان 1304/13 يونيو 1887، تطوان 59/38.

29. رسالة فيرو إلى الغسال في 19 رمضان/11 يونيو، تطوان 59/38.

30. نسخة رسالة إلى فيرو في 27 صفر 1306/2 نونبر 1888، تطوان 51/40.

31. رسالة عبد الرحمان بن عبد الصادق إلى السلطان في 21 شعبان 1316/4 يناير 1899، الوثيقة 9784

«الكوטרروب» تحمل معها المعدات الضرورية (مثل سكة حديدية مصغرة ومعها قاطرات، ومنزل مفكك ومكيف، ومضخات ومدافع وسيارات حديدية وكثير من المنتجات الصناعية بألمانيا)، وكان ذلك كافيا لتأسيس مستوطنة، حسب تعبير ويطنال الذي أضاف أن ياناش كان قد أجرى اتصالات مع شيوخ وادي نون لكي يحصل على قطعة أرضية ببلادهم في الرحلة الأولى.

وفي المرة الثانية حاول الطاقم النزول، لكن المركب انقلب وهلك رجلان غرقا، والسبعة الباقون رجعوا إلى البر سباحة، فسقطوا سجناء طيلة شهر واقتيدوا إلى السلطان الذي كان وقتئذ بجنوب أكادير، ولكنه عفا عنهم وسرحهم بوساطة سفير ألمانيا فوصلوا إلى طنجة وانتهى أمرهم وعاد ياناش إلى بلاده³².

وجاء في رسالة سلطانية أن هؤلاء توجهوا لرسم الجغرافية وأن الباخرة لم تأت للتجارة وأن ابن بيروك قد استخلصهم بالمال من أيدي القابضين عليهم وأنه أمر بتوجيههم إلى الصويرة³³.

29. كوستاف فولفروم : G. Wolfrom وفد على المغرب سنة 1889 ولبت بضعة أشهر³⁴.

30 - 34 : هوبيرت يانسن H. Jansen وجه في مهمة سنة 1890 ونشر بحثا عنها. وبول شنييل P. Schnell له دراسة نشرها سنة 1892 عن الجيولوجية بشمال المغرب وجبال الأطلس وسوسين : Socin أستاذ اللغة العربية بألمانيا أقام هنا سنة 1894 أو قبلها، وهانس سطومة H. Stumme أستاذ اللغة العربية قام بثلاث رحلات من سنة 1894 إلى 1897، ودرس اللهجة السوسية ونشر كتابا سنة 1899 بمدينة ليسينغ، وأ. فيشر A. Fischer أستاذ تجول سنة 1898 بكل من طنجة والرباط والدار البيضاء وأسفي والصويرة ومراكش³⁵.

35 - 37 : كورت فلوريكه K. Floericke عالم في الجيولوجية كلفه متحف العلوم الطبيعية ببرلين بالتقاط عينات من الصخور. وصل إلى طنجة في أكتوبر 1898، واشترك مع الدكتور سالمون الفرنسي في بيع بطائق الحماية. أقام عدة شهور بمراكش وظل بالمغرب حتى سنة 1900، ثم ساح بالجنوب حتى وادي الذهب، وميسنر Meissner أقام بطنجة مدة شهرين سنة 1901. وهو مثله مثل فيشر سالف الذكر، وكلاهما اشتغل في أبحاث لغوية وجمع المخطوطات وكتابة قصص محلية، وكوست Koest عالم طبيعي زار سنة 1899 ناحية العرائش والرباط ودرس غابة المعمورة³⁶.

32. مينيخ : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 124 و ج 3 ص 336، وكين : «ألمانيا...» ص 132 - 134.
33. رسالة السلطان إلى الطريس في 19 رجب 1303/23 أبريل 1886، تطوان 148/4، ومثلها في الموضوع رسالتان سلطانيتان إلى الطريس في 4 و 22 رجب/8 و 26 أبريل، تطوان 136/4 و 150/4.

34. مينيخ : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 177.

35. كين : «ألمانيا والمغرب» ص 924 و 524 و 930.

36. أيضا ص 524 و 525 و 921.

38. تيوبالد فيشر : Theobald Fischer أستاذ الجغرافية بجامعة ماربورغ ولد سنة 1846 بألمانيا وتوفي سنة 1910، وأشرفت الجمعيتان الجغرافيتان بفرانكفورت وبرلين على توجيهه في رحلتين إلى المغرب سنة 1899 و1901. كان فيشر جوالاً، جاب جميع أقطار أوروبا تقريباً في سنوات السبعين، وتخصص في جغرافية بلدان إفريقيا الشمالية فزار تونس والجزائر سنة 1886، ثم وجهته الجمعية الجغرافية ببرلين في رحلة أولى إلى المغرب سنة 1899 زار خلالها أصيلة وطنجة والقصر الكبير ثم التحق بمختلف المدن الشاطئية حتى الصويرة، ثم هياً له ماور النائب القنصلي قافلة إلى مراكش ونواحي الأطلس وبعدها رجع إلى الرباط وفاس ومكناس وطنجة.

وفي المرة الثانية وصل إلى طنجة في يراير 1901 ثم زار المدن الساحلية ونواحيها. تركت الجولة الأخيرة صدى كبيراً بألمانيا وغيرها، ونال عن ذلك وسامين رفيعين. كان فيشر يبحث في شؤون المناخ والمياه والجيولوجية، ولكن غرضه الأساسي كان خدمة المصالح الألمانية. وطالب بلاده بالاستيلاء على الناحية الواقعة بين المحيط وبين جبال الأطلس، وله أقوال كثيرة في هذا المجال³⁷.

والوثائق المغربية التي تسميه تيودور وليس تيوبالد تحدثت عن رحلته قليلاً. فقد طلبت المفوضية الأذن له بجولة في المغرب سنة 1901 ولاسيما «بقبائل الأيالة السعيدة من ثغر الصويرة إلى الشياظمة وعبدية وأحمر ودكالة والشاوية، وكذا بقبائل الغرب من الرباط إلى طنجة. فسوعد على ذلك، وكتب الظهير الشريف لعمال القبائل المذكورة بالاعلام بذلك».

ولما ذكر عامل الصويرة عياد المنبهي أن السائح رحل يوم 3 مارس 1901 صحبة طبيب بقنصلية ألمانيا بالدار البيضاء يعرف اللسان العربي للترجمة عنه، دون مرافقته بمخزني يحميه من لحوق ضرر به، كذب ذلك سفير ألمانيا ذاكرًا أنه كان مصحوباً بعون حكومي³⁸.

39. بحري بوادي نون : جاء في رسالة سلطانية أنه أُلقي عليه القبض قبل 25 حجة 1317 بعد أن نزل من قلوكتة بالقرب من سواحل وادي نون، فطلب نائب ألمانيا توجيهه إلى قنصله بالصويرة في الأمان، وأنه بعد بحث السلطات هناك بأنه عثر على رجل يذكر أنه نصراني، لكن لم يعرفه عامل الناحية ابن بيروك «من أي جنس هو، غير أنه يطوف بالسواحل، وبأنه تحت يده، ثم أجاب عن أمره في شأنه بأنه وجهه لخليفة عامل الصويرة» الذي كلمه «فوجده مسلماً حنيفياً مختوناً، كالمجذوب، ولا يتكلم إلا إذا هدد، ويضطرب في جوابه كأنه مختل. وأحضر قنصل الألمان والعدول والحجامين وعائنه واختبروه فتيقنوا بأنه مسلم مختون، وكلمه القنصل بنفسه وبواسطة ترجمانه فألفي لسانه عربياً، وأشهد أنه ليس بحرياً لهم وأنه مسلم، وسلمه يذهب حيث شاء»³⁹.

37. نفس المصدر ص 525 - 527 - 528 - 530 - 531.

38. مجموعة رسائل مخزنية منها رسالة عبد الكريم بنسليمان في 12 فعدة 1318/3 مارس 1901 وجواب وزير ألمانيا البارون فون مينسكن في 26 مارس 1901.

39. رسالته إلى الطريس في 15 جمادى الأولى 1318/10 شتنبر 1900، تطوان 128/18.

③ من إنجلترا

1. جيمز كري جاكسن : J. Grey Jackson رحالة قدم إلى المغرب صدر القرن التاسع عشر، له كتاب طبع بلندن سنة 1814 عنوانه : «عرض عن إيالة مراكش : An Account of the Empire of Morocco».
2. أرثور دي كيبل بروك : A. de Capell Brooke السير بروك تجول بالمغرب سنة 1830 و 1831 ودخل تطوان وطنجة والعرائش¹، له تصنيف عن المغرب وإسبانيا طبع بلندن سنة 1831 عنوانه : «Sketches in Spain and Morocco».
3. سكوط أوكونورفيل : Scott O'Connorvil له كتاب ألفه سنة 1842 عن معاشرته للحاج عبد القادر بن محيي الدين عنوانه : «يومية إقامة بسمالة عبد القادر وسفريات إلى المغرب والجزائر : A Journal of a Residence in the Esmalia of Abdelkader and of Travels in Morocco and Algiers»².
4. جون ديفيدسن : J. Davidson طبيب زار سنة 1830 وادي درعة وتمبوكتو، وكانت له علاقة بالبيروك، جاء معه رسالة الملك إدوارد الرابع إلى مولاي عبد الرحمان مؤرخة في 13 يراير 1835. وكان يريد إنشاء مركز تجاري بالجنوب يربط بين جبل طارق وإنجلترا. وتوفي سنة 1836 مغتالا بنواحي طاطة³.
5. جون ريتشاردسن : J. Richardson دخل الصويرة سنة 1844 وحاول مقابلة السلطان لمطالبته بالعدول عن الاسترقاق⁴.
6. ديفيد أوركهارت : D. Urquhart ديبلوماسي ورحالة زار شمال إفريقيا سنة 1848، ونشر كتابا في مجلدين بلندن سنة 1850 عنوانه : «أعمدة هرقل أو قصة رحلات إلى المغرب وإسبانيا : The Pillars of Hercules; or a Narrative of Travels in Spain and Morocco»⁵.
7. طوماس هودجكين : T. Hodgkin طبيب توفي سنة 1866 بفلسطين، وكان مرافقا لمونטיפيور إلى مراكش سنة 1863 وصديقه الحميم، ألف عن رحلته كتابا طبع سنة 1871 بنيويورك عنوانه : «قصة سفر إلى مراكش : A Narrative of a Journey to Morocco»⁶.

1 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 79.

2 . نفسه.

3 . كذلك ج 1 ص 97 وج 3 ص 80 وعبد الهادي التازي، في «البحث العلمي» العدد 26 ص 18.

4 . مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 159.

5 . نفسه ج 1 ص 172 و ج 2 ص 200 (3).

6 . كذلك ج 1 ص 121.

8. جيمز كريك : J. Graig مهندس كان في خدمة المخزن وقضى بعض الوقت بمراكش، كما أقام بأسفي والصويرة من سنة 1863 إلى 1868. وكان له اختصاص في علم الأرصاد الجوية، وله تأليف⁷.

9. رينولدز بيل : E. A. Reynolds Balle زار طنجة سنة 1870 ووصف جمالها⁸.

10. 12 : جون بول : J. Ball وماو Maw والسير ج د هوكر J.D. Hooker علماء نباتيون قاموا جميعا سنة 1871 برحلة دراسية وجغرافية ومروا عن طريق دمنات ودخلوا وادي أمزميز⁹. وأشهرهم هو الأخير الذي له تأليف مشترك مع بول صدر سنة 1878 عن جولتهما بالأطلس الكبير، والذي ولد سنة 1817 وتوفي سنة 1911. وعنوان الكتاب هو : «مذكرة جولة بمراكش والأطلس الكبير : Journal of a Tour in Morocco and the Great Atlas».

13. و ب سكوط : W. P. Scott ضابط كان نائبا قنصليا للولايات المتحدة بطنجة، وقد ألف كتابا عن سفارة القنصل العام الأمريكي إلى فاس سنة 1871 حيث كان مرافقا له. وله مقالات صحفية كان يوقعها باسم «ابن طارق»¹⁰.

14. آرثور ليرد : A. Leard طبيب زار المدن الشاطئية سنة 1872 وأقام بالصويرة ومراكش وطنجة، ورافق السفارة البرتغالية إلى قصر السلطان. وله تأليف¹¹ في 354 صفحة طبع بلندن سنة 1891 بعنوان «المغرب والمغاربة : Morocco and the Moors» لخصه عبد المجيد بنجلون في «جولات في مغرب أمس : 1872».

15. روبيرط س واطسن : R. S. Watson نشر بلندن سنة 1880 كتابا في 328 صفحة عنوانه : «زيارة لوزان : A Visit to Wazzan»¹².

16. بريد ألين (?) في أواخر 1880 تجول صحبة زوجته ليزي Lizi وأخيه كيمبل Campbell والضابط كوردن Gordon، وطلب السفير البريطاني تسهيل مهمة «لورط أبريد ألين أحد مجلس سلطانتنا» المتوجه «إلى فاس ومكناس وبعض من المراسي بقصد المسارات ولينظر ما يتفق له في طريقه للأماكن المذكورة، ومعه زوجته ليزي أبريد ألين وأخوه المحترم كنبل وقبطان كزذن، الاثنان المذكوران هما فسيائس في محلة عسكر الجبال بجبل طارق»¹³.

17. ضونالد ماكينزي : D. Mackenzie تاجر إسكوتلاندي أسس «شركة نورث ويست أفريكان : North West African company» للتجارة بمركز طرفاية، وحل بالمغرب سنة 1872، وعاش به عقودا طويلة وفي فترات متقطعة.

7. أيضا ج 1 ص 94.

8. نفسه ج 1 ص 68.

9. أيضا ج 1 ص 68 وده لامارتينيير : «تكريات...» ص 240.

10. ميج «المغرب وأروبا» ج 1 ص 73 و 167.

11. أيضا ج 1 ص 130.

12. عبد الحميد لطفي : «مراجع بالانجليزية حول المغرب» مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد 3 - 4 ص 302.

13. رسالة جون هي إلى النائب السلطاني في 31 دجنبر 1880.

وكان أحد أنصار الأعمال الانسانية لمناهضة الاسترقاق، ومن الذين كانوا يطالبون حكومة بلادهم بالتدخل الاقتصادي بالمغرب. وكان إلى جانب ذلك على اتصال بأعضاء البعثات البروتستانتية¹⁴. فقد أعان ماكينطوش على الاستقرار بطنجة، ولفت الأنظار إلى شمال إفريقيا منذ سنة 1881. ومما قاله في هذا المعنى : «أظن أن الوقت قد حان ليعنى المنصرون البروتستانتون بشمال إفريقيا أكثر مما فعلوه حتى الآن»¹⁵.

استهل عمله بالسعي في الاستيطان التجاري بطرفاية سنة 1872، فسافر صحبة مجهز سفن يدعى كيمبل Campbell وتطوف بساحل إفريقيا الغربي، وبدأ الحديث عن محاولته منذ سنة 1880 من أجل الاستيطان هناك. ولما كانت طرفاية مقابلة لجزر الكناريا، كان الاسبانيون أول من أثاروا الحديث عنه. وجاء في رسالة سلطانية إلى النائب بركاش : «وصلنا كتابك... في شأن الهرج الواقع بجزر كنارية لأجل مكينسي النجليزي... بأننا لن نسكت للنجليز على مكينسي، بل لازال الكلام معهم في ذلك. وقد تكلمنا مع باشادورهم في شأن من ذكر والمحل الذي نزل به، فادعى أن ذلك المحل خارج عن إيالتنا، فلم نقبل منه ذلك ورددناه عليه... ومن جملته : الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير إذننا، وتعرفه مع قبائل إيالتنا افتياتا، وجعل الدرك عليه في كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات، لا في الرعية، ولا في الديوانات، ولا في غير ذلك، لمخالفته للشروط والقوانين... والتأكيد عليه في الكلام مع دولته في غلق أبواب المضرة التي فتحها ماكينسي، بإنهاضه من تلك الناحية... وهذا إذا بقي مكينسي هناك، وإلا فمؤونته كفيت.

«وأنت أيضا، أشر علينا بما يظهر لك في توجيه باشادور لدولة النجليز، بقصد الكلام في ذلك»¹⁶.

لكن يبدو أن ماكينزي انسحب مؤقتا، وكان حتى سنة 1882 لا يزال واضعا برأس جوبي (أي طرفاية) شيئا من بضائعه. فقال السلطان لبركاش :

«وصل كتابك بأن نائب جنس النجليز كتب لك في شأن رأس جوبي الذي به مكينسي... من أن وزير دولته في أمورها البرانية أمره بإعلام حضرتنا الشريفة بأن عددا كثيرا من أمتعة رعيته بالمحل المذكور يتعين على المخزن الأمان والتحفظ عليها، وإلا فيكون دركها عليه إن وقع ترامي عليها، بسبب إظهار السطوة المخزنية على المحل المذكور.

«فأجبتة عن ذلك بما في النسخة التي وجهها، من أن توجيهنا بعض خدامنا لرأس جوبي المذكور لنا الحق فيه، حيث هو من تراب إيالتنا. وإذا كانت به أمتعة لرعيته، فإنه ليس بمفتوح للتجارة....

«وقد قدمنا لك الكتابة في ذلك بما في النسخة طيه، ووجهنا لك تقييد ما أجاب به مكينسي الموجهين من حضرتنا الشريفة لذلك المحل، لما تكلموا معه فيما اشتغل به من البناء فيه»¹⁷.

14. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 136.

15. مبيج : «البعثات...» ص 155 - 156.

16. رسالته في 22 رمضان 28/1297 غشت 1880، في «الاتحاف» ج 2 ص 333.

17. رسالته في 16 قعدة 29/1299 شتنبر 1882، صورتها عند نهليل في «رسائل شريفة»، اللوحة 61.

وبعد 6 سنوات من ذلك، أي أواخر سنة 1888، راج حديث آخر عن ماكينزي. فقد حاول النزول مرة أخرى بطرفاية. لكن معركة دارت بينه وبين السكان لم تكن تستهدف إلا الدفاع عن المكان من هجوم ماكينسي صاحبة آخرين من الانجليزيين، فمات منهم وكيله موريس Morris وجرح آخران. ومما يدل على الدفاع المشروع أن السلطات ردت للمغيرين أمتعتهم، ومن جملتها «خاتم من ذهب وكابوس ومكحلة وجهها القائد دحمان بن بيروك»¹⁸.

وقبل ذلك، وقع شنتان بين السلطات المخزنية وبين كرين الذي طالب بتعويض عن خسارة الشركة، وجرح التاجرين، ومقتل الوكيل. فقد «قتل التاجر موريس بالطرفاية، وهجم على أصحابه، وطلب نائب الانجليز 50 ألف إبرة معاوضة للشركة الانجليزية التي بطرفاية»¹⁹، كما طلب عقاب القتاتلين. وأمام فظاعة الأحداث وجهت الحكومة وفدا إلى طرفاية، وأجابت السفير في قضية القصاص من القتاتلين أن الأخيرين من الأعراب الذين لا يمكن قبضهم، لأنهم مثل الطيور لا يستقر لهم قرار، ولأنهم كافحوا المهاجمين، وأن ما وقع للشركة التي كانت تدخل المواد المهربة الممنوعة إنما وقع لها بالبر²⁰.

وجرت مفاوضة بين كرين والمخزن على أداء تعويض للجريحين ودية القتل. فبعد أن طالب السفير بـ 50 ألف جنيه، أشار السلطان على الطريس : «تفاصل معه على ما دون 25 ألف ريال» في رسالة أولى. وفي رسالة ثانية قبلها قال : إنه يعتبر هاته الدية تعويضا «لزوجة النجليزي المقتول بالمحل المذكور وللجرحى. وما تدعيه الكبانية من الخسارة في تجارتها بالمحل المشار إليه : إن كان لاحق لها فيه، فلا التقات لدعواها، وإن ثبت لها حق يعطاها. وعلمنا... أن غاية ما أذعن له في المعاوضتين معا هو خمسة وعشرون ألف ريال»، قسمها السلطان في رسالة ثالثة إلى «20 ألفا لأولياء الدم، مساوات مع الفرنصيص و 5 آلاف للجرحى»²¹ أو على الأصح للجريحين الاثنين حسب روجرز²².

وحيث كان القدر المتفق عليه من أجل الدية وتعويض الجريحين باهظا، لم يتيسر لأمناء مرسى طنجة أدائه من وفرها، فأمر السلطان أمناء مرسى الدار البيضاء بتسديده من وفر الميناء²³. وتشدد كرين في المطالبة، فسدد المخزن التعويض منجما على خمس سنوات، دفع الشطر الأول منه سنة 1890 من وفر الدار البيضاء، وقدره 10.000 جنيه أو 5 آلاف ريال²⁴.

أما قضية طرفاية فلم تفصل إلا سنة 1895 بأن شفع المخزن زينة المركز التجاري هناك، وذلك بأداء 50 ألف ليبرة نصفها مُعجل، ونصفها عند الحيازة، باتفاق أمضاه الحاجب

18. رسالة غريبط إلى الطريس في 29 ربيع الأول 1306/3 دجنبر 1888.

19. رسالة السلطان إلى الطريس في 29 ربيع الثاني 1306/2 يناير 1889، وكذلك روجرز : «تاريخ...» ص 277 و 288.

20. رسالتان إلى كرين في 29 ربيع الأول و 4 ربيع الثاني 1306/3 و 8 دجنبر 1888.

21. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 جمادى الأولى 1306/15 يناير 1889 صورتها في ص 140 من «السيادة...» لمحمد بن عزوز حكيم.

22. روجرز : «تاريخ...» ص 281.

23. رسالته إلى الطريس في 14 رجب 1306/16 مارس 1889.

24. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 رمضان 1308/15 أبريل 1890.

وزير إنجلترا ساطو. وفي بداية 1896 دفع أمناء الجديفة النصف الباقي الذي قدره 25 ألف جنيه²⁵، فسويت المسألة نهائيا.

وختاماً أذكر أن ماكينزي كان له سماسة ووكلاء لم ترد أسماؤهم في لوائح المحميين السنوية. وكان من بينهم وكيل له سنة 1892 اسمه الشريف الحاج علي بن أحمد الطالب²⁶ الذي أظنه من أهل النواحي الصحراوية.

وظل ماكينزي يتردد على المغرب حتى سنة 1916 حيث كان في تلك السنة عميلاً لشركة إنجليزية تدعى إشييتيك بيطروليوم : Asiatic Petroleum²⁷.

لماكينزي مراسلات ومقالات نشرت في صحف طنجة وإنجلترا، وله تأليف منها واحد عنوانه : «غمر الصحراء : The Flooding of the Sahara» طبع بلندن سنة 1877 وزعم فيه أنه لو وصلت مياه المحيط الأطلسي بالوهدة الكائنة بالصحراء الغربية لأمكن بلوغ السودان من أفضل طريق.

18. فليب د طرؤطر : P. D. Trotter قبطان جرب جهاز الفونوغراف أمام مولاي الحسن سنة 1880، غير أن المسؤولين الذين كانوا ييغضون هذا الاختراع أخفوا أبواقه²⁸. له تأليف صدر بإنجلترا عنوانه : مهمتنا في بلاط مراكش سنة 1880 Our Mission in the Court of Morocco .

19. هـ | كولفيل : H. E. Colville ضابط تجول بالمغرب متنكراً صحبة زوجته، فزار فاس ووجدة وطنجة والعرائش سنة 1877 وبعدها ونشرت تقاريره سنة 1880 بلندن²⁹. ومن تأليفه كتاب عنوانه : جولة بملابس نسوية وأخفاف : A Ride in Petticoats and Slippers .

20. هـ. هيلديارد : H. Hildyard ضابط رافق سفارة جون هي إلى مراكش سنة 1882 وكتب عنها³⁰.

21. هيو ستوفيلد : Hugh Stufield ساح في بعض المدن سنة 1882 و 1885 ونشرت كتبه بلندن وصف فيها طنجة ووزان والقصر الكبير وفاس ومكناس والرباط والصويرة³¹.

22. إدوارد والتيم : E. Waltham زار فاس ووصف في كتيب طبع سنة 1882 مقامه بها عنوانه : «رحلتنا إلى فاس : Our Journey to Fez»³².

25. رسالة السلطان إلى الطريس في 4 رمضان 18/1313 يبرابر 1896، «دار النيابة» ع 4، ص 65.

26. محمد الغربي : «قضية الصحراء...» ص 23 و 81 (نسخة مرقونة).

27. تقرير مينار قنصل فرنسا بطنجة في 15 دجنبر 1916 (نسخة مرقونة) ص 16.

28. روجرز : «تاريخ...» ص 242.

29. ميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 92.

30. نفسه ج 1 ص 121.

31. أيضا ج 1 ص 169.

32. عبد الحميد لطفى : «مراجع...» ص 302.

23. 24 : س هـ الن C. H. Allen و ج ف كراوفورد J. V. Grawford وردا على المغرب سنة 1886 للبحث في قضايا الاسترقاق، وكانا على صلة بشركة نورث ويست أفريكان في مسألة الاستيطان التجاري بطرفاية³³.

25. وليام ويلسن هند - سميث : W.W. Hind-Smith زار مدينة طنجة وفاس سنة 1886 وله تأليف³⁴.

26. ن ر س وودفيل : N.R.C. Woodville رسام قضى نحو الشهر بطنجة ثم انتقل إلى القصر السلطاني ونشر سنة 1887 مقالاته³⁵..

27. هيرولد كرايطن براون : H. Crichton Browne تجول بالمغرب سنة 1888 أو قبلها وصدرت عليه وصاية³⁶.

28. جوزيف طومسن : J. J. Thomson وصل إلى المغرب في ماي 1888 وتجول بالأطلس وسوس ونشر سنة 1889 كتاب رحلته بلندن³⁷ في 488 صفحة عنوانه : «سفریات إلى الأطلس وجنوب المغرب، قصة ارتياد : Travels in the Atlas and Southern Morocco, a Narrative of Exploration

29. ر م كوست : R. M. Cust تجول في ربيع سنة 1891 وألف عن رحلته كتابا، فرد عليه بودكيت ميكين³⁸.

30. ولطرب هيريز : W. B. Harris ولد بلندن سنة 1860، واستوطن طنجة سنة 1887، ورافق كرين في سفارته إلى مراكش. وكان مراسلا لجريدة «الطايمز» بالمغرب قرابة 40 سنة، وكانت له معرفة باللغة العربية التي كان يتحدث بها. إلا أنه شخص متقلب الأطوار : كان عينا للسفارة البريطانية حتى انفصل عنها سنة 1903، ثم صار عميلا لفرنسا التي وصفته مفوضيتها بالكذاب المختلق. كما أن ألمانيا استخدمته لرصد الأخبار. وقد اندس في حاشية مولاي عبد العزيز، ولعب دورا في حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد جاب خلال المغرب فزار كلا من وزان وشفشاون وفاس ومراكش³⁹ وغيرها، وتجول بالنواحي للبحث التاريخي والعلمي. جاء في رسالة كرين سنة 1890 أن «ولطرب هيريز الإنجليزي يريد السياحة بهاته البلاد للاطلاع على تواريخها في الزمان الماضي، وعلى مولداتها... وخصوصا فيما يوجد بهاته البلاد من أنواع الأحناش التي فيها الرغبة من علمائنا. وليس من طبقة العسكر، ولا مدخل له في أمور المخزن...»⁴⁰. وكان يطلب الرخصة كغيره ولاسيما لما ذهب سنة 1894. صحبة زوجته إلى فاس⁴¹.

33. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 58.

34. أيضا ج 1 ص 121.

35. كذلك ج 1 ص 177.

36. رسالة غريط إلى الطريس في متم صفر 1306/4 نونبر 1888، تطوان 26/28.

37. فيسجيربير : «علي عتبة...» ص 99 وده لامارتنير : «ذكریات...» ص 241.

38. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 96.

39. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 119.

40. رسالته إلى غريط في 3 يونيو 1890/14 شوال 1307، محفظة المغرب بريطانيا.

41. رسالة الطريس إلى عبد السلام المقرري في 24 شعبان 1311/2 مارس 1894، الترتيب العام.

ولم يكن مهتما بالصحافة والبحث التاريخي فقط بل اندس في حمايته للمغاربة. ففي سنة 1893 كان مقدم زاوية تامصلوحت سمسارا له⁴².

له مقالات وتصانيف أهمها كتابه : «المغرب البائد» أو «Morocco that Was» الذي تحدث فيه عن السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ وأحمد الريسوني.

31. هـ كورني : H. Gurney له رحلتان : الأولى سنة 1891 والثانية سنة 1897. ومع أنه كان من أعضاء جمعية محاربة الاسترقاق فقد كان من أنصار إضفاء الحماية على المغاربة⁴³.

32. هيريمان : Harriman لما كان يجول بنواحي فاس سنة 1891 نهب له أفراد من قبيلة فشتالة أمتعته⁴⁴.

33 . 34 : ا هـ كليني E. H. Glenny و ج رودرفورد : J. Rutherford زارا المغرب عدة مرات، وقد ألف الأخير منهما مقالات وكتباً عن الحركة التنصيرية⁴⁵.

35. ج ر ب كونيנקام : G. R. B. Cunningham تجول في بعض المدن، وكان بمراكش رفيقاً لوالطر هيريز. ورحل إلى تارودانت فاعتقله الكندافي عشرة أيام. وكان مناهضاً لكل تدخل أجنبي في شؤون المغرب. وله كتابات ومقالات نشرت في هذا الموضوع في نهاية القرن الماضي⁴⁶.

36. سبليزبوري : Spilsbury ضابط قضى مدة بطنجة على أنه مندوب عن رابطة المضاربة العالمية بهاته المدينة في رواية أولى، أو نائب عن شركة كلوف فينتشور سنديكيت Glove Venture Syndicate التي كان مقرها بلندن في رواية أخرى.

والحقيقة أن هذا الميجور لم يكن إلا مغامراً ومهرباً للسلاح. ففي أواخر سنة 1897 استأذن المخزن في التجارة بالجنوب، وانتظر الجواب، ولما لم يخوله الرخصة اكرتري سفينة بريطانية تدعى «تورملين : Tourmaline» وشحن على متنها ميرة وأقواتاً، ودس فيها أسلحة وأعتدة عددها 5.000 بندقية وقراية مليون خرطوشة. وألقت الباخرة مرساتها بنواحي وادي نون (أصاكة في رواية، أو أركسيس في رواية أخرى) وذلك في 17 يناير 1898، ثم نزل إلى البر مخاطباً الرؤساء المحليين على أنه تاجر وعميل لشركة كلوف.

وكان مصحوباً بألماني وإنجليزي وبرتغالي، زيادة على مغامر نمساوي هو كايلينغ، وكان مع الرفقة ترجمان يهودي مغربي. وبلغ الخبر إلى السلطات المخزنية التي وجهت إلى عين المكان السفينة المغربية «الحسني» وعلى ظهرها مائة جندي، ولما وصلت استولت على البضائع المهربة. فأطلق رئيس السفينة الأجنبية عيارات ثم فر. أما الميجور فقد سقط بعد مقاومة شديدة رهن الاعتقال واقتيد مع البحارة، وحملوا جميعاً إلى مرسى الصويرة حيث سجنوا.

42. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 23 (2) وص 357.

43. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 118.

44. تقييد في شوال 1308 / ماي 1891، الترتيب العام.

45. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 114 و 163.

46. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 96.

وقامت قائمة الصحف البريطانية والطارقية من أجل الافراج عنه، وظلت جريدة «جبرالطار كرونكل»، ولاسيما في أعدادها الصادرة في يوليو 1898، تنادي بإخلاء سبيله، بل إن أعضاء مجلس العموم استجوبوا الحكومة عن أسباب هذا الاعتقال مطالبين بأن تحال القضية على محكمة بجبل طارق⁴⁷.

هذا هو ما جاء في مصادر أجنبية. أما الوثائق المغربية فقد خصصت لذلك مجموعة اقتطف من بعضها ما يحل ويفصل هاته الحادثة ومثالها، ويرجع تاريخها إلى ما قبل قليلا.

قال عامل الصورة للطريس إنه ظهر مركب بسوس «بسواحل أيت باعمران يدور بين أركسيس وبين إفني. وقد نزل منه إنجليزي كان بمراكش اسمه ميجور. ولما وصل للصويرة تلاقى مع ولد الراطو Ratto وتلاهي عليه وأخذ منه طرفا من المال وجمع بينه وبين رعا صبوية... وواعده بإغراء إخوانهم على قبول دخوله لتراهم وتعيين محل للبناء والحوث...»⁴⁸. وكان هذا تمهيدا للرحلة إلى سوس.

ثم بلغ للمخزن خبر من موشي أفلاو القاطن بإنجلترا بواسطة إسحاق أبصور أن المركب «تورملين» سيتوجه من لندن إلى مرسى أصاكة يوم 2 دجنبر 1897 وعلى ظهره وسق السكر والشمع والشاي هدية إلى أشياخ سوس⁴⁹.

وصدرت الأوامر لقواد سوس ومنهم سعيد الكلوي بجعل الأرصاد والعيون على نائب الشركة الذي يريد الخروج هنالك والذي هيا مركبا مشحونا بالعدة والقرطوس، زاعما أن له اتفاقا مع كبراء القبائل⁵⁰.

وجاء في رسالة علي بن الحاج ذكر لهذا البابور ولحمولته فقال إن «وكيل كبانية النجليز... توجه من اللوندريز مظهرا أنه قاصد ناحية كنارية ومنها لناحية الهند، فتوجه لناحية أخرى من بلاد النصاري واشترى بابورا صغيرا وحمل فيه 10.000 من المكاحل ونصف مليون من القرطوس، ولم يتحقق عدد الأدمي المحمول معه، وتوجه قاصدا النزول بسواحل وادي نون بقصد تفريق العدة بقرطوسها مجانا على من يزعم موافقتهم على النزول هنالك وتكفلهم بصيانتهم... فقد أخذنا الاحتياط منه...»⁵¹.

وانصرفت مدة ألقى خلالها القبض على خمسة منهم، فكتب نائب إنجلترا إلى المخزن مؤكدا على توجيههم إلى طنجة لاجراء الحكم اللازم عليهم حسبما يستفاد من رسالة طويلة من السلطان إلى الطريس جاء فيها بالخصوص : «وحيث أمعنا النظر في مثال هؤلاء المساجين وهو توجيههم على كل حال رجحنا إجابة رغبتهم الآن لوجه... وقد أصدرنا أوامرنا الشريفة للخديم الكلوي بتوجيه المساجين وما نزل معهم من بابور الكبانية من العدة

47. روجرز : «تاريخ...» ص 300 وفيسجيربير : «على عتبة...» ص 89 وكايي : «النوادر المغربية»، السلسلة الثالثة، ص 109 وما بعدها.

48. رسالة علي بن الحاج إليه في 15 ربيع الأول 1315/14 غشت 1897، تطوان 37/81.

49. تقييد في 5 رجب 1315/30 نونبر 1897، تطوان 24/141.

50. رسالة السلطان إليه في 6 شعبان/31 دجنبر، الترتيب العام.

51. رسالته إلى الطريس في 17 شعبان/11 يناير 1898، تطوان 149/98.

والقرطوس والسلعة واصلا ذلك لخدامنا أمناء مرسى الصويرة... ليوجهوا... بحرا في بابورنا السعيد «الحسني» مع مكحلة مثال من العدة إن كانت نوعا واحدا، وإلا فواحدة من كل نوع، وكذلك القرطوس والسلعة ليكون ثقاف المساجين علي يدك ويد نائب جنس النجليز حتى ينعقد مجلس الحكم عليهم وينفذ.

«وقد رشحنا الخديم القائد عبد الله ابن سعيد السلوي لتولية مباشرة الكلام مع نائب النجليز في القضية علي أن يكون يتفاوض معك ومع الخديم بناصر غنام فيما يأتي وما يذر.. مشافهة...»

«فأمر أن تقوم معه علي ساق الاهتمام والاعتناء... مع مزيد التيقظ وإيقاد الفكرة لكل ما يعين علي إقامة الحجة ليستعد بذلك... في فصل هذا الخطب الهائل، مع عدم قبولكم من الخصم أدنى انحلال فيما اشترطه جانب المخزن من إلزام الكبانية أداء الصائر والذعيرة...»
«وقد بلغ علمنا الشريف أن الكبانية المذكورة لازال بابورها يروج في البحر بقصد ترصد الغرة في إنزال ما حملة البابور المذكور من العدة وغيرها بناحية وادي نون إن أمكنها، وإلا فببعض المراسي القريبة من ناحية طرفاية...»⁵².

وجاء في رسالة أخرى بعد يومين : «فقد كتب التاجر موشي أفلاوا من الوندريز عدة مكاتيب متواصلة بشرح مالا زالت عليه الكبانية النجليزية من التصميم علي إنزالها العدة بناحية وادي نون أو بمرسى قرب طرفاية تعرف بالصينولية بسانطياكوا...»⁵³ Santiago .

وهذه رسالة سلطانية إلي الطريس حول المحاكمة والمعاوضة وما نتج عن المذاكرات الأولية فيها : «وشرح ابن سعيد في المباشرة مع نائب النجليز مشافهة... وحصر كلامه مع النائب في طلب المعاوضة والصائر فقط دون تعرض للكلام في مقتضيات الشرع والطبع لئلا يلزم عليه ما يفوت معه تحصيل الغرض المقصود في القضية. وعرفنا ما شرحته من ورود المساجين صحبة البابور «الحسني» ودفعك إياهم لنائب النجليز...»

«وحيث كان لابد من نصب الوكيل ليتقوى به وكيلهم علي إقامة الحجة... فلتعينوا الوكيل الذي باشر قضية بوصوف، ولتزيدوا إعانة له عبد الحكيم التونسي إن كان لا بأس به في إعانة الوكيل...»

«وأما الشهود فقد أصدرنا أمرنا الشريف لعامل الصويرة بتوجيههم بحرا واصلين ليد الخديم الطريس، فلتحضوهم علي التثبت في الشهادة طبق ما شهدوا به...»⁵⁴.

وتكميلا للحجة وجه عامل الصويرة وأميننا التعشير بها 37 مكحلة وصندوقين من قرطوسها، وجعل الكل في 4 صناديق أرسلت علي ظهر المركب الفرنسي لاموز⁵⁵ La Meuse.

52. رسالته في 10 قعدة/2 أبريل، تطوان 60/16.

53. رسالة في 12 قعدة/4 أبريل، تطوان 152/24.

54. رسالته في 21 حجة/13 ماي، تطوان 65/16.

55. رسالتهم إلي الطريس في 2 محرم 1316/23 ماي، تطوان 2/82.

④ من إسبانيا

1. فرانسيسكو دومينكو باديا إي ليبليتش : F. D. Badia y Leblich أو علي باي العباسي عميل إسباني ولد ببرشلونة سنة 1766 وتوفي في فاتح شتنبر 1818 ببادية الشام في قلعة البلقاء قرب مدينة الزهراء. تلقى مبادئ العربية بمدرسة العلوم الوقتية بجامعة بلنسية، وتزود بثقافة كبيرة، وكان يعرف عدة لغات كالفرنسية والانجليزية والاطالية.

ولما كان مغرما بالرحلات اقترح عليه كودوي Godoy رئيس الحكومة الاسبانية سنة 1801 أن يقوم لصالح لبلاده بجولة استطلاعية بالمغرب، فأجابه إلى طلبه سنة 1802 وأبرما اتفاقا بينهما.

وكان من قبل قد عرض خدماته على وزير خارجية فرنسا ده طاليران de Talleyrand، فكلفه نابوليون بونابارط بأن يقترح على مولاي سليمان مساعدة على استرجاع مليلية وسبتة مقابل الاعتراف به ملكا على إسبانيا، فاتفق ده طاليران مع المغامر وشجعه على عمله، وكتب إلى كيبي Guillet فنصل فرنسا بطنجة لكي يشد عضده.

غير أن المصادر لا تدلي ببيان عن خدمته لفرنسا. أما عن تعامله مع إسبانيا فقد بدأ يستعد لرحلته، وخصص ملكها معاشا سنويا لأسرته قدره 3000 فرنك، فسافر إلى لندن وانتحل أسماء مزورة مثل علي باي العباسي أو علي بن الشريف العباسي أو علي بن التاجر عثمان الحلبي وتلقب بالجنرال أو بالشريف العباسي، نسبة إلى خلفاء بني العباس.

وتوجه بعد ذلك إلى قانس فتزيا بزي التجار المسلمين وحل بطنجة في يونيو 1803 مثقلا بالتحف إلى العاهل والأمراء والحاشية السلطانية. وصل إلى مراكش وتظاهر فيها بالنقوى والورع والسخاء حتى أحبه الناس، فكان لا يخرج الصلوات الخمس عن أوقاتها، وكان يقوم في الفجر لأدائها، وكان يطعم كل يوم اثني عشر مسكينا ويكسيهم، وكان يدعي أنه جاء من بلاد الكفر إلى بلاد الاسلام ليختم بها حياته. فظفر بثقة رجال المخزن ورضى السلطان الذي أهدى إليه ضيعتين بالسملالية من أحواز مراكش وجارية بيضاء ووصيفة لها سوداء، غير أنه اعتذر عن الدخول بها، فقال إنه ألى على نفسه ألا يتأهل إلا بعد أداء فريضة الحج، سيما والنساء ثرثرات.

وقد اجتمع بالسلطان عدة مرات فاقترح عليه في واحدة منها منح إسبانيا مينائين على المحيط والانعام عليها بامتيازات اقتصادية لقاء مساعدته على الخارجين عليه، وحاول استدراجه إلى عقد حلف معها. لكنه لم ينجح ولو مرة واحدة في مساعيه، بل كان جواب مولاي سليمان أن عرض عليه قيادة محلة مغربية لمحاربة إسبانيا بسبتة.

وخلال مقامه بالمغرب استوطن مدة مدينة فاس ومكناس، وفي سنة 1804 ذهب إلى الصويرة وأخذ يتخابر مع خصوم السلطان. وكان في تلك الاثناء يتلقى تعليمات من الجهات التي أرسلته والتي أصدرت إليه الأوامر للالتحاق بوجدة لتهبيج قبائل المغرب الشرقي، فوصل إليها في غشت 1805 واستقبله بنو يزناسن استقباهم لولي من أولياء الله.

غير أن الشكوك بدأت تحوم حوله، فارتاب العاهل في نيته ولو لم يشك في صدق إسلامه، ونفس الريبة خامرت قلوب قناصل الدول بطنجة ومنهم ممثل بريطانيا العظمى الذي كان يظنه أحد العلماء الذين رافقوا نابوليون في حملته على مصر. وفي نفس الوقت أخذت إسبانيا تخشى افتضاح أمره، فعدلت في آخر لحظة عن تأييده في مشروعها، واعترض الملك كارلوس على تنفيذه. وهكذا قرر السلطان إرسال محلة إلى المغرب الشرقي لاستردادها، فأعيد عند ما كان متوجها إلى تلمسان، وعومل باحترام، واستأذن مولاي سليمان في الذهاب إلى الحج فسافر من مرسى العرائش في أكتوبر 1805، ومن هاته المدينة حملته سفينة إسبانية إلى مرسى طرابلس (لبنان) فحج وزار ودخل مصر وفلسطين والشام حيث كانت وفاته. وفشل مشروعه فشلا ذريعا¹.

له كتاب في ثلاثة أجزاء يروي فيه قصة رحلاته إلى إفريقيا وآسيا عنوانه : «Viajes por Africa y Asia»

هذا ما ورد عنه في الكتب المطبوعة، أما في الوثائق فتوجد إشارات توضح بعض الجوانب من مغامراته. إذ بعد عقود طويلة راج الكلام عنه وعن متخلفه سنة 1886 في رسالة كثيرة اللحن لادواردو دي كوبياس قنصل إسبانيا بالعرائش الذي ذكر فيها للخليفة السلطاني بفاس أنه «فيما مضى من الأزمنة سنة 1220 كان ورد للمغرب رجل يسمى علي بن الشريف العباسي من أرض الشام من مدينة حلاب بقصد زيارة أمير المومنين مولانا سليمان... وكان دخل فاس، وهو الذي وضع ترجمة حصّة الشمس بجامعة القرويين. وقد ألف في علم التنجيم ما لا يزال بالمسجد الأعظم المذكور وبغيره، وقد أخبر بما سيقع في السنين المستقبلية من أوقات الكسوف والخسوف وغير ذلك.

«وبعد توجهه إلى مراكشة لزيارة مولانا سليمان، فلما اجتمع معه واختبره وجده أحاط بجميع العلوم، فاستحسن الملك حاله، وبألف في إكرامه وضيافته، ثم نفذ له دارا بإزاء المدينة تسمى بالصمغة العالية، وبداخل المدينة دارا كانت لأحد عمال دكالة. ثم أمر له بزوجة تسمى أم هانيء ووصيفة تسمى تيكمو. فأعرض الشريف عنهما لكونه عال على نفسه ألا يقرب امرأة مادام في سفره إلى أن يحل محله، فلا زال يساعده أخي الملك بقبولهما إلى أن أدخلهما الدار. فلما بلغ إبان الحج طلبه من السلطان المنصور بالله، فأجابه إليه وبألف في إكرامه وجهزه إليه.

«فلما بلغ مرسى العرائش نزل بها بأولاده وتركهم بها والزوجة حاملة، وتوجه في البحر إلى حج بيت الله الحرام. فلما قضى مناسكه قصد مدينة اصطنبول، فأكرموا أهلها، ثم سار يجرى في الأرض ويسوح في المدائن والبلدان إلى أن أتاه اليقين رحمه الله، فحاز من كان معه حاضر جميع متخلفه، إلى أن ظهرت بمدينة مدريد رسوم ما ترك من الأملاك ببعض

1 . ينظر عنه : «ميج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 19 (3)، وجاك كايي : «نواذر المغرب»، السلسلة الثانية، ص 142 . 146، وعبد القادر الخلاوي : «علي باي العباسي» في «دعوة الحق» عدد يونيو 1971 ص 167 - 171، وعبد الهادي التازي : «حول الشريف العباسي أو الجنرال دومينكو»، نفسها، عدد يناير 1973 ص 141 - 143.

المدائن. وأما الزوجة بقت بعده أياما بالعرائش وقصدت مدينة فاس، فاستقرت بها إلى أن زاد عندها صبي يسمى عثمان بن علي الـ [حلـ] بي، فاشتغل بصناعة غزاز البالي لضعفه وغربته، فلا زال بها إلى أن توفي هذه نحو العشرين سنة أو خمس وعشرون سنة.

«والآن، سيدي، فالمطلوب من سيادتك مبالغة البحث عنه ومطالعة علمنا بما ترك من الأولاد ذكورا وإناثا، وكم عددهم؟ وما حرفتهم؟ وبأي محل سكناهم؟...»².

ومثل هذا ورد في رسالة مولاي إسماعيل إلى الطريس بعد ذلك بأيام قليلة، وقد وجه معها نسخة من كتاب القنصل، طالبا منه أن يستوعبه ويخبره هل يساعد القنصل على مطلبه³. فكان الجواب «بأن الكلام في مثل ذلك للورثة والشرع، والمخزن عليه التنفيذ»⁴.

ولم يرد شيء عن مثال هاته القضية التي تتعلق بإسباني لا بعالم شامي.

وأشير ختاماً إلى أن الاسبانيين كانوا قد نصبوا له تمثالا بطنجة لم يزحزح عن مكانه إلا في السنين المتأخرة⁵.

2. **كليمانتي روخاس : C. Rojas** أو **محمد بن علي** كان أستاذا للحفريات وارتبط بعلي باي بصداقة بينهما. وقد وجه تقريراً لأكاديمية التاريخ (لأنه كان متتبعا لحركة الاستكشافات الأثرية بمصر) وفيه ضمن معلوماته وأبدى رغبته في القيام برحلة إلى المغرب ومنه ينطلق إلى أعماق القارة الأفريقية التي ارتادها بالفعل في رحلة استغرقت أربع سنوات قطع فيها 18 ألف كيلومتر⁶. ولم أقف على تاريخ حلوله بالمغرب ولا على مكان إقامته أو عبوره.

3. **فرانسيسكو دي أريستيراو : F. de Aresterazu** كان يعرف بسيدي عبد القادر بن الجلاي، وكان أستاذ اللغات، تجول بالمغرب في منتصف القرن التاسع عشر وألف عن تاريخه وعوائده.

4. **خواكين كاتيل : J. Gatell** أو **القائد إسماعيل** وهو من مواليد سنة 1826، وكانت وفاته بقادس قبل 1879 بسنوات، وخلف مذكرات تولت طبعها الجمعية الجغرافية بمدريد في السنة الأخيرة. وكان محاميا درس القانون بمدينة برشلونة التي تعلم فيها اللغة العربية.

فضى وقتا بالجزائر ودخل المغرب قادما من جبل طارق سنة 1861، وكانت له روابط مع الحاج عبد السلام الوزاني. وقد انخرط بالجيش المغربي سنة 1862، وقام بسياحة في المدن الداخلية والشاطئية كفاس ومكناس ومراكش والرباط وأسفي وتجول بالحوز وأكادير وتارودانت. وخلال وجوده بسوس اعتقل بأولاد تايمه سنة 1868 فتدخل الحاج عبد الكريم بريشة لاخلأ سبيله وتسليمه ليد قنصل بلاده بالصويرة⁷.

2 . رسالته في 24 جمادى الأولى 1303/28 يراير 1886، تطوان 23/37.

3 . رسالته في 7 جمادى الثانية/13 مارس، تطوان 8/31.

4 . رسالة في 25 رجب/29 أبريل، تطوان 9/31.

5 . جريدة «العلم» عدد 16 شتنبر 1984.

6 . محمد الخطيب : «حول مقال علي بيه» في «دعوة الحق» العدد 226، ص 8.

7 . فيرناندو بالديراما مارتنيث : «خواكين غاتيل، رحالة المغرب» مقدمة تعريب هذا الكتاب المطبوع بنطوان سنة 1954، وميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 113.

5. خوسي ماريا دي موركا إي موكارتيجي : J. M. de Murga y Mugartegui أو الحاج محمد البغدادي رحالة ولد بإسبانيا سنة 1827 وتوفي بقادس في فاتح دجنبر 1876. استوطن المغرب من 1863 إلى 1866 ورحل عنه، ثم عاد إليه سنة 1873 دون رحلته التي نشرت عدة مرات أولها سنة 1868 بمدينة بيلباو بعنوان : «نكريات لمسلم من بيتكاي : Recuerdos del moro vizcaino»⁸.

6. أنطونيو باريخا سيرادو : A. Pareja Serrado أو أبو جبل قام سنة 1868 بجولة بالمغرب فزار سبتة وتطوان وفاس وبعض المدن الداخلية وألف كتابا عن «مستقبل إفريقيا»⁹.

7. فيرنانديس دورو C. F. Duro ولد بإسبانيا سنة 1830 وتوفي سنة 1908، كان عضوا بالجمعية الجغرافية بمدريد. له تأليف ودراسات كثيرة عددها 392 في مواضيع متنوعة. وقد شارك سنة 1878 في أشغال اللجنة المغربية الإسبانية لتحديد موقع سانتا كروث¹⁰.

8. خيمينيس ساتورنيو G. Saturnino مكتشف ومراسل لعدة صحف بمدريد منذ سنة 1883. كان وكلا لألمانيا، وله ضلع في سياستها بالمغرب في بداية القرن العشرين¹¹.

9. إميليو بونيلي E. Bonelli ضابط مستعرب اختارته حكومة بلاده لاحتلال بعض مواقع الجنوب، فوصل إلى بوجادور سنة 1884 على رأس طابور، فارتضا حمايته على رؤساء القبائل الذين التقى بهم، ومؤسسا مركزا تجاريا ومعملا لتمليح السمك بالداخل. وكان سفره على متن السفينة الحربية «سيريس Ceres» وصحبه فيها القبطان بيدرو دي لا بوينتي P. de la Puente¹².

10. فيليبي أويلو إي كناليس F. Ovilo y Canalis طبيب أقام طويلا بالمغرب الذي ورد عليه سنة 1889 بوصفه ملحقا بالمفوضية بطنجة، وكان بها مديرا لمدرسة طبية، وقام بأدوار مختلفة. كان صحافيا ومراسلا لبعض الصحف الأجنبية، له عدة تأليف¹³.

8 . المصدر الأخير ج 1 ص 146 وج 3 ص 119 (8).

9 . أيضا ج 1 ص 54 و 151.

10. كذلك ج 1 ص 106.

11. أيضا ج 1 ص 114 وكيين : «ألمانيا...» ص 922.

12. محمد بن مصطفى الغربي : «قضية الصحراء...» (نسخة مرقونة) وكذلك مذكرة إسبانيا لدى محكمة العدل بلاهاي، الكتاب الرابع، 1975 (نسخة مرقونة).

13. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 150 وج 4 ص 219 (4).

⑤ من فرنسا

1. أنطوان بوريل : A. Burel. في 16 ماي 1808 بعث نابوليون الأول كتابا إلى دوق بيرك Berg نائبه بإسبانيا يدعو فيه إلى البحث عن يكلفه بحمل رسالة إلى السلطان المقصود منها باطنيا إحباط النفوذ البريطاني بالمغرب.

فوقع اختياره على القبطان بوريل الذي كان يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره وكلفه بأن «يلاحظ كل شيء بفاس وفي الطريق بصفته مهندسا»، وبالتقاط جميع المعلومات العسكرية، وبوصف حالة التحصينات وطبيعة الأرض وقوة الجيش المغربي وعدد السكان. وكان بوريل قد شارك من قبل في حملات نابوليون على مصر وإيطاليا، وأصبح في مارس 1808 ملحقا بالقيادة العليا الفرنسية بإسبانيا.

وفي 23 ماي 1808 خرج من مدريد فوصل إلى طنجة يوم 27 منه ووجد في استقباله بها أورنانو Ornano قنصل فرنسا الذي قدمه للغد إلى محمد بن عبد السلام السلاوي نائب السلطان وعامله على الشمال.

وانتظرا الاذن لمقابلة السلطان حتى نودي عليهما. ففي غشت 1808 غادر أورنانو وبوريل عاصمة الشمال قاصدين فاس بعد رجوع السلطان من حركة بجمال الريف. كان الوفد الفرنسي متركبا من ضابطين بحريين ونائبين قنصلين وجراح وخمسة عشر خافرا وثلاثة مستخدمين، فوصل الوفد إلى مكناس يوم 13 غشت وإلى فاس يوم 18 منه.

فاستقبل مولاي سليمان الضابط والقنصل الذي قال له : إن الامبراطور الفرنسي صديق كبير للسلطان، وأن يد الله تهدي نابوليون الذي جمع تحت إمرته الشعوب النصرانية. ثم قدم إليه القبطان الذي جاء محملا برسالة من ملكه والذي خطب أمامه، ثم ناوله رسالة نابوليون إليه، وبعد ذلك انصرفا.

وَاللغد طلب منهما أن يترجما رسالة نابوليون فترجمت للفور، ثم التمس أورنانو مقابلة خاصة من لدن السلطان، فأجيب بأن شقيقه مولاي عبد السلام سيستقبلهما وأن لهما أن يحدثاه بمثل ما يريدان الكلام فيه مع العاهل نفسه.

وفي عشية 21 غشت تحدثا مع الأمير طويلا، فذكر أورنانو أن المغرب صار شيئا فشيئا مستعمرة إنجليزية، وأن نابوليون يشتكي كثيرا من خضوع مولاي سليمان لأعداء فرنسا، وأن الجنود البريطانيين احتلوا جزيرة المعدنوس القريبة من سبتة. ثم تكلم بوريل مفيضا في «الصداقة الخائنة دوما» التي يكنها البريطانيون للمغرب.

ولم يكن لكلامهما من جدوى، إذ أجابها مولاي عبد السلام بأن السلطان لن يدع أحدا يؤثر عليه، وأنه ملازم للحياض المطلق.

وفي مساء ذلك اليوم جاءهما أحد مخازنية القصر ليعلمهما بوجوب الرحيل فورا، فاحتج أورنانو وقال إن في هذا السفر دون توديع السلطان خرقا للعوائد. ثم عُيِّن لهما كاتب

سلطاني ليرافقهما إلى طنجة التي وصلا إليها بعد أيام. وفي 13 شتنبر تلقى بوريل جواب السلطان، وظل بالمدينة إلى أن غادرها يوم 27 يبرير 1809، بسبب الحروب التي كانت بالبحر. وانتهت مهمته بفشل ذريع.

وقد جمع بوريل ما طلبه منه نابوليون من معلومات ودونه في «مذكرة حربية» أتم تحريرها بباريس في شهر أبريل 1810 وقدمها لنابوليون يوم 3 يونيو الموالي. وهي تتألف من 69 صفحة مخطوطة وتنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول يتطرق إلى تنظيم الجيش المغربي الذي كان يتركب من 36 ألف جندي، نصفهم بواخر و 8 آلاف من الوداية و 10 آلاف من كروان والعرائش وطنجة والصويرة وتارودانت. وكانت أجرة الفارس 54 فرنكا في السنة وأجرة المشاة 40 فرنكا في السنة لكل واحد. ولم يكن للجنرال المغربي أي زي عسكري، وكان سلاح الجيش متألفا من مكاحل خفيفة وسيوف وخناجر، وكان للطبجية مدافع سويدية صغيرة.

ويشتمل القسم الثاني من مذكرته على «استطلاع حربي». فقد شاهد بوريل التحصينات والأبراج وعرض الأنهار ووسائل قطعها والوصول إلى ضفافها، وكان مروره عن طريق أصيلة والعرائش والقصر وسيدي قاسم ومكناس وفاس. وتحدث عن طنجة فقدر سكانها بخمسة آلاف نسمة منهم 150 أروبا و 800 من اليهود، واعتبر سكان القصر الكبير عشرة آلاف متجمعين حول 14 صومعة، وجعل عدد أهل مكناس أربعين ألفا، وفاس ثمانين ألفا، منهم 5 آلاف يهودي وكثير من الصباغين والدباغين. أما أصيلة فهو يقدر سكانها بـ 100 يهودي وقليل من المسلمين. وقال إن بالعرائش كنائس بناها الأسبانيون. وعن تطوان ذكر أن سكانها ثمانية وعشرون ألفا وأنهم يتاجرون مع قادس وجبل طارق. وقدر مجموع سكان المغرب بعشرة ملايين و 800 ألف نسمة.

وفي القسمين الباقيين تحدث عن البحرية والسكان والتجارة والمناخ فقال إن لمولاي سليمان أسطولا ضعيفا متركبا من فرقاطة واحدة صغيرة وأربعة مراكب وثمانية قوارب للتجديف.

ومن هذا يظهر أن بوريل أعد مذكرة لغزو فرنسا للمغرب¹.

2. شارل كوشلي : Ch. Cochelet ألف كتابا روى فيه قصة أسره وحياته بالمغرب لما حُرِصَت الباخرة «لاصوفي : La Sophie» يوم 30 ماي 1819 بساحل وادي الذهب بين طرفاية وبوجدور، فاستطاع طرف من طاقمها الذهاب إلى جزر الكناريا، بينما سقط الستة الباقون أسرى في يد الصحراويين وهم زيادة على المؤلف : الكومندان شول Scheult وألقبطان سوزا Souza والليوتنان شالومو Chalumeau والبحار أفيلي Affilé والبرطقيزي ميشيا Miscia.

ويحكي جاك كايي نقلا عن المؤلف أن السكان لم يكونوا يحسنون معاملتهم ولا إطعامهم وأنهم ظلوا 18 يوما ينقلون إلى البر حمولة «لاصوفي»، ثم صار السجناء ملكا لرئيس

1. جاك كايي : «النوادر المغربية» السلسلة الثانية، ص 147 - 154 باختصار، وله كتاب حقق فيه مذكرات بوريل عنوانه : «مهمة القبطان بوريل بالمغرب سنة 1808».

صحرأوي يسمى سيدي أحمد الذي سافر بهم يوم 17 يونيو في الفيافي طيلة أسبوعين متجرعين الجوع والعطش والتعب إلى أن باعهم بألفي فرنك - زيادة على النوق والحياء - إلى الشيخ بيروك الذي وصلوا إليه يوم 2 يوليو، فأقاموا بالقصابي نحو ثلاثة أشهر، أجرى خلالها السلطان مفاوضات لأجل الإفراج عنهم الذي تم يوم 29 شتنبر، فغادروا وادي نون إلى تارودانت والصويرة حيث استرجعوا يوم 13 أكتوبر مركبهم وحررتهم.

وذكر كوشلي حالة السجناء ومرضهم وعذابهم فقال إن الشيخ بيروك كان يبر بهم أحيانا مثلما كان يفعله واحد من القبيلة اسمه عمار وآخر من حراس العراصي.

وقد كتب المؤلف إلى قنصل دولته بالصويرة رسالة حملها يهودي اسمه مناحيم كان يسهر على المفاوضة لتحريرهم. فقد كان السلطان قد أمر عامل سوس بإطلاقهم، وأدبت عن كل واحد منهم فدية 500 قرش فغادروا وادي نون برفقة عشرة أشخاص، منهم صديقهم عمار والقائد عبد الكريم وعبد الله بن هاشم نجل القائد المحلي. وكانوا قد أصيبوا بهزال في بدنهم، ولم تكن ملابسهم إلا أسمالا، وكانوا يمتطون بغالا ذات برادع حتى وصلوا إلى دار القائد هاشم فأحسن استقبالهم وقدم لهم كؤوس الشاي وأطباق الكسكس والعسل وتحادث معهم إلى الهزيع الأخير من الليل. وصادف وصولهم يوم ثاني أكتوبر عيد المولد فاستراحوا. وفي العشي أحضر لهم مناحيم أحذية انتعلوها بعد أن كانوا قد ظلوا حفاة أكثر من ثلاثة أشهر، وسلم إليهم عدة رسائل واحدة منها من لدن القنصل الفرنسي إيدوار سوردو. وكان مرض البرطقيزي ميشيا مدعاة لتأخير سفرهم. واستقر الرأي أخيرا على حمله على ظهر بغلة يوم 5 أكتوبر. وبعد يومين وصلوا إلى تارودانت حيث ذهبوا إلى عرصة القائد الجيلالي وقضوا فيها خمسة أيام وفيها التقوا بعلمجين إيطالي وإسباني.

وفي اليوم ذاته جاء الجيلالي يخبرهم بأن مولاي سليمان هو صاحب الفضل في تسريحهم. وفي 8 أكتوبر غادروا تارودانت مارين بأكادير إلى الصويرة التي وصلوا إليها يوم 13 أكتوبر، وصاروا أحرارا بعد أربعة أشهر ونصف من الأسر، وأبحروا إلى طنجة حيث مكثوا شهرين بسبب طاعون كان يجتاح المغرب. ولم يبارح كوشلي وأصحابه المدينة إلا يوم 23 يناير 1820 قاصدين مرسيليا.

وقد طبع كتابه بباريس سنة 1821 في مجلدين بعنوان : «حَرْض المركب الفرنسي لاصوفي : Naufrage du brick français La Sophie»².

3. رني كايي : R. Caillé ولد سنة 1799 وتوفي سنة 1838، وكان أول أروبي زار تمبوكتو. جاب أطراف الصحراء حتى تلك المدينة في يبرابر 1828. وبعد أن قضى مدة هنالك التحق في شهر غشت بقافلة كانت ذاهبة إلى فاس، ومنها التحق بطنجة حيث أبحر إلى مدينة طولون يوم 7 شتنبر. وقد أكرمه حكومته لكونه وصف تمبوكتو وصف عيان.

2. نفس المصدر ص 155 وما بعدها باختصار.

ولما كان بالمغرب تجول في بعض مدنه لابساً لباس المسلمين ومتظاهراً بالاسلام. وقد وصل إلى الرباط يوم 19 غشت قادماً من مكناس على ظهر حمار، وقضى بالمدينة 14 يوماً قبل أن يمتطي حماراً أكثره للسفر إلى طنجة³.

4. أدولف ده كارامان : A. de Caraman رحالة تجول بالمغرب من أبريل إلى يونيو 1825، وهو ضابط استدعاه قنصل فرنسا بطنجة سورديو لمرافقته إلى فاس لتسليم رسالة الملك شارل العاشر إلى السلطان مولاي عبد الرحمان. وله تقاويد ومذكرات عسكرية⁴ عن الجزء الذي تجول فيه بالمغرب نشرت سنة 1844.

5. أوجين دلاكروا : E. Delacroix رسام ولد سنة 1798 وتوفي سنة 1863. كان عضواً في سفارة الكونت ده مورني de Mornay قنصل فرنسا إلى السلطان سنة 1823. وصل إلى طنجة في يناير وخرج الوفد منها يوم 5 مارس ليصل إلى مكناس يوم 10 منه مروراً بأحد الغربية والقصر الكبير وسوق أربعاء سيدي عيسى ابن الأحسن وسيدي قاسم بوعسرية وزرهون، وظل بمكناس مع الوفد. ولما أدت السفارة واجبها رجع معها. له لوحات شهيرة، كما أن له لوحات رسمها خلال مقامه القصير بالمغرب. وله أيضاً دفتر مذكراته طبع سنة 1893 بعنوان : «يومية السفر إلى المغرب : Journal du voyage au Maroc». أما رسائله فقد نشرت سنة 1880⁵.

6. سيكور - دوبيرون : Ségur-Dupeyron طبيب وصل إلى طنجة سنة 1836 ولف عن الأوبئة والمجاعات التي لحقت بالمغرب من 1700 إلى 1839⁶.

7. ريمون طوماسي : R. Thomassy له تأليف عنوانه «العلاقات السياسية والتجارية لفرنسا مع المغرب» طبع عدة مرات ابتداء من 1840 بفرنسا⁷.

8. شارل ديديي : Ch. Didier تجول بالمغرب فحل بطنجة ثم انتقل إلى تطوان ونزل بالملاح، وأخيراً عاد إلى طنجة ليرحل إلى جبل طارق، وكان كل ذلك قبل موقعة يسلي. له مقالات نشرت بمجلة «لي دو موند : Les Deux-Mondes» تحامل فيها على المغرب ونادى بسياسة القوة، ونشر سنة 1844 بباريس كتابه : جولة بالمغرب : Promenade au Maroc⁸.

9. ري : Rey نشر سنة 1844 كتابه : .تذكريات رحلة إلى المغرب : Souvenirs d'un voyage au Maroc. وقد ساح قبل السنة المذكورة فدخل طنجة والدار البيضاء ومكث عدة أسابيع بالرباط وحل بسلا مرة واحدة. وكان متنكراً بجلابة ورافقه رجال من

3. أيضاً ص 144 وما بعدها، وشكيب أرسلان في تعليقه على «حاضر العالم الاسلامي» الجزء الأول ص 261، وكذلك مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 23.

4. المصدر الأخير ج 1 ص 83.

5. لبيل : «المسافرون...» ص 105 و 119 وكايي : «النوادر» ص 188.

6. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 167.

7. أيضاً ج 1 ص 171.

8. نفسه ج 1 ص 110 ولبيل : «المسافرون...» ص 126.

أصحابه. مر بمهدية في طريق عودته إلى طنجة. وبأصيلة لقي علجا فر من جيش الجزائر. وتحدث عن اليهود الذين قال عنهم إنهم كانوا يُحملون على اعتناق الاسلام، وعن يهودية ذكر أنها أسلمت ثم ارتدت فحكم عليها بالموت⁹.

10. أليكساندر دوما (الأب) : A. Dumas الروائي المولود سنة 1802 والمتوفى سنة 1870. قدم إلى المغرب سنة 1846 وتوقف بطنجة وملييلية، وكان مكلفا بمهمة من لدن وزير التعليم الفرنسي. وكان برفقته ابنه وسميُّه المتوفى سنة 1895. وتحدث قليلا في كتابه «له فيلوس : Le véloce» عن رحلته¹⁰.

11. فانساندون دومولان : Vincendon-Dumoulin مهندس وصل سنة 1854 ضمن بعثة فرنسية للبحث عن الماء. وكان مرفوقا بمهندسين آخرين، فمسحت البعثة التي كان يرأسها القنصل شارل ياجرشميد منطقة الشمال بين طنجة وسبتة، وكانوا متظاهرين بالقنص يوم 13 دجنبر ووصلوا إلى مارتيل يوم 20 منه¹¹.

12. نارسيس كوط : Narcice Cott كان ترجمانا لقنصل فرنسا بالرباط حيث مكث سنة 1854 و1855 ثم انتقل إلى طنجة حيث قضى سنتين. له تأليف نشر سنة 1859 بباريس¹² عنوانه «المغرب المعاصر : Le Maroc Contemporain».

13. جان إيرمان دارلاش : J. Herman d'Arlach ألف دارلاش أودارلاك سنة 1856 كتابا عنوانه «المغرب والريف Le Maroc et le Rif». وكان من 1853 إلى 1856 موظفا بقنصلية فرنسا بطنجة¹³.

14. أميدي فيكتور باربيي دوبوكاج : A. V. Barbier Dubocage نشر سنة 1861 كتابه «المغرب : Le Maroc» طالب فيه بتحالف فرنسا مع إسبانيا¹⁴.

15. إيميليان جان رينو : E. Jean-Renou له تصنيف جغرافي صدر سنة 1864 بباريس مطلع عنوانه : «وصف جغرافي للآيالة المغربية...» متحدثا فيه عن إقليم سوس وغيره¹⁵ من النواحي التي لعله ساج فيها.

16. بنجامان بالانسا : B. Balansa عالم نباتي قدم لاتمام البحث الذي أجراه قبله الدكتور ف. كاسون F. Cassone عن نباتات الأطلس الكبير الشمالي. وصل إلى الصويرة يوم 12 أبريل 1867 وغادرها إلى مراكش في 12 ماي متنكرا بزي مغربي، وبها لقي مواطنه بول لامبير، ثم توجه إلى بلاد حاحة فاستقبله قوادها ونصحوه بعدم المغامرة. ومع ذلك ذهب إلى

9. المصدر الأخير ص 122 - 126 باختصار.

10. أيضا ص 129 - 134 بتلخيص.

11. كايي : «النوادر» ص 50 - 54.

12. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 94.

13. نفسه ج 1 ص 63 وجان إيس : «قضية المغرب» ص 29.

14. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 68.

15. شارل أندري جوليان : «المغرب...» ص 511.

إيمين تانوت ثم قصد وادي القيهرة فاستقبل استقبالاً لائقاً. ولما وصل إلى تامصلوحت لقي حفاوة من مولاي سعيد. وقد أوصاه لامبير بالرحيل إلى أسني للاقامة بزاوية مولاي إبراهيم حيث يمكنه متابعة نشاطه العلمي، فوصل إليها في فاتح يونيو. غير أن مولاي سعيد ما لبث أن وجه إليه رسالة يحثه فيها على الرجوع إلى مراكش على عجل. وأثناء الطريق التقى يوم 4 يونيو بجماعة كان على رأسها إبراهيم الجراوي عامل المنشية بمراكش، فضرب أفرادها البغالة وجردوهم من سلاحهم وأمتعتهم. ولما استظهر لهم بتوصية رسمية خف غضب العسكر عنه وردوا له أمتعته، والتحق العالم بمنزل لامبير، وراجت إشاعات عن مصرع بالانسا الذي غادر مراكش يوم 7 يونيو. ولما قص العالم ما وقع له كذبوه. إلا أن إيمي داكاز وزير فرنسا وبومبي قنصلها بالصويرة طالبا بمعاقبة المعتدين الذين أخبر المخزن بأن سبعة منهم قد سجنوا بعد ذلك بثمانية أشهر.

هذا وقد خلف العالم بحثاً نشر بالمجلة الاجتماعية والجغرافية بباريس عنوانه «رحلة من الصويرة إلى مراكش : Voyage de Mogador à Maroc»¹⁶.

هذا ما جاء عنه في مصادر أوروبية. وهناك رسالتان مخزنتان تتحدثان عنه، تقول الأولى «بأن طبيباً من الأفرنسيص ظهر بجبال دير مراكش وطاف بها حتى وصل إلى وادي القيهر وطلب من بعض الأشياخ هناك أن يعطيه من يطوف معه على جبال سكساوة ودويران فلم يساعده وآل أمره إلى الدخول لمراكش بعد أن لقي في طريقه جماعة من الجهال ما سلم منهم إلا بمشقة.

«فلا بد تكلم مع نائب جنسه في ذلك وأعلمه أن هذه الجبال لا يسلكها إلا أهلها ولا يقدر أحد من أجانب المسلمين يمر بها فضلاً عن غيرهم من النصارى، وأكد عليه في الاسترعاء عليهم وإعلامهم أن تلك المحال لا تسلك، ومن سلكها وأصيب فمصيبته في نفسه، لأن سكانها أجلاف عتاة لا يجري عليهم ما يجري على غيرهم من الأحكام...»¹⁷.

وجاء في الثانية في شأن «النصراني الفرنسيي الوارد على يد مخزنهم للبحث عن العشب وأنواع النبات... فاعلم أن الملامة على ابن المشاوري، إذ كان من حقه حيث كتبت له وبينت له أمره أن يكتب لقواد الدير ويبصرهم بأمره ليقفوا معه ويوجهوه للمواضع المأمونة في الجبل، لأنه صعب وأهله كذلك... وأما القائد إبراهيم فلا علم عنده حتى سمع به وخشي أن يلحقه أحد بسوء، فبادر حينئذ بتوجيهه من أتى به للمدينة...»¹⁸.

17. هنري رينيو : H. Regnault أقام هذا الرسام بطنجة من دجنبر 1869 إلى أواسط سنة 1870، وتوفي مقتولا بضواحي باريس يوم 19 يناير 1871.

16. كايي : «النوادر...»، ص 79 - 82 وده لامارتنيير : «ذكريات...» ص 244 ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 67.

17. رسالة السلطان إلى بركاش ي 17 صفر 1284/20 يونيو 1867، خ غ بالرباط.

18. رسالة السلطان إلى بركاش في 2 ربيع الأول / 4 يوليوز، محفظة فرنسا 2.

قدم إلى طنجة يوم 13 دجنبر 1869 واكتفى منزلا بعشرين فرنكا في الشهر وأثته تأثبا مغربيا واتخذ لخدمته عددا من المغاربة. وكان يرسم لوحاته المغربية ويبحث عن الموسيقى والفولكلور الوطني ويحضر مهرجانات التبوريد. وحاول أن يتعلم العربية وأن يهتم بالتقاليد والعوائد المغربية¹⁹.

18. الدكتور بليشي : Dr Bleicher طبيب وعالم بيولوجي من مستشفى وهران رافق تيسو سنة 1874 في سفارته من طنجة إلى مكناس. وفي سنة 1875 نشر كتابا عنها بعنوان : «رحلة إلى المغرب : Un voyage au Maroc»²⁰.

19. ديكوجيس : Décugis طبيب من البحرية صاحب ده فيرنوي في سفارته سنة 1877، فخرج الوفد إلى فاس مرورا بالغرب وزكوطه، وكان رجوعه عن طريق مكناس. كان الزائر يقرأ ترجمة «روض القرطاس» خلال الطريق. وقد خلف أبحاثا ودراسات نشرتها الجمعية الجغرافية بباريس سنة 1886 و1887. كما أنه ألف عن رحلته كتابا نشر سنة 1878 بعنوان : «قصة رحلة إلى داخل المغرب : Relation d'un voyage dans l'intérieur du Maroc»²¹.

20. «الأمير» عبد الله بن علي : F. Joly فردينان جولي مغامر ادعى أن اسمه هو عبد الله بن علي. وقد فر من اللقيف الأجنبي، وجاء إلى المغرب سنة 1879 زاعما أنه شقيق مولاي الحسن وأنه كان مسجوناً عند المارشال بوجو فاخطف منذ صغره أي منذ معركة يسلي سنة 1844. وكان يريد بذلك المطالبة بحقه في العرش أو على الأقل أن يعترف السلطان بأنه فعلا أخوه. لكن عبد الله بن كالي (أو علي) ماكان إلا أميرا مزورا ومشبوها، فهو فرنسي صدرت عليه أحكام من القضاء الفرنسي مرات متعددة، وكان يقول أيضا إنه إنجليزي ومن رجال الصناعة. وكان إلى هذا وذاك عميلا للحكومة الألمانية²². وقد ألقى القبض عليه حوالي 1879 حتى مات بطنجة لأنه «كان يطلب كرسي مملكة مراكشة. فكان مسجوناً في طنجة ومات بالسجن»²³ وكانت له علاقة بكابيلينغ.

21. الكونت ده شافانياك : de Chavagnac من مواليد سنة 1843، حل بطنجة سنة 1882، واندس في مغامرات ورديقة والحاج عبد السلام الوزاني. وكانت له روابط مع رجال الأعمال بفرنسا ومع البنك الإسرائيلي بطنجة ومع الأوساط الصحفية بهاته المدينة حيث كان مراسلا لعدد من المجلات والصحف الخارجية.

19. كايي : «النواذر...» ص 83 ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 158.
20. المصدر الأخير ج 1 ص 77 وليليل : «المسافرون...» ص 156.
21. جان إيس : «قضية المغرب» ص 28 ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 98.
22. فيسجيربير : «على عتبة...» ص 89، وكايي : «النواذر...» ص 109، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 481 (9) وج 4 ص 172 (8).
23. رسالة إلى غريط في 10 ماي 1886/6 شعبان 1303.

وله عدة رحلات إلى مختلف أنحاء المغرب مثل فاس ووزان ووجدة والريف ودون مشاهداته في كتب أصدرها. ولما كان تاجرا كان له عدد من المحميين والسماصرة بلغوا بطنجة وحدها 19 شخصا، زيادة على عشرات الخطاء والرعاة²⁴. كما أنه كان منقبا عن المعادن كما سيأتي.

وترددت في الوثائق المغربية أصداء محاولات ده شافانياك. فمن ذلك رسالة بركاش إلى السلطان سنة 1884 «في شأن ما حدث بقبائل الريف المجاورة لبادس بسبب توجه الكوندي الفرنصيصي، وبيننا لسيدنا أيده الله مادار بيننا وبين باشدور الفرنصيص في ملاقاتنا معه بالأمس». وقد «وجه لنا في يوم تاريخه طالبا منا الملاقات معه ذاكرًا... أن ما صدر من جانب المخزن - من الاذن للقبائل الريفية بمنع الكوندي من النزول - فيه مهانة لهم ومخالفة للشروط، وأن المتسبب في ذلك هو خديم سيدنا القائد محمد أمقشدد... وبسبب ذلك يطلب عزله من الخدمة المخزنية، ويطلب نقض الاذن الذي توجه لتلك القبائل بالمنع... وإن لم نقبل منه هذه المطالبات لمدة اثني عشر يوما فلا يبقى له كلام معنا، ويكتب على مركب ليترك متوجها لحاله حتى نعرف معاملتنا مع رعية الفرنصيص، وزاد أنه لا يريد أن يكون على يده توجه مراكبهم للريف، وينزلون هناك، ويملكون الأرض، ولا يخرجون منها حتى تؤدي لهم الملايين مثل ما جعل الصبنيول».

وختم بركاش رسالته عن تصلب أورديكة في تأييد الكونط بقوله : «والذي ظهر لنا... على ما رأينا من التشديد بالمنطوق والمفهوم أنه إذا لم يجعل سيدنا أعزه الله لهذا الأمر الدواء النافع الذي فيه المساعدة فإنه ينتج مالا تستحسن عاقبته...»²⁵.

وتذكر رسالة أخرى أن الكونط رجع بحرا بعد ذلك بأيام من مرسى بادس إلى طنجة²⁶. وكانت هاته الجولات بقصد التنقيب عن المعادن حسبما تقدم من أنه كان ذا روابط مع رجال الأعمال بفرنسا. وتشير رسالة سلطانية سنة 1887 إلى «رجوع الكندي لجبل الحمام ببني ورياغل... فإن الكندي كان أنزل إقامة خدمة المعدن بجبل الحمام المذكور. ولما وقع الكلام معه في ذلك رجع فيه للقوانين والشروط، ونهض منه...»²⁷.

22. الكونط بيران ده لا براد : Pyrent de la Prade قام برحلة إلى المغرب سنة 1881 و1882 ونشر كتابا عنها²⁸.

23. بيير داطانو : Pierre d'Attanoux ضابط استقال من الجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1880، وقام بعد ذلك بأسفار إلى المغرب ابتداء من سنة 1884. وكان مراسلا لعدة صحف فرنسية منها جريدة : Le Temps²⁹.

24. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 88 وج 4 ص 53 (6) ولييل : «المسافرون...» ص 169 (1).
25. رسالته في 12 ربيع الثاني 1301/10 يراير 1884، محفظة فرنسا.
26. رسالة محمد العسري إلى السلطان في 11 جمادى الأولى 1301/9 مارس 1884، الترتيب العام.
27. رسالته إلى الطريس في 27 جمادى الأولى 1304/21 يراير 1887، نظوان 49/5.
28. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 157.
29. نفسه ج 1 ص 64.

24. الدكتور مارسى : A. Marcet رافق أورديكة في ربيع سنة 1882 أثناء سفارته لدى السلطان بمراكش. وقد ألف عن ذلك كتابا في 300 صفحة نشره سنة 1885 عنوانه : المغرب : رحلة بعثة فرنسية إلى قصر السلطان³⁰ Le Maroc: voyage d'une mission française à la Cour du Sultan. إلا أن الصحافي البريطاني بودجيت ميكن انتقد هذا الكتاب انتقادا سريعا ومرا في تأليفه المعنون «الأيالة المغربية»³¹.

25. الفيكونط شارل أوجين ده فوكو : Ch. E. de Foucauld ولد بمدينة سطراسبورغ سنة 1858 وتوفي مغتالا في فاتح دجنبر 1916 بواحة تمناراست بالجنوب الجزائري حيث كان قد اتخذ لنفسه ديرا منذ سنة 1905.

وهو من الأغنياء وينتمي إلى طبقة النبلاء، وعاش بإفريقيا مدة تزيد على ثلث قرن. فبعد أن تعلم بالمدرسة العسكرية سان سير، التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1880 برتبة ليوتنان. وكان يقضي ليالي حمراء بمدينة سطيف حتى ذاع خبر فسوقه، فعزل من منصبه أو استقال منه. ولكنه ندم على فجوره، فترهب سنة 1883، ثم اعتكف على اللغتين العربية والعبرانية يدرسهما، واختلف إلى خزانة الجزائر وأكمل تعلمه بواسطة قيمها أوسكار ماك كارتى : Oscar Mac Carthy الذي كان شغوبا بمعرفة أحوال شمال إفريقيا، فدرس الخرائط والطرق والمسالك، واطلع على كتب الجغرافيين القدماء. وفي سنة 1883 استأذن للقيام برحلة استكشافية. فلما لم يرخص له استقال من الجيش نهائيا ثم رحل.

ولما عول على السياحة والضرب في أطراف المغرب أسمى نفسه الحبر كوفو Couvaud في رواية، أو يوسف أليمان Aleman اليهودي المضطهد في زعمه بولاية موسكو الروسية في رواية أخرى، ثم زوده ماك كارتى بيهودي مغربي اسمه مردوخي أبي سرور ليرافقه في الطريق.

وكان له لباسان من أجل التنكر في أرض لا يقبل فيها النصارى، فكان مرة يرتدي لباس المسلمين، ومرة أخرى لباس اليهود. وهكذا وصل إلى طنجة في 20 يونيو 1883 صحبة مردوخي، وأعانه حاييم بنشيمول بتوصية لدى اليهود في شتى المدن.

قسم رحلته ثلاثة أقسام أو مراحل :

أ. فبعد الإقامة بطنجة رحل إلى تطوان حيث مكث عشرة أيام لمعرفة المدينة، ثم ذهب إلى شفشاون وبعدها دخل لمدينة فاس حيث حملة شهر رمضان على الاستراحة بها ستة أسابيع. وغادرها يوم 23 غشت قاصدا مكناس وبلاد زمور وزيان وقضى 11 يوما بقصبة أبي الجعد. ومن ثمة توجه إلى قصبة تادلة ومكث أسبوعا بواويزغت قبل الوصول إلى دمنات، وقطع جبال الأطلس الكبير مرورا بتلوات يوم 14 أكتوبر، واستراح 7 أيام بتيغرت ووصل إلى تاسينت يوم 14 نونبر.

30. أيضا ج 1 ص 139.

31. لبيل : «المسافرون...» ص 157.

ب. وفي المرحلة الثانية انتقل إلى وادي درعة ودخل طاطا وأقا. وفي يناير 1884 نفذت أمواله، فانطلق إلى الصويرة مارا بإيصافن وإيلالين، ورجع إلى تاسينيت يوم 31 مارس عن طريق سوس، وجلس بها حتى 6 أبريل.

ت. المرحلة الثالثة ابتدأها بالانطلاق إلى جبل صاغرو ووادي دادس وتودغة، فوصل إلى قصر السوق ووادي زيز، ومن ثمة قصد وادي ملوية والتحق بالقصابي وأولاد الحاج ودبدو ووجدة التي غادرها يوم 23 مايو 1884 إلى مدينة مغنية³².

وحدثت له وقائع أثناء جولانه. فلما كان بأبي الجعد عرفه الحاج إدريس بن عمر من آل سيدي بن داود، وذهب به لزيارة بني ملال. وفي تاسينيت قرأه الحاج بورحيم. وكاد يموت في الطريق بوطاء أولاد الحاج بين دب دو ووجدة: فقد تعرض له مغربيان سلباه ما كان يملك، ولم يتركاه إلا مذكراته وأوراقه، لولا أن بلقاسم الحماني الذي هو من تلك الناحية أنقذه منهما. وكم مرة كاد يفتضح شأنه.

وهكذا دامت رحلته بأقسامها الثلاثة من 20 يونيو 1883 إلى 23 مايو 1884 قطع خلالها 2.950 كيلومترا، وخولت له سنة 1885 ميدالية عن رحلته، وانصبت سياحته على الأقاليم التي كانت سائبة. وكان له كنيش في باطن يده طوله 5 سنتيمترات وقلم في راحة يده اليسرى يكتب به³³.

كان الراهب ده فوكو. رجل استخبار لا مثيل له، فربط الاتصال برجال الطرق وبأعضاء البعثة الدبلوماسية الفرنسية. وكانت بغيته تنصير أهل المغرب الذي كان يغار أن يسكن به «من ثمانية إلى عشرة ملايين من الناس دون قسيس واحد» على حد تعبيره³⁴. ويقال إنه لم يكن بهذا الوصف، فقد أظهر إعجابه بالاسلام، ولو أنه لم يرد اعتناقه.

وفي سنة 1888 نشر كتابه بعنوان استطلاع بالمغرب : Reconnaissance au Maroc، وهو كتاب قيم، لكن عيبه أنه كان يستقي معلوماته ممن لم يكن موثوقا بهم، ولا سيما أن وقت تجواله تطابق مع إبان أزمة اقتصادية خانقة³⁵.

26. رني باسي : R. Basset مستشرق ومن أعضاء المجلس العلمي العربي، ولد سنة 1855 بفرنسا، وتوفي سنة 1924 بالجزائر³⁶.

له تأليف منها «المخطوطات العربية لخزانتين فاسيتين³⁷ : Les manuscrits arabes de deux bibliothèques de Fès» نشرت سنة 1882. وله أخرى وضعها سنة 1883 و1885 و1901 منها «محاولة في الأدب البربري»، طبع بعضها بالجزائر.

32. بول لسور : «الوجه الحقيقي للأب فوكو» ص 67، وجاك كايي : «النوادر...» ص 89 و98 ولبييل : «المسافرون...» ص 187.

33. جاك كايي : «النوادر...» ص 89.

34. عز الدين العراقي : «شارل دي فوكو» في «البينة» دجنبر 1962 ص 62.

35. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 110.

36. خير الدين الزركلي : «الاعلام...» ج 3 ص 69.

37. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 69 وكذلك «فاس، كشف المراجع» ص 19.

قدم إلى المغرب سنة 1883، فكتب وزير فرنسا إلى الحاج عبد الكريم بريشة يوصيه خيرا به : «حامله إليك مني باسي من باريز، وهو رجل عاقل حاذق عالم، وقدم للمغرب وأراد أن ينظر مدينتكم، بقصد البحث على اللسان العربي وعلى الكتب القديمة»³⁸.

27. ج. فالبير : G. Valbert زار المغرب قبل سنة 1884، وألف عن رحلته كتابا عنوانه «مسافر فرنسي إلى المغرب : Un voyageur français au Maroc» نشره في تلك السنة بمجلة «لارفي دي ده موند»³⁹.

28. رحالة لم يذكر اسمه ولعله فرنسي ورد خبره في رسالة أحمد العبوبي السرخيني أحد القواد المكلفين بحراسة شواطئ أيت باعمران سنة 1884 تقول : «إن نصرانيا ورد في بابور للفرنسيين بالصويرة... ونزل بها واكثرى البهائم وتزيا بزي المسلمين وتوجه لهذه النواحي السوسية، وأمرتني... بأن نبالغ في البحث عنه والتنقيب عن وجه توجهه لهذا... ووجهت من وجدته معي من الأصحاب وغيرهم تلك الساعة لكل ناحية ظننت التماس خبر عنه فيها وجعلت الأرصاد عليه بكل موضع...»

«ليعلم سيدي بوقوفنا... ولا وجدنا عنه خبرا هنا على التحقيق، إلا أن النصراني المذكور خرج من الصويرة بلا شك على الكيفية المذكورة حتى بلغ ليل هشتوكه، ومن ثمة انقطع خبره... فقد طرقت أسماعنا أن خمسة نفر ببهائمهم ظهروا لناحية الشراك يدعون الشرف، وباتوا ليلة بتزر والت ليلة بدار الحاج أحمد التمارتي وتوجهوا لوادي درعة، وما درينا حقيقتهم...»⁴⁰.

29. كابريل شارم : G. Charmes كان محررا بجريدة «له جورنال دي ديبا : Le Journal des Débats». وقد رافق فيرو في سفارته لدى السلطان، وألف عن رحلته كتابا بعنوان «سفارة إلى المغرب : Une ambassade au Maroc» وقد مات سنة 1886 ولما ينته منه. ولكنه نشر في السنة الموالية، ويقع في 350 صفحة. وفيه حكم حكما قاسيا على المغرب والمغاربة. وكان قبل ذلك قد زار تركيا وفلسطين وتونس⁴¹.

30. م ل لودوفيك ده كامبو : M.L. Loudovic de Campou مهندس مدني قدم سنة 1885 من اجل بحث مائي وجيولوجي بالمغرب لاسيما في حوض ملوية⁴². وله تأليف عن تنظيم المغرب واقتصاده⁴³، نشره سنة 1886 بعنوان : المغرب المعاصر، مملكة تنهار : Le Maroc contemporain, un empire qui croule، وفيه «بث أفكاره الخبيثة»⁴⁴.

وفي سنة 1885 التمس سفير فرنسا أن يوصي خيرا بالمهندس الذي «يريد نظر أودية هذه الأباله والمحال الخارج منها عنصر مائها، وأن نظره لذلك فيه مصلحة وهي سقي الأرض

38. رسالة أورديكة إلى بريشة في 8 رجب 1300/15 ماي 1883.

39. جان إيس : «قضية المغرب» ص 27.

40. رسالته إلى محمد بن العربي في 18 رمضان 1301/12 يوليوز 1884، الترتيب العام.

41. لبيل : «المسافرون...» ص 161 ومبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 88.

42. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 82.

43. رولان لبيل : «المسافرون...» ص 169.

44. جان إيس : «قضية المغرب» ص 108 - 109.

من تلك الأودية إذا وقع اليبس، وطلب توجيه ظهير له بجواره في المواضع التي يكون منها بها، وإيصال العمال بالكون منه على بال وتضييفه وتقديم كتابين له من عندك لعاملي العرائش والرباط...»⁴⁵.

31. موريس باليولوك : M. Paléologue وصف مقامه بطنجة ومراكش في كتابه «المغرب، تقييد وذكريات : Le Maroc; notes et souvenirs» نشر سنة 1885⁴⁶ التي قدم قبلها إلى المغرب.

32. كاميل دول : Camille Douls ولد سنة 1864 ومات سنة 1889 مغتالا بالصحراء. دخل المغرب سنة 1885 وقضى فيه مدة لدراسة اللغة العربية وأخلاق المغاربة وعاداتهم. وفي يناير 1887 استأجر قارب صيد إسباني من لانصاروتي من جزر الخالدات اسمه «أديلايدا : Adelaida» للوصول إلى بوجدور. وبعد ثلاثة أيام نزل بالبر متنكرا بلباس المسلمين ومعه بضائع مختلفة وادعى أنه تاجر جزائري أو تركي. فلقى جماعة من أولاد دليم وحياتهم، لكنهم هجموا عليه وجرحوه وسلبوا ما معه. وكانوا يريدون إلقاءه بالبحر لولا أن صحراويا اسمه إبراهيم بن محمد تشفع فيه وأدخله لخيمته. وانتشر خبر ورود نصراني إلى القبيلة، فجاء الناس لرؤيته وسأله ولم يريدوا تصديق أنه نصراني. وفي الغد قيد وكبل وجعل على ظهر ناقه. وكان يريد الذهاب لأحضر بضائعه التي أخفاها عنهم والتي كان أخبر بها إبراهيم. لكن القوم نهبوا وتقاسم الرجال بينهم ما يصلح لهم، والنساء بينهن ما يليق بهن. ثم تقدم أربعة من أولاد دليم وكمموا فمه وأرادوا دفنه حيا. فلما ظن دنو أجله نطق بالشهادتين، فصاحوا أن هذا ليس بنصراني فأنشلوه من الحفرة التي وضعوه فيها وردوه إلى الخيام.

وظل أولاد دليم مع ذلك مرتابين فيه، فجاء أحدهم وتحدث معه فألفاه مسلما حقيقيا وأشار على إبراهيم أن يعامله بالحسنى. وبعد أربع وعشرين ساعة قدم شريف فيلالي وسأله، فلم يستطع الجزم بإسلامه ونصح بعرضه على الشيخ ماء العينين.

وكان دول متشوقا لمغادرة المكان الذي امتحن فيه، فتزود بالشجاعة والصبر على بلائه لكونه أول من زار منطقة لم يدخلها أروبي قبله. فحمل على ناقه ورافقه إبراهيم وثلاثة من الصحراويين، وقضوا ثلاثة أيام في طريقهم إلى الشيخ. وكان النساء والأطفال يسبونهم في كل مرحلة من مراحل سفره ويهددونه ويضربونه لولا حماية إبراهيم إياهم.

ولما دخل لخيمة الشيخ ماء العينين سأله عن الجزائر وعن الإسلام، وأمره بكتابة رسائل بالعربية ففعل، فقال لهم : إن هذا الرجل مسلم حقا، فارفعوا عنه الأغلال واجعلوه أخا لكم في دياركم. وهكذا استرد حريته وأرجعوا له بوصلته وخنجره وخلعوا عليه ثيابا لهم وأخذ يتعلم طبائع الصحراويين.

وبعد يومين غادروا خيام الشيخ، وقضوا في المشي خمسة عشر يوما إلى أن وصلوا إلى دار ابنة إبراهيم التي كان زوجها يملك 50 جملا ونحو 600 رأس من الأغنام وثلاثة عبيد. ثم رحلت القافلة إلى بئر أم كرين، وبعد ذلك قصدوا رأس بوجدور.

45. رسالة السلطان إلى الطريس في 8 جمادى الثانية 1302/25 مارس 1885، تطوان 68/3.

46. رولان لبييل : «المسافرون...» ص 158 (1).

كان إبراهيم بارا به فعرض عليه الزواج بإحدى بناته التي اسمها العزيزة، فاعتذر بقلّة ذات يده لدفع مهرها وقال إنه لابد أن يذهب إلى الجزائر لأحضاره من ماله هناك. فتقرر - إعدادا للخطوبة - أن يسافر إبراهيم صحبته وصحبة رجل آخر إلى تندوف لبيع جلود الغنم والمعز، وقضوا في الطريق ثلاثة أيام، وعادوا إلى طرفاية حيث احتفلوا بخطوبة العزيزة. ثم سافروا جميعا وقطعوا وادي درعة ووصلوا إلى كلميم في أواخر أبريل 1887 وقصدوا دار القائد بيروك. ثم رجع إبراهيم إلى بلاده بينما عبر دول عن رغبته في الذهاب إلى مراكش فأعطاه بيروك مركوبا ودليلا.

وسافر مارا بايت باعمران وأكلو وماسّة والتحق بأكادير واجتاز بلاد حاحة حتى وصل إلى مراكش عند الشيخ عابدين شقيق بيروك. وهناك التقى بإنجليزي اسمه فيركوسون Ferguson. وشاعت الأخبار عن موت دول، ونشرت الجرائد نعيه، وطالبت قاتليه بدية 3000 ريال. وكان عابدين يراقب جيدا حالة دول، فوجده نصرانيا ولامه أنه خدعه. ولما أراد دول الانصراف حال دونه عبدان أسودان، ثم جاء خمسة من أعوان عامل مراكش وقادوه سجيناً وكبلوه. وصادف الوقت وجود كرين سفير إنجلترا بالمدينة، فلما علم بالقبض عليه تشفع فيه حتى مرح من حبسه، ثم سافر إلى فرنسا.

وبعد سنة رجع دول إلى المغرب مريدا السياحة بإفريقيا حتى نهر النيجر، غير أنه مات سنة 1889 مغتالا بالصحراء. وقد خلف في مذكرات سفره إفادات قيمة نشرتها سنة 1888 الجمعية الجغرافية بباريس⁴⁷.

33. تيوفيل بلان : Th. Belin حل بطنجة سنة 1887 ورحل إلى الصويرة سنة 1888 ثم إلى مراكش في السنة الموالية حتى عملت المفوضية الفرنسية على طرده من المغرب سنة 1891. وكان مراسلا صحافيا يوقع مقالاته باسم مستعار هو هنري موجي H. Moger⁴⁸. وكانت الوثائق الفرنسية تنعته بالمغامر وبالصحافي المزعوم.

ويستفاد من رسالته إلى الطريس سنة 1888 أنه كان مكاتبا لجريدة «له فران - بارلور : Le Franc - Parleur» التي كان يبعث إليها بمقالات التنديد بالحماية التعسفية، مستعينا برجل تركي اسمه محمد بجكري أو بلكري لشجب هذا النظام في كل من فرنسا والجزائر. وكان متحاملا على اليهود أهل الربا الذين يستقون دم الناس والذين لا ضمير لهم ولاشفقة ولا وازع. وذكر في نفس الرسالة أن ميرجيسو Merjesüe ودرومون Drumont وفولسكي Wolski كانوا دائما يفضحون هاته الأعمال في مصنفاتهم. وختمها بقوله إنه ينوي الذهاب إلى الصويرة مع صديقه الدكتور أندريوه Andrieu لتسليم رسالتين إلى السلطان بمراكش، طالبا الانعام عليه برخصة تصدير زيت أركان التي كان يقدر دخلها السنوي بين أربعة وستة ملايين فرنك، ومشيرا إلى أن الدكتور المذكور هو الذي اكتشف خواص هاته المادة الدهنية التي ستساعد على ازدهار الاقليم⁴⁹.

47. كايي : «النوادر...» ص 124 - 134 وميج : «المغرب واروبا» ج 1 ص 101.

48. المصدر الأخير ج 1 ص 123.

49. رسالته بالفرنسية في 18 يبرابر 1888، الترتيب العام.

34. س سولير : C. Soller مراسل لجريدة «له طان Le Temps» الباريسية سنة 1887. أقام بالصويرة ومراكش مدة ودخل دمنا⁵⁰. وتسهيلا لمهمته طلبت سفارة فرنسا الايضاء خيرا به : «حامله رجل معظم معتبر اسمه مسي سولير موكل من قبل دولتنا، وله معرفة بالعلوم، وهو يريد السفر في إيالة مراكش من جانب البحر الكبير على تفتيش بعض العلوم... وأنا أشكر فضلكم أن تقابلوه بما يناسبه من الاجلال والتعظيم وتساعدوه على مطلبه، ومطلبه : يريد أن يتشرف بمقابلة الحضرة الشريفة...»⁵¹.

35. هنري كاستوني دي فوس : H. Castonnet des Fosses له تصنيف عنوانه «المغرب كما هو : Le Maroc tel qu'il est»⁵². والمظنون أنه فرنسي زار المغرب

36. هنري دوفيري : H. Duveyrier ولد بباريس سنة 1840 وتوفي سنة 1892، وهو مستكشف ورحالة تجول عدة مرات بالمغرب، ولاسيما بالريف سنة 1887 بوصفه طبيبا. وكان سنة 1885 قد رافق فيرو أثناء سفارته إلى فاس لدى السلطان، ونشر سنة 1886 كتابه «طريق السفارات : Le chemin des ambassades»⁵³، وهو عبارة عن تقرير إلى الجمعية الجغرافية، وله سياحات إلى الصحراء وتمبوكتو سنة 1881.

37. هنري ده لاكروا ده كاستر : Henri de la Croix de Castries كاتب ومؤرخ فرنسي، ولد بباريس أواخر سنة 1850 وتوفي هناك في ماي 1927.

التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1873 برتبة ليوتنان كولونيل، وعمل بوصفه ضابطا مستعربا في الشؤون الأهلية. وهو أحد الذين عملوا بجد وصبر فقدم خدمات جلى بما قام به من أبحاث، وبما وضعه من خرائط جغرافية، وبما اكتشفه من وثائق تاريخية في مكتبات أوروبا. وقضى أكثر من خمسين سنة في البحث والتنقيب ودراسة الظواهر الاجتماعية.

وأهم أعماله أنه نشر 30 مجلدا من الوثائق عن تاريخ المغرب بعنوان : «Les sources inédites de l'histoire du Maroc : المصادر الغميسة لتاريخ المغرب» وبدأ يصدرها بمساعدة ده سينفال de Cénival، وذلك في سلسلتين : الأولى عن العهد السعدي، والثانية عن العهد الفيلاي (أي العلوي) حتى سنة 1845.

ومن تصانيفه : «الاسلام : خواطر وسوانح : L'Islam : impressions et études» الذي عرفه أهل الشرق لما ترجمه أحمد فتحي زغلول سنة 1896. وفيه دافع عن الاسلام، معترفا «بما امتاز به الاسلام من صفات سامية، وتعاليم شريفة»، وندد فيه بالمسيحيين الذين يغضون من شأنه، وذكر أنه «منجذب بحلاوة الاسلام...». ويعد كتابه من أحسن ما جادت به قريحة متشيع للدين المسيحي، للدعوة إلى احترام المسلمين واجتناب السخرية من معتقداتهم. وقد زار المغرب سنة 1887 وقدم لمولاي الحسن خريطة جغرافية⁵⁴.

50. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 168.

51. رسالة بوطيرون إلى غريط في 21 جمادى الأولى 1304/15 يراير 1887، محفظة فرنسا.

52. جان إيس : «قضية المغرب» ص 29.

53. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 104 وليليل : «المسافرون...» ص 161.

54. عبد القادر الخلاوي : «دوكاستر وتاريخ المغرب» في «دعوة الحق» تلخيصا عن الأعداد 4 و 5 و 7 و 8 من السنة 16.

38. جورج ديلفان : G. Delphin وضع سنة 1889 تأليفا عن فاس وجامعتها بعنوان : فاس : جامعتها والتعليم العالي Fès, son université et l'enseignement supérieur.⁵⁵

ولم أقف على أنه حل بفاس، ولكن كتابه يدل على أنه عاش بالمدينة قبل تلك الحقبة.

39. بيير لوتي : P. Loti / J. Viaud اسمه الحقيقي هو جوليان فيو، وهو ضابط بحري وكاتب روائي، كانت تستهويه المناظر والحضارات الأجنبية. ولد سنة 1850 وتوفي سنة 1923، وله تأليف كثيرة، منها «بالمغرب : Au Maroc» الذي وضعه سنة 1890 بمناسبة سفارة باطنوطر إلى فاس والذي تعددت طبعاته. وهو ليس مؤلف سياسة ولا رحلة وإنما هو كتاب ارتسامات، وصف المناظر التي شاهدها مثل جامع القرويين الذي رآه من خارجه، وذكر أن حفلات التبوريد التي كانت تقام بالمدن وعند الاستراحة في الطريق كان يشارك فيها ما بين 200 و300 فارس، وقد أخذ سحر فاس منه كل مأخذ، ف شعر بنفسه نصف عربي، فكان يرتدي اللباس المغربي ويطوف بالأسواق ويختلط بالناس في الشوارع والأزقة، واشترى قطارة الزهر والعود القماري فكان يطيب بهما نفسه والمنزل الذي جعله الدكتور ليناريس رهن أشارته.

أما عن أحوال السفارة فقد خرج باطنوطر من مدينة طنجة يوم 4 أبريل 1889 قاصدا فاس. كان الوقت ممطرا، وكان السفير مصحوبا بهدية إلى السلطان هي عبارة عن زورق كهربائي طوله ستة أمتار جعل بصندوق كبير يحمله أربعون رجلا على كواهلهم. كانت القافلة متركبة من نحو مائة رجل بين زوار وضيوف وأدلاء يشرف عليهم قائد ينشر بين يديه لواء سلطانيا أحمر.

كانوا عند مرورهم تقدم إليهم المونة. ففي المرة الأولى تألفت من اثني عشر كبشا حيا وأربعة أحمال من السكر والحامض والليمون وعدد كبير من طيور الدجاج وسلال من البيض وعشر قلال من السمن. وأتى لهم قائد سفيان بعشرين كبشا وعشرات من طيور الدجاج وبراميل من السكر (قالب لكل واحد) وخمسين طبقا من الكسكس. وفي بعض الأحيان عندما تكون المونة ناقصة يأتي قائد القبيلة معتذرا ويكملها لهم.

وأخيرا وصل الموكب إلى فاس يوم 15 أبريل الذي صانف الاحتفال بمهرجان سلطان الطلبة، واستقبلهم السلطان بعد ذلك، ثم خرجوا من العاصمة يوم 28 منه قاصدين طنجة عبر مكناس حيث قدمت لهم المونة مرتين أغلبها كسكس وحليب ودجاج حي وحلوى وسكر وشاي، فمكثوا بالمدينة يومين ثم غادروها ووصلوا إلى طنجة يوم 4 ماي⁵⁶.

40. هنري ده لامارتينيير : H. de la Martinière دبلوماسي وكاتب وصحافي ولد سنة 1859 وأنهى حياته وزيرا مفوضا بطهران. حل بالمغرب لأول مرة سنة 1882 بوصفه عالم حفريات، وشارك سنة 1885 في سفارة فيرو لدى السلطان، وكان سنة 1887 و1888

55. «فاس، كشاف المراجع...» ص 42.

56. لبيل : «المسافرون...» ص 172 وكايي : «النوادر...» ص 135.

موظفا بالمفوضية بطنجة التي غادرها بعد ذلك، والتحق سنة 1891 بالادارة الفرنسية بالجزائر، وعاد إلى المغرب سنة 1899 بوصفه موظفا ساميا بالمفوضية بطنجة. وكان سنة 1900 و 1901 نائبا عن ريفوال الوالي الفرنسي بالجزائر. وبعد انتهاء الحرب العظمى رجع إلى المغرب سنة 1918 وتجول بعدد من المدن المغربية ثم قصد الجزائر عن طريق وجدة.

كان شغوبا بالحفريات، فارتاد عددا من المناطق الشمالية والجنوبية، وقام بتنقيبات في ليكسوس، وبحفريات بوليلي حيث اكتشف الأسوار القديمة للمدينة الرومانية وعثر على عدة قبور وتمثال إله صغير، وتجول بسوس بحثا عن الآثار الاسلامية التي أشار الدكتور لينس إلى وجودها، ونال الوسام الذهبي سنة 1889 بالمعرض العالمي⁵⁷.

وهو الذي أسدى لبلاده خدمات ثمينة لما كلفه جول كامبون J. Cambon بضم كافة المستندات الممكنة بل المستحيلة عن القضية المغربية إلى رباط الولاية العامة بالجزائر بتلك التنقلات والأسفار التي قام بها⁵⁸. وكانت له اتصالات مع الحاج عبد السلام الوزاني وأولاده ومع المندسين في حماية فرنسا إياهم، فكان يزورهم⁵⁹.

هذا بعض ما ورد عنه في التصانيف المطبوعة. غير أن الوثائق أفردت كثيرا من الكلام عنه سنتعرض لها. فكانت تدعوه «الحكيم» و«المهندس» وتنعتة السفارة بـ «المفوض من وزارة العلوم والفنون على بحث الآثار» ولذلك كانت تلتصم الأذن له بالجلولان وتخويله ظهائر يتمسك بها، مثل رسالة فيرو سنة 1888 التي قالت : إن «المهندس الفرنسي لمرتنيير عاقل، وله خبرة بالعلوم، وقد كان سابقا يتسارى في الإيالة السعيدة بقصد الهندسة» وهو يريد السياحة والجلولان⁶⁰. فلنستشهد عن نشاطه بما جاء في بعض هاته الوثائق من سنة 1887 إلى سنة 1891.

ويجوز تحديد المناطق التي تجول فيها سنة 1888 وقبلها ومعرفة تواريخ حلوله بها من خلال المستندات ولاسيما من وثيقة مطولة كانت جوابا له عما اشتكى به منه عامل طنجة والحاج محمد الطريس⁶¹ فمنها ندرك أنه تجول بصفرو وآية يوسي أواخر سنة 1883، وبمكناس ونواحيها في بداية سنة 1884، وفي ربيعها دخل وزان برفقة سطرلنيج كيسطل S. Castel، وبعد ذلك ساح حتى نونبر من نفس السنة بنواح أخرى لم يرد ذكرها فيها. أما من أبريل 1887 إلى أكتوبر 1888 فقد سافر إلى نواحيمكناس (وليلي) والرباط والعرائش وأصيلة وقبيلة الغربية، وكان يصاحبه في بعضها الرسام والمصور البلجيكي رومبرغ Romberg والانجليزي نيكولا الذي أظن أنه نيكولاص داصوي N. Dasoy الانجليزي الملاك بطنجة. وسيأتي أنه ذهب أواخر سنة 1888 إلى نواحي مراكش وعاد بعدها إلى وزان ليستأنف تنقيبه بخميس الساحل قرب أصيلة سنة 1889، ثم انطلق إلى مراكش أواخر سنة 1890 ليذهب إلى سوس سنة 1891، ومنها يعود إلى الجزائر عن طريق نازة ووجدة في صيف السنة الأخيرة.

57. المصدران الاخيران ص 241 و 247 وص 147 - 150 على التوالي، وكذلك مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 129.

58. جان إيس : «قضية المغرب» ص 30.

59. مصطفى بوشعراء : «الاستيطان...» الجزء الثالث ص 1198.

60. رسالته في 5 شعبان 1305/17 أبريل 1888، محفظة فرنسا.

61. تاريخ هاته الوثيقة 3 صفر 1306/9 أكتوبر 1888، نضوان 87/38.

الوثيقة الجوابية التي ساستشهد بها ركيكة وتتطرق إلى قضية شكاية المخزن به وقضية إغفال السلطات التنصيص على منحه المونة. وسأفسح له المجال ليرد على ما اتهم به، وهو أنه لما لم يعطه التهامي ابن زوينة شيخ الغربية مؤونة يوم 22 محرم 1306/28 شتنبر 1888 عمداً إلى عجل من دار الشيخ وأخذة عنوة، فلما حاول ابن زوينة استرداده منعه منه ما لم يدفع له المونة، فشهرد له لامارتنيير كابوسه فضربه به، فقدم أهل الدوار فضربوه انتقاماً وكادوا يقتلونه، حسبما سيأتي في رسالتين مخزنتين، وسجن التهامي وأصحابه، لكن إلى حين. كان هذا العمل من جانب السائح إخلالاً بالأمن، فاستشهد به الطريس واستدل بهتك الحرمة وبوجود الكابوس معه. كما أن عامل طنجة عاب عليه قتله لكلب بالنواحي وضربه لصبي ضرباً مبرحاً بدار الحاج العربي الخمال، وهو ما أنكره فاتهم العامل بالكذب عليه فيهما.

قال السائح جواباً عما اتهم به في قضية هتكه لحرمة منزل ابن زوينة : «إني ما دخلت لعند حريم الشيخ حيث أنني رأيت الأبواب مغلقة، فكيف يتأتى لي الدخول ؟ أما خادمه السوداني التي كانت تخدم خارج دار الشيخ هي التي قالت لطباخي : وأن الشيخ غائب. ولاح لي أن قولي وقول الشهود المرة الأولى في الفسينة وكذلك شهادة الطبيب ميكرس Migers ثبتوا الإثبات التام أنني وقعت في موضع الخيانة، وأني إذا خرجت كنت أدافع على نفسي... ولكن مع ذلك يلزمني أن أكذب ما قالوه : «إن الشيخ هو الذي أزال لي الكابوس». وإذا اعتمدت على ما كتبه المراكشيون لا تكون القضية إلا مضاربة بيني وبين الشيخ. وبقصد لم يتكلموا أن بعض الناس هجموا عليّ. أما حقيقة الحال هو أنني خرجت الكابوس للمدافعة عني، وكنت عارفاً أنه ليس معمرأ، بل خرجته لأستعمله كأنه مطرق لما وقعت حين الهجوم تحت عشرين من الناس مسلحين، وحيث رأوا كثرتهم زادت قوتهم وشجاعتهم وعنادهم، ورأوا الكابوس ليس معمرأ فأسقطوني إلى الأرض وزطموا عليّ بأرجلهم. وفي هذا الحين أحد الهاجمين قبض على رقبتني بيده. فحينئذ أطلقت الكابوس برضاءي من يدي خوفاً على أصبعي من الهرس، لأنه كان في حلقته. وهذا هو الواقع الصحيح.

«أما الولايات بطنجة : يريدون بتقديم الكابوس على أنها دليل على ذنبي...

«والآن نأتي على محصل ما قاله السيد الحاج محمد الطريس في كتابه قائلاً : «فنطلب منكم الانصاف من الفرنسي المذکور وكف إضراره بالناس، فإنه إذا دام بهذه الآيالة لا محالة فإنه يسعى فيما يكدر خاطر الدولتين المحبتين» فيأله العجب ! ان هجموا عليّ وكنت قريباً من الهلاك، وضربوني غاية الضرب، حتى أن أصحابي خمّموا أني على [وشك] الوقات...

«فجواباً على هذه الشكاية : أن وقت أول قدومي في طنجة في عام 1882 منذ ست سنين لم تكن إلا هذه المرة يشتكون بسيرتي على هذا النوع...»⁶². وبعد ذلك ساق أسماء شهوده من الفرنسيين والانجليزيين، من المدنيين والعسكريين الذين بوسعهم أن يزكوا سيرته ويبرأوه.

فهل كان تصرفه بريئاً لما ترك الناس يعملون وانفلت منهم محاولاً اقتحام دار الشيخ على حين غفلة من صاحبها ؟

62. مكتبة تطوان 87/38، الورقة 2.

والنقطة الأخرى في هذا الجواب تتعلق بمسألة وجوب تقديم المونة له، فقال إن «الوزير السيد الحاج محمد الطريس زعم أنه ليس لي حق في طلب المونة، ولاكن كلمة «المونة» قد بدلوها في الكتب المولوي الذي هو بيدي بهذه العبارة : «فنامر الواقف عليه من خدامنا وولات أمرنا [أن] يأخذ بيده فيما عسى أن يعرض له عنده ويستوصي به خيرا». صحيح أن هذه كلمة «المونة» كانت موجودة في كتاب مولوي ءاخر المؤرخ في 28 شوال عام 1301 (= 21 غشت 1884) وبه سحت من مكناس إلى طنجة...». وبرر وجوب تقديمها بقوله : «ولولا هذا الكتب الشريف لم نقدر نفعل شيئا خصوصا في الأهالي التي ليست عانتها ترى النصارى، فلربما تمنعني من الشراء حيث أنا نصراني....»⁶³. ثم أنكر التهم وطالب بالانصاف من الهجوم عليه في الغربية.

وبعد نحو الشهر جاء في رسالة سلطانية إلى الطريس لوم على السائح : «فالظواهر التي بيده لم تعط له بالهدم والتصرف في أرض المخزن بما شاء، وإنما أعطيت له بقصد الجولان فقط في تاريخه الذي ورد فيه في وجهته الأولى... والمونة إنما تعطى لمن هو في خدمة مخزنه وورد لهذا بإذنه على أمر من أموره، لا لمن ورد على أمور نفسه كالمهندس المذكور. وقد كتب الباشدور في ذلك ذاكرة أن دولته أمرته بطلب إجراء الأحكام على ابن الزوين وأصحابه، فأصدرنا الأمر لعاملهم بالقبض عليه وعليهم... مع أنه مظلوم حيث ترامي وعاند في متابعتة في حمقه...». ثم طلب السلطان من نائبه أن يسترعي على السفير لكي يكف السائح «عما هو عليه من مد اليد في أرض المخزن والترامي على الناس...»⁶⁴.

وفي الوقت نفسه كتب المخزن إلى شارل فيرو رسالة في الموضوع تعطي إفادات أكثر. فقالت موضحة الأسباب في هذا الخلاف : «إن الظواهر التي بيد المهندس... كان حازها في وجهته الأولى... وبقيت تحت يده، ولما ورد لهذا ثانيا استظهر بها وبات بالغبية عند ابن الزوين شيخهم، فقام بمئونته وعلف بهائمهم. وفي الصباح طلب منه العلف لبهائمهم نهارا فدفعه له وتوجه لمحل بالغبية وصار يحفر فيه. ولما توسط النهار ترك أصحابه يحفرون وقدم لدار الشيخ المذكور يطلب منه المئونة فلم يجده بها وأخذ له عجلا، فأخبر الشيخ بذلك فتوجه إليه وطلبه منه فامتنع من رده له إلا بعد حيازة المئونة، فمد يده لأخذ عجله، فضربه المهندس بكابوس، فلم تخرج عمارته، فضربه به المهندس قرب عينيه، فأنزعه الشيخ من يده. ورفعت الدعوى لك فلم توجد حجة للمهندس على الشيخ. ثم رجع المهندس للغبية بعد ذلك وصار يحفر بها وعزم على التوجه للحفر بمحل يسمى بـ «الوتد» من بلاد المزورة، مع أن الظواهر التي بيده بالاذن له في الجولان لم تعط له بالهدم والتصرف في أرض المخزن بما شاء...»⁶⁵.

وفي 18 نونبر 1888 وصل في العشي إلى قرية ولد مبارك الشليح حوز أولاد دليم جبل سلفات في طريقه إلى مراكش وهناك سرق له كبتوطه ومكحلته⁶⁶.

63. نفسه الورقة 1 و 2.

64. رسالته في 28 صفر / 3 نونبر، تطوان 27/7.

65. إلى آخر ما جاء في الرسالة قبلها، وهي مثلها في التاريخ، ورقمها هو 52/40 بمكتبة تطوان.

66. ترجمة محضر في 15 يناير 1889، تطوان 96/38 (أ و ب).

ولما رجع من سفره انتقل إلى وزان قبل يناير 1889، وهناك «ترك عند السيد محمد بن قدور المجاور لعزيب الشريف سيدي الحاج عبد السلام الوزاني... من قبيلة أولاد عبد الكريم قرب واد عياشة اثنين 2 فر سين متاع السرج وبغلتين وخمسة كيادر متاع البردع، هذه تسعة رؤوس تركها عند من ذكر بقصد الرعاية والحفظ»⁶⁷.

وكانت المنطقة قريبة من المكان الذي يعتزم البحث فيه سنة 1889، فقد استأنف أشغاله بناحية خميس الساحل قرب أصيلة تنقيبا عن آثار الرومان، بعد أن كانت السفارة قد استأذنت له وسعدت على ذلك⁶⁸.

وفي سنة 1891 سافر إلى سوس «فور د الحكيم دلمنتار الفرنسي» وببده كتاب سلطاني ونزل وسط الجيش «وأكرمته وفادته، وطلب أن يقف على وادي سوس حتى يراه»⁶⁹.

وفي رسالة سلطانية أنه «وصل لتارودانت وطلب من خليفة عاملها الوصول لوادي سوس فساعدته، ثم طلب الرجوع على طريقه التي جاء عليها فلم يساعده للتنافر الواقع بين قبائل تلك الجهة، ويخشى عليه إتلاف نفسه بما خاطر فيه... وقد تعب معه خليفة العامل حتى وجهه على طريق دار الخديم سعيد بن بلعيد الهواري محافظة عليه...»⁷⁰.

وفي سنة 1891 توجه ده لامارتنيير إلى الجزائر عن طريق وجدة. ولما وصل إلى قبيلة مكناسة الفوقانية شمال شرقي نازة وقع هرج بوجود نصراني بها، وحاول السكان الاضرار به يوم 27 يوليوز، فقام صاحبه مولاي قاسم بحمايته وأخرج بندقيته. ولغد قصد قصبة مسون⁷¹.

هاته نبذة مطولة عن نشاط هذا الرحالة الفرنسي الذي أظنه مستعربا، فقد كان صحافيا ومراسلا لجريدة «له طان» الباريسية ولاسيما سنة 1892. وله جملة من الدراسات والتأليف وخصوصا كتابه «ذكريات عن المغرب. رحلات ومهمات : Souvenirs du Maroc, 1882 1918 Voyages et missions المطبوع سنة 1920 بباريس والذي ضمنه ارتساماته وأفكاره ومشاهداته.

41. ج بوشي G. Buchet قام برحلات متكررا ونشر سنة 1893 تقاريره عنها⁷².

42. ج مونبار : G. Monbard تجول بالمغرب في يناير 1893 ووصف طريق

فاس إلى طنجة، كما تحدث عن إقامته بفاس⁷³.

67. رسالة بوطيرون إلى الطريس في 6 جمادى الأولى 1306/8 يناير 1889، تطوان 95/38.

68. رسالة الطريس إلى الولاة في 21 شعبان 1306/25 أبريل 1889.

69. رسالة عبد الرحمان بن علي التراسني إلى أبيه عامل تارودانت في 3 جمادى الثانية 1308/14 يناير 1891، محافظة فرنسا.

70. رسالة السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الثانية 1308/30 يناير 1891، تطوان 53/9.

71. كايي : «النوادر المغربية» ص 150.

72. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 80.

73. نفسه ج 1 ص 145.

⑥ من أقطار أخرى

أ : الولايات المتحدة الأمريكية

1. جيمز رايلي : J. Riley له كتاب يحكي فيه قصة ضياع السفينة «كوميرس» بشاطئ إفريقيا الغربية، سنة 1815 عنوانه : «Authentic Narrative of the Loss of the Brig «Commerce» on the Western Coast of Africa In August 1815»
2. س سيشينز : F. C. Sessions تجول بالمغرب سنة 1888 وكان رئيسا للجمعية الجغرافية بولاية أوهايو².
3. طيلكوت ويليامز : Talcott Williams حل بالمغرب سنة 1889 من أجل غرض علمي، فالتمس القنصل العام من المخزن تسهيل مهمة هذا «العالم العضو بإحدى الجمعيات العلمية بواشنطن» من أجل تجول الدكتور طيلكوت بوزان والقصر الكبير وفاس ومكناس والرباط وسلا وغيرها من المدن³. وقد نشر سنة 1898 دراسة عن اللهجات المغربية⁴.
4. ستيفن بونزال : Stephen Bonsal صحافي رافق إيوان سميث في سفارته إلى فاس سنة 1892. وفي سنة 1951 كانت وفاته⁵. وهو صاحب كتاب عنوانه : «المغرب كما هو : Morocco as it is» طبع سنة 1893 بلندن في 349 صفحة.

ب : إيطاليا

1. جوسيبى غاريبالدي : J. Garibaldi أقام سنتي 1849 و 1850 بطنجة⁶. وهو زعيم شهير ناضل من أجل توحيد بلاده، ولد سنة 1807 وتوفي سنة 1882.
2. إيدمونديو دي أميشيس : E. di Amicis رحالة تجول سنة 1875 ببعض المدن الداخلية والشاطئية⁷. وهو كاتب شهير وضع تأليفا عن المغرب نقل إلى الفرنسية سنة 1882، ولد سنة 1846 وكانت وفاته سنة 1908.

1. عبد الحميد لطفي : «مراجع...» ص 300.
2. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 167.
3. رسالة لويس إلى الطرپس في 23 أبريل 1889، تطوان 60/53.
4. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 38.
5. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 79 وج 4 ص 269.
6. نفسه ج 1 ص 112.
7. أيضا ج 1 ص 61.

3. جوليو دي بوكاردو : G. di Boccardo رافق سكوفاصو سنة 1875 في سفارته من طنجة إلى فاس⁸.

4. جوليو أدامولي : G. Adamoli مهندس ولد سنة 1840 وتوفي بالقاهرة في دجنبر 1926 وتجول في مارس 1876 بالمدن الشاطئية ومراكش موفدا من لدن الجمعية الجغرافية. وكان برفقته رينيرو مانزوني R. Manzoni، ورجع إلى بلاده في شهر شتنبر، لأنه انتخب بالبرلمان الايطالي. له أبحاث نشرها عن المغرب بعد عودته إلى وطنه⁹.

5. بيلكردي : Belcredi صحافي كان سنة 1894 مراسلا لجريدة «تريبونا : Tribuna» ودخل فاس في السنة المذكورة¹⁰.

ت : البرتغال

روي دا كامرا : Ruy da Camara قام سنة 1870 بجولة بالمغرب¹¹ ونشر عنها كتابه بمدينة بورطو سنة 1879 بعنوان : «Viagens em Marrocos»

ث : بلجيكا

1. جول لكليز J. Leclercq كان رئيسا للجمعية الجغرافية ببروكسيل، وله تأليف عن رحلته إلى طنجة سنة 1878، وآخر وضعه سنة 1881 عن سفره إلى الصويرة وأماكن أخرى بالجزائر وتونس¹².

2. تيو فان ريسلبيرغ : T. van Rysselberg رسام ولد سنة 1862، وقام بثلاثة أسفار سنة 1882 و1884 حيث أقام بطنجة، ومن دجنبر 1887 إلى مارس 1888 تجول بالمدن والنواحي الداخلية. وهو من الذين رسموا صورة للسلطان حين رافق البارون ويطنال إلى مكناس حيث قدم لمولاي الحسن سنة 1889 مشروع إنشاء سكة حديدية¹³.

3. البارون لاهور : Lahure كولونيل قام 1888 برحلة إلى المغرب وشواطئه الجنوبية حتى طرفاية لحساب الملك ليوبولد الثاني. وقد مات بعد رجوعه إلى بلاده بقليل. وله : «رسائل إفريقية : مراكش والصحراء الغربية : Maroc et Lettres d'Afrique : Sahara occidental» نشر سنة 1904 ببروكسيل. وكان يرافقه ضابط بلجيكي اسمه فوركو : Fourcauit¹⁴.

4. إيرنيست بيكار : E. Picard محام وصحافي رافق البارون ويطنال في سفارته لدى السلطان سنة 1889، وقد لخص المذكرات التي أجراها السفير مع أعضاء المخزن،

8. كذلك ج 1 ص 77.

9. أيضا ج 1 ص 55 وج 3 ص 298.

10. نفسه ج 1 ص 71.

11. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 163.

12. كذلك ج 1 ص 131.

13. شارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة...» ص 525.

14. كيين : «ألمانيا...» ص 559 ومبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 128 وج 3 ص 338.

وأصدر كتابا عنوانه «المغرب الأقصى» طبعه بيروكسيل سنة 1893 تحدث فيه عن السجون بالمغرب، ونشر مقالاته بجريدة «الطائمز أوف مروكو». وكان أثناء وجوده بالمغرب مراسلا لصحف بلجيكية¹⁵.

5. ليوبولد الثاني: Léopold II ملك بلجيكا المولود سنة 1835، والمتوفى سنة 1909 تجول بالمغرب سنة 1863 قبل توليه العرش، وأقام بطنجة سنة 1862. وفي سنة 1897 أقام مدة بالصويرة ثم ذهب متنكرا إلى طنجة¹⁶، وتوقف بالعرائش التي قال عاملها إنه كان مصحوبا بأربعة من أعيان دولته «توجهوا بحرا للنزول بثغر العرائش لغرض السياحة والفرجة والاصطياد بقرب البلد إلى نواحي سبو». وقد تلقاهم بالترحيب «ووجد الضيوف بهائم راحتهم فسافروا من ساعتهم»¹⁷ إلى مكان القنص. وقال أمينا مرسى العرائش : «وقد تحقق لدينا على سبيل التواتر أن أحدهم هو سلطان الجنس»¹⁸ جاء متنكرا.

6. «عبد الله التازي» بلجيكي الأصل تظاهر بالاسلام ودخل إلى المغرب، حيث تزوج بإسبانية ثم فر إلى أمريكا الجنوبية وعاد إلى نصرانيته. كتب عنه إيميليو أوخيدا سفير إسبانيا بطنجة سنة 1897 ولو لم يسمه قائلا : إنه «كان أولا نصرانيا أصالة من جنس البلجيك وتزوج بأرملة بإصبانيا وبقي معها شيء ما وتخاصم معها وأراد طلاقها، فورد للأفرايلي ليطلقها فلم يساعده على ذلك، ففر منها وهاجر لآيالة مراكشة فأسلم بها وسمي بعبد الله التازي، وصار مهاجرا من بلد إلى بلد في الآيالة المذكورة إلى أن وصل لتطوان، فتزوج بها. في شهر يناير عام 96 الفارط - بامرأة اسمها رقية بنت السيد محمد الحموشي المكنى بحشلاف، وبعد شهرين سافر للرباط بأرملته وأراد الركوب بها من هناك، فمنعوه من ركوبها ولات مراكشة. والآن أرملته الأولى بإصبانيا طلبت من قنصلونا بتطوان ليأخذ لها نسخة من صديق أرملته التي بتطوان لتجري عليه الأحكام على مقتضى شريعتنا. فلأجل هذا نحن نحب من سيادتك أن نعيننا بكتابك للقاضي ليأخذ من صديق المسلمة التي هناك نسخة ويمسك بها قنصلونا ليكون ذلك حجة له. والرجل المذكور رجع نصرانيا كما كان، وهو الآن بمريكة في فرقة الرائي بوبليكا اسمها كراگس»¹⁹ Caracas عاصمة فنزويلا.

7. فيكتور كولان : V. Collin أستاذ بجامعة لوفان نشر سنة 1900 كتابا عن محاولة بلجيكا لاستعمار المغرب وعنوانه : «المغرب والمصالح البلجيكية : Le Maroc et les intérêts belges»²⁰.

-
15. المصدر الأخير ج 1 ص 155 و: «الصحف...» ص 220 وجان إيس : «قضية المغرب» ص 269 - 272 حيث أورد مقتطفات من محادثة السفير مع المخزن.
 16. ميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 128 وكيبين : «ألمانيا» ص 559.
 17. رسالة عبد المالك السعيد إلى الطريس في 27 ربيع الثاني 1315/25 شتنبر 1897، تطوان 76/81.
 18. رسالة أميني المرسى إلى الطريس في 28 ربيع الثاني / 26 شتنبر.
 19. رسالته إلى الحاج محمد اللبادي في 6 غشت 1897، تطوان 205/36.
 20. جان إيس : «قضية المغرب» ص 29.

ج : رومانيا

فاسيلي أليكساندري : Vassili Alexandri شاعر زار سنة 1853 بعض النواحي المغربية²¹.

ح : روسيا

1. أ.ب. بوتكين : A. P. Botkin كاتب زار سنة 1845 طنجة وكتب عنها في مجلة «سوفريمينيك : Sovremennik» مقالا عنوانه «طنجة»²².

2. أناتول ديميدوف : A. San Donato Demidov أقام بطنجة سنة 1847 ووصفها في أحد كتبه²³.

3. فيازيمسكي : Viazemski رحل إلى المغرب سنة 1881 و1882، وكان أول مواطن روسي يزور المناطق الداخلية من طنجة نحو مراكش ثم فاس والجزائر. ولقد ترك مذكرات عن سفره وأبحاثا تحتوي على معلومات ذات طابع جغرافي وإحصائي وإثنوغرافي²⁴. وجاء في رسالة عامل فاس عبد الله بن أحمد إلى عامل أحوازها العربي ولد أبا محمد سنة 1882 أنه هو «ابن عم سلطان جنس الموسكوا» الذي لما مر من هاته المدينة إلى وجدة أمر العاهل أن تهيب له السلطات وسائل الحراسة والاقامة وأن تحذره من مخاطر الحريق²⁵.

خ : الدانمارك

خورخي يريغط الريط (?) دانماركي سكن سنة 1885 بفاس ولبث بها زمنا. وجاء في رسالة سلطانية : «فقد أخبر عامل فاس أن نصرانيا من الدنمرك يسمى خورخي يريغط الريط ورد لفاس، وتزيا بزي المسلمين، وصار يدخل للمساجد والأضرحة والحرم، فوقع بينه وبين انصبيان مشاجرة في حال تزييه بزي المسلمين وتخلله المساجد، وأنه أحضره وسأله، فأجابه بأنه كان لابسا لباس المسلمين، ولا علم له بوجوب لبسه لباسه المعهود، وأنه لا يعرف الصبيان الذين تشاجروا معه وضاع له في حال مشاجرته معهم كيس بداخله أربع إبرات ذهب، وتكسرت له نقشة مجانته في جيبه، وضاعت له نعاله، فبحث عن الذين تشاجروا معه وقبض عليهم إلى أن تشفع له فيهم، وطلب منه تسريحهم، فمكنه من العشرين ريالا التي ضاعت له وسرحهم وأبرأ في الدعوى...»²⁶. ولم يتيسر ضبط اسمه.

21. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 180.

22. ناتيانا موساتوفا : «العلاقات الروسية المغربية في القرن التاسع عشر» ترجمة عبد الرحيم العضاوي، مجلة دار النيابة، العدد 18 ص 27.

23. المصدر الأخير وكذلك مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 99.

24. ناتيانا موساتوفا : «العلاقات...» ص 28.

25. رسالته في 26 ربيع الأول 1299/15 يراير 1882، الترنيب العام، وينظر عبد الهادي التازي : «العلاقات المغربية الروسية» في مجلة «البحث العلمي»، العدد 11 - 12، دجنبر 1967، ص 148.

26. رسالته إلى الضريس في 3 ربيع الأول 1303/10 دجنبر 1885، نظوان 44/4.

غير أن وثيقتين ذكرتا قبل ذلك أن «الرومي السريط من جنس النجليز» تنكر بلباس المسلمين ودخل لمسجد القرويين وجعل يدور به، وحصلت مشاجرة بينه وبين بعض الناس وعائنه صبيان كانا بالمسجد، وجعلا يصيحان خلفه، وأن النصراني كان أشقر اللون، ربعة في الطول. ولما علمت السلطة المحلية بذلك أحضره محمد بن عبد الله بن أحمد خليفة عامل فاس واستدعى عمر برادة للترجمة عنه. ثم وقع صلح بين السائح وخصومه²⁷.

د : النمسا

1. «الحاج عبد الكريم باي» : كايلينغ والمملكة الأراوكانية الباطاغونية

ارتبط اسم كايلينغ Gayling باسم المملكة الأراوكانية الباطاغونية. وقبل الحديث عن «الحاج عبد الكريم باي» نلاحظ أن نتعرف على هاته المملكة العابرة.

أ. الأراوكانية منطقة بجنوب التشيلي بين جبال الأندس الأمريكية والمحيط الهادي، والباطاغونية في جنوب الأرجنتين، ومساحتها ضعف مساحة فرنسا. والذي أسسها فرنسي من مدينة بيريكوه Périgueux اسمه أنطوان ده تونان Antoine de Tounens، كان وكيلا شرعيا بها. ثم أصبح مغامرا ينتمي إلى المحفل الماسوني.

وبعد أن وصل إلى ناحية أراوكانيا، وتعلم اللغة الإسبانية بالتشيلي وتعرف على جغرافية البلاد ووضع عنها خرائط، ادعى للسكان أنه أمير جاء بأموال وتأييد لاستنقاذ مجد البلاد، وطلب مبايعة السكان من أجل تحرير الأراوكانية من نير الاحتلال الإسباني، وانطلقت حيلته على القلوب، فبويغ وتسمى بالملك أوريلي Orélie الأول وأصدر في شهر نونبر 1860 دستورا، ثم ضم إليه الباطاغونية. وقد نجح في مسعاه، وأعلنت حكومة إنجلترا وإيطاليا وفارس عن قبولها لتعيين قناصلها بها. وبعد مدة يسيرة سقط أسيرا بيد الحكومة التشيلية ومكث سجيناً مدة، ولكنه استطاع أن يلوذ بالفرار، ثم وقع أسيراً مرة أخرى، وحوكم وأعلن أنه مجنون وطرد إلى بلاده. لكن الأحلام ظلت تراوده مدة طويلة لاسترداد ملكه، وفشل خمس مرات في مشروعه، حتى مات فقيراً في يونيو 1878 بفرنسا²⁸.

واهتبل الفرصة فرنسي آخر هو أشيل لافيارد A. Laviarde، وطالب بالعرش والنيابة عن الملك الهالك، وأطلق على نفسه لقب أشيل الأول. غير أنه لم يغادر فرنسا مطلقاً، مكتفياً بإرسال قناصله إلى مختلف الدول²⁹. وكان منهم:

ب : كايلينغ Gayling وهو من المدلسين الذين أرادوا التمويه على المخزن وعلى حكومات دول أخرى. وسننظر إلى ما كتبه المؤلفات الأجنبية قبل تلاوة ما قالته عنه الوثائق المغربية.

كان سنة 1879 مغامراً، حل بالمغرب صحبة المغامر الفرنسي فيردينان جولي المذكور سابقاً، ولما لم يصدق المخزن ادعاء الفرنسي فر «القبطان» كايلينغ. ولكنه عاد مرة

27. موجب عدلي في 4 صفر وإشهاد في 6 صفر / 12 و 14 نونبر.

28. شاكرك مصطفى : «ملك أراوكانيا» في مجلة «العربي» العدد 256، مارس 1980 ص 29 وما بعدها بخلخيص، وياك كايي : «النوادر المغربية»، ص 109 وما بعدها.

29. المصدر الأخير.

أخرى إلى المغرب سنة 1882 وسرق بغلة استسلفها من يهودي وباعها بفاس، فقبض عليه متلبسا بالجريمة، وحكم عليه نائب قنصل النمسا بالرباط بالسجن لبضعة أيام.

وفي المرة الثالثة رجع ووصل إلى الصويرة في نوفمبر 1885، وزعم أنه وزير مفوض من لدن الملك أخيل الأول، ورفع فوق داره علما مثلث الألوان بالأزرق والأبيض والأخضر. وكان في نفس الوقت يرتدي جلبابا ويغطي رأسه بطربوش فاسي. وكان لونه أزعر، وعمره نحو الأربعين سنة. وبمجرد ما وصل وجه رسالة إلى مولاي الحسن ينبئه بأن أخيل الأول قد تربع على العرش خلفا عن أوريلي أنطوان الأول المتوفى، طالبا أن تدعم العلاقات بين البلدين، وشافعا ملتصمه بخريطة المملكة الأراوكانية، ومستعملا في مراسلته أوراقا متوجة بشعار هاته الدولة، ولاسيما لما كتب في هذا الشأن إلى وزير فرنسا بطنجة.

وحاول الحاج عبد الكريم أن ينشئ شركة تجارية بسوس، فاتصل ببعض «الطلبة» السوسيين، ومنح حمايته لعدد من المغاربة مقابل قبض رشوة منهم. لكن القناصل استغربوا من وجود وزير مفوض بالصويرة دون طنجة، وأدركوا أن هاته المهزلة يمكن أن تنطلي حيلتها على المخزن، فتداعوا لذلك لدى السلطات المحلية. ولما حضر «الحاج عبد الكريم» أقر بأن الأوسمة التي يتوشح بها إنما هي مختلفة، فالزم سحب علمه. وقبل نهاية سنة 1885 غادر الصويرة قاصدا فرنسا، التي كتب قنصلها المحلي أن بلاده كانت وكرا لكافة المغامرين.

ولما حل بباريس زعم في ربيع سنة 1886 أنه طبيب السلطان كلفه بعدة مهام، وأنه غيور على بلاده، وجهه إلى فرنسا رجال من سوس ووادي نون، مدعيا أن له نفوذا كبيرا بالجنوب المغربي. وصارت جرائد مثل «الفيكارو» و«جيل بلاس : Gil Blas» تتحدث عن نشاطه ومحاضراته وبالأخص عن سوس، وانتهى الأمر باستقباله من لدن رئيس الجمهورية جول غريفي ووزير الخارجية ده فريسيني، ثم زعم لاحدى السيدات من الطبقة النبيلة بفرنسا أنه سيجعلها ملكة سوس.

ولما بلغ علم ذلك لأعضاء السلك الدبلوماسي بطنجة، خشي فيرو أن يكون في ذلك إساءة إلى العلاقات الجيدة بين المغرب وفرنسا، وأخذ نواب إنجلترا وإيطاليا وألمانيا يسألونه عن مدى صحة هاته الأنباء.

وأطبق الصمت على قضية الحاج عبد الكريم، إلى أن كان شهر شتنبر 1893، حين وصل كايلينغ للمرة الرابعة إلى المغرب، فحل بالرباط قادما من لندن صحبة كاتبه الجزائري اسمه الشيخ ابن عبد القادر. وكان الحاج عبد الكريم عميلا لشركة تجارية إنجليزية تدعى أفريكان أند غولد كوست طريدينغ كوربوريشن ليميتد : African and Gold Coast Trading Corporation Limited أمدته بألف جنيه استيرليني أملا في فتح مركز تجاري بسواحل سوس. وبالرباط أخذ يطلق لسانه في البعثة العسكرية الفرنسية، ذاكرا أن أعضاءها جواسيس. ثم قصد مراكش لكي يقترح على السلطان سلفا قدره ثلاثون مليوناً باسم جماعة من رجال الأبنك الانجليزيين. لكن كان مآله الطرد، فعاد إلى الرباط ومنها أبحر إلى فرنسا.

وانصرمت أربع سنوات فعاد إلى المغرب للمرة الخامسة سنة 1897، صحبة الانجليزي سبليزبوري بصفتها ممثلين لشركة لندنية اسمها كلوف فينتشور سينديكيت، مدعيا أن له تفويضا من أهل سوس. وسعى في النزول بمرسى أصاكا دون جدوى. وفي سنة 1903 نزل

كايلينغ بوهران فاعتقل ثم طرد من الجزائر، لأنه كان يحاول الالتحاق ببوعمامة البوشيخي³⁰. كان الحاج عبد الكريم محتالا، ذا ماضٍ ثقيل، فقد سجن بمدينة فرانكفورت قبل ذلك بتهمة الجاسوسية³¹.

هذا هو كايلينغ حسبما ذكرته بعض المصادر الأوروبية، وهو شيء لا تخلو منه الوثائق المغربية التي تحدثت عن نزوله بالصويرة سنة 1885، وعن هذا «الرجل الذي ورد لأسفي، وسمي نفسه عبد الكريم، وزعم أنه باشادور الأروكانية والبتاغونية... ورد من أسفي للصويرة ونزل بدار الفوندة بالقصبة القديمة لليهودي سغدية ترجمان قونصوا الصبنيول، ورغم أنه له مكانة عند جنسه وعلق عليه نישانات، زاعما أنها تدل على علو مرتبته، وجعل بالدار المذكورة بنديرة لا يعرف لأي جنس هي. فتضرر قونصوات الأجناس منها... وطلبوا إخراجه من البلاد أو القبض عليه، فجعل عليه اليد... فأمرناه بمساعدتهم على إخراجه أو القبض عليه، وعدم الالتفات لزعرفته وترهاته المذكورة»³².

وفي رسالة مجهولة الكاتب وجهت سنة 1886 نجد صدى لوجود كايلينغ بفرنسا، مخاتلا ومخادعا : «ففي جزيطة في افرانصة، يعلمون بوصول الحاج عبد الكريم باي إلى باريز، وتلاقى مع البرزیدنطي أكربي ومع الوزير منسطر أفرزني، وذكر أنه طبيب للسلطان، وكان مكلفا من قبائل آل سوس ليخاطب بطاعتهم لدولة الفرنضيص، ويطلب بأنهم يحوزون سوس... فإن هذا الخواض المذكور ليس هو حاج ولا عبد الكريم ولا باي ولا طبيب للسلطان، إنما هو أحد من رعية النبريال اسمه كِيلَنَك، الذي هذه مدة سنين كان توجه هنا لطنجة مع أحد من افرانصة اسمه جُلي، وعلى ذكره يدعي بالشرف من جانب السلطان، وأراد يطلب كرسي مملكة مراکشة. فقد كان مسجوناً في طنجة ومات بالسجن. وكِيلَنَك المذكور فر لحال سبيله. وهذا هو الخواض المذكور بنفسه الذي كان يتلبس بلباس المسلمين، ويجعل النيشانات في صدره زورا، كتب لدولة السلطان ولجميع نواب الأجناس يذكر أنه كان منسطر بلين بوطنشير متاع السلطان أروكانية، وجعل سنجاقه بالصويرة، الذي الولاية نزعه منه. وحينئذ سجن عليه وبعده سرحوه وتركوه، فليس هو كائن سلطان معروف متاع أروكانية. وكِيلَنَك عمره ما كان منسطر. نعم، هو رجل فضولي خواض يدخل في مسائل ليست من شأنه. فالمنسطر الفرنضيص ذكر أنه «تَغْيَر» غاية. حيث نظر هذا في جوازيط الفرنضيص... جعل التلغراف لدولته... ليقبضوا على هذا الخواض المذكور وسجنه»³³.

وهكذا لم يخدع المغرب وحده، بل دلس أيضا على دول أخرى وموه على رؤسائها ورجال حكومتها مثل رئيس الجمهورية الفرنسية غريفي Grévy ووزيرها ده فريسيني de Fréycinet. ولم يكتف نائباها بالتنبيه عليه، فقد حذر أيضا منه نائب الانجليز الذي أعلم المخزن بحال هذا المغامر، فأجابته السلطات شاكرا له حسن صنيعه³⁴.

30. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 340 و 681 وفيسجيربير : «على عتبة...» ص 89، وكايي : «النوادر...» ص 109 وما بعدها.

31. المصدر الأخير ومبيج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 340 وج 4 ص 172.

32. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 ربيع الأول 1303/10 دجنبر 1885، تطوان 54/4 ورسالة عبد الخالق بنهيمية إلى أحمد بن موسى في 29 صفر 1303/7 دجنبر 1885، محفظة عبد الخالق.

33. رسالة إلى غريط في 10 مايو 1886/6 شعبان 1303، وأخرى بنفس التاريخ، تطوان 12/46.

34. رسالة مخزنية في 9 شوال 1303/11 يوليوز 1886، تطوان 24/46.

2 - 4 : ثلاثة أشخاص كان أولهم ضابطا زاروا المغرب سنة 1893، والتمست القنصلية العامة من المخزن رخصة زيارتهم، وها هي أسماؤهم حسيما وردت في المصدر : «الكبيطن ألكشيط بالهوفر» (?) August Vanhovel و«أكريمر» (?) Grimmer و«لينر» Linner (?) (?)، وكانوا من أعيان النمسا³⁵.

ذ : السويد

يعقوب كرابيرغ أف هيمسو J. Graberg af Hemsö قنصل السويد والنرويج بطنجة والنائب عن إيطاليا قبل وحدثها، وقد ألف كتابا عن المغرب طبع سنة 1832 بمدينة جنوة، وله تقارير تجارية³⁶.

ر : سويسرا

فرانس بوشر : F. Buscher رسام تجول بالمغرب سنة 1858 و1859 صحبة أحد العلوج فزار مدنا مختلفة مثل وزان وزرهون وفاس³⁷.

ز : السنغال

1. ليوبول بانى : L. Panet نشر كتاب رحلته من السنغال إلى الصويرة سنة 1850. خرج من أنضر (سان لوي) إلى تمبوكتو، ولكنه صُرف عن مهمته فذهب إلى شنقيط ثم التحق في 25 ماي بالصويرة³⁸.
2. أبو المقداد : Bou El Moghdad حل بالمغرب من دجنبر 1860 إلى مارس 1861 ثم رحل منه إلى السنغال عن طريق البر. وله كتاب أصدره في السنة الأخيرة³⁹.

ط : من أقطار غير معينة

1. مغامر نصراني ورد سنة 1827 واتصل بمولاي عبد الرحمان مدعيا أنه ابن السلطان مصطفى الرابع العثماني الذي ولي العرش من 1807 إلى 1808 وزاجيا منه شفاعته لدى عمه السلطان عبد المجيد. «وكان يركب لزيارة الصالحين، ويزعم أنه ملتصق لبركاتهم وكراماتهم، فأكرمه السلطان بأعظم الجوائز ثم أنصرف وقد حاز بالاحتياال أموالا كثيرة. فلما بلغ جبل طارق ظهر أنه نصراني بطريق من البطارقة»⁴⁰.
2. سيكر : Seager «الجنرال عبد المجيد» أروبي غريب الأطوار كان مغامرا دوليا لم تقطع المصابر بجنسيته : فهل ولد بإنجلترا ؟ أم بسويسرا ؟ وهل هو ألماني الأصل ؟ فقد كانت له علاقات مع جهات أوروبية مختلفة. تسمى عبد المجيد وتلقب بالجنرال لأنه كان قبل وصوله إلى المغرب قد شارك في معارك هنغاريا إلى جانب كوسوت Kossuth أحد أصدقاء الزعيم الإيطالي كاريبالدي.

35. رسالة بوليسلافسكي إلى الطريس في 6 مارس 1893/17 شعبان 1310، محفظة النمسا.

36. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 115.

37. كذلك ج 1 ص 80 وكيين : «ألمانيا...» ص 10.

38. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 32.

39. أيضا ج 1 ص 79.

40. محمد أكنسوس : «الجيش...» ج 2 ص 30 - 31.

وفي سنة 1874 استوطن مراكش والصويرة التي كان له فيها كاتب اسمه مارشال Marshall وخادمة فرنسية اسمها ماري بيلكومب M. Belcombe وطباخ فرنسي. وكانت له طموحات لنيل امتيازات التنقيب المعدني وفتح الأبنك وتحقيق مشاريع مد القنوات والسكك الحديدية.

وفي سنة 1875 كلفته جهات ألمانية بنشر الدعاية لها بسوس والدخول في مفاوضات مع آيت باعمران والتمهيد لوصول مستكشفين ورحالة ألمانين إلى الجنوب.

وفي شهر أبريل 1876 قصد سفارة ألمانيا بلندن لكي يحصل على تعيين حراة ألمانين وإرسالهم إلى المغرب، مدعيا أن له نفوذا لدى السلطان فزعم أنه كلفه بمهمات سرية بأروبا، غير أن السفارة تبرأت منه، ولو ادعى أنه كان صديقا لبسمارك.

وفي سنة 1884 اقترح على وزارة الخارجية الفرنسية إنشاء «شركة لاستغلال المغرب»، وفي سنة 1889 التمس إحداث بنك مغربي بأموال فرنسية وإنجليزية وإسبانية. واستمر هكذا إلى أن انسحب إلى طنجة أوائل القرن العشرين⁴¹.

وهناك سيكر آخر لاندري هل هو نفسه، ولو أنه كان ذا طموحات مثله. ففي سنة 1861 كتب سيكر ده ليبسارتس Siger de Libessarts رسالة إلى السلطان ملتصا منه تعيينه قنصلا ووكيلا عنه بباريس حيث هو وكيل القنصلية العامة لبوليفيا، ومقترحا عليه فيها تنظيم الجيش المغربي ومد السكك الحديدية وتأسيس مركز بنكي وعقد سلف لادخال الاصلاحات الواجبة⁴² في نظره.

41 مينيچ : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 334 (4) وكيين : «ألمانيا....» ص 73 و 78 - 79.

42. بن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 544.

القسم الثالث :

تذييل وملاحق

① المغاربة بالخارج*

هذا التذييل تأليف تكميلي جديد كنت أعدته للنشر في مستقبل الأيام. إذ ما كاد ينتهي طبع الجزء الأول حتى بدأت أقف على وثائق جديدة وأجمع جذاذات كثيرة كلها مواد مفيدة تتعلق ببعض مما كنت قدمته في أبوابه وفصوله. وحصل لي الشيء نفسه بعد طبع الجزأين الثاني والثالث. إذ كنت حريصا على تجديد معلوماتي وتنقيفها بمعطيات وتنقيحات تزيد الأحداث توضيحا، مثلما فعلته في التصويبات التي لم أفتأ أقدمها عقب كل جزء مطبوع.

فلا يخفى على أحد سبب هذه الاستدراكات المتعاقبة وهو أن مصادر التراث المغربي مبعثرة، وأن المعروفة منها مازالت لم تفهرس، وإنما رتبت ترتيبا حوليا، وقليلها فهرس فهرسة موضوعية مثلا بمديرية الوثائق الملكية بالرباط. وإذن لا سبيل إلى تلافي ذلك وتتبع البحث إلا بمواصلة الاستقراء ومراجعة النصوص التي ينسخ بعضها بعضا في الأحكام.

حالة الوثائق هاته كلفتني من أمري مالا أطيق إلا بالصبر والمثابرة، فظللت أدر في ملفات خاصة كل ما وقع تحت يدي وبصري، وتلومت السبيل إلى نشره عندما تسنح الفرص.

ولم تسمح الآن المناسبة إلا باستدراك ما يتعلق بالمغتربين، دون الأبواب الأخرى في الأجزاء المطبوعة. فهذا كتاب يتناول أحوال المغاربة بالخارج، فلم لا أضيف إليه ما هو ما عندي ؟ ولا يشك أحد أن ما أدرجته إنما هو تأكيد وليس نقيا لما تقدم، وأنه إثراء للموضوع بفوائد ستفاجئنا وسنعرفها عند قراءتها.

وفيما يلي عناصر التذييل الجديد، مُحال على الصفحات التي سبق تناوله فيها.

* يضاف هذا التذييل إلى الجزء الأول ص 57 - 144.

أ . الولايات المتحدة الأمريكية (ص 64)

غير أن رسالة الحاج عبد الله بن التهامي إلى الطريس تفيد أنه كان لا يزال سنة 1898 تاجرا بأمريكا بولاية المسيسيبي وبمدينة دونالدسفيل Donaldsonville، وأن تجارته كانت قائمة على بيع مواد مثل التبغ والعلف والحبوب والنخالة والزجاج والخشب الفحامي والخزف. وكانت تلك الرسالة متوجة بحروف لاتينية : H. A. Bentamy وحاملة لعنوان دكانه : زاوية زنقة سينت باطريك وزنقة آيبرفيل Iberville.

وكان مراده بالرسالة المكتوبة «عن إذن الحاج عبد الله بن التهامي» هو التظلم من عامل أزمور الوعدوي بن عبد السلام الذي طرد أبناء عم البقالي المذكور من بلادهم «على وجه الظلم والتعدوا على الناس»¹.

5. أحمد بن التهامي العبدى البقالي كان مقيما بالولايات المتحدة ثم عاد منها سنة 1897 حسب رسالة السلطان إلى الطريس. وجاء فيها «أن شخصا من قبيلة عبدة يعرف بابن التهامي كان توجه لبلاد المركان وأقام بها مدة، ثم ورد في هذه الأيام على أنه رعية المركان، لابس الكسوة الفرنجية والشمير، وبيده كتاب من الخديم اللبادي لعامل أزمور بالتعريف به والتنبيه على فصل ما يدعي بنهبه لمخالط له بقبيلة الشياظمة إيالته بحث على دفع الدراهم من غير بحث ولا تثبت، زاعما أن المتجمل له في المنهوب خمس عشرة مائة ريال وستون ريالا، وألح على العامل المذكور في طلب الفصال وقبض الدراهم، حتى حمل ذلك العامل الخوف من المواخذة المخزنية على المسارعة للفصال معه بألف ريال، من غير تنبيه لمطالبة المدعي بمواجب الاستحقاق ولا تثبت في أمره باستيذان جانب المخزن.

«ولما رعا هذا المركاني ما قوبل به بأزمور من الاعتناء قويت بواعث تنطعه وتعصبه، وصار يبرز ما كان كامنا فيه، فجمع عليه أولا عصاية من الأوغاد والسفلة الذين لا خلاق لهم، وصار يتجاهر بالاتهماك في المناكر ليلا ونهارا، ويمد اليد عيانا في محارم الناس طوعا أو كرها بوسط أزمور، وتعصب على دوار الفقراء بهشتوكة، وطبع مواشيهم بطابعه على أنهم كلهم في حمايته، واتخذ سجنا بدار نزوله من الزاوية الشعبية، وسجن فيه عدة أناس يتجاوزون العشرة، من جملتهم أحد أشياخ العامل على هشتوكة، ولازال مسجوننا، وتعرض على عسكريين قديمين في الخدمة العسكرية، وكادت نار الفتنة أن تتقد بالبلد في شأنهما، وقبض على رجل من عبدة ورد بالقمح ليبيعه بأزمور، وأوجعه ضربا وأودعه السجن على يده، ولم يسرحه حتى قبض منه أكثر من مائة ريال. وإذا ركب أركب معه أربعة فرسان، كل واحد منهم حامل لمكحلة من ذوات العمانر 16، مع راجلين متسلحين أيضا، ودخل على هذه الحالة لمدينة الجديدة في الرابع عشر من شهر التاريخ حتى شاهده الخاص العام، وفزع الناس من ذلك، ولازال أمره في الزيادة...»

1 . رسالته في 28 رجب 1316/12 دجنبر 1898، تطوان 76/68.

إن هذا التصرف من رجل ذهب إلى أمريكا ثم رجع منها وصار يتجول حرا في حياة الكوبوي رعاية البقر المسلحين بالنباذق الكبيرة يذعرون الناس ويفزعون السلطة والسكان لمن الأمور العجيبة التي تقع بالمغرب. وهو ما حذا بالسلطان في رسالته هاته إلى أن يأمر نائبه بطنجة بإثارة الكلام مع القنصل العام الأمريكي ليحد من غلواء هذا المتسلط المتأمر، وليحسم مادة هذا الافتيات على نفوذ السلطة المخزنية، وليقيم الحجة على هاته «الجراءات الشنيعة، التي لولا تدارك المخزن تسكين أهل البلد، حتى يتوصل لعقدها بالموجب الذي لا يسع معه إنكار، لنشأت عن ذلك فتنة عظيمة، وضاعت أموال ورقاب للتجار وغيرهم...»².

ولئن لم أقف على مثال هاته القضية ولا على أسماء أصحاب هذا الفتان ممن كانوا في عصابته فقد ساقط وثيقة اسم الجنديين اللذين كانا محميين لابن التهامي، وكان أحدهما بحريا اسمه عيسى بن أحمد بن الحسن وكان اسم الآخر هو محمد بن الحاج ابراهيم فينونة الفقري³ حسبما جاء في موجب أول.

ونص موجب آخر على أن أحمد بن التهامي كان قد دخل أزمور في يناير 1897، واشتغل بمد اليد في المحارم⁴، لربما على الهيئة التي سيكون عليها في النعت السابق. وتصفه وثيقة مخزنية بأنه كان أعرج، وأنه كان مشلولا من رجله ومن يده، وأنه كانت له خلطة مع أهل دكالة وعبدة.

وختام الحديث عنه : يبدو لي أنه شقيق الحاج عبد الله المذكور قبله، وأنه كان يعيش معه مدة في أمريكا حيث كان يشاهد أعمال اللصوصية والنهب والبطش. فالمقارنة في نسبهما تثبت أنهما أخوان.

ب. إنجلترا (ص 66 و 73)

وهكذا فإن علي ورصاص وعلي أدولفوس قاسم ماهما إلا شخص واحد. وبخصوص هذا الرجل الذي كان ملاحا بحريا ذكرت رسالة مخزنية سنة 1886 : «فقد وصلنا كتابك أن علي ابن قاسم حامله : أبوه مسلم من بلاد سوس، وأمه انجليزية ولدته ببلادكم، فصار لأجل ذلك من جملة رعية اكريت ابريطن، وأن علي المذكور بيده رسوم تضمنت أملاكا لوالده في بلاد سوس، وأنه يخدم أبلوط في مرسى الصويرة، وسيرته جميلة، واستكتبك للحضرة الشريفة بأن ينصفه سيدنا أيده الله من أهل سوس بتمكينه من أملاك والده...»⁵.

2 . رسالته في 21 شوال 1314/25 مارس 1897 تطوان 114/15 ومثلها رسالة السلطان إلى أمين مستفاد الجديدة محمد فرج في 22 شوال / 26 مارس، الترتيب العام.
3 . موجب في 25 قعدة / 27 أبريل، تطوان 110 / 192.
4 . موجب في 7 شوال / 11 مارس، تطوان 117 / 163.
5 . رسالة مخزنية إلى نائب إنجلترا في 24 رمضان 1303 / 26 يونيو 1886، تطوان 46 / 18.

وبعد سنوات تحدثت عنه رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس بكثير من التفصيل سنة 1897 فقالت : «إن المتنصر المسمى علي وارصاص النجليري كتب لنا كتابا من الصورة، زاعما فيه أن له ملكا ببلاد سوس يريد بيعه، ويطلب فيه مالا له بال. ولما بحث من خارج - عن حقيقة هذا المتنصر تبين أن أباه كان من الهياضة يتردد لبر النصرى للعب بالطياتريات إلى أن تزوج نصرانية نجليرية، فولد له معها صاحب هذا الكتاب بالصورة. وبعد موت الزوج توجهت النصرانية بالولد المذكور لبر النصرى، فتنصر نجليريا، وصار يتردد للصورة، مملقا لا يتعيش إلا بما يحاسنه به من يرد لذلك الثغر الصوري من البساجير ونحوهم، وأنه كان ورد عام ثمانية الفارط على القاضي الحاج علي القرمودي وقت انتصابه للقضاء برقاع من الكواغيد يروم التوصل بها لاثبات ما يزعمه من الملكية، فردها عليه لعدم إفادتها.

«فصدر أمر سيدنا أيده الله لأمناء الصورة وعاملها الآن بأن يجتمعوا بالرجل ويستوعبوا كلامه والرسوم التي يدعي بها تحت يده، ودفعت للقاضي، فأخذ نسخة منها باللفظ، وسجل عليها الحكم ببطالانها وعدم نهوض حجة منها، إذ لا ذكر فيها لمن هي بيده ولا لأحد من آباءه وأجداده، وحتى على فرض وجود ذكر لأحدهم فيها فلا وصلة له بها لا بوجه ولا بحال. ومع ذلك راودوه على البيع لجانب المخزن بشيء يناسب من الدراهم حسما لمادة روجان ادعائه في هذا الموضوع، وإن كان ادعاء باطلا لا أصل له. فلم يزد ذلك إلا حمقا وهذيانا بطلبه في الثمن اثني عشر ألف إبرة، حيث رءا من جانب المخزن الاعتناء والاعتبار لسماع شكواه، فصمم على طلب العدة المذكورة.

«وكل من سمع من تجار الأجانب والقناصل ما أشاعه هذا المعتوه من البيع بما ذكر استغرب ذلك. وزاده طيشا أنه لما بلغ للوندريز خبر محاولة الأمناء معه حسم مادة هذيانه، كتب له كباتية النصراني أكرتيس الذي كان قبض عليه بسوس عام ثلاثة عشر وسجن مدة، كما كتب له النجليري ميجور الذي كان بأركسيس هذه الأيام، وذببطوه عن الامضاء حتى يتلاقى بهم، فتوجه إلى اللوندريز وأطلعهم على البطائق المبتورة، فلم يفهموا لها معنى، واستروحوا عدم صحتها، لكن من طمعهم جعلوا معه البيع بثلاثة آلاف إبرة، على شروط : منها الاتيان بالملكية الصحيحة (ولا مطمع في صحتها، فضلا عن توصله لها)، ومنها أن يمكنهم بالفعل من جميع ما يزعم أنه يملكه يدا بيد. ولما رجع خائبا من اللوندريز ورجع النصراني النجليري من أركسيس تبين أنه لم يبق له طمع، إذ لا شبهة له يتوصل بها لذلك...»⁶.

أما باقي المستوطنين الخ...

33. شلومو بن يوسف لاريدو أصله من الجديدة حيث كان سنة 1889 سمسارا للاخوة ليبي القاطنين بلندن⁷. وقد انتقل بعد ذلك إلى إنجلترا، و«طال مقامه ببلاد النجلير فصار من رعيته»⁸ قبل سنة 1896 .

6 . رسالته في 5 جمادى الأولى 1315/2 أكتوبر 1897، تطوان 65/24. ولعل أكرتيس هو كرتيس Curtis، أما الميجور فهو سبليزبوري Splisbury.

7 . مصطفى بوشعراء : «الاستيطان...» ج 3 ص 991.

8 . رسالة السلطان إلى الطريس في 18 فعدة 1313/فاتح ماي 1896، تطوان 177/14.

34. إسحاق بنسعود استوطن لندن سنة 1851 للتجارة بها، وكان مراسلا لأخيه ابراهام القاطن بالصويرة⁹.

35. يهودة يولي كان يسكن بلندن للتجارة بها مثل ابن أخته إسحاق بنسعود¹⁰.

36. يهودة حاشويل مثل السابقين كان سنة 1880 تاجرا بلندن حيث تنجلز¹¹.

37. ابراهام الزاكوري الصويري كان سنة 1897 بلندن حيث احترف التجارة¹².

38. موشى أفلاو عاش بلندن مدة طويلة وكان مراسلا للمخزن أواخر القرن الماضي¹³.

39. الحاج العربي جسوس كان تاجرا بلندن قبل سنة 1894، فلما كان بنواحي فاس في السنة الأخيرة هجم عليه وعلى أخيه عبد الرحمان أربعة أفراد من قبيلة الشراردة وسلبوهما ما كان معهما من مال¹⁴.

40. محمد بنشقرون احترف التجارة سنة 1895 بمدينة مانتشيسطر¹⁵ وحتى قبلها. هؤلاء هم الخ....

ت. فرنسا (ص 74 و 75)

على أن من شركاء الحاج محمد بن عبد الرحمان الحلو كان كولار Colar و بيرنجي Berengier القاطنين بمرسيليا¹⁶.

5. أبو بكر بن محمد مزور احترف التجارة بالخارج منذ سنة 1872 وكان سنة 1886 لا يزال مقيما بمدينة مرسيليا. كما أنه كانت له روابط تجارية مع محمد مزور الساكن بفاس وعمر مزور القاطن بالدار البيضاء¹⁷.

6. محمد بن العياشي بناني الخ...

13. عبد الله الخطيب اتجر بمرسيليا أواخر القرن الماضي¹⁸.

14. العربي برادة كان سنة 1894 تاجرا بمرسيليا¹⁹.

9. ميج : «المغرب وأروبا»، ج 2 ص 574 (10)

10. أيضا.

11. كذلك.

12. رسالة علي ابن الحاج إلى اللبادي في 16 رمضان 1314 / 18 يراير 1897، تطوان 170/90.

13. رسائل كثيرة عنه بمحافظ الترتيب العام ومحفظة المغرب إنجلترا.

14. رسالة سعيد بن فرجي إلى السلطان في 6 رمضان 1311 / 13 مارس 1894، الترتيب العام.

15. رسالة بنشقرون إلى محمد اللعي في 24 جمادى الأولى 1313 / 12 نونبر 1895، الترتيب العام.

16. رسالته إلى الحاج الطبيب الصبيحي في 27 رجب 1314 / 1 يناير 1897، الخزنة الصبيحية.

17. رسالته إلى الحاج عبد الواحد التازي في 18 رمضان 1303 / 30 يونيو 1886، خزنة كلية الآداب

بالرباط الوثيقة 436 / 2 وكذلك ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 406 (4).

18. المصدر الأخير ج 3 ص 251 (5).

19. رسالة السفير الايطالي إلى الطريس في 6 دجنبر 1894، تطوان 50/57.

15. الطيب بن الحاج محمد بن الصغير المراكشي كانت وفاته سنة 1893 ببابور متوجه إلى فرنسا، وحيز متخلفه ووضع بمدينة بوردو، وطلب ورثته تمكينهم منه، فوكلوا على ذلك شركة مردوخ بوطلير بأسفي، وقد حازته بالفعل²⁰.
ث. ألمانيا الخ...

ج. إيطاليا (ص 77)

8. المفضل بن الحاج عبد الغني القباچ كان سنة 1903 تاجرا بمدينة جنوة²¹.

ح. إسبانيا (ص 78)

... فجاء لاستخلاص ديونه. على أن عبد السلام بن محمد برادة كانت له ديون أخرى على بني عمار. وقد انتقل سنة 1884 للاستيطان بتطوان²².
3. ولاشك إلخ...

خ. جبل طارق (ص 82 و 83)

... تصديرا وتوريدا (103). ومن الذين كانوا بجبل طارق أيضا :
- عبد السلام بنونة الذي مكث تاجرا هناك 17 سنة منذ 1891، حتى أفلس وهرب إلى سبتة وتخلدت بذمته أموال لم يؤدها لتاجر ألماني كان مقيما بالجزيرة الخضراء²³.

- محمد المقايسي لم يكن تاجرا وإنما كان سنة 1898 من أهل الدعارة وعظائم الأمور، وكان قد فر من جبل طارق قبل هذا الوقت بدراهم الناس، ثم رجع تائبا، ولكنه عاد إلى حالته الأولى في شرب الخمر وسب الناس والخصام، واشترى سكينا كبيرا، وأراد أن يقتل به ولد العمارتي، فقبضه بوليس جبل طارق²⁴.

ومهما يكن إلخ...

6. الحاج محمد بنونة وهو الذي خلف الحاج سعيد جسوس على رأس القنصلية سنة 1890 (112) وظل كذلك حتى توفي فعين مكانه سنة 1898 :

20. رسالة نائب فرنسا إلى المخزن في 10 شعبان 1310 / 27 يراير 1893، تطوان 40 / 73.
21. رسالته إلى الحاج محمد فرج في 21 رمضان 1321 / 11 دجنبر 1903، الترتيب العام.
22. رسالة محمد الجامعي إلى عبد الله بن أحمد في 21 حجة 1301 / 12 أكتوبر 1884، الترتيب العام.
23. رسالة روزن إلى الكباص في 10 دجنبر 1908، محفظة جبل طارق.
24. رسالة عبد السلام بوزيان إلى الطريس في 16 جمادى الأولى 1316 / 2 أكتوبر 1898، تطوان 145/82.

7. عبد السلام بن أحمد بوزيان «لما كنت أثبت عليه به سابقا من النجدة والمروعة والخيرة»²⁵. وبعده أسندت الوكالة سنة 1906 إلى :

8. محمد بن الحاج محمد مرتيل²⁶ الذي استمر في منصبه إلى أن فرضت الحماية على المغرب

ويغلب علي الظن إلخ...

د. البرازيل (ص 84)

6. ابراهام بوطبول الطنجي الذي استوطن مدينة بيليم، وفي سنة 1847 كانت وفاته²⁷.

7. وعلى الحدود البرازيلية وبمقاطعة كويانا الفرنسية كان يعيش أحمد بن الحاج المخلف قادة الوجدي، وكانت وفاته في السجن هناك في 10 يبرابر 1891 عن الثلاثين من عمره. وكان صاحب مطعم ومتزوجا بامرأة اسمها كابريل Gabrielle²⁸.

8. محمد بن الوزّاع وهو رباطي تعلم بإيطاليا وتخرج ضابطا، وفي سنة 1902 رحل إلى البرازيل وأقام بمدينة ساو باولو ثم انقطع خبره، ولم يعد حتى بعد سنة 1930 حسب مذكرة أحمد الجبلي العيدوني.

ذ. دول أمريكية إلخ...

أ. السينغال ومالي (ص 88 و 90)

6. الحاج إبراهيم بن علي السوسي الفاسي (تدمج ترجمته في ترجمة المغترب التاسع، فهما شخص واحد).

16. عبد الله الشتيوي الزيارى كان غائبا قبل سنة 1897 في «بر الأفريك»، ولما رجع صار يوسوس لآخوانه واشتغل بخوضهم وأراد أن يعمر ذمتهم هنا²⁹ بقبيلة بني مالك بالغرب. والراجح أنه أحد العمال الذين كانوا يشتغلون في مد خطوط السكة الحديدية منذ سنة 1886 أو بعدها، فعاد ملئيا ومستعدا للمخالطة مع الناس.

17. المختار بن مسعود المراكشي كان سنة 1903 تاجرا بالسينغال³⁰.

25. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 شعبان 1315/7 يناير 1898، تطوان 47/16.

26. موافقة السلطات البريطانية على تعيينه كانت في 30 يوليوز 1906، محفظة جيب طارق.

27. مبيج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 577 (1).

28. رسالة جول باطنوطر إلى الطريس في 27 يونيو 1891، تطوان 138/38.

29. رسالة إدريس الحباسي إلى اللبادي في 20 صفر 1315 / 21 يوليوز 1897، تطوان 119/94.

30. رسالة العباس الفاسي إلى الحاج أحمد الطريس في 2 جمادى الأولى 1321/15 غشت 1903، تطوان 37/87.

ب. الجزائر (ص 92)

9. الحاج ادريس بنعبد الجليل كان حوالي 1903 خليفة لعامل فاس، وقبل ذلك كان يحترف التجارة بمدينة الأصنام حيث عاش مدة طويلة³¹.

وهناك طائفة من المغاربة كانوا مقيمين بمختلف المدن الجزائرية حتى توفوا بها. وكان منهم :

10. علي الرايس بن علال، أبوه يسمى علي، وأمه هي فاطمة بنت فطيمة، ولد بطنجة حوالي 1848 وتوفي بسجن الجزائر يوم 13 يناير 1893 عن نحو 45 سنة من عمره، بعد أن حكمت عليه محكمة الحراش بالسجن من أجل الضرب والجرح. وكان متخلفه يبلغ 383،11 فرنكا³².

11. عبد الرحمان بن العباس بن الحاج أحمد الشاوي وأمه مسعودة بنت العربي مات سنة 1893، مخلفا 11،75 فرنكا³³.

12. الحفيان بن الحاج العربي أمه عائشة بنت أم الخير، وقد ولد بحوز مراكش حوالي سنة 1858، وسجن بالجزائر من أجل السرقة حتى مات يوم 17 أبريل 1892 ولم يخلف شيئا³⁴.

13. سالم بن عبد القادر بن علي السوسي من مواليد أنزي وتوفي يوم 25 يناير 1888، بمرض السل العظمي³⁵.

14. محمد بن محمد بن عمر أمه تدعى فاطمة بنت رحمة ولد بفاس حوالي 1858 وكان مستخدما مياوما وفقيرا، وتوفي يوم 27 أبريل 1888 بمستشفى تلمسان³⁶.

ت. تونس (ص 94)

5. الطيب بن كيران جاء عنه سنة 1884 في رسالة سلطانية أن الحاج العربي بريشة عامل الدار البيضاء أخبره قنصل فرنسا بها «أن كبيرهم بتونس أمره بحماية الطيب بن كيران وأولاده وأهله، فلم يقبل منه حمايته... لكون المذكور من أعيان تجار أهل فاس

31. أوجين أويان : «مغرب اليوم» ص 128 - 129.

32. الوثيقة 5/39 بتطوان مترجمة إلى العربية في 12 أبريل 1893.

33. رسالة دوبيني إلى الطريس في 3 يوليوز 1893، تطوان 39 / 19.

34. الوثيقة 6/39 بتطوان مترجمة في 12 أبريل 1893.

35. الوثيقة 7/41 بتطوان.

36. الوثيقة 11/41 بتطوان.

الذين لا يتخذ أمثالهم سمسرة أو كتاباً³⁷. ومن هاته الوثيقة يفهم أن ابن كيران كان قبل السنة المذكورة مقيماً بالقطر التونسي قبل أن يعود إلى الدار البيضاء.

6. الحاج محمد بن الحاج الغربي توفي سنة 1890 بمدينة الكهف وخلف اثنين من الأولاد هما محمد وأحمد الساكنان بطنجة حسبما ذكره القائم بأعمال فرنسا الذي طلب ممن يريد السفر للاحاطة بإرث الهالك أن يتزود بالأوراق الشرعية الكافية³⁸.

7. ابن بوعزة السعيد كان له أبناء بتونس سنة 1897، فأراد عمهم الحاج محمد بن بوعزة زيارتهم وإرجاعهم لعمارة بلدهم³⁹ لاسيما بعد وفاة أبيهم على ما يظهر.

8. عبد الحكيم التونسي أوعبد الحكيم بن محمد المزوغي وهو مغربي ولد بتونس ولكنه رجع إلى المغرب فعمل وزير فرنسا سان رني طيانديي سنة 1902 على طرده⁴⁰.

وأصله من قبيلة مزوغة بنواحي أمزميز إقليم مراكش، وعرف بالتونسي لأن أباه كان مستوطناً بتونس حيث ولد له عبد الحكيم هذا الذي درس بتونس ثم بجامعة الأزهر بالقاهرة وتجول بأوروبا وأقام بعض الوقت بتركيا. رحل إلى المغرب وهو في مقتبل العمر فاستوطن طنجة ومراكش، واستخدمه المخزن في بعض شؤونه، لأنه كان واعياً ومتقفاً. ولهذا تضايقت منه مفوضية فرنسا وطالبت برده إلى مسقط رأسه لأنه في نظرها تونسي، ودافع المخزن عن عبد الحكيم. وانتهى الأمر بخروجه من المغرب ومحاكمته أو النظر في جنسيته بمحاكم فرنسا، وكانت النتيجة لصالحه فعاد إلى السكنى بالمغرب واحترف المحاماة حتى توفي في محرم 1351 / 1933 بمراكش⁴¹.

وترددت أصداؤه في الوثائق المخزنية. فقد قدمت المفوضية الفرنسية مطالب عنه اشتملت على خمسة فصول.

في أولها أن نائب فرنسا ذكر «في الأمر الذي وجهه لعبد الحكيم المؤرخ في 22 أكتوبر عام 1902 ما نصه «إن عبد الحكيم من يوم الذي حل بالمغرب وهو معرض للشكايات». وعنه طلب المخزن «بيان أسماء الذين اشتكوا بعبد الحكيم ونوع شكاياتهم، لأن المذكور في خدمة المخزن الشريف، وسافر لغرض خاص بمال له بال».

وفي الفصل الثاني قال النائب : «إن عبد الحكيم المذكور هو من رعية تونس». فكان رد الحكومة أنه «من رعية الدولة المغربية، ولو أنه ولد بتونس للأسباب الآتي ذكرها : أولاً فإن أصله من المغرب، وهذه مدة تزيد على الثمانية أعوام خرج من تونس وهاجر للمغرب واستوطن بوطنه الأصلي هو وأخويه، وأبيه مات بمراكش، ولم تبق لهم نية في الرجوع لتونس حيث باعوا بها أملاكهم... وفي سفره المرة الأولى والثانية : دار

37. رسالة السلطان إلى الطريس في 29 رمضان 1301 / 23 يوليوز 1884، تطوان 140/2.

38. رسالة باطنوطر إلى الطريس في 14 أكتوبر 1890، تطوان 38 / 130.

39. رسالة العياشي بن محمد السعيد إلى اللبادي في 18 صفر 1315 / 19 يوليوز 1897، تطوان 116/94.

40. مبيج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 53.

41. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 312 و 322 و 574.

النيابة هي التي أعطتهم الباصابورت، فذاك دليل وأنها رجعوا لأصلهم. ثانيا أن عبد الحكيم المذكور هو الآن في خدمة المخزن الشريف هذه مدة تقرب من ثلاثة أعوام، دخل في خدمة الأعتاب بدون واسطتكم... فمن كانت له به شكاية فليقدمها وتجري على وجه الحق».

ونص الثالث منها على أن «مبروك بن جعفر قد أتى به عبد الحكيم بكيفية مشكوكة». فأجاب المخزن مستفهما عن العبارة وعن الوصيف مبروك الذي «كان قدمه عبد الحكيم المذكور لخدمة الدار المعمورة بصورة طواشي حر... فإذا بلغ لكم عن مبروك غير ما ذكر فهو خلاف الواقع، لأن حال عبد الحكيم معلوم عند الخاص والعام من الاستقامة وحسن السيرة».

وورد في الفصل الرابع أن عبد الحكيم أقلق «الراحة العامة من يوم حلوله بالمغرب». وجوابا عن ذلك استوضح المخزن النائب الفرنسي عن الأمور المقلقة «للراحة العامة والمصالح العمومية، لأن عبد الحكيم المذكور في خدمة المخزن، ومظنون فيه استقامة الحال وحسن السيرة في جميع أموره...»

أما في الفصل الأخير فاعتمد نائب فرنسا على معاهدة بلاده مع الباي في 12 ماي 1881 التي «بها أراد التصرف على أبناء تونس المقيمين بالمغرب». فاستظهر المخزن بمغربية عبد الحكيم، وبأنه «على فرض ثبوته أنه من رعايا تونس فإن رعايا تونس المقيمين بالغرب معدودون من رعية المخزن في الأحكام، لأن العادة التي جرت بين دولة المغرب ودولة تونس أن رعية المغرب المقيمين بتونس - وهم كثيرون - معدودون من رعية تونس في جميع ما يرجع للأحكام، وكذلك رعية تونس المقيمين بالمغرب معدودون من رعية المخزن... وهذه القاعدة جارية حتى مع دولة الترك وسائر ممالك الاسلام، لأن أحكام المسلمين مبنية على شريعتهم، عدى أهل الجزائر...». فالمعاهدة المذكورة مع الباي «إنما هي معاهدة سياسية». فكيف يصح للدولة الفرنسية «أن تتصرف فيهم وهم في بلاد أجنبية؟... بقي لنا الكلام عن الفصل 82 من قانون 1778 والفصل 82 من قانون 1836. فالجواب أن هذه القوانين جارية على رعية الدولة الفرنسية في أمور محدودة، وهي لا تنطبق على أهل تونس، سواء كانوا ببلادهم وبالأحرى في البلاد الأجنبية»⁴².

ولئن كان تحليل هذه المقتضيات من اختصاص فقهاء القانون، فمما لا شك فيه أن واضع الوثيقة رجل متضلع فيه، ولا يبعد أن يكون محررها هو عبد الحكيم نفسه إذا قارنا خطها بخطوط رسائل أخرى له.

ومنها رسالة بالخط نفسه بعث بها سنة 1909 إلى صديقه أبي بكر بن محمد التطواني السلاوي الذي كان عضوا بدار النيابة حتى أعفي سنة 1905 من عمله⁴³، ويفهم منها أنه كان حديث العهد بالنفي عن المغرب، وأن النائب السلطاني سأل ممثل فرنسا «عن الأسباب التي دعت نفبي وإبعادي عن الإيالة المغربية حالة كوني منحاشا للجانب الشريف، زيادة على أن أصلي مغربي الخ مذكركم، فالظاهر أن نائب الفرنسي سيحير

42. الوثيقة 26/41 بتطوان، وهي غفل من التاريخ.

43. رسالة الطريس إلى ابنه في 14 جمادى الثانية 1323/17 يوليو 1905، تطوان 88 / 19

في الجواب، لأنه شرع في شيء ولم يعرف مثاله، وأعلم أن الفرنسيين لم يعلمني بورقة النفي لما كنت بطنجة، ولا بعث لي بكلام أصلا، إلا أنه ترقب حتى علم بسفري ووجه لي الورقة للمون. وعليه فلا يعد أنه نفاني ونفذ حكمه علي...».

وبعد ذلك أفاض في الدفاع عن مغربيته ثم قال : «وأعلم أنني من هنا سنباشر شيئا في إعانتكم، وأنتم لا تخافون أصلا، فإن الحق معنا بلا شك.... والذي يجب : أنكم تقفون على حد ما كتبتم به وهو أنني مغربي من جهة والدي، ولو أنني ولدت بتونس... وأخبر بجميع ما يكون الوكيل صاحبي ميشل الاتجليزي بواسطة الشامي الذي كنت أشرت لكم عليه في مكتوبي السابق، وإذا لم يكن هو فبواسطة التاجر ميناحيم عطية، صاحبي يودة يعرفكم به، فإنه صدوق ولا هو صاحب فضول.. والله ينصرنا بنصره على القوم الظالمين...». وختم رسالته إلى أبي بكر التطواني بأن أوصاه بالتكتم عند المراسلة معه، موجهًا له أظرفة خاصة : «ضع مكاتيبك في الفشاوات، ولا تضعهم في بوسطا الفرنسيين، ولا تكتب عليهم بالعربي»⁴⁴.

كتب هذا وهو في منفاه، إلا أنه كان سنة 1904 مقيما بالمغرب، وفي خدمة المخزن بالخارج. قال عبد الكريم بنسليمان للطريس : «فإذا ورد الطالب عبد الحكيم المعروف بالتونسي من ناحية أروبا ونزل بذلك الثغر الطنجي فيأمرك سيدنا أيده الله أن تكون منه على بال وتقف في تجهيزه وتوجيهه واصلا لشريف الأعتاب، من غير أن تلحقه يد أحد بمكروه : بقبض ولا غيره...»⁴⁵.

لكن في سنة 1905 أمر العاهل «بتوجيهه لحاله في أمان وتسفيره لطنجة ليركب البحر منها لأي بلد شاء، إراحة مما نشأ من القيل والقال في شأنه. وما نحن يسرنا له أمور السفر، وتعين من يسافر به اليوم لطنجة، وكتبنا لعاملها بالكون على بال منه، ولا يترك أحدا يمسه بسوء...»⁴⁶. ومن هذا يظهر أن ضغوط فرنسا من أجل إبعاده قد اشتدت على المخزن.

وبالفعل سافر إلى جبل طارق وكتب عبد الحكيم إلى الطريس يقول بعد نحو الشهرين : «وبصلك طيه كتاب نحبك... أن تبلغه لليد الشريفة... وأنا لازلت بجبل طارق، وإنني في هذه الجمعة إن شاء الله مسافر إلى إسطنبول، ثم نرجع للأعتاب إن شاء الله على أحسن حال. والله يأخذ الحق من الظالم...»⁴⁷. فتسفيره إذن في ماي 1905 لم يكن إلا حيلة من المخزن مادام يقول إنه راجع للأعتاب.

وهاته آخر رسالة بخط عبد الحكيم كتبها يطلب مساعدة دار النيابة له في المحاكمة التي ستنتهي في آخر أبريل 1906 ويقول : «إنني إن شاء الله في قريب عائد إلى باريس

44. رسالته في 13 رمضان 1320/9 أكتوبر 1909، محافظ الترتيب العام.

45. رسالة في 19 رمضان 1322/27 نونبر 1904، تطوان 160/35.

46. رسالة بنسليمان إلى الطريس في 19 ربيع الأول 1323 / 24 ماي 1905، تطوان 165/35.

47. رسالته في 17 جمادى الأولى 1323/15 يوليوز 1905، تطوان 128 / 93.

للحضور على قضيتي التي سيصدر الحكم فيها في آخر شهر أبريل العجمي بما يثبت حقي إن شاء الله. وقد ورد لي أمس التاريخ كتاب من وكيلي يطلب مني حجة تؤيد أن سفري لحاضرة فاس في العام المنصرم كان بعلم المخزن وموافقته، فبحثت على المكتوبين الواردين إليك طيه فوجدتهما يؤيدان ذلك. فنطلب منك بارك الله فيك أن تعرف بعلامة السيد عبد الله بن سعيد الذي كان نانبا عنك مدة مغيبك بالأعتاب، وبعلامة العامل السيد حمزة بن هيمة...»⁴⁸.

هذا كل ما التقطته عن عبد الحكيم. وهناك وثائق وإفادات أخرى⁴⁹ تبين جوانب من شخصيته ومواقفه من السياسة الأوروبية حيال المغرب.

ث . مصر (ص 107 ثم 124)

19. عبد الخالق السبتي كان سنة 1878 تاجرا بالقاهرة⁵⁰ وكان لا يزال كذلك في مطلع القرن العشرين.

20. عبد الرحمان التطواني أقام بمصر منذ سنة 1850 حتى توفي سنة 1884، وكان من أهل اليسار وخلف ثلاثة منازل ومالا كثيرا، لكن لم يكن له وارث. وكان إسكافيا يجلس بالأرض لا بحانوته. وقد حضر الحاج عبد الواحد التازي لإحصاء تركته، وكان معه العربي بن محمد بن جلون والحاج الطالب بن عبد السلام بن بوبكر والحاج محمد التازي والحاج بناصر بن محمد بنشقرون والحاج علال بن حمادي الأرزق والحاج محمد بن محمد بنجلون⁵¹.

غير أنه بعد شهور ظهر من ورثته الحاج الموفق التطواني الذي حضر لدى الوكيل التازي مستشهدا بـ «المعيار» للونشريسي، مع أن الأحكام جارية في المواريث بمصر حسب مذهب أبي حنيفة⁵².

21. ابراهيم بن الحاج محمد القباج ولد بمصر ونشأ بها، وقد انتقل سنة 1889 للسكنى بفاس وصار يدعي أنه محمي إنجليزي، لأن أباه الوارد قبله والسكن بطنجة منحاش إلى أمريكا⁵³.

22. الحاج التهامي العمري انتقل سنة 1885 للتجارة بالاسكندرية، وكان بعد سبع سنوات لا يزال مقيما بها⁵⁴.

48. رسالته في 2 صفر 1324/28 مارس 1906، تطوان 103/126.

49. عند محمد المنوني في «مظاهر...» ج 2 ص 322 و 574.

50. الوثيقة 46، خزانة كلية الآداب بالرباط.

51. أيضا الوثيقتان 238 و 239 وتاريخهما هو 14 و 15 جمادى الثانية 1301/11 و 12 أبريل 1884.

52. أيضا الوثيقة 317/رسالة التازي إلى محمد عزيमान في 22 ربيع الثاني 1302/8 يبرابر 1885.

53. رسالة بوشتي بن البغدادي إلى الطريس في 1 حجة 1306/29 يوليوز 1889، تطوان 110/73.

54. رسالة الحاج بنعيسى بن راجع إلى الطريس في متم رجب 1309/29 يبرابر 1892 تطوان 47/47، وهو يتحدث فيها عن صهره.

23. الحاج عبد الكريم بنونة كان سنة 1896 مقيما بمصر⁵⁵.

24. عبد السلام بناني عاش بمصر مدة طويلة حتى توفي بها حوالي 1899، وخلف ابنه الحسن وصيا على أولاده، وحصل له خلاف مع الحاج محمد بن قاسم الحلو فتقفت أملاكه بفاس⁵⁶.

ث - 3 الوكلاء⁵⁷ الخ.

5. الحاج محمد بن الحاج محمد الحبابي تولى ذلك سنة 1870/1286 أيضا (193). وكانت وفاته بمصر قبل مارس 1882، وكان قد غادر فاس قبل وفاته بـ 35 سنة، ولم يعد منذ سنة 1847 إليها⁵⁸.

6. الحاج عبد الغني الخ...

7. الحاج محمد بن قاسم الحلو وهو الذي خلف الحاج عبد الواحد التازي عند وفاته حوالي 1311 / 1890 (199). وكان تعيينه باقتراح من الطريس الذي قال للحاجب بعد وفاة التازي في رسالة سنة 1895 : «وأما عبد الواحد التازي ومن إلى نظره فلا يقبل لدى الحكومة المصرية». وبمحولها هاته العبارة : «الحاج عبد الواحد لأجل مألزم به، وهو قد توفي رحمه الله»⁵⁹.

وكان تعيينه بظهير سنة 1895 وردت الإشارة إليه في رسالة سلطانية إلى الطريس تقول : «فقد كلفنا خديمتنا الأرضي الحاج محمد بن قاسم لحلوا القاطن بمصر بما كان مكلفا به خديمتنا المرحوم الحاج عبد الواحد التازي، من النظر في أمور المغاربة بمصر والاسكندرية وأعمالهما، وأدنا له في استنابة من ترضى أمانته عنه بالاسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي للمغاربة بها القرار، من تلك الديار، وما ظهيرنا الشريف بذلك يصلك طيه، مع كتابنا الشريف له بما ذكر.

«فنأمرك أن توجههما له، وتنبهه على ما يقتضي الحال تنبيهه عليه من أمر المصارفة مع الأجانب ثمة وغير ذلك. واكتب لنائب النجليز هناك بتعريفه بذلك وإعلامه به، ليكتب لكبيرهم بمصر في شأنه...»⁶⁰.

غير أن الحلو صار يلقي صعوبات في الاعتراف به وكلا عن المغاربة من لدن المسؤولين المصريين. فقال للطريس في رسالة بعث بها إليه سنة 1896 إنه وردت عليه رسائل من السلطان يأمره فيها «باستلام تركة المرحوم الحاج عبد الواحد التازي، فوجدنا متقاعدين عليها اثنان وهما الحاج محمد بن شقرون الذي كان نائبا عن التازي المذكور، والسيد رشيد أبو النصر الوكيل عن ولد التازي المذكور، والاثنين عاملين دعاوي مع

55. رسالة الحاج محمد بنونة إلى الحاج محمد فرج في 10 قعدة 1313/23 أبريل 1896، الترتيب العام.

56. رسالة محمد بن شقرون إلى الطريس في 3 ربيع الثاني 1317/11 غشت 1899، تطوان 212/98.

57. يعاد ترتيبهم من 1 إلى 9، ص 107 - 109.

58. موجب عدلي في 17 جمادى الأولى 1299 / 6 أبريل 1882، الترتيب العام.

59. رسالته إليه في 24 صفر 1313/16 غشت 1895، الترتيب العام.

60. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 ربيع الثاني 1313/12 شتنبر 1895، تطوان 69/14.

بعضهما في المجلس المختلط، وعملنا غاية اجتهدنا مع الحكومة المصرية لمساعدتنا في تنفيذ أمر مولانا... ولم وجدنا من الحكومة مساعدة في ذلك ولا في غيرها من الأشغال التي تختص بأمور المغاربة، لأنه لا يمكنهم ذلك، ولا يعترفوا بوكيل عن دولة إلا إن أحضر لهم أمر من سلطان اسطنبول، كما هي العادة مع سائر وكلاء الدول. وسيادتكم كنتم أرسلتم إلينا جوابا من الباشطور الانجليز أي اللورد كرومر كبير الانجليز بالوصايا علينا بهذا الطرف، وسلمناه إليه ولم يعمل به... فاللورد كرومر المذكور لا يقبل الكتابة إلا من الأندرة... ولا تقبل الحكومة المصرية منا أي طلب، وذلك مما فعله المرحوم الحاج عبد الواحد التازي مع الحكومة حتى صدر في حقه كتابة ان الحكومة لا تعتبر وكيل الغرب إلا بصفة شيخ طائفة، مع أن كل وكلاء الدول لها هنا اعتبار زائد...»⁶¹.

إن العراقيين المقامة أمام الوكلاء المغاربة لم تأت من المصريين وحدهم، بل ومن الأجانب أيضا. فبعد ثورة عرابي سنة 1882 أخذت إنجلترا تبسط نفوذها على البلاد المصرية، ولم تعد تعترف للمغاربة بوكيل.

ولربما حاولت الحكومة المخزنية حل مسألة تركة الحاج عبد الواحد وغيرها سنة 1897 بواسطة مبعوثها إدريس العراقي الذي لما وصل إلى مصر لم يسمح له بمقابلة الخديوي «ليهديه وينتظره في رد الهدية إليه». قال له الحلو «إن هذا شيء لا يعرفوه هنا وناقص في حق أهالي دولتنا... وطلب منا الكتابة لجناب الخديوي ليقابله، فعرفناه : لم تسبق لنا عادة في الكتابة إليه في مثل ذلك لا هو ولا من بمعيته. ومع هذا كله بلغنا بأنه لما وصل لسكندرية توجه وطلب مقابلته فمنعوه، والأمر لله. وبلغنا أنه متوجه إلى تونس بعد ما كان يريد التوجه لسطنبول...»⁶².

9. الحاج محمد بن العباس بنشقرون الفاسي استوطن مصر سنة 1877⁶³ وكان لا يزال سنة 1903 مقيما بها. وكان سنة 1898 يحفظ تركات المغاربة بالعاصمة المصرية

ث 4. عريضة الوكيل التازي الخ

ث 4 - 7 : تذييل حول عريضة التازي

إن المتاعب التي لقيها الحاج عبد الواحد لم تكن صادرة عن المغاربة وحدهم، بل كان المسؤولون المصريون يحركونها عليه أيضا سنة 1880 وقبلها.

ففي وثيقة بتاريخ 4 شعبان 1297/12 يوليوز 1880 يشهد جماعة من 23 مغربيا أن الحاج إدريس بن محمد بنكيران لما كان جالسا بديكانه بالفحامين قدم عليه الحاج محمد بناني وطلب منه مرافقته إلى دار الحاج محمد الحلو، فذهب معه ثم قصد بيت التاجر محمد السيوفي المصري، فترافق الجميع ودخلوا دار الحلو حيث وجدوا مجموعة من المغاربة هم عبد السلام بناني شقيق الحاج محمد المذكور، والحاج محمد الحلو

61. رسالة الحلو إلى الطريس في 12 ربيع الأول 1314/21 غشت 1896، تطوان 49/80.

62. رسالة الحلو إلى الطريس في 13 جمادى الأولى 1315 / 10 أكتوبر 1897، تطوان 81 / 84.

63. رسالة بنشقرون إلى الطريس في 3 ربيع الثاني 1317/11 غشت 1899 تطوان 212/98.

صاحب البيت المذكور، والحاج محمد بنيس، والحاج محمد الحبابي، وطلبوا من بتكيران أن يحضر لهم عبد السلام بن أحمد التطواني والحاج محمد مزور والمهدي بن الحسن العلمي والعربي حماموش والحاج عبد السلام العرائشي والحاج محمد الحياني وأظهروا لهم مكتوبا محصله أن الحكومة المصرية نزلت الحاج عبد الواحد عن التوكيل على المغاربة ورفعت يده عن الحكم بينهم⁶⁴. وأسماء هاته الجماعة هي كبور المراكشي وإدريس الصقلي والحاج محمد برادة والحاج محمد التازي والحاج عبد الرحمان بوزيان وقاسم بناني والحاج أبو بكر بن عبد الكريم ابن موسى والحاج محمد الأترق والحاج العياشي الأترق والحاج عبد اللطيف بنونة ومحمد الخياطي والحاج محمد يزور والحاج عبد الوهاب ابن كيران ومحمد الجنوبي والحاج إدريس الرايسي والحاج محمد بنجلون ومحمد القصري وحجي التلمساني والحاج حمو العقباني وجلول الحوتي وجلول التلمساني والكبير العلمي وأحمد مسواك.

فهؤلاء إذن كانوا زعماء الجالية المغربية بالقاهرة، ومن معارضي التوكيل. وقد لبثوا كذلك منذ سنة 1884، وظهر من وثيقة أخرى أن غيرهم كانوا معادين له، وهذا أصل تشكي التازي الذي التمس من السلطان «أن يمن عليه بكتابه الشريف بالعتاب والتوبيخ لجماعة الحساد الذين تقدم بهم التشكي منا مرارا لمولانا أيده الله، ورئيس الفتنة هو الطالب إبراهيم السنوسي والسيد الغالي العمراتي المراكشي... وقصدهم في ذلك السعي في إذايتنا بالشهادات زورا في حقنا... وقصدهم بذلك هو الطالب إبراهيم السنوسي : يتولى التوكيل الأصلي بسكندرية، ويجعل أحد الجماعة وهو الحاج محمد الحلوا تابعا له بمصر»⁶⁵ أي بالعاصمة.

وكان بالقاهرة معارض آخر للحاج عبد الواحد سنة 1889 وربما قبلها هو الحبيب البلغيثي خسيما جاء في رسالة علي بن الطيب الخير الذي ذكر للعاهل فيها : « وصلنا بالسلامة... إلى مصر المحروسة... وقدمنا إلى دار خادمكم الحاج عبد الواحد التازي، فوجدناه توجه إلى حضرتكم العالية بالله، وكافة المغاربة فقراء وأغنياء متأسفين على فراقه... ووجدنا الشريف سيدي الحبيب البلغيثي حضر لمصر قبلنا بيومين ومجتمع على الجماعة المخالفين كما ليسوا خافيين على شريف علم سيدنا أيده الله، ومعهم السيد عمر السنوسي قدم من الاسكندرية، ومشتغلون بالشتم والسب في خادمكم المذكور سبا بالغا لا يقدر أحد يسمعه ولا ينبغي ذكره، فنهيتهم عن ذلك فلم ينتهوا... فزاد سيدي الحبيب في سبه وبالف في شتمه... ولم نزل نشتمه ونسبه ونعاكسه مادمت بقيد الحياة... وأما الحاج عبد الواحد التازي: خادم ناصح لسيدنا وزعيته، وكل الناس يثنون عليه الثناء الجميل... ما عدى الجماعة المذكورة....»⁶⁶.

وسيكون مسك الختام بالكلام عن المغاربة بمصر في مطلع القرن الحالي.

64. الوثيقة 1/79 بخزانة كلية الآداب بالرباط.

65. رسالة الحاج عبد الواحد إلى السلطان غير مؤرخة، وخلفها بخط مغاير تاريخ 28 جمادى الأولى 1301/26 مارس 1884، خزانة كلية الآداب الوثيقة 329.

66. رسالته إلى السلطان في 20 جمادى الأولى 1306 / 22 يناير 1889، الوثيقة 11785 (م و م).

ث 5 : المغاربة بمصر في صدر القرن العشرين

بين يدي رسالة وعريضة خاليتان من التاريخ، لكن سياقهما يقتضي أنهما كتبتا في بداية القرن، وعلى كل حال قبل وفاة فيكتوريا الملكة الانجليزية سنة 1901 حيث وردت الإشارة إليها في رسالة الحاج علي زنيير الذي عاد إلى المغرب حوالي 1904، بعد غربة دامت بضعا وعشرين سنة. ولعل رجوعه كان بسبب المضايقات التي كان يلقاها المغاربة هناك. هاته هي الرسالة. أما العريضة فهي تحمل توقيع 194 مغربيا.

ث 5 . 1 رسالة الحاج علي زنيير

هي احتجاج على سوء تصرف المسؤولين معهم كتبها بخط مغربي وبعث بها إلى الحاج محمد الطريس : «وبعد فبالأصالة عن نفسي والنيابة عن كافة إخواني المغاربة الذين لا يزالون خاضعين لأوامر مولاهم، أتجاسر بتقديم هذا وبطيه عريضة موقع عليها ما ينوف المائتين من المغاربة رعايا دولة جلالة مولانا المنصور بالله، نظير ما قدم لدواوين حكومة مصر، بصفة تظلم من جميعهم بما أجرته الحكومة المذكورة ضدهم وضد وظيفة التوكيل والوكيل الحالي بدون وجه حق، لعلها ترجع الأمور لمجراها السابقة بدون أن يحصل أدنى تشكك آخر.

«ولذلك لزم إرسال العريضة السابقة الذكر ليبيدي جنابكم في ذلك رأي السيد... ولو بمخاطبة سفير دولة جلالة ملكة الانجليز بطرفكم بخصوص مخاطبة اللورد كرومر جنرال الدولة المشار إليها بهذه الديار ليبدل نصح جنابه لرجال حكومة مصر بإرجاع الحالة لما كانت عليه حكومة مصر مع رعايا دولة مولانا... أو بمخاطبة جنابكم خارجية حكومة مصر رأسا أو ما تروه سديدا بخصوص كل ما فيه حفظ حقوق دولتنا العلوية ورعاياها المقيمين بهذه الديار وحقوق وظيفة التوكيل...»

«ولقد عزم الجمهور السابق ذكره على تقديم عريضة نظير المرسل طيه لكل سفير دولة فخيمة من دول أوروبا ليكون كل منهم على بصيرة بما أجرته حكومة مصر...»⁶⁷.

ث 5 . 2 : العريضة

هاته الوثيقة محررة بالخط الرقعي مما يدل على أنها وجهت فعلا للحكومة المصرية، وتقع في 7 صفحات، الثلاث الأخيرة منها طافحة بتوقيعات من لدن 194 شخصا لأغلبهم طوابع تحمل أسماءهم، لكنها تخلو من التاريخ خلاف ما كانت عليه عريضة الحاج عبد الواحد التازي. وفوق الطوابع الصغيرة المستديرة شرح ما بداخلها، بخط مغربي تارة أو بخط مشرقى تارة أخرى.

67. تطوان 95/105.

فالصفحات الأربع الأولى تطنب فيما ذكرته رسالة الحاج علي ويفهم من الاعتبارات الواردة فيها أنها كتبت بعد سنة 1900، لأنها تاريخ آخر حكم صدر من المحكمة الابتدائية المختلطة ورد ذكره فيها. كما فيها أن الحكومة المصرية صارت تعتبر الوكيل الحاج محمد الحلو شيخ طائفة وليس وكيلًا قنصليًا.

وفائدتها الكبرى هي في إثبات هوية جماعة كبيرة من المغاربة الذين كانوا يعيشون بالقاهرة والاسكندرية ودمنهور وطنطا. وهاهي أسماؤهم كما كتبت وكما استطعت استخلاصها من هاته الوثيقة صعبة القراءة لسوء الخطوط تارة أولى أو لتعتيم الحروف داخل الطوابع تارة أخرى. وسأقارن الأسماء الواردة فيها بتلك التي جاءت في عريضة سنة 1888 لنعرف بعض التطور الذي دخل على حركة الهجرة، فأجعل بين هلالين الرقم المذكور في عريضة التازي في ص 111 وما بعدها، رامزا إليها بحرف العين. أما الذين لم يردوا في عريضة الحاج علي زنيبر فهم إما امتنعوا وإما ماتوا وإما رحلوا عن الديار المصرية. وها هي أسماؤهم :

من القاهرة

1. الحاج علي بن أحمد زنيبر، 2. محمد الدباغ، 3. الحاج التهامي الرايس (ع 10)، 4. محمد [بن عبد النبي] مزور (ع 25)، 5. محمد بن عبد الخالق بنشقرون (ع 9)، 6. محمد التازي، 7. عمر محمد الثاني، 8. محمد أبو بكر عمر، 9. أبو محمد بن محمد، 10. الحاج عثمان الحلو، 11. عبد الخالق السبتي، 12. محمد سعودي، 13. العربي السقاط (ع 13)، 14. محمد بن فكاك، 15. عباس سعودي، 16. عمر ودور (= وعود ؟)، 17. حسن سعودي، 18. عبد الحميد بناني، 19. محمد عبد السلام القصري، 20. الحاج ابراهيم عبد السلام البناني (أو البقالي)، 21. محمد علي السي القصري، 22. ادريس بن عبد... (الله ؟) الصابونجي السلاوي، 23. الحاج عبد الرحمان بن محمد [السوسي : ع 182]، 24. خليل القباچ، 25. محمود البناني، 26. حسن البناني، 27. حسن محمد البناني، 28. مراد برادة، 29. أحمد نجيب برادة، 30. محمد أحمد برادة (ع 21)، 31. عبد السلام راتود (?)، 32. الشيخ عمر بن مبارك، 33. محمد سلطان القصري، 34. الحاج محمد بن عبد السلام (في الطابع : ابن العالم)، 35. العربي المدني الفيلالي، 36. الحاج محمد قاسم الكوهن (ع 159)، 37. حسن محمد القندوسي، 38. الحاج محمد المعطي، 39. حسن عبد الخالق السبتي، 40. محمد التليثي القصري الشهير بأبواظ، 41. الحاج محمد الحريشي الفاسي (ع 16)، 42. محمد أسعد برادة، 43. صالح محمد، 44. عبد الرحمان العلمي، 45. عبد القادر الأبار (ع 39)، 46. محمد بن محمد الزموري، (ع 81 أو ع 132)، 47. عبد الواحد برادة، 48. عبد القادر عبد الواحد برادة، 49. الطاهر أجانا (ع 2)، 50. الحاج محمد بن مسعود، 51. عباس أبو هلال، 52. [الحاج] فضول المكناسي (ع 47)، 53. حسن المدني الفلالي، 54. أمين برادة، 55. عبد القادر المراكشي، 56. [الحاج] إدريس التازي (ع 19)، 57. التهامي بن العربي، 58. أحمد محمد العلوي، 59. علال العربي، 60. محمد المعطي، 61. الحاج عبد الله بن أحمد، 62. الحاج أحمد ص السوسي، 63. حيدة أحمد السوسي، 64. الحاج عبد الرزاق بن فاتح، 65. الحاج محمد التركيني،

66. عمر بن العيساوي التازي، 67. الحاج العربي اليازغي (ع 116)، 68. قاسم محمد بناني، 69. محمد علال بنونة، 70. أحمد [بن إدريس الـ] صبان (ع 172)، 71. عمر محمد الروداني، 72. حسن عزوز، 73. الحاج محمد عزوز البردعي، 74. محمد بن علال بنونة (ع 141)، 75. [الحاج] عبد الوهاب محمد التازي (ع 63)، 76. الحاج إدريس بن عبد الرحمان، 77. محمد العياشي الحريشي (ع 171)، 78. الحاج مسعود بناني، 79. عثمان الزيادي (ع 148)، 80. محمد بن عبد القادر بناني، 81. الحاج قاسم التازي، 82. عبد العزيز التازي (ع 104)، 83. الجيلالي محمد الحلو، 84. الحاج عبد القادر [بن محمد] بن جلون (ع 31)، 85. عبد السلام عبد القادر، 86. الحاج التهامي جلون (ع 56)، 87. أحمد الجلاني، 88. محمد عبد الخالق (ع 131)، 89. عبد السلام محمد، 90. عبد القادر بن ناني (في الطابع : البناني)، 91. [الحاج] قاسم العيساوي برقوقي (ع 28)، 92. عبد الرحمان الغرابلي (ع 49)، 93. أحمد البجاوي (وليس اليحياوي كما ذكرته في ع 70)، 94. السيد أبو بكر بن محمد، 95. أحمد محمد بن كيران (ع 103)، 96. الحاج البشير [بن محمد] التازي (ع 53)، 97. السيد امحمد بن السيد امحمد المنجري، 98. المداني الفلالي، 99. حسن المداني، 100. محمد بن أحمد ابن شقرون (ع ؟24)، 101. عبد العزيز محمد جلون، 102. حسن محمد الفلالي، 103. محمد بن علال برادة، 104. الحاج عبد السلام [بن محمد] التازي (ع 101 ؟)، 105. الحاج محمد المو...، 106. حسن محمد جلون، 107. الشيخ عبد الفتاح محمد الخياطي، 108. عمر عبد الله [الريفي ؟ ع 106]، 109. محمد الوكيل، 110. الحاج الحسين بن عبد الله السوسي، 111. أحمد محمد البقالي (ع 121)، 112. حمادي علي، 113. محمد جلون، 114. محمد عمر العروسي، 115. المهدي بن عمر، 116. صالح ميرك، 117. مبارك بن محمد السوسي، 118. أحمد بن عبد الرحمان الودغيري، 119. محيي الدين بن قدور، 120. الصديق عبد الرحمان الفلالي، 121. عبد الرحمان محمد البجاوي، 122. علي أبو بكر المنجرة (ع 114)، 123. حسن أحمد البقالي (ع 129)، 124. عبد الرحمان محمد أحمد عlish، خادم العلم الشريف، 125. عبد العزيز عبد الله محمد أحمد عlish، 126. محمد حمزة عبد الرحمان عlish، 127. أحمد أحمد عبد الله عlish، 128. محمد محمود محمد أحمد عlish، 129. حسن عبد العزيز برادة عlish، 130. عبد السلام محمد عlish (لعل السبعة الآخرين من القاهرة)، 131. محمد المدني برادة (ع 174).

من الاسكندرية

132. الحاج حدو بن الحاج أحمد بن حمو، 133. محمد بن قدور، 134. علي عمر الشريف، 135. أحمد محمد سالم، 136. الحاج مبارك بن عبد الرحمان، 137. محمد الزروالي، 138. عبد العزيز الزروالي، 139. أحمد الزروالي، 140. إدريس بن الطيب، 141. الحاج محمد المبارك الهواري، 142. الحاج محمد هاشم، 143. الحاج أحمد الدكالي، 144. الحاج أحمد بن ميلود، 145. الحاج عمر بن محمد السوسي، 146. الحاج محمد البناني، 147. أحمد الزموري، 148. الحاج محمد المكناسي،

149. طه احمد التازي، 150. محمد طه أحمد التازي، 151. الحاج عمر الهاشمي،
152. محمد أحمد القرشيتي (?)، 153. محمود احمد القرشيتي (?)، 154. محمد معني
(- معنيو ؟) السلاوي، 155. محمد بن أحمد التازي، 156. عبد المجيد بن محمد
التازي، 157. الحاج أحمد بن المجاد.

من دمهـور :

158. الحاج محمد بن شقرون، 159. عبد السلام الجبلي، 160. محمد السرخيني،
161. محمد عمر، 162. محمد محمود المكناسي، 163. مصطفى مصباح، 164. محمد
مصباح، 165. نعيم غنيم، 166. محمد بن المليح، 167. عمر صالح الدراوي (ع 137)،
168. عبد السلام فرجاني، 169. علي فرجاني، 170. محمد غلاب الفاسي، 171. أحمد
محمود المكناسي، 172. محمود محمد المكناسي، 173. أحمد عبد اللطيف بنونة، 174.
جمعة عبد الفتاح.

من طنطا

175. محمد أحمد السباعي، 176. محمود حُسن الوزى فهمي، 177. محمد
الروداني، 178. عبد الله علي التقاتي، 179. محمود محمد الروداني، 180. عمر
حسين أبو ناب، 181. أحمد محمد بنونة، 182. إبراهيم أمين، 183. حاجي محمد
التازي، 184. محمد مصطفى الروداني، 185. أبو بكر أحمد المرقاوي (ع 113 ؟)، 186.
أحمد محمد الروداني، 187. إدريس بن محمد، 188. محمد العربي، 189. حسن كرم
علي، 190. محمد طاهر، 191. الحسين بن علي السباعي، 192. التهامي العلمي،
193. حسين عبد الله السلاوي، 194. عبد السلام أحمد الصويري.

هذا وكان لأغلب المستوطنين بمصر أختام صغيرة مستديرة نقشَت فيها أسماءهم
ممصرة في جلها، إلا أصحاب الأرقام الآتية : 1 و 5 و 8 إلى 10 و 12 و 15 إلى 18 و 21 إلى
26 و 28 إلى 30 و 33 و 39 و 42 و 63 و 68 و 78 و 80 إلى 82 و 93 و 100 و 104 إلى 107
و 145 و 146 و 148 و 150 و 154 إلى 156 و 184 و 191 إلى 194.

وقد تبين مما سلف أن من بين 131 مغتربا بالقاهرة سنة 1888 وقبلها كان لا يزال
بها 35 شخصا حتى تاريخ وضع العريضة الثانية.
وأخيرا يسهل معرفة مساقط رؤوس هؤلاء المغتربين بالبلاد المصرية إذ جاز
التعويل على المعايير التي بسطتها من قبل⁶⁸.

ج . السودان الخ...

خ . الحجاز (ص 128)

9. الحاج محمد بن أحمد الدمناتي توجه سنة 1882 إلى المشرق بقصد التجارة، ولما
ركب للرجوع إلى بلاده سنة 1885 من ينبوع في مركب فديان الطالياني دفع للأخير

68. انظر مصطفى بوشعراء «الاستيطان» ص 119.

«كوفريا فيه سلع من العود وسُنْج من اليُسْر ودراهم، وحسب في الجميع ستة آلاف ريال وثلاثمائة ريال واثنين وستين ريالا 3362، وأخذ منه خط اليد بحيازته على عادة من ركب، ولما نزل بتونس أنكره فيه....»⁶⁹.

10. في سنة 1898 كان ستمائة مغربي مجاورين بمكة وردت الإشارة إلى أسماء كبرائهم في رسالة وجهها جماعة منهم إلى الطريس حول سوء توزيع الهبة السلطانية على المحتاجين منهم. وجاء فيها أنها منذ «نحو ثلاث سنين انقطعت عن المساكين... وقد فرقوها على الأغنياء بمكة الذين لم يحتاجوا إليها أبدا، وتركوا المساكين يموتون جوعا... ولما ظهر من أرباب تولياتها أنهم أكلوها لغير المستحقين بها قاموا أناس من المغاربة، بل جم غفير، وقصدوا من تولى تفريقها الذي جعل مولانا السلطان نصره الله على يديه تفريقها وهو السيد محمد ولد الدباغ والحاج أحمد الاسحاقي، كلاهما من المغاربة، وهما الذين أساءا في فعل التفريق وفعلوا ما فعلوا، وخلفا (- وخالفا) عادة المرحوم السيد الحاج عباس قباش (- القباج) به عرف ولقب لأنه رحمه الله في أيام حياته يفترقها على المساكين كل واحد باسمه، ولا يترك أحدا بلا نصيب، وأما هؤلاء الناس قد أظلموا (- ظلموا) المساكين جدا، ونهاهم الناس عن هذا الفعل السوء، وقالوا لهم إن الصدقة ليست بصدقة سلطانكم، وإنما هي من التجار وأرسلوها لنا ونحن نقسموها كما نحب...»

«وأما عدد المغاربة المجاورين بمكة المعظمة : على ما يزيد من ستمائة نفر كأكابرهم الشريف محمد الفيلاي والسيد الحاج الخضر الفاسي والشريف بالقاسم الفلالي والحاج عبد الكريم المكناسي وشريف سيدي محمد البوزيدي والحاج محمد العبيدي والحاج ابراهيم الدراوي وج محمد الغرباوي والسيد ج أحمد التداوي والحاج سعيد الفلالي والشريف محمد الدادسي والسيد الحاج محمد الدكالي....»⁷⁰.

د - الأردن الخ...

ر. تركيا (ص 134)

6. محمد الشبيهي العرائشي كان قبل سنة 1898 مستخدما بالجيش العثماني، ولما رجع إلى مدينته وجد بعض الناس قد تراموا على أرض له بأحواز العرائش وامتنعوا من التخلي لها عنها⁷¹.

وهناك مغاربة آخرون عاشوا بتركيا مثل مولاي أحمد الوزاني المتوفى حوالي 1306 / 1889 فقامت الدولة العثمانية بتجهيزه⁷² وعمر بن زين العابدين الوزاني الذي هو ابن أخي السابق، ممن كانوا يخدمون السياسة الخ...

69. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 ربيع الثاني 1302/11 يراير 1885، تطوان 39/5.

70. رسالتهم في 18 حجة 1315/10 مارس 1898، تطوان 225/81.

71. رسالة عمر بن محمد الوزاني إلى الطريس في 17 شعبان 1317/21 دجنبر 1899، تطوان 231/98.

72. رسالة إلى عمر الوزاني في 19 ربيع الاول 1306/23 نونبر 1888، الوثيقة 11.880 (م و م).

ز . المشرق (138)

12. عبد المالك بن عبد الرحمان العلوي كان توجه للمشرق منذ سنة 1825 وأقام به نحو من خمس وعشرين سنة وتأهل به ثم اشتاق إلى المغرب وأتى بأولاده وطلب الاستيطان بثغر طنجة⁷³.

ط. طرابلس الغرب

الحاج اسماعيل بن عيسى الأزموري كان قبل دجنبر 1899 يسكن بمدينة درنة بالقطر الليبي، ولبث بها نحو من ثلاثين سنة حتى صار تحت حماية الدولة العثمانية. ولما عاد إلى مدينة أزموور وجد بها شقيقه مريضاً مرض موته، فمنعه عاملها الوعدودي بن عبد السلام من عيادته، فلم يره إلا ميتاً واستولى على أمواله وماشيته، حسب رسالة عمر بن محمد الوزاني الذي طلب من الطريس الوقوف معه للوصول إلى حقه⁷⁴.

ظ - الخارج عموماً

الحاج محمد بن التهامي القباچ غاب قبل سنة 1888 عن مدينة فاس مدة ثلاثين سنة ثم عاد إليها⁷⁵ من الخارج على ما يلوح.

4 : خاتمة الخ (ص 139) ..

73. رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي في 24 صفر 1267/29 دجنبر 1850، محفظة طنجة 1.

74. رسالة علي بن محمد الخطيب وعبد العزيز بنكوران إلى الطريس في 16 ربيع الأول 1316/26 يوليوز 1898، تطوان 62/82.

75. رسالة عبد الهادي بن أحمد الصقلي إلى القاضي أحمد بن سودة في 12 رجب 1305/25 مارس 1888، الوثيقة 11091 (م و م).

② تنقيحات جديدة

دعاني إلى تحرير هذا الملحق عثوري على وثائق أخرى مهمة بعد طبع الأجزاء الثلاثة من هذا الكتاب، ووقوفي في مصادر متنوعة على إفادات توضيحية للاسم والحدث. ولهذا تعين إدراجها هنا تكميلاً ومراجعة لما تقدم في الفصول المختلفة، وقسمتها إلى إضافات وإلى تشطيبات.

أولا : الاضافات

الصفحة/السطر	الخطأ	الصواب	يصلح الفهرس الصفحة/العمود
26 و 25/30 1/67	ربيع...1890 مقيما مدة	ربيع الأول 28/1308 مقيما بلندن مدة	1890 1/1298
9/89	علي : سكن	علي السوسي الفاسي : سكن	1/1238
14	الحاج العربي برادة	الحاج برادة	
15	الجديدة ابنه محمد	الجديدة محمد	
20/97	حجاف	حجاف	
9/114	اليحياوي	البجاوي	
6/163	17 شتنبر	7 شتنبر	
13/393	عبد السلام	عبد الكريم	2 / 1219
401 و 23/402 و 20	الطريس لغريط	غريط للطريس	
12/415 و 13	هو... أيضا	هو من أصل طنجي ⁽³³⁾ ، وكانت أشغاله بدار النيابة تتعلق بالترجمة	

الصفحة/السطر	الخطأ	الصواب	بصلح الفهرس الصفحة/العمود
21	33. من وتائق... بنسعيد	33. رسالة السلطان إلى الطريس في 11 قعدة 1312 / 6 ماي 1895 تنعته بالطنجي	
22 و 21/419	حروفها... والرويسي	حروفها في المخرج كالحريزي مع الخزاري والهواري مع الهوزي والرويسي	
22 / 452	العيبي	العوفير	
8/460	Gumbert	Gumpert	
12/465	محمد المصري	محمد خير الدين المصري	2/1277
2 و 1/471	إليه... وهذه	إليه من كل ناحية المولعون بذلك من المسلمين والنصارى واليهود... وهذه غيره، وكان أخوه إدوارد Edward من الذين رافقوا بعثة تعليمية مغربية إلى الولايات المتحدة للتدرب بمعمل ونتشيسطر ⁽³¹⁾ ، كما أن هاري كان يعمل	
16/475	الجديدة	طنجة	
18	والدار البيضاء وأمرنا	والدار البيضاء والجديدة وأمرنا	
2/476	بصير	بصيرة	
12/492	عظيمة حيث	عظيمة لاسيما حيث	
12 / 501	جيمس... في	جيمس شولطو دوكلاس J. Sholto في Douglas	2/1256
4/504	بإيطاليا	بأنطاكية	
8/506	أحمد الهنية	حميد الهيشو	2/1231
22/517	عبد الكريم	عبد السلام	2/1219
6/520	قبل مفاصلة دعوى	قبل ما كان فاصل به دعوى	
10/579	جيانتيلى	جانايطيلي	2/1248
3/580	جيوليو تيسي Tessi	جوليو تيسي Tesi	2/1247
16/598	بينت... وكان	بينطو وكان	1/1244
7/609	الطريس	محمد بن العربي	
23	رسالة... في	رسالة محمد بن العربي بن المختار إلى الطريس في	
13/627	الهوغ(?)	الأعور	2/1293
7/636	8 - 9 : بنعيسى	عبد السلام بنعيسى	
3/646	Dal / Dale	Dahl	1/1258
4/659	نول Nol	لون Lon	
14/661	مشتغلون بالكنطربض	مشتغلون بأمر الكنطربض	
6/727	ابن البغا	ابن البعجة	2/1225
13 و 12/751	واللوبيرة... في	واللوبيرة، ربما لاسراف بعضهم في	
4/782	المنصار سمسار	المنصار العلوي : سمسار	

	الغنيمة	14
	الغنيمة	11/786
1256 و 1/57	الداودي	4/788
	ميراد	18/815
	من أرض الموت	2/816
	حتى ضاعت	21 و 22
	البلد... ادعى	
	من قبيل الموت	
	وضاعت	
	البلد وقفا مع الشرط، وأن العرف هو	
	عدم البناء أصلا بخارج البلد، وأن	
	أرض الدار البيضاء كلها لجانب	
	المخزن، وأن من ادعى	
	مزيت	16/829
	مزين	18
	عمار	2/830
	الزياني الرحيوي (المحمي)	20/833 و 21
	يستورده... عشرين	
	1889 عشرين	
1/1293	Vorbeck	4/835
1/1281	H. C. Nützel	7
1/1262	الرومي	4/840
	الرومي	20/844
	الرابعة	1 / 847
	الحاج الحريزي	4/847
	لمركب... وعلى	
	إلى الشواطئ المغربية في يوليو	
	1878 وعلى	
	الغزواني والحاج	15/862
	الغزواني والحاج	6/864
	الغزواني والحاج	10/865
	20 : الحاج قدور بن محمد بن عبد	
	السلام المراهي الرياحي	
	الحاج الشافعي الجداوي سمسار	13
	الحاج محمد المعيزي	1/866
	الطيب بن الحاج بوعزة بن غلف	8
	المديوني وعلى	
	الطبيبي	15/867
	علي ابن الرامي المزاني العريفي	6/869
	الشاوي	
1868	1864	4/870
الحجامي	الحجاسي	14/884
أدروباو Adrobau	اضريانو أو أندريانو	15 و 16
أخشام	أفشام	13/885
ونحو ذلك مما به قوام معيشة أهل	ونحو... بنائين	1/890
حرف ذلك من بنائين		
الدول في ذلك بما يتعين كتابة من	الدول... منع	6
منع		

	الحجاجي	5/893
حجيج	قدور والمكي	18/900
قدور الداودي، والمكي	Flesh	12/905
2/1291	الرامي الشياظمي	5/912
2/1300	اسمه الكحيل	12/913
	اسمه موشي الكحيل	1/936
	محمد بن العيساوي	1-
1/1233	يوسف بن شطريس	13/938
	بوسنة... بن محمد	21
2/1252	علي... والحاج	6/939
	بوعزة... المديوني	
	المديوني	
2/1275	المنيفي	8
	المعزي	15
	الحباري	8 و 7/942
1/1251	دريهم	14
	عمرو الحريري	16/943
2/1262	الزهرهوني	13/943
1/1235	بوكرعون	24
	الحاج موسى... عاملا	8/969
	كان أبوه تاجرا	14/973
	9 نونبر	22/981
	المعطي سمسار	7/1008
	الباشا	26/1025
	21 نفس المرجع ص 274	24/1028
	21. أوجين أوبان : «مغرب اليوم»	
	ص 21 (1)	
	22. مبيج : «وثائق التاريخ...» ص 188	25
1/1247	هنري H.	9/1045
	للوزير العباس	7/1130
	منهم رعية بالايالة	9/1147
	الفتنة بالمدينة، فإن	16/1157
1/1276	مارسيل	7/1173
1/1292	Vendel	1/1183
	الأولى	21
2/1283	الصواب الغزواني	20/1202
	19 - 28	8/1207
	47	9
	الرباط 2 - 2 - 1	18 / 1208
	فاس 2 - 2 - 3	24
العمود الثاني	أفيلال : مردوخي	9/1223
العمود الأول	Hiersche	15/1301
	Hirsch	

ثانيا : التشطيبات

يحذف ما يلي من فهرس الجزء الثالث لأنه سيُدْرَج منقحا في فهرس أعلام الجزء الرابع.

الصفحة	السطر	العمود	الصفحة	السطر	العمود
1219	4	1	1273	22	2
1220	9	1	1279	20 و 21	2
1221	16	1	1281	2	2
	25	2	1288	7	1
1223	4 و 5	2		14 و 15	2
1239	23	1	1289	11	2
1251	20 و 21	1	1290	2	1
1252	5	1	1304	11	1
1260	3 و 4	1			
	27	2			

(3) فهرس الأعلام*

أوخيدا إيميليو 1542 E. Ojeda
 أدامولي جوليو 1541 G. Adamoli
 إدريس المولى 1392 ○ 1437 ○ بن
 خليفة 1368 ○ ج بن ع الرحمان 1566
 ○ بن الطيب 1566 ○ بن م 1567 ○ ج
 بن عمر 1530 ○ القائد ظ. ف. سيكور
 إدوارد الرابع 1508 Edward IV
 إدواردز جون 1402 J. Edwards
 25، 31، 32
 أريستيراثو فرانيسكو دي F. de
 1519 Aresterazu
 أرمور 1411 Armour
 أرمسترونغ 1403 Th. Armstrong
 أرلاش ج (د) 1525 J. H. d'Arlach
 أرائكوري أنطونيو A. Arranguren
 1457
 أرسلان شكيب 1524
 أورديغا لاديسلاس 1471 L. Ordéga
 79، 86، 88 / 89 - 1527 / 29، 31
 أوركهارت ديفيد 1508 D. Urquhart
 أورلاندو 1461 Orlando، 70
 أورنانو 1521 Ornano
 إيركمان جول 1381 J. Erckmann
 71، 1457

* اصطلاحات الفهرس تفيد ما يلي :
 ○ = تكرار العلم المفهرس قبلا.
 ، = تكرار أرقام المئات
 / = تتابع الصفحات ؛ ظ = انظر ؛
 م = محمد ؛ ع = عبد ؛ ج = الحاج
 وذلك في الاعلام العربية . والفهرسة اجتهادية فيما
 ليس له علم مميز، وهي مرتبة على الالفبائية
 المغربية.

. الألف A E I O U .

الأبار ع القادر 1565.
 أبارودي العربي 5/1504
 أبراهام 1408
 ابراهيم بن م 1532
 أبرينس 87، 1474 G. T Abrines
 أبينصور إسحاق 1515
 أوبيلو إي كناليس فليبي F.O v Canalis
 1334 - 1462 - 1520
 أبلاخ 1382
 أوبان أوجين 11، 1407 E. Aubin
 18، 66، 69 - 1556
 الأبيض ع العزيز 1339
 أطانو بيبير (دا) P. d'Attanoux
 1528
 أوتشويا إي ديلكاسو E. Ochoya y
 1456 Delgado
 أجانا الطاهر 1556
 إيكليسياس علي 1457 A. Iglesias
 أوغيلفي 1466 O'Gilvy
 أحرسان أحمد 60، 1358 ○ ع الكريم
 393 - 517 ○ ع السلام 397 / 98 -
 411 - 553 - 625 - 1466
 أحتد (سيدي) 1523 ○ بن حمو
 1332 ○ بن الحسين 1367 ○ ج بن
 ميلود 1566 ○ بن المختار 1338
 ○ بن موسى 1367 ○ بن صالح
 1367 ○ بن القايد 1348 ○ المراكشي
 1417 ○ المراكشي 1367 ○ الجيلالي
 1566 ○ فؤاد (الملك) 1364، 94
 ○ م سالم 1566 ○ أحمد بن سليمان ظ
 دي إيمانويل

أندريس خوان J. Andrés 1443.
 أنان Annan 1413
 أونيطو ليوبولدو L. Onetto 1475
 إنيارت ف س F. C. Enyart 1427
 أعمار م بن العربي 1336
 أفا عمر 1370
 أفلاو مناحيم 70 ○ مناحيم 84 - 936،
 38 - 1138 ○ موشي 1515 / 16،
 53.
 الأفغاني جمال الدين 1495.
 أفيلي Affilé 1522
 إيس جان J. Hess 1326 - 1501، 27،
 31، 34، 36، 42
 إيسابيل الكاثوليكية 1418
 الاسحافي أحمد 1568
 الاسلامي عبد النبي 1445 ○ ج سعيد
 1444.
 إسماعيل بن عيسى الأزموري (الحاج)
 1569 ○ باشا (الخدوي) 1341، 42،
 85 ○ مولاي (ال خليفة) 1426، 59 -
 1519 ○ القائد ظ:خواكين غاطيل.
 أوهاشم م بن الحسين 1480 - 1523
 ○ ع الله 1523
 إهرنهوف Ehrenhoff 1499.
 إيفان - سميت تشارليز Ch.
 Evan-Smith 1433، 34، 75، 90 -
 1540.

- ابن، بن -

ابن ادريس ج ع الرحمان الطنجي 1384
 ○ م الطنجاوي 1339
 ابن اسماعيل الاحسن بن محمد وولده
 محمد 1358.
 أبو بكر ج الطالب بن ع السلام 1560
 ابن برجوم ع السلام 1446
 ابن يوزيد أبو بكر 1450 / 51

الأزرق ج م بن ع الواحد 111 - 776، 82
 ○ الطيب بن م 1342 ○ ج علل بن
 حمادي 1560 ○ ج م بن ج حمادي
 1563 ○ ج العياشي بن ج ع الواحد
 1563
 إيزنشتز أدلير A. Eisenschitz 1470.
 أزطوط بوسلهام بن علي 1456 - 1569.
 أكان أيمي (دا) A. d'Aquin 1500، 26
 أكنسوس م 1547
 أوكنورفيل سكوط S. O'Connorvil
 1508
 ألبين بريد وكيمبل وليزي 1509
 أليمانى خوصي 1453
 ألين س ه C. H. Allen 1419
 إيلتون جيمس ووليام صامويل J. and
 W.S. Elton. 1443.
 إيلسن هيربيرت ب H. P. Elson 1406.
 إلويس أوجين E. Hélois 1445.
 أليكساندري ف V. Alexandri 1543
 ألفونسو الثالث عشر Alfonso XIII
 1468
 ألفارة ج ج J. J. Alfarrá 1477
 ألدريدج Aldridge 1427
 أولسن نيلي N. Olson 1427
 أولمان ليفي L. Ulman 1460
 أم هانيء 1518
 أمين إبراهيم 1567
 أميشيس إدموندو (دي) E. de Amicis
 1540
 أمقشد محمد 1528
 إيمانويل أنطونيو بيلوتي (دي) A. P. de
 Emanuel 1455
 أنجلي Angeli 1505
 أنجيليس دييغو دي لوس D. de los
 Angeles 1424
 أنديرسن جون J. Anderson 1399
 أندريوه Andrieu 1533

ابن المجاد ج أحمد 1567
 ابن المليح م 1567
 بمنصور ع الوهاب 1385 - 1493
 بنموسى ج بوبكر بن ع الكريم 1563
 ابن المؤذن م 1366
 ابن المشاوري المهدي 1526
 ابن المواز أحمد وع الواحد 1375
 ابن مريدة أبو بكر بن الحسن 1339.
 ابن نعوم م الأزموري 1448
 ابن الصديق العربي 1348
 ابن الصغير الطيب بن ج م 1554
 ابن عبد الجليل ج إدريس 1556.
 ابن عبد الصادق ع الله بن ج م 1444
 بن عبد الله ع العزيز 1326 ○ الطيبي 1478
 ابن عزوز م حكيم 1511
 ابن عزيز شمعون 1448 / 49
 ابن عطار ابراهام 1316 ○ شلوم 1448
 ابن العالم ج م بن ع السلام 1565
 ابن العلام إدريس 1446
 ابن عبد الوهاب أبو بكر بن علي 1351 - 1497
 ابن العباسي م 1366
 ابن علي م الفاسي 1366
 ابن خليل ابراهام 1403
 بنغمرم العباري الحريزي 1356، 95
 ○ مصطفى (الكولونيل) 1357
 ابن عمر المراكشي 1541
 ابن العياشي م 1358 / 60
 ابن غلف الطيب بن ج بوعزة 866
 ابن فكاك م 1565
 ابن فضول المهدي 1412
 ابن سالم م بن علي 1361 / 63
 ابن ساسي شمعون 1346، 47
 بنسليمان م 1450 / 51 ○ ع الكريم

ابن بوعزة إدريس بن ع الواحد 1352، 74
 ابن التمار العربي العبدى 1412
 بنجلون التهامي 1566 ○ حسن بن م
 1566 ○ م 1566 ○ م بن م
 1560 ○ ع المجيد 1405، 30، 39 -
 1509 ○ ع العزيز 1566 ○ ع
 القادر بن م 1566 ○ العربي بن م
 1560 ○ ج م بن الطاهر 1563.
 ابن الحاج الحاج علي التطواني 1446 - 1515، 53
 ابن الحمدونية محمد 1451
 ابن حمو الحاج حدو بن ج أحمد 1566
 ابن حيمي محمد 1358، 60
 ابن الحفيان م 1366
 بنحيون سالومون 1475
 ابن خضرة م بن م 1332
 ابن ذراعو 1499
 ابن راجع الحاج بنعيسى 1560
 ابن رزوقي م 1366
 ابن الرواين بنعيسى 1366
 ابن زهرة ع الله 1477
 ابن زيدان ع الرحمان العلوي 1341، 43، 45، 46، 50/48، 54/52، 58، 65، 67، 69، 75، 77 / 78، 93 / 94 - 1442، 44، 54، 59، 61، 65، 70/67 - 1537، 38، 48.
 ابن طوجة م بن ج علي 1355، 58، 63/61 ○ ع الحق 1355
 ابن الكعاب م 1356، 65 / 70
 بنكيران أحمد بن م 1566 ○ ج إدريس
 بن م 1566 ○ الطيب 1556 / 57
 ○ م 1412 ○ ج م 1341 ○ ع
 العزيز 1569 ○ ج ع الوهاب بن ع السلام 1563.
 بلامين م بن رضوان 1384

1360، 62 / 63، 72 - 1470، 97 -
 1507، 59
 ابن سعود 1466 ○ ابراهيم واسحاق
 1553
 بنسعيد ج م 1333، 38، 50 ○ ج م بن
 الهاشمي 1342، 44 ○ ع الله 1516،
 60.
 ابن سودة أحمد 1495 - 1569
 ○ التاودي 1493 ○ ع السلام 1370،
 73.
 بن شطريس بنت نسيم 49/1447
 بنشيمول حاييم 1375 - 1475، 89، 92
 - 1529.
 ابن شقرون 1444، 51 ○ أحمد بن ج
 العباس 1353 ○ ج بناصر بن م 1560/
 61 ○ م 1553 ○ م بن أحمد 1566
 ○ ج م 1567 ○ ج م بن العباس
 1561/62 ○ م بن ع الخالق 1565
 ○ ع المجيد 1446.
 بنهيمه حمزة 1560 ○ الطيب 1501
 ○ ع الخالق 1546
 ابن وعود ادريس 1366
 ابن الوزاع م 1356، 95 - 1555
 ابن يحيى ج محمد 1412، 50، 77.
 - أبو، بو -

أبو بكر بن م 1566 ○ بن ج البشير
 1025
 أبو جبل ظ: بارخا سيرادو
 بوحمارة الجليلي الزرهوني 1385
 بورحيم ج 1530
 بوزيان ج ع الرحمان بن ع الواحد 1563
 ○ م بن أحمد الكرات 1335 ○ ع
 السلام بن أحمد 55/1554
 أبو طالب م 1438 ○ بو طالب ج علي ظ
 : الحشمي

أبو محمد بن م 1565
 أبو المقداد 1547
 أبو ناب عمر حسين 1567
 أبو نافع 1554
 بوصوف 1516
 بوعشرين الطيب بن اليمني 1452
 بوستة أحمد 1452
 أبي سرور مردوخي 1529
 بوشتغراء مصطفى بن أحمد 1338،
 41/42، 46، 49، 65، 77 - 1414،
 25، 74/76 - 1536، 52، 67.
 بوهلال ع الكريم 1337 ○ عباس
 1565.

- الباء B و V الاسبانية -

بوتكين 1543 A. P. Botkin
 بوتيرون Boutiron 1381 - 1534،
 39
 البجاوي أحمد 114 - 1566 ○ ع
 الرحمان بن م 1566
 البوخلي ع النبي البخاري 1367
 البخاري أحمد بن موسى 1357، 60، 72
 - 1418، 48، 87، 95 - 1546
 ○ إدريس بن الحداد 1367 ○ بنعيسى
 بن م 1367 ○ الجليلي بن العربي
 1353 ○ م بن الرامي 1367 ○ محمد
 بن ع الله بن أحمد 1544 ○ موسى بن
 أحمد 1333، 53 ○ ع الله بن أحمد
 67/1366 - 1445، 59، 77، 95 -
 1504، 43، 54 ○ العرفاوي بن الطاهر
 1367 ○ ج سعيد بن فرجي 1445 -
 1553.
 بيدجر روبيرط 1413 R. Badger
 بادوش عمر بن علال 1332
 باديا إي ليليتش ف د F. D. Badia v
 1517 Leblich

علاء 1566 ○ مراد 1565 ○ ع
 السلام 1478 ○ ع السلام بن م 1554
 ○ ع القادر بن ع الواحد 1565 ○ ع
 الواحد 1565 ○ عمر بن ادريس
 1460، 1554-78 ○ عمر بن العيساوي
 1566 ○ العربي 1553.
 بورجرس 1350 Burgers
 البورجالي علي 1361 ○ م 1358
 بوريل أنطوان 22 / 1520 A. Burel
 بريغولي كريغوريو 1469 G. Bregoli /
 70
 بريس 1403 Breeze
 بريطل م 1336 ○ ع الله 1336، 39
 ○ المكي بن الجيلالي 1367
 بريشة م 1447 ○ ج ع الكريم 1489،
 1505، 19، 31 ○ ج العربي 1556
 بازيل 1546 Basil
 البوزيديم 1368
 البزوي المحبوب 1367
 البطاحي المختار بن المكي 1367
 بوطبول ابراهام 1555
 بوطليز مردوخ 1554 M. Butler
 بوكاردو جوليو (دي) G. di Boccardo
 1541
 بوكو لوسيان 1476 L. Bucau
 البوكيلي إدريس 1340
 بيكمان غ 1503 G. Beckmann
 بولدوين 1399 E. F. Baldwin -
 1401، 15.
 بالانسا 26/1525 Balansa
 بيل رينولدز E. A. Reynolds Balle
 1509
 بيلامي 1428 Bellamy
 بيلكريدي 1541 Belcredi
 بلكري / بركري م 1533
 بيلكومب ماري 1548 M. Belcombe

البدرأوي الطيب 1392
 بيدي جان 1456 J. Bidé
 بوجو المارشال 1527 Bugeaud
 البردعي ج م بن عزوز 1566 ○ حسن
 بن عزوز 1566
 باردي جان 1456 J. Bardy
 بارت هـ 1498 H. Barth
 باركلي طوماس 1433 T. Barclay
 برانكو ع الله 1457 A. Barranco
 براتيري 1394 Baratieri
 براو جورج 1404 J. Barrow
 البرطاعي انسباعي 1349
 بركة الجيلالي بن مبارك 1367
 برقوق ج قاسم بن العيساوي 1566
 برقاش محمد بن ع الرحمان 1345،
 49/47، 52، 54، 70، 74 -
 10، 1500، 83، 57، 32، 17/1416،
 26، 28 ○ ج م بن محمد 38/1336،
 50/48، 58، 65، 68/67، 84
 البركاوي علاء 1416
 بيرك 1521 Berg
 بيرزوكوف أن A.N. Berzoukoff
 1395
 بيرنارد 1402 E. U. Bernard
 بيرنجي 1553 Bérengier
 براون 1402 Brown ○ روبيرط
 1326R
 براون هـ ك 1513 H. C. Browne
 برودو 1451 Brudo
 بروك آرثور ده كيلل A. de Capell
 1508 Brooke
 بروي فيكتور (ده) V. de Breuille
 1471
 برادة أحمد نجيب 1565 ○ أمين 1565
 ○ م بن أحمد 1563، 65 ○ م أسعد
 1565 ○ م المدني 1566 ○ م بن

بينتيت كريسطوبال 1501 C. Benitez
 البوعزيزي أحمد بن المعطي 1008
 البغدادي ع الرحمان 1366 ○ ج م ظ :
 دي موركا ○ سليم بن ع الله 1444
 البقالي ج إبراهيم بن ع السلام 1565
 ○ أحمد بن م 1566 ○ أحمد بن
 التهامي العبدى 51/1505 ○ ج ع الله
 بن التهامي العبدى 51/1550 ○ حسن
 بن أحمد 1566.

باسو 1422
 باسي رني 31/1530 R. Basset
 بيسيت 1428 Bisset
 بيسمارك أوطو 1499 Bismark
 1500، 04، 48
 الباشا م 1361
 بوشي ج 1539 G. Buchet
 البوشيخي بوعمامة 1479 - 1546
 بوشير ف 1457 F. Busher
 بواسلان 1454 Boisselin
 بواظ م الليثي القصري 1565
 بيوض م بن الفقيه 1345
 البضاوي م 1477
 بيلارضي 1468 Velarde
 بيلاسكو نيكولاس دي N. de Velasco
 1418
 بيالبا مانويل 1444 M. Villalba
 بايخوخوسي 1468 J. Vallejo
 بالديراما مارتنيث فيرناندو F.
 1519 Valderrama Martinez
 . الإباء الفارسية . P.

بابوني 1470
 بابون 1407 Pávon
 باريجا سيرادو A. Pareja Serrado
 1520
 بيرديكاريس آيون 1412 I. Perdicaris

بيلان ت 1533 Th. Belin
 البلغيثي مولاي أحمد 1447 ○ الحبيب
 1563
 بلوم 1403 Blum
 بلانكو 1403 Blanco
 بليشي 1527 Bleicher
 بول جون 1509 J. Ball
 بولطن 1405 Bolton، 31 ○ و ت
 1405 W. T.
 بوليلي أنطونيو 1500 A. Bolelli
 بوليسلافسكي ك فون K. R.
 1547 Boleslewski
 بومي أوكوست 1526 A. Beaumier
 بانج ده 1405 De Bange
 بينكس ف م 1405 F. M. Banks
 بناصر بن ع الرحمان 1353
 بناني حميد بن م 1445، 60 ○ م
 1446 ○ م بن العياشي 1553 ○ ج م
 1563 ○ م بن أحمد العلمي 1354
 ○ ج مسعود 1566 ○ م بن ع القادر
 1566 ○ ع الحميد 1565 ○ ع السلام
 1476 ○ ع السلام 63/1561
 ○ قاسم بن م 1563، 66.
 البناني حسن 1565 ○ حسن بن م
 1565 ○ محمود 1565 ○ ج م
 1566 ○ ع القادر 1566.
 بنونة أحمد بن م 1567 ○ أحمد بن ع
 اللطيف 1567 ○ م بن علال 1566
 ○ ج م 1554، 61 ○ ج ع الكريم
 1561 ○ ع السلام 1554 ○ ج ع
 اللطيف بن الطيب 1563
 بنيس 1438 ○ م بن المدني 1457
 ○ ج م 1563
 بونيلي إميليو 1520 E. Bonelli
 بونزال ستيفن 1540 Stephen Bonsal
 بونوا - ميشان 1467 Benoist-Méchin

م 1566 ○ عمر 1372 - 1445 ○ ج
 قاسم 1566 ○ ج م بن م 1563
 التيت م بن ع الرحمان 1332
 تيتين 1501 Tietjen
 التجاني أحمد 1494
 تيمو 1518
 التدلاوي ج أحمد 1568 ○ م 1356،
 95 ○ صالح بن م 1377، 79، 82
 التروكي بنعيسى بن حمو 1414، 21، 23
 ○ علال بن م 1377، 79
 التزكيني ج م 1565
 التوزاني أحمد 1338
 التطواني ع الرحمان 1560 ○ ع السلام
 بن أحمد 1563 ○ ج الموفق 1560
 ○ السلاوي أبو بكر بن م 59/1558
 التكني ابن بيزوك 1507 ○ بيروك
 1523، 33 ○ دحمان بن محمد 1444 -
 1506، 11 ○ عابدين 1533
 التلمساني حجي بن حجي 1553 ○ ج
 جلول بن مصطفى خليل 1563
 التمنارتي ج أحمد 1531
 التسماني 1360 ○ أحمد بن ج ع
 الرحمان 1334، 45، 63
 الثاني عمر بن م 1565
 التونسي 1334 ○ أحمد بابا 1465
 ○ المختار والصدیق 1339، 61/59،
 63 ○ ع الحكيم ظ : المزوغي
 التاغزوتي ج م بن م الوكلي 1367
 التقاني ع الله بن علي 1567
 تيسو شارل 1527 Ch. Tissot
 تيستا شارل 1503 Ch. Testa
 توسان 1475 Toussaint
 التسولي ع السلام بن ع الرحمان
 51، 48/1347
 التهامي بن العربي 1565 ○ بن يوسف
 1337

بيرو م 1338
 بيريت أنخيل 1455 A. Perez
 برايور 1401 Pryor ○ 1428 Prior
 بيران ده لابراد C. Pyrent de la
 1528 Prade
 باطنوטר جول 1382 J. Patenôtre .
 1489 - 1535، 55، 57
 باطريك ن ه 1402 N. H. Patrick، 37
 بيتش لودفيغ 1501 L. Pietsch
 بيطن 1428 Paton
 بيطيرسن جون 1414 J. Paterson
 ○ 1428 Patterson
 بيطروبيلي سيرياركي C. Petrobelli
 1454
 باكي نيكولا 1470 N. Paquet
 بيكار إيرنيست 1541 E. Picard
 باليولوك موريس M. Palèologue
 1532
 بيمينطة ابراهام 1476، 82
 باني ليوبول 1547 L. Panet
 پاسكون بول 1419 P. Pascon
 بايرن 1471 Payern
 بوينطي بيدرو (دي لا) P. de la Puente
 1520

- التاء T. -

«التازي ع الله» 1542
 التازي ج إدريس 1565 ○ البشير بن م
 1566 ○ طه أحمد 1567 ○ م
 (موخا) 1338، 67 ○ م 1565 ○ م
 طه 1567 ○ م بن أحمد 1567 ○ ج م
 1560 ○ حاجي م 1567 ○ ع المجيد
 بن م 1567 ○ ع العزيز 1566 ○ ع
 السلام 1373 ○ ج ع السلام بن م
 1566 ○ ع الهادي 95/1493 .
 1508، 18، 43، 53 ○ ج ع الواحد
 1553، 63/60، 56 ○ ج ع الوهاب بن

جان رينو إيميليان E. Jean-Renou
 1525
 جانايطيلي جنتيلي Gentile Gianatelli
 1360
 جنينگز Jeannings 1424
 جي Jay 1402
 جونس هـ ا H. E. Jones 1411
- الجيم المعقودة Gu. -
 الغصاص محمد بن م 35/1334، 52،
 64/63، 77، 84، 95، 1481 - 1554
 غابريال Gabrielle 1555
 غوتتر ب P. Guthner 1326
 غديرة م بن م 1328
 غودار ليون L. Godar 1428
 غودوي Godoy 1517
 غيدز Geddes 1412، 19
 غاريبالدي جوسيبي G. Garibaldi
 47، 1450
 غرانت أبو القاسم A. Grant 1408، 59
 غراهام Graham 1408
 الكراوي إبراهيم 1459 - 1526
 غريك جيمس J. Graig 1509
 كريتهيد Greathead 1427
 كرىمر (?) Grimmer 1547
 كرينار Grignard 1459
 كرين ويليام كربي W. K. Green
 33، 13، 1511 - 90، 34/1433
 كريناختر هيرمان H. Grenacher 1500
 كريف ج G. Grieve 1410، 32
 كريف ج J. Grévy 46/1445
 كريس Grace 1552
 الكريسي مبارك 1371
 كوردون Gordon 1467، 1509
 كورني هـ H. Gurney 1514
 كيرليخ Gerlich 1500

التيال ع الله 1336، 58، 60
 تشورتشر ت ج T. G Churcher
 03/1402، 24، 27
 تشيمان Chapman 1411
- الجيم J. G. -
 الجابري محمد عابد 1328
 الجبلي ع السلام 1567 ○ العيدوني
 أحمد بن م 1341، 57/56، 63، 92 -
 1555 ○ الدكتور الحاج أحمد 1357
 ○ م بن ع الله 1393 ○ ع الله
 1392.
 الجديد العربي بن ج ع السلام 1378
 الجراري محمد 1504 ○ ع الله بن
 العباس 1344، 58
 جيرمانوس ع الكريم 1441
 جورج 1481 ○ الملك 1482
 جورني Journée 1471
 جوليان ش أ Ch.- A Julien 1467 -
 1525، 27
 جيلان فرانسوا F. Gelin 1457
 جاكسن جيمس كربي J. G. Jackson
 1508
 جولي فيردينان F. Joly 1527، 44، 46
 الجيلالي بن البشير 1351 ○ بن الحاج
 1367 ○ (القائد) 1523
 جيمسن Jameson 1467
 جيمس مان فريدريك F. James Mann
 1401
 جمعة ع الفتاح 1567
 الجامعي بوشتي بن م بن البغدادي 1426
 - 1560 ○ حمان 1353 ○ م بن
 العربي 1333، 52، 54، 65، 67.
 1445 - 1531، 54 ○ المعطي بن
 العربي 1477 ○ العباس 1372، 73
 الجندي أنور 1441، 60 ○ أحمد
 1366 ○ الحسن 1366

الحاج م 1446
 حجيج أبو بكر بن ج م 893
 الحجام أحمد بن محمد 1349
 ○ العرائشي ج ع السلام 1563
 حرکات م بن م بن ناصر 1358 ○ م بن
 بناصر 1358 ○ العربي بن م 1333،
 58
 الحرشاوي م الندرومي 1494
 الحريشي ج م 1566 ○ م بن العياشي
 1566
 الحرار مولاي ع الله 1458
 الحريري م بن الغزواني 807
 الحكيم عمر بن علي ظ : لينس
 الحلبي عثمان بن علي 1519
 الحلو الجيلالي بن م 1566 ○ ج م بن ع
 الرحمان 1553 ○ ج م بن قاسم
 64/1561 ○ مصطفى 1356 ○ ج
 عثمان 1565
 الحمري أحمد 1349 ○ سعيد بن قدور
 1349 - 1503
 حماد بن التهامي 1366
 حمادي بن علي 1566
 الحميدي م الصفريوي 1366
 حمودة (الباي) 1493
 الحمدوشي رقية بنت م حشلاف 1542
 حمزة بن المولى إدريس 1392
 الحمزاوي الجيلالي بن حمو 1335
 حماموش العربي 1563
 الحمانى بلقاسم 1530
 حمان بن عبد الله المراكشي 1366
 الحناشي أبو القاسم 1429
 الحصيني حجي 1338
 الحفيان بن ج العربي 1556
 الحسني ج ع القادر بن محيي الدين
 1456، 78 - 1502، 08
 الحساني م بن أحمد الأصيلي 79/1378،
 82

كروسي أگوستينو (دي) A. di Grossi
 1394
 كاطيل خواكين J. Gatell 1519
 الكلاوي المدني 1340
 الجلوي سعيد 1515
 غليوم (الملك) 1348 - 1500
 كليني إ ه E. H. Glenny 1438 -
 1514
 كلزيم ج المدني 1339 ○ خديجة بنت
 علي 1393
 كيليرمو بن سليمان 1437
 كوليج فون 1500 v. Gülich
 كاماثو ج م 1398 G. M. Gamazo
 كومري س ر 1433 S.R.Gummeré
 الكوماطي أحمد 1438
 كونصاليث خوان J. Gonzalez 1444
 ○ R ريكاردو 724 - 1480
 الكندافي 1514
 جنون 1425
 الجنوني م بن م 1563
 كينسبورغ كرايطن ج ب J. B.
 1399 - 1413 Crighton Ginsburg،
 17/15، 31، 33، 36
 جسوس (الدكتور) م 1327 ○ ع
 الرحمان 1553 ○ ج العربي 1553
 ○ ج سعيد 1480 - 1554
 الكيسي إدريس بن الطبيب 1367
 كايلينغ 1415، 27، 46/44 Gayling
 كيين بيير 1327 P. Guillen، 48/46،
 51 - 1442، 58، 63، 79، 99/98،
 03/1500، 20، 42/41، 48/46
 كيليي 1517 Guillet
 الحاء -
 الحبابي محمد عزيز 1328 ○ ج م بن م
 1561، 63
 الحباسي إدريس 1442، 80 - 1555

الدكالي ج أحمد 1566 ○ ابن بوشعيب
1349 ○ م بن علي السلاوي 1333،
40، 49 ○ م بن التهامي 1337 / 38
○ ج م 1568

ديكوجيس Décugis 1527
دالوين إيرنيست E. Daluin 1499 -
1501

دلاكروا أوجين E. Delacroix 1524
ديلريو بينيطو ماسطري B.S. Delrio
1428

ديلفان جورج G. Delphin 1535
دول كامى C. Douls 33/1532
الدمناتي ج م بن أحمد 1567
ديميدوف أس د A. S. D. Demidov
1543

دوما أليكساندر A. Dumas 1525
دونبار إيما E. Dunbar 1411
دونالد Donald 66/1465
دونيكليف Dunicleffe 1427
دينيسن Denison 1402، 24
ديفيدسن جون J. Davidson 1508
دوفيري هيري H. Duveyrier 1534
داسوي نيكولاس N. Dasoy 1536
ديزموند Desmond 1418
الدهان 1415

داود محمد 1418، 38، 55
الداودي أبو محمد الحاج 1494 ○ م
1349
ديوسدادو خوسي J. Diosdado 1412،
89
الذوبلالي الرجراجي 1333 - 1417،
46 - 1504

- الراء R. -

رابحة 1477
روبيرتز Roberts 1403
روبسن Robson 1427

الحسين بن م 1367
الحشمي ج علي بوطالب 81/1478، 96
- 02/1501 ○ خالد 1481

حاشويل يهودة 1553
الحوتي جلول بن مصباح 1563
حيات م البخاري 1367
الحياني ج م 1563

- الخاء Kh, J. -

خورخي 1542
الخطابي م بن ع الكريم 1513
الخطيب أحمد 1412 ○ م 1519 ○ ع
الله 1553 ○ علي بن م 1569
خالدي مصطفى 1415، 34، 40
الخلادي ع القادر 1472 - 1518، 34.
الخلطي الحسن 1367
الخمالي ج العربي 1537
خوان Juan 1407
الخير علي بن الطيب 1563
الخياطي ع. الفتاح 1566 ○ م بن
مصطفى 1563

- الدال D. -

الدباغ م 1565 ○ م 1568
دوبوكاج أف A.V. Dubocage 1525
دوبيني J. d'Aubigny 1490 - 1556
الداسي م 1568
ديديي شارل Ch. Didier 1524
دارا كارل 1470
الدرنب م 1348
داركور هنري H. Darcours 1476
الدرقاوي العربي 1494
الدرابي عمر بن صالح 1567 ○ ج
إبراهيم 1568
دريسler Dressler 1403
دريخت فان v. Dricht 1503
درومون إيدوار E. Drumont 1533

الروندة م 1393 ○ ع السلام 1393
 رين ي 1500 J. Rein
 الرضوي م صالح بن خير الدين 1494
 الرغاي المختار بن الطاهر 1354
 الرغيف سلام 1377
 الرفاعي ع الحفيظ 1327
 الريفي م 1337 ○ ع الصديق 1466
 ○ ع الرحمان 1505 ○ عمر بن ع
 الله 1566
 ريفير كلود 1456 C. Rivière
 رفوال 1536 Revoil
 ريرطير 1453 Reverter
 راس ألولة 1394 Rass Alula
 روسيتي 1407 Rosete
 ريسلبيرغ ت 1541 T. V. Ryselberg
 الرايس علي بن علال 1556
 الرايسي ج التهامي 1565 ○ ج إدريس
 بن ج أحمد 1563
 الريسوني أحمد 1467 - 1514
 ريتشي 1428 Richie
 ريتشموند 1418 Richmond، 30
 ريتشاردز م د. 1420 M. D. Richards
 ريتشارد سن ج 1508 J. Richardson
 روتشا 1403 Rocha، 06
 الراشدي ع الرحمان 1539 ○ ع القادر
 1493 ○ علي 1425، 60
 رو جيسي 1414 J. Rue
 الرياحي ابراهيم 1493
 الرياني علي بن قدور الحياي 1366
 ري 1524 Rey
 رويتر 1499 Reuter
 ريونديل 1376 Riondel، 79/78

الزاي Z.

الزبدي ج م 1465
 الزاكوري ابراهيم 1553

ريبيردا 1453 Ripperda
 راتود (؟) عبد السلام 1565
 روجرز 1511 P. G. Rogers، 12، 15
 الركناني ج ع القادر 1367
 الركراني أحمد بن الحاج 1344
 الرحماني أحمد 1349 ○ ع الحميد
 1468 ○ م بن الطاهر المنصوري
 1477
 روخاس كليمانتي 1519 C. Rojas
 ريختر ك 1442 G. Richter ○ ماكس
 1182 Max - 1442 ○ هانس H.
 1442
 رودوك 1419 Ruddock
 رود سينل 1467 C. Rhodes
 ريد 1412، 31 Reed ○ جورج س
 1420 G.C، 38 ○ ج ل ل J
 1424/26 ○ كلينطن 1406 Clinton
 ريد 1414 T. W. Reid
 ريدجوي 1477 Ridgeway
 الروداني أحمد بن م 1567 ○ م 1567
 ○ م مصطفى 1567 ○ محمود م
 1567 ○ عمر م 1566
 رذرفورد ج 1514 J. Rutherford
 روزن 1554 Rosen
 ريتز 830 - 840 - 995 - 1129 Ritter
 1141 -
 راطو 1515 Ratto
 روطنبورغ فالطير 1346، 64 - 63/1462، 65، 1504 W. Rottenburg
 روكافيلر 1406 W.D. Rockafellar،
 20
 رايلي ج 1540 J. Riley
 روليسطون تش 1482 Ch. Rolleston
 رولفس ف كريهاردت 1498 - 1500 F. G. Rohlf
 رومبيرغ 1536 Romberg
 رينيو هنري 1526 H. Regnault

طروطر فليب 1512 P. D. Trotter
 طرينر 1419 Trainer
 طريجيلوس 1427 Tregillus
 طيري 1403 Terry
 الطريس ج أحمد 1340، 63 - 1445 -
 1555 ○ ج م بن العربي 39/1334،
 44/، 47/46، 50، 69/55، 76/75،
 82/80، 84 - 02/1401، 05/04،
 12/08، 15/14، 18/17، 21/20،
 23، 26، 43/41، 47/45، 49، 51،
 63، 65/68، 70، 72، 77، 80،
 84/83، 87/86، 97/96 - 1502،
 07/04، 13/11، 16/15، 19، 28،
 33/32، 40/36، 43/42، 47/46،
 50، 63/52، 69/68.
 طوكار ج 1456 J. Tocquard
 الطالب ج علي بن أحمد 1512
 توليدانو بينحاس 1474
 تولوك 1401 Tulloch
 طاليران ده 1517 de Tallayrand
 طوماسي ريمون 1524 R. Thomassy
 طومسن ج 1513 J. Thomson
 طونان أنطوان (ده) A. de Tounens
 1544
 ظاهر م 1567
 الطاهري م بن ع السلام 1392
 طيلور 1419 Taylor
 تايرن إ.ف. 1406 E. V. Tyron
 تاينديي سان رني S. R. de
 1557 Taillandier
 ظافر م حسن 1494

- الكاف C. K. Q -

كابيرا ب أ 1468 B. A. Cabrera
 كوب جون 1421 J. Cobb
 كوبيلت ف 1503 W. Kobelt
 كابيسيوس أ 1505 A. Capesius

الزكاري ج م 1378 - 1465
 زريبب إيلي 16/1415
 الزروالي أحمد 1566 ○ م 1553 ○ م
 1566 ○ ع العزيز 1566
 زربول عميل ابراهام 1448
 الزرداني المعطي 1338
 الزركلي خير الدين 1530
 الزموري أحمد 1566 ○ م بن م 1565
 ○ ع الله بن حماد 1366
 الزناتي ولد مير 1449 ○ هارون
 1448
 زنيير ج علي 1350 - 64/1563 ○ ج
 م 1350
 الزعتري 1332
 الزعري إدريس 1363 ○ الحاج الحسين
 1353، 56/55، 58، 60، 63، 64
 ○ الغازي 38/1337
 زغلول أحمد فتحي 1534
 الزاوي حجي 1393 ○ العربي 1393
 الزواوي م 1339 ○ م بن ع الرحمان
 1378 ○ المكي بن أحمد 1343
 زويتن م بن م 1452
 زويمر صامويل 1440 S. Zwemer
 الزودي مصطفى 1345
 الزواق أحمد 1353
 زولو إدريس بن م 1367
 الزيادي الميلودي 1346، 51 - 1504
 ○ عثمان 1566
 الزياتي التهامي 1481 ○ ج المجذوب
 1481

- الطاء T -

الطرابنسي عمر 1339 ○ حسونة بن م
 1493
 طرن ديفيد 1412 D. Tran
 طروخيو 1468 Trujillo
 طرونيلي 1470

1542 V. Collin كولان فيكتور
 1457 J. D. Colaço كولاڤو ج د
 1512 H. E. Colville كولفيل هـ ا
 كيليطو المكي 1337
 1406C. Caley كيلبي كونستينس
 1427 de la Camp كيمب (دي لا)
 1510 O 1467 Campbell كيمبل
 1354 Caméron كيمرون
 13/1412 T. Clark كلارك طوماس
 19، 33
 E. Canizarez y إي مويانا ا.
 1468 Moyana
 R. Cantagalli كانطاغالي روميو
 1337، 39، 59
 الكانوني م 1341
 50، 1348 A. Kühne كون ع
 A. von Conring كونرينغ أدولف فون
 1501
 J. R. B. Cunningham كونينغام
 1514
 1428 King كينغ
 1401 Kendricks كيندريكز
 H. Castonnet كاستوني دي فوس هـ
 1534 des Fosses
 كساباني أمين 1410 O سليم 1478
 1534 H. de Castries كاستر (ده)
 Miguel do Castro كاسترو ميكيل ده
 ظ. محمد الممنون
 F. Manuel P. كاستيانوس ف م ب
 1417 Castellanos
 1525 F. Cassone كاسون
 1457 F. Coste كوست فرومان
 1506 Koest كوست
 1513 R. M. Cust كوست رم
 1547 Kossuth كوسوث
 1459 E. Cosson كوسون ا
 1536 S. Castel كيسطل سطرلينج

22، 1406D. J. Cooper كوبر د. ج
 25، 27، 40
 27/26، 24/1403 Copping كوبينغ
 16/1514 Cuevas كويباس
 1518 - 1443 E. de إدواردو دي
 75، 1473 الكتاني زين العابدين
 1436 O المامون بن عمر
 1500 K. Koch كوڤ كارل
 1456 P. Carbonnel كاربونيل ب
 1407 Carpajal كاربخال
 1404 V. P.
 1552 J. Curtis كرتيس جون
 1344 E. Carleton كارلطن إدوارد
 1518 كارلوس الرابع
 1454 Cornut كورنو
 J. Cortès كورطيس إي بايونا خواكين
 1468 y Bayona
 08/07، 1400R. Kerr كير روبيرط
 33، 59
 1427 M. Cary كيري مود
 de Kerdic - Cheny كيرديك شيني (ده)
 90، 87، 79، 76، 1474
 1524 A. de Caraman كرامان ا. ده
 1345 كراو أحمد بن ع الله
 1513 J. V Crawford كراوفورد ج ف
 1425 Crass كريس
 1427 Craggs كريكز
 79، 62/1461 - 1350 Krupp كروب
 95 - 1501، 04
 63/1562 Cromer كرومر
 1418 Coates كوتس
 1515 N. Cott كوط نارسيس
 M. L. de Campou كامبو لودفيغ ده
 1513
 1536 J. Cambon كامبون جول
 Ruy da Camara كامارا روي (دا)
 1541
 1553 Colar كولار

ليرتشوندي خ J. Lerchundi 1404،
07
ليرد آرثور 1509 A. Leared
ليرموند 1412 Learmond، 14، 32
لطيف 1427
اللطيف حسن اصطقان 1427، 28
لطفی ع الحمید 1509، 12، 40
لطورنو روجي R. Le Tourneau
1425، 31، 69
لاكوسط أوريليان 1480 A. Lacoste
لوکي 1413 Lockie
لوکهد 1427 Lockhead
لکیر جول 1541 J. Leclercq
لون رامون 659R. Lon
لايلي 1427 Liley
لامبير بول 1500 P. Lambert،
26/25
لينر (?) Lennier 1517 Linner (?)
ليناريس ف 1472 F. Linarès، 1535
ليمبدن 1427 Lambden
لينس أوسكار 1478 O. Lenz، 1501،
36
ليننس كابريل 1456 G. Leynens
لينوكس آلان 1419 A. Lennox، 30،
33، 35، 40
اللعي ج م 1553
لافيجري شارل 1398Ch. Lavigerie
لافيارد أ. 45/1544 A. Laviarde
لفيتة ج م 1367
لفالوا 1471 - 1374 Le Vallois
لفيفر أ. 1458 A. Lefevbre
لسور بول 1530 P. Lesourd
لشاطوليي ألفريد A. Le Châtelier
1398 - 1400
لاهور 1541 Lahure، 43
اللواح م 1345
ليم 1470 Lamb
ليويس وليام ريد 1450 W.R. Lewis

كوشلي ش 1522 Ch. Cochelet / 23
كوشمي 1471 Cauchemez
كوهن ابراهام ليفي 76/1475، 86
الكوهن ج م بن قاسم 1565
كويدنفيلت ماكس 832 M. Quedenfelt
1502، 05
كويليام ع الله W. A. Quilliam
42/1441
كاي 1504 Cail
كايي رني 1523 R. Caillé ○ جاك J.
76/1374، 82/78، 1457، 63/62،
72، 98، 1515، 18، 22، 27/24،
30، 33، 35، 44، 46
كياي ف 1454 F. Chiappe

- L. -

اللبادي ج محمد 1412، 46، 1542،
50، 53، 55، 57
لبلان أندري 1333 A. Leblanc
لبيل رولان 1472 R. Lebel، 1524،
32/27، 35/34
لوبيث إي إسبيللا Lopez v Espela
1456
ليبيرت 1351 Lippert
ليبي 1552
ليبيسارتس سيكر (ده) Siger de
1548 Libessarts
ليوبولد الثاني 42/1541 Léopold II
لوتي بيير 1535 P. Loti
ليتشن أ. 1505A. Letschen
لودجي 1428 Logie
لوكارو أ. 1474 A. Lugaro
اللياني بوعزة 38/1337
لدين 1502 Ladein
لاريدو ابراهام 1474 ○ إسحاق 1475
○ شلومو 1552
لورنس 1467Lawrance

- الميم M -

ماء العينين محمد المصطفى 44/1443،
47، 96 - 1532

مبارك ج بن ع الرحمان 1566

مبيركو التهامي 1358

مبروك بن جعفر 1558

المتوكي ج عمر 1502

ميتسز كارل K. Mietzner 1470

ماتيو فليكس F. Mathews 1418،
33، 82

ميجي موتسو هيتو 1385

ماغارينوس ج م J. M. P. 1407
Magarinos

ميجرس Migers 1537

محمد أبو بكر عمر 1565 ○ ابن ح

حمادي 1367 ○ ابن الحسين 1366

○ ابن دحمان 1377، 79 ○ ابن

المدني 1332 ○ ابن ميمون 1367

○ محمد بن ميمون 1366 ○ المعطي

1565 ○ ج المعطي 1565 ○ ابن

مسعود 1565 ○ ابن عبد الله 1332

○ ابن العباس 1368 ○ العربي 1567

○ ابن العربي 1367 ○ عمر 1567

○ ابن م بن عمر 1556 ○ ابن قدور

1566 ○ ابن قدور 1539 ○ هاشم

1566 ○ ابن علي ظ : روخاس.

محيي الدين بن قدور 1566

المختار بن مسعود المراكشي 1555

○ بن ناصر 1353

مخلوف محمد 1493

المدني حسن 1566 ○ محمد بن خليفة

1494 ○ يوسف بن بدر الدين 1493

مدينة أحمد 1453 ○ الأمين أحمد

1395

مارتي فريتز F. Marti 1462

مرتيل م بن ج م 1555

مارتنيت خ م ر J. M. R. Martinez

1405 ○ خوصي J. 1411

مارتنير هنري (ده لا) H. de la

1376 Martinière - 1454 - 56 - 62 -

79 - 99 - 1501، 09، 13، 26،

39/35

ماركوس Marcos 1364

ماركيزي 1361

مركايم Markheim 1415

مارسي أ. A. Marcet 1529

مارسطن Marston 1427

مارشال Marshall 1548 ○ أ. بيل A.

1406 Belle

مورغا إي موغارتيجي خ م (دي) J. M.

1520 de Murga Mugàrtegui

مورغان Morgan 1407 ○ 1482

موريس Morris 1511

مورني (ده) de Mornay 1524

المربط إبراهيم 1459

مراجي موشي 1475

المراكشي م بن ع الرحمان ده سوتلي

1376، 79 ○ كبور بن م 1563

ميرجيسو Merjesüe 1533

ميرسيي جورج G. Mercier 1492

ميرشاك Mirshak 1411

المرقاوي أبو بكر بن أحمد 1567

المزابي محمد بن المعطي بن العيساوي

936

المزامزي ج المعطي بن عبد الكبير 1450

ميزونوف ده de Maisonneuve 1455

مؤور أبو بكر بن م 1553 ○ م بن ع

النبوي 1565 ○ عمر 1553 ○ م

1553 ○ ج م 1563

المزوعي ع الحكيم التونسي 1516،

60/57

ماك آرثور كريسي C. Mc Arthur

1419، 31 ○ 1419

ملين محمد 1393
 موليناري أنطونيو 1474 A. Molinari
 ميلت 1425 Mellet
 ميللو 1428 A. M. Millau
 الممنون محمد العليج البرتقيزي Miguel
 83/80، 78، 1375 do Castro - 58/1457
 المومني ج علي 1353
 مونبار ج 1359 G. Montbard
 المنبهي المهدي 73/1372 ○ عياد 1507
 المنجرة علي بن بوكر 1566 ○ محمد
 بن محمد 1566
 مناحيم 1523
 مونطيفيور موشي M. Montefiore 1508
 مانزوني ر 1541 R. Manzoni
 المنوني محمد 43/41، 35/34، 1331، 45، 48، 52/51، 57، 59، 63، 65، 70، 73، 77، 85 - 1456، 70، 73، 78، 96 - 1557، 60
 مانيسمان 1479 Mannesmann
 مينسيغن البارون von Menzigen 1507
 مينسينك 1405 Minsink
 مينار 1512 Ménard
 مينيليك 1394
 المنظري م 1366
 المناعي م بن سليمان 1493
 المنيعي العربي 1347، 49
 مصباح م 1567 ○ مصطفى 1567
 مصطفى شاكرا 1544
 المصلوحي المدني 1339 ○ مولاي
 سعيد 1526
 معنينوج أحمد 1356، 65، 69، 70
 ○ م 1567 ○ م بن المختار 1343
 المغربي ابراهيم 111

ماك كارتني أوسكار Oscar Mc Carthy 1529
 ماك لين ألان 1466 A. Mc Lean
 ○ هيري 1344 - 1433، 67/65، 97
 ماك ليود ماك آيفر Mc Iver Mc Leod 1425، 33
 ماك ماث سامويل 1414 S. Mc Math
 ماك ميلر 1408 Mc Millar
 ماك نيب فرانسيس 1430، 34، 39
 ○ كيتي 1415 Katie
 ماك هو ماثيوز 1465 M. Mc Haugh
 ماكينطوش وليام W. Mackintosh 1439 - 05/1404، 35 - 1510
 ماكينزي دونالد Donald Mackenzie 1346 - 1400، 43 - 12/1509
 ماكسيميليان 1396 Maximilien
 ميكين إدوارد 77/1476 E. Meakin
 ○ بودجيت 77/1476 Budgett 1529 - 87
 المكناسي أحمد 1494 ○ أحمد محمود
 1567 ○ ابن ميلود 1349 ○ م
 محمود 1567 ○ ج م 1566 ○ المعلم
 م 1367 ○ محمود م 1567 ○ ج ع
 الكريم 1568 ○ العربي 1349 ○ ج
 فضول 1565
 المكينسي م 1336
 المكي بن مبارك 60/59، 1338
 ملحمة منصور 1504 - 1305
 مالموسي جوليو 1357 G. Malmusi، 64/63
 مالظن ه ك فون H. K. von Maltzan 1498
 مولر 1500 Müller
 ميلر أنطوان (ده) 1503
 ميلر سوزان 1442 S. G. Miller
 ○ وليام 1405 William، 11

نابوليون بونابارط Napoléon Bonaparte 1396 - 18/1517،
22/21

النجار م بن ج محمد 1349 ○ م بن م
1349

نوغاليس خوصي 1474J. Nogalès
نوردمان دانييل 1326 D. Nordman
نور الله 1415

نيرن جيسي 1418 J. Nairn
○ كوثيرت 1400 Cuthbert، 13،
19/18، 33، 35، 40/39

نوط ميري 1411 H. Nott، 35
نوطاري 1469 Notari
نيطن ألبرت 21/1420 A. Nathan،
38، 40

نيكولسن أرثور 1433 A. Nicholson
نيكولاص 1407 Nicolas

نول فريديريك 1500 F. C. Noll
نميرو يوسف أفندي 1478
الناصرى أحمد 1417، 55/54، 93

○ فاطمة بنت علي 1393
النعمي ج م 782

نهليل م 1345 - 1510

نويا خيراردو 1428 G. Noya

- الصاد S والضاد -

الصبيحي ج أبو بكر 1351، 63 ○ ج
الطيب 1460 - 1553 ○ ع اللطيف
1351

الصابونجي إدريس 1565

الصبان أحمد بن إدريس 1566

الصدقي م بن سعيد 1444

صالح مبارك 1566 ○ م 1565

الصالح ج بن العباس 1368

الصنهاجي م ماني 1373

الصقلي ع الهادي بن أحمد 1569

○ إدريس بن قاسم 1563

المقري ج م 1497 ○ ع السلام 1373 -
1513

المقايسي م 1554

المسكيني ج عمارة ع بن الصادق 1416
مسعودة بنت العربي 1556

المسفيوي م 1349 ○ علي بن م 1373
○ عمر بن م 79/1378، 82

مسواك أحمد بن م 1563

موساتوفا تاتيانا 1543 T. Mussatova

ميسكوفيتش أ. 1415 A. Miscovich

المسكالي ولد خبان 1447

ميسنير ب 1506 B. Meissner

ميشيا 23/1522 Miscia

المشرقي العربي 1436

المشطون حمان بن أحمد الكراوي 1366

ميشيل 1559 Michel

مشيش (النقيب) 1392

المهدي بن إبراهيم 1332 ○ بن عمر
1566

ماو 1509 Maw

ماور (هـ. فون) 1507 H. v. Maur

المو... ج م 1566

مويال يهودا 1416

ميوير ديفيد 1408 D. Muir، 13، 35
○ ك 1428

ميج جان لوي 1331 J. - L. Miège

34، 44، 46، 55/52، 76، 81، 97،

99 - 15/1401، 19/17، 21، 24،

31/27، 33، 39/36، 43، 55، 59،

63، 66/65، 68، 73/71، 76/75،

79، 87/82، 91/89، 99/98 -

04/1500، 06، 10/08، 14/12،

20/18، 28/24، 31/30، 34/33،

36، 43/39، 48/46، 53، 55، 57.

- النون N -

النابلي ع الرحمان بن أحمد 1494

الصويري ع السلام بن أحمد 1567
الضمانى أحمد بن م 1332
العيسن .

عائشة بنت أم الخير 1556
العبوبي أحمد 1531
عبد الرزاق بن قاسم 1565
ع الله الطبيب ظ : ريفير ○ «الأمير»
بن علي ظ : جولي.
ع. الكريم باي (الحاج) ظ : كابلينغ
○ (القائد) 1523
ع المجيد «الجنرال» ظ : سيكر
عبد القادر بن الميلودي 1367
○ المراكشي 1565
عبد السلام (الأمير) 1521 ○ م 1566
○ ع القادر 1566
العبدى مبارك 1349 ○ ج م 1568
العباري ج الجيلالي بن أحمد المعلم ومحمد
بن التهامي الحريزيان 942
العباس بن مصطفى 1366، 73 ○ بن
قاسم 1366، 73.
العباسي علي باي ظ : باديا إي ليليتش
○ أمان 1368
عرايى أحمد 1343 - 1562
العروسي م بن عمر 1566
عرفة (الأمير) 1451
العرفاوي بن ج حميدة 1366 ○ بن
عمرو 1366
العرفاوي إدريس 1562 ○ عز الدين
1530 ○ القاضي 1392
العروبي ع الله 1398 - 1425، 38، 67،
92، 94/95 - 1540
العزيزة بنت إبراهيم بن م 1533
عزيمان م 1560
الطار محمد صادق 1480، 96/97
الططاوي ع الرحيم 1543
عطية مناحيم 1559

عكان بن حمو 1416
العلج أحمد بن علي 1366 ○ ع الكريم
1459 ○ ع الله 60/1459 ○ ع
القادر 1456، 60/59 ○ عمر 1454
○ سعيد 1455 ○ ع الرحمان ظ :
سوتلي ○ م البردقيزي ظ : م الممنون
○ م الفرنسي ظ : سان جوليان ○ م
الاسباني ظ : أنخيل بيريث ○ مصطفى
الألماني ظ : رولفس ○ ع الله الألماني ظ
: شنيتمادل
علال بن بلة 1353 ○ العربي 1565
○ بن قاسم 1332
العلمي التهامي 1567 ○ المهدي بن
الحسن 1563 ○ ع الرحمان 1565
○ ع السلام بن م 1343 ○ ع السلام
1367 ○ الشريف 1425 ○ الكبير بن
محمد 1563
العلوي أحمد بن م 1565 ○ رشيد أبو
النصر 1561 ○ عبد المالك بن مولاي ع
الرحمان (الأمير) 1569
العلوي أحمد بن المنصار 782
علي باي 1479 ○ بن روبرطير
1453 ○ بن مسعود (مولاي) 1458
○ عمر الشريف 1566
عليش أحمد وحسن ومحمد محمود ومحمد
حمزة وع الرحمان وع العزيز وع السلام
1566
عمر بن الهاشمي 1567 ○ الشيخ بن
مبارك 1565 ○ (الأمير) 1445، 60
العمرى ج التهامي 1560
عمار 1523 ○ شلومو بن يوسف 829
العمارتى ولد 1554
العمراتى ع الله 1454 ○ الغالي 1563
عمور إدريس 1340 ○ المختار 1345
العنتري سعيد 1494
عينوش ع السلام بن الجيلالي الودبي
1354

العوفير م 38/1337 ○ ع الرحمان بن
المكي 452، 78 - 638 - 999
العقباني ج حمو بن بومدين 1563
العسري م 1528
عيسى بن أحمد بن الحسين 1551
العشاب بوعزة بن بنعاشر 1339
عوشار أمينة 1475
عواد ج علي 1449، 51
العوني م 1349

- الغين Gh. -

الغربي أحمد و م بن ج م 1557 ○ م بن
المصطفى 1404، 44 - 1512، 20
○ ج م بن ج 1557 ○ م المعطي بن ع
الله 1368 ○ ج موسى 869 - 970،
92، 94
الغرباوي ج م 1568
الغرابلي ع الرحمان 1566
غريط م المفضل 1337، 47، 59،
73/72، 81 - 1415، 45، 68، 70،
84/83، 88، 90 - 1511، 13، 27،
34، 46
الغريسي ج م 1338
غالب إبراهيم 1337
غلاب م 1567
غنام بناصر 1422، 97 - 1516
الغنجاوي أبو بكر 1433، 37، 87
غنيم نعيم 1567
الغسال م 69/1368 - 1412 - 1505

- الفاء F. Ph. V. W. -

الفوتي ج عمر 1373
فدريان (?) 1567 Fedriani
فرج أحمد 1450 ○ ج م 51/1449 -
1551، 54، 61 ○ عبد الخالق
64/1563
فرج عيسى 1478، 84

فرجاني ع السلام وعلي 1567
فيرغوسن 1533 Ferguson
فرح عيسى 1404
فروخ عمر 1415، 34، 40
فوركو 1541 Fourcault
فيرارا 70/1469 Ferrara
فيرير Ferrer ع الله 1457
فيرو شارل 76/1375 Ch. Féraud
78، 81/80 - 1471، 74، 86، 89/88
- 1505، 31، 34، 36، 38، 45
فيرنبو ه 1420 H. Fernbaugh
فرانسيسكو سان San Francesco
1418
فرانسيرون أدولفو A. Franceron
1474
فراسكيت ب 1428 V. B. Frasquet
فروخت ب 1462 B. Frucht
فروستيك 1427 Frustick
فريتش ف ك 1500 V. K. Fritsch
فريزر أغنيس A. Fraser ظ:ماك نيب
فريسيني ش (ده) Ch. de Freycinët
46/1545
فاطمة بنت رحمة 1556 ○ مفتاح
1437 ○ بنت فطيمة 1556
فكري ع الله 1342
فيكة كارل 1502 K. Ficke
فوكو شارل (ده) Ch. de Foucauld
1398 - 30/1529
فالطا 70/1469 Falta
فيلبس دينيس 1397 D. H. Phillips -
1406، 20، 22، 25، 34، 38
الفيلاي أحمد وإدريس بن ج العربي
1367 ○ بلقاسم 1568 ○ حسن بن م
1566 ○ حسن بن المدني 1565. ○ م
1348 ○ م 1568 ○ بن الحبيب
المكناسي 1352 ○ المدني 1566
○ الصديق بن ع الرحمان 1566

ـ القاف ـ

القباچ إبراهيم بن ج م 1560 ○ خليل
1565 ○ م 1356 ○ ج م بن التهامي
1569 ○ المفضل بن ج ع الغني 1554
○ ج العباس 1568
القجيري م بن ج م 1337، 58، 60
○ ع الله 1358
قادة أحمد بن ج المخلوف 1555
قادوس العربي 1454
القادري حسن البغدادي 1495
قدور بن ع السلام 1337
القرقور م بن سعيد 1377، 79، 82.
القرشيتي (?) م بن أحمد ومحمود بن أحمد
1567
القرمودي ج علي 1552
القلعي أحمد بن ع الرحمان 1377، 79
القليعي ج ع القادر 1341
القندوسي حسن بن م 1565 ○ ج
العربي 1459
القصري م 1349 ○ م ع السلام 1565
○ م سي علي 1565 ○ م بن ع الرحمان
1563
قاسم 1360 ○ مولاي 1539

ـ السين ـ S

السبتي حسن بن ع الخالق 1565 ○ م
بن ع الخالق 1566 ○ ع الخالق 1560،
65
سبأطة م 1349
السباعي الحسين بن علي 1567 ○ م
بن أحمد 1567 ○ م بن إبراهيم 1436
سبيريدون أيوب 1443
سبيسا مارسيلينو 1428 M. Civezza
سبيلتز 1500 Speltz
سبليزبوري Splisbury 1514، 45،
52

○ العربي بن المدني 1506 ○ ج سعيد
1568
فلوريكة كورت 1506 K. Floericke
فليتشر 1424 Fletcher
فومي 1334 Fumey
فنيش ع الله 1334
فينونة م بن ج إبراهيم 1551
فضول بن صالح 1358
الفاسي ج الخضر 1568 ○ ع السلام
1353 ○ العباس 1372 - 1555
الفشار ع السلام 1377
فيشر أ. 1506 A. Fisher ○ ثيو Th.
1507 ○ ج 1400 G.، 20، 34
فهمي محمود حسن الوري 1567
فيتشيو 1403 Vecchio
فيردون إيكبيرت Egbert Verdon
1467
فيرنويي (ده) A. de Vernouillet
1479 - 1527
فيرسينغ 1427 Versing
فيكتوريا (الملكة) 1563 Victoria
فالبير ج 1531 G. Valbert
فانهوفر (?) 1547 v. Hoover
فانساندون - دومولان - Vincendon
1525 Dumoulin
فيازيمسكي 1543 Viazemski
فيستنهورف هنري 1503
فاكنر ر 1346 R. Wagner - 1504
فايس ل ه 1503 L. H. Waiss
فولفروم ج 1506 G. Wolfrom
فولسكي 1533 Wolski
فيبير تيودور 48/1347 T. Weber،
50 - 1478 - 02/1501
فينزل أوطو 1501 O. Wenzel
فيتسشطاين 1500/1499 Wetzstein
فيسجيربير 1470 Wesgerber -
1513، 15، 27، 46

1454 ○ ع الحميد العثماني
 80/1479، 96 ○ ع الحفيظ 1371،
 94، 1514 ○ ع الرحمان 1331، 45،
 57/1454، 61، 93 - 1508، 24، 47
 ○ ع الله 1453 ○ ع المجيد العثماني
 1547 ○ ع العزيز 1372، 95 -
 1433، 65، 87، 96 -
 14/1513 ○ سليمان 1455، 93 -
 18/1517، 23/21 ○ اليزيد 1454
 ○ علي بن يوسف بن تاشفين 1453
 السالكة بنت الفويضل 1443
 سالم بن ابراهيم 1366
 السالمي جان ماري J.M. Salmi 1458
 سالمون ج G. Salmon 1506
 السلاوي حسين بن ع الله 1567 ○ م
 بن ع السلام 1521
 سولير س C. Soller 1534
 سوتلي ج (ذه) J. Dessautly 1376
 سيلبا إدواردو E. Silva 1465
 السملالي العباس بن ابراهيم 1343 -
 1454، 56، 93/95
 سمويلس Samuels 1403
 سومرز وليام W. Summers 1406،
 35
 سيمبسن أورنا O. Simpson 1420
 سميث Smith 1428
 سانتشيث خ ر إي J. R. y Sanchez 1456
 سانطياغو Santiago 1456
 سان جوليان (البارون ده) Le Baron de
 1457 Saint Julien
 سينفبال (ده) De Cénival 1534
 السنوسي ابراهيم 1563 ○ ابراهيم بن
 إدريس 1495 ○ م بن علي 1494
 ○ ع الله بن إدريس ○ 1495 عمر
 1563
 سعدية 1546

ستومة ه H. Stumme 1506
 ستيفن Steven 08/1407
 سيت - سميث Set-Smith 1403
 ساتورنينو ج G. Saturnino 1520
 سيكر Seager 1547
 سيكور ف F. Segur 1456
 سيكور - دوبيرون Ségur-Dupeyron 1524
 سادوان أوجين E. Sadoine 69/1368
 السربوت م 1567
 السرغيني م 1567
 سورديو إ E. Sourdeau 24/1523
 سوران دانيال D. Saurin 1478
 سيربيرا طاماريت F. M. C. Tamarit 1407
 سيرف فيكتور V. Serph 1476
 سوزا Souza 1522
 سيطاو Satow 1434 - 1512
 ستوفيلد هيو H. Stuffield 1512
 سطرلينج كين K. Sterling 1418
 سكسو ابراهام 69/1368
 ساكي دومينغو D. Sacchi 1500
 سكوط Scott 1482 ○ و ب W. P.
 1509
 سكوفاصو س S. Scovasso 1541-1354
 سكيرج الزبير 1335، 52 - 1466
 ○ ع الغني 1335 ○ م بن العياشي
 1481
 سيكستون Sexton 1411
 سلطان م القصري 1565
 السلطان مولاي إسماعيل 1424، 82
 ○ مولاي الحسن 1331، 45، 70،
 73/72، 85 - 1409، 44، 59/58، 61
 67، 72، 79 ○ مصطفى الرابع
 العثماني 1547 ○ م بن ع الرحمان
 1331، 42 - 1498 ○ محمد الشيخ
 1458 السعدي 1458 ○ م بن ع الله

○ إدريس بن المكي 1348، 53
 ○ الجيلالي بن التهامي 1353
 الشرقاوي م البوهالي 1338، 51، 62/61
 الشرقي مسعود 1475
 شيري Chéry 1375، 78، 81
 شالومو Chalumeau 1522
 شلومبيرجي Schlumberger 1471
 شولت Scheult 1522
 شيلدريك خالد 1441
 شماعو أبوبكر ومحمد بن ج ع القادر
 1336
 شميت Schmitt 1471 / 72
 شنيل ب P. Schnell 1506
 شنيتمادل R. Schneitmadel 1458
 شافانيناك (ده) De Chavagnac
 28/1527
 شفيرت ماكس M. Schwert 1505
 شفيغر . ليرخنفلد - Schweiger
 1503 Lerchenfeld
 شهبون أحمد 1341
 الشاوي ع الرحمان بن العباس 1556
 الشيخ ابن عبد القادر 1545
 - الهاء H. -
 الهبة أحمد 1377
 هوبارد Hubbard 1427
 هيرغ Heiberg 1500
 هودكين طوماس T. Hodgkin 1508
 هيردمان إيما E. Herdman 1401،
 06، 12، 24، 26، 37
 هريمان Harriman 1514
 هاريس والطر W. B. Harris 1467 -
 14/1513
 هوكر ج د J. D. Hooker 1509
 هولدين ج J. Holdane 1419
 هيلديارد ه H. Hildyard 1512
 هيمبيلتون E. L. Hambilton 1400 /
 03

سعودي حسن ومحمد وعباس 1565
 سعيد إدوارد E. Saïd 1325، 27
 السعدي أحمد 1377 ○ ابن بوعزة
 1557 ○ ج م بن العياشي 1557 ○ ع
 المالك 76/1375، 80 - 1542
 ○ العياشي بن م 1557
 السفيناني م بن المعطي 1343
 سوسين Socin 1506
 سيشينز ف س F.C. Sessions 1540
 السقاط العربي 1565 ○ العربي بن
 التاودي 1353
 السوسي ج ابراهيم بن علي 1555 ○ ج
 أحمد 1565 ○ حيدة بن أحمد 1565
 ○ ج الحسين بن ع الله 1566
 ○ مبارك بن م 1566 ○ المعطي بن
 ابراهيم 1366 ○ ج ع الرحمان بن م
 1565 ○ ج ع الله بن أحمد 1565
 ○ علي 1348، 56 ○ ج عمر بن م
 1566 ○ سالم بن ع القادر 1556
 سوانسن ف V. Swanson 1427
 السويسي م 1349، 94 - 1408 ○ ع
 السلام 1336
 السيوفي محمد 1563
 - الشين Sh, Ch -
 شابلوز ج J. Chabloz 1459
 الشبيهي م 1568
 الشتيوي م الزيارى 1555
 الشيحاني م 38/1337
 الشدادي م 1353
 شودت ي J. Schaudt 1502
 الشديد أحمد 1349
 الشدياق أحمد فارس 1478
 شارل العاشر 1524
 شارم غ G. Charmes 1531
 الشرقي البشير بن سناح 1445
 ○ العربي ولد أبًا محمد 1543
 الشراذي إدريس بن الكوري 1451

الوزاني أحمد 1568 ○ ج ع السلام
 1475، 79، 88، 94 - 1519، 27، 36
 ○ عمر بن زين العابدين 1568
 ○ عمر بن محمد 69/1568
 ويزلي ج J. Wesley 1429
 ويطنال Whetnall 1489 - 1506، 41
 وطسن رس R.S. Watson 1427 -
 1509
 الوكيل م 1566
 ولطيم E. Waltham 1512
 الوليدي خليل 1495
 ولد العنبر المكي بن ع السلام 1367
 ويلكيمسن Wilkimson 1403
 ويلسن أ A. Wilson 1412
 ويليفر ج ب J.P. Williver 23/1421
 الوليشكي ج حمو 1459
 ويليامز طيلكوت Talcott Williams
 1540
 الوعدودي م 1349، 66 ○ بن عبد
 السلام 1449، 51 - 1550، 69
 ○ الجيلالي بن الوعدودي 1448
 وايط هيربيرت H. White 1402،
 10/09، 26، 74
 - الياء Y. J. I. -
 ياچرشميد شارل Ch. Jagerschmidt
 1525
 يحيى بن كونسالفو 1453
 اليازغي ج العربي 1566
 يزور ج م بن م 1563
 يودة 1559
 يط 1544
 اليملاحي العربي بن أحمد 1443
 ينطوب فريحة بنت عمران 1444
 ياناش R. Jannasch 1502، 06/05
 يانسن ه H. Jansen 1506
 يعكوب أبو بكر 1338
 يسو بن حنينية 1444
 يولي يهودة 1553

هيمبيليون J. Hambillion 03/1400
 هيمر ه H. Hammer 1420، 38
 هيمسو يعقوب كرابرغ أف J. G. af
 1547 Hemsö
 هوندت فالديمار فون W. von Hundt
 1505
 هند - سميث W.W. Hind-Smith
 1513
 هينكوك Hancock 1419
 هوف E. Hughes 1410
 الهفروكي م 1342
 هيسنر Haessner 1502
 هوسكينز Hoskins 1428
 الهشتوكي م بن الحاج 1349
 الهواري م المسفيوي 79/1378 ○ ج م
 المبارك 1566 ○ سعيد بن بلعيد 1539
 هي جون J. Hay 1352 - 1405، 15،
 17، 33، 77، 83، 90/89 -
 01/1500، 09، 12
 هاينوس Haynus 1369
 هوهنهوفن S.C. Hohenhoven 1369
 - السواو Oi. W -
 الوتري علي بن ظاهر 1494
 الودغيري أحمد بن ع الرحمان 1566
 ○ م 1366
 وودفيل ن ر N.R.C. Woodville
 1513
 ودور عمر 1565
 الودي الحسين بن خلوq 1346 - 1504
 ○ الطاهر بن الحاج 1365، 73/69،
 77، 84 - 1469 ○ مصطفى 1358
 ○ ع الله بن العربي 1377، 79، 82،
 ○ ع السلام 1367 ○ قاسم بن م
 70/1369
 وارد إيرين Irene Ward 1427
 الورديفي ع القادر 1342
 وارصاص علي بن قاسم 52/1551
 الوردازي ع السلام 1497

④ المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- كناش مكاتيب الطابع الشريف، 1695 د، الخزانة العامة بالرباط.
- كناشا مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة 2720 ك و 2721 ك، (خ ع).
- محمد بن العياشي سكيرج : «رياض البهجة، في تاريخ طنجة»، مصور الخزانة الصبحية.
- الطاهر بن الحاج الودي : «الاستبصار، في عجائب الأمصار» بالخزانتين المنونية والأحمدية.
- أبو بكر بن الحاج الهاشمي الصبحي كناشته ووثائقه، بالخزانة الصبحية.

ثانيا : الكتب العربية المطبوعة

- شكيب أرسلان : تعليقه على «حاضر العالم الاسلامي»، الجزء الأول، طبعة القاهرة، 1926/1343، تأليف لوثرروب ستودارد : Lothrop Stoddard.
- محمد بن أحمد أكنسوس السوسي : «الجيش العرمرم الخماسي، في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي» الجزء الثاني، المطبعة الحجرية بفاس، 1918/1336.
- خوسي أليمانى : «الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة»، تعريب أحمد مدينة، «دعوة الحق»، ماي 1978.
- خوان بالديراما مارتينيث : J. Valderrama Martinez : «خواكين غاتيل، رحلة المغرب» تطوان، 1954.
- مصطفى بوشعراء : «الاستيطان والحماية» مختلف الأجزاء، الرباط 1984 - 1987 - 1988.
- عبد المجيد بنجلون :
 - أ. «جولات في مغرب أمس : 1872». (تلخيص رحلة الدكتور أرثورليرد A. Leard إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، 1974.
 - ب. «جولات في مغرب أمس : 1901» (تلخيص رحلة فرانسيس ماك نيب F. Mac Nab إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

- عبد الرحمان بن زيدان العلوي :
أ. «إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة كناس» مختلف الأجزاء، الرباط 1929 - 1933.
- ب. «العز والصولة، في معالم نظم الدولة»، جزآن، المطبعة الملكية، 1961 و 1962.
- عبد الوهاب بن منصور : «أعلام المغرب العربي» المطبعة الملكية، الجزء الأول، 1968.
- عبد العزيز بن عبد الله : معطيات الحضارة المغربية، الجزء الأول الرباط، 1960.
- عبد الهادي التازي :
أ. «جامع القرويين» المجلد الثالث، بيروت، 1972.
- ب. «صحيح الامام البخاري بخط الحافظ الصدفي»، «دعوة الحق»، مارس 1973.
- ت. «حول الشريف العباسي أو الجنرال دومينغو»، في «دعوة الحق»، يناير 1973.
- ث. «الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة والتدخل الدبلوماسي» في «البحث العلمي»، العددان 26 و 27.
- ج. «العلاقات المغربية الروسية»، نفس المجلة، العدد 21، دجنبر 1967.
- محمد عابد الجابري : «الخطاب العربي المعاصر - دراسة تحليلية نقدية»، بيروت 1982.
- عبد الله بن العباس الجراري : «من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا» الجزء الثاني، الرباط، 1971.
- أنور الجندي : «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» لبنان، 1984.
- بيير كيين : «تاريخ المغرب والمصادر الأوروبية»، «البحث العلمي»، العدد العاشر.
- محمد ابن عزوز حكيم : «السيادة المغربية، في الاقاليم الصحراوية، من خلال الوثائق المخزنية»، الجزء الاول، الدار البيضاء، 1981.
- محمد الخطيب : «حول مقال علي بيه الجاسوس الاسباني»، «دعوة الحق»، العدد 226.
- مصطفى خالدي وعمر فروخ : «التبشير والاستعمار في البلاد العربية. عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي»، الطبعة الرابعة، بيروت 1970.
- عبد القادر الخلافي :
أ. «مذكرة الدكتور ليناريس»، «دعوة الحق» ماي 1971.
- ب. «علي باي العباسي»، أيضا، يناير 1973.
- ت. «دوكاستر وتاريخ المغرب» أيضا، مارس وأبريل وماي 1974.
- محمد بن علي الدكالي : «الاتحاف الوجيز - تاريخ العدوتين»، تحقيق مصطفى بوشعراء، الرباط 1986.

- محمد داود : «تاريخ تطوان»، مختلف الاجزاء، طبعة تطوان والرباط.
- ب. ج روجرز P. G. Rogers : «تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى سنة 1900». تعريب يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1981.
- خير الدين الزركلي : «الاعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين» الطبعة الثانية 1959.
- محمد بن أحمد الكانوني «أسفي وما إليه قديما وحديثا»، القاهرة، 1353هـ.
- زين العابدين الكتاني : «الصحافة المغربية، نشأتها وتطورها : 1820 - 1912»، الجزء الأول، مطبعة فضالة، المحمدية، دون تاريخ.
- ألفريد له شاطوليي A. Le Châtelier : «الغارة على العالم الاسلامي»، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، طبعة بيروت، دون تاريخ.
- عبد الحميد لطفي : «مراجع بالانجليزية حول المغرب»، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد الثالث والرابع، 1978.
- «مجلة المغرب» : «بين خديوي مصر وسلطان المغرب»، يراير - مارس 1936.
- محمد بن محمد مخلوف : «شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية» الجزء الأول القاهرة، 1379هـ.
- أحمد المكناسي : «أهم مصادر التاريخ والترجمة بالمغرب»، تطوان، 1963.
- محمد المنوني :
- أ. «مظاهر بقعة المغرب الحديث» الجزء الأول والثاني، لبنان، 1985.
- ب. «صفحات من مخطوط «المفاخر العلية» لعبد السلام اللجائي، عن النشاط العلمي بفاس خلال القرن التاسع عشر» في «المناهل» العدد 36.
- شاكرك مصطفى : «ملك أروكانيا»، مجلة «العربي»، مارس 1980.
- أحمد معنيو :
- أ. «مذكرة طالب مغربي أرسل إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة»، «دعوة الحق» العدد الأول، السنة 12.
- ب. «ترجمة مختصرة لتلميذ من بعثة الحسن الأول سنة 1297»، في «البحث العلمي» العدد 25.
- تاتيانا موساتوفا Tatiana Mussatova : «العلاقات الروسية المغربية في القرن التاسع عشر» ترجمة عبد الرحيم العطاوي، في «مجلة دار النيابة» طنجة، العدد 18.
- أحمد بن خالد الناصري : «كتاب الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى»، بعض الأجزاء، طبعة الدار البيضاء 1954 - 1956.
- محمد بن سعيد الصديقي : «إيقاظ السريرة، لتاريخ الصويرة»، الدار البيضاء، دون تاريخ.

- عز الدين العراقي : «شارل ده فوكو وهب حياته لتنصير المغرب العربي خدمة للإسلام»، في «البيئة» العدد الثامن، دجنبر 1962.

- عبد الله العمراني : «أروبيون في خدمة العرش المغربي»، «دعوة الحق»، مارس 1973.

- عبد الغني سكيرج : «مذكرة الزبير سكيرج 1850 - 1932» في «دار النيابة» العدد 8.

- العباس بن ابراهيم السملالي : «الاعلام، بمن حل مراكز وأغمات من الاعلام»، مختلف الأجزاء، الرباط 1974 - 1983.

- إدوارد ويليام سعيد : «الاستشراق : المعرفة، السلطة، الانتشار»، ترجمة كمال أبو أديب، بيروت 1981.

- وزارة الشؤون الثقافية : «فاس، كشف المراجع الببليوغرافية للتراث الثقافي»، الرباط، دون تاريخ .

ثالثا : المراجع العجمية Sources, Bibliographies

- Abdelaziz Amine, Jean Brignon, Brahim Boutaleb, Guy Martinet et Bernard Rosenberger : «Histoire du Maroc», Paris et Casablanca, 1967.

- Eugène Aubin : «Le Maroc d'aujourd'hui», Paris, 1908.

- Benoist-Méchin : «Lyautey l'Africain», Paris, 1978.

- Jacques Caillé :

a. «La Petite Histoire du Maroc» 2eme et troisième séries : Casablanca et Rabat, 1954.

b. «La Petite histoire de Rabat», Casablanca, sans date.

c. «Les marocains à l'école du génie de Montpellier : 1885 — 1888» in Hespéris, vol XLI, 1954.

- Ahmed Djebli El Aydouni : «mémoires» (manuscrits)

- Mohammed El Gharbi : «La question du Sahara Occidental Marocain devant la loi internationale», Rabat, 1974 (étude en stencil).

- Pierre Guillen : «L'Allemagne et le Maroc : 1870 — 1905», Paris, 1967.

- Gouvernement (le) espagnol : «Informations et documents que présente le gouvernement espagnol à la cour internationale de justice», livre IV, mars 1975 (en stencil)

- **Jean Hess** : «La question du Maroc», Paris, 1903.
- **Eugène Hughes et J.L. Miège** : «Les Européens à Casablanca au XIX siècle : 1856 - 1906», Tanger, 1954.
- **Amina Ihrai — Aouchar** : «la Presse Tangéroise d'opposition au Protectorat» in مجلة دار النيابة العدد 10
- **Charles-André Julien** : «Le Maroc face aux impérialismes : 1415 — 1956» Paris, 1978.
- **Abdellah Laroui** : «Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 — 1912)» , Paris, 1977.
- **Alfred Lebel** : «Les voyageurs français au Maroc», Paris, 1936.
- **Paul Lesourd** : «La vraie figure du Père de Foucauld», Paris, 1933.
- **Roger Le Tourneau** :
 - a. «Fès avant le Protectorat», Casablanca, 1949.
 - b. «La vie quotidienne à Fès en 1900», Paris, 1965.
- **Henri de la Martinière** :
 - a. «Le règne de Moulay El Hassan» in «la Revue des Deux - Mondes» vol CXX, septembre 1894.
 - b. «Souvenirs du Maroc. Voyages et missions 1882 — 1918», Paris, 1920.
- **Jean - Louis Miège** :
 - a) «Le Maroc et l'Europe : 1830 — 1894»
 - a 1. Tome I : «Sources. bibliographies»
 - a 2. T. II : «L'ouverture»
 - a 3. T. III : «Les difficultés», Paris, 1961.
 - a 4. T. IV : «Vers la crise», Paris, 1964.
 - b) «Documents d'histoire économique et sociale-marocaine au XIX siècle », Paris 1969.
 - c) «Journaux et journalistes à Tanger au XIX siècle», in Hespéris, 1954 .
 - d) «Les missions protestantes au Maroc : 1875 — 1905» in Hespéris, Vol 42, 1955.
 - e) «Hassan 1er et la crise marocaine au XIX siècle» in «Les africains» Tome III, Paris, 1978

- **Mohamed Nehlil** : «Lettres chérifiennes», 1ere partie. Paris, 1915.
- Daniel Nordman** : «Science géographique Française et expansion coloniale en Afrique du Nord au XIX siècle», Université d'été, Mohammedia, Juillet 1987.
- **Paul Pascon** : «Le Haouz de Marrakech», Tome II, Tanger, 1977.
- **Dennis H. PHILLIPS** : «The American Missionary in Morocco» in «the Muslim World», Vol LXV n° 1, Januaury, 1975
- **Jean - Marie Salmi** : «L'attitude des Européens à l'égard de la politique de Réformes au Maroc à la Veille du Protectorat» in «ندوة الاصلاح والمجتمع في القرن التاسع عشر».
- **Ducas F. Weisgerber** : «Au seuil du Maroc moderne», Rabat, 1947.

رابعاً : الجرائد والمجلات

بعض الأعداد من : مجلة المغرب - دار النيابة - العربي - الوثائق - المناهل - دعوة الحق - البحث العلمي - البيئة - مجلة كلية الآداب بالرباط - العلم - المغرب (طنجة) - المجلة التاريخية (تونس).

Hespéris - Les Africains - La Revue des Deux - Mondes - North Africa - The Muslim World - The Times of Morocco.

خامساً : الوثائق

- مديرية الوثائق الملكية : محافظ العلاقات الدولية - محافظ المدن الشاطئية والداخلية - محافظ الترتيب العام - محفظة التعليم بالخارج - محافظ الشخصيات - وثائق السلسلة الجديدة (م و م).

- الخزانة الصبيحية بسلا

- المكتبة العامة للوثائق والمخطوطات (تطوان).

- الخزانة العامة بالرباط

- خزانة كلية الآداب بالرباط.

- وثائق آل بنسعيد (خزانة الحاج العربي).

- وثائق الدكتور الحاج احمد الجبلي العيدوني.

F. O. / P. R. O.

سادساً : روايات شفوية واستجابات

⑤ مواد «الاستيطان والحماية» : الأجزاء السابقة

ج 1 : المدخل
الباب الأول : المغرب ربوعه وأهله

434 - 11

185 - 11

الفصل الأول : الأيالة المغربية
ف 2 : الربوع والسكان
ف 3 : المغتربون
ف 4 : المستوطنون
ف 5 : الجوائح والقواصم

27 - 12

56 - 29

144 - 57

156 - 145

185 - 157

الباب الثاني : المعطيات والمبادلات الاقتصادية 187 - 354

ف 1 : المواصلات والتجهيز
ف 2 : المفاهيم القياسية
ف 3 : التغيرات النقدية والمالية والجمركية
ف 4 : النظام الحرفي
ف 5 : الصناعة والمعادن
ف 6 : التجارة الخارجية
ف 7 : الفلاحة وامتلاك العقار

199 - 189

211 - 201

228 - 213

273 - 229

285 - 275

327 - 287

354 - 329

الباب الثالث : جوانب من العلاقات الخارجية 355 - 423

ف 1 : أزمات وسفارات
ف 2 : النواب السلطانيون
ف 3 : دار النيابة

390 - 359

405 - 391

423 - 407

ج 2 : الاستيطان والحماية بمدن الشمال

960 - 433

الباب الرابع : طنجة

647 - 437

446 - 437

461 - 447

ف 1 : الولاة والسكان والعمران

ف 2 : ألمانيا، السلك الدبلوماسي والمحميون والمستوطنون

ف 3 : الولايات المتحدة، السلك الدبلوماسي والمحميون

500 - 463

والمستوطنون

550 - 501

ف 4 : إنجلترا، السلك الدبلوماسي والمحميون والمستوطنون

576 - 551

ف 5 : إسبانيا، السلك الدبلوماسي والمحميون والمستوطنون

592 - 577

ف 6 : إيطاليا، السلك الدبلوماسي والمحميون والمستوطنون

604 - 593

ف 7 : الأنبيريال، السلك الدبلوماسي والمحميون والمستوطنون

632 - 605

ف 8 : فرنسا، السلك الدبلوماسي والمحميون والمستوطنون

647 - 633

ف 9 : باقي الدول، السلك الدبلوماسي والمحميون والمستوطنون

الباب الخامس : الثغور الشمالية الغربية

736 - 649

ف 1 : تطوان، الولاة والسكان والقناصل والمحميون والمستوطنون

ف 2 : أصيلة : الولاة والسكان والقناصل والمحميون والمستوطنون

ف 3 : العرائش : الولاة والسكان والقناصل والمحميون والمستوطنون

ف 4 : القصر : الولاة والسكان والقناصل والمحميون والمستوطنون

الباب السادس : العُذوتان

800 - 737

ف 1 : سلا والرباط، الولاة والسكان والعمران

ف 2 : ألمانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 3 : الولايات المتحدة، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 4 : إنجلترا، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 5 : إسبانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 6 : إيطاليا، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 7 : فرنسا، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 8 : باقي الدول، القناصل والمحميون والمستوطنون

الباب السابع : الدار البيضاء

943 - 801

ف 1 : الولاة والسكان والعمران

ف 2 : ألمانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 3 : الولايات المتحدة، القناصل والمحميون والمستوطنون

ف 4 : إنجلترا، القناصل والمحميون والمستوطنون

890 - 875	ف 5 : إسبانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون
904 - 891	ف 6 : إيطاليا، القناصل والمحميون والمستوطنون
930 - 905	ف 7 : فرنسا، القناصل والمحميون والمستوطنون
943 - 931	ف 8 : باقي الدول، القناصل والمحميون والمستوطنون

ج 3 : الاستيطان والحماية بباقي المدن

1320 - 961

الباب الثامن : أزموور والجديدة

1021 - 969

979 - 969	ف 1 : الولاة والسكان والعمران
982 - 980	ف 2 : ألمانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون
987 - 983	ف 3 : الولايات المتحدة، القناصل والمحميون والمستوطنون
996 - 988	ف 4 : إنجلترا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1005 - 997	ف 5 : إسبانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1008 - 1006	ف 6 : إيطاليا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1011 - 1009	ف 7 : البرتغال، القناصل والمحميون والمستوطنون
1014 - 1012	ف 8 : فرنسا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1021 - 1015	ف 9 : باقي الدول، القناصل والمحميون والمستوطنون

الباب التاسع : آسفي

1058 - 1023

1029 - 1023	ف 1 : الولاة والسكان والعمران
1032 - 1030	ف 2 : الولايات المتحدة، القناصل والمحميون والمستوطنون
1038 - 1033	ف 3 : إنجلترا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1042 - 1039	ف 4 : إسبانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1044 - 1043	ف 5 : إيطاليا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1052 - 1045	ف 6 : فرنسا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1058 - 1053	ف 7 : باقي الدول، القناصل والمحميون والمستوطنون

الباب العاشر : الصويرة

1118 - 1059

1072 - 1059	ف 1 : الولاة والسكان والعمران
1075 - 1073	ف 2 : ألمانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1077 - 1076	ف 3 : الولايات المتحدة، القناصل والمحميون والمستوطنون
1097 - 1078	ف 4 : إنجلترا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1101 - 1098	ف 5 : إسبانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1103 - 1102	ف 6 : إيطاليا، القناصل والمحميون والمستوطنون
1105 - 1104	ف 7 : البرازيل، القناصل والمحميون والمستوطنون

- ف 8 : فرنسا، القناصل والمحميون والمستوطنون 1106 - 1115
 ف 9 : باقي الدول، القناصل والمحميون والمستوطنون 1116 - 1118

الباب الحادي عشر : مراکش 1119 - 1142

- ف 1 : الولاية والسكان 1119 - 1126
 ف 2 : إنجلترا، القناصل والمحميون والمستوطنون 1127 - 1134
 ف 3 : فرنسا، القناصل والمحميون والمستوطنون 1135 - 1137
 ف 4 : باقي الدول، القناصل والمحميون والمستوطنون 1138 - 1142

الباب الثاني عشر : فاس 1143 - 1184

- ف 1 : الولاية والسكان والعمران 1143 - 1150
 ف 2 : الولايات المتحدة، القناصل والمحميون والمستوطنون 1151 - 1154
 ف 3 : إنجلترا، القناصل والمحميون والمستوطنون 1155 - 1161
 ف 4 : إسبانيا، القناصل والمحميون والمستوطنون 1162 - 1172
 ف 5 : فرنسا، القناصل والمحميون والمستوطنون 1173 - 1181
 ف 6 : باقي الدول، القناصل والمحميون والمستوطنون 1182 - 1184

الباب الثالث عشر : باقي المدن وملاحق ختامية 1185 - 1218

- ف 1 : مكناس، الولاية والسكان 1186 - 1191
 ف 2 : النواحي الباقية 1192 - 1202
 ف 3 : جداول تلخيصية 1203 - 1210
 ف 4 : نصوص تاريخية 1211 - 1218

ملحقان :

1. فهرس الأعلام (الأجزاء الثلاثة) 1219 - 1304
 2. المصادر والمراجع (الأجزاء الثلاثة) 1305 - 1315

Table des Matières

Le Maroc dans la bibliographie occidentale	1325-1330
1ère Partie : Emigrations du Maroc	1331-1396
Titre XIV : les missions estudiantines à l'étranger	1331-1396
Chapitre 1er : les établissements de formation	1331-1340
Chapitre 2ème : les stagiaires	1341-1396
2ème partie : Immigrations au Maroc	1397-1548
Titre XV : mouvements d'évangélisation et d'islamisation	1397-1452
Chapitre 1er : les missions	1397-1400
Chapitre 2ème : les missionnaires	1401-1428
Chapitre 3ème : l'activité missionnaire	1429-1440
Chapitre 4ème : l'islamisation	1441-1452
Titre XVI : Renégats et Instructeurs	1453-1472
Chapitre 1er : les Renégats	1453-1460
Chapitre 2ème : les Instructeurs	1461-1472
Titre XVII : La presse Tangéroise	1473-1492
Chapitre 1er : la presse étrangère	1473-1481
Chapitre 2ème : les échos de cette presse	1482-1492
Titre XVIII : agents, voyageurs et auteurs	1493-1548
Chapitre 1er : de pays musulmans	1493-1497
Chapitre 2ème : d'Allemagne	1498-1507
Chapitre 3ème : d'Angleterre	1508-1516
Chapitre 4ème : d'Espagne	1517-1520
Chapitre 5ème : de France	1521-1539
Chapitre 6ème : d'autres pays	1540-1548
3ème partie : appendices	1549-1607
1. Les marocains à l'étranger (suite du 1er tome)	1549-1569
2. mises à jour	1570-1574
3. Index alphabétique	1575-1597
4. Sources bibliographiques	1598-1603
5. Table de matières des 3 tomes précédents	1604-1607

Mustapha BOUCHARA

**IMMIGRATIONS
ET
PROTECTIONS
AU MAROC**

1863 - 1894



Tome IV

**Emigrations et Immigrations
au Maroc**

SSR

1989

